وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط

الترقيم الدولي لليونسكو
١٨١٢ - ٠٥١٢
رقم شهادة مُعامل التأثير
٢٠١٨ - ٣٦٥

مجلة واسط

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة واسط
كوت / العراق

مجلة واسط للعلوم الإنسانية والإجتماعية - جامعة واسط - كوت - العراق

هاتف ٣٤٢١٨٧ نقال ٠٧٨٠٥٦١٧٧٠٤
E-mail: wjfh@uowasit.edu.iq

IRAQI Academic Scientific Journals

المجلد
العدد

مجلة واسط للعلوم الإنسانية والاجتماعية

الترقيم الدولي لليونسكو ٠٥١٢ ـ ١٨١٢
رقم شهـادة معامل التأثير ٢٠١٨ـ٢٦٥ لسنة ٢٠١٧

مجلة واسط للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة واسط
اسست عام ٢٠٠٥م

المجلد (١٩) الجزء الثاني من العدد (٥٣) الصادر بتاريخ ٦/ ايار /٢٠٢٣م

خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي الثالث لقسم التاريخ في كلّية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط الذي أقيم بالتعاون مع قسم الدراسات التاريخية في مؤسسة بيت الحكمة يوم السبت الموافق ٢٠٢٣/٥/٦م، في رحاب بيت الحكمة – بغداد

رئيس التحرير

أ.د. جعفـــــر باقر محمود علوش

مديـــر التحرير

أ.م.د. مازن جاسم محمد الحلو

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. يوسف عنـاد زامـــل – العـــراق
أ.د. رحيم كاظم محمد الهاشمي – العراق
أ.د. صالـــح نهيـــر راهـي – العـــراق
أ.د. احـمـــد جعـفر داود – العـــراق
أ.م.د. محـمد كـاظم عـرب – العـــراق
أ.م.د. ايـنـاس نـاجي كاظـم – العـــراق
أ.م.د. لمى عبد المنـاف رحيم – العـراق

أ.د. برهان الدين بن عبد أبو بدير- مملكة ماليزيا
أ.د. حامد حـــــمـزة حـمـــد – العـــــراق
أ.د. مصطـــــفى ابراهـــيم الضبع- مـــصر
أ.م.د. احمد تـــقي فضـــيل - العـــــراق
أ.م.د. عيـــسى جعفر الحركاني – العـــــراق
أ.م.د. جـواد رضـــا رزوقـي – العـــــراق
DR. David Atkinson /Ireland

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٩٨٨) لسنـــــة ٢٠٠٧م
رقـــم موافقـــة مؤسسة نابو الأكاديمية ١١٧/٥/٢٢/٠٢١ في ٢٠١٧/٨/١٠

IRAQI
Academic Scientific Journals

* **تنويه**:
ان الآراء الواردة في الأبحاث العلمية المنشورة في هذا العدد لا تعبر عن وجهة نظر المجلة وسياستها العلمية، انما تمثل فكر أصحابها وتوجهاتهم العلمية.

أهداف المجلة

مجلة علمية محكّمة تصدر عن جامعة واسط
أهداف المجلة وضوابط النشر فيها

*- تنشر المجلة البحوث الاصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً والمكتوبة باحدى اللغتين، العربية والإنكليزية في المجالات اللغوية والتربوية.

- أن لا يكون البحث مستلاً من رسالة أو أطروحة جامعية أو مسروق ولم يسبق نشره، وليس مقدما الى أي وسيلة نشر أخرى.

- تخضع البحوث الى تقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث الى أصحابها سواء أقبلت البحوث للنشر أم لم تقبل.

- تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الرصينة ذات المستوى المميز التي لم يسبق نشرها في حقل العلوم الإنسانية.

- تخضع البحوث العلمية للتقويم من لدن اختصاصيين في داخل العراق وخارجه.

- تنشر المجلة البحوث باللغتين العربية والإنكليزية.

-ى يقدم الباحث ثلاث نسخ من بحثه مطبوعة على ورق قياس (A4) بمسافة كتابة مضاعفة. مع ملاحظة كتابة علامات الترقيم (الفارزة/النقطة) بغير أعمدة، والهوامش بطريقتين:

أ- في نهاية الصفحة

ب- حاشية تلقائية أو تعليق ختامي.. فضلا عن قرص(CD) مطبوع على وفق نظام (وورد ٢٠١٠) ويرتب على وفق شروط البحث العلمي والنشر في المجلات العلمية على أن لا يزيد عن (٢٠) صفحة

- إلزام الباحث بأدراج البريد الالكتروني

- إلزام الباحث بترقيم المصادر بالأرقام الرومانية عند كتابة البحث.

- الزام الباحث بتوحيد البيانات الخاصة به في جميع بحوثه المنشورة على ان يتظمن اسم الباحث، المرتبة العلمية، جهة الانتساب، البريد الالكتروني الرسمي

تطبع الجداول والرسوم البيانية والخرائط على أوراق منفصلة بمعدل جدول واحد لكل صفحة وأن يكون الجدول او الرسم البياني مرقما وموضحا فيه محتواه.

أجور النشر ٧٥,٠٠٠ دينار في الجامعات والمؤسسات العراقية ومبلغ (١٠٠) دولارا أمريكي أو ما يعادلها لغير العراقيين.

تحدد أجور الخبراء والمقومين بـ (١٠) عشرة آلاف دينار عن كل بحث.

يزود الباحث بنسخة واحدة مجانا بدل المستلات

تنشر المجلة الإعلانات التي تُعْنَى بالجانب العلمي والاقتصادي والتربوي للبلد لقاء هبة مالية تقدمها الجهة المستفيدة.

لا تعاد أجور البحوث (غير الصالحة للنشر) إلى الباحثين.

الباحث مسؤول عن الآراء والأفكار التي ترد في بحثه والمجلة غير مسؤولة عن ذلك.

يقدم الباحث خلاصة لبحثه باللغتين العربية والانكليزية بحدود.. ١٥٠ _ ٢٠٠ كلمة.

يلزم الباحث بدفع مبلغ (٢٥٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة عن العدد المقرر وهو (٢٠) صفحة.

توضع هوامش البحث ومصادره في نهاية البحث.

لأسرة تحرير المجلة الحق في تحديد موعد النشر بحسب نظام الأسبقية.

إلزام الباحث بشراء نسخة من المجلة بعد إصدار العدد وبملغ (١٥,٠٠٠) دينار.

يحتوي البحث المقدم للنشر المعلومات البيلوغرافية للبحث باللغة الانكليزية عنوان البحث، معلومات الباحثين، الملخص، المصادر

أخلاقيات النشر

تتولى مجلة واسط للعلوم الإنسانية في جامعة واسط اصدار الاعداد الخاصة بالبحوث الإنسانية والبحوث الاقتصادية وتهدف الى توفير فرص متساوية لجميع الباحثين، حيث تقبل الابحاث العلمية استناداً الى محتواها الفكري ، بغض النظر عن جنس مؤلفيها أو أفكار أو أصولهم العرقية أو جنسياتهم أو فلسفتهم السياسية، وترى المجلة في الالتزام بأخلاقيات النشر المهنية أهمية قصوى يجب على الباحثين والمقومين العلميين والمحررين وضعها في عين الاعتبار وفي أعلى سلم أولوياتهم. وفيما يلي بيان أخلاقيات النشر العلمي الخاص بالمجلة، ويتضمن لوائح وانظمة اخلاقية خاصة برئيس التحرير وأعضاء هيئة التحرير والمقومين العلميين والباحثين.

رئيس التحرير: يتولى رئيس التحرير بالتعاون مع هيئة التحرير وذوي الاختصاص من خارج هيئة التحرير مسؤولية اختيار المقومين المناسبين وفقاً لموضوع البحث واختصاص المقوم العلمي بسرية تامة.

أعضاء هيئة التحرير: للمجلة هيئة تحرير يتمتع أعضائها بالخبرة والمعرفة في مجال اختصاصهم، واسماؤهم ومكان عملهم منشورة بالكامل على موقع المجلة الالكتروني ومن مهامهم العمل مع رئيس التحرير للمجلة على تحسين رؤيتها واختيار المقومين المناسبين لأبحاث المقدمة للتقويم

الباحثون: يجب على الباحثين ضمان اصالة ابحاثهم واستيفائها للمعايير المهنية والاخلاقية العالية للباحثين، ويترتب على ذلك أن يتمتع البحث المقدم بمصداقية عالية من حيث تقديم النتائج دون تلفيق أو تحريف لنتائج البيانات، ويتم ترتيب الباحثين حسب ما جاء بالبحث على أن تكون الاسماء مذكورة بالتسلسل الاول صاحب فكرة حسب وزن اسمائهم كل منهم، ومن واجب الباحث الذي يتولى مراسلة المجلة التأكد من تضمين جميع الباحثين المشاركين، وعدم ادراج اسماء باحثين غير مشاركين في البحث، وعلى الباحثين الاشارة بشكل صحيح الى الابحاث التي تم الرجوع اليها في البحث، ومراجعة أبحاثهم وفقاً لمقترحات المقومين، وفي حال عدم موافقة الباحث على الاخذ بالتعديلات المقترحة، فيجب عليه تقديم تبرير منطقي بذلك.

التقويم والمقومون: تعد المجلة عملية تقويم البحث العلمي من اصحاب الاختصاص مرحلة رئيسة من مراحل النشر العلمي، كما ان من سياسة المجلة التأكد من مهنية عمل المقومين العلميين والتزامهم بقوانين المجلة الاخلاقية، ويترتب على ذلك ما يلي: يتم اخضاع الأبحاث المقدمة للنشر في المجلة الى التقويم من ذوي الاختصاص، وفي حال تبين لإدارة التحرير توافق البحث المقدم للنشر مع سياسات النشر في المجلة وسلامة اجراءات البحث العلمي، ويرسل البحث الى اثنين من المقومين من ذوي الاختصاص، لتقيمه وكتابة تقرير مفصل حول سلامته وأصالته العلمية، باستخدام نموذج مخصص لذلك، وتتعامل ادارة المجلة مع اسماء المقومين وتقاريرهم بسرية تامة، ولا تكشفها الا لأعضاء هيئة التحرير الذين هم أيضاً يتعاملون معها بسرية تامة، وفي حال وجود تقرير سلبي من احد المقومين يرسل البحث في نسخته الاصلية الى مقوم علمي ثالث للبت في صلاحيته للنشر، ويجب في المقومين تحري الموضوعية في الاحكام والنتائج الصادرة عن عملية التقويم، ويفترض في المقومين الانتباه على خلو الابحاث من الانتحال، كما يجب عليهم الاشارة الى جميع الاعمال المنشورة التي جرى الانتحال منها في متن البحث المقوم علمياً، ويفترض في المقومين الالتزام بالوقت المخصص لعملية التقويم

الانتحال (السرقة الادبية): ترى المجلة في الانتحال أو السرقة الأدبية سلوكاً غير اخلاقي في مجال البحث والنشر العلمي وبالتالي نرفضه جملة وتفصيلاً ويترتب على ذلك ما يلي: يجب على الباحثين تقديم الاعمال الاصلية ، كما يجب عليهم الالتزام بقواعد الاقتباس والتوثيق وأخلاقيات النشر، وجميع البحوث المقدمة للنشر تخضع الى استخدام برمجيات مكافحة الانتحال المناسبة والتأكد من نسب الاستلال، ويجب تحري الدقة في التوثيق وكتابة المراجع والمصادر

ازدواجية الابحاث المقدمة للمجلة: على الباحث عدم تقديم أعمال نشرت سابقاً في مجلات اخرى وكذلك يجب عليهم عدم تقديم ابحاثهم الى اكثر من مجلة في وقت واحد اذ يعد ذلك – في نظر المجلة سلوكاً غير مقبول، ومنافياً لأخلاقيات البحث والنشر ويحق للباحثين نشر ابحاثهم في المجلات الاخرى فقط بعد تلقي الرفض الرسمي من المجلة وفي حال موافقة المجلة رسمياً على طلب سحب أبحاثهم المقدمة

- موقع المجلة على شبكة الانترنيت: يبين موقع المجلة مدى مراعاته لمعايير الاخلاقية والمهنية العالية

_ جدول النشر: تلتزم المجلة بجداول النشر المحددة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

- اسم المجلة: مجلة واسط للعلوم الإنسانية- تصدر عن جامعة واسط وفيها محور لنشر البحوث الاقتصادية

برعايـة

معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي — معالي وزير الثقافة/رئيس مجلس أمناء بيت الحكمة

د. نعيم العبودي المحترم — أ.د. أحمد فكّاك البدراني المُحترم

وإشراف السيد رئيس جامعة واسط

أ.د. مازن جاسم الحسني المُحترم

ومتابعـة

السيد عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية أ.د. محمود حمود عراك القريشي المحترم

والسيد رئيس قسم الدراسات التاريخية أ.م.د. حيدر قاسم التميمي المحترم

وتحت عنوان

(تاريخ العراق.. ذاكرة الأُمم ومنجم تجارب البشر)

يُقيم قسم التاريخ في كلِّية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط مؤتمره العلمي الثالث بالتعاون مع قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة يوم السبت الموافق ٢٠٢٣/٥/٦م، في بيت الحكمة – بغداد

ديباجة

من قلب العالم القديم برزت حضارة وادي الرافدين، هذهِ البقعة من الأرض التي عُرفت على مرِّ العصور باسم (عراق)، أصبحت مهدًا لحضاراتٍ متعاقبة منذ أكثر من عشرة آلاف سنة. أهدَت البشرية أو أبجديةٍ للكتابة، وأول قانونٍ يُنظِّم حياة الإنسان ويُهذِّبها، وفيها سُطِّرت كلمات أعظم ملحمةٍ في التاريخ – ملحمة كَلكَامش. هذهِ الأرض التي كانت موطنًا ومرتحلًا لكثيرٍ من أنبياء الله (ﷺ)، بدءًا من آدم ونوح وهود وصالح ويونس وإبراهيم، وصولًا إلى أنبياء بني إسرائيل عليهم السَّلام، لتمتزج فيها الحضارة بالقداسة والتنوير.

أرض العراق التي احتضنت ثاني عواصم الدولة العربية الإسلامية، على عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لتكون مدنها الرئيسة – الكوفة والبصرة – موطنًا لنشأة المذاهب الإسلامية، والمدارس الفكرية، وقبلة الفاتحين على عهد الخلافتين الراشدة والأُموية، ومستقراً لأصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعين. حتَّى باتت جميع مدنهِ متشرِّفةً بمراقد ومقامات هؤلاء الرموز، الذين كان لهم أثرهم وبصمتهم على هذهِ الأرض والمجتمعات التي تعاقبت عليها.

عاش العراق عصره الذهبي حينما اختطت الدولة العباسية مدينة بغداد عاصمة له في سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)، فكانت قبلة العالم في الفكر والحضارة والعلوم. ريادةً انطلقت من بيت الحكمة، خِزانةً للآداب ومركزًا لترجمة فكر السابقين من الأُمم القديمة. لتُشع بنورها الأخاذ جميع أصقاع العالم. فكانت المدارس والمكتبات والمساجد والرِبَط تعجُّ بمدن هذا البلد العظيم. فيه نشأ الاعتزال، ومنه أُخذت علوم العربية والنحو والبيان، وعلى أرضهِ رُصدت الكواكب والنجوم، وبهِ دوِّنت العلوم والمعارف، فكانت أسواق الوِراقة ومجالس العلماء وجهة كلِّ متعلِّمٍ وباحث.

مثَّل العراق أحد أبرز ولايات الدولة العثمانية في العصر الحديث، لِمَا حَظِي بهِ من موقعٍ جغرافيٍّ مائز، وموارد طبيعية كبيرة، ليستقطب اهتمام العالم منتصف القرن التاسع عشر، ماثلًا كأحد محطَّات النزاع الاستعماري. وباستقلالهِ، واكب العراق خلال العهدين الملكي والجمهوري معالم الحضارة والتطور والانفتاح على العالم الحديث. محتفظًا بجوهر تميزهِ أرضًا خصبة في إنتاج الفكر والمعرفة، إذ برز منه العلماء والأدباء والفنانون طِوال عقود القرن الماضي، محتفظًا بمكانتهِ المتميزة في عالمنا العربي والدولي على السَّواء.

من كلِّ هذا، بات العراق محطَّ أنظار الباحثين، ومحلِّ عناية المؤسَّسات العلمية في مختلف دول العالم، فكتب عنه وفيه المستشرقون، متناولين أدقَّ تفاصيل تاريخهِ العريق. لتبرز هاهنا أهمية مؤتمرنا العلمي هذا، في محاولة البحث والتنقيب بمحطَّات تاريخ العراق، وإعمال النقد والتحليل في كلِّ ما سُطِّر عنه من مؤلَّفاتٍ وأبحاث. في محاولةٍ لوضع مرجعٍ شاملٍ لتاريخ العراق عِبرَ العصور، بالتزام مناهج البحث الدقيقة، تخطُّه أنامل أساتذةٍ أكفاء، وبإشراف اثنين من المؤسَّسات العلمية – الأكاديمية الرصينة.

أهداف المؤتمر

١. تسليط الضوء على التأثير المتبادل بين العراق والأُمم عِبرَ التاريخ.
٢. إعادة قراءة تاريخ العراق على وفق مناهج النقد والتحليل.
٣. السَّعي نحو تعزيز التواصل العالمي بما يُسهم في تطوير المعرفة في مجال علم التاريخ.
٤. تنشيط الحَراك المعرفي وصولاً إلى أفضل النتائج.
٥. توثيق جوانب غامضة من تاريخ العراق، ولاسيَّما في عصورهِ الوسطى.

محاور المؤتمر

١. العراق القديم.. دراسات تحليلية في التاريخ والآثار.
٢. قراءاتٌ نقدية في تاريخ العراق خلال العصور الإسلامية.
٣. التجربتان السياسية والبرلمانية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر.. دراساتٌ نقدية.
٤. رؤى في تاريخ العراق الاجتماعي والسياسي الحديث والمعاصر.
٥. تاريخ العراق في الدراسات الاستشراقية .. بين الواقع والتحريف
٦. فلسفة التاريخ ومنهجية تدوينه وطرائق تدريسه.

لجان المؤتمر

أولاً- اللجنة العلمية

١. أ.د. محمود حمود عراك القريشي- عميد كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /رئيساً
٢. أ.د. إسماعيل طه معتوك الجابري- رئيس الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية/بيت الحكمة/عضواً ومقرراً
٣. أ.د. هاشم عليوي محمد الحسيني – معاون عميد كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٤. أ.د. فلاح حسن الأسدي – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
٥. أ.د. حسين داخل البهادلي – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
٦. أ.د. فاضل جابر ضاحي – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٧. أ.د. طالب محيبس حسن – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٨. أ.د. محمود عبد الواحد القيسي – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة/عضواً
٩. أ.د. عكّاب يوسف عليوي – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٠. أ.د. داود سلمان خلف الزبيدي – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
١١. أ.د. سامي حمود الحاج جاسم – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
١٢. أ.د. رحيم كاظم محمد – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٣. أ.د. ماجد مشير غائب – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٤. أ.د. جلال كاظم الكناني – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
١٥. أ.د. إسراء مهدي مزبان – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٦. أ.د. رياض عبد الحسين راضي – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٧. أ.د. حسين سيد نور جلال – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٨. أ.م.د. نادية ياسين عبد – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً

ثانياً- اللجنة التحضيرية

(١) الإشراف على تنظيم المؤتمر

١. أ.د. محمد حسين علي السويطي – رئيس قسم التاريخ/كلِّية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط/رئيساً
٢. أ.م.د. حيدر قاسم مَطَر التميمي – رئيس قسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً ومقرراً
٣. أ.د. أحمد جعفر داود الزبيدي – معاون عميد كلِّية التربية للعلوم الإنسانية جامعة واسط/عضواً
٤. أ.د. عباس فرحان ظاهر – قسم التاريخ/كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٥. أ.د. عدنان خلف سرهيد – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
٦. أ.د. محمد فهد حسين – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٧. أ.د. علي خيري مطرود – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٨. أ.د. عقيل عبد الله ياسين – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٩. أ.د. سعدون عبد الهادي برغش – قسم التاريخ /كلِّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً

١٠. أ.م.د. فاضل كاظم حنون – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١١. أ.م.د. أنيس عبد الخالق القيسي – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
١٢. أ.م.د. أنمار عبد الإله فاضل – عضو الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً

(٢) سكرتارية المؤتمر والتشريفات

١. أ.م.د. أحمد محمد جودي – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /رئيساً
٢. أ.م.د. سوسن فاضل كاظم – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٣. أ.م.د. جواد رضا رزوقي– رئيس قسم الشؤون العلمية/جامعة واسط /عضواً
٤. أ.م.د. أحمد بشار جمعة – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٥. أ.م.د. شيماء بدر عبد الله – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٦. م.د. فراس طاهر حسين – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٧. م.د. كريم أحمد حامي – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٨. م.د. أفراح حميد المفرجي – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٩. م.د. صابرين خلف مطير –كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٠. م.د. صباح حسن فلاح–كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١١. م. أفراح جلال – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٢. م. ضرغام رضا عبد السيد – قسم الدراسات العليا /جامعة واسط /عضواً
١٣. م. مهند عبد الحسن جلاب – قسم الدراسات الفلسفية /بيت الحكمة /عضواً ومقرراً
١٤– م.م. مازم ثامر مكي/م. شعبة ضمان الجودة/كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط
١٥. م.م. حسين غازي رشيد – قسم الدراسات الاقتصادية /بيت الحكمة /عضواً
١٦. م.م. هدية زيدان إبراهيم – قسم الدراسات اللغوية والترجمية /بيت الحكمة /عضواً
١٧. م.م. فراس عبد الجبار – قسم الدراسات الاجتماعية /بيت الحكمة /عضواً
١٨. م.م. زينب هادي جابر – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
١٩. م.م. شذى جبار عِمران – قسم التخطيط /جامعة واسط /عضواً
٢٠. م.م. ميادة فاضل عيسى –كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٢١. الباحثة بثينة هاشم ياسين– قسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
٢٢. السيدة رقية جابر – قسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
٢٣. الباحثة سلوى محمد جاسم – قسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
٢٤. الباحثة رجاء فضل الله – قسم الدراسات التاريخية /بيت الحكمة /عضواً
٢٥. السيدة أم كلثوم إياد – قسم الدراسات القانونية /بيت الحكمة /عضواً
٢٦. السيد أحمد علاوي توله – شعبة إدارة الموارد البشرية /بيت الحكمة /عضواً
٢٧. السيد منير حسن طاهر – شعبة إدارة الموارد البشرية /بيت الحكمة /عضواً
٢٨. السيد سلام طعمة شمخي – شعبة إدارة الموارد البشرية /بيت الحكمة /عضواً
٢٩. السيد حيدر عزيز – شعبة التصاريح الأمنية /بيت الحكمة /عضواً

(٣) الشؤون المالية (استحصال مبالغ الرسوم وتوفير متطلّبات المؤتمر)

١. أ.م.د. شمخي يابر عويد – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /رئيساً
٢. م.م. ماهر عبد الرحيم حبش – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً ومقرراً
٣. م.م. حيدر ناظم مايوس – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٤. م.م. ستار ترف رزاق – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٥. السيد ضياء جاسم طه – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٦. السيد أحمد حسن عليوي –كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٧. السيد سلطان حسين عبد –كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً

(٤) تكنولوجيا المعلومات والتصميم الإلكتروني

١. أ.د. حيدر مزهر عسكر – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط /رئيساً
٢. م.د. سناء عويد كاظم – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٣. م.م. حسام خليل خضير – مدير شعبة تكنولوجيا المعلومات /بيت الحكمة /عضواً ومقرراً
٤. م.م. عبد الرسول عبد الرزاق موحان – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً

٥. م.م. جليلة فيصل برغش – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط/عضواً
٦. السيد نمير صابر خليف – شعبة النشر والتوزيع /بيت الحكمة /عضواً
٧. السيدة ميساء فلاح حسين – وحدة الاستلال الإلكتروني /بيت الحكمة /عضواً
٨. السيدة يسرى أسامة – شعبة تكنولوجيا المعلومات /بيت الحكمة /عضواً
٩. السيدة شيماء حسن – شعبة تكنولوجيا المعلومات /بيت الحكمة /عضواً
١٠. السيد محسن حران جفجير –كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط/عضواً
١١. السيد حسن داود سليم – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط/عضواً

(٥) العلاقات العامة والنشر

١. أ.د. حسنين عبد الكاظم عجه – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /رئيساً
٢. م.د. ماجد حميد الأسدي – قسم التاريخ /كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٣. م.د. آمنة حسن نيازي – مدير الشؤون العلمية /كلّية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط /عضواً
٤. م.د. ناطق نجم عبد الله الزركاني/كلّية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط /عضواً
٥. السيد مظفر الربيعي – مدير شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً ومقرراً
٦. السيدة وفاء فاضل – شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً
٧. السيد ماجد ساجد – شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً
٨. السيد حازم أنور جاسم –كلّية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة واسط /عضواً
٩. السيد عمر عادل عباس – شعبة النشر والتوزيع /بيت الحكمة /عضواً
١٠. السيدة أصيل علاء الدين – شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً
١١. السيدة غيداء إسماعيل سبتي – شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً
١٢. السيد حيدر علي غالب – شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً
١٣. السيد عبد الرحمن عبود فرج – شعبة النشر والتوزيع /بيت الحكمة /عضواً
١٤. السيد مهند جابر – شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً
١٥. السيدة رائدة صبيح فاضل – شعبة العلاقات العامة /بيت الحكمة /عضواً

(٦) لجنة الخدمات والسوَّاق

١. السيد مهدي صالح – شعبة الآليات (سائق) /بيت الحكمة
٢. السيد قاسم محمد – شعبة الآليات (سائق) /بيت الحكمة
٣. السيدة سهى فاضل – شعبة الموارد البشرية (خدمات) /بيت الحكمة
٤. السيدة نورا نبيل – شعبة الموارد البشرية (خدمات) /بيت الحكمة
٥. السيد محمد زعيم – شعبة الموارد البشرية (خدمات) /بيت الحكمة
٦. السيد حيدر محمد سعيد – شعبة الموارد البشرية (خدمات) /بيت الحكمة

شروط المشاركة

١. أنْ يلتزم الباحث بالمنهج العلمي الرصين، والبحث الجاد القائم على النقد والتحليل. وأن يُفضي البحث إلى توصياتٍ ومخرجاتٍ ملموسة. وأنْ يكون البحث غير منشور ولا مُستل أو مُشَارَك بهِ في مؤتمرٍ سابق.
٢. يُسمح لطلبة الدراسات العليا بالمشاركة ببحوثٍ مستلة من رسائلهم وأطاريحهم التي لم يسبق مناقشتها، ويكون ذلك بالشراكة مع أساتذتهم المشرفين و لا يتم استلام البحوث التي يشترك فيها أكثر من باحثَين اثنين، عدا البحوث التطبيقية أو الميدانية.
٣. ترسل نسخة إلكترونية من البحث على نظام (word) بخط **Simplified Arabic** وبحجم (١٤)، على ألّا يتجاوز البحث (٢٥) صفحة، مع ملخصٍ باللغة الإنجليزية لا يقل عن (٢٥٠) كلمة. وأن تُثبَّت الهوامش وقائمة المصادر في نهاية البحث.
٤. يرفق مع البحث ملف بالسيرةِ العلمية للباحث.
٥. تُقبل البحوث باللغتين (العربية والإنكليزية).وتُستقبل الأبحاث خلال موعدٍ أقصاه١٠/نيسان/٢٠٢٣، ويُبلغ الباحث بكتاب قبول البحث خلال مدة أقصاها٢٠/نيسان/٢٠٢٣

تُرسل البحوث على الإيميل الإلكتروني: hajja@uowasit.edu.iq
أو على رقم الموبايل، المعرف ببرنامج التيليجرام: 009647708326182

كلمات السادة المشرفين على المؤتمر

الاستاذ الدكتور مازن حسن جاسم الحسني

رئيس جامعة واسط:

يشكل التعاون العلمي أحد أهم أسس النجاح الاكاديمي، إذ يوفر بيئة علمية – اكاديمية تسمح بتلاقح فكري ينتج عنه بالضرورة تصورات علمية لما وجب أن تكون عليه العملية البحثية، وبناءً على أيماننا كمؤسسة علمية قائمة على البحث وتستند عليه، بأن التعاون العلمي ضرورة أكاديمية لا غنى عنها لأحداث أي تطور علمي، لذا سعينا الى خلق بيئة مؤاتيه لذلك التعاون في جميع المجالات وفي مختلف التخصصات، كانت أحدى تجلياتها عقد المؤتمر العلمي الثالث لقسم التاريخ في كلِّية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط بالتعاون مع قسم الدراسات التاريخية في مؤسسة بيت الحكمة، الذي يأتي حلقة ضمن سلسلة طويلة من المؤتمرات العلمية التي اضطلعت بها الجامعة بمختلف كلياتها ومراكزها، وفي مقدمتها جميعاً كلية التربية للعلوم الإنسانية الناشطة في مجال البحث العلمي والاكاديمي في مختلف أقسامها ولاسيما قسم التاريخ القسم الام فيها، فشكرا للقائمين على هذا المؤتمر من كلا الطرفين، وشكر خاص الى اساتذة قسم التاريخ ورئيس القسم الاستاذ الدكتور محمد حسين السويطي الذي بحق هو انموذج رائع للقيادة الجامعية المسؤولة.

الأستاذ الدكتور محمود حمود عراك القريشي

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط:

تجسيدا لرؤية جامعة واسط وكلية التربية للعلوم الإنسانية، الهادفة الى توسيع مجال التعاون العلمي والبحثي مع مختلف المؤسسات والمراكز البحثية والعلمية داخل القطر وخارجه، يأتي اليوم المؤتمر العلمي الثالث الذي يقيمه قسم التاريخ في كلِّية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط بالتعاون مع قسم الدراسات التاريخية في مؤسسة بيت الحكمة، ليكون بحق فرصة طيبة يلتقي فيها الباحثون من مختلف أرجاء العراق وخارجه لتبادل الرؤى والتصورات البحثية وفق المناهج البحثية الحديثة، على أمل أن يسهم عقد المؤتمر في تنشيط الحركة البحثية ليس في كلينا أو جامعتنا فقط، بل في مختلف أرجاء البلاد، لاسيما أن عقد المؤتمر يأتي بالتعاون مع مؤسسة علمية وبحثية عريقة هي بيت الحكمة التي عرفت بأصالتها العلمية وعراقيتها الأصيلة لذا نتمنى أن يكون هذا المؤتمر بداية طيبة للمزيد من التعاون العلمي والبحثي بين الطرفين.

الاستاذ الدكتور جعفر باقر محمود علوش

رئيس هيئة تحرير المجلة:

يُعد التعاون العلمي من دون شك أهم مظاهر نجاح المؤسسات العلمية والبحثية، لكونه يعني بالضرورة أن الجهات المتعاونة وصلت مرحلة علمية واكاديمية موثوقة جعلت منها محط انظار بعضها البعض، وعلى قدر تعلق الأمر بالمؤتمر العلمي الثالث لقسم التاريخ في كلِّية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط الذي يقام بالتعاون مع قسم الدراسات التاريخية في مؤسسة بيت الحكمة، فأنه يشكل سابقة مهمة للغاية لأنه يأتي ضمن سياق توجهات جامعتنا العزيزة في مد جسور التعاون العلمي مع مختلف المراكز والمؤسسات البحثية، وهو ما يوفر فرصة طيبة لباحثينا داخل العراق وخارجه للتواصل والتعاون العلمي وتبادل الخبرات المعرفي، وبالنتيجة فأنه يوفر بيئة علمية – اكاديمية قادرة على طرح نتاج معرفي يكون بداية لتعاون علمي أوثق في المراحل القادمة، ودعما من السيد رئيس الجامعة أ.د. مازن الحسني وحرصا من هيأة تحرير مجلة واسط للعلوم الإنسانية والاجتماعية على حفظ مخرجات المؤتمر والأبحاث المقدمة فيه فأنها أخذت على عاتقها نشر وقائع المؤتمر في عدد خاص مع تقديم كل التسهيلات العلمية والمالية الممكنة أمام باحثينا الكرام، مع شكرنا وتقديرنا للقائمين على أعمال المؤتمر ولاسيما قسم التاريخ العتيد..

الاستاذ الدكتور محمد حسين علي السويطي
رئيس قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط:

ادراكاً منا كمؤسسة علمية رصينة وكمثقفين سعينا لاهتمام بالمنجز الحضاري لبلدنا الحبيب (العراق) عبر مؤتمر علمي، ومع أن فكرة المشروع بدأت في قسم التاريخ، غير أن صداها سريعاً ما تردد في المؤسسات وبين الافراد ممن احتضنوا الفكرة وشجعوا عليها، وعلى رأسهم مؤسسة بيت الحكمة، حتى تحقق هذا الكرنفال المعرفي، الذي سعينا من خلاله الى اظهار التاريخ المشرق لعراقنا الحبيب عبر حقبه التاريخية المختلفة، القديم والاسلامي والحديث، عبر المشاركات البحثية التي زاد عددها على الثمانين وقبل منها (٦٨)، وهو المؤتمر العلمي الثالث للقسم الذي أقيم شراكة مع قسم الدراسات التاريخية في مؤسسة بيت الحكمة– بغداد. ويتوجب علي هنا أن أتقدم بالشكر الجزيل لرئيس الجامعة أ.د. مازن الحسني ومساعديه وعميد الكلية أ.د. محمود القريشي ومعاونيه ورئيس قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة الدكتور حيدر قاسم واعضاء فريقه الاستشاري ولأعضاء لجان المؤتمر ولكل من أسهم بقول أو فعل لإنجاح المؤتمر. والله ولي التوفيق.

أ.د. اسماعيل طه معتوك الجابري
رئيس الفريق الاستشاري لقسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة:

بيت الحكمة طائرٌ أجنحته الجامعات

انطلاقاً من هذا الشعار وتجسيدا لأهداف بيت الحكمة في بناء علاقات علمية وبحثية مع أساتذة الجامعات العراقية، عُقد في بيت الحكمة ببغداد وعلى قاعة المؤتمرات يوم السبت (٦ مايس ٢٠٢٣) مؤتمرا علمياً مثلّ ثمرة حقيقية للجهود التي بذلت طيلة ما يزيد على ثلاثة أشهر من التعاون البناء بين قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة وقسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة واسط، كانت نتيجتها مشاركة واسعة لباحثين من مختلف الجامعات والمؤسسات البحثية، في تظاهرة علمية حملت عنوان(تاريخ العراق... ذاكرة الأمم ومنجم تجارب البشر)، فانعكس هذا العنوان في البحوث التي قدمت على قاعات بيت الحكمة العامرة بجلسات اربع، أشرّت بحوثها وحسن إدارة جلساتها، نجاحا ملحوظاً للمؤتمر الذي اختتمت اعماله بتوصيات ركزت على ضرورة إعادة قراءة تاريخ العراق وفهم حضارته، لأجل استعادة مجده بوصفه منجما لتجارب البشر، وعمقاً حضارياً لا يمكن الاستهانة به .

بارك الله في جميع الجهود التي بذلت لأجل عقد هذا المؤتمر ومن ثم عملت وخططت وساهمت في نجاحه، والله نسأل للجميع التوفيق والسداد .

المحتويات

محور تاريخ العراق في العصور القديمة			
ت	عنوان البحث	اسم الباحث وعنوانه الوظيفي	التسلسل
١	الأصول السومرية والأكدية لبعض الالفاظ العامية في العراق حروف (ا،ب،ت)	أ.د. سعد سلمان فهد/ كلية الآداب/ جامعة بغداد && أ.د. محمد فهد القيسي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	١ – ٨
٢	الحقوق الاجتماعية للمرأة المطلقة في ضوء القوانين والتشريعات العراقية القديمة	أ.د. حسين أحمد سلمان الباوي/ الجامعة المستنصرية/ كلية التربية/ قسم التاريخ (متقاعد)	٩ – ٢٠
٣	المسالك الأثرية بين أربيل وكركوك	أ.د. طورهان مظهر المفتي/ مستشار مكتب رئيس مجلس النواب && أ.م.د. فاضل كاظم حنون/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢١ – ٣٦
٤	نشأة المباني المقنطرة وتطورها في العراق - الموصل انموذجاً -	م. رنا وعد الله مهدي/ جامعة الموصل/ كلية الاثار	٣٧ – ٥٠
٥	التوثيق الفني لمشاهد صيد الحيوانات المفترسة والطيور في ضوء اختام العصور الاشورية	م.م. أسراء عطا عثمان/ مديرية تربية محافظة ذي قار&& م. م. رواء ماجد رحيم/ مديرية تربية محافظة واسط	٥١ – ٦٦
محور تاريخ العراق في العصور الإسلامية			
ت	عنوان البحث	اسم الباحث وعنوانه الوظيفي	التسلسل
٦	دور الأقليات الدينية في قيام الامبراطورية المغولية	أ.د. اسراء مهدي مزبان/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.م.د. شيماء بدر عبد الله/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٦٧ - ٧٦
٧	فلسفة الشهادة في واقعة الطف (أصحاب الإمام الحسين - عليه السَّلام- أنموذجاً)	أ.د. فليح خضير شني/ جامعة واسط/ كلية الآداب && أ.د. آلاء عبد نعيم/ جامعة واسط/ كلية الآداب	٧٧ – ٨٨
٨	الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م في المصادر المسيحية الشرقية	م.م. محمد عبد العباس ناجي/ وزارة التربية/ مديرية تربية محافظة النجف && أ.د. عباس خميس الزبيدي/جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم التاريخ	٨٩ – ١١٠
٩	الانعطافة التاريخية في العراق وفق نظرية البطل - العصر السلجوقي أنموذجاً-	م.م. عباس فاضل عبد علي/ مديرية تربية واسط/ تربية الحي && أ.د. فاضل جابر ضاحي/جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	١١١ – ١٢٧
١٠	أثر العوامل السياسية في تعيين موظفي الدولة العباسية (١٣٢- ٢٤٧هـ)	الباحث ناظم مطير محمد/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && ا.د محمد حسين علي السويطي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	١٢٨ – ١٤١
١١	أثر وزراء المغول في الدولة الايلخانية في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية	الباحثة رشا علي ياسين/ مديرية تربية محافظة واسط && أ.د. اسراء مهدي مزبان/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	١٤٢ – ١٥٨
١٢	أثر الثقافة الأجنبية في المجتمع البغدادي ابان العصر العباسي (٢٤٧-٦٥٦هـ) - الاعياد والمناسبات ووسائل الترفيه انموذجاً-	م.م. حسام حسين حسن الكناني/مديرية تربية محافظة واسط && أ.د. عقيل عبد الله ياسين/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	١٥٩ – ١٧١
١٣	التعريف برضا هادي عباس الواسطي ونتاجه البحثي الخاص بتوثيق التراث الأندلسي	الباحثة سناء عبد كاظم/ مديرية تربية محافظة واسط&& أ.د. محمد حسين علي السويطي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية	١٧٢ – ١٨٩
١٤	بغداد في رحلة بنيامين الَّتطيلي الأندلسي	أ.م.د. رضا هادي عباس الشمري/ الجامعة المستنصرية/ (متقاعد)	١٩٠ – ٢٠٤
١٥	الحياة الاقتصادية في العراق في العصر البويهي ٣٣٤- ٤٤٧هـ	م.م. حيدر هلال خليف/جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.م.د. أحمد محمد جودي/ جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢٠٥ – ٢١٦
١٦	الحياة الاجتماعية في بغداد في كتب الرحالة العرب والمسلمين	الباحثة زهراء سعيد رضيوي/ طالبة دراسات عليا/جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.م.د. سوسن فاضل كاظم/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢١٧ – ٢٢٨
١٧	النظم المالية للدولة العربية الاسلامية في فكر عطا سلمان جاسم	الباحثة زينب قاسم غنتاب/ مديرية تربية واسط && أ.م.د. شيماء بدر عبد الله/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢٢٩ – ٢٣٥
١٨	الحضارة الاسلامية في فكر عطا سلمان جاسم	الباحثة زينب قاسم غنتاب/ مديرية تربية واسط && أ.م.د شيماء بدر عبد الله/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية	٢٣٦ – ٢٤٥
١٩	قراءة جديدة في ثورة المختار الثقفي	الباحثة سندس جواد كاظم/ مديرية تربية محافظة واسط && أ.م. د. شمخي يابر عويد/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢٤٧ – ٢٥١
٢٠	سيرة المختار الثقفي وعلاقته بأئمة أهل البيت (عليهم السلام)	الباحثة سندس جواد كاظم/ مديرية تربية واسط&& أ.م.د. شمخي يابر عويد/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢٥٢ – ٢٥٨
٢١	أساليب الامام علي (عليه السلام) في مواجهة الأفكار المتطرفة (الخوارج انموذجا)	م.م. آزر عبد الكاظم اسماعيل/ مديرية تربية بابل && أ.م.د. احمد محمد جودي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢٥٩ – ٢٧٤

٢٢	اثر المكتبات الخاصة في الحركة العلمية في الإسلام –العصر العباسي انموذجاً –	م.د حسنين علي دلي العتابي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ شعبة حوار الأديان	٢٧٥ – ٢٨٨
٢٣	لمحات من تاريخ العراق العسكري في العصر الاسلامي (١٤- ٢٢٧هـ)	م.د. روى ظاهر الحسيني/ مديرية تربية محافظة ذي قار	٢٨٩ – ٢٩٣
٢٤	ابن الدهان الواسطي - قراءه في سيرته ومنجزه العلمي-	الباحثة فاطمة محمد عبد الرضا/ طالبة دراسات أولية/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && م.د. أفراح حميد عبد حسن المفرجي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٢٩٤ – ٣٠٣
٢٥	الاحتجاج في العراق وأثرهُ في الحياة السياسية خلال العصر العباسي المتأخر	م.د. افراح حميد عبد حسن المفرجي/جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ && ا.م.د يحيى عبيد ردام الطائي/جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ	٣٠٤ – ٣١٣
٢٦	علاقات نصارى العراق بنصارى بيزنطة في العصر العباسي (١٣٢- ٣٣٤هـ)	م.م. فاضل عبد الرضا حايد/مديرية تربية محافظة واسط && م.م. حسين سعد حنوف السويراوي/مديرية محافظة تربية واسط	٣١٤ – ٣١٩
٢٧	ظاهرة عزل الولاة والقضاة وأصحاب الشرط في العصر العباسي (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩- ٨٤٦م)	م. م. يوسف خضير كسار/ جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/&& م.م. محمد جابر عبد/ جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية	٣٢٠ – ٣٣٤
٢٨	دور النساء في حركات الخوارج في العراق - دراسة تحليلية -	م.م. علي حسام عبد علي/جامعة واسط/ كلية الآداب	٣٣٥ – ٣٤٩
٢٩	مظاهر الحياة السياسية وأثرها في بغداد في العصر العباسي المتأخر	م.م. صدام عمران وحيد الخفاجي/ ديوان محافظة واسط	٣٥٠ – ٣٥٩

محور تاريخ العراق في العصر الحديث والمعاصر

ت	عنوان البحث	اسم الباحث وعنوانه الوظيفي	التسلسل
٣٠	الشيخ محمد أمين الشنقيطي (١٨٧٦- ١٩٣٢م) ودوره في تأسيس مدرسة النجاة الأهلية الابتدائية	أ.د. عكاب يوسف عليوي الركابي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٣٦٠ – ٣٧٩
٣١	تطور مسار العلاقات الإيرانية- العراقية ١٩٢٥- ١٩٤١م	أ.د. حسنين عبد الكاظم عجه/جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ أ.د. رحيم كاظم محمد/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٣٨٠ – ٣٩٣
٣٢	قياس فاعلية النظام السياسي في العراق حتى عام ١٩٦٨م (دراسة مقارنة)	أ.د. حسن علي عبد الله السماك/ جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم التاريخ (متقاعد)	٣٩٤ – ٤١٤
٣٣	المعارضة الشيعية العراقية ضد نظام البعث في وثائق الاستخبارات الامريكية (CIA) (١٩٧٩-١٩٨٢)	أ. د. علي خيري مطرود/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٤١٥ – ٤٢٩
٣٤	الايزيديون وأوضاعهم العامة في العهدين العثماني والملكي في العراق	الباحثة أسيل شامل جودة/ طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.د. عباس فرحان ظاهر/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٤٣٠ – ٤٤٣
٣٥	الكاكائية في العراق - دراسة في أصلهم ونشأتهم ومعتقداتهم -	الباحثة دعاء خيون ماضي طالبة دراسات عليا/جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ && أ.د. عباس فرحان ظاهر/جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ	٤٤٤ – ٤٥٧
٣٦	موقف العراق من الصراع المصري– الاسرائيلي، وابرام معاهدة كامب ديفيد بين مصر واسرائيل ١٩٦٧– ١٩٧٨م	الباحثة شيماء ناجي حربي/ جامعة واسط/ مديرية الأقسام الداخلية && أ.د. حسنين عبد الكاظم عجه/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٤٥٨ – ٤٦٨
٣٧	الحركة الاثورية في العراق ١٩٣٣م	الباحثة صابرين ابراهيم عبد علي/ طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.د عباس فرحان الموسوي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٤٦٩ – ٤٧٨
٣٨	مسيحيو العراق ودورهم السياسي في العراق خلال العهد الجمهوري (١٩٥٨- ١٩٦٨)	الباحثة ليلى حمزه جساب/ طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.د. عباس فرحان ظاهر/ جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٤٧٩ – ٤٩٦
٣٩	الهجرة من الريف الى المدينة في العراق (١٩٦٣– ١٩٧٩م)	م.د. عباس محمد جميل/ مديرية تربية محافظة نينوى && أ.د. عباس فرحان ظاهر/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية	٤٩٧ – ٥٠٧
٤٠	الصابئة في العراق - دراسة في أحوالهم العامة -	الباحثة شيماء عبد الصاحب حسين/ طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.د. عباس فرحان ظاهر الموسوي/ جامعة/واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٥٠٨ – ٥٢٢
٤١	القضية الكردية في العراق ١٩٦٨ – ١٩٧٥	الباحثة ايمان نعيم عرد/ طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.د. عباس فرحان ظاهر/ جامعة/واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٥٢٣ – ٥٣٨
٤٢	أوضاع العراق في ظل حكم الاتحاديين ١٩٠٨- ١٩١٤م	الباحث سلام هاشم لايذ/ طالب دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && ا.د عباس فرحان ظاهر/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٥٣٩ – ٥٤٩
٤٣	علي الوردي ظاهرة سوسيولوجية _ تاريخية	م.م. سرمد سعد يوسف/ جامعة واسط/ مدير قسم المتابعة&& ا.م.د جواد رضا رزوقي/جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٥٥٠ – ٥٦٣

٤٤	مشاكل القطاع الزراعي في العراق في النصف الاول من القرن العشرين	م.د. انتظار نجم كوت/ كلية الامام الكاظم (ع)/ اقسام واسط && م. حسام حسين عباس/ كلية الأمام الكاظم (ع)/اقسام واسط	٥٦٤ – ٥٧٧
٤٥	مكانة العراق والعراقيون في التأريخ- دراسة موجزة للفكر والقيم الاخلاقية في الشخصية العراقية عبر التاريخ -	م.د. ماجد حميد هويدي الأسدي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٥٧٨ – ٥٨٩
٤٦	موقف نواب لواء الكوت من المعاهدات العراقية - البريطانية (١٩٢٥- ١٩٣٩م)	م.د. فاطمة عبد شرقي العتابي/ جامعة واسط/ كلية الطب	٥٩٠ – ٥٩٦
٤٧	الموقف الدولي من البرنامج النووي العراقي (١٩٥٩-١٩٨١م)	م.د. ابراهيم رسول حسين/ مديرية تربية محافظة المثنى	٥٩٧ – ٦١٦
٤٨	جمعية الهلال الأحمر في لواء البصرة ١٩٣٣-١٩٤٣ - دراسة تاريخية -	م.د. حيدر شهيد جبر الخفاجي/ جامعة ذي قار- كلية التربية للبنات – الشطرة	٦١٧ – ٦٣٠
٤٩	موقف المرجعية الدينية من التطورات السياسية في العراق (٢٠٠٣- ٢٠١٤) دراسة في الآراء والمواقف	م.د. جعفر رمضان عبد صخي الأسدي/ جامعة كربلاء && م. م. عامر حميد سلطان/ الجامعة المستنصرية	٦٣١ – ٦٤٣
٥٠	الحركة الكردية في العراق (١٩٥٨- ١٩٦٨م)	م.د. محمد وعيد مهدي/ المديرية العامة لتربية محافظة ديالى	٦٤٤ – ٦٥٩
٥١	السماوة في دليل الخليج - دراسة تاريخية -	م.م. ظفار محمد يحيى البزوني/ المديرية العامة للتربية – محافظة المثنى	٦٦٠ – ٦٧٥
٥٢	معروف عبد الغني الرصافي واسهاماته الفكرية والسياسية في العراق	م.م. سهاد داوود سلمان/ رئاسة جامعة واسط/ شعبة شؤون التدريسيين	٦٧٦ – ٦٨٥
٥٣	دور العراقيين في الإدارة الصفوية لبلادهم ١٥٠٨– ١٥٢٣م	م.م. نجاة خير الله كاظم/ جامعة بغداد/ كلية التربية- ابن رشد	٦٨٦ – ٦٩٧
٥٤	التسويق السياسي - رؤية جديدة لتطوير الأداء السياسي في العراق -	الباحث خالد عبيد جازع الأسدي/ كلية المأمون الجامعة	٦٩٨ – ٧٢١

محور فلسفة ومناهج البحث التاريخي

ت	عنوان البحث	اسم الباحث وعنوانه الوظيفي	التسلسل
٥٥	صورة الرسول محمد (ص) قبل المبعث كما رآها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية	الباحث عباس خنجر عكلة/ طالب دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.د. رياض عبد الحسين راضي البدراوي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٧٢٢ – ٧٤٧
٥٦	رؤية ابن كثير للرسول (ص) في مرحلة الجهاد المسلح كما جاء في كتابه البداية والنهاية في التاريخ	الباحث عباس خنجر عكلة/ طالب دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.د. رياض عبد الحسين راضي البدراوي/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٧٤٨ – ٧٧٠
٥٧	فلسفة الجارودية الزيدية ورؤيتهم للخلافة الاسلامية	الباحثة شيماء كاظم محمد الوائلي/ طالبة دراسات عليا/ جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم التاريخ && أ.د. حمدية صالح دلي الجبوري/ جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم التاريخ	٧٧١ – ٧٨٣
٥٨	قراءة تحليلية في المصادر السريانية الغربية	م.م. ياسمين هاشم جابر/ جامعة القادسية/ كلية التربية/قسم التاريخ && أ.د. حمدية صالح دلي الجبوري/ جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم التاريخ	٧٨٤ – ٧٩٧
٥٩	الانعطافات السياسية في عهد السلطان المملوكي الناصر قلاوون (٦٩٣– ٧٤١هـ/١٣١٠–١٣٤٠م) في ضوء نظريات فلسفة التاريخ	م.م. زينب نوري أحمد/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية && أ.د. فاضل جابر ضاحي/جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٧٩٨ – ٨٠٦
٦٠	سبط ابن الجوزي ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م ومنهجه بالتشكيك في الروايات التاريخية في كتاب (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان)	الباحثة اسراء يعقوب يوسف/ طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ && أ.م.د. شمخي يابر عويد جامعة/واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٨٠٧ – ٨١٤
٦١	فلسفة التفكير النقدي في فكر الإمام علي (عليه السلام)	م.د. حيدر جميل رشيد/ وزارة التربية / مديرية تربية محافظة ميسان	٨١٥ – ٨٣٠
٦٢	نقد علماء الأندلس للسلطة السياسية الحاكمة خلال عصر دويلات الطوائف (٤٢٢- ٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩١م)	م.د. محمد عويد غليم الطوكي/ الهيئة العامة للآثار والتراث/ مفتشية آثار وتراث ذي قار	٨٣١ – ٨٤٠
٦٣	فلسفة القيادة في ضوء السيرة النبوية	م.د. إيمان فرحان كاظم/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الصرفة	٨٤١ – ٨٤٨
٦٤	أساليب معاوية بن أبي سفيان في تجهيل المجتمع الشامي	م.د. أركان حميد زياد/ مديرية تربية محافظة ذي قار	٨٤٩ – ٨٦١
٦٥	الشيخ الصدوق ودوره في تأصيل غيبة الامام المهدي (عليه السلام)	م.د. صباح حسن فلاح البدري/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم علوم القران	٨٦٢ – ٨٧٤
٦٦	دور الكنيسة الكاثوليكية في حركة الاستشراق - دراسة تحليلية-	م. د. كريم أحمد حامي السعدون/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ	٨٧٥ – ٨٨٩
٦٧	التصريحات القاسية للشخصيات الشيعية البارزة تجاه الامام الحسن(ع) وموقفه منها بعد الصلح (دراسة نقدية تحليلية)	م. محمد جاسم علوان/ مديرية تربية محافظة بابل	٨٩٠ – ٩٠٣

الاصول السومرية والأكدية لبعض الالفاظ العامية في العراق

حروف (أ، ب ، ت)

The Sumerian and Akkadian origins of some colloquial expressions in Iraq Letters (a, b, t)

أ.د. سعد سلمان فهد
جامعة بغداد/كلية الآداب

أ.د. محمد فهد القيسي
جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية /قسم التاريخ

Abstract .

The language and its dialects are one of the most important legacies in the ancient civilizations, and the language with its multiple dialects constitutes one of the most important civilizational colors invented by man and helped him in the entirety of his life, whether religious, political, social or economic. Then it developed over the ages, however, some ancient languages returned from dead languages, while others continued to be used to the present time.

As for the civilization of Mesopotamia, it had the pioneering credit for the rest of the other civilizations by inventing the method that recorded the language, which is the cuneiform writing that was used in countries other than Mesopotamia.

الملخص:

تعد اللغة ولهجاتها احد اهم الموروثات في الحضارات القديمة، وتشكل اللغة بلهجاتها المتعددة واحدة من اهم الالوان الحضارية التي ابتكرها الانسان واعانته على مجمل اعماله الحياتية سواء اكانت دينية او سياسية او اجتماعية او اقتصادية، لقد دون سكان هذه المعمورة لغاتهم بالسن متعددة وكانت لهذه اللغات بدايات بسيطة ثم تطورت عبر مر العصور، بيد ان بعض اللغات القديمة عدت من اللغات الميتة والاخرى استمر استعمالها الى وقتنا الحاضر، اما فيما يتعلق بحضارة بلاد الرافدين فكان لها الفضل الريادي لبقية الحضارات الاخرى عن طريق ابتكار الوسيلة التي دونت اللغة وهي الكتابة المسمارية التي تم الاستعانة بها في بلاد اخرى غير بلاد الرافدين.

كلمات مفتاحية: (النصوص المسمارية، بلاد الرافدين، السومرية، الأكدية، اللغات السامية)

المقدمة:

لقد عدت عائلة اللغات السامية احدى اهم العوائل اللغوية في العالم وقد تفرعت من هذه العائلة لغات عديدة وكان من هذه اللغات اللغة الاكدية التي تكلم بها سكان بلاد الرافدين فضلا عن اللغة السومرية والارامية. ان كلا اللغتين السومرية والاكدية كانت لهما لهجاتها الخاصة وقد تكلم وكتب بهذه اللهجات سكان بلاد الرافدين ،اذ ابرزت النصوص المسمارية التي دونت بهذه اللغتين وبلهجاتهما مفردات متعددة عكست لنا واقه هاتين اللغتين وواقع لهجاتهما، وعن طريق استقراء النصوص المسمارية تبين ان هناك العديد من المفردات والمصطلحات سواء اكانت سومرية ام اكدية نجد ان مثيلاتها لازالت تستعمل حتى وقتنا الحاضر في بعض الالفاظ العامية المستعملة وخاصة في القسم الجنوبي من العراق، فالعديد من المفردات السومرية والاكدية ابرزت لنا واقع الموروث الحضاري اللغوي وعبرت عن ذلك التسلسل

الحضاري الذي استمر وسيستمر دون انقطاع مادام بانه كان ولايزال محفوظا في ذاكرة الانسان العراقي ،والذي بقي يستعمله الى الان كمفردات لغوية تخدم التعامل في جميع مفاصل الحياة،ومن هنا كانت فكرة البحث وهي تسليط الضوء على تلكم المفردات والمصطلحات السومرية والاكدية منها وابرازها في بحث علمي.

لقد قسمت مادة البحث بحسب ماهية الموضوع مبتدئين بابراز الكلمات المتاشبهة معنا ولفظا مابين مفردات ومصطلحات سومرية واكدية ومابين مثيلاتها باللهجة العامية العراقية وبحسب الحروف الابجدية ،وقد اعتمدنا في مصادر معلوماتنا على الكتب العربية المختصة بهذا المجال وكذلك الكتب والمصادر الاجنبية التي تناولت اللغة السومرية والاكدية واهما المعجم الاشوري لجامعة شيكاغو

حرف الالف

- **اجباشة:** (بالجيم الفارسية) لفظة عامية تعطي معنى مجموعة القصب تجمع مع بعضها وتكون جزيرة في الهور، جاء ذكره في الأكدية بصيغة"gip®itu[١]" وتعطي معنى: جمع، حشد.
- **اخلال:** لفظة عامية تدل على معنى: الوتد او العمود الذي تربط به الحيوانات ونحوها. جاء ذكره في الأكدية بصيغة "al¼lu¬ "[٢] وتعطي معنى: يربط.
- **اخلال:** لفظة عامية تدل على وتد من الحديد عادة تربط به المواشي، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "alilu¬"[٣] وتعطي معنى: آله من الحديد، في العامية الخلال هو وتد من الحديد تربط به الحيوانات.
- **ادعم/ادغم(لون):** جاء ذكره في الأكدية بصيغة"da"mu"[٤] وتعطي معنى: لون مظلم، احمر قاتم. بالعامية: ادعم وادغم تأتي بالمعنى نفسه.
- **اربية:** لفظة عامية تدل على منطقة من جسم الانسان في اعلى الفخذ، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة" riībtu"[٥] وتعطى معنى: جزء من جسم الانسان.
- **اِركاك:** (بالكاف الفارسية)لفظة عامية تدل على نوع من الخبز يكون رقيق جدا، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "raqqatu"[٦] وتعطى معنى: نوع من الخبز، ويقال: خبز ركاك.
- **اشروش:** لفظة عامية تفيد معنى الأصول والجذور فيقال مثلا: اقطع الامر من شروشه أي من اصوله وجذوره، جاء ذكرها في اللغة الأكدية بصيغة "®ur®u"[٧]، وتعطي معنى: جذر، وهو قريب من لفظ ومعنى المفردة العامية اعلاه.
- **اشكارة:** لفظة عامية تدل على قطعة ارض مزروعة تخصص لشخص ما او جهة معينة فيقال مثلا: اشكارة فلان، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة" i®karu"[٨] وتعطي معنى: حقل خاص، وهي قريبة لفظا ومعنى.
- **اصراطة:** لفظة عامية تدل على الشخص المتبجح والثرثار، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة " ®arraḫutu"[٩] وتعطي معنى: ثرثار، متبجح، واذا ما قورنت بالعربية: اصراطة فهي بالمعنى نفسه.
- **افلي:** لفظة عامية تفيد الزراعة المبكرة للحنطة والشعير، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة "uplutu"[١٠] وتعطي المعنى نفسه.

•**اكبص، كبصة:** بالكاف القارسية جاء ذكره في الأكدية بصيغة"gaba°u"[١١] وتعطي معنى: تقلص، انكمش، وفي العربية: انقبض والقابض والقبيض المنكمش السريع. والكبصة بالكاف الفارسية لفظة عامية تدل على معنى الشيء القليل من مرادفات المنكمش.

•**اكو ماكو:** لفظة عامية عراقية تدل على السؤال على الحال فيقال مثلا شكو ماكو؟ جاء ذكرها في الأكدية بصيغة "akû/maku"[١٢] وتعطي معنى: معدم، متواضع، ضعيف، وهي هنا تتطابق في اللفظ فقط–في معرض اجابة السؤال عن الحال–.

•**اِلّاء:** اداة نفي ترد في العامية، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة"ulla"[١٣] وهي تعطي اللفظ والمعنى نفسه.

•**أَمارة (علامة):** لفظة عامية تدل على: علامة، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة "amḫru "[١٤] وتعني: تفحص، راى، شاهد.

•**انجانة (وعاء طبخ):** لفظة عامية تدل على وعاء للطبخ او الماء، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة "anqurinnu"[١٥] وتعطي معنى: حاجة معدنية منزليه، وهي قريبة من مدلولها في العامية الان.

•**انخبص:** لفظة عامية تعطي معنى المبالغة في الفرحة او القلق، جاء ذكره في الأكدية بصيغة " absu¬"[١٦] وتعطي معنى: فرح، شعر بالسرور.

•**اِنسه:** مفردة عامية تفيد معنى الرفض لفكرة ما فتقول لشخص انسه اذا لم توافقه على امر ما، جاء ذكرؤها في الأكدية بصيغة " an°u "[١٧] ويعطى لها معنى: لا. ولعلها قريبة من العامية انسه التي لازلنا نستعمله للنفي.

•**اِنشفط:** لفظة عامية تفيد معنى الارتباك والارتعاش، جاء ذكرها باللغة الأكدية بصيغة "a¬atu°"[١٨]، وتعطي معنى: ارتعش.

•**انشنط:** لفظة عامية تدل على معنى: التشنج المرضي، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "anadu®"[١٩] وتعطي معنى: مرض، وهي قريبة لفظا ومعنى مع امكانية ابدال صوت الدال بالطاء في اخر الكلمة.

•**او (حرف عطف):** في اللهجة العامية في العراق تتحول(واو) العطف الى(او) عند الكلام فيقال مثلا: جاء محمد او علي او حسين، وجاءت هذه الصيغة في اللغة الأكدية "ù"[٢٠] وهي تدل على واو العطف، فيكون اصلها اكديا وهي الى الان تستعمل في كلام الناس الدارج.

•**أوكر(لون):** هو مزيج من اللون الاصفر مع البنفسجي حيث يكون لون الاوكر الكركمي، جاء ذكره في اللغة الأكدية بصيغة"urqu"[٢١]، وتعطي معنى: مائل الى الاصفرار، وهي قريبة من هذا المعنى مع الانتباه للأقلاب بين الكاف والراء.

•**اووه:** لفظة عامية تدل على الاسف او الغضب، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة "u"a"[٢٢] وتعطي معنى: للأسف، وهي قريبة من حيث اللفظ والمعنى.

•**اياه – ايياه:** لفظة عامية تقال عند التأسف او التعجب، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة "aya"[٢٣] وتعني: واسفاه ، وهي قريبة جدا من نظيرتها العامية.

حرف الباء

•**بارية:** لفظة عامية تطلق على حصير مصنوع من القصب، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "buru "[٢٤] وتعطي اللفظ والمعنى نفسه.

•**بالّة:** مفردة عامية تدل على حزمة القش التبن او الحشيش، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة"ballu"[٢٥] وتعطي معنى: علف، وهي قريبة لفظا ومعنى.

•**بالطو:** لفظة عامية تعطي معنى جاكيت طويل، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "bultu"[٢٦] وتعطى معنى تقريبي: بطانية؟، وهي قريبة لفظا ومعنى من المعنى العامي المتداول الى يومنا هذا.

•**برش (نتف الصوف):** لفظة عامية تفيد معنى السحق او الطحن او النتف،جاء ذكره في الأكدية بصيغة "barā®u "[٢٧] وتعطي معنى: نتف من الصوف.

•**برش:** جاء ذكره في الأكدية بصيغة"bar®u"[٢٨] وتعطي معنى: وصف للشعر ينمو ببقع، وفي العربية البرش في شعر الرأس:ما يخالف سائر لونه. جذيمة الابرش.

•**بستوكه:** لفظة عامية تطلق على وعاء الماء المصنوع من الفخار. جاء ذكره في الأكدية بصيغة "pisannu"[٢٩] ومعناها الاساسي: وعاء من الفخار لحفظ الاشياء.ولعلها ايضا متاتية من السومرية Pisan.Dug.GA وكلا المقطعين PISAN وDUG يشيران الى الاناء او الوعاء[٣٠].

•**بشّ:** لفظة عامية تفيد خروج السائل من جسم ما، جاء ذكره في الأكدية بصيغة " /ba®®u pas®®u"[٣١] وتعطي معنى: يظهر منه سائل، مدهون، وهي قريبة لفظا ومعنى.

•**بِشَت:** لفظة عامية تعطي معنى اعطاء شخص حاجة معينة، وغالبا تستخدم مع الرشوة، فيقال فلانِ بِشَت فلان اي اعطاه حاجة ثمينة او غالية، جاء ذكره في الأكدية بصيغة"ba®tu"[٣٢]وتعطي معنى: حِلية، وهي قريبة في المدلول وربما اللفظ ايضا. وايضا بشت رداء.

•**بطباطة:** لفظة عامية تفيد معنى: دملة او خراج، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "bubutu"[٣٣] وتعطي معنى: دملة، وهي قريبة لفظا ومعنى.

•**بطة (بَشّة):** جاء ذكره في الأكدية بصيغة"busu"[٣٤] وتعطي معنى: بط ومنها بشة العامية.

•**بطّل (اذا امتنع عن عمل معين):** لفظة عامية تعطي معنى: ترك فعلا معينا او امتنع عن عمل معين، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "ba²¼lu"[٣٥] وتعطي معنى: يقف، يتوقف عن نشاط ما، لايستمر، وهي قريبة لفظا ومعنى.

•**بك (بالكاف الفارسية):** لفظة عامية تدل على البعوض، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "baqbaqu"[٣٦] وتعطي معنى: بعوضة صغيرة.

•**بك (بالكاف الفارسية):** جاء ذكره في الأكدية بصيغة "baqqu"[٣٧] وتعطي معنى: بعوض. وتلحق بها ايضا: baqu[٣٨].

•**بلالة (بلل):**لفظة عامية تعطي معنى: ماء العجين، الذي يمزج بالعجين لغرض الخبز، جاء ذكره في الأكدية بصيغة"bal¼lu"[٣٩] وتعطي معنى: مزج، لطخ، لون، وهي قريبة لفظا ومعنى.

•**بَلوة:** لفظة عامية بمعنى بلاء، جاء ذكرها في اللغة الأكدية بصيغة "bullûtu"[٤٠] ويعطى لها في قاموسCAD معنى غير معروف ويورد لها المثال الاتي: "ان البلاد سوف تهوى الى حالة bullûtu"، واذا ما استبدلت هذه الكلمة الأكدية بمثيلتها العربية بلوة من بلاء فان المعنى سوف يكون متجانسا ومستقيما ورد في القران الكريم: "وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"[٤١].

•**بيرغ (راية، علامة):** لفظة عامية تدل على معنى رمز مقدس، وما تزال تستعمل الى الوقت الحاضر اذ تدل على راية مقدسة تنسب الى شخص مقدس، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "pirikku"[٤٢] ويعطى لها معنى: رمز الهي.

•**برة:** لفظة عامية تدل على معنى الخروج وقد وردت باللغة السومرية على نحو BA.RA والتي تعني خارجي وهي قريبة من العامية خارج[٤٣]

•**بخت:** وردت الكلمة الاكدية pīḫātu كلمة اكدية تعني مسؤولية، مهمة وهي قريبة من العامية بخت يقال بحظك وبختك اي بمسؤوليتك، كما ان الحاكم اطلق عليه لفظة paḫātu ونحن نقول لعلية القوم البخيت[٤٤]

حرف التاء

•**تالّة:** مفردة عامية تدل على النخلة الصغيرة، جاء ذكرها في اللغة الأكدية بصيغة "t¼lu"[٤٥]، وتدل على: نخلة حديثة–سنبلة، وهي قريبا جدا من حيث اللفظ والمعنى.

•**تبتك (تقطع):** لفظة عامية تعطي معنى: تقطع، جاء ذكره في الأكدية بصيغة "bat¼qu"[٤٦] وتعني: اخترق، قطع، اخذ، وهي قريبة لفظا ومعنى. ورد في القران الكريم: "وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ"[٤٧]

•**تبلية:** لفظة عامية تدل على الاداة التي يتم صعود النخل من خلالها، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة"تبالو/tabālu"[٤٨] والمشتق من الفعل الاكدي "ابالو" الذي يعني: حمل ورفع.

•**تبن (قش):** جاء ذكره في اللغة الأكدية بصيغة"tibnu"[٤٩] وتدل على المعنى واللفظ نفسه.

•**تربانة:** كلمة عامية تدل على الطقس المغبر او عاصفة ترابية، جاء ذكرها في اللغة الأكدية بصيغة"turbu´tu"[٥٠] وتعطي معنى: سحابة من الغبار، وهي قريبة جدا من حيث اللفظ والمعنى.

•**تركوازي (لون):** وهو مزيج من اللون الأزرق ولأخضر ومن الصعب فصله فالبعض يقول ازرق مخضر والبعض يقول أخضر مزرق، جاء ذكره في اللغة الأكدية بصيغة"tirku"[٥١] وتعطي معنى: اللون الازرق.

•**تشاليع (مرحلة في الولادة):** لفظة عامية تدل على انفصال الطفل من الام الحامل عند الولادة، جاء ذكره في الأكدية بصيغة"elītu®"[٥٢] وتعطى معنى: كلمة تطلق على الرحم. وهي قريبة من الدلالة العامية: تشاليع اي ينفصل منها الجنين عند الولادة.

•**تَفله:** مفردة عامية تدل على البصاق في وجه الشخص اهانته بشيء مدنس او حقير كالبصاق، جاء ذكرها في الأكدية بصيغة"tapalu" وتعني: دنس، وهو مقارب الى حد ما مع المعنى وتكاد تكون

متطابقة مع اللفظ، خاصة مع اقلاب الباء الى فاء.

• **تكان (دكان):** لفظة عامية تدل على معنى المحل او المتجر الذي يبيع الحاجيات ونحوه، جاء ذكره في السومرية بصيغة "DUGAN"[٥٣] وفي الأكدية "tukkannu" وتعطي معنى: كيس النقود، وانتقلت دلالته الى المحل الذي يتم فيه صرف النقود والتعامل بها.

الخاتمة :

١- تعد حضارة بلاد الرافدين من الحضارات الاصيلة التي اثرت ببقية الحضارات الاخرى بمفاصل حضارية متعددة ومنها الكتابة واللغة.

٢- ان عملية التواصل الحضاري لحضارة ما يؤدي بالنتيجة الى استمرار استعمال العديد من الموروثات الحضارية سواء اكانت هذه الموروثات دينية او عمارية او لغوية او فنية.

٣- على الرغم من وجود العديد من الكلمات والمفردات السومرية والاكدية في قواميس اللغة العربية الفصيحة الا اننا وجدنا ايضا ان هناك كلمات ومصطلحات شاع استعمالها فقط في اللهجة العامية.

٤- لم يقتصر استعمال الكلمات السومرية في اللهجة العرراقية المحلية وانما ايضا استعملت الكلمات والمصطلحات الاكدية ايضا وهي اشارة واضحة الى ان هاتين اللغتين ذات منبع واحد واستمرار استعمالهما في مكان واحد جنبا الى جنب وتاثير هذا الاستعمال في بعض الموروثات الحضارية.

٥- بعض الكلمات والمصطلحت وجدت في اللغة السومرية وكذلك في اللغة الاكدية فضلا عن وجودها واستعمالها في اللهجة العامية العراقية مما يدل ويعكس ذلك التداخل الحضاري والموروث اللغوي لسكان بلاد الرافدين واصالة المنشا وعمق الموروث الحضاري.

٦- امتاز وجود المفردات والمصطلحات والكلمات العديدة سواء اكانت سومرية او اكدية في الموروث الحضاري العراقي وخاصة في الالفاظ العامية بتنوعه وثراءه ولم يقتصر على جانب معين دون اخر او لون حضاري معين دون اخر بل شمل العديد من مفاصل الحياة اليومية وهي احدى سمات ومميزات هذا الموروث الحضاري.

الهوامش

(١) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص١٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١٥.

(٥) CAD ،R.،a:321.P

(٦) CAD ،R.،a:171.P

(٧) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص٣٩٦.

(٨) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص١٠٤.

(٩) P.68:a.،Š/2،CAD

(١٠) طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، ص ٤٨.

(١١) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص١٧٠.

(١٢) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص٧٥; P.44:a،M/1،CAD.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(١٤) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص٨٣.

(١٥) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ٨٧

(١٦)عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي ، ص ١٨٤

(١٧)P.145:b.،A/2،CAD

(١٨) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص ٣٨٩

(١٩)P.365:a.،Š/2، CAD

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٣٩٩.

(٢١) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص٤٠٣.

(٢٢) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ٩١.

(٢٣) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ٨٧.

(٢٤) طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، ص ٥٦

(٢٥) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ١٥٥.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٢٧) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ١٤٩.

(٢٨) المصدر نفسه ، ص١٤٩.

(٢٩) طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، ص ٥٨.

(٣٠) للمزيد يراجع:.MDA,P.129,233 AND P.141,309

(٣١) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص١٥٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص١٤١.

(٣٣) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ١٤٥.

(٣٤) طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، ص ٥٩.

(٣٥) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ١٥٤; P.174:b،B،CAD.

(٣٦) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص١٥٤.

(٣٧)عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي ، ص١٥٤.

(٣٨) المصدر نفسه، ص١٥٤.

(٣٩) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ١٥٥.

(٤٠) P.311:a،B،CAD

(٤١) البقرة: ٤٩.

(٤٢) P.397:a.،P،CAD

(٤٣) CAD,A/1,P.215:a

(٤٤) CAD,P.,P.360

(٤٥) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص٣٩٨.

(٤٦) عامر سليمان واخرون، المعجم الاكدي، ص ١٤٦.

(٤٧) النساء: ١١٩.

(٤٨) طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، ص ٦٤.

(٤٩) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص٣٩٩.
(٥٠) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص٣٩٩.
(٥١) رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ص٣٩٩.
(٥٢) CAD، S، b:264.P
(٥٣) طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، ص٦٦; CAD،T،456.P.

قائمة المصادر

المصادر العربية:

- باقر،طه، من تراثنا اللغوي القديم،بغداد،١٩٨٠.
- رينيه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة البير ابونا وآخرين، بغداد، ٢٠٠٤.
- سليمان ،عامر واخرون، المعجم الاكدي "معجم اللغة الأكدية البابلية – الاشورية" باللغة العربية والحرف العربي،العراق،١٩٩٩.
- عبد اللطيف،سجى مؤيد ،قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لكش الاولى،اطروحة دكتوراة،جامعة بغداد،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٤.

المصادر الاجنبية:

- Gelb,I.J, and others,the Assyrian dictionary,Chicago(1964ff).(=CAD).
- Labat,R., Manuel D'épigraphie Akkadienne, Paris, 1976, (= MDA).

الحقوق الاجتماعية للمرأة المطلقة في ضوء القوانين والتشريعات العراقية القديمة

The social rights of divorced women in the light of laws And the old Iraqi legislation

أ.د. حسين احمد سلمان الباوي
الجامعة المستنصرية/كلية التربية/قسم التاريخ (متقاعد)

Abstract .

This study dealt with the opinion of the old Iraqi laws on an important social issue that represents the axis of human relations, which is the issue of divorce and the cases in which both spouses are allowed to divorce the other, and what are the rights that a divorced woman obtains in the event of her divorce, with an alert to the difference in Iraqi laws in these important issues And the developments that took place in it with the succession of the Mesopotamian civilizations, and the extent of similarities and differences between them in this issue, which we will separate based on the discovered cuneiform texts.

الملخص:

تناولت هذه الدراسة رأي القوانين العراقية القديمة في مسألة اجتماعية مهمة تمثل محور العلاقات الإنسانية، وهي مسألة الطلاق والحالات التي يسمح لكلا الزوجين بالطلاق من الأخر، وما هي الحقوق التي تحصل عليها المرأة المطلقة في حال طلاقها، مع التنبيه الى اختلاف القوانين العراقية في هذه المسائل المهمة، والتطورات التي طرأت عليها مع تتابع حضارات وادي الرافدين، ومدى الشبه والاختلاف بينها في هذه المسألة، وهو ما سنفصله استناداً الى النصوص المسمارية المكتشفة.

كلمات مفتاحية: (المرأة، القوانين العراقية القديمة، اورنمو، الطلاق، الزواج، الحياة الاجتماعية)

المقدمة:

تشكل المرأة عنصرا مهما في المجتمع ، ومن خلال اقتران المرأة بالرجل تزدهر الحياة ويتجدد العنصر البشري من خلال عملية انجاب الاطفال الذين يعتمد بقائهم بعد ولادتهم على الابوين من خلال العناية بهم وتربيتهم غير ان المرأة تتحمل الجزء الاكبر من هذه المسؤولية لا سيما منذ بداية حملها ووضعها للطفل وكانت المرأة بالإضافة الى تربية الاطفال تقوم بطحن الحبوب وتهيئة الخبز والطعام ، وكذلك الغزل لصنع الملابس والعناية بالحيوانات المدجنة.

وقد فضل العراقيون القدماء الزواج المبكر ، من اجل النسل وكثرة الاطفال الذي يعتبر مصدر قوة للعائلة لذا من التمنيات السومرية :**((عسى ان يمتلئ بيتك بالتوائم))**[١]. ونظرا لأهمية الزواج فعد نسب العراقيون القدماء هذه الميزة الى الهتهم وفق مبدأ التشبيه[٢]. فنظم رجال الدين انسابها وخصصوا لها الزوجات والابناء والبنات[٣].

وكان الاولاد يقومون بواجبات الرعاية والاعالة تجاه والديهم في المستقبل حيث الكهولة والعجز، وكان عدم انجاب الاطفال بشكل عبئا اجتماعيا ثقيلا على الفرد العراقي القديم لما يجلبه اليه هذا الامر من سخرية بين الناس في حياته مما يؤدي به الى طلاق زوجته التي لم تنجب له طفلا او يتخذ أمة زوجة له كي تنجب له اطفالا ، والغاية من ذلك من اجل الحصول على ايدي عاملة تساعدهم في اعمالهم

اليومية.

وتنص عقود الزواج على مشروعية ارتباط رجل بأمراة من اجل تكوين رابطة للحياة المشتركة وانجاب الاطفال ويخضع من يدخل في هذا الارتباط الى مجموعة من القواعد التنظيمية ذات السمات الاجتماعية والمالية والقانونية . وقد أولت قوانين العصر البابلي القديم عناية خاصة بتنظيم عقود الزواج ، ولا تعد المرأة زوجة شرعية مالم تتم كتابة عقد محرر لها مع ابويها ومشهود عليه ، وان عاشت في بيت الزوج سنة كاملة.

ان اشتراط القوانين العراقية القديمة تدوين عقود الزواج كان من اجل الحفاظ على حقوق كلا طرفي الزواج والالتزام بحقوق وواجبات بعضهم تجاه البعض الاخر . بل كانوا يضعون في عقد الزواج شروط جزائية بشكل عقوبات مالية وجسدية ونفسية على الطرف المخل بعقد الزواج.

موقف القوانين والتشريعات العراقية القديمة من حالات الطلاق

باقتران المرأة بالرجل تزهو الحياة ويتجدد العنصر البشري من خلال عملية انجاب الاطفال ، وتهيئة بيئة صالحة لرعايتهم وتربيتهم ، غير ان الزوجة تتحمل العبء الاكبر من المسؤولية لا سيما منذ بداية حملها لحين وضع وليدها حيث تقوم بأرضاعه وتسهر على راحته ، وحتى بعد ان يبلغ طفلها مبلغ الرجال يبقى الاهل حريصين عليه ويخشون عليه من اي سوء قد يصيبه. وان العائلة هي وحدة اجتماعية تثمر عن واحد او اكثر من الابناء[٤]. وبحسب اسطورة (انانا وانكي) فان الجماع الجنسي قد ورد ضمن النواميس (Me الميات) التي حملتها الالهة عشتار من مدينة اريدو الى مدينة الوركاء ، وعلى هذا تكون الالهه قد تكلفت بالعمل على استمرا عملية الجماع الجنسي عند البشر من اجل استمرار النسل من جهة ، ومن جهة اخرى اعتقد العراقيون القدماء ان سعادة الانسان في العالم الاسفل على عدد ما انجب من اولاد[٥]. وهذا ما نقرأ في اسطورة (انكيدو وكلكامش والعالم الاسفل) التي جاء فيها:((**من توفي له ولد واحد كان بحالة سيئة فهو ممددا اسفل الجدار، ويبكي بكاءا مرا ، واما في حالة المتوفي الذي انجب ولدين ، فكان يضطجع على بناء من الاجر يأكل الخبز ، ومن كان له ثلاثة اولاد يسقي الماء من العمق، ومن كان له اربعة اولاد فهو مبتهج القلب ، والذي انجب خمسة اولاد كان كالكاتب الطيب يده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر ، اما الذي ليس له ذرية فلم يكن عنده شيء يأكله عدا الفضلات التي ترمى في المزابل**))[٦]. ان عدم انجاب الاطفال يشكل عبئا ثقيلا على الرجل في العراق القديم لما يجلبه اليه هذا الامر من سخرية بين الناس في حياته وهذا ما ورد على لسان احيقار الحكيم في نصه:((**رغم اني لم ارزق بولد ،بالرغم من اني تزوجت ستين امرأة فبنى احيقار ، مذبحا عظيما من الخشب واوقد النار فوقه وقدم الاضاحي وقال : يا الهي وربي اذا مت ولم انجب ولدا ماذا سيقول الناس عني سيقولون ان احيقار الصالح التقي البار مات ولم ينجب ولدا ليدفنه ولا ابنة ، وثروته ليس لها من يرثها كرجل ملعون فاطلب اليك اللهم ان ترزقني ولدا**))[٧]، فالرجل يسعى من زوجته وريثا يحمل اسمه ويحافظ على امواله ويقوم بحفظ ذكره من خلال حمل اسمه بعد وفاته[٨]. بالإضافة الى العامل الاقتصادي اي استمرار امتهان الابن مهنة ابيه ما هو الا تنفيذ مشيئة الالهة ففي نص مسماري يوبخ الاب ابنه لعدم تمكنه من تعلم مهنته وهي الكتابة فيخبره ان الاله انليل ملك الالهة هو الذي فرض على

الابن ان يتبع مهنة ابيه[٩].

ومن اجل تحقيق التوافق بين الرجل والمرأة فقد حرص العراقيون القدماء على اخذ موافقة المرأة بخصوص من تقدم لخطبتها ، ولكن هذا لا يعني ان جميع النساء المتزوجات كانت تتم بدافع الحب او حتى رضى المرأة بل كانت في بعض الاحيان تتم بدافع الجبر والاكراه من قبل الاهل فلهذا يحدث الطلاق ففي احد الامثال القديمة ان أمراة تتندب حظها لأنها اصبحت سلعة، لان والدها تعاقد على زواجها وزوجها فتقول:**((ماذا جلب الزوج ، وماذا خسر الاب))**[١٠]، وفي احيان اخرى كان الرجل يأسف على زواجه ، اما بسبب سوء اختياره شريكة حياته او لعدم قدرته على تحمل مسؤولية الزواج فيقول نادبا حظه :**((من اجل متعه الزواج وعند اعادة النظر في الطلاق))**[١١]، ويقول في نص اخر:**((هنيئا لرجل لا يعيل زوجة ، ولا طفلا ، وعاش حرا بلا قيود))**[١٢]

وقد عاب المجتمع العراقي القديم والتشريعات القانونية على المرأة المتزوجة بعض الافعال التي تنتقص من كرامتها وكرامة زوجها ، ومنها خروجها من الدار بأستمرار، وقيامها بأعمال مشينة تحط من قدر زوجها وبيتها كما ورد في احد الامثال السومرية ما نصه :**((من ينم مع زوجة رجل فذنبه عظيم))**[١٣]، كما اجاز المجتمع العراقي القديم للزوج معاقبة زوجته اذا تمردت عليه كما في المثل العراقي القديم ونصه:**((من الجائز الصفح عن الرجل الثائر ، أما المرأة الثائرة تسحل في الطين))**[١٤]، وهذا يدل على مدى حرص العراقيون القدماء على ضمان حقوق الافراد والنهي عن الخروج عن الاخلاق والتقاليد الحميدة وهذا ماورد في المادة (١٤١) من شريعة حمورابي والتي أجازت حق تطليق الرجل لزوجته دون ان يدفع لها بشئ او يبقى عليها ويتزوج بأمرأة ثانية وتصبح زوجته الاولى من بين الاماء في نص المادة القانونية :**((اذا عزمت زوجة رجل العيش في بيت رجل (اي في بيت زوجها) على الخروج (من البيت) ومارست عملا خربت (به) بيتها أحطت من شأن زوجها، فعليهم ان يثبتوا (ذلك) عليها ، فاذا قال (أراد) زوجها بأنه سوف يطلقها ، فيمكنه ان يطلقها وسوف لا يعطيها نقود طلاقها،واذا قال زوجها بانه سوف لا يطلقها فلزوجها (الحق) ان يأخذ زوجة ثانية،وسوف تعيش تلك المرأة (الزوجة الاولى) كأمه في بيت زوجها))**[١٥]

وقد اكدت القوانين العراقية القديمة على ضرورة تسجيل عقد الزواج وبخلاف هذا يعد هذا الزواج باطلا بحسب ماجاء في المادة(١٢٨) من شريعة حمورابي والتي نصت على :**((اذا تزوج رجل أمرأة ولم يعاقدها بعقد الزواج المطلوب لا تعد المرأة زوجة شرعية))**[١٦]، بينما نصت المادة (٢٧) من قانون اشنونا على موافقة الاب والام وابرام عقد الزواج معهما في شرعية عقد الزواج بخلاف ذلك يعد الزواج باطلا حتى ولو مر عليه سنة كاملة كما جاء في نص المادة :**((اذا دخل رجل بأبنة رجل اخر بدون اذن ابيها وامها فلا تكون هذه زوجة شرعية حتى لو عاشت في بيته سنة واحدة))**[١٧]، وليس هناك اي التزام على الرجل الذي يطلق أرملة قد تزوجها بدون عقد زواج اصولي، فلا يدفع لها اي تعويض على الطلاق في حالة افتراقه عنها كما في نص المادة (٨) من قانون اورنمو:**((اذا كان الرجل قد عاشر الارملة بدون ان يدون عقد زواج اصولي فلا يحتاج ان يدفع لها شيئا على الاطلاق في حالة طلاقها))**[١٨]

اذن فكتابة عقد الزواج مهم لنقل الاقتران بين الجنسين من مجرد تحقيق الوظيفة الطبيعية كالجنس ، للارتقاء الى مستوى حفظ النوع ، اي تثبيت الحقوق والواجبات للطرفين والتي في مقدمتها انجاب الابناء ، والمرأة تكون أما حرة او تابعة الى سيدها ان كانت من طبقة العبيد او متبناة من عائلة غنية اذا كانت من الايتام او الفقراء[١٩].

ولم تسمح القوانين العراقية القديمة للرجل ان يتزوج بامرأة اخرى الا بشروط معينة، كمرض الزوجة على ان يقوم الزوج برعاية زوجته وعدم تطليقها عند مرضها او عجزها والانفاق عليها طيلة حياتها ، واذا اخذ زوجة ثانية فعلى الزوجة الثانية أعانة الزوجة الاولى كما في المادة (٢٨) من قانون لبت عشتار التي نصها ((**اذا فقدت زوجة رجل نظرها او اصيبت بالشلل ،فلا يجوز اخراجها من بيت اي من بيت زوجها ، واذا اخذ زوجها أمرأة ثانية ، فعلى الزوجة الثانية اعانة الزوجة الاولى....**))[٢٠]، كما نصت المادة (١٤٨) من قانون حمورابي على انه اذا اصيبت الزوجة بمرض مزمن واراد زوجها ان يتزوج ثانية فله ان يتزوج ولكن لا يجوز ان يطلق زوجته المريضة بل لها ان تسكن في البيت وعليه ان يعيلها طالما هي على قيد الحياة كما في نص المادة: ((**اذا اخذ رجل زوجة واصابها مرض خطير ، فاذا عزم على الزواج من امرأة ثانية ، فيمكنه ان يتزوج ولايجوز له ان يطلق الزوجه المصابة بالمرض الخطير ، ولها ان تسكن في البيت الذي بناه، ويستمر الزوج في تحمل مسؤوليتها مادامت على قيد الحياة**))[٢١].

في حين نصت المادة (١٤٩) من قانون حمورابي فاذا الزوجة المريضة لم ترغب ان يتزوج زوجها أمرأة ثانية ، وانها لا ترغب في العيش معه مع الزوجة الثانية فعليه ان يعطيها مهرها الذي جلبته من بيت والدها ويسمح لها بالذهاب وفيما يلي نص المادة:((.... **فاذا لم ترغب تلك المرأة العيش في بيت زوجها بعد ان تزوج امرأة ثانية ، فعليه ان يسلمها هديتها التي جلبتها من بيت ابيها ولها ان تذهب**))[٢٢]، كما نصت المادة (١٤٣) من قانون حمورابي اذا طلبت امرأة الطلاق من زوجها لانها كرهته وعدم مطاوعتها لزوجها ، فاذا ثبت من خلال دراسة قضيتها في المجلس القضائي في بلدتها بأنها امرأة غير محترمة ، تخرج كثيرا من بيتها وتحط من قدر زوجها ، فيحق للزوج معاقبة زوجته بحسب المادة (١٤٣) من قانون حمورابي وذلك بألقاء تلك المرأة في الماء . وفيما يلي نص المادة :((**اذا كانت غير محترمة وتخرج كثيرا وتخرب بذلك بيتها وتحط من شأن زوجها ، عليهم ان يلقوا تلك المرأة في الماء**))[٢٣]، ولكن هناك حالات خاصة يحق للزوجة ان تطالب بالطلاق وترفع دعوة رسمية في المحكمة بحق زوجها لمقاضاته ، ان هو اخل في التزاماته الزوجية نحوها كغياب الزوج عن بيته بمحض ارادته بحسب المادة (١٣٦) من قانون حمورابي والتي جاء فيها ((**اذا نبذ رجل مدينته وهرب ، ودخلت زوجته بعد ذلك بيت رجل ثاني ، فاذا عاد الرجل وضبط زوجته في بيت رجل ثاني فلا ترجع زوجة الهارب الى زوجها وذلك بسبب كرهه لمدينته ولهروبه منها**))[٢٤].

ونصت المادة (٣٠) من قانون اشنونا على نفس مضمان المادة (١٣٦)من قانون حمورابي والتي جاء فيها ((**اذا كره رجل مدينته وملكه سيده فهرب ثم اخذ زوجته رجل اخر ، فاذا رجع الرجل فلن يكون له حق بزوجته**))[٢٥]. ويبدو مما تقدم ان المشرع العراقي القديم حرم في المادتين الاتيتين الذكر للرجل الهارب من المدينة تاركا زوجته واطفاله والعائد من الغيبة استرجاع زوجته عندما تكون قد تزوجت غيره

وهي عقوبة له لتخليه عن وطنه وابتعاده عن زوجته ، مما يدل على نبذ تارك الوطن اجتماعيا، وكذلك للزوجة الحق المطالبة بالطلاق والتفريق بينها وبين زوجها ، عندما يقلل الزوج من شأن وسمعة الزوجة ، وخروجه من البيت باستمرار مما يحول دون مقدرة الزوجة مطاوعة زوجها بسبب حقدها وكرهها له وكما جاء في المادة (١٤٢) من قانون حمورابي والتي نصها:- **((اذا كرهت أمرأة زوجها وقالت له لا تأخذني اي تضاجعني . ففي بلدتها سوف يدرس سلوكها فاذا كانت محترمة ولم ترتكب خطيئة بينما زوجها يخرج كثيرا من البيت ويحط من شأنها ، فلا جرم على تلك المرأة ، ويمكنها ان تأخذ هديتها التي جلبت من بيت ابيها وتذهب الى بيت والدها))**[٢٦]، ومن نص المادة ينبغي على الزوجة تقديم طلب الى مجلس بلدية مدينتها لدراسة سلوكها وعقلها فان كانت محترمة وان زوجها كثير الخروج من البيت ويحط من قدرها ، وله اعمال مشينة خارج البيت فلا اثم وذنب على تلك الزوجة ولها ان تطلب الطلاق بعد ان تأخذ هديتها التي جلبتها من بيت والدها.

ومن حق المرأة طلب الطلاق عن الزوج الغائب عن البيت لظرف ما ولم يترك لها موردا يمكن ان تعيش الزوجة منه ، ولها الحق ان تدخل بيت رجل ثاني كزوجة وليس عليها ذنب كما نصت على ذلك المادة (١٣٤) من قانون حمورابي التي نصها:**((اذا اسر رجل ولم يكن في بيته الطعام الكافي ، ودخلت زوجته بيت رجل ثاني ، فأن هذه المرأة لا ذنب عليها))**[٢٧].

يحق للرجل تطليق زوجته في حالات خاصةن منها اذا كانت زوجته عاقرا لا تنجب له اطفالا كما ورد في نص المادة (١٣٨) من قانون حمورابي التي نصها :**((اذا اراد رجل ان يطلق زوجته التي لم تلد له ، اولادا فعليه ان يعوضها نقودا بقدر مهرها ويسلمها الهدية التي جلبتها من بيت ابيها ثم يطلقها))**[٢٨]، لان الهدف من الزواج هو انجاب الاطفال وترك ذرية تبقى مدى الاجيال ، حيث كان لكل فرد ان يكون له ولدا ، ومبعث ذلك الطبيعة العاطفية نحو الذرية والخلف عند العراقيين القدماء ومن الاشارات التاريخية التي تشير الى ذلك ما جاء على لسان الالهه عشتار في محاورتها مع جلجامش بعد عودته وانكيدو من السفر ووصولهما الى مدينة الوركاء اذ قالت له :**((تعال يا جلجامش وكن عريسي الذي اخترت أمنحني ثمرتك (بذرتك) اتمتع بها))**[٢٩]

ان سعي الرجال بأتجاه الذرية هو كي يكون لهم اولادا يقومون برعايتهم في المستقبل حيث الكهولة والعجز وانعدام القدرة على اداء الاعمال ، وهذا ما ورد في احدى مراثي تموز على لسانه بأنه حين يموت سوف تبقى امه ليس لها احد يعيلها ويهتم بها[٣٠].

ان عدم الانجاب الأطفال يشكل عبئا ثقيلا على المواطن العراقي القديم لما يجلبه اليه هذا الامر من سخرية بين الناس في حياته وهذا ما افصح عنه أحيقار الحكيم[٣١]. فالرجل قديما كما هو في الوقت الحاضر يأمل من زوجته ان تنجب له طفلا ذكرا يكون له وريثا يحمل اسمه ويحافظ على امواله من بعده ويقوم ببعض الواجبات الدينية له بعد وفاته [٣٢] . لان في عرف العراقيين القدماء ان مكانة المتوفي في العالم الاسفل تتوقف على عدد ما انجب من اولاد[٣٣]، كما ان الحداد والحزن على المتوفي من قبل اولاده بمثابة ضمان لعدم انقطاع ذكره بين الاحياء بعد وفاته ودفنه ، وذلك باقامة الطقوس الجنائزية ومن خلالها يذكر اسمه ، فضلا عن الاعتقاد السائد ان دموع الاولاد ومراثيهم لأبيهم وأمهم يمكن ان توفر

الراحة والطمأنينة لهم[٣٤].

وفي نص مسماري نقرأ ان (لودينجيرا) يرثي والده (نانا) بعد ان غمره الحزن والاسى الشديد الذي اصابه واصاب اخوته واخواته من جراء وفاةابيهم وكما ورد في المرثية ((**ابناؤك الذين كانوا يعاملون كما يعامل ابناء ملك مهما هم يأكلون... مهما يشربون عسل وسمن هم ...المائدة يملاؤنها بالدهن لك ، الدموع التي ذرفوها من اجله دموع تثير الشفقة ، وحدادهم من اجله هو حداد اناس محبين وذوي قلوب نقية ، وكالقمح الذابل انهم ... فراخ الطيور تعود ... بناتك قد ... من اجلك في ...هن**))[٣٥]، كما ان انجاب الاطفال يعني الحصول على يد اضافية عاملة في الاسرة وهذا ما ورد في المثل السومري ((**عندما تضاف يد الى يد ، فان بيت الانسان يبنى ، واذا اضيفت فم الى فم فان بيت الانسان يحطم**))[٣٦]، وبهذا الصدد نجد ان ابا يتفاخر بان زوجته ولدت له ثمانية ابناء كما ورد في احد الامثال السومرية[٣٧]. وللاب الحق ان يجني ثمرة جهود ابنائه نتيجة اعمالهم كما ورد في احد النصوص المسمارية: ((**ان الاب يجمع الفضة من عمل ولده**))[٣٨].

وكان الاولاد يعينون اباؤهم في المعيشة في سن مبكر وهذا ما ورد في نص مسماري ان ابا يوبخ ابنه لفشله في تعلم الكتابة اذ قال له ((**لم اقل لك قط في حياتي اذهب واعمل وساعدني في معيشتي ان اخرين مثلك يعيلون اباءهم بالعمل فلو كلمت اقرباءك وقدرتهم لكنت مثلهم ان كل منهم يقدم (١٠كور) من الشعير وحتى الصغار يمد كل منهم اباه ب (١٠كور)**[٣٩] **انهم يضاعفون الشعير لآبائهم ويساعدونهم دائما بالشعير والزيت والصوف اما انت فانك رجل عندما يصل الامر الى العقوق ولكنك اذا قورنت بهم فانك لست برجل ابدا فانك بكل تأكيد لا تتعب نفسك مثلهم انهم ابناء اباء يدفعون ابناءهم الى العمل اما انا فلم ادفعك الى العمل مثلهم**))[٤٠]، كما ان الابناء الذين انجبهم والدهم اجاز المشرع العراقي القديم لأبيهم ان يضعهم تحت العبودية في بيت الدائن اذا لم يكن لديه المال الكافي لسداد دينه على ان لا تزيد المدة عن ثلاث سنوات بحسب المادة (١١٧) من شريعة حمورابي[٤١] وفي نص المسماري من العصر البابلي القديم مفاده في حالة عدم سداد الدين المترتب على المدين فان الدائن يأخذ زوجة المدين وابنته للعمل عنده في طحن الشعير لمدة معينة لتسديد الدين وعند انتهاء المدة يعتقهن[٤٢]، وفي عقد مدون بالخط المسماري من العصر الاشوري الحديث نقرأ فيه :((**ان شخص قد اقترض من سيده مبلغ قدره (٢منا) من الفضة مقابل ذلك رهن قطعة الارض والعبيد واولاده الثلاثة...**))[٤٣] .

اوجبت القوانين العراقية القديمة في حالات اخرى من الطلاق تبعات مالية على الزوج لزوجته المطلقة بمبلغ من المال بدون ان يشير المشرع الى اسباب الطلاق كما ورد في المادة (٦) من قانون اورنمو والتي نصها :- ((**اذا طلق زوجته الاصلية ، عليه ان يدفع لها منا من الفضة**))[٤٤]، في حين فرقت المادة (٧) من قانون اورنمو بين المرأة الاصلية التي وردت في المادة (٦) وبين المرأة المتزوجة الارملة التي اذا اراد زوجها تطليقها وهو ان يدفع لها نصف منا من الفضة كما في المادة (٧) التي نصها:- ((**اذا طلق رجل زوجته التي كانت ارملة قبل زواجها منه ، عليه ان يدفع لها نصف المنا من الفضة**))[٤٥]، اما المادة (١٣٨) من قانون حمورابي فأشترطت على الزوج الذي يريد تطليق زوجته والتي لم تلد له اولادا ان يعوضها نقودا بقدر مهرها ويسلمها الهدية التي جاءت بها من بيت ابيها ثم يطلقها كما

ورد في نص المادة التي نصها:((**اذا اراد رجل ان يطلق زوجته التي لم تلد له اولادا ، فعليه ان يعوضها نقودا بقدر مهرها ويسلمها الهدية التي جلبتها من بيت ابيها ثم يطلقها**))[٤٦]، أما اذا لم يكن هناك هدية للزوج فعلى الزوج ان يعطيها مبلغا من المال يتناسب وحالته المادية تعويضا لها عن الطلاق كما ورد في المادة (١٣٩) من قانون حمورابي والتي نصها:((**اذا لم يكن هناك مهر فعليه ان يعطيها منا واحدا من الفضة مقابل الطلاق**))[٤٧]، اما اذا كان الزوج من فئة العبيد ، فعليه ان يعطيها ثلث المنا من الفضة ويطلقها لانها لم تلد له اولادا كما في المادة (١٤٠) من قانون حمورابي والتي نصها:((**اذا كان الزوج مولى، فعليه ان يعطيها ثلث المنا من الفضة ثم يطلقها**))[٤٨].

اما القوانين الاشورية الوسيطة فلم تلزم الزوج الذي يريد تطليق زوجته ان يعطيها شيئا كما ورد في المادة (٣٧) التي نصها :- ((**اذا طلق رجل زوجته فاذا شاء يعطيها شيئا، واذا لم يشأ ، فلا يعطيها اي شيء ، فيتركها تذهب خالية اليدين**))[٤٩] ان المهر من حق الزوجة ، فاذا تم الطلاق فان مهرها يرجع اليها وان لم يدخل بهافالمهر هو ضمان مستقبل الزوجة ، ويتم دفعه من قتل العريس لأهل زوجته كما ورد من المادة (١٥٨) من قانون حمورابي والتي نصها ((**اذا اهدى رجل هدية الى بيت حميه واعطى صك المهر ، ثم نظر الى أمرأة غير خطيبته فأشتهاها وقال لحمية : لا اتزوج ابنتك ، يستاثر والد البنت بكل ما جلبه اليه ذلك الخطيب**))[٥٠]، فيما اكد قانون اشنونا وفق المادة (٥٩) اذا طلق رجل زوجته التي انجبت له اولادا وتزوج بأمرأة اخرى فاذا رفعت قضيتة الى قاضي المدينة فانه سوف يطرد من البيت ويخسر امواله المنقولة وغير المنقولة وليتبعه من اولاده من يريد لان زوجته الاولى لم تكن مريضة ولا عاقرا بل انجبت له اولادا ولم تحرمه من الانجاب لذلك كانت عقوبته عند زواجه للمرة الثانية الطرد من البيت وخسارة املاكه . كما جاء في نص المادة :((**اذا طلق رجل أمرأته بعد ان ولدت منه اولادا ، واخذ زوجة ثانية فسوف يطرد من بيته ويحرم من جميع ما يملك ومن بعد ذلك يذهب...**))[٥١].

وقد فرق المشرع حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) بين حقوق الزوجة المطلقة التي انجبت اولادا وبين الزوجة المطلقة التي لم تلد ، فقد ضمنت المادة (١٣٧) حقوق الكاهنة (الناديتوم) المطلقة المالية ، فاذا فكر الرجل ان يطلق زوجته من صنف (الناديتوم) الذي ولدت له اولادا فعليه ان يعيد لها بائنتها ويعطيها نصف الحصة من البستان والحقل والماشية التي يملكها الزوج كنفقة لضمان معيشة تلائم اولادها لغرض تربيتهم وابعادهم عن خطر الفشل والانحراف وفضل المشرع الام على الاب ، لان الاب عاجز عن الالتزام بكل مسؤوليات ورعاية الاطفال، ولها الحق ان تتزوج من الانسان الذي ترغب فيه طالما انها لم تكن مذنبة بحق زوجها الذي سعى هو الى طلاقها وفيما يلي نص المادة :((**اذا قرر رجل ان يطلق (الناديتوم) التي جهزته بالاولاد ، فعليهم ان يعيدوا لها هديتها ويعطوها نصف الحقل والبستان ونصف الاموال المنقولة ، وعليها تربية اولادها ، وبعد تربيتها لأولادها ، عليهم ان يعطوها حصة وريث واحد من كل شيء اعطوه لأولادها ولها ان تأخذ الزوج الذي ترتضيه**))[٥٢]، اما الزوجة التي غاب عنها زوجها لأسباب قاهرة كالأسر او السجن فعليها ان تنتظره لمدة معينة حددها المشرع الاشوري ، فاذا لم يعود بعد انتهاء المدة ولم يتوفر في مسكنها الاكل والشرب والملبس فمن حقها ان تتزوج ، وقد حددت القوانين الاشورية الوسيطة لزوجة الاسير الانتظار لمدة سنتين قبل ان تعاشر رجلا اخر وعلى الدولة

اعالة زوجة الاسير طيلة فترة غيابه المقررة قانونا بسبب الاسر اثناء خدمته العسكرية . كما في نص المادة (٤٥) من القانون الاشوري الوسيط التي نصها :- **((اذا اعطيت فتاة (الزوج) واخذ العدو زوجها (اسيرا) . فاذا لم يكن لها عم (والد زوجها) او ابن ، عليها ان تبقى مخلصة لزوجها مدة سنتين . فاذا لم يكن لديها هاتين السنتين شيئا لتأكله، فلها ان تتقدم وتصرح بذلك (للقصر)فتصبح معتمدة على القصر... وسوف يزودها بالطعام مقابل ان تعمل من اجل (القصر). اما اذا كان زوجها قد التزم حقلا وبيتا في مدينته ، فعليها ان تتقدم وتصرح قائلة (لا املك شيئا اكله) ، فعلى القضاة ان يستعلموا من رئيس المدينة ومن شيوخها بخصوص التزام (زوجها) للحقل في تلك المدينة ، (وبعد ذلك) ، عليهم ان يستملكوا الحقل والبيت أعانة لها مدة سنتين ويعطوا (اجارهما) لها . وعليها ان تسكن هناك (في البيت والحقل) ، وبعد ان يكتبوا لها بذلك رقيماز وعليها ان تنظر مدة سنتين كاملتين ، ومن بعدهما يمكنها ان تعاشر الرجل الذي ترتضيه ، وعندها يكتبوا لها رقميا (باعتبارها اصبحت) أرملة . واذا عاد بعد ذلك زوجها المفقود الى بلده ، فيحق له استرجاع زوجته التي تزوجت من غيره ، ولكن لا يحق له المطالبة بالاولاد الذين انجبتهم من زوجها الثاني بل يأخذهم والدهم . اما الحقل والدار اللذان اخذا منه واستأجرا لصالحها (اي لصالح الزوجة) بثمن كامل ، فاذا لم يعد في خدمة جيش الملك ، فعليه ان يدفع نفس الثمن الذي أجرا به ويستعيدهما. واذا لم يرجع ومات في بلد اخر ، فللملك الحق بان يهب بيته وحقله لمن يشاء))**[٥٣].

أوجب القوانين أن تنتظر زوجة السجين زوجها خمس سنوات ، فإذا رجع الزوج ووجد زوجته عاشرت رجلا اخر فعليه ان يعوض الزوج الثاني بأمرأة اخرى ويسترجع زوجته بحسب المادة (١٣٦) من اللوح الاول للقوانين الاشورية الوسيطة والتي جاء فيها:- **((اذا كانت أمرأة لا تزال تعيش في بيت والدها او كان زوجها قد هيأ لها ان تعيش لوحدها ، فاذا ذهب زوجها الى الحقل ولم يترك في بيته لا زيتا ولا صوفا ولا ملبسا ولا طعاما ولا اي شيء اخر ، ولم يرسل لها مؤونة الحقل ، على تلك المرأة ان تبقى مخلصة لزوجها لمدة خمس سنوات ولا يجوز لها ان تعاشر رجلا اخر . واذا كان لها ابناء عليهم ان يؤجروا انفسهم ليحصلوا على معيشتهم ، وتبقى المرأة مخلصة (لزوجها) لمدة خمس سنوات وفي بداية السنة السادسة يجور لها ان تذهب لتعيش مع زوج (اخر) تختاره. واذا عاد زوجها (بعد مضي الخمس سنوات) فلا يحق له اقامة الدعوى ضدها وتبقى حرة لزوجها الثاني . اما اذا تأخر لأكثر من خمس سنوات بسبب طارئ كأن يكون قد اعتقله قاطع طريق او سجن لسرقة (ارتبكها) عند رجوعه ، (ففي هذه الحالة) يحق له ان يطالب بزوجته (بصورة رسمية ، بشرط ان) يعطي امرأة بدل زوجته (لزوجها الثاني) ويأخذ هو زوجته . واذا كان قد ارسله الملك الى بلد اخر وتأخر اكثر من خمس سنوات ، فعلى زوجته ان تحترمه ولا تذهب لتعيش مع رجل اخر. فاذا عاشرت الزوجة رجلا اخر قبل انتهاء السنوات الخميس وانجبت منه اطفالا، فلزوجها (الأول) الحق باسترجاع زوجته وذلك لانها لم تحترم عقد الزواج وتزوجت ثانية))**[٥٤].

ويبدو ان هناك مرونة في القوانين العراقية القديمة فيما يخص زوجة الزوج الغائب التي طلقت من زوجها لغيابه فترة طويلة جاوزت فترة الانتظار ودخلت بيت رجل ثاني ولكن اجازت القوانين العراقية

القديمة للزوج الغائب ان يعيد زوجته حين عودته وان كانت قد ولدت اطفالا من الزوج الثاني . كما في المادة (٢٩) من قانون اشنونا التي جاء فيها :((**اذا خطف رجل اثناء حرب او غارة او اخذ اسيرا وبقى في البلد- الثاني (الغريب) مدة طويلة . وتزوج رجل اخر زوجته وولدت له طفلاً .فعندما يعود يسترجع زوجته**))[٥٥]، اما المادة (١٣٥) من قانون حمورابي أجازت للزوج الغائب الحاضر استعادة ابنائه ، وقد افترضت هذه المادة وجود اولاد من الزوج الاول واولاد من الزوج الثاني، لذا كان الحكم بعودة الزوجة الى زوجها الاول وهو احق بزوجته من الرجل الثاني على الرغم من انه لم يترك في بيته ما يكفي لسد نفقات معيشة زوجته واولاده وفيما يلي نص المادة: ((**اذا اسر رجل ولم يكن في بيته الطعام (الكافي) ودخلت زوجته قبل عودته بيت رجل ثان وانجبت (منه) اولادا ، ثم رجع زوجها بعد ذلك ووصل مدينته ، فعليها ان تعود لزوجها، والاولاد بعد ذلك يذهب (كل منهم) الى ابيه**))[٥٦].

نلمس من هذه القوانين والتشريعات العراقية القديمة تنظيم العلاقة بين الزوج وزوجته من خلال اشاعة روح التفاهم والاحترام والحب بين الطرفين ، وذلك من خلال معاقبة من تسول له نفسه من كلا الجنسين الاساءة الى الطرف الاخر واذا استمرت روح عدم التسامح بين الزوجين اجازت القوانين العراقية القديمة التفريق بين الزوجين سواء كان الزوج مذنبا ام الزوجة . وفي نص مسماري نلاحظ . أن القضاء العراقي القديم لعب دورا كبيرا واساسيا في أنهاء العلاقة الزوجية بالطلاق ولكن القضاة ينبهون الزوج بالتزاماته تجاه زوجته ففي احدى قضايا المحاكم البابلية استعمل الفعل (bataqu) بمعنى قطع حاشية الثوب اشارة الى قطع العلاقة الزوجية ، فنجد القضاة وبحضور الشهود ، سألوا الزوج هل هذه المرأة لا زالت على ذمتك ، فاجاب الزواج انكم تستطيعون شنقي على وتد وتقطع اوصالي على ان ابقى زوجها ، وعندما سألوا الزوجة اجابت انا لازلت احب زوجي ، لذا قرر القضاة بالزام الزوج بدفع تعويض لها ثم التفريق ، كما جاء في النص الاتي ((**قطع طرف ثوبها وسأل القضاة هل المرأة التي جاءت للعيش مع عائلتك ومركزها كزوجة وتحت وصايتك هل تغادر هكذا جهزها بالضبط مثلما دخلت اليك**))[٥٧].

نتائج الدراسة:

١. كانت للزوجة مكانة مهمة لانها قلب العائلة العراقية القديمة .
٢. كان يقف وراء رغبة العراقيون القدماء من الزواج انجاب الاطفال .
٣. اشترط العراقيون القدماء في المرأة التي يتم اختيارها زوجة عدد من الشروط منها ان لا تكون مومسا ، لان الغاية من الزواج انجاب الاطفال.
٤. كان يتوجب على الزوجة احترام زوجها واطاعته واجازت الاعراف الاجتماعية والقوانين العراقية القديمة معاقبة الزوجة اذا اساءت الادب مع زوجها.
٥. لقد عاب المجتمع العراقي القديم على المرأة المتزوجة التي تنتقص من كرامتها وكرامة زوجها ومنها خروجها من الدار باستمرار.
٦. اكدت القوانين العراقية القديمة انه لا التزام على الرجل الذي يطلق زوجته الارملة بدون عقد زواج اصولي .

٧. لم تسمح القوانين العراقية القديمة للزوج تطليق زوجته المريضة بل لها ان تسكن في بيتها وعلى الزوج اعانتها.

٨. للزوج الحق بالزواج من امرأة ثانية اذا كانت زوجته مريضة ولكن دون تطليق الزوجة الاولى بل تقوم الزوجة الثانية بالاهتمام بالزوجة الاولى .

٩. للزوجة الحق في طلب التفريق عن زوجها ولكن بموافقة المجلس القضائي في المدينة . فاذا درس سلوك المرأة وتبين انها غير محترمة لبيتها وتحط من قدر زوجها فيحق للزوج معاقبة زوجته وليس تطليقها بالقاء تلك المرأة في النهر لتلاقي العقاب الالهي–النهري.

١٠. ١للزوجة الحق في طلب الطلاق اذا اخل الزوج بالتزاماته العائلية ومنها غيابه عن بيته بمحض ارادته.

١١. من حق الزوجة طلب الطلاق ، اذا كان الزوج يقلل من سمعة الزوجة وخروجه من البيت باستمرار مما تحول دون مقدرة الزوجة مطاوعة زوجها بسبب حقدها وكرهها له.

١٢. للمرأة حق طلب التفريق (الطلاق) عن الزوج الغائب الذي لم يترك لها موردا تعيش منه، ولها الحق ان تتزوج من رجل ثاني.

١٣. من حق الزوج تطليق زوجته اذا كانت عاقرا لم تلد له لان الهدف من الزواج هو انجاب الاطفال والا تحول الزوج الى سخرية بين الناس في حياته.

١٤. وفي حالات معينة اوجبت القوانين العراقية القديمة على الزوج الذي طلق زوجته تبعات مالية .

١٥. ان المهر من حق الزوجة المطلقة ، لان المهر ضمان مستقبل الزوجة ويتم دفعه من قبل الزوج الى اهل الزوجة.

١٦. اجازت بعض القوانين العراقية القديمة طرد الزوج من بيته ويخسر امواله اذا طلق زوجته التي انجبت له اولادا وتزوج بأمرأة ثانية.

١٧. لزوجة الاسير الحق في طلب الطلاق ودخول بيت رجل ثاني بعد مرور سنتين على اسره اما زوجة السجين فعليها الانتظار خمس سنوات فاذا لم يخرج عندئذ لها الحق في طلب الطلاق والزواج من رجل ثاني.

الهوامش

1) Gorden,I,E., Anew look at wisdom of summer and Akkad, Bi-or,Vol.17,No,1-4,1960,P.131.

٢) علي ، فاضل عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، بغداد ١٩٩٧ ، ص٨٦.

٣) باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٣٣٥.

٤) الهاشمي ، رضا جواد ، نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص٣٣.

5) Bayliss,M., The cult of Dead kin in Assyria and Babylonia, Iraq, Vol.35, London,1973,P.117.

٦) باقر، طه ، ملحمة كلكامش، ط٢، بغداد ،١٩٨٦،ص١٣١.

٧) بهنام، غريغوريويس بولس، احيقار الحكيم ، بغداد ، ١٩٧٦، ص١١٠–١١١.

٨) مونيك، بيتر، المرأة عبر التاريخ، ترجمة هنريب عبودي ، بيروت ، ١٩٧٩،ص٢٦.

٩) كريمر، صموئيل نوح، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ، ترجمة فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص٣٤٨.

10) Gordon,I.,Sumerian proverbs Climpses of Every day lif Ancient Mesopotamia (Sp), Philadelphia, 1956, No.1,P.130.

١١) كريمر، صموئيل نوح ، السومريون....، ص٣٦٨.

12) Gordon,I.,Sumerian…,No.2,P.265.

١٣) الجبوري ، صلاح سلمان رميض، ادب الحكمة في وادي الرافدين ، بغداد ، ٢٠٠٠،ص١٠٨.

١٤) الاحمد ، سامي سعيد ، السومريون وتراثهم الحضاري، بغداد، ١٩٧٥ ، ص١٥٢-١٥٣.

١٥) الالوسي ، سالم ، شريعة حمورابي اول ترجمة عربية، بغداد ، ٢٠٠٧، ص٦٤-٦٥.

١٦) المصدر نفسه ، ص٦٣.

١٧) باقر ، طه ، قانون لبت عشتار ،قانون مملكة اشنونا، بغداد، ١٩٨٧، ص٥٤.

١٨) رشيد ، فوزي، الشرائع ،العراق في موكب الحضارة ،ج١ ،بغداد ، ١٩٨٨، ص٢٢٨.

١٩) حمود ، محمود الحاج ، حقوق الانسان في بلاد مابين النهرين ، مجلة المورد ، العدد٣، ١٩٨٧، ص٣٧.

20) Steele,F,R., The code of lipit Ishtar,AJA, Vol.51, No.3, 1948, P.95.

٢١) الامين، محمود ، قوانين حمورابي صفحة رائعة من حضارة وادي الرافدين، بغداد ، ١٩٨٧،ص٥٥.

٢٢) المصدر نفسه، ص٥٥.

٢٣) الالوسي ، شريعة حمورابي...، ص٦٥.

٢٤) المصدر نفسه، ص٦٤.

٢٥) باقر ، قانون لبت عشتار....،ص٥٥.

٢٦) الامين ، قوانين حمورابي...، ص٥٤.

٢٧) المصدر نفسه، ص٥٢.

٢٨) الالوسي ، شريعة حمورابي...، ص٦٤.

٢٩) رشيد، فوزي، وئد البنات ونظام تعدد الازواج في عصور ماقبل التاريخ، مجلة سومر ،ج١-٢،مجلد ٣٦ ،١٩٨٠،ص٦٠.

٣٠) حنون، نائل ،عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين، ط٢، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٩٠.

٣١) بهنام ، احيقار الحكيم ، ص١١٠-١١١ انظر النص في ص٣ من البحث.

٣٢) مونيك، بيتر، المرأة عبر التاريخ...،ص٢٦.

33) Bayliss,M., The cult of Dead kin in Assyria and Babylonia,P.117.

٣٤) حنون، عقائد مابعد الموت...،ص٢٩٠.

٣٥) كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم...،ص٣٠٢-٣٠٣.

٣٦) الفؤادي، عبد الهادي، بحث في الامثال العراقية، دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر، مجلة سومر، ج١-٢، مجلد٢٩، ١٩٧٣، ص٩٢.

٣٧) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص٢١١.

38) Chicago Assyrian Dictionary,(CAD),part.1,P.309.

٣٩) الكور: وحدة قياس تساوي (٢٠٢,٦) لتر انظر: رشيد، فوزي، القوانين في العراق القديم ، بغداد، ١٩٨٨، ص١١١.

٤٠) كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم...،ص٣٥٠.

٤١) الالوسي ، شريعة حمورابي...، ص٦٢.

42) Oppenheim,A,L., Letters from Mesopotamia, Chicago, 1964,P.91.

43) John,C,H,A., Babylonian and Assyrian Laws contract and letter, NewYork, 1904, P.263.

٤٤) رشيد، الشرائع ،العراق في ....،ج١،ص٢٢٧.

٤٥) المصدر نفسه،ج١،ص٢٢٧.

٤٦) الامين ، قوانين حمورابي...، ص٥٣.

٤٧) المصدر نفسه، ص٥٣-٥٤.

٤٨) المصدر نفسه ، ص٥٣-٥٤.

49) Driver,G,R, and Miles,J,C., The Assyrian Laws, Oxford, 1935,PP.117ff.

٥٠) الالوسي ، شريعة حمورابي...، ص٦٦.

٥١) باقر ، قانون لبت عشتار....،ص٦٦.

52) Driver,G,R, and Miles,J,C., The Babylonian Laws, Vol.1,Oxford, 1952, PP.405-406.

53) Driver,G,R, and Miles,J,C., The Assyrian Laws,PP.131-133.

54) Ibid,PP.116-117.

٥٥) باقر ، قانون لبت عشتار....،ص٥٥.

٥٦) الامين ، قوانين حمورابي...، ص٢٥٩.

57) Veenhof,K,R., The Dissolution of an old Babylonian Marriage According, RA,Vol.70/2,1976,P.154.

قائمة المصادر

أولاً – المصادر العربية:

١) الاحمد ، سامي سعيد ، السومريون وتراثهم الحضاري، بغداد، ١٩٧٥.

٢) الامين، محمود ، قوانين حمورابي صفحة رائعة من حضارة وادي الرافدين، بغداد ، ١٩٨٧.

٣) الالوسي ، سالم ، شريعة حمورابي اول ترجمة عربية، بغداد ، ٢٠٠٧.

٤) باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٦.

٥) باقر، طه ، ملحمة كلكامش، ط٢، بغداد ،١٩٨٦.

٦) باقر ، طه ، قانون لبت عشتار ،قانون مملكة اشنونا، بغداد، ١٩٨٧.

٧) بهنام، غريغوريويس بولس، احيقار الحكيم ، بغداد ، ١٩٧٦.

٨) الجبوري ، صلاح سلمان رميض، ادب الحكمة في وادي الرافدين ، بغداد ، ٢٠٠٠.

٩) حمود ، محمود الحاج ، حقوق الانسان في بلاد مابين النهرين ، مجلة المورد ، العدد٣، ١٩٨٧.

١٠) حنون، نائل ،عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين، ط٢، بغداد، ١٩٨٦.

١١) رشيد،فوزي،وئد البنات ونظام تعدد الازواج في عصور ماقبل التاريخ، مجلة سومر،ج١-٢، مجلد ٣٦ ،١٩٨٠.

١٢) رشيد ، فوزي، الشرائع ،العراق في موكب الحضارة ،ج١ ،بغداد ، ١٩٨٨.

١٣) رشيد، فوزي، القوانين في العراق القديم ، بغداد، ١٩٨٨.

١٤) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩.

١٥) علي ، فاضل عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، بغداد ١٩٩٧.

١٦) الفؤادي، عبد الهادي، بحث في الامثال العراقية، دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر، مجلة سومر، ج١-٢، مجلد٢٩، ١٩٧٣.

١٧) كريمر، صموئيل نوح، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ، ترجمة فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٧٣.

١٨) مونيك، بيتر، المرأة عبر التاريخ، ترجمة هنريب عبودي ، بيروت ، ١٩٧٩.

١٩) الهاشمي ، رضا جواد ، نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، بغداد ، ١٩٧٠.

ثانياً – المصادر الاجنبية:

1) Bayliss,M., The cult of Dead kin in Assyria and Babylonia, Iraq, Vol.35, London,1973.

2) Chicago Assyrian Dictionery,(CAD),part.1.

3) Driver,G,R, and Miles,J,C., The Assyrian Laws, Oxford, 1935.

4) Driver,G,R, and Miles,J,C., The Babylonian Laws, Vol.1,Oxford, 1952.

5) Gordon,I.,Sumerian proverbs Climpses of Every day lif Ancient Mesopotamia (Sp), Philadelphia, No.1,1956.

6) Gorden,I,E., Anew look at wisdom of summer and Akkad, Bi-or,Vol.17,No,1-4,1960.

7) John,C,H,A., Babylonian and Assyrian Laws contract and letter, NewYork, 1904.

8) Oppenheim,A,L., Letters from Mesopotamia Chicago, 1964.

9) Steele,F,R., The code of lipit Ishtar,AJA, Vol.91, No.3, 1948.

10) Veenhof,K,R., The Dissolution of an old Babylonian Marriage According, RA,Vol.70/2,1976.

المسالك الأثرية بين اربيل وكركوك

Land transportation routs between Erbil and Kirkuk

ا.د. طورهان مظهر المفتي
مستشار مكتب رئيس مجلس النواب العراقي

ا.د فاضل كاظم حنون
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

Land transportation routes roads are considered one of the most important issues of communication and connections among ancient cities during the Assyrian era, although of the presence of river transport in the use of boats on the Tigris and Euphrates rivers, but the large number of cities in that era, which are not all close to the rivers, that's mad the Assyrian empire to build and to development and spread of land transportation routes to connect these cities Among themselves within the empire through to other kingdoms. For this reason, the ancient land transportation route was studied between the ancient cities (Arbailo and Arabakha) in northern Iraq, in what is now known as (Arbil Citadel) within the recent city of Arbil in the Kurdistan region, while Arbakha (Kirkuk Citadel) located in the city of Kirkuk within the Kirkuk governorate.

Using satellite data, it was observed that there are a group of archaeological mounds (registered and unknown) scattered on the land transportation route linking Erbil and Kirkuk (more than 15 archaeological mounds),Where the dimensions, areas and inter-distances of these archaeological mounds were studied and their locations determined.

The current research concluded that the current land transportation route between the Citadel of Erbil and down to the Citadel of Kirkuk, passing through the district of Alton Bridge, is the same land route that was taken by urban communities in the different time periods of the Assyrian era ,and it may be older than that era if excavations were carried out to reveal the temporal layers Four archaeological hills were also identified that may have been recorded for the first time among the hills within the current study, and they were included under the name (unknown) in addition to a serial number in addition to the hills that already existed, such as Tal Qalinj Agha, Tel Qush Tappah, Tel Gog dagh, and Tal Ta'lim, Watch out and read another.

الملخص:

تعد الطرق البرية واحداً من أهم مسالة التواصل بين المدن القديمة أبان الحقبة الآشورية بالرغم من وجود النقل النهري في استخدام القوارب على نهري دجلة والفرات ،ألا إن كثرة الحواضر والمدن في تلك الحقبة والتي ليست جميعها قريبة على الأنهار أدت إلى تطور وانتشار الطرق البرية لربط هذه المدن فيما بينها ضمن الإمبراطورية مروراً إلى الممالك الأخرى، لأجل ذلك تمت دراسة الطريق البري القديم بين المدن القدمية (اربائيلو وارابخا) في شمال العراق فيما يعرف حاليا ب (قلعة اربيل) ضمن مدينة اربيل الحديثة في إقليم كردستان ،فيما يمثل ارابخا (قلعة كركوك) الواقع في مدينة كركوك ضمن محافظة كركوك، وباستخدام البيانات الفضائية الملتقطة بالأقمار الصناعية لوحظ وجود مجموعة من التلال الأثرية (المسجلة وغير المعلومة) منتشرة على الطريق البري الرابط بين اربيل وكركوك (أكثر من ١٥ تل اثري)، حيث تمت دراسة أبعاد ومساحات والمسافات البينية لهذه التلول الأثرية وتحديد مواقعها.

توصل البحث الحالي الى ان الطريق البري الحالي بين قلعة اربيل وصولاً إلى قلعة كركوك مرورا بناحية التون كوبري هو نفس المسلك البري التي كانت تسلك من قبل التجمعات الحضرية في الفترات الزمنية المختلفة من الدولة الآشورية وقد يكون أقدم من تلك الحقبة فيما إذا ما تم التنقيب لكشف الطبقات الزمنية المختلفة في تلك التلال.كما تم تحديد أربع تلال أثرية قد تكون مسجلة لأول مرة من التلال ضمن الدراسة الحالية وتم إدراجهم تحت اسم (غير معلوم) مضافاً إليهم رقم تسلسلي إضافة التلال الموجودة اصلاً مثل تل قالينج اغا و تل قوش تبه وتل گوگ تبه وتل تعليم تبه وتلال أخرى .

كلمات مفتاحية: (المسالك الأثرية، الأشوريون، كركوك، اربيل، بابل، دلمون)

المقدمة:

شغف الآشوريون[١]، كثيرا في بناء المدن الجديدة والقصور وإقامة المعابد، وأولوا اهتماما بالغا في وضع مخططات هندسية دقيقة للمدن فشقوا الشوارع المستقيمة والواسعة بها، وزينوا مداخل هذه المدن والقصور بالتماثيل الضخمة التي كانت على هيئة ثيران مجنحة واسود كما غلفوا جدران القصور الداخلية والخارجية بالمنحوتات البارزة، وصوروا على جدران أسوار المدن والمعابد والقصور العديد من المشاهد الحربية التي تمثيل منجزاتهم العسكرية [٢]، ومن أهم الخصائص التي اعتمد عليها الآشوريون في اختار المدينة موقعها من طرق المواصلات البرية وقربها من مجاري المياه التي تعد أيضا طرق مواصلات نهرية [٣] وقد مثلت مدن أرابخا وأربيل ونينوى وآشور غربي نهر دجلة أهم المدن الآشورية [٤]، وقد اكتسبت هذه المدن أهميتها لوقوعها على الطرق التي تؤدي إلى الجنوب تجاه بابل والى الشرق نحو بلاد عيلام وكانت اغلب تحركات الدولة الآشورية تجاههما هي عمليات عسكرية ، إذ ورد في كتابات الملك الآشوري توكلتي ننورتا الأول(١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق. م) إلى قيادمه بحملة عسكرية ضد الملك الكاشي كاشتلياش الرابع حاكم بلاد بابل مستغلا انشغال الملك الآشوري بالعمليات العسكرية تجاه بلاد نائيري الواقعة إلى الجنوب من بحيرة " وان " فقاد جيشه نحو كاشتلياش الرابع وانتصر عليه وتمكن من أسره وإرساله إلى آشور، وتذكر كتابات توكلتي ننورتا الأول قوله الآتي : "**وطأة بقدمي رقبته الملكية وكأنها منصة للأقدام ووضعته مقيداً أمام الإله آشور... وجعلت الملك الكاشي مسخرة لمحاربي الإله آشور...**" [٥].

ويبدو إن ملوك بابل كانوا يتحينون الفرص ويستغلون انشغال الملوك الآشوريين من اجل التوسع نحو بلاد آشور، وهذا ما حدث أبان عهد الملك الآشوري توكلتي–آبل–ايشرَّ الأول ١١١٥ – ١٠٧٦ ق. م أثناء حربه على الجبهة الغربية ضد القبائل الآرامية، فهاجم الملك البابلي مدينة اكلاتوم جنوب بلاد آشور واعتدى على تماثيل آلهتها، وهذا ما دفع بالملك الآشوري توكلتي–آبل–ايشرَّ الأول برد الاعتداء عن بلاد آشور فقاد حملتين عسكريتين متتاليتين توجه في الأولى إلى المنطقة المحصورة بين الزاب الأسفل ونهر ديالى في حين هاجم في الثانية مدن بلاد بابل الشمالية وفتح مدينة بابل نفسها واحرق قصور مردوك – نادن – آخي واخذ الغنائم منها كما جاء في حولياته : "**... حملت على كاردونياش (بلاد بابل)... فأخذت قصور... مردوك – نادن – آخي ملك بابل واشعلت النيران فيها وأخذت أثاث قصره معي... وجردت من عربات الحرب ضده وأصبت منه مقتلاً...**" [٦].

وكما هو الحال مع بابل فان لعمليات العسكرية باتجاه الشرق مع بلاد عيلام أخذت تشكل منعطفا جديدا بعد تولي الملك " بوزر . آشور " (١٥٢١ – ١٤٩٨ق.م) الحكم إذ بعد أن بدأ العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١ – ٩١١ ق.م) وفيه شهدت بلاد آشور تقلبات وتغيرات سياسية وعسكرية وحضارية غاية في الأهمية، حيث تمكن الملك الآشوري" توكلتي– ننورتا الأول" (١٢٤٤ –١٢٠٨ ق.م) من تحقيق الوحدة البابلية الآشورية ووضع حد للتجاوزات العيلامية، ومن نافلة القول انه لو قدر وان استمرت تلك الوحدة فان ذلك يعني وضع حد للتجاوزات العيلامية منذ وقت مبكر من التاريخ الآشوري، إلا إن الظروف الدولية المحيطة بآشور في ذلك الوقت، وعدم رغبة الكشيين باستمرار العلاقة مع الدولة الآشورية قضى على تلك الوحدة التي استمرت سبع سنوات تقريبا (١٢٣٤ – ١٢٢٨ ق.م) [٧].وبتسلم " آشور – دان الثاني " عرش آشور (٩٣٤ – ٩١٢ ق.م) تصبح النصوص الملكية الآشورية غنية وتؤشر عودة بزوغ الرفاهية الآشورية، وعد عصره تمهيدا لعصر الازدهار السياسي للآشوريين، والذي اتضحت معالمه بشكل واضح منذ عهد خليفته " ادد – نيراري الثاني " (٩١١ – ٨٩١ ق.م)، وقد عرف هذا العصر من التاريخ الآشوري " بالعصر الآشوري الحديث " (العهد الإمبراطوري) . حكمت خلال هذا العصر الذي دام ثلاثة قرون (٩١١ – ٦١٢ ق.م) إمبراطوريتان كبيرتان هما الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١ – ٧٤٥ ق.م)، والإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٤ – ٦١٢ ق.م)، وصلت فيه العلاقات بين الدولة الآشورية والعيلاميين قمة الصراع العسكري حتى انتهت عيلام كدولة مستقلة في هذا العصر [٨] .

بلغت العلاقات الآشورية مع بلاد عيلام أوجها أبان العصر الآشوري الحديث (٩١٢–٦١٢ق.م) فقد قام الآشوريون بحملات عسكرية متعددة اختلفت دوافعها وبواعثها منها حماية حدود الدولة الآشورية أو الدوافع الاقتصادية والدينية والتجارية [٩] . ولتأمين الاتصال ما بين المقاطعات وبين الحكومة المركزية والجيش فقد أنشأ نظاماً للمواصلات والبريد سهل وصول الرسائل والتقارير من حكام الولايات والمناطق التابعة للدولة والجيش إلى الملك الآشوري [١٠] .

أولا: تاريخ مدينة أربيل:

تقع مدينة اربيل في المنطقة الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين، على هضبة ترتفع ما يقارب ٤١٥م عن مستوى سطح البحر ما بين الزاب الأعلى والأسفل على خط طول (٤٤،٢) درجة شمالا وخط العرض (٣٦،١٢) درجة شرقا[١١] .

أول ذكر لمدينة اربيل يعود إلى النصوص المسمارية أبان عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م) فقد ورد بصيغة " $1ur–bi–lum^{ki,}$ $ur–ì–bi–lum^{ki}$ $lum–ma^{ki}$ "[١٢]، كما عثر على ختم قرب أربيل يعود للملك شولكي (٢٠٩٤–٢٠٤٧ق.م) مدون عليه :"**إلى سيدته ننليل الإله شولكي**"[١٣]، أما نصوص العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ – ١٥٩٥ ق.م) فقد وردت بصيغة " $ur–bi–el^{ki}$ " في حين ورد في العصر الآشوري الحديث " $^{uru}ar–ba–il$ "[١٤]، ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا بما لا يقبل الشك قدم هذه المدينة بِعَدها مُستوطن في الأقسام الشمالية لبلاد الرافدين، ونحن نعتقد إن هذه المنطقة أيضا كانت خاضعة لنفوذ الدولة الاكدية إذ استطاع الملك (نرام سين) من الوصول إلى آسيا الصغرى فقد استطاع من الوصول إلى (تالهاتوم) (Talhatum) في جنوب تركيا (بالقرب من

ديار بكر) إذ تم العثور على مسلة في ذلك المكان عائدة إلى هذا الملك [١٥]، وبلا أدنى شك عند مرور الملك الاكدي إلى مناطق بلاد الأناضول فقد مر بهذه المناطق واجتازها وهذا يؤكد إنها كانت تحت سلطته إذ أصبحت أجزاء كبيرة من بلاد الرافدين خاضعة لسيطرة الدولة الاكدية بما فيها الأجزاء الشمالية منه.

وهناك إشارة وجدت في نقش يعود للملك الكوتي " اريدو – بيزر" " erridu pizir " (٢١٩٣-٢١٢٠ ق.م) ودون هذا النص باللغة الاكدية، كما ورد اسم المدينة في مدونات العصر البابلي القديم والعصر الآشوري القديم حوالي " ٢٠٠٤- ١٥٩٥ ق.م " إذ ورد ذكر هذه المدينة في كتابات تعود للملك دادوشا والملك شمشي ادد وتتعلق بحملة عسكرية قاما بها باتجاه شمال شرق بلاد الرافدين [١٦]، ويبدوا إن هذه الحملات كانت موجهة نحو الدولة العيلامية نظرا لوقوعها بهذا الاتجاه من بلاد الرافدين .

وتقدم لنا الترتيلة الخاصة بمدينة اربيل مدى المكانة الرفيعة والمقدسة لهذه المدينة عند الآشوريين، إذ تتكون هذه الترتيلة من سبعة عشر بيتا من الشعر مليئة بكل عبارات المدح والتقدير والتقديس التي يكنها الآشوري لهذه المدينة، جاء بها :

" **مدينة اربيل، (هـ) مدينة اربيل**

مدينة اربيل سماء دون نظير .

مدينة اربيل مدينة المرح .

مدينة اربيل مدينة الأعياد .

.....

بوابة مدينة اربيل أسمى (من بوابات) المدن المقدسة .

مدينة اربيل، مدينة المظهر الخارجي (البراق).

مدينة اربيل مقر الأفراح .

مدينة اربيل رباط البلدان

مدينة اربيل موضع الطقوس العميقة

مدينة اربيل (مدينة) شامخة كالسماء

(مدينة) اربيل أسسها قوية كالسماء

(مدينة) اربيل مدينة الأبراج العالية التي تتنافس مع .....

شبيهتها مدينة بابل وتنافس مدينة آشور بالجمال "[١٧]

حظيت مدينة اربيل بأهمية كبيرة أبان العصر الآشوري الحديث (٩١١ــ٦١٢ق.م) إذ اقترن اسمها مع اسم الآلهة عشتار بِعَدها آلهة حرب وكانت ترافق الجيش الآشوري فهي الآلهة الحامية والمرافقة له، بل تطورت أهمية الآلهة عشتار في اربيل حين أصبحت احد المراكز المهمة لعبادتها، ولربما يعود السبب في ذلك كما يُرَجح لكثرة المعارك التي خاضها الآشوريين أبان هذه المرحلة، كما أصبحت هذه المدينة بمثابة القاعدة العسكرية لانطلاق الجيوش الآشورية نحو بلاد عيلام بالشرق وبلاد الأناضول في الشمال والمانيين في الجهة الشمالية الشرقية[١٨]، واخذ معبد عشتار في اربيل خصوصية بكونه مصدر

النصر في المعارك التي يخوضها الآشوريين مع العيلاميين أو بالشمال أو الأقوام التي تستوطن المناطق الشمالية الشرقية، ونظرا لهذه القدسية التي تمتعت بها مدينة اربيل ومعابدها فقد حظيت بأولوية كبيرة في توفير الحماية الضرورية لها حتى سقوط نينوى والمناطق التابعة لها عام ٦١٢ق.م [١٩].

ثانياً: تاريخ مدينة (ارابخا) كركوك:

لمدية كركوك أهمية كبيرة في تاريخ العراق القديم، فهي أهم مدن شمال العراق، وقد كان لها دور بارز في الأحداث السياسية التي مر بها العراق منذ الألف الثالث قبل الميلاد، فقد عرفت بدويلة كوتيوم أبان عصر فجر السلالات السومرية، كما كان لها دورا اقتصاديا بارزا أبان العصر الاكدي (٢٣٧١ – ٢٢٣٠ ق.م) مع مناطق متعددة من بلاد آشور وعيلام وبلاد الأناضول ويرجع ذلك لوفرة الزراعة للمحاصيل المختلفة بها، وقد بقيت تحتل هذه الأهمية إلى جانب أهميتها السياسية في العصور اللاحقة لمرور طرق الحملات العسكرية منها إلى شمال بلاد آشور وشرقها، ففي الحقبة الممتدة من عصر السيطرة الكوتية (٢٢٣٠– ٢١٢٠ ق.م) حتى نهاية العصر البابلي القديم عام ١٥٩٥ ق.م كانت تمر بأحداث سياسية مهمة جدا، فأحيانا كانت تبرز على أنها عاصمة دولة وأحيانا كانت تبرز بهيئة مدينة تابعة لدولة مترامية الأطراف أو دويلة مدينة، وأحيانا كانت تعقد تحالفات من قبل بعض القوى للتمكن من السيطرة عليها وضمها إلى حدودها، إلا أنها في عصر السيطرة الميتانية (١٥٥٠– ١٣٦٥ ق.م) برزت مع مدن شمال بلاد الرافدين وبلاد الشام بهيئة ممالك كانت تابعة للمملكة الخانيكالباتية(الميتانية) في شمال بلاد الشام، ولاهميتها فان اغلب الباحثين يرجحون أن ممالك شمال بلاد الرافدين كانت تابعة لمملكة أرّابخا(٢٠)، كما كان لها علاقات في مجال التجارة الآشورية على بلاد الأناضول لوحدها بل ثمة أدلة وان كانت قليلة على وجود تجار من آشور في منطقة كركوك (ارابخا) ربما تسبق فترة التجارة مع الأناضول[٢١]، وأرابخا تسمية أكدية Uru Arba–ha يقابلها بالسومرية $LIMMU_2$–HA وهي مؤلفة من مقطعين الأول يدل على الرقم أربعة والثاني يعني سمكة ويعني اسمها مدينة الأسماك الأربعة، وكانت مركزا مهما لمقاطعة مهمة تمتد جنوب الزاب الأسفل [٢٢]، وأكد هذه الحقائق الرقم المسمارية التي تم العثور عليها في قلعة كركوك عام ١٩٣٢ وبلغ عدد هذه الرقم (٥١) رقيما عرفت باسم رقم كركوك [٢٣] .

أما التسمية الحديثة للمدينة " كركوك "فهناك من يرى أنها تسمية اشتقت من كلمة كرخيني الذي جاء ذكره في وصف ياقوت الحموي للمدينة " قلعة حصينة على تل عال واقعة بين اربيل و داقوق " لكن لوعدنا الى النصوص التاريخية القديمة لنجد مثل هذه التسمية قد أطلقت على المدينة منذ عهود أقدم من هذا بكثير مع بعض الاختلاف في الصيغ، فقد ورد في نص مسماري لملك بابلي: " **دخلت كيرخو أرّابخا وقبلت اقدام الإله ادد واعدت تنظيم البلاد** "، كما ورد اسمها باللغة الآرامية، كرخا– د– بيت سلوخ أو كرخ سلوخ أي مدينة السلوقيين[٢٤].

ويمكننا القول إن آشور ونينوى وأربيل وأرابخا (Arrapkha كركوك) مثلت المدن الرئيسة في بلاد آشور، أما المناطق الأخرى فيمكن اعتبارها مدن ثانوية صغيرة [٢٥]، إذ احتلت مدينة كركوك أهمية جيو ـ سياسية في سياسة الدولة الآشورية لأنها أصبحت جزء من المدن الآشورية المهمة، وتكمن أهميتها التجارية لوقوعها على الطرق الموصلة بين السهل الرسوبي في الجنوب والجبال العالية في الشمال وأهمية

عسكرية لسيطرتها على المداخل والمنافذ [٢٦].

كان عهد الملك ادد نيراري الثاني(٩١١ –٨٩١ ق.م) بداية مرحلة جديدة في سياسة الدولة الآشورية الحديثة التي كانت تهدف إلى توحيد بلاد الرافدين وضم كل الأجزاء تحت سلطتها، وهذا ما قام به الملك نيراري من حملاته العسكرية على الأراضي الواقعة جنوب الزاب الأسفل من اجل تثبيت مركز الدولة، فعزز نفوذه في مدينة ارابخا (كركوك) وبعض المدن الواقعة إلى الجنوب والتي كانت مهمة للسيطرة على الإقليم الجبلي إلى ما وراء حدودها الشرقية باعتبارها مدن عسكرية مهمة [٢٧]، بدأ أدد – نيراري الثاني حملاته العسكرية بالتوجه نحو الجنوب (أي بلاد بابل) وذلك بسبب توسع الأخيرة باتجاه الشمال وذلك في عهد ملك سلالة بابل الثامنة شمش – مداميق (shamash – mudammiq) (٩٤١ – ٩٠١ ق . م) مستغلة الظروف السيئة التي تمر بها بلاد آشور، حتى إنهم سيطروا على بعض المدن الرئيسة مثل أرابخا (كركوك)[٢٨]، وهكذا أصبحت لهذه المدينة أهمية سوقية كبيرة في سياسة الدولة الآشورية، وعند اعتلاء سرجون العرش الآشوري (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م) الحكم أعلن مردوخ بلادان تمرده مستغلا ظروف هذه الظروف، إذ قاد بحركة تمرد مع أفراد قبيلته تمكن بها من استلام العرش في بابل، ثم أعلن نفسه ملكاً رسمياً للبلاد في نيسان من عام (٧٢١ ق.م) لينبذ بعد ذلك اعترافه بالسيطرة الآشورية ويرفض دفع الجزية[٢٩]، هذا ما دفع الملك سرجون الآشوري للقيام بحمله عسكرية نحو بابل سالكا طريق ارابخا (كركوك) ثم ديالى ومنها الى بابل، إذ كانت خطته ترمي الى التحرك بسرعة نحو مدينة الدير بهدف المباغته ليفوت الفرصة على الجيشين (الجيش البابلي والمتحالف العيلامي) من الانضمام بعضها الى بعض، ثم التوجه بعد ذلك نحو بابل[٣٠]، وكان من نتيجة تدخل الملك الآشوري في القضاء على المشاكل التي حصلت في بلاد بابل أن أصبحت الأخيرة خاضعة له وبموافقة البابليين الذين مارسوا التجارة في ظل السيادة الآشورية التي أمنت لهم انسيابية الطرق التجارية وتأمين الطرق التجارية، في حين استفاد الآشوريون من ثروة بلاد بابل، فضلاً عن ذلك أنهم تمكنوا من إقامة صلات تجارية مع تجار الخليج العربي الذين جلبوا البضائع من الهند وبلاد العرب عن طريق دلمون (البحرين) [٣١].

ثالثاً: الطريق البري بين اربيل وكركوك:

فرضت خصائص وطبيعة ارض بلاد الرافدين على سكانها ومنذ بداية العصور التاريخية ضرورة معرفتهم بالخصائص الجغرافية لها، وتأتي في مقدمة هذه الحاجات معرفتهم بطرق المواصلات البرية والمائية، لهذا برعوا في شق هذه الطرق لاستخدامها في النقل والتجارة والحملات العسكرية، وهو ما تطلب قيام الملوك والحكام العراقيين القدماء ومنذ أقدم العصور بإنشاء الطرق والمسالك الداخلية والخارجية ووضع مخططات ومسارات جغرافية لتحديد مسالكها والمراحل بين المدن التي تمر منها أو تقع عليها[٣٢]، إذ تورد النصوص المسمارية التي تعود إلى عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢ـ ٢٠٠٦ق.م) زمن الملك شولكي(٢٠٩٥ – ٢٠٤٨ ق.م) في أنشودة ملك الطريق متفاخرا بأنه قد ركض من عاصمته أور إلى العاصمة الدينية نيبّر (نفّر) وعاد منها إلى أور في يوم واحد ليحتفل بمهرجان القمر في المدينتين في اليوم نفسه، والمسافة هنا هي ١٥ بيرو=٣٠ساعة أو حوالي ١٦٠ كم ذهابا و ١٦٠ كم ايابا أي ٣٢٠ كم للرحلة كلها[٣٣]، كما يذكر مدى اهتمامه بالطرق في احد النصوص : "**وسعت المسالك وجعلت الطرق**

مستقيمة آمنت السفر"[٣٤].

وكان اهتمام ملوك الدولة الآشورية كبيرا في طرق المواصلات نظرا لطبيعة تكوين جغرافية الأرض في آشور، فيذكر ساكز عن أعمال الملوك الآشوريين واهتمامهم بالطرق من والى بلاد آشور " **... جعلت الطريق جيدا لمرور مركبات قطعاتي** "[٣٥]، وبعد النمو الذي شهدته المدن الآشورية الرئيسة خلال العصر الآشوري الحديث كنينوى وآشور وكلخ في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية أخذت طرق المواصلات تمثل عصب الحياة الاقتصادية والعسكرية للمملكة الآشورية على حد سواء، فسعي الملوك الآشوريين إلى توسيع رقعة المملكة لأهداف سياسية واقتصادية قد تطلب ذلك إلى إضافة وتوسيع شبكة الطرق والمواصلات التجارية المحلية باستخدام طرق جديدة في اتجاهات ومسارات جديدة ومختصرة وتأمين سلامتها واستخدامها للأغراض العسكرية والتجارية أيضا في فترات السلم والاستقرار[٣٦].

ونجد هذا الحرص واضحاً في كتابات ملوك العصر الآشوري الوسيط والحديث الذين أشادوا إلى دورهم بفتح الطرق التي توصل إلى مناطق جديدة لم يسبقهم اليها احد لوعورتها وصعوبة اجتيازها فالملك الآشوري توكلتي – ننورتا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٤ ق.م) يعلق أثناء إحدى حملاته العسكرية سورية إذ يقول: "**مع فائق قوتي فاني غالباً ما اجتزت الجبال القوية والسلاسل الصعبة والطرق التي لم يكن ملك آخر يعرفها، قطعت في جبالهم بواسطة المعاول النحاسية ووسعت طرقهم غير السالكة**".

أما الملك توكلتي – ابل – ايشر الأول (١١١٥ – ١٠٧٧ ق . م) فيقول أثناء حملته العسكرية : "**قطعت بواسطة المعاول النحاسية سلسلة جبال وعرة وممرات صعبة وجعلتها طريقاً جيداً لمرور عرباتي وجيشي**" [٣٧].

وتأتي أهمية طرق المواصلات لدى لملوك الدولة الآشورية أنهم كانوا في أثناء حملاتهم العسكرية يعملون على فتح الطرق وتأمينها من الأخطار وهو ما ذكره الملك شرو– كين في إحدى الحملات العسكرية ويصف قواته التي تقوم بعبور الجبال بقوله : " **جهزت طليعة جيشي بالمعاول النحاسية القوية فحطموا صخور الجبال العالية....وجعل ذلك الطريق جيدا** "[٣٨].

جاءت الحملات العسكرية الآشورية ضد كل من يهدد طرق التجارة أو يتسبب في قطع المواصلات بين المملكة الآشورية ومن تتاجر معه، لذا نجد أن المملكة استطاعت أن توظف اقتصادها المزدهر في سبيل تحقيق القوة العسكرية الآشورية ،وأن توظف القوة العسكرية في خدمة الاقتصاد الآشوري، وذلك عن طريق حماية الطرق التجارية والعمل على أمنها وسلامتها، لذلك اتجه الملك(ادد – نيراري الثاني ٩١١ – ٨٩١ ق . م)، الذي يعد مؤسس الدولة الآشورية الحديثة، بالعمل على إنهاء الضغط الإقتصادي والسياسي الذي فرض عليها في نهاية العصر الآشوري الوسيط وبداية العصر الآشوري الحديث، وإبعاد أعداء المملكة الآشورية عبر تجهيزه الحملات العسكرية المتتالية نحو جهات مختلفة، محاولةً منه لإخراج آشور من الموقف الصعب الذي وضعها به أعداء المملكة، والسيطرة على الطرق التجارية التي تعد الشريان الرئيس لإقتصاد المملكة الآشورية، فكانت أولى حملاته العسكرية تجاه الأراضي الواقع جنوب الزاب، إذ استطاع في هذه الحملة من أن يضم مدينة اربخا (كركوك الحالية)،

وامتد توسعه حتى شمل بعض المدن الواقعة إلى الجنوب من اربخا وضمها إلى حدود المملكة الآشورية[٣٩]، وهو بهذا امن الطريق الواصلة إلى كركوك من المدن الأشورية وهو طريق حيوي حتى انه عرف بالطريق الملكي .

ويعد هذا الطريق ضمن الطريق الملكي الآشوري الذي يمتد من نينوى حتى اربخا ويتفرع منها طرق نحو الشرق والجنوب جنوب اربخا، وتتوزع على جانبي الطريق مراكز الادلاء لتأمينه، وخصوصا أثناء سير الحملات العسكرية والملكية والتجارية فيه، وكان الإدلاء والعيون على اتصال دائم بقادة الجيش لتلقي الأوامر وتنفيذها دون تأخير، ومهمتهم جمع المعلومات من حكام المقاطعات الحدودية والحلفاء والتجار والمراسلين والدبلوماسيين ومن المارة وغيرهم، لذلك كانوا ينتقلون من منطقة لأخرى ويتوزعون على الطرق والمرتفعات والمسالك والممرات الجبلية، وذلك للعمل كأدلاء أثناء مرافقة الجيوش الآشورية، فضلاً عن قيامهم بحراسة الطرق والمنافذ لتأمين المنطقة للجيوش الآشورية[٤٠] .

يبدأ مسار الطريق ملكي الذي ينطلق من مدينة نينوى ثم إلى مقاطعة خَلز Halzu ومدينة امكَر – اِلل Imgur – Illil (بلورات) والى مقاطعة كِلِز Kilizi (قصر شمامك) ومدينة بَقَرُّ Baqarru (تبة يعقوب) وأخيرا مقاطعة اربخا Arrapha (عرفة، كركوك) وينقسم الطريق الملكي هناك إلى قسمين احدهما طريق ملكي يأخذ اتجاه الشرق في امتداده نحو بلاد إيران أما الآخر فيصبح طريقا عاماً يستمر في سيره نحو الجنوب ماراً بعدد من المدن هي لبد Lubda (مدينة داقوق) ومقاطعة لَخير Lahiru (اسكي كفري) وزَبّن Zabban (أم عقربة) ومبترن Meturna (تل حداد) وتل – ش – ابتان Til – sa Abtani – (تل سليمة) و دور – بَبسُك Dur – Papsukka (مندلي) وديرُ Deru (تل العقر، بدرة) ومَدَكت Madaktu (تبة بتك) وينتهي عند مدينة شوشن Susan (سوسة) [٤١] .

لأهمية هذا الطريق لدى ملوك الدولة الآشورية، يبدوا انه استمر طيلة فترة حكم الدولة الآشورية وحتى سقوط نينوى عام ٦١٢ق.م وعند تتبع هذا الطريق في الوقت الحاضر من مدينة اربيل (قلعة اربيل) في الجزء الشمالي من العراق وهي عاصمة إقليم كردستان العراق حاليا، وتقع قلعة اربيل في منتصف أو مركز مدينة اربيل الحالية إذ توزيع الأحياء السكنية بشكل دائري حول القلعة لعشرات الكيلومترات، واذا بدأنا بالمسير باتجاه الجنوب من قلعة اربيل وعلى الطريق البري حاليا فإننا سوف نصل إلى (تل قالينج اغا) على بعد (١,٥ كم) في جهة يسار الطريق من طرف القلعة، مع استمرار المسير باتجاه الجنوب ومع انحراف قليل من الشارع الرئيسي باتجاه الغرب وعلى المحور الدائري أو الشارع الحالي (١٠٠ متر) سوف نجد (تل كلك مشك) على مسافة مستقيمة من القلعة بمقدار (٤,٥كم)، بالاستمرار على نفس الطريق الحالي فإننا سوف نغادر مدينة اربيل لنصل إلى ناحية قوش تبه حيث تل قوش تبه على بعد (٢٠,٥كم) من قلعة اربيل .

استمراراً ضمن الحدود الإدارية لناحية قوش تبه ومع انحراف قليل نحو الغرب فإننا سوف نجد (تل غير معلوم) وذلك على بعد (٢٥كم) من قلعة اربيل . عند العودة إلى اتجاه الجنوب وعلى نفس الطريق الحالي فإننا سوف نجد على يمين الشارع وأيضا ضمن الحدود الإدارية لناحية قوش تبه (تل غير معلوم) وذلك على بعد (٣٠كم) من قلعة اربيل، مع استمرار المسير على نفس الطريق أو الشارع الحالي

فإننا سوف نغادر الحدود الإدارية لمحافظة اربيل وإقليم كردستان لندخل إلى الحدود الإدارية لمحافظة كركوك وليكون على جهتي الطريق الحالي ناحية التون كوبري وعلى بعد (٤٩,٥كم) من قلعة اربيل ضمن خط مستقيم. مع الاستمرار مرة أخرى في نفس الطريق وضمن الحدود الإدارية لناحية اربيل وعلى يسار الطريق سوف نرى (تل غير معلوم) وذلك على بعد (٥٥كم) من قلعة اربيل، نستمر المسير جنوبًا لنصل إلى (تل كوك تبه) وأيضا على يسار الشارع وعلى بعد (٥٨كم) من قلعة اربيل، ليكون بعد ذلك (تل يارمجه) وأيضا على يسار الطريق الحالي وعلى بعد (٦١,٥كم) من قلعة اربيل، لنواجه (تل غير معلوم) وأيضا على يسار الطريق الحالي وعلى بعد(٦٤ كم) من قلعة اربيل، بالانحراف قليلاً نحو الغرب من الطريق الحالي سوف نجد موقع (بابا گرگر) أو النار الأزلية وذلك على بعد (٨٠ كم) من قلعة اربيل، وبالرجوع إلى نفس المسار وأيضا باتجاه الجنوب من قلعة اربيل سنجد على يسار الشارع (تل تعليم تبه) وذلك على بعد (٨٦كم) من قلعة اربيل، لننحرف باتجاه الشرق هذه المرة ولنكون وجها لوجه مع قلعة كركوك وعلى بعد (٨٧كم) من قلعة اربيل، هذه التلال التي تتوزع على هذا الطريق تأكد لنا استمرار استخدامه طيلة هذه المرحلة التاريخية ولحد الآن، اثبت ذلك التلال الأثرية التي توزعت عليه، والتي أعطت هذه الدراسة مواقعها بدقة عن طريق تقنية التحسس النائي إذ إن البعض من هذه المواقع لم يشملها التنقيب لحد الآن .

الاستنتاجات:

١. ساعدت طوبغرافية الأرض الواقعة بين اربيل وكركوك أن يكون الطريق البري بينهما جيدا وصولا إلى المناطق الجنوبية .
٢. نظرا لحدوث للاضطرابات التي هددت المصالح الآشورية في المناطق التي أصبحت تابعة لآشور وكانت من اتجاهي الشرق والجنوب الشرقي أن تقوم الدولة الآشورية بشق الطرق والمحافظة على سلامتها .
٣. لجعل الطرق البرية آمنة لمستخدميها من التجار الآشوريين وغيرهم ، وآمنة للحملات العسكرية، وزعت الدولة الآشورية نقاط مراقبة على طول الطريق لحمايته .
٤. أثبتت الدراسة أصالة الطريق البري الرابط بين اربيل وكركوك على الرغم من مرور الفترة الزمنية الطويلة لأنه يقع بأفضل مكان بري يربط بين المدن في الشمال والجنوب من بلاد الرافدين .
٥. وضحت الدراسة بدقة بعض التلول الأثرية التي لم يشملها التنقيب لحد الآن، ومن المؤكد أنها سوف تعطي معلومات مهمة عن تاريخ الدولة الآشورية في العراق القديم .
٦. رجحت الدراسة أن تكون بعض هذه التلول الأثرية المشار إليه عبارة عن نقاط مراقبة لتامين الطريق البري (الذي هو جزء من الطريق الملكي الآشوري) .

الملاحق.

جدول يمثل المواقع الأثرية الممتدة من اربيل إلى كركوك المشار إليها بالبحث حسب التسلسل

التسلسل	الاسم	التشريق	التشميل	الارتفاع (متر)معدل	المحيط (متر)	المساحة (متر مربع)	المسافة (كيلومتر) الى الجنوب	اثر نهر
١	قلعة اربيل	٤٤,٣٣,٤٥	٣٦,١١,٢٨	٢٧	دائرية ١٢٠٠	١١٠٠٠٠	صفر	شمال الوادي
٢	قالينج اغا	٤٤,٠٠,٥٢	٣٣٦,١٠,٣٦	٩	مربع ٧٠٠	٣٠٠٠٠	١,٥	مندثر
٣	كلك مشك	٤٣,٥٨,٣٨	٣٦,٠٩,٢٧	١٣	١١٠٠ مربع	٨٠٠٠٠	٤,٥	شمال الوادي
٤	قوش تبه	٤٤,٠٢,٠٠	٣٦,٠٠,٢٥	١٥	٨٨٠ مربع	٤٥٠٠٠	٢٠,٥	جنوب الوادي
٥	غيرمعلوم	٤٤,٠٢,٤١	٣٥,٥٨,٠٩	١١	٤٤٠ دائرية	١٣٤٠٠	٢٥	جنوب الوادي
٦	غير معلوم	٤٤,٠٣,٤١	٣٥,٥٥,٣٦	٦	٤٨٠ دائرية	١٦٠٠٠	٣٠	غرب الوادي
٧	ناحية التون كوبري	٤٤,٠٨,٠٣	٣٥,٤٥,٢٨				٤٩,٥	على نهر الزاب
٨	غير معلوم	٤٤,١٢,٢١	٣٥,٤٣,٢٦	٧	٢٩٠ دائرية	٦٥٠٠	٥٥	شمال الوادي
٩	كوك تبة	٤٤,١٤,١١	٣٥,٤١,٥٩	٣٠	١٣٥٠ دائرية	٥٣٠٠٠	٥٨	مندثر
١٠	يارمجه	٤٤,١٥,٢٦	٣٥,٤٠,٣٤	٦	٥١٠ دائرية	٢٧٠٠٠	٦١,٥	شمال الوادي
١١	غير معلوم	٤٤,١٧,١١	٣٥,٣٩,١٨	٨	٦٢٠ مفلطحة	٢٧٠٠٠	٦٤	شرق الوادي
١٢	بابا كركر	٤٤,٢١,٠١	٣٥,٣١,٣٥				٨٠	
١٣	تعليم تبه	٤٤,٢٢,٣٧	٣٥,٢٨,٣٧	٨	٣١٥ مفلطحة	٧٥٠٠	٨٦	مندثر
١٤	قلعة كركوك	٤٤,٢٣,٢٥	٣٥,٢٨,١٢	٢٥	١٥٠٠ دائري	١٨٠٠٠٠	٨٧	شرق نهر الخاصة

الملاحظات

١-القياسات المترية تقريبية بسبب استخدام الصور الفضائية

٢-الإحداثيات تمثل منتصف الموقع

٣-المسافات الأفقية هي خطوط مستقيمة بين المواقع

٤- الوادي المندثر هو غير ملاحظ بسبب وجود التجمعات السكانية الحديثة.

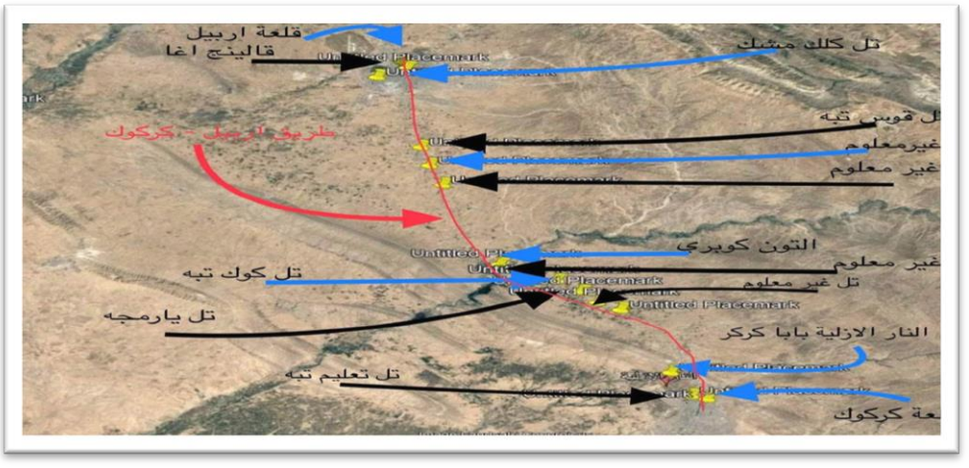

صورة من الأقمار الصناعية عبر تقنية التحسس النائي تمثل الطريق البري بين اربيل وكركوك تتوزع عليه التلال الأثرية المشار إليها بالبحث .

صورة من كامرة الباحث ... تل يارمجه

تل غير معلوم (رقم ٦ بالبحث) ... صورة من قبل الباحث

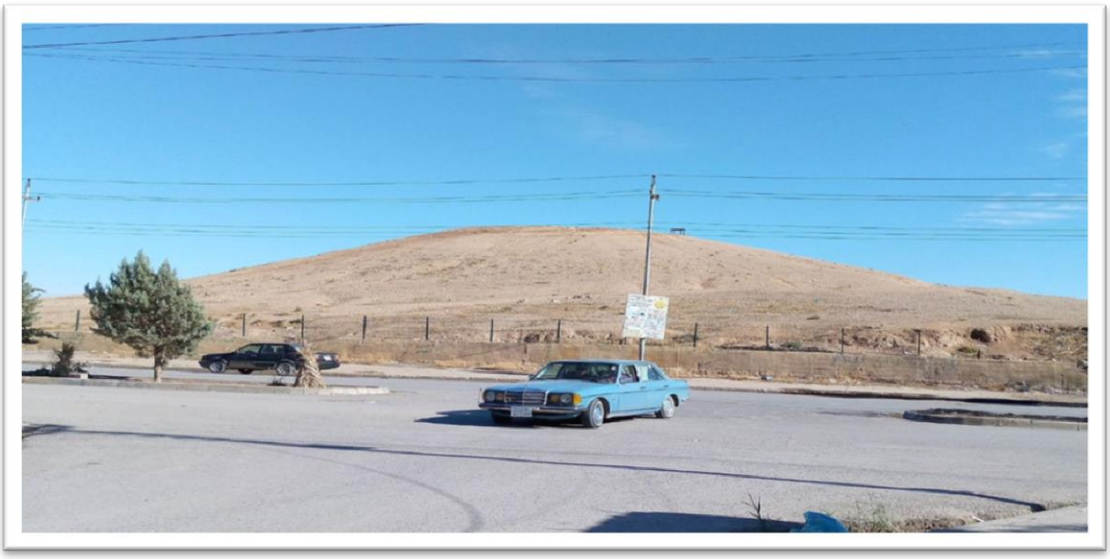

تل غير معلوم (رقم ٨ بالبحث) ...صورة من قبل الباحث .

تل كلك مشك ... صورة من قبل الباحث .

تل كوك تبه .... كامرة الباحث .

تل تعليم تبه .... كامرة الباحث

صور عن طريق الأقمار الصناعية للمواقع الأثرية الوارد ذكرها بالبحث ..بتقنية التحسس النائي من عمل الدكتور طورهان المفتي.

تسلسل٥- غير معلوم
Maps

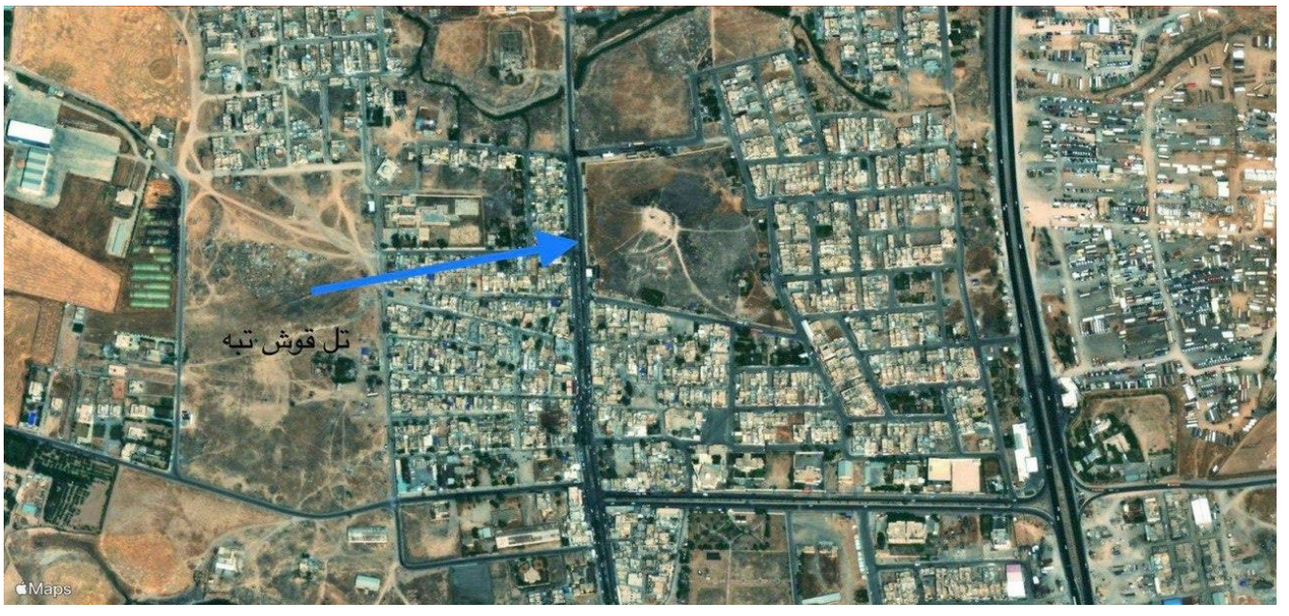
تل قوش تبه
Maps

تل يارمجه

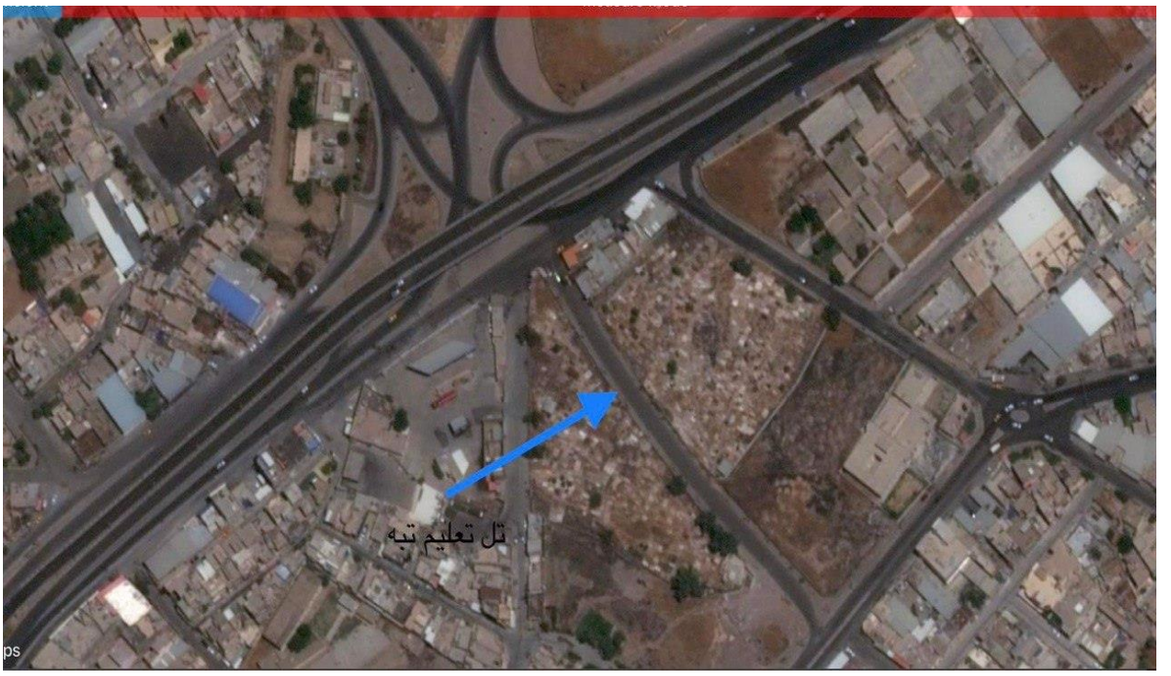

الهوامش

(١) الآشوريون : هم أقوام هاجروا من الجزيرة العربية ما بين الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد استوطنوا بادية بلاد الشام والعراق وما بين النهرين، ويشير رأي آخر إلى إن الآشوريين لربما هاجروا من الجنوب مع الاكديين واستقروا بالمنطقة التي عرفت ببلاد آشور ويرجح إن تسميتهم جاءت من إلههم القومي " آشور " .. للمزيد ينظر : حبيب، طالب منعم، سنحاريب، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٥ .

- Borger, R ., **Assyrisch – Babylonischen Zeiehn Liste**, Berlin 1988, p. 55 .

(٢) سليمان، عامر، واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل، ١٩٧٨)، ١٨٩.

(٣) إبراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج٢، ص١٣٥ ٠.

(٤) ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة : عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩)، ص ١٥.

(٥) محمد، نبيل نور الدين حسين، الحملات العسكرية الآشورية : دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ٢٠٠٦، ص ص ١٧ – ١٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٧) السلماني، جمال ندا صالح، العلاقات السياسية لبلاد الرافدين مع بلاد عيلام في العصر الآشوري الحديث ٩١١ – ٦١٢ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٣، ص ص ٨٠ -٨٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ص ٨٣-٨٤ .

(٩) محمد، نبيل نور الدين حسين، الحملات العسكرية الآشورية، ص ص ٨٣-١٤٦ .

(١٠)برستد، هنري، انتصار الحضارة، ص ٢١٩ .

(١١) الشمري، مهند خلف جمين، " مدينة اربيل في ضوء الوثائق الاقتصادية الآشورية الحديثة "، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد: ٨٠، ٢٠٢١، ص ٧٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(١٣) الأحمد، سامي سعيد، " الإدارة ونظام الحكم "، موسوعة حضارة العراق، (بغداد، ١٩٨٦)، ج٢، ص ١٣.

(١٤) الشمري، ص ٧٤.

(١٥)غزالة هديب حياوي، دور حضارة العراق القديم في بلاد الشام، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، ٢٠٠٢، كلية الآداب، جامعة القادسية، ص١٦ ..

(١٦) الشمري، ص ٧٨.

(١٧) إبراهيم، ابتهال عادل، أربيل ومكانتها في العصر الآشوري الحديث " ٩١١ – ٦١٢ ق.م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد /٢، العدد : ٦، ٢٠١٠، ص ٣٥.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٢١.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٢٠) للمزيد ينظر: إبراهيم، ابتهال عادل، وعبير عدنان النجار، الأوضاع والسياسية الإدارية لمدينة أرّابخا Arrapha في العصر الأشوري الحديث٩١٢-٦١٢ق.م، مجلة منبر التراث الأثري، جزء:٧، ص ٣١-٣٦.

(٢١) ساكز، قوة آشور، ص ٥٣.

(٢٢) للمزيد ينظر: النجار، عبير عدنان يوسف، أرابخا (كركوك) دراسة سياسية حضارية ٣٥٠٠ـــــ ٥٣٩ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١١، ص ٩.

(٢٣) محمود، ليث شاكر، هناء وليد حميد، قلعة كركوك، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب "دراسات في آثار الوطن العربي"، مجلد: ٥٥، جزء: ١٩، ٢٠١٦،ص ١٥٥.

(٢٤) إبراهيم، وعبير عدنان النجار، ص ٣٦.

(٢٥) ساكز، قوة آشور، ص ١٥.

(٢٦) الخلف، جاسم محمد، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦١، ص ٦٩.

(٢٧)احمد، سهيلة مجيد، " كركوك في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) " ، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية، العدد: ١١، ٢٠١٩، ص١٧٨.

(٢٨) المهنا، رشا ثامر مزهر، التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١ – ٧٤٥ ق . م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بابل، ٢٠٠٥، ص ١٧٩.

(٢٩) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، فرنسا، ١٩٧٩، ص ١٤٣ .

(٣٠) William . W . Hallo and William kelly simpson, The Ancient Near East Ahistory, (chicago, 1971), P.139 .

(٣١) المهنا، التطورات السياسية للدولة، ص ١١٥ .

(٣٢) الجميلي، عامر عبد الله نجم، المعارِفُ الجُغرافيّة عِندَ العِراقيّينَ القدماءِ، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٦، ص ١٤٠.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٣٤) الركابي، ميثم صالح سلمان، نظام البريد في الشرق الأدنى القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٩، ص ١٠٨ .

(٣٥) ساكز، قوة آشور، ص ٢٨٠.

(٣٦) جاسم، صفوان سامي سعيد، التجارةُ في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٦، ص ٢٤٨.

(٣٧) جاسم، التجارةُ في بلاد آشور، ص ٢٤٩.

(٣٨) Farhan, W. M. S. Communications in the New-Assyrian Empire.london-1991.p.131.

(٣٩) للمزيد ينظر: سليمان، العراق في التاريخ القديم، الموصل،١٩٩٣، ج٢، ص٢٢٨ .

(٤٠) إسماعيل، بهيجة خليل، "الجيش والسلاح في العصر الآشوري"، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الأول، ط١، ١٩٩١، ص ٢٨٧ .

(٤١)جاسم، التجارةُ في بلاد آشور، ص ٢٦١.

نشأة المباني المقنطرة وتطورها في العراق (الموصل انموذجاً)

The emergence and development of arched buildings in Iraq

(Mosul as a model)

م. رنا وعد الله مهدي

جامعة الموصل/كلية الاثار

Abstract .

The buildings of Mosul were characterized by the frequent use of arches, as these arches dealt with many structural and social problems, as the people of Mosul benefited from them to expand their house by building arches of marble over the alleys, where one of them may have a small house beside the road and another opposite it on the other side of it, so they erect a vault over the road and expand the Their house, so the arches helped in expanding the house between the two opposite houses, as well as the ease of communication between them, in addition to taking it as a refuge for horses and animals that were the means of transportation previously.

الملخص

امتازت مباني الموصل بكثرة استخدام القناطر حيث عالجت هذه القناطر العديد من المشكلات البنائية والاجتماعي حيث استفاد اهل الموصل منها لتوسعة دارهم عن طريق بناء عقودا من الرخام فوق الازقة حيث قد يكون لاحدهم بيتاً صغير بجانب الطريق واخر يقابلها في الجانب الثاني منه فيقومون قنطرة فوق الطريق ويوسعون من دارهم فساعدت القناطر في توسعة الدار بين البيتين المتقابلين وكذلك سهولة الاتصال بينهما فضلاً عن اتخاذها كملجأ للخيول والحيوانات التي كانت واسطة النقل سابقاً.

كلمات مفتاحية: (الموصل، قناطر، معابر، بيوت موصلية، أقبية)

نشأة القناطر

قبل التطرق إلى قناطر الموصل في العصر العثماني لابد من التعريف بمصطلحها العماري واللغوي، وبداية نشأتها وتطورها في العراق ولاسيما خلال العصور الاسلامية ومدى علاقتها بالعناصر المعمارية المماثلة التي تمثل الوحدة التعبيرية والتواصل الحضاري في العمارة الاسلامية فضلا عن الخصوصية خلال العصور المختلفة.

فالقناطر تعد نوعاً من الأقبية التي تتميز باستطالة الفضاءات القائمة عليها وتقسم الى عدة مناطق أحياناً لأسباب إنشائية، علاوة على كونها مفتوحة من الجانبين أحدهما يمثل المدخل والآخر المخرج ومغطاة بسقوف مقنطرة معقودة بعقود نصف دائرية عادة، وبهذا شملت قناطر الازقة والطرق والجسور والمداخل والدهاليز والأقبية المقنطرة، بيد أن معظم الباحثين قد اقتصرت تسمية القناطر لديهم على قناطر الازقة(١) والجسور(٢) والخنادق(٣) والمداخل(٤). وما عدا ذلك أطلقوا عليها تسمية الدهاليز(٥) أو الأقبية أحياناً(٦)، فالقنطرة لغةً هي الجسر وما ارتفع من البنيان(٧) وأيضاً هي ما يتخذ من الآجر والحجر في موضع ولا يرتفع كثيراً(٨) وكذلك تعني القنطرة الجسر أو ما يبنى منه على الماء للعبور وما ارتفع من البنيان(٩).

ولما كانت القناطر نوعاً من الأقبية، فما علينا إلا التعريف اللغوي بالقبو وتتبع نشأته وتطوره لأن ذلك ينجر على القناطر وأنّ كانت لها بعض الخصوصيات العمارية. فالقبو يعني في اللغة العربية تقويس الشيء واجتماع أطرافه وانضمامه عند الارتفاع(١٠). ويدل القبو أحياناً على البيت المعقود سقفه بالحجارة غير المستقيمة(١١) ويسمى أيضاً الأزج(١٢)، كما يرى البعض أنّه يعني الطاق المعقود بعضه فوق البعض(١٣)، ويرى آخرون أنّ القبو ما هو الا بناء استعمل للتسقيف أو لتغطية الدهاليز والطرقات الطويلة، أو بمعنى آخر عقود مستمرة مربوطة ببعضها برباطات بالمباني المحيطة بها(١٤)، وقد تتقابل أو تتقاطع الأبنية لتغطية دهليزين متقاطعين أو متقابلين(١٥). وتشير الدلائل الأثرية إلى أن الأصول العمارية لبناء القبو تكمن في طريقة بناء بيوت القصب في جنوب العراق حيث تعمل حزم مناسبة الحجم من القصب تثبت على جانبي البيت بمسافات معينة ثم تقوّس رؤوس كل حزمتين متقابلتين من الاعلى نحو الداخل وتربط مع بعضها مكونة عقداً مقوساً ثم تمد رباطات فوق العقود وتغطى بعدة طبقات من الحصران، وذلك للوقاية من الشمس والمطر(صورة (١))(١٦)، بيد أن الدلائل المادية لتلك الابنية قد فقدت بسبب سرعة تلف القصب والحصران المشيدة منها.

ومن الجدير بالذكر أنّ استخدام هذا النوع من البناء لا يزال في القسم الجنوبي من العراق. وقد غطيت بعض هذه الأبنية بطبقة خفيفة من الطين وهي تمثل مرحلة انتقالية مهمة أدت إلى تطور التسقيف على هيئة القبو(١٧). أما الأدلة الأثرية للتسقيف بالقبو من العصور القديمة في العراق فقد وجدت في موقع تبه كورة الواقع شمال شرق مدينة الموصل بما يقارب من (٢٠كم) ويعود إلى عصر العبيد بحدود الألف الخامس ق.م(١٨) وحتى منتصف الألف الثاني ق.م(١٩) كما وجدت في المقبرة الملكية في أور التي تعود الى العصر السومري في منتصف الألف الثالث ق.م(٢٠). وكذلك في تل الرماح الواقع جنوب مدينة تلعفر بما يقارب من ١٣كم ويرجع إلى بداية العصر البابلي القديم بحدود ٢٠٠٠ ق.م، وكانت الأقبية ومباني تلك المواقع مبنية باللبن(٢١). وهذا ينفي إدعاء بعض الباحثين الغربيين نسبة ابتكار عنصر القبو الى الرومان وكونهم أول من استخدموه في عمائرهم. في حين تشير الدلائل العمارية إلى أن الرومان قد اقتبسوا هذا العنصر واستخدموه بشكل واسع في عمائرهم في وقت لاحق(٢٢).

مميزات قناطر الموصل

١. الموقع:

تتميز أحياء الموصل ومحلاتها باحتوائها على طرق غير منتظمة فضلاً عن ضيقها وتعرجها كما يتم إيصال تلك الأحياء مع شبكة الشوارع الرئيسة للمدينة بواسطة الدروب التي تصب فيها شبكة أصغر يطلق عليها اسم (الزقاق) وهو ما قد يكون نافذاً او غير نافذٍ (٢٣) وتتخلله القناطر عادةً ومن امثلة الزقاق غير النافذ الزقاق الذي تقع فيه قنطرة الجامع النوري الأولى حيث ان هذه القنطرة تنتهي عند مخرجها بزقاق غير نافذ (الخارطة (١)) فضلاً عن إن البعض من تلك الأزقة التي تقع عليها القناطر تكون الحركة فيها أشبه بحلقة قد تنتهي في بعض الأحيان بأزقة غير نافذة كما في الازقة التي تقع عليها قناطر الإمام عون الدين الثلاث، وهناك أزقة حلقية ثانوية تتجه نحو الشوارع الرئيسة أو الشوارع التجارية التي تتميز بالأستقامة والاتساع(٢٤) كما في الشارع الذي توجد فية قنطرة الجومرد، وفي بعض الأحيان

قد تتقاطع الأزقة فيما بينها وينتهي هذا التقاطع ببناء قنطرة كما في قنطرة الديوه جي التي تقع عند تقاطع ثلاثة طرق ولم يبق منها سوى جزءاً صغيراً.

هذا التعرج في الازقة له أهميته أيضاً في تلطيف درجات الحرارة صيفاً وشتاءً مما يؤدي إلى حماية المارة من أشعة الشمس خلال النهار في الصيف، بسبب هذا التضليل للممرات نتيجة ضيقها ومابها من انحناءات كثيرة(٢٥)، فضلاً عن وجود القناطر على الأزقة مما حقق العديد من الفوائد منها مناخية وإنشائية واجتماعية ودفاعية.

تكمن الفائدة المناخية في تضليل الزقاق مما يؤدي الى خلق مناطق تخلخل في الضغط فتسهم حركة الهواء في تلطيف الجو(٢٦) وكذلك تعمل القناطر على تقسيم الرياح المارة في الأزقة الى قسمين أحدهما يتخذ من فضاء القنطرة ممراً لرياح معتدلة السرعة والقسم الآخر يصعد إلى ما فوق القنطرة ليهبط خلفها بشكل دوامة هوائية ذات ضغط مخلخل تعمل على خلط الهواء العلوي بالسفلي مما يخلق مناخات جزئية أو تفصيلية متعددة على طول الأزقة الحاوية لها القناطر.

تتمثل الفائدة الإنشائية بأنها تساعد على تماسك جدران الدور التي تستند عليها(٢٧)، فضلاً عن توحيد قطعتين متجاورتين فلا يكون من سبيل لتوحيد الدارين اللذان يتوسطهما الزقاق سوى الاستعانة ببناء قنطرة لتكون ممراً خفياً بين العائلتين(٢٨)، كما أنها وسيلة لتوسيع الدار ببناء غرفة فوقها مما يساعد على انتقال أهل البيت بحرية تامة بعيداً عن أنظار المارة(٢٩) ووسيلة لحماية المارة من تحتها من حر الصيف وأمطار الشتاء(٣٠) وكذلك ملجأ للخيول والحيوانات التي كانت واسطة التنقل داخل البلد كما يستريح بها من يمر من السابلة حيث كانوا يتخذون دكات على جانبها ويجلس عليها من أتعبه المشي(٣١) وقد وجدنا أُنموذجاً لهذه الدكات في قنطرة الإمام عون الدين الأولى التي تمت دراستها.

وأما الفائدة الاجتماعية للقناطر فتتجلى بقضاء كبار السن معظم نهارهم في القناطر وهم يروحون عن أنفسهم بمشاهدة المارة، وبعضهم يزاول عمله في الغزل والنسيج(٣٢)، وأما الناحية الدفاعية فكانت تستخدم كنقطة مراقبة ودفاع أيام الأزمات التي كانت تقع بين الجند العثمانيين والسكان حيث كان في بعض الأحيان يجلس حارس في الغرفة التي فوق القنطرة ليراقب الطريق، وقد تسد القناطر بمتراس أثناء الليل لغرض دفاعي(٣٣).

ومن الجدير بالذكر أن هذا التعرج بالطرق لم يكن في المدن التي أسست في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي ولاسيما في الأمصار كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان حيث كانت ذات تخطيط أوصى به الخليفة عمر بن الخطاب حيث كانت الشوارع التي تفصل خطط المدينة متوازية(٣٤) وكان عرض الشوارع الرئيسة منها (٤٠ ذراعاً) والمتوسطة (٢٠ ذراعاً) والأزقة (٧ أذرع)(٣٥).

ويعزى وجود الأزقة الملتوية في العهود الإسلامية اللاحقة إلى انعدام سيطرة البلدية مما أدى إلى التفاوت في مساحة الدور التراثية، فضلاً عن تلاعب المتنفذين بأوضاع عقاراتهم في مناطق سكناهم، والترابط الاجتماعي بين سكان المنطقة مما يحول دون ترك السكان الفائضين لمحلاتهم بل محاولة سكان المحلة استيعابهم عن طريق بيعهم جزءاً من عقاراتهم من ما يخلق ذلك الشكل غير المنتظم للأزقة والطرقات(٣٦).

وإذا نظرنا إلى توزيع هذه القناطر في الخارطة نلاحظ وجودها في محلات دون أخرى، فمثلاً نلاحظ وجود هذه القناطر بكثرة في بعض المحلات كمحلة شهر سوق والإمام عون الدين والكوازين في حين انعدامها في مناطق أخرى كمحلة المشاهدة والمكاوي أو وجود قنطرة واحدة فقط فيها كما في محلة خزرج ربما كان السبب في ذلك كون سكان تلك المناطق من طبقة الأغنياء أو الحكام كما في آل الجليلي وآل توحله وآل زيادة وآل الديوه جي، وبما أن هذه القناطر تحتاج الى تكاليف وجهد في العمل والبناء لا يستطيع عليها أصحاب الدخل المحدود، فضلاً عن فتح هذه القناطر في هذه البيوت تدل على كون هذا البيت يتميز بالفخامة والاتساع، وربما استحدثت بعض هذه القناطر من قبل أصحاب البيوت الواقعة على جانبيها بإيعاز من السلطات في حينها، وربما كان هناك قناطر في المحلات التي تخلو منها كالمكاوي والمشاهدة إلا أنها تهدمت بعد ذلك، ويعد هذا التفسير الأنسب لما ذكره بعض المؤرخين عن أعداد هذه القناطر حيث ذكر العمري الذي توفي في سنة (١٢٣٢هـ) في كتابة منية الأدباء أن الموصل في القرن (٧ هـ) تحتوي على (١٦٠٠) قنطرة (٣٧)، وفي كتابة الآخر ذكر أن عدد هذه القناطر بلغ (١٠٦٠) قنطرة(٣٨)، وذلك لكون هذه الأعداد للقناطر كبيرة جداً لمدينة كالموصل.

٢. الشكل العام ونظام البناء:

تتخذ قناطر الموصل عادة شكل الأقبية التي تستند على عقود نصف دائرية أو مدببة لأسباب إنشائية. وفي حالة كون العقود نصف دائرية تكون القناطر على هيئة القبو نصف الاسطواني. أما إذا كانت العقود الحاملة مدببة فالقناطر حينئذٍ ذات قبو مدبب.

فالقناطر الطويلة ذات القبو النصف الاسطواني تستند بعض عقودها على أعمدة مندمجة ذات تيجان مستطيلة تتكون من قطعتين لتساعد على ارتفاع القنطرة وتحمل ثقلها، كما هي الحال في قنطرة الجومرد وتوحلة ومدخل بيت زيادة ومدخل المدرسة العراقية والشيخ أبو العلا (المناظر (١، ٢، ٣ أ، ٣ب، ٥، ٦))، أما القناطر القصيرة فتقتصر على عقدين نصف دائريين أحدهما يؤطر مدخلها والآخر يؤطر المخرج كما في قنطرة الكوازين والطاهرة الثانية وقنطرة خزرج وقناطر حوش الخان (المخططات (٩-١٣)). وان استخدام هذا النوع من الأقبية والعقود في هذه القناطر يعود الى كون الضغط فيها عاملاً في المركز وقائماً على الأوجة حيث يعمل ذلك على إعطاء قدرة كبيرة على تحمل الثقل ومرونة عالية في تغطية مساحات كبيرة كما يساعد استخدام الأعمدة المندمجة فيها على تحمل جزء من الضغط والثقل المسلط على الرغم مما يشكل استخدامها جهداً فضلاً عن التكلفة في الوقت ومواد البناء(٣٩).

أما النوع الثاني من القناطر الطويلة ذات الأقبية والعقود المدببة التي تتخللها والحاملة لها فتتمثل في قنطرة التوتنجي وقنطرتي زياد الجليلي وقنطرة كنيسة الطاهرة القديمة الأولى (المناظر (٨-١١)). في حين اكتفت القناطر القصيرة من هذا النوع باستخدام عقدين مدببين فقط أحدهما يمثل المدخل والآخر المخرج كما في قناطر محلة الإمام عون الدين وقنطرة جامع النوري الثانية وقنطرة الميدان (المخططات (١٨-٢٢))، وان استخدام هذا النوع من العقود والأقبية يساعد على تحمل الضغط والثقل الناتج عن البناء الذي فوق القناطر وتوزيعها على اكتاف العقود ومراكزها بصورة متساوية فضلاً عن كون هذه العقود تتميز بسعتها مما يساعد في إدخال كمية كافية من الإضاءة والتهوية للقناطر(٤٠).

إن استخدام بعض القناطر لهذا العدد الكبير من العقود الذي قد يصل الى ستة عقود كما في قنطرة المدرسة العراقية (المخطط (٥)) والبعض خمسة عقود كما في قنطرة التوتنجي (المخطط (١٤))، وبعضها أربعة عقود كما في قنطرة بيت زيادة والرضواني والجامع النوري(الأولى) وزياد الجليلي (الأولى) (المخططات (٣، ٤، ٧، ١٥)) والبعض الآخر ثلاثة عقود كما في قنطرة الكنيسة الطاهرة القديمة الأولى والشيخ أبو العلا والجومرد وزياد الجليلي الثانية وبيت توحلة وقنطرة بيت زيادة (المخططات (١٧، ٦، ١، ١٦، ٢، ٣) وذلك لكونها تحمل فوقها أبنية ثقيلة إذ يوجد فوق بعضها ايوان كما في قنطرتي زياد الجليلي وقنطرة بيت زيادة والبعض الآخر يحمل عدة غرف وممر يربط بين بيتين كما في قنطرة الجامع النوري وقناطر أخرى تحمل عدداً من الغرف قد يصل إلى ثلاث غرف كما في قنطرة الكنيسة الطاهرة الأولى والجومرد والمدرسة العراقية وقناطر اخرى تحمل غرفاً كبيرة كما في قنطرة الشيخ أبو العلا والتوتنجي.

أما القناطر القصيرة التي اكتفت بعقدين فقط وذلك لكون مقطعها الأرضي صغيراً قد يصل إلى ما يقارب من (٦م) وتحمل فوقها غرفة واحدة أو ممراً يربط بين بيتين.

كما إن هناك قناطر يكون مقطعها منكسراً وذلك لكونها تقع في نقطة التقاء فرعين أو ثلاثة مما يضطر البّناء إلى جعلها منكسرة كما في قنطرة بيت زيادة وقنطرة الجامع النوري الأولى وزياد الجليلي الثانية (المخططات (٣، ٧، ١٦)) وقنطرة الديوه جي قبل هدم أجزاء كبيرة منها حيث إنها تقع عند تقاطع ثلاثة طرق، وكان شكلها يشبة الحرف T اللاتيني.

الخاتمة :

تعد القناطر معلماً تاريخيا واثارياً مهماً من معالم الموصل التي امتاز تخطيطها بأيجاد حلول للمشاكل التي قد تواجه المدينة كالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية فالقناطر اوجدت حلاً انشائياً لصغر مساحة البيوت وسهلت من الناحية الاجتماعية الاتصال بين بيتين متقابلين دون الخروج خارج البيت وكذلك مكانا لجلوس المارة المتعبين بين احياء الموصل حيث تقيهم من الحر الشمس والامطار .

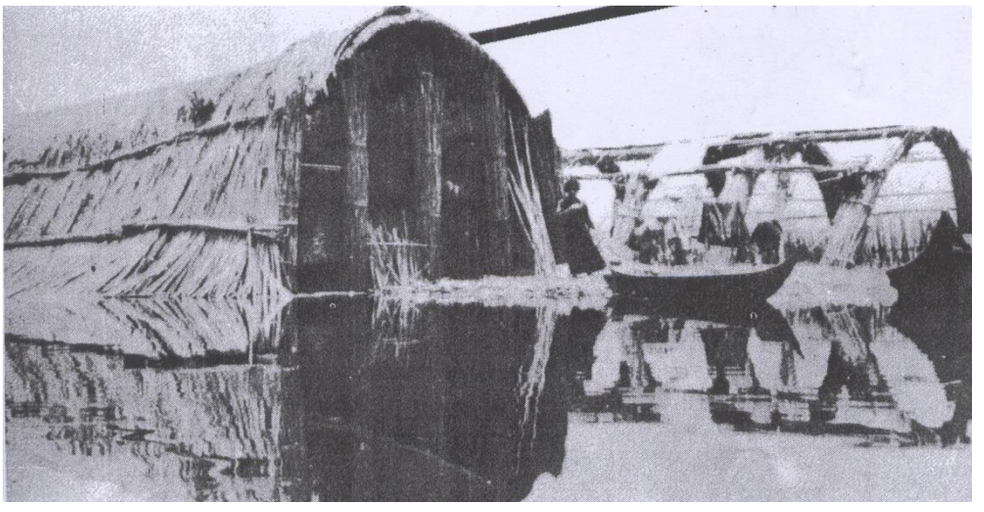

الصورة (١) بيوت القصب في جنوب العراق نقلا عن: شريف ، يوسف

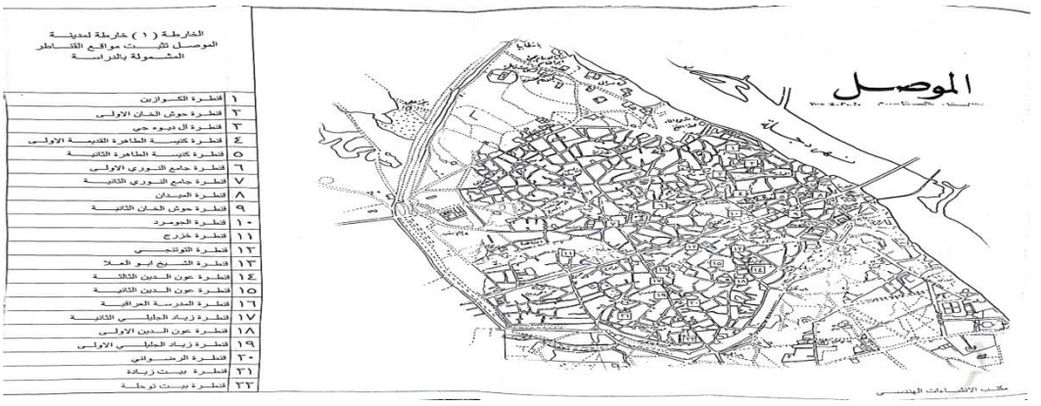

الخارطة : رقم (١) خارطة تثبت مواقع بعض قناطر الموصل

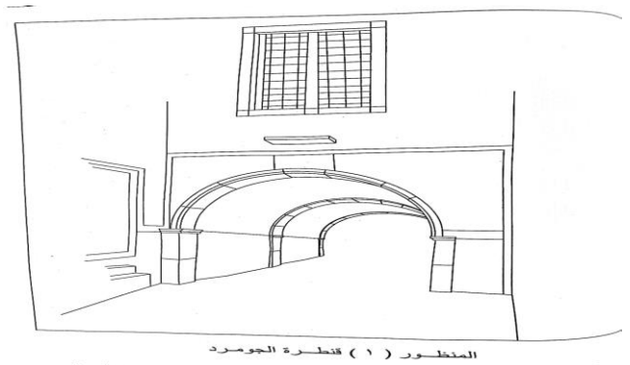

المنظور (١) قنطرة الجومرد

(رسم الباحثة)

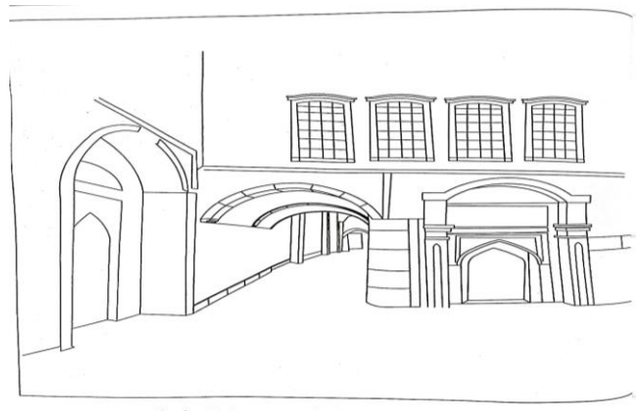

المنظور (٢) قنطرة بيت توحلة

(رسم الباحثة)

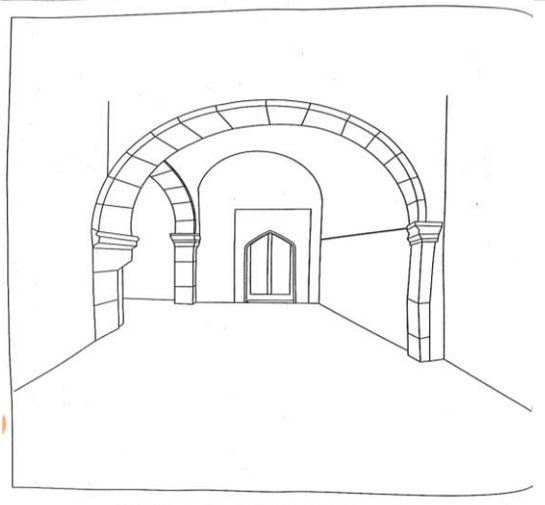

المنظـور (٣-أ) مدخل قنطـرة بيـت زيـادة

(رسم الباحثـة)

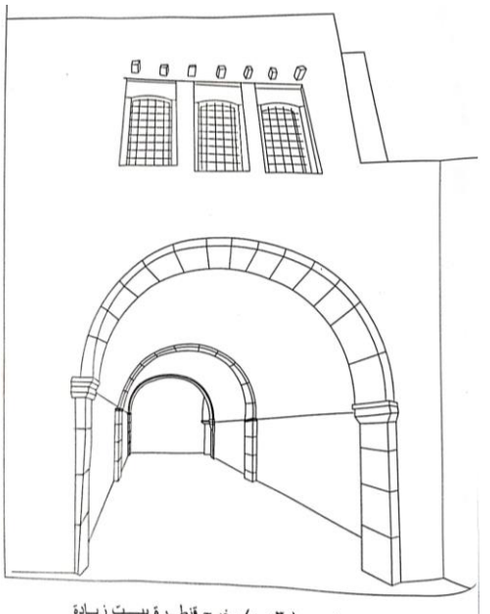

المنظـور (٣-ب) مخرج قنطـرة بيـت زيـادة

(رسم الباحثـة)

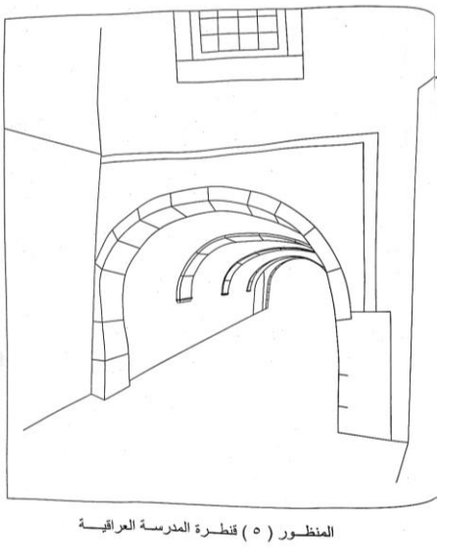

المنظـور (٥) قنطـرة المدرسـة العراقيـة

(رسم الباحثـة)

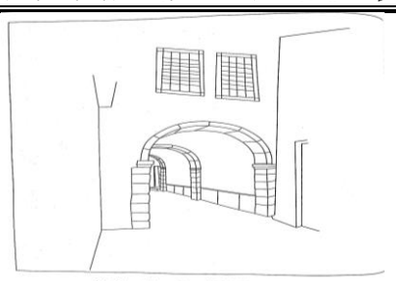

المنظور (٦) قنطرة شيخ ابو العلا

(رسم الباحثة)

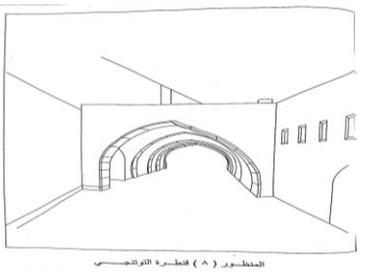

المنظور (٨) القنطرة الثولثجية

(رسم الباحثة)

المنظور (١١) قنطرة كنيسة الطاهرة القديمة الاولى

(رسم الباحثة)

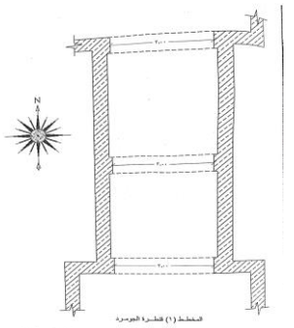

المخطط (١) قنطرة العوسرة

(١ سم : ٥ م)

(رسم الباحثة)

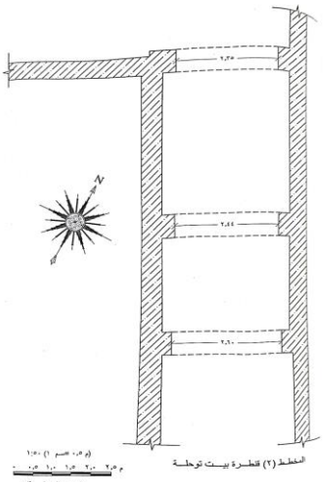

المخطط (٢) قنطرة بيت توحلة

(١ سم : ٥ م)

(رسم الباحثة)

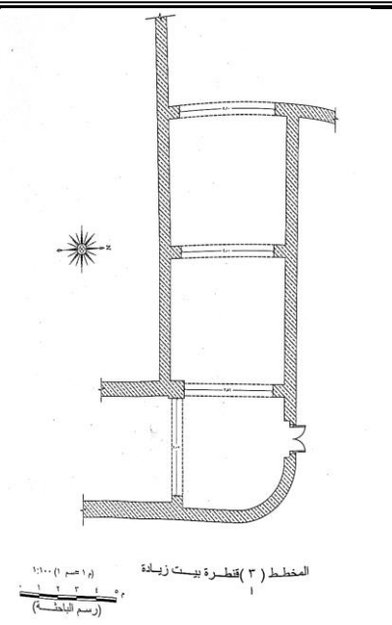

المخطط (٣)قطـرة بيـت زيـادة
ا

(م ١ تصم ١) ١:١٠٠
(رسم الباحثـــة)

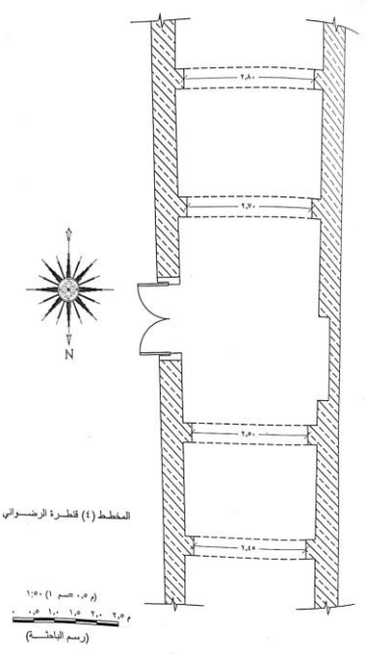

المخطط (٤) قطـرة الرضـــوانية

(م ٠,٥ تصم ١) ١:٥٠
(رسم الباحثـــة)

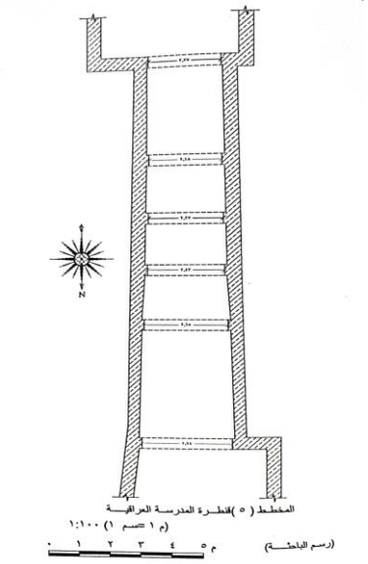

المخطط (٥)قطـرة المدرسـة العراقيـة
(م ١ تصم ١) ١:١٠٠
(رسم الباحثـــة)

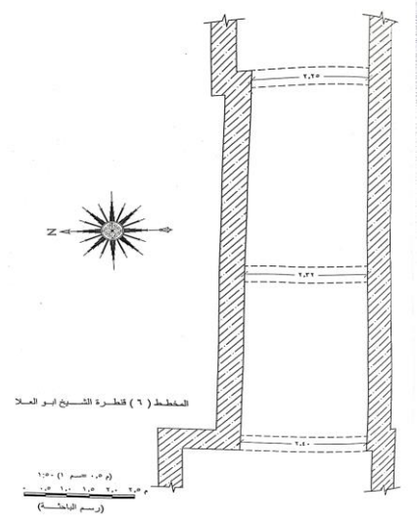

المخطط (٦) قطـرة الشـيخ ابـو العـلا

(م ٠,٠ مقياس ١) ١:٥٠
م ٢,٥ ٢,٠ ١,٥ ١,٠ ٠,٥ ٠
(رسم الباحثـة)

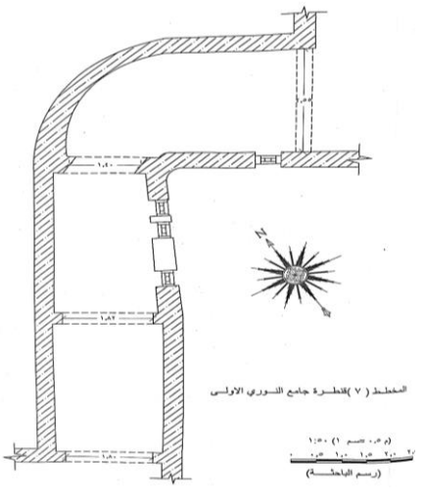

المخطط (٧)قطـرة جامع النـوري الاولـى

(م ٠,٠ مقياس ١) ١:٥٠
٢ ١,٥ ١,٠ ٠,٥ ٠
(رسم الباحثـة)

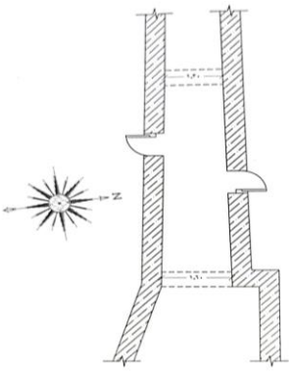

المخطط (٩)قطـرة الكـوازين

(م ٠,٠ مقياس ١) ١:٥٠
م ٢,٥ ٢,٠ ١,٥ ١,٠ ٠,٥ ٠
(رسم الباحثـة)

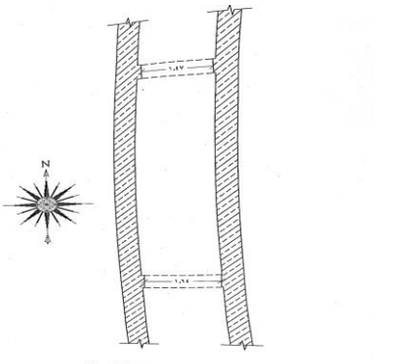

المخطط (١٣) قطـرة حوش الخـان الثانيـة

(م ٠,٠ مقياس ١) ١:٥٠
م ٢,٥ ٢,٠ ١,٥ ١,٠ ٠,٥ ٠
(رسم الباحثـة)

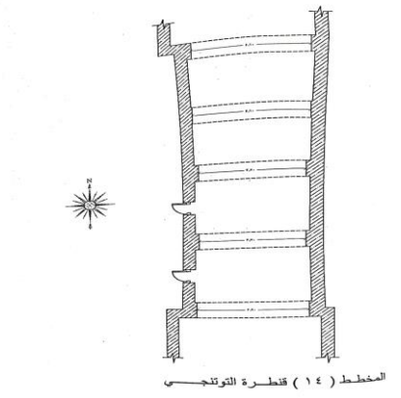

المخطط (١٤) قنطرة التوتنجي

(رسم الباحثة)

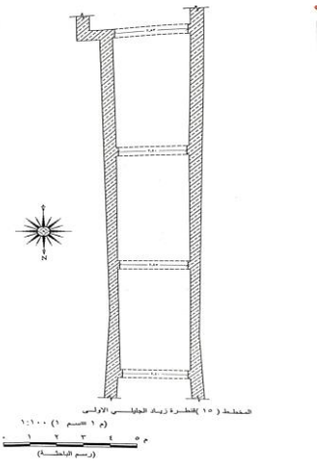

المخطط (١٥)قنطرة زياد الجليلي الاولى

(رسم الباحثة)

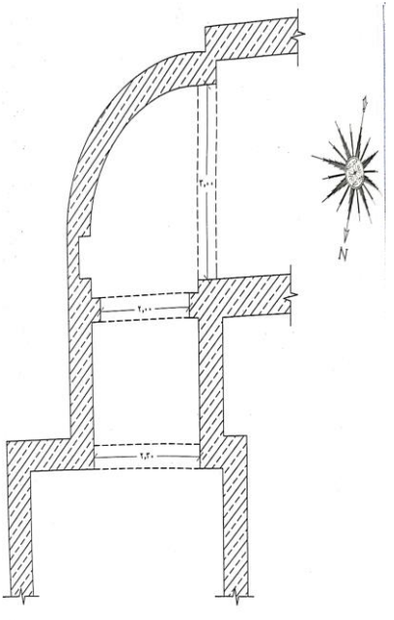

المخطط (١٦) قنطرة زياد الجليلي الثانية

(رسم الباحثة)

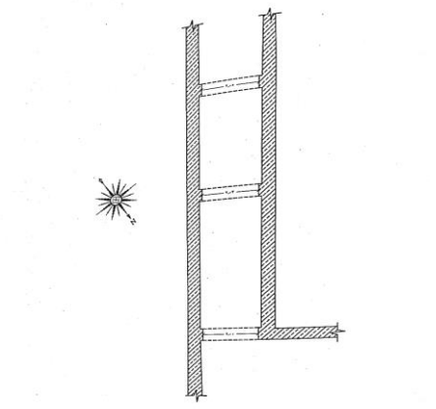

المخطط (١٧) قنطـرة كنيســة الطاهرة القديمــة الاولـى

(م ١ سم ١) ١:١٠٠

(رسم الباحثــة)

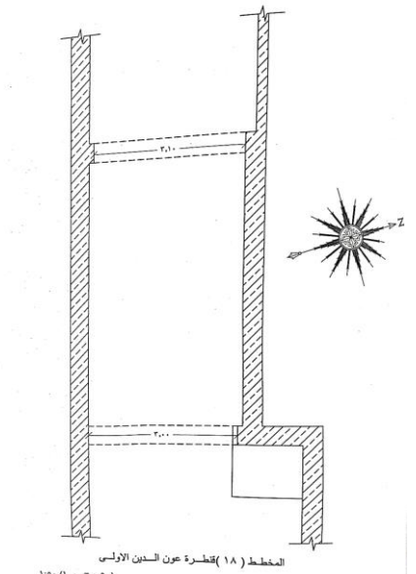

المخطط (١٨)قنطـرة عون الـدين الاولـى

(م ٠,٥ سم ١) ١:٥٠

(رسم الباحثــة)

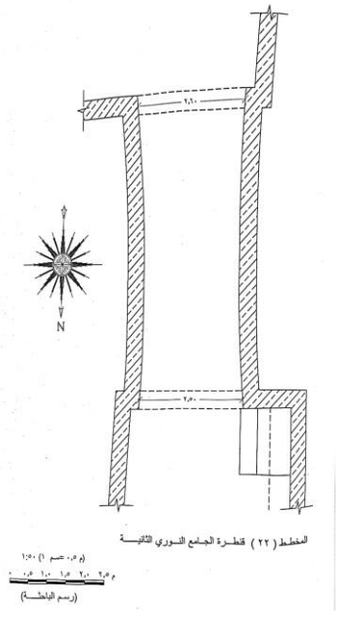

المخطط (٢٢) قنطـرة الجامع النـوري الثانيــة

(م ٠,٥ سم ١) ١:٥٠

(رسم الباحثــة)

الهوامش

(١) جرجيس، عبد الجبار محمد: بعض مظاهر البناء في منطقة قاعدة الجزيرة، مجلة التراث الشعبي، ع٢، (الموصل، ١٩٧٨م)، ص١٢٠.

(٢) أغا، عبدالله امين: بلد (أسكي موصل) تأريخها وآثارها، (موصل، ١٩٧٤م)، ص٥؛ حجاجي، إبراهيم محمد: القلاع وتطور الفكرة الهندسية، مجلة المنهل السعودية، مج ٤٨، ع ٤٥٤، (جدة، ١٩٨٧م)، ص٢٩٤.

(٣) سامح، كمال الدين: العمارة في صدر الإسلام، (القاهرة، ١٩٧١م)، ص٥٩؛ سلمان، عيسى وآخرون: العمارات العربية الاسلامية في العراق (تخطيط ومساجد)،ج١،(بغداد،١٩٨٢م)، ص٨٢؛ سلمان، عيسى: تخطيط المدن، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة والنشر،ج٩، (بغداد،١٩٨٥م)، ص٣٤، لوح ٧.

(٤) سامح، كمال الدين: العمارة الإسلامية في مصر، (القاهرة،١٩٧٠م)، شكل ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٧؛ سامح، كمال الدين: أصالة العمارة والفنون الاسلامية بمصر، مجلة المنهل السعودية، مج ٤٨، ع٤٥٤، (جدة، ١٩٨٧م)، ص٣٠٤.

(٥) بهنسي، عفيف: الشام لمحات اثارية وفنية، (بغداد، ١٩٨٠م)، ص١٥٨؛ سلمان، العمارات العربية الاسلامية في العراق، ج١، ص٨٣؛ حيدر، كامل محمد: المدارس العباسية القائمة في العراق (تخطيطها وعمارتها) رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى كلية الآداب بجامعة بغداد، ١٩٨٦م، ص١٠١؛ الجمعة، أحمد قاسم: الاستعدادت العسكرية والاستحكامات الدفاعية واثرها في افشال حملة نادر شاه على الموصل عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، مجلة دراسات في التأريخ والآثار، ع٤، (الموصل، ١٩٨٨م)، ص٨٤، ٨٥. الجمعة، أحمد قاسم: المظاهر الدفاعية والامنية في تخطيط الموصل ومبانيها في العصور العربية الإسلامية، وقائع الندوة القطرية الخامسة لتأريخ العلوم عند العرب ١٦–١٨ مايس ١٩٨٩م، مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، ج١، ص٣١٥.

(٦) رجب، غازي: العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق، (بغداد، ١٩٨٩م)، ص٤٨.

(٧) الفيروز آبادي، محمد مجد الدين بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجيل، ج٢، (بيروت، د.ت)، ص١٢٦.

(٨) الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، دار الكتاب العربي، تحقيق إبراهيم الابياري، (بيروت ٢٠٠٢م)، ص١٤٦.

(٩) البستاني، بطرس: قطر المحيط، ج٢، (بيروت، ١٨٦٩م)، ص١٧٨٥.

(١٠) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، قدم لهُ: العلامة عبدالله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب، ج١٥، (بيروت، د.ت)، ص٢٣٥.

(١١) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلالي، مراجعة عبدالله العلايلي وعبدالستار أحمد فراج، ج٤، (الكويت، ١٩٦٦م)، ص١٥١٥.

(١٢) غالب، عبدالرحيم: موسوعة العمارة الاسلامية، ط١، (بيروت، ١٩٨٨م)، ص٤٧.

(١٣) المصدر نفسه، ص٣١.

(١٤) حماد، محمد: الانشاء والعمارة، ط١، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ص١٤١، شكل٣٣٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص١٤١، ١٤٢، شكل٣٣٨.

(١٦) يوسف شريف: تأريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر (بغداد، ١٩٨٢م)، ص١٧٧؛ الصالحي، واثق: تقنية التسقيف بالاقبية في العمارة العراقية القديمة وتواصلها في العمارة في الحضر والمدائن، ندوة العمارة العربية الإسلامية، (بغداد، ١٩٩٩م)، ص٤١.

(١٧) الصالحي، واثق: القبو والإيوان، ندوة مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ١٩٩٠م، ص١٢.

(18) Mathews (R), The Archaeology of Mesopotamia theazies and approaches, London, 2003, P.102-104; Tobler (J.A), Excavation at Tepe Gawra, Penasylvania, Vol.11, P. 50.

(١٩) كلين، دانيال: موسوعة علم الآثار، ترجمة ليون يوسف، ج١، (بغداد، ١٩٩٠م)، ص١٥٣.

(٢٠) سبينو، أي. أي: حضارة وادي الرافدين (القبور الملكية في أور) ترجمة كاظم سعد الدين، (بغداد، ٢٠٠٤م)، ص٦٣؛ كلين، المصدر السابق، ص٨٠-٨١.

(21) Stephanie (D), Mari and Karana, London, 1984, P. 90-92.; الصالحي، تقنية التسقيف بالأقبية في العمارة العراقية، ص٤١.

(٢٢) الصالحي، القبو والإيوان، ص١٢.

(٢٣) النعيمي، المصدر السابق ، ص٣٨.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٢٥) الجمعة، أحمد قاسم: عمائر الموصل وخططها من خلال رحلة ابن جبير، بحوث ندوة الموصل في مدونات الرحالة العرب والاجانب، مركز دراسات الموصل، (الموصل، ١٩٩٧م)، ص١١.

(٢٦) الخولي، محمد بدر الدين: المؤثرات المناخية والعمارة العربية، (بيروت، ١٩٧٥م)، ص٣٩.

(٢٧) يحيى، هبة سالم: تحليل جغرافي لأغراض القناطر في مدينة الموصل القديمة، موصليات، ع٦، (الموصل، ٢٠٠٤م)، ص٤٨.

(٢٨) الجمعة، أحمد قاسم: أصالة النظام الاقتصادي في تخطيط مدينة الموصل ومبانيها خلال العصور العربية الإسلامية، ندوة أصالة أنظمة المدينة العربية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، (بغداد، ١٩٨٨م)، ص٢٨؛ سليمان، عامر وآخرون: محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٨٦م)، ص١٥٢.

(٢٩) الجمعة، عمائر الموصل وخططها من خلال رحلة ابن جبير، ص١٢.

(٣٠) الجمعة، المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل وتأثيرها على النموالعمراني الحضري فيها، ص٣٢٤.

(٣١) الديوه جي، البيت الموصلي، ص٤٣.

(٣٢) يحيى، هبة سالم: تحليل جغرافي لأغراض القناطر في مدينة الموصل القديمة، ص٤٨؛ الديوه جي، المصدر السابق، ص٤٣.

(٣٣) يحيى، هبة سالم: تحليل جغرافي لأغراض القناطر في مدينة الموصل القديمة، ص٤٨.

(٣٤) الجمعة، المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل وتأثيرها على النمو العمراني والحضري فيها، ص٣٢٥.

(٣٥) النعيمي، المصدر السابق، ص٣٦.

(٣٦) الجمعة، المصدر السابق، ص٣٢٥.

(٣٧) العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب: منية الأدباء في تأريخ الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، (الموصل، ١٩٥٥م)، ص٦٧.

(٣٨) العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب: منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، (الموصل، ١٩٦٨م)، ص٤١.

(٣٩) الشيخ، عادل عبدالله: عمارة العراق خلال العصرين الحجري الحديث والحجري المعدني حتى نهاية طور العبيد، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة بغداد، ١٩٩٥م، ص١٧٧.

(٤٠) العميد، الفنون المعمارية في العراق، ص٢٠٠.

التوثيق الفني لمشاهد صيد الحيوانات المفترسة والطيور في ضوء اختام العصور الأشورية

Technical documentation of hunting scenes of predatory animals and birds in light of the seals of the Assyrian eras

م. م اسراء عطا عثمان
مديرية تربية محافظة ذي قار

م. م رواء ماجد رحيم
مديرية تربية محافظة واسط

Abstract .

Hunting is the capture of animals, fish and birds, and it is considered one of the oldest human activities for sustenance after the stage of collecting and capturing, and so on what nature provides. He used several methods of hunting such as: horses, hunting dogs, hunting weapons or setting traps and other methods, as cylindrical seals are one of the means that immortalized many aspects of daily life in ancient Iraq, as cylindrical seals in the ancient Assyrian era were approximately (2000-1500)BC are few and rare, while the seals of the Middle Assyrian era (1500-911 BC) had advantages and technical capabilities that are unparalleled except in the seals of the Akkadian era, and that the seals of this era bore various scenes, including: religious scenes and scenes hunting, and scenes of lions attacking domestic animals, as well as the subject of the sacred tree, which was often depicted surrounded by two winged beings, and these seals were delicately made, and small in size. Hunting scenes, conflict and other religious scenes.

الملخص:

الصيد هو اقتناص الحيوانات والاسماك والطيور، ويعتبر من اقدم الانشطة الانسانية للاقتيات بعد مرحلة الجمع والالتقاط، وما إلى ذلك مما تجود به الطبيعة، فبعد ان استطاعَ الانسان صناعة الآلات اللازمة للصيد، بدأ في صيد الحيوانات ليقتات عليها، وربما بدأ الانسان البدائي الصيد بعد مراقبته للحيوانات التي يصطادها، كما استخدم عدة طرق للصيد مثل: الخيول، وكلاب الصيد، وأسلحة الصيد او نصب الأفخاخ، وغيرها من الطرق، وتعد الأختام الأسطوانية أحدى الوسائل التي خلدت كثير من جوانب الحياة اليومية في العراق القديم وكانت الأختام الأسطوانية في العصر الآشوري القديم ما يقارب (٢٠٠٠ـ١٥٠٠ ق. م) قليلة ونادرة، بينما كانت في العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ـ٩١١ ق. م)، ذات مزايا وقدرات فنية لا نظير لها الا في اختام العصر الأكدي، واختام هذا العصر حملت مشاهد متنوعةً منها: مشاهد دينية، ومشاهد صيد، ومشاهد مهاجمة الأسود للحيوانات الأليفة، فضلاً عن موضوع الشجرة المقدسة التي غالباً ما صورت محاطة بكائنين مجنحين، وكانت هذه الأختام دقيقة الصنع، وصغيرة الحجم، إما أختام العصر الآشوري الحديث (٩١١ـ٦١٢ق. م) نجد قد حملت موضوعات متنوعة منها: مشاهد الصيد والصراع وغيرها من المشاهد الدينية والدنيوية.

كلمات مفتاحية: (المشاهد، الصيد، الاختام الاسطوانية، العصر الاشوري، الالهة، الحيوانات)

مشاهد الصيد على الاختام الاسطوانية

اولاً: الجانب الديني:

تناولت مشاهد الصيد على الأختام الأسطوانية تكراراً في تمثيل مختلف الحيوانات التي ربما ارتبطت بعائديتها إلى إله معين وان هذا التكرار ربما يعبر عن تناسلها إلى ما لا نهاية ببركة الآلهة[١]،

وكانت الحيوانات العنصر الأساس في طقوس الأضاحي الالهية، والتي حاول الأنسان أن يكسب رضا الآلهة بها، لتحقيق اغراضه الدنيوية وابعاد الأذى والشر عنه، ولذلك قام باصطياد الحيوانات ليقدمها إلى الآلهة كقربان[٢]، وكان للوعول نصيب وافر في المشاهد الدينية والدنيوية لبلاد الرافدين وفيما يلي وصف لبعض من تلك المشاهد للصيد في العصر الآشوري الوسيط، وهنا تم اكتشاف ختم أسطواني من العصر الآشوري الوسيط نحت عليه مشهد صيد لوعل جبلي واقف على قوائمه الأماميةً بالقرب من شجرة متفرعة، ومتجهاً نحو اليمين، نرى يهجم عليه صيادٌ رأسهُ بالمنظر الجانبي يعتمر غطاء رأس يشبه الطاقيةً، ويخرج منها شعره الذي ينسدل خلف ظهره، ونجد جذعه العلوي بالمنظر الأمامي وهو عارياً، أما جذعه السفلي بالمنظر الجانبي يرتدي وزرةً قصيرةً فوق الركبةً، مثبتهً عند الخصر بحزامٌ عريض من لفتين يتدَلى منه شريطين، ومزينةً بحاشيةً على هيئةً خطوط افقيه، يمسك بيده اليمنى احد قرون الوعل، في حين يحمل بيده اليسرى عصا معقوفةً قليلاً ويرفعها نحو الأعلى ليضرب بها رأس الوعَل المسكين، وتنتشر على سطَح الختم رموز تمثُل نجمة رباعيةً مشعةً، منها رمز الإله (أوتو–شمش) إله الشمس[٣]، وثلاثة أهله رمز الإله (ننار– سين)، إله القمر، في **(شكل١)**[٤]

(شكل١)

مشهد صيد الوعل في العصر الآشوري الوسيط

سيناء محسن كاظم الوائلي، الحيوانات اللبونه على مشاهد اختام بلاد الرافدين، ص٥٥٤.

كما ظهر مشهد صيد آخر من العصر الآشوري الوسيط على ختم اسطواني لحيوان في البرية إذ نشاهد في الجانب الأيمن من الختم مركبةً يقودها حصانين صورت بالوضعية الجانبية، تسير باتجاه اليسار، بدنها مربعٌ الشكل تقريباً مصنوع من الخشُب مزين بزخارف نباتية، وهناك رمح مثبت في أحد الجوانب مزين من الأعلى بشريط، ولها عجلةً كبيرةً في كل جانب[٥]، ونجد يتصل بالبدن نير مقوسُ ذو نهايةً مستقيمة مرتفعة وملتفة من الأعلى ترتبط بالحلقات التي تربط باللجام، يقف في بدن المركبة صيادين بالوضعية الجانبية، لهما شعر رأس كثيف مجعد، تكسو وجههما لحية طويلة، يرتديان ثوب طويل بأكمام قصيرةً مثبت بحزام عريض، نرى إحدهما يمسك اللجام المربوط بفم الحصانين اللذان أمتازا بالرشاقة وسرعة الحركة والقوة، وعلى رأسيهما خوذةٌ مزينةٌ بريش كثيف يشبهُ عرف الديك، إما الصياد الآخر فيحمل بكلتا يديه قوساً وسهماً ويتهيأ لأطلاقهَ نحو بقرةً على ما يبدو تركض مسرعةً أمام

الحصانين اللذان يجران المركبةٌ التي تطاردها، وقد أدارت برأسها نحو الحصانين ويبدو الخوف عليها وقد تشابكت القوائم الأماميةً للحصانين مع القوائم الخلفيةً للبقرةً من شدة سرعة الحصانيين، ويرافق المركبةَ كلب صيد السلوقي لمساعدة الصياد على صيد البقرة ويقف على قوائمهٌ الأربعةً متجهاً نحو اليمين على مقربةً من الحصانين، ونشاهد فوق رأس الحصانين النجمةً الثمانية رمز الإلهةٌ (اينانا–عشتار)[٦]، وفوق رأس البقرة الهلال رمز الإله (ننار–سين) إله القمر[٧].**(شكل٢)** تنوعت في هذا المشهد ادوات الصيد من القوس والسهم والرمح في آن واحد فضلاً عن العربة والخيول التي كانت لها دور كبير في أرباك حركة البقرة وصيدها.

(شكل٢)

مشهد صيد بقرة في العصر الآشوري الوسيط

Collon,Dominique, Catalogue of the Western,P.693

إما في العصر الآشوري الحديث فقد أكتشف مشهد صيد على الأختام الأسطوانية وهذا المشهد يتضمن في الجانب الأيمن من المشهد امرأة واقفةً بالمنظر الجانبي، شعرها ينسدل على كتفها، ملامح وجهها واضحةً، ونرى ترتدي ثوب طويل يصل إلى كاحل القدمين، وعلى خصرها حزامٌ يتدلى منه شريط عريض مزين بشراشيبَ عموديةً، ويدها اليمنى ترفعها إلى مستوى الصدر،إما يدها اليسرى ممدودةً للأمام، يعلوها سبعٌ كرات رمز الإلهة (سيبتي)[٨]، وعند أقدامها شوكةً مثبته بالأرض[٩]، ويوجد فوقها مجرفةً رمز الإله مردوخ[١٠]، وبجانبها وتدً مزدوج مغروس في قاعدةً مربعةً تشبهُ واجهة المعبد[١١]، وفي الوسط الصياد يمتطي حصان ويضع على رأسه قلنسوةً مثلثةً الشكل، وشعره ينسدل على كتفه، وملامح وجهه واضحةً ويرتدي ثوباً قصير فوق الركبة، تاركاً الكتف والذراع الأَيمن عاري، ويلف حول خصره حزاماً عريضاً ويضع فيه سيفاً، ونشاهدُ يمسك بيده اليمنى لجام الحصان الرشيق والسريع، ونلاحظ يحمل بيده اليسرى السوط، ويطارد غزالاً صغيراً يقفزُ مسرعاً أمام الحصان الذي يحاول اللحاق به، وقد لأمست قوائم الحصان الأماميةً ظهر الغزال الذي أدار برأسه نحو الفارس والحصان، أمام الغزال تقف على ما يبدو بقرة على قوائمها الأربعة وتلتفت برأسها نحو الخلف ويضطجع تحتها عجلها الصغير، ونشاهد غزالة صغيرة واقفة على قوائمها الأربعة تلتفت برأسها للخلف بالقرب من القوائم الخلفية للحصان، أعلى المشهد يوجد الهلال رمز الإله (ننار– سين)، والنجمة الثمانية رمز الإلهة (أينانا–عشتار) والقرص المجنح رمز الإله (أوتو – شمش) إله الشمس،[١٢]. **(شكل٣)**

نستنتج مما سبق ان اصطياد الحيوانات البرية وخاصة الغزلان والابقار من أجل الغذاء وايضا كانت تقدم من ضمن الولائم الملكية في هذا العصر وكذلك تقديمها ضمن القرابين الإلهية.

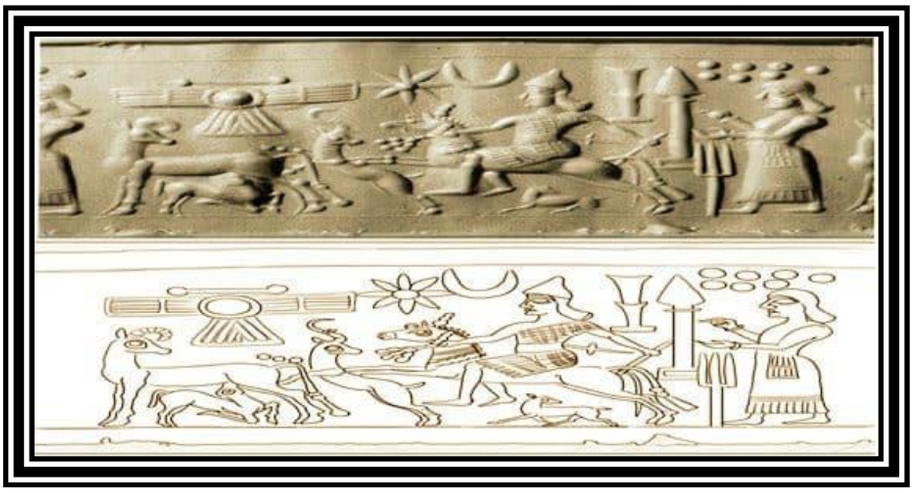

(شكل٣)

مشهد صيد الحيوانات الأليفة في العصر الآشوري الحديث

Collon,Dominique,First Impressions:Cylinder Seals in the Ancient Near East, Univ (Chicago, 1988), P.739.

كما أكتشف مشهد أخر للصيد على ختم أسطواني من العصر الآشوري الحديث، يتضمن في جانبه الأيمن حصان يقود مركبة ذات بدن خشبي مستطيل الشكل مزين من الأعلى بحاشية مسننة، ولها عجلة كبيرة على كل جانب، مثبت في نهاية البدن رمح كبير، وتتصل به قطعة مخروطية الشكل ربما تكون من الخشب أو الحديد[١٣]، تنتهي بعمود رفيع مسنن يتصل بظهر الحصان، يقف على ظهرها صياد ملتحي يضع على رأسه خوذة مخروطية الشكل، يخرج منها شعره المنسدل خلف ظهره، ويرتدي ثوب طويل بدون أكمام، وينحني قليلاً نحو الأمام ماسكاً بيده اليمنى اللجام المربوط بفم الحصان، بينما يحمل بيده اليسرى المرفوعة الى الأعلى شيء ما ربما فاس أو سوط لصيد الماعز به، وأمامه حصانه الرشيق الذي يجري رافعاً اقدامه الأمامية في الهواء لمحاولة اللحاق بالماعز الجبلي الذي يجري أمامه وهو رافع قوائمه الأمامية إلى الأعلى خوفاً من أن يصطاده الرجل الذي يقود العربة وبين الحصان والماعز علامة مسمارية وفوقهما الهلال رمز الإله(ننار – سين) إله القمر[١٤]. **(شكل٤)**، كما ذكرت سابقا أن سبب وجود رموز الإله في هذه المشاهد ربما دل على اصطياد هذه الحيوانات لكي تقدم كقربان إلى هذا الإله.

(شكل٤)

مشهد صيد الماعز في العصر الآشوري الحديث

Collon,Dominique, Catalogue of The Western,P.98

كان الثور رمزاً مهما في الحضارة العراقية القديمة، وديانات الشرق الأدنى القديم، إذ يمكن أن نعده القاسم المشترك في كل الحضارات ودلالاته عديده ومتنوعة، كما اتضحَ دور الثور في الفكر العراقي القديم من خلال ظهوره على مشاهد الفنية، وان غالباً ما يلاحظ الثور في المشاهد الدينية المنفذة على أختام بلاد الرافدين يقدم كقرابين وهدايا مقدسة الى الآلهة او المعبد إذ كان يعد من المواشي المقدسة بدليل ظهوره دائماً وهو يرافق رموز الآلهة لاسيما(اينانا–عشتار)، فضلاً عن كونه رمزاً مميزاً للإله (اشكور–ادد)[١٥]. وأهم مشاهد صيد الثيران:

تم كشف مشهد صيد الثور المجنح في العصر الآشوري الحديث على ختم أسطواني[١٦]، ويمثل هذا المشهد في الجانب الأيمن صياداً ملتحي ذو شعر طويل منسدل على كتفه ملامح وجهه واضحة، يجلس على ركبته اليمنى المثنية ويرتدي وزرة قصيرة مرفوعة فوق الركبة مثبته بحزام عريض عند الخصر، ويمسك بكلتا يديه قوساً وسهماً ويتهيأ لأطلاقه نحو الثور المجنح الواقف أمامه على ثلاثة من قوائمه في حين يثني أحدى قوائمه الأمامية الى مستوى جذعه العلوي، ونلاحظ فوقه الهلال رمز الإله (ننار– سين)، [١٧]. **(شكل٥)**

(شكل٥)

مشهد صيد الثور المجنح في العصر الآشوري الحديث

Collon,Dominique, Catalogue of The Western,P.15

ظهر مشهد لصيد الغزلان على ختم أسطواني في العصر الآشوري الحديث ، إذ نرى هذا المشهد يمثل في الجانب الأيسر من الختم، صياداً عارياً يجلس على الأرض بالمنظر الجانبي على ركبته اليمنى المثنية، وذو شعر رأس كثيف ومجعد، ملامح وجهه واضحة، له لحية طويلة تصل الى الصدر، يحمل بكلتا يديه قوساً وسهماً لاصطياد غزال مضطجع أمامه على قوائمه الأمامية، ويلتفت برأسه نحو الخلف، بينه وبين الصياد ما يشبه الوتد (القلم) رمز الإله نابو، وفوقه النجمة الثمانية رمز الإلهة (أينانا– عشتار) إلهه الحب والحرب وعلى جانبي المشهد شجرتان صغيرتان ربما يدل أن أصطياد الغزلان في هذا المشهد كان في الغابة [١٨]. **(شكل٦)**

إذ نرى أن صيد الغزلان كانت من الحيوانات التي ظهرت في المشاهد الدينية لأختام بلاد الرافدين وكذلك تعد من الحيوانات المفضلة في تقديمها كقرابين لكثير من الإلهة ومنها الإله انليل، وزوجته ننليل[١٩]، والإلـــه شمش (إله الشمس)، والإله ادد (إله المطر) وذلك لإستنزال المطر[٢٠]، كما تعد من الحيوانات التي اعتنوا بتقديمها الى الإله (ننار– سين) إله القمر كقربان في اليوم الأول من كل شهر قمري وكذلك الى الإلهة عشتار، خاصة في الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في مدينة آشور[٢١]، ونشاهد سابقاً كانت الغزلان من الحيوانات المفضلة في الصيد، وذلك لما تتمتع لحومها بقيمة غذائية عالية[٢٢].

(شكل٦)

مشهد صيد الغزال في العصر الآشوري الحديث

Collon ,Dominique, Catalogue of The Western,P.19

كان لطائر النعام مكانة متميزة في العراق القديم وقد شاع استخدامه في الفن الرافدي غالباً بعد(١٣٠٠ ق.م) عندما اشارات الحوليات الملكية الآشورية إلى قتله وتأسيره والبعض منها تم اصطياده ونقله إلى المتنزهات العامة وعرضها على المواطنين الآشوريين[٢٣]، والبعض الآخر يقدمها كقرابين للآلهة أو تقديمة من ضمن الهدايا للملوك، ونجد ان هذا الطائر تحول إلى حالة الطريدة في رياضة الصيد التي مارسها ملوك آشور وكانت النعام في العصر الآشوري تعد غذاء للآلهة والملوك وايضاً كانت لديهم رغبة شديدة في الحصول على ريش الذيل وذلك يستخدم لعمل المراوح منها للملوك والنبلاء[٢٤]، كذلك كان من اسباب صيده للحصول على بيضها لان له استعمالات كثيره اولا الاستفادة من قشره في علاج بعض الامراض وفي بعض الاحيان يدخل في اعداد الأدوية بعد طحنه واضافته إلى الأعشاب[٢٥]، وهذا الاعتداء والصيد العشوائي الجائر على المناطق التي يتواجد فيها النعام جعله يختفي تدريجياً، وايضاً يعد طائر للزينة في الحدائق العامة، كما كان الملوك يتفاخرون بصيدهم انواعاً مختلفة من الحيوانات [٢٦].

وهناك ختم أسطواني، يمثل مشهد صيد من العصر الآشوري الحديث في **(شكل٧)**، حيث عثر على هذا الختم في قصر سرجون الثاني (٧٠٤–٦٨١ ق.م) وكان مصنوع من حجر الصوان الأصفر، مثل عليه مشهد ضم بطلاً مجنحاً يرتدي ثوباً طويلاً ينتهي بأهداب، وشعره طويل يستقر على الكتف، ويدير وجهه إلى الجهة اليسرى، إذ يمسكُ بنعامتين كل واحدةً منهما بإحدى يديه، وتبدو النعامة فاغرة فمها(منقارها)، ربما من شدة الألم، وترفع أحد ساقيها نحو ملاك المجنح وذلك من أجل مهاجمته والدفاع

عن نفسها، وهي تدير رأسها عكس الملاك المجنح وقد مثل ريشها بشكل حزوز، وفي طرف المشهد قصبة (قلم) ذات نهاية مدببة، ترمز إلى الإله نابو، والى جانبه شكل معين، ويعلو كل منهما نجمة ثمانية، ترمز للإلهة عشتار، ويوجد في الجهة العليا من طرفي الختم قرص مجنح يرمز للإله آشور، بينما أمتلأ الفراغ في الجانب الأيمن من المشهد بسمكة بوضعية سباحة في نهر أو مجرى مائي[٢٧].

(شكل٧)

مشهد صيد النعامة في العصر الآشوري الحديث

Porada,Edith, The Collection of,P.91.

كذلك ظهر من العصر الآشوري الحديث مشهد أخر لصيد النعامة على ختم اسطواني، ويتضمن هذا المشهد من الشجرة المقدسة في الوسط وعلى جانبيها يقف مساعدي الإله أنكي وهم يرتدون جلد السمكة، ويقف في كلا الجانبين من الختم صياد ذا شعر طويل يستقر على كتفه، ويعتمر عصابة رأس، ويرتدي ثوباً طويلاً مفتوح من الأمام تظهر منه ساقه، ويحمل على ظهره جعبة سهام، ويمسك بيده اليمنى سيف معقوف، بينما يمسك بيده اليسرى رقبة نعامة التي تم صيدها، وقد صورت وهي ترفع إحدى قدميها وتفتح منقارها، وعملت عينها بشكل دائرة كبيرة، وتعلوها نجمة ثمانية، وفي الجانب الايسر من الختم يقف خلف الرجل السمكة رجل ملتحي ويرتدي ثوب طويل ولايوجد غطاء على الرأس ويرفع يده اليمنى للتحية **(شكل٨)**[٢٨].

(شكل٨)

مشهد صيد النعامة في العصر الآشوري الحديث

صلاح رشيد الصالحي ، طير النعام في الحضارات القديمة ، ص٩٧.

ثانيا: الجانب الدنيوي

أمّا اهم مشاهد الصيد في هذا الجانب من العصر الآشوري الوسيط والحديث حيث نجد في هذه العصور لم يقتصر صيد الإنسان للحيوانات الأليفة، بل كان يصطاد المفترسة منها التي غالباً ما تهاجم

قطعان ماشيته ومن هذه الحيوانات الأسود، وكذلك صيد أسطوري للحيوانات المركبة أيضاً[٢٩]، أما رياضة صيد الأُسود فكانت من الأعمال البطولية التي يتفاخر بها ملوك بلاد الرافدين، فقد حظيت الأُسود باهتمام واسع لدى الملوك على الرغم من قلة أهميتها الاقتصادية للبلاد، إلا أنها احتلت مكانة مهمة في افكارهم، وكانت حملات صيد الأسود جزءاً من أوامر الملوك والتي لا تقل اهمية عن أوامر القيام بالحملات العسكرية[٣٠]، وكانت الأُسود توضع في اقفاص[٣١]، ثم يطلق سراحها لتمكين الملك من صيدها وأظهار مقدرته في الصيد[٣٢]، وقد أكتشف ختم أسطواني من العصر الآشوري الوسيط يمثل مشهد صيد، إذ نشاهد على سطح الختم في الجانب الأيمن لبوة واقفة على قوائمها الأربع بالمنظر الجانبي، ذيلها متدلي إلى الأسفل، لسانها يخرج من بين أنيابها تنظر بحذر إلى الصياد الواقف أمامها في الجانب الأيسر بالمنظر الجانبي، والذي يظهر بملامح مبالغ في حجمه، له شعر طويل مجعد ينسدل على الكتف، وعيناه لوزية كبيرة، وأنفه عريض، وفمه صغير مطبق، يرتدي ثوب طويل يصل إلى كاحل القدمين، مفتوح من الجانب، يربطه بحزام عند البطن مكون من لفتين ، مزين بشراشيب من الأعلى والأسفل، يحمل بكلتا يده قوساً وسهماً، ويستعد لضرب اللبوة به، في الوسط يقف طائر صغير بالمنظر الأمامي فارد جناحيه، ويرفع برأسه إلى الأعلى نحو الصياد، وفي أعلى المشهد فوق جسم اللبوة تظهر زهرة مؤلفة من ثمانية وريقات صغيرة [٣٣]، إذ أن هذا المشهد نفذ بدقة ومهارة عالية على الأختام [٣٤]. **(شكل٩)**

لقد استعمل في صيد الأُسود واللبوات أسلحة مختلفة منها الرماح والقوس والسهام والحربات والصولجانات وغيرها من الأسلحة، وكان يتم الصيد باستعمال نوعاً خاصاً من العربات اطلق عليها تسمية العربات المفتوحة ، والى جانب العربات كان يتم الصيد مشياً على الأقدام، ومن شروط اصطياد الأُسود واللبوات تركها على قيد الحياة لغرض ارسالها للملوك.

(شكل٩)

صيد اللبوة في العصر الآشوري الوسيط

سيناء محسن كاظم الوائلي، الحيوانات اللبونه على مشاهد اختام بلاد الرافدين، ص٤٨٦.

وجد مشهد من العصر الآشوري الحديث على ختم أسطواني، يمثل صيد الحصان المقرن، وقد تضمن هذا المشهد وجود صياد ملتحي وله شعر رأس طويل، وكما يرتدي ثوباً طويلاً مزيناً وله نهاية

مشرشبة، ويلف حول خصره حزام، ويقف في الجانب الأيسر من المشهد ويحمل بيده قوساً وسهماً الذي موجها نحو الحصان الذي يقف أمامه، ونشاهد للحصان قرناً طويلاً مقوساً، ويوجد شكل منحني يشبه الشجرة المقدسة بين الصياد والحصان، كما نرى في أعلى المشهد خلف رأس الحصان يوجد الهلال رمز الإله (ننار– سين) إله القمر [٣٥]. **(شكل١٠)**

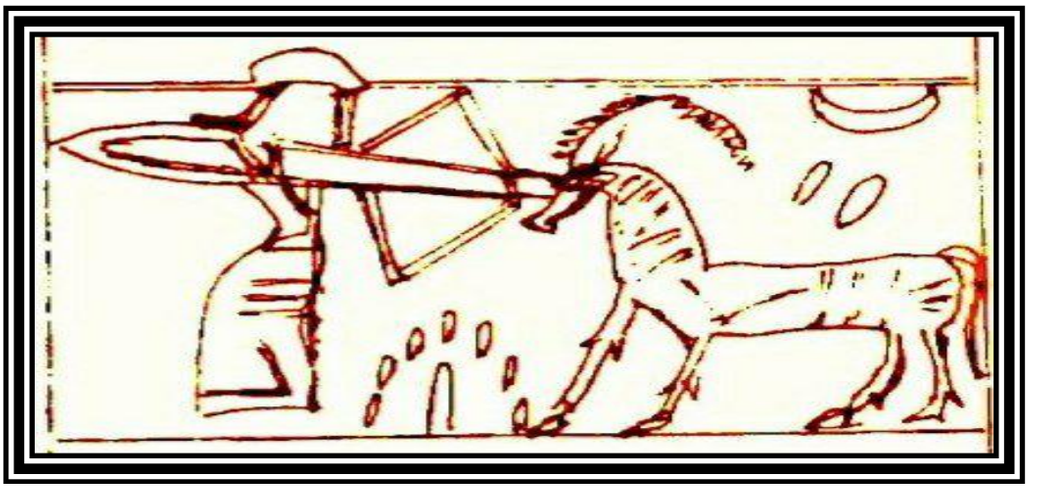

(شكل١٠)

مشهد صيد الحصان المقرن في العصر الآشوري الحديث

مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، ص١٨٦.

ظهر مشهد آخر من العصر الآشوري الحديث على ختم أسطواني، يتضمن هذا المشهد صيد حيوان مقرن، إذ نشاهد صياد يقف في الجانب الأيسر من المشهد ويبدو ملتحيا وله شعر طويل، كما يرتدي ثوباً طويلاً مزيناً ويوجد حول خصره حزام، كما يحمل قوساً ويسدد سهماً باتجاه اليمين ليصطاد حيواناً مقرناً أشبه ما يكون بالغزال، ولكن نشاهد الحيوان يقف باتجاه اليمين حيث يبدو كأنه لا يرى الصياد الذي خلفه، بينما نرى هنالك شكل يشبه الجذع وفوقه نوع من النبات، إما في اعلى المشهد يوجد الهلال رمز الإله (ننار– سين) إله القمر ، بينما نشاهد جزء من الختم مكسور ولذلك أن نهاية ثوب الصياد تكون غير واضحه، [٣٦]. **(شكل١١)**

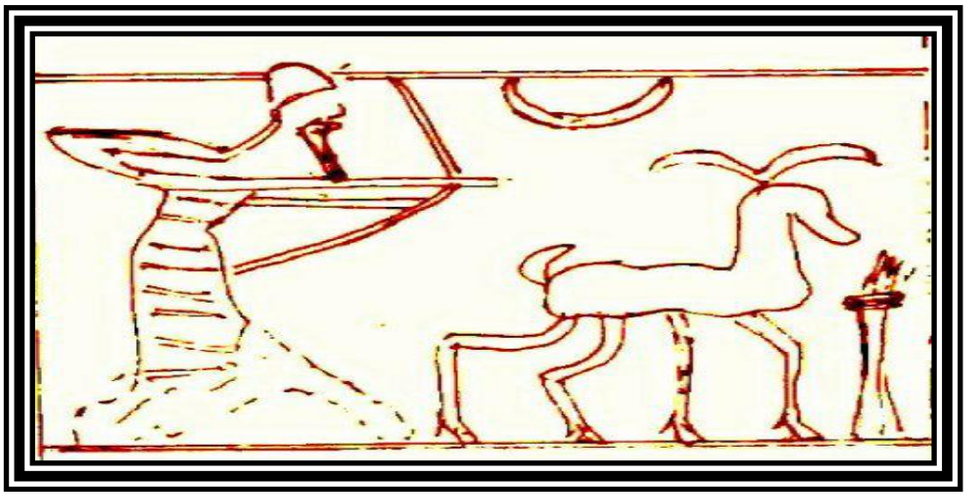

(شكل١١)

مشهد صيد الغزال في العصر الآشوري الحديث

مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، ص١٨٦.

وقد تم اكتشاف مشهد آخر من العصر الآشوري الحديث على سطح ختم أسطواني، يمثل مشهد صيد، حيث يتضمن هذا المشهد في الجانب اليمين صياد جالساً على ركبته اليسرى ومرتكز على القدم اليمنى، ومتجه نحو اليسار، ويكون ملتح، ويرتدي فوق رأسه قبعة بيضوية الشكل وينسدل شعره على رقبته، ونشاهده يرتدي ثوباً قصيراً إلى حد الركبة، كما يحمل بيديه قوساً ويسدد سهما باتجاه اليسار نحو مخلوق مركب له رأس إنسان وملتح وله شعر طويل، بينما نشاهد جسمه جسم أسد مجنح وقوائمه تنتهي بما يشبه المخالب، حيث يقابل الصياد وجها لوجه ونشاهده رافعاً قوائمه الأماميتين قليلاً إلى الأعلى، بينما نرى في أعلى المشهد الهلال رمز الإله (ننار – سين) إله القمر، ونجمة عشتار الثمانية[٣٧]، ولقد وجدت هذه الأشكال المركبة بشكل واضح ومميز عند الآشوريين **(شكل١٢)**[٣٨].

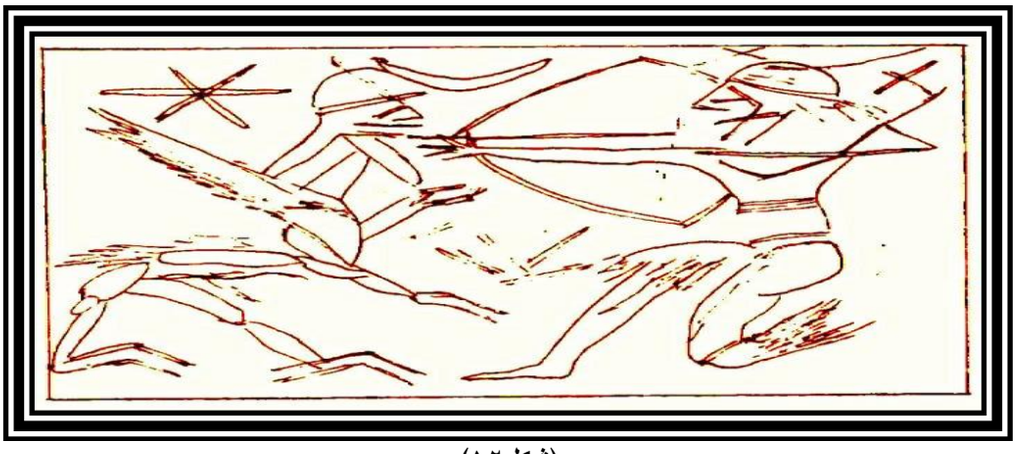

(شكل١٢)

مشهد صيد حيوان مركب في العصر الآشوري الحديث

مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، ص١٩١

كان الآيل من الحيوانات التي تفاخر الملوك الآشوريين بصيده وتقديمه في ولائمهم[٣٩]، وقد أمتاز بالقرون المتفرعة والمتشابكة واستعملت عظام الآيل وقرونه في صناعة رؤوس السهام والرماح منذ أقدم الأزمنة[٤٠]. ومن أهم المشاهد التي تخص صيد الآيل في العصر الآشوري الحديث ختم اسطواني يمثل عليه مشهد صيد يتضمن صيد حيوان الآيل، حيث نشاهد صياد عاري له شعر رأس كثيف ومجعد، ويحمل بيده اليمنى اداة صيد وهو الرمح ويكون طويلاً ويمتطي حصان رشيق وجميل، ويطاردان آيل صغير يبدو وكأنه يقفز في الهواء من سرعته ويلتفت بنظره نحوهما خوفاً من أن يصيبه رمح الصياد ويقتله، خلف الحصان نشاهد وتدين (قلم) رمز الإله نابو [٤١]. **(شكل١٣)**

(شكل١٣)

مشهد صيد الآيل في العصر الآشوري الحديث

Collon,Dominique,First Impressions:Cylinder, P.89

وقد ظهر من العصر الآشوري الحديث مشهد آخر على ختم أسطواني تضمن اصطياد مخلوق مركب عن طريق السهم، ونشاهد الصياد في الجهة اليسار من المشهد ويبدو ذو لحية وشعر طويل ويرتدي ثوباً مزيناً بشراشيب، ويلف حول خصره حزام، ويحمل جعبة السهام خلف ظهره ونرى نهايات السهام تظهر من فوق كتفه، ويحمل بيده قوساً وسهماً يوجهه نحو الحيوان المركب الذي أراد اصطياده ويبدو كأنه ثور مجنح له رأس رجل ملتح يقف أمامه وهو متجه نحو اليمين، وتوجد بين الصياد والحيوان المركب نبتة صغيرة في اشارة الى صيد هذا الحيوان في غابة أو جبل[٤٢]. **(شكل١٤)**

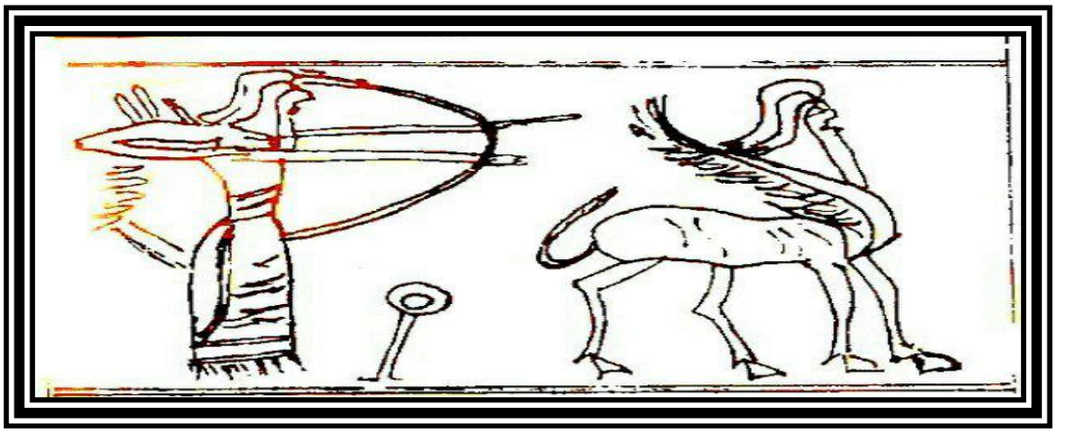

(شكل١٤)

مشهد صيد مخلوق مركب في العصر الآشوري الحديث

مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، ص١٨٦.

تم اكتشاف ختم أسطواني من العصر الآشوري الوسيط نحت عليه مشهد صيد، إذ ظهر طائر النعام منقوش على هذا الختم، الذي يكون مصنوع من الرخام الرمادي، كما ظهر على هذا الختم ملاك مجنح ملتح وشعره طويل يستقر على كتفه وقد زين شعره بعصابة مثلث بعدد من الدوائر، نجد يرتدي ثوباً طويلاً مفتوحاً من الأمام مزين بأهداب وزخارف، ويلف على خصره نطاقاً وعلى صدره حزام على شكل حرف(X) اللاتيني، ويحمل بيده هراوة أو عصا يهاجم بها نعامة كبيرة، صورت النعامة في حالة الهرب، نشاهد تقفز أمامه وتلتفت برأسها إلى المهاجم، وتفتح منقارها ربما نتيجة الإجهاد، وعملت عيونها بشكل دائرة كبيرة بداخلها دائرة صغيره ويبرز من ذيله ثلاث ريشات، وفي الجانب الأخر من الختم هناك نعامة أصغر حجماً مشابهة للنعامة الكبيرة تماماً **(شكل١٥)** [٤٣].

(شكل١٥)

مشهد صيد النعام في العصر الآشوري الوسيط

Porada,Edith, The Collection of ,P.67

جاءنا من العصر الآشوري الحديث مشهد صيد نقش على ختم أسطواني، يمثل المشهد على الجهة اليسرى من الختم صياداً يحمل قوساً ويسدد سهماً نحو طائر يقف أمامه، إذ صور الصياد ملتحياً، ويرتدي ثوباً طويلاً في نهايته شراشيب ويلف خصره بنطاق، بينما يبدو الطائر بهيئة ضخمة وله منقار طويل ورقبة طويلة، ويتوج رأسه عرف يمتد إلى أسفل الرقبة، وله ساقان طويلتان، كما يبدو الطائر رافعاً جناحيه أمام الصياد، وهناك شكلٌ منحنٍ بين الطائر والصياد يشبه الشجرة المقدسة، ولكن بحجم أصغر، وفي أعلى المشهد فوق ظهر الطائر نقش الهلال رمز الإله سين [٤٤].**(الشكل١٦)**

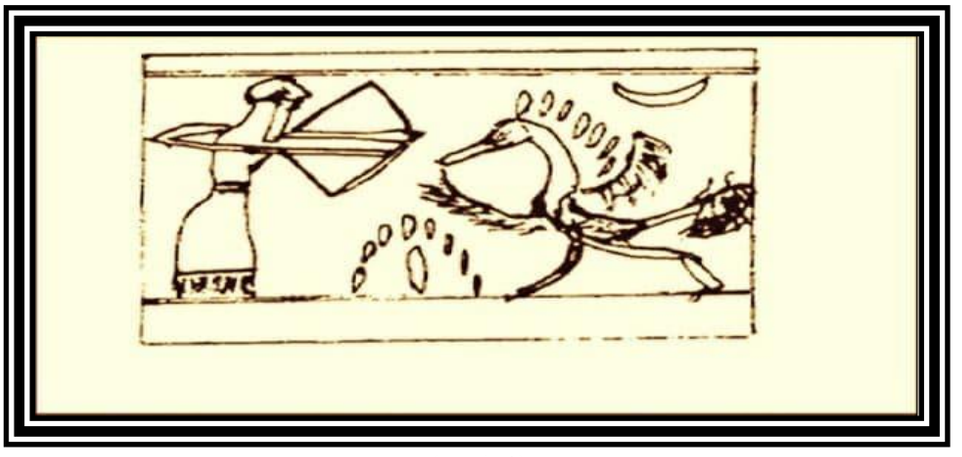

(شكل١٦)

مشهد صيد طائر في العصر الآشوري الحديث

مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، ص١٨٦

نتائج الدراسة:

١ـ تم ممارسة الصيد للتفاخر والمباهاة وخاصة لدى الملوك كما نشاهد على الأختام الاسطوانية إذ كان الملوك يسجلون وقائع الصيد إلى جانب انتصاراتهم العسكرية حيث كان الملك يتفاخر ويتباهى بأعمال الصيد التي يقوم بها بنفس الدرجة التي كان يتباهى فيها بإنجازاته العسكرية، فضلا عن ذلك نشاهد الملوك بإثناء حملاتهم العسكرية اصطادوا الكثير من الحيوانات المتوحشة، وأكثر من ذلك فأن الصيد كان يعد هبة من الآلهة وكان الملوك يتفاخرون بان الآلهة قد وهبتهم الحيوانات والبهائم وأمرتهم بصيدها وذلك من أجل تقديمها كأضاحي أو قرابين للآلهة في معبدها.

٢ـ يهدف الملك من خلال وضع مشاهد للأختام تخص الصيد داخل القصر ان تكون وسيلة لإعلامهم بقوته وأن يكون كقائد شجاع ومخلوق يفوق الطبيعة عندما يقوم باصطياد الحيوانات المفترسة.

٣ـ كان الصيد وما يزال أحد المظاهر الحياتية التي ابتدعها الإنسان منذ القدم ليحافظ على استمراريته ولكي يتخلص من شر الحيوانات المفترسة فابتدع عدة طرق ووسائل وادوات متنوعة لاصطيادها، ومنها الكلاب والخيول كإحدى الوسائل المهمة والمساعدة والمتبعة في حملات الصيد لاسيما الملكية منذ فترات قديمة وحتى فترات متأخرة لأثارة رعب الطرائد وانهاك قواها وتشتيت تركيزها وارباكها وذلك حسب نوع الحيوانات التي يتم صيدها وعلى الأخص الأسود والثيران البرية والوعول والغزلان.

٤. كما شجع الصيد كثيراً على تطوير بعض المهارات لدى العراقيين قديماً لاسيما في صناعة بعض الآلات التي تستعمل في الصيد بشكل يسهل من عملية الصيد ويعمل على زيادة الانتاج.

الهوامش

(١) زهير صاحب، فنون فجر الحضارة في بلاد الرافدين ، دار مجدلاوي ،(الأردن ،٢٠٠٩م) ، ص٢٩٠.

(2)Oppenhim ,A. Leo and F. Hartman Louis,"The Domestic Animals,P.159.

(٣) ادزارد واخرون، قاموس الالهة والاساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)، ص٧٥.

(4) Black,Jeremy and Green ,Anthony,Gods Demons and Symbols of Ancient,P. 54.

(٥) يوسف خلف عبد الله، الجيش والسلاح ، ص٢٦٣.

(6) Black,Jeremy and Green ,Anthony,Gods Demons and Symbols of Ancient,P.104.

(7) Van Buren,E. Douglas, The Fauna , p.60

(٨) الكرات السبعة: تعرف عند الآشوريون بأسم (سيبيتو)،وهي إلهه آشورية تدعى (sebittu)، والتي هي مجموعة من العفاريت المؤلهه، ومثل رمز الإلهه السبعة (السبيتي) في الفن بشكل سبعة كرات تمثل سبعة كواكب من السماء، ينظر : Jordan,Manfred ، Dictionary of Gods and Goddesses، (U.S.A,2004)،p.279

(٩) تعرف الشوكة باللغة الآشورية القديمة بـ(Mazlagum) بمعنى المذراة، ينظر:
Black,Jeremy and Green ,Anthony,Gods Demons and Symbols, P.85

(١٠) المجرفة : هي رمز للإله مردوخ لكونه أحد الإلهه المختصة بالشؤون الزراعية، إما مردوخ هو الإله القومي لمدينة بابل والتي ضمت معبده الرئيسي المعروف بـ(أيساكيلا) ينظر:
Sitchin,Zecharia, The wars of Gods and Men (London,2010), P.170

(١١) الوتد (القلم): هو رمز الإله (نابو) إله الكتابة، وهو إله مدينة بورسبا والتي ضمت معبده الرئيس المسمى (E.ZIDA) أي بيت الأخلاص، ينظر :George,A.R., House Most High The Templs, P.159.

(١٢) فاتن موفق فاضل علي الشاكر، رموز اهم الالهة في العراق القديم، ص٨١.

(١٣) إن اكتشاف الحديد كان من الأسباب المهمة في شيوع استعمال العربة كسلاح في الجيوش القديمة لاسيما منذ عصر الكشيين، ينظر: يوسف خلف عبد الله ، الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث ، ص٢٥٨.

(14) Van Buren ,E. Douglas, The Fauna, p.60.

(١٥) رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين ، تر: الاب البير ايونا، وليد الجادر، مطبعة التعليم العالي، (بغداد، ٢٠١٣م) ، ص٤٣٧.

(١٦) الثور المجنح : يتكون من رأس بشري والذي يمثل العقل والحكمة وفصاحة الرأي ومن جسم الثور الذي يرمز الى القوه والحماية ويمثل الخصب والتكاثر او قوة الخصوبة لأنه قرين البقرة وملقح القطعان أنه رمز العنصر المذكر في الطبيعة ، ينظر :Madhloom ,T.A, The Chronology of Neo- Assyrian Art, P.95.

إما جناحي النسر الذي يرمز الى قوة النسر ملك السماء الذي نراه قوياً متسلطاً بالسماء ، ينظر: حكمت بشير الأسود، الثور المجنح (لاماسو) رمز العظمة الآشورية، ط١، المركز الثقافي الآشوري،(دهوك ،٢٠١١م)، ص٤٤

(17) Black,Jeremy and Green ,Anthony,Gods Demons and Symbols,P.54.

(18)Parker ,Barbara, "Cylinder Seals from Palestine" Iraq, (London, 1949) ،P.7.

(١٩) صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم ، ص١٥٠.

(٢٠) رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين ، ص٣٣١.

(٢١) سجى مؤيد عبد اللطيف ، الحيوان في ادب العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، (بغداد ، ١٩٩٧م) ، ص١٥٠.

(22) Zimmern ,Heinrich," Beilage Zeurkenntins Der Babylonishen Religio", In Assyria, Vol.XII,(Leipzg,1901),P.12.

(٢٣) هاري ساكز، عظمة بابل، تر: عامر سليمان، ص٦٤.

(٢٤) صلاح رشيد الصالحي، طير النعام في الحضارات القديمة ، مجلة واسط للعلوم الأنسانية ، المجلد ١٠ ، العدد ٢٤ ، (جامعة بغداد ، ٢٠١٤م) ، ص٧٤.

(25) Green ,Nile , "Ostrich Eggs and Peacock Feathers: Sacred Objects as Cultural Exchange between Christianity and Islam Journal": Al-Masaq Vol. 18, Issue 1, March ,(2006),P.33.

(٢٦) صلاح رشيد الصالحي ، الطب في بلاد الرافدين _ السحر والعقلانية في معالجة الأمراض ، مركز احياء التراث ، العدد الأول ، (بغداد ، ٢٠١٠ م) ، ص٢٥٥.

(27) Porada,Edith, The Collection of ,P.92.

([28]) Albenda ,Pauline ,"OF Gods , Man and Monsters on Assyrian Seals" Asor, Vol .41, No.1,(American,1978),P.20

(٢٩) طارق الناصري، الرياضة بدأت في وادي الرافدين ، ص٢٣.

([30]) E.Watanabe ,Chikako, "Animal Symbolism in Mesopotamia A Contextual Approach ", WOO, band, , 1 , (Wien , 2002),P.87.

(٣١) كان العراقيون القدماء يجلبون الأُسود من أفريقيا ويضعونها داخل اقفاص خشبية وتعرض في الساحات حيث تبقى حية الى حين يحدد لها اليوم الذي تموت فيه في الاحتفال، ينظر:

جورج كونيتنو، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ص٢٣٩.

(٣٢) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، موجز التأريخ الحضاري، (الموصل، ١٩٩٣م)، ج٢ ، ص١٧٧.

(33) E.Watanabe ,Chikako, "Animal Symbolism in Mesopotamia ,P.80-84

(34) Porada,Edith, The Collection of,P.622.

(٣٥) مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، مجلة سومر، مج٤٣، (بغداد،١٩٩٧م)، ص١٧٠.

(٣٦) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ص١٧٦.

(٣٨) إسراء عبد السلام مصطفى، منحوتات الحيوانات المركبة في بلاد الرافدين ووادي النيل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج١١، ع٢، كلية الآثار، جامعة الموصل ،(٢٠١١م)، ص٤٥٤.

(٣٩) باسم أياد سعيد، الثروة الحيوانية في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، (٢٠٠٨م) ، ص١١٣.

(40) P , R , S,Moorey , "Ancient Mesopotamian Materials and Cylinders Seals Acquired by The Ashmolean Museum Oxford", Iraq, Vol , 40 , (London, 1978) ,P.111

(41) Van Buren ,E. Douglas, The Fauna,P.130.

(٤٢) مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، ص١٦٩.

([43]) Porada,Edith, The Collection of,P.70.

(٤٤) مزاحم محمود، وريا محسن عبد الرزاق، " أختام من نمرود"، مجلة سومر، ص١٦٩.

اولاً: قائمة المصادر والمراجع

١. ادزارد وبوب و رولينغ، قاموس الالهة والاساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)، ج١، دار الشرق العربي، ترجمة: محمد وحيد خياطة، (بيروت ، ب. ت).

٢. حكمت بشير الأسود، الثور المجنح (لا ماسو) رمز العظمة الآشورية، ط١، المركز الثقافي الآشوري ،(دهوك ،٢٠١١م).

٣. رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين ، ترجمة: الاب البير ايونا، وليد الجادر، مطبعة التعليم العالي، (بغداد، ٢٠١٣م).

٤. زهير صاحب، فنون فجر الحضارة في بلاد الرافدين ، دار مجدلاوي ،(الأردن ،٢٠٠٩م).

٥. صلاح رشيد الصالحي، بلاد الرافدين، دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم،ج٣،(بغداد،٢٠١٧م).

٦._____، "الطب في بلاد الرافدين _ السحر والعقلانية في معالجة الأمراض" ، مركز احياء التراث ، العدد الأول ، (بغداد ، ٢٠١٠ م).

٧. صموئيل نوح كريمر، السومريون (تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم)، ترجمة: فيصل الوائلي، ط١، مكتبة الحضارات، (بيروت،١٩٧٣م) .

٨. طارق الناصري، الرياضة بدأت في وادي الرافدين، دار القادسية للطباعة، (١٩٨٤م).

٩. مزاحم محمود حسين، عامر سليمان، نمرود مدينة الكنوز الذهبية، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ٢٠٠٠م).

١٠. هاري سأكز، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، ط٢ ، (لندن ، ١٩٦٦م).

١١. يوسف خلف عبدالله، الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث، ط١، مكتبة المهتدين الاسلامية (بغداد، ١٩٧٧م).

ثانيا: المجلات والبحوث

١. إسراء عبد السلام مصطفى، " منحوتات الحيوانات المركبة في بلاد الرافدين ووادي النيل"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج١١، ع٢، كلية الآثار، جامعة الموصل ،(٢٠١١م).

ثالثا: الرسائل والاطاريح:

١. باسم أياد سعيد، الثروة الحيوانية في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، (٢٠٠٨م).

٢. سجى مؤيد عبد اللطيف ، الحيوان في ادب العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، (بغداد ، ١٩٩٧م).

٣. سيناء محسن كاظم الوائلي، الحيوانات اللبونه على مشاهد اختام بلاد الرافدين حتى سنة(٥٣٩ق.م)، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة بغداد، (٢٠١٩م).

٤. فاتن موفق فاضل علي الشاكر، رموز اهم الالهة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل،(٢٠٠٢م).

رابعا: المصادر الأجنبية:

1. Albenda ,Pauline ,"OF Gods , Man and Monsters on Assyrian Seals" Asor, Vol.41, No.1,(American,1978).
2. Black ,Jeremy, Green, Anthony, Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, (London 2004).
3. E. Watanabe,Chikako, "Animal Symbolism in Mesopotamia A Contex tual Approach ", WOO, band, 1 , (Wien , 2002).
4. Gray ,Martin Paul ,Cave Art and The Evolution of the Human mind, A thesis submitted to Victoria University of wellington in fulfillment of the requirements for the degree of master of Arts in Philosophy,(2010) .
5. Green ,Nile "Ostrich Eggs and Peacock Feathers": Sacred Objects as Cultural Exchange between Christianity and Islam Journal: Al-Masaq Volume 18, Issue 1, March ,(2006).
6. Jordan ,Manfred, Dictionary of Gods and Goddesses, (U.S.A, 2004).
7. Madhloom ,T.A ., The Chronology of Neo-Assyrian Art, Athlone press ,(London,1970).
8. Oppenheim ,Leo and Louis F. Hartman ,"The Domestic Animals of Ancient, Mesopotamia", JNES, Vol.4, No.3,(Chicago,1945).
9. P , R , S ,Moorey, "Ancient Mesopotamian Materials and Cylinders Seals", Acquired by The Ashmolean Museum Oxford, Iraq, Vol , 40 , (London, 1978).
10. Parker ,Barbara, "Cylinder Seals from Palestine" Iraq, (London, 1949).
11. Porada,Edith, "The Collection of The Pierpont Morgan Libray ", Corpus of, Ancient Near Eastern Seals in North America Collections , Vol.1,(Washington,1948).

12. Sitchin ,Zecharia, The wars of Gods and Men (London,2010).
13. Van Buren, Douglas, The Fauna of Ancient Mesopotamia as Repres en ted in Art (Roma, 1939).
14. Zimmern,Heinrich," Beilage Zeurkenntins Der Babylonishen Religio", In Assyria, Vol. XII,(Leipzg,1901).
15. Collon ,Dominique ,First Impressions :Cylinder Seals in the Ancient Near East, Univ (Chicago, 1988).

دور الأقليات الدينية في قيام الإمبراطورية المغولية

The role of religious minorities in the establishment of the Mongol Empire

ا.د. اسراء مهدي مزبان
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

م.د. شيماء بدر عبد الله
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The Mongolian Empire's view of its subjects was not an extremist religious view, despite their different religions and sects (Jews, Christians, Muslims, or Buddhists). On the contrary, this view was based on the basis of religious freedom, and it did not distinguish between a believer or an infidel, nor between a free man or a slave, and it treated everyone in a manner. Equal and subject to one judgment The historical reality of the Mongolian state indicates that it is distinguished by courtesy of all religious sects, according to what was mentioned by the laws of Yasa, especially that the Mongols did not possess a cultural or intellectual heritage, so they found that embracing religious minorities will pave the way for them to obtain their assistance in stabilizing the foundations of their rule and achieving political, economic, administrative and cultural stability for their statem Therefore, some of these minorities emerged and played a large and influential role represented by obtaining administrative and political positions, and although the founder of the Mongolian state, Genghis Khan, had followed a harsh and harsh policy towards those who wanted to stand against him or who wanted to seize the glory of his empire, but at the same time he followed an established policy. On the basis of religious tolerance and freedom of belief for the various peoples within the vast walls of his state.

الملخص

لم تكن نظرة الإمبراطورية المنغولية لرعاياها وجهة نظر دينية متطرفة ، على الرغم من دياناتهم وطوائفهم المختلفة (يهود ، مسيحيون ، مسلمون ، أو بوذيون). بل على العكس من ذلك ، كان هذا الرأي مبنياً على أساس الحرية الدينية ، ولم يميز بين مؤمن أو كافر ، ولا بين رجل حر أو عبد ، ويشير الواقع التاريخي للدولة المغولية إلى أنها تتميز بتسامح مع جميع الطوائف الدينية وفقًا لما ورد في قوانين ياسا، خاصة أن المغول لم يكن لديهم تراث ثقافي، لذلك وجدوا أن احتضان الأقليات الدينية سيمهد لهم الطريق للحصول على مساعدتهم في تثبيت أسس حكمهم وتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي والإداري والثقافي لدولتهم، لذلك برزت بعض هذه الأقليات ولعبت دورًا كبيرًا ومؤثرًا تمثل في الحصول على مناصب إدارية وسياسية ، ومع أن مؤسس الدولة المغولية جنكيز خان اتبع سياسة قاسية تجاه من أراد الوقوف ضده، لكنه في نفس الوقت اتبع سياسة تسامح ديني وحرية المعتقد لمختلف شعوب دولته.

كلمات مفتاحية: (المغول، قانون الياسا، جنكيز خان، الأقليات، المسلمون)

المقدمة .

ان نظرة الامبراطورية المغولية نحو رعاياها لم تكن نظرة دينية متطرفة على اختلاف اديانهم ومذاهبهم سواء كانوا من اليهود او النصارى او المسلمين او البوذيين بل قائمة على اساس الحرية الدينية فلا فرق بين مؤمن وكافر ولا بين مسيحي ويهودي ولا بين حر وعبد الكل سواسية يخضعون لحكم

صولجان واحد.

ان واقع الحال يشير الى ان الحكم المغولي تميز بظاهرة محاباة الطوائف الدينية كلها وهذا ما اكدت عليه قوانين الياسا ولاسيما وان المغول كانوا يعيشون نوع من الفراغ الفكري والحضاري فوجدوا في احتضان الاقليات الدينية طريقا لينالوا مؤازرتها ودعمها في تسيير شؤون الدولة ادريا وتثبيت دعائم حكمهم وتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي والاداري والثقافي لدولتهم .

وفي ظل تلك الظروف برز لهذه الاقليات دور كبير ومؤثر تمثل بالمناصب الادارية والسياسية التي شغلوها وعلى الرغم من ان مؤسس الدولة المغولية جنكيز خان كان قد اتبع سياسة قاسية وشديدة اتجاه من أراد الوقوف بوجهه او من أراد الاستيلاء على مجد امبراطوريته العميقة نجده في الوقت نفسه اتبع سياسة بنيت على اساس التسامح الديني وحرية المعتقد لمختلف الشعوب الموجودة داخل اسوار دولته الواسعة ..

ولعل في ما اوردته المصادر التاريخية خير دليل على ذلك اذ ذكر الجويني (ت٦٨٢هـ) ان جنكيز خان لم يكن متقلدا" لاي دين او تابع لاي مذهب فقد كان بعيد عن التعصب وعن تفضيل امة على امة اخرى او ترجيح بعضها على بعض بل عرف عنه انه كان يبجل ويكرم العلماء والزهاد من كل طائفة كما نظر الى المسلمين نظرة توقير واحترام واعز النصارى والبوذيين وبات واضحا" ان المغول عامة وجنكيز خان خاصة ينظرون الى الاديان المختلفة على انها عدة وجوه لعملة واحدة وطرق متشعبة ومختلفة تقود كلها الى هدف واحد وهي عبادة الاله الخالد الابدي المتربع على عرش السماء).(١)

من هذا المنطلق لم يميز جنكيز خان دين على اخر بل نظر اليها والى اصحابها نظرة متساوية فقد نظر بعين الرضا والاحترام للمسلمين ومنح نفس المكانة للمسحيين والوثنيين والبوذيين وسار ابنائه واحفاده على نفس طريق الاب المؤسس .وعلى الرغم من اعتناق المغول لاديان مختلفة الا ان جنكيزخان ترك الحرية التامة لاولاده في اختيار معتقداتهم الدينية وفي هذا ذكر الجويني مانصه : (واختار كل واحد من اولاده واحفاده ما يوافق ميله واهواءه فمنهم من دخل الاسلام ومنهم من اعتنق النصرانية ومنهم من اختار العباده الشامانية عبادة الاباء والاجداد القديمة لايحيد عنها ولايميل الى غيرها وكانت هذه الطائفة الاخيرة اقل عدداً). (٢)

ولابد من القول ان جنكيز خان تعامل بمنطق رجل الدولة السياسي قبل الديني مع افراد رعيته لذا لم يتاثر بديانة زوجته المسيحية ليجعلها ديانة قومه او اعلى منزلة من الاديان الاخرى مما دفع الباحث ساوندوز الى القول ان المسيحيين والمسلمين واليهود والبوذيين علاوة على الشامانين تمتعوا بحريتهم الدينية واقامة شعائرهم ومعابدهم دون ضغوط او ملاحقة ، ولغرض المحافظة على ذلك النسيج المتلون من مختلف الاديان والاقليات المتنوعة اصدر جنكيزخان قانوناً منح بموجبة حرية التعديدية المطلقة للمجتمع من بوذيين ومسيحيين ومسلمين وشامانيين اذ جاء بقانون الياسا الذي اوجب فيه ان ينظر الى كافة الاديان نظرة احترام وتقدير وعلى قدر من المساواة فلا يفضل دين على اخر وان يعامل رجال كل ملة وخدامها بكل تقدير واحترام يعطى لهم جميع الخدمات التي تعطى لكل فرد من افراد الدولة، كما فرض ان ينظر الى اماكن عبادة كل دين نظرة اجلال وتقديس ويعفى من الضرائب والخدمات العامة

التي تقدم الى الدولة كل المنقطعين لعبادة الاله الابدي الخالد لانهم نذروا حياتهم للزهد والنسك والتعبد لله وهذه الفقرة تشمل المسلمين من مؤذنين وقراء ومعلمين وائمة المساجد وخدمها والمقيمين عليها كما تشمل اتباع الاديان الاخرى ومن يقوم باعداد القبور والجنائز وتغسيل الميت وتحنيطه وتكفينه والاشراف على موارته ومن في حكمهم من اصحاب الديانات الاخرى .(٣)

انتهج جنكيز خان سياسة عدم التعصب والاضطهاد الديني وقد عادت عليه هذه السياسة بنتائج جيدة على اولاده والعالم حيث ابعدتهم عن مشاكل وصراعات اختلاف الاديان والمذاهب وبهذه السياسة استقطب المغول سكان الشعوب التي فرضوا نفوذهم عليها اذ وفروا جانب كبير من الحرية وبخاصة الحرية الدينية فنجحوا في تحقيق مكاسب كبيرة اذ استقطبوا الحرفيين والصناع والمترجمين والمعماريين من مختلف اصقاع الارض الذين عاش بعضهم في كنف الدوله المغولية هرباً من تعسف وبطش السلطات التي كانت تضرب على وتر الصراع الديني والمذهبي فكانت بلاد المغول ارض رحب استقطبت كل من كان يعاني من الاضطهاد الديني لاسيما الخلافة العباسية التي طالما عانى رعاياها من مختلف انواع الصراعات الدينية والمذهبية لاسيما ان تلك الصراعات في البلاد الاسلامية حملت طابعا" سياسيا بعد ان سُيست الصراعات الدينية لاغراض سلطوية .

وفي ظل تحول اراضي الدولة المغولية لاماكن جذب الاقليات على مختلف اديانهم للعيش بعيد عن ترهيب السلطات الحاكمة في بلادهم ومن منطلق الحاكم العادل الكافر افضل من الحاكم المسلم الظالم وتحت حكم من كان يقول عنه المسلمين بانهم كفار الا انهم تمتعوا بعدل لم يمتلكه اغلب من كان يدعي الاسلام لذلك نرى اراض المغول استقطبت كل الاديان ولاهمية دور كل فئة وما كان لها وعليها في ظل حكم الدولة المغولية رأينا وجوب اظهار دور كل اقلية دينية في تلك البلاد التي عاشوا تحت كنفها:

اولاً :- دور الاقلية المسيحية في الدولة المغولية

ان سياسية جنكيز خان كانت واضحة اتجاه القبائل المغولية التي تدين بالديانة المسيحية وبخاصة قبيلة الكرايت حيث تزوج من ابنة احد امرائها كما تزوج ابناؤه من اميرات مسيحيات من نفس القبيلة التي كانت تحت زعامة اونك خان فالديانة المسيحية انتشرت في هضبة منغوليا بين القبائل المغولية والتتريية وخاصة بين قبيلة الكرايت والنايمان وفق المذهب النسطوري . (٤)

وتشير الاحداث التاريخية الى ان للنصارى مكاناً مقرباً عند جنكيز خان حيث كانو يعملون في خدمته وكان يحسن اليهم ويكرمهم وذلك لان اكثر سكان قبيلة الايغور تدين بالديانة النصرانية وقد عرفت هذه القبيلة بكونها اكثر تحضراً من حيث معرفتهم بالكتابة والمدنية فقد دون قانون الياسا بالخط الايغوري .(٥) واصبح الخط الايغوري هو الاكثر شيوعاً في جميع ارجاء الامبروطورية المغولية وفي ظل الحديث عن دور النصارى في عهد جنكيز خان ذكرت المصادر التاريخية ان جنكيز خان راى يوماً في منامه حلم عن رجل يرتدي زي اسود وقد قال له لاتخف افعل ماشت فانك مؤيد فطلب من نصارى الايغور تفسير ذلك الحلم فلما دخل اسقف النصارى عليه وكان يرتدي البرون الاسود فقال له جنكيز خان هذا زي من رايت في منامي فقال له الاسقف يكون الخان قد راى بعض من قداستنا .(٦) ويبدو من خلال هذه الرواية ان النصارى كانوا يحاولون الحصول على منزلة محظية لدى الزعيم المغولي واكسبوا مكانتهم

جانب ديني .

ولم يقف تاثير النصارى عند هذا الحد بل كان لهم تاثير على افكار المغول من خلال اسطورة القداتسة التي وضعت من قبلهم حول جدة جنكيز خان (الان قوا) التي كانت قد حملت بعد موت زوجها فأنكر عليها قومها حملها فاخبرتهم انها كانت جالسة حافة جبل وردائها كان مفتوح فنزل نور من السماء ودخل الى جسمها خلال الرداء ثلاث مرات فحملت من ذلك النور بثلاث اولاد وكان احدهم جد جنكيز خان لهذا عرفو اتباع جد جنكيز خان بالنوريين .(٧)

يبدو من خلال تلك الرواية ان تاثير الديانة النصرانية واضح في سرد هذه الاسطورة المستمدة من قصة السيدة مريم العذراء في محاولة من النصارى لاضافة شيء من القداسة والتعظيم لشخصية جنكيز خان وتشبيهه بالانبياء وفي الوقت نفسه الحصول على مكانه لهم تقربهم من الحاكم، كما واستطاع المسيحيون نشر المسيحية بين نساء المغول وكان بعضهم مكلفاً بتربية ابناء المغول ففي عهد كيوك برز المسيحييون وتقرب اليهم لان امه كانت مسيحية فقد اظهر عطفاً للمسيحين مما اكسب النصارى قوة داخلية جديدة وحماساً تبشيرياً واضحاً وقد خلف هذا الامر قبولاً للمسيحية لدى عقلية كيوك خان اذ برزه امير كبير اسمه قداق وكان هذا معمداً مؤمناً بالمسيحية وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان وبمعونته امير يسمى جبيتقاي اذ احسن هذا بالنصارى ونال اعجاب كيوك خان ووالدته واهل بيته بالمطارنة والاساقفة والرهبان والسريان والارمن .(٨)

فقد تربى هذا الخان على ايدي النصارى وزاد في عهده الرهبان والقساوسة في البلاد الخاضعة للمغول وفي البلاط المغولي نفسه كما منحهم منصب الوزارة .(٩) وشارك المسيحين في الدولة المغولية في نواحي مختلفة اذ امتهنوا مهنة الطب حيث ان اغلب اطباء كيوك خان كانو من النصارى اذ تولى النصارى مهنة الطب في معالجة الخانات كما تولو الاشراف على الشوؤن الطبية في قرقوم ولذلك شاعت بعض التقاليد النصرانية في الاوساط المغولية .(١٠) وعلى هذا الاساس يبدو ان النصارى ارتفع شأنهم في عهد كيوك خان بتاثير امه ووزرائه المسحيين.

وتشير النصوص التاريخية الى ان جيش هولاكو قد ضم نسبة كبيرة من المسيحيين الى النساطرة الجورجيين حتى ان الوفد الذي ارسله الخليفة العباسي المعتصم بالله والذي كان يحمل رسالته وكان من جاثليق النصارى في بغداد (١١) ويبدو ان تاثير المسيح كان واضحاً بالنسبة للخليفة العباسي ومكانة المسيحيين في البلاط المغولي .(١٢) ودور النصارى جاء منسجماً وواضحاً للمغول في دخول بغداد فمنهم من ساند ورحب بفكرة دخول الجيش المغولي الى بغداد وارسلوا رسائل الى هولا كو تؤيد ذلك وكانت الفراميل واصلة الى ناس من بعد ناس من غير تحاشٍ منهم ولا خيفة .(١٣)

ان المكاسب التي حصل عليها النصارى بعد الغزو المغولي لم تقتصر على حماية الاقليات الدينية من القتل الذي تعرض له السكان او اقامة دير في واحد من قصور كبار موظفي الخلافة وجعل مكان الرباط الذي بجواره مقبرة بل تعدى ذلك الى رفع الصليب والمسير به والزام الناس المارين الوقوف احتراماً له بنهار رمضان فضلاً عن المجاهرة بشرب الخمور ورشها على عامه المسلمين عشية دخولهم الى دمشق .(١٤) ان تلك الاحداث تؤكد ان مجتمع النصارى أظهروا تعاون واضح مع المغول نتج عنه

سعة نفوذهم وعلو شأنهم .

لقد حضى النصارى بمكاسب جمة ومكانة لم يحصلوا عليها في ضل حكم المسلمين حتى ان الجاثليق سكن في دار احد كبار رجال دولة الخليفة اذ اسكنه المغول في دار الدويدار الكبير ودق الناقوص في اعلاها ولم يكتفي بذلك بل استولى على دار الفلك التي كانت رباط للنساء وازال الكتابة التي عليه وكتب عوضاً عنها في السيريانية وهذا يعطي انطباع على المكانة التي اصبح عليها النصارى في ظل حكم الدولة المغولية .

ومن نتائج لطف المغول على النصارى في بغداد عشية دخول هولاكو اليها ان تحسنت احوالهم كثيراً ورفعت عنهم الجزية وكانت سياسة المحاباة التي انتهجها المغول تجاه النصارى دفعت تلك المحاباة احد الباحثين للقول "انه لم يكن للفتح المغولي معنى سوى انعاش المسيحيين المحليين " .(١٥) ويبدو ان هذا الباحث نظرته اقتصرت على مقدار الاهمية التي منحت للنصارى من قبل المغول الامر الذي دفعه الى الاعتقاد والنظر في اتجاه واحد لما اسماه الفتح المغولي الذي راه انه اقتصر على انعاش المسيحيين المحليين متناسي الدور الذي لعبه المغول مع بقية الاقليات الاخرى .

ومارس المسيحيون دورهم الابرز وهو نشر تعاليم الديانة المسيحية مستغلين كل الفرص الممكنة فعندما قدم راهب انكليزي على راس سفارة ارسلت من قبل ملوك الفرنجة اعجب به هولاكو واستخدمه في بلاطه فاستغل هذا الراهب وجوده واخذ يحدث هولاكو عن العقيدة الكاثوليكية وعن عظمة ملوك الفرنجة واستقر في تبريز واستغل وجوده في ايران في نشر تعاليم المسيحية والتبشير بها .(١٦)

واستمر نفوذ المسيحين قوياً ودورهم بارزاً حتى بعد وفاه هولاكو ففي عهد خلفه الايلخان اباقا(٦٣٣-٦٨٠/١٢٤٦-١٢٨١)استمر التودد الى النصارى وحضى رجال الدين بكل الاحترام والتبجيل حتى ان احد القساوسة المقربين من اباقا امر فلاحين منطقتهم بلبس البرلنس لكي يعفو من دفع الجزية .(١٧) وهذا ان دل انما يدل على المكانة التي حضى بها رجال الدين النصارى في ذلك العهد كما انهم تولوا ادارة بعض المناصب المهمة من بين هؤلاء مسيحي نسطوري يدعى ايسر عُين مدير لرصد الاوردو كما انتشر المسيحيون وعملوا على نشر المسيحية واقامة الكنائس حتى في العاصمة قراقوم .(١٨) ونال المسيحيون الكثير من الامتيازات في عهد اباقا ويبدو ان سبب ذلك ميله لهم وبتأثير واضح من زوجته النصرانية مريم ابنة ميخائيل باليوجوليوس وعلى اثر ذلك الزواج تنصر اباقا واعتنق المسيحية حتى انه امر ببناء كنيسة لها في مدينة تبريز .(١٩)

وكان من اثر هذه الزيجة ازدياد نفوذ المسيحيين عامة والارمن خاصة ومما زاد من نفوذهم وعلا شانهم بعد ان امر اباقا بتعيين المسيحيين في المناصب الى جانب المسلمين حيث ولى على الموصل رجلاً نصرانياً اسمه مسعود وهو من قرى اربل مع شحنة من المغول اسمه اشحوط كما ظهر منهم في مجال الكتابة عند الخان ومنهم الكاتب ابن الجمل صفي الدولة سليمان بن هبة الله النسطوري الذي عمل كاتب في بغداد كما عمل فرج الله الجليل القبطي كاتب في ديوان الموصل .(٢٠)

وهنالك من قدم خدماته لبعض كبار موظفي الدولة فيذكر صاحب الحوادث الجامعة ان كلا من عبد شيوع البغدادي ويعقوب وهما نصرانيان خدما لدى مجد الملك اليزدي وشارك المسيحيون المغول في

بعض المناصب حيث تولى اسحاق الارمني نائب لشحنة بغداد .ولم يقف عمل ودور المسيحيين عند حدود العمل فحسب بل عملوا في مجال الطب فعندما مرض الايلخان كيخاتو (٦٩١هـ/١٢٩٢م) من كبار معاليه طبيبان هما ربيب الدولة وصفي الدولة .(٢١) وكان من نتائج احتكاك المغول بالمسيحيين حماستهم ودورهم في نشر المسيحية داخل الدولة المغولية اذ اعتنق بعض القادة العسكريين المسيحية فقد اعتنق القائد كتبغا الديانة المسيحية والذي كان يقود الحملات العسكرية ضد اراضي الخلافة الاسلامية كما كان القائد منكوتمر نصرانياً هو الاخر ولم يقتصر ولن يقتصر دور المسيحين على التبشير بالديانه بل تعدى ذلك الى مساندة المغول ومشاركتهم بالقتال فقد ذكر ان لهولاكو عدد غير قليل من حرسه المخلص المحيط جملة من الارمن .(٢٢)

وتشير الاحداث التاريخية ان قوات عسكرية شاركت مع المغول في احتلال بغداد من الكرج والنصارى وفي هجوم اباقا على بلاد الشام عام (٦٨٠هـ/١٢٨٢م) استخدم النصارى من الكرج والارمن وبلغ عددهم اكثر من ثلث جيشه انذاك وعلى الرغم من اسلام تكودار فقد كان من ضمن جيشه الذي اعده لمحاربة ارغون قوات من الارمن والكرج .(٢٣)

ولعب المسيحيون دوراً مهما بقيادة السفارات المغولية الى اوربا ومما كان لصوما لدور كبير في عهد ارغون حيث ارسله بسفارة الى روما سنه ٦٨٦ هـ كما قاد سفارة اخرى الى باريس في نفس السنة التي ورد ذكرها لعقد تحالف مع المغول لتخليص بيت المقدس من سيطرة المماليك وقد عاد محملاً بالهدايا والرسائل من البابا وقاد المسيحيون سفارة اخرى بقيادة بوسكاريل جزولف فقد حمل رسائل الى البابا وملكي انكلترا وفرنسا يشجعهم على الدخول بتحالف مع المغول ضد المماليك ومشاركتهم بالحملة الصليبية الا ان جهوده بائت بالفشل ولم تحقق هذه السفارات اي نتائج ملموسة على ارض الواقع .(٢٤) وخلاصة القول ظهر للمسيحيون دور كبير ومؤثرفي النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والادارية بشكل ملحوظ من خلال ماذكرناه سلفاً.

ثانياً :ـ دور المسلمين في الدولة المغولية

وعلى الرغم من ان المسلمين شكلو النسبة الاكبر مقارنة مع النصارى واليهود الا انهم لعبوا دوراً واضحاً في بناء الدولة المغولية التي اعتمدت على شخصيات مسلمة كان لها دوراً واضحاً في القيادة المغولية الا ان دور المسلمين جاء بالمرتبة الثانية بعد الدور الكبير الذي لعبهُ النصارى فقد عرف المغول الاسلام ومبادئه وتعاليمه منذ عهود مبكرة ترجع الى عهد جنكيز خان وذلك بعد ان وصل المسلمين الى اقصى بلاد المغول في هضبة منغولية هرباً من سطوة الدولة العباسة لاسيما العلويين اذ اجتهدت الدولة العباسية في ملاحقة كل المعارضين لسياستهم الامر الذي دفع البعض الى الرحيل بعيداً عن ملاحقة الدولة لهم حتى حطوا رحالهم في بلاد المغول .(٢٥)

كما كان للتجارة دوراً في وصول المسلمين الى تلك البلاد لاسيما وان الاسلام شق عبابه وصولا الى الصين فكان لطريق الحرير اثر في ا لتبادل التجاري والثقافي ولعل من اشهر الشخصيات المسلمة التي عاشت في بلاط المغول لفترات طويلة محمود يلوج اذ عمل مستشاراً في الدولة المغولي ابان حكم جنكيز خان وصولاً لعهد اولاده من بعده فضلا عن ذلك كان لتاثير الزوجات والامهات المسلمات دور

كبير في انتشار الاسلام بين المغول ونظراً لمكانة المراة المغولية اذ تزوج المغول من مسلمات تركيات فقد تزوج جوجي ابن جنكيز خان من احدى بنات علاء الدين خوارزم شاه سنة ٦١٧هـ بعد تغلبه عليه.(٢٦)

وعند دخول هولاكو الى فارس والعراق واجه المسلمين اضطهاداً في بداية الامر بسبب وقوفهم بوجه السلطة المغولية وتمتعت المذاهب الاسلامية بحرية تامة وقد اتبع اباقا خان منهج والده في موقفه من المسلمين وقد حدث تطور ديني خطير عند المغول بوصول احمد تكودار للعرش حيث اعلن اسلامه ولقب نفسه بالسلطان احمد فكان اول ايلخان بدولة المغول يعتنق الاسلام .(٢٧)، وبسبب اعتناقه للاسلام اصبح اكثر ميولاً لعلماء المسلمين امثال علاء الدين الجويني الذي قربه ومنحه منصب الوزيركما منح اخيه شمس الدين مناصب ادارية في الدولة وباعتناق تكودور الاسلام اخذ على عاتقه تطبيق الشريعة الاسلامية وتحقيق العدل فقد حول المعابد البوذية وبعض الكنائس القديمة الى مساجد ولابد من الاشارة الى ان السلطان لم ياخذ تلك المعابد والكنائس عنوة من يد اصحابها بل حول ماكان منها قديما وترك من قبل اهلها.

وقد عين ايلخانات المغول المسلمين في مناصب ادارية مختلفة اذ استعان هولاكو بوزراء مسلمين لادارة البلاد عند دخوله فارس كان اشهرهم نصير الدين الطوسي الذي شغل منصب وزير ومستشار لهولاكو كما عين معين الدولة بروانة واسند منصب صاحب الديوان الى علاء الدين عطا ملك الجويني الذي اصبح حاكماً مطلقاً على بغداد على عهد هولاكو واستمر المغول بتعيين المسلمين في المناصب الكبيرة والمهمة ففي عهد الايلخان كيخاتو صدر جيهان ومنحهُ سلطات واسعة كما كتب على العملة الورقية الجاو لااله الا الله محمد رسول الله وبعد مجيء غازان للحكم اعتنق الاسلام وتسمى بمحمود وذلك بفضل جهود وزيره نوروز الذي شجعه على دخول الاسلام فاعلن غازان الاسلام ديناً رسمياً لدولة مغول فارس الايلخانية.(٢٨)

ومع اعلان غازان الاسلام الدين الرسمي لدولته عمل الوزراء المسلمين على بناء المساجد والمدارس واصبح منصب الوزارة وراثياً بين المسلمين كما كان للطرق الصوفية اثراً في نشر الاسلام بين المغول ويبدو ان تاثر المغول بالاسلام لتوافق بعض قيمه الاسلامية مع مانصت عليه قوانين الياسا بل نرى ان المؤسس لدولة المغول جنكيز خان وضع الياسا مستمد العديد من قوانينه من الشريعة الاسلاميه ولكن وفق مايتلائم ومنهج حياتهم الخاصة والعامة في مايخص القوانين التي طبقت على المجتمع المغولي وفق ذلك القانون .(٢٩)

ثالثاً:- الشامانية واليهودية ودورهما في الدولة المغولية

على الرغم من ان الديانة الشامانية كانت تعد هي الديانة الاكثر شيوعاً في الهضبة المنغولية ارض المغول الام وهي ديانة الاب المؤسس للدولة المغولية جنكيزخان الا انه لم يفرض ديانته كدين رسمي لقومه غير ان الشامانية كانت محل احترام وترحيب بين المغول الا ان تلك الديانة لم تستطع ان تقاوم تقدم بقية الاديان عليها فقد فشلت الشامانية في تحويل عدد من المغول الى ديانتها رغم اعتناق بعض الاليخانات لهذه الديانة امثال هولاكو واباقا خان لاسيما انهم نوعوا في ديانتهم بين الشامانية تارة

والبوذية تارة اخرى .(٣٠)

ومع ان الشامانية انتشرت بشكل كبير في موطن المغول الاول الا انه مع اتساع رقعة التوسع المغولي خرجوا من صمت الشامانية الى اديان اخرى من منطلق الحرية الدينية التي منحت لهم حتى باتت الشامانية تتضائل في الامبراطورية الايلخانية واصبحت الشامانية الدين الاقل انتشاراً مقارنةً مع بقية الاديان الاخرى لاسيما ان شعار المغول هو التسامح الديني في التعامل مع البلاد التي فرضوا نفوذهم عليها والاجمل في حكم المغول هو انهم لم يفرضوا دينهم او اي معتقد لهم على الشعوب الاخرى وهذا مالم نجده عند بقية الدول التي حكمت بعضها لتفرض نفوذها ليس السياسي فحسب بل الديني ايضا(٣١)ومن خلال استقرائنا للاحداث نجد ان روح التسامح عندهم هي مساوية للاسلام الذي رفع شعار التسامح الديني الذي اكد عليه الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم قواه تعالى:(لا اكراه في الدين)(٣٢) الا ان من حكم بسم الاسلام لم يتخذ تلك الاية شعاراً في سياسته الا فئة قليلة من المسلمين الاوائل ولنا في رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)واامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وبعض الصحابة والاولياء خير مثال على حرية التسامح الديني التي طبقت في فترات حكمهم.(٣٣)

اما بالنسبة الى اليهودية فقد شكلت نسبة من بين الاديان الاخرى التي عاشت في رحاب الدولة المغولية وكانت لهم جملة من المساهمات في هيكلة تلك الدولة على الرغم من ان اغلبهم دخلوا في الاسلام الا انهم استمروا في خدمة الامبراطورية وايلخاناتها فعندما سيطرة المغول على بلاد فارس والعراق كانو من ضمن الاقليات المنتشرة في البلاد حيث كانت زنجان وقزوين واذربيجان ومراغة واربيل اكثر سكانها من اليهود اذ لقى اليهود حالهم حال الديانات الاخرى حرية كبيرة في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية وادارة شؤنهم في البلاد وباعتلاء ارغون العرش اصبح لليهود مكانة كبيرة في بلاطه اذ قرب رشيد الدين الهمذاني الذي اسلم فيما بعد وكذلك الوزير سعد الدولة اليهودي الذ عمل طبيباً وحاجباً لشحنة بغداد ثم اصبح الوزير المفوض والمتصرف في امور البلاد واظهر سعد الدولة اليهودي جهوداً ملحوظة في تنظيم شؤون الدولة في بداية عصر ارغون فشهدت تلك الفترة بالنسبة لليهود نشاط فكري واسع داخل املاك الامبراطورية المغولية .(٣٤)، فظهر في تلك الفترة ابن كمونة الاسرائيلي الذي يعد من اشهر علماء اليهود كما عمل سعد الدولة على اتساع نفوذ الطائفة اليهودية عندما استقدم يهوداً من مدينة تفليس للاشراف على تركات المسلمين على الرغم من انها وظيفة اسلامية(٣٥)، ويبدو ان اليهود تمتعوا بمكانه مهمة عند ايلخانات المغول لاسيما ان اغلبهم كانوا اطباء اعتمد عليهم السلاطين في علاجهم ومن هذا المنطلق منحوهم مناصب ادارية مختلفة عززت من مكانتهم في الدولة المغولية .(٣٦)

الخاتمة:

وفي ختام الحديث عن دور الاقليات الدينية في الدولة المغولية لابد من القول :-

١- ان المغول ومنذ ظهورهم على الساحة السياسية اعتمدوا سياسة التسامح الديني والعقائدي اتجاه المذاهب والاديان في المناطق التي سيطروا عليها .

٢- ان مؤسس الدولة المغولية جنكيز خان فرض على المغول احترام الاديان وقد وضع في الياسا قوانين تضمن حرية المعتقد الديني واحترام الاماكن المقدسة للديانات واحترام رجال الديانات بمختلف اديانهم

وعقائدهم .

٣- ان بعض اباطرة المغول هم من شجع على اعتناق دين معين كانوا قد اعتنقوه الا انهم لم يفرضوا بالقوة اعتناق اي دين حتى وان كان دين الايلخان الحاكم نفسه .

٤- لم نجد عند الاباطرة المغول من حاول فرض دين معين على اي فئة من فئات المجتمع بل تركوا الحرية الكاملة لهم في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية التي يؤمنون بها ويعتقدون فيها مهما كانت .

٥- ان الحرية التي منحت للأقليات الدينية كان لها دور كبير في الانجازات التي تحققت من قبلهم في الجوانب الادارية المختلفة والتي اسهمت في التفوق الذي تحقق لدولة الاباطرة المغولية.

الهوامش

١- الجويني ،تاريخ جاهنكشاي ،ج١ / ص٦٢-٦٣.

٢- مصدر نفسه ،ج١/ ص٦٣.

٣- المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

٤- المقريزي الخطط ، ج٢/ ص٢٢؛ الغامدي ، دراسه نقديه للياسا ، ص١١٢.

٥- اقبال ، تاريخ المغول / ص٢١٤.

٦- العمادي ، المعتقدات الدينية عند المغول ، ص.

٧- مجهول ، الحوادث الجامعة ، ص ٤٧٣.

٨- عبد الحليم ، انتشار الاسلام بين المغول ، ص ٤٠ .

٩- الامين ، المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام ، ص٩٠.

١٠- عبد الحليم ،انتشار الاسلام ، ص٣٣-٣٤.

١١- المرجع نفسه، ص٣٥.

١٢- الافشيدي، الدين عند المغول ، ص١١٥.

١٣- لاين، تاريخ المغول ، ص١٠٢.

١٤- الهمذاني ، جامع التواريخ ، ج١/ ص١٣٢.

١٥- الاحمدي ،العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، ص١٧٨ .

١٦- الهمذاني، جامع التواريخ ، ج / ص١١١؛ المقريزي، صبح الاعشى ،ج٧ / ص٢٣٧ .

١٧- ابن العبري ، اخبار الزمان ج / ص٥٢ .

١٨- الافشيدي، الدين عند المغول، ص١٣٠.

١٩- العميري ،الحياة الفكرية في الدولة الايلخانية ، ص١١٢.

٢٠- الجابري ،العقائد الدينية في الدولة المغولية،ص١١٩.

٢١- المرجع نفسه ، ص١١٩ .١٢٠.

٢٢- الهادي ،الحركات الفكرية والدينية نهاية الحكم العباسي ، ص٧٨.

٢٣- محي الدين ،الوثنية والتوحيد في الفكر الديني عند المغول، ص٢٠٦.

٢٤- الازهري ، التحولات الفكرية في العالم الاسلامي خلال العصر المغولي ، ص١٤٤.

٢٥- المرجع نفسه ، ص١٤٤-١٤٥.

٢٦- المرجع نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

٢٧- صبري ، المغول والعالم الاسلامي ، ص١١٣.

٢٨- المرجع نفسه ، ص٢١١.

٢٩- اسماعيل ، مسلمي الصين واثرهم في العالم الاسلامي .

٣٠- شريف ، نهاية الاسطورة المغولية ، ص٦٩.

٣١- المرجع نفسه ، ص٦٩-٧٠.
٣٢-عبد الحميد ، الحركات الاسلامية في العصر المغولي ، ص٩٦.
٣٣- صبري ،المغول والعالم الاسلامي ، ص١٣٣.
٣٤- حمدي، مغول فارس واثرهم في الحياة الفكرية ، ص١٣٢.
٣٥- براون ، الشامانية عند المغول، ص٧٦.
٣٦- صبري ، المغول والعالم الاسلامي ، ص١٦٦.

فلسفة الشهادة في واقعة الطف أصحاب الإمام الحسين (عليه السلّام) أنموذجاً

The philosophy of martyrdom in the incident of the kindest companions of Imam Hussein (peace be upon him), model

أ.د. فليح خضير شنني
جامعة واسط /كلية الآداب

أ.د. آلاء عبد نعيم
جامعة واسط /كلية الآداب

Abstract .

The Companions of the Holy Prophet Muhammad (pbuh), especially the Badriyun among them, have the highest priority in Islam, and they are among those who were honored to see the greatest Messenger (pbuh) and to associate with him and his companions. Imam Hussein (PBUH), winning his victory and being martyred with him in a kinder incident from the likes of Habib bin Mazhar Al-Asadi (may God be pleased with him), Muslim bin Awsja (may God be pleased with him), Hani bin Urwah, and others who sacrificed themselves and defended the sanctuary of the Messenger of God (PBUH) on the day of Ashura after he They struggled with the Noble Messenger (PBUH) in the first days of their lives.

In this research, we will discuss the lives of those companions who won these two companionships and ended their lives with martyrdom with the Prophet's basil and his companion in Heaven after their companionship with his grandfather, the Chosen One (PBUH). about them.

الملخص:

إنّ صحابة الرسول الكريم محمد (ص) ولاسيما البدريون منهم لهم قصب السبق في الاسلام، وهم ممن تشرف برؤية الرسول الأعظم (ص) ومعاشرته وصحبته، احتلوا مكانة لا تدانيها مكانة عند المسلمين، فكيف بمن فاز بالصحبتين معاً، وهما صحبة الرسول (ص) وصحبة الامام الحسين (ع)، والفوز بنصرته والاستشهاد معه في واقعة الطف من أمثال حبيب بن مظاهر الاسدي (رض)، ومسلم بن عوسجة (رض)، وهانئ بن عروة، وغيرهم ممن بذلوا أنفسهم ودافعوا عن حرم رسول الله (ص) يوم عاشوراء بعد أن جاهدوا مع الرسول الاكرم (ص) في اول أيام حياتهم، وفي هذا البحث سنتناول حياة هؤلاء الأصحاب الذين فازوا بهاتين الصحبتين وختموا حياتهم بالشهادة مع ريحانة الرسول ومرافقته في الجنان بعد صحبتهم لجده المصطفى (ص)، ونذكر بعض مواقفهم وبطولاتهم وشجاعتهم، لنبين للعالم كيف أن هنالك أناس قد عجنوا بمحبة محمدٍ وآل محمد وأفنوا أنفسهم في الدفاع عنهم.

كلمات مفتاحية: **(الصحابة، اصحاب الإمام الحسين (ع)، حبيب بن مظاهر الأسدي (ض)، مسلم بن عوسجة)**

١. حبيب بن مظاهر الأسدي:

حبيب بن مُظاهر بن قيس بن حارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد الأسدي الكندي الفقعسي، من قبيلة بني أسد، وكان يلقب بأبي القاسم[١]، نشأ في بيت توارث الشجاعة والبطولة بيت غمره حب الحسين (ع) بيت فيه مبادئ الوفاء واليقين والبصيرة لذلك كان محل اهتمام أمير المؤمنين (ع)، فهو من أصحاب الرسول (ص)[٢] ويعد من خواص أصحاب أمير المؤمنين، والإمام الحسن والإمام الحسين (عليهم السلام)[٣]. كان يتسم بحبه الشديد للامام الحسين إذ روي : أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يوماً

مع جماعة من أصحابه مارّاً في بعض الطّرق ، وإذا هُم بصبيان يلعبون في ذلك الطّريق، فجلس النّبي عند صبي منهم وجعل يُقبّل ما بين عينيه ويلاطفه، ثمّ أقعده في حجره وهو مع ذلك يكثر تقبيله، فقال له بعض الأصحاب : يا رسول الله، ما نعرف هذا الصّبي الذي قد شرّفته بتقبيلك وجلوسك عنده وأجلسته في حجرك ؟ ولا نعلم ابن مَن هو ؟ فقال النّبي: "يا أصحابي لا تلوموني، فإنّي رأيت هذا الصّبي يوماً يلعب مع الحُسين، ورأيته يرفع التّراب من تحت أقدامه ويمسح به وجهه وعينيه مع صغر سنّه، فأنا من ذلك اليوم بقيت أحبّ هذا الصّبي، حيث إنّه يحبّ ولدي الحُسين، فأحببته لحبّ الحُسين، وفي يوم القيامة أكون شفيعاً له ولأبيه ولأُمّه كرامة له، ولقد أخبرني جبرائيل أنّه يكون هذا الصّبي من أهل الخير والصّلاح، ويكون من أنصار الحُسين في وقعة كربلاء، فلأجل هذا أحببته وأكرمته كرامة للحُسين (عليه السّلام)"[٤].

ولحبيب بن مظاهر الاسدي الملقب بشيخ الأنصار فضائل متعددة منها ما رويّ " عن أحمد بن النضر، عن عبد الله بن يزيد الأسدي، عن فضيل بن الزبير قال: مرَّ ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حب أهل بيت نبيه عليهم السلام ويبقر بطنه على الخشبة، فقال ميثم: وإني لأعرف رجلا أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه ويقتل ويجال برأسه بالكوفة ثم افترقا فقال أهل المجلس: ما رأينا أحدا أكذب من هذين قال: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال: رشيد رحم الله ميثما نسي "ويزاد في عطاء الذي يجيئ بالرأس مائة درهم" ثم أدبر فقال القوم : هذا والله أكذبهم فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأيناه مصلوبا على باب دار عمرو بن حريث، وجيئ برأس حبيب بن مظاهر وقد قتل مع الحسين ورأينا كل ما قالوا وكان حبيب من السبعين الرجال الذين نصروا الحسين عليه السلام، ولقوا جبال الحديد واستقبلوا الرماح بصدورهم، والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال، فيأبون فيقولون: لا عذر لنا عند رسول الله إن قتل الحسين ومنا عين تطرف، حتى قتلوا حوله"[٥] وفي يوم العاشر من محرم لما فرغ الامام الحسين (ع) من الصلاة قال حبيب للامام الحسين(ع): يا بن رسول الله لقد حان الوقت للقدوم على جدك رسوا الله(ص) فإنْ كانت لك حاجة إلى جدك فمرني بتبليغها، فقال الامام الحسين (ع) لحبيب (رض) : أنت ذكرى جدّي وأبي وقد أخذك المشيب فكيف أرضى بدخولك ميدان القتال؟ فبكى حبيب وقال: أريد أن القى جدك وقد ابيضّ وجهي عنده وأكون عند أبيك وأخيك معدوداً من أنصارك. فبرز حبيب للقتال وحمل على القوم كالليث الغضبان يحمل على قطيع الثعالب فجدّل الابطال وخاض الاهوال مع كبر سنه وشدّة عطشه حتى قتل منهم اثنين وستين رجلاً، وأخذ يرتجز ويقول:

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وليث قسور
وأنتم عند العديد أكثر ونحن أعلى حجة وأظهر
وأنتم عند الوفاء أغدر ونحن أوفى منكم وأصبر
وفي يميني صارمٌ مذكّر وفيكم نار الجحيم تسعر

فقلب عليهم الميمنة على الميسرة، ثم طعنه بديل بن صريم التميمي بحربته فوقع على الارض ثم جاءه الحصين بن نمير فضربه بضربة ثم احتزّ رأسه وطاف به في جوانب العسكر، فهدّ مقتله الحسين (ع) الذي بان على وجهه الانكسار بعد استشهاد حبيب (ض) . ولقد رثاه الإمام الحسين (ع) بعد استشهاده قائلاً : لله دَرُّكَ يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة[٦].

وبعد استشهاده قام قومه بنو أسد بدفنه وهو اليوم يقع في الرواق الشرقي من الروضة الحسينية.

٢. مسلم بن عوسجة:

هو مسلم بن عوسجة بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، كان رجلًا كريمًا عابدًا متنسكًا، شجاعاً عابداً زاهداً، وقد اتفقت كتب التراجم كالاستيعاب والاصابة وأُسْد الغابة وطبقات ابن سعد أنه من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٧]. وقد شهد الجمل والنهروان وصفين مع الإمام علي (ع)، وكان من اصحاب الامام الحسين (ع) إذ ساير مسلم بن عقيل في الكوفة فقد كان وكيله آنذاك يدعو له آخذاً البيعة من أهل لكوفة، بعد أن نزل مسلم بن عقيل في بيت ابن عوسجة [٨]. وبعد استشهاد مسلم (ع) التحق ابن عوسجة مع أهله بالإمام الحسين (ع) وقد حضر مع ابنه وزوجته واقعة كربلاء ليشهدها مع الإمام الحسين وهو يقول[٩] :

إن تسألوا عنّي فانّي ذو لبد　　من فرع قومٍ من ذُرى بني أسد

فمن بغانا حائدٌ عن الرشد　　وكافر بدين جبّار صمد

ممّا جاء في كتب التاريخ أنَّ الليل لما جنَّ في ليلة عاشوراء قال الامام الحسين (ع) "هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فان القوم انما يطلبوني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري. فقال له أخوته وابناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك ابدا، بدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم انهم تكلموا بهذا ونحوه، فقال الحسين (ع): يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم، قالوا: فما يقول الناس؟ يقولون: انا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرمِ معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا لا والله لا نفعل ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك ... فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك. اما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك، قال: وقال سعد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت اني اقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا ثم أذر يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك" [١٠]

لقد كان مسلم بن عوسجة أول المستشهدين بين يدي الحسين (ع) يذكر الطبري في تاريخه ما نصه: " قال الزبيدي إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام فقال له الحسين يا عمرو بن الحجاج أعليّ تحرض الناس أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه، أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتم على

أعمالكم أينا مرق من الدين ومن هو أولى بصلي النار، قال: ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع فمشى إليه الحسين فإذا به رمق فقال: رحمك ربك يا مسلم ابن عوسجة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ودنا منه حبيب ابن مظاهر فقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة فقال له مسلم قولا ضعيفا بشرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا أنى أعلم أنى في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين، قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله وأهوى بيده إلى الحسين"[١١]

٣. هانيء بن عروة:

هو هانئ بن عروة بن عمران الغطيفي المرادي، أحد سادات الكوفة وأشرافها، أدرك النبي وتشرّف بصحبته وكان إذا ركب ركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل يصحبونه، وكان من خواص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قتل وهو ابن بضع وتسعين سنة[١٢] وكان ممن شارك الامام في حروبه مع أبيه عروة وقد ارتجز في حرب الجمل قائلاً [١٣]:

يا لك حربا حثها جمالها يقودها لنقصها ضلالها

هذا علي حوله أقيالها

كان هانيء بن عروة ذا منزلة كبيرة عند أمير البصرة ؛ عبيد الله بن زياد، ولما وصل الخبر إلى عبيدالله بأن مسلم بن عقيل قد نزل عند هانيء وقد كان أخذاً في البحث عن مسلم " فدعا بهانئ وعاتبه، فأنكر، فأتاه بالمخبر، فاعترف وامتنع من تسليمه، وغضب ابن زياد على هانئ، وضربه، وحبسه، ثم قتله" [١٤] قال العسقلاني " استدعى بهانئ بن عروة، فأدخل عليه القصر و هو ابن بضع و تسعين سنة، فعاتبه ثم طعنه بالحربة و حزّ رأسه، و رمى به من أعلى القصر." [١٥]

"وفي مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة رحمهما الله يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل

أصابهما أمر اللعين فأصبحا أحاديث من يسري بكل سبيل

ترى جسدا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل

فتى كان أحيا من فتاة حيية وأقطع من ذي شفرتين صقيل

ولما قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة رحمة الله عليهما بعث ابن زياد برأسيهما مع هانئ بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي إلى يزيد بن معاوية وأمر كاتبه أن يكتب إلى يزيد بما كان من أمر مسلم وهانئ " [١٦].

ولهانيء بن عروة زيارة مخصوصة ذكرت في العديد من الكتب ومنها في بحار الانوار إذ قال في " ذكر زيارة هاني بن عروة المرادي: فقف على قبره وتسلم على رسول الله صلى الله عليه وتقول: سلام الله العظيم وصلواته عليك يا هاني بن عروة، السلام عليك أيها العبد الصالح، الناصح لله ولرسوله ولأمير

المؤمنين، والحسن والحسين عليهم السلام، اشهد أنك قتلت مظلوما، فلعن الله من قتلك، واستحل دمك، و حشي الله قبورهم نارا، أشهد أنك لقيت الله وهو راض عنك بما فعلت ونصحت، واشهد أنك قد بلغت درجة الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، بما نصحت لله ولرسوله مجتهدا، وبذلت نفسك في ذات الله ومرضاته، فرحمك الله ورضي عنك وحشرك مع محمد وآله الطاهرين، وجمعنا وإياكم معهم في دار النعيم، وسلام عليك ورحمة الله، ثم صل ركعتين صلاة الزيارة واهدها له، وادع لنفسك بما شئت وودعه بما ودعت به مسلم بن عقل ره " [١٧].

٤. كنانة بن عتيق:

كِنانَةَ بنِ عَتيقٍ بْنُ مُعاوية بْنُ الصّامِت بن قَيسٍ التَّغلِبي الكوفي، كان هو وهو وابوه من المجاهدين في يوم أحد مع النبي (ص) [١٨]، كان كنانة بطلاً من أبطال الكوفة، وعابداً من عبّادها، وقارئاً من قرّائها، ذكر بعض علماء أنَّه كان فارس رسول الله (ص) [١٩].

" كان كنانة بطلا من أبطال الكوفة، وعابدا من عبّادها، وقارئا من قرّائها، جاء إلى الحسين عليهالسلام في الطف، وقتل بين يديه .قال السروي : قتل في الحملة الأولى . وقال غيره : قتل مبارزة في ما بين الحملة الأولى والظهر" [٢٠]. إذ يذكر أنه التحق بالامام الحسين (ع) في الطف أيام الهدنة وبقي مع الامام ملازماً له حتى استشهاده في اليوم العاشر من عاشوراء [٢١].

جاء ذكره في زيارة سيد الشهداء(ع) في أول يوم من رجب وليلته، والنصف من شعبان، فقد ورد: "السَّلَامُ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ عَتِيق"([٢٢])، وفي زيارة الناحية المقدسة بقول الإمام المهدي(عج):" السَّلَامُ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ عَتِيق"([٢٣]).

٥. جابر بن عروة الغفاري:

هو من أصحاب الرسول (ص) شهد بدرا وحنيناً مع رسول الله (ص)، وكان شيخًا كبيرًا، وهذا ما ذكر في بعض المصادر إذ لم يرد ذكره في كتب المعاجم والاعلام وهو ما نلمحه في كتاب مستدركات علم الرجال الذي جاء فيه :"جابر بن عروة الغفاري لم يذكروه. وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شهد بدرا وغيرها، وكان شيخا كبيرا تعصب بعصابة ترفع حاجبيه عن عينيه، فلما رأى غربة مولانا الحسين صلوات الله عليه استأذن فقال له الحسين: شكر الله سعيك يا شيخ. فحمل على القوم وهو يرتجز:

قد علمت حقاً بنو غفارِ وخِندف ثمّ بنو نـــــــــزارِ
بنصرنا لاحمد المختار يا قوم حاموا عن بني الأطهارِ

فقاتل حتى قتل ستين رجلاً ثم استشهد بين يديه "[٢٤].

٦. جنادة بن الحرث الانصاري

جنادة بن الحرث المذحجي المرادي السلماني الكوفي، وذكر ابن عساكر في تاريخه عن ابن مسعود أنّ النبي (ص) كتب إلى جنادة ابن الحارث كتاباً وفيه: هذا كتاب من محمد رسول الله (ص) إلى جنادة وقومه ومن اتبعه أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويطيعوا الله ورسوله، ومن فعل ذلك منهم فإنه في أمان الله ورسوله. وكان من مشاهير الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان خرج مع

مسلم أولا، فلما نظر الخذلان خرج إلى الحسين (عليه السلام) مع عمرو بن خالد الصيداوي وجماعة، فمانعهم الحر، ثم أخذهم الحسين (عليه السلام) فلما كان يوم الطف تقدموا فأوغلوا في صفوف أهل الكوفة حتى أحاطوا بهم، فانتدب لهم العباس فخلص إليهم وخلصهم، ولكنهم أبوا أن يرجعوا سالمين ويروا عدوا فقتلوا في مكان واحد بعد أن قاتلوا قتال الأُسْد اللوابد[٢٥].

ويروى أيضاً " أن عمرو بن خالد الصيداوي وجنادة بن الحرث السلماني وسعد مولى عمرو بن خالد ... جاهدوا في أول القتال وسلّوا سيوفهم وحملوا على عسكر بن سعد، فلما توسطوا العسكر أحاط بهم من كل جهة وحالوا بينهم وبين الحسين (ع) فانتدب إليهم أخاه ابا الفضل العباس وخلصهم من الحصار وقد جرحوا وعاد الجيش فحمل عليهم وحملوا عليه بأجمعهم وقاتلوا حتى استشهدوا " [٢٦]

يذكر المؤرخون [٢٧]: أنه لما كان يوم الطف تقدم جنادة بن الحرث أمّام الحسين (ع)، بعد أن استأذن، وهو يرتجز ويقول[٢٨]:

أنا جناد وأنا ابن الحارث لست بخـــوَّار ولا بناكث

عن بيعتي حتى يرثني وارثي اليوم شلوي في الصعيد ماكث

وقد شرف بمخصوص الزيارة " السّلام على جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي وابنه عمرو بن جنادة"[٢٩].

٧. زاهر بن عمرو الأسلمي :

زاهر بن عمرو الأسلمي الكندي[٣٠] من صحابة النبي (ص) الذين بايعوه بيعة الشجرة، وكان في غزوة الحديبية وخيبر ملازماً للنبي لم يشذ عنه، كان صاحباً لعمرو بن الحمق الخزاعي، ومن أصحاب الإمام الحسين (ع) الذين استشهدوا معه يوم عاشوراء، التحق بالإمام الحسين (ع) بعد أن التقاه في الحج سنة ٦٠ هـ وبقي معه إلى يوم الطف[٣١].

ولعلَّ سبب تسميته بـ (مولى عمرو بن الحمق) يتضح مما ذكره عباس القمي بقوله " فظهر أن زاهرا كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وخصص بمتابعة عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول اللّه (صلى الله عليه و آله) و حواري أمير المؤمنين (عليه السلام) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه و اصفر لونه و وفق بمواراته و دفنه، ثم ساقته السعادة إلى أن رزق في نصرة الحسين(عليه السلام) الشهادة. و كان من أحفاده أبو جعفر الزاهري محمد بن سنان من أصحاب الكاظم والرضا و الجواد (عليهم السلام) "[٣٢] فالمولى إذن . هنا . يعني التابع، لقد عدَّ زاهر بن عمرو من الخمسين رجلاً المستشهدين من أصحاب الحسين (ع)، في الحملة الأولى "[٣٣].

ورد ذكره في زيارة الناحية، وفي زيارة سيد الشهداء (ع) في أول يوم من رجب وليلته، والنصف من شعبان"[٣٤]." السَّلَامُ عَلَى زَاهِرٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ."[٣٥]

٨. عبد الرَّحمن بن عبد ربه الأنصاريّ:

عبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري، ذُكر كذلك بِاسم : عبد الرحمن بن عبد ربّه الخزرجي، كان من أصحاب رسول اللّه (ص) وقد شهد واقعة الغدير، وأدرك الإمام عليّ (ع) مؤيداً له بالولاية ؛ إذ كان من مخلصي صحابته [٣٦].

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي الطفيل قال: جمع علي (ع) الناس في الرحبة ثم قال لهم: "انشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو ايوب الانصاري... وعبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري فقالوا : نشهد أننا سمعنا رسول الله يقول: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فخرجت وكأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له إني سمعت عليا (ع) يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ذلك"[٣٧]. ومما يزيد من شأنه أنَّ أمير المؤمنين(ع) ربّاه وعلّمه القرآن[٣٨].

وفي معاصرته للإمام الحسين (ع) يروى عن غلام له ؛ أي " لعبد الرَّحْمَن بن عبد ربه الأَنْصَارِيّ، قَالَ كنت مع مولاي ، فلما حضَر الناس وأقبلوا إِلَى الْحُسَيْن، أمر الْحُسَيْن بفسطاط فضرب، ثُمَّ أمر بمسك فميث فِي جفنة عظيمة أو صحفة، قَالَ :ثُمَّ دخل الْحُسَيْن ذَلِكَ الفسطاط فتطلى بالنورة قَالَ: ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير ابن خضير الهمداني عَلَى باب الفسطاط تحتك مناكبهما، فازدحما أيهما يطلي عَلَى أثره، فجعل برير يهازل عبد الرَّحْمَن، فَقَالَ لَهُ عبد الرَّحْمَن: دعنا، فو الله مَا هَذِهِ بساعة باطل، فَقَالَ لَهُ برير :وَاللَّهِ لقد علم قومي أني مَا أحببت الباطل شابا وَلا كهلا، ولكن وَاللَّهِ إني لمستبشر بِمَا نحن لاقون، وَاللَّهِ إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هَؤُلاءِ علينا بأسيافهم، ولوددت أَنَّهُمْ قَدْ مالوا علينا بأسيافهم قَالَ :فلما فرغ الْحُسَيْن دخلنا فاطلينا، قَالَ: ثُمَّ إن الْحُسَيْن ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه، قَالَ :فاقتتل أَصْحَابه بين يديه قتالا شديدا، فلما رأيت القوم قَدْ صرعوا أفلت وتركتهم قَالَ أَبُو مخنف، عن بعض أَصْحَابه، عن أبي خَالِد الكاهلي، قَالَ: لما صبحت الخيل الْحُسَيْن رفع الْحُسَيْن يديه، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أنت ثقتي فِي كل كرب، ورجائي فِي كل شدة، وأنت لي فِي كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فِيهِ الفؤاد، وتقل فِيهِ الحيلة، ويخذل فِيهِ الصديق، ويشمت فِيهِ العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسن، ومنتهى كل رغبة "[٣٩]

لقد كان استشهاده منذ الحملة الاولى في عاشوراء من يوم الطف[٤٠]

٩. عبد الله بن يقطر:

عبد الله بن يقطر بن أبي عقب الليثي، من بني ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وقيل أنَّه من قبيلة حمير اليمانية [٤١].

لقب برضيع الإمام الحسين (عليه السلام) وسبب هذا اللقب كما يروي السيد البراقي فقد "كان عبد الله بن يقطر الحميري صحابيا، وكان لدة الحسين (عليه السلام) ... واللدة: الترب الذي ولد معك وتربى ؛لأن يقطر أباه كان خادما عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت زوجته ميمونة في بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) فولدت عبد الله قبل ولادة فاطمة الحسين (عليه السلام) بثلاثة أيام، وكانت ميمونة حاضنة له، فلذا عرف عبد الله برضيع الحسين (عليه السلام)، وإلا فالحسين لم يرضع من غير ثدي أمه فاطمة (عليها السلام)"[٤٢]

قال أبو مخنف: لما بلغ الحسين (عليه السلام) الحاجر من بطن الرملة، بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر الحميري إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم إلى الحسين (عليه السلام)، يسأله القدوم ويخبره باجتماع الناس، فقبض عليه الحصين بن نمير التميمي بالقادسية وأرسله إلى عبيد الله بن زياد، فسأله عن حاله فلم يخبره فقال له: اصعد القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي، فصعد القصر، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس أنا رسول الحسين بن علي ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليكم لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي ابن الدعي، فأمر به عبيد الله بن زياد فألقي من فوق القصر إلى الأرض، فتكسرت عظامه وبقي به رمق، فأتاه عبد الملك بن عمير اللخمي – وكان قاضي الكوفة وفقيهها – فذبحه بمدية، فلما عيب عليه قال: إني أردت أن أريحه." (٤٣)

ونص الرسالة التي ارسلها الامام(ع) هو : " من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله" (٤٤)

ممَّا يذكر له من الشعر قوله (٤٥):

إذا كملت إحدى وستون حجة إلى خمسة من بعدهن ضرائـــــــح
وقام بنو ليث بنصر ابن أحمد يهزون أطراف القنا والصفائـــــــح
تعرفتهم شعث النواصي يقودها من المنزل الأقصى شعيب بن صالح
وحدثني إذا أعلم الناس كلـــهم أبو حسن أهل التقي والمـدائـــــــح

١٠. عبد الله بن الحارث:

عبد اللّٰه بن الحارث بن نوفل بن عمرو بن الحارث بن ربيعة بن بلال بن أنس بن سعد الهمدانيّ، ويذكر: أنه أدرك النّبيّ(ص) ، وشهد صفّين مع أمير المؤمنين.(ع) (٤٦)

يذكر أنَّه لما ورد كتاب يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد وأمره بالخروج إلى الكوفة انتخب من أهل البصرة خمسمائة كان منهم عبد اللّه بن الحارث بن نوفل، وشريك بن الأعور، وكانا من شيعة الإمام علي(٤٧) .

ويروى أَنّ عبد اللّٰه بن الحارث كان قد أخذ البيعة من أهل الكوفة للإمام الحسين (ع)، وقد خرج كل من المختار بن أبي عبيد، وعبد الله بن الحارث مع مسلم بن عقيل، فخرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء، وعليه ثياب حمر، ولمّا تخاذل النّاس عن مسلم أمر عبيد اللّٰه بن زياد أن يطلب عبد اللّٰه بن الحارث، فقبض عليه كثير بن شهاب، فسلّمه إلى عبيد اللّٰه بن زياد، فحبسه مع من حبس(٤٨)، ويذكر في قصة استشهاده أنَّه لما استشهد مسلم بن عقيل(ع) أحضر عبيد اللّٰه بن زياد عبد الله بن الحارث وسأله: من أنت؟ فلم يتكلم فقال: أنت ألّذي خرجت براية حمراء وركزتها على

باب دار عمرو بن حريث وبايعت مسلماً، وكنت تأخذ البيعة من الناس للحسين (ع) فسكت، فقال عبيد اللّٰه: إنطلقوا به إلى قومه فاضربوا عنقه، فانطلقوا به فضُربت عنقه[٤٩].

١١. عبد الرحمن الارحبيّ:

عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن أرحب بن دعام بن مالك بن صعب بن رومان بن بكير الهمداني الأرحبيّ وارحب بطن من همدان، قال العسقلاني : " إنه كان من كبار صحابة النبي (ص) له هجرة وفضل في دينه، فاجتمعت إليه همدان فقال عند وفاة الرسول(ص): يا معشر همدان، إنكم لم تعبدوا محمداً إنما عبدتم ربّ محمدٍ (ص) وهو الحي الذي لايموت ... "[٥٠] . وذكر ابن داود الدينوري في كتابه (الاخبار الطوال) " لما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين بن علي (ع) الى مكة، اجتمع جماعة من الشيعة واتفقوا أن يكتبوا الى الحسين يسألونه القدوم عليهم ... فكتبوا إليه بذلك ... وارسلوا بشر بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبيد الآرحبي ومعهما خمسون كتاباً من أشراف أهل الكوفة ورؤسائها... ووصلوا مكة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان"[٥١] . وقال أبو مخنف: " ثم دعا مسلماً بن عقيل ووجه معه قيس بن مسهر الصيداوي... وعبد الرحمن الارحبي الى الكوفة "[٥٢] ثم عاد عبد الرحمن الى مكة بعد مقتل مسلم (ع) ولازم الحسين (ع) حتى نزوله بكربلاء فكان من جملة اصحابه حتى يوم العاشر من محرم،[٥٣]

ولقد وصف بالشجاعة وصواب الرأي، يقول ابن شهر اشوب في المناقب : " فبرز عبد الرحمن الارحبي وهو يرتجز ويقول :[٥٤]

صبراً على الأسيافِ والأسنّةِ صبراً عليها لدخول الجنةِ

وحورٍ عينٍ ناعماتٍ هُنّ يا نفس للراحة فاجهدنّه

وفي طلاب الخيرِ فاجهدنّه

وذكر مجموعة من المؤرخين أنّ عبد الرحمن الارحبي برز الى القتال بعد صلاة الظهر ولم يزل يقاتل حتى قتل جماعة كثيرة من القوم حتى قُتِل.[٥٥]

وورد السلام عليه في الزيارة الرجبية وزيارة الناحية المقدسة بقول الامام المهدي: " السلام على عبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي"[٥٦] . وقال المامقاني: " نال شرفي الشهادة وتسليم الامام (ع) عليه في زيارة الناحية المقدسة والزيارة الرجبية رضوان الله تعالى عليه"[٥٧]

الخاتمة:

١. اقتنع كبار اصحاب الإمام الحسين أن صحبتهم بالرسول محمد (ص واله) تقتضي الذود عن سبطه الحسين.
٢. أدى اصحاب الإمام الحسين (ع) ادواراً هامة في تضحيتهم ووفائهم له بوصفه الذائد عن ثوابت الدين الإسلامي ضد طغاة زمانه.
٣. أظهر الاصحاب شجاعو كبيرة في التصدي للاعداء مما دل على ارتفاع معنوياتهم لقناعتهم الأكيدة بصواب قضيتهم.
٤. اكتسب الاصحاب (ض) قدسية كبيرة رغم اختلاف قبائلهم، لأنهم شكلوا نماذج رائعة للمسلمين المرابطين الذائدين عن ثوابت دينهم.

الهوامش

[١]) ينظر : أعيان الشيعة : الآمين : ٤/ ٥٣٥

[٢]) ينظر : الإصابة : العسقلاني : ١٤٢/٢

[٣]) المصدر نفسه : ١٤٢/٢

[٤]) المنتخب : الطريحي : ١٩٦ – ١٩٧

[٥]) بحار الآنوار : المجلسيّ : ٤٥ / ٩٣

[٦]) ينظر : شجرة طوبى، الحائري ٢/ ٤٤٢

[٧]) ينظر : الطبقات الكبرى : ابن سعد : ١/ ٤٥٨، ورجال الطوسي، الطوسي : ١٠٥

[٨]) ينظر : البداية والنهاية، ابن كثير، ١٦٣/٨

[٩]) بحار الأنوار : المجلسي : ٤٥/ ١٩

[١٠]) مقتل الحسين (ع)، أبو مخيف الاسدي :١٠٩

[١١]) تاريخ الطبري، الطبري : ٣٣١/٤، وينظر : مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب :٩٩/٤

[١٢]) ينظر : الاعلام، الزركلي : ٦٨/٨.

[١٣]) إبصار العين، محمد السماوي : ١٣٩

[١٤]) ينظر : الاعلام من الصحابة والتابعين، حسين الشاكري :١١١/٦

[١٥]) الاصابة، العسقلاني:٤٤٥/٦

[١٦]) بحار الانوار ،المجلسي، ٤٤/ ٣٥٨

[١٧]) المصدر نفسه : ٣٥٨/٤٤

[١٨]) الإصابة، العسقلاني : ١٩٩/٦

[١٩]) المصدر نفسه : ١٩٩/٦

[٢٠]) ابصار العين في انصار الحسين، محمد السماوي : ١٩٩ . وينظر : المفيد، محمد الجواهري :٤٧٥

[٢١]) ينظر : وسيلة الدارين، الزنجاني : ١٨٥ .

[٢٢]) المزار، محمد بن مكي :١٥٣

[٢٣]) المزار الكبير، ابن المشهدي : ٤٩٤

[٢٤]) مستدركات علم رجال الحديث، النمازي : ١٠٣/٢

[٢٥]) ينظر: ابصار العين، محمد السماوي : ١٤٤

[٢٦]) فرسان الهيجاء، ذبيح الله المحلاتي، ١/ ١٠٥

[٢٧]) ينظر : ذخيرة الدارين، الحائري : ٤٣٥

[٢٨]) لواعج الاشجان، الأمين : ١٢٦

[٢٩]) تنقيح المقال في علم الرجال، المامقاني : ٢٣٤/١

[٣٠]) مستدركات علم الرجال، النمازي : ٤١٦/٣

[٣١]) ينظر : أعيان الشيعة، الأمين : ٤١/٧، و معجم رجال الحديث، الخوئي، ٢٢١/٨

[٣٢]) نفس المهموم، القمي : ٢٦٩

[٣٣]) ينظر : معجم رجال الحديث، الخوئي :٢٢١/٨

[٣٤]) المزار، الشهيد الأول :١٥٣

[٣٥]) الإقبال بالأعمال الحسنة، ابن طاووس : ٧٩/٣

[٣٦]) ينظر : موسوعة الامام الحسين عليه السّلام، محمود الطباطبائي ومجموعة مؤلفين : ٢٢٤/٤ –٢٢٥

[٣٧]) مسند الامام احمد بن حنبل :٥٦/٣٢

[٣٨]) موسوعة الامام الحسين عليه السّلام، محمود الطباطبائيومجموعة مؤلفين : ٢٢٤/٤ –٢٢٥

[٣٩]) تاريخ الطبري، الطبري : ٤٢٣/٥

[٤٠]) ابصار العين، السماوي :١٥٨.

[٤١]) الخرائج والجرائح، الرواندي ٥٥٠/٢

[٤٢]) تاريخ الكوفة : السيد البراقي :٣٢٢. وينظر : ابصار العين، السماوي: ٩٣

[٤٣]) تاريخ الكوفة : السيد البراقي :٣٢٢.

[٤٤]) تاريخ الطبري : ٢٩٧/٤.

[٤٥]) الخرائج والجرائح : ٥٥٠/٢

[٤٦]) ينظر : تنقيح المقال، المامقاني : ٢٣٨/٢

[٤٧]) ينظر : موسوعة الامام الحسين : السيد محمود الطباطبائي ومجموعة مؤلفين، ١٦/ ٤٨٩.

[٤٨]) ينظر : تاريخ الطبري ٣٨١/٥، وموسوعة الامام الحسين ،السيد محمود الطباطبائي ومجموعة مؤلفين:٢٩٣/١٦

[٤٩]) ينظر : ذخيرة الدارين، الحائري : ٤٩٧

[٥٠]) الاصابة، العسقلاني: ١٩٢/٤

[٥١]) الاخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٩.

[٥٢]) مقتل الإمام الحسين ،أبو مخنف: ١٩.

[٥٣]) ينظر: ذخيرة الدارين، الحائري: ٤٤٢.

[٥٤]) المناقب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٢٥١.

[٥٥]) ذخيرة الدارين، عبد المجيد الحائري : ٤٤٢.

[٥٦]) اقبال الاعمال لابن طاووس: ٣/ ٧٩.

[٥٧]) تنقيح المقال، المامقاني: ٢/ ١٤٥.

المصادر :

١. الإقبال بالأعمال الحسنة، علي بن موسىبن طاووس، تح: جواد القيومي الأصفهاني، قم، ط ١، ١٣٧٦ ش.
٢. إبصار العين في أنصار الحسين (ع)، محمد السماوي، تح: الشيخ محمد جعفر الطبسي، ط١ .
٣. الأخبار الطوال، ابو حنيفة أحمد بن داوّد الدينوري، تح: عبد المنعم عامر، مصر ،ط١، ١٩٦٠
٤. الإصابة في تمييز الصحابة ،ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ.
٥. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ .
٦. الاعلام من الصحابة والتابعين، الحاج حسين الشاكري، قم، ط٢، ١٤١٨ق.هـ
٧. أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ،العلامة الحجة الشيخ محمد باقر المجلسي مؤسسة الوفاء بيروت –لبنان.
٩. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠.
١٠. تاريخ الطبري (تا ريخ الرسل والملوك) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ،ط٢، ١٩٦٧م.=
١١. تاريخ الكوفة، السيد البراقي، تح، ماجد أحمد العطية، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٢. تنقيح المقال في علم الرجال، الشيخ عبد الله المامقاني، تح: الشيخ محي الدين المامقاني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
١٣. الخرائج والروئج، قطب الدين الراوندي ،تح: محمد باقر الأبطحي، قم، مؤسسة الامام المهدي، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٤. ذخيرة الدارين فيما يتعلق بمصائب الحسين واصحابه ،عبد المجيد الحائري، تح: درياب النجفي قم.
١٥. رجال الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح: جواد الاصفهاني، ط١، ١٤١٥
١٦. شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، ط ٥، ١٣٨٥ هـ.

١٧. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن البصري المعروف بـ (ابن سعد)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

١٨. فرسان الهيجاء في تراجم أصحاب سيد الشهداء، الشيخ ذبيح الله المحلاتي، تحقيق وتعريب : محمد شعاع فاخر، النجف، ط١، ٢٠١٠م.

١٩. لواعج الاشجان في مقتل الحسين (ع)، محسن الامين، تح : حسن الامين، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٠. المزار، محمد بن مكي، تح: محمد باقر موحد، قم، ط١، ١٤١٠ هـ.

٢١. المزار الكبير، محمد بن جعفر بن المشهدي، تح: جواد الاصفهاني، قم ،ط١، ١٤١٩هـ

٢٢. مستدركات علم رجال الحديث،علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٢٤. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ط٥، ١٩٩٢م.

٢٥. مقتل الامام الحسين، أبو مخنف الأسدي، تح: حسين الغفاري، قم .

٢٦. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب السروي، ١٩٥٦

٢٧. المنتخب في جمع المراثي والخطب (الفخري)، فخر الدين الطريحي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٢٨. موسوعة الامام الحسين عليه السّلام في الكتاب و السّنّة و التّاريخ، السيد محمود الطباطبائي، ومجموعة مؤلفين، طهران، ١٣٧٨

٢٩. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، الشيخ عباس القمي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٣٠. وسيلة الدّارين في أنصار الحسين، إبراهيم الزنجاني، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٣٩٥ هـ.

الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م في المصادر المسيحية الشرقية

The Mongol invasion of Baghdad in the year 656 AH / 1256 AD, In sources Eastern Christianity

م.م. محمد عبد العباس ناجي
مديرية تربية محافظة النجف

ا.د عباس خميس الزبيدي
جامعة القادسية/كلية التربية/ قسم التاريخ

Abstract .

On the eve of the Mongol invasion of Baghdad, fear and terror gripped the hearts of its inhabitants as they await their inevitable fate. The military, ministers, and followers of religious currents, in contrast to the reality of what happened in Baghdad. The Mongol rule was characterized by reaching the golden summit after achieving successive victories from the borders of China to the walls of Baghdad. Therefore, Mankuqaan ordered that the Mongols resume their military activity within the scope of the Islamic East, according to a plan developed in advance, which was influenced by the Ilkhan. Hulagu and dropped the spiritual symbol of the Muslims in Baghdad, so that Iraq and the Islamic world would enter a new phase represented by the spiritual void that Muslims used to exist throughout the past centuries.

الملخص:

عشية الغزو المغولي لبغداد خيم الخوف و الرعب على قلوب قاطنيها وهم ينتظرون مصيرهم المحتوم، فالخلافة العباسية كانت متداعية و على وشك الانهيار، نتيجة الانحلال و الضعف على كافة المستويات السياسي و الادارية بل وحتى العسكرية، فضلاً عن تزايد حلقة الصراعات بين حاشية الخلافة من رجال العسكر و الوزراء و اتباع التيارات الدينية، على النقيض من واقع ما جرى ببغداد اتصف الحكم المغولي ببلوغه القمة الذهبية بعد تحقيقه انتصارات متتالية من حدود الصين حتى اسوار بغداد، لذا امر منكوقاآن ان يستأنف المغول نشاطهم العسكري ضمن نطاق المشرق الاسلامي وفق خطة وضعت سلفاً اثرها الايلخان هولاكو واسقط الرمز الروحي للمسلمين ببغداد ليدخل العراق و العالم الاسلامي مرحلة جديدة تمثلت بالفراغ الروحي الذي اعتاد المسلمون وجوده طيلة القرون الماضي.

كلمات مفتاحية: (المغول، الخلافة العباسية، المسيحية، المؤرخين)

المقدمة:

يعد هذا البحث مكملاً للدراسات السابقة التي تناولت سقوط الخلافة العباسية في بغداد ولكنه تناولها من زاوية أخرى ركزنا في على جهود مؤرخو المسيحية الشرقية لاسيما وإنهم شاركوا بشكل فاعل في تدوين تاريخ الشرق الأدنى كونهم جزء لا يتجزأ من سكان هذه المنطقة وكل حسب لغته وطائفته وازداد نشاط المؤرخين لتدوين اخبار هذه الحقبة لاسيما بعد ظهور المغول على مسرح الأحداث وتوجههم نحو المشرق الإسلامي بشكل عام والى بغداد على وجه الخصوص وما تبعه من احداث، لذلك ارتئينا ان نبحث في موضوع غزو بغداد من خلال ما ورد في مصنفاتهم التي كان اغلبهم شاهد عيان او معاصراً للحدث.

يدور محور البحث على:

١. تمهيد يوضح تاريخ الانفصال الفعلي بين المسيحية الشرقية والغربية.
٢. التعريف بأبرز المؤرخين المسيحيين الشرقيين(محور الدراسة).
٣. إسقاط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

تمهيد:

لابد لنا قبل الخوض بتفاصيل البحث ان نعرِّف بالمسيحية الشرقية التي إنتعشت في الإمبراطورية الرومانية بعد اعلان مرسوم ميلان سنة ٣٠٥م من قبل الامبراطور قسطنطين(٣٠٥-٣٣٧م) والذي عُدّ بمثابة الاعتراف الرسمي بالمسيحية داخل الإمبراطورية الرومانية[١]، فقد انعكس الامر على الأوضاع الداخلية للإمبراطورية فيما بعد مما دفع بالإمبراطور قسطنطين الى بناء مدينة القسطنطينية Constantinople's في نوفمبر من سنة ٣٢٤م ليفتتحها بعد ستة سنوات من هذا التاريخ لتتنفس المسيحية الصعداء لاسيما وان الامبراطور قسطنطين نفسه اعتنق المسيحية وجند نفسها مدافعاً عنها[٢]، وبذلك يمكن القول بأن للمسيحية فضلاً عن الاحداث الخارجية التي أحاطت بالإمبراطورية الرومانية كان لها الأثر الكبير في بروز بيزنطة(القسطنطينية) كعاصمة شرقية تقود الإمبراطورية الرومانية لاسيما مع افول نجم العاصمة روما خلال هذه المدة، وتزايد ظهور الفرق والمذاهب المسيحية التي باتت تؤس كنائس مستقلة بعضها عن البعض.

يذكر أنَّ الانشقاق الفعلي في الكنيسة يرجع إلى عام (١٠٥٤م) الذي يطلق عليه بـ(عام الانشقاق العظيم) بسبب وصول الخلافات الدينية والإدارية بين الكنيستين إلى ذروتها، إذ جاءت القطيعة النهائية خلال حكم البابا ليو التاسع (Pope.Leo IX) من جهة وبطريركية ميخائيل كيرولاريوس M. (Cerulius) من جهة أخرى وتوترت العلاقات الدينية والسياسية بينهما ووصلت الى مرحلة التعقيد وفي شهر مايو آيار من العام نفه انفصلت الكنيستان الشرقية عن الغربية انفصالاً نهائياً لا رجعة فيه، وعرف هذا الانفصال باسم (القطيعة الدينية الكبرى)[٣]، وبناءاً على المعطيات السابقة يمكن القولُ أنَّ محاولات الانفصال الفعلي بدأ منذ أيام قسطنطين الكبير الذي أولى أهمية للشرق إدارياً ودينياً وبذلك تكرست فكرة الإنفصال بين قطبي الإمبراطورية، لتظهر ملامح الكنيسة الشرقية للوجود الفعلي.

اولاً: التعريف بأبرز المؤرخين الشرقيين:

نالت أخبار المغول بشكل عام اهتمام المؤرخين من مسلمين ومسيحيين ومن عرب، وفرس، وسريان، وأرمن ومن سائر الأعراق، وبقدر تعلق الأمر بمؤرخي المسيحية الشرقية، بعد البحث والتقصي عن هذه المصادر وضعنا ايدينا على مجموعة مصادر تناولت أخبار المغول، وفيما يأتي توضيح لأبرز المؤرخين:

جرجس بن العميد: هو المكين جرجيس بن العميد بن ابي الياسر بن ابي المكارم بن ابي الطيب النصراني الكاتب ولد في سنة (٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م) وكما ورد بقلمه في نهار السبت الثامن من شهر رجب[٤]، وبالرغم من ندرة المصادر التي تتحدث عن حياته إلا أنَّه ومن خلال تتبع حياة أسلافه يظهر أنَّ ولادته كانت في القاهرة إذ يذكر الصقاعي أنَّ جده قَدِم إلى القاهرة خلال عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأمر الله (٤٩٥- ٥٢٤هـ / ١١٠١- ١١٣٠ م) وقدم له من متاعه، فأحسن إليه خليفة مصر، وقربه منه

فأقام كثيراً في الديار المصرية وأولد أولاداً منهم العميد أبو الياسر الذي تقلد مناصب كثيرة لاسيما الكتابة إلى أنْ صار في ديوان الجيش[٥]، وخدم ولده جرجس ايضاً بديوان الجيش بالقاهرة ثم بالشام، ثم علا شأنه في الدولة الأيوبية، وكذلك في عهد السطان الظاهر بيبرس(٦٥٨ – ٦٧٦ هـ/ ١٢٦٠ –١٢٧٧ م) والنائب بالشام يومئذ طيبرس الوزيري وصار صاحب شأن عنده لكن الأمور تغيرت إذ يروي الصفدي[٦]: "**وَلما تغير خاطر الظَّاهِر على النَّائِب الْمَذْكُور أرسل يطْلب ديوَان الْجَيْش إِلى مصر فَلم يرسلهم واعتقلهم**" الا أنَّ مكانته وخبرته في تصريف الأمور شفعت له وأفرج عنه وولاه الظاهر ديوان الجيش بمصر[٧]، ثم اضيف إليه الإشراف على ديوان الجيش في الشام إلا إنَّه ذهب ضحية الوشاية من أحد موظفيه وأودع السجن لخمسة عشر سنة[٨]. ترك ابن العميد كتاب "**المجموع المبارك**"[٩] المكون من جزأين وقد قسمه إلى ١٦٦ فصلاً، أو حقبة، وتحدث فيه عن الخليقة من آدم "عليه السلام" إلى سنة ٦٢٠م [١٠] أي ما يقارب عهد الرسول محمد (ص)، أما الجزء الثاني فكتبه من عصر النبوة مروراً بعصر الخلفاء الراشدين والملوك في سائر الأقاليم وحتى عهد الظاهر بيبرس[١١].تناول ابن العميد أخبار المغول في الجزء الثاني من الكتاب المعروف بـ (أخبار الأيوبيين) النسخة التي حققها المستشرق الفرنسي كلود كاهن.

المؤرخ كيراكوس ,Kirakos: من المؤرخين الأرمن الذين تركوا بصمة كبيرة في كتابة كل ما يتعلق بتاريخ أرمينية لاسيما وقد شارك في كثير من الأحداث وكان شاهد عيان ومؤرخ في الوقت نفسه، لا يتوفر كثيراً عن ترجمة هذا المؤرخ ولكن أغلب الظن أنه ولد سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م أو بعدها بعام او اقل كونه يتحدث في الفصل (٣٣) من الكتاب في أحداث سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م ويقول كان عمري أربعين سنة أو اكثر أو اقل[١٢] وبالتالي يمكن ترجيح هذا التاريخ. أما المؤكد هو أن ولادته في مقاطعة كاندازك Gandzak في أرمينية دخل في سلك الرهبنة ودرس اللاهوت في دير غينك Getik بمدينة كاندزاك تحت إشراف مارتيروس Martiros، تلميذ المعلم الكبير والكاتب مكسيتار غوش Mxit'ar Gosh (ت:٦١٠هـ / ١٢١٣). ومع ذلك، فقد درس كيراكوس لفترة طويلة مع أحد تلاميذ مكسيتار، المؤرخ يوفانيس فانكان (ت: ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م) [١٣]، أما المدة المتبقية من حياته لم يدون أي شيء عنها باستثناء ما ورد أنَّه قابل الملك هيثوم الأول عند عودته من مقابلة باتو خان في سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٣م[١٤]، وقع كيراكوس برفقته استاذه فانكان في الأسر عند القوات المغولية وبقي هناك لعدة أشهر وهرب في نهاية المطاف إلى غيتك، أما وفاته فقد كانت سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٢م[١٥]، وبالرغم من توفر هذا الجزء اليسير من المعلومات عن حياة المؤرخ كيراكوس إلا إنه ثبت ومن خلال مكانته الاجتماعية أنَّه كان قادراً على كتابة الأحداث وتدوينها ولاسيما ما يتمتع به من علاقات مع الملوك والأمراء فضلاً عن علاقاته الاجتماعية التي مكنته من الحصول على معلومات بعض الأحداث من شهود عيان كان قريبين على الحدث، لذلك كتب مدونه الشهير "**تاريخ أرمينيا**" او " **تاريخ الأرمن**".

المؤرخ سمبات Smpat: لايمكن أنْ يتغني الدارس في أخبار المغول عن حولية المؤرخ سمبات (١٢٠٨-١٢٧٦م/٦٠٥-٦٧٥هـ) و سمبات هو القائد العام للجيش الأرمني ولد في عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م وإبن البارون قسطنطين وشقيق ملك أرمينية هيثوم الأول[١٦] فهو بحق أحد أبناء الأسرة الهيثومية الحاكمة، ومنذ عام(٦١٥هـ/ ١٢٢٦م) الذي كان إيذاناً ببداية حكم الأسرة الهيثومية وإنتهاء حكم السلالة

الروبينية[١٧](١٠٩٢-١٢٢٦م) عمل في السياسة منذ شبابه إذ دعاه الملك ليو الثاني (أخر ملوك الروبينيين) إلى بلاطه وبوصول الهيثوميين إلى الحكم تولى سمبات قيادة الجيش الأرمني بأمر من أخيه الملك وأُطلق عليه لقب (الكندسطبل) أي القائد العام Sparapets وقد احتفظ بهذا المنصب حتى وفاته سنة ١٢٧٦م[١٨]. ولم يقتصر على علمه العسكري فحسب وإنَّما اعتمد عليه أخيه في إدارة مفاصل الدولة، وإنخرط للعمل في السلك الدوبلوماسي وقاد المفاوضات باسم أخيه الملك مع دولة المغول، وعمل في السلك القضائي في المحكمة العليا في بلاده فضلاً عن كونه عالماً، ومؤرخاً، وملماً اتقن عدد من اللغات أبرزها اليونانية، التركية، الفرنسية، والفارسية وترجم عدداًمن الكتب القانونية الأجنبية إلى اللغة الأرمنية[١٩].

ألّف سبمات حوليته المشهور بـ(تاريخ مملكة أرمينية الصغرى) The Armenian Chronicle،إذ إكتسبت أهمية كبيرة في التاريخ فهو يمثل شخصية رفيعة المستوى في الدولة فضلاً عن اشتراكه شخصياً في أغلب الأحداث التي دونها منها زيارته إلى بلاط الخان كيوك وقيادته للمفاوضات بين الدولتين.

توجد ثلاث نسخ من هذه الحولية الأولى منشورة في كتاب مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المجلد الخاص بالوثائق الأرمنية) وكانت بعنوان(Chronique Du Royaume De La Petite Arménie) [٢٠] كما وجدت هناك نسخة منشورة في مجلة أواكس في جامعة هارفارد بعنوان السجل الأرمني للكندسطبل سمباد(The Armenian Chronicle of the Constable Smpad or of the "Royal Historian") ترجمة وتحقيق العالمة والمؤرخة الأرمنية سيرربي در نرسسيان[٢١]. وأخيرا النسخة ذات الترجمة الإنكليزية التي اعتمدناها في البحث من ترجمة وتحقيق المؤرخ الأمريكي الأرمني الأصل(روبرت بدروسيان)R.G.Bedrosian وتكونت من مجلدين تحت عنوان(Chronicle).

ابـن العبـري: هو مار جمال الدين أبو الفرج جريجوريوس أبو الفرج بن أهرون بنو توما الملطي المعرف بـ (ابن العبري)[٢٢] نسبة إلى قرية (عبرا)على ضفاف الفرات بالقرب من ملطية[٢٣]. ومن الجدير بالملاحظة أن ابن العبري عرف بعديد من الألقاب منها "**يوحنا**" وهوة أسمه الذي دعي به في المعمودية وهذا مايشار الي بخط محفور على ضريحه في "دير مار متى" في الموصل، وعندما وصل إلى درجة الكهنوت اتخذ من أس غريغوريوس[٢٤] ومن القابه التي إشتهر فيها ايضاً (أبو الفرج) إذ من المعروف انه لم يتزوج طيلة حياته لأنه وهب نفسه للرهبنه وبقي الأمر غامضاً حول هذه اللقب لكن على ما يبدو أن هذا اللقب هو واحداً من القاب عديدة عرف بها ابن العبري منها " العلامة والأب القدس والعارف وغيرها من الألقاب العلمية والروحانية[٢٥].

ولد ابن العبري سمة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م في مدينة ملطية عاصمة مملكة ارمينة الصغرى ونشأ في نفس المدينة وكان له خمسة أشقاء وفي عمر السابعة عشرة تعرضت المدينة لهجمات المغول اضطر والده بسبب المتاعب التي تعرض اليها أن يهاجر إلى مدينة انطاكية وهناك بدأ أبو الفرج حياة الرهبنة[٢٦].

وقد ترك ابن العبري اثاراً كثيرة ولكن فيما يتعلق بالموضوع قيد الدراسة فقد اختص البحث بمصنفي تاريخ الزمان وتاريخ مختصر الدول أما **تـاريخ الزمـان** : يعد هذا الكتاب واحداً من المصادر المهمة في التاريخ عند السريان والعرب المسلمين على حد سواء كون المؤلف كان شاهداً على الأحداث

الأكثر تأثيراً في تاريخ الدولة العربية الإسلامية لاسيما فيما يتعلق بالغزو المغولي للعالم الإسلامي وسقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، إذا ما علمنا أن المؤرخ خصص جزءاً مهماً من تاريخه للحديث عن دولة المغول وتوسعهم بإتجاه العالم الإسلامي، انتهى ابن العبري من تأليف هذا الكتاب بالسنوات الأخيرة من حياته وذلك خلال اقامته في مدينة مراغة وتحديداً في سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[٢٧] ويعد هذا الكتاب من كتب التاريخ العام لاسيما وأنه تناول فيه أحداث البشرية ابتداءاً من الخليقة وصولاً إلى العصر الذي عاش في المؤلف وحتى وفاته[٢٨]في ٣٠ من تموز سنة ١٢٨٦م/٦٨٥هـ لكن اخوه برصوما الصفي اكمل كتابة حوادث السنوات التالية لوفاته في تاريخ الزمان[٢٩].

أما تاريخ مختصر الدول: أو مختصر تاريخ الدول كما يرد في بعض المراجع وقد يرد في ذهن القارئ لأول وهلة بأن المختصر بأنه مختصر من المطول أو العكس صحيح وفي الحقيقة هي لا هذا ولا ذاك إذ ان الحقيقة هو أن المختصر دونه في أواخر عمره بالسريانية وبناءاً على طلب من أصدقاءه العرب أعاد كتابته باللغة العربية[٣٠]، وقد صرح في ذلك بنفسه وقال[٣١]:"**فهذا مختصر في الدول قصدت في اختصاره الاقتصار على بعض ما أوتي في ذكره اقتصاص احدى فائدتي الترغيب والترهيب من امور الحكام والحكماء خيرها وشرّها على سبيل الالتقاط من الكتب الموضوعة في هذا الفن بلغات مختلفة سريانية وعربية وغيرها مبتدئا من أول الخليفة ومنتهيا إلى زماننا. وهو مرتّب على عشر دول داولها الله تعالى بين الأمم فتداولتها تداولا بعد تداول**". يذكر أن مؤرخنا ضمّنَ في المختصر العربي احداثاً كثيرة لم ترد في المطول السرياني منها ما يتعلق بدولتي الإسلام والمغول.. إذ ذكر فيه رجال الدولة وسياستهم فضلاً عن طريقة الحكم والقائمين بالأمر والمدبرين للمملكة وبشكل عام مما يحسب لموضوعيته في نقل الأخبار لاسيما ما يتعلق بالمغول انه انه لا يتحامل على الأمم الأخرى وذكر علاقتهم الطيبة بالمغول وجنكيزخان[٣٢]، واخيراً انتهى تدوين الاحداث التاريخية في الخامس عشر من شعبان من سنة ٦٨٣هـ الموافق ١٢٨٤م [٣٣].

المؤرخ هيثوم Hetum: يعد المؤرخ هيثوم واحداً من أهم المؤرخين في أخبار المغول، وبالرغم من عدم وجود مصادر كافية عن حياته لاسيما التاريخ المبكر منها إلا ان الذين كتبوا عنه أشاروا إلى انه ولد في منتصف أربعينيات من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي أي حوالي ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م [٣٤] وبالرغم من عدم توفر معلومات كثيرة عن سيرة حياته لاسيما المبكرة الا ان عائلته تمتعت بنفوذ كبير في قلقيلية فوالده أوشين Oshin الشقيق الأصغر للملك هيثوم الأول وللقائد العام للجيش سمبات، كما كان لأبناءه عمق كبير في ادارة شؤون المملكة لاسيما في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري إذ أصبح بودوين Baudoin حاكمًا على طرسوس و قسطنطينConstantine ضابطا في الشرطة كما تدرج أوشين بالمناصب ليصبح وصيًا على عرش قيليقية في عهد ليون الثالث (١٣٠٥-١٣٠٧) [٣٥].

أما بالنسبة للمناصب التي تقلدها تبقى غامضة طيلة القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري بإستثناء ما كتبه عن نفسه في الفصل السادس والأربعون: "**بأنه يحلم بأن يكون رجل دين وأن ينصرف عن خدمة اللوردات والأصدقاء وأنه لا يمكن ان يلبي رغابته الشخصية على حساب المملكة وهي تمر**

بضائقة سياسية خطيرة"، وهذا يعني انه كان سياسياً وعسكرياً في المملكة، ويردف هيثوم قائلاً بأن حلمه تحقق في مطلع القرن التالي وتحديداً في سنة ١٣٠٥م/ ٧٠٥هـ عندما حصل على " **العناية الإلهية من الأعلى، تحققت رغبة قلبي وأمله...**" بعد إن اطمئن على استقرار المملكة[٣٦]، إلا ان المترجم يشير إلى وجود غموض في خروجه عن المملكة ويرجع السبب إلى خسارة هيثوم معركة العرش مع الملك هيثوم الثاني الذي تولى العرش للمدة من (١٢٨٩ – ١٣٠٧م / ٦٨٨ – ٧٠٧هـ) وعلى ثلاث مرات متقطعة، وبذلك خرج من المملكة مكرهاً، وفي نفس الوقت يشير إلى أن المؤرخين القبارصة رسموا صورة سلبية عن هيثوم لاسيما بعدما أصبح منتظماً ضمن الرهبان الكاثوليك الرومان كما يرى المؤرخون أنه عاد إلى قبرص سنة ١٣٠٨م/ ٧٠٨هـ وفي غضون ٦ أيام أزال القلنسوة الخاصة به وإستأنف نشاطه السياسي ويذكر انه توفي بين سنتي ١٣٠٨ –١٣٢٠م[٣٧].

أما بالنسبه لعمله الموسوم بـ(زهرة تواريخ الشرق) (The Flower of Histories of the East) فقد ظهر لأول مرة سنة ١٣٠٧م/ ٧٠٧هـ في مدينة بواتيه Poitiers بفرنسا وباللغة الفرنسية القديمة والتي كتبها العسكري هيثوم وقدمها للبابا كليمنت الخامسPope Clement V (١٣٠٥ – ١٣١٤م / ٧٠٥ – ٧١٤هـ) وفي نفس العام ترجمت إلى اللاتينية بواسطة سكرتيره نيكولاس فالكون Nicholas Falcon[٣٨].

المؤرخ غريغور أكنيرتسي GRIGOR AKNERTS,I: لا تختلف أهمية هذا المؤرخ عن سابقيه فقد تناول حقبة مهمة ولو كانت قصيرة من تاريخ المغول وهو من مؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إشتهر بعمله المهم (تاريخ امة الرماة) والذي يعد مصدراً مهما في مايخص المغول. أما عن ترجمته فلا يعرف عنه ال القليل ويفترض انه ولد في مدينة كيليكيا سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وتم تسجيل وفاتة في سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، كما لايعرف شيء عن عائلته غير ما ذكر ان له شقيق اسمه مكسيتار Mxitar الذي توفي بنفس السنة التي انهى فيها غريغور عمله هذا،عمل غريغور رئيس دير آكنر في كيليكيا، وهو مركز معروف للدراسات الأرمنية في العصور الوسطى[٣٩].

ثانياً: اسقاط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٦م:

جاء هولاكو الى بغداد في وقت كانت فيه الخلافة العباسية تغوص في نفق مظلم وقد وصلت مرحلة من الانهيار والضعف فضلاً عن الفوضى التي سادت في بغداد والتي تعود جذورها الى قرون سابقة تعود الى النفوذ التركي عندما كانوا المتنفذين على المناصب الدينية والعسكرية ناهيك عن تمسكهم بزمام الأمور لمدة طويلة من الزمن، غير ان هذا الوضع لم ينتهي هنا بل استمر على ما هو عليه حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وقد وصلت الدولة الى مرحلة من الهرم والترف وبات الخليفة منذ ذلك الوقت يستعين بسلطة على أخرى من أجل البقاء.

كان الخليفة العباسي خلال الغزو المغولي على بغداد هو الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠–٦٥٦هـ/ ١٢٤٢–١٢٥٨م) وهو الخليفة الأخير وقد ورد اسمه عند كيراكوس باسم المستعصر Must"asar وقد أوضح المؤرخ الأرمني بضع كلمات منصب الخلافة وقال : " **لم يُطلق على الملك الذي جلس في بغداد سلطاناً أو ملكاً كما جرت العادة على الحكام المستبدين الأتراك أو الإيرانيين أو**

الأكراد بل كان يطلق عليه لقب الخليفة، أي انه من سلالة محمد"[٤٠]الا ان هذا الرجل كان ضعيف قليل الخبرة لا يفقه بأمور دولته شيء بل على العكس يقول السيوطي[٤١]في امر تنصيبه انه جاء نتيجة اتفاق كبار رجال الدولة العباسية على بينه وعدم خبرته فأقاموه خليفة ليتحكموا بأمره. أما فيما يتعلق بإدارته لأمور الدولة يقول ابن طباطبا[٤٢]: " **كان مستضعف الرأي ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمور المملكة مطموعا فيه، غير مهيب في النفوس، ولا مطّلع على حقائق الأمور**.."، وبالتالي يمكن القول ان الخليفة المستعصم لا حول له ولا قوة وان زمام اموره بيد قائد جيشه الدويدار وهو من يتحكم بالامور، ولكن في نفس الوقت وجد الدويدار الصغير منافساً له في دار الخلافة وهو الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي وكان شيعياً مخالفاً لمذهب الدويدار وقد وصل الخلاف بينهم الى ذروته عندما اشيع عن الدويدار الصغير سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م بأنه يدبر امراً لخلع الخليفة وتنصيب ولده الكبير محله لكن الدويدار انكر الأمر وجهز جيشاً للقضاء على ابن العلقمي الذي هو الاخر جهز جيشه لكن الأمور حُلت بتدخل الخليفة وحال دون القتال[٤٣].

اهتم المؤرخون المسيحيين في تدوين احداث هذه الحملة بشكل كبير لأنها تعد الحدث الأبرز في العامل الإسلامي فضلاً عن انها اهم انجاز حققه المغول على الاطلاق في تاريخ دولتهم فاق بالأهمية الإنجازات العسكرية الأخرى خلال عهد الاباطرة العظام، وعلى كل حال يبرز دور ابن العبري من بين المؤرخين المسيحيين في ذكر تفاصيل اكثر وضوحاً من غيره وقد أشار الى تتبع خط سير جيش هولاكو بعد قضاءه على الطائفة الإسماعيلية وقال في حوادث سنة خمس وخمسين وستمائة مانصه: " **وفيها في شهر شوال رحل هولاكو عن حدود همذان نحو مدينة بغداد**"[٤٤]حيث يشير المؤرخ هنا الى بداية تحرك الجيش من همدان صوب بغداد، وهمدان تعتبر المركز الإداري لقوات هولاكو الذي اتخذه مكان لإستراحة الجند بعد القضاء على الإسماعيلية مباشرة، واذا وضعنا رواية ابن العبري جانباً ونظرنا الى رواية ابن العميد نجده يضع هذا التاريخ لدخول بغداد[٤٥] غير اننا لا نخطّأ ابن العميد لأنه كان يعتمد على دمج واختصار الأخبار عند ايرادها، ومما يؤكد صحة رواية ابن العبري ما اورده نصير الدين الطوسي في رسالته حول سقوط بغداد[٤٦].

اشار ابن العبري الى وجود مراسلات بين هولاكو والخليفة المستعصم يعود تاريخها الى أيام قتال المغول للإسماعيليين إذ طلب هولاكو المدد من الخليفة لكنه لم يلقَ جواب وقال : "**وكان في ايام محاصرته قلاع الملاحدة قد سيّر رسولا الى الخليفة المستعصم يطلب منه نجدة فأراد ان يسيّر ولم يقدر ولم يمكّنه الوزراء والأمراء وقالوا: ان هولاكو رجل صاحب احتيال وخديعة وليس محتاجا الى نجدتنا وانما غرضه أخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة**"[٤٧] بالرغم من تقاعس الخليفة عن ارسال المدد الى هولاكو لم تورد المصادر وجود أي رسالة بعدها إلا بعد انتهاء الحملة والسيطرة على القلاع حيث أشار ابن العبري الى ان هولاكو ارسل الى الخليفة معاتباً عن عدم ارساله المدد لنجدتهم[٤٨] ويظهر ان توقيت كان هذه الرسالة بعد الاستقرار في همدان أي في سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، يبدو ان الخوف سيطر على الخليفة هذه المرة فاستشار وزيره ابن العلقمي بماذا يفعل فكانت نصيحة الوزير : "ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصّه وان يقدم له الأعذار عندئذٍ اخذ الخليفة بنصيحة وزيره المقرب وشرع في

تجهيز ما يسيّرونه من الجواهر والمرصعات والثياب والذهب والفضة والمماليك والجواري والخيل والبغال والجمال الا انه اصطدم بقوة الدويدار الصغير وأصحابه وقالوا للخليفة: ان الوزير انما يدبّر شأن نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا إليهم فلا نمكنه من ذلك، فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نزر لا قدر له"[٤٩]، يبدو ان الخليفة بات مرغما على الامر وقوة الدويدار الصغير فاقت قوة ابن العلقمي لذلك كان عليه ان يستعد لرد قوي وهذا ماحدث حيث وبخه هولاكو بكلام شديد اللهجة وهدده بالهلاك وان لا يغره نسبه والمجد الذي هو فيه ولكن في نفس الوقت وعده بالعفو عنه بشرط ان يقوم بهد الحصون وردم الخنادق ويحضر لمقابلته واذا صعب عليه الامر فليرسل كل من الوزير مؤيد الدين بن العلقمي والقائدين الدويدار الصغير وسليمانشاه[٥٠]، ومن جانب آخر اتهم الدويدار الوزير ابن العلقمي عند الخليفة بالتواطؤ مع المغول وانه يروم تسليمهم لهولاكو وجنوده لذلك ارسل الخليفة الى الوزير يذكره بأن بينه وبين هولاكو ومنكو علاقة صداقة ومن غير الممكن ان يقدم الاخوان على محاربتي وان اقدما فتذكر ان جميع ملوك الأرض منقادون لأوامري[٥١] يظهر من خلال موقف الخليفة المتقلب بأنه لا يملك من امره شيئاً وانه منقاد للعسكر الذي ادخله في منعرج خطير لايمكن الخلاص منه الا بالهلاك. واما فيما يتعلق بخيانة ابن العلقمي فيظهر انها مكيدة من قبل القادة العسكر الذين يقفون بالضد منه والا فإن من المستحيل ان تكون اقوى امبراطورية في العالم حينها ان تأتي وفقاً لرغبة شخص وتجهز جيشاً جراراً لهذا الحجم بناءاً على دعوته وإن مما يؤكد وجود بغداد في الخطة التوسعية للمغول هو وصية منكو قاآن لأخيه هولاكو قبل توجهه نحو غرب الإمبراطورية والقضاء على الإسماعيلية إذ قال: " **فإذا فرغت من هذه المهمة فتوجه الى العراق وازل من طريقك اللور والأكراد، الذين يقطعون الطرق على سالكيها، واذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقاً. اما اذا تكبر وعصا، فألحقه بالآخرين من الهالكين...** "[٥٢]، وفي تحليل النص السابق يظهر امرين:

الامر الأول: هو ان غزو بغداد امر مخطط له مسبقاً وليس من بناة أفكار هولاكو وانما كان يسير وفق خطة مبيته سلفاً في العاصمة قراقورم. وبالتالي اصبح النص يناقض ماجاء عند كثير من المؤرخين الذين نسبوا الخيانة للوزير مؤيد الدين ابن العلقمي واتهموه بمكاتبة المغول ودعوته لإحتلال بغداد واسقاط الخلافة العباسية[٥٣] كما أورد ابن العميد رواية في هذا الصدد قال فيها: " **وقيل ان وزير بغداد كتب الى هولاؤون بأن يصل الى بغداد ويأخذ البلاد وسببه ان الخليفة المستعصم بالله امر بنهب الكرخ؟ وجميعه من شيعة علي بن ابي طالب فنهب العوام واخذوا أموالهم وجميع نعمتهم ونسوانهم واولادهم وباعوا بناتهم وكان الوزير يميل الى العلوية فشق عليه هذا الامر فكاتب هولاؤون بأن يصل الى بغداد وان يأخذها وهذا امر مشهور**"[٥٤]، يظهر هنا ابن العميد مجرد ناقل للرواية وقال: هذا المشهور يعني انه لم يبت بالموضوع، والجدير بالذكر ان الدكتور جعفر خصباك وضح ذلك في دراسة تحليلية للنصوص الواردة في هذا الشأن وتوصل بنتيجة مفادها بطلان جميع النصوص لتناقضها مع بعضها مقارنة بالأحداث الجارية انذاك[٥٥]، كما يُلحظ ذلك من خلال حديث المؤرخ الأرمني سمبات واكنرستي ايضاً في دراسة أحوال بغداد قبيل الغزو المغولي إذ يقول سمبات: " **ان بغداد كانت مستعدة للغزو المغولي وكانت مكتضة بالسكان والمجاهدين لأن خليفة بغداد اخبرهم قبل عام بأنهم مقبلين على**

حملة مغولية وعليهم اتخاذ مايلزم لخوض الحرب"[٥٦]، وبالتالي يتبين أن المغول كانوا يسيرون وفق خطة عسكرية موضوعة سلفاً كان من ضمن قواعدها اخضاع بغداد.

الأمر الثاني: إنه وبالرغم من حالة الضعف التي تمر بها الخلافة العباسية الا ان معاملة المغول هذه المرة تختلف تماماً ففي السابق كان مصير من يستسلم لهم ومن يقاتلهم الهلاك على حد سواء، لكن هذه المرة اختلف الامر مع الخلافة العباسية، وحاولوا معاملتهم معاملة خاصة فيما لو تم الخضوع لهم، وهذا ان دلَّ على شيء فإنه يدل على معاملة منكوقاآن الحسنة لرجال الدين من كل الطوائف تشمل خليفة بغداد الذي يتمتع بمركز ديني مهم جداً لدى المسلمين ايضاً وبالتالي فإن جميع رجال الدين ومن جميع الطوائف والديانات يتمتعون بعطف القاآن ماداموا في طاعة المغول مع تمتعهم بحرية ممارسة عقائدهم.

أشار المؤرخون الى إن هولاكو اوكل مهمة اخضاع الجانب الغربي من بغداد الى بايجو نوين لذلك وضعه على ميمنة الجيش، وكان بايجو مقيماً في بلاد الروم، وقد ذكر كيراكوس الى انه اصطحب معه عناصر غير مغولية كان للأرمن النصيب الأكبر من هذا الجيش كان من بينهم ضباط كبار في الجيش الأرمني وقد نقل منهم المؤرخ اغلب غزو بغداد، كما أشار الى وجود عناصر من مملكة الكرج(جورجيا)[٥٧]، فيما قدر هيتوم عدد افراد كتيبته بثلاثين الفاً[٥٨]، ومن جانب المصادر الإسلامية أشار الشيرازي إلى إنَّ الجيش كان تحت قيادة كل من بوقا تيمور وبايجو وسونجاق نوين وكان كل مع كل قائد ما بين عشرة الاف وخمسة عشر الف مقاتل[٥٩]، وقد سارت هذه الجيوش على طريق اربل[٦٠] تحت امرة سونجاق نوين على ان يعسكر في الجانب الغربي من بغداد، وفعلا وصل الى مكان يدعى قبر احمد غربي بغداد[٦١]، وعن مهمة هذه الكتيبة امدنا كيراكوس دون غيره من المؤرخين بتفاصيل قال فيها: " **امر بايجو قواته ان تحيط بنهر دجلة العظيم الذي بنيت على ضفافه مدينة بغداد كي لا يتمكن احد من الفرار بواسطة سفينة لذلك سارع الجند ببناء جسراً عائمة على النهر وثبتوا اسواراً مرتبطة بأنابيب حديدية بين سطح النهر والقاع ليمنعوا فرار أي احد سباحة دون علمهم**"، اما على الجانب الآخر من الجيش فقد كان كتبغا نوين على الميسرة مع القائدين "**قدسون ونرك ايلكا**" وزحفت قواته من حدود بلاد اللر وبيات وتكريت[٦٢]وخوزستان حتى ساحل عمان واستقرت في ضواحي همدان[٦٣]، في حين سار هولاكو باتجاه حلوان[٦٤]وقد نزل بجيشه في الجانب الشرقي من بغداد في منتصف محرم من نفس العام[٦٥]

بايجو نوين في اول قتال عسكري بين الجيشين:

تحدثت المصادر عن تقدم بايجو قادماً من ارض سلاجقة الروم بصفته قائداً لميمنة الجيش المغولي وبمجرد وصول اخبار تقدمه باتجاه الجانب الغربي من بغداد الى اسماع الدويدار تقدم هذا الأخير ايضاً ونزل بجواره وكان على رأس عساكر جيش الخليفة كما يروي ابن العبري كل من ابن كر و الدويدار الصغير وقد مكث الفريقان مدة ثلاثة وعشرين يوماً دون قتال[٦٦] وفي صباح الثامن من المحرم سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م زحف جيش بايجو نحو منطقة قبر احمد الى الغرب من بغداد[٦٧] وقد التقى الطرفان بالقرب من قنطرة باب البصرة فإقتتلو قتالاً شديداً[٦٨]، وقد اتفقت اغلب مصادرنا على انكسار المغول في هذه الجولة من المعركة اذا انفرد كيراكوس[٦٩]بايراد عدد قتلى المغول وقال: " **ذهب الدويدار**

وانتصر وقتل حوالي ثلاثة الاف من التتار" في حين وصف ابن العميد [٧٠]ذلك بقوله: "**وخرج عسكر بغداد اليهم وتقاتلوا فكانت الكسرة اولاً على التتار وقُتل منهم مقتلة عظيمة**"، كما لم يتجاهل ابن العبري[٧١] هذه الهزيمة للتتار وقال: " .. **وتقدم البغداديون كذلك والتحم القتال بين الفريقين فانكسر فريق بايجو وانتصر البغداديون**"، اثبتت اغلب النصوص السالفة انتصار جيش الخلافة في هذه الجولة من المعركة وبما ان كيراكوس ينقل الاحداث من شهود عيان داخل المعركة وهم ينتمون الى الجهاز العسكري للجانب المغولي فليس من المستبعد صحة روايته بمقتل ثلاثة الاف رجل منهم إذا معلمنا ان الشيرازي قدر عدد الجيش المغولي بأربعة آلاف مقاتل انهزم هزيمة نكراء[٧٢]. يبدو أن الغرور وقلة الخبرة العسكرية جاءت بنتائج عكسية على الداويدار وجيشه فبحسب ماجاء عند ابن العبري ان الجيش الذي اشتبك مع الداويدار كان بقيادة سونجاق نوين وليس بايجو اذا كان بايجو في مؤخرة الجيش فضلاً عن ان المغول كانوا يتمتعون بخبرة عسكرية كبيرة إذ اقاموا في مكان ارغموا فيه جيش الداويدار على النزول في أراضي منخفضة[٧٣].

بعد الإنتصار قدم امراء الجيش وقادته النصيحة للداويدار إذ اورد ابن العبري[٧٤] ان الشيخ ابن كر قال له: " **لقد منحنا الله الغلبة فيجب ان نقصد بيوتنا لنستريح ثم نخرج للقتال ثانية لكن الداويدار تكبر تجبر وتكبر ورفض المشورة..**" وجلس يأكل ويشرب بلا اهتمام وارسل الى الخليفة يقول: " **لقد هزمتهم جميعًا، وغدًا سأقضي على الناجين القلائل**"[٧٥].

اما على الجهة الأخرى فيقول كيراكوس امضى التتار ليلهم بالتنظيم والتسليح وكان من بين قادة الجيش المغولي الأمير الكرجي زكريا بن شاهنشاه[٧٦] ونظراً للخبرة العسكرية عند المغول فقد استغلوا إقامة خصومهم في أماكن منخفضة وعملوا ثغرة في مياه دجلة تفجرت منها المياه بغزارة واغرقت البغداديين وباتوا ينهزمون وسط المياه الجارية وقد تبللت قسيّهم وسهامهم لينقض عليهم المغول ويقتلون منهم اعدادا كبيرة ويرمونهم في المياه وكان من بين القتلى الشيخ ابن كر نفسه وقد استمرت المعركة حتى الساعات الأولى من نهار اليوم التالي ولم ينج منها الا القليل من الرجال من بينهم الداويدار فهربوا الى بغداد[٧٧]، ومن الجدير باذكر فقد غفل المؤرخون عن ذكر اعداد قتلى جيش الخلافة العباسية فيما قدره الشيرازي[٧٨] بما لا يقل عن اثني عشر الف **وقال:** " **وكان المغول قد قطعوا اثني عشر الفا أُذن من آذان جيش الداوتدار الذين كانوا قد قتلوهم ... وكان هؤلاء غير أولئك الذين غادروا المعركة وسقطوا في المياه والغدارن**".

حصار بغداد ومعركة الحسم:

تقدمت قوات الميمنة بقيادة بايجو نوين بعد الانتصار على الدويدار وسار الجيش بإتجاه الجنوب الشرقي، على الطريق الرئيسي بين الأنبار وبغداد بمحاذاة نهر عيسى، وقد وصلت القوات في منتصف محرم الى ضواحي مدينة بغداد متخذة من الجانب الغربي مقابل باب السلطة مقراً عسكرياً لها[٧٩]وفي نفس نفس الوقت كان وصول قوات الميسرة بقيادة بايجو الى الشمال الغربي من بغداد ونصب خيامه امام "**باب كلواذا**" التي تقع شمال شرقي نهر دجلة والى الجنوب الشرقي من بغداد[٨٠]، يبدو ان تجمع هذه الجيوش لم يأتي بمحض الصدفة إطلاقاً بل كان بتخطيط مسبق لأنه وبالرجوع الى رواية ابن العبري نجده يضع

نفس التاريخ لوصول قوات القلب بقيادة هولاكو ويقول: "**وفي منتصف شهر المحرّم من سنة ست وخمسين وستمائة نزل هولاكو بنفسه على باب بغداد**"، ولما اكتملت الاستعدادات صدرت الأوامر الى كافة القطعات لحصار بغداد حصاراً شديداً باتجاه دار الخلافة، وفي يوم وليلة أكملت قوات هولاكو بناء سوراً عالياً في الجانب الشرقي ومثلهم فعل الجيش المرافق لبايجو نوين في الجانب الغربي وكذلك حفروا خندقاً داخل السور ليتمكنوا بعد ذلك من نصب المنجنيقات إزاء السور من جميع جوانبه ورتبوا الآلات التي تقذف كرات النفط ايضا[٨١].

هولاكو وفن الحرب الدبلوماسية والعسكرية معاً:

بعدما نصبت جيوش هولاكو الخيام من جميع الجهات حول بغداد وتمكن هولاكو من تأمين ظهر الجيش شرع في تنفيذ الحصار حول المدينة املاً في استسلام الخليفة وبالتالي تقليل خسائر المعركة من جانبه، لكن في نفس الوقت لم يتوقف المغول عن توجيه ضرباتهم بالمنجنيق نحو اسوار بغداد.

انفرد كيراكوس بإيراد رواية تقول ان هولاكو بعث الأمير برهوش Prhosh من بلاد الكرج برفقة آخرون الى الخليفة المستعصم بصفة مبعوثين من قبل هولاكو ليطرحوا عليه ان يخرج في طاعة ملكهم (هولاكو) ويقوم بدفع الضرائب اليه[٨٢]، غير ان رد الخليفة كما أورد المؤرخون الأرمن كان قاسياً وغير متوقعاً فقد رد بعبارات قاسية تحمل في طياتها الإهانة لشخص هولاكو والتهديد اذ قال كيراكوس[٨٣]: " **أعطى [الخليفة] ردًا صارمًا مليئًا بالإهانات، مدعيًا أنه سيد البحر والأرض، وتفاخر براية محمد، قائلاً: إنها هنا، وإذا لمستها، أنت والعالم بأسره سوف تدمر، أنت كلب، تركي، لماذا أدفع لك الضرائب أو أطعك؟** " بالمقابل لم يختلف سمبات كثيراً عن سلفه وارود كلاماً قريب الى حد ما معه وقال ولكنه لم يورد ابتعاث هولاكو وجعل الخليفة من بدأ بالمراسلة وقال: " **بعث الخليفة موفداً خاصاً ليتحدث الى هولاكو خان قائلاً: خذ جيشك وارحل بعيداً من هنا والا فعندما احمل بردة(راية) نبيناً محمد وراها الناس جميعاً واذا وجد فيكم من يؤمن بنبينا فسوف استثنيهم او سينحازون الينا اذا كانوا على طريق الحق**"[٨٤]، والحدير بالذكر ان هذا النص ورد عن اكنرستي بصورة أخرى حيث طمأنَ فيه الخليفة رعاياه ووعدهم بالانتصار براية الرسول محمد(ص) وقال: " **وكان الخليفة أخبر السكان قائلا: لا تكونوا خائفين انه حتى اذا ما جاء التتار ووصلوا سوف احمل راية محمد على أبواب بغداد وبذلك سوف يفر فرسان التتار وتكونوا امنين**"[٨٥] عند التدقيق في هذا النص سواء فيما كان جواب الخليفة لهولاكو او الكلام الموجه للناس نجده لا يخلو من كونه يلعب أوراقه الأخيرة وهو في معركة خاسرة لا محال ويظهر ذلك من خلال اظهاره للأمور الغيبية عسى وان يكسب تعاطف الناس معه او لعله يكسب المسلمين ويذكرهم بأن الله سوف يعز خليفته ومن المستحيل ان يتركه كون ان مركز الخلافة كان يتمتع بقدسية عن غالبية المسلمين.

رد هولاكو على الخليفة بنفس السلاح واعتمد على الغيبيات بالرغم من انه في موقف القوة لكنه في نفس الوقت كان يريد ان يثبت عقائد إن المغول على حق لأنه كان متيقن من النصر في هذه المعركة اذ قال كيراكوس[٨٦]: "**ومع ذلك، لم يتأرجح هولاكو بسبب الإهانات ولم يكتب أي تفاخر لقد قال فقط: "الله أعلم ماذا يعمل**" في حين اورد سمبات نصاً اكثر قسوة في تعامل هولاكو مع خطاب الخليفة وتفاخر

هو الآخر بجنكيزخان وشريعته وقال: " **وعندما سمع هولاكو كلام الخليفة سخر منه وبصق وهو يمضغ وكأنه يبصق على وجه الخليفة ثم قال بصوت عالٍ: بعون الرب وياسا جنكيزخان سوف اعمل السيف فيكم جميعاً يا من تفتخرون بنبيكم**"[٨٧].

أكد المؤرخون الأرمن ان هذه البعثة كانت الأخيرة قبل الحرب فما كان من هولاكو الا ان اعلن حربه مباشرة[٨٨]، التي كان انطلاقها في العشرين من المحرم كما أورد ابن العميد [٨٩]الا ان الراجح كما ورد عند ابن العبري ورشيد الدين في الثاني والعشرين منه[٩٠]. اما اذا تركنا المصادر الأرمنية على جهة ورجعنا للمصادر الأخرى فنجد وقائع مختلفة للمراسلات نقلها المسلمون فضلاً عن ورودها عند المؤرخ السرياني ابن العبري الذي أورد ان الخليفة لما أصابه اليأس أرسل وزيره ابن العلقمي ونجم الدين عبد الغني ابن درنوش وماركيخا الجاثليق[٩١]فيما ورد عند نصير الدين الطوسي شخصية صاحب الديوان أبو طالب فخر الدين الدامغاني من ضمن الرسل[٩٢] اما رشيد الدين فقد قال بوجود شخصية جاثليق بغداد من ضمن البعثة متفقاً مع ابن العبري[٩٣]، ولما كان الخليفة يلعب أوراقه الأخيرة فقد حاول من خلال هذه السفارة ان يستميل الى جانبه كل شخص عند هولاكو لذلك بعث له الهدايا من الذهب والبضائع الملكية فضلاً عن الخيول العربية ولكن لم تكن كثيرة لكي يُظهروا للمغول انهم في حالة ضعف فضلا عن ذلك فقد كان لإرسال الجاثليق أمور أخرى في نفس الخليفة لأن للنساطرة شأن كبير داخل اسرة هولاكو وبذلك يحاول الخليفة استمالة زوجته طوقوز خاتون النسطورية[٩٤]. وعند وصولهم تسائل هولاكو عن عدم قدوم الدويدار وسليمانشاه؟ فأجاب الوزير على لسان الخليفة وقال:" **أنت طلبت احد الثلاثة وها انا قد سيّرت إليك الوزير وهو أكبرهم**" فكان جواب هولاكو انه هذا الشرط انتهى وقته وقال: " **انني لما كنت مقيما بنواحي همذان طلبت احد الثلاثة والآن لم اقنع بواحد**"[٩٥].

جدَّ المغول في القتال ومن جميع الجهات اذا كان هولاكو واقفاً على الجانب الشرقي للمدينة إزاء البرج العجمي[٩٦]وبوقا تيمور من الجانب الغربي الذي يعرف بـ"**حقل البقل**" وسونجاق نوين وبايجو نوين من جانب البيمارستان العضدي[٩٧] فيما كلف جيش كتبغا نوين برمي الأقواس وفي الجانب الأيمن من المدينة كان هناك جيش بلغاي وسونتاي[٩٨]، ومن جانب آخر باشر هولاكو بالحرب النفسية واتباع سياسة تفريق قوة الخصم ان وجدة لتصبح اقل قوة عما كانت عليه وهي متحدة واصدر اومره الى البتكجية الى كتابة منشورات باللغة العربية قال فيها: "**ان الاركاونية**[٩٩]**والعلويين والداذنشمدية وبالجملة كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وحريمه وأمواله**"[١٠٠] ويمثل هذا النداء وان ورد بصيغ مختلفة عند المؤرخين الأمان لفئات مختلفة من المجتمع البغداداي وهم كل من القضاة والتجار والعلماء والسادات وغيرهم من أصحاب المهن[١٠١]، إذ كان هولاكو يعتقد من خلال ذلك تقويض جبهة الخليفة العسكرية وضمان جانب هذه الشرائح من المجتمع البغدادي، وخلال تنفيذ الحصار أورد كيراكوس نصاً غريباً خلال بيانه لأوضاع بغداد تحدث فيه عن علاقة ودية بين الناس والجند المغول جاء فيه: "**ان بغداد كانت مليئة بالجنود والناس. وقد وقفوا على الاسوار لمدة سبعة أيام، لكن لم يطلق أحد عليهم سهامًا ولم تُستعمل سيوفًا، سواء من قبل المواطنين أو جنود التتار، لكن بعد سبعة أيام بدأ المواطنون يطلبون السلام ويأتون [إلى هولاكو] بمودة وخضوع**"[١٠٢] كما أكد كيراكوس بأن مصير هذه الجموع من البشر كان القتل خارج المدينة

سراً لكي لا يعرف الناس انهم قتلوا[١٠٣]. غير انه بالغ كثيراً في كمية التعاطف بين الطرفين وهذا مالم يرد عند المؤرخين بل على العكس كانت الحرب مشتعلة كما أشار المؤرخون ومن بينهم المؤرخون الأرمن ايضاً. ونتيجة للضربات التي يوجهها الجنود المغول بالمنجنيقات على الأسوار على مدار سبعة ايام تمكنوا اخيراً من فتح ثغرة كبيرة في البرج العجمي تمكن من خلالها جنود هولاكو من الدخول الى بغداد في الخامس والعشرين من المحرم[١٠٤]وقد واجه المغول مقاومة من قبل البغداديين الا ان عدم تكافؤ الجيشين رجح كفة الجيش المغولي في جولتين من القتال استولى من خلالها التتار على جميع الأسوار في اليوم التالي[١٠٥]، وفي تكتيك متقدم أظهر براعة المغول في الحرب داخل المياه حاول هولاكو اغلاق كافة الطرق على الخليفة واتباعه وعدم السماح لهم بالهروب من المدينة والى ذلك أشار ابن العبري[١٠٦]: " **واحتفظ المغول الشط ليلا ونهارا مستيقظين لئلا ينحدر فيه احد**" ولتنفيذ ذلك وفي إشارة اكثر تفصيلاً لهذه الخطة أورد رشيد الدين الى أن هولاكو أصدر أوامره ببناء جسرين أعلى بغداد وأسفلها وأمرهم كذلك أن يعدوا السفن ويعينوا المستحفظين، وقد افشلوا محاولة هروب الدوايدار الى خارج بغداد[١٠٧].

أصاب اليأس قلب الخليفة بعد هذا الكم من الهزائم النفسية والعسكرية وأدرك عدم قدرته الاحتفاظ ببغداد نهائياً فضلاً عن الهروب منها عندها قال: "**سأسلم وسأطيع**"[١٠٨]، فأخرج ولديه في السادس والعشرين من المحرم حسب ابن العبري[١٠٩]فيما أشار رشيد الدين الى خروج الابن البكر أبو الفضل عبد الرحمن مع الوزير وصاحب الديوان للقاء هولاكو[١١٠] لكن أوامر هولاكو وبهدف اخلاء جيش الخلافة من قادته وتحطيم الروح المعنوية للخليفة طلب: "**ان يخرج اليه الدويدار وسليمانشاه واما الخليفة ان اختار الخروج فليخرج والّا فليلزم مكانه**"[١١١] ويبدو ان هذه الأوامر وصلت الى الخليفة عن طريق وفد مكون من الخواجة نصير الدين الدين الطوسي والأمير المغولي أي تيمور وخرجا في غرة شهر صفر[١١٢].

استسلم الرجلان اخيراً وخرجا لمقابلة هولاكو لكن الأخير ارجعهما في الحال لكي يمنعوا مقاتليهم المرابطين داخل الأزقة من قتل رجال المغول وان يسلموا انفسهم في الحال[١١٣] فرجع الدويدار وبلغهم الامر ورجع الى السلطان فقتله في الثاني من صفر[١١٤]اما سليمانشاه فقد قتله هولاكو مع سبعمائة رجل من اتباعه بعد إن استجوبه وقتل معه تاج الدين بن الدويدار الكبير[١١٥]، عندئذ قرر الخليفة الخروج وقد اتفق اغلب المؤرخين على خروجه في الرابع من شهر صفر برفقة أولاده وعائلته مع جمع من وجهاء بغداد واعيانها فإستأذن لمقابلة هولاكو الا ان الأخير لم يقابله وأمر بإعتقاله وأمر حفظة يحرسونه في احدى الخيام نصبت بباب كلواذا في الجانب الشرقي من بغداد بالقرب من معسكر كتبغا نوين[١١٦].

كان استسلام المستعصم ايذاناً بسقوط الخلافة العباسية بعد حكم دام خمسة قرون وربع القرن وأصبح العراق رسمياً تحت حكم المغول ونظراً للتكتيكات الحربية السابقة التي تمثلت بخطوات متتالية افرزت عن افراغ بغداد من جند الخلافة عندها مارس الجيش المغولي عادته في نهب المدن وتخريبها وكان هذه المرة بمساعدة الأرمن والكرج(جورجيا) ويذكر ان الهجوم على المدينة الخالية من الجنود بدأ في السابع من صفر و استمر سبعة أيام حتى الرابع عشر منه[١١٧]. ويبدو ان بغداد كانت تحتوي على كنز كبير وكميات كبيرة من الذهب والفضة وسائر المعادن النفيسة كما ورد في روايات المؤرخين المسيحيين لذلك استهلك المغول سبعة أيام في عمليات النهب وهذا ما أظهره اغلب مؤرخي المسيحية الشرقية في

رواياتهم[١١٨]، أما مصير الناس فقد عمل المغول فيهم مجزرة فعندما استولى الجيش على المدينة قتل أهلها من دون رحمة وجردوا عليهم السيف لمدة سبعة أيام وأجهزوا على ربوات البغداديين بمساعدة الكرج والأرمن وذبحوا الرجال والنساء والأطفال[١١٩]وقد صوَّر لنا المؤرخون الأرمن هذا الأمر وأظهروا بشاعة المغول في التعامل مع الناس بالرغم من انهم كانوا ضمن الحملة إذ قال كيراكوس[١٢٠]: " **كما لو كانوا يحصدون الحقل، ويقطعون أعدادًا لا حصر لها من الرجال والنساء والأطفال أربعين يوما لم يتوقفوا، ثم تعبوا وتوقفوا عن القتل. تعبت أيديهم. أخذوا الآخرين للبيع، لقد دمروا بلا رحمة**"، غير ان سمبات[١٢١]قال: " **وقذفوا الجثث النازفة في نهر الفرات[١٢٢] الذي يمر بمحاذاة المدينة حتى تحول لون الماء بلون الدم لكثرة الجثث النازفة في النهر**" فيما لم تختلف مصادر المسلمين عن هذا الوصف وأظهروا بشاعة ما فعله المغول بالناس الأبرياء[١٢٣]، لكن تجدر الإشارة الى إن هناك من تم استثنائهم من القتل كما أورد المؤرخون إذ ذكروا أنَّ معاملة النصارى مختلفة تماماً إذ اجمع المؤرخون على حسن تعامل هولاكو معهم وقد لعبت زوجته طوقوز خاتون دوراً كبيراً في إقناعه بعدم التعرض اليهم إذ أشار الى ذلك كيراكوس: " **لقد أنقذت مسيحيي بغداد والنساطرة وغيرهم من الطوائف وتوسلت إلى زوجها ألا يقتلهم. وأنقذهم من أموالهم وممتلكاتهم**"[١٢٤]، وأشار المؤرخ هيتوم الى ان هولاكو: " **أصدر أوامره بإظهار اللطف بالمسيحيين في كل مكان وأن يعهد اليهم بصيانة القلاع والمدن بينما عامل المسلمون بأبشع صور العبودية**"[١٢٥] لذلك قالم الجاثليق بجمع النصارى في كنيسة سوق الثلاثاء ولم يلحق الأذى باي احد منهم[١٢٦] ولما عرف اغنياء العرب بالأمان للمسيحيين نقلوا أموالهم وامتعتهم الى دار الجاثليق املاً في النجاة غير ان ذلك لم يكتب لهم وقتلوا عن بكرة ابيهم[١٢٧]. وبذلك رسم هولاكو صورة بشعة عن التعامل مع المسلمين وأظهر فيها حقده على المسلمين ولا يستبعد ان يكون هذا التعامل ناتج عن استشارة المسيحيين من الأرمن والكرج المتواجدين في الحملة لاسيما انهم كانوا يعتبرون المسلمين حجر عثرة امامهم في الوصول والسيطرة على بيت المقدس.

الخليفة العباسي والمصير المحتوم:

سجل هولاكو انتصاراً لم يحققه احد من قبل على الخلافة العباسية واصبح بذلك الحاكم الفعلي على العراق ولم يتبقى امامه سوى التخلص من الخليفة العباسي ليطلق بذلك رصاصة الرحمة على الخلافة العباسية ويُنهي حكماً استمر لأكثر من خمسة قرون، اما فيما يتعلق في حادثة قتل الخليفة المستعصم فلم تتفق المصادر المسيحية الشرقية على رواية موحدة فضلاً عن اختلافها عما ورد في المصادر الإسلامية التي هي الأخرى لم تتفق على رواية موحدة ايضاً. ولكن قبل ذلك ننقل ما ورد عن اجراء محاكمة ولو شكلية من قبل هولاكو والتي من الممكن ان يكون قد أراد اذلال الخليفة فيها او ان يُظهر نفسه بأنه الحاكم العادل ولا يريد ان يقتل احد ظلماً، لذلك ينقل ابن العبري[١٢٨] انه: " **ولما اطمأن ملك الملوك استدعى اليه الخليفة المنكود الحظ وحاكمه وقضى عليه بالموت**"، وفي موضع آخر قال : "**وتقدّم بإحضار الخليفة فاحضروه ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ودررا معبّاة في أطباق ففرّق هولاكو جميعها على الأمراء وعند المساء خرج الى منزله وامر الخليفة ان يفرز جميع النساء التي باشرهن هو وبنوه ويعزلهنّ عن غيرهنّ ففعل فكنّ سبعمائة امرأة فاخرجهن ومعهنّ ثلاثمائة خادم**

خصي"[١٢٩] وفي ذلك يقول رشيد الدين ان الخليفة لما اطلع على تعداد نسائه تضرع وقال:" **من علي بأهل حرمي اللائي لم تطلع عليهن الشمس والقمر**" عندئذٍ منحه هولاكو حق ان يخرج مائة امرأة منهن ويترك الباقي فأخرج الخليفة مائة منهن ممن يقربنه[١٣٠] وقبل ان يرحل هولاكو عن بغداد في الرابع عشر من صفر قتل الخليفة وابنه الأوسط مع ستة نفر من الخصيان في الليل كما قتل ابنه الكبير مع جماعة من الخواص على باب كلواذا[١٣١]، اما فيما ورد في طريقة قتله فهناك اختلاف ايضاً فقد أشار ابن العميد[١٣٢]الى ذلك قائلاً: " **وقبض على الخليفة المستعصم... وأمر ان يُرفس الى أن يموت فرفسوه الى إن مات**".

أورد كيراكوس رواية مختلفة عن الجميع وأشار الى قيام هولاكو بقتل الخليفة بنفسه وقال : " **في البداية كرّمه [هولاكو]، ثم وبّخه لكذبه عليه وعدم مجيئه إليه بسرعة. ثم سأل الخليفة: ما أنت الله أم الإنسان؟ فأجاب الخليفة: "أنا رجل وعبد الله". سأل هولاكو: "حسنًا، هل قال لك الله أن تهيننني وأن تدعوني بكلب ولا تطعمني طعامًا وشرابًا لكلب الله؟ الآن في الجوع سوف يلتهمك كلب الله"، وقتله بيديه، قال: "هذا شرف لك، لأنني قتلتك بنفسي ولم أعطك غيرك لقتلك". وأمر ابنه بقتل أحد أبناء الخليفة بينما قدم الابن الآخر ذبيحة لنهر دجلة ...**" [١٣٣].

اما ابن العبري فقد افصح في تاريخه المطول عن رواية مختلفة ايضاً وقال : "**جعلوه في غرارة وخاطوها ورفسوه بأرجلهم حتى مات**" واردف المؤرخ الى ان قيام هولاكو بهذا العمل جاء نتيجة لمشورة بعض العرب الذين خوفوه بقولهم : "**ان اريق دم الخليفة على الأرض فلن ينزل عليها مطر بل ان جمرات النار تشتعل منه**"[١٣٤] غير انه من المستبعد ان يصدق هولاكو بما قاله العرب على حد زعم ابن العبري وبالتالي وان صدقنا الشطر الأول من الرواية فيما يتعلق بطريقة القتل الا ان ما أورده اخيراً يجانب الصواب نظراً لما فعله هولاكو بكل مقدسات المسلمين فكيف له ان يصدق بما قاله اكابرهم وبالتالي ينزل عند رغبتهم ناهيك عن انه قام بالقتل فإذا كان خائفاً حقاً فإنه لن يقدم على قتله اصلاً.

نقل هيتوم في مقتله رواية أخرى تتلخص في ان هولاكو حبسه في غرفة مع كنوزه وامواله وقال اتركوه ليأكل منها قدر ما يشاء وأمر بعدم ادخال الطعام والشراب اليه وبذلك انتهت حياته في مثل هذا البؤس[١٣٥]، في حين نقل لنا اكنرستي في تاريخه محاورة مختلفة نوعاً ما جرت بين الخليفة وهولاكو وقال : " **... وجلبوه امام هولاكو وكان سميناً قوي البنية وعندما رآه هولاكو سأله : أأنت صاحب بغداد؟ فأجابه : نعم انا هو ثم امر به فالقي بالسجن ثلاثة أيام من دون اكل، ثم احضر امام هولاكو فسأله : أي نوع من الناس انت؟ فأجابه الخليفة بغضب وكأنه يريد اخافته وقال: هل هذه انسانيتك جعلتني أعيش في جوع لمدة ثلاثة أيام؟**"[١٣٦] يظهر انه ومن سياق الرواية ان هناك غاية في نفس هولاكو يريد ان يقضيها فأمر الأخير بإحضار صحن من الذهب الأحمر فجيء به ووضع امامه فتسائل الخليفة عما في الصحن فأخبره هولاكو :"**هذا ذهب، كُل، وبذلك فإن جوعك وعطشك سوف يزولا، وسوف تشبع في الحال. فرد عليه الخليفة: الإنسان لن يبقى بالذهب، بل بالخبز، واللحم، والخمرة**". فقال هولاكو: "**بما إنك تعلم ان الانسان لا يعيش بالذهب الجاف بل بالخبز واللحم والخمرة، لماذا لم ترسل هذه الكثرة الكبيرة من الذهب لي؟ عندها ماكنت لآتي لنهب مدينتك واعتقالك غير انك جلست تأكل وتشرب دون**

ان تكترث لشيء. ثم أصدر هولاكو أوامره بإعطاء الخليفة الى الجنود ليدوسوا عليه حتى الموت"[١٣٧].

وبالمقارنة مع ما ورد في المصادر الإسلامية نجدهم لا يبتعدون كثيراً عن ما أورده كل من ابن العميد وابن العبري واخيراً اكنرستي الذين اتفقوا وبطرق مختلفة على مقتل الخليفة عن طريق رفسه بالأرجل فقد قال الجوزجاني: " **فلفوه في جوال وكالوا اللكمات لجسمه المبارك حتى هلك..**" [١٣٨]، كما أشار ابن الفوطي الى ذلك بما نصه: " **فأمر السلطان بقتله فقتل...ولم يهرق دمه بل جعل في غرارة ورفس حتى مات**"[١٣٩]، اما رشيد الدين فقد اعرض عن ذكر الطريقة التي قتل فيها الخليفة واكتفى بايراد خبر مقتله[١٤٠]، فيما أكد الرحالة ماركو بولو على الرواية التي تبناها هيتوم الى ان هولاكو وبخ الخليفة على ادخاره للكنوز دون ان ينفقها للدفاع عن نفسه وعاقبه بأن زج به سجيناً في البرج الذي وجد فيه الكنوز وهناك انتهت حياته بين اكداس ماكنز من الثروة والاموال[١٤١].

الجدير بالذكر ان الاتفاق بين المؤرخين بشكل عام كان على مقتل الخليفة دون إراقة دمه باستثناء رواية وردت في التاريخ الجورجي نقلاً عن بعض الجنود الجورجيين المشاركين في الحملة وقد أوردت التاريخ ان مقتله كان على يد احد قواد هولاكو واسمه ايلكا نوين اذ قتل الخليفة بالسيف[١٤٢]غير اننا نرجح ما ورد سابقاً وهو مقتل الخليفة دون إراقة دمه وبذلك يكون هولاكو قد نفذ تعاليم الياسا التي تحرم سقوط دم أبناء الأسر الحاكمة على الأرض لذلك استخدم هولاكو طريقة قتل للخليفة دون إراقة دمه[١٤٣]، وبمقتل الخليفة تم إزاحة الستار عن حكم بني العباس ودخول العراق في نفق الحكم المغولي لقرون قادمة أخرى.

الخاتمة:

خلص بحث (الغزو المغولى لبغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٦م من خلال المصادر المسيحية الشرقية) الى النتائج التالية:

١. بحسب الروايات الواردة فقد أظهرت الخلافة العباسية عجزها التام عن مواجهة الغزو المغولي سياسياً وعسكرياً وادارياً مقابل التجهيز التام للحملة من قبل المغول، وبالتالي كان سقوط الخلافة العباسية امراً طبيعياً لا مفر منه.

١. اما فيما يتعلق بالطابع العام للرواية المسيحية فقد تميز بالميل للمغول والسبب في ذلك يعود الى إنَّ ظهور المغول كان خلال الحقبة التي عاشت فيها الجالية المسيحية الشرقية تحت ضغط قوى مخالفة لهم عقائدياً فعلى سبيل المثال كانت مملكة ارمينية مجاورة لدولة سلاجقة الروم، ومن جانبهم كان السكان المسيحيين في سورية يعيشون تحت ضغط الأغلبية المسلمة، وبالتالي وجد المؤرخون المسيحيون الشرقيون في الاباطرة المغول المغول صفات الحاكم الراعي للمسيحية بالرغم من أن المغول كانوا يتبعون سياسة التسامح الديني مع جميع الديانات دون تفريق.

٢. أظهرت المصادر المسيحية الأرمنية الدور الكبير للأرمن في مساعدة المغول في حملاتهم على العالم الإسلامي وذلك من أجل استعادة السيطرة المسيحية بغية الوصول الى بيت المقدس، كما أظهر الأرمن العلاقة الوثيقة بين هولاكو والملك الأرمني هيثوم الأول الذي كان له الدور الكبير حسب رواياتهم في غزو بغداد.

الهوامش

(١) بينز، الإمبراطورية البيزنيطة، ص٩؛ أ. س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل ، ص٢٦٥؛ ميشيل يتيم، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص٧٦؛

J.W.Thompson, History Of the Middle, P.25.

(٢) العريني، الدولة البيزنطية، ص٣٠؛ إبراهيم خميس معالم التاريخ البيزنطي ، ص٥٥.

(٣) يوسف، العرب والروم، ص١١٨؛ المقاري، ، الكنائس الشرقية وأوطانها، ص٢٨.

(٤) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٥.

(٥) الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان، ص١١٠.

(٦) الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣٥٤.

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣٥٥؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج٣، ص١٨.

(٨) الصقاعي، تالي كتاب وفيات الاعيان، ص١١١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ص٣٥٦؛ المقريزي، المقفى الكبير، ص١٨.

(٩) اليسوعي، المخطوطات العربية، ص١٣؛ بريدي، جرجس بن عميد، ص٦٥.

(١٠) داوود، جامع الحجج الراهنة، ص٤٩٤؛اليسوعي، المخطوطات، ص١٣؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص١٤٥.

(١١) سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج١، ص١٩٢.

(12)Kirakos, History of the Armenians,Vo1.ll, p.153- 155

(13)Kirakos, History of the Armenians, Vo1.l, p.X.

(14)Kirakos, History of the Armenians, Vo1.l, p.X.

(15)Kirakos, History of the Armenians, Vo1.l, p.IX.

(16) Smpat,Sparapets,Chronicle, , Vol,ll, p 135.

(١٧) السلالة الروبينية: هي أسرة مسيحية اخذت على عاتقها تأسيس الدولة الأرمنية في كليكيا ابتدأ حكمها بقسطنطين الأول (١٠٩٢-١١٠٠م) وكانت على حلف دائم مع الحملات الصليبية. ينظر: غروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية ، ص١٠٧.

(١٨) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٦؛ غروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص١٠٩؛

Recueil Des Historiens Des Croisades, Document Armenian, premier, Paris, p.605-606.

(19) Smpat ,Chronicle,An English,Vol, l, p,xiii-xvi

(20) Recueil Des Recueil Des Historiens Des Croisades, p.610-680

(21)Nersessian, Sirarpie der: The Armenian Chronicle of the Constable Smpad,vol 13, pp 141-168.

(٢٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول؛ ص١؛ ابن العبري، مخطوطة تاريخ الأزمنة، ص٨.

(٢٣) ابن العبري، تاريخ الزمان، تقديم، ص١١.

(٢٤) ابن العبري، مخطوطة تاريخ الأزمنة، (مقدمة المترجم)، ص٩؛ قاشا ، تاريخ نصارى العراق، ص٣٦٠ -٣٦١.

(٢٥) ينظر: ابن العبري، مخطوطة تاريخ الأزمنة، (مقدمة المترجم)، ص١٠.

(٢٦) ابن العبري، مخطوطة تاريخ الأزمنة، ص٨.

(٢٧) ابن العبري، تاريخ الزمان، (مقدمة المترجم)، ص١٤.

(٢٨) ابن العبري، تاريخ الزمان، (استهلال الناشر)، ص٨.

(٢٩) تاريخ الزمان، ص٣٥١(الهامش).

(٣٠) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٤٢٥؛ الفغالي، ص٤١؛ زيدان، تاريخ اداب اللغة العربية، ج٣، ص٢١٥.

(٣١) تاريخ مختصر الدول، ص١.

(٣٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، ص٢٢.

(٣٣) تاريخ مختصر الدول، ص٢٩٩.

(34) Hetum, History of The Tartars, p.xi.

(35)Hetum, History of The Tartars,p.xii

(36) Hetum, History of The Tartars, p.78.

(37) Hetum, History of The Tartars, p.xii.

(38) Hetum, History of The Tartars, p.xi.

(39) Grigor Aknetrs, i History Of The Nntion Of The Archers, , p, xv.

([40]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.309-311.

([٤١]) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٢٨.

([٤٢]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص٣١٧-٣١٨.

([٤٣]) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ص٢١٤؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢١٤.

([٤٤]) تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٩.

([٤٥]) اخبار الايوبيين، ص٤٣.

([٤٦]) كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ج٢، ص٣٦٣.

([٤٧]) تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٩.

([٤٨]) تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٩.

([٤٩]) نصير الدين الطوسي، كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ج٢،ص٢٦٣- ٢٦٤؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٩-٢٧٠

([٥٠]) نصير الدين الطوسي، كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٦٨.

([٥١]) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٧٣.

([٥٢]) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٣٧.

([٥٣]) للمزيد عن هذه النصوص. ينظر: أبو شامة المقدسي تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص١٩٨ – ١٩٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٦٧٠؛ وصاف الحضرة، تاريخ وصاف، جلد أول، ص١٤ – ١٥؛ الكتبي، ، فوات الوفيات، ج٣، ٢٥٣؛ وللمزيد عن اراء المؤرخين. ينظر: خصباك، العراق في عهد المغول، ص٢٧-٣٣.

([٥٤]) اخبار الايوبيين، ص٤٥.

([٥٥]) للمزيد عن هذه الدراسة. ينظر: العراق في عهد المغول، ص٢٥ – ٤٣.

([56]) Smpat, Chronicle, Vol. ll.p.142; Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 61.

([57]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.317-319.

([58])Hetum, History of The Tartars, p. 48.

([٥٩]) ابتداء دولة المغول، ص٩١.

([٦٠]) اربل: من اعمال الموصل بينهما مسير يومين: ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣٨.

([٦١]) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول ص٢٧٠.

([٦٢]) يبدو أن ذكر تكريت على طريق ميسرة الجيش القادم من الجنوب الشرقي ورد سهواً او خطأ من قبل المترجم او المؤلف لأن هذه المدينة بعيدة وعلى عكس اتجاه ميسرة الجيش ولا يمكن اعتمادها ضمن النص.

([٦٣]) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨١؛ البناكتي، روضة اولي الالباب، ص٤٥٠.

([٦٤]) حلوان: قال ياقوت : "حلوان العراق، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد" ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٠.

([٦٥]) تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

([٦٦]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

([٦٧]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

([٦٨]) الجوزجاني، طبقات ناصري، ج٢، ص٢٠٦؛ الشيرازي، ابتداء دولة المغول،ص٩٢؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٢٣٢؛

([69]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311.

([٧٠]) اخبار الايوبيين، ص٤٤.

([٧١]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

([٧٢]) ابتداء دولة المغول، ص٩٢.

([٧٣]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

([٧٤]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧.

([75]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311.
([76]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311; Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 51.
([77]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311.

ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٣٧٠؛ الشيرازي، ابتداء دولة المغول، ص٩٣.

([٧٨]) ابتداء دولة المغول، ص٩٤.

([٧٩]) الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٠٣.

([٨٠]) الطوسي، كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ج٢، ص٣٦٦؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص ٣٠٤ – ٣٠٥.

Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311.

([٨١]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

Hetum, History of The Tartars, p. 48.
([82]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311.
([83]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311.
([84]) Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145.
([85]) Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 63.
([86]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.313.
([87]) Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145.
([88]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.313; Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145.

([٨٩]) اخبار الايوبيين، ص٤٤.

([٩٠]) تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٦.

([٩١]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

([٩٢]) كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ص٣٦٦– ٣٦٧.

([٩٣]) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٦.

([٩٤]) تاريخ الزمان، ص٣٠٧؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ص٣٦٧؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٦ – ٢٨٧؛ العريني، المغول، ص٢١٨.

([٩٥]) تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛؛ كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ص٣٦٧؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٧؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٨٠.

([٩٦]) البرج العجمي: برج كبير يقع في القسم الشرقي من بغداد. ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٢، ص٣٦٧(الهامش).

([٩٧]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ص٣٦٧.

([٩٨]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ نصير الدين الطوسي، كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ج٢، ص٣٦٧.

Hetum, History of The Tartars, p. 48.

([٩٩]) الاركاونية: وهم القساوسة المسيحيون. ينظر: الغامدي، سقوط الدولة العبسية، ص٣١٠.

([١٠٠]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ص٣٦٨.

([١٠١]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ نصير الدين الطوسي، كيفية واقعة بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، ص٣٦٨؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٧.

([102]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.313.
([103]) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.313.

([١٠٤]) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص٤٤؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٨؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ ابتداء دولة المغول، ص٩٥.

Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145; Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 61.

([١٠٥]) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٨.

([١٠٦]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١.

([١٠٧]) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٨؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٥٢.

([١٠٨]) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٨؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٥٢.

([١٠٩]) تاريخ الزمان، ص٣٠٨.

(١١٠) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٩؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٥٢.

(١١١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ الشيرازي، ابتداء دولة المغول، ص٩٦.

(١١٢) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٩.

(١١٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٨٩.

(١١٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١.

(١١٥) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٩٠؛ اما ابن الدويدار الكبير هو امير الحاج واسمه فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٢٥.

(١١٦) ابن العميد، اخبار الأيوبيين، ص٤٤؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٨؛ تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٩٠ – ٢٩١؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٢٣٣.

Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.311; Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145; Hetum, History of The Tartars, p. 48; Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 61.

(١١٧) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص٤٤؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١ – ٢٧٢؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٩٢؛

Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.313-315; Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145; Hetum, History of The Tartars, p. 48; Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 61.

(١١٨) اخبار الأيوبيين، ص٤٤؛ تاريخ الزمان، ص٣٠٨؛

(١١٩) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص٤٤؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١ – ٢٧٢؛

Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145; Hetum, History of The Tartars, p. 48; Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 61.

(120) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.315.

(121)Smpat, Chronicle, Vol. ll.p. 145

(١٢٢) والصحيح نهر دجلة.

(١٢٣) ابتداء دولة المغول، ص٩٧؛ الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٩١؛ الحوادث الجامعة، ص٢٣٦.

(124) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.315.

(125)Hetum, History of The Tartars, p. 50.

(١٢٦) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٨.

(١٢٧) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٨.

(١٢٨) تاريخ الزمان، ص٣٠٨.

(١٢٩) تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١– ٢٧٢.

(١٣٠) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٩٢.

(١٣١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٢؛ الشيرازي، ابتداء دولة المغول، ص٩٩.

(١٣٢) اخبار الايوبيين، ص٤٤.

(133) Kirakos, History of the Armenians, Vol. ll, p.315.

(١٣٤) تاريخ الزمان، ص٣٠٨.

(135)Hetum, History of The Tartars, p. 49.

(136) Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 61.

(137) Grigor Aknetrs,i History Of The Nntion Of The Archers, p. 61-63.

(١٣٨) طبقات ناصري، ج٢، ص٢١٣.

(١٣٩) الحوادث الجامعة، ص٢٣٣ – ٢٣٤.

(١٤٠) الهمذاني، تاريخ هولاكو، ص٢٩٤.

(١٤١) رحلات ماركو بولو، ج١، ص٦٠.

(١٤٢) نقلاً عن: خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٥٥؛

Howorth, History Of The Mongols, Vol, lll, p. 128.

(١٤٣) ينظر: القزاز، الحياة السياسية، ص١٠٦.

المصادر الأولية:

١. ايتي، عبدالمحمد، تحرير تاريخ وصاف، (انتشارات بنياد فرهنك ايران، ١٣٤٦هـ ش)
٢. برصوم، اغناطيوس افرام الأول، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م).
٣. البناكتي، داوود بن ابي الفضل محمد (ت: ٧٣٠هـ)، روضة اولي الالباب في معرفة التواريخ والانساب(تاريخ البناكتي)، ترجمة : محمود عبد الكريم علي،(المركز القومي للترجمة: القاهرة، ٢٠٠٧م).
٤. الجوزجاني، ابي عمر منهاج الدين عثمان المعروف بمنهاج السراج(ت:٦٥٨هـ)، طبقات ناصري ، ترجمة : ملكة علي التركي، (المركز القومي للترجمة: القاهرة، ٢٠١٢م).
٥. الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد (٦٨١هـ)، تاريخ جهانكشاي في تاريخ الخوارزميين والإسماعيلية الحشاشين وفتح مدينة بغداد على يد هولاكو، ترجمة: محمد التونجي، (دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ).
٦. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف،(دار الغرب الإسلامي: د.م ، ٢٠١٣م).
٧. السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، جلال الدين(ت:٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، (مكتبة نزار مصطفى الباز، د. م، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ).
٨. أبو شامة المقدسي، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل(٦٦٥هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، (دار الكتب الملكية، القاهرة، ١٩٤٧م/ ١٣٦٦هـ).
٩. الشيرازي، أبو الثناء قطب الدين محمود بن مسعد(ت: ٧١٠هـ) ،ابتداء دولة المغول وخروج جنكيزخان، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي،(دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء، ٢٠١٧م/ ١٤٣٨هـ).
١٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار احياء التراث: بيروت٢٠٠٠م، ١٤٢٠هـ).
١١. الصقاعي، فضل الله بن ابي الفخر (٧٢٦هـ)، تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق: جاكلين سوبله، (المعهد الفرنسي بدمشق: دمشق، ١٩٧٤م).
١٢. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت: ٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، (دار القلم العربي، بيروت،١٩٩٧م/ ١٤١٨هـ).
١٣. ابن العبري، غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي (ت : ٦٨٥ هـ)، تاريخ اريخ الزمان، ترجمة: إسحاق ارملة، (دار المشرق: بيروت ، ١٩٩١م).
١٤. تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطوان صالحاني اليسوعي، ط٣، (دار الشروق: بيروت، ١٩٩٢ م).
١٥. مخطوطة تاريخ الأزمنة، ترجمة شادية توفيق حافظ، (المركز القزمي للترجمة: القاهرة، ٢٠٠٧م).
١٦. ابن العميد، المكين جرجيس (ت: ٦٧٢هـ)، أخبار الأيوبيين، (مكتبة الثاقفة الدينية: بورسعيد، د.ت).
١٧. ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبدالرزاق بن احمد الشيباني البغدادي(ت٧٢٣هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق: مهدي النجم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ).
١٨. الكتبي، ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون(٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م).
١٩. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)،المقفى الكبير، تحقيق: محمد البعلاوي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م/١٤١١هـ).
٢٠. الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت: ٧١٨هـ)، الهمذاني، جامع التواريخ تاريخ المغول الايلخانيون، تاريخ هولاكو، ترجمة، محمد صادق نشأت وآخرون، (دار احياء الكتب العربية، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت).
٢١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان ، ط٢، (دار صادر: بيروت ،١٩٩٥م).

المراجع:

١. أ. س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية خفايا القرون، ترجمة: حسان ميخائيل إسحاق، (منشورات دار علاء الدين: دمشق، ٢٠٠٧م).

٢. إبراهيم خميس إبراهيم واخرون، معالم التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري، (دار المعرفة، الجامعية: الإسكندرية، ٢٠٠٣م).
٣. بينز، نورمان، الإمبراطورية البيزنيطة، ترجمة: حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد، ط٢، (د.مط: مدريد، ١٩٥٧م).
٤. خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الايلخانيين، (مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٦٨م).
٥. داوود، اقليميس يوسف، جامع الحجج الرهنة في ابطال دعاوى الموارنة، (مطبعة لايبزج: القاهرة، ١٩٠٨م)، ص٤٩٤؛اليسوعي، المخطوطات، ص١٣؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: يعقوب بكر، ط٢، (دار المعارف: القاهرة، د.ت).
٦. زيدان، جرجي، تاريخ اداب اللغة العربية، راجعه وعلق عليه، شوقي ضيف، (دار الهلال: د. مد، د.ت)
٧. سركيس، يوسف بن اليان بن موسى، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (مطبعة سركيس بمصر: القاهرة، ١١٩٢٨م/ ١٣٤٦هـ).
٨. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، (مطبعة بغداد: بغداد، ١٩٣٥م/١٣٥٣هـ).
٩. العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، (دار النهضة العربية: بيروت، د.ت).
١٠. الغامدي، سعد بن حذيفة، سقوط الدلة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، ط٢، (دار ابن حذيفة، الرياض، ١٩٨٢م/ ١٤٠٣هـ).
١١. غروسيه، رنيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، ترجمة وتعليق: أحمد ايبش، (هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة: أبو ظبي، ٢٠١٤م).
١٢. الفغالي، بولس، أبو الفرج غريغوريس ابن العبري، (منشورات الرابطة الكهنوتية: جونيه، ٢٠٠٣م).
١٣. قاشا، سهيل، تاريخ نصارى العراق، (الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ).
١٤. المقاري، القس أُثناسيوس، الكنائس الشرقية وأوطانها، ط٢، (دار نوبار: القاهرة، ٢٠٠٦م).
١٥. ميشيل يتيم، وأغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقية واهم احداث الكنيسة الغربية ، ط٤، (منشورات المكتبة البوليسية ، بيروت ، ١٩٩٩م).
١٦. اليسوعي، لوي شيخو، المخطوطات العربية لكتب النصرانية ،ط٢، (منشورات دار المشرق: بيروت ، ٢٠٠٠م).

البحوث والمقالات

١. بريدي، مشيل، جرجس بن عميد التكريتي، مقال منشور في مجلة بين النهرين الصادرة عن دار نجم المشرق ، العدد ٦٧ لسنة ١٩٨٩م.

المصادر باللغة الانكليزية:

❖ Grigor Aknetrs,i
1. History Of The Nntion Of The Archers, Translated: Robert Bedrosian, (Sophene:2020).
❖ Hetum
2. History of The Tartars (The Flower of Histories of The East).
❖ Kirakos Gandzakets'i's
3. History of the Armenians, Translated from Classical Armenian: Robert Bedrosian, (New York, 1986).
❖ Nersessian, Sirarpie der
4. The Armenian Chronicle of the Constable Smpad or of the "Royal Historian", (translation & study), Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University, (usa: 1959),vol 13.
5. Recueil Des Historiens Des Croisades, Document Armenian, Tome premier paris .

المراجع باللغة الإنكليزية:

❖ J.W.Thompson
History Of the Middle Ages (300-1500) ,(London,Routledge,2016).

الانعطافة التاريخية في العراق وفق نظرية البطل
"العصر السلجوقي أنموذجاً"

The historical turning point in Iraq according to the hero theory
The Seljuk era as a model

م.م عباس فاضل عبد علي
مديرية تربية واسط محافظة/تربية الحي

أ.د فاضل جابر ضاحي
جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية

Abstract .

The Seljuks are one of the nomadic tribes of the invading Turks who lived in Turkestan and were displaced from it to the country beyond the river because of their difficult circumstances, and they were called the Seljuks in relation to their grandfather, Ibn Daqqaq, whose name was Seljuk. This is a major turning point in their history and the rise of their star, especially in the year (421 AH / 1030 AD), when the Seljuks took control of Khurasan and its neighboring cities after they united their ranks, so the Ghaznavid conflict began, and that is thanks to their leader, Tughrul Bek, who was able to lead them and achieve many victories and declare himself a ruler over them. And he established the Seljuk state, so he became the hero in their view, so they united and pledged under his leadership, so he was able to defeat the Ghaznavids in the Battle of Dandaqan in the year (431 AH / 1039 AD), and after that he headed towards the west, hoping to control Iraq, taking advantage of the weakness of the Buyids and the critical conditions that the Abbasid caliphate was going through, so he entered Baghdad, conquering the year (447 AH/1055 AD) His entry to Baghdad constituted a major turning point that changed the course of historical events in various aspects of life. The personality of the hero was represented by Sultan Tughralbek for several reasons, including the great heroic role he played in uniting the ranks of the Seljuks under his banner and the victories he achieved over the Ghaznavid Buyids, as well as the administrative divisions and distribution of Positions and spoils for the Seljuk princes in order for him to share with him in governance to control the administrative affairs of his state, his elimination of rebellions, especially the rebellion of his brother Ibrahim.

الملخص

السلاجقة هم من القبائل البدوية من الاتراك الغز سكنوا تركستان ونزحوا منها إلى بلاد ما وراء النهر بسبب ظروفهم الصعبة واطلق عليهم اسم السلاجقة نسبة إلى جدهم ابن دقاق اسمه سلجوق، ظهروا على مسرح الاحداث في المشرق الاسلامي في العصر البويهي، فاستطاعوا السيطرة على بعض المدن الاسلامية فكان ذلك نقطة تحول كبير في تاريخهم وصعود نجمهم، لاسيما سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) إذ سيطر السلاجقة على خرسان والمدن المجاورة لها بعد أن وحدوا صفوفهم فبدأ الصراع الغزنوي، ويرجع ذلك الفضل إلى قائدهم طغرلبك الذي استطاع ان يقودهم ويحقق الكثير من الانتصارات ويعلن نفسه سلطاناً عليهم ويؤسس دولة السلاجقة فأصبح البطل بنظرهم فتوحدوا وتعاهدوا تحت قيادته فاستطاع الانتصار على الغزنويون في معركة دنداقان سنة(٤٣١هـ/١٠٣٩م)، وبعد ذلك توجه نحو الغرب طامعاً في السيطرة على العراق مستغلاً ضعف البويهيين والاوضاع الحرجة التي تمر بها الخلافة العباسية، فدخل بغداد فاتحاً سنة(٤٤٧هـ/١٠٥٥م) فشكل دخوله إلى بغداد انعطافه كبيرة غيرت مجرى الاحداث التاريخية في مختلف جوانب الحياة، تمثلت شخصية البطل بالسلطان طغرلبك وذلك لعدة اسباب منها الدور البطولي الكبير الذي لعبه في توحيد صفوف السلاجقة تحت رايته والانتصارات التي حققها على

الغزنويون البويهيون، كذلك التقسيمات الإدارية وتوزيع المناصب والمغانم على الامراء السلاجقة لكي يشركهم معه في الحكم لضبط الامور الادارية لدولته، قضائه على التمردات لاسيما تمرد أخيه ابراهيم ينال.

كلمات مفتاحية: (الانعطافة، البطل، السلاجقة، الغزنويين، البويهيين، طغرلبك)

المقدمة

تعد دراسة العصر السلجوقي من العصور العباسية المهمة وذلك لتأثيرها على تاريخ الدولة العربية الاسلامية بمختلف جوانب الحياة، لاسيما في العراق فارتأينا أن يكون عنوان بحثنا ((الانعطافة التاريخية في العراق وفق نظرية البطل "العصر السلجوقي أنموذجاً")) لابد لنا من تعريف معنى الانعطافة[١] ويعني التبدل التحول والتغير الجديد في مجرى الاحداث التاريخية على المستوى السياسي والاداري والاجتماعي والفكري وغير ذلك، وبغض النظر عما إذ كان هذا التحول المتوقع الحدوث أو غير متوقع[٢]، وستناول في بحثنا هذا الانعطافة السياسية التي حصلت في العراق بعد سيطرة السلاجقة على بغداد، التي أدت إلى تغير في مجرى الاحداث التاريخية بين عصر البويهي والعصر السلجوقي، وسنطبق على هذه الانعطافة نظرية فلسفية هي نظرية البطل[٣] المتمثلة في شخصية طغرلبك، وتعرف البطولة هو الشخص ذو ملامح جسدية ونفسية تميزه عن غيره من الناس وخصائصه تكون شديدة الصلة بالشجاعة والفروسية، إذ عدت الشجاعة من أهم صفات البطولة ومميزاتها[٤]، ولهذا البحث اطار زمني تمثل بظهور السلاجقة على مسرح الاحداث وحتى سيطرتهم على بغداد سنه (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) بغية تتبع الدور البطولي لطغرلبك وكيف استطاع هذا السلطان أن يلم شمل السلاجقة الذي عرف بحنكته السياسية وشخصيته المميزة والمؤثرة على ابناء جلدته، كذلك الدور البطولي الذي لعبه أثناء المعارك التي خاضها السلاجقة ضد الغزنويون، وأعلن نفسه سلطاناً عليهم، مما استطاع ان يحقق حلم أجداده بتأسيس دولة السلاجقة، وقسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة ومحورين وخاتمة تناولنا في المحور الاول ظهور السلاجقة على مسرح الاحداث وكيف استطاع طغرلبك ان يوحد السلاجقة تحت رايته، ويقضي على الدولة الغزنوية في ايران ويستولي على املاكها، أما المحور الثاني تطرقنا به إلى دخول طغرلبك إلى بغداد مستغلاً ضعف البويهيين والظروف التي تمر بها الخلافة العباسية وقتها، فدخلها فاتحاً، واستطاع القضاء على الدولة البويهية في العراق بعد نفي الملك الرحيم وقتله، مما اصبحت بغداد إقليما تابع للدولة السلجوقية، حيث استخدمنا المنهج الوصفي والتحليلي معتمدين على المصادر المهمة وبعض المراجع التي اختصت بالعصر السلجوقي، ومن المصادر التاريخية المهمة كتاب (المنتظم) لأبن الجوزي، و(الكامل في التاريخ) لأبن الاثير، والبنداري(تاريخ دولة آل سلجوق) ، الحسيني(زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)، الروانديي(راحة الصدور)، كامبيل(البطل بألف وجه)، الملاح (المفصل في فلسفة التاريخ)، هوك(سدني، البطل في التاريخ).

المبحث الأول – ظهور السلاجقة:

شكل ظهور السلاجقة[٥]، على مسرح الاحدث التاريخية انعطافةً كبيرةً في مختلف جوانب الحياة السياسية والادارية والاجتماعية وغيرها فتزامنت سيطرتهم على المشرق الاسلامي في عهد التسلط

البويهي[٦]، على الخلافة العباسية فكان نجاحهم في السيطرة على المدن الاسلامية بمثابة نقطة تحول كبيرة في مجرى الاحداث التاريخية للعالم الاسلامي إذ تحدث ابن الاثير عن سيطرتهم على المدن الاسلامية وكيفية صعود نجمهم[٧]، لاسيما بعد عام(٤٢١هـ/١٠٣٠م) إذ سيطر السلاجقة على خرسان والمدن المجاورة لها بعد أن وحدوا صفوفهم فبدأ الصراع الغزنوي[٨] السلجوقي[٩]، فكانت الهزيمة الاولى للغزنويين في نسا[١٠] فغنم السلاجقة منهم الكثير من الاموال والدواب[١١]، فعمد السلاجقة إلى طلب الصلح بغية اعادة ترتيب صفوفهم فوافق الغزنويون على ذلك فاعترفوا لهم بالمدن التي سيطروا عليها مقابل توقف السلاجقة عن أعمال السلب والنهب في المناطق المجاورة لهم[١٢]، كذلك عرض الغزنويين على السلاجقة المصاهرة السياسية لكنهم قابلوها بالرفض[١٣] فكان هذا الصلح اعترافا رسميا من قبل الغزنويون بنفوذ السلاجقة وقوتهم مما ساعدهم في السيطرة على خراسان وتوسيع ومد دائرة نفوذهم، ويذكر الرواندي بأن السلاجقة بعد هذه الحادثة "**اشتد بأسهم، وزدادت قوتهم، ولاحت على صفحات احوالهم امارت الملك المؤيد بالتأييد الإلهي، وعلامات الحكم الموفق بالعون الازلي**"[١٤]، وفي خضام هذه الاحداث اصطدم السلاجقة بالغزنويين مرة أخرى في معركة عام (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) فكانت نقطة تحول في تاريخ السلاجقة فسيطروا على نيسابور وجلس طغرلبك[١٥] على سرير السلطان الغزنوي في المدينة واخذ يدير الامور وجلس للمظالم ولقب نفسه بالسلطان المعظم ركن الدنيا والدين وضرب العملة بأسمه[١٦]، وهنا اضطلع طغرلبك بشؤون الادارة وأوكل لأخيه مهمة الدفاع عن الاقاليم، فأصبح للسلاجقة كيان سياسي [١٧]، وهنا برز الدور السياسي لطغرلبك بإضافة إلى دوره العسكري بجلوسه على العرش في نيسابور ولقب نفسه بالسلطان بالرغم من وجود عمه وأخيه الأكبر فاستطاع أن يتبوأ الزعامة السياسية للسلاجقة ويصبح سلطانهم، وذلك لما يمتلكه من مميزات فكان قوي الشوكة شجاع عرف بقوة الشخصية، ورأيه الثاقب قادر على المخاتلة والمراوغة في الحروب وهذه المميزات جعلت السلاجقة يدينون له بالولاء والطاعة والاحترام حتى اصبح سلطانهم[١٨]، ويذكر أن سلجوق جهد غاية الجهد في تنشئة حفيده طغرلبك تنشئة عسكرية صارمة وأنه سوف يبلغ في الوقت المناسب الى ذروة القوة وسيستظل بحمايته أمم وأعراق بل حتى شيوخ الاسلام[١٩]، ويصف الرواندي أن السلاجقة بعد ذلك "**اشتدت جرأتهم وعظم شوكتهم فخاف الناس منهم لكن طغرلبك أمر السلاجقة لا يتعرضوا لأحد بسوء أو بأذى**"[٢٠]، تنطبق على شخصية طغرلبك الذي استطاع أن يغير في مجرى الاحداث التاريخية نظرية البطل أو الرجل العظيم، إذ وصف أحد الباحثين بأن الفرد(البطل) البارز يدخل نفسه في الحدث التاريخي بحكم ما يتمتع به من السلطة أن يكون هو الآمر والمشارك، وهذا ما تحقق فعلاً فاصبح طغرلبك سلطاناً للسلاجقة دانت له حكام المدن والولايات، وتسمى العلاقة بين الآمر والمأمور بالسلطة أي الدولة وهذا الفرد يحمل في ذاته بعض الاعتبارات التي قادت فعاليته بالماضية وتبرز فعاليته الحاضرة ومشاريعه المستقبلية[٢١].

واطلق على ذلك ابن خلدون(ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م) بالوازع " **فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك**"[٢٢]، الذي تمثل بشخصية طغرلبك الذي نجح في قيادة السلاجقة من خلال الانتصارات التي حققها في الحروب وكذلك تأسيس دولة السلاجقة معتمدا على العصبية، "**أن الآدميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون**

في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية وإلا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك ٠٠٠ وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر ٠٠٠ فالتغلب الملكي غاية للعصبية"[٢٣]، وقد تنوعت التعابير التي أطلقت على مصطلح العصبية فقال البعض بأنها حيوية الدولة، وهي القوى المحركة لصيرورة الدولة، وقال الأخر انها أرادة جماعية، وأنها رابط الدم، كذلك عبر عنها بأنها الجبلة النفسية التي تبنى عليها كل الأجهزة السياسية، والاجتماعية[٢٤]، كذلك أوضح أحد الباحثين أن العصبية ضرورة لتأسيس الملك، وأن الملك غاية العصبية إذ ما بلغت غايتها تحقق الملك أما بالقوة والقهر أو بطرق أخرى، فيحصل الملك على الدولة، فإذا استقرت الدولة وتمهدت فأنها تستغني من العصبية[٢٥]، استطاع طغرلبك أن يوظف العصبية إلى تأسيس كيان سياسي، وأن العصبية هي القوة التي تسمح للقبيلة أقامه دولة وهذا ما تحقق للسلاجقة، ونتيجة لهذا الانتصار الذي حققه السلاجقة وأعلنوا دولتهم، شعلا الغزنويون بالقلق مما تطلب منهم إعادة ترتيب الصفوف، وجمعوا جيشا كبيرا، ووضعوا الخطط اللازمة للقضاء على السلاجقة نهائيا[٢٦]، فاستطاع طغرلبك بحنكته وسياسته ان يجمع البيت السلجوقي ويوحد صفوفهم" **فإعطى لأخيه سهما وقال اكسره، فتناوله اخوه السهم وكسره في هداوة، ثم جمع سهمين فكسرهما ايضا بهداوة، ثم أعطاه ثلاثة فكسرهما بصعوبة، ثم بلغ عدد السهام اربعة فتعذر عليه كسرها، فقال طغرلبك: ان مثلنا مثل ذلك فإن تفرقنا هان لأقل الناس كسرنا، وأما اذا اجتمعنا لا يستطيع أحد ان يظفر بنا وانشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم، وذهب الملك من أيدينا**"[٢٧].

ان هذا الوضع الحرج الذي تعرض له السلاجقة تطلب حلولا سريعة مما يزيد الاهتمام الناس بالبطل مهما كان نوعه فالأمل مقترن بظهور زعامة قوية وحاذقة لمعالجة الصعاب والاخطار التي تحيط بهم وتمثل ذلك في شخصية طغرلبك فاستطاع يشحذ هممهم ويوحد صفوفهم، "**والناس يتطلعون في خضم المقتضيات الفعل السياسي إلى من ينقذهم ٠٠٠ الفارس القادم على ظهر جواد**"[٢٨]، فتعاهدوا على التعاون فيما بينهم لتحقيق اهدافهم واتفقوا على ان يكون طغرلبك هو القائد الأعلى لهم فاستطاع ان يفشل ماخطط له الغزنويون[٢٩]، فاشتبكوا معه بمعركة حاسمة تسمى دندانقان[٣٠] عام(٤٣١هـ/١٠٣٩م) فاستبسل السلاجقة في تلك المعركة وكسروا شوكة الغزنويين فوصفها البيهقي "**وحملوا حملة شعواء على جيش السلطان واختلط الحابل بالنابل واختل نظام من كل جانب وولى رجالنا جميعا الادبار**"[٣١]، فانهزم الغزنويون وانتهى نفوذهم السياسي في خراسان فنصب السلاجقة خيمة بموضع المعركة ووضعوا التخت لطغرلبك وجاء الاعيان يهنئونه بالنصر[٣٢]، وغنم السلاجقة مغانم كثيرة فقسمها طغرلبك على عساكره ونضم دولته وولى ابناء اسرته على الولايات والمدن الواقعة تحت نفوذهم، وكذلك حرر الرسائل الى الامراء المجاورين يخبرهم بانتصاره[٣٣]، تمخض عن هذه المعركة نتائج مهمة إذ رسخت أركان الدولة السلجوقية كذلك اثبت طغرلبك مرة أخرى انه رجل دولة وحرب فوحد السلاجقة تحت لوائه، بإضافة إلى ذلك أنتهى النفوذ الغزنوي في خراسان وما يجاورها من المدن والولايات، فأصبح الطريق سهلا في التوجه نحو الغرب أي الخلافة العباسية، ويرى هوك:"**أنه يجب أن نتطلع إلى الجهاز كيما نكتشف العنصر الرئيسي الذي يتكل عليه البطل سواء كان ذلك الجهاز حزباً سياسياً ٠٠٠ أو عصبة عسكرية على البطل أن يربطه إلى ذاته باسلاك أقوى من الفولاذ ٠٠٠ ويلعب رجل الساعة ويسدد ديونه لذلك الجهاز**

ليصبح أداة مناسبة لهذا الغرض ... فإن ولاء ذلك الجهاز اكثر الأشياء ضرورة فكان له ان ينتصر"[٣٤]، استطاع طغرلبك بحنكته السياسية أن ينتصر بهذه المعركة ويقود السلاجقة إلى بر الأمان، وذلك ليس بشخصه فقط وانما بفضل ما منحه أفراد أسرته من ثقة لقيادتهم فكانوا الجهاز الذي اتكل عليه، تربطهم رابطة الدم فتوحدوا تحت قيادته وتعاهدوا فيما بينهم للمضي قدما بمشروعهم السياسي لاسيما التجربة التي قام بها طغرلبك لهم عندما طلب من أحد أخوته أن يكسر السهام فبين لهم أن قوتهم تكمن في وحدتهم وعدم تفرقهم للإكمال مشروعهم السياسي وأن سقوطه سقوطهم جميعا[٣٥]، كذلك قام طغرلبك بسداد ديونه لمن حارب معه من السلاجقة أي (جهازه) من خلال توزيع المغانم التي حصلوا عليها في جميع المعارك كذلك ولى الحكم لبعض من أفراد اسرته على المدن والولايات التي اصبحت تحت نفوذهم ليضمن توحيدهم وعدم تفرقتهم ليكونوا شركاء سياسيين معه في الحكم ويضمن ولائهم له.

لكن هذه الدولة لم تستكمل مقومتها فكان يعوزها الشرعية لكي تكتمل عناصرها، التي تكتسبها عن طريق اعتراف الخلافة العباسية فأرسل طغرلبك كتابا الى الخليفة القائم بأمر الله(٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) مفادها "**إننا معشر آل سلجوق أطغنا دائما الحضرة النبوية المقدسة، وأحببناها من صميم قلوبنا، ولقد اجتهدنا دائماً في غزو الكفار وإعلان الجهاد، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة... وشكرٌ لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر**"[٣٦]، وعند وصول الرسالة الى بغداد تلقاها الخليفة باعتزاز وإجلال[٣٧]، فسارعت الخلافة الى أن تبعث رسولاً الى طغرلبك فتباهى بالرسالة وأزداد بها رفعة وقوة[٣٨].

واصل طغرلبك سياسته التوسعية في المناطق الجنوبية والشمالية والوسطى في ايران خلال المدة(٤٣١-٤٤٣هـ/١٠٣٩-١٠٥١م) إذ ضم الكثير من المدن والولايات إلى نفوذه كان البعض منها بحد السيف والأخرى قدمت فروض الطاعة والولاء صلحاً له حتى انه اصطدم مع البيزنطيين فاستولى على همدان وما جاورها من المناطق وفرض سيطرته على قزوين وتبريز وأرمينية وقبل دخوله إلى بغداد استطاع طغرلبك ان يخمد تمردا لأخيه ابراهيم ينال[٣٩] وعفى عنه وبعدها توجه إلى اصفهان وسيطر عليها فعمد إلى تنظيم الأراضي التي استولى عليها فقسمها إلى أقاليم وعين على كل أقليم حاكما من اسرته اطلق عليه لقب شاه أو ملك ليتمتع باستقلال داخلي كان الهدف من ذلك اشباع اطماع الامراء السلاجقة في السلطة، وكذلك احاطة السلطنة الغزنوية ومنعها من استعادة ما فقدته من الأراضي، بالإضافة إلى ذلك تامين طرق النقل والموصلات لفتح ما تبقى من المدن[٤٠]

وبالرغم من أهمية العصبية القبلية في بناء الدولة السلجوقية لكنها من ناحية اخرى يمكن أن تكون سلبية وتعرقل نشأتها لاسيما اذا كانت متعددة ومتحالفة فيعد ذلك سببا "**اختلاف الاهواء والآراء ويعدها يقع التنافس والنزاع بين أفراد القبيلة**"[٤١]، مما تفضي إلى حروب ومغالبة فيما بينهم، وهذا ما واجهه طغرلبك على الرغم من الاجراءات التي اتخذها ليقضي على روح التنافس والاختلاف على السلطة داخل الاسرة السلجوقية من خلال توزيع المغانم الحربية وأعطى بعض أمراء السلاجقة حكما ذاتياً على المدن والاقاليم التي سيطروا عليها، إلا أننا نرى أن أحد أخوته تمرد عليه عام(٤٤١هـ) بعد أن ارسله إلى همدان فطالبه بتسليمها لكنه رفض وتمرد مما اضطره إلى محاربته فهزم لكنه عفى عنه[٤٢]، وهذا ما أكد عليه ابن خلدون بقوله(ت:٨٠٨هـ) " **إذا كانت العصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها**

تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"[٤٣]، لكن طغرلبك لم يقتل اخاه وانما قبل الصلح معه تجنبا لخلافات وصراعات داخلية أكبر من ذلك ليتسنى له التوسع وتنفيذ ما يصبوا إليه لبناء دولة مترامية الأطراف.

وما ميز طغرلبك عن باقي أفراد أسرته أنه لعب دوراً بطوليا في قيادة الحروب التي شنها السلاجقة، فضلاً عن ذلك تأسيسه الدولة السلجوقية وتوطيد أركانها، ويرى كامبيل ان البطل هو انسان استثنائي[٤٤]، ففعلاً كان طغرلبك رجل دولة بمعنى الكلمة، فأن البيئة التي يولد فيها البطل المحارب يجب ان تصل إلى نضجها لكي يقيم صرح أفعاله[٤٥]وما وصل إليه طغرلبك في تنظيم شؤون السلطنة والاقاليم التي سيطر عليها هو في غاية النضج لاسيما في بناء دولته وكسب ود الامراء السلاجقة بإعطائهم حكم أشبه بالحكم الذاتي المستقل أداريا وعسكريا ومنحهم ألقاباً ليتفادى الصدام الداخلي فيما بينهم كي لا تضعف دولته واكمال مشروعه السياسي.

المبحث الثاني – دخول السلاجقة إلى بغداد

بعد ان سيطر طغرلبك على المدن والولايات والاقاليم وفرض نفوذه عليها نظمها وقسمها إدارياً، لم يبق أمامه إلا التوجه نحو الغرب فاصبح الطريق مفتوحً أمامه للسيطرة على الخلافة العباسية والقضاء على البويهيين وضمهم إلى سلطانه وكذلك الحصول على الشرعية والاعتراف بسلطانه، فأوفد رسولاً إلى بغداد يحمل رسالة بين فيها التزام السلاجقة بدين الله والجهاد والاعتراف بالخلافة واحترامها[٤٦]، فكان طغرلبك لماحاً حذقا على دراية تامة بمجريات الأحداث والأخطار التي تحيط بالخلافة[٤٧]، وهنالك بعض ظروف شجعته وساعدته على دخول بغداد تمثلت بالاضطرابات والفوضى التي سادت بغداد بسبب الاتراك، كذلك حالة الضعف التي يعاني منها البويهيين المتمثلة بالملك الرحيم[٤٨](٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٠م) وتصارع أمراؤها فيما بينهم[٤٩]، فضلاً عن ذلك استشعر الخليفة العباسي بالخطر الذي يدهم سلطانه متمثلاً بازدياد النفوذ الفاطمي في العراق[٥٠]، بمساندة الملك الرحيم الحاكم البويهي في بغداد[٥١]، فضلا عن ذلك أن الخلافة أدركت القوة السلاجقة فسارعت إلى الترحيب بمجيئهم تأملُ من ذلك استرجاع هيبتها وسيادة النفوذ السني، فأمر الخليفة أن ينقش اسم طغرلبك على السكة وأن يخطب له على المنابر ولقبه "**السلطان ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن مكائيل يمين امير المؤمنين**"[٥٢]، ففي رمضان عام(٤٤٧هـ/١٠٥٥م) دخل طغرلبك بغداد حتى ضاقت الأرض بجنوده، وعظم الرجف فيها[٥٣] فأرسل إليه الخليفة القائم بأمر لله(٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م) الملك الرحيم لاستقباله[٥٤]، فقبض عليه السلطان فطلب منه العفو والرحمة فرد عليه "**لا يرحمك من نازعته في اسمه المختص به يشير إلى الله تعالى**"[٥٥]، وارسل الى أحدى القلاع ليلقى حتفه[٥٦]، ودخل طغرلبك بغداد وقدم فروض الطاعة والتعظيم للخلافة العباسية ونزل بباب النوبي[٥٧]، وأرسل الهدايا والعطايا إلى الخليفة[٥٨]، وأعترف الخليفة له بالسلطنة على ممالك العراق وقلده حكم العالم [٥٩]، وبذلك تحقق لطغرلبك ما كان يطمح له، فسيطر على بغداد فدخلها فاتحاً، جاور للخلافة العباسية في عقر دارها، وضم الدولة البويهية الى سلطانه[٦٠]، فكان طغرلبك يعي ما يطمح إليه من تأسيس دولة قوية للسلاجقة وسبق وأن صرح في ذلك "**اذا اجتمعنا لا**

يستطيع أحد ان يظفر بنا وانشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم، وذهب الملك من أيدينا"[٦١]، فكان يثق بقوته الخلاقة فعرف عنه أنه كان "**حصيفاً نصيحاً رجيحاً نجيحاً، متسلطاً بمكانه متمكنا من سلطانه، يرجى ويخشى، ويقصد ويغشى، والسلطان بأذنه وناظره يبصر ويسمع، وبإذنه ونظره يرفع ويضع، وله البهجة المهيبة، واللهجة المصيبة**"[٦٢]، ويرى كامبل أن ما يحققه البطل من انجازات وأفعال يهدف من خلالها ان تتدفق طاقته إلى العالم فيقول: " **ومن خلال الأفعال التي ينجزها تتدفق إلى العالم طاقات مبدعه٠٠٠يلمع لدى المحارب البطل حد السيف من القوة الخالقة**"[٦٣]، وقال انتوني "**كي تحقق ما تريد عليك أن تثق بالقوة ٠٠٠ لأن تلك القوة تدعمنا، لأنها نابعة من افكارنا**"[٦٤]، من يشق طريقه متغلبا على المصاعب معتمدا على ما يملكه من قدرات عالية يصل إلى الحكم ويبسط نفوذه على المدن والولايات الجديدة متخذاً خطوات للمحافظة على حصل عليه من نفوذ وسلطان[٦٥] فكان طغرلبك واثقاً من قوته وأنه سقيم دولة السلاجقة لاسيما بعد أن حقق الانتصارات واخرها دخل بغداد وقضى على الدولة البويهية وحصل على اعتراف الخلافة بسلطانه وقلدته حكم العالم والممالك.

شكل دخول السلاجقة إلى بغداد انعطافة كبيرة في تاريخ العراق، فهم اعتنقوا الاسلام بعد استقرارهم في بلاد ما ووراء النهر على المذهب السني الحنفي، معتقدين بان الخليفة العباسي هو رئيسهم الأعلى[٦٦]، وهذا ما أوضحه طغرلبك عندما بعث برسالة إلى الخلافة العباسية جاء فيها "**إننا معشر آل سلجوق أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة، وأحببناها من صميم قلوبنا**"[٦٧]، بينما كان البويهيون شيعة زيدية[٦٨]، من بلاد الديلم[٦٩]، مع وجود خليفة سني على المذهب الحنفي معتقدين بآن العباسيين غصبوا الخلافة من مستحقيها العلويين، فأراد معز الدولة تسليمها لهم غير انه استشارة خواصه فمنعوه بقولهم: "**ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنك ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلوا أمرهم بقتلك لفعلوه فأعرض عن ذلك**"[٧٠]، فعدل عن ذلك الامر فأصبحت سلطة الخلافة العباسية هي سلطة اسمية لكن مقاليد الحكم بيد البويهيين كما وصفها البيروني(ت:٤٤٠هـ/١٠٤٨) "**والذي بقية في أيدي العباسية إنما هو امر ديني لا ملكي دنياوي من أمر الرئاسة الدينية من غير ملك ولا دولة فالقائم من ولد العباس إلان أنما هو رئيس الاسلام**"[٧١].

وفي بداية دخول السلاجقة استبشرت الخلافة خيرا بمجيئهم إلى بغداد ؛ لكن حصل العكس فعم الناس منهم ضررٌ كبير فشرعوا بنهب الاموال واستباحوا البيوت وارتكاب الجرائم، مما أثار حفيظة الناس فثاروا ضدهم مما نتج عن ذلك صدامات ما بين العامة وجند السلاجقة التي اشار إليها ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م): بقوله: "**وثارت بين العوام والأتراك فتنة أدت إلى قتل وأسر، فنهب الجانب الشرقي بأسره وذهبت أموال الناس**"[٧٢]، مما حدى بالخلافة إلى التدخل ودفع الضرر عن الناس فأرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى طغرلبك رسالة يستنكر بها افعالهم ويهدده بمفارقة بغداد إذا لم يضع حدا لذلك بقوله" **فإني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني أن تعظيم الأوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الأمر بالضد**"[٧٣]، ويرى أحد الباحثين أن استعانة الخلافة بالسلاجقة ضد البويهيين كالمستجير من الرمضاء بالنار[٧٤]، بالرغم من أن السلاجقة كانوا على المذهب الذي تدينه الخلافة إلا أن حكمهم لم يكن

يختلف عما سبقهم ففي أيامهم الأولى عند دخولهم بغداد باشروا بعمليات السلب والنهب والاعتداء على الناس.

ومن مظاهر الانعطافات أثر السيطرة السلجوقية على الخلافة أنهم لم يتخذوا بغداد مقرا لحكمهم وإنما جعلوا بغداد إقليما تابع لحكمهم فعندما عاد طغرلبك إلى الجبل عقد لنائبه على بغداد وعمالها مقابل الاموال[٧٥]، ومن الانعطافات الاخرى هي مسألة المصاهرات السياسية بين السلاجقة والخلافة إذ تجرأ طغرلبك على أن يطلب المصاهرة مع البيت العباسي[٧٦]، كذلك مسألة تفويض السلطنة للسلاجقة نرى ان الخلافة تنازلت عن سلطتها بالكامل واكتفت باسم الخليفة ويتضح لنا ذلك في احداث سنة(٤٤٨هـ/١٠٥٦م) عندما خطب البساسيري[٧٧] للفاطميين في الموصل والكوفة وواسط[٧٨]، فاستنجد الخليفة القائم بأمر الله بطغرلبك لمحاربته[٧٩]، فسار السلطان الى الموصل وأعاد الخطبة للعباسيين[٨٠]، عام (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) قصد طغرلبك بغداد ووصل اطرافها فسر الخليفة بذلك، وأمر رئيس الرؤساء بأن يستقبل استقبال السلطان استقبال البطل المنتصر، وقدم له الخلع والهدايا، وتشرف بمقابلة الخليفة العباسي فقبل الأرض بين يديه وقبل يده، وأجلسه على كرسي الخلافة وقال له " **أنا شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وولاك ما ولاه الله من بلاده ورد إليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية**"[٨١]، فسر السلطان بذلك كثيرا وقال: ، **أنا خادم أمير المؤمنين وعبده ، ومتصرف على أمره ونهيه ، ومتشرف بما أهلني له واستخدمني فيه ، ومن الله تعالى استهداء المعونة والتوفيق**"[٨٢]، وكذلك لقبه بملك المشرق والمغرب[٨٣]، وهكذا فوضت الخلافة طغرلبك تفويضا كاملا بالسلطة، واستقبلته الخلافة استقبال الفاتحين الابطال، واستطاع طغرلبك أن يفرض أرادته بالقوة ويعيد الخطبة وينال احترام الخلافة ويرى المستشرق تونبي صاحب نظرية التحدي والاستجابة أن " **المنتصر الذي وضع جميع اعدائه تحت قدميه٠٠٠ ويقصد في ذلك هم القواد والامراء ممن كافحوا من اجل تأسيس دولتهم** "[٨٤]، كذلك يرى احد الباحثين بأن الابطال "**هم في الواقع أقوى من غيرهم ويفرضون إرادتهم على الاخرين، بالقوة المادية إذ اقتضت الضرورة**"[٨٥].

ومن الانعطافات السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية أنهم لم يتخذوا من بغداد مقرا لحكمهم وإنما جعلوا بغداد إقليما تابع لحكمهم، لاسيما بعد ان استغل البساسيري حادثة تمرد ابراهيم ينال على أخيه طغرلبك ومقتله عام (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[٨٦]، وخطب للفاطميين في الموصل فسيطر على بغداد وقتل ابن المسلمة[٨٧]، كذلك بسط سيطرته على واسط والبصرة، لكن طغرلبك عاد إلى بغداد وخلص الخليفة القائم بأمر الله من سجنه وأعاد الخطبة للعباسيين وبقضائه على البساسيري أنهى أمال الفاطميين نهائيا في السيطرة على العراق[٨٨]، وبذلك حقق طغرلبك طموحات الخلافة العباسية وخلصها من الخطر الذي داهمها في عقر دارها، فاصبح سيد الموقف، لاسيما بعد أن خلص الخليفة من السجن وأعاده إلى بغداد، فاصبح البطل المخلص للخلافة، ويرى توينبي "**المخلصون بالسيف هم القواد والامراء ممن كافح من اجل تأسيس دولة او نجح في اعادة بنائها بالرغم من انتقاله من زمن الشدائد الى تاسيس دولة**"[٨٩]، وبهذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها طغرلبك فسيطر سيطرة تامة على ايران والعراق، مما رسخت العلاقة بين الخلافة والسلاجقة فأصبح لطغرلبك اليد الطولى والمتحكم بجميع الأمور السياسية والاقتصادية

والادارية، لأن البطل يرفع من شأن المكان الذي يعيش فيه وينال احترام المجتمع[٩٠]، وبعد أن استكمل طغرلبك سيطرته على العراق لم يستقر فيه كما فعل البويهيين من قبله وإنما عاد إلى الجبل وعين نائبا للسلطنة على بغداد وعمالها مقابل الاموال[٩١]، ويبدو لنا مما تقدم أن بغداد حاضرة الخلافة العباسية أصبحت إقليما تابعا للسلطنة السلجوقية بعد هذا الاجراء.

وهكذا استطاع طغرلبك أن يرفع من شانه عند الخلافة والمجتمع لما حققه من انجازات عسكرية، وارجاع سلطة الخلافة الروحية والقضاء على منافسيها، لأن حياة البطل ترتبط ارتباطا وثيقا بما حققه من إنجازات وانتصارات، ومن يأتونه من بعده فيطلعون على سيرته وما قدمه من انجازات وانتصارات، يتخذونه قدوة ورمزا لهم[٩٢]، ويرى أحد الباحثين أنه لو ألقينا نظرة على مصير هؤلاء الأشخاص التأريخيين الذين كان لهم دورهم كبير في العالم فسوف لم نجد له مصيرا سعيدا، فلم يصل هؤلاء إلى المتعة الهادئة، بل أن حياتهم كلها كانت عملا وعناء سوى ذلك الانفعال السائد[٩٣]، وهذا ما حققهُ طغرلبك، فأسس دولة السلاجقة وأرسى قواعدها التي ساهمت بتوجيه مسار التاريخ في المشرق الاسلامي في القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي).

الخاتمة:

١. تجسدت شخصية البطل في طغرلبك بسبب مايمتلكه من صفات جسدية وعقلية مكنته من ان يقود السلاجقة ويؤسس دولتهم.
٢. استطاع طغرلبك تحقيق حلم اجداده وتأسيس دولة السلاجقة.
٣. ظهور العديد من المناصب الادارية وكان اهمها منصب السلطنة.
٤. اصبح العراق اقليما تابع للدولة السلجوقية بعد أن اتخذها البويهيين مقراً لهم.
٥. اظهر الاحتلال السلجوقي للعراق العديد من الانعطافات في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والادارية.

الهوامش

[١]الانعطافة: لغةً يرجع أصلها إلى الفعل الخماسي انعطف وهو مشتق من جذر الثلاثي عطف ينعطف انعطافا ولها مرادفات منها (التوى وتحول وتغير). ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/ص٢٦٣ ؛ الزبيدي، تاج العروس،ج٢٠/ص١٦٥؛ زيدان، الانعطافات،ص١٢-١٣.

[٢]خليل، المفاهيم الاساسية،ص٧٤.

[٣]البطل لغةً: ويعني يبطل، وبطلاً، وبطولاً، وبطلاناً، وهو نقيض الحق يأتي في جمع أباطيل وسمية بطلاً لأنه يبطل العظائم بسيفه وقيل سمية بطلاً لان الأشداء يبطلون عنده والبطل هو الرجل ذو شجاعة ظاهرة، وربطت البطولة بالشجاعة وذلك لأن الشجاعة عندهم هي من شدة القلب عند البأس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب،ج١١/ص٥٦ ؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٣٣٠ ؛ النويري، نهاية الارب،ج٢/ص٢٢٠.

[٤]ينظر:الفيروز آباد، قاموس المحيط،ج٣/ص٣٤٦ ؛ عبد الحميد ، فلسفة التاريخ،ص٩٢.

[٥]السلاجقة: هم قبائل من الأتراك الغز يسكنون تركستان نزحوا إلى ما وراء النهر مابين القرن الثاني والرابع الهجريين، الثامن والعاشر الميلاديين بسبب ظروفهم الصعبة كان جدهم الأعلى دقاق يتمتع بمكانة وشخصية بينهم، سبب تسميتهم بالسلاجقة هو انتسابهم الى أحد أجدادهم ابن دقاق أسمه سلجوق الذي قربه ملك الترك لشجاعته وبعد وفاة سلجوق قادهم إسرائيل الذي تحالف مع السامنيين ضد الغزنويين بعد انهيار دولتهم فسيطروا على بخارى سنة(٤٢٩هـ /١٠٣٩م)فسار طغرل إلى نيسابور وأعلن دولته بعد قضائه على الغزنويين ، اعتنق السلاجقة الاسلام بعد

استقرارهم في بلاد ما ووراء النهر على المذهب السني الحنفي . ينظر: السمرقندي ، جهار مقالة ،ص٣٢ ؛ الرواندي ، راحة الصدور ، ص١٤٩-١٥١؛ الحسيني ، زبدة التواريخ ، ص٤١ ؛ المقريزي ، السلوك ،ج١ / ص١٣٧-١٣٩ ؛ بارتولد، تاريخ الترك،ص١٢٧ ؛ مصطاف، الرأي العام في العراق، ص٢٥.

(٦) البويهيين : هم من الديلم ينتسبون إلى أبي شجاع بويه بن فناخسرو من قبيلة(شيرزل اوند) كانوا مع مرداويج لكنهم انكسروا عنه وتغلبوا عليه فتمكنت هذه الأسرة من سيطرة على بلاد فارس وغيرها حتى سيطروا على بغداد. مسكويه . ينظر: تجارب الأمم،ج٥/ص٣٦٥ ؛ الأربلي ،خلاصة الذهب،ص٢٤٥-٢٥١ ؛ منيمنة، تاريخ الدولة البويهية،ص١٢٢-١٢٨.

(٧) ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٤٧٣ ؛ الصلابي، دولة السلاجقة، ص٢٣-٢٥.

(٨)الغزنوية: وهي دولة قامت بغزنة أحدى مدن افغانستان التي أسسها القائد (سبكتكين) الذي مد سلطانه الى الشرق فضم اقليم خراسان فسيطر على بلاد ما وراء النهر، وبعده تحالف مع سامانيين انتصر على البويهيين وسيطر على مدينة نيسابور فولى ابنه محمود حاكما عليها وبعد ظهور السلاجقة حدثت الكثير من الحروب بين الطرفين انتهت بهزيمة السلطان محمود الغزنوي بمعركة قرب سرخس تسمى دنداقان عام(٤٣١هـ/١٠٣٩م). ينظر: ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،ج١٠/ص٥٠٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦/ص٢٩،٧٩ ؛ حسن الامين، مستدركات اعيان الشيعة،ج٦/ص٢٢٢.

(٩) ينظر: البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥١٨-٥١٩ ؛ مصطاف، الرأي العام في العراق،ص٢٦.

(١٠) نسا: هي بلدة كثيرة القرى والمياه والبساتين قريبة من سرخس ومياههم كثيرة تجري في ديارهم وسككهم وهي في غاية النزهة والحسن ولها رساتيق خصيبة والجبال تكنفها من شمالها. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق،ج٢/ص٦٩٣.

(١١) ينظر: البيهقي، تاريخ البيهقي،ص٥١٨-٥٢٠ ؛ الرواندي راحة الصدور،ص١٥٦ ؛ فامبرى، تاريخ بخارى، ص١٣١.

(١٢)البيهقي، تاريخ البيهقي،ص٥٢٥-٥٢٦.

(١٣) فامبرى، تاريخ بخارى،ص١٣٢.

(١٤)الرواندي راحة الصدور،ص١٥٧.

(١٥)طغرلبك: أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين طغرلبك أول ملوك السلجوقية ، وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان المعظم عام(٤٥٥هـ) بالري وعمره سبعون سنة ونقل إلى مرو ودفن عند قبر أخيه داود. ينظر:ابن العبري، تاريخ المختصر الدول،ص١٨٠ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥/ص٦٣،٦٧ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥/ص٧٠

(١٦) البيهقي، تاريخ البيهقي،ص٦٠٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٤٥٧-٤٥٩ ؛ البنداري، تاريخ آل سلجوق، ج٢٩/ص٤٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢/ص٥٤ ؛ فامبرى، تاريخ بخارى،ص١٣٢

(١٧)ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/٤٥٨-٤٥٩ ؛ فامبرى، تاريخ بخارى،ص١٣٣.

(١٨) ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج٥/ص٦٥ ؛ الصلابي، دولة السلاجقة،ص٤٥.

(١٩)فامبرى، تاريخ بخارى،ص١٢٩.

(٢٠) راحة الصدور، ص١٥٨ ؛ القرماني، أخبار الدول، ج٢/ص٤٥٢.

(٢١)بليخانوف، دور الفرد في التاريخ، ص٤٢.

(٢٢)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج١/ص٤٣.

(٢٣)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج١/ص١٣٩.

(٢٤) ينظر: لاكوست، ابن خلدون، ص٩٩١-٢٠٣.

(٢٥)علم الدين،فلسفة التاريخ،ص٣١-٣٢.

(٢٦)البيهقي، تاريخ البيهقي،ص٦٦٠-٦٦٨.

(٢٧)الرواندي راحة الصدور،ص١٦٥.

(٢٨) هوك، البطل في التاريخ،ص٢١-٢٢.

(٢٩)الرواندي راحة الصدور،ص١٦٤-١٦٥.

(٣٠)دندانقان: هي بلدة من نواحي مرو تبعد عنها عشرة فراسخ خربها الاتراك وجلى ألها فلم يبقى منها سوى غير حيطان قائمة وآثار حسنة. ينظر: الحموي ، معجم البلدان،ج٢/ص٤٧٧ ؛ الفيروز أبادي،القاموس المحيط،ج٣/ص٢٣٣.

(٣١)تاريخ البيهقي،ص٦٨٨-٦٨٩.

(٣٢) الكرديزي،زين الاخبار،ص٢٨٤-٢٨٥ ؛ البيهقي، تاريخ البيهقي،ص٦٩٤؛ الحسيني، زبدة التواريخ،ص٤٤ ؛ ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٢/ص٦٠-٦١ ؛ القرماني، اخبار الدول،ج٢/ص٤٢٨.

(٣٣)الحسيني، زبدة التواريخ،ص٤٤-٤٥ ؛ مصطاف، الرأي العام،ص٢٧.

(٣٤) هوك، البطل في التاريخ،ص١٦٨.

(٣٥) ينظر: الرواندي راحة الصدور،ص١٦٥.

(٣٦) الرواندي، راحة الصدور، ص١٦٦-١٦٧ ؛ التونجي، الادب في العصر السلجوقي،ص٤١

(٣٧) اليزدي، العراضة، ص٣٨

(٣٨) البنداري، تاريخ آل سلجوق،ص٧.

(٣٩)ابراهيم ينال: هو أخو السلطان طغرلبك من امه الذي حاربه معه وقتله طغرلبك بوتر قوس انتقاما منه لكثرة تمرادته سنة(٤٥١هـ/١٠٥٩م). ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦٣٩ ،٦٤٦ ؛ الذهبي،تاريخ الاسلام،ص٢٩.

(٤٠)ينظر: ابن الجوزي، المنتظم،ج١٥/ص٣٣١ ؛ الرواندي، راحة الصدور،ص١٦٧ ؛ ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج٩/ص٤٨٨،٤٩٧،٥١٠،٥٣٤،٥٥٦ ؛ ابن العبري،تاريخ المختصر الدول،ص١٨٠-١٨١ ؛ الاتباكي، النجوم الزاهرة،ج٥/ص٥ ؛ الصلابي، دولة السلاجقة، ص٤٨-٥١ ؛ طقوش، تاريخ السلاجقة،ص٥٧-٥٩ ؛ ابو نصر،السلاجقة،ص٥٦-٦١.

(٤١)علم الدين، فلسفة التاريخ،ص٣٣.

(٤٢)ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٥٥٦ ؛ أبي الفداء، المختصر،ج٢/ص١٦٩ ؛ الذهبي، العبر/ج٣/ص٢٢٠.

(٤٣)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج١/ص١٣٩.

(٤٤)كامبيل، البطل بألف وجه، ص١٧٩.

(٤٥)كامبيل، البطل بألف وجه، ص٣٣٨.

(٤٦)الرواندي، راحة الصدور،ص١٦٦-١٦٧ ؛ القلقشندي، مآثر إلانافة،ج١/ص٣٣٧

(٤٧) البنداري،تاريخ آل سلجوق،ص٩ ؛ أبو النصر،السلاجقة،ص٦٥.

(٤٨)الملك الرحيم: أبو نصر خره فيروز بن أبي كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه بويع بعد وفاة والده عام(٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) وهو أخر حكام بني بويه وعند دخول طغرلبك بغداد أمر باعتقاله وبذلك انتهت دولة بني بويه وتوفي عام (٤٤٧هـ/١٠٥٠م). ينظر:ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج٩/ص ٥٤٩ ؛ الذهبي، اعلام النبلاء،ج١٧/ص٦٣١؛ ج١٨/ص٣٠٩ ؛ تاريخ الاسلام،٢٩/ص٤٩٨ ؛ القزويني، تاريخ كزيده، ص٤٢٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٣/٤٥٤ ؛ الأمين، إطلالات على التاريخ، ص١١٥ .

(٤٩) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٥/ص٣٤٨ ؛ محمد، المقاومة العربية،ص٨-١٣ ؛ مصطاف، الرأي العام، ٢٨-٢٩.

(٥٠)الدولة الفاطمية: وهي دولة تأسست عام(٢٩٦هـ/٩٠٨م) بقيادة عبد الله المهدي، وفي عام(٣٥٨هـ/٩٦٨م) نجحوا في السيطرة على مصر وانتقلوا إليها، حتى تمكن صلاح الدين الايوبي من القضاء عليهم سنة(٥٦٧هـ/١١٧١م). ينظر: ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد،ص٥٠-٥٣ ؛ سيد، الدولة الفاطمية،ص١٢٧-١٣٩.

(٥١)الشيرازي،المجالس المؤيدية، ص٨-٩

(٥٢)ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق،ص٢٨٣ ؛ الرواندي، راحة الصدور، ص١٦٩ ؛ التونجي، الادب في العصر السلجوقي،ص٤٣.

(٥٣) ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد،ج٩/ص٤٠٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج١٥/ص٣٤٨ ؛ الرواندي، راحة الصدور،ص١٦٩ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦٠٩=٦١٠ ؛ البنداري، تاريخ آل سلجوق،ص١٠ ؛ الذهبي، اعلام النبلاء،ج١٥/ص١٣٩ ؛ الزركلي، الاعلام،ج٧/ص٢٢.

(٥٤) الملك الرحيم: أبو نصر خره فيروز بن أبي كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه بويع بعد وفاة والده عام(٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) وهو أخر حكام بني بويه وعند دخول طغرلبك بغداد أمر باعتقاله وبذلك انتهت دولة بني بويه وتوفي عام (٤٤٧هـ/١٠٥٠م). ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص ٥٤٩ ؛ الذهبي، اعلام النبلاء،ج١٧/ص٦٣١؛ ج١٨/ص٣٠٩

؛ تاريخ الاسلام،٢٩/ص٤٩٨ ؛ القزويني، تاريخ كزيده،ص٤٢٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٣/٤٥٤ ؛ الأمين، إطلالات على التاريخ، ص١١٥ .

(٥٥)الصفدي، الوافي بالوفيات،ج١٧/ص١٥.

(٥٦)البغدادي، تاريخ بغداد،ج٩/ص٤٠٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج١٥/ص٣٤٨ ؛ الروانـدي، راحـة الصـدور، ص١٦٩-١٧٠ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦١٠-٦١١.

(٥٧)باب النوبي : وهو أحد أبواب بغداد فيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرّسل إذا قدموا إلى بغداد. ينظر، الحموي، معجم البلدان ،ج٢/ص٢٥١ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤/ص٣٣٣.

(٥٨)الرواندي، راحة الصدور، ص١٧٠ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦١١.

(٥٩)الرواندي، راحة الصدور، ص١٧٠.

(٦٠)ينظر: فامبرى، تاريخ بخارى،ص١٣٥ ؛ أبو النصر، السلاجقة، ص٦٧.

(٦١) ينظر: الرواندي راحة الصدور ،ص١٦٥.

(٦٢) البنداري، تاريخ آل سلجوق،ص٩.

(٦٣)كامبيل، البطل بألف وجه، ص٣٤٠.

(٦٤)انتوني، ما وراء التفكير ،ص٨.

(٦٥) ينظر: مكيافيللي، الامير ،ص٣٨-٤٠.

(٦٦)الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص٣ ؛ ابن الطقطقي، الآداب السلطانية،ص٣٣٨ ؛ ابو النصر، السلاجقة، ص٣٧.

(٦٧)الرواندي، راحة الصدور، ص١٦٦-١٦٧ ؛ التونجي، الادب في العصر السلجوقي،ص٤١.

(٦٨)الزيدية: هم ثلاث فرق الجارودية والسليمانية والبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك فقتل بالكوفة سنة اثنتين وعشرين. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق،ص٣٦ ؛ العسقلاني، تقريب التهذيب،ج١/ص٣٣٠.

(٦٩)ينظر: المسعودي، مروج الذهب،ج٤/ص٦٨ ؛ علي، الخلافة العباسية، ص١٣-١٥ ؛ منيمنة، تاريخ الدولة البويهية،ص٨٩-٩٠.

(٧٠)ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٨/ص٤٥٢.

(٧١)البيروني ، الاثار الباقية،ص١٧١.

(٧٢)ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦١٣.

(٧٣)ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦١٣.

(٧٤)مصطاف،الرأي العام،ص٧٢.

(٧٥) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم،ج١٦/ص٦٢ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج١٠/ص٢٤-٢٥ ؛ امين، تاريخ العراق،ج١/ص٧٦ ؛ الصلابي،دولة السلاجقة،ص١٧٠.

(٧٦) ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج١٠/٢٠ ، الصلابي، دولة السلاجقة،ص١٧٠.

(٧٧)البساسيري: هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله المظفر البساسيري التركي من مماليك البويهيين، خدمة الخليفة القائم بأمر الله فقدمه على جميع الاتراك في بغداد وقلده الأمور بأسرها وقتل على يد طغرلبك سنة(٤٥١هـ/١٠٦٠م). ينظر: ابن الجوزي،المنتظم،ج١٥/ص٣٤٧-٣٤٨ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص ٦٥٠؛ ابن خلكان،وفيات الاعيان،ج١/ص١٩٢ ؛ البغدادي، ذيل تاريخ بغداد،ج٤/ص٥٢ ؛ السبكي، طبقات الشافعية،ج٥/ص٢٤٨.

(٧٨) ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج٢/ص٢٣٢-٢٣٣ ؛ الجبوري، الدولة السلجوقي،ص١٤٧-١٤٨ ؛ الصلابي، دولة السلاجقة،ص٦٠-٦٣

(٧٩)ينظر: الذهبي، اعلام النبلاء،ج١٥/ص١٣٨-١٣٩ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج٢/ص٢٣٤.

(٨٠)ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج٢/ص٢٣٤ ؛

(٨١)ابن العمراني،الانباء في تاريخ الخلفاء،ص١٩٢ ؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج١٦/ص٢٠ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦٣٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦/ص٢٩٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج٣/ص٤٦٢.

[٨٢] ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٦/ص٢٠.

[٨٣]ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٦/ص٢٠.

[٨٤] توينبي، بحث في التاريخ،ج٢/ص٢٧٥

[٨٥] الملاح، فلسفة التاريخ،ص٢٢٦.

[٨٦] ينظر: ابن العمراني،الانباء ي تاريخ الخلفاء،ص١٩٥-١٩٦ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦٤٦ ؛ مصطاف، الرأي العام،ص٢٩.

[٨٧]أبي مسلمة: هوعلي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر أبو القاسم بن المسلمة وزير القائم بأمر الله، لقبه القائم رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى، ولد عام (٣٩٧هـ/١٠٠٦م) وقتله البساسيري عام(٤٥٠هـ/١٠٥٨م). ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد،ج٩/ص٤٠٩ ؛ ج١١/ص٣٩١ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج١١/ص٢٨٠ ؛ الدمياطي، المستفاد،ص٣٩ ؛ السبكي، طبقات الشافعية،ج٥/ص ٢٤٧ .

[٨٨] ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٩/ص٦٣٩-٦٤٠ ؛ ابي الفدا، المختصر، ج٢/ص١٧٧ ؛ مصطاف، الرأي العام،ص٢٩.

[٨٩] توينبي، البحث في التاريخ، ج٢/ص٢٧٥.

[٩٠] كامبل، البطل بالف وجه،ص٤٧،٥٤،٣٢٣،٣٢٦.

[٩١]ينظر: ابن الجوزي، المنتظم،ج١٦/ص٦٢ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج١٠/ص٢٤-٢٥ ؛ امين، تاريخ العراق،ج١/ص٧٦ ؛ الصلابي، دولة السلاجقة،ص١٧٠.

[٩٢]توينبي، البحث في التاريخ، ج٢/ص٢٧٥

[٩٣]الملاح، فلسفة التاريخ ص٢٣٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

●ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):

١- الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية،(بيروت١٣٨٦هـ/١٩٩٦م)

● الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني(ت:٥٦٠هـ/١١٦٥م):

٢- نزهة المشتاق، ط١، عالم الكتب ، (بيروت-١٤٠٩هـ /١٩٨٩م).

● الأربلي، عبد الرحمن سنط قنيتو(ت:٧١٧هـ/١٣١٧م):

٣- خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك، تحقيق مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى،(بغداد- د.ت).

●البغدادي، ابي منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد(ت:٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

٤- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الاسلامية وآراء كبار علمائها، تحقيق محمد عثمان الخشب، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

●البنداري، الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني(ت:٦٤٣هـ/١٢٤٥م):

٥- تاريخ دولة آل سلجوق، طبع مطبعة الموسوعات، مصر(١٣١٨هـ/١٩٠٠م).

●البيروني، ابي الرياحين محمد بن احمد بن الخوارزمي(ت:٤٤٠هـ/١٠٤٨):

٦- الاثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق بلا، طبعة بلا، السنة بلا.

●البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين (ت:٤٧٠هـ/١٠٧٧م):

٧- تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، مكتبة انجلوا المصرية، دار الطباعة الحديثة.

● ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتباكي (ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ط١،وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العالمية(مصر- د.ت).

● ابن الجوزي،أبو فرج عبد الرحمن بن علي(ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت-١٤١٢هـ /١٩٩٢م).

●ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت:٨٥٢هـ/ م):

١٠- تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت(١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

● الحسيني،صدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفوارس (ت:٦٢٢هـ/١٢٢٥م):

١١- زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، ط٢،دار إقراء(بيروت،١٩٨٦م).

●ابن حماد، ابو عبد الله محمد بن علي(ت:٦٢٦هـ/١٢٦٦م):

١٢- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلال احمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(١٩٨٦م).

●الحموي،أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

١٣- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت،١٣٩٩هـ /١٩٧٩م).

● الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

١٤- تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط١،دار الكتب العلمية (بيروت-١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

●ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

١٥- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،(بيروت-١٣١٩هـ /١٩٧١م).

●ابن خلكان، أبو العباس ،أحمد بن محمد(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م):

١٦- وفيات الأعيان او أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ،دار الثقافة ،(بيروت- د .ت).

●الديمياطي،أبو الحسن أحمد بن أيبك بن عبدالله الحسامي(ت:٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

١٧- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،ط١،دار الكتب العلمية(بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

●الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

١٨- تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري،ط١، دار الكتاب العربي (بيروت،١٤٠٧/١٩٨٧م).

١٩- سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف و محي هلال سرحان،ط٩،مؤسسة بيروت(بيروت،١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

●الرواندي،محمد بن علي بن سليمان(ت:٥٩٩هـ/١٢٠٢م):

٢٠- راحة الصدور، ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون ،المجلس الأعلى للثقافة(القاهرة،١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).

●الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت:١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

٢١- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الفكر (بيروت ،١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

●السبكي، أبو نصر، عبد الوهاب بن علي(ت:٧٧١هـ/١٣٦٩م):

٢٢- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ،دار إحياء الكتب العربية(د.م،د.ت).

●السمرقندي، النظام العروضي أحمد بن عمر(ت:٥٥٢هـ/١١٥٧م):

٢٣- جهار مقالة أو المقالات الأربعة، تحقيق محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة عبد الوهاب عزام و يحيى الخشاب(القاهرة،١٩٤٩م)

●الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

٢٤- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

●ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م):

٢٥- الفخري في الآداب السلطانية الدول الإسلامية ،طبع بالات المدرسة الكلية الملكية(غريغوزولد،١٨٥٨م).

●ابن العبري، غريغوريوس أبي فرج جمال الدين الطبيب الملطي (ت:٦٨٥هـ /١٢٨٦م):

٢٦- تاريخ مختصر الدول، حققه أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الرائد (بيروت،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

●ابن العمراني، محمد علي بن محمد(ت:٨٥٠هـ/١٤٤٦م):

٢٧- الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي،ط١، دار الأفاق العربية (القاهرة،١٤١٩/١٩٩م).

●أبو الفدا، الملك المؤيد إسماعيل بن محمد(ت:٧٣٢هـ/١٣٣١م):

٢٨- المختصر في تاريخ البشر تاريخ أبي الفداء ،دار المعرفة(بيروت د.ت).

●الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(ت:٨١٧هـ/ م):
٢٩- القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة، تحقيق بلا، دار العلم للجميع، بيروت – لبنان.
●القرماني،احمد بن يوسف(ت:١٠١٩هـ/١٦١٠م):
٣٠- أخبار الدول، تحقيق فهمي سعيد وأخرون،ط١، دار عالم الكتب، بيروت (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
●القزويني، حمد الله المستوفي(ت:٧٥٠هـ/١٣٩٤م):
٣١- تاريخ كزيده، تحقيق عبد الحسين نوائي،ط٢ ، مؤسسة انتشارات أمير كبير (طهران،١٣٦٢ش).
●القلقشندى، أحمد ابن علي(ت:٨٢١هـ/١٤١٨م):
٣٢- مآثر الأنافة في عالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، وزارة الإرشاد الإنباء (الكويت،١٩٦٤م).
٣٣- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية(بيروت ،د.ت).
●ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
٣٤- البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري،ط١،دار إحياء التراث العربي (بيروت،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
●الكرديزي، ابي سعيد عبد الحي ابن الضحاك(ت:٤٤٣هـ/ م):
٣٥- زين الاخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، المشروع القومي للترجمة، مطبعة الهيئة العامة للشؤون المطابع الاميرية، مصر(٢٠٠٦م).
●مسكويه،احمد ابن محمد الرازي(ت:٤٢١هـ/١٠٣٠م):
٣٦- تجارب الأمم، تحقيق علي أبو القاسم أمامي،ط١،مطبعة دار سروش (١٣٧٧ش/١٩٩٨م).
●المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م):
٣٧- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطمين الخلفا، د.تحقيق محمد حلمي محمد احمد، مصر–القاهرة(١٤١٦هم١٩٩٦م).
٣٨- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
●المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م):
٣٩- مروج الذهب معادن الجوهر،ط٢،دار الهجرة (قم،١٤٠٤ش /١٣٦٣هـ/١٩٨٤م).
●ابن منظور،محمد بن مكرم البصري(ت:٧١١هـ/١٣١١م):
٤٠- لسان العرب، الناشر أدب الحوزة(د.م–١٤٠٥هـ).
●ابن النجار، محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود (ت:٦٤٣هـ/١٢٤٥م):
٤١- ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر يحيى،ط١،دار الكتب العلمية (بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
●النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،(ت:٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
٤٢- نهاية الأرب ، الناشر وزارة الثقافة الإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة (القاهرة–د.ت).
●اليزدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله ابن نظام الحسيني(٧٤٣هـ/ م):
٤٣- العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق عبد المنعم محمد حسين واخرون، مطبعة جامعة بغداد(١٩٧٩م).

ثانياً : المراجع

● الأمين، حسن
٤٤- إطلالات على التاريخ، ط١، دار المحجة البيضاء(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٤٥- مستدركات اعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (ل.م، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
●أمين، حسين:
٤٦- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية مطبعة الإرشاد (بغداد،١٣٥٨هـ/١٩٦٥م).
●انتوني:د.روبرت:
٤٧- ما وراء التفكير الايجابي، ط١، مكتبة جرير(٢٠٠٥م).
● و. بارتولد.
٤٨- تاريخ الترك، ترجمة أحمد سعيد سليمان،الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر،١٩٩٦م).

● بليخانوف ، جيورجي(١٩١٨م):

٤٩- دور الفرد في التاريخ، ترجمة احسان سركيس،دار دمشق(١٩٧٤م)ص٤٢.

●التونجي، محمد:

٥٠- الادب في العصر السلجوقي، ط١،منشورات مكتبة قورينا بنغازي(١٩٧٤م).

●توينبي، ارنولد:

٥١- مختصر دراسة التاريخ،ج١، ترجمة فؤاد محمد شبل، الناشر المركز القومي لشؤون المطابع الاميرية، مصر-القاهرة(٢٠١١م).

●الجبوري، سميرة احمد محمد:

٥٢- الدولة السلجوقية منذ قيامها ،اطروحة قدمت إلى مجلس كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد(١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

●خليل، احمد خليل:

٥٣- المفاهيم الاساسية،ط١،دار الحداثة، لبنان- بيروت(١٩٨٤م).

●الزركلي،خير الدين:

٥٤- الأعلام، ط٥،دار العلم للملايين (بيروت،١٩٨٠م).

●زيدان، زياد عيسى:

٥٥- الانعطافات التاريخية في مجرى الاحداث التاريخية في العراق ضوء فلسفة التاريخ(١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م)، اطروحة قدمت غلى مجلس كلية التربية جامعة واسط،سنة(١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

●الصلابي، علي محمد:

٥٦- دولة السلاجقة وبروز مشروع الاسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي،ط١، المكتبة العصرية، لبنان(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

●طقوش، محمد سهيل:

٥٧- تاريخ السلاجقة في خراسان وايران والعراق(٤٢٩-٥٩٠هـ/١٠٣٨-١١٩٤م)،ط١،دار النفائس، لبنان- بيروت(١٤٣١هـ/٢٠١٠م)

●عبد الحميد، د.صائب:

٥٨- فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي، دار الهادي.

●علم الدين، نيفين جمعه:

٥٩- فلسفة التاريخ عند ارنولد توينبي، مكتبة المهتدين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب(١٩٩١م).

●علي، وفاء محمد:

٦٠- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، المكتب الجامعي الحديث، مصر الاسكندرية.

●فامبرى، ارمنيوس:

٦١- تاريخ بخارى، ترجمة احمد محمود سادات، مكتبة النهضة.

●كامبيل، جوزيف:

٦٢- البطل بألف وجه، ترجمة حسن صقر،ط١،دار الكلمة لنشر والتوزيع، دمشق-سوريا(٢٠٠٣م).

●لاكوست، إيف:

٦٣- ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان،ط٢، دار الفارابي، بيروت(٢٠١٧م) .

●ابو النصر، محمد عبد العظيم:

٦٤- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري،ط١، الناشر عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر(٢٠٠١م).

●مصطاف، ثامر نعمان:

٦٥- الرأي العام في العراق، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد،٢٠١٦م).

●مكيافيلي:

٦٦- كتاب الامير، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مطبعة العبور، القاهرة -مصر(٢٠٠٤م).

●الملاح، هاشم يحيى:

٦٧- المفصل في فلسفة التاريخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

●منيمنة، حسن:

٦٨- تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي-مقاطعة فارس-(٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) الدار الجامعية(١٩٨٧م).

●هوك، سدني:

٦٩- البطل في التاريخ، ترجمة مروان الجابري، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين، بيروت- نيويورك(١٩٥٩).

أثر العوامل السياسية في تعيين موظفي الدولة العباسية

(١٣٢- ٢٤٧هـ)

The impact of political factors in appointing employees of the Abbasid state (132-247 AH)

الباحث ناظم مطير محمد
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أ.د محمد حسين السويطي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

This study dealt with the policy of the Abbasid caliphs in appointing the employees of the Abbasid state, the criteria that were adopted in the selection of employees, the conditions that affected their formulation, the political factors that controlled the selection of employees and the developments that occurred during the reign of the Caliph Abu Abbas al-Saffah and al-Mansur, and what are the political changes that occurred On that in the succession of the successors who followed them.

الملخص

تناولت هذه الدراسة سياسة الخلفاء العباسيين في تعيين موظفي الدولة العباسية، والمعايير التي اعتمدت في اختيار الموظفين، والظروف التي اثرت في صياغتها، والعوامل السياسية التي تحكمت في اختيار الموظفين والتطورات التي طرأت عليها في عهد الخليفة ابو العباس السفاح والمنصور، وما هي المتغيرات السياسية التي طرأت على ذلك في خلافة من اعقبهما من خلفاء.

كلمات مفتاحية: (الموظفين العباسيين، الخلفاء العباسيين، السفاح، المنصور، العامل السياسي في التعيين)

المقدمة :

كان للعوامل السياسية دور كبير في تعيين موظفي الدولة العباسية، إذ مرت ومنذ بداية نشأتها بأزمات سياسية عديدة وتمردات مناوئة للسلطة، مما أثر ذلك في اختيار الموظفين سواء كانوا ولاة أو قضاة أو غيرهم في السلك الوظيفي يكون ولائهم السياسي إلى رأس الهرم وهو الخليفة وقتذاك وقد تم اختيار أغلب الموظفين في بداية تأسيس الدولة من العباسيين أبناء عمومتهم، وكذلك تم تعيين ذوي القربى من غير العباسيين من بني الحارث وهم أخوال السفاح، وهذا إذ دل على شيء أنما يدل على أنه لا يتولى السلطة إلا إذا كان الخليفة مطمئن من ميوله السياسي، سواء كان من البيت العباسي أو من باقي الشخصيات الموالية لهم وحتى أذا تم تعيينه يكون تحت المراقبة من قبل عيون الخليفة.

توطئة – مفهوم العوامل السياسية:

العوامل السياسية هي العوامل التي تخص أمن الدولة بصورة عامة من محاولات انقلاب أو الولاء الى جهة معادية للدولة أو الانحياز لجهة معينة ضمن الجهات المتنافسة على السلطة وغيرها من الامور ذات الصلة كان لها الاثر الكبير من تزايد حالات التعيين الوظيفي وعزل الموظفين المشكوك في أمرهم وهي بإجمالها تعد من الأسباب الخطيرة لأنها تهدد أمن الدولة وحياة رأس الهرم أذ نرى اغلب الموظفين الذين تم تعيينهم كان ولائهم السياسي الى شخص الخليفة وقد أوضح ابن الطقطقا (ت٧٠٩هـ)، بقوله:

"**أعلم ـ علمت الخير ــ ان هذه الدولة من كبار الدول ساسة العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك؛ فكان الناس وصلحاؤهم يطيعونها تديناً، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة**"[١] .

وقد لعبت دوراً مهماً في تعيين الموظفين في مفاصل الدولة كلها ومنذُ تأسيسها، إذ حدثت ثورات عديدة ضد الخلافة العباسية واجهتها الدولة بأساليب متنوعة، منها تعيين شخصيات مقربة، يكون ولائهم السياسي للخليفة، بهدف القضاء على تلك الثورات.

أولاً– أثر العوامل السياسية في تعيين موظفي الدولة العباسية في خلافة السفاح والمنصور (١٣٢– ١٥٨هـ):

انمازت فترة خلافة السفاح (١٣٢–١٣٦هـ) وفترة خلافة المنصور (١٣٦–١٥٨هـ) بكثرة عزل الموظفين وتعيين اخرين بدلاً عنهم، ولعل سبب ذلك هو ان الدولة لم تتقوى أسسها بعد، ومن ذلك انه في سنة (١٣٧هـ) تم تعيين خالد بن الذهلي (ت١٣٩هـ)[٢] والياً على خراسان، وكان خليفة لأبي مسلم[٣] هناك، مقابل تركه لأبي مسلم وتعاونهُ مع الخلافة للقضاء على أبي مسلم[٤] بعد أن تمرد الأخير على الخلافة العباسية، قال المدائني (ت٢٢٥هـ): "**وكان أبو جعفر قد كتب الى أبي داود ـ وهو خليفة أبي مسلم بخرسان ـ حين أتهم أبا مسلم: أن لك إمرة خراسان ما بقيت، فكتب أبو داود الى أبي مسلم: إنّا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه ص ، فلا تخالفن أمامك**"[٥].

ويبدو من النص المتقدم نجاح سياسة المنصور ودهاءه الذي استخدمهُ في سبيل القضاء على أبي مسلم الخراساني، والتخلص منهُ بواسطة أقرب الشخصيات اليه مقابل منحه ولاية خراسان، وبالنتيجة تمت السيطرة على خراسان وتولية أبي داود، وفي سنة (١٣٩هـ) أسند المنصور ولاية خراسان الى عبد الجبار الأزدي(ت ١٤١هـ)[٦]، وكان صاحب شرطتهُ على أثر تهجم الوالي أبو دواد بعد مقتل أبي مسلم على الخلافة العباسية، وتشهيره بالخليفة واتهامه بالغدر[٧]، وسبق تعيين عبد الجبار الأزدي ثورة جند خراسان التي خطط لها الخليفة، وهو ما نلتمسه من قول البلاذري(ت٢٧٩هـ): "**استخلف أبو مسلم على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم الذهلي، حين أراد الحج فلما توفيه أبو العباس، بايع أبو داود المنصور، فكان متخوفاً من ابي مسلم أذ فعل ذلك بغير أمره، فلما قتل أبو مسلم، أتاه البريد بخبر قتلهُ فأنكرهُ، وذكر المنصور ذكراً قبيحاً ونسبه الى الغدر، فكتب إليه المنصور يأمره بغزو ما وراء النهر، ثم كتب إليه في القدوم عليه، ووجه بكتابه إليه رسولا مفرداً، فقال: ما يقدمني عليه الا لمسألتي عن أمور أبي مسلم وأمواله ثم قتلني بعد ذلك ... فكتب المنصور... أن قتلت أبا داود فأنت أمير خراسان... وقد دس إلى أهلها من هيجهم ليخرج أبو داود فيفتك به**"[٨]، بمعنى ان ثورة جند خراسان على واليهم لم تكن صدفة أو من دون سبب، بل كان الغرض منها ابعاد ابي داود عن الولاية بعد ان استنفذ المنصور غرضه منه، ولما تم له ذلك عين والياً قوياً يُعيد الأمور الى نصابها، فاختار صاحب شرطته عبد الجبار الازدي ليكون خلفاً لأبي داود، وفي سنة (١٣٩هـ) عين المنصور كذلك للأسباب نفسها سفيان بن معاوية (ت بعد ١٣٩هـ)[٩]، على البصرة، وهو ما بينه اليعقوبي(ت٢٩٢هـ) بقوله: "**بلغ أبو جعفر مكان عبد الله بن علي**[١٠]**، عند سليمان بن علي**[١١]**، وهو اذ ذاك عامل البصرة، فوجه الى سليمان فأنكر ان يكون عنده**"[١٢]، مما أدى الى عزل سليمان وتعيين سفيان بدلاً عنه.

وذكر البلاذري سبباً اخراً لتعيين سفيان والياً على البصرة بقوله: "**أن المنصور أراد استخراج مزارع من البطيحة**[١٣] ، **فضج أهل البصرة وقالوا: أنما نستعذب الماء من البطيحة واتوا عبد الله بن علي فقالوا: أنزل يا أمير ألمؤمنين الينا نبايعك، فكفهم سليمان وفرقهم**"[١٤] ، بينما قال الجهشياري (ت بعد ٣٣١هـ): "**فلما هرب عبد الله منهزماً من أبي مسلم وقصد أخويه سليمان وعيسى، وهما بالبصرة، ودخلها مستتراً، وكاتب سليمان وعيسى أبا جعفر في أن يؤمنه... واستقر الأمر على أعطائه الأمان فأنفذ أبو جعفر سفيان بن معاوية بن يزيد بن مهلب، وأمره بضغطهم والتضيق عليهم حتى يشخصوا بعبد الله بن علي الى حضرته**"[١٥]، وبوقفة سريعة مع الروايات المتقدمة، نلحظ ان اليعقوبي بروايته التي وضح فيها ان التعيين جاء بعد هزيمة عبد الله بن علي وتخفيه عند أخيه سليمان في ولاية البصرة، وان الأخير قد أنكر أن يكون عنده، فكان ذلك سبب عزله، لكن هذا بحسب وجهة نظرنا لا يكون سبباً كافياً لعزل سليمان وتعيين والي جديد على ولاية البصرة، لان الخليفة كان قد أدرك خطورة عمه منذ إعلان الثورة ضد الخلافة.

أما البلاذري الذي ذهب بروايته الى سبب تعيين سفيان والياً على البصرة الفوضى التي عمت الولاية بسبب أخذ بعض المزارع من البطيحة، وكانت نتيجتها الالتفاف حول عبد الله بن علي وحثه على اخذ البيعة له بالخلافة، وعلى أثر ذلك أرسل الخليفة سفيان ومعه جيش الى ولاية البصرة وبعد أن أطمئن بعد وصول الجيش الى البصرة أصدر أمر بعزل سليمان عن ولاية البصرة وتعيين سفيان، وهذا أمر وارد لآن البصرة كانت موالية لسليمان، وقد وجد الخليفة احتمال إعلان عبد الله الثورة مجدداً لا يزال قائماً، وقد برهن أهل البصرة على هذا الأمر، وبذلك اكتملت قناعة المنصور بعزل سليمان وتعيين سفيان لمنعه من استغلال منصبه السياسي لصالح عبد الله.

أما رواية الجهشياري التي ذكر فيها أن سبب تعيين سفيان هو للتضيق على سليمان حتى يشخص بأخيه الى الخليفة، فهي تؤكد ما ذهب اليه البلاذري بأن الجرم الذي ارتكبه عبد الله بحق الخلافة لا يغتفر، وأؤيد هذا قول المنصور نفسه: "**الملوك تحتمل كل شيء من أصحابها الاثلاثاً، أفشاء السر، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك**"[١٦]، وبالاطار نفسه أمر الخليفة المنصور بتعيين اسيد بن عبد الله الخزاعي (ت بعد ١٤١هـ)[١٧] على ولاية خراسان في سنة (١٤١هـ)، بعد أن وصلته أخبار بأن والي خراسان قد خلع الطاعة[١٨]، وهو ما بينه البلاذري بقوله: "**كان عبد الجبار يتشيع فسار سيرة حسنة ونظر في أمر الخراج وقوى الدعوة، ثم كتب الى المنصور يسأله الاذن في حمل عياله فلم يأذن له في ذلك فدس الى قوم من عمال أبي داود وغيرهم ممن كان مخالصاً للعباسيين فقتلهم... وحض على طاعة آل ابي طالب ووجه الى إبراهيم بن عبد الله بن حسن وهو مستخف يسأله ان يشخص اليه فلم يفعل**"[١٩]، وعزز هذا الرأي كل من اليعقوبي بقوله: "**وقصد لشيعة بني هاشم فقتل منهم مقتله عظيمه وجعل يتتبعهم ويمثل بهم**"[٢٠]، والمدائني بذهابه الى أن عبد الجبار كان متشيعاً وحض على طاعه آل أبي طالب ووجه الى إبراهيم بن عبد الله بن حسن يسأله أن يشخص إليه[٢١]، بينما ذهب الطبري الى أن سبب التعيين هو قتل عبد الجبار عدد من رؤساء أهل خراسان وشيعه بني العباس مما أثار حفيظة المنصور واتخاذه لهذا القرار[٢٢].

وأمر المنصور في سنة (١٤٢هـ) بتعيين مالك الخزاعي (ت بعد١٦١هـ)[٢٣]، والياً على الموصل، على أثر تمرد اسماعيل بن علي على الخلافة واراد أن يستقل بالموصل وأبى أن يسلم الولاية إلى الوالي الجديد[٢٤].

واختار المنصور معن بن زائدة الشيباني (ت١٥١هـ)[٢٥] في سنة (١٤٢هـ) والياً على اليمن بعد حصول اضطرابات وفوضى بسبب الخوارج، بعد تحالف القبائل اليمانية والربيعية[٢٦].

وكان المنصور ممتعضاً من تجديد هذا الحلف، ولتخوفه من خطر ذلك على أمن الدولة[٢٧]، وقد تحققت مخاوفه بعد ان وصلته أخبار ثورة الأهالي وطردهم الوالي العباسي السابق من البلاد في سنة (١٤٢هـ)، لذلك صمم على اخماد هذه الثورة، عن طريق كسر هذا الحلف بتوظيف نار العصبية القبلية، فاختار معن الشيباني[٢٨]، وأشارت بعض الروايات الى انه سار مع الخليفة الى البصرة أوائل سنة (١٤٢هـ)، فلما سمع الخليفة بأنباء ثورة اليمن، وجهه مسرعاً لضبط البلاد وأوصاه بأتباع الشدة ضد أهلها[٢٩].

إن استعمال معن والياً على اليمن حقق للخليفة هدفين، هما: القضاء ما تبقى على الخوارج فيه، وكسر شوكة القبائل الربيعية واليمانية وفسخ تحالفهما بإشعال نار العصبية[٣٠]، وقد نجح معن في مهمته بعد أن وصل البلاد، فقد ذكر اليعقوبي انه: "**قتل من بها قتلاً فاحشاً واقام بها تسع سنين**"[٣١]، فأستقام له الحال، وأعاد الهدوء والامن الى ربوع اليمن وان من سياسة الخليفة المنصور لا يترك الفرصة لوال من تثبيت أقدامه في الولاية خشية ان تحدثه نفسه بالثورة عليه، وفي سنة (١٤٤هـ) عين المنصور محمد بن خالد القسري (ت بعد١٤٤هـ)[٣٢] والياً على المدينة، لأسباب سياسية ذات صبغة دينية، قال الطبري(ت٣١٠هـ): "**استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد وأمره بالجد في طلب محمد وبسط يده في النفقة في طلبه**"[٣٣]، بعد أن وجد تهاون من الوالي السابق زياد بن عبيد الله الحارثي (ت بعد١٥٠ هـ)[٣٤] في طلب محمد، وقد أكد الطبري ذلك بذكره قول زياد: "**والله ما أعرف لي عند أمير المؤمنين ذنباً، غير أني أحسبه وجد علي في أبني عبد الله، ووجد دماء بني فاطمة علي عزيزة**"[٣٥].

وبعد التمعن في النصوص التاريخية التي ذكرها الطبري تبين ان العوامل التي أدت الى تعيين محمد بن خالد هي عوامل سياسية، هدفها القضاء على محمد (ذو النفس الزكية) بأي صورة كانت، وسخر له الأموال من أجل ذلك، لتهاون الوالي السابق واحترامه للعلويين، مما أثار حفيظة المنصور، وفي هذا دلالة على أثر العوامل السياسية في التعيين الوظيفي، ولاسيما ان الوالي زياد بن عبيدالله الحارثي كان من المقربين للخلافة العباسية ومن اخوال أبو العباس السفاح، لكن المصلحة السياسية اقتضت عزله وتعيين وال جديد على المدينة.

واختار المنصور في سنة (١٤٤هـ) رياح بن عثمان المري (ت١٤٥هـ)[٣٦] والياً على المدينة، بعد فشل سلفه محمد بن خالد القسري بالقبض على محمد وإبراهيم[٣٧]، وقال اليعقوبي: "**ولي رياح بن عثمان بن حيان المري المدينة، وقال ما وجدت لهم غيرك، ولا أعلم لهم سواك، فلما قدم رياح المدينة قام على المنبر، فخطب خطبة له مشهورة يقول فيها: يا أهل المدينة أنا الأفعى ابن الأفعى ابن عثمان ابن حيان وابن عم مسلم بن عقبة[٣٨] المبيد خضراكم المفني رجالكم، والله لأدعها بلقعاً لا ينبح فيها**

كلب"[٣٩]، ويظهر النص ان الوالي الجديد وضح ان سياسته ستنطوي على البطش والإرهاب اتجاه العناصر المعارضة للحكم السياسي ولاسيما العلويين منهم.

إن قرار المنصور بتعيين رياح بن عثمان يعد نقطة تحول مهمة، إذ انه بمثابة اعلان عن استبدال السياسة القديمة القائمة على التفاوض والمدارات بسياسته الشدة والإرهاب[٤٠]، وفضلاً عن ذلك لو نظرنا في سيرة رياح لوجدنا أن أباه وابن عمه قد خدما الدولة الأموية مدة من الزمن، فابن عمه مسلم بن عقبة (ت٦٤هـ) هو الذي قضى على ثورة أهل المدينة بوحشية بالغة في سنة (٦٣هـ)[٤١]، أما أبيه عثمان فقد أساء لعبد الله بن حسن وبعض أهل بيته في أثناء توليه المدينة للسنوات (٩٣-٩٦هـ)[٤٢]، فضلاً عن جنوح الخليفة في استعمال نار العصبية القبلية في هذا الموضوع؛ لأن رياح قيسياً[٤٣]، وهو ما بين خطورة ودقة المنصور في اختياره.

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مفاده، لماذا أختار المنصور رياح المري الأموي والياً على المدينة على الرغم من العداء ما بين الأمويين والعباسيين، وللإجابة عن هذا السؤال يمكن ان نقول: أن سياسة المنصور قائمة على ضرب أي جهة مهما كانت سواء من العلويين ومن العباسيين، ويتحالف حتى مع أعدائه من أجل المحافظة على السلطة، وهذا ما تبين بعد تعيين رياح المري الأموي الذي كان من الأمويين أعداء بني العباس وهذه السياسة سار عليها أغلب الخلفاء العباسيين، كما اختار المنصور في سنة (١٤٦هـ) محمد بن سليمان (ت١٧٣هـ)[٤٤] والياً على البصرة، وكان سبب توليه التشدد على أصحاب إبراهيم بن عبد الله، وهدم دورهم، وحرق نخلهم بعد أن تهاون معهم الوالي السابق سلم بن قتيبة (ت١٤٩هـ)[٤٥] الذي تولى البصرة بعد مقتل إبراهيم بن عبد الله، وقد ذكر الطبري بقوله: "**كتب أبو جعفر الى سلم بن قتيبة لما ولاه البصرة أما بعد، فأهدم دور من خرج مع أبراهيم واعقر نخلهم**"[٤٦]، لكن الوالي تهاون في تنفيذ أوامر الخليفة، مما أثار حفيظته، فعزله وعين محمد بن سليمان والياً على البصرة الذي قام بهدم دور عديدة من الذين كانوا الى جانب إبراهيم بن عبد الله في حربه ضد المنصور[٤٧].

وقد حصلت انتفاضات عديدة ضد الخلافة العباسية في زمن المنصور منها ما جرى من أحداث في ولاية الموصل سنة (١٤٨هـ)، إذ انتفض أهلها وانتشر الأكراد بها دفعت الخليفة الى اختيار والي عنده القوة والحنكة السياسية حتى يقمع هذه الانتفاضة، فعين خالد بن برمك (ت١٦٥هـ)[٤٨]، وكان من القادة الشجعان إذ استطاع بسط الأمن في ولاية الموصل وبقى عليها حتى وفاة المنصور في سنة (١٥٨هـ)[٤٩]

ولي المنصور سنة (١٥٢هـ) عقبة بن سلم الهنائي (ت١٦٧هـ)[٥٠]، والياً على اليمامة والبحرين بعد التمرد الذي حصل ضد الخلافة العباسية، التي أدت الى مقتل الوالي السابق، مما أثار حفيظة الخليفة، فأراد شق صفوف المعارضة، فاستدعى المنصور عقبة بن سلم الهنائي الاردلي اليماني، وقال له: قد علمت ما فعله بكم معن، فأن وليتك اليمامة والبحرين تشتفي من ربيعة؟ قال: كفيتك يا أمير المؤمنين، فولاة البلاد في سنة (١٥١هـ)[٥١]، وقد استخدم نفس سلاح العصبية القبلية التي استخدمها في اليمن، وهذا ما أكده اليعقوبي بقوله: "**قتل من بها ربيعة مجازاة لما فعل معن باليمن، وقال! لوكان معن على فرس جواد، وأنا على حمار أعرج لسبقته الى النار**"[٥٢]، وفي هذا ما يكفي من التأكيد بأن تعيين الولاة لم تكن عنوة، انما كان مدروس من الخليفة العباسي، إذ أراد أن ينتقم من ربيعة كما فعل سلف معن

في اليمن، إذ شق صفوف المعارضة ضد الخلافة العباسية، وجعل الأطراف تتقاتل فيما بينها، وهذا ديدن المنصور الذي وصف بالدهاء والحنكة، فهو يتخلص من أعدائه، ويضرب بعضهم ببعض، وكان الغرض من ذلك هو خضوع جميع الأطراف للسلطة العباسية، ودل هذا بوضوح على أن سياسة التعيين تتحكم فيها عوامل عديدة منها سياسية وغيرها.

واختار المنصور في سنة (١٥٤هـ) يزيد بن حاتم المهلبي (ت١٧٠هـ)[٥٣] والياً على المغرب، وهو ما أكده اليعقوبي بقوله: "**خرج يشيعه حتى أتى بيت المقدس فأمره بالنفوذ، وانصرف أبو جعفر، فأستنفر في الشامات والجزيرة... ثم شخص الى افريقية، فصار الى طرابلس في خلق عظيم، وزحف اليه أبو حاتم الأباضي**[٥٤]**، فالتقيا بطرابلس، فقاتله وقامت الحرب بينهما أياماً، فقتل أبو حاتم وخلق عظيم من أصحابه**"[٥٥]، وهذا ما أكده الطبري بقوله: "**توجيهه يزيد بن حاتم الى افريقية في خمسين الفاً، فيما ذكر لحرب الخوارج الذين كانوا بها، الذين قتلوا عامله عمر بن حفص، وذكر انه انفق على ذلك الجيش ثلاثة وستين الف الف درهم**"[٥٦].

وبعد قراءة النصوص التاريخية التي ذكرت تعيين يزيد بن حاتم على المغرب، تبين من ذلك اهتمام الخليفة بالثغور الإسلامية ولاسيما ثغر أفريقية، وذلك من التمردات التي حصلت في تلك المناطق، التي هددت أمن الخلافة العباسية، مما اضطر الخليفة المنصور من تعيين قائد كفوء له، مما أكد اهتمام الخليفة بهذا الشأن هو خروج الخليفة مع الوالي الجديد مسافه يشيعه، وجهزه بعدد كبير من الجيش، ومجهز بأسلحة الغرض منه هو دفع الخطر من المغرب الإسلامي، وبالنتيجة استطاع يزيد بن حاتم من افتتاح أفريقية، وقتل قادة الخوارج ومن كان معهم واستقامت بلاد المغرب ودخل مدينة القيروان.

ثانياً- أثر العوامل السياسية في تعيين موظفي الدولة العباسية (١٧٠- ٣٤٧هـ):

حصل تمرد في مدينة نصيبين، وقد سيطر عليها الوليد بن طريف الشاري (ت١٧٩هـ)[٥٧]، مما دفع الخليفة الرشيد في سنة (١٧٩هـ) أن يوجه أحد قواده ويوليه نصيبين والقضاء على التمرد، وقد عين يزيد بن مزيد الشيباني (ت بعد ١٧٩هـ)[٥٨]، الذي أستطاع من قتل الوليد بن طريف وتفريق أصحابه واستتباب الامن في ربوع المدينة[٥٩].

وفي سنة (١٨٤هـ) ولي الخليفة الرشيد إبراهيم التميمي (ت بعد ١٩١هـ)[٦٠] على أفريقية[٦١]، اذ حصلت تمردات في افريقية، وسيطرة الأدارسة على المغرب الأقصى، وكذلك سيطرة الأمويين على الأندلس، مما دفع بالرشيد الى أن يختار والي عنده كفاءة عسكرية وولاء سياسي له، فعين إبراهيم بن الأغلب على افريقية، فعظم أمره وصار ملك مستقل عن الخلافة، الا أنه خطب للخليفة العباسي، وكان هدف الرشيد في ذلك هو جعل الأغالبة في أفريقية حاجزاً بين الخلافة العباسية والأدارسة من جهة وبينه وبين الأندلسيين من جهة أخرى، فكانت العوامل السياسية من أهم العوامل التي أدت الى تعيين إبراهيم بن الأغلب[٦٢].

واختار الأمين في سنة (١٩٤هـ) عبد الله بن سعيد الحرشي (ت بعد١٩٤هـ)[٦٣] والياً على حمص، وكان سبب تعيينه بحسب قول الطبري: "**مخالفة اهل حمص عاملهم إسحاق بن سليمان**[٦٤]**، وكان محمد ولاه إياها فلما خالفوه انتقل الى سلميه، فصرفه محمد عنهم، وولي مكانه عبد الله بن**

سعيد الحرشي"[٦٥].

وذكرت الروايات ان إسحاق بن سليمان (ت بعد ١٩٤هـ) لم يكن حازماً اتجاه الفوضى التي قام بها أهل حمص ضد الخلافة، مما أدى الى تعيين والي أكثر قوة ويمتلك الخبرة في مواجهة الاضطرابات، فحبس عدد كبير من وجوههم، وضرب مدينتهم من نواحيها بالنار حتى اضطروا ان يسألوه الأمان فأجابهم[٦٦]، وبقراءة سريعة للنصوص التاريخية الواردة يتبين أن الولاء السياسي كان حاضراً في التعيين، لأن الأمين لم يولِ والياً على حمص أو غيرها من الولايات الإسلامية الا ممن يدينون بالولاء له؛ لخصوصية الظرف العام الذي كان يعيشه متمثلاً بصراعه مع أخيه المأمون.

وأمر الخليفة المأمون في سنة (١٩٦هـ) بتعيين الفضل بن سهل (ت٢٠٢هـ)[٦٧]، على المشرق كله، لأنه كان العقل المدبر لأمور المأمون، فهو الذي أرسل الجيوش، وعين القادة عندما حدثت الفتنه بينه وبين الأمين، فأراد أن يرد له الجميل، فولاه المشرق الإسلامي، ولقبه بذي الرئاستين، وجعل له علماً ذا شعبتين، وكتب على سيفه من جانب رئاسة الحرب ومن الجانب الآخر رئاسة التدبير، وقد تم النصر له على الأمين بتدبيره[٦٨].

واختار كذلك في سنة (٢٠١هـ) الامام الرضا (عليه السلام) ولياً للعهد، وذكر اليعقوبي تفاصيل ذلك بقوله: "**أشخص المأمون الرضى علي بن موسى بن جعفر من المدينة الى خراسان، وكان رسوله اليه رجاء بن أبي الضحاك**[٦٩]**، قرابة الفضل بن سهل، فقدم بغداد ثم أخذ به على طريق ماه البصرة حتى صار الى مرو، وبايع له المأمون بولاية العهد من بعده... وأخذت البيعة للرضى، ودعي له على المنابر، وضربت الدنانير والدراهم باسمه**"[٧٠].

وعزز ذلك الطبري بقوله: "**في هذه السنه جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده، وسماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآلة وسلم، وامر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك الى الافاق**"[٧١]، وبعد التمعن بالنصوص التاريخية يتبادر الى الذهن سؤال مفاده: ما الدوافع وراء تعيين الامام الرضا (عليه السلام) بمنصب ولاية العهد؟، ونظن ان المأمون لم يكن منطلقاً من حبه لأهل البيت (عليه السلام) وتبجيله للامام الرضا (عليه السلام) بتعيينه بمنصب ولاية العهد، اذ كان ميله اليهم مصطنعاً كما ذكر ابن العماد (ت١٠٨٩)[٧٢]، ولا يمكن التصديق برغبته بالتنازل عن الحكم وتسليمه للامام (عليه السلام)، أو توليه للعهد من بعده، فهو الذي قتل من أجله الالاف من الجنود والقادة وأخاه وبعض أهل بيته؟ فقد كان ذلك مناورة سياسية، اذ واجه بعد استيلائه على الحكم ثورات وحركات مسلحة، ومنها ثورات العلويين، وكان المعارضون لحكمه منتشرون في جميع الأمصار الإسلامية، فتخلخل وضعه العام، فالتجأ الى تقريب الامام (عليه السلام) لاستقطاب أعوانه وأنصاره الذين كانوا يمثلون الأغلبية من المسلمين لارتباطهم العاطفي والروحي بالإمام (عليه السلام)[٧٣] .

وقلد المأمون في سنة (٢٠٣هـ) محمد بن إبراهيم الزيادي (ت بعد ٢٠٣هـ)[٧٤] ولاية اليمن على أثر اختلال الأمن ورسوخ التشيع فيها[٧٥]، واستطاع بسط يده على الولايات اليمنية، وعظم هناك، وصار ملك مستقل الا أنه خطب لبني العباس، وحمل إليهم الخراج والهدايا، وطال ملكه الى سنة (٢٤٥هـ)، ثم

ورثه أبنائه ثم مواليهم الى سنة (٥٥٣هـ)، وتعرف هذه الدولة بالدولة الزيادية، وكان ولائها للخلافة العباسية[٧٦].

وذكر بعض الباحثين أن تعيين ابن زياد والياً على اليمن (٢٠٣هـ) هو لقمع ثورة العلويين التي قامت باليمن، التي هددت باستقلال اليمن عن الدولة، وانه أرسله لما عرف عنه من بغض لآل علي (عليه السلام)[٧٧].

ونرى ان الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول، كانت سياستهم اتجاه العلويين سياسة تعسفية، وقد لحقوا الظلم والحيف بهم، وعدوهم من أعدائهم، لانهم يعرفون أن الخلافة الحقيقة تعود اليهم، وخير دليل على ذلك أرسال هذا الوالي الذي يعود نسبه الى عبيد الله بن زياد الذي يعد من ألد أعداء أهل البيت وقتلة الامام الحسين (عليه السلام)، وتبين ذلك من الاعمال التي قام بها بعد استلامه المنصب أذ كان ولائه للخليفة العباسي وقتذاك فقام بقمع كل الحركات والتمردات التي حصلت في اليمن وخصوصا الحركات الشيعية.

واسند المأمون في سنة (٢١٣هـ) محمد بن حميد الطوسي (ت٢١٤هـ)[٧٨]، والياً على كور الجبال[٧٩] ،وأذربيجان[٨٠] ،وأرمينه[٨١] ، وضم إليه جيشاً كثيفاً، وحملت اليه المير على أثر التمردات التي حصلت، وكان بابك الخرمي(ت٢٢٣هـ)[٨٢] ،زعيم هذا التمرد[٨٣]، مما أدى الى إرسال قوة كبيرة لمحاربته، إذ قال صاحب العيون والحدائق: "**أمر أهل كل ناحية في أذربيجان برجال يحضرون عسكر محمد بن حميد، ويحاربون معه، وأتت رجال اليمن وربيعة ومضر... فلما تكامل جيشه وأستحكم أمره سار بطلب بابك**"[٨٤]، ونلحظ من النص أن الخليفة العباسي عندما سمع بأن هناك تمردات حصلت ضد الخلافة واستفحال أمر بابك الخرمي، قام بتوليه قائد لديه حنكة سياسية، ويكن بالولاء للمأمون، فعين محمد بن حميد الطوسي بهذا المهمة، للقضاء على التمردات التي حصلت، والتي كانت من نتائجها تضحيته بنفسه من أجل الخلافة العباسية[٨٥].

الخاتمة:

١. أمتازت فترة خلافة السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)، والمنصور(١٣٦-١٥٨هـ) بكثرة عزل الموظفين وتعيين بدلا عنهم بسبب بداية نشوء دولتهم التي لم تكن ذات أسس قوية في بداياتها.
٢. تبين دهاء وسياسة المنصور في تعيين الولاة إذ قام بضرب شخص بأخر وهذا ما لمسناه من تعيين خالد بن إبراهيم الذهلي على خراسان من أجل الوقوف بوجه أبي مسلم.
٣. كثرة التمردات التي حصلت في خراسان والموصل أدى ذلك إلى تعيين ولاة يمتلكون خبرة سياسية ويكون ولائهم الى السلطة العباسية ومن هؤلاء أسيد بن عبدالله الخزاعي عينه واليا على خراسان أثر تمرد عبد الجبار الأزدي ومالك الخزاعي واليا على الموصل بدلا عن عمه أسماعيل بن علي الذي حاول أن يستقل بالموصل.
٤. أهتمام المنصور بالثغور الإسلامية إذ قام بتعيين قادة اكفاء، وخاصة أفريقية ويكون ولائهم السياسي الى شخص الخليفة وهذا ما حصل في تعيين يزيد بن حاتم المهلبي على المغرب سنة(١٥٤هـ)الذي خرج شخصيا في توديعه معرضا نفسه للخطر.

٥. سمح الرشيد للأغالبة الاستقلال في دولتهم عن الخلافة، بشرط أن يكون الخطاب للخليفة العباسي، وكان الهدف هو جعل الأغالبة حاجزا منيعا بينهم وبين دولة الأدارسة المعادية لهم.

٦. استخدم الخلفاء العباسيين نار العصبية القبلية وتوظيفها لصالحهم لضرب تحالفات القبائل فيما بينهم كما حصل مع القبائل اليمانية عندما عين معن بن زائدة الشيباني الذي أستطاع من القضاء التمردات بتوظيف نار العصبية.

الهوامش

(١) الفخري، ص١٢٥.

(٢) اسمه خالد بن إبراهيم الذهلي، كنيته ابو داود، كلف بولاية خرسان في زمن المنصور العباسي سنة(١٣٧هـ). الزركلي، الأعلام،ج٢/ ص٢٩٣.

(٣) هو: عبد الرحمن بن مسلم ، ويقال عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير صاحب الدعوة العباسية وهازم جيوش الدولة الأموية ، والقائم بإنشاء الدولة العباسية، للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ص٤٨،

(٤) فتوح خراسان، ص٤١٩.

(٥) المصدر نفسة، ص٤١٩.

(٦) هو احد امراء الدولة العباسية كان صاحب شرطة المنصور وبعد ذلك عينه واليا على خراسان سنة(١٤٠هـ) وتم عزله بسبب اتهامه بالميول الى العلويين وقتل جماعة من شيعة بني العباس. اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص٣٧١؛ الطبري، تاريخ، ج٧/ص٣٥٣.

(٧) المدائني، فتوح خراسان، ص٤٣٠.

(٨) أنساب، ج٤/ص٣٠٢.

٩) سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، ولاه المنصور البصرة في سنة (١٣٩هـ) واستطاع من ارسال سليمان بن عبد الله واخيه عبد الله الى المنصور، وقام بقتل ابن المقفع الذي كتب الأمان الى عبد الله بن علي بأمر المنصور. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣/ ص٩١٠.

١٠) عبد الله بن علي هو ابن عبدالله بن العباس، عم السفاح والمنصور، من رجال العالم ومن دهاة قريش كان شجاعا جبارا عسوفا، سفاكا للدماء، به قامت الدولة العباسية. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ص١٦١.

١١) سليمان بن علي هو: الأمير عم المنصور ولي البصرة مدة وقد شاب وهو ابن عشرين سنة مات سنة(١٤٢هـ). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ص١٦٢.

١٢) تاريخ، ج٢/ ص٣٦٨ .

(١٣) البطيحة: هي أرض واسعة بين واسط والبسرة وسميت بذلك لأن المياه تبطحت فيها وسالت واتسعت في الارض وكانت قديما قرى متصلة وارضاً عامرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ص٤٥٠.

(١٤) انساب، ج٤/ص١٤٨.

١٥) الوزراء والكتاب، ص١٠٣.

١٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج٣/٤٥٨.

١٧) أسيد بن عبد الله لم نعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

(١٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص٣٧١.

١٩) الأنساب، ج٤/ ص٣٠٣- ص٣٠٥.

٢٠) تاريخ، ج٢/ ص٣٧١.

٢١) فتوح خراسان، ص٤٣٢.

٢٢) تاريخ، ج٧/ ص٣٥٦.

٢٣) مالك بن الهيثم، كنيته أبو نصر، الخزاعي ت (١٦١-١٧٠هـ) أحد النقباء الاثني عشر الناهضين بأعياء منشأ الدولة العباسية قاموا بخراسان مع ابي مسلم، كان المنصور يعظمه يجله. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٦ / ص٥١٦؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٤ / ص٧٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤/ ص٤٨٧ .

٢٤) الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢١٢.

٢٥) معن بن زائد الشيباني، الأمير احد الاجواد الممدوحين والشجعان المذكورين، كان من أصحاب امير العراقيين يزيد بن عمر بن هبيره، فلما ملك بنو العباس اختفى معن مدة، والطلب عليه، فلما كانت ثورة الخراسانيين على المنصور ظهر وقاتل بين يدي المنصور وافرج عنه وصيره من خواصه ثم ولاه اليمن وغيره. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤/ ص ٢٣٧.

٢٦) ينظر: الازدي، تاريخ الموصل، ص٢٠٩- ص٢١١.

٢٧) المصدر نفسه، ص٢١٠.

٢٨) ينظر: الازدي، تاريخ الموصل، ص٢٠٩- ص٢١١.

٢٩) العاني، سياسة المنصور، ص٢٢٨.

٣٠) المرجع نفسه، ص٢٢٨.

٣١) تاريخ، ج٢/ ص٣٧٢.

٣٢) محمد بن خالد القسري ولاه المنصور المدينة من أجل القبض على محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن (عليهم السلام) حتى ينفذهما إليه موثقين أو يقتلهما، فقصر محمد بن خالد حتى عزل وخرجا عليه، فحقد عليه المنصور فعزله، وأستسقى أمواله. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٧/ ص٣٧٥ .

٣٣) تاريخ، ج٧/ ص٣٧١ .

٣٤) زياد بن عبيد الله ابن عبد المدان لحارثي أمير مكة والطائف من أخوال أبو العباس السفاح ولي أمرة الموسو في سنة(١٣٣هـ) ثم أمرة الحرمين للمنصور. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥/ص١٤؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢/ص٨٩.

٣٥) تاريخ، ج٧/ ص٣٧٠.

٣٦) رياح بن عثمان المري، تولى المدينة، وكان من عائلة معروفه بكرهها للطالبيين والتشدد على محمد واخيه إبراهيم. ابن سهل الرازي، أخبار فخ، ص٤٨ .

٣٧) الطبري، تاريخ، ج٧ / ص٣٧٢ .

(٣٨) مسلم ابن عقبة ابن رياح ابن سعد ابن الربيعة ابو عقبة المري المعروف بمسرف أدرك النبي(صلى الله عليه واله) وشهد صفين مع معاوية وهو صاحب موقعة الحرة وكانت داره بدمشق. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٨/ص١٠٢؛ الذهب، تاريخ الاسلام، ج٢/ص٧١١.

٣٩) تاريخ، ج٢/ ص٣٧٤- ص٣٧٥.

٤٠) العاني، سياسة المنصور، ص٢٦٨ .

٤١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص ٢٥٠ .

٤٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩/ ص٨٨ .

٤٣) ابن الاثير، الكامل، ج٥/ ص١٠٢.

٤٤) محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، ولي أمارة البصرة في عهد المهدي ولما أفضت الخلافة الى الرشيد قدم اليه محمد بن سليمان وافدا فأكرمه وأعظمه وسره وزاده في ما كان يتولى من أعمال البصرة. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣/ص٢١٥.

٤٥) سلم بن قتيبة لم نعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة لدينا.

٤٦) تاريخ، ج٨/ ص١٧.

٤٧) المصدر نفسه، ج٨/ ص٧٧.

٤٨) كنيته أبو العباس، وزر في أول الدولة العباسية للسفاح، ثم وزر للمنصور نحو سنتين، وعقد لخالد بن برمك على امرة فارس، ثم ولي الموصل. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤/ ص٣٥٠؛ سير أعلام النبلاء، ج٦/ص٦٢٠.

٤٩) الازدي، تاريخ الموصل، ص٢٤٤.

٥٠) عقبة بن سلم الهنائي أحد أمراء الدولة العباسية، ولي عدد من الأقاليم منها اليمامة والبحرين. اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٣٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥/ ص٢٥١.

٥١) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٩٩؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص٢١٤؛ العاني، سياسة المنصور، ص ٢٢٩.

٥٢) تاريخ، ج٢/٣٨٥.

٥٣) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن ابي صفرة الازدي، قدم دمشق بصحبة المنصور، ووجهه منها والياً على المغرب، ثم ولي مصر سنة (١٤٤هـ)، ثم ولي المغرب للمنصور وللمهدي والهادي وبعض أيام الرشيد. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٥/ ص١٣٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦/ ص٣٢١؛ الزركلي، الأعلام، ج٨/ ص ١٨٠.

٥٤) اسمه يعقوب بن حبيب، كندي بالولاء، كان من كبار الثوار في افريقية، خرج بجمع كبير من البربر في طرابلس الغرب، جعلوا أمرهم اليه سنة (١٥١هـ)، وكان شجاعاً، فهزم جيوش عمر بن حفص (أمير افريقية)، وحصر القيروان، وقتل عمر بن حفص فيها، وقد سير له جيوش بقيادة يزيد بن حاتم، فقتله سنة (١٥٥هـ) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤/ ص٨؛ الزركلي، الاعلام، ج٨/ ص ١٩٧.

٥٥) تاريخ، ج٢/ ص٣٨٦.

٥٦) تاريخ، ج٨ / ص١٠٤.

٥٧) الوليد بن طريف بن الصلت بن مالك الشيباني، أحد الشجعان، كان رأس الخوارج، وكان مقيم في نصيبين والخابور، وخرج في خلافة هارون الرشيد، فأرسل إليه هارون جيشاً كثيفاً بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني، وقتله في سنة (١٧٩ هـ). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦/ ص٣١ .

٥٨) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، كان من الامراء المشهورين والشجعان المعروفين، تولى العديد من ولايات منها: أرمينية وأذربيجان، تولى قيادة الجيش لمحاربة الوليد بن طريف الشاري، وقتله سنة(١٧٩هـ). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦/ ص٣٢٧.

٥٩) مجهول، العيون والحدائق، ص٢٩٦ .

٦٠) إبراهيم بن الأغلب بن سالم، كان من وجوه مصر، وهرب الى ناحية الزاب، احد نواحي القيروان، واخذ الرياسة في تلك المنطقة، فاستعمله هرثمه على ناحية الزاب، ولما تولى المغرب محمد بن مقاتل المكي، وأساء وظلم الناس، فقاموا عليه ثورة، فنجده ابن الاغلب، واعاده الى القيروان بعد ان طردوه منها، وبعد ذلك ولي ابن الاغلب القيروان، وكان فقيها خطيباً شاعراً. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤/ ص١٠٦٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥/ ص٢١٥ .

(٦١) افريقية أسم البلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي أخرها الى قبالة جزيرة الاندلس والجزيرتان في شمالها، تم فتحها في خلافة عثمان بن عفان سنة (٢٩هـ)، ففتحها عنوة وصالح أهلها على ألف ألف وخمسمائة ألف وعشرين الف، ولم يولِ على افريقية أحد، وفي سنة (٥٠هـ) أستطاع عقبة بن نافع من السيطرة عليها، واستقروا فيها، واختط مدينة القيروان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٢٢٨.

(٦٢)إبراهيم بن الأغلب بن سالم، كان من وجوه مصر، وهرب الى ناحية الزاب، احد نواحي القيروان، واخذ الرياسة في تلك المنطقة، فاستعمله هرثمه على ناحية الزاب، ولما تولى المغرب محمد بن مقاتل المكي، وأساء وظلم الناس، فقاموا عليه ثورة، فنجده ابن الاغلب، واعاده الى القيروان بعد ان طردوه منها، وبعد ذلك ولي ابن الاغلب القيروان، وكان فقيها خطيباً شاعراً. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤/ ص١٠٦٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥/ ص٢١٥ .

٦٣) عبدالله بن سعيد الحرشي لم نعثر على ترجمه له في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

٦٤) إسحاق بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، أبو يعقوب، كان من ذوي الاقدار العالية، وولي للرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند، وولي لمحمد الأمين حمص وأرمينية، توفي في بغداد. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧/ ص٣٤٠.

٦٥) تاريخ، ج٨ / ص٣٣٥.

٦٦) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٣٣٥.

٦٧) اسمه الفضل بن سهل بن عبد الله ، كنيته أبو العباس، كان من أولاد ملوك المجوس، واسلم أبوه في أيام هارون الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي، والفضل والحسن ابن سهل والفضل وجعفر ابني يحيى بن خالد، فضم جعفر بن يحيى الفضل بن سهل الى المأمون، وهو ولي عهده، وفوض اليه المأمون لما استخلف اموره كلها. الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤/ ص٢٨٩.

٦٨) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٣٦٩؛ الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٧٤.

٦٩) رجاء بن ابي الضحاك لم نعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

٧٠) تاريخ، ج٢/ ص٤٤٨.

٧١) تاريخ، ج٩/ ص٨٢ .

٧٢) شذرات الذهب، ج٣/ ص٧.

(٧٣) حسن، تاريخ، ج٢/ص١٥٢.

٧٤) محمد بن إبراهيم الزيادي، من احفاد عبيد الله بن زياد بن ابي سفيان، وقد غلب على اليمن، فكان ذلك اول قيام الدولة الزيادية. السقاف، الموسوعة التاريخية، ج٢/ ص٩١.

٧٥) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٣٦٩؛ الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٨٠.

٧٦) الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٨٠؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٢/ص٥٩.

٧٧) محمود، تاريخ اليمن، ص١٢٧.

٧٨) محمد بن حميد الطوسي الأمير، كان مقدم الجيش الذين حاربوا بابك الخرمي الذي قتل في المعركة. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥/ ص٤٣٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣/ ص٢٤.

(٧٩) بابك الخرمي ظهر سنة (٢٠١هـ) ودعا الى عقيدة تناقض الاسلام وتقول بتناسخ الارواح تم انتفض على الدولة وجهز المأمون سنة (٢١٢هـ) جيشا لتأديبه، الا أنه تمكن من هزيمة ذلك الجيش ولما تولى المعتصم الخلافة جهز سنة(٢٢٠هـ) جيشا للقضاء عليه وقد أنتصر جيش الخلافة سنة (٢٢٢هـ) ووقع بابك في الاسر وأرسل الى بغداد. الأربلي، تاريخ أربل،ج٢/ ص٣٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج١٠/ ص٣٨-٤٠.

(٨٠) كور الجبال: الجبال ناحية مشهورة يقال لها قهستان، شرقها مغارة خراسان وفارس، غربها أذربيجان، وشمالها بحر الخزر، وجنوبها العراق وخوزستان، وهي اطيب النواحي هواء وماء وتربة، وأهلها اصح الناس مزاجاً وأحسنهم صورة. الأصطخري، المسالك والممالك، ص١١٥.

(٨١) أذربيجان أقليم واسع يتصل حده من جهة الشمال من بلاد الديلم والجبل والضرم ومن مدنه المشهورة تبريز وهي قصبته وسلماس وأرمينية وأردبيل. ياقوت الحموي، ج١/ص١٢٨.

(٨٢) أرمينية... تنقسم أرمينة الى قسمين كبرى وصغرى، فالكبرى خلاط ونواحيها، والصغرى نفليس وضواحيها، وسميت أرمينية نسبة الى أرمينيا بن اومر بن يافث بن نوح (عليه السلام). ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص١٥٩.

٨٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٤٦٣.

٨٤) مجهول، ص٣٧٣.

(٨٥) الطبري، تاريخ، ج٩/ص١٣٠.

قائمة مصادر البحث ومراجعه

اولاً: المصادر:

- ابن الأثير، عزّ الدين الجزري علي بن محمد بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ):

١- الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط١، دار المعرفة العلمية (بيروت ـ ١٤٢٢هـ).

- الأربلي، المبارك بن أحمد بن المبارك(ت٦٣٧هـ):

٢-تاريخ أربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصفار، وزارة الثقافة والاعلان، دار الرشيد(العراق-١٩٨٠م).

- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت٣٣٤هـ):

٣-تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، دار إحياء التراث الإسلامي(القاهرة ـ ١٣٨٧هـ).

- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ):

٤-أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ـ رياض زركلي، ط١، دار الفكر (بيروت ـ١٤١٧هـ).

- الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ):

٥-الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، ط١، مطبعة مصطفى البابي وأولاده (القاهرة ـ ١٩٣٨م).

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ):

٦-تاريخ مدينة السلام المعروف بتاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي (بيروت ـ١٤٢٢هـ).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ):

٧-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر(بيروت ـ ١٩٩٤م).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ):

٨-تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي(لبنان ـ٢٠٠٢م).

٩-سير أعلام النبلاء، دار الحديث(القاهرة- ١٤٢٧هـ).

- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ):

١٠-التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٤هـ).

أبن سهل الرازي، أحمد (ت ق ٤هـ):

١١-أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله وأخيه إدريس بن عبدالله، تحقيق: ماهر جرار، ط١، (بيروت-١٩٩٥م).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ):

١٢-الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث، (بيروت-١٤٢٠).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ):

١٣-تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: ط١، دار أحياء التراث العربي (بيروت ـ د. ت).

- ابن الطقطقا محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ):

١٤-الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، تحقيق: عبدالقادر محمد مايو، ط١، دار القلم العربي (بيروت ـد.ت).

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت٥٧١هـ):

١٥-تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر(د. م ـ ١٤١٥هـ).

- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت١٠٨٩هـ):

١٦-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير(بيروت-١٤٠٦هـ).

- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ):

١٧-البداية والنهاية، تحقيق: محمد مُحمد ثامر، دار التقوى(مصر ـ٢٠٠٤م).

- مجهول، مؤلف:

١٨-العيون والحدائق في أخبار الحقائق،ج٣، مكتبة المثنى(بغداد ـ د.ت).

- المدائني، علي بن محمد(ت٢٥٥هـ):

١٩-فتوح خراسان، تحقيق: رحيم فرحان صدام و صدام جاسم محمد، ط١، دار خالد اللحياني، (السعودية-٢٠١٨م).

- مسكوية، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب(ت٤٢١هـ/١٠٣١م):

٢٠-تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم أمامي، ط٢، (طهران-٢٠٠٠م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ/١٣١٢م):

٢١-مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس و اخرون، ط١،(دمشق ـ ١٤٠٢هـ).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ):

٢٢- معجم البلدان، دار صادر(بيروت ـ ١٩٧٧م).

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح(ت٢٩٢هـ):

٢٣-تاريخ اليعقوبي، ط٢، (بيروت ـ ١٤٣١هـ).

ثانياً: المراجع:

- حسن، إبراهيم حسن:

٢٤-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل (بيروت ـ ٢٠١٠م).

- الخضري بك، محمد:

٢٥-محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، تحقيق: نجوى عباس، مؤسسة المختار(د .م ـ د . ت).

- السقاف، علوي عبد القادر وأخرون:

٢٦-الموسوعة التاريخية والدرر السنية، (د . م -د . ت).

- الزركلي، خير الدين:

٢٧-الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين)، ط١٥، دار العلم للملايين (د . م ـ٢٠٠٠م).

- العاني، حسن فاضل زعين:

٢٨-سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، دار الرشيد (د . م ـ د . ت).

- محمود، حسن سليمان:

٢٩-تاريخ اليمن السياسي في العصر العباسي، ط١، (د . م -١٩٦٩م).

آثر وزراء المغول في الدولة الأليخانية في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية

The impact of the Mongol ministers in the Ilkhanid state on political life administrative and social

الباحثة رشا علي ياسين
مديرية تربية محافظة واسط

أ.د. اسراء مهدي مزبان
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The subject of the research dealt with the role of ministers in the political, administrative and social life of the Ilkhanian state that arose in Persia and Iraq after the campaign that Hulagu led against Baghdad, which resulted in the fall of the Abbasid caliphate. At the hands of some of them, and it also included periods of political and administrative turmoil and economic deterioration as a result of the preoccupation of the ministers in their struggles to reach power and obtain the Ilkhan's satisfaction, in addition to winning over the princes to their side using various methods and methods, and it is noted that all the ministers of the Ilkhan state were killed as a result of a slander or conspiracy except Minister Ali Shah, who died naturally, if the ministers were threatened, tortured, imprisoned, and then killed, even if they did not commit any crime or sin, but rather malicious accusations from the competing minister, especially when more than one minister participates in the position of the ministry, so each of them tries to entrap the other whatever it takes From crooked means such as paying bribes and money to influential princes, albeit at the expense of the state treasury, due to the length of the rule of the Alkhanate state and the multiplicity of its ministers.

الملخص

تناول موضوع البحث دور الوزراء في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية للدولة الاليخانية التي نشأت في بلاد فارس والعراق بعد الحملة التي قادها هولاكو على بغداد وكان نتيجتها سقوط الخلافة العباسية ، وبرز دور الوزراء بشكل واضح من خلال المؤامرات العديدة بغية الوصول للسلطة او من خلال الاعمال والانجازات التي تحققت على ايدي البعض منهم ،وتضمن ايضاً فترات من الاضطراب السياسي والاداري والتدهور الاقتصادي نتيجة لانشغال الوزراء في صراعاتهم للوصول الى السلطة والحصول على رضا الاليخان ،اضافة الى كسب الامراء لجانبهم مستغلين مختلف الطرق والاساليب ، ويلاحظ ان جميع الوزراء الدولة الاليخانية قد قتلوا نتيجة لوشاية او مؤامرة عدا الوزير علي شاه الذي توفي بشكل طبيعي اذا تعرض الوزراء للتهديد والتعذيب والسجن ثم بعد ذلك القتل ،حتى وان لم يرتكبو اي جريمة او ذنب وانما هي تهم كيدية من الوزير المنافس خاصة عندما يشترك اكثر من وزير على منصب الوزارة ، فيحاول كل منهما الايقاع بالأخر مهما تطلب من وسائل ملتوية كدفع الرشاوي والاموال للأمراء المتنفذين وان كان ذلك على حساب خزينة الدولة ،نظرا لطول حكم الدولة الالخانية وتعدد وزرائها واقتصر البحث على ثلاثة وزراء وهم :علاء الدين الجويني وسعد الدولة اليهودي وصدر الدين الزنجاني ودراسة اثارهم السياسية والادارية والاقتصادية.

كلمات مفتاحية:(الجويني، الوشاية، الايلخانية، الوزراء، علاء الدين الجويني)

اولا :- علاء الدين الجويني واخيه شمس الدين الجويني .

يعد علاء الدين الجويني(١) من ابرز الشخصيات التي حكمت بغداد في مساعده اخي شمس الدين الجويني(٢) الذي تقلد منصب الوزارة وخلال فتره حكم الجويني الطويلة(٣) لم تكن تخلوا من الاعداء والتآمر ضده هو لغرض القضاء عليه نتيجة الحسد والحقد و الشعور بالغضب تجاه هذه العائلة وابتدأت المؤامرات من تسلمه لمنصب في حكومة بغداد حين تعرض لوشاية من قبل مجموعة من اعيان بغداد(٤) وهم على بهادر شحنه بغداد ويسانده نجم الدين احمد الباجسيري و عماد الدين القزويني اتصل هؤلاء الاعيان بهولاكو وابلغوه بان الجويني قد استحوذ على اموال حكومة بغداد(٥) وبعد اجراء تحقيق معه امر هولاكو بقتله لكنه اصدر عنه العفو وعوقب بحلق لحيته(٦) وكان الى اخيه شمس الدين دور في اصدار مرسوم الاعفاء وابراء اخيه من التهم الموجهة له بعد سنه وعاد الاعتبار اليه(٧) وتوعد الشحنة بقوله((الشعر اذا حلق ينبت والراس اذا حلق لم ينبت))(٨) فدبر لقتلهم فأعدم في سنه ٦٦٠ هـ عماد الدين القزويني اما علي بهادر اعدم سنه ٦٦١هـ(٩) واشار ابن الفوطي الى وشاية تعرض لها الجويني من قبل نجم الدين عمران(١٠) اذ توجهت له تهمه بانه اطلق سراح احد الابناء من اسره العباسيين من احد سجون المدائن فاصدر هولاكو امر باعتقاله واسنادا عمال الديوان الى نجم الدين الذي كان يتولى صدر الحلة والكوفة غيرانه داهمه الموت بوصوله بغداد ولم يباشر اعماله(١١) فأسندت مسؤوليه الإدارة من جديد لعلاء الدين المسؤول المباشر عن ديوان العراق وشؤون الحكم في بغداد(١٢) في سنه ٦٢٢هـ تعرض الصاحب لوشاية اخرى التي كان من الممكن ان تؤدي بحياته من قبل قرابوغا شحنه بغداد ونائبه اسحاق الارمني في محاوله للخلص منه اتفقوا من احد الاعراب ان يقول بين الناس بانه تم استدعاؤهم من الباديه الى بغداد من قبل حاكمها ليكون دليلا له على طريق يتوجه به الى الشام كون الصاحبي يريد ان ينقل الى الممالك واخذ الاعرابي في حديث بث دعايته واشاعاته بين عامه الناس(١٣) وتعد هذه التهمه من ابشع التهم التي يمكن ان يتهم بها شخص ما في تلك الفترة بسبب الصراع والعداء المستمر بين الدولتين الاليخانية والمملوكية

وبمساعده من شمس الدين عرض الامر على اباقا خان وامر باستدعاء الاعرابي وبعد التحقيق اعترف تحت وطأة الضرب والتعذيب انه افترى على علاء الدين وان من كلفه بذلك اسحاق الارمني فاصدر اباقا اوامره بقتلهما وعزل الشحنة من منصبه(١٤) واعيد علاء الدين الى بغداد وابقاءه في منصبه اصبح علاء الدين عرضه للوشايات اثر النجاح الذي حققه فأثار الحسد والحقد في نفوس الاخرين دبرت مؤامرة اخرى من نقيب النقباء تاج الدين علي بن محمد بن رمضان الحسني العلوي المعروف بابن الطقطقي(١٥) وكان من اثرياء العراق عمل على ازاحه علاء الدين من منصبه وحصل من الاموال والعقار ما لا يكاد تحصى ويستأجر الاملاك الخاصة بالديوان فحقق بذلك ربحاً كثيرا و تأجير اراضي زراعيه واصحاب الناس قحط شديد وعمل على تسعير الغلات بأعلى الاثمان وضربه المثل في الغلاء فقيل غلاء ابن الطقطقي(١٦) ووصل به وقع الكتاب بيد الوزير شمس الدين الجويني فارسل الى اخيه ليبلغه بما حدث من مؤامرة ضده وكتب عليه يقول:

كم لي انبه منك مقله نائم. يبدي سباتا كلما نبهته

فكأنك الطفل الصغير بمهده يزداد نوم كلما حركته(١٧)

فما كان من علاء الدين الا ان ينتقم ويتخلص من تاج الدين فحرض جماعه وقتله فقتلوه وهربوا الى موضع ظنوه مأمنا ، امرهم صاحب الديوان فخرج صاحب الديوان من ساعته الى ذلك الموقع فقبض على اولئك الجماعة وامرهم فقتل واستولى على اموال النقيب واملاكه وذخائره(١٨) وفي الوقت ذاته امر بالقبض على هؤلاء الجماعة وقتلهم(١٩)، اما ابن الفوطي فيتذكر في حوادث سنة ٦٧٢ هـ ان مقتل تاج الدين كان من قبل مجموعه من اهالي الحلة وضربوه بالسيوف(فلم يزل الصاحب علاء الدين يفحص عن قاتليه حتى حصلهم وقتلهم ، ثم اخذ اكثر املاكه بشبه ما بقيه عليه من ضمان الاعمال العملية)(٢٠).

وشاء الحظ العاثر للجوبين ظهور منافس خطير في الميدان وتعرض لمحن ومؤامرات عديده وكان هذا الشخص هو مجد الملك اليزدي(٢١) وكان يسال القضاء في الباطن على هذه الأسرة بدل من ان يظهر اخلاصه لهم وسول له الشيطان ان يستأثر بمنصب صاحب الديوان فصار يلفق التهم للجوينين و يحيك ضدهم المؤامرات(٢٢) تهيأت له الفرصة للإيقاع بالأخوين عندما تحدث ذات يوم مجد الدين ابن الاثير(٢٣) نائب علاء الدين سمع حديث يدور عن قوه المماليك في مصر وقوتهم وكثره عددهم استغل هذا القول واخذ يصوغه لصالحه وان لا يضيع هذه الفرصة فوشي به عند احد قاده المغول وهو ييسو بوقا كوركان واتهمه ان علاء الدين على اتصال بالمماليك مصر وينتظر قدومهم وان الاخوين يترقبان مجيء المصريين لتسليمهم بغداد فما كان من القائد المغولي الا ان نقل هذا الكلام الى الاليخان اباقا و امر باعتقال مجد الدين بن الاثير والتحقيق معه حول الحديث الذي نقله مجد الملك ولما لم تثبت التهمه عليه سلم مجد الدين الصاحب الى شمس الدين وعامله برحابه صدر(٢٤) واشار صاحب تاريخ وصاف في تنبيه شمس الدين لأخيه بقوله:

وكيف يؤثر قول الوشاه فديتك في عرضك الانبل

فأن سعايتهم في علاك كضرب العقارب في جندل(٢٥)

اخذ يبحث عن مؤامرة جديده يمارس فيها الخديعة والمكر واتته الفرصة عندما غادر اباقا من تبريز متوجه الى خرسان في اواخر سنه ٦٧٨هـ ١٢٧٩م اتصل مجد الملك بالأمير اراغون ابن اباقا خان عن طريق الاشخاص المقربين واستعمل اسلوب الوشاية للإيقاع به حيث قال(انه منذ اكثر من عام كان يريد ان يبوح بما يعرفه من خيانة شمس الدين واخيه للأمراء والمقربين انه كلما يبادر بالكلام علم به صاحب الديوان فكان يعطيهم رشاوي كثيره من اموال الملك ثمننا لسكوتهم وكتمان الكلام)(٢٦)

لم يتخذ الاليخان اجراء بشان ذلك ويبدا انه تناسى الامر لم يمضي وقت طويل حتى استطاع مجد الملك مقابله الاليخان بواسطه الامير طغاجار(٢٧) وهنا اخذ ينفث بسمه وحقده على الصاحب واخبره بكل ما قاله سابقا للأمير اراغون وزاد عليه فلقيت وشايته اذن مسموعة من الاليخان والذي اوفد الرسل لاعتقالهم وحضورهم امامه مع سجلاتهم للتمكن من التحقيق(٢٨) وظن مجد الملك ان جهوده قد اثمرت للنيل من الجوبينين لكن الوزير شمس الدين عرف كيف يدرأ الخطر عن نفسه وبحكم اتصالاته وعلاقته القوية بالأسرة الحاكمة فقد لجا الى زوجه هولاكو اولجاي خاتون(٢٩) فشفعت له وبعد ان اكتب وثيقه او حجه على نفسه يعترف فيها ان جميع الاملاك التي تحصل او اشتراها خلال فتره الوزارة هي

ملك للسلطان و تطلع شمس الدين ان ينقذ نفسه من هذه المكيدة وامر بان يعود نواب الصاحب وعدم التعرض لهم وممارسه اعمالهم وبذلك كان لاولجاي خاتون دور كبير في انقاذ الأسرة الجوبين من الحادثة التي كان من الممكن ان تكلفهم حياتهم(٣٠).

شعر مجد الملك بالخوف واليأس(شعر انما ينطح الصخر يحارب السحاب)(٣١) كتب الى اباقا في محاوله يائسة ورد فيها(حيث ان الملك شمل صاحب الديوان بالعناية والعطف فلا امان لي منه في اي لحظه فألتمس من الملك اما ان يودعني خدمة احد الامراء لكي يدفع عني شر صاحب الديوان او ان يأذن لي بمغادره البلاد) فأجاب الاليخان اني وان كنت اعتمد علي صاحب الديوان لم اغضب على مجد الملك وعليه ان يلزم البلاط مع طغاجار وجوشي واردوقيا وهم كبار الامراء(٣٢) ومن ما لا شك فيه ان هذا الخطاب يعني حدوث تطور خطير لصالح مجد الملك فقوي موقفه وزال عنه الخوف بعد ان اصدر الاليخان امرا بتولي مجد الملك الاشراف على الممالك التابعة للدوله الايلخانية(٣٣) ومشاركه شمس الدين في الحكم واعلن ذلك امام الامراء والخواتين(٣٤)، ولما شعر بعجزه عن النيل من صاحب الديوان تحول الى اخيه عطا ملك والعمل على ايذائه بتحريض عماله ومرؤوسيه على التمرد عليه فتخذ الاسلوب نفسه الذي اتبعه سابقا مع اخيه شمس الدين وهي الوشاية ودسائس بالهبات والرشاوي حتى يغيرهم عليه يتم له ما اراد حيث بدأوا يكيدون له ويتهمونه بالاختلاس(٣٥).

وقد ذكر الهمذاني ان اخلص خدامه انضموا الى اعدائه واخذ يوجه له تهم ويروج الاقاويل والوشايات ضده وهو مجد الدين بن الاثير:(ان لك في الموقع الفلاني كذا وكذا وعند الشخص الفلاني كذا وكذا)(٣٦) وفي ذلك مواجهه جريئة من قبله ضد عطا ملك حيث دفع تحت تأثير مجد الملك ولما احس شمس الدين خطورة الوضع وتزايد الاعداء وتكالبهم على اخيه ارسل اليه يحذره(لا تنكر شيء قط حتى لا يلحق بك اذى فقد قيل لا بارك الله بعد العرض في المال)(٣٧) استجاب علاء الدين تحذير اخيه ووافق على دفع مبلغ ثلاثمائة الف تومان وهو مبلغ ضخم ورغم ذلك طالبوا بزياده حتى بلغت النهاية وسوء الاقدار بجلب علاء الدين مقيدا بالسلاسل والاغلال الى بغداد فأضطر لبيع كل ما يملك(٣٨)، فلحق مجموعه من كبار الامراء بأمر من السلطان علاء الدين ولحقوا به في تكريت واعلموه بأمر اباقا في استيفاء الاموال ويتضح من ذلك انا اقوال اصحاب الاغراض قد اثرت تأثيرا حاسما في خاطر السلطان(٣٩).

اتجه عطا ملك بصحبه الامراء المغول الى بغداد وسلمهم ما كان موجودا في الخزانة وكل ما اذخره عليه عن طريق الميراث و ما في داخل البيت وكل ما عليك قصور ودور ضيافة حتى الدواب وكل ما يخص ابنائي(٤٠) وتعهد على نفسه انه لو ظهر فيها بعد ذهب ولو بمقدار درهماً واحدا مدفون في الارض او مودعه لدي احد لاحق على العقاب وجيت علي المؤاخذة(٤١) حاوله شمس الدين بكل الوسائل المساعدة لأخيه وجمع الاموال اللازمة واقترض ما يستطيع وحمل كل ما يستطيع وتوجه بها الى حضره السلطان لكن كل ذلك لم ينقذ اخاه من الورطة واصدرت الاوامر الى مجد الملك(٤٢) والامير المغولي طغاجار في القدوم الى بغداد واستخراج الكنوز والجواهر الدفينة(٤٣) حيث عهد الى الحاسدين واعداء جوبين القيام بالبحث والتفتيش وبذلوا جهد كبير في البحث ووصلت حتى نبش القبور في المقبرة

الموجودة في رباط بغداد ومدرستها ولما لم يعثروا على شيء قاموا بحرق الاثاث والملابس و الأطعمة والأشربة(٤٤) ولم يقتصر الامر على ذلك انما سجن وعذب عطا ملك مع نوابه وخدامه لاستيفاء الاموال(٤٥) منهم وفي النهاية استطاع اخيه شمس الدين ان يخلص عطا ملك بعد تدخل الامراء والخواتين وطلبوا الصفح والعفو ومنهم الامير قونقوراتاي(٤٦) والأميرة بلغان خاتون(٤٧) واستجاب لهم السلطان واخرج من الحبس في سنه ٦٨٠هـ(٤٨).

تنفس الجوينيون الصعداء بتولي السلطان احمد العرش فاصدر الامر للأفراج عن علاء الدين(٤٩) كونه كان مقتنع ببراءته وعاد شمس الدين بحكومة خراسان ومازندران واران والعراق(٥٠) و تولى هارون ابنه على ديار بكر و اربيل والموصل واقر علاء الدين على حكومة العراق(٥١).

استمر مجد الملك بدسائسه حتى بعد اقصائه من الحكم وارتفاع شان الجوينين من جديد واشتعلت نار الحسد والحقد في نفسه وبفشل كل المحاولات السابقة لجا الى الامير اراغون و ارسل له يقول(انني من خاصتك ، وان صاحب الديوان هو من اعطى اباك السم ، ولأنه يعلم اني مطلع على هذا الامر وملم به فانه يعمل على القضاء عليه ، فيجب ان يكون الامير على علم اذا مسني الضر)(٥٢) بهذا الاتصال فتح مجد الملك الباب على نفسه للتهمة بالتواطؤ مع اراغون ومراسلته وكان لدور سعد الدين ابن شقيقه الذي اطلع على هذا الخطاب المرسل بنقلها الى السلطان تكودار بسبب موقفه من مجد الملك الذي عزله من منصبه بسبب ظهور خيانته فأفلس وتودد الى بعض اصحاب شمس الدين الذي وعده بوظيفه(٥٣) اصدر السلطان احمد امره بالتحقيق مع مجد الملك بما نسب اليه من قبل القائد الاعلى للجيش سونجات نويان واروق احد كبار امراء المغول(٥٤) كانت بداية النهاية لمجد الملك عند التفتيش عثر على بعض الاوراق وقطعة من جلد الاسد مكتوبة بخط غير مقروء باللغة العبرية عليها تعاويذ تشير الى السحر فقدموه للمحاكمة حول هذه المسالة و للتأكد من الامر استدعى السحرة والكهنة فقالوا(تنقع التعويذة في الماء ويشرب مجد الملك من عصارتها كي يلحق به شر هذا السحر) رفض مجد الملك القيام بالأمر وان الشيخ عبد الرحمن اعدها ووضعها بين امتعته لا لصاق التهمه به وان هذا التدبير مكر ومكيدة(٥٥) امر السلطان بتسليمه لخصومه(٥٦) جزاء الدسائس التي كانت اجمعه اباطيل وافتراءات فقتل في جماد الاول ٦٨١هـ ١٢٨٢م(٥٧)، وتم القضاء على الفتنة التي ارهقت الجوينين لفترة طويله وكانت السبب في المصائب التي حلت بهم لم يطل الامر لعلاء الدين اذ ادركه الموت بعد سته اشهر من موت خصمه اللدود في الرابع من ذي الحجه عام ٦٨١هـ ١٢٨٢م(٥٨) وصلت الاخبار الى شمس الدين بمقتل احمد تكودار واعتلاء اراغون عرش الاليخانية حاول جاهداً ان يبعد نفسه عن الحساد والمتآمرين لم يتوفر له الهدوء طويلا اذ نشب بينه و بين صديقه بوقا خلاف بسبب الوشاية من قبل بعض اتباع واعداء شمس الدين الذين صاروا يحذرون بوقا من اتساع نفوذ لما يتمتع من ذكاء(٥٩) والتي ستجعل منه منافس خطير يجب الحذر منه تخلي بوقا عن صداقته القديمة بتأثير النميمة والوشاية وخوفا على مصلحته من تنامي نفوذ شمس الدين من جديد فحذره الوشاة بقولهم(ان نفوذك لم يستمر قوياً منتعشاً مادام الصاحب تدخل في امور الملك والمال لان الصاحب سوف يسلك سبيل التملق بضعة ايام وبعد ان يتمكن من تثبيت اقدامه سوف يسلبك سلطانك ايضاً مثلما فعل مع سائر الامراء)(٦٠)، فأمر اراغون بمحاكمته ولم ينفعه دفاعه

عن نفسه من التهمه التي الصقت به مطالبه بدفع الفي تومان لكنه لم يستطيع جمع المبلغ فباع املاكه مقترض من اهله واصحابه هو من الاخيار سوى اربعون تومان من الذهب(٦١) وصدر الامر بقتله فقتل على باب مدينه اهر(٦٢) في اذربيجان يوم الاثنين ٤ شعبان ٦٨٣هـ – ١٢٨٤م(٦٣) ودفن الى جانب اخيه في مقبره جرنداب(٦٤) فكانت نهاية مأساوية للوزير الاعظم والشخصية الاولى في المملكة الاليخانية والذي وزر لمده تسع وعشرين سنه لوالد اراغون و عمه وجده(٦٥) ويشير ابن العبري(كانت هذه اخره مثل ذلك الرجل العظيم المهيوب الحكيم ، التي كانت الدوله باسرها معلقه بخنصره ، وكان عنده العقل والخبرة وكان كاملا بجميع السياسات والتدابير والتواضع الحسن ، ويقولون عنه انه ما سعى احد بالسلام بل هو كان يبتدي من تقدم اليه)(٦٦).

ثانياً :سعد الدولة اليهودي(٦٧)

وخلال وظيفته اظهر كفاءه وقدره لفرض شخصيته لتمتعه بالقدرة والاحاطة بالأمور واصبح الحاكم الفعلي لبغداد ولم يعد لصاحب الديوان قتلغ شاه ومساعده مجد الدين اي نفوذ(٦٨) ، تم استدعاءه ليكون ضمن الاطباء في بلاط الاليخاني فقد ذكر خواندميمر ان سعد الدولة طلب من اقاربه يساعدوه من الاطباء الذين يعملون في البلاط الاليخاني وجد فيه الذكاء والكفاءه لخدمه اليهود فرغبوا ان ينضم اليهم فتحدثوا الى الاليخان اراغون بحديث ظاهره مصلحه الاليخان وفي الباطن المصلحة الخاصة لليهود وادخاله لبلاط الاليخان فذكر له ان سعد الدولة يمضي اوقاته في فراغ بدون عمل في دلاليه بغداد وضرب عرض الحائط الخدمة في الاوردو ولأنه يتقاضى تكاليف معيشته من اموال سلطان فأنه من المناسب ان يعمل مثلنا من الصباح حتى المساء ولا يسمح له بالتغيب عن معسكر السلطان(٦٩) فاصدر الاليخاني اوامره باستدعائه الى تبريز للعمل ضمن الاطباء الخاصين بالاليخان(٧٠) وصادف ان مرض اراغون فوصف له سعد الدولة علاج خفف من المه و تماثله للشفاء فاصبح من المقربين لديه(٧١) استغل سعد الدوله الفرصة وبدأ يسرد للاليخان عن اسراف النواب و الكتاب في جميع البلاد مستغل ميل الاليخان الشديد وشغفه بجمع الاموال واسر اليه: (ان الذين يديرون ولاية بغداد لا يتركون سوى شيء من الاموال يصل لخزانه ديوان الممالك فضلا انهم فتحوا ابواب الظلم والعداء على مصراعيها بين الناس واصبح العدل في الولاية في تراجع ونقصان)(٧٢) وعن طريق هذه الوشاية تحصل على امر بالتوجه الى بغداد برفقه كل من ارويقيا وبيان شكورجي ٦٨٦هـ – ١٢٨٧م لمعرفة احوال العمال وتحصيل الاموال ومكافحة الاسراف وايفاء متطلبات الديوان(٧٣) استطاع جمع اموال طائله في فتره وجيزة وقدمها للاليخان في تبريز فعينه في وظيفه المشرف على جمع وانفاق امول بغداد، فنال اعجاب اللايخان عند توجه لبلاطه فقرر تعينه مسؤول ديوان المالك اللاليخاني بعد ما قال عنه اردوقيا وهو من كبار الامراء(لقد ادخل سعد الدولة كل هذه الاموال الى الخزانة العامرة على دفعتين وذلك من خلال ولاية واحده ، وخلال ومده قصيره جدا ، وانتهى من مراجعه تنظيم حساباتها ومعاملاتها بمنتهى الدقة، كما عمر تلك الولاية ، فلو توكل اليه مهمه الاشراف على جمع وتنظيم اموال جميع ولايات السلطنة ، لا وصل احوال الخزانة والدولة الى درجه يحتار العقل الخبير امامها ويعجز من حيث تنظيم امور الرعية ، وتوفيره الرفاهية لأهالي كل مدينه وولاية)(٧٤).

ادرك سعد الدولة انه لا يمكن التمتع بالاستقلالية والحصول على السلطة دون التخلص من بوقا وهو من اقوى امراء المغول وذات نفوذ كبير وله الدور الكبير في وصول اراغون لعرش الاليخانية(٧٥) بدأ في اتخاذ طريق النميمة والوشاية والعمل على تقويض نفوذه خاصة ان هنالك عدد من الامراء المغول كانوا خانقين على انفراد بوقا في السلطة فألتفت المصالح بين الجانبين ونجحت مساعيهم خاصة بعد جمعه للأموال من حكومة بغداد حيث تأكد الاليخان ان بوقا واخيه اروق الذي كان حاكم لبغداد يستولي على الاموال لنفسه ووجدت الاتهامات والتحريض هوى في نفس اراغون خان فأخذ يضيق الخناق على بوقا وعزل نوابه من مناصبهم وعزل اروق وتعيين سعد الدلة مسؤول عن احصاء الدخل والخرج لحكومة بغداد واسترجاع الاموال التي حصل عليها اروق(٧٦) احس بوقا بخروج الامور من تحت يديه ولم يسعه الا ان يبدأ بتدبير مؤامرة للإطاحة باراغون خان واستماله جماعة من امراء المغول وكسب جوشكاب(٧٧) لجانبه لكن جوشكاب اخبر اراغون بالمؤامرة وتم اعدامه بعد ثبوت التهمة في ٦٨٧هـ -١٢٨٨م(٧٨) ارتفعت مكانه سعد الدوله بعد ازدياد ثقه الاليخان ارغون به فاسند اليه منصب الوزارة(٧٩) في سنه ٦٨٨هـ - ١٢٨٩م(٨٠)

وظهر بنواياه الحقيقية ضد المسلمين حتى وصل الامر بانه اقنع ارغون انه نبياً وان النبوة انتقلت من جنكيزخان اليه بالوراثة وان عليه ان يقضي على كل شخص يخالف ديانته ولا يقبل في الملة الجديدة(٨١) واتفق علي تحويل الكعبة المشرفة الى بيت للأوثان والاصنام وتحويل المسلمين الى عباده الاوثان(٨٢) وجد هذا الكلام قبول لدى ارغون فارسل شخصا يعرف نجيب النحال من اليهود الى خرسان ليقضي على مائتين شخص من اعيان واغنياء البلاد ويحول الى ديوان الممالك اموالهم واملاكهم(٨٣) وكلف شمس الدولة بقتل عدد من علماء ومشايخ اصفهان الذين عرفوا بسمعتهم الطيبة(٨٤) ضاق الناس ذرعاً من تصرفات الوزير واخذ اعداءه يترقبون الفرص للإيقاع به وهيئات لهم الفرصة بمرض اراغون في تبريز وعجز الاطباء عن معالجته(٨٥) لما احس سعد الدولة انه شمسه اوشكت على المغيب اراد استماله الناس ويكفر عن سيئاته على ان يكون ذلك سبيل في انقاذه من الهلاك حاول سعد الدولة الاتصال بغازان بن ارغون يستدعيه ليتولى الحكم في محاوله يائسة منه لاستماله عطف الامير ويدافع عنه ضد اعدائه لكن الامراء اجتمعوا في دار الامير طغاجار قبل وصول غازان من خرسان واتفقوا القبض على سعد الدولة والتخلص منه فسيق الى منزل طغاجار وفوتو عليه فرصه الاتصال بغازان خان وقتل في سنه ٦٩٠هـ(٨٦).

يمكن القول ان فتره تولي سعد الدولة الوزارة ارهقت الدولة من الناحية الادارية وطرقه لجمع المال بشتى الوسائل لا رضاء ارغون ومن الناحية السياسية حيث اصبحت الدولة ساحه للصراع بين الامراء ونتيجة الامر القتل لكل من يشكك في اخلاصه ناهيك عن الحالة الاجتماعية التي تعرض لها المسلمون من اذى وتهميش طوال هذه الفترة.

ثالثاً: صدر الدين الزنجاني(٨٧).

سند الاليخان كيخاتو بعد توليه العرش منصب الوزارة الى صدر الدين الزنجاني وصار الشخص الاقوى والاول في الدولة ومنزلته مع منزله القائد العام للجيش المغولي(٨٨) واشار خواندمير لمكانته

بقوله(كما اعطاه خاتما ذهبيا واطواق وطبلاً، وخصص له عدد من العسكر ، ووضع في يديه صاحب الديوان مهمه التصرف في جميع مهام الوزارة والادارة وبلغ كوكب اقبال صدر الدنيا في نفاذ امره وعلو شانه ومزيد اقتداره وكمال اختياره اوج الرفعة والشرف فغرق في ماء الخجل لكثرة ما خص به السلطان من جواهر...)(٨٩).

كان لتوسع نفوذه وسلطاته وبدا بأنفاق اموال طائله واتبع البذخ والاسراف ومنح الهدايا والعطايا من اجل استمالتهم لجانبه(٩٠) اتى اسرافه بنتائج عكسيه على الدولة الايلخانية فصارت الخزانه مهدده بالافلاس وزاد الامر سوءا انتشار الوباء بين قطعان الماشيه والاغنام خاصه الموصل وديار بكر وبغداد وكانت تشكل مورد هام لخزينه الدولة(٩١) فكان لابد من البحث عن حل سريع لهذه الازمه المالية لا صدار عمليه ورقيه تسمى الجاو بدلا من التعامل بالذهبية والفضة(٩٢).

بعد الصراع بين با يدو وكيخاتو على الحكم والثوة التي قام بها بايدو ضد تصرفات اللاليخان السابق(٩٣) اختار بايدو لمنصب صاحب الديوان جمال الدين الدستجراني واتخذ لقب الوزير اما سعد الدين فيكون نائب عن الامير طغا جار في بلاد الروم وديار بكر وتوابعها(٩٤) وكان سبب اقصاء صدر الدين الزنجاني هي الاسراف والتبذير وتلاعبها بأموال الدولة(٩٥) وكان له دور في الحرب بين بايدو وغازان والانضمام الى غازان وذكر البناكتي الى ذلك قائلا((هرب صدر الدين واتصل بغازان وقال على لسان طغا جار متحدثا عن ولاء واخلاص وميل القاده الاخرين و ضعف بايدو))(٩٦) وان صدر الدين عند اتصاله بغازان وحثه على مهاجمه بايدو وانتزاع العرش منه قال له((لقد حان الوقت لكي تضع قدمك في الركاب و تداهم بايدو))(٩٧) بعد ان جلس غازان على العرش دخل تبريز في العاشر من شهر ذي الحجه ٦٩٤هـ – ١٢٩٤م(٩٨)، فتولي صدر الدين الزنجاني منصب الوزارة وهي المرة الثانية التي يتولى بها هذا المنصب كانت الاولى في عهد كيخاتو والثانية في عهد غازان تثمينا للجهود الكبيره في ايصاله للحكم(٩٩) فاسترجع نفوذه من جديد واعاده توزيع الوظائف لاتباع وانصاره فجرد الامير نوروز من السلطة المطلقة لم يحتمل نوروز وهو القيادي العسكري والسياسي البارع وجود منافس له فقرر ان يعمل على اطاحته من الساحة السياسية(١٠٠) بدا الامير نورز بوشايته ضد الوزير حيث اتهمه تدبير مؤامرات ضد غازان مع عدد من الامراء فقبض عليه واصدر امر بقتله وكان التحقيق في القضية ان بعض العمال والمسؤولين من الذين قلل صدر الدنيا من تدخلهم في اعمال السلطة ذكروا انه كان متفق معهم في المؤامرة(١٠١) وتعيين جمال الدين الدستجراني لمنصب الوزارة(١٠٢).

وبعد صدور الاوامر بقتله تدخل الامير هرقداق وهو احد قواد غازان استطاع اقناع السلطان ببراءة الوزير وكان قد انقذه من القتل بأن ارسل الى حراس صدر الدين الذين كانوا مكلفين بقتله واقتادوه الى الغابة ان ليقوم بالمهمة بتأجيل الحكم الى الصباح وحين استطاع هرقداق من اثبات براءة الوزير صدر الدين(١٠٣) عندما عرض قائمه بأسماء المتمردين لم يكن اسم الوزير من بينهم فاصدر السلطان امرا بالعفو عنه واعادته الى منصبه(١٠٤) وكانت هذه المرة الثالثة التي تولى فيها الوزارة صمم الوزير على الانتقام من الامير نوروز لوشايته ومواقفه السابقة(١٠٥) منه استغل صدر الدين الوضع ووجد الفرصة مناسبه للانتقام من الامير نوروز بدأ مع اخيه قطب الدين جيهان بتزوير رسائل موجهه الى امراء

مصر والشام على لسان الامير نوروز لتوجيه الاتهام له(١٠٦) وكان مضمون الرسائل((ان السلطان مسلم بحمد الله ومنه ولكن بما انني اريد تقويه دين الاسلام وتدعيمه يمانع الامراء في ذلك واذا فالمؤمل ان نتفق معا على القضاء عليهم ليكون عملنا مستحسننا ومقبولا شرعا وعقلا وقد كتبت انا نفسي الي اخوي لكزي وحاجي قال لهما ان استطعتما تدارك الامر قبل اتفاقنا فافعلا والا فعلنا نحو ذلك وبهذا احرر ايران واسلمها لكم))(١٠٧) وضعت الرسائل المزورة ضمن متاع علم الدين قيصر وهو احد تجار بغداد مع عدد من الاثواب(١٠٨)، ونظراً للعداء السافر بين المغول والمماليك وبعد عرض الامر على الاليخان القي القبض على قيصر وانكر التهمه رغم التعذيب والتنكيل ولم يوجه الاتهام الى نوروز(١٠٩) واشار البناكتي الى ذلك قائلا((تخوف صدر الدين من القائد نوروز بسبب من يسمى قيصر، الذي قدم من مصر برساله فاعمل الخبائث والخديعة، قدم رساله مزوره على لسان نوروز ، وضعها في كيس اخيه حاجي عندما كان جالسه بجانبه واخبر الملك بعصيان نوروز فامر الملك بالقبض على افراد اسرته))(١١٠) لكن اخرجوا الرسائل من امتعته والثياب المهداة من علم الدين قيصر فأمر الاليخان بقتل قيصر وقتل حاجي رمضان كاتب نوروز لان الرسائل كتبت بخط يديه وطيف به بين البيوت(١١١) وامر بعدها بقتل الامير نوروز في سنه ٦٩٦هـ ١٢٩٦م(١١٢) ونجح بذلك الزنجاني في تصفيه الامير نوروز الذي يعد اكبر خصم له وانفرد في اداره البلاط المغولي وصار متحكم الفعلي فيه(١١٣)ارتفع شان الوزير صدر الدين الزنجاني بدا الدسائس والمكائد يحيكها له امراء البلاط المغولي ففي جمادى الثانيه من سنه ٦٩٧هـ حاول كل من قطب الدين الشيرازي ومعين الدين الخرساني وهما من العلماء المقربين للاليخان الايقاع بالوزير فأتهماه بالخيانة وتلاعبه بأموال الدولة وانفاق الاموال حسب ما يشاء)(١١٤) لكنهما فشلا في اثبات التهمه فلجا الى مكيده اخرى هي استغلال الصداقة التي كانت بينه وبين رشيد الدين الذي كان موضوع الثقة الخان فحاولو الايقاع بين الصديقين من خلال النميمة فذهبوا الى رشيد الدين وارادو ان يغيرو يسممو افكاره تجاه صديقه لكنها لم ينجحوا في مسعاهم(١١٥) فانتقلوا الى صدر الدين الزنجاني واوغرو صدره فأستمع الى وشاياتهم وان رشيد الدين هو من وشا به امام الاليخان واتهمه باختلاس الاموال(١١٦) فتوجه على الفور الى السلطان وشكى له من زميله(١١٧) وعندما اراد رشيد الدين ان يدافع عن نفسه لم يسمح له غازان خان وقال له((لا تلوث لسانك بالرد عليه وحافظ على سيرتك وطريقتك))(١١٨).

ندم صدر الدين الزنجاني بعد معرفته ببراءة رشيد الدين من الوشاية التي وصلت له واتضحت براءته رغم ذالك لم يعد يثق برشيد الدين وكان يسيء الظن به وحاول الايقاع به وتدبير المؤامرات وحاول انه يوقع بينه وبين قتلغ شاه(١١٩) وهو امير مغولي من الشخصيات الكبيرة وقائد الجيش خاصه وان الوزير يكن الحقد لهذا الامير نتيجة نقاش حاد وبعد عوده الامير من جرجستان اذا انب الامير الوزير على دخل الاقليم فكانت فرصه ليتخلص من الاثنين معا ولتحقيق غرضه شكى الوزير بان قتلغ شاه اساء استعمال سلطه وادى الى خراب الولايات وحينها سئل عن الاموال التي تجبى من كرجستان(١٢٠) تخوف صدر الدين(١٢١) فاجابة((ان اتباع قتلغ شاه خربوا ولاية جورجيا ولهذا السبب صار السلطان يعاتب الامير في صحوه وسكره فما كان من الامير الا ان سال صدر الدين قائلا الا تعلم من شكاني الى حضره غازان حتى صار يعاتبني؟ بإجاب صدر الدين انه رشيد الدين))(١٢٢) وعند استفسار القائد عن الامر

الذي اشتكى للالخان اجابه الوزير((انه رشيد الدين الطبيب في هذه الايام لا يوجد شخص غيره مقرب من السلطان))(١٢٣) وعندما خرج قتلغ شاه من لقاء غازان التقى صدفه برشيد الدين معاتبا اياه وقال له((لقد عشنا دائما على احسن حال من المودة لم يحدث بيننا ما يمكن ان يغضب احد منا ضد الاخر فلماذا سعيت الى هلاكي لدى السلطان))(١٢٤).

نفا رشيد الدين التهمه عن نفسه وتعجبه من الكلام وقال انه لم يرى منه ما يمكن ان يكون موضوعاً للشكوى ولذلك لم يفكر مطلقا في اتهامه امام السلطان واكد ايضا لابد ان تقول لي من الذي ابلغك هذا الخبر والا ابلغت السلطان رفض قتلغ شاه الافصاح عن اسم الشخص الذي وشي به(١٢٥) لم يهدأ رشيد الدين لهذا الكلام فذهب الى غازان واخبره بالأمر فأستدعى السلطان غازان قتلغ شاه وامره بالإفصاح على اسم الشخص الذي تسبب بهذه الوشاية فأعترف القائد بانه الوزير صدر الدين الزنجاني غضب غازان خان وامر بالقبض على صدر الدين وجرت المحاكمة في ١٧ رجب ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م(١٢٦)

الخاتمة:

- تمتع الوزراء في الدولة المغولية بمكانة كبيرة واعطيه لهم صلاحيات واسعة وكان يتصرفون في شؤون الدولة من دون رقيب او حسيب وبعضهم طغت سلطته على سلطة الاليخان نفسه .
- تعرض الوزراء للمؤامرات من قبل الحاسدين والحاقدين عليهم وتعرضوا لابشع التهم مثل الوزير علاء الدين الجويني ورشيد الدين الهمذاني رغم مقدموه من خدمات للدولة استمرت سنين طويلة الا ان مصيرهم كان القتل ، ويلاحظ ان اختيار الوزير كان يتم وفق الاهواء الشخصية من قبل الامير او الاليخان
- استغل بعض الوزراء حب الاليخانات للأموال واسرافهم الشديد ما سبب تبديد اموال الدولة وفساد النظام المالي وظهور الاختلاس والرشاوي وتقديم الهدايا والجدير بالذكر ان الوزراء في عهد هولاكو وابنه اباقا لم يكن لهم تأثير على الحكم وانما ظهر تأثيرهم في الفترات اللاحقة للدولة ما سبب في اضعافها نتيجة الصراعات المستمرة بينهم وتدخلهم في الصراعات الاسرة الحاكمة .
- نلاحظ ان وزراء المغول كان لهم دور في الصراعات بين افراد الاسرة الحاكمة لولاية العرش وهذا الصراع يجعل الوزير مستهدف من قبل الاطراف المتنافسة للحكم او قد يشارك الوزير في الصراع ويقف الى جانب احدهم ويمكن ان يدفع حياته ثما الى ذلك .

الهوامش

١- من اسره عريقة خدمت السلاطين والامراء منذ عهد بهاء الدين محمد بن علي جد عطا ملك الذي كان شاعر في مقر السلطان الخوارزمي تكش وجده شمس الدين محمد مستوفي لديوان محمد خوارزمشاه ومن بعد ابو جلال الدين منكري عمل عماد الدين لصالح حكام المغول بعده الدولة الخوارزميه واسنده اليه وظيفه صاحب الديوان وانخرط علاء الدين في مهنه الكتاب المقربين لدى الامير اراغون اقا وساعدته وظيفته على التنقل والسفر الى بلاد المغول وعايش المغول واطلع على احوالهم وجمع الحكايات حول نشأتهم من قبل جنكيز خان وما بعده متصل بعدد من الامراء اتصل بخدمه هولاكو في حملاته على الإسماعيلية وعهد اليه اداره ممالك العراق العجمي وخراسان ومازندران تسلم حكومة بغداد ولم يكن هنالك منصب وزير اطلق عليه اسم صاحب الديوان وفوض لشمس الدين اخيه في منصب الوزارة فاطلقت ايديهم في حل الامور وعقدها وكان ذلك من عوامل ظهور نجم هذه الأسرة في ظل الدولة الاليخانية في ايران اشتهر بكتابته تاريخ جهانكشاي فاتح العالم الذي يعتبر احد المصادر المهمة لدراسة المغول ينظر

:الصفدي :الوافي بالوفيات، ج٢٠ ،ص٨٤ ؛العيني :عقد الجمان ج٢/ص٢٩٠ ؛النويري :نهاية الارب ، ج٢٧/ص٢٧٠ ؛المقريزي : السلوك ، ج٢/ص٧٥٦.

٢- – شمس الدين الجويني اعد اليه هولاكو من صاحب ديوان الممالك ما يعرف رئيس وزراء الإمبراطورية وكان الوزير الاعظم في المملكة ويتولى حل الامور و عقدها في الممالك الاليخانية وكان له دور كبير في مسانده اخيه من المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضده ينظر ص خصباك العراق في عهد المغول الاليخانية ص ٦٤ – ٦٧.

٣- حكم علاء الدين بغداد نحو ٢٤ سنه ٦ سنوات منها في عهد هولاكو و ١٧ في فتره حكم اباقا وسنه واحده فتره حكم احمد تكوادر ينظر :خصباك العراق عهد الاليخانيين ص٦٧ ؛عبد الحليم انتشار الاسلام بين المغول ص٨٧ ؛بروان: تاريخ الادب في ايران ،ص٢٦.

٤- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،ص٢٤٦.

٥- التونجي : مقدمة جهانكشاي ،ص١٤ ،.

٦- ابن الفوطي : الحوادث الجامعة، ص٢٤٦ .

٧- استعان شمس الدين بنصير الدين الطوسي للإعفاء عن اخيه فعل الامر بصعوبة لان هولاكو لا يتراجع عن قتل احد بعد ان امر بذلك فتوجه الى مخيم هولاكو وبيده سبحه وعجاز ومعه من يعمل مبخره نار وبوصوله الى المخيم فهذا يزيد في البخور واخذ يزيد في البخور ويعمل على خفض ورفع الان دخل لهولاكو وسجد امامه واطال في السجود وقال لهولاكو اقتضى الطالع لحصول امر فضيع يخص القان ويقصد هولاكو فدعوت الله بأدعية وعملت هذا وسالته ان يصرف عن الخان السوء لذلك ينبغي عليك تكتب بأطلاق من في الاعتقال والعفو عن مرتكبي الجناية لعل الله يصرف الحادث العظيم فأمر هولاكو بذلك ومن ضمن الذين افرج عنهم الجويني ينظر :بروان: تاريخ الادب في ايران، ص ٦١٦؛ سليم: الصراع السياسي والمذهبي ،ص ٢٩٥.

٨- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة، ص ٢٤٦.

٩- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٤٨-٢٤٩ ؛خصباك: الادارة الاليخانيه، ص.٢٠.

١٠- نجم الدين احمد بن عمران الباجسراني : كان كثير السعايات ولم تطل ايامه فقبض عليه واعدم في سنة ٦٦٢هـ وطيفَ براسه ،ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ،هامش ص٢٤٢ و٢٥٢.

١١- ابن الفوطي :الحوادث الجامعة ، ص٢٥٢ .

١٢- القزاز: الحياه السياسيه في العراق، ص ٢٢٢.

١٣- ابن العبري: تاريخ الدول، ص ٤٩٧- ٤٩٨ ؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٥٠ ؛الصياد :الشرق الاسلامي ،ص ٣٨.

١٤- ابن العبري: تاريخ الدول، ص ٤٩٨ ، ابن الفوطي :الحوادث الجامعه ، ص٢٩٨ .

١٥- ابو صفي الدين محمد بن الطقطقي مؤلف كتاب الفخري في الادب السلطانية اشاره اليه الذهبي في تاريخ الاسلام ،ج٥ ،ص ٢٤٥.

١٦- بن عنبه :عمده الطالب في انساب ابي طالب ، ص١٨٠- ١٨١.

١٧- ابن الفوطي :الحوادث الجامعه ص ٢٦٧ ، ابن عنبه ، عمدة الطالب ص١٨١.

١٨- ابن عنبه : عمدة الطالب ،ص١٨١.

١٩- الصياد :الشرق الاسلامي ،ص ٣٩.

٢٠- ابن الفوطي :الحوادث الجامعه، ص ٢٦٧.

٢١- مجد الملك من اهل يزد وابوه تولى الوزارة وتصفه لاتابكة يزد واتصف بالكفاءة و التحق في بداية امره بخدمه حاكم اصفهان محمد بن شمس الدين وعمل في ديوان الدولة والتحق بالعمل لدى شمس الدين وتحت اشرافه قدم الى بغداد في ايام صدر الدين القزويني انتقل الى بلاد العجم بعد مقتله وتحكم في علاء الدين وضع عليه امواله احتاجها من العراق فوض اليه الاليخان اباقا اشراف الممالك انعكس حاله بعد موت اباقا متى تولى السلطان احمد واستطاع الصاحب واخيه شمس الدين الظفر منه وقتله سنه ٦٨١هـ بنظر :الهمذاني جامع تواريخ ،مج٢،ج٢ ،ص٧٤ – ٧٥ – ٧٦، ابن الفوطي :معجم الآداب ،مج٤ ،ص٥٤٨؛ العزاوي :تاريخ العراق، ص٣٠٥ ؛الصياد :الشرق الاسلامي ،ص١٠٦ ؛بياني: المغول التركية ،ص١٧٣ : اقبال: تاريخ المغول ،ص،٢٣١.

٢٢- الشيرازي: تاريخ وصاف، ص٥٧ ؛ الصياد: الشرق الاسلامي، ص١٠٧.

٢٣- مجد الدين الحسين محمد بن ابي الفتح محمد القصري التستري الصاحب من اعيان الصدور والاكابر ولي الاعمال الجليلة وكان مع صاحب الديوان علاء الدين ينوبه في الاعمال السلطانية أنشأ الرباط المجدي بقراح ابن ابي الشحم وجعل فيه خزانه للكتب قتل سنه هـ ٦٨٥ بعد ان قدم اروق كحاكم على العراق ابن الفوطي: معجم الالقاب ،ج٤ ،ص ٥٢٠.

٢٤- الهمذاني :جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص ٧٢-٧٨-١٥٧ :بناكتي :تاريخ البناكتي ،ص ٤٢٥ ؛خواندمير دستور الوزراء ،ص٢٨٠؛ بياني: المغول ،ص ٢٧٣ .

٢٥- الشيرازي: ص٥٧.

٢٦- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص ٧٦ – ٧٧ ؛خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٤٢.

٢٧- طغاجار : احد امراء المغول ، اقبال: تاريخ المغول ص٢٣٣.

٢٨- ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ،ص٤١٥ – ٤١٦ ؛الهمذاني :جامع التواريخ ،ص ٧٩ ، اقبال تاريخ المغول ،ص ٢٣٢ ، الصياد :الشرق الاسلامي ص ١٠٨.

٢٩- اولجاي خاتون زوجه هولاكو واصبحت بعده وفاته زوجه لاباقا طبقا لتقاليد المغول ، الهمذاني: جامع التواريخ تاريخ هولاكو، ص ٧٨.

٣٠- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص٨٠ ؛ خواندمير: دستور الوزراء ،ص ٣٤٦.

٣١- جمال الدين :علاء الدين عطا ملك ،ص٢٦.

٣٢- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج١ ،ص٧٩- ٨٠

٣٣- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج١، ص٨٠ ، القزويني: تاريخ كزيده ،ص٥٩٣.

٣٤- الهمذاني :جامع التواريخ، مج٢ ج١ ،ص٨٠ ، الشيرازي: تاريخ وصاف، ص٩٥.

٣٥- خواندمير: ص٣٤٧ ، الهمذاني :ابناء هولاكو، ص٨١.

٣٦- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ص ٨١ ، الصياد: الشرق الاسلامي ،ص ١١٢.

٣٧- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص ٨٢.

٣٨- الهمذاني :جامع التواريخ، مج٢ ج٢ ،ص٨٢ ، الصفدي :الوافي بالوفيات ،ج٢ ص٨٤.

٣٩- الشيرازي: تاريخ واصاف، ص٩٨.

٤٠- جمال الدين :علاء الدين عطا الله ، ص٣٨.

٤١- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص٨٤.

٤٢- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ص٨٤ ، الشيرازي: تاريخ وصاف ،ص٦١.

٤٣- الشيرازي: تاريخ وصاف ،ص٦١ ؛ اقبال تاريخ المغول ،ص٢٣٣ ؛ الامين المغول ص٢٣٦.

٤٤- الحوادث الجامعة: ص٤١٦ ؛خصباك: العراق في عهد المغول الاليخانين ،ص٨٣.

٤٥- الحوادث الجامعه: ص٢٨٩ .

٤٦- اخو اباقا خان قتل من قبل السلطان احمد بعد توليه العرش بسبب مراسلته للامير اراغون والتعاون معاً ضد السلطان جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ص٩٣ .

٤٧- من احب النساء الى اي اباقا جامع التواريخ :مج٢ ج٢ ،ص ٨٨.

٤٨- اقبال :تاريخ المغول ،ص٥٢٠.

٤٩- خواندمير: دستور الوزراء ،ص٣٤٧ ؛ الشيرازي :تاريخ وصاف ،ص٦٦.

٥٠- الهمذاني :ابناء هولاكو ،ص٩٢ و٩٤ ؛ خواندمير دستور الوزراء، ص٣٤٧.

٥١- الصياد: الشرق الاسلامي ،ص١٢٤.

٥٢- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص٩٥ ،؛خواندمير دستور الوزراء ،ص ٣٤٨.

٥٣- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص٩٤ ؛ خواندمير دستور الوزراء ،ص ٣٣٨.

٥٤- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص٩٥.

٥٥- الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢ ج٢ ،ص ٩٥ ؛ خواندمير دستور الوزراء، ص٣٣٨

٥٦- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص٩٦ .

٥٧- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص ٩٦.

٥٨- اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاه علاء الدين الجويني ذكر بعضهم في سنه ٦٨٠ هـ ينظر ابي الفداء المختصر، ج٤ ص١٦ ويذكر بعض المؤرخون انها كانت سنه ٦٨١هـ – ١٢٨٢م من هم رشيد الدين الهمذاني تاريخ ابناء هولاكو ،ص٩٩؛ ابن الفوطي الحوادث الجامعه ،ص٢٨٩ ، ، القزويني: تاريخ كزيده ،ص ٥٩٥ ؛ البناكتي :تاريخ البناكتي ،ص٤٦٨ ، خواندمير دستور الوزراء ص٣٤٩ ، السلوك٢ ،ص ١٥٦ اما اليونيني :فيذكر انها كانت سنه ٦٨٣هـ – ١٢٨٤م ذيل مرأة الزمان ،ج٤ ص٢٣١ .

٥٩- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ص١٣٢ ؛ خواندمير: دستور الوزراء ،ص٣٥٥.

٦٠- خواندمير ، دستور الوزراء ،ص٣٥٥-٣٥٦ .

٦١- ابن العبري: تاريخ الدول ،ص٢٩٨.

٦٢- اهر : مدينة من نواحي اذربيجان بين تبريز واردبيل ،البغدادي ، مراصد الاطلاع مج١ ص١٣٤.

٦٣- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص١٣٣ ؛ اليونيني: ذيل مراه الزمان ،ج٢ ص ٢٢٧ ؛ الصفدي :فوات الوفيات، ج٢ ص٤٥٣ ؛ البناكتي :تاريخ البناكتي ،ص٤٧٢ ، خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٥٧.

٦٤- الشيرازي: تاريخ وصاف ،ص٨٣ ؛ العزاوي تاريخ العراق ،ج١ ،ص ٣٢٤.

٦٥- الصياد :الشرق الاسلامي ،ص ١٥٦.

٦٦- ابن العبري :تاريخ الدول ،ص٢٩٩.

٦٧- طبيب يهودي من اهالي ابها امتاز بالذكاء والفطنة تعلم عده لغات عمل دلال في الموصل بسوق الصاغة قبل انتقاله لبغداد وامتهانه الطب لكن اكثر المصادر تؤكد امتهان الطب وانه كان يشتغل بالطب في بغداد وعرف عنه مخالطته لاهالي بغداد وكان ثريا يعمل بالتجارة استثمار الاموال ما اطلعه على الوقوف على احوال العمال والمتصرفين في بغداد بنظر الشيرازي :تاريخ وصاف ،ص٢٣٩ ؛ابو الفداء: المختصر مج٢ ص ١٧ ؛ الهمذاني :جامع التواريخ مج٢ ج٢ ص٢٣٩ ، الشيرازي :تاريخ وصاف ص١٤١ ، اقبال :تاريخ المغول ص٢٤٨، تاريخ ايران ،ص٤٥٤ ؛بياني :المغول، ص٢٩٤- ٢٩٥ ؛ الصياد: الشرق الاسلامي ،ص٢٦٠.

٦٨- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص١٣٩.

٦٩- خواندمير: دستور الوزراء ،ص ٣٥٩.

٧٠- حيدر :سعد الدوله ،ص٩٦.

٧١- خواندمير: دستور الوزراء ،ص٣٦٠.

٧٢- الصياد : الشرق الاسلامي ،ص١٦٥.

٧٣- خواندمير: دستور الوزراء ،ص٣٦٠ ؛ الشيرازي: تاريخ وصاف ،ص١٤١؛الصياد الشرق الاسلامي ،ص١٦٤ ؛ حيدر سعد الدولة ،ص٩٦.

٧٤- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٦٠ .

٧٥- حيدر : سعد الدولة ،ص٩٨.

٧٦- الهمذاني : مج٢ ج٢ ،ص١٥٠.

٧٧- جوشكاب : احد امراء الاسرة المغولية وهو حفيد هولاكو وحاكم على المنطقة الواقعة على ضفاف الفرات ، الهمذاني : جامع التواريخ، مج٢ ج،٢ ص١٤٢-١٤٣.

٧٨- خواندمير : حبيب السير ،ج٣ ،ص١٥٩.

٧٩- ابن الفوطي :الحوادث ،ص٣٥١ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ،ص٣٦١ ، ؛ بياني المغول ص٢٩٣.

٨٠- خواندمير : دستور الوزراء ،ص٣٦٣ ؛الشيرازي تاريخ وصاف ،ص١٤٥.

٨١- خواندمير :دستور الوزراء ،ص٣٦٣.

٨٢- خواندمير: دستور الوزراء ،ص٣٦٣ ؛ الشيرازي تاريخ وصاف، ص١٤٦.

٨٣- بياني :المغول ،ص٢٩٥.

٨٤- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص١٥٩ ،؛اقبال تاريخ المغول ،ص٢٥٢

٨٥- خواندمير : دستور الوزراء، ص٣٦٤.

٨٦- الهمذاني :جامع التواريخ ،مج١ مج٢ ،ص ١٦١ .

٨٧- صدر الدين الزنجاني صدر الدين احمد الخالدي الزنجاني وهو من سلاله قضاه زنجان عمل نائب لدى الامير طغاجار حيث اسند له من مسؤوليه تنظيم اموال بلاد الروم عرف عنه الكرم والسماحة حتى قيل انه تفوق على حاتم الطائي في ذلك وكان ينفق على العلماء والسادات والمشايخ والفضلاء وله دور في تدبير المؤامره ضد الاسره الجوينيه بمشاركه مجد الملك بنظر خواندمير: دستور الوزراء ،ص٣٦٦ ؛ البدليسي :شرفنامه ،ج٢ ص١١- ١٢، الشيرازي :تاريخ وصاف ،ص٢٦٤ ؛ اقبال تاريخ المغول ،ص ٢٥٦، ؛الصياد: الشرق الاسلامي ،ص٢٠٩ ؛ فهمي: تاريخ الدولة المغولية ،ص١٨٣.

٨٨- الصياد: الشرق الاسلامي، ص٢١٠.

٨٩- دستور الوزراء ،ص ٣٦٧.

٩٠- الصياد :الشرق الاسلامي ،ص٢١١ ؛ الطائي: اعلام وزراء المغول ،ص٧٧.

٩١- اقبال :تاريخ المغول ،ص٥٧.

٩٢- الشيرازي: تاريخ وصاف ،ص١٦٥-١٦٧.

٩٣- الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص٦٨-٦٩-٧٠ ؛ الصياد: الشرق الاسلامي ،ص٢٢١ ٢٢٥.

٩٤- الهمذاني : جامع التواريخ تاريخ غازان ،ص١٢٥؛ الغياثي :تاريخ الغياثي ص٥٣ ؛خواندمير دستور الوزراء ،ص.٣٦٨

٩٥- بياني : المغول ،ص٣٠٧.

٩٦- تاريخ البناكتي : ص٤٨٣.

٩٧- الشيرازي : تاريخ وصاف ،ص ١٩٦.

٩٨- الصياد :الشرق الاسلامي ،ص٢٨٠.

٩٩- البناكتي : تاريخ ،ص ٤٨٥ ؛خواندمير: دستور الوزراء ٣٦٩؛ الشيرازي : تاريخ وصاف ،ص ١٩٩؛ البدليسي :شرفنامه ،ج٢ ص٢٤؛ اقبال : تاريخ المغول ،ص٢٦٨ ؛بياني: المغول ،ص٣١٩.

١٠٠- بياني: المغول، ص٣١٩.

١٠١- خواندمير: دستور الوزراء ،٣٦٩ ؛ الشيرازي :تاريخ وصاف ،ص٢٠١ ؛ القزاز الحياه السياسية، ص٢١٠.

١٠٢- بياني: المغول ،ص.٣١٩

١٠٣- خوندامير : دستور الوزراء ،ص٣٧٠ ؛الشيرازي : تاريخ وصاف ،ص،٢٠١.

١٠٤- خوندامير : دستور الوزراء ،ص٣٧١؛ الشيرازي : تاريخ وصاف ،ص ٢٠١؛الصياد: الشرق الاسلامي ،ص٢٨٠.

١٠٥- فهمي :الدولة المغولية ،ص١٩٦.

١٠٦- اقبال : تاريخ ايران ،ص٤٦٠ ؛اقبال : تاريخ المغول ،ص٢٧١ ؛الصياد: مؤرخ المغول ،ص ٧٨ ؛بياني : المغول ،ص٣١٩.

١٠٧- الهمذاني :جامع التواريخ تاريخ غازان ،ص١٤٣ ؛ الشيرازي : تاريخ وصاف ،ص٢٠٦.

١٠٨- الهمذاني :تاريخ غازان، ص١٤٣.

١٠٩- الصياد :الشرق الاسلامي، ص٢٨٢.

١١٠- البناكتي: تاريخ ،ص ٤٨٥.

١١١- الهمذاني: تاريخ غازان ،ص١٤٤؛ البناكتي تاريخ، ص٤٨٥.

١١٢- الشيرازي : تاريخ وصاف ،ص ٢٠٧ ؛ البناكتي تاريخ ،ص٤٨٥ ؛اقبال تاريخ المغول ،ص٢٧١ ٢٧٢، طقوش تاريخ المغول، ص٢٧٢.

١١٣- الطائي :اعلام وزراء المغول ،ص١٠٠.

١١٤- فهمي : تاريخ الدولة ، ص١٩٧ ؛بياني : المغول ،ص٣٢٠.

١١٥- الهمذاني: تاريخ غازان، ص١٥١.

١١٦- الهمذاني :جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص١٢- ١٣.

١١٧- الهمذاني: جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص١٢- ١٣.

١١٨- اقبال :تاريخ المغول ،ص٢٧٣ ؛ طقوش: تاريخ المغول ،ص٢٧٧.

١١٩- الهمذاني :جامع التواريخ ،مج٢ ج٢ ،ص١٣.

١٢٠- كرجستان :جورجيا الان تقع في اعالي نهر الكر وقصبتها تفليس وهي مدينه حصينه وفيها عده حمامات ذات ارض خصبه كثيره الخيرات اسعارها رخيصه ،ليسترنج :بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٦.

١٢١- الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٥٢ .

١٢٢- الهمذاني :تاريخ غازان ،ص١٥٢.

١٢٣- الهمذاني :جامع التواريخ ،مج ٢، ج٢،ص١٤.

١٢٤- الهمذاني :جامع التواريخ ،مج ٢،ج٢،ص١٣.

١٢٥- الهمذاني : جامع التوريخ ،مج ٢،ج٢،ص١٤.

١٢٦- الهمذاني : جامع التواريخ ،مج٢،ج٢،ص١٤؛ ويذكر خواندمير والبدليسي ان وفاته في سنة ٦٩٩هـ، خواندمير ،دستور الوزراء ،ص٣٧١؛ البدليسي: شرفنامة ج٢،ص١٧.

قائمة المصادر

المصادر العربية:

- البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت٧٣٩ هـ)

١- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق :- علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

- الصفدي ، صلاح الدين خليل ايبك(ت٧٦٤)

٢- الوافي بالوفيات ، تحقيق :- احمد الارناؤوط ، تركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .

- ابن العبري ، غريغورس ، ابي الفرج بن اهرون الطبيب الملطي ت٦٨٥ هـ

٣ تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م .

- ابن عنبة ، السيد جمال الدين احمد بن علي الحسني(ت ٨٢٨هـ)

٤- عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب ، تصحيح محمد حسن ال الطالقاني ط٢ المطبعة الحيدرية في النجف ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م .

- العيني ، بدر الدين محمود بن محمد بن احمد بن موسى بن احمد(ت٨٥٥هـ - ١٤٥١م)

٥- عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، تحقيق محمد أمين ، القاهرة ،دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

- الغياثي ، عبدالله بن فتح الله البغدادي

٦- تاريخ الغياثي ، تحقيق طارق نافع الحمداني ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٧٥م

- ابي الفداء الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي الفداء(ت٧٣٢هـ)

٧- المختصر في اخبار البشر ، ط١ ، المطبعة الحسينبة المصرية

- ابن الفوطي ، كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق بن احمد الشيباني البغدادي(ت٧٢٣هـ)

٨- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق :- مهدي النجم ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

٩- مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق :- عبد الكاظم ، مؤسسة الطباعة والنشر مجمع احياء الثقافة الاسلامية ، قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ

- المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي ت ٨٤٥هـ

١٠- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق :- محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

- النويري ، شهاب الدين احمد عبد الوهاب ت٧٧٣هـ

١١- نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق :- مجموعة من المحققين ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

- اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد ت٧٢٦ هـ - ١٣٢٦م

١٢- ذيل مرأة الزمان تحقيق :- حمزة احمد عباس ، ط١ ، ابو ظبي ، هيئة ابو ظبي للثقافة والقرآن مجمع الثقافي ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

المصادر الفارسية:

- ابرو حافظ ، عبدالله بن لطف الله ت٨٣٤هـ

١٣- ذيل جامع التواريخ رشيدي ، سلسلة انتشارات انجمن اثار علي ، ط٢ تهران ، ١٣٥٠هـ

- البدليسي ، شرف خان

١٤- شرفنامة في تاريخ سلاطين ال عثمان ومعاصريهم من حكام ايران وتوران ترجمة : محمد علي عوني ، ط٢ ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق سوريا .

- البناكتي ، ابو سليمان داود بن ابي الفضل محمد ت٧٣٠هـ -١٣٢٩م

١٥- روضة اولي الالباب في معركة التةاريخ والانساب ترجمة محمود عبد الكريم علي ، ط١ المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م

- الجويني ، ابو المظفر عطا ملك بن مظفر الدين علي بن الصاحب بن محمد ت ٦٨١هـ - ١٢٨٢م

١٦- تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، ترجمة محمد التونجي ، ط١ دار الملاح للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م .

- خواندمير ، غياث الدين بن همام الدين الحسين ت٩٢٤ هـ

١٧- تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر ط جهارم الناشر ، خيام ،

- ١٨- دستور الوزراء ، تأليف وترجمة امين سليمان ، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠

- الشيرازي ، شرف الدين عبدالله بن فضل الله

١٩- تجزية الانصار وتجزئة الاعصار ، النشر بتياد فرنك ايران ، تهران(د .ت)

- مستوفي قزويني ، حمدالله مستوفي ت٧٥٠ هـ -١٣٤٩م

٢٠- تاريخ كزيدة ، اهتمام عبد الحسين نوائي ، انتشارات مير كبير(طهران ١٣٤٢ هـ . ش)

- الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨هـ

٢١- جامع التواريخ ، تاريخ هولاكو ترجمة محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد ، دار احياء الكتب العربية

٢٢- تاريخ غازان ، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد

٢٣- تاريخ المغول ، الاليخانيون ، ابناء هولاكو من اباقا خان الى كيخاتو خان ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد ، دار احياء الكتب العربية للطباعة والنشر بيروت .

المراجع العربية والمعربة:

- ادوارد براون

٢٤- تاريخ الادب في ايران ترجمة علي باشا صالح ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م

- اقبال ، عباس

٢٥- تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المجمع العلمي ، ابو ظبي ، ٢٠٠٠م

- الامين ، حسن

٢٦- المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م

٢٧- تاريخ ايران بعد الاسلام ، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥هـ - ٨٢٠ م / ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة

- بياني ، شيرين

٢٨- المغول التركيبة الدينية والسياسية ، ترجمة سيف علي ، الناشر المركز الاكاديمي للابحاث بيروت ، ٢٠١٣م

- خصباك ، جعفر حسين.

٢٩- العراق في عهد المغول الاليخانيين ٦٥٦- ٧٣٦هـ - ١٢٥٨-١٣٣٥م مطبعة العاني ط١ بغداد ١٩٦٨

- جمال الدين ، محمد السعيد

٣٠- علاء الدين عطا ملك الجويني حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد ط١ ، القاهرة ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م .

- سهيل ، طقوش محمد

٣١- تاريخ المغول العظام والاليخانيين ط١ دار النفائس بيروت ، لبنان ، ١٤٣٨هـ -٢٠٠٧م

- الصياد ، فؤاد عبد المعطي

٣٢- الشرق الاسلامي في عهد الاليخانيين اسرة هولاكو ، مركز الوثائق للدراسات الانسانية ، جامعة قطر ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م

٣٣- المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

- الطائي ، سعاد هادي حسن رحيم

٣٤- اعلام وزراء البلاد المغولي دراسة في دورهم السياسي والاداري قرن ٧-٨ هـ / ١٣-١٤م دار قناديل للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط١ ٢٠١٨ م

- العزاوي ، عباس ،

٣٥- تاريخ العراق بين احتلالين ، حكومة المغول ٦٥٦- ٧٣٨هـ / ١٢٥٨-١٣٣٨م مطبعة بغداد ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥م

- فهمي عبد السلام عبد العزيز

٣٦- تاريخ الدولة المغولية في ايران ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م

- القزاز محمد صالح داوود .

٣٧- الحياة السياسية في العراق في عهد السطرة المغولية ، مطبعة القضاء ، النجف ، ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م

- لسترنج ، كي

٣٨- بلدان الخلافة الشرقية ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيز عواد ، مطبعة الرابطة بغداد ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م .

الرسائل والاطاريح:

- سليم صبري عبد اللطيف الصراع السياسي والمذهبي بين الشيعة والسنة في عصر سيطرة اليخانات المغول في ايران ٦٥٠ - ٧٣٦هـ / ١٢٥٢-١٣٣٥م، اطروحة دكتوراه ، كلية العلوم ، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة القاهرة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

البحوث المنشورة

- حيدر عبد الرحمن فرطوس ، سعد الدولة ودوره في اعلاء شأن اليهود اثناء الحكم الاليخاني ، مجلة كلية الاداب قسم التاريخ جامعة بغداد العدد ٧٩.

أثر الثقافة الأجنبية على المجتمع البغدادي أبان العصر العباسي (٢٤٧-٦٥٦هـ) الأعياد والمناسبات ووسائل الترفية أنموذجاً

The impact of foreign culture on Baghdadi society during the Abbasid era (247-656 AH): holidays, events and entertainment as a model

الباحث: حسام حسين الكناني
مديرية تربية محافظة واسط

أ.د. عقيل عبد الله ياسين
جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

Abstract .

Among the things that have a link with the level of civilization are the means of entertainment that had a connection in Iraq before the Abbasid era, but the establishment of the Abbasid state and its openness to the cultures of other peoples reinforced the presence of foreign communities in Baghdad and their practice and work with these activities in Baghdad and elsewhere, especially since these means have become Part of the culture of the society that the members of those elements used to practice in the countries from which they came, and the Persians had the presence and favor as they were the closest foreign elements to society in Baghdad and the common economic interests, as well as the social confusion that took place between the two elements as a result of the political control imposed by one of them on the lands of the other.

الملخص:

من الأمور التي لها صلة بالمستوى الحضاري للمجتمعات هي الاعياد والمناسبات ووسائل التسلية، اذ ان وجودها يعكس مدى الرقي التي وصلت اليه في عهودها المختلفة، ولعل من بين تلك المجتمعات كان المجتمع العراقي الذي عرف بعراقة حضاراته المختلفة ومدى تأثيرها على واقع حياته العامة، ولكن ما يقال هنا هو هل انه كان في معزل عن التأثر بثقافة الاخر الجواب كلا لان الحضارة بطبيعتها تقوم على الاثر والتأثير، وعليه من الطبيعي ان يتأثر المجتمع البغدادي بعد قيام الدولة العباسية وانفتاحها على ثقافات الشعوب الأخرى بحكم تلك المعادلة، ومما عزز ذلك تواجد الجاليات الاجنبية في بغداد وممارستها المظاهر الاجتماعية التي نشأت عليها في مجتمعاتها، الامر الذي دعا البغداديين الى التأثر بها وممارستها بعد ان نالت اعجابهم وقتذاك ،وكان للفرس الحظوة في وقوع ذلك التأثير بأعتبارهم أقرب العناصر الأجنبية الى المجتمع البغدادي من الناحية الجغرافية، فضلاً عن التمازج الاجتماعي الذي حصل بين العنصرين نتيجة للسيطرة السياسية التي فرضها العنصر الفارسي على اراضي العنصر العربي من جهة والعنصر العربي على اراضي العنصر الفارسي من جهة اخرى.

كلمات مفتاحية: **(الأعياد والمناسبات، وسائل الترفيه، المجتمع البغدادي، العصر العباسي، الجاليات الأجنبية)**

المقدمة:

تعكس هذه الدراسة مدى تأثر المجتمع البغدادي ابان العصر العباسي بثقافة الجاليات الاجنبية التي قطنت بغداد ابان العصر العباسي، وما تركته من تأثير عميق على الحياة العامة التي سادت عند البغداديين، لا سيما الحياة الاجتماعية والتي تتمثل بالأعياد والمناسبات ووسائل الترفيه المتنوعة، فما وقع

من احتكاك بين الطرفين قاد في النهاية الى تأثر المجتمع البغدادي بالتقاليد والاعراف التي مارستها العناصر الاجنبية في افراحهم واحزانهم ووسائل التسلية عندهم، ومما ساعد على ذلك اصالة تلك المظاهر عند الاجانب ومدى الاعجاب الذي نالته عند البغداديين الى الحال الذي جعلها تكون جزء من ثقافتهم العامة وقتذاك.

مما سبق تتضح اهمية الدراسة والتي اقتضت طبيعتها جعلها في محورين، الاول تناول اعياد الفرس المتنوعة ومظاهر الاحتفال بها من قبل العامة والخاصة، فضلا عن بيان اثرها على الواقع الاداري للدولة العباسية، لا سيما تغيير الولاة على الاقاليم، وتغيير موعد جباية الخراج، المحور الثاني تناول وسائل التسلية والترفيه التي مارستها العامة كلعبة الشطرنج والصولجان والمصارعة وغيرها.

اولاً: الاعياد والمناسبات:

في ظل اجواء الحرية الفكرية والتعايش السلمي الذي كان سائدا في المجتمع الاسلامي تولت العناصر الاجنبية القاطنة في العراق ممارسة الثقافات التي نشأوا عليها في مناطقهم،، الامر الذي ساعد على شيوعها وانتشارها بين صفوف الخاصة والعامة والتأثر بها، ولعل خير ما يمثل ذلك جلياً احتفال المسلمين ببعض مناسبات تلك الجاليات كألاعياد ومراسيم الاحزان والمآتم على الاموات التي باتت جزء من الموروث الاجتماعي والثقافي عند الخاصة والعامة، وتنوعت مظاهر تأثير الثقافة الاجنبية على ثقافة المسلمين متخذه صور عدة منها، الاعياد الفارسية ويعد عيد نوروز على رأسها وهو اول يوم من السنة الشمسية عند الفرس اي نزول الشمس اول اكمل فارسيته نَوْروز ومعناها يوم جديد[١]، وفيه ورد انه في احدى سنوات حلوله قدم الى علي عليه السلام (الفالوذج) شيء من الحلوى، قال: ما هذا، قالوا: اليوم النيروز، قال فنيروزاً كل يوم[٢]، وقيل في المهرجان قال: مهرجونا كل يوم[٣]، ويوم النوروز عند الفرس من ايام السنة الشمسية حيث يفرح الناس به ستة ايام[٤]، وهو استقبال الدهر بيوم جديد فأتخذوه الفرس عيداً[٥].

وجرت العادة في يوم نوروز تقديم الهدايا الى اعيان الفرس في الايام الستة التي بين نوروز العامة ونوروز الخاصة وكانوا يجيبون الى كل محتاج ويطلقون المحبوسين وينعمون بالملذات والعشرة[٦].

وفي أوائل العصر العباسي، كانوا يتبادلون فيه الهدايا ويقيمون فيه الافراح كما يفعل الفرس من قبل[٧]، وكان المتوكل اكثر الخلفاء اهتماما بتوزيع الهدايا في هذا العيد ،فقيل انه منح الضمان لشاعر ضليع في هذه المناسبة مائة دينار كذلك بيت شعر[٨]، كما قام بمنح الخلع وملابس الشتاء الى قواد ورجال دار الخلافة[٩]، وجلس في مثل هذا اليوم للعامة ويجيب الصغير والكبير والجاهل والشريف[١٠].

وفي العهد البويهي كان امراء بنو بويه يتزينون بلبس السقلاطون عندما يحضر نيروز يجلسون ومنهم عضد الدولة البويهي قد جلس في بغداد وعليه سقلاطون وقباء يستقبل العامة من الناس والخاصة للتهنئة، وكان له سفطا فيه ثياب سلقلطونيات يمنحها ويهبها في هذا اليوم للعامة ولبعض قادة الديلم[١١].

وجعل الخلفاء العباسيون من النيروز يوم لتغير قادتهم وولاتهم في الإقليم والمدن، فكان الخليفة المعتمد العباسي (٢٥٦ – ٢٧٩ هـ/ ٨٧٠– ٨٩٢ م) قد استعمل على الموصل اشتاكين وهو من اكبر قواد الاتراك فسير اليه ابنه (ادكو ٠ تكين) في سنة (٢٥٩ هـ/ ٨٧٢ م) بسبب ممارسته هو واصحابه

الفسوق وفعل المنكرات وشرب الخمر ظاهرا وجهرا وأساء السيرة في الناس[١٢].

وفي مجال الخراج، فقد اتبع الخلفاء العباسيون النظام الفارسي في جباية الخراج يوم النيروز[١٣]، وقد ذكر ذلك ابن الجوزي : " ان المتوكل على الله (٢٣٢- ٢٤٧ هـ/ ٨٤٦ – ٨٦١ م) ركب في بعض متصيداته فرأى زرعاً خضراً، فقال العجم قد استأذن في جمع الخراج والزرع بعد لم يحصد ومن اين يأتون الخراج؟ فقالوا: ان نيروز العجم قد تعطل بتغيير الكبيسة، فقال: كيف ذلك ومع اجتهاد ملوك الاكاسرة في اقامة العدل؟ قالوا: وقع ذلك لاختلاف حكامهم، فأمر بتعيين النيروز، فولى منجماً امرها فقتل المتوكل قبل استتمام أمر النيروز، فلما ولى المعتضد كان أول مهمة بعد قهر المتغلبين أمر الكبيسة فأخر النيروز الى يوم الحادي عشر من حزيران[١٤]"

وعندما آل أمر الخلافة للمعتضد بالله العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ/٧٩٢/٩٠١م) وفيها أمر بأفتتاح الخراج في النيروز المعتضدي للرفق بالناس وهو حزيران من شهور الروم عند كون الشمس في اواخر الجوزاء[١٥]، كما امر المعتضد بأنشاء الكتب الى العمال في النواحي بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم، وتأخير ذلك الى يوم الحادي عشر من حزيران، وسمي ذلك النيروز المعتضدي، فأنشأت الكتب بذلك من الموصل، والمعتضد انما اراد الترفيه على الناس والرفق بهم وكان ذلك سنة (٢٩٢هـ) [١٦]، أما تأثر عامة بغداد في العيد فيذكر انها كانت تتبرك في الاحتفال به قبل حلول العيد بأيام وكانت العادة جارية لدى البغداديين وغيرهم من العراقيين ولدى جميع من يحتفل بالنيروز ويسمونه في بغداد (دورة السنة) ان يستعدوا لاستقبال هذا العيد بأعداد صواني تشمل عليه بالخضر والبقول الطريقة وعليه الفواكه المجففة، والحلويات المتنوعة، وعلى المخلط مجموعة من الفواكه المجففة كالتين والفستق واللوز والبندق والحمص والزبيب وما يشاكل ذلك تخلط وتؤكل وتسمى بذلك (المخلط)، والسويق المتخذ من جرش الشعير مخلوطاً بدبس التمر، ويحرص المحتفلون بهذا العيد على ان تكون الصينية وقت (دورة السنة) حاوية بجميع انواع المخلوط والبقول احتفالاً بالربيع ولهم في كل سنة خبر كما دارت عليه السنة، ويتناقلون أن السنة دارت على قرد او ارنب او على حية، ويتفاءلون ويتشاءمون تبعاً للشيء الذي دارت عليه السنة[١٧]، كما يحتفل اهل بغداد بهذا اليوم ويلعبون لعبة (الدورباكة) [١٨]، كلمة اعجمية وهي اسم اللعب على قدر الصبيان يجعلونها اهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي، ويلعبون بها ويخرجونها في زي حسن، من فاخر الثياب والحلي، ويحلونها كما يفعل بالعرائس وتصفق بين يديها الطبول والزمور وتشعل النيران[١٩].

ومن مظاهر الاحتفال بيوم النوروز، هو ان يرش الماء على المارة، حتى اكثروا من ذلك مرة فأصاب الجنود والشرطة منهم ماء كثير، فنودى في الارباع والاسواق ببغداد سنة (٢٨٤هـ) بالنهي عن رش الماء[٢٠]، ويذكر البيروني ان عادة رش الماء كانت ولا تزال موجودة في سنة (٤٠هـ) [٢١].

بالاضافة الى ذلك فقد كان اهل بغداد في يوم النيروز يتهادون الناس بينهم بالسكر والسبب في ذلك كما حكي في بغداد ان قصب السكر إنما ظهر في مملكة (جم) يوم النيروز، ولم يكن يعرف من قبل ذلك الوقت، وهو انه رأى قصبة كثيرة الماء قد مصت شيئاً من عصارتها، فذاقها فوجد فيها حلاوة لذيذة فأمر باستخراج مائها وعمل منه السكر، فأرتفع في اليوم الخامس وتهاده تبركاً به، وكذلك استعمل في

المهرجان[٢٢].

كما كان هناك مراسيم وطقوس لهذا العيد يقوم بها الفرس في بغداد لتأديتها قام الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م) بابطالها ومنها ايقاد النار، وصب الماء على الناس[٢٣]، كما ومنع من حمل هدايا الفلاحين في هذا اليوم[٢٤].

ومن اعياد الفرس التي لقيت رواجاً في العراق عيد المهرجان ويقع في السادس والعشرين من تشرين الاول من شهور السريان، وفي السادس من مهرجان من شهور الفرس وبينه وبين النوروز مئة وسبعة وستون يوماً، وهذا الاوان في وسط زمان الخريف ومدته ستة ايام ويسمى اليوم السادس من ايام النوروز عندهم النيروز الاكبر[٢٥].

واحتفلت بهذا العيد جميع طبقات المجتمع وغيرها من مدن العجم، وجعلوا هذا اليوم أول يوم من الشتاء فيغيرون فيه الفرش والالات وكثيراً من الملابس[٢٦]، كما هو شبيه بعيد النوروز من حيث تقديم الهدايا او منح الخليفة الخلع، وملابس الشتاء الى قواد ورجال دار الخلافة[٢٧]، كما يقوم الرعية في يوم المهرجان بتقديم الهدايا الى الحكام، كل على قدر طاقته، فقد اهدا ابو اسحاق الصابي الى عنصر الدولة (٣٧٢هـ/٩٧٧م) في يوم المهرجان (اسطرلابا) [٢٨] بقدر الدرهم محكم الصنعة[٢٩]،كما ارسل مسكوية (٤٢١هـ) الى عميد الملك قصيدة هنئاه فيها باتفاق عبد الاضحى والمهرجان في يوم واحد قال فيها:-

قل للعميد عميد الملك الأدب اسعد بعيديك عيد الفرس والعرب

وذكر الاصفهاني: "ان المتوكل العباسي سأل علي بن الجهمم عن عيد المهرجان"، اهو عيد ام يوم لهو، فقال علي بن الجهم انما هو عيد بما تعبد الله به الناس مثل عيد الفطر والاضحى والجمعة وأيام التشريف أما المهرجان والنيروز فأنما هما اعياد المجوس، لا يجوز ان يقال الخليفة الله في عبادة وفي خليفة رسول الله في امته، اجعل المهرجان عيداً[٣٠]

ومن الاعياد التي انتقلت من الفرس الى المسلمين عيد السدق ليلة الوقود معرب (سده) [٣١]، ويسمى أبان- روز، ويعمل في ليلة الحادي عشر بهمن من شهور الفرس وسنتهم فيه ايقاد النيران بسائرا الادهان والولوع بها حتى انهم يلقون سائر الحبوب[٣٢].

ويعد عيد الكوسج[٣٣] من اعياد الفرس ويسمى (ركوب الكوسج) ويعمل في اول يوم من ادرمان من شهور الفرس، (اول فصل الربيع) وسنتهم فيه ان يركب من كل بلد من بلادهم رجل كوسج قد اعد لما يصنع به بأكل الاطعمة الحارة كالجوز والثوم واللحم السمين ونحوها، ويشرب الشراب الصفوف، هذا قبل حلول الشهر، فاذا حل الشهر لبس غلالة سابويه[٣٤]، وركب بقرة واخذ على يده غراباً، ويتبعه الناس يصبون عليه الماء ويضربونه بالثلج، ويروحون عليه بالمراوح وهو يصيح بالفارسية: كرم – كرم أي الحرّ الحرّ، ويفعل ذلك سبعة ايام، ومعه اوباش الناس ينهبون ما يجدون من الامتعة في الحوانيت، فاذا وجدوا عصر اليوم السابع ضربوا وحبسوا من قبل السلطان، ولا يعرف ذلك الا بالعراق، وارض العجم واهل الشام والجزيرة ومصر واليمن ولا يعرفون ذلك ويقال ان هذا الفعل كان يتداوله اهل كل بيت منهم كوسج[٣٥].

اما المناسبات والعادات المرافقة لها فتكون على رأسها مناسبات الاحزان ومنشأ اقتباسها يعود الى الامم الفارسية التي قطنت العراق بصفة قوى محتلة مثلها الاخمينيين والفرثيين والساسانيين والبويهيين

وبصفة اقتصادية مثلها الطبقات الفارسية بمختلف شرائحها، وكان حجم تأثيرها واضح في المجتمع الاسلامي بحكم الاحتكاك الذي وقع بين الفرس والعرب والمسلمين في العراق، جد توثيق لما ذكرلا سيما وانها كانت توافق المزاج الاجتماعي العراقي، وتبدأ عادات الحزن لدى المجتمع في تشييع المتوفي اذ يخرج الاهل والاصدقاء والمعارف ويسيرون خلف الجنازة[٣٦]، فالمرأة تخرج وتبكي وتنشر شعرها وتلطم وتنشد الاشعار وهكذا فعلت عند مقتل الخليفة المسترشد بالله[٣٧]، وقد تخرج نائحة خاصة خلف الجنازة[٣٨]، وربما يخرج رجال من اصحاب الذكر يسيرون خلف الجنازة وهم يقومون بالتهليل وترتيل الالحان[٣٩].

اما المأتم التي تقام على الاموات فكانت على نوعين: منها الخاصة بالرجال والاخرى بالنساء، يقرأ فيها القرءان، ويختار لمجالس النساء قرأ عميان او قارئتان[٤٠]، ويلبس فيها الثياب ذات اللون الاسود وهو شعار الحزن، فعند وفاة الخليفة المنتصر بالله سنة (٦٤٠هـ) ارتدت رجال الدولة الثياب السوداء في يوم وفاة هذا الخليفة[٤١]، وفي حالة وفاة شخصية كبيرة كخليفة او امير فالحزن يعم بغداد كلها إذ تغلق الاسواق وتعلق الاقمشة السوداء على جدرانها وتقام المآتم في كل مكان، وحدث ذلك في القرن الخامس الهجري عند وفاة الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ) ظهرت اعلام الحزن لمدة ثلاث ايم[٤٢].

اما ما يتعلق بإحياء ذكرى وفيات الاولياء فقد شغل الفرس حيزاً كبيراً من التأثير في مراسيمها عند المجتمع الاسلامي، وكانت ذكرى استشهاد الامام الحسين ع في مقدمة تلك المناسبات، طبقاً لما تحمله من مأسي تندى لها جبين الانسانية، ففي سنة ٣٥٠هـ من العاشر المحرم ذكر ابن الاثير معز الدولة البويهي أمر الناس ان يغلقوا دكاكينهم ويبطلون الاسواق والبيع والشراء وان يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح وان تخرج النساء بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي (ع) ففعل الناس ذلك[٤٣]، ولعل في نص ابن الاثير بخروج النساء بالصورة التي صورها النص فيه نوع من التعصب للمذهب السني وتشويه مذهب الشيعة في ذلك الزمان، وفي ذلك قال السيد محسن الامين معلقاً على ذلك:- "وبالغ فيه فأبرز النساء شعورهن امام الاجانب محرم بضرورة الدين فكيف يقدم عليه معز الدولة وهو انما يفعل ذلك تديناً وكيف يمكنه اهل الدين منه"[٤٤].

وقد اقيمت اماكن لأقامه المآتم الحسينية في عهد البويهيين واصبحت مؤسسة رسمية تغطى برعاية السلطة لذلك كانت تقام المآتم في بداية العصر البويهي في دور ذوي النفوذ والزعامة، فكانت ببغداد نائحة مجيدة حاذقة تعرف(بخلب) فيتم احضارها في دور بعض الرؤساء لأن الناس ان ذاك كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز السلطان، او سراً لأجل الحنابلة، ولم يكن النوح إلا مراثي الحسين (عليه السلام) فقط من غير تعريف بالسلف[٤٥]، هذا وقد استساغ المجتمع تلك المظاهر تماشياً مع المودة التي يكنوها لاهل بيت النبي(ص) وتأثراً منهم بما جرى للامام الحسين(ع) وأهل بيته في واقعة الطف سنة ٦١هـ من قتل وتنكيل وسبي على يد يزيد بن ابي سفيان واعوانه.

ثانياً: وسائلة التسلية والترفيه:

اما اثر ابناء تلك الجاليات على المجتمع الاسلامي في مظاهر التسلية والترفيه فيكمن في تعريفه على العديد من مظاهرها، بحكم ما يملكون من ثقافة عريقة في هذين الجانبين نالت اعجاب المجتمع

الاسلامي وقتذاك، وقد تعددت وتنوعت وسائل التسلية والترفيه عندهم ولعل منها كانت لعبة الشطرنج والتي عرفت بأنها أدوات تصنع بدقة بالغة من الخشب وكانوا يعلبون بها على قطعة مربعة حمراء من الجلد[٤٦]، وهي لعبة : " فارسية معربة، اصلها بالفارسية، هشت – رنج، ومعناه ستة الوان هي الشاه والفرز والفيل والفرس والرخ والبيدق، وقيل ان اصلها من وضع حكماء الهند واسمه صصه بن داهر الهندي الذي جعلها الى الملك الهندي شهرام وقيل بلهيب [٤٧]، وكان الرشيد اول خليفة لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس واجرى على روادها الرزق[٤٨]، ثم اخذت في الانتشار واخذ الناس يتلهون بها داخل منازلهم في أيام المكتفي بالله فكان الشباب يجتمعون في دور بغداد فيأكلون ويشربون ويلعبون الشطرنج[٤٩]، وكانت تلعب في حضرة المكتفي بالله (٢٨٩ – ٢٩٥ هـ/ ٩٠١ – ٩٠٧ م)، وذكر أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن صول تكين الكاتب المعروف بالصولي الشطرنجي: "وكأن اوحد وقته في لعب الشطرنج ولم يكن في عصره مثله في معرفته والناس الى الان يضربون به المثل في ذلك فيقولون والناس الى الان يضربون به المثل في ذلك فيقولون من يبالغون في حسن لعبه فلان يلعب الشطرنج مثل الصولي والخلق يعتقدون ان الصولي وهو الذي وضع الشطرنج" [٥٠].

وقالوا في فضل الشطرنج ليس شيء اجل من الحرب لانه يبين فيها فضل التدبير والرأي والحزم والاحتياط والتعبية والمكيدة والنجدة والبأس والقوة والجلد والشجاعة" [٥١].

وكانت لعبة النرد[٥٢]، من الألعاب التي اعتاد ان المجتمع على ممارستها في العصر العباسي وكلمة النرد مألوفة من الألعاب المنزلية وتسمه أيضا الكعاب[٥٣]، وقد قامر الناس في لعبها وشغفوا بذلك رغم تحريم الإسلام للميسر[٥٤]، وهو لفظ فارسي وهو من حكم الفرس وضعه اردشير بن بابك من ملوك الاكاسرة لذلك قيل له : نرد شير[٥٥]، والنرد قطع تصنع من العاج أي من عظم الفيل، ملونه يلعب بها[٥٦]، والنقاط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجيه منها سبعة، وهي الشيش ويقابله اليك، والبنج ويقابله الدو، والجهار ويقابله السه، وجعل ما يأتي به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر[٥٧].

وفي خلافة المعتز بالله (٢٥٢ – ٢٥٦هـ/ ٨٦٦ – ٨٦٨ م) مُورست لعبة الشطرنج والنرد[٥٨]، وفي العصر السلجوقي لعب السلاجقة الشطرنج والنرد ومنهم غياث الدين مسعود السلجوقي وكان يلاعبه فيهما جمال الدولة المجاهد بهروز وهو من اظرف الناس، ولشدة تعلقهما باللعبتين اصبح الاخير ذو مكانة عند غياث الدين السلجوقي جعلته واليا على بغداد ونائبا عن غياث الدين في تكريت[٥٩].

ومن وسائل اللهو والتسلية الاخرى لعبة الصولجان[٦٠] وترجع جذورها الى الحضارة الفارسية، ولقد لعب العجم على الخيل بالصولجة[٦١]، وذكر ان: "بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ لفتى ناقص الهمة خامل النفس فغمه ذلك ووكل به المؤدبين والمنجمين والحكماء ومن يلازمه ويعلمه ثم قال للمؤدبين الموكلين بولده : وعلموا الفتى الادب والحكمة والفروسية والرماية وضرب الصوالجة حتى مهر في ذلك" [٦٢]، وشاع انتشارها في بغداد بصورة كبيرة كأحدى الرياضات وخاصة لدى الخلفاء العباسيين والوزراء والامراء فقد ذكر في سير الخليفة الواثق العباسي انه كان يلعب الصولجان، وكذلك الخليفة المقتدر بالله[٦٣]، كما ضرب الوزراء بالكرة على ظهور الخيل ففي حوادث سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣ م كان الوزير عبد الله بن خاقان بن عرطوج أبو الحسن التركي قد توفي ان سبب موته انه دخل ميدان في

داره يوم الجمعة يضرب الصوالجة وركب ولعب فصدمه خادمه رشيف فسقط عند دابته ميتا[٦٤]، كما ضرب بالصولجان امراء بنو بويه ومنهم عضد الدولة البويهي الذي مارسها في دار المملكة بالمخرم التي كانت دار سبكتكين، حاجب معز الدولة الذي عمل ميدان سبكتكين في بغداد للتسلية [٦٥] ومن وسائل اللهو والترفيه رياضة السعي والصراع والسباحة وكانت هذه الأنواع من الرياضات ثقافة جديدة في بغداد، وقد أشار ابن الجوزي بقوله : "ومن اعجب الأشياء المتولدة في زمن معز الدولة السعي والصراع والسباحة" [٦٦]، وكان البويهيين ممن شجع الى ممارستها في بغداد، وقد لقيت رواجاً في بغداد وغيرها، ففي عام ٣٣٣هـ دعا: " الامير معز الدولة الى السعاة ليجعلهم فيوجاً بينه وبين اخيه ركن الدولة الى الري فيقطعون تلك المساحة البعيدة في المدة القريبة واعطى على جودة السعي الرغائب[٦٧]، فحرص احداث بغداد وضعفائهم على ذلك حتى انهمكوا فيه واسلموا اولادهم اليه فنشأ ركابيان لمعز الدولة يعرف احداهما بمرعوش والاخر بفضل، يسعى كل واحد منهما نيفاً وثلاثين فرسخاً في يوم من طلوع الشمس الى غروبها، يترددون مما بين عكبرا وبغداد، وقد رتب على كل فرسخ من الطريق، قوماً يحضون عليهم، فصار أئمة السعاة ببغداد وانتسب السعاة اليهم، وتعصب الناس لهم"[٦٨].

اما رياضة المصارعة والتي اعتاد الديالمة على ممارستها كنوع من التسلية والترفيه فنقلوها عند دخولهم بغداد ومارسوها وانتشر شيوعها لدى العامة فيذكر، القاضي التنوخي: "ان الامير معز الدولة كان يعمل بحضرته حلقة في ميدانه ويقيم شجرة يابسة تنصب في الحال ويجعل عليها الثياب الديباج والعتابي[٦٩] والمروزي[٧٠] وتحتها اكياس فيها دراهم، ويجمع على سور الميدان المخانيث بالطبول والزمور، وعلى باب الميدان الدبادب[٧١] ويؤذن للعامة في دخول الميدان، فمن غلب اخذ الثياب والشجرة والدراهم، ثم دخل في ذلك احداث بغداد فصار في كل موضع صراع فاذا برع احدهم وصارع بحضرة معز الدولة "فان غلب أجريت عليه الجرايات فكم من عين ذهبت بلطمة وكم من رجل اندقت"[٧٢].

وعدت رياض السباحة من وسائل الترفيه التي شغف بها بعض أصحاب معز الدولة البويهي، وفي عهد المستكفي بالله (٣٣٣ – ٣٣٤ هـ/ ٩٤٤ – ٩٤٥ م) تعاطاها اهل بغداد حتى اخذوا فيها الطرائف، فكان الشاب يسبح قائما وعلى يده كانون[٧٣]، فوقه حطب يشتعل تحت قدر الى ان تنضج ثم يأكل منها الى ان يصل الى دار السلطان[٧٤]، كما وظهر نوع من أنواع الرياضة والتسلية على يد الاتراك وهو مهارشة الحيوانات، كالديوك والسمان والكلاب[٧٥]، ويورد المسعودي عن كيفية مهارشة الكلاب وجاءوا بأثنين من كل نوع وجعلوا الواحد مقابل الاخر فتبدأ هذه الحيوانات بالمهارشة، فتجد العامة عند ذلك مجالا للمتعة وقضاء الوقت وقد يؤدي التحمس اثناء هذه المهارشات الى معارك بين أصحاب هذه الحيوانات[٧٦].

وكان اكثر الناس ولعا بالطيور والمهراش بالديوك الخصيان وهم يحسنون صنعة الدبوق (كتنور يصطاد به الطيور) ويجيد دعاء الحمام الطوري[٧٧]، وكان للطيور سوق ببغداد ففي سنة (٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م) وقع حريق في بغداد احترق فيه سوق الطير واحترق كثير من الطيور الواقع بالجناب الشرقي[٧٨]، واستعملت الطيور في البريد من قبل الحكومات، فمما يذكر ان الافشين ارسل الى المعتصم بالله كتاباً عبرها يخبره بخبر الانتصار على بابك الخرمي، فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح واظهروا السرور وكتبت الكتب الى الامصار بالفتح على بابك الخرمي[٧٩].

واستعملت لهذه المهام نوع من الطيور واشهرها طيور الهدي او الهداء وقد تسمى المناسب[٨٠]، او الزاجل[٨١]، واتخذها الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٣ هـ/ ١١٧٩ – ١٢٢٦ م)، وقد اعتنى بالحمام المناسب في أيامه لنقل الاخبار[٨٢]، فهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها[٨٣]، وكذلك الظاهر بأمر الله (٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م) والذي كان جل همه الاعتناء بالطيور المناسب[٨٤].

المقدمة:

بعد ان انهت الدراسة متطلباتها البحثية تبين لنا ما يأتي:

١- كان للفرس النصيب الاوفر في التأثير على الحياة الاجتماعية للبغداديين من بين عناصر اجنبية اخرى قطنت في بغداد، بحكم كثرة عددهم، والصلات القوية التي تربطهم بالبغداديين والتي جاءت عن طريق القرب الجغرافي لدولتهم بالنسبة للعراق مقر الخلافة العباسية وقتذاك، فضلاً عن السيطرة السياسية التي تعاقبت على حكم كلا الشعبين الفارسي والعربي من قبل الدول الفارسية والاسلامية.

٢- مارست الجالية الفارسية جميع مظاهر الاعياد والمناسبات ووسائل الترفية اثناء وجودها في بغداد، بحكم وجود الحرية والتعايش السلمي، وقد تأثر بها المجتمع البغدادي بعد ان نالت اعجابه واستحسانه لها، الامر الذي عكس حجم التواصل الثقافي بين كلا الطرفين.

٣- لقد اصبحت تلك المظاهر جزءاً من حياة المجتمع البغدادي وتوارثتها الاجيال يوم بعد يوم، لا بل ان الخلفاء العباسيين مارسوها وجعلوها اساساً لتغيير بعض الاجراءات الادارية التي اتخذوها وقت حدوثها، كعزل الولاة وتغيير موعد جباية الخراج.

الهوامش:

(١) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص٣٢٩؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٦، ص٢٣٦.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير، ج٤، ص٢٠١.

(٣) الزمخشري، ربيع الابرار ونصوص الاخبار، ج١، ص٣٤.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص٣٢٩.

(٥) ابن الفقيه الهمذاني، البدان، ص٥٥٤.

(٦) الزمخشري، ربيع الابرار، ج٥، ص٥٥٤.

(٧) الجاحظ، التاج، ص ١٥٩؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤١٩ – ٤٢٠.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٧٢.

(٩) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢،ص ٤٤٧.

(١٠) الجاحظ، التاج، ص ٥٩.

(١١) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج٧، ص ٨٦.

(١٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٦٠.

(١٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٢٠٣؛ ابن الاثير الكامل، ج ٦، ص ٧٨.

(١٤) المنظم، ج١٢، ص٣٤٣.

(١٥) ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص٥٦.

(١٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص٣٤٣.

(١٧) التنوخي، مشوار المحاضرة، ج١، ص١٩٧.

(١٨) دوباركة، دمية كانق تتخذ من القماش في النيروز؛ التنوخي، مشوار المحاضرة، ج٢،ص٢٢٣.

(١٩) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢،ص٢٢٣.

(٢٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٨١،ج٥، ص٢٦٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦،ص٣١٤.

(٢١) الاثار الباقية، ص٢١٥-٢١٨.

(٢٢) المجلسي، بحار الانوار، ج٦، ص١٣٩-١٤٠.

(٢٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢١، ص٨.

(٢٤) حمد الله المستوفي القوزيني، تاريخ سخريدة، ص٣٣٦.

(٢٥) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الأنشا، ج٢، ص٤٤٨-٤٥٥.

(٢٦) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الأنشا، ج٢، ص٤٤٨-٤٥٥.

(٢٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٠٤؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٤٨-٤٥٥

(٢٨) اسطرلابا، ألة الرصد النجوم والكواكب ليلاً ونهاراً، حاجي خليفة، عشق الظنون، ج١، ١٣٦.

(٢٩) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٨؛ ويذكر ابن مسكوية انه قد بلغ قيمة هدايا النوروز والمهرجان خمسة وثلاثين الف دينار؛ تجارب الامم، ج١، ص١٥٥-١٥٦.

(٣٠) الاغاني، ج٢٣،ص١٥٤.

(٣١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤،ص٣٦٦؛ الفيروزي أبادي، القاموس، المحيط، ج٣، ص٢٤٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٢١٢.

(٣٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٤٨-٤٥٥.

(٣٣) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه وايضاً الناقص الاسنان، وقيل هوامل الشهر، وشتقوا من الكلمة فعلاً فقالوا من طالت لحيته تكوسج عقله، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢،ص٤٤٨-٤٥٥

(٣٤) سابويه، لعل المتصور، غلالة سابورية، نسبة الى سابور؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٤٨-٤٥٥

(٣٥) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٤٨-٤٥٥

(٣٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٤٠.

(٣٧) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٢٧٨.

(٣٨) ابن الجوزي، النظم، ج١٠، ص٤٦.

(٣٩) ابن الجوزي، الاذكياء، ص٥٣.

(٤٠) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٦٨.

(٤١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٠٤.

(٤٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٠٤.

(٤٣) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٥٤٩؛ ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢،ص١٠٤؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٦، ص١٩١؛ ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص٤٢٥.

(٤٤) اعيان الشيعة، ج٢، ص٤٨٦.

(٤٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٢٢٣.

(٤٦) اليعقوبي، تاريخه ،ج ١، ص ٩٠؛ الاصفهاني، الأغاني، ج ٢١، ص ٦٢.

(٤٧) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٩٠.

(٤٨) المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٢٥٢.

(٤٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٩٠.

(٥٠) المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٢٦٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٥١) اليعقوبي، تاريخه، ج ١، ص ٩٢.

(٥٢) النرد :واسمه في الفارسية نرد شير أي اكبر نرد وهي وهي عبارة عن رقعة مقسمة مثل الشطرنج وهي من العاب الفرس . ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٤٧٧.

(٥٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٣، ص ٤٦٠.

(٥٤) المحقق الاردبيلي، زبدة البيان في احكام القران، ص ٦٢٨،

(٥٥) المسعودي، مروج الذهبي، ج ١، ص ٩٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٨٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج ٢، ص ١٥٧.

(٥٦) الابهى الازهري، الثمر الداني، ص ٧١٦.

(٥٧) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٩٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٨٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص ١٥٧.

(٥٨) كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ١٢٦.

(٥٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٣٠.

(٦٠) الصولجان : تعني العصا او العود المعوج طرفه، وهي احد الألعاب الفارسية التي اخذها العباسيون عن الفرس وكانوا يطلقون عليها الجوكان وهذه عبارة عن كره تصنع من مادة خفيفة مرنة تلقى في ارض الميدان فيتسابق الفرسان الى التقاطها بعصا عقفاء تسمى الصولجان او الجوكان ويرسلون بها الكرة في الهواء وهم على خيولهم وتصنع في نهاوند وبها شجر خلاف تعمل منه الصوالجة . الاصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص ٤٥.

(٦١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٤٥.

(٦٢) نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ١٨٤.

(٦٣) القلقشندي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٨.

(٦٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٢٥٩– ٢٦٣.

(٦٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٢١؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٧٢.

(٦٦) المنتظم، ج ١٤، ص ٤٤.

(٦٧) الرغائب: العطايا الجزيلة التي يرغب فيها الناس، التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص٢١٩.

(٦٨) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١٤، ص٢١٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٤٣.

(٦٩) العتابي: ثوب المعلم بخطوط بيضا ء وسوداء متوازية على ضرب الخطوط الموجودة في الحمير العتابية، التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤،ص٢١٩.

(٧٠) المروزي: نسبة الى مرو اشتهرت بالثياب الملحمة، سداها الحرير ولحمتها غير الحرير، التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص٢١٩.

(٧١) الدبادب، طبول صغار كانت تضرب على ابواب الخلفاء والولاة في اوقات، وأحسبها التي تسمى الان في العراق بالدنبركه، التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٤، ص٢١٩.

(٧٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٢١٩؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج ١٤، ص ٣٤.

(٧٣) كانون، الموقد والمصطلى والمنقل، ويطلق اسم المنقلة في العراق على كل الموقد الذي يشعل فيه الفحم. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ١٤، ص ٢١٩.

(٧٤) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٢١٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٤٤.

(٧٥) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١١٨.

(٧٦) مروج الذهب، ج ٤، ص ٢٨٣

(٧٧) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١١٨.

(٧٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٨، ص ٣٥.

(٧٩) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٤١٩.

(٨٠) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ٥، ص ٨٨؛ القلقشندي، مأثر الاناقة في معالم الخلافة، ج٢، ٥٦.

(٨١) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٨٨.

(٨٢) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ٥،ص ٨٨؛ ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص ٥٣٥؛ القلقشندي، مآثر الاناقة، ج ٢، ص ٥٦.

(٨٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٧٥.

(٨٤) ابن كثير ،البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٢٥.

قائمة المصادر والمراجع

- أبن الاثير، علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

١. الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت –١٩٦٦م)

- الأردبيلي، أحمد بن محمد(ت:٩٩٣هـ/١٥٨٥م)

٢. زبدة البيان في أحكام القرأن، حقق وعلق عليه، محمد الباقر البهودي، المكتبة المرتضوية لأحياء الأثار، الجعفرية، تهران – د.ت.

- ابو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

٣. الأغاني، تح : د. يوسف البقاعي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – ٢٠٠٠م).

- البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت،٢٥٦ هـ/٨٦٩م).

٤. التاريخ الكبير، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر ،(ديار بكر – د.ت).

- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد(ت: ٤٤٠هـ/١٠٤٨م).

٥. الاثار الباقية عن القرون الخالية ،(ليدن – ١٩٢٣م).

- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت:٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

٦. النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (١٣٩١هـ/١٩٧١م).

- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت:٣٤٨هـ/٩٩٤م)

٧. نشوار المحاضرة وأخبار المؤاكرة ،تح: عبود الشالجي، (د.م – ١٩٧٣م).

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

٨. التاج في أخبار الملوك (المنسوب إليه)، القاهرة – المطبعة الأميرية(١٩١٤م) وطبعة أخرى ،تح : فوزي عطوي ،(بيروت – ١٩٧٠م).

٩. الحيوان، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ،تح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٦٥م).

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد (ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

١٠. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،تح : محمد عبد القادر عطا وسلمان عبد القادر عطا ،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٢م).

١١. ذم الهوى ،تح : مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي، مطبعة السعادة (د.م– ١٩٦٢م).

١٢. الأذكياء، تح : بسام عبد الوهاب الجابي، د.ط، مكتبة الغزالي (١٤٤٢هـ/ ١٩٨٥م).

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(ت: ١٠٧٦هـ/ ١٦٥٦م).

١٣. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ،د.ط، دار أحياء التراث الربي، بيروت –د.ت.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م

١٤. تاريخ بغداد ومدينة السلام ،دراسة وتحقق ن مصطفى عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية بيروت – ٢٠١١م.

- أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

١٥. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، ط٤، دار احياء التراث العربي، (بيروت – د.ت)

- ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

١٦. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ،(د.ت– د.م)

- الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت، ٨٠٨هـ)

١٧. حياة الحيوان الكبرى ط٢، دار الكتب العلمية بيروت ١٢٢٤هـ.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت:٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

١٨. تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح : عمر عبد السلام تدمري، ط١،مطبعة لبنان، دار الكتاب العربي (بيروت –١٩٨٧)

١٩. العبر في خبر من نبر، تح : فؤاد السيد، التراث العربي، الكويت –١٩٦١م

- الزبيدي، محب الدين أبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م

٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة بيروت – د.ت

- الزمخشري، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي ت: ٥٣٨هـ ١١٤٣م

٢١. الفائق في غريب الحديث والاثر، ط٢، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل أبراهيم، دار المعرفة لبنان د.ت

- الصفدي، صلاح الدين خليل أبيك (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٢٢. الوافي بالوفيات، تح :أحمد الارنناؤوط وتركي مصطفى، دار الاحياء العربي (بيروت – ٢٠٠٠م).

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م).

٢٣. تاريخ الرسل والملوك، تح : نخبة من العلماء، ط٤، مؤسسة الاعلمي (بيروت – ١٩٨٣م)

- أبو الفداء، عماد الدين أسماعيل (ت:٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

٢٤. المختصر في أخبار البشر، شركة علاء الدين للطباعة والنشر، دار المعرفة (بيروت – ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

- أبن الفوطي، كمال الدين (ت: ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).

٢٥. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابقة، بغداد (د.ت).

- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)

٢٦. القاموس المحيط ،(بيروت – ١٩٦٣م)

- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

٢٧. صبح الاعشى في صناعة الانشا، تح وشرح : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت – د.ت)

٢٨. مأثر الأناقة في معالم الخلافة، تح : عبد الستار أحمد فرج، سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت (١٩٦٤م)

- أبن قتيبة الدينوري، أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).

٢٩. الأخبار الطوال، تح : عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين شيال، ط١، دار أحياء الكتب، عيسى البابي وشركاءه، ١٩٦٠م.

- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين بن كثير بن أسماعيل (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٣٠. البداية والنهاية، تح : علي شيري، ط٢، مكتبة المعارف (بيروت – ١٩٧٧م).

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهزلي (ت: ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)

٣١. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية ،(بيروت – ٢٠٠٧م)

- ابن مسكوية، أحمد بن محمد الرازي (ت: ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م).

٣٢. تجارب الأمم وتعاقب الأهم، تح : أبو القاسم أمامي، ط٢، دار سروش – (طهران – ٢٠٠١م).

- المجلسي، أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي بن مسعود علي(ت: ١١١هـ / ١٦٩٩م).

٣٣. بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء (بيروت – ١٩٨٣م).

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٣٤. لسان العرب، أدب الحوزة (د.م– ١٩٨٥).

- النويري، شهاب الدين أحمد (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).

٣٥. نهاية الادب في فنون الادب، مطابع كوستاتومس، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والترجمة والطباعة والنشر(د.ت).

- الهمذاني، أحمد بن محمد (ت: ٣٤٠هـ/ ٩٥١م).

٣٦. البلدان، تح : يوسف الهاوي، ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٩٦م).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت: ٦٢٢هـ/ ١٢٢٨م.

٣٧. مجمع الادباء ،ط٣، دار الفكر (بيروت –١٩٨٠م).

٣٨. حسن أبراهيم حسن، تاريخ الأسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، ١٩٦٤، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة – ١٩٦٤م).
٣٩. القيرواني، أبن ابي زبد، الثمر الداني في تقريب المعاني، جمع وتحقيق : الشيخ صالح عبد السميع الابن الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٤٠. محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق وأخراج : حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات – بيروت .د.ت.

التعريف برضا هادي عباس الواسطي الخاص ونتاجه البحثي الخاص بتوثيق التراث الأندلسي

Introducing Rida Hadi Abbas Al-Wasiti and his own research output documenting the Andalusian heritage

الباحثة سناء عبد كاظم
مديرية تربية محافظة واسط

أ.د. محمد حسين علي السويطي
كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة واسط

Abstract .

The city of Wasit contributed throughout its history in the scientific language with scholars and thinkers. Its production is the science of knowledge, the science of knowledge, and the partial study. It publishes contemporary scientific information, its science, its science, its science, its history, and it excelled in the history of Andalusia, so it wrote many researches in it in Arabic and Spanish, we will try as much as possible to introduce it , and according to the publication only, to be a useful guide, God willing, for researchers in the field of the history of Andalusia ... and from God, success.

الملخص:

أسهمت مدينة واسط عبر تاريخها برفد الحركة العلمية بالعلماء والمفكرين، لأنها مدينة علم ومعرفة، وكان ومازال شغف أهلها كبيراً جداً بالكتاب والمؤلفين، ومن هنا انبثقت فكرة محاولتنا البحثية التي جاءت تحت عنوان (**التعريف برضا هادي عباس الواسطي الخاص ونتاجه البحثي الخاص بتوثيق التراث الأندلسي**)، لنكشف النقاب عن شخصية علمية معاصرة، ولدت في واسط وترعرعت فيها حتى صارت أحد أعلامها، تخصص في التاريخ الاسلامي، وأبدع في تاريخ الأندلس، فكتب فيه أبحاث عديدة باللغتين العربية والإسبانية، سنحاول قدر المستطاع التعريف بها، وبحسب المنشور منها فقط، لتكون دليلاً نافعاً بإذن الله تعالى للباحثين في مجال تاريخ الاندلس... ومن الله التوفيق.

كلمات مفتاحية: (واسط، شمر، هادي عباس، التراث الاندلسي، العراق)

أولاً- نبذه من حياته وتعليمه:

اسمه رضا هادي عباس حسين ونسبه يرتبط بقبيلة شمر[١]، وهي من القبائل العربية المشهورة التي يتركز وجودها على الشريط الحدودي الذي تشغله محافظة واسط وديالى والعمارة بمحاذاة الجهة الشمالية من نهر ديالى[٢].

ولد في منطقة الشرقية، وهي من المناطق الأساسية في مدينة الكوت[٣] في الأول من تموز سنة ١٩٤٥م[٤] وسط أسرة كريمة معروفة في الوسط الاجتماعي بعطائها العلمي والتزامها الاجتماعي، اذ كان والده عباس الشمري –رحمه الله–[٥] تاجراً للعطاريات، ومقر تجارته في السوق الذي كان يقع على شاطئ نهر دجلة، وكان يمتلك من الثقافة ما جعله يحث أولاده على اكمال مسيرتهم العلمية فحرص على توفير المستلزمات على أتم وجه، وساعده على ذلك حكمة والدته السيدة فضيلة –رحمها الله– وحرصها ووعيها[٦]، فهي سليلة أسرة علمية دينية معروفة في الكوت والدها السيد حسين بن عبد الحميد الطباطبائي[٧].

كانت المدرسة بيته الثاني، عاش فيها طفولته فقد درس في المدرسة المركزية الابتدائية في لواء الكوت عام (١٩٥٣م)[٨] وتخرج منها حاصلاً على شهادة الابتدائية بتفوق عالي بتاريخ ١٩٥٩[٩]، بعدها أكمل مسيرته في متوسطة الكوت الشرقية في عام (١٩٥٩م) وكان طالباً نشيطاً وشارك في أغلب النشاطات المدرسية منها الكشافة ومراقب الصف وتخرج منها بمعدل جيد عام (١٩٦٢)[١٠].

التحق في سنة (١٩٦٢) بإعدادية الكوت ليكمل دراسته الإعدادية، وتخرج من الخامس الأدبي سنة (١٩٦٣- ١٩٦٤) بمعدل ٦٧،٤٢%، عاد مدرساً لمادة الاجتماعيات محاضراً في متوسطة الكوت للبنين صباحاً وثانوية نقابة المعلمين المسائية في الجعفرية/ كوت (١٩٦٨-١٩٧٠) كذلك في نفس مدرسته اعدادية الكوت، وباشر فيها أول تعينه (١٩٧٠/٣/١٥)[١١]، وطالع الكتب المنهجية التعليمية في المرحلة الابتدائية كما قرأ الكتب الأدبية والتاريخية التي كانت موجودة في مكتبة المدرسة مثل كتاب (الف ليلة وليلة) وجريدة البلاد في العهد المالكي، فضلاً عن القرآن الكريم، ولحد هذا الوقت يتابع اصدارها، و(مجلة الأضواء)[١٢] التي صدرت من مدينة النجف الاشرف، وقُبل في الجامعة في قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة بغداد عام (١٩٦٤) في الأعظمية[١٣] وتم قبوله بهذا القسم بناء على رغبته، وكان من الطلبة المتميزين وله علاقات متميزة مع الطلاب والاساتذة في جامعته[١٤]، وبعد تخرجه من جامعة بغداد كلية الآداب في العام الدراسي (١٩٦٧-١٩٦٨) وحصل على شهادة البكلوريوس بمعدل جيد ٧٧%، ومن العشرة الأوائل، مارس تدريس مادة الاجتماعيات لمدة ست سنوات (١٩٧٠ -١٩٧٥)[١٥]، وحصل على بعثة دراسية في سنة (١٩٧٤) عن طريق دائرة البعثات في وزارة التعليم العالي في تخصص التاريخ، بعد ان اجتاز المقابلة برفقة تسعة عشر متقدم من مجموع أكثر من ١٠٠ متقدم، فالتحق بإسبانيا للتخصص في تاريخ المغرب والاندلس في قسم التاريخ الاسلامي بكلية الفلسفة والآداب/ جامعة غرناطة[١٦].

وبعد الانتهاء من المرحلة التحضيرية، درس اللغة الاسبانية في المدرسة الرسمية للغات بمدريد عام (١٩٧٥-١٩٧٦) وفي كلية الآداب بجامعة غرناطة عام (١٩٧٦-١٩٧٧) وحصل على شهادة الدبلوم[١٧]، ومن ثم اختار موضوع رسالته للماجستير (القضاء والقضاة في كتاب تاريخ علماء الاندلس لأبن الفرضي) تحت اشراف البروفيسور (خثينتو بوش بلا[١٨] الذي كان من المشهود لهم في تخصصه العلمي وحبه للخير، اذ كان يجلب الكتب من مكتبته الخاصة لطلبته ويساعدهم في التنقل بسيارته الخاصة، وكان قد تعاون معه بنشر عدد من المخطوطات الأندلسية ومنها: ذكر بلاد الأندلس للمؤلف مجهول ،وصلة الصلة لابن الزبير (ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م)، وأخبار الفقهاء المحدثين للخشني (ت٣٦١هـ/ ٩٧٢م) [١٩]، وبعد أن أكمل متطلبات الدراسات العليا تم المناقشة يوم ٢٨/ ١/ ١٩٧٨، وبحضور عدد من التدريسين وطلبة الدراسات العليا من الاسبان والعرب، وبعد الدفاع عن رسالته باللغة الاسبانية لمدة ساعتين قُبلت رسالته بتقدير امتياز، وكان أول طالب عراقي يتخرج من قسم التاريخ بكلية الفلسفة والآداب/ جامعة غرناطة عام (١٩٧٧-١٩٧٨)[٢٠].

ولتميزه في مرحلة دراسة الماجستير تم قبوله مباشرة عام (١٩٧٨) في القسم والكلية والجامعة ذاتها، وتحت اشراف الاستاذ المشرف الذي اشرف عليه بالماجستير[٢١]، وكان من أبرز الأساتذة الذين تلقى تعليمه منه في دراسة الدكتوراه[٢٢]، الاستاذ الدكتور خثنتو بوش بلا رئيس قسم التاريخ الاسلامي[٢٣]،

وكان عنوان اطروحته (القضاة والقضاء في الاندلس من الفتح حتى مملكة غرناطة (٩٢-٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧- ١٤٩٢م)، والمشرف على اطروحته البروفيسور (خثنتو بوش بلا)، وطبع ملخصها باللغة الإسبانية من قبل جامعة غرناطة سنة (١٩٨٠)[٢٤].

ثانياً- جهوده البحثية الخاصة بتوثيق التراث الأندلسي:

كتب رضا هادي عباس عدداً من الأبحاث العلمية التي نشر بعضها في مجلات علمية محكمة عراقية وعربية وأجنبية وما زال البعض الاخر منها في قيد الكتابة أو أنها أنجزت ولم تنشر بعد، كتب بعضها باللغة العربية وأخرى باللغة الإسبانية، قارب عددها إجمالاً نحو عشرة أبحاث، تركزت غالبيتها في التاريخ الإسلامي ولاسيما في مجال تخصصه الدقيق تاريخ المغرب والأندلس، وسأتبع ترتيب البحوث بحسب أقدمية نشرها ووفقاً لطبعتها الأولى وسأعتمد بتوثيق الافكار والشروحات الواردة عنها على النسخة المطبوعة في كتبه وهي:

١. الآداب السلطانية في الأندلس:

هو بحث اختص بالآداب السلطانية في بلاد الأندلس، نشره مرتان، المرة الأولى في سنة (٢٠١٠م) بمؤتمر علمي[٢٥]، ونشره في المرة الثانية واعتمدت بتوثيق أفكار البحث على النسخة المطبوعة سنة(٢٠٠٩م) ضمن كتابه (اللقاء الحضاري في الأندلس) بسبعة صفحات[٢٦].

تضمن أهم المبادئ التي كانت تقوم عليها الآداب السلطانية كالنصائح الأخلاقية والقواعد السلوكية الواجب على السلطان أو الحاكم اتباعها، وهي كتابات ذات منهجية تعمل على، تقوية السلطة ودوام الملك، وجاءت تلك الكتابات من خلاصة تجارب واطلاع على الثقافات الفارسية واليونانية وغيرها وليست هي مجرد فكر سياسي نظري ذو شمولية، وإنما هي كلها أمور تجعل من الآداب السلطانية ثقافة سياسية متميزة عن ما عرفته الرقعة العربية الإسلامية من ثقافات سياسية وشرعية ذو طابع فلسفي[٢٧].

وكان هناك صراع حدث بين أنصار الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية ودور الشعوبية في ذلك الصراع وانتحال كتب نُسبت إليها من هذين الثقافتين مع تناقضهما مع الثقافة الإسلامية المتمثلة بالمروءة والكرم والايثار والسخاء والشجاعة وغيرها من المبادئ التي تقوي السلطة على نقيض المبادئ المخالفة كالرذائل والترف والتبذير التي تؤدي إلى انهيار الملك وظلم الرعية، وأعاقت تلك الثقافتين عقول عدد من المفكرين الإسلامية في تطور الفكر السياسي في الإسلام[٢٨].

٢. تاريخ اسبانيا الإسلامية، مملكة بني نصر في غرناطة (١٢٣٧-١٤٩٢):

اختص هذا البحث بالحديث عن تاريخ مملكة بني نصر في غرناطة، وقد نُشر مرتين، الأولى في مؤتمر علمي (سنة ٢٠١١م)[٢٩]، والمرة الثانية اعتمدتُ عليها بتوثيق أفكار البحث للنسخة المطبوعة سنة (٢٠٠٩م) في كتابه (اللقاء الحضاري في الأندلس)[٣٠].

تناول بيان أسباب بقاء بنو نصر في غرناطة بعد حركة الاسترداد المسيحي في القرن الثالث عشر، وكان مؤسس هذه المملكة محمد بن يوسف (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)[٣١] في جنوب الأندلس فقد أستخدم بنو نصر المناورات من أجل البقاء، فظهرت هذه المملكة بعد زوال حكم الموحدين في الأندلس عام(٦٢٥هـ/١٢٢٧م) فغرقت بلاد الأندلس في المشاكل من جديد، فظهرت قيادات جديدة حاولت

استرجاع حكم بلاد الأندلس من جديد، منهم محمد بن يوسف بن هود (ت٦٣٥هـ/١٢٣٧)[٣٢] الذي أخذ الدعم من الخليفة العباسي المنتصر بالله وزيان بن مردنيش (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩)[٣٣] وغيرهم الذين حصلوا على الدعم من قائد الموحدين أو طلبوا مساعدة من الممالك المسيحية الإسبانية من أجل البقاء، وبعد موت محمد بن هود استطاع ابن نصر من توحيد القلاع تحت سيطرة" فرناندو"[٣٤] الثالث الذي أستطاع السيطرة على مدينة جيان وما حولها وتم أنهاء تهديدات مملكة غرناطة، ثم عقد اتفاقية مع فرناندو أجبرت ابن نصر على الاعتراف بمملكة فرناندو مع تقديم المساعدة العسكرية ودفع الجزية السنوية مقدارها (١٥٠) قطعة من الذهب وقد كتب حول حكم ابن نصر بأنه رغم الاضطرابات وسيطرة فرناندو أستطاع تقوية مملكته واستمر الحكم مدة (٤٢) سنة ولقب بالغالب بالله بحماية من جيرانه[٣٥].

٤.الحضارة الإسبانية:

اختص هذا البحث بالحديث عن الحضارة الإسبانية، وتم نشره في مؤتمر علمي سنة (٢٠١١م)[٣٦]، ثم نُشر مرة ثانية واعتمدت على النسخة المطبوعة سنة (٢٠٠٩م) بتوثيق أفكار البحث بواقع عشرين صفحة في كتابه "اللقاء الحضاري في الأندلس"[٣٧].

تناول بيئة اسبانيا الطبيعية وسماتها الأساسية من حيث فرادة موقعها الجغرافي بوصفها حلقة وصل بين المشرق والمغرب عبر التاريخ، فبين موقعها بأن الطرف الجنوبي لشبة الجزيرة الأيبيرية يقع على بعد أربعة عشر كيلو متر من السواحل الأفريقية وترتبط بالقارة الأوربية بمسافة (٤٣٥) كيلو متر بعرض يمتد على طول جبال (البرنية)[٣٨] وتطل سواحلها الشرقية والجنوبية الشرقية على البحر المتوسط ووجهتها الغربية على المحيط الاطلنطي[٣٩] وأمريكا، وان مساحتها تبلغ (٥٠٧،٠٠٠ كم٢) موزعة بين شبه الجزيرة (٧،٨٤%) وبين جزر البليار[٤٠] والكناري[٤١]، أما الهضاب فانها تشغل ما يقدر بـ(٢١٠،٠٠٠ كم٢)، فهي كبيرة الاتساع وارتفاعها في قسم من المناطق (٨٠٠) متر[٤٢].

وتبين أن للغة وثقافة تلك الشعوب التي عاشت على أرض الجزيرة الأيبيرية أثر في إسبانيا، أذ توجد أربع مساحات لغوية منها: (قشتالة[٤٣]، قطالونيا[٤٤]، إقليم الباسك[٤٥]، جليقية[٤٦])، وأقدم شعوبها هو شعب (الباسك) الذي أستطاع أفراده أن يحافظوا على لغتهم[٤٧]، وذكر في هذا البحث نوع الأطعمة التي كانوا يتناولونها وأشهرها الرز الشرقي والبانية والأسماك، وبين الأعياد الشعبية وما يندهش به الزوار الذين يزورون إسبانيا من أجواء ذات طابع حيوي[٤٨].

ونالت الثقافة العبرية درجة عالية من الازدهار في العصر الإسباني الوسيط فعاصرت الثقافتين الإسلامية والمسيحية، فكان التأثير متبادل بين تلك الثقافتين، ومن هذه التأثيرات ما حدث في مدرسة الترجمة بمدينتي طليطلة وقرطبة، فتعددت المدارس التلمودية والمراكز الثقافية، فكان الفكر الإسباني العبري دينياً كما في الفكر الإسلامي والفكر المسيحي وتأثر ببعض التأثيرات الفلسفية الأفلاطونية ومن المؤلفين الذين تأثروا **ابن جبريل**[٤٩] الذي كان يعتقد أن الله واحد لا يمكن إدراكه، وعد الأنسان مجموعة من التراكيب الآتية من كل عناصر العالم[٥٠]، وأشار في بحثه هذا إلى صعوبات توحيد الممالك الأيبيرية، فقد اشتد الصراع في بداية القرن الحادي عشر بين المسلمين والمسيحين، فكان المسيحيون يوطدون علاقاتهم مع أوربا عن طريق (سانتياغو)[٥١] الذي سلكه الحجاج في رحلاتهم إلى (أبوستول)[٥٢]، وعن

طريقه وصل الفن الروماني والاصلاح الكليني الذي أمتاز بالسمات الأفريقية مع المرابطين والموحدين الذين فرضوا على الطوائف التعصب والاضطهاد، وعلى الرغم من مشاركة الممالك المسيحية في قسم من الاهداف المهمة مثل الحروب الصليبية، لكنها واصلت منفصلة في العصر الوسيط مسارها التاريخي، فساروا بشكل متواز فيما بينهم وواجهوا كثير من الأزمات الخطيرة، وخاصة في القرن الرابع عشر ومنها ما حدث من أوبئة مثل الطاعون والنزاعات الاجتماعية التي نجم عنها الصراع الديني في بداية عصر النهضة التي راح ضحيتها عدد كبير من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية، عن عقيدة وإيمان أو للتخلص من العذاب والاضطهاد، لكنهم رغم ذلك أضمروا العداء للمسيحين القدامى الذين أتهموهم في تطبيق دينهم في الخفاء[٥٣].

٥. اليهود تحت الحكم الاسلامي في الأندلس:

ذكر في هذا البحث اليهود الذين كانوا تحت الحكم الإسلامي في الأندلس، وتم نشره بمؤتمر علمي في سنة(٢٠١٢م)[٥٤]، ثم أعيد نشره و اعتمدت على توثيق أفكار البحث على النسخة المطبوعة سنة(٢٠٠٩م) في كتاب " اللقاء الحضاري في الأندلس" بواقع أربع وعشرين صفحة[٥٥].

تناول تعاون اليهود مع الفتح الإسلامي لإسبانيا بسبب روح العداء الموجودة في أصول العصور الوسطى، ووضح نشاطهم المناوئ لملوك القوط وحالة اليأس التي انتابتهم، نتيجة تدوين (قانون ثيودوسيوس الثاني المسمى بريباريودي الاريكو)[٥٦] التي استمرت عشرة من هذه القوانين الرومانية خلال حكم الملوك الذين أقروا الشروط ومنها التميز ومنع التبشير وعقوبات رادعة لمن يحرر عبداً واعتماد التصديق على الزواج ومنع بناء معابد يهودية جديدة (كنيست)[٥٧] وعدم السماح لهم بتسليم مناصب قضائية للمسيحين لكن بسبب الفوضى التي عمت البلاد لم تطبق هذه القوانين التي كانت موجهة لقمعهم، وأن سبب الفوضى في البلاد تعود إلى تطبيق تلك القوانين على اليهود وبدءاً من المجمع المسكوني الثالث في طليطلة عام٥٨٩م في زمن ريكارد الذي اعتنق الكاثوليكية واتخذ أسلوباً صارماً تجاه اليهود فأصدر قرارا في تحرير عبيد اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية، أو الذين تم ختانهم فضلاً عن منع اليهود من أن يتخذوا الاحرار خدماً لهم وأصدر قرار بتعليم أبناء اليهود في المدارس المسيحية، وأجبروا اليهود الذين اهتدوا على العمل في التجارة مع أقاربهم، فضلاً عن منعهم من الاحتفال في طقوس الختان ومنعهم من الزواج على الطريقة المسيحية، وفي أواخر القرن السابع كان النظام القوطي مكروهاً؛ لطغيانه وضعفه في فرض القوانين، فأدخل البلاد في صراعات خطيرة حوله ولي العهد، وكان اليهود أحد ضحايا هذه الصراعات، وعلى الرغم من الفوضى فكان الحاكم يمنع حتى الذين طبقوا القوانين من أن يبقوا على قيد الحياة، فكان موقف اليهود في شبة الجزيرة الأيبيرية من الفتح الإسلامي سنة(٩٢هـ/٧١١م) فاتحة خير لهم فقدموا الفاتحون للديانة اليهودية فرصة لانتهازها ويبدو انهم استفادوا منها قدر الامكان[٥٨].

٦. دور الترجمة في الحوار الحضاري:

خُصص هذا البحث للحديث عن الترجمة في الحوار الحضاري، وتكون من أربعة عشر صفحة واعتمدت على توثيق أفكار البحث على النسخة المطبوعة سنة(٢٠٠٩م) في كتابه " اللقاء الحضاري في الأندلس"[٥٩]، وبين الحاجة إلى الترجمة في العصر الحاضر، عصر الشعوب والثقافات، وهي حاجة

تتزايد يوم بعد اخر لأنها إحدى وسائل التعارف والتقارب والتفاهم بين الشعوب في سبيل الحوار الحضاري وبناء الحضارة[٦٠]، والترجمة ليست فقط نقل أفكار وأعمال من لغة لأخرى، أنما هي بالدرجة الأولى عملية إبداعية، وأن المترجم الجيد ليست من يترجم من لغة إلى أخرى أنما من يمتلك مدى رحباً للعمل فهو من يترجم تفكيراً لغوياً إلى تفكير لغوي مغاير، ولا يقتصر على نقل المدلول الدقيق أنما النبرة والوتيرة والإيقاع والنغمة[٦١]، وأن الترجمة تتناول مواضيع أساساً في الحضارة الإنسانية والتواصل الاجتماعي فأن كتابة موضوع أو تأليف كتاب يكون أسهل من ترجمة نص أو كتاب وذلك لأن الترجمة أمانة فلهذا يحتاج المترجم الى أمور أساس ليصبح قادر على نقل أفكار من لغة إلى أخرى ومنها المقدرة اللغوية التي تكون أساس الترجمة، والثقافة العامة وهي أن يكون المترجم له معرفة وإلمام بحقائق عامة تتعلق بطبيعة الكون وطبيعة الأنسان والجماد والحيوان، فهذه الثقافة تساعده على فهم النصوص ووضع التفسيرات، والشروح التي يحتاجها القارئ لفهم النص، وايضاً لابد أن تكون لدى المترجم خبرة وممارسة لأنها من ضروريات العمل[٦٢].

٦. قصائد شعرية إسبانية مترجمة:

تناول هذا البحث القصائد الشعرية الإسبانية المترجمة، وتكون من عشرة صفحات واعتمدت في توثيق أفكار البحث على النسخة المطبوعة سنة (٢٠٠٩م)في كتابه " اللقاء الحضاري في الأندلس "[٦٣]، بين فيها الباحث اهتمام العرب بالشعر، اذ مجده الرسول الأعظم (ﷺ) بقوله: "**إن من الشعر لحكمة**"[٦٤]، فكانت العرب لا تعرف تواريخها وأنسابها ووقائعها وأيامها إلا من خلال أشعارها، فهو ديوان العرب فأصبح الشعر أساساً في توثيق الأحداث التاريخية وعدم نسيانها وحفظها لأنه يثير في القارئ لذة المتابعة والمعايشة لتلك الأحداث، فظهر الاعتماد عليه لدى المدونين الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين الذين أخذوا بتدوين مختلف العلوم التي وجدوا بضرورة تدوينها مثل التفسير والمغازي والحديث الشريف والأخبار لأنه من الموارد التي تساعد المؤرخ في الوقوف على تاريخ العرب والاطلاع على أحوالهم، فأن الأدب وثيق الصلة في التاريخ فهو مرآة العصر وتعبير عن أفكار الانسان وعواطفه فهو يعكس الأحداث التاريخية التي يتزامن معها عادة ويصورها تصوير دقيق كما وضح غاريثا غومث:" **لعل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قوم من صفحات طوال من التاريخ**"[٦٥].

وذكر أن رؤية المؤرخ تختلف عن الشاعر للحدث التاريخي فالمؤرخ ينظر إلى الحدث في عقله فيحاول أن يحلل الأسباب ويضبط التأثير وبعدها يقيم النتائج، وهو في ذلك ينظر في السمات العامة والخطوط الكبرى للأحداث ليخرج في النهاية في نظرة كلية شاملة، وأما الشاعر فهو ينظر إلى الحدث في عقله ووجدانه فيغوص في جزئياته فيومي إلى أبعاده الاجتماعية والنفسية فهو بذلك يكمل عمل المؤرخ فيرشده إلى أشياء جديدة لا يجدها بالوثائق ولا يمكن من أن يجدها فيها لأن هذه الأشياء تعبير عن وجدان الشعوب فلا يمكن إلا للغة الوجدان أن تنقلها وتحفظ بما في طياتها من شحنات عاطفية[٦٦].

وعند دخول العرب الفاتحين الأندلس عرفت البلاد نوع من الثقافة كانت مع الفاتحين الجدد، وكان دخولهم ليس الجند بل وصل أليها عدد من الصحابة والتابعين حاملين معهم بذور الثقافة الأولى التي شعت بها نور الأندلس العلمي والفكري، وأن السبب الذي دفعهم إلى قول الشعر عن الحياة الجديدة هو

تأثيرهم بالفتوح وما عكسته على أشعارهم، ولكن رغم تعدد الاسباب في هذه الارض الغنية بجمالها وطبيعتها وبعدهم عن وطنهم وأهلهم فقد وصل الشعر في تلك الفترة شيئاً قليلاً لا يكفي لتكوين صورة عن الأندلس فقد بين أن الشعر الذي وصل رغم قلته لكنه ليس له من الأندلسية شيء فقيل في الأندلس وقائلوه في الحقيقة مشارقة جاءوا إلى الأندلس مع عمليات الفتح وهو نفس الشعر الذي كان شائعاً في المشرق في تلك الفترة ولا ينعكس عليه من شعر الأندلس أي أثر، ووضح بأن المصادر الأندلسية المسيحية تحوي معلومات عن شعراء جوالين مسلمين يقيمون في الجانب الإسلامي وبعدها يرحلون إلى الممالك المسيحية لكي يعيشوا أو المسلمين الذين بقوا بالممالك المسيحية عندما أنحسر عنهم مد الإسلام(٦٧).

٧.التدوين التاريخي وإشكاليات النقد في الأندلس:

بين هذا البحث أهمية التدوين التاريخي والنقد والتحليل للأحداث التاريخية في الأندلس، تم نشره للمرة الأولى في مجلة دراسات تاريخية سنة (٢٠١١م)(٦٨)، ثم نُشر مرة ثانية واعتمدت بتوثيق أفكار البحث على النسخة المطبوعة سنة ٢٠١٧ في كتابه (المكتبة الأندلسية) بأربعة عشر صفحة(٦٩).

سلط الضوء فيه على دور العرب والمسلمين في كتابة تاريخ إسبانيا الإسلامية التي كانت تمثل أحد أركان العالم الإسلامي في العصور الوسطى، ولأتساع الموضوع عرض بصورة سريعة كيفية نشوء التدوين التاريخي في الأندلس وتطوره وأشهر أعلامه في القرون الخمسة الأولى للهجرة وتطرق إلى أثر المشرق الإسلامي ولاسيما المدرسة المصرية في المدرسة الأندلسية بتدوين التأريخ، وكيفية استقلال المدرسة الأندلسية والتأثير المتبادل مع المدرسة الإسبانية(٧٠)، وكشف فيه كذلك عن إشكاليات النقد التاريخي عند بعض المؤرخين، وأن الهدف الذي توصل إليه هو أن التدوين التاريخي للأندلس لم يعالجه إلا قلة من الباحثين العرب والأجانب سواء بشكل جزئي أو كامل، ومنهم عبد الواحد ذنون طه في كتابه " نشأة تدوين التأريخ العربي في الأندلس "، واحمد المختار العبادي في كتابه " من التراث العربي الإسباني نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الإسبانية التي تأثرت بها"(٧١).

وتطرق أيضاً إلى المحاولات الأولى لتدوين التأريخ في الأندلس مبيناً أن الحقبة الاولى من تأريخ الأندلس حقبة مضطربة لأن مصادرها لم تدون على مسرح الأحداث أذ أن المسلمون كانوا في عصر الفتح جنوداً محاربين هدفهم القتال وجمع الغنائم(٧٢)، كما بين فيه أيضاً ازدهار التدوين التاريخي في القرن الرابع الهجري، فقد بلغ عدد الكتب المؤلفة خمس وثمانون كتاباً، وأشهر مؤرخي هذا القرن عبد الله الحكيم (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)(٧٣) ألف كتاب في الأنساب اسماه " أنساب الداخلين الى الأندلس من العرب وغيرهم "، وكذلك تناول إسهامات أُسرة الرازي في التدوين التاريخي لبلاد الأندلس وما قدمته في مجال التدوين التاريخي(٧٤)، وذكر مؤرخو القرن الخامس الهجري وأشهرهم ابن حيان (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) ومنهجه في كتابة التأريخ ووضح إشكاليات النقد التاريخي وأنواع النقد وأساليبه(٧٥).

٨ .ثورة الأمام الحسين (عليه السلام) في التراث الأندلسي:

اختص هذا البحث بالحديث عن ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) في التراث الأندلسي، وقد نشر مرتين، الأولى في سنة (٢٠٠٩م) بمجلة أهل البيت العلمية الحكمة(٧٦)، والثانية بعد ما تم تعديل طفيف في

محتواه وسأعتمد بتوثيق أفكار البحث على النسخة المطبوعة في سنة(٢٠٢٠م) ضمن كتابه " في التراث الأندلسي من فجره إلى أفوله "بإحدى عشر صفحة[٧٧].

وتناول ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) وانتشارها في بقاع العالم ومنها بلاد الأندلس التي تأثرت بأهل البيت (عليهم السلام) وأحبتهم على الرغم من أن الحكومات التي تعاقبت عليهم لم تكن موالية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)[٧٨].

وبين المؤلف أن سبب كتابة بحثه هو اطلاعه على مصادر ومراجع جديدة طرحت آراء تفتقر إلى الموضوعية وفيها مس وتحجيم لثورة الإمام الحسين(عليه السلام)، ومنها أن الإمام الحسين(عليه السلام) ألقى بنفسه في التهلكة وهذا حرام بحسب ما ورد في القرآن الكريم :" **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**"[٧٩]، أذ ذهب ابن حزم الأندلسي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) إلى أن الحسين قُتل بسيف جده لأنه خرج على إمام زمانه يزيد بن معاوية، وأن يزيد لم يأمر بقتل الحسين لكن أمير الكوفة اجتهد بقتله وقد رفض التصرف وأنه خرج مطالب بالخلافة[٨٠]، ورجح الباحث أسباب تلك الرؤى حول الثورة الحسينية بعدم فهمهم لحقيقة الثورة وسيرة أئمة أهل البيت(عليهم السلام)[٨١].

٩. بغداد في رحلة اليهودي بنيامين الاندلسي (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٥م):

اختص هذا البحث عن الرحال اليهودي بنيامين التطيلي الأندلسي، وتم نشره في مجلة كلية التربية بجامعة المستنصرية سنة(٢٠١٨م)[٨٢]، ثم تم نشره مرة ثانية واعتمدت في توثيق أفكار البحث على النسخة المطبوعة في سنة(٢٠٢٠م) في كتابه " في التراث الأندلسي من فجره الى أفوله " بواقع عشرين صفحة[٨٣]، بين فيه أسباب الرحلة وهدفها ونتائجها وأنواعها ومنها الدينية والعلمية والاقتصادية فضلاً عن الهواية في السفر والمغامرة في كشف النقاب عن المجهول من الارض والناس وبين دافع من أجل الرحلة سواء كانت معلنة أو مخفية فقد وصف الرحال بدقة ملاحظاتهم في الوصف وفي التسجيل ما يشاهدونه وتوثيقهم بكل أمانة وحرص وذكر ما ميز بين الرحلة بالمشاهدة العينية والرواية عند تسجيل معلوماتهم فقد ذكر انموذجاً من الرحال غير عربي هو(بنيامين اليهودي) الذي كان هدفه هو الوصول إلى المشرق الإسلامي، فوصل دمشق والاردن ثم وصل إلى بلاد الرافدين في مدينة الموصل ثم وصل إلى بغداد وشاهد كيف كانت الخلافة العباسية تعامل اليهود بكل عطف وأمان مقارناً ذلك فيما شاهده من متاعب وظلم ليهود أوربا فقد توصل إلى توثيق ما شاهده الرحال إثناء رحلته، والعوامل التي تدفع باليهودي الاوربي على ترك بلاد الغرب والإكثار في الترحال والتجوال هو العامل السياسي لأن اليهودي كان ملكاً لأمير الإقطاع يصنع ما يشاء وما توحي إليه رغبته ومصلحته، ولم تكن له حرية مطلقة في الإقامة والسكن حيث يشاء ولا يكون مطمئناً على سلامته في مسقط رأسه ووطنه بل كان يجد نفسه بين فترة وأخرى حيال قرار مؤلم يجب أن يتخذه بالسرعة الممكنة وهو أن يتخير بين ترك دينه واعتناق دين السلطة، أو يحمل عصا الترحال تارك وراءه ما يملكه من حطام الدنيا، والعامل الاقتصادي وهو من العوامل المهمة أيضاً لأن القوانين والقيود التي تحرم على اليهودي الاوربي في العصور الوسطى الأوربية من أن يمتلك عقار أو يشتغل بالزراعة فقد دفعته إلى احتضان التجارة والشؤون المالية فأصبح التاجر اليهودي يجوب البلدان من الشرق والغرب قادماً من أوربا يحمل معه مختلف البضائع والسلع للبيع أو

المقايضة ثم يعود إلى أوربا حامل معه نتاج الشرق وخيراته ومحاصيله(٨٤).

فقد وصف ابن خرداذبة (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) التجار بدقة بقوله:" **إنهم يسافرون بين الشرق والغرب، ويحملون من فرنجة الخدم والغلمان والجواري والديباج والخز الفائق والفراء والسمور ويركبون البحر من فرنجة ويخرجون بالفرما، أو يحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى جدة والحجاز ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار الصيني وغير ذلك ويرجعون إلى القلزم ثم يتحولون إلى الفرما ويركبون البحر الغربي فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها للروم أو صاروا بها إلى بلاد الفرنجة فباعوها هناك وإن شاؤوا حملوا تجارتهم في البحر الغربي فخرجوا بانطاكية فكانوا يتكلمون العربية والافرنجية والفارسية والروسية وهم تجار اليهود الذين يقال لهم الرهدانية أو الراذانية**"(٨٥)، فضلاً عن العامل الديني الذي تمثل بالرغبة الملحة التي تدفع بأتقياء اليهود إلى اقتحام المخاطر وركوب الأهوال لحج بيت المقدس وتبرك بقبور الأنبياء(٨٦).

١٠. عتاب أندلسي:

أختص هذا البحث في الحديث عن العتاب الأندلسي الموجه للجامعات والمعاهد العربية، وتم نشره في مجلة كلية التربية بجامعة المستنصرية (٢٠١٨م)(٨٧) وأعاد نشره واعتمدت على النسخة المطبوعة في سنة (٢٠٢٠م) في توثيق أفكار البحث في كتابه (في التراث الأندلسي من فجره إلى أفوله)(٨٨)، تضمن فكرة اعادة العتاب الأندلسي الموجه للجامعات العربية واستذكار للمرحوم "عنان" صاحب الموسوعة التاريخية الأندلسية "دولة الإسلام في الأندلس" الموثقة بالمصادر والمراجع والمخطوطات، وله الحق في العتاب لإعادة النظر في تدريس مادة التاريخ الأندلسي وحضارته في المعاهد العربية والجامعات، لأهميتها الثقافية والعلمية أضافة إلى العواطف التي حملها الباحثون والقراء للأندلس الفردوس المفقود بعد أن مضى على تاريخهم وحضارتهم في إسبانيا والبرتغال أكثر من ثمانية قرون (٩٢ـ٨٩٧هـ/٧١١ـ١٤٩٢م) فضلاً عن الإسهام الحضاري للهجرات الأندلسية لفترة أكثر من قرن من الزمن (١٤٩٢ـ١٦١٤م) لبلاد المغرب وأوربا وغيرها من بلاد العالم(٨٩).

فقد ذكر اجراء المقارنة منهجياً لمواد قسم التاريخ في المعاهد والجامعات العربية وخاصة في التاريخ الإسلامي فوُجدت تعتمد على المعايير منها المدة الزمنية التي حكمت الدولة الإسلامية فيها ومساحتها الجغرافية فضلاً عن التأثير المباشر وغير المباشر لمجتمعات للدول العربية الإسلامية في العصور الوسطى (٥٧١ـ١٤٥٣م) ومن خلال ذلك بين أن قيام دولة الرسول (ﷺ) في يثرب أستمرت عشر سنوات يضاف إليها تضحياته وجهاده في مكة المكرمة لمدة (١٣) سنة فكانت مساحة دولته محدودة لكن عهده كان ذو أثر كبير للتاريخ الإسلامي في حين مدة حكم الخلافة الراشدة (٣٠) سنة (١١ـ٤١هـ/٦٣٢ـ٦٦١م) واستمرارها في نفس عاصمة الرسول (ﷺ) بالمدينة والكوفة وفي مساحة محدودة فكان تأثيرها كبير كونها استمرار لعهد الرسالة، وأما الدولة الاموية وعاصمتها دمشق فقد استمرت بحدود (٩١) سنة (٤١ـ١٣٢هـ/٦٦١ـ٧٤٩م) فامتاز بكثرة الفتوحات بعد توقفها في العصر الراشدي فاتسعت رقعت الدولة العربية الإسلامية في مشرقها ومغربها المغرب والأندلس وجزر حوض البحر المتوسط

وحدودها من الصين شرقاً إلى المحيط الاطلسي غرباً، وجاءت الدولة العباسية وعاصمتها بغداد دار السلام فحكمت مدة (٥٢٤) سنة (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) وبعد نهايتها على يد المغول وسقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ذهب عدد من الخلفاء إلى مصر ليستمر حكمهم مدة من الزمن[٩٠].

في حين الدولة العربية الإسلامية في الأندلس أستمرت أكثر من ثمانية قرون، ولهم إسهام حضاري على المغرب الإسلامي و أوربا وفي جميع المجالات لكن بدأ التراجع لهذه الدولة في الحكم والمساحة وخاصة في عصر الطوائف (٤٢٢-٤٨٢هـ/١٠٣٠-١٠٨٩م) لكن جهود المرابطين (٤٨٤-٥٣٩هـ/١٠٩١-١١٤٤م) وبعدها دولة الموحدين (٥٤٠-٦٣٥هـ/ ١١٤٥-١٢٣٧م) من أجل إنقاذ الأندلس وإعادة الروح لها من جديد لمدة قرنين من الزمن واستمرت بالوجود لكن زيادة قوى الممالك الإسبانية والحروب الصليبية وضعف القوة الفاعلة في الأندلس أدى إلى سقوط أغلب مدن الأندلس[٩١]، فوضح واقع دراسة وتدريس تاريخ الأندلس في الجامعات والمعاهد لم يكن في المستوى المطلوب مقارنة مع بقية مواد التاريخ العربي الإسلامي ولغرض تطوير وإغناء الدراسات الأندلسية في الجامعات والمعاهد العربية قدموا اقتراحاً بزيادة ساعات تدريس مادة تاريخ وحضارة الأندلس في كليات التربية والآداب، وإغناء ورفد المكتبات الجامعية بالمصادر والمراجع الأساسية لتسهيل أمر القارئ، وفتح أفاق التعاون العلمي والثقافي بين الجامعات والمعاهد العربية والجامعات الإسبانية، أرسال عدد من طلبة الدراسات العليا في مجال التاريخ الأندلسي إلى إسبانيا واستضافة عدد من الأساتذة الاستعراب الاستشراق الإسباني المتخصصين بالدراسة الأندلسية والموريسكية إلى الجامعات للإفادة من خبراتهم[٩٢].

الخاتمة

بعد مشوارنا البحثي هذا مع سيرة رضا هادي عباس ونتاجه البحثي في تاريخ الأندلس نسجل بنقاط خلاصة للبحث واهم الاستنتاجات التي تم التوصل اليها، وهي:

١. ولد رضا هادي عباس وسط اسرة كريمة عشقت العلم والمعرفة فترك ذلك اثاره الايجابية على شخصيته وتحصيله المعرفي.
٢. رضا هادي عباس من وجهاء مدينة الكوت، وهو رمز اجتماعي فضلاً عن كونه قامة علمية، ما زال حيا يرزق، ويمارس نشاطاته العلمية والمجتمعية بهمة عالية.
٣. كانت لغة بحوثه على الأعم اللغة العربية، لكن بعضها كتبها باللغة الاسبانية، وهي لغة كان يتقنها لأنه درسها وتعامل بها في اثناء دراسته بإسبانيا.
٤. قارب عدد أبحاثه في تاريخ الاندلس نحو (عشرة) أبحاث، وهذه الاحصائية تمت على أثر متابعتنا لما موجود في المجلات والمؤتمرات، بمعنى انها البحوث المنشورة فقط، أما غيرها ونعني المخطوطة فللا يتسع الحديث عنها هنا.
٥. تباينت أبحاثه بين قصيرة لم تتجاوز سبع صفحات مثل الآداب السلطانية في الأندلس وطويلة قاربت أربع وعشرون صفحة مثل اليهود تحت الحكم الاسلامي في الأندلس.
٦. توصل إلى أن المترجم يجب أن تكون له ثقافة عامة ومعرفة والمام بالحقائق التي تتعلق بطبيعة الكون والانسان والجماد والحيوان لتساعده على فهم النصوص وممارسة وخبرة في مجال عمله.

٧. أكد على انتشار ثورة الأمام الحسين (عليه السلام) في بلاد الأندلس على الرغم من ان الحكومات كانت مخالفة لأهل البيت، وكشف ان الكثير من المؤرخين كان لهم دور في محاولة طمس معالم هذه الحقيقة بتأثير دوافع عديدة عقائدية منها ومادية وفكرية.

٨. وجه في اكثر من موضع الجامعات والمعاهد العربية الى ضرورة اعادة النظر في تدريس مادة التاريخ الأندلسي لأهميته الثقافية والعلمية.

هوامش البحث:

١) الامر الاداري الصادر من وزارة التربية المرقم ٢٦٨٩٤ في ١٢/١٢/ ٢٠٠٥

٢) كحالة، معجم القبائل العربية، ج٤/ ص ٢٩٧ .

٣) الشرقية من اقدم محلات مدينة الكوت وتسمى احياناً (محلة سيد نور) نسبة الى مقام سيد نور بن السيد ياسين بن السيد مطر العلاق الحسني الحلي توفي سنة ١٨٦٩، وأمه من بيت سبع البدري، اذ سميت بهذا الاسم لوقوعها في الجنوب الشرقي لمدينة الكوت وتمتد حدودها من الساحة الحسينية شمالاً الى بستان الحاج حسن الشبوط جنوباً ويحدها من جهة الغرب نهر دجلة، اذ تعد احدى شواطئه. مجلة واسط ، محلة الشرقية ، ص١.

٤) هوية الأحوال المدنية الصادرة من دائرة الاحوال المدنية رقم الهوية (٦٣٣٣١٣) في ٦/ ٨/ ٢٠٠٨.

٥) هادي عباس حسين الشمري من مواليد ١٩٠٤ من مدينة الكوت توفي عام ١٩٧٥، انظر : شهادة الجنسية العراقية المرقمة ٢٢٠٩٩٦ في ٢١/ ٧/ ١٩٧٥.

٦) هي من مواليد مدينة الكوت ١٩٢٦ مهنتها ربت بيت وهي معلمته الأولى علمته على الحب والتعاون مع الآخرين توفيت ليلة الجمعة من شهر رمضان الموافق ٢٧/ ١٢/ ١٩٦٧ مقابلة شخصية للدكتور رضا هادي بتاريخ ٢٠٢٢/٨/٣.

٧) السيد حسين السيد عبد الحميد الطباطبائي ، ولد في مدينة بغداد في محلة الامام طه انتقل مع والده وأهل بيته إلى مدينة الكوت وبها نشأ وترعرع وبعد وفاة والده كلفه أخوه السيد سعيد الطباطبائي فأعتنى بتربيته ورعايته وتخلق بأخلاقه وتعلم القراءة والكتابة ثم سافر إلى مدينة النجف الأشرف لينتهل منها بعض المعارف الأولية في اللغة العربية. الطباطبائي، الطباطبائيون في الكوت وبغداد، ص ١٥٠.

٨) المدرسة المركزية، هي أقدم مدرسة تأسست في الكوت عام ١٩١٩شيدها الانكليز بعد عامين من دخولهم الكوت ومن تبرعات الاهالي الذين تيقنوا انهم بحاجة إلى تعليم اولادهم القراءة والكتابة ، وبلغ عدد تلاميذها المائة والاربعين في عامها الدراسي الاول وشغل أسماعيل الخطيب منصب اول مدير للمدرسة ،انظر: مؤسسة الشرق الأوسط ، الكوت المركزية ، ص ١- ص٢.

٩) رقم الوثيقة (١٧) في ٢٠١٠/٣/٢٩.

١٠)رقم القيد (١٩٦٥)، وتاريخ الوثيقة ١٣/ ١٩٥٩/٨ .

١١) الامر الاداري المرقم (٥٠٧٩) في ١١/ ١٩٧٠/٣ الصادر من وزارة التربية والتعليم/ مديرية التعليم العامة.

١٢) مجلة الاضواء، نشرة اسلامية تعنى بتعميم الثقافة على ضوء الدين، كانت تصدرها شهرياً جماعة طلبة العلوم الدينية في النجف، صدر عددها الاول في شعبان ١٣٧٨هـ، الموافق شباط ١٩٥٩. ينظر: نخبة من الباحثين ، نشرة الأضواء الاسلامية ، ص ٢.

١٣) تأسست كلية الآداب في عام ١٩٤٩م وكانت مندمجة مع كلية العلوم كلية الآداب والعلوم ثم انقسمت الى كليتين في عام ١٩٥٦ فأصبحت كياناً مستقلاً وتضم عدة اقسام، وكانت تقبل كلاً الجنسين للدراسة فيها والحقت بكلية الآداب والعلوم، فرع ثالث باسم (الكلية التوجيهية) فأصبحت تحت اشراف ادارة كلية الآداب والعلوم والوثائق، التي حملت اسم كلية الآداب والعلوم التوجيهية، ثم الغي هذا الفرع عن الكلية في العام الدراسي ١٩٥٠- ١٩٥١ وان كلية الآداب والعلوم انفصلتا والعلاقة بينهما في العمادة واستمر ذلك لغاية ١٩٥٨ بعد ذلك اصبح لكل كلية عميد خاص ومتخصص في مجالها تأسست وحدد موقعها في منطقة باب المعظم. ينظر: الجنابي، عبد الواحد ذنون طه منهجه وموارده في كتابة التاريخ الاندلسي، ص٢١؛ الخياط، كيف تأسست كلية الآداب في بغداد سنة ١٩٤٩، ص ٢-٣.

١٤) مقابلة شخصية بتاريخ ٢٨ / ٧/ ٢٠٢٢

١٥) بموجب الامر الاداري المرقم ٩٧٠٥ في ١١/ ١٩٧٠/٣ الخاص بالتعيين.

١٦) الامر الاداري المرقم ٣٣٣٧٣ في ٢٠/ ٧/ ١٩٧٧ الصادر من مديرية التبادل الثقافي.

١٧) ينظر :صورة رقم (١) ملحق رقم (١) الوثيقة

١٨) خثينتو بوش بلا، ولد في فيجيراس (خيرونه) في ١٥ نيسان سنة (١٩٢٢)، هو عضو هيئة تحرير مجلة (أوراق جديدة) واستاذ ومدير قسم تاريخ الاسلام في جامعة غرناطة أسبانيا، وكان أحد الشخصيات الجامعية الذين عبروا عن تأييدهم للمرحلة الجديدة التي كان المعهد الاسباني العربي قد بدأها منذ سنة (١٩٨٢)، مارس نشاطات أكاديمية تعليمية، كمعاون رئيس قسم في برشلونة في بداية الامر واستاذ مساعد في سرقسطة ومدريد، وتقلد منصب مدير مدرسة الدراسات العربية بغرناطة صاحب نتاج خصب ورصيد مهم من الابحاث العلمية والتاريخية من بينها مجلتي (مصطلحات عن تاريخ الاسلام) و(الاندلس الاسلامي ونصوص ودراسات) وهي من أهم الاثار التي تلخص مسيرته التعلمية الثرية، توفي في غرناطة (١٩٨٥/١١/١٨). ينظر: عباس، الحضارة الأندلسية، ج١، ص ٧٣-ص٧٤؛ نخبة من الباحثين ، خثينتو بوش بلا ، ص١٢١- ص١٢٢.

١٩) عباس ، الحضارة الأندلسية ، ج١، ص ٧٤.

٢٠) أول دكتور عراقي خريج من كلية الفلسفة والآداب في جامعة غرناطة ، مقال منشور بقلم المشرف البرفيسور دكتور خنتوبوش بلا في جريدة إيديال في ١٩٨٠/٥/٢٠ اسبانيا ، ينظر إلى صورة رقم (٢) .

٢١) بموجب الامر الاداري الوزاري المرقم ١٠٠٤٦ في ٢٣/ ٧/ ١٩٧٥ الصادر من مديرية التبادل الثقافي.

٢٢) مقابلة شخصية مع الدكتور رضا هادي عباس في ٣٠/ ٧/ ٢٠٢٢.

٢٣) ينظر: هامش ٣ ص ٧ من هذا البحث

٢٤) مقابلة شخصية مع الدكتور رضا هادي عباس ٩/ ٧/ ٢٠٢٢

٢٥) المؤتمر العلمي السابع عشر، الجامعة المستنصرية، كلية التربية.

٢٦) اللقاء الحضاري، ص٩٧ـ١١٠.

٢٧) الآداب السلطانية في الأندلس، ص٩٧؛ ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٥٧ــ٦٠؛ العلام، الآداب السلطانية، ص٧.

٢٨) الآداب السلطانية في الأندلس، ص٩٧.

٢٩) المؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية في الجامعة المستنصرية.

٣٠) اللقاء الحضاري في الأندلس، ص١٨٣ـ١٩٦؛ ينظر: جخنه، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص٩١ـ ١٠٠.

٣١) اسمه محمد بن يوسف بن أحمد بن نصر، وشهرته الغالب بالله، من ولد أمير الانصار سعد بن عبادة، وهو أول ملوك غرناطة (٦٢٩ـ٦٧٢هـ/١٢٣١ـ١٢٧٣م). ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٠؛ حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة، ص٥٦٠.

٣٢) هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي، أستغل هزيمة الموحدون في موقعة العقاب فجمع رجالات الاندلس وأعقاب العرب على إخراج الموحدون من الأندلس وتم له ذلك ودعا إلى الخليفة العباسي المستنصر واستقل بمرسية وتغلب على شرق الأندلس وأطاعته جيان وشريش فترة حكمه (٦٢٠ـ٦٣٥هـ /١٢٢٣ـ١٢٣٧م). ينظر: المقري، نفح الطيب، ج١/ص٤٤٦ وما بعدها؛ حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة، ص٥٦٠.

٣٣) زيان بن مردنيش، هو يغمر اسن بن زيان من تلمسان احد الملوك التي عاصرت حكم محمد بن يوسف بن نصر وقدم له الطاعة حكم بلنسية ومدن أخرى وفترة حكمه (١١٨٦ــ١٢٣٨). ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٤؛ حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص٥٦٢.

٣٤) ملك قشتالة تولى الحكم بعد انهيار حكم الموحدين سنة(٦١١هـ/١٢١٤م) ثم ضم اليه مملكة ليون وكان قائد الجيوش القشتالية التي احتلت قرطبة سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) وجيان سنة(٦٤٣هـ/١٢٤٥م) وإشبيلية سنة(٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ونقل عاصمة قشتالة من طليطلة إلى إشبيلية بعد ان أحتلها توفي سنة(٦٥٠هـ/١٢٥٢م) أيام ابن الاحمر مؤسس الدولة النصرية. ينظر: الكتاني، انبعاث الإسلام في الاندلس، ص٤٥.

٣٥) تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٨٤؛ ينظر: فرحات، غرناطة في ظل بني الاحمر، ص١٩ـ٢٥.

٣٦) المؤتمر العلمي الخامس لجامعة واسط .

٣٧) اللقاء الحضاري في الأندلس، ص١٣٧ـ١٨٢؛ ينظر: ماركو، الحضارة الإسبانية، ص١١ـ٢٠.

٣٨) هي الجبال الفاصلة بين فرنسا وإسبانيا تمتد من البحر المتوسط إلى البحر الاطلانطيكي، وبدايتها من جهة البحر المتوسط رأس كريوس في أرض إسبانية وهو متصل برأس سربار من أرض فرنسا شمال مرسي ونهايتها عند نهر بيداسوا. ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ج٢/ص١٠٨ـ١٠٩.

٣٩) هو مساحة مائية شاسعة تمتد بين أوربا وأفريقيا شرقاً والامريكيتين غرباً وبين القطب الشمالي شمالاً وحتى خط عرض٧٠ جنوباً ويقسم خط الاستواء هذا المحيط الى المحيط الاطلسي الشمالي والمحيط الاطلسي الجنوبي تبلغ مساحته نحو٨٢ مليون كم٢. ينظر: الزقرطي، معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية، ص١٦.

٤٠) يطلق اسم جزر البليار على مجموعة من الجزر في غرب البحر المتوسط تشكل أرخبيلاً يغطي مساحة كبيرة تصل إلى٤٩٠٠كم٢ وقد بلغ تعداد سكانها في عام١٩٧٨حوالي نصف مليون نسمة وتتكون من خمس جزر رئيسية هي: ميروقة ومنورقة ويابسة وفرمنتيرة وقبريرة اضافة إلى حوالي مائة جزيرة صغيرة وكتلة صغيرة تتناثر حول الجزر الخمس الكبرى. ينظر: سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١٥.

٤١) عرفت بأسم الجزر الخالدات وجزر السعادة وهي مجموعة الجزر التي تعرف اليوم جزر الكناري وكلمة الكناري مشتقة من اللاتينية (كلاب) نتيجة لما قابله الاوربيون من كثرة الكلاب في إحدى تلك الجزر حين جاءوها أول مرة، ويقال لها أيضاً جزاير السعادات وأنها في البحر المحيط في أقصى المغرب كان بها مقام جمع من الحكماء وسميت بجزاير السعادة لأن غياطها أصناف الفواكه والطيب من غير غرس وعمارة وأرضها تحمل الزرع مكان العشب. ينظر: القزويني، اثار البلاد وأخبار العباد، ص٣١ـ٣٣.

٤٢) الحضارة الإسبانية، ص١٣٨؛ ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ج١/ص٢٥ـ٢٩.

٤٣) إقليم عظيم بالأندلس قصبته طليطلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٧/ص٩٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٣؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ص٦٧.

٤٤) تقع هذه المنطقة بين جبال البرتات البحر والحد الذي يكون قريباً من مصب نهر لوبريكات مع جبال كثيفة أراضيها مقسمة إلى عدة مقاطعات (كونتات) تمتد لتكون قسمة من إمبراطورية الأسرة الكارلية (الثغر الإسباني) ولم تتصل بالأندلس. ينظر: عباس، الحضارة الأندلسية بأقلام إسبانية،ج١/ص٢٨٨.

٤٥) هو إقليم ضخم يمتد عبر جبال البيرينيه الغربية على الحدود ما بين فرنسا وإسبانيا تصل وإقليم بلاد الباسك يتحدث باللغة الباسكية يقع بشقيه في شمال شرق اسبانيا وجنوب غرب فرنسا يبلغ عدد سكان شقه الاسباني نحو مليونين و١٢٣الف وتبلغ مساحته٧٢٣٤كيلومتر وبلغ تعداد شقه الفرنسي نحو ٢٥٠الف نسمة وهو أحد الاقاليم السبعة عشر التي تتمتع بالحكم الذاتي. ينظر: شعير، الطائفية والتقسيم، ص ٣٤٢.

٤٦) بلدة قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب ومصب نهرها في المحيط. ينظر: حطاب، قادة فتح الاندلس، ص٦٤؛ الدباشي، السياسة الخارجية للأندلس، هامش رقم(٣)، ص١٠١.

٤٧) الحضارة الإسبانية، ص١٤٠؛ ماريانا مونتيرو، رولدان وقرن الثور حكايات شعبية من بلاد الباسك، ص٦ـ ٩ـ١٠.

٤٨) الحضارة الإسبانية، ص١٤٢ـ ص١٤٣؛ العامري، دراسات حضارية في التاريخ الاندلسي، ص٢٥٦.

٤٩) هو الفيلسوف عرف بأسم ابن حبرون والتابعي ولد سنة ١٠٢٠م وينتسب إلى عائلة مهاجرة مثل ابن نغريله قد بحث ملجأ له في مالقه وأخيراً سرقسطة وفي هذه المدينة بقى سنوات قليلة تحت رعاية جكوتيل الذي أهداه قصيدة رثاء رائعة وله من الكتب" طوق الأحجار الكريمة " وكتاب " Fons vitae " وهو الكتاب الوحيد الذي بقي مترجماً باللغة اللاتينية وكتاب " مصدر الحياة " يمثل قمة الفلسفة اليهودية العبرية بمنهج أفلاطوني وكان التأثير الأفلاطوني بارز ولكن وفاء ابن جبريل للقانون الموسوي سمح له بمزج كل مناهج الإدارة الإلهية مع تغير في المعنى. ينظر: عباس، اللقاء الحضاري، ص١٧٣ـ١٧٤.

٥٠) الحضارة الإسبانية، ص١٥٤؛ دراجي، التأثير الحضاري المتبادل بين الاندلس الاسلامية و إسبانيا، ص٨٦ ـ٨٨.

٥١) هو طريق القديس يعقوب طريق الحج المسيحي الاساسي في أوربا ويمتد شقه الرئيسي من الحدود الفرنسية الإسبانية في الشمال الشرقي وحتى مدينة سانتياجو دي كومبوستيلا قرب المحيط الأطلسي. ينظر: توفيق، ١٥م٢ سعادة ، ص٥.

٥٢) هم رسل المسيحيون أتباع ابن مريم الأول هم بمثابة أنبياء هذه الديانة وأطلقوا عليهم رسل أبوستول وهم الواسطة بين الرب اي المسيح المؤله والعباد. ينظر: شرقاوي، الكنيسة واسرارها السبعة، ص٨٩.

٥٣) الحضارة الإسبانية، ص١٤٧.

٥٤) المؤتمر العلمي الثامن لجامعة واسط سنة ٢٠١٢.

٥٥) اللقاء الحضاري في الأندلس، ص١٥٧ـ١٨٢؛ ينظر: فرناندث، اليهود الإسبان في العصور الوسطى، ص٣٥ـ٦١.

٢) خلال فترة الهدوء والاسقرار أنشئت جامعة القسطنطينة ودونت المجموعة القانونية المعروفة بأسم قانون ثيودوسيوس وقد حكم بين سنتي ٤٠٨– ٤٥٠ الامبراطور ثيودوسيوس الثاني أبن أركاديوس ، وقد تم في عهده تدوين المجموعة القانونية وذلك سنة ٤٣٨ وتعتبر هذه المجموعة حدثا هاما في تاريخ التشريع قبل جوستيان وضمت جميع التشريعات القانونية منذ أيام قسطنطين الكبير ، ينظر : عاقل، الدولة البيزنطية ، ص ٤٥–٤٦.

٥٧) وتعني الكنيسة في المسيحية بيت الرب وهي مشتقة من الكلمة اليونانية المتأخرة وتشير إلى الجماعة المسيحية سواء كانت محلية أو عالمية ومعناها الشائع هو المنطقة الدينية التي ظهرت في ظل ظروف تاريخية محددة لتنظيم العلاقات بين المنتمين إلى المسيحية ولتقنين الروابط والعلاقات بينهم من جهة وبينهم وبين غيرهم من جماعات وتنظيمات دنيوية من جهة أخرى، وتستخدم كلمة الكنيسة للإشارة إلى المكان الذي تقام فيه الصلوات المسيحية. ينظر: السهم، التصوف العقلي في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص٢٠٠.

٥٨) اليهود تحت الحكم الإسلامي في الأندلس، ص١٥٧ــ١٥٨؛ ينظر: قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص٢٠٦ـ٢١١؛ الخالدي، اليهود في الدولة العربية، ص٥٩ـ٦٥.

٥٩) اللقاء الحضاري، ص٤١ـ٦٧؛ ينظر: فرناندث، اليهود الإسبان في العصور الوسطى، ص٣٥ـ٦١.

٦٠) دور الترجمة في الحوار الحضاري، ص٤١.

٦١) دور الترجمة في الحوار الحضاري، ص٤١؛ الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي، ص٢٧ـ ٢٩.

٦٢) دور الترجمة في الحوار الحضاري، ص٤١ـ٤٢.

٦٣) اللقاء الحضاري في الأندلس، ص١٩٧ـ٢١٦؛ الدراجي، اثر الشعر في توثيق الاحداث التاريخية، ص١٨ـ٢٠.

٦٤) قصائد شعرية إسبانية، ص١٩٧.

٦٥) الشعر الأندلسي، ص١٢٢.

٦٦) قصائد شعرية إسبانية، ص١٩٧ـ١٩٨.

٦٧) قصائد شعرية إسبانية ، ص١٩٨ـ٢٠٠؛ زرقان، شعر الاستصراخ في الاندلس، ص٢٠٦ـ٢١١.

٦٨) بيت الحكمة، عدد٢٨.

٦٩) المكتبة الأندلسية دراسات وببليوغرافيا، ص٦٦ـ٩٤.

٧٠) التدوين التاريخي وإشكاليات النقد في الأندلس، ص٦٦ـ٦٧؛ طه، نشأة تدوين التاريخ العربي، ص٥ـ ١١.

٧١) التدوين التاريخي وإشكاليات النقد في الأندلس، ص٦٧.

٧٢) التدوين التاريخي وإشكاليات النقد في الأندلس، ص٦٨.

٧٣) كنيته أبو محمد واسمه عبد الله بن عبيد الله الأزدي، كان ذو حظ من علم اللغة وحفظ للأخبار والاشعار وكان يعرض الشعر الحسن ويتعصب للقحطانية. انظر: المراكشي، الذيل والتكملة، ج١هامش رقم (١)/ص٢١٣.

٧٤) التدوين التاريخي وإشكاليات النقد في الأندلس، ص٧١ـ٧٤؛ طه، نشأت التدوين التاريخي، ص١٨ـ ٤٤.

٧٥) التدوين التاريخي وإشكاليات النقد في الأندلس، ص٧٩ـ٨٦؛ الزناتي، حامل لواء التاريخ في الاندلس، ص٢٧ـ٣٠.

٧٦) العدد السابع، جامعة كربلاء، ص٨٨ ـ١٠٣.

٧٧) في التراث الأندلسي من فجره إلى أفوله، ص١٠٠ـ١٢١.

٧٨) ثورة الأمام الحسين (عليه السلام) في التراث الأندلسي، ص١٠٠ـ١٢١؛ مكي، التشيع في الاندلس، ص ٧ـ ١٥؛ عبد ربه، المثقفون والسلطة في عصر الدولة الاموية، ص١١٠.

٧٩) سورة البقرة، اية: ١٩٥.

٨٠) في التراث الأندلسي، ص١٢١؛ ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج٤/ص٨٦.

٨١) ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) في التراث الأندلسي، ص١٢١.

٨٢) مجلة كلية التربية،ج٢/ص١٨٨٤ـ١٨٦٠.

٨٣) في التراث الأندلسي من فجره إلى أفوله، ص٢٤٦ـ٢٧٢.

٨٤) بغداد في رحلة بنيامين ، ص٢٥٣ـ٢٥٦؛ العزواي، علم الآثار في العراق، ص١٦ـ ١٨.

٨٥) المسالك والممالك، ص١٥٣ـ١٥٤.

٨٦) بغداد في رحلة بنيامين التطيلي الاندلسي، ص٢٥٦.

٨٧) مجلة كلية التربية، ج٢/ص١٩٩٥ـ٢٠٠١.

٨٨) في التراث الأندلسي من فجره إلى أفوله، ص٢١ـ٢٩.

٨٩) عتاب أندلسي، ص٢٢.

٩٠) عتاب أندلسي، ص٢٢ـ٢٣.

٩١) عتاب أندلسي، ص٢٣؛ عدلي، رجال صنعوا التاريخ، ص٢٢٦.

٩٢) عتاب أندلسي، ص٢٨.

قائمة المصادر

خير ما نفتتم به القرآن الكريم

أولاً- المصادر

* المراكشي، ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م):

١- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الجزء الاول، تحقيق محمد بن شريفة وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت– لبنان

* ابن حزم، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)

٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل، طبعة القاهرة ١٣١٧هـ/١٩٠٠م.

* ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)

٣- المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة ، مطبعة بريل ١٨٨٩ المسيحية .

* لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

٤- اللحمة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبقة السلفية، القاهرة (١٣٤٧) .

*ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا .

٥- الفخري في الآداب السلطانية والدول الأسلامية ، دار صادر بيروت

* القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود

٦- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت

*المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).

٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج١، تحقيق أحسان عباس ، دار صادر، (بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

*ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٨- معجم البلدان ، الجزء السابع ، الطبعة الاولى ،مطبعة السعادة – مصر ١٩٠٦م.

* الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م).

٩- الروض المعطار في خبر الاقطار ، الطبعة الثانية ، بيروت –دار السراج ١٩٨٠.

ثالثاً: المراجع

١- الكتب العربية:

* عباس، رضا هادي:

١٠- المكتبة الاندلسية ، دراسات وبيليوغرافيا، الطبعة الأولى (٢٠١٧)

١١- في التراث الأندلسي من فجره الى أفوله ، بيت الحكمة ، بغداد (٢٠٢٠) .

١٢- اللقاء الحضاري في الأندلس ، الطبعة الأولى ، دار الحوراء ، بغداد(٢٠٠٩).

١٣- الحضارة الأندلسية بأقلام إسبانية جهود حركة الاستعراب – الاستشراق الاسباني في نشر التراث الأندلسي ، الجزء الاول ، الطبعة الأولى بغداد (٢٠١٦).

* الطباطبائي، السيد عبد المنعم تقي سعيد الطباطبائي .

١٤- الطباطبائيون في الكوت وبغداد، أشرف على طباعته السيد صادق جعفر الطباطبائي والسيد مازن موسى الطباطبائي سنة ٢٠١٩.

*الدمشق، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة (ت ١٤٠٨هـ

١٥- معجم القبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٩٤.

* العلام، عز الدين .

١٦- الآداب السلطانية دراسة في بنية الخطاب السياسي ،الكويت (٢٠٠٦).

* حتاملة ، محمد عبده .

١٧- الأندلس التاريخ الحضارة المحنة دراسة شاملة ،المكتبة الوطنية (٢٠٠٠) .

* الكتاني، علي المنتصر

١٨- انبعاث الإسلام في الاندلس ، دار الكتاب العلمية بيروت ٢٠٠٥.

* فرحات ، يوسف شكري .

١٩- غرناطة في ظل بني الأحمر ، الطبعة الأولى ، دار الجيل (١٩٩٣).

* أرسلان ، الامير شكيب

٢٠- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، الدار التقدمية المختارة ،الشوف، لبنان ٢٠٠٨.

٢١- الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية ، الجزء الاول ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢.

*الزرقوطي ، ابراهيم موسى .

٢٢- معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية ، دار المجدلاوي ٢٠٠٧.

* سيسالم، عصام سالم

٢٣- جزر الاندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) ، الطبعة الاولى ، دار العلم للملايين بيروت – لبنان ١٩٨٤.

* خطاب ، محمود شيت(ت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) .

٢٤- قادة فتح الأندلس ، الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، مؤسسة علوم القران (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .

* شعير ، صلاح.

٢٥- الطائفية والتقسيم.. أخطار الصراع الطائفي بمصر والعالم العربي ، طبعة منقحة ومزيدة ، وكالة الصحافة العربية ٢٠٢٢.

* العامري ، محمد بشير

٢٦- دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي ،دار غيداء للنشر٢٠١٢.

* دراجي ، عدنان خلف سرهيد

٢٧- التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة ٦٣٥هـ- ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨م-١٤٩٢م، دار حميطره ٢٠١٨.

* توفيق، محمود

٢٨- ١٥م2 سعادة ، دار النشر صفصفا ٢٠١٨

* شرقاوي، جمال الدين

٢٩- الكنيسة وأسرارها السبعة ، مكتبة وهبة ٢٠٠٨.

*عاقل، نبيه.

٣٠-الامبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري ، ١٩٦٩.

* قنديل ، عبد الرزاق أحمد

٣١- الاثر الأسلامي في الفكر الديني اليهودي ، دار التراث – القاهرة ١٩٨٤.

* الخالدي ، خالد يونس .

٣٢- اليهود تحت حكم المسلمين في الاندلس (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م)، الطبعة الاولى ٢٠٠٨ .

* الجميلي ، رشيد

٣٣- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري ،دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام .

* زرقان، عزوز

٣٤- شعر الاستصراخ في الاندلس ، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٨ .

*، عبد الواحد ذنون .

٣٥- نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى (١٩٨٨) .

* الزناتي، أنور

٣٦- حامل لواء التاريخ في الأندلس ابن حيان القرطبي ،دار زهران ٢٠١٤.

* مكي، محمود علي

٣٧- التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، الطبعة الاولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤ .

* عبد ربه ، محمد سعيد

٣٨- المثقفون والسلطة في الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨- ٤٢٢هـ / ٧٥٦-١٠٣١م) ، ببلومانيا للنشر والتوزيع .

* العزواي، عمر جسام

٣٩- علم الآثار في العراق نشأته وتطوره ، دار الكتب العلمية –بيروت ٢٠١٣.

*عدلي، رانيا عدلي نور الدين .

٤٠- رجال صنعوا التاريخ ، كتوبيا للنشر ٢٠١٧.

٢- الكتب الأجنبية المعربة:

* جخنه ،أنور .

٤١- أسبانيا الاسلامية ، نشر كاتدرا ، مدريد (١٩٨٠).

* سباستيان كيسادا ماركو

٤٢- الحضارة الأسبانية ، مدريد (١٩٩١).

*مونتيرو، ماريانا

٤٣- رولدان وقرن الثور حكايات شعبية من بلاد الباسك، ترجمة أحمد مغربي، راجعه سامر أبو هواش ، الطبعة الاولى ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ٢٠٠٩

*فرناندث ، لويس سوارث .

٤٥- اليهود الأسبان في العصور الوسطى ، نشر ريالب، مدريد (١٩٨٠).

٣- البحوث

*عباس، رضا هادي

٤٦- ثورة الأمام الحسين (ع) في التراث الأندلسي، بحث منشور في مجلة أهل البيت، العدد السابع، جامعة كربلاء ،٢٠٠٩ . .

٤٧- الآداب السلطانية في الأندلس، بحث منشور في المؤتمر العلمي السابع عشر، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ،٢٠١٠.

٤٨- التدوين التأريخي واشكاليات النقد في الأندلس، بحث منشور في دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد ٢٨، ٢٠١١.

٤٩- تاريخ اسبانيا الاسلامية مملكة بني نصر في غرناطة ، بحث مترجم عن الاسبانية منشور في مجلة المؤتمر العلمي الثامن عشر الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ٢٠١١.

٥٠- الحضارة الاسبانية، بحث ترجمة عن الاسبانية منشور في مجلة المؤتمر العلمي الخامس ، جامعة واسط ٢٠١١.

٥١- اليهود تحت حكم الاسلامي في الأندلس ، بحث منشور في المؤتمر العلمي الثامن ، جامعة واسط ، كلية التربية (٢٠١٢) .

٥٢- بغداد في رحلة اليهودي بنيامين الاندلسي (٥٦١- ٥٦٩هـ / ١١٧٥- ١١٦٥م) بحث منشور في مجلة كلية التربية بجامعة المستنصرية ٢٠١٨.

٥٣- دور الترجمة في الحوار الحضاري ، بحث منشور في كتاب (اللقاء الحضاري في الاندلسي) سنة ٢٠٠٩م

٥٤- قصائد شعرية إسبانية مترجمة ، بحث منشور في كتاب (اللقاء الحضاري في الاندلس) سنة ٢٠٠٩م .

٤- المقالات

*الخياط ، محمد عبود

٥٥- كيف تأسست كلية الآداب في بغداد سنة ١٩٤٩، مقال منشور على شبكة الانترنيت (https://www.almadas upplements .com/view.php?cat=24273)

*مجلة واسط

٥٦- محلة الشرقية، مقال منشور على شبكة الانترنيت (ttps://www.facebook.com/magazine.wasit/photos/a .103264764651945/135285351449886/?type=3)*الشرق الأوسط

٥٧-الكوت المركزية مدرسة شيدها الانكليز وتحافظ على تفوقها منذ تسعون عام ، مقال منشور في جريدة الشرق الأوسط ، العدد ١٠٩٠٤، ٢٠٠٨ .

*نحبة من الباحثين

٥٨-نشرة الأضواء الاسلامية ، العدد الأول، مطبعة النعمان ،النجف ١٣٧١هـ .

* بلا مؤلف .

٥٩- خثينتو بوش بلا ، مجلة أوراق جديدة ، مقال منشور في مجلة اوراق جديدة في مدريد اسبانيا .

٥- الرسائل والاطاريح.

* الجنابي، علي خضر عبيد .

٦٠- عبد الواحد ذنون طه منهجه وموارده في كتابة التاريخ الأندلسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سامراء ٢٠١٩.

* الدراجي، عدنان خلف سرهيد .

٦١- اثر الشعر في توثيق الاحداث التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة معهد التأريخ العربي، بغداد ، ٢٠٠٥.

بغداد في رحلة اليهودي بنيامين التّطيلي (الأندلسي)

(٥٦١- ٥٦٩هـ/ ١١٦٥-١١٧٣م)

(Baghdad on the Journey of the Jew Benjamin Al-Tatili (Andalusian

(AH / 1165-1173 AD 569-561)

أ.م.د. رضا هادي عباس
الجامعة المستنصرية – (متقاعد)

Abstract .

This study dealt with the impact of the travels of the Jews in documenting the history of some Islamic cities, including the journey of the Andalusian Jewish traveler Benjamin al-Tumaili, who deported to Baghdad, describing its railways, shops, inhabitants, and the palaces of its successors, and touched on the biography of some caliphs in a manner marred by some exaggeration, but his documentation contributed to the formation of A good picture of Baghdad at the time.

الملخص:

تطرقت هذه الدراسة الى اثر رحلات الرحالة اليهود في توثيق تاريخ بعض الأمصار الإسلامية، ومنها رحلة الرحالة اليهودي الأندلسي بنيامين التطيلي الذي رحل الى بغداد، فوصف سككها ومتاجرها وسكانها وقصور خلفائها، وتطرق الى سيرة بعض الخلفاء بإسلوب شابته بعض المبالغة، بيد أن توثيقة أسهم في تكوين صورة جيدة عن بغداد آنذاك.

كلمات مفتاحية: (الرحالة اليهود، الأندلس، بغداد، الخليفة العباسي، الأدب الجغرافي).

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الأرض مهاداً، والجبال أوتادا، القائل في محكم كتابه القرآن الكريم: " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا(٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا(٧)"(١) وجعل صحارى، وبلاداً ثم فجرت خلال ذلك أنهارا " وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا"(٢) وأسال أودية وبحاراً، وهدى عباده إلى اتخاذ المساكن، وأحكام الأبنية والمواطن، فشيدوا البنيان، وعمّروا البلدان، ونحتوا من الجبال بيوتاً" وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ"(٣) واستنبطوا آباراً وعيوناً، وجعل مصرهم على تشييد ما شيّدوا صدق القائلين: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"(٤).

أحمدُ اللهَ على ما أنعم وأعطى وصلّى الله على خيرته من أنبيائه ورُسُله محمدٍ المبعوث للعالمين والمنعوت بـ" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"(٥) وعلى آله وأصحابه المنتجبين وسلّم تسليما.

لقد حث الرسول الأعظم (ص) على السفر والرحلة بأحاديث كثيرة منها: "سافروا تصحوا" وقال رسول الرحمة (ص) "إغزوا تغنموا، وصوموا تصحو، وسافروا تستغنوا"(٦)، وقد صدق الإمام الشافعي (رض) حين قال(٧)، تغّرب عن الأوطانِ في طلب العُلى وسافر ففي الأسفار خمسُ فوائد:

تفرُّج همٍ، واكتسابُ معيشةٍ وعلمُ وآدابُ وصُحبةُ ماجدِ
فإن قيل في الأسفار ذُل ومحنةُ وقطعُ الفيافي وارتكاب الشدائدِ

فموتُ الفتى خيرُ له من قيامهِ بدار هوانٍ بين واشٍ وحاسدِ

ومن هذا المنطلقَ، أحب السلف الصالح الأسفار والرحلات وحُبَّب إليهم، فمنهم من جعلها همه وهدفه ومنهم من كان سفره للتجارة فقط، ومنهم من كان هدفه السياحة أو طلباً للعلم والمعرفة أو لأسباب سياسية أو دينية أو أسباب أخرى ترد تباعاً، وأياً كانت دوافع الرحالة، المعلنة منها والخفية، فقد اتصف أغلبية الرحالة – ولو بدرجات متفاوتة– بدقة الملاحظة والوصف والتقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق، وقد حرص معظمهم على التمييز بين المشاهدة العينية والرواية عند تسجيل معلوماتهم. لقد كان من بين الرحّالة رجال علم ودين وتجار وجواسيس وآخرون استهوتهم المغامرة ودفعتهم المخاطرة إلى كشف النقاب عن المجهول في الأرض والناس(٨).

ومن أشهر الرحّالة المسلمين هو ابن جبير (٥٣٩-٦١٤هـ) في رحلته المشهورة "رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك" إذ نقل لنا صوراً حيّة وصادقة عن المدن والمجتمعات الإسلامية في المشرق الإسلامي، وعن عادات السكان وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية وأحوالهم الاجتماعية، وذلك في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر الميلادي(٩)، ويمكن الإشارة هنا إلى أن عدداً كبيراً من الرحالة الأوروبيين قد أسهموا إسهاماً إيجابياً بتقديم معلومات مفيدة ومعرفة بالشعوب غير الأوروبية لم تكن متوافرة من قبل، ولعلّ عبارة "**الرحلة عين الجغرافية المبصرة**"؛ لأنها الرحلة ليست وسيلة اكتشاف فحسب، بل هي جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض أيضاً ولهذا كله يمكن القول: إن الرحلة قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بُنيت عليها مسألة وحدة البشر، ولتستمر على الأرض، بل لقد فجرَّت في الإنسان المصالح المشتركة التي وثّقت عُرَى هذه الوحدة على الأرض، ومن غير الرحلة ينفرط عقد هذه الوحدة وتتضرر حركة الحياة ومصيرها المشترك، وكما ذكرنا فإنّ للرحلات أسبابها الإدارية والدينية والتجارية والعلمية والسياسية والسياحة وحب الإطلاع والاستكشاف، فغنيت الآداب العربية بأخبار جمة عن البلدان التي يزورها الحُجّاج في طريقهم فقد كان النابهون من الحُجاج يدونون تجاربهم ومشاهداتهم كي ينتفع منها المسلمون، فكانوا يصفون رحلاتهم تسجيلاً لفضلهم وتشجيعاً لغيرهم(١٠).

وكان للعرب في الوساطة التجارية البحرية والبرية أثرٌ عظيم فشَهِدَت له تلك المستوطنات والمراكز التجارية في شمال الجزيرة العربية، وعلى طول سواحل شرق أفريقيا وساحل الهند الغربي، وازدهرت على أيديهم الطرق التجارية بين بحار الصين، وآسيا الوسطى، وسواحل بحر البلطيق، والأندلس وشواطئ المحيط الأطلسي، والبحر المتوسط وساحل أفريقيا الشرقي، وجزر المحيط الهندي، وصحاري السودان، وفي ضوء ما تقدم نسأل ما الذي يغذّي الرحلة ؟إنه الشوق إلى المغامرة واقتحام المجهول وطموح الإنسان في كسب المال والعلم والمجد، فتسهم الرحلة في بناء الحضارة بما تضيفه عليها من علاقة بين الأمم والأفراد(١١).

ويظهر لنا في التاريخ العربي الإسلامي ولاسيما في الأدب الجغرافي رحّالة وجغرافيون **في القرن الثالث للهجرة** أمثال: محمد بن موسى المنجَم، والتاجر سليمان، وسلام الترجمان، وابن وهب القرشي، واليعقوبي وابن خِرداذبه وابن رسته وابن الفقيه وغيرهم، **وفي القرن الرابع للهجرة:** أبو زيد البلخي، وابن فضلان، والاصطخري، وقُدَامه بن جعفر، والفتية المغررون، والمسعودي، وابن حوقل، وأبو دُلف

والمقدسي والمهلبي وغيرهم، **وفي القرن الخامس للهجرة:** البيروني وابن بطلان وأبو عبيد البكري وأبو بكر الطرطوشي، **وفي القرن السادس للهجرة:** أبو بكر العربي، والادريسي، وأبو حامد الغرناطي، وأُسامة بن جعفر، وابن جُبير، والهروي، وابن ظفر، والسمعاني، وعبد الواحد المراكشي **والرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الأندلسي موضوع بحثنا، وفي القرن السابع للهجرة:** البغدادي وياقوت الحموي وابن سعيد المغربي والعبدري وابن رُشيد، **وفي القرن الثامن للهجرة:** أبو الفدا، والتيجاني، وابن بطوطة وابن خلدون، **وفي القرن التاسع للهجرة:** سليمان بن أحمد بن سليمان المهدي، وعبد الباسط ابن خليل الظاهري وابن ماجد، **وفي القرن العاشر للهجرة:** المقّريّ التلمسانيّ والحسن الوزان الغرناطي الفاسي (ليون الأفريقي) وغيرهم.

ومن أهم المصادر التي أغنت صفحات هذا البحث رحلة بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي (٥٦١-٥٦٩هـ/ ١١٦٥-١١٧٣م) ترجمها عن الأصل العبري وعلّق حواشيها، وكتب ملحقاتها عزرا حداد ولا سيما كلمة عباس العزاوي ومقدمة المحقق والمترجم عزرا حداد ورحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة ومعجم البلدان لياقوت الحموي وصورة الأرض لابن حوقل ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، فضلاً عن عدد من المراجع منها: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، زكي محمد حسن،** وأدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، خضر موسى محمد حمود، وأدب الرحلات، حسين محمد فهيم، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، محمد مؤنس عوض، وأعلام الجغرافيين العرب لعبد الرحمن حميدة، وكتاب بغداد في مؤلفات الرحّالة الأجانب، للباحث عبد الجبار ناجي كذلك شبكة الانترنيت بالعربية والإنكليزية والإسبانية (ويكيبيديا).

جاء عنوان البحث "**بغداد في رحلة اليهودي بنيامين التَّطيلي الأندلسي (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م)** وصفحاته تكون من مقدمة ومبحثين مع خاتمة وثبت المصادر والمراجع.

فالمبحث الأول: رحلة بنيامين النَّطيلي النبّاري الأندلسي، والمبحث الثاني: وصف بغداد في رحلة بنيامين التطيلي الأندلسي.

نأمل أن تفتح صفحات هذه الدراسة آفاقاً أوسع للباحثين في دراسة أدب الرحلات عامة ولا سيما كتابات الرحالة الأجانب عن المشرق عامة وبخاصةٍ عن المشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى على غرار الباحث عبد الجبار ناجي في كتابه الموسوم "بغداد في مؤلفات الرحّالة الأجانب من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي" والباحث محمد مؤنس عوض في كتابه الموسوم "الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى".

المبحث الأول: رحلة بنيامين التطيلي النباري الأندلسي

أن معرفتنا بالرحالة بنيامين التطيلي تعد محدودة وهو في ذلك يشبه غيره من الرحالة الأوروبيين الآخرين على مدى العصور الوسطى، ونعرف أنه الربي بنيامين التطيلي ووالده يدعى يونه Jonah وقد ارتحل إلى المشرق من مدينة تطيلة Tudela وتجول في العديد من المناطق سواءً في أوروبا أو آسيا أو أفريقيا، وعاد أدراجه إلى إسبانيا عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) وقد زار وكتب عن مئات المواقع في أنحاء العالم القديم تقدر بـ(١٩٠) موقعاً. مما عكس طول باعه في أمر الرحالة والترحال.

بدأ بنيامين التطيلي رحلاته نحو سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م) أو نحو سنة ٤٩٢٦ من بدء الخليقة بحسب التقويم العبري، وهذا يعني أنه حين بدأ رحلته خارجاً من مدينة تطيلة التابعة لسرقطة Zaragoza التي لم تكن تحت الحكم الإسلامي في الأندلس في ظل العصر الموحدي (٥٤٠-٦٣٥هـ/ ١٤٤٥-١٢٣٣م)، فقد مضى وقت خروجه منها خمسون عاماً على سقوطها في أيدي الممالك المسيحية الإسبانية(١٢).

كان هدف بنيامين من رحلاته إلى زيارة العالم الإسلامي زيارة تعرف ومحبة، باعتبار العالم الإسلامي وهذا صحيح، كان هو الملجأ والملاذ ليهود شبه جزيرة ايبيريا (إسبانيا والبرتغال) الذين كانوا يشهدون أياماً سوداً في كل منطقة ينتهي فيها الحكم الإسلامي، ويُعّد العالم الإسلامي هو الملجأ والملاذ الآمن ليهود سائر أوروبا في العصور الوسطى الأوروبية (٤٧٦-١٤٩٢م) الذين كان الأوروبيون يعاملوهم معاملة الأنعام، وينظرون إليهم نظرة ملؤها الكراهية والاحتقار، ولكن إذا كان التعرف على العالم الإسلامي هو هدفه، فلماذا لم يتجه برحلته جنوباً؛ ليجول في شبه الجزيرة الايبيرية؟ ولماذا لم يعبر بحر الزقاق (جبل طارق)؛ ليصل إلى طنجة أو سبته في المغرب الأقصى، ثم يتجه طريقه عبر المغرب الإسلامي إلى مصر فسائر أنحاء العالم الإسلامي؟ ألم يكن هذا الطريق يبدو منطقياً أكثر من اتجاهه شمالاً إلى أوروبا (إيطاليا) فالدولة البيزنطية، ليهبط بعد ذلك جنوباً إلى سائر بلاد العالم الإسلامي التي زارها، أو قال إنه زارها، ثم يتجه إلى الصين، ليعود إلى شواطئ الهند فسواحل شبه الجزيرة العربية، ثم يعبر البحر الأحمر ليصل إلى أسوان، ويستمر هابطاً مع نهر النيل؛ ليصل إلى القاهرة، والفسطاط، ويزور صحراء شبه جزيرة سيناء، ثم يعود إلى قبرص وبعدها يصل إلى صعيد مصر، ثم يرجع إلى الفسطاط وبعدها يصل إلى الإسكندرية ومنها إلى صقلية في البحر المتوسط(١٣).

لماذا هذا الطريق الذي لا يبدو أنه الأسهل، ثم لماذا تردده أكثر من مرة على مواضع بأعيانها في مصر التي قطعها من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال أكثر من مرة؟

يمكن الإجابة عن هذه الأسئلة؛ لأن رحالتنا بنيامين التطيلي قد تخلى عن الاتجاه برحلته جنوباً إلى داخل شبه الجزيرة الأيبيرية، فقد أجمع المؤرخون الأوروبيين ولاسيما اليهود أن حضن الدول الإسلامية في العصور الوسطى الإسلامية (٥٧١-١٤٥٣م) كان هو الحضن الوحيد الأكثر أمناً لأهل الذمة ولاسيما اليهود في العالم.

وفي هذا المقام نشير إلى أن الرحالة العبري بنيامين التطيلي زار القدس في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) وزار الحائط الغربي، ولكنه يستغرب بقوله: "ويسميه اليهود باب الرحمة، علماً بأن باب الرحمة هذا يقع إلى الشرق من قبة الصخرة المشّرفة" ويزداد على ذلك أن الرحالة لم يقل إنه زار الحائط أو صلّى عنده.

ومن معطيات الأدب الجغرافي تقود إلى حقيقة تضاؤل الحضور اليهودي في فلسطين عبر العصور الإسلامية، وهذا أمر يتضح من خلال ما ذكره العديد من الجغرافيين والرحّالة، وفي هذا المجال يمكن القول إن الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي قام برحلته إلى فلسطين، فزار القدس، وغيرها من المدن الفلسطينية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وكان يسعى إلى تدوين إحصاء اليهود في

فلسطين، وذُكِرَ أنه كان في القدس يهودياً واحداً آنذاك(١٤).

وبهذه الحقيقة التي عبّر عنها هذه الرحالة اليهودي يمكن القول: إنه إذا قام اليهود في أجزاء من فلسطين عدداً محدوداً من السنين، فالعرب أقاموا فيها إقامة مستمرة من دون انقطاع في حين انقطع اليهود عنها قروناً طويلاً جداً.

يذكر مترجم الرحلة الباحث عزرا حّداد في مقدمته أن بنيامين أُعِجبَ بما شاهده في وادي الرافدين من جاليات يهودية كانت يوماً تنعم بالطمأنينة في ظل الخلافة العباسية السمحاء، وقد استغرقت رحلته ثماني سنوات (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م) وطبعت رحلته للمرة الأولى باللغة العبرية عام ١٥٤٣م في مطبعة سونسيوني في القسطنطينية، وبعدها طبعت طبعات أوروبية كثيرة، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على طبعة وتحقيق وترجمة عن الأصل العبري لعزرا حدّاد، بغداد ١٩٤٥.

إن ما كتبه بنيامين عن مشاهداته في رحلته إلى ديار الإسلام في القرن السادس للهجرة لها قيمة تاريخية فهي معدودة من أقدم الرحلات المعروفة، وقد جاب مؤلفها الغرب والشرق ودوّن ما شاهده تدويناً تؤيده أغلب المصادر التي لدينا عن الحالة التي كانت سائدة في ذلك العصر، ومع أن نزعته جعلته يُعنى بأحوال أبناء طائفته؛ إذ قدّم لنا عن العراق وسائر البلاد الإسلامية الخبر الوافي، والوصف المسهب بقدر ما كان يستطيعه أوروبي يزور الشرق الإسلامي للمرة الأولى ولاسيما خلال الحروب الصليبية، فلم يكن باستطاعة رجل غربي أن يكتب عن الشرق كل ما شاهده، ولم يقدر أن يمدح نظاماً، أو يلهج بذكر عقيدة إلا بقدر، فللرحلة ظروف خاصة، وربما فاتته أمور كثيرة، إلا ما استطاع أن يتوصل إليه من معلومات فيما ذكره من مشاهدات ومسموعات لها قيمة تاريخية(١٥).

الرواد اليهود في العصور الوسطى(١٦)

إن اليهود في الأندلس والمشرق، خالطوا العرب، والمسلمين في عصورهم المختلفة، وتأثروا في تفكيرهم، واقتبسوا لغتهم، وتحلّوا بآدابهم، وضربوا بسهم وافر في جميع نواحي نشاط الفكر العربي، لذا لم تكن الرحلات البعيدة غريبة عنهم، على أنه من الحق أن نشير هنا إلى أن الدوافع التي كانت تحدو باليهودي الأوروبي على ترك دياره، والغرب في طول الأرض، وعرضها لم تكن كلها اختيارية، ولم تكن كلها لمجرد الإطلاع أو الوقوف على أحوال الأقطار المختلفة، بل كانت هناك عدة عوامل أساسية تدفعه طوعاً أو كرهاً إلى الإكثار من الترحال والتجوال منها:

١.العامل السياسي: وهو من أهم عوامل الهجرة والرحلة والسفر، لأن اليهودي الأوروبي خلال العصور الوسطى المظلمة، كان ملكاً لأمير الإقطاع يصنع به ما توحي إليه رغبته ومصلحته، ولم تكن له مطلق الحرية في الإقامة، والسكن حيث يشاء، ولم يكن مطمئناً على سلامته واستقراره في موطنه ومسقط رأسه، بل كان يجد نفسه بين فترات متقاربة أو متباعدة، حيال قرار مؤلم خطير يجب أن يتخذه بمنتهى السرعة- وهو أن يتخير بين أن يترك دينه ومعتقده باعتناق ديانة السلطة القائمة، أو أن يبارح موطنه ويحمل عصا الترحال، تاركاً خلفه ما يملكه من حطام دنياه الضّيقة.

٢.العامل الديني: يتمثل بالرغبة الملحة التي كانت تدفع بأتقياء اليهود إلى ركوب الأهوال واقتحام المخاطر لحج بيت المقدس، والتبرك بقبور الأنبياء ومقامات الصالحين، فحج بيت المقدس، وإن

لم يعد فرضاً دينياً على اليهودي منذ خراب هيكل القدس في القرن الأول الميلادي، فإن اليهودي التقي كان يشعر بلهفة متأججة إلى زيارة أماكن التوراة ومهبط الوحي ومثوى الأنبياء، غير آبه بالحقيقة المرة، وهي كونه لا يتمتع بحماية سلطان، أو رعاية أمير ولاسيما خلال الحروب الصليبية. وكان أن دوّن عدد من هؤلاء الحجاج ما شاهدوه في البلاد المقدسة والأقطار المؤدية إليها، فتركوا للأجيال المتأخرة تراثاً ممتعاً من كتب السياحة والرحلات.

٣.العامل الاقتصادي: وهو من أهم عوامل الهجرة والرحلة؛ ذلك لأن القوانين والقيود التي كانت تُحرّم على اليهودي الأوروبي في العصور الوسطى الأوروبية امتلاك العقار والاشتغال بالزراعة، قد دفعته مرغماً إلى أحضان التجارة والشؤون المالية، ولهذا وجدنا التاجر اليهودي في الموانئ والثغور في الشرق والغرب، يجوب الأقطار البعيدة قادماً من أوروبا يحمل مختلف السلع والبضائع للبيع والمقايضة. ثم يعود إليها بنتاج الشرق الغني بخيراته ومحاصيله، فهذا ابن خرداذبه يصف هؤلاء التجار أصدق وصف وأدقه إذ يقول " ... إنهم يسافرون بين الشرق والغرب، ويحملون من فرنجة الخدم والغلمان والجواري والديباج والخّز الفائق والفراء والسمور ويركبون البحر من فرنجه ويخرجون بالفرما، أو يحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم. ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى جدة والحجاز، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك. ويرجعون إلى القلزم. ثم يتحولون إلى الفرما.. ويركبون البحر الغربي فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها للروم، أو صاروا بها إلى بلاد الفرنجه فباعوها هناك، وإن شاؤوا حملوا تجارتهم في البحر الغربي، فخرجوا بانطاكية، فكانوا يتكلمون العربية والافرنجية والفارسية والروسية. وهم تجار اليهود الذين يقال لهم الرهدانية أو الراذانية".

ويذكر ابن الفقيه أن المسلمين كانوا يطلقون على هؤلاء التجار من اليهود اسماً مجرداً هو "تجار البحر"(١٧)، هذه العوامل التي ذكرناها وغيرها أنجبت عدداً من مشاهير الرواد اليهود في العصور الوسطى الأوروبية؛ فكانت حكايات سياحاتهم، وكتب رحلاتهم من أهم المصادر التاريخية لتلك العصور وجغرافيتها ليس لليهود حسب بل للعالم المعروف آنذاك(١٨).

ومن أشهر الرواد الرحالة اليهود إلى المشرق الإسلامي:

١- الداد الدانـي: خرج في حدود سنة ٨٨٠م من موقع ما في شرقي إفريقية يحاذي عدن (ربما كان الصومال) في رحلتين زار خلالهما الحبشة ومصر والقيروان وبلاد المغرب وإسبانيا (الأندلس)، ثم زار اليمن وعّرج على البحر الهندي، وخليج البصرة، فبغداد، ومنها عادَ إلى إفريقية ثم إلى إسبانيا.

٢- أبـو الحسن يهوذا بـن صموئيل اللاوي الطليطلي (١٠٨٥-١١٤٠م) الشاعر الفيلسوف الكبير، خرج من مسقط رأسه طليطلة يريد حج بيت المقدس، وهو يومئذٍ تحت الاحتلال الصليبي احتلال الصليبيين، فزار مصر والشام، وتوفي عند أسوار أورشليم، وفي ديوانه قصائد تعدّ من عيون الشعر العبري الأندلسي عبر فيها عن الحنين إلى زيارة الأماكن المقدسة في فلسطين.

٣- أبـو إسـحق إبـراهيم بـن مئيـر بـن عـزرا الطليطلـي الأنـدلسـي: ولد في طليطلة سنة ١٠٩٣م، وتوفي في روما سنة ١١٦٧م. كان شاعراً كبيراً وفيلسوفاً معروفاً ومفسراً عظيماً. قام برحلة علمية طويلة زار أثناءها مصر وفلسطين والعراق، ورودس وإيطاليا وانكلترا، فكان في لندن سنة ١١٥٧م،

وفي رواية أنه زار الهند أيضاً.

٤- بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي: (موضوع بحثنا).

٥- فتاحية الرتسبوني أو الرجنسبرجي: قام برحلته إلى الشرق الإسلامي براً في حدود سنتي (١١٧٥-١١٨٥م) عن طريق براغ وبولونيا وكييف والقرم فالقوقاز، ومن ثم عرج على أرمينيا والفرات والموصل، فبغداد وإيران وسوريا وفلسطين واليونان، فكانت زيارته لمدينة بغداد على ما يظهر في زمن الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وتعدّ رحلته من الوثائق المعروفة.

٦- يعقوب بن نثيال كوهن: زار فلسطين قبيل استيلاء صلاح الدين الأيوبي على القدس سنة ١١٨٣م. وترك رسالة قيمة في رحلته.

٧- يهوذا بن سليمان الحريزي الطليطلي (١١٧٠-١٢٣٠م) الشاعر الكبير ناقل الكتب المهمة من العربية إلى العبرية، ومؤلف كتابات "مقامات الحريري" العبرية التي ضارع مقامات الحريري العربية. قام برحلة طويلة زار خلالها مصر وفلسطين والشام والعراق، ووصف مشاهداته وذكر العظماء والعلماء الذين قابلهم في المدن التي زارها.

٨- يعقوب رسول الربي بحيئيل الباريسي: خرج من فرنسا سنة ١٢٣٨م، في رحلة طويلة استغرقت ست سنوات زار خلالها فلسطين سوريا والعراق، فالأهواز، ووضع رسالة قيمة عن رحلته.

هؤلاء الرحالة الرواد وأمثالهم كثيرون من الذين تجشموا مشاق السفر وركبوا متن الأخطار والأهوال في تلك العصور المظلمة، وخلفوا لنا عن رحلاتهم تلك رسائل ثمينة تعد من أوثق المصادر التاريخية بعد مقارنتها بالمصادر التاريخية العربية.

والملاحظ هنا أن تيار الرحلات والأسفار اليهودية خلال العصور الوسطى، كان يتجه دائماً من الغرب إلى الشرق، وقلّما نعرف عن رحالة من يهود الشرق رحل إلى أوروبا للدرس والإطلاع أو التجارة باستثناء بعض العلماء الذين كانوا يرحلون إليها للتعليم في مدارسها، ولهذه الظاهرة أسباب متعلقة بالعوامل التي ذكرناها سابقاً(١٩).

وفي ختام هذا المبحث نعرض في الجدول التالي أهم الرحالة الأجانب الذين زاروا المشرق الإسلامي ولاسيما بلاد الشام في العصور الوسطى الأوروبية وهم من أقطار متعددة فهناك الإنكليزي والروسي، والألماني، والإسباني، والايطالي، واليوناني(٢٠).

أولاً: عدد من الرحالة الأجانب الذين زاروا المشرق الإسلامي خلال القرن الثاني عشر الميلادي

ت	الرحالة	الجنسية	تاريخ الرحالة
١	سايولف	انكليزي	(١١٠٢-١١٠٣م)
٢	دانيال	روسي	(١١٠٦-١١٠٧م)
٣	فتيلوس	أوروبي	(١١١٨-١١٣٠م)
٤	يوحنا الورزبرجي	ألماني	(١١٦٠-١١٧٠م)
٥	أبو فروزين	سيدة روسية	(١١٦٢-١١٧٢م)
٦	بنيامين التطيلي	إسباني	(١١٦٥-١١٧٣م)

٧	ثيودريش	ألماني	(١١٧١-١١٧٣م)
٨	بتاحيا الراتسبوني	يهودي ألماني	(١١٧٤-١١٨٧م)
٩	يوحنا فوكاس	يوناني	(حوالي ١١٨٥م)

ثانياً: عدد من الرحالة الأجانب الذين زاروا المشرق الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين

ت	الرحالة	الجنسية	تاريخ الرحلة
١	صموئيل بن شمشون	يهودي أوروبي	(١٢١٠م)
٢	بوركهارد من جبل صهيون	ألماني	(القرن الثالث عشر "ت١٣٢٤م)
٣	اودوريك دي بوردنون	إيطالي	(ت ١٣٣٠م)
٤	مارينو سانودو	إيطالي	(القرن الثالث عشر)
٥	لودلف فون سوخيم	ألماني	(١٣٣٦-١٣٤١م)

المبحث الثاني- وصف بغداد في رحلة بنيامين التطّيلي (الاندلسي)

خرج الرحالة الإسباني بنيامين من مسقط رأسه تطيلة التابعة لإقليم سرقسطة في الشمال الشرقي من إسبانيا، فخرج منها باتجاه سواحل فرنسا الجنوبية، وكانت أوروبا تعيش ظروف الحروب الصليبية واستمرار الاستعدادات لإرسال الحملات إلى بلاد الشام ثم واصل رحلته حتى بلغ روما وهي في عزّ أيامها، وقمة سلطتها فأطلع على آثارها القديمة، وقصورها وكنائسها، واستمر في تجواله حتى بلغ القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الشرقية، فأدهشه ما شاهده من قصورها وقلاعها وتجارتها الواسعة وكنائسها ووقف عند آيا صوفيا يصور ما شاهده من أبيات الفن المعماري(٢١).

ومن ثم ركب البحر حيث أطل على الشرق الإسلامي وهو الهدف الرئيسي لرحلته، فراح يتنقل في المدن العامرة والقرى الزاهرة في سوريا ولبنان، ومنها حج بيت المقدس في ظل الاحتلال الصليبي، فصار يتنقل في نواحي فلسطين، ويدَّون ما زاره من قبور وأضرحة الأتقياء ومقامات الصالحين، ثم مر بغور الأردن، وأتجه شمالاً نحو بحيرة طبرية ومنها عرج نحو أعالي الفرات بطريق تدمر وبعلبك ودمشق، وأخذ يتنقل بين دجلة والفرات حتى بلغ الموصل، ثم ألقى عصا الترحال في بغداد عاصمة الخلافة العباسية (٥٦٥هـ/١١٦٩م) فأعجب بما شاهده من عمرانها، وأسهب في وصف قصور خلفائها ومعاهدها ومارستاناتها، ولاغرو، فهو أول رحالة أوروبي من غير المسلمين، جاوز الفرات وبلغ بغداد وقد أعجب بنيامين بصورة خاصة بما شاهده في وادي الرافدين من جماعات يهودية كانت يومئذٍ تنعم بالأمن والأمان في ظل الدولة العباسية، في حين كان يهود أوروبا لا يعرفون سوى الاضطهاد الديني والاقتصادي، فراح لسانه يلهج بمدح خليفة المسلمين المستنجد بالله العباسي (٥٥٥هـ-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) قائلاً(٢٢) " ..... أمير المؤمنين المعروف بالتقوى والاستقامة، يطلب الخير لجميع رعيته" ويصف موكبه في طريقه إلى الجامع؛ لإقامة فريضة صلاة العيد، وابتهاج الرعية

برؤية طلعته الميمونة، فيسجل هنا فهم له وتهليلهم وتكبيرهم". ثم يتحدث عن المارستان حديث شاهد عيان دقيق الملاحظة.

إن ما يرويه بنيامين عن الخليفة العباسي المستنجد بالله من صفات، يدل على ما كان له من مقامٍ سامٍ في قلوب يهود بغداد. وتحدثنا بعض المصادر التاريخية أنه كان من خيرة الخلفاء، أزال المكوس والمظالم وكان شديداً على أهل العبث والفساد، وانه حل المقاطعات وأعادها إلى الخراج، وكان حليماً عادلاً ثاقب الرأي حازماً، له إلمام بعلم الفلك وغيرها من العلوم والفنون، فكانت أيامه كلها أفراحاً(٢٣).

ويحدثنا رحالتنا بنيامين عن مدينة بغداد "بغداد المدينة الكبرى، كرسي مملكة الخليفة أمير المؤمنين الإسلامي، يدين له بالطاعة ملوك المسلمين قاطبة، فهو عندهم بمقام البابا عند النصارى"(٢٤) ويختم حديثه عنها "وتبلغ استدارة بغداد عشرين ميلاً، وتمتد حولها الرياض مما لا مثيل له في جميع العراق. ولها تجارة واسعة يقصدها التجار من جميع أقطار العالم للبيع والشراء، وفي بغداد عدد كبير من العلماء الفلاسفة والمتفننين في جميع العلوم والمعارف والسحريات"(٢٥).

وقد اختلفت المصادر الجغرافية وتضاربت آراء الأقدمين في معنى بغداد، قال ياقوت الحموي:(٢٦) "إن معنى بغداد "باغ" بستان تعود لرجل فارسي كان أيام الملك شيروان" في حين من رأى بعضهم أنها مصحفة من "بغ" وهو اسم صنم و(داد) ومعناها هدية. وقيل: إن لفظة بغداد من أصل آرامي "بيت كداد" ومعناها بيت الغنم أو الحظيرة على أنه من الثابت أن قرية تدعى بغداد كانت قائمة على نهر دجلة منذ ايام البابليين، وفي أيام الفتح العربي الإسلامي للعراق غزا المثنى بن حارثة الشيباني سوقاً للفرس على دجلة كانت تُدعى "سوق بغداد" وذلك قبل أن يبني الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مدينته المستديرة دار السلام في (١٣٢) سنة، وقد اختطها عام (١٤٥هـ/٧٦٢م)، وانتقل إليها عام (١٤٩هـ/٧٦٦م) ثم تعاقبت عليها الحوادث إلى أن استولى عليها هولاكو المغولي سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) . ومن أسمائها الزوراء أي العوجاء إشارة إلى أن القبلة في بغداد لا تتفق مع أي من الجهات الأربع.

ويجب أن نشير هنا إلى أن الرحالة بنيامين هو أول رحّالة أوروبي يذكر بغداد بلفظتها الصحيحة المعروفة، في حين أن أغلب من زارها من الرواد الأوروبيين صحفوا لفظتها بأشكال مختلفة منها: Baldak و Baudas و Bagdet و Maghdah وبابل الجديدة(٢٧).

ويواصل رحالتنا بنيامين وصف قصر الخلافة في بغداد قائلاً :"وقصر الخلافة في بغداد واسع الأرجاء، تُنيف استدارته على ثلاثة أميال. تتوسطه روضة غناء فيها أشجار مثمرة وغير مثمرة من كل صنف، وفيها من الحيوان ضروب كثيرة، وفي الروضة أيضاً بحيرة واسعة يأتيها الماء من حدقل (دجلة) يخرج إليها الخليفة للصيد والنزهة، وقد جمعت فيها أصناف الطير والسمك لرياضة الملك ووزرائه ورجال بطانته وضيوفه"(٢٨)، ثم يواصل الرحالة بنيامين تسجيل ملاحظاته عن مجلس الخليفة العباسي قائلاً: "وفي هذا القصر يعقد الخليفة العباسي الكبير "الحافظ" مجلس بلاطه، وهو حسن المعاملة لليهود، وفي حاشيته عدد منهم، وهو عليم بمختلف اللغات عارف بتوراة موسى، يحسن اللغة العبرية قراءة وكتابة، وهو كذلك على جانب عظيم من الصلاح والتقوى يأكل من تعب كفيه. إذ يصنع الشال المقصب ويدمغه بختمه فيبيعه رجال بطانته من السراة والنبلاء فيعود عليه بالأموال الوافرة.وهو موصوف بالتقوى والصدق

والاستقامة وطلب الخير لجميع رعيته"(٢٩).

ونعتقد أن بنيامين قد بالغ في وصف الخليفة العباسي المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٥هـ) أو ممن سبقوه بهذه الأوصاف من معرفته بمختلف اللغات وعارف بالتوراة ويحسن اللغة العبرية ويأكل من تعب كفيه. كذلك لم نجد في المصادر التاريخية لقب "الحافظ" بين الألقاب التي كان يحملها خلفاء بني العباس، ومن المحتمل أن يهود بغداد كانوا يلقبون الخلفاء بالحافظ؛ لكونهم يحفظون القرآن الكريم.

ويشير بنيامين إلى الصراع على الخلافة ومبدأ ولاية العهد "وجميع الأمراء ومن بيت الخلافة معتقلون في قصورهم الخاصة وراء سلاسل الحديد، وعليهم الحراس الموكلون بهم لكي لا يعلنوا العصيان على كبيرهم الخليفة. فقد حدث لأحد أسلافه أن تمرد عليه أخوته وبايعوا لأحدهم بالخلافة. ومن ذلك اليوم جرت العادة بالحجر على أفراد بيت الخلافة كافة لكي لا يتمردوا على سيد البلاد. غير أن كلاً من هؤلاء يعيش في قصر أنيق، ويمتلك المدن، والضياع تدر عليه المال الوافر، وعليها الوكلاء والأمناء، وهكذا يقضي الأمراء أيامهم بالقصف واللهو"(٣٠) وعند مقارنة هذا الوصف في رحلة ابن جبير الذي زار بغداد سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) أي بعد (١٥) سنة في عهد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء نجد يقول "....، لأن جميع العباسيين في تلك الديار معتقلون اعتقالاً جميلاً لا يخرجون ولا يظهرون، ولهم المرتبات القائمة بهم"(٣١).

يعود بنيامين إلى وصف قصر الخلافة "وفي قصر الخلافة من الأبنية ما يحير العقول. ففيه الرخام والأساطين المزوقة بالذهب المزينة بالحجارة النادرة المنقوشة بالريازة البديعة تكسو الحيطان. وفي القصر كنوز وافرة وخزائن طافحة بالذهب والثياب الحرير والجواهر الكريمة(٣٢).

وقد ورد هذا الوصف عند عدد من الرحالة الأجانب والمسلمين في العصور الوسطى عن الخلفاء وقصورهم ومواكبهم من القصر إلى المسجد واحتفاء الناس بهم، فيشير بنيامين إلى ذلك "فإذا ما دخل الجامع، يرتقي منبراً من خشب، فيشرع في إلقاء خطبته على الجماهير، ويفسر لهم أحكام شريعتهم، ثم ينهض كبار المسلمين، فيرتلون الدعاء له، ويشيدون بعظمته وفضله، فيهتف الجميع "آمين" ثم يمنحهم مباركته ويؤتى له بجمل ينحره؛ وهذا هو قربان العيد عندهم. فيوزع اللحم على العظماء والأمراء، والسعيد منهم من يذوق أضحية خليفته"(٣٣).

وبعد هذا الإسهاب في ذكر الخليفة العباسي وقصوره وموكبه يعود إلى وصف مدينة بغداد، وأهم مرافقها الخدمية ولاسيما الصحية قائلاً "ويقوم على الجانب الغربي من مدينة بغداد بين نهر دجلة ونهر آخر يأتي من الفرات بناء المارستان وهي مجموعة من البنايات الواسعة، يأوي إليها المعوزون من المرضى رغبةً في الشفاء ولهذا المارستان قوامون من الأطباء يبلغ عددهم الستين طبيباً يعالجون المرضى ويقدمون لهم الأدوية، والخليفة يجهزهم بما يحتاجون إليه من بيت المال.

وفيها أيضاً بناية تدعى "المارستان" يأوي إليها المجانين المغلوبين على عقولهم بتأثير حرّ القيظ الشديد! والأطباء يقيدونهم بالأغلال حتى يتوبوا إلى سابق رشدهم. ويعيشون مدة مكوثهم فيها بنفقة الخليفة، ويقوم أطباء الخليفة بتفقدهم مرة في كل شهر، فيسرحون من عاد إلى الصواب منهم، ليعود إلى أهله. وتشمل خيرات الخليفة كل من أمَّ بغداد من المرضى والمجاذيب، فالخليفة جزيل الإحسان،

همه عمل الخير"(٣٤).

والمصادر التاريخية تذكر أنه كان في بغداد ايام رحلة بنيامين مارستانات (مستشفيات) متعددة. منها البيمارستان الصاعدي والمارستان المقتدري، وكان يقع في باب الشام، وبيمارستان السيدة أم المقتدر بسوق يحيى على نهر دجلة، ومارستان الوزير ابن الفرات، ومارستان عز الدولة، وكان يقع عند الجسر الذي على دجلة(٣٥).

أما المارستان الذي يذكره بنيامين فهو المعروف بالمارستان العضدي كبرى مستشفيات بغداد، الذي كان يقع بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع أنشأه الأمير بجكم أيام حكمه ببغداد بناء على إشارة الطبيب سنان ثابت بن قره (٣٢٩هـ/٦٤١م)، ثم أتمه عضد الدولة عام (٣٦٨هـ/٩٦٦م) وافتتحه سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) ورتب فيه الأطباء والمعالجين والخزان والبوابين والوكلاء والحراس، وعيّن له أربعة وعشرين من أمهر الأطباء في البلاد من مختلف الملل. وقد زار الرحالة ابن جبير بعد بنيامين بمدة (١٥) سنة، وروى كيف أن الأطباء يتفقدونه كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى فيه، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه من الأدوية والأغذية(٣٦).

وكان من أهم أهداف رحلة بنيامين هو زيارة بيت المقدس وتتبع أحوال اليهود في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي في العصور الوسطى التي يمر بها، أو يزورها، والآن يصف لنا أحوال جاليته في بغداد ويقول "ويقيم ببغداد نحو أربعن ألف يهودي. وهم يعيشون بأمان وعز ورفاهية في ظل أمير المؤمنين الخليفة. وبينهم عدد من كبار العلماء ورؤساء المثيبة وعلماء الدين. ولهم في بغداد عشر مدارس مهمة. ورئيس المدرسة الكبرى هو صموئيل بن علي الرباني والغاؤون رأس مثيبة "غاؤون يعقوب" وهو ينتسب إلى سبط لاوي من آل موسى النبي(ع)"(٣٧).

ويواصل الرحالة بنيامين ذكر أشهر العلماء ومدراء المدارس والأساتذة الذين يعرفون بالمعتكفين الذين كان واجبهم النظر في مصالح أبناء طائفتهم "وأما رئيس المدرسة الثانية فهو أخوه شيخ اللاويين ونائب رأس المثيبة، ورئيس المدرسة الثالثة ر. دانيال ورئيس المدرسة الرابعة الحّر العازر. ورئيس المدرسة الخامسة ر. إلعازر بن صمح رأس المجمع العلمي، ويرتقي نسبه إلى صموئيل النبي. وقد اشتهر هو وأخوته بالتجويد ورخامة الصوت والترتيل على الطريقة التي كان يرتل بها أجدادهم اللاويين في بيت المقدس. ورئيس المدرسة السادسة ر. حسداي الملقب بفخر الأحبار. ورئيس المدرسة السابعة ر. حجاري. ورئيس المدرسة الثامنة ر. عزرا صاحب سر المثيبة. ورئيس المدرسة التاسعة ر. إبراهيم ويُكنى بأبي طاهر. ورئيس المدرسة العاشرة والختامية (السيوم) ر. زكاي بن بسمتناني، وهؤلاء الأساتذة العشرة يعرفون بالمعتكفين لا عمل لهم غير النظر في مصالح أبناء طائفتهم. ويقضون بين الناس طول أيام الأسبوع، كل في مدرسته، خلال نهار الاثنين حيث يجتمعون في مجلس كبيرهم رأسه مثيبة (غاؤون يعقوب) للنظر في شؤون الناس مجتمعين(٣٨).

ويستمر الرحالة بنيامين بذكر بقية علماء اليهود ورتبهم في بغداد وعلاقتهم مع الخليفة فيقول: "أما رئيس هؤلاء العلماء جميعهم، فهو الربي دانيال بن حسداي الملقب "سيدنا رأس الجالوت" ويسميه المسلمون "سيدنا ابن داود" لأن بيده وثيقة تثبت انتهاء نسبه إلى الملك داود. وهو يستمد سلطانه من

كتاب عهد يوجه إليه من الخليفة أمير المؤمنين عملاً بالشرع المحمدي" ويواصل حديثه عن موكب رأس الجالوت عند خروجه، وبعض الأعياد والمهرجانات اليهودية في العراق، ثم يبين عدد العلماء والكنائس (البيع) في بغداد فيقول: "وبين يهود بغداد عدد كبير من العلماء وذوي اليسار، ولهم فيها ثماني وعشرون كنيسة. قسم منها في جانب الرصافة، ومنها في جانب الكرخ على الشاطئ الغربي من نهر حدقل (دجلة) الذي يمرّ في مدينة فيشطرها شطرين(٣٩)، هكذا سّجل الرحالة الأندلسي بنيامين التُّطيلي النباري ملاحظاته عن مدينة بغداد بعامة ولاسيما عن جاليته اليهودية، ولا نعرف بالضبط كم استغرقت رحلته في العراق؟ ولكن نعرف أنه زارها عام (٥٦٥هـ/١١٦٨م) وأنه توفي عندما عاد إلى مدينته تطيله في إسبانيا سنة (٥٦٩هـ/١١٧٢م) بعد أن زار عدد من الأماكن والمواقع في ثلاث قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا تقدر بـ(١٩٠) علماً جغرافياً وتحديداً **في العراق زار الأماكن والمواقع الآتية**(٤٠):

الموصل، الرحبة تقع على شاطئ الفرات بين الرقة وعنه وهي غير رحبة الشام، فرقيسياد (كركميش) تقع في أعالي الفرات، الأنبار، حربي تقع على نهر الدجيل بين بغداد وتكريت، بغداد وهي من أكثر المدن وصفاً وتوضيحاً وبواقع ثمان صفحات (١٣١-١٣٩)، جاهيجان (زريران) ربما هي السيافية في الجانب الغربي من نهر دجلة بأزاء المدائن، خرائب بابل (بابل الكبرى القديمة)، الحلة، برس نمرود أو برج التفرقة (زقورة بابل)، نفاحه (نفاح) أو نفاطة بجوار هيت ربما عقله نفاحه، مرقد حزقيال (الكفل)، عين شفاثه، كفر الكرم ربما عين التمر، نهر ريجة قريبة من الكوفة، الكوفة، سورا من مدن الفرات تقع على شط النيل، شفياثيب (الشافية) من قرى واسط من ناحية نهر جعفر بين واسط والبصرة ويقال لها شيفية أيضاً، واسط، البصرة، نهر سمره تقع في أرض ميسان وفيها قبر العزير والعمادية وهي أقصى شمالي العراق وتبعد ١٦٨ كم عن الموصل.

الخاتمة:

وخلاصة القول عن اهمية رحلة بنيامين والنتائج التي توصل البحث اليها (٤١).

١- ركزت الرحلة على تتبع الحياة العامة والخاصة للجاليات اليهودية في الأماكن والمواقع التي زارها بنيامين في العالم الإسلامي ولاسيما في بلاد الشام وبالذات فلسطين والعراق خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي والمجالات التي عملوا بها وموازنته بين عناصرهم في داخل الوجود الصليبي في بلاد الشام وبين تلك التي عاشت تحت السيادة العربية الإسلامية، وقرر قلة أعداد اليهود في بيت المقدس بسبب منع الصليبيين اليهود من دخول المدينة لأعتقادهم أن وجودهم يؤدي إلى تدنيس قدسيتها، وهكذا؛ ففي حالة وجود عناصر يهودية فمرجعه إلى كونهم حجاجاً أو أُناساً قد حصلوا على موافقة خاصة لإنجاز بعض الأعمال ودفعوا رسوماً من أجل الموافقة على زيارة المدينة المقدسة.

٢- كثرة أعداد الجاليات اليهودية التي عاشت في كنف الدول الإسلامية عامة ولاسيما في بلاد الشام، إذ بلغ عدد اليهود في دمشق ثلاثة آلاف يهودي وفي حلب ألف وخمسمائة يهودي وفي بغداد (٤٠,٠٠٠) أربعين ألف يهودي وتعليل ذلك لحسن المعاملة التي عامل بها المسلمون اليهود الذين عاشوا في أمن وسلام، ولم يتعرضوا للاضطهادات الدموية التي نكبوا بها في مطلع الحروب الصليبية، ويتضح من ذلك مدى تسامح الإسلام مع أهل الذمة من النصارى واليهود وبصورة تغاير سياسة الصليبيين التي اتسمت

بالتعصب الشديد ضد كل ما هو غير مسيحي.

٣- أفادت الرحلة في إلقاء الضوء على الخريطة العقدية في العالم الإسلامي، ولاسيما بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية والمشرق الإسلامي في ظل الدولة العباسية، فأشارت إلى عناصر الإسماعيلية النزارية وإلى الدروز وعناصر الهيئات الدينية الحربية الصليبية كالاسبتارية والداوية.

٤- حوت رحلة بنيامين الأندلسي على عدد من الإشارات الاقتصادية ومن أمثلة ذلك تناوله لمدن الساحل الشامي المزدهرة على المستوى التجاري وذكر مدينة صور بأنها لا نظير لها في العالم ووصفها بالاتساع، وأن التجار كانوا يقدمون إليها من أنحاء العالم كافة كذلك أشار إلى مدينة عكا العاصمة التجارية لمملكة الصليبيين وأن لها ميناءً كبيراً ترسو عنده السفن المتجهة إلى بيت المقدس فضلاً عن وصفه لمدينة بغداد بأن لها تجارة واسعة يقصدها التجار من جميع أقطار العالم للبيع والشراء.

٥- كذلك أشارت الرحلة إلى الكوارث الطبيعية، وفي مقدمتها الزلازل في العالم الإسلامي، ولاسيما في بلاد الشام في ذلك العصر وفي أماكن أخرى، وكان لها الأثر الكبير على المنازل وسُكانها على حدٍّ سواء وذكر أنها أهلكت عشرين ألفاً من سكان طرابلس حاضرة شمال لبنان وهذا نوع من المبالغة في مثل هذه الأرقام؛ لتعذر وجود إحصاءات علمية دقيقة في ذلك الوقت، ولكن مثل هذه الأرقام تكشف لنا حجم الكوارث الطبيعية.

الهوامش

١- سورة النبأ الآية: ٦ و٧.

٢- سورة الكهف الآية: ٣٣.

٣- سورة الشعراء الآية ١٤٩.

٤- سورة غافر الآية: ٨٢.

٥- سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

٦- حديث نبوي شريف أخرجه أحمد في المسند ط. دار الفكر جـ٢، ص٣٨٠ نقلاً عن مقدمة المحقق محمد عبد الرحيم؛ رحلة ابن بطوطة جـ١ جـ٢، مؤسسة الكتب الثقافية ودار الفكر بيروت، ٢٠٠٣، ص٣.

٧- ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة "في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" جـ١ جـ٢، ص٤.

٨- فهيم، محمد حسين، أدب الرحلات، عالم المعرفة عدد ١٣٨، الكويت ١٩٨٩، ص٢١.

٩- ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير "رسالة إعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك" دار ومكتبة الهلال- بيروت ١٩٨٦.

١٠- حمود، خضر موسى محمد، أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١١، ص١٠-١١.

١١- حمود، المرجع نفسه، ص١٢-١٣.

١٢- عوض، محمد مؤنس، الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٤، ص٧.

١٣- ويكيبيديا شبكة الانترنيت؛ التطيلي، بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي (٥٦١-٥٦٩هـ) رحلة بنيامين، ترجمها عن الأصل العبري وعلّق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حدّاد، المطبعة الشرقية، بغداد ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، مقدمة المحقق والمترجم ص٢٢-٢٤؛ ناجي، عبد الجبار وحسين داخل البهادلي، بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب، بيت الحكمة، بغداد ٢٠٠٣، ص١٩٢-١٩٧.

١٤- التَّطيلي، المصدر نفسه مقدمة المحقق حداد ص٢٢، عوض، المرجع نفسه ص٣٩-٥١.

١٥- شبكة الانترنيت ويكيبيديا رحلة بنيامين التُّطيلي باللغة العربية والإسبانية والإنكليزية.

١٦- التطيلي، المصدر نفسه مقدمة المحقق حداد ص٢٢-٣٠؛ شبكة الانترنيت ويكيبيديا.

١٧- التطيلي، المصدر نفسه، مقدمة المحقق حداد ص١٤-١٧؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١٠٣-١٤٥، نقلاً عن حداد.

١٨- التَّطيلي، المصدر نفسه، ص١٦.

١٩- التَّطيلي، المصدر نفسه، ص١٧-١٨.

٢٠- التَّطيلي، المصدر نفسه، ص١٨-١٩.

٢١- عوض، المرجع السابق ص٣٩-٤٣، شبكة الانترنيت ويكيبيديا.

٢٢- التَّطيلي، المصدر السابق ص٢٩.

٢٣- ناجي، عبد الجبار، بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب، ص١٩٢-١٩٧؛ رحلة بنيامين (النص) ص١٣٢.

٢٤- رحلة بنيامين (النص) ص١٣١.

٢٥- رحلة بنيامين ص١٣٩.

٢٦- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر بيروت ٢٠٠٧، جـ٢، ص٤٥٦-٤٦٦.

٢٧- رحلة بنيامين ص١٣١.

٢٨- المصدر نفسه ص١٣١.

٢٩- المصدر نفسه ص١٣٢.

٣٠- المصدر نفسه ص١٢٢.

٣١- ابن جُبير، أبي الحسن محمد بن أحمد بن جُبير، رحلة ابن جُبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦، ص١٨١.

٣٢- رحلة بنيامين ص١٣٣.

٣٣- المصدر نفسه ص١٣٤.

٣٤- المصدر نفسه ص١٣٤-١٣٥.

٣٥- المصدر نفسه ص١٣٥.

٣٦- رحلة ابن جُبير ص١٨٠.

٣٧- رحلة بنيامين ص١٣٥.

٣٨- المصدر نفسه ص١٣٦.

٣٩- المصدر نفسه ص١٣٦-١٣٧.

٤٠- المصدر نفسه ص١٢٧-١٣٩.

٤١- عوض، المرجع السابق ص٣٩-٤٣، ص١٢١-١٢٥؛ ناجي، عبد الجبار، المرجع السابق، ص١٩٢-١٩٧، شبكة الانترنيت ويكيبيديا.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١- الأندلسي، بنيامين بن يونه- التطيلي النباري (ت٥٦٩هـ) رحلة بنيامين، ترجمة وتحقيق عن الأصل العبري عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد ١٩٤٥.

٢- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ)رحلة ابن بطوطة(في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، جـ١جـ٢، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٣.

٣- ابن جُبير، أبي الحسن محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ)، رحلة ابن جُبير (رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦.

٤- حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، شركة نوابغ الفكر، القاهرة ٢٠٠٨.

٥- حميدة، عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت- دمشق ١٩٩٥.

٦- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر بيروت ٢٠٠٧.

٧- حمود، خضر موسى محمد، أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠١١.

٨- الشهابي، مصطفى، الجغرافيون العرب، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٢.

٩- عوض، محمد مؤنس، الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٤.

١٠- فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، عالم المعرفة رقم ١٣٨، الكويت ١٩٨٩.

١١- مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد ١٩٦٧.

١٢- ناجي، عبد الجبار وحسين داخل البهادلي، بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي، بيت الحكمة، بغداد ٢٠٠٣.

١٣- ويكيبيديا Wikipedia شبكة الانترنيت- الموضوعات التالية:

- وصف كتاب رحلة بنيامين.
- بعد مرور (٦٦) عاماً على صدور الطبعة الأولى (بغداد ١٩٤٥) من كتاب "رحلة بنيامين التطيلي" ترجمة الأستاذ عزرا حداد وصدور طبعة ثانية عام ٢٠٠٢ عن المجمع الثقافي – أبو ظبي.
- بنيامين التطيلي (باللغة الإسبانية) – Benjamin de Tudela
- The Itinerary of Benjamin of Tudela, Marcus than Adler M.A. London 1907.

الحياة الاقتصادية في العراق في العصر البويهي ٣٣٤ - ٤٤٧هـ

Economic life in Iraq in the Buyid era 334 – 447 HA

م.م. حيدر هلال مخيف
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

ا.م.د احمد محمد جودي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The research dealt with the conditions of Iraq in the shadow of the Buyid presence and its control over Iraq, which extended between the years (334-447 AH), and it is natural that this dominance is reflected in the deterioration of the economic conditions; The occupier often only cares about dominating the country's economic capabilities, and this was reflected in the living conditions of the population, as the Abbasid caliphs became a tool to pass the wishes of the occupier, like the Buyids and those who came after them, such as the Seljuks, and despite that, there are some indications of the emergence of a gesture of reform by some of the Buyid rulers Such as the agricultural reforms that appeared during the reign of Mu'izz the Buyid state, but the dominant feature under their control is the deterioration of the economic conditions, represented by the rise in prices resulting from the bad monetary policy of the Buyids. the Buyid era; As a result of the cases of fraud that this currency was exposed to, represented by the type and quantity of the paste used to strike that currency.

الملخص:

تناول البحث احوال العراق في ضل الوجود البويهي وسيطرته على العراق والتي امتدت بين عامي(٣٣٤-٤٤٧هـ)، ومن الطبيعي ان تنعكس تلك الهيمنة على تردي الاحوال الاقتصادية؛ فالمحتل في الغالب لا يهمه سوى الهيمنة على مقدرات البلاد الاقتصادية، وانعكس ذلك على الاحوال المعيشية للسكان، فقد صار خلفاء بني العباس اداة لتمرير رغبات المحتل، كالبويهيين ومن جاء بعدهم مثل السلاجقة، وبالرغم من ذلك فهناك بعض الاشارات لظهور بادرة اصلاح من قبل بعض حكام البويهيين، كالإصلاحات الزراعية التي ظهرت في عهد معز الدولة البويهي، الا ان السمة الغالبة في ضل سيطرتهم هي تردي الاحوال الاقتصادية، المتمثلة بارتفاع الاسعار الناجم عن السياسة النقدية السيئة للبويهيين، فقد امتازت العملة برداءتها وقلة قيمتها، حتى ان البعض صار لا يتعامل بعملة العراق النقدية في العصر البويهي؛ نتيجة لحالات الغش التي تعرضت لهل تلك العملة، المتمثل بنوع وكمية المعجن المستخدم في ضرب تلك العملة.

كلمات مفتاحية: (البويهيون، الاقتصاد الإسلامي، الزراعة، الصناعة، طبقات المجتمع)

المقدمة:

جاء المبحث الاول بعنوان: التعريف بالبويهيين وفئات المجتمع وطبقاته، وتحدث المبحث الثاني عن الاحوال الاقتصادية، وقسم المبحث الثاني لمفاصل عدة: منها الاقطاع العسكري واثره السلبي على الاحوال الاقتصادية للعراق وبالأخص بغداد عاصمة الدولة، وشمل المبحث الثاني ايضاً الحديث عن ظاهرة ارتفاع الاسعار في ضل السيطرة البويهية، اضافة الى العملة النقدية في ضل السيطرة البويهية، والمبحث الثالث كان تحت عنوان الاصلاحات الاقتصادية في ضل السيطرة البويهية، وشمل الزراعة

واصلاحات اقتصادية اخرى تخص الخدمات، وكذلك الصناعة.

وقدم البحث أيضاً دراسة عن الاضطرابات والفتن السياسية وكذلك الظواهر الطبيعية وانعكاساتها على المستوى المعيشي.

المبحث الأول- التعريف بالبويهيين، وفئات المجتمع وطبقاته

اولاً: التعريف بالبويهيين:

ترجع تسمية البويهيين نسبةً لجدهم بويه بن ابي شجاع[١]، فيرتفع بهم النسب عند البعض لأحد ملوك الفرس، حيث يصل النسب بيهوذا بن اسحاق بن ابراهيم الخليل(عليه السلام)، وينسبهم البعض كذلك للملك الفارسي "بهرام جور الساساني[٢]"؛ كونهم رأوا في ذلك تحقيق لمصالحهم الشخصية، حفاضاً على ممتلكاتهم وتراثهم[٣].

وعند وفاة ابو شجاع بويه(جد البويهيين) كان له من الاولاد ثلاث(علي وحسن واحمد)، وكانوا في خدمة "ماكان بن كالي الديلمي" القائد الذي فرض سيطرته على طبرستان، وتمكن علي بشجاعته وقدراته المميزة من ان يصبح قائداً لجماعة مهاجرة من الديلم، المهاجرين على شكل اجناد متخذين لنفسهم قائداً يتبعونه، وهذا القائد تنقل في الخدمة من ملك لآخر تبعاً لمصالحه ومصلحة اصحابه المادية[٤].

ونظراً لما اظهره البويهيون من كفاءة عسكرية؛ فانهم وصلوا لمراكز مهمة، فعندما حلت الهزيمة بجيش ماكان بن كالي على يد مرداويج بن زيار الديلمي، ترك علي واخوته خدمة ماكان، موجهين له القول: "الاصلح لك مفارقتنا إياك لتخف عنك مؤونتنا، ويقع كلنا على غيرك، فاذا تمكنت عاودناك"[٥]، فميلهم كان مع المال اينما يميل، وبعدما صاروا في خدمة مرداويج، تم تنصيب علي بن بويه والي لمنطقة الكرج (جورجيا حالياً) التي تقع جنوب همذان، فالتف الناس حوله واحبوه وكان يحسن معاملتهم[٦]، فبدأ نفوذ البويهيين بالاتساع والنمو، حينها شعر مرداويج بالندم؛ خوفاً من تنامي طموحات علي بن بويه؛ فلم يستطع ايقاف ما يحققه البويهيين من تقدم، فاستولوا على شيراز ومدوا نفوذهم لأصفهان، فتمكنوا من معرفة مكامن القوة والضعف للدولة العباسية حينما وجدوا لهم قاعدة، حيث اصبحوا قريبين منها[٧].

حاول علي ين بويه ان يحصل على تفويض من الخلافة العباسية، وكان ذلك بعد سيطرته على بلاد فارس ونواحيها سنة ٣٢٢هـ، فقد التمس التفويض من الخليفة الراضي(٣٢٢-٣٢٩هـ) مقابل دفعه مليون درهم كل عام لدار الخلافة[٨]، وبعد سيطرته على الاحواز التي صارته له مقراً، فحاول استغلال الاوضاع المتدهورة للخلافة العباسية اثر الخلاف بين امير الامراء توزون والخليفة المتقي(٣٢٩-٣٣٣هـ) للتوجه نحو بغداد والسيطرة عليها[٩]، فاستجاب احمد بن بويه لطلب الخليفة في التدخل لوضع حد للنزاع الذي بينه وبين توزون التركي، وقرر الدخول لبغداد لكنه لم يتمكن حيث تمكن توزون من التصدي له، وبقي يتحين الفرص للدخول، وبعد موت توزون عمت الاضطرابات، فراسل ينال كوشة والي واسط احمد بن بويه طالباً منه التدخل والتوجه نحو بغداد[١٠]، فدخل البويهيين بغداد مستغلين اضطراب الاوضاع ووفاة توزون التركي، وبرغم عدم مكاتبة المستكفي بالله لهم الا انه قد رحب ببني بويه، فقامت بعدها دولة البويهيين في بغداد والتي امتدت من سنة ٣٣٤-٤٤٧هـ)[١١].

ثانياً – طبقات المجتمع وفئاته:

قسم المجتمع في ذلك العصر لطبقات عدة منها: وكل طبقة منها مشتملة على فئات، الطبقة الاولى هي الطبقة الخاصة،وتشمل (الخليفة واهله ،رجال الدولة ، الاشراف وأهل البيوتات، اتباع الخاصة)، اما الطبقة الثانية: فتشمل الطبقة العامة)وهم اكثر عددا من الطبقة الخاصة.

وكانت بغداد من ابرز المراكز الحضارية في ذلك الوقت.. وقبلةٍ للأدباء والعلماء، والكتاب والشعراء، الذين قصدوها طلباً للكسب وابتغاء العلم[١٢]،فكان لهؤلاء منزلة كبيرة عند الخلفاء ورجال الدولة، وعند الطبقة العامة كذلك،فكان الأمير البويهي عضد الدولة سنة (٣٦٨-٣٧٢ هـ/ ٩٧٧-٩٨٢م) مقرباً للعلماء ومهتماً بالحركة العلمية من الطبيعي ان تنعكس تلك الأهمية التي امتازت بها فئة العلماء على المجتمع ، في رفدها للحركة العلمية، وكان هنالك القضاة والفقهاء والشهود وما كان لهم من منزلة لدر الحام والعامة معاً، فنراهم على حضور دائم لمجالس الخلفاء والامراء[١٣]، وهناك فئة ضمن الطبقة العامة، وهي فئة "**اصحاب المال او التجار**" الذين ظهروا خلال العصر العباسي ونتيجة لنشاط حركة التجارة والتحولات الاقتصادية، وما لها من اثر اقتصادي واضح من نتائجه الانتساب لمهن كان يزاولها الأفراد ومثال ذلك الثعالبي والفراء والمبرد[١٤]، ولطبقة التجار صنفان: احداهما ما يسمى بطبقة كبار التجار ممن يتاجرون ببيع المجوهرات والسلع الثمينة، واقاموا في كبار المدن كبغداد والبصرة تربطهم علاقات بالخليفة وحاشيته ورجال الدولة، والصنف الاخر المسمى: بصغار التجار الذين يتاجرون بالسلع الخاصة بسد الاحتياجات الاساسية للناس ، وكان لهؤلاء اثر بارز بالمجتمع؛ لاحتكاكهم بسواد الاكبر من العامة لبيعهما يخص سلع المعيشةومستوى التجار المعيشي مرتفع، بما فيهم صغار التجار، وبحكم اختلاط طبقة التجار بالعلماء فانهم كانوا على مستوى من الثقافة وخصوصاً في القرن الرابع الهجري[١٥]، وهناك من برعوا في صناعة السلع، وسميت تلك الفئة بالصناع ولتلك الفئة صنفين (الاحرار) المقيمون في المدن وهم اصحاب صنائع، والرقيق وهم الذين يعملون في الخياطة والحدادة وخدمة البيوت وكثير من المهن الاخرى، وهم اغلبية الصناع اما مستواهم المعيشي، فهو ادنى بكثير من طبقة التجار؛ لمحدودية مواردهم[١٦]، ناهيك عن وجود فئات اخرى في المجتمع ضمن الطبقة العامة وصفهم البعض ممن ليس لهم في المجتمع مكانة آنذاك نعتوا بالتخلف من قبل البعض في مختلف الأمور؛ بسبب اثارتهم للاضطرابات والفتن وكان لها تأثير كبير على المجتمع في مختلف النواحي كالاجتماعي والاقتصادية[١٧].

المبحث الثاني- الاحوال الاقتصادية للعراق في العهد البويهي

ان من تداعيات التدهور السياسي هو تدهور في الوضع الاقتصادي ايضاً، وازاء تردي الظروف السياسية للعاصمة بعد السيطرة البويهية التي تعد بداية للسيطرة الاجنبية؛ بدأ الضيق يستحكم اهل بغداد، ويمكن تناول اوجه عدّة للجوانب الاقتصادية في ضل السيطرة البويهية:

أولاً: الاقطاع العسكري

بعد سيطرة البويهيين على بغداد، وشغب اهالي الديلم على معز الدولة البويهي، فأطلق لهم الاموال، وبالتالي قام باستخراج الاموال من الناس بغير وجهها، فاقطع خواصه وقواده واتراكه ضياع السلطان وضياع ابن شيرداد، وحق بيت المال من ضياع الرعية، وزالت ايدي العمال، واصبح اكثر السواد

مغلقاً، فضمن واستغنى عن الكثير من الدواوين، وبطلت ازمتها، وفي ديوان واحد جُمِعَت الاعمال، ومن هنا قد بدأ الاقطاع العسكري؛ حيث وزعت الاراضي بالإقطاع على الجند والقادة، مع اعطاء المدنيين نسبة اقل للضمان.

والواضح من لجوء البويهيين للإقطاع العسكري؛ نتيجة لقلة اموال خزينة الدولة، بسبب تردي الاوضاع الاقتصادية، فلا يهمهم سوى توفير المال كأي محتل، "وصار الرسم جارياً بأن يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالربح"[١٨].

وتلك الاجراءات قد خلّفَت تدهوراً في حياة المواطنين انعكس سلباً على وضعهم الاقتصادي، فقد استفحل الغلاء على اهل بغداد سنة ٣٣٤هـ، بحيث هاجر اهلها لمدن اخرى كالبصرة، حيث لجأ البويهيون من اجل سد ما عندهم من عجز لمصادر اخرى، فقد اتبعوا نظام المصادرات، كمصادرة معز الدولة لأموال وزيره "ابي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي" سنة٣٥٠هـ[١٩].

ثانياً: ظاهرة ارتفاع الاسعار في ظل السيطرة البويهية

امتاز البويهيين بسوء خبرتهم الادارية، وسوء التصرف بالأرض وانظمة الري، وكذلك الضرائب، ورافق ذلك تسبباً بالضرر الاقتصادي لعامة الناس، فصار اكثر ترديا مما كان عليه قبل البويهيين، فارتفاع الاسعار انعكاس لمستوى المعيشة، فقد افرط الغلاء ببغداد كما تم ذكره في سنة ٣٣٤هـ، ليأكل اهلها الحيوانات والحشيش والجيف وغير ذلك، وقيل ان من لديه القليل من الخبز ستره تحت ثيابه كي لا يُسلب منه، وكثر الموت حينها، فهجر الناس بغداد، فصارت العقارات لا تعني شيئاً[٢٠]، وفي العام ذاته كان سعر كر الحنطة حيث اشتراه معز الدولة بعشرين الف درهم، وبخمس وعشرين درهماً قد كان سعر مكوك الحنطة؛ حيث كان الناس مضطرين لأكل الحبوب[٢١].

وكان الناس يأكلون سويق الحمص (الناعم) لمدة شهرين او ثلاث نتيجة الغلاء، فكان لا يبقى في السوق منه شيئاً، ناهيك عن من لا يتيسر للبعض اكله[٢٢]، وقيل ان الناس ماتت جوعاً في سنة ٣٧٣هـ، فقد ضج الناس ونتيجة استيائهم كسروا منابر الجوامع، وكذلك منع الصلاة، ومات الكثير من الضعفاء من كثرة الجوع في الطرقات[٢٣]، ناهيك عن ثقل الضرائب التي جددها صمصام الدولة ببغداد على كل ما يباع من الثياب الابريسم والقطن سنة ٣٧٥هـ، وكذلك تبعها غلاء سنة ٣٧٧هـ، وكذلك السنة التي سبقتها في العراق وما يجاوره[٢٤]، وفي محاولة للحد من الغلاء وسيطرته على بغداد وتعذر الأقوات قام شرف الدولة بن عضد الدولة(٣٧٦-٣٧٩هـ) بنقل الغلات عن طريق البحر من بلاد فارس وغيرها الى بغداد، وبسبب الغلاء في العراق شغب الجند وحدثت فتنة كبيرة وضج العامة سنة ٣٩٧هـ، وكان من نتيجة ارتفاع الاسعار سنة ٤٣٩هـ حدوث تدني بمستويات الصحة للفرد، مما ادى لارتفاع نسبة الوفيات[٢٥].

ثالثاً: العملة النقدية في العصر البويهي:

ما إن دخل البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ، حتى امر الخليفة المستكفي بالله ان تُنقش اسماء امرائهم على عملتهم الدينار والدرهم مثل معز الدولة وركن الدولة، وكانت تلك الالقاب على العملة تعني الكثير للبويهيين في محاولة منهم لإضفاء نوع من الشرعية كانوا بحاجة اليها؛ حيث أحلّوا اسم الحاكم البويهي

محل ولي عهد الخليفة العباسي[٢٦]، فقد قيل بذلك "لا جرم ان الرتب قد نزلت لما تساوت وسقطت لما توازت ولم تبقَ لها طلاوةٌ يشار اليها، ولا حلاوةٌ يحافظ عليها"[٢٧].

وجاء المطيع بعد المستكفي وسار على من سبقه في سك النقود، لتصبح عادة يسري عليها كل خلفاء بني العباس حتى نهاية العصر البويهي، ولم يبق لخلفاء العباسيين سوى اسماء تذكر على منابر الصلاة وتنقش على النقود[٢٨].

وفي عهد الخليفة المطيع(٣٣٤-٣٦٣هـ) ضربت نقود باسم امراء البويهيين، والتي كانت من الذهب، ناهيك عن نقود عثر عليها فقط باسمه، اولها ما عثر عليها في قرية عين في العراق سنة ٣٤٨هـ، والثاني ضرب في قرية(عثر) في اليمن سنة ٣٤٢هـ، وكذلك في فلسطين سنة ٣٥٥هـ، وغيرها من المدن التي ضرب فيها النقد وعليه اسم امراء بني بويه، كمدينة صنعاء سنة ٣٣٥هـ و ٣٤٣هـ و٣٥٥هـ؛ لذلك دخلت دنانير المطيع كلها ضمن الدور البويهي[٢٩]، وتم وضع اسم معز الدولة الامير البويهي على الدراهم والدنانير في الاطراف والاقاليم التابعة له، وكذلك الدنانير الركنية عرضت في بغداد المنسوبة لركن الدولة الامير البويهي، والتي ضُربت في الفترة ما بين عامي(٣٥٦-٣٦٧هـ) وكانت رديئة ناقصة العيار[٣٠].

وفي عهد عضد الدولة البويهي(٣٦٨-٣٧٢هـ) كانت النقود المعروضة في السوق ناقصة العيار، تحوي على نسبة عالية من الرصاص والنحاس، والدراهم التاجية التي تعود لعضد الدولة كانت من الفضة؛ ولفساد معدنا رفضت في التداول من قبل التجار.

اما الدراهم الغياثية، فإنها ضربت سنة ٣٨٤هـ، والتي نسبت لبهاء الدولة والذي يلقب بغياث الدولة ونسبة عيارها كما أُشير اليها "انها تساوي ثمانية ونصف حرفاً في كل عشرة"، والحرف جزء من العشرة، وما يلاحظ ان التجار والناس في خارج العراق آنذاك كانوا قد عزفوا عن التعامل بالنقود التي تضرب في العراق؛ لرداءتها ونسبة ما فيها من المعدن الرخيص وخصوصاً الدراهم التاجية، حتى ان الاسواق المصرية امتنعت عن التعامل بها[٣١].

وفي سنة ٣٩٠هـ امر بهاء الدولة بصرف عملات النقد وفق التاريخ الذي ضربت فيه، فالدنانير في تلك السنة سعرت بمائة وخمسين درهماً، في حين ان التي سبقتها سعرها وصل الى عشرون درهماً، واصبح سعر صرف الدينار في سنة ٣٩٢هـ خمس وعشرون درهماً[٣٢]، وقيل عن تلك الفترة ان بغداد تداعت للخراب من القحط؛ فقد كان الارباك في تداول النقد وتغير الاسعار له اثر سلبي على الاحوال المعيشية، حتى ان رواتب الموظفين كانت قليلة لا تتناسب مع مستويات معيشتهم، فالقاضي كان راتبه يتراوح بين ثلاثمائة درهم شهرياً[٣٣]، ولابد من الاشارة لظاهرة في هذا المجال هي شيوع ظاهرة الضمان لدور الضرب في العصر البويهي، فقد قام معز الدولة بقتل احد الضامنين لقيامه بضرب دنانير رديئة[٣٤].

وما يجدر به الذكر هو الاشارة للتجارة في عهد البويهيين، حيث ان البويهيين عملوا على تنشيط التجارة، فقاموا بمراقبة التجارة والحد من جشع التجار، ولم يسمحوا قدر الامكان لأحد ان يحتكر بيع اي صنف من البضائع، سوى المنسوجات الرسمية، او الطراز، فكان هذا احتكار للحكومة، وقد زاد عضد الدولة اصنافاً تتولى الحكومة احتكارها، وهي صناعة القز والحر والثلج، وتميزت فترة عضد الدولة بسيادة

الامن في الداخل، ومحاربة المفسدين، مما كان له اثر في انتعاش النشاط التجاري ما لم يبلغه احد من بني بويه، وأمر عضد الدولة بعمارة اسواق بغداد، وعمرت الطرق التجارية واصلاح الجسور تشجيعاً للتجارة، ووسعت الشوارع وتم تحصينها بالدرابزينات ووكل بها الحفظة والحراس[٣٥].

المبحث الثالث- الاصلاحات الاقتصادية للدولة البويهية

اولاً – الزراعة:

رغم سوء الادارة وانعكاساته على الوضع المالي والاقتصادي، الا ان تلك الفترة لا تخلوا من بعض التطورات الاقتصادية انعكست ايجاباً على التجارة والزراعة والصناعة، ففي عهد معز الدولة البويهي(٣٣٤-٣٥٦هـ) بإصلاحات عدّة، منها في مجال الزراعة، فقد شرع في سنة ٣٤٤هـ بجملة اصلاحات منها: حفر نهر الخالص، وسد بثق النهروانات وقام بسد فوهة نهر الرفيل[٣٦]، وحدثت محاولات لتقديم معونات للمزارعين وتقديم السلف لهم؛ تنشيطاً للزراعة، وكذلك تشجيعاً لتربية الماشية، وخفض الضرائب على ما يستورد من بضائع الخارج؛ لغرض توفيرها[٣٧].

واهتم معز الدولة بمعالجة مشكلة مواعيد جباية الخراج، واعاد لأهل البصرة رسمهم القديم لأراضي الشعير والحنطة بعدما كانوا قد شكوا اليه عند دخوله البصرة[٣٨]، وفي مجال الزراعة كذلك، قام عضد الدولة بإصلاحات عديدة، منها تطهير الانهار وحفر القنوات واعاد اعمار كثير من قناطر تقع على افواه الانهار والمغايض، بحيث بنيت من الآجر والجص، وحفرت رواضع نهر دجلة، وانشأ سدود وانفق خلالها من الآلات والاموال الكثير والزم رجالاً بحفظها نهاراً وليلاً ومراعات ذلك وقت الفيضانات والامطار والسيول والعواصف والرياح[٣٩]، وفي مجال الاصلاح الزراعي ايضاً، أمر عضد الدولة أصحاب **اراضي الملك**، أي اصحاب ملكيات الاراضي بعمارة ارضهم، ومن قصرت يده، فليقترض من بيت المال ويعيده عند يسره، وكان ملاكي الاراضي يساهمون في نفقات لإصلاح قنوات الري المارة بأرضهم، وهناك نوع من الاراضي في عهد عضد الدولة يسمى **اراضي الوقف** ، والتي قد تصادر احياناً؛ لتستفيد منها الدولة كما حدث في سنة ٣٧٢هـ[٤٠].

ثانياً – اصلاحات اقتصادية اخرى تخص الخدمات:

هناك الكثير من الاصلاحات في جوانب خدمية مهمة، منها التي قام بها عضد الدولة حيث قام برفع الجباية عن قوافل الحجاج، واهتم بطريقهم ايضاً، وقام بحفر الابار، ولجانب تلك الخدمات قام عضد الدولة بتوزيع الأعطيات على المؤذنين والأئمة والفقراء والمرضى والشعراء والمنجمين والنحويين والنسابين والمهندسين، وشملت رعايته اهل الذمة ايضاً، حيث اذِنَ لوزيره نصر بن هارون ان يعمر الاديرة سنة ٣٦٩هـ، وكذلك مساعدة الفقراء من اهل الذمة بالمال، ولتلك الاعطيات دور في تحسين الوضع المعاشي لتلك الطبقات، وبعد تردي الوضع الصحي وانتشار الامراض والاوبئة بنيت مستشفى في جانب بغداد الغربي سنة٣٧٢هـ في عهد عضد الدولة، وزوده بالأطباء والخزان والمعالجون والبوابون والناضرون والوكلاء، وتم تجهيوه بما يلزم من الادوية والمفروشات وغيرها[٤١]، وما يجدر به الذكر ان تلك الخدمات كانت جليلة الفائدة، ولكن هي وقتية كانت؛ كونها لم تظهر بل توقفت بعد وفاة عضد الدولة[٤٢].

وقام شرف الدولة بن عضد الدولة(٣٧٦-٣٧٩هـ) بكثير من الاعمال الخيرية، منها ازالته للعديد من المصادرات، التي من شأنها التخفيف من حدة الوضع الاقتصادي، وحتى وزراء البويهيين كانوا لهم دور، حيث قام الوزير ابو الحسن الكوكبي بحفر انهار مخترقة لأسواق الكرخ سنة ٣٨٢هـ[٤٣].

ثالثاً – الصناعة:

شملت إن الاصلاحات في فترة الانتعاش الاقتصادي الصناعة، فقد سادت صناعة الثياب البيض، وكذلك تطورت صناعات الزجاج بكل انواعها[٤٤].

وازدهرت صناعة النسيج القطني في بغداد، وكذلك صناعة البسط والفرش وتجارة البيع والشراء فيها[٤٥]، وتعد بغداد كذلك مركزاً لصناعة الشمع؛ لاستخداماته في الاضاءة، فالناس بمختلف طبقاتهم يستخدمونه، ويستخدم بكميات كبيرة من الوزراء والامراء ورجال الدولة، فضلاً عن عامة الناس، فكان الوزير ابا الحسن بن الفرات لا يخرج من منوله الا ومعه شمعة مشتعلة[٤٦].

رابعاً – الاضطرابات والفتن السياسية وكذلك الظواهر الطبيعية وانعكاساتها على مستوى المعيشة:

رافق حدوث الفتن والاضطرابات في العصر البويهي انتشار الفوضى وفقدان الامن مما انعكس سلباً على ارتفاع في اسعار المواد الغذائية وتدهوراً في الاوضاع الاقتصادية، وسيتم ذكر جانب من تلك الاحداث، ففي سنة ٣٣٨هـ نهبت الكرج نتيجة فتنة وقعت بينها وبين الرصافة، وبعدها بسنتين وقعت ايضاً فتنه كبيرة في الكرخ، وفي سنة ٣٤٨هـ تواصلت الفتن بين جانبي الرصافة والكرخ قتل فيها اعداد كبيرة من الناس، كما وقع حريق في باب الطاق[٤٧].

وفي سنة ٣٨٠هـ حدثت فتنة كبيرة بين اهالي باب البصة في بغداد وبين الكرخ، فنهبت الاموال بعد تلك الفوضى واخذ بعضهما محال البعض، وفتنه اخرى بين اهالي الرصافة والكرخ ايضاً سنة ٣٩٨هـ، وكذلك فتنة بين اهل نهر القلائين في بغداد وبين اهل الكرخ، حرقت على اثرها اطراف من مناطق نهر الدجاج في بغداد، وتم احراق اعداد من المحال، وتجددت فتنة اخرى بين اهل الكرخ وبين اهالي القلائين، قتل على اثرها عدد من الجانبين وخربت محالهم سنة ٤٢١هـ، وتجددت فتنة اخرى بين اهل الرصافة والكرخ سنة ٤٢٢هـ، وكذلك فتنة بين اهل الكرخ وباب البصرة واهل قلائين وباب الطاق وفيها اضطرب الامن وكثر قتل النفوس سنة ٤٢٥هـ، وفي سنة ٤٣٩هـ تجدد القتال بين اهل باب البصرة والكرخ، وفي سنة ٤٤٢هـ تصالح اهل الرصافة والكرخ، ومن نتائج صلحهم هذا ان رخصت الاسعار، حتى بيع كر الحنطة بستة دنانير، ومن الطبيعي حيث ان الاستقرار السياسي يعد خدمة للانتعاش الاقتصادي، وعندما تجدد القتال بينهما، فمنع اهل باب الشعير اخذ الماء من دجلة الى الكرخ، وقطع كذلك عن نهر عيسى؛ فغلت الاسعار وحلت بالضعيف مشقة، وتوقفت المعايش[٤٨]، وهناك ما يسمى **بالظواهر الطبيعية** من اوبئة وفيضانات وزلازل وجفاف، والتي كان وقعها في عصر البويهيين لا تقل شأناً عن اوضاع بغداد السياسية وما رافقها من تدهور اقتصادي، ومنها نذكر ما تعرض له نهر دجلة من ارتفاع في مناسيب مياهه وصل ارتفاعه لأحدى وعشرون ذراعاً تسبب في اغراق المنازل والبساتين المجاورة له[٤٩]، وفي جانب بغداد الشرقي سنة ٣٦٧هـ حدثت زيادة اخرى، ادى لغرق مقابر باب التبن،

وبين جانبي الرصافة والكرخ ارتفعت اجرة نقل العبور بالزوارق، فلم يأمن الناس على اموالهم وحياتهم حتى نقص الماء، وفي سنة ٣٧.هـ زاد نهر الفرات ودجلة، فدمرت الغلات الزراعية، وارتفعت استعارها، وخربت الكثير من القناطر الجديدة والعتيقة، لتستمر تلك الزيادة مدة ثلاث اشهر، حيث أُنفقت الكثير من الاموال لتعمير القناطر.

وقد تعرضت بغداد لأمطار غزيرة سنة ٣٧٦هـ، فقد بيعت كارة الدقيق المخلوط، بنيف وستين درهم، وقد غرقت البساتين والزروع سنة ٣٩٨هـ بسبب سقوط الامطار الغزيرة في بغداد(٥٠)، وغرقت الكثير من مناطق بغداد، وفجرت عدد من بثوق النهر سنة ٤,١هـ(٥١)، وفي سنة ٤٢١هـ اجتاحت بغداد رياحاً سوداء شديدة دمرت ما يقارب العشرة الاف نخلة، وغرقت الاراضي الزراعية في بغداد، بل في جميع انحاء العراق؛ نتيجة امطار غزيرة سنة ٤,٦، وبقدر حجم التين تساقط برد(ثلج) مصحوباً برياح ورعد قوي، فالامطار لها اثار سلبية على التجارة عندما تكون فوق المعتاد حيث تتوقف شبكة النقل النهرية الداخلية، وبسبب كثرة الامطار ترتفع مناسيب نهري دجلة والفرات متسببة بفيضانات ينتج عنها خراب للمحال على ضفتي النهر، مع تلف للمحاصيل الزراعية والبساتين وهدا كله ينعكس سلباً على واقع الحياة الاقتصادية(٥٢).

ولم يقف الامر على المطر، بل للرياح البارجة التي هبت على كل انحاء البلد سنة ٤١٨هـ اثر، فقد تجمد الماء، وتعطل دوران دواليب دجلة؛ بسبب انجماد الماء، ونفس الامر في سنة ٤١٩هـ، حيث انجمدت حافة نهر دجلة، وانعدمت الارطاب في هذا الموسم، متسببة في شحة المواد الزراعية وارتفاع اسعارها، وفي سنة ٤٢.هـ هبت رياح شديدة، تسببت باقتلاع الكثير من الاشجار لا سيما النخيل والزيتون.

وتعرضت بغداد لموجة من البرد في سنة ٤٣.هـ تجمد فيها الماء لفترة ستة ايام، فتلك الموجات تسببت بالقضاء على محاصيل الزراعة مؤدية لركود اقتصادي عام(٥٣)، وسادت موجات جفاف كالتي في سنة ٣٤٨هـ، بسبب انقطاع المطر، ومن نتائجه ارتفاع في اسعار الغلات الزراعية(٥٤).

وانخفض منسوب نهر دجلة بشكل ملحوظ جداً سنة ٣٥٩هـ، بسبب الجفاف، حتى غارت الابار، وتُلقت العديد من محاصيل الزراعة سنة ٤٤٦هـ؛ نتيجة انقطاع الماء عن نهر عيسى من نهر الفرات، فأُصيب الناس بضرر(٥٥).

وهناك ظواهر طبيعية اخرى، الحقت هي الاخرى اضراراً اقتصادية، فقد حدثت زلازل شديدة امتازت بشدتها سنة ٣٦٨هـ، وحدثت كذلك زلازل عنيفة في العراق سنة ٣٤٦هـ، تهدأ وتعود لمدة اربعين يوماً، هدمت خلالها غور المياه والابنية، وهلك فيها عدد من الناس، وخربت الابنية كما قتل كثير من الناس سنة ٣٦٨هـ عندما اصابت بغداد زلازل، تبعتها زلازل اخرى ايضاً في سنوات لاحقة.

ومن الظواهر الاخرى التي سببت الضرر للمحاصيل الزراعية، هو ما شهده سواد العراق من جراد كثير استمر أياماً سنة ٣٤٢هـ، وكان له الاثر السلبي في الغلات الزراعية(٥٦)، وفي سنة ٣٤٤هـ قضى الجراد على الغلات الصيفية وأضر بالأثمار والاشجار(٥٧)، تبعها موجة اخرى قضى فيها الجراد على ما

نبت من خضروات، فاشتد الاستياء بالناس سنة٣٤٨هـ[٥٨]، وتعرضت بغداد لموجة من جراد صغير الحجم سنة ٣٦٠هـ، تلفت خلالها المحاصيل الزراعية في هذا الموسم[٥٩].

ولابد من التنويه **للضرائب في العهد البويهي**، ومن اهمها الخراج، الذي أُسيء استعمال جبايته في عهد البويهيين، فقد ترك الجباة في الاغلب دون مراقبة من قبل الحكومة؛ لحق جراءها بالزارع جور وظلم، مما نتج عن ذلك ان ظهرت ضرائب لم تكن موجودة مسبقاً، وكذلك مصادرات لأموال المزارعين، الى ان جاء عضد الدولة وبدأ بسياسته الاصلاحية للخراج، حيث اخذ ما هو مقرر بالضريبة الرسمية دون اي اضافات، كما وضع حداً لظلم الجباة من للزراع، ومن يعرض شكواه يجد انصافه عند عضد الدولة، وحذفت عنه التأويلات والزيادات بكل اشكالها[٦٠]، وهناك ايضاً **ضريبة الجزية** التي تؤخذ من غير المسلم، الذكر الحر البالغ القوي على الاكتساب، ولا جزية على الصبيان والنساء والمجانين المغلوب على عقولهم، ولا على الرهبان، ولا فقير ولا على شيخ[٦١] وتم اعمار بيعهم والاديرة واطلقت لفقرائهم الاموال في عهد عضد الدولة[٦٢]، وأيضاً **ضريبة الزكاة**، ما يخرجه المسلم من المال لأهل السهمان في وقت مخصوص، مع الصدقة والنية تشرك الزكاة بهذا المعنى، وهما يقعان على زكاة الابدان والاموال، وهي صدقة الفطر[٦٣]، وقد امر عضد الدولة ان توزع الاموال التي جنيت من الزكاة[٦٤].

الاستنتاجات:

١- ان رداءة العملة النقدية المضروبة قد سبب ارباك في التداول النقدي، وبالتالي انعكس سلباً على الوضع المعيشي للسكان، وبالتالي فإنها سبب في خراب الاقتصاد للعراق في ضل السيطرة البويهية.

٢- انعكس غلاء الاسعار وسوء الخدمات الى ارباك عام في الوضع الاقتصادي خصوصاً، ناهيك عن اثره في الجوانب السياسية والاجتماعية.

٣- تردي الوضع الصحي للسكان وانتشار الاوبئة والامراض ما هو الا انعكاس لتردي الاحوال المعيشية للسكان الذين صاروا غير آبهين لصحتهم نتيجة لحالات الفقر التي تعم السكان جراء ارتفاع الاسعار وتردي الخدمات.

٤- تُعد الاضطرابات السياسية والفتن التي شاعت في ضل السيطرة البويهية احدى الاسباب التي انعكست اثارها سلباً على الاقتصاد.

٥- للطبيعية وما ينجم عنها من كوارث اثر في مستوى المعيشة للسكان؛ كونها تسببت في تلف المحاصيل الزراعية وخراب الدور والمحلات اثر الفيضانات التي اصابت نهر دجلة في بعض السنوات.

٦- ظهور بوادر اصلاح من قبل بعض امراء بني بويه.

الهوامش

[١]ابن واصل، التاريخ الصالحي، ج٢-ص٢٥ .

[٢]ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، ص٢٢٦ .

[٣]ابراهيم، اسواق بغداد في حقبة التسلط البويهي(٣٣٤-٤٤٧هـ)، ص٢٢ .

[٤]حسن احمد، العالم الاسلامي في العصر العباسي، ص١.. .

[٥]ابو اسحاق الصابي، المنتزع من كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية، ص١٤ .

[٦]ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٦١ .

[٧]الثعالبي، لطائف المعارف، ص٨٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤-ص٤٣١ .

[٨]الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٢٩٢ .

[٩]الصولي، اخبار الراضي بالله والمتقي، ص٢٦٤ .

[١٠]ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨-ص٤,٩، ٤٤٦ .

[١١]يوسف جمعة عكاب، العلاقات السياسية للخلافة العباسية مع الامارات الاسلامية في فترة التسلط البويهي، ص٢٨ .

[١٢]حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٣-ص٦٤ .

[١٣]ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك، ج١٤- ص٢٧١ .

[١٤]عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٩٦ .

[١٥]جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ج٥-ص٣٧-٤٥ .

[١٦]الصابي، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، ص٧٦ .

[١٧]الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣-ص٧٥ .

[١٨]مسكويه، تجارب الامم، ج٥-ص٢٨١، ٢٨٢ .

[١٩]مسكويه، تجارب الامم، ج٥-ص٢٨٢ .

[٢٠]ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٤٧ .

[٢١]التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١-ص٣٥٢ .

[٢٢]ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٤٧ .

[٢٣]ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٧-ص٣٧ .

[٢٤]ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٣,٣، ٣١٧ .

[٢٥]ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٣٢٢، ٣٦٦، ٢٢٧ .

[٢٦]حمدان الكبيسي، اصول النظام النقدي في الدولة العربية الاسلامية، ص٣٦ .

[٢٧]الصابي، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، ص١٧. .

[٢٨]محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي، ص٢,١ .

[٢٩] ناصر السيد محمود النقشبندي، الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، ج١-ص٣٢، ٥١ .

[٣٠]ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥-ص١٩٦ .

[٣١]ابو شجاع، ذيل تجارب الامم، ج٦-ص٤.، ١٣٥ .

[٣٢]الصابي، تاريخ الصابي، ج٧-ص٢. ، ص٦٢ .

[٣٣]القفطي، تاريخ الحكماء، ص١,٣ .

[٣٤]التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١-ص١٤٢ .

[٣٥]حيدر سالم المالكي، الاصلاحات في العصر البويهي، ص٢٤٢ .

[٣٦]الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٣٨١ .

[٣٧]الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٨٣ .

[٣٨]مسكويه، تجارب الامم، ج٦-ص١٦. .

[٣٩]ابو شجاع، ذيل تجارب الامم، ج٦-ص٤٥ .

[٤٠]مسكويه، تجارب الامم، ج٥-ص٤٥٥، ٤٤٨ .

[٤١]ابو شجاع، ذيل تجارب الامم، ج٦-ص٦٩ .

(٤٢)الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٥١ .

(٤٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٣٦١ .

(٤٤)ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٥٢ .

(٤٥)التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١-ص٣١١ .

(٤٦)الصابي، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، ص٧٣ .

(٤٧)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٨٤، ١١٩ .

(٤٨)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٣٤٤، ج٢٥-ص٥٨، ١٢٥، ٢,٤، ٢١٣، ٢٤١، ٣,٨، ٣٢٦، ٣٣. .

(٤٩)الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص٣٦٨ .

(٥٠)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٢٥٣، ٢٧٨، ٣١٧، ج١٥-ص٥٩ .

(٥١)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩-ص٢٢٦ .

(٥٢)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥-ص٨٥، ١١١، ٢١. .

(٥٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥-ص٢,٣، ١٩.، ١٩٤، ٢٦٦ .

(٥٤)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨- ٥٣. .

(٥٥)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٢,١، ج١٥-ص٣٤٤ .

(٥٦)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨-ص٥٢.، ٦٩٨، ٥,٥ .

(٥٧)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٩٩ .

(٥٨)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨-ص٥٢٩ .

(٥٩)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤-ص٢,٥ .

(٦٠)مسكويه، تجارب الامم، ج٥-ص٤٤٩ .

(٦١)ابن عبد البر، ج١-ص٤٧٩ .

(٦٢)مسكويه، تجارب الامم، ج٥-ص٤٤٩ .

(٦٣)ابن الرفعة، كفاية النبيه في شرح التنبيه، ج٥-ص١٨٤ .

(٦٤)ابو شجاع، ذيل تجارب الامم، ص٤٥ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – المصادر:

١- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن الجزري(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، (دار صادر-بيروت،١٩٦٦م).

٢- التنوخي، ابو علي المحسن(ت٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، (دار صادر-بيروت، ١٩٧١م).

٣- الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد(ت٤٢٩هـ)، لطائف المعارف، تح: ابراهيم الابياري، (دار احياء الكتب-القاهرة،١٩٦٠م).

٤- ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي(٥٩٧م)، تح: محمد عبد القادر، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (دار الكتب العلمية-بيروت).

٥- الخطيب البغدادي، احمد بن علي(ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد، (دار الغرب-بيروت، ٢٠٠١م).

٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، (د-م، ١٩٧١م).

٧- ابن الرفعة، احمد بن محمد بن علي(ت٧١٠هـ)، كفاية النبيه في شرح التنبيه، تح: مجدي محمد، (دار الكتب العلمية، د ت).

٨- ابو شجاع، ظهير الدين(ت٤٨٨هـ)، ذيل تجارب الامم، (دار الكتب العلمية-بغداد،٢٠٠٣).

٩- الصابي، ابراهيم بن هلال(ت٣٨٤هـ)، المنتزع من كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية، تح: محمد حسين الزبيدي،(منشورات وزارة الاعلام-بغداد، ١٩٧٧م).

١٠-الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى(ت٤٣٥هـ)، اخبار الراضي والمتقي، (بيروت، ١٩٧٩م).

١١-ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، (دار صادر-بيروت، ١٩٦٦م).

١٢-ابن العبري، غريغوريوس ابو الفرج(ت٦٨٥هـ)،(دار الرائد-لبنان، ١٩٨٣م).
١٣-ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن محمد(ت٣٦٥هـ)، مختصر كتاب البلدان، (مطبعة بريل-ليدن).
١٤-القفطي، جمال الدين ابو الحسن(ت٦٤٦هـ)، تاريخ الحكماء،(دار الاثار-بيروت).
١٥-مسكويه، ابو علي احمد بن محمد(ت٤٢١هـ)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، (دار الكتب-بيروت، ٢٠٠٣م).
١٦-الهمذاني، محمد بن عبد الملك(ت٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطبري، تح: محمد ابو الفضل، (دار المعارف-القاهرة).
١٧-ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت٦٩٧هـ)، التاريخ الصالحي، تح: عمر عبد السلام، (المكتبة العصرية-بيروت، ٢٠٢٠م).

ثانياً - المراجع:

١- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، (دار الهلال- القاهرة) .
٢- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ط٥، (مطبعة النهضة-القاهرة، ١٩٦٠م).
٣- حسن احمد محمود، العالم الاسلامي في العصر العباسي، (مطبعة المدني- دم، دت).
٤- حسين جغيل ابراهيم، اسواق بغداد في حقبة التسلط البويهي، (جامعة الدول العربية-بغداد، ٢٠٠١م).
٥- حمدان الكبيسي، اصول النظام النقدي في الدولة العربية الاسلامية، (دار الشؤون الثقافية-بغداد، ١٩٨٨م).
٦- حيدر سالم المالكي، الاصلاحات الاقتصادية في العصر البويهي، (وزارة التربية-بغداد،٢٠٢١م).
٧- عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط٣، (دار الطليعة-بيروت،١٩٨٠م).
٨- عكاب يوسف جمعة، العلاقات السياسية للخلافة العباسية،(الموصل، ١٩٩٢م).
٩- محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي، (دار النهضة-القاهرة، ١٩٦٩م).
١٠-ناصر محمود النقشبندي، الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، (مطبعة الرابطة-بغداد، ١٩٥٣م).

الحياة الاجتماعية في بغداد في كتب الرحالة عند العرب والمسلمين

Social life in Baghdad in the books of travelers among Arabs and Muslims

الباحثة زهراء سعيد رضيوي/طالبة دراسات عليا
جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم
الانسانية/ قسم التاريخ

ا.م.د. سوسن فاضل كاظم
جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم
الانسانية/ قسم التاريخ

Abstract .

No city in Arab-Islamic history has received what the city of Baghdad, the capital of the Abbasid Caliphate, had in terms of mention and description among Arab and Muslim travelers.

The capital of the Abbasid caliphate witnessed great twists and turns since its founding at the hands of Abu Jaafar al-Mansur, passing through its peak of brilliance during the reign of al-Ma'mun. Throughout the aforementioned period, it remained a center of scientific and intellectual radiation. Baghdad was a center for jurisprudential, intellectual, verbal and grammatical schools. It was also a refuge for scholars who did not find in their country what would help them to stimulate their energies and capabilities. This city benefited from the policy of openness pursued by the Abbasids towards other nations such as Persian, Greek and Indian, whether through geographical proximity or through channels Translation, correspondence and embassies.

الملخص:

لم تنل مدينةً في التاريخ العربي الإسلامي ما حظيت به بغداد عاصمة الخلافة العباسية من ذكر لدى الرحالة العرب والمسلمين فقد جمعت المكانة العلمية والسياسية والحضارية لقرونٍ طويلة وكان لعلمائها وأدباءها اليد الطولى في تشكيل الوعي والثقافة العربية الإسلامية عبر العصور الى يومنا هذا.

لقد شهدت عاصمة الخلافة العباسية منعرجات كبيرة منذ تأسيسها على يد أبي جعفر المنصور مروراً بوصولها لذروة تألقها في عهد المأمون وقد ظلت طيلة الفترة المذكورة، مركزاً للإشعاع العلمي والفكري. فبغداد كانت مركزا للمدارس الفقهية والفكرية والكلامية والنحوية كما كانت ملجأ للعلماء الذين لم يعثروا في بلادهم على ما يعينهم على حفز طاقاتهم وقدراتهم وقد استفادت هذه المدينة من سياسة الانفتاح التي انتهجها العباسيون تجاه الأمم الأخرى كالفارسية واليونانية والهندية سواء أكان ذلك من خلال التقارب الجغرافي أو عبر قنوات الترجمة والمراسلات والسفارات.

كلمات مفتاحية: **(بغداد، الرحالة، الأديرة، الأعياد، بيمارستان)**

المقدمة:

ان مدينة بغداد تعني قوة ووجود الحضارة الإسلامية فكان لتلك المدينة الاثر الكبير لقرون عديدة في ميدان العلوم والثقافة والازدهار الحضاري فكانت لبغداد أهمية عالية في الفكر العربي الاسلامي في ميدان الفقه والفلسفة وعلم الكلام والآداب، والمدارس التي أنشأت في بغداد من منتصف القرن ٥ الهجري ١١ الميلادي مثل المدرسة النظامية والمستنصرية ،فكان يأتيها العلماء والفقهاء من كل مكان وذكرها المسلمين والعرب واهل الذمة والرحالة .

وقد تناولت في بحثي هذا آراء بعض الرحالة الذين قدموا الى بغداد ووصفوها وذكروا سكانها وطباعهم وعلومهم والشواهد والقبور التي مروا بها والانهر والقري والجسور والعديد من الامور الاخرى فذكرت في الفصل الاول وصف بغداد وجعلها مدورة ووسّع رياضها وأزقّتها وبنائها والذي يعد اتجاه جديد في بناء المدن الإسلامية حيث ان معظم المدن الإسلامية هي إما مستطيلة كالفسطاط أو ان تكون مربعة كالقاهرة وبيضاوية كصنعاء. كذلك الأعياد والمناسبات والتنزه لأهل بغداد في كتب الرحالة ووصفهم لهواء بغداد وطيب الخروج والتنزه فيه وجمال بساتينها وأيضآ تعدد الأديان في العراق بصورة عامة وفي بغداد بصورة خاصة اذ أن بغداد موطن تعدد الأديان والأجناس. وتناولت في الفصل الثاني الحياة العلمية في بغداد التي كانت منارآ للعالم الاسلامي وجميع الدول والمارستان أو البيمارستان التي ذكر الرحالة عملها ومواقعها وفوائدها . اما الفصل الثالث ففيه قد تناولت الشواهد والقبور في بغداد فكل هذا يعد توثيقاً فعلياً وتسجيلاً أثرياً وايضا الزخارف الأثرية الفنية التي سجلت على الشواهد وأشكال تلك القبور الإسلامية وكانت تلك القبور تمثل حضارة كل عصر من العصور الإسلامية.

الفصل الأول- بغداد، مناسباتها وديانتها

تعد بغداد اكبر مدن العراق وهي من كبرى مدن الشرق الاوسط وهى مدينة عريقة يعود انشائها إلى عهد الخليفة ابو جعفر المنصور ثاني خليفة عباسي ١٤٥ هـ ٧٦٢ م بناها أبو جعفر المنصور من بني العباس وابتدأ بذلك في الأول سنة إحدى وأربعين ومائة [١] . ونقل إليها البناة والحذّاق والصنّاع من جميع البلدان وجعلها مدورة ووسّع رياضها وأزقّتها ويعد اتجاه جديد في بناء المدن الإسلامية حيث ان معظم المدن الإسلامية هي إما مستطيلة كالفسطاط أو ان تكون مربعة كالقاهرة وبيضاوية كصنعاء. وان السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المدن تم انشاءها بجوار مرتفعات حالت دون استدارتها . أن المنصور لمّا أراد بناء مدينة السلام احضر أكبر من عرف من أهل الفقه[٢] والعدالة والأمانة والمعرفة بالهندسة وكان فيهم ابو حنيفة النعمان ابن ثابت والحجّاج بن أرطاة وحشر الصنّاع والفعلة من الشام والموصل والجبل وسائر اعماله وامر بخطّها وحفر الأساسات ويعد تخطيط المدينة المدورة (بغداد) من الظواهر الجديدة في الفن المعماري الإسلامي ولاسيما في المدن الأخرى التي تم تشيدها من قبل العباسيين كمدينة سامراء وما حوته من مساجد وقصور فخمة. وقال عنها عبد الرحمن بن بن خلدون ذاكرآ بنائها:" وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين والداخل أعلى من الخارج. ووضع الحجّاج ابن ارطاة قبلة المسجد، وكان وزن اللبنة التي يبنى بها مائة رطل وسبعة عشر رطلا وطولها ذراع في ذراع، وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقوّاد تشرع أبوابها". وإلى جانب فن العمارة وجدت الزخرفة التي تم وصفها بأنهما لغة الفن الإسلامي التي تقوم على زخرفة المساجد والقصور والقباب على اشكال هندسية أو نباتية جميلة تبعث الراحة والهدوء والانشراح في النفس . وقد سمي هذا الفن الزخرفي الإسلامي في قارة أوروبا تحت اسم أرابسك. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه عن أبو صالح الباهلي فأين تكون دار المملكة؟ قال: أرض يقال لها بغداد. تجسّر بها الجسور ويكثر أهلها وتجتمع إليها الأموال[٣].

الأعياد والمناسبات:

قال بعض الفضلاء في مدح بغداد: بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الإسلام ومجمع الرافدين وغرّة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها أرباب الغايات في كل فنّ وآحاد الدهر في كل نوع وكان أبو إسحاق الزّجّاج يقول: بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية[٤].وصف الرحالة أحوال أهل بغداد وحياتهم وملبسهم فوصفوهم بأنهم يحبون الخروج والتنزه والترويح عن النفس والأعياد والمناسبات الجميلة فقال عنهم الرحالة علي بن الحسين الأموي القرشي أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) قائلا:" هذا الدير ببغداد بالجانب الغربي منها بالموضع المعروف بباب الحديد وأهل بغداد يقصدونه ويتنزهون فيه ولا يكاد يخلو من قاصد وطارق. وله عيد لا يتخلف فيه أحد من النصارى والمسلمين وباب الحديد أعمر موضع ببغداد وأنزهه: لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين ولتوسطه البلد وقربه من كل أحد. فليس يخلو من أهل البطالات ولا يخلّ به أهل المتطرب واللذاذات. فمواطنه أبداً معمورة وبقاعه بالمتنزهين مشحونة"[٥].

وقال عنها الرحالة أبن بطوطة:" ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصّفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلّة والناس يعبرونهما ليلا ونهارا رجالا ونساء فهم في ذلك في نزهة متّصلة وببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا منها بالجانب الغربيّ ثمانية وبالجانب الشرقيّ ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدّا وكذلك المدارس"[٦]، ومن المشاهد والاحتفالات الجميلة ماحضره الرحالة ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي أبو الحسين :"من أحفل المشاهد الدنياوية المريبة بروز شاهدناه يوم الأربعاء ثاني يوم وصولنا الموصل للخاتونين أم معز الدين صاحب الموصل وبنت الأمير مسعود المتقدم ذكرها فخرج الناس عن بكرة أبيهم ركبانا ومشاة وخرج النساء كذلك وأكثرهن راكبات قد اجتمع منهن عسكر جرار وخرج أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته فدخل الحاج المواصلة صحبة خاتونهم على احتفال وأبهة قد جللوا اعناق ابلهم بالحرير الملون وقلدوها القلائد المزوقة.

ودخلت خاتون المسعودية تقود عسكر جورايها وأمامها عسكر رجالها يطوفون بها وقد جللت قبتها كلها سبائك ذهب مصوغة اهلة ودنانير سعة الاكف وسلاسل وتماثيل بديعة الصفات فلا تكاد تبين من القبة موضعا ومطيتاها تزحفان بها زحفا وصخب ذلك الحلى يسد المسامع ومطاياها مجللة[٧].

ويقول الرحالة بو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري : أن اهل بغداد يذهبون ويجيئون ويعبرون في السفن وترى لهم جلبة وضوضاء وثلثا طيب بغداد في ذلك الشطّ واما الفرات فإنه نهر ذكر فيه صلابة وأصله والمدينة كثيرة الفقهاء والقرّاء والأدباء والائمّة والملوك بخاصّيّة بغداد والبصرة وللمذكّرين به ادنى صيت ويحمل اليهم الثلج من البعد وهو بارد في الشتاء ربّما جمد الماء في البصرة وبغداد وأهل الكوفة والبصرة سمر وبه مجوس كثيرة وذمّته نصارى ويهود وقد حصل به عدّة من المذاهب الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة مع فقهاء العراقين بالاعوام وبه مالكيّة واشعريّة ومعتزلة ونجّاريّة وبالكوفة الشيعة[٨].

تعدد الأديان في بغداد:

تعددت الأديان في العراق بصورة عامة وفي بغداد بصورة خاصة أن بغداد موطن تعدد الأديان والأجناس فنجد فيها المسيحي واليهودي والصابئي والمجوسي وغيرهم. أن الخلافة العباسية كانت محط

لرحال للعديد من الأديان والاصول ففي بعض الأحيان نجدهم هم من يجتذب هكذاأشخاص وفي أحيان أخرى نجدهم يحضرون بأنفسهم الى بغداد لعدة أسباب منها أسباب علمية أو تجارية أودينية وغيرها من الأسباب. فيذكر الرحالة علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) عن المكون المسيحي فيذكر العديد من الأديرة والكنائس منها دير درمالس فقال عنه"هذا الدير في رقة باب الشماسية ببغداد قرب الدار التي بناها الديلمي أحمد بن بويه بباب الشماسية. وموقعه أحسن موقع وهو نزه كثير البساتين والأشجار.وبقربه أجمة قصب. وهو كبير آهل برهبانه وقسانه والمتبتلين فيه، وهو من البقاع المعمورة بالقصف والمقصود بالتنزه والشرب"وقسم أعياد النصارى فقال:"وأعياد النصارى ببغداد مقسومة على ديارات معروفة منها أعياد الصوم: فالأحد الأول منه: عيد دير العاصية وهو على ميل من سمالو. والأحد الثاني : دير الزريقية، والأحد الثالث: دير الزندورد. والأحد الرابع: دير درمالس هذا وعيده أحسن عيد يجتمع نصارى بغداد إليه ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلا تبعهم. ويقيم الناس فيه الأيام ويطرقونه في غير الأعياد"[٩].

دير سمالو: وهذا الدير شرقي بغداد بباب الشماسية على نهر المهدي. وهناك أرحية للماء وحوله بساتين وأشجار ونخل والموضع نزه حسن العمارة آهل بمن يطرقه وبمن فيه من رهبانه. وعيد الفصح ببغداد فيه منظر عجيب لأنه لا يبقى نصراني إلا حضر وتقرب فيه ولا أحد من أهل الطرب واللهو من المسلمين إلا قصده للتنزه فيه، وهو أحد متنزهات بغداد المشهور.

دير الثعالب : وهذا الدير ببغداد بالجانب الغربي منها بالموضع المعروف بباب الحديد. وأهل بغداد يقصدونه ويتنزهون فيه ولا يكاد يخلو من قاصد وطارق. وله عيد لا يتخلف عنه أحمد من النصارى والمسلمين. وباب الحديد أعمر موضع ببغداد وأنزهه: لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين ولتوسطه البلد وقربه من كل أحد. فليس يخلو من أهل البطالات ولا يخل به أهل المتطرب واللذاذات. فمواطنه أبداً معمورة وبقاعه بالمتنزهين مشحونة. وقد قالت الشعراء في الدير وباب الحديد وقبرونيا فأكثروا ووصفوا حسن تلك المواضع فأطنبوا.

دير مديان: وهذا الدير على نهر كرخايا ببغداد وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير ويمر على العباسية ويشق الكرخ ويصب في دجلة وكان قديماً عامراً والماء فيه جارياً ثم انطم وانقطعت جريته بالبثوق التي انفتحت في الفرات. وهو دير حسن نزه حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة النزهة[١٠].

وذكر الرحالة زكريا بن محمد بن محمود القزويني عن أهل بغداد قائلا : كان هناك قرية فوق بغداد على ميل منها أهلها شيعة غالية ويهود وبها دكاكين الكاغد والثياب الابريسمية ينسب إليها أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي. وكان من المشايخ الكبار مستجاب الدعوة من موالي علي بن موسى الرضا. كان أستاذ السري السقطي فقال له يوماً: إذا كان لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي! وأهل بغداد يقولون: قبر معروف ترياق مجرب[١١]، وبعض الأشخاص من يعمل في حقول الصناعات الدقيقة كالإسطرلاب (مثل بسطلوس المذكور لدى ابن النديم) ناهيك عن المزخرفين والخطاطين (مثل ياقوت المستعصمي الرومي البيزنطي) . كانت هناك كذلك كما نعلم حاجة متزايدة للمترجمين ليس فحسب ممن

ينقلون كتب الأمم الأخرى إلى العربية ولكن ممّن يقومون بدور السفراء الدبلوماسيين بين الإمبراطوريّة الإسلامية وما يجاورها من الدول. هكذا كانت تتقاطر على العاصمة مختلف اللغات والتقاليد والشعوب، وتقيم في بغداد بحثا عن لقمة العيش(١٢). وهذا هو ما يفسّر لنا عنصرا أساسيا من رحلة ابن فضلان التي تعنينا هنا ألا وهو تشكّلها من وفد يتكوّن من أربعة أشخاص هم :

– سوسن الرسي الذي يبدو من نسبته الرسي أنه من بلاد الروس.

– بارس الصقلابي ويدلّ اسمه بوضوح على أنّه سلافيّ.

– تكين التركي: وهو تركيّ من دون شكّ يجيد لغات الأتراك التي يمرّ الوفد ببلادها في طريقه إلى الفولغا وكان يعمل حدادا في خوارزم.

– أحمد بن فضلان الذي كان رئيسا للوفد وكان يجهل اللغات الأجنبيّة كما يقول هو نفسه، إلا أنّه لم يكن عربيا البتّة فهو أحد الموالي، وربّما كان من أصل فارسيّ(١٣).

أثر وجود الاديان والأجناس في بغدا للتأثير على الدولة فتدخلوا في جميع شؤنهافذكر الرحالة بنيامين التطيلي:" فانتهز المقتفي هذه الفرصة الملائمة وطرد أمراء السلاجقة من بغداد، فصار الحكم للخليفة لا يشاركه فيه أحد. وهكذا استعادت خلافة بني العباس مكانتها واسترجعت سلطتها الدنيوية بعد حقبة طويلة من السنين تغلّب فيها الأمراء والسلاطين وتحكموا بالخلافة"(١٤).

إن انفتاحا مذهلا، يصل إلى درجة الاحترام للآخرين المختلفين كان يحكم علاقة دار الاسلام بالحضارات الوثنية العريقة، الهندية والصينية خاصة.إن بغداد كانت قبل سوقا يقصدها تجار أهل الصين بتجاراتهم فيربحون الرّبح الواسع، وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا:بغ داد أي إن هذا الربح الذي ربحناه من عطية(١٥)، وقال طاهر بن المظفّر بن طاهر الخازن:

سقى الله صوب الغاديات محلّة ..... ببغداد بين الخلد والكرخ والجسر.
هي البلدة الحسناء خصّت لأهلها .... بأشياء لم يجمعن مذ كنّ في مصر.
هواء رقيق في اعتدال وصحّة ..... وماء له طعم ألذّ من الخمر.
ودجلتها شطّان قد نظما لنا ..... بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر.
ثراها كمسك والمياه كفضّة ..... وحصباؤها مثل اليواقيت والدّر.

الفصل الثاني- الحياة العلمية في بغداد

أن بغداد حظيت بحب العلماء والأدباء وهي أم المدن وقبلة الرحالة ومركز العلم والعلماء وأم المكتبات والروايات والقصص والأساطير. لقد عرفت بغداد من بداية تأسيسها بالحركة العلمية النشطة وساعد على ذلك توافد أهل العلم بالإضافة لقربها من المراكز العلمية مثل البصرة والكوفة فكانت مراكز الحركة العلمية في البصرة والكوفة ثم تأسست بغداد فغلبت المدينتين. فانتشرت المدارس ودور العلم والمكتبات فذكر الرحالة عن تلك المدارس فيقول ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: "والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك وجددت سنة أربع وخمس مئة. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم

ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد فرحم الله وواضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح"[١٦]. ويقول شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي:" وفي وسط هذا السوق المدرسة النّظاميّة العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها وفي آخره المدرسة المستنصرية ونسبتها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر"[١٧].

وذكر الرحالة ابن الجبير عن مجالس علم ووعظ فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضيّ الدين القزويني رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية والمشار اليه بالتقديم في العلوم الأصولية . حضرنا مجلسه في المدرسة المذكورة اثر صلاة العصر ،من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة فتوّقوا وشوّقوا وأتوا بتلاحين معجبة ونغمات محرجة مطربة ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل وايراد حديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والتكلم على معانيه.

ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر وتقدم وما تأخر ودفعت اليه عدة رقاع منها فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها الى أن فرغ منها. وحان المساء فنزل وافترق الجمع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا ظهرت فيه البركة والسكينة ولم تقصر عن ارسال عبرتها فيه النفس المستكينة ولا سيما آخر مجلسه فإنه سرت حميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا وفجرتها دموعا وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا فكم ناصية جزّ وكم مفصل من مفاصل التائبين طبّق بالموعظة وحزّ فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة وتتغمد الجناة وتستدام العصمة والنجاة والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه ويتغمد ببركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لا رب سواه ولا معبود الا اياه.

وشهدنا له فيها مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور. وحضر ذلك اليوم مجلسه سيد العلماء الخراسانية ورئيس الأئمة الشافعية ودخل المدرسة النظامية بهزّ عظيم وتطريف آماق تشوقت له النفوس فأخذ الإمام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملاً به فأتى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر. ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي المتقدم الذكر في هذا التقييد[١٨]. ومن عجيب ذلك ما ذكره أبو سهل بن نوبخت قال: أمرني المنصور لما أراد بناء بغداد بأخذ الطالع، ففعلت فإذا الطالع في الشمس وهي في القوس فخبّرته بما تدلّ النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وفقر الناس إلى ما فيها ثم قلت: وأخبرك خلّة أخرى أسرك بها يا أمير المؤمنين قال: وما هي؟ قلت: نجد في أدلة النجوم أنه لا يموت بها خليفة أبدا حتف أنفه قال: فتبسم وقال الحمد لله على ذلك هذا من فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولذلك يقول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى: أعاينت في طول من الأرض أو عرض كبغداد من دار بها مسكن الخفض[١٩].

وقال الرحالة زكريا بن محمد بن محمود القزويني عن المدرسة المستنصرية:" ومن مفاخرها المدرسة التي أنشأها المستنصر بالله . لم يبن مثلها قبلها في حسن عمارتها ورفعة بنائها وطيب موضعها على شاطيء دجلة وأحد جوانبها في الماء. لم يعرف موضع أكثر منها أوقافاً ولا أرفه منها سكاناً. وعلى

باب المدرسة ايوان ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب يعرف منه أوقات الصلوات وانقضاء الساعات الزمانية نهاراً وليلاً[٢٠].وقال الرحال أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني واصفآ بعض مناطق بغداد:" لحريم الطاهري من محال بَغْدَاد، خرج منها جَمَاعَة من الرواة، وسكنها خلقٌ كثير من أهل الفضل والعلم"[٢١].

وجاء في ذكرها ايضاً رحله مجهول توفى بعد٣٧٢هـ :" دينة عظيمة، وقصبة العراق ومستقر الخلفاء، وأكثر البلدان عمارة في العالم، ومحط رجال العلماء؛ ذات تجارات كثيرة. بناها المنصور فى العصر الإسلامي. يمر نهر دجلة من وسطها، وقد أقيم على دجلة جسر وضع على السفن. ترتفع منها الثياب القطن والإبريسم والزجاج المخروط، وأدوات الزينة، والأدهان والأشربة والمعاجين التى تحمل إلى الآفاق"[٢٢]وجاء في ذكرها الرحالة سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي قائلا:" وكان بها من العلماء والوزراء والفضلاء والرؤساء والسادات ما لا يوصف"، وقال عن بغداد: "قال أحمد بن طاهر: هي جنة الأرض وواسطة الدنيا وقبة الإسلام ومدينة السلام وغرة البلاد ودار الخلفاء ومعدن الظرفاء واللطائف، وبها أرباب النهايات في العلوم والدرايات والحكم والصناعات هواؤها ألطف من كل هواء، وماؤها أعذب من كل ماء ونسيمها أرق من كل نسيم، لم تزل مواطن الكاسرة في سالف الزمان، الذين أظهروا المعدلة في الرعايا ووطنوا الأقاليم والبلدان ومنازل الخلفاء الأعلام في دولة الإسلام. ومن عجائبها أنها على كونها حظيرة الخلفاء ومقرها، لا يموت فيها خليفة" [٢٣].

مارستان أو البيمارستان

هي كلمة فارسية تعني مستشفى ومعناها محل المريض. كانت البيمارستانات في العصور الوسطى دورا للعلاج ومعاهد لتدريس الطب وكان الطبيب الرازي (ت٣٢٠) يدرس الطب فيه. وأنشأ عضد الدولة بيمارستان على آنقاض قصر الخلد وهي في الجانب الغربي من بغداد وذكر الرحالة ابن الجبير:" بين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون احوال المرضى به ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون اليه وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل اليه من دجلة"[٢٤]، وقال ابن بطوطة ايضآ:" ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله والمارستان فيما بين محلة البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار وفي هذا الجانب الغربي"[٢٥].

الفصل الثالث- الشواهد والقبور في بغداد

أن تدوين الرحالة للشواهد والمقابر في بغداد أهمية كبيرة وعظيمة وهي من الدراسات المهمة لأنها تفيد في التعريف بأسماءالمتوفين وتاريخهم وحياتهم وسلسلة أنسابهم والقابهم وتاريخ وفاتهم والأستفادة أيضا من النصوص المدونة ذات القيمة العالية التي تقدمها لنا من تفاصيل أسم المتوفي وماتبرزه من التنقلات والهجرات لبعضهم وأحياناً تكون تلك الأسماء مصحوبة بحرف أو وظائف أو مذاهب ممايفيد بتدوين تلك الحقبة التاريخية وتوجهاتها أو ممكن تحمل تلك النصوص نظم أجتماعية أو روابط أسرية فكل هذا يعد توثيقآ فعلياً وتسجيلآ أثرياً وايضا الزخارف الأثرية الفنية التي سجلت على الشواهد وأشكال تلك القبور

الإسلامية وكانت تلك القبور تمثل حضارة كل عصر من العصور الإسلامية. ولقد ذكر الرحالة البعض من تلك القبور والمشاهد ومنهم الرحالة شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي حيث قال:"عن أحمد ابن حنبل قال بغداد من الصّراة إلى باب التبن، وهو مشهد موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن الإمام علي ابن أبي طالب ثم زيد فيها حتى بلغت كلواذى والمخرّم وقطربّل"[٢٦]. وقال الرحالة:"أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري:" وببغداد قبر ابى حنيفة قد بنى عليه ابو جعفر الزمّام صفّة وقبر الى جانبه خلف سوق يحيى وقبر ابى يوسف في مقبرة قريش وقبر احمد بن حنبل ومعروف الكرخيّ وبشر الحافى وغيرهم وقبر سلمان بالمداين وبالكوفة قبر نبيّ أظنّه يونس وفي أخلاقهم وطاء وهم أهل الظرف غير ان العيّارين إذا تحرّكوا ببغداد هلّكوا والفساد كثير وبالبصرة صالحون وزهّاد وورعون ومستورون ويؤخّرون الظهر ويعجّلون العصر ويستقرّون بالجامع ليجتمع الناس من الاطراف ويخطب الامام كلّ غداة ويدعو قالوا هي سنّة ابن عبّاس رضي الله عنه [٢٧].

وذكر تلك الشواهد ايضآ الرحالة علي بن أبي بكر بن علي الهروي أبو الحسن قائلا: دار السلام وقبة الإسلام ومقر الإمام عليه السلام بها الإمام موسى بن جعفر الكاظم رضى الله عنهما عمره اثنتان وثمانون سنة وبها الإمام محمد بن على بن موسى الجواد ولد بالمدينة عاش سبعا وعشرين سنة رضى الله عنه وبها الإمام الأمين محمد ابن الإمام الرشيد رضى الله عنه وجماعة من الأشراف فى مقابر قريش رضى الله عنهم وقبر أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنهما[٢٨].

ومحلة الرّصافة: بها قبر الإمام الراضى محمد بن المقتدر والإمام المستكفى والإمام المطيع والإمام الطائع والإمام القادر والإمام القائم والإمام المقتدى والإمام المستظهر والإمام المقتفى والإمام المستنجد رضى الله عنهم. وفى مدينة السلام الإمام المعتضد والإمام المكتفى بدار طاهر بن الحسين وقيل: لم يكن فى الخلافة من اسمه على بعد على بن أبى طالب رضى الله عنه غير المكتفى وبها المتقى والإمام المستضيء فى دار جدته بالجانب الغربى. وبها قبر الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيبانى، مات سنة أربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة من جملة الأبدال، وقيل: لما مات مسح الموضع الذي صلوا عليه فيه فكان أربعة وستين جريبا مكسرة وبمقبرة الخيزران قبر الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان من أبناء فارس ولد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم وحج مع أبيه سنة ست وتسعين وله من العمر ست عشرة سنة ولقى من الصحابة عبد الله بن أبى أوفى وأبا الطفيل عامر بن واثلة وأنس بن مالك. مات سنة خمسين ومائة وعمره سبعون سنة وعنده قبر أبى عبد الله الجرجانى ومحمد بن يحيى طلبته ونور الهدى الزينبى والشيخ أبو بكر الشبلى وأبو الحسن النورى والسيرافى وحمادة وعبد الله بن عمر الأشرف بن على زين العابدين وعنده جماعة من الأشراف فى مشهد النذور وقبر شريح بن يونس[٢٩]وبجبانة دار السلام من الأولياء والصالحين مثل أبى جعفر الدّعاء وأبى محمد بن مصعب وأحمد بن نصر الخزاعى وعفان ومسلم وأبى الحسن بن سمعون القاضى فى باب حرب وقبور الشريكين اللذين لم يتخاونا ولهما حكاية وقبر الناطور.

وبالحربية الشيخ أبو الحسن القزوينى وخلف دار القز الشيخ إبراهيم الحربى صاحب الكرامات وأخته إلى جانبه بظاهر قطفتا وبجبانة دار السلام جعفر ومحمد ابنا الحسن رضى الله عنهم والشيخ حسين الحلاج والشيخ أبو الكرم والشيخ أبو الفوارس وإسماعيل الديرمى وعبد الرحمن المسعودى والشيخ معروف الكرخى وأولاد عبد العزيز وأبو بكر الآدميّ وأبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى وأبو غالب الماوردى وداود الطائى وأبو الحسن حسرى وأسامة بن زيد والصحيح أن أسامة مات بالجرف[٣٠].

وذكر ايضا تلك الشواهد الرحالة، وذكر الرحالة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبد الله ابن بطوطة يضآ عن القبور والشواهد :"وقبور الخلفاء العبّاسييّن رضى الله عنهم بالرّصافة وعلى قبر كلّ منها اسم صاحبه فمنها قبر المهدي وقبر الهادي وقبر الأمين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المنتصر وقبر المستعين وقبر المعتزّ وقبر المهتدى وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المكتفي وقبر المقتدر وقبر القاهر وقبر الراضي وقبر المستكفي وقبر المطيع وقبر الطايع وقبر القائم وقبر القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المقتفى وقبر المستنجد وقبر المستضي وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو اخرهم وعليه داخل التّتر ببغداد بالسيف وذبحوه بعد أيّام من دخولهم وانقطع من بغداد اسم الخلافة العبّاسية، وذلك في سنة أربع وخمسين وستماية[٣١]

وبقرب الرّصافة قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فيها قبّة عظيمة وزاوية فيها الطّعام للوارد والصادر. وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزّاوية، فسبحان مبيد الأشياء ومغيّرها. وبالقرب منها قبر الامام أبى عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولا قبّة عليه . رواق القصر العباسي تربة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضىء بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩ هـ . ويذكر أنّها بنيت على قبره مرارا فتهدّمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظّم واكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر ابي بكر الشّبليّ من ائمة المتصوّفة رحمه الله. وقبر سرّي السقطيّ وقبر بشر الحافي وقبر داود الطائي وقبر أبي القاسم الجنيد رضي الله عنهم أجمعين.

واهل بغداد لهم يوم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع. وببغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضي الله تعالى عنهم. وهذه الجهة الشرقيّة من بغداد ليس بها فواكه وانّما تجلب اليها من الجهة الغربيّة لان فيها البساتين والحدائق ووافق وصولي إلى بغداد كون ملك العراق بها فلنذكره هاهنا[٣٢].

ومن الشواهد المهمة ماذكره لنا الرحالة الحموي محلة ببيرز:" بِيَبْرَزُ بكسر أوله وفتح ثانيه وسكون الباء وفتح الراء. وزاي: محلّة ببغداد، وهي اليوم مقبرة بين عمارات البلد وأبنيته من جهة محلّة الظّفرية والمقتدرية. بها قبور جماعة من الأئمة، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزآباذي الفقيه الإمام ومنهم من يسمّيها باب أبرز[٣٣].

ومن الشواهد ايضآالادريسي واصفآ:" اتصلت المباني من الكرخ أسفل بغداد إلى الجويث وقصر المهدي متوسط منها يقابل قصر المنصور من الضفة الأخرى الغربية وتتصل عمارة بغداد شرقا إلى

كلواذا وكلواذا مدينة بها مسجد جامع وبين المدينتين من بغداد جسران مربوطان بالسفن يجتاز عليهما من أراد الجواز والتصرف من البلدة الغربية إلى البلدة الشرقية وبالضد[٣٤].

الهوامش

(٤) (١) إسحاق بن الحسين المنجم (ت ق ٤هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان،ص٣٣.

(٥) (٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص١٢٥.

(٦) (٣)ابو عبد الله احمد بن محمد بن الفقيه، البلدان ، ص ٣٥٧.

(٧) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان،ج١،ص٤٦١.

(٨) علي بن الحسين بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني، الديارات،ص٤.

(٩) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، حلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،ج١، ص١٧٠.

(١٠) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين،رحلة ابن جبير، ص٢١٢.

(١١) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢٦.

(١٢) أبو الحسن علي بن محمد، المعروف بالشابشتي (ت ٣٨٨هـ)، الديارات، ص٢.

(١٣) زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد،ص٤٤٤.

(١٤) أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد (ت بعد ٣١٠هـ)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة،ص٣٤.

(١٥) الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي،رحلة بنيامين التطيلي،ص١٥٧.

(١٦) أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد (ت بعد ٣١٠هـ)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة،ص٣٤.

(١٧) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان،ج١،ص٤٥٦.

(١٨) ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي أبو الحسين (ت ٦١٤هـ)،رحلة ابن الجبير ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص١٨٣.

(١٩) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،ط٢،ج٢، ص٦٢.

(٢٠) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت ٦١٤هـ)،رحلة ابن الجبير ، دار ومكتبة الهلال، بيروت،ص١٨٥.

(٢١) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، (ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن الجبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت،ص١٨٦.

(٢٢) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)،معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢،ج٢، ص٦٣.

(٢٣) زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣١٦.

(٢٤) أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني، لأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة،ص٢١٩.

(٢٥) مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي،ص١٥٩.

(٢٦) سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (المتوفى : ٨٥٢هـ)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، لمنسوب خطأ : للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي،ص٣٦٩.

(٢٧) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت ٦١٤هـ)،رحلة ابن الجبير ، دار ومكتبة الهلال، بيروت،ص١٨٠.

(٢٨) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، حلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،ج١، ص١٧١.

(٢٩) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،ط٢،ج١، ص٤٥٦.

(٣٠) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص١٢٦.

(٣١) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص١٢٦.

(٣٢) علي بن أبي بكر بن علي الهروي، أبو الحسن (ت ٦١١هـ)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٦٦.

(٣٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)،ج٢،ص٦٥.

(٣٤) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)،ج٢،ص٦٦.

(٣٥) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،ط٢،ج١،ص٥١٨.

(٣٦) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج٢،ص٦٦٧.

(٣٧) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج٢،ص٦٦٩.

المصادر والمراجع

١. ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي،(ت ٦١٤هـ)، أبو الحسين،رحلة ابن جبير،الناشر ، دار ومكتبة الهلال بيروت.

٢. أبو الحسن علي بن محمد، المعروف بالشابشتي (ت ٣٨٨هـ)، الديارات، ط، بلا.

٣. أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت ٥٨٤هـ)، المحقق: حمد بن محمد الجاسر، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر،عام النشر: ١٤١٥ هـ.

٤. ابو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥) ،المحقق: يوسف الهادي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

٥. أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الناشر ، ليدن ، دار صادر بيروت ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩١/ ١٤١١.

٦. أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد (ت بعد ٣١٠هـ)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة،الناشر:دار السويدي ،أبو ظبي،ط١،٢٠٠٣م

٧. إسحاق بن الحسين المنجم (ت ق ٤هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان،الناشر:عالم الكتب ،بيروت ،ط١،١٤٠٨هـ.

٨. الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني، اليهودي (ت ٥٦٩هـ)، رحلة بنيامين التطيلي، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

٩. زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد،الناشر:دار صادر بيروت،ط بلا.

١٠. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان،ج١،الناشر:دار صادر ،بيروت،ط٢،١٩٩٥م.

١١. عبد الرحمن بن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (وأعادوا طباعتها بالتصوير مِرار)

١٢. عدد الأجزاء: ٨ (الثامن فهارس).

١٣. علي بن أبي بكر بن علي الهروي، أبو الحسن (ت ٦١١هـ)، الإشارات إلى معرفة الزيارات،الناشر:مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ط١،١٤٢٣هـ.

١٤. علي بن الحسين بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني، الديارات،ط بلا.
١٥. محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، حلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،ج١،الناشر:أكاديمية المملكة المغربية،الرباط،عام١٤١٧هـ.
١٦. محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،الناشر: عالم الكتب، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.
١٧. المؤلف: مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة،ط: ١٤٢٣ هـ.

النُظم المالية للدولة العربية الاسلامية في فكر عطا سلمان جاسم

The financial systems of the Arab Islamic state in the thought of Atta Salman Jassim

الباحثة زينب قاسم غنتاب
مديرية تربية محافظة واسط

أ.م.د. شيماء بدر عبد الله
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

Dr. Atta dealt with financial systems because of their great importance in regulating economic life in the Arab Islamic country and the Islamic society on solid scientific bases that preserve the rights of the state and society and perform its duties towards them. These systems derived their teachings from the inspiration of Islam, which guarantees a decent life for everyone, and we will focus on the most important financial systems Which Atta Salman Jassim focused on.

الملخص

تناول الدكتور عطا النظم المالية لما لها من أهمية بالغة في تنظيم الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية والمجتمع الإسلامي على أسس علمية رصينة تحفظ حقوق الدولة والمجتمع وتؤدي واجباتها تجاههم واستمدت هذه النظم تعاليمها من وحي الاسلام الذي يضمن للجميع حياة كريمة، وسوف نركز على اهم النظم المالية التي ركز عليها عطا سلمان جاسم.

كلمات مفتاحية: (عطا سلمان، النظم المالية، الجزية، الخراج، الغنيمة)

اولا: الخراج والجزية

اكد دكتور عطا على ان الجزية والخراج من اهم واردات الدولة العربية الاسلامية(١)، فالخراج هو كل ما وضع على رقاب الارض من حقوق تؤدي عنها(٢). اما الجزية فهي ضريبة فرضت على الذميين من أهالي البلاد المفتوحة(٣).

وعد الجزية والخراج حقان اوصل الله جل علاه المسلمين اليهما من المشركين يجتمعان في ثلاث اوجه هي :-

١. ان كل منهما مأخوذة عن مشرك صغارًا له وذلة.
٢. كلاهما عدا مالًا فيئا يصرفان في اهل الفيء.
٣. تتم جبايتهما بحلول الحول لا يستحقان قبله.

ويفترقان في ثلاث هي :-

١. الخراج اجتهاد بينما الجزية نص.
٢. ان اقل الجزية مقدار بالشرع واكثرهم مقدارًا بالاجتهاد.
٣. تؤخذ الجزية مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الاسلام بينما الخراج يؤخذ مع الكفر والاسلام(٤).

فالجزية فُرضت على الكتابيين سوآء كانوا عربًا أم عجمًا قال تعالى: " **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ**

يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"[٥]. فالجزية لا تسقط عن اهل الذمة إلا في حالة إعلان إسلامهم في حين وضخ دكتور عطا بسقوط الجزية عنهم في حالة إعلان إشتراكهم في القتال مع المُسلمين جنبًا إلى جنب فقد عُفي الجراجمة[٦]. من الجزية أثناء حروب تحرير الشام وهم نصارى وكانوا قد أخذوا حصتهم من الغنائم؛ وذلك لأنهم شاركوا في عملية الدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلاميّة[٧]. ونجد ذلك أيضًا فيما رواه الطبري من إعفاء إحدى القبائل التي كانت تقيم في شمال فارس وذلك سنة (٢٢١ هـ / ٦٤٣ م) من الجزية فأصبح ذلك فيما بعد سنة فيمن يحارب العدو من المشركين[٨]. إضطروا رجال الدولة في بعض الأحيان إلى وقف عملية دخول الناس في الإسلام لا لدافع مادي يسبب حرمانهم من الجزية بل لإدراك بعض المسؤولين ان هؤلاء أعلنوا إسلامهم هربًا من الجزية لا إيمانا بالعقيدة[٩]، ومع حرية الإعتقاد هذه إختلف الحكم الّذي سنه الإسلام مع عبدة الاوثان من العرب فقد اجمع الفقهاء على ان لا تقبل منهم الجزية وحكمهم اما الاسلام او القتل[١٠]، وجد دكتور عطا ان لا يشبه الحكم فيهم اذن الحكم في العجم لان هؤلاء يقاتلون على اعطاء الجزية وعلى الاسلام في حين ان العرب لا يقاتلون الا على الاسلام ولم نجد في التاريخ الاسلامي في عهد النبي محمد (ص) وما بعده من الصحابة ان اخذت الجزية من عبدة الاوثان من العرب[١١]. ويرى دكتور عطا ان الجزية لا تفرض على الانساب بل تفرض على الأديان ذلك ان اخذ الجزية لا يجوز الا من كتابي عربي او أعجمي كما امر الله وهم يعدون اهل كتاب قياسا إلى ما جاء فى كتاب والسنة[١٢]. لكن ابو حنيفة له رأي آخر فهو يرى ان الجزية تؤخذ من المجوس العجم ولا يجوز اخذها بالنسبة للعرب[١٣]. وإذ كان الرسول (ص) قد اخذ الجزية من مجوس اهل هجر فهذا لكونهم من العجم هذا يعني ان الجزية ما خوذة بالأنساب ولو كان العكس لما اخذت الجزية من المجوس ومن اجناس الهند والترك الذين لا دين له وفي نفس الوقت امتنع اخذها من العرب المشركين وكلاهما يعدون لا كتاب لهم[١٤]. واخيرًا اكد دكتور عطا ان دفع الجزية لم تكن الغاية منه كسب ربح مادي بقدر ما هي ضريبة يدفعها الذمي من اجل حمايته والدفاع عنه من جهة ومن جهة اخرى تقابل الجزية ضريبة الزكاة التي يدفعها المسلمون[١٥].

ثانيا: الزكاة

الزكاة صدقه فرضت على اموال الاغنياء المرصدة للنماء بنفسها او بالعمل فيها طهرة لأهلها وتعد معونة للمستحقين[١٦]، والزكاة تصرف حسب ما جاءه في القران الكريم قال تعالى: "**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** "[١٧]. وبعد دراسة الاصناف الثمانية في الآية الكريمة وجد دكتور عطا عند الماوردي وحسب راي بعض الفقهاء على عدم جواز دفع الزكاة الى كافر ولا تدفع الى ذوي القربى من بني هاشم وبني المطلب تنزيها لهم ولا تدفع الى عبد ولا مدبر ولا ام ولد كما لا يجوز ان يدفعها الرجل الى زوجته والى والده او ولده لانهم عليه نفقته وصرفها في الاقارب افضل من الاباعد.[١٨]

اعتبر الاسلام الامتناع عن الانفاق في سبيل الله هو القاء النفس في التهلكة قال تعالى: " **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** "[١٩]. اقر فقهاء الدين إذا تعرضت الدولة الى عدو وجب عليها اخذ شيء من اموال الاغنياء بالقدر الذي يكفيها لدرا الخطر عنها ولا يحق

لهؤلاء (الاغنياء) الامتناع او الاعتراض على اعطاء الدولة ما يكفيها لأنه من قواعد الشريعة الإسلامية الموصلة المقررة بانه يجب دفع الضرر الأعلى بتحمل الضرر الادنى[٢٠]. هذا وكان للنبي محمد (ص) دور كبير في حث المسلمين على الانفاق والتبرع في سبيل الله من خلال اقواله (ص) المشجعة على المضي في سبيل ذلك قال (ص): "من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخيرًا فقد غزا"[٢١]. وقال (ص): "افضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على اصحابه ودينار ينفقه على فرس في سبيل الله"[٢٢]. حاول المسؤولين على الصدقات زيادة موارد الصدقات حرصا منهم لتوزيعها على مستحقيها وبطرق مختلفة حيث ذكر ان الخليفة المهدي العباسي كتب الى قاضية عبيد الله بن الحسين أن يأخذ الصدقة من الانهار التي كانت ايام عمر وعثمان (رض) فلم ينفذ كتابه فتوعد الخليفة للقاضي الامر الذي ادى بالقاضي الى جمع اهل العلم والاشراف من اهل البصرة واشهدهم انه قض لأهل الانهار بالصدقة فلم يرد شيئًا من القضاة[٢٣]، وكان المسلمون يتسابقون في دفع الصدقة لأنها داعية الى الرزق ومن اغلق بابها لم يدخله الرزق[٢٤].

ثالثا: الفيء والغنيمة

الفيء:- يخالف الغنيمة فالفيء هو كل ما وصل او اخذ عفواً من المشركين من دون قتال مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب[٢٥]. وتم تقسيم اموال الفيء على حسب ما جاء في قوله تعالى: "**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**"[٢٦].

والغنيمة:- هو كل ما اخذه المسلمين من اموال المشركين بالقتال[٢٧]، احل واقر الشرع الاسلامي اخذ الغنائم ففي الوقت الذي يقدم به المجاهد كل ما يملك من ماله الخاص من الجهاد في سبيل الله ويريد من المسلم ان يؤدي كل ما عليه من فرض الجهاد فالاسلام بالمقابل يستجيب لرغبات الفرد المشروعة[٢٨]. ودليل مشروعيتها ما ورد في قوله تعالى: " **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"[٢٩]. وتعود اول اشاره في الاسلام الى الغنائم لسريه عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي والتي قسم فيها الغنائم واخرج للنبي محمد(ص)؛ منها الخمس وكان ذلك قبل ان ينزل الخمس[٣٠]. نفى دكتور عطا ذلك فلم يخمس الرسول (ص) من هذه الغنائم بل قسمها بين اصحابه وكان اول خمس خمسهُ النبي محمد (ص) بعد معركه بدر سنه (٢هـ) في غنائم اموال بني قريضه[٣١].

اكد دكتور عطا على ان الفيء والغنيمة متفقان من وجهين ومختلفان من وجهين فاتفاقهما في:-

أولًا:- ان مصروف خمسهما واحد.

ثانيًا:- ان كل مالا منهما واصل بالكفر.

ويفترقان في:-

اولًا:- مال الفيء مأخوذ عفوا ومال الغنيمة اخذ قهراً.

ثانيًا:- ان مصرف اربعه اخماس الفيء مخالف المصرف اربعه اخماس الغنيمة.[٣٢]

توزيع الغنائم يتم وفق ما جاء في ايه الخمس التي سبق ذكرها وهذه الغنائم على شكل اموال قد تكون منقولة او اسرى او اراضي او سبي[٣٣]، واذا جمعت الغنائم يتم توزيعها وفق النسب المقررة بعد نهاية الحرب لئلا يتشاغل المقاتلة بها فيستغل العدو الفرصة وليعلم بانتهاء الحرب وتحقيق النصر[٣٤]، وهنا يتم تسليم كل ما حصل عليه المحاربون من المغانم الى صاحب الاقباض[٣٥].

تختلف مسؤولية صاحب الاقباض عن مسؤولية مقسم الغنائم فبعد ان يخرج الخمس منها فيقسم الباقي على المحاربين وتقع مسؤولية ذلك على رجل يتميز بالأمانة والنزاهة[٣٦]، اكدت الشريعة الإسلامية ان الغنيمة تحل لأخذها اذا كانت النية في الخروج للجهاد خالصه لله تعالى اي لا يشوبها طلب غنيمة ولا غيرها من الامور والمصالح الدنيوية[٣٧]، وتعد الغنيمة اكثر احكاماً من الفيء لأنها اصل تفرع عنه الفيء فيكون حكمها اعم واشمل على اقسام الاسرى وسبي والارضين والاموال[٣٨].

تطرق دكتور عطا الى الغلول[٣٩]. فقد حرمت الشريعة الإسلامية الغلة من اجل المحافظة على سلوك المقاتلين وابعادهم عن ما يشوه ويحط من قيمهم الأخلاقية السامية وعدم التقليل من صدقهم وامانتهم ومن اجل جمع الغنائم بدون نقص لان الغلول كثرتها وقلتها تعد من كبائر الذنوب[٤٠]. قال تعالى: " **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** "[٤١] ومن حقوق الله سبحانه وتعالى على قائد الجيش الأمانة فيما حصل عليه من الغنائم وفي الوقت نفسه لا يغل اي شخص من الجند شيئا حتى يتم تقسيم ما غنمه بين جميع الغانمين ممن شهد الحادثة او المعركة لان لكل منهما حق فيما غنمه[٤٢]، فبعد الانتهاء من معركه حنين (٨ هـ) طالبوا النبي محمد (ص) بقسمه الغنائم بينهم فرد عليهم قائلاً: "يا ايها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود فيكم فادوا الخيط والمخيط فان الغلول يكون على اهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة"[٤٣].

عرف عن العرب الاوائل زهدهم في مغانم الدنيا لم تكن غايتهم الأساسية الطمع المادي كما صورها عنهم بعض الباحثين بل جعلوا من النبي محمد (ص) مثالاً يقتدون به في الكرم[٤٤]. لكن نرى اليوم في وقتنا الحاضر ان الغنائم لا تقسم عكس ما كان في العصور القديمة حيث كانت تقسم بين المقاتلة ربما يعود السبب في ذلك لوجود الراتب الشهري للمقاتلة الذي يعد استحقاقا لهم مقابل خدمتهم القتالية.

الاستنتاجات :

- عدت النظم المالية وسيلة مهمة من وسائل السياسة الاقتصادية.
- تعتبر الزكاة من الإيرادات العامة في الاقتصاد الإسلامي وذلك بتوجيهها من الجهات الغنية إلى الجهات الفقيرة والهدف من وراء ذلك هو تخفيف المعاناة الاقتصادية والاجتماعية اضافة الى انها تقلل من التفاوت الطبقي في المجتمع وذلك يخلق جو من الأمن والاطمئنان.

- استفاد النظام المالي الإسلامي من بعض الوسائل التمويلية التي كانت معروفة في العصر الجاهلي والأخذ بها وتصحيحها مثل الجزية والخراج وفي اوقات الحروب مثل الفي والغنيمة والغلول.

الهوامش

(١) الفكر الاقتصادي، ص ١١.

(٢) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٨٦؛ ابو يعلى، الاحكام السلطانية، ص ١٦٢.

(٣) ابو عبيدة، الاموال، ص ١٢٣؛ جاسم، الفكر الاقتصادي، ص ١١.

(٤) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٨١؛ جاسم، الفكر الاقتصادي، ص ١١.

(٥) التوبة/ آية ٢٩.

(٦) **الجراجمة:**- هم مجموعه سكانية سكنوا في المناطق الجبلية على جبال اللكام عند معدن الزاج يقال لها الجرجومه تلك المناطق التي جعلت منهم رجال حرب اشداء وقطاع طرق طلب منهم حبيب بن مسلمه الفهري الامان والصلح بعد ان غزا الجرجومة فصالحوه على ان يكونوا اعوانا للمسلمين وان لا يأخذوا بالجزية. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٣ – ١٦٤.

(٧) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٦٤؛ جاسم، الإستنفار للجهاد، ص ١١٦.

(٨) تاريخ الطبري، ج ٤/ ص ١٥٦؛ الإستنفار للجهاد، ص ١١٦.

(٩) الطبري، تأريخ الطبري، ج ٦/ ص ٥٥٩ – ٥٦٠؛ جاسم، الإستنفار للجهاد، ص ١١٣.

(١٠) ابو يوسف، الخراج، ص ١٢٨ – ١٢٩؛ جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١١٤.

(١١) ابو يوسف، الخراج، ص ٦٦؛ جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١١٤.

(١٢) الشافعي، الأم، ج ٥ / ص ٤٠٥ – ٤٠٧؛ جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١١٤.

(١٣) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٨٣.

(١٤) ابو يوسف، الخراج، ص ٦٧؛ جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١١٤ – ١١٥.

(١٥) جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ٣٤٣.

(١٦) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٤٥؛ جاسم، الفكر الإقتصادي، ص ٥٧ – ٥٨.

(١٧) التوبة/ آية ٦٠.

(١٨) الماوردي، الأحكام السُلطانية، ص ١٥٨؛ جاسم، الفكر الإقتصادي، ص٦٤.

(١٩) البقرة/ آية ١٩٥.

(٢٠) الصالح، النظم الاسلامية، ص ٣٧٥.

(٢١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ / ص ٤٩.

(٢٢) ابن جماعة، مستند الاجناد، ص ٤٣.

(٢٣) جاسم، الجوانب المالية في كتاب اخبار القضاة، ص ١٠٢.

(٢٤) جاسم، المرجع نفسه، ص ١٠٢.

(٢٥) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٦١؛ ابو يعلى، الاحكام السلطانية، ص ١٣٦؛ ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٥٥؛ جاسم، الفكر الاقتصادي، ص ٣١.

(٢٦) الحشر / أية ٦ – ٧.

(٢٧) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٦١؛ ابو يعلى، الاحكام السلطانية، ص ١٣٦؛ ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٤٥؛ جاسم، العقيدة العسكرية، ص ٣١١.

[٢٨] جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١٦٢.

[٢٩] الانفال / أية ٦٩.

[٣٠] ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/ ص ٢٤٥.

[٣١] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٧٧؛ جاسم، العقيدة العسكرية، ص ٣١١.

[٣٢] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٦١؛ جاسم، الفكر الاقتصادي، ص ٣٥.

[٣٣] جاسم، العقيدة العسكرية، ص ٣١٣.

[٣٤] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٧٧.

[٣٥] **الاقباض:**- هو الاسم الذي يطلق على صاحب المغانم وتقع علية مسؤولية جمع الغنائم، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤/ ص ١٩؛ جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١٦٥.

[٣٦] جاسم، العقيدة العسكرية، ص ٣١٤.

[٣٧] جاسم، الفكر الاقتصادي، ص ٣١ – ٣٢.

[٣٨] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٦٦؛ جاسم، الفكر الاقتصادي، ص ٤٠.

[٣٩] **الغلول:**- (السرقة في الغنائم) وهي كتم المقاتل ما غنمة من اموال من دار الحرب. البهواتي، كشاف، القناع، ج ٣، ص ٩٢.

[٤٠] جاسم، العقيدة العسكرية، ص ٣١٤.

[٤١] ال عمران / أية ١٦١.

[٤٢] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٦٥، جاسم، الفكر الاقتصادي، ص ٣٢-٣٣

[٤٣] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٦٧.

[٤٤] جاسم، الاستنفار للجهاد، ص ١٦١.

قائمة المصادر والمراجع

اولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر والمراجع

- **البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)**

١- فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية(بيروت-١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- **البهواتي، منصور بن يوسف بن ادريس(ت ١٠٥١هـ/١٦٤١م).**

٢- كشاف القناع عن متن الإقناع، عالم الكتب، (بيروت- ١٥٠٣هـ/١٩٨٣م).

- **ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام(ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)**

٣- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، (د. م، د. ت).

- **ابن جماعة الحموي، بدر محمد بن أبي اسحاق(ت ٨٣٣هـ/١٣٣٣م).**

٤- مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر في فضل الجهاد و فضائل الرمي في سبيل الله، تحقيق: أسامة ناصر النقشبندي، ط١، دار الوثائق، (دمشق-١٣٢٨هـ/٢٠٠٨م).

- **ابن حجر العسقلاني،احمد بن علي بن حجر الشافعي (ت ٨٥٢هـ/١٤٢٨م).**

٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله، دار الفرقة، (بيروت-د. ت).

- **الشافعي، محمد بن ادريس(ت ٢٠٤هـ/٨٢٩م).**

٦- الأم، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، دار الوفاء، (المنصورة- ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ/٩٣٨م).**

٧- تاريخ الأمم و الملوك، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، (القاهرة- ١٩٦٠م).

- **ابو عبيدة، القاسم بن سلام(ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م).**

٨- الأموال، تحقيق: محمد عمارة، ط١، دار الشروق، (بيروت-١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- **ابن الفراء، ابي يعلى محمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٤٦٥م).**

٩- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

- **الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/١٠٨٥م).**

١٠- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط١، دار ابن قتيبة، (الكويت- ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- **ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م).**

١١- السيرة النبوية، ط٣، دار الكتاب العربي، (بيروت- ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

- **ابو بوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، (ت١٩٢هـ/٧٩٨م).**

١٢- الخراج، دار المعرفة، (بيروت-١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

- **الصالح، صبحي**

١٣- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط١، منشورات الشريف الرضى، (قم-١٣٧٥هـ).

- **جاسم، عطا سلمان.**

١٤- الفكر الاقتصادي عند الماوردي في كتابه(الأحكام السلطانية والولايات الدينية)، ط١،وحدة الدراسات في الجامعة الاسلامية(النجف-١٤٢٩-٢٠٠٨م).

١٥- الاستنفار للجهاد والاستجابة له في الدولة العربية الاسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، (بغداد، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

١٦- الجوانب المالية في كتاب أخبار القضاة لوكيع، بحث منشور في مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد ٥، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩).

الحضارة الإسلامية في فكر عطا سلمان جاسم

Islamic civilization in the thought of Atta Salman Jassim

الباحثة زينب قاسم غنتاب
مديرية تربية محافظة واسط

أ.م.د. شيماء بدر عبد الله
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

Islam was considered to be the most important factor in the prosperity and maturity of the scientific movement because it has encouraged study, authorship and seeking knowledge. The islamic civilization is unique in deriving its regulations and legislations from the Holy Quran and the noble prophetic Sunna which came to clarify what is difficult for Muslims to understand. Muslims have quoted helpful and useful things from the Islamic civilization, and developed their known lifestyles to pass it to non-Muslims.

الملخص

عد الاسلام العامل الأهم في ازدهار الحركة العلمية ونضوجها لانه شجع على الدراسة والتاليف وطلب العلم وتنفرد الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات الأخرى باستقاء نضمها وتشريعاتها وقوانينها من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة التي جاءت لتوضيح ما يصعب على المسلمين فهمه حيث اقتبس المسلمين من الحضارة الإسلامية كل ما هو نافع وملائم لهم وطوروا كل ما عرفوه من نظم وأساليب حياتية ونقلوا ذلك لغير المسلمون

كلمات مفتاحية: (عطا سلمان، الحضارة العربية، الإسلام، القرآن الكريم، الأدب العربي)

اولاً: الحضارة لُّغة

مفهوم الحضارة في اللُّغة مُشتق مِنْ الفعل "حَضَرَ" وَهي "نقيض المغيب والغيبة" ومُشتقات هذه المادة هي "حَضَرَ – يَحضُر – حُضورًا – وحضارة"[١]. "والحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي"[٢]. "والحضارة: الإقامة في الحضر"[٣]. وفي الحديث الشريف: "لا يبيع حاضر لِبادٍ"[٤].

ثانياً: الحضارة إصطلاحًا

أما إصطلاحًا كما عرفها إبن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بأنها "التفنن في الترف واستجادة أحواله. والكلف بالصنائع الّتي تؤنق مِنْ أصنافه وسائر فنونه مِنْ الصنائع المهيئة لِلمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولِسائر أحوال المنزل ولِلتأنق في كُل واحد مِنْ هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنق فيها"[٥].

ويؤكد دكتور عطا هُنا ان مفهوم الحضارة الإسلامية جاء نتيجة لِتفاعل ثقافات الشعوب الّتي هذبها الإسلام والّتي أصبحت فيما بعد محط أنظار وإعجاب الشعوب والأُمم الأُخرى[٦].

وتوصل دكتور عطا إلى ان هُناك أخطاء شائعة في بعض مُصطلحات التأريخ الإسلامي الّتي لا يتناسب منطوقها اللفظي الظاهر مع واقعها التأريخي وقّدْ استخدمت هذه المُصطلحات بِصورة خاطئة قديمًا وحديثًا والحقيقة إلى الآن ما زالت تستخدم مِنْها الأديان السماوية المقصود بالأديان الواردة خطأ

والمستخدم فعلًا في الوقت الحاضر هي تلك الرسالات السماوية المقصود بها اليهودية والمسيحية والصابئية فضلًا عن الإسلام أي شريعة محمد (ص) وطبعًا لِكُلّ هذه الشرائع كُتب سماوية وهي التوراة والإنجيل وكذلك لِلصابئة كنزا ربه وهو غير شائع طبعًا وكذلك القُرآن الكريم[٧].

ولاحظ دكتور أيضًا انه لا توجد هُناك لفظة أديان سماوية في القُرآن الكريم بل دين واحد ومُصطلح واحد وهو الإسلام وأطلق على ما جاءت به اليهودية والمسيحية والصابئة شرائع ومنهجًا[٨]، كما في قوله تعالى: "﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾"[٩]. ومصدر هذه الشرائع هو الله جل علاه وأسند دكتور عطا صحة كلامه بِما ورد في القُرآن الكريم مِنْ آيات مُباركة مع اختلاف بعض الألفاظ قال تعالى: "﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[١٠]. ووردت أيضًا في قوله تعالى "﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾"[١١]. وقوله تعالى: "﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾"[١٢]. هُنا واضح ان أصحاب هذه المُعتقدات مطلوب مِنْهم ان يُسلموا أمرهم لله سبحانه وتعالى كي يحصلوا على السعادة الأبدية الّتي تتطلب مِنْهم الإيمان بالإله الواحد الّذي لا شريك له فهؤلاء ان آمنوا فلا خوف عليهم ولا هُم يحزنون وهكذا وردت في الآيات الكريمة[١٣].

أطلق دكتور عطا عنان قلمه لِيتحدث وبأدلة قُرآنية على ان لفظة الإسلام أطلقت قبل النبي محمد (ص) قال تعالى: "﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾"[١٤]. وقوله تعالى: " كُنتُمْ ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾"[١٥]. وقوله تعالى: "﴿**أَمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾"[١٦]. وقوله تعالى: "﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾"[١٧].

إذ أطلق الإسلام على كُلّ الأنبياء وكُلّ المؤمنين مِنْ أتباعهم أطلق عليهم مُسلمون كُلّ مَنْ أسلم وجهه لله وهذه المناهج والشرائع مصدرها واحد وان الغاية واحدة وان كان هُناك اختلاف في الأُسلوب فهذه يقتضيها الزمان والمكان وتتعلق بِالعبادات والمُعاملات الّتي لا تُؤثر ولا تخل بِالعبادات الرئيسية المطلوبة الأصل واحد واختلاف في بعض الفروع[١٨]، قال تعالى في محكم كتابهِ: "﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا**

أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾"[١٩].

فالإسلام إذن قديم يرجع إلى النبي إبراهيم (عليه السلام) بل وأبعد مِنْ ذلك ان لفظة الإسلام المُستخدمة أُطلقت على جميع مُعتنقي الديانات السماوية الحقّة فالإسلام تأريخيًا حدد بِهذا التأريخ إذن كيف لنا ان نطلق على تأريخ العرب قبل البعثة النبوية الشريفة الّتي حددها البعض بفترة لا تتجاوز المائة وخمسون عامًا أو أكثر بِقليل وهذه الفترة الّتي يُطلق عليها (تأريخ العرب قبل الإسلام) معناه ترجع إلى عصر إبراهيم (ع) وهذا تأريخ قديم[٢٠]. وبدلًا مِنْ ذلك يبدو انه الأصح هو (تأريخ العرب في العصر الجاهلي) وهو العصر الّي يتضمن تأريخ العرب قبل البعثة النبوية الشريفة وهي الجاهلية الثانية الّتي اختصت بتأريخ العرب الّتي حددت بحوالي (١٥٠) سنة قبل الميلاد[٢١]. قال تعالى: "﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**"[٢٢]

ثالثا: الحضارة العربية الإسلامية حضارة إنسانية

الحضارة الإسلامية في رأي دكتور عطا انها مُتفاعلة ما بين الموروث العربي والمُكتسب مِنْ الحضارات العالمية الأُخرى حيث لعب الحوار الحضاري دورًا كبيرًا في صياغة حضارة إسلامية ميزتها انها حضارة إنسانية وان كانت جذورها عربية لكنها ليست عُنصرية مُغلقة[٢٣]. وقال تعالى: "﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**"[٢٤]. وقوله تعالى: "﴿**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**[٢٥]". وقوله تعالى: "﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**"[٢٦]. اقتبست الحضارة كُلّ شيء نافع ومُفيد مِنْ الحضارات الأُخرى لكن لم يكن ذلك على حساب المبادئ الإسلامية الثابتة الّتي لا تتغير مع تغير المكان والزمان تلك المبادئ الّتي تحفظ الإنسان مِنْ أخطار الانحلال[٢٧].

امتلك العرب الكثير مِنْ العادات والتقاليد الحسنة مثل الكرم والنخوة ومكارم الأخلاق والشجاعة ولهذا اختار الله العرب لحمل الرسالة الإنسانية؛ لأنهم شجعان يستطيعون حملها لِكُلّ العالم خاصة انهم عاشوا في الصحراء وظروفها القاسية، قال تعالى: "﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**"[٢٨]. وعرف عنهم نور العقول الّتي أهلتهم لِتلقي رسالة الإسلام[٢٩]. منح الله الإنسان زينة العقل وحرية الاختيار ومنحه الإرادة وفضله على سائر مخلوقاته وجعل حياته قائمة على الاختبار والبلاء، قال تعالى: "﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾**"[٣٠].

فالنبي محمد (ص) رحمة ونعمة لِلعرب[٣١]، فهو بُعِثَ لِيُكمل مكارم الأخلاق وليُهذب عاداتهم السيئة، قال (ص): "((إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق))"[٣٢].

ان الإسلام أثر على العرب هذب أخلاقهم وحسن سيرتهم وأنقذهم مِنْ الجاهلية حيث كانت تنازعهم العصبية وروح التنازع وبعض العادات الشاذة كوُود البنات والغزو وعبادة الأوثان[٣٣]. فالعرب افتخروا بِنسبهم الذي يرجع إلى النبي إسماعيل إبن إبراهيم الخليل (عليهم السلام)[٣٤]، فزادهم ذلك النسب شرفًا[٣٥]. الّذي لا يتناقض مع ما جاء في كتاب الله عَنْ بني إسرائيل، قال تعالى: "﴿**قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ**

إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٦]. إذ كان ميزان التفاضل بين العرب والعجم بالأعمال والأفعال لا بالأنساب عِلمًا ان العرب عابوا على الآخرين كثيرًا مِنْ العادات والمُعتقدات الّتي يرفضها العقل والمنطق[٣٧]. ان العرب عرفوا في العصر الجاهلي العديد مِنْ المُحرمات مِنْها مُعاقبة السارق وقطع يده اليُمنى وتحريم الخمر الّتي أقرها الإسلام والّتي هي بقايا دين النبي إبراهيم الخليل (ع)[٣٨].

أخذ على العرب التخلف في العبادة وخاصة انهم كانوا يعبدون الأصنام الّتي يصنعونها تلك العبادة الّتي اعابها وأنكرها الإسلام باعتبارها عبادة غير مقبولة إلّا ان عبدتها عرفوا الله على انه هو مِنْ خلق كُلّ شيء، قال تعالى: "﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾**"[٣٩]. وقوله تعالى: "﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾**"[٤٠]. وهو المُهيمن على كُلّ الآلهة أي انهم يعتقدون بوجود الإله الأكبر، قال تعالى: "﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**"[٤١].

وقَدْ عُرِفَ العرب بأنهم أصحاب شعر وأدب انتشرت أخباره في كُلّ البُلدان خاصة وانهم يتكلمون اللُّغة العربية الّتي تعد مِنْ أغنى وأفضل اللُّغات لِذلك الله اختارها لِتكون لُغة القُرآن الكريم وهذه اهميه وميزة اعطاها الله عز وجل للغة العربية وقد انزل الله القران بِلهجة قريش وهي أفصح اللهجات والّتي اقبلت عليها جميع الأُمم ليتعلموها[٤٢]. يعد عامل اللُّغة العربية مِنْ العوامل الّتي ساعدت على نشأة وتطور الحضارة العربية[٤٣]. حاولت الكثير مِنْ الأُمم نقل لُغة القُرآن إلى لُغتهم فعسر عليهم نقله، وذلك لِكمال لُغة العرب، يُقال: "وجدنا لِلُّغة العرب فضلًا على لُغة جميع الأُمم إختصاصًا مِنْ الله تعالى وكرامة أكرمهم بها"[٤٤].

إذن طابع الحضارة هو عربي إسلامي فالدعوة في أرض العرب والأُمة الّتي نشأ فيها الإسلام هي عربية الّذين كانوا خير أُمة أخرجت لِلناس، قال تعالى: "﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**"[٤٥]. ولِذلك كُلفوا بِحمل الرسالة ونشرها؛ لِما عُرفوا به مِنْ حسن الخُلق والتسامح والعدالة، قال تعالى: "﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**"[٤٦].

ومِما يُميز الحضارة الإسلامية انها رسالة إنسانية مُتفتحة غير مُنغلقة أو عنصرية بل ان روح التسامح منهجًا لا يكره الناس على اعتناق الإسلام، قال: "﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**"[٤٧]. فالإسلام جاء هداية لِلعرب ولُيبعد عنهم كُلّ ما لا يُلائم الروح الإنسانية[٤٨]. كما قلل الإسلام الفوارق الطبقية بين الناس عندما فرض الزكاة وتطهير النفوس وخاصة الأغنياء وقوى أواصر الأُلفة والتعاطف والتراحم بين الأغنياء والفُقراء، قال تعالى: "﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**"[٤٩]

الله اختار الإنسان مِنْ بين سائر مخلوقاته لِيكون خليفة في الأرض؛ لأن الإنسان لديه طاقة عقلية وحسية تجعله قادرًا على الإستفادة مِما خلقه الله في السماوات والأرض، قال تعالى: "﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾"[٥٠]. إستجاب الإسلام لِلفكر الإنساني؛ وذلك لأن الدين الإسلامي دينًا عمليًا وعِلميًا[٥١]. واحترام الإسلام الإنسان وكرامته، قال تعالى: "﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾"[٥٢]. وقوله تعالى: "﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾"[٥٣].

إحترم المُسلمون الشرائع السماوية الأُخرى ولم يتعرضوا لِديانات الأقطار الّتي حكموها بل منحوهم الحرية الكاملة في مُمارسة طقوسهم وهُم تحت حمايتهم ولم يتصدوا لهم مُقابل دفع الجزية[٥٤]، الّتي أُعفي مِنْها النساء والشيوخ والأطفال مُقابل ذلك على المُسلمين القتال ودفع الزكاة والصدقات حتى أصبح تصرفهم هذا مثار إعجاب الشعوب الأُخرى الّتي لم ترّ مِنْ حُكامها آنذاك إلّا الظُلم والطُغيان[٥٥]، فقد حافظ النصارى على كنائسهم وأديرتهم الّتي صولحوا عليها بل تمكنوا مِنْ بناء كنائس جديدة بدون مُعارضة[٥٦]. وخير دليل على تسامح العرب نص العهد الذي أعطاه الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٣ م) سنة ٢٥ هـ / ٦٣٦ م لأهل بيت المقدس والّذي نص فيه على ضرورة المُحافظة على أموال وكنائس وصلبان هؤلاء سواء أكان مِنْها الجيد أو الرديء وعدم إكراههم على دينهم[٥٧].

وبين لنا دكتور عطا صورة مِنْ صور تسامح العرب وذلك مِنْ خلال التأثر بِالحضارة الإسلامية فبفضل الإحتكاك الحضاري بين المُسلمين والصليبيين ذات الطباع الخشنة والتصرفات الّتي كانت مثار لِلسُخرية فقد تأثروا بِالحضارات الإسلامية وتعلموا لين الطباع وحسن المُعاملة ورقة العواطف والإبتعاد عن التطرف والنزعة إلى التفاهم والمرونة والسلم[٥٨].

ويتم الإتصال الحضاري عن طريق الهجرة والسياحة والجوار والتجارة أو عن طريق الفتوح والغزوات أو الحكم الأجنبي وخير دليل على ذلك أثناء غزو مصر مِنْ قِبل الهكسوس[٥٩]، حيث استخدموا الشدة والعنف ضد المصريين لكنهم ما ان جرفتهم الحضارة المصرية فتمصروا وسموا أنفسهم (أبناء رَع) وقلدوا الفراعنة بعاداتهم وتقاليدهم وقدموا القرابين للآلهة المصرية[٦٠]، وإدعى بعض أقوام العجم العروبة وأنكروا نسبهم الأعجمي؛ وذلك لِلمكانة العالمية الّتي تمتع بِها العرب[٦١]. وما عرف عن قريش مِنْ عِلمهم وفضلهم فسموا في الجاهلية بِالعالمية[٦٢]، وعندما نقول الحضارة العربية حضارة إنسانية نعني بِكونها مُلائمة لِفطرة الإنسان وخصائصه المُتعددة الّتي ينفرد بِها دون سائر المخلوقات ومُسايرة لِتطلعاته ومُلبية لِحاجاته[٦٣]. ضمت أجناسًا مُختلفة بين جناحيها الّذين كان لهم دور في التقدم العِلمي والفني والأدبي في الحضارة الإسلامية[٦٤]. إذن فالحضارة العربية الإسلامية هي تراث ضخم ساهمت أُمم وأجناس مُختلفة جمعًها ووحّد بينهما الإسلام وجعل مِنْها مُجتمعًا صالحًا[٦٥].

قامت حضارتنا على القيّم الروحية والأخلاق والمثل العُليا الناشئة مِنْ تعاليم الإسلام الّتي تنظر إلى الإنسان مِنْ كون إنسانيته المُقدسة[٦٦]. الله جل علاه لم يخلق الإنسان في هذه الحياة الدُنيا عبثًا قال

تعالى: "﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾"[٦٧]. بل جعل له أهدافًا ليسعى مِنْ أجل تحقيقها وبِشتى الطرق، قال تعالى: "﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾"[٦٨].

للإسلام الّذي هو دين الدولة واللُّغة العربية دور بارز عندما آخى بين سكان الشرق الادنى وقسم مِنْ أفريقيا الّذين كانوا مُنفصلين عن الحضارة الأوربية فالعرب لم يكُن هم الوحيدين الّذين ابتكروا الحضارة الإسلامية[٦٩]، الّتي نجد فيها الحقّ وحُب الخير وبعض القيم الصحيحة الّتي زرعها الأنبياء والمُرسلين الّذين جاءوا عبر التأريخ الإنساني وزرعوا المبادئ الدينية في المُجتمع؛ لأن رحمة الله بالإنسان لم تخص جماعة دون أُخرى كقوله تعالى: "﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾"[٧٠].

وصل العرب بِفضل الإسلام إلى الوعي الثقافي وعن طريق الحوار الحضاري تفاعلوا مع الشعوب الأُخرى وحضاراتها فأخذوا مِنْها وأضافوا إليها ما عندهم مِنْ إرث وتراكم حضاري وكونوا الحضارة الإسلامية تلك الحضارة الّتي أضاءت الحياة وأخذ مِنْها التسامح والثقافة والّتي عدت إنموذجًا لِلعلم آنذاك[٧١].

بين دكتور عطا ما لِلحوار الحضاري مِنْ دور في نقل العادات والأفكار والعلوم إلى أماكن مُختلفة عبر التأريخ والّذي أدى إلى بروز دول بلغت درجة مِنْ النهوض العِلمي ورسخت حضارتها كالحضارات العراقية القديمة والمصرية وبلاد اليمن السعيدة[٧٢]، وان نقل العلوم العربية إلى أوربا بِفضل الحوار الحضاري ذلك هو الإرث الحضاري الإسلامي[٧٣]، وإقبال أعداد مِنْ طلبة العِلم في أوربا لِيقصدوا أُستاذًا في مكّة أو بغداد ويعود سبب ذلك لِحسن سيرة المُسلمين ومركزهم الحضاري[٧٤]. اعترف (مونتغمري) الباحث الأوربي بأفضلية العرب المُسلمين ودورهم مِنْ أجل الإنسانية حين قال: "انهم كانوا يستقبلوا في كُلّ مكان يصلون إليه كمُحررين لِلشعوب مِنْ العبودية؛ وذلك لِما اتسموا به مِنْ تسامح.. وإنسانية.. وحضارة.. فزاد إيمان الشعوب بِهم علاوة على تميزهم في نفس الوقت بِالصلابة والشجاعة في القتال"[٧٥].

وأخيرًا علل دكتور عطا اختيار العرب لِحمل الرسالة بِكونهم أهل لها وهُم أكثر الشعوب إستعدادًا لِتقديم التضحيات وأكثرهم عطاءاً وصلاحًا لِتقبل المبادئ الإنسانية وإيصالها إلى البشرية[٧٦].

الخاتمة

توصل عطا سلمان جاسم إلى أن التاريخ شهد قيام حضارة إسلامية زاهية اثبتت وجودها أمام الحضارات الأخرى والتي استمدت مقوماتها من الحضارات المجاورة بالدرجة الاولى والتي سبقتها في المجالات العلمية والإنسانية وعدت الثقافة السمحاء من اهم مقومات الثقافة في الحضارة الإسلامية التي هذبها الإسلامية واصبحت محط إعجاب من شعوب الأمم الأخرى.

الهوامش

[١] إبن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ص ١٩٦.

[٢] الرازي، مُختار الصحاح، ص ٧٧؛ إبن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ص ١٩٧.

[٣] إبن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ص ١٩٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المُحيط، ص٣٧٦.

[٤] إبن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ص ١٩٧.

[٥] المُقدمة، ص ٣٧٢.

[٦] جاسم، حوار الحضارات، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ، ص ١٦٨.

[٧] جاسم، مُصطلحات خاطئة، ص ٣.

[٨] مُقابلة شخصية بِتأريخ ٢٠٢٢/١/١ م الساعة الثامنة مساءً.

[٩] المائدة / آية ٤٨.

[١٠] البقرة / آية ٦٢.

[١١] المائدة / آية ٦٩.

[١٢] الحج / آية ١٧.

[١٣] جاسم، مُصطلحات خاطئة، ص ٥.

[١٤] آل عمران / آية ٦٧.

[١٥] يوسف / آية ١٠١.

[١٦] البقرة / آية ١٣٣.

[١٧] البقرة / آية ١٣٦.

[١٨] جاسم، مُصطلحات خاطئة، ص ٦.

[١٩] المائدة / آية ٤٤.

[٢٠] جاسم، مُصطلحات خاطئة، ص ٦.

[٢١] جاسم، المرجع نفسه، ص ٥.

[٢٢] الفتح / آية ٢٦.

[٢٣] مُقابلة شخصية بِتأريخ ٢٠٢٢/١/٢٣ م الساعة التاسعة مساءً.

[٢٤] الأنبياء / آية ١٠٧.

[٢٥] النساء / آية ٧٩.

[٢٦] سبأ / آية ٢٨.

[٢٧] أبو خليل، الحضارة العربية، ص ١٤.

[٢٨] آل عمران / آية ١١٠.

[٢٩] جاسم، الاستنفار لِلجهاد، ص ١٤١.

[٣٠] الإنسان / آية ٢.

[٣١] جاسم، الاستنفار لِلجهاد، ص ١٢٧.

[٣٢] البيهقي، السنن الكُبرى، ج ١٠ / ص ٣٢٣.

[٣٣] إبن خلدون، المُقدمة، ص ١٧٢؛ جاسم، حوار الحضارات، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ،ص ١٥٧ – ١٥٨.

[٣٤] الطبري، تأريخ الطبري، ج ١/ ص ٣١٤.

[٣٥] جاسم، الاستنفار لِلجهاد، ص ١٤٢.

[٣٦] الأعراف / آية ١٤٠.

[٣٧] منها اباحتهم للزواج مِنْ الأخوات والأُم والبنت فقد تزوج ارد شير بهمن مِنْ إبنته خماني الطبري، تأريخ الطبري، ج ١/ ص ٥٦٨ – ٥٧٠، في حين ان العرب لم يعرفوا الزواج مِنْ البنت والأخت وعندهم الجمع بين الأختين مِنْ الأعمال القبيحة ويعيبون مِنْ يتزوج بإمرأة ابيه ويسمونه الضيزن (نكاح المقت) الزبيري، نسب قريش، ص ٩٩؛ البيهقي، السنن الكُبرى، ج ٧ / ص ٢٦١ – ٢٦٢؛ الآلوسي، روح المعاني، ج ٤ / ص ٢٤٥؛ علي، المفصل في تأريخ العرب، ج ٥ / ص ٥٣٤.

[٣٨] جاسم، الإستنفار لِلجهاد، ص ١٤٣ – ١٤٤.

[٣٩] الزمر / آية ٣.

(٤٠) العنكبوت / آية ٦١.

(٤١) لقمان / آية ٢٥.

(٤٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١/ ص ١٨٣ – ١٨٤؛ جاسم، الاستنفار لِلجهاد، ص١٤٢.

(٤٣) محمد، في تأريخ الحضارة، ص ١١.

(٤٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١/ ص ١٨٤–١٨٥.

(٤٥) آل عمران / آية ١١٠.

(٤٦) آل عمران / آية ١٠٤.

(٤٧) البقرة / آية ٢٥٦.

(٤٨) جاسم، الإستنفار لِلجهاد، ص ١٤٤.

(٤٩) التوبة / آية ١٠٣.

(٥٠) البقرة / آية ٣٠.

(٥١) جاسم، الإستنفار لِلجهاد، ص ١١٢.

(٥٢) الإسراء / آية ٧٠.

(٥٣) التين / آية ٤.

(٥٤) **الجزية**:– ضريبة سنوية تُفرض على غير المُسلمين (أهل الذمة). إبي عبيدة، الأموال، ص١٢٣.

(٥٥) جاسم، الإستنفار لِلجهاد، ص ١٥١.

(٥٦) بارتولد، تأريخ الحضارة، ص ٤٠.

(٥٧) الطبري، تأريخ الطبري، ج ٣ / ص ٦٠٩.

(٥٨) جاسم، حوار الحضارات، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ،ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٥٩) **الهكسوس**:– هم هجرات بشرية غزت مصر في بداية الألف الثاني قبل الميلاد ولِمُدة ستة قرون وهم مِنْ أصل سامي استولوا على الحكم في مصر (شمال البلاد) جاؤوا مِنْ بلاد العرب بِسبب القحط الّذي أصابهم. سعد الله، تأريخ مصر، ص ٢٣٢؛ علي؛ المفصل في تأريخ العرب، ج ١/ ص ٢٣٦؛ ماسبيرو، تأريخ المشرق، ص ٣٧.

(٦٠) أبو خليل، الحضارة العربية، ص ٢٥.

(٦١) جاسم، الاستنفار لِلجهاد، ١٥٥.

(٦٢) العسكري، الأوائل، ص ٦٥.

(٦٣) الهاشمي وشنقارو، الحضارة العربية، ص ٥.

(٦٤) عويس، الحضارة الإسلامية، ص ٢٠.

(٦٥) الهاشمي وشنقارو، الحضارة العربية، ص ٥.

(٦٦) أبو خليل، الحضارة العربية، ص ١٤.

(٦٧) المؤمنون / آية ١١٥.

(٦٨) الذاريات / آية ٥٦.

(٦٩) بارتولد، تأريخ الحضارة، ص ٢٧.

(٧٠) فاطر / آية ٢٤.

(٧١) جاسم، حوار الحضارات، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ، ص ١٥٨.

(٧٢) جاسم، حوار الحضارات، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ،ص ١٥٦.

(٧٣) جاسم، المرجع نفسه، ص ١٦٧.

(٧٤) جاسم، المرجع نفسه، ص ١٥٦.

(٧٥) الحرب عبر التأريخ، ج ٢/ ص ١٨٩؛ جاسم، الإستنفار لِلجهاد، ص ١٥٧.

(٧٦) جاسم، الإستنفار لِلجهاد، ٣٤٣.

قائمة المصادر والمراجع

اولا : القرآن الكريم:

ثانيا : المصادر والمراجع:

- الألوسي، ابي الفضل شهاب الدين السيد محمد(ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٧٣م)

١-روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: محمود شكري الألوسي البغدادي، دار أحياء التراث العربي(بيروت، د. ت).

- البيهقي، احمد بن الحسين بن علي الخسروجردي(ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م).

٢-السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٨م)

٣-مقدمة ابن خلدون، ط٣، (بيروت-١٩٩٠م).

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(تبعد٦٦٦هـ/بعد١٢٦٨م).

٤-مختار الصحاح، ط٩، دار عمار(الاردن-١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

- الزبيدي، المصعب بن عبد الله بن المصعب(ت٢٣٦هة٨٥٠م)

٥-نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، (القاهرة-د. ت).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٣٨م)

٦-تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: ابو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف(القاهرة-١٩٦٠م).

- ابو عبيدة، القاسم بن سلام(٢٢٤هـ/٨٣٩م).

٧-الاموال،تحقيق :محمد عمارة، ط١، دار الشروق، (بيروت-١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

- العسكري، ابي الهلال الحسن بن عبدالله بن سهل(ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

٨- الأوائل، تحقيق : محمود السيد الوكيل، ط١، دار البشير(المنصورة - ١٤٩٨/١٩٨٧م)

- الفيروزابادي،مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م).

٩-القاموس المحيط، تحقيق :محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة(بيروت-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

- القلقشندي، ابي العباس احمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).

١٠- صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت-د. ت).

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي(ت٧١٢هـ/١٣١١م).

١١- لسان العرب، دار صادر، (بيروت-د. ت).

- بارتولد، فاسيلي فلاديمير

١٢- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة:حمزة طاهر، ط١، عين الدراسات والبحوث الاسلامية(الجيزة-١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

- جاسم، عطا سلمان

١٣- مصطلحات خاطئة، بحث غير منشور

١٤-مقابلة شخصية في بيت الدكتور عطا جاسم يوم السبت ٢٠٢٢/١/١ الساعة الثامنة مساءا

١٥- مقابلة شخصية في بيت الدكتور عطا سلمان جاسم يوم الأحد ٢٠٢٢/١/٢٣ الساعة التاسعة مساءً

١٦-الاستنفار للجهاد في الدولة العربية الاسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، اطروحة دكتوراة غير منشورة جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٧- دراسات في تاريخ الحضارة، ط١، دار الكتب الوثائق،)بغداد-٢٠١٦م).

- ابو خليل، شوقي

١٨- الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر(دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

- سعدالله، محمد علي

١٩- تاريخ مصر القديمة، جامعة الزقازيق، مركز الإسكندرية، (مصر-٢٠٠١م).

- على، جواد

٢٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد-١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

- عويس، عبد الحليم

٢١- الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وافاق المستقبل، ط١، دار الصحوة، (القاهرة- ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

- ماسبيرو، غوستاف

٢٢- تاريخ المشرق، ترجمة:أحمد زكي، مؤسسة هنداوي، (مصر-د. ت).

- محمد، نبيلة حسن

٢٣- في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، (د. ت-د. م).

- مونتجمري، الفيلد مارشال فيكونت.

٢٤- الحرب عبر التاريخ، ترجمة: فتحي عبد الله النصر، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة- ١٩٧١م).

- الهاشميو شنقاور، رحيم كاظم محمد و عواطف محمد العربي.

٢٥- الحضارة العربية الإسلامية(دراسة في تاريخ النظم)، الدار المصرية اللبنانية،(د. م-د. ت).

قراءة جديدة في ثورة المختار الثقفي

A new reading in the revolution of Al-Mukhtar Al-Thaqafi

الباحثة: سندس جواد كاظم جودة
مديرية تربية واسط

ا.م.د شمخي يابر عويد
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

Abstract .

The subject of the image of the chosen Thaqafi in the book full in history of Ibn al-Atheer of great importance in political and military terms at that time, where the chosen cultural focus of attention and controversy of public opinion; And Hamla bin Kahil and Shammar bin Dhul-Jushan and others and took control of the rule in Kufa after much suffering and raised the slogan (O Tharat Hussein).

الملخص:

يشغل موضوع صورة المختار الثقفي في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير حيزاً مهماً لدوره الكبير من الناحية السياسية والعسكرية في ذلك الوقت، حيث كان المختار الثقفي محط أنظار وجدال للرأي العام؛ فكان المختار الثقفي من الشخصيات الإسلامية المهمة التي أخذت صداها على المستوى الإسلامي، والمستوى العسكري، والمستوى الاجتماعي، فكان قائداً عسكرياً طالباً بدم الحسين بن علي (عليه السلام)، وقتل جميع من قتله ممن كان بالكوفة وغيرها أمثال عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وحرملة بن كاهل وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم وسيطر على الحكم بالكوفة بعد المعاناة الكثيرة ورفع شعار (يا لثارات الحسين).

كلمات مفتاحية: **(المختار، الأمويون، الكوفة، ثارات الحسين، ابن الزبير)**

المقدمة:

كان للمختار الثقفي الدور الكبير والبارز في الاحداث التي دارت في الكوفة، وقد تم سجنه بعد استشهاد مسلم بن عقيل من قبل عبيد الله بن زياد لكن بعد ذلك تم الافراج فقرر الخرج من العراق الى الحجاز حيث كان عبدالله بن الزبير يقود حركة معارضة ضد الدولة الأموية وقنع المختار بأن يكون وزير ابن الزبير وأعلن نبذه لطاعة الأمويين وكان داعياً من دعاة الإمام الحسين يريد أن يأخذ بثأره من قتلته، وكانت علاقته مع ابن الزبير في مكة علاقة حذرة يشوبها الشك فلم يكن يثق أحداهما بالآخر ، وكان المختار يأمل أن يوليه ابن الزبير الكوفة، لكنه بعد أن عرف ابن الزبير عن قرب قرر العودة الى الكوفة، وبعد عودته تمكن من السيطرة على الحكم فيها، وفي اثناء وجوده فيها حاول يقوي نفوذه ، ولم يكن يرضي وجوده في الكوفة آل الزبير الذين اعتبروا وجوده في الكوفة خطرا يهدد خلافتهم المزعومة التي حاولوا اقامتها في مكة، فأخذوا يعملون جاهدين للأطاحة بحكمه عن طريق انصارهم، ثم أن المختار استطاع بما يملك من ذكاء ودهاء أن يكبح جماحهم ويوقف خطرهم لفتره محدودة، لكنهم مع ذلك استمروا في محاولات انهاء حكمه، وكان عليه أن يواجه الامويين الذين استطاع تحقيق النصر في معركة الخازر، لكنه مع ذلك استمر محاصراً من اعدائه الزبيريين والامويين، وسوف نحاول ان نبين في هذه الدراسة أن

نبين علاقة المختار الثقفي بآل الزبير وسياسة حكمه في الكوفة التي سيطر عليها بعد عودته لها.

أولاً: علاقته بعبدالله بن الزبير والتحاقه به:

خرج المختار من العراق الى الحجاز حيث كان عبدالله بن الزبير يقود حركة معارضة ضد الدولة الأموية وقنع المختار أن يكون وزير ابن الزبير وأن يتناسى أطماعه وآماله في أن يصبح الرجل الأول؛ قانعاً بأن يلعب الدور الثاني في الأحداث السياسية في الدولة العربية الإسلامية. وكان موقف ابن الزبير من كل من الخليفة الأموي يزيد بن معاوية والحسين بن علي أثره في موقف المختار من ابن الزبير، فقد أعلن المختار نبذه لطاعة الأمويين من جهة، كما كان داعياً من دعاة الحسين بالعراق وأن أن يأخذ بثأره من قتلته، وكانت علاقته مع ابن الزبير علاقة حذرة يشوبها الشك. إذ أن ابن الزبير بعد خروجه من المدينة وعدم بيعته خرج الى مكة واستقر فيها، فوجد فيها الطمأنينة وحاول أن يكسب عطف المسلمين وتأييدهم حينما قال لهم: " أنا عائذ البيت"[١] ، ولكن والي المدينة الجديد عمرو بن سعيد بن العاص الذي خلف الوليد الذي عزله يزيد لتعاونه مع الإمام الحسين (عليه السلام) وابن الزبير شن حرباً شعواء على ابن الزبير فولى على شرطته عمرو بن الزبير الذي كان يحقد على أخيه عبدالله بن الزبير فتتبع أنصاره في كل مكان، وكان من بينهم أخيه المنذر بن الزبير وولده محمد، ورأي ابن الزبير فتتبع أنصاره في كل مكان وكان من بينهم أخيه المنذر بن الزبير وولده محمد، ورأى ابن الزبير التفاف المسلمين حول الحسين والذي نجح في تحريك عاطفتهم الدينية وأخذ استغلالها لتحقيق مطامعه السياسية، ورأى أن يجد طريقاً آخر غير طريق القرابة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يحرك به عاطفة المسلمين الدينية لعل ذلك يساعده في تنفيذ سياسته، فما كان منه إلا أن لاذ بالكعبة وسمى نفسه (العائذ بالبيت) وقام يصلي بجوار الكعبة ليلاً ونهاراً يطيل السجود ويكثر من التسبيح فأحبه المسلمون وأعجبوا بصلاحه وتقواه، وشعر ابن الزبير بعظم مركز الحسين وتفوقه عليه[٢] .

وقد صور المؤرخ ابن كثير الموقف تصويراً بليغاً بقوله: " وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز فاشتهر أمره وبعد صيته ومع هذا كله ليس هو معظماً عند الناس مثل الحسين بل إنما ميلهم الى الحسين لأنه السيد الكبير وابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه"[٣] ، ثم أنه لما بلغه قتل الإمام الحسين (عليه السلام) قام في الناس خطيباً فقال: "إن اهل العراق غدرة فجرة إلا قليلاً وأن أهل الكوفة شرار أهل العراق وأنهم دعوا الحسين لينصروه ويولوه عليهم ثاروا عليه فقالوا: إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك الى ابن زياد بن سمي فيمضي فيك حكمه"[٤].

ثانياً: عودته من مكة الى الكوفة:

أصبحت الكوفة تابعة لابن الزبير إذ أن أهل الكوفة أخرجوا عمر بن حريث[٥] الذي أصبح والياً على الكوفة وبايعوا لابن الزبير، فبعد مضي ستة أشهر من هلاك يزيد بن معاوية عين ابن الزبير عبدالله بن يزيد الأنصاري[٦] والياً على الكوفة وعين ابراهيم بن محمد بن طلحة على خراجها[٧] .

ويذكر ابن الأثير تزامن وصول المختار مع وصول عبدالله بن يزيد[٨] ، وتجدر الإشارة هنا الى أن الكوفة قد ظهرت فيها حركة التوابين الذين أظهروا الندم بعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فاجتمعوا

الى خمسة نفر من رؤساء الشيعة وهم سليمان بن صرد الخزاعي[٩] والمسيب بن نجبة الغزاري[١٠] وكان أحد أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وعبدالله بن سعد بن نفيل[١١] وعبدالله بن وال[١٢] ورفاعة بن شداد[١٣] ، واجتمعوا جميعاً في منزل سليمان بن صرد الخزاعي وبعد مخاطبات ومناقشات أوكلوا أمرهم الى سليمان بن صرد الخزاعي فأصبح قائد حركة التوابين في الكوفة، وأخذ يرسل المكاتبات ويجمع الشيعة حوله من أجل المطالبة بدم الحسين (عليه السلام)[١٤] .

أما المختار فعندما وصل الى الكوفة اغتسل ولبس ثيابه ثم ركب فمر بمسجد السكون وجبانة كندة[١٥] ، فكان لا يمر بمجلس إلا سلم على أهله وقال: " أبشروا بالنصرة والفلج أتاكم ما تحبون " ومر ببني بدء فلقيه عبيدة بن عمرو البدي[١٦] أحد رجال كندة، فسلم عليه وقال له: " أبشر بالنصر والفلج إنك أبا عمر وعلى رأي حسن لن يدع الله لك معه اثماً إلا غفره لك ولا ذنباً إلا ستره " ، وكان عبيدة يعد من أشجع الناس وأشعرهم ومن أشدهم تشيعاً وحباً للإمام علي (عليه السلام)، ولكنه كان لا يصبر عن الشراب فقال له: " بشرك الله بالخير فهل أنت مبين لنا؟ قال: نعم ألقني الليلة "، ثم مر ببني هند فلقيه اسماعيل بن كثير فرحب به وقال له: " ألقني أنت وأخوك الليلة فقد أتيتكم بما تحبون" ، ومر كذلك على حلقة من همدان فقال: " قد قدمت عليكم بما يسركم "، ثم أتى المسجد واستشرف به الناس، فقام الى سارية موجودة فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة وصلى مع الناس ثم صلى ما بين الجمعة والعصر، ثم بعد ذلك انصرف الى داره واختلفت اليه الشيعة، وأتى اليه اسماعيل بن كثير مع أخوه وعبيد بن عمرو فسألهم فأخبروه[١٧] خبر سليمان بن صرد، فصعد المنبر وحمد الله ثم قال: " إن المهدي ابن الوصي بعثني اليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فكونوا أو خلق الله اجابة[١٨] .

ثالثاً: موقف المختار من ولاة آل الزبير:

كان زبانية الحكم الذين اشتركوا في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وانتقل ولائهم الى الأمويين يتوجسون من المختار ويخشونه أكثر من سليمان وأصحابه الذين خرجوا الى عين الوردة، فأخذوا يحرضون على اعتقاله ومن ذلك ما يذكره ابن الأثير بأن عمرو بن سعد وشبث بن ربعي وغيهم أنهم قالوا: المختار أشد عليكم من سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم وأن المختار يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا اليه فأوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس[١٩] . فأشاروا على عبدالله بن يزيد أن يجمع الشرطة وينهض اليه[٢٠] ، فأتوه فلما رآهم قال : " ما لكم فوالله ما ظفرت أكفكم "، فقال: " يظهر لنا غدره إنما أخذناه على الظن. فقال ابراهيم: ليس هذا بعشك فادرجي، ما هذا الذي بلغنا عنك يا ابن أبي عبيد؟ فقال: ما بلغك عني إلا باطل وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك "[٢١] ، ثم حمل الى السجن.

وفي أثناء سجنه كان يقول في السجن: " أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهامة القفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار في جموع من الأنصار ليسوا بميل ولا أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمت عمود الدين وزايلت صدع المسلمين وأدركت ثأر النبيين لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذ أتى"[٢٢]، ثم أنه لما قتل سليمان بن صرد وجد من بقي من أصحابه بعد عودتهم للكوفة أن عبدالله بن يزيد وابراهيم بن محمد قد حبسا المختار فكتب

اليهم يمنيهم النصر والظفر ويعرفهم أنه هو من كتب اليه محمد بن الحنفية وهو الطالب بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، فاطلع على كتابه رفاعة بن شداد ومعه مجموعة من أصحابه، فبعثوا اليه عبدالله بن كامل قائلين له : " إننا بحيث سرك فإن شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس[٢٣] فعلنا، فقال لهم: إن أخرج في أيامي هذه."[٢٤]

ويذكر ابن الأثير أنه راسل ابن عمر يخبره بما جرى له قائلاً: " إنني قد حبست ظلماً " ، ويطلب اليه أن يشفع فيه الى عبدالله بن يزيد وابراهيم بن طلحة[٢٥] ، فكتب اليهم ابن عمر فأخرجاه من السجن بعد أن ضمناه وحلفاه أن لا يبقيهما غائلة ولا يخرج عليها ما كان لهما سلطان فإن فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه أحرار ذكرهم وأنثاهم، فلما خرج من السجن الى داره أخبر بمن يثق بهم من أصحابه قائلاً: " قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم، أما حلفي بالله إذا حلفت على يمين فرأيت خيراً منها اكفر عن يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم، واما هدى الف بدنة فهو اهون علي من بصقة واما عتق مماليكي فوالله لوددت انه تم لي امري ثم لم املك مملوكا ابداً "[٢٦] .

الاستنتاجات:

١. كان للمختار الثقفي الدور البارز والواضح من ولاة آل الزبير.
٢. تم القبض عليه وسجنه في حينها ثم أطلق سراحه.
٣. تمكن من السيطرة على الكوفة بالكامل.
٤. كانت علاقته بعبدالله بن الزبير علاقة واضحة.

الهوامش

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨ / ص ٢٤٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٤ / ص ٨.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨ / ص ١٥٠.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣ / ص ١٩٩.
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ / ص ص ١٧١ – ١٧٣.
(٦) البخاري، التاريخ الكبير، ج٥ / ١٢.
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣ / ص ٢٥٢.
(٨) المصدر نفسه، ج٣ / ص ٢٥٣.
(٩) البغوي، معجم الصحابة، ج٣ / ص ١٥٦.
(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦ / ص ٢١٦.
(١١) الزركلي، أعلام، ج٤ / ص ٨٩.
(١٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢ / ص ٥٩٨.
(١٣) المنري، تهذيب الكمال، ج٩ / ص ٢٠٧.
(١٤) النويري، نهاية الارب، ج٢٠ / ص ٥٢٩.
(١٥) الحموي، معجم البلدان، ج٢ / ص ٩٩.
(١٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ / ص ٥١٦.
(١٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣ / ص ٢٥٩.
(١٨) المصدر نفسه والصفحة.

([١٩]) المصدر نفسه، ج٣ / ص ٢٥٩.

([٢٠]) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢ / ص ١١.

([٢١]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ج٣ / ص ٢٥٩.

([٢٢]) المصدر نفسه، ج٣ / ص ٢٦٠.

([٢٣]) المصدر نفسه، ج٣ / ص ٢٩٠.

([٢٤]) المصدر نفسه، ج٣ / ص ٢٩١.

([٢٥]) المصدر نفسه والصفحة.

([٢٦]) المصدر نفسه، ج٣ / ص ٢٩٢.

المصادر والمراجع:

١. البغوي، معجم الصحابة، المؤلف القاسم بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المزربان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت ٣١٧هـ).

٢. المنري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف جمال الدين أبو الحجاج يوسف المنري (٦٥٤هـ – ٧٤٢هـ)، د. بشار عواد معروف.

*** مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه أبو علي (ت٣٢٠هـ – ٤٢١هـ).**

٣. تجارب الأمم، للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين.

٤. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، الناشر دار الكتب العلمية ٢٧١٢ – ٥٠٨٥.

*** النويري: وهو شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد النويري نسبة الى قرية النويرة بمحافظة بني سويف.**

٥. نهاية الارب في فنون الأدب، المؤلف احمد بن عبدالوهاب، الناشر دار الكتب العلمية، الصفحات ٩٤٣٣.

*** ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).**

٦. الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبدالسلام التدمري، ط ، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

*** الذهبي (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).**

٧. الطبقات الكبرى: تحقيق احسان عباس ، ط١، دار صادر – بيروت ١٩٨٦م.

سيرة المختار الثقفي وعلاقته بأئمة أهل البيت (عليهم السلام)

Biography of Al-Mukhtar Al-Thaqafi and his relationship with the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them)

الباحثة: سندس جواد كاظم جودة
مديرية تربية محافظة واسط

ا.م.د شمخي يابر عويد
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

Abstract .

The subject of (The Image of Al-Mukhtar Al-Thaqafi in the book Al-Kamil fi Al-Tareekh by Ibn Al-Atheer 630H / 1233A.D.) One of the most important topics that have taken resonance throughout Islamic history, so we found justification to address such a title to clarify some of the opinions that were put forward about the personality of the Mukhtar Al-Thaqafi, and his political and military role in Kufa in order to take revenge on Imam Hussein, peace be upon him, and carry him with banners, O Tharat Al-Hussein, and what prompted us to do so is our personal desire to delve deeply into the image of Al-Mukhtar Al-Thaqafi in Ibn Al-Atheer's complete book, as it was an incentive for us to write on this subject. Because of its importance because it contains valuable information on the religious side, it is a subject that represents a new study of an important stage of Islamic history.

الملخص:

يعد موضوع البحث عن أصل المختار الثقفي وعلاقته بأهل البيت (عليهم السلام) من أهم الموضوعات التي أخذت صداها على مدى التأريخ الإسلامي لكونه شخصية تاريخية جدلية، لذا وجدنا مبرراً لتناول هكذا عنوان لإيضاح بعض الآراء التي طرحت حول شخصية المختار الثقفي، ودوره السياسي والعسكري في الكوفة وطبيعة علاقته بأهل البيت عليهم السلام وثورته، من أجل أخذه بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، وحمله برايات يا لثارات الحسين، ومما حثنا على ذلك رغبتنا الشخصية في أن نخوض وبعمق عن شخصية المختار، حيث كان حافزاً لنا للكتابة في هذا الموضوع. لما له من أهمية لاحتوائه على معلومات قيمة في الجانب الديني، فهو موضوع يمثل دراسة جديدة لمرحلة مهمة من مراحل التاريخ الإسلامي والبحث في شخصية المختار التي كانت على طول حقب التاريخ الإسلامي شخصية جدلية ومحط خلاف بين المؤرخين .

كلمات مفتاحية: (المختار، أهل البيت، ثارات الحسين، قبيلة ثقيف، الكوفة)

المقدمة:

يعد المختار الثقفي من الشخصيات المهمة التي دوراً من الناحية السياسية والعسكرية في تاريخ الدولة العربية الإسلامية في ذلك الوقت؛ إذ من الشخصيات الإسلامية المهمة التي أخذت صداها على المستوى الإسلامي، والمستوى العسكري، والمستوى الاجتماعي. فكان قائداً عسكرياً ثار مطالباً بدم الحسين بن علي (عليه السلام) وقتل جميع من قتله ممن كان بالكوفة وغيرها أمثال عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وحرملة بن كاهل وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم، وسيطر على الحكم بالكوفة بعد المعاناة

الكثيرة، ورفع شعار (يا لثارات الحسين)، وقبل ذلك ربطته علاقات بأهل البيت عليهم السلام منذ صباه وسنحاول في هذا البحث أن نبين اصله ونسبه وعلاقته بأهل البيت (عليهم السلام)، وقد تعرض المختار لكثير من التشويه من قبل المؤرخين والصق بعضهم فيه الكثير من التهم وهي تهم روجها ضده اعدائه من الزبيريين والأمويين، وقد صاغوا ضده الكثير من الروايات التي تثير الشك حول علاقته بأهل البيت (عليهم السلام)، والذي يبحث عن شخصية المختار يحتاج الى بصيرة من أجل الوصول الى الحقيقة، وعليه سنتناول في هذه الدراسة اصل المختار ونسبه وصفاته وطبيعة علاقته بأهل البيت (عليهم السلام).

أولاً: ولادته وأهله وأصله ونسبه:

إن السنة التي ولد فيها المختار الثقفي غير مؤكدة، فمن خلال ابن الأثير وهو يتحدث عن الذين ولدو في السنة الأولى للهجرة ذكر ولادته بقوله: "**إن المختار الثقفي بن أبي عبيد ولد فيها**"[١] . وأكد بعض المؤرخين سنة ولادته وبأنه ولد في السنة الأولى من الهجرة[٢]، ولم يذكر ابن الأثير تفصيلات عن نسبه وقد ذكره فقط والده قائلاً: "**أبو عبيد بن مسعود الثقفي والد المختار**"[٣]، لكنه في كتابة أسد الغابة ذكر تفصيلات عن نسبه قائلاً: "**مختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمر بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي أبو اسحاق**"[٤]، ويذكر أن جده مسعوداً هو عظيم القريتين[٥]، انتقل من الطائف الى المدينة مع أبيه في زمن عمر وتوجه أبوه الى العراق فاستشهد يوم الجسر وبقي المختار في المدينة منقطعاً الى بني هاشم[٦]، وهذه أول صله له ببني هاشم ؛ إذ أصبحت له علاقة خاصة بهم منذ نعومة أظافره وذكر البلاذري أن المختار الثقفي نشأ في أسرة عريقة، فوالده أبو عبيد بن مسعود بن عمر بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس وهو ثقيف بن منسة بن بكر بن هوزان[٧] . وأمه دوقة بنت عمر بن وهب بن معتب[٨]، وكانت من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل[٩]، وكان مولد المختار في[١٠] عام (١هـ / ٦٢٢م) في الطائف[١١]، وأما والد المختار فقد اعتنق الإسلام وأخلص له وأصبح من أبرز المجاهدين في سبيل نشر الإسلام، وأيضاً كان قائداً من قادة الجيوش الإسلامية التي توجهت لفتح العراق في مطلع خلافة عمر بن الخطاب ومات في ساحة القتال شهيداً من أجل رفعة شأن الإسلام[١٢]، وذكر الطبري نسبه فقال: "**هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عوف بن عقدة بن قيس بن بكر بن هوزان**[١٣]**، وقبيلته قيس وثقيف التي تعتبر من القبائل العربية المشهورة في الطائف**[١٤]**، فالمختار هو ابن أبي عبيد بن مسعود من هوزان**"[١٥]، ومع أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قصد الطائف موطن قبيلة ثقيف في بداية الدعوة الإسلامية؛ إلا أنهم لم يوفقوا لنصرته والدخول في الإسلام، فرجع الى مكة[١٦]، فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا وفداً من ستة أشخاص ثلاثة من الأحلاف وثلاثة من بني مالك، وكان عابد باليل عمرو بن عمير وهو في سنة عروة بن مسعود ناب القوم وصاحب أمرهم[١٧]، وهو من اشترط أن يكون الوفد بهذا الشكل خشية أن يحدث له ما حدث لعروة بن مسعود[١٨] .

ثانياً: نشأته:

بعد أن أشرنا في حديثنا الى قبيلة ثقيف وكيفية دخولها الإسلام لابد لنا من الإشارة الى أسرة المختار بن أبي عبيد التي نشأت في ذلك الوسط، وهي الأسرة التي لعب أفرادها دوراً واضحاً ورئيسياً منذ السنوات الأولى للإسلام، فوالد المختار هو أبو عبيد بن مسعود الثقفي الذي اشتهر بكنيته وأن ما ذكره ابن

الجوزي[١٩] بأن اسم أبي عبيد الثقفي[٢٠] الذي أسلم في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان من أجل الصحابة[٢١].

فلما تولى عمر بن الخطاب (١٣هـ – ٢٣هـ) الخلافة انتدب الناس أربعة أيام الى قتال الفرس وفتح العراق، فكان أول من انتدب للقتال أبو عبيد، وكان وجه فارس من أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها اليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم[٢٢]، فدعا الخليفة عمر أبا عبيد بن مسعود وعقد له على خمسة الأولى رجل وأمره بالسير وكتب الى المثنى بن حارثة الشيباني[٢٣] أن ينضم[٢٤]، وقيل للخليفة الثاني: " أتؤمر رجلاً من ثقيف على المهاجرين والأنصار؟ فقال: لا أأمر إلا أول من انتدب لقتالهم ولا يصلح للحرب إلا الرجل المكيث[٢٥] وقد أعلمته أنني بعثت معه من هم أسبق اسلاماً منه فلا يقطع أمراً دونهم " [٢٦] .

ثالثاً: صفاته:

تحدث ابن الأثير في كتابه الكامل عن المختار الثقفي ووصفه بصفات غير لائقة ونقل العديد من الروايات التي تتهمه بالكذب[٢٧]، وهذه الصفة التي اتهمه بها العديد من المؤرخين ومنهم الذهبي الذي وصفه أثناء ترجمته له بالكذب قائلاً: "**المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب**"[٢٨]، وأيضاً قال عنه ابن كثير: "**المختار الثقفي الكذاب**"[٢٩]، ووصفه ابن شاكر الكتبي بقوله: "**كان الكذاب المختار كذب على الله تعالى**"، وغيرهم من المؤرخين الذين كالوا التهم واتهموه بالكذب[٣٠] .

ولعل هذا الاتهام يأتي بسبب اختلافهم معه مذهبياً وعقائدياً، في حين نجد أن هناك من يثني عليه ويصفه بالصفات النبيلة ومنهم ابن نما الحلبي (٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) الذي وصفه بقوله: " نشأ مقداماً شجاعاً لا يتقي شيئاً وتعاطى معالي الأمور، وكان ذا عقل وافر وجواب حاضر، وخلال مأثورة ونفس بالسخاء موفورة، وفطنة تدرك الأشياء بفراستها، وهمة تعلو على الفراقد بنفاستها، وحدس مصيب وكف في الحروب مجيب، وقد مارس التجارب فحنكته، ولامس الخطوب فهذبته "[٣١] .

رابعاً: علاقته بأهل البيت (عليهم السلام):

١. علاقته بالإمام علي (عليه السلام)

بدأت علاقة المختار الثقفي ببني هاشم منذ طفولته كونه قد نشأ وتربى بينهم لكونه انتقل في أيام الخليفة عمر مع والده الى المدينة وبعد استشهاد والده في معركة الجسر التي حدثت مع الفرس في العراق، واستمر المختار في المدينة مع بني هاشم[٣٢] . وهنالك رواية يذكرها الأصبغ بن نباتة يقول فيها: "**قال رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيس يا كيس**"[٣٣] . وهذه ترجمة الأصبغ بن نباتة أبو القاسم الكوفي التميمي الحنظلي وهو أحد أصحاب الإمام علي (عليه السلام) شهد معه صفين وروى عنه وعن الإمام الحسن (عليهما السلام) الكثير من الأحاديث[٣٤] .ومن هنا يمكن أن نقول: قد بدأت علاقة المختار ببني هاشم والإمام علي (عليه السلام)، وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال :"**لا تسبوا المختار فإنه قد قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة**"[٣٥]، وذكر ابن الأثير أن عمه سعد بن مسعود الذي كان والياً على المدائن خرج مع الإمام في حرب الجمل، وكان على سبع قيس ولم يذكر لنا ابن الأثير أن المختار اشترك في حروب الإمام علي

(عليه السلام)[٣٦] لكنه قد يكون استخلفه على المدائن بعد خروجه للحرب.

وهناك بعض المصادر أشارت الى تلك العلاقة، فقد أشارت كتابات المؤرخين القدامى الى بعض مواقف المختار بن عبيد في خلافة الإمام علي (عليه السلام) وإن كانت تلك الإشارات مقتضبة تدل على أن هنالك دوراً مميزاً قام به المختار في تلك المرحلة من تاريخ المسلمين[٣٧] .

٣. علاقته بالإمام الحسن (عليه السلام):

كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل الشام، فبينما هو يتجهز للمسير فقد قتل وإذا أراد الله أمراً فلا مرد له، فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن (عليه السلام) بلغه مسير معاوية في أهل الشام اليه فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا علياً، وسار عن الكوفة الى لقاء معاوية، وكان قد نزل مسكن فوصل الحسن الى المدائن وجعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مقدمته في اثني عشر ألفاً، وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبدالله بن عباس، فجعل عبدالله على مقدمة الطلائع قيس بن سعد بن عبادة، فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد في العسكر ألا أن قيس بن سعد قد قتل فتفرقوا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى نازعوا بساطاً كان تحته فازداد بغضاً ومنهم ذكراً[٣٨]، وروى الكليني أن الإمام علي (عليه السلام) قال للإمام الحسن (عليه السلام): "**أنت ولي الأمر وولي الدم**"، فكان أول من بايعه بالخلافة قيس بن سعد الأنصاري[٣٩]، ودخل الإمام الحسن (عليه السلام) المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان الامر على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد. وحسب ما تذكر الرواية أن المختار قال لعمه وهو شاب: "**هل لك في الغنى والشرف قال وما ذاك قال : توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية فقال له سعد : عليك لعنة الله أثب على ابن بنت رسول الله (ص)**"[٤٠]، وعندما نقف أمام هذه الرواية ونتمعن بها نجدها رواية غير موثوق بها تداولها المؤرخون وتناقلوها، وسجلوها عليه من أجل خلق حالة من الشك في علاقته بأهل البيت (عليهم السلام)، فما قدمه المختار وما قام به يجعلنا لا نصدق بهذه الرواية ونقف منها موقف الشك ونعتبرها رواية لا تلائم الواقع وبعيدة عن الحقيقة، فالمختار لم يكن سوى رجلاً جاهد من أجل قضية أهل البيت (عليهم السلام)، فعمل المعادين له على محاربته، ووضعوا حوله التهم والأكاذيب، وعملوا له مثالب غير موجودة فيه من أجل الانتقاص منه والتقليل من شأنه .

علاقته بالإمام الحسين (عليه السلام):

لما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمير وابن الزبير عن البيعة أرجفوا بيزيد واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا مسير الحسين الى مكة وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجيبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم.

وقد أورد ابن الأثير نص الكتاب الذي أرسله أهل الكوفة الى الإمام الحسين (عليه السلام) جاء فيه: "**بسم الله الرحمن الرحيم .. سلام عليك فإننا نحمد اليك الله الذي لا اله إلا هو .. أما بعد**[٤١] **: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيها وتآمر بغير رضاً منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وأنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير قد قصر الإمارة**[٤٢] **ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد ولو بلغنا اقبالك الينا**

أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركات"، وسيروا الكتاب مع عبدالله بن سبع الهمداني وعبدالله بن وال، ثم كتبوا اليه كتاباً آخر وسيروه بعد ليلتين، فكتب الناس معه نحواً من مائة وخمسين صحيفة، ثم أرسلوا اليه رسولاً ثالثاً يحثونه على المسير اليه [٤٣]، وعندما ارسل الإمام الحسين (عليه السلام) الى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل كان المختار في استقباله ومن انصاره ووقف الى جانبه، وبعد تمكن عبيد الله بن زياد من الكوفه وقتله لمسلم أودع المختار السجن الى أن تم اطلاق سراحه فيما بعد من قبل يزيد بوساطة ابن عمر زوج شقيقته، وتوجه بعد اطلاق سراحه إلى الحجاز وهو يتوعد بأن يقطع أنامل عبيد الله بن زياد، وأن يقتل بالإمام الحسين (عليه السلام) بعدد من قتل بدم يحيى بن زكري، كذلك ورد في الاخبار ان الإمام الحسين (عليه السلام) دعا على قتلته بقوله:"... **إني توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة ولا يدع فيهم أحدا إلا قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير**"[٤٤]، ولاشك أن المقصود في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) المختار بن أبي عبيدة الثقفي فالمختار كان أول ثائر مطالب بدم الإمام (عليه السلام) وقد قتل كل من أشترك بقتله، وليس المقصود كما يعتقد بعض الكتاب الحجاج بن يوسف الثقفي لأن غلام ثقيف الذي طالب بدم الإمام الحسين (عليه السلام) هو المختار، كونه هو من ساهم بطلب الثأر واعلن ثورته ضد طغاة العصر، والدليل قول الإمام السجاد بحقه فعن عمر بن علي بن الحسين أن علي بن الحسين عليهما السلام لما اتي بر أس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد خر ساجدا وقال :"**الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيرا**"[٤٥]

الاستنتاجات:

١. المختار بن أبي عبيد (١هـ / ٦٢٢م) قائد عسكري طالب بدم الحسين بن علي (عليه السلام)، وكانت علاقته بأهل البيت (عليهم السلام) علاقة وطيدة ابتدأت منذ نعومة اضافره وقد ارتبط بهم روحياً وكان أول مطالب بدم الإمام الحسين (عليه السلام) .
٢. قتل المختار جمعاً من قتلته ممن كان بالكوفة وغيرها أمثال عمر بن سعد وحرملة بن كاهل، وتتبع كل من اشترك بدم الامام الحسين (عليه السلام) .
٣. سيطر المختار الثقفي على الحكم في الكوفة ورفع شعار (يا لثارات الحسين).
٤. كان يخطط المختار الثقفي لبناء دولة علوية في العراق.

الهوامش

(١)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ / ص ١٢٧.
(٢)المصدر نفسه، ج٢ / ص ١٢٨.
(٣)المصدر نفسه، ج٢ / ص ١٢٩.
(٤)ابن الأثير، أسد الغابة، ج١ / ص ١٨٠.
(٥)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ / ص ١٣٠.

([٦])المصدر نفسه، ج٢ / ص ١٣١.
([٧])البلاذري، أنساب العرب، ج١ / ص ٢٦٨.
([٨])البلاذري، أنساب الأشراف، ج١ / ص ٣٧٥.
([٩])المصدر نفسه، ج١ / ص ٤٢١.
([١٠])المصدر نفسه، ج٦ / ص ٢٧٠.
([١١])ابن الأثير، أسد الغابة، ج١ / ص ١٨٧.
([١٢])أعلام النساء، ج١ / ص ٤٨.
([١٣])الطبري، تاريخ الطبري، ج٢ / ص ١٦٠.
([١٤])المصدر نفسه، ج٢ / ص ٢١١.
([١٥])المصدر نفسه، ج٦ / ص ٧.
([١٦])ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ / ص ص ٧٩ – ٨٠.
([١٧])ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨ / ص ٦٨.
([١٨])الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣ / ص ص ٥٨ – ٥٩.
([١٩])ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥ / ص ١١٧.
([٢٠])المصدر نفسه، ج٥ / ص ١١٨.
([٢١])ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ / ص ص ٤٠٠ – ٤٠١.
([٢٢])ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥ / ص ٥٥.
([٢٣])اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ / ص ص ٩٧ – ٩٨ .
([٢٤])ابن منظور، لسان العرب، ج٤ / ص ٥٧ .
([٢٥])الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣ / ص ٢٧٦.
([٢٦])ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢ / ص ٤٠٩.
([٢٧])المصدر نفسه والصفحة.
([٢٨])الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢ / ص ٢٠٧.
([٢٩])ابن كثير، البداية والنهاية، ج / ص
([٣٠])الكتبي، الوافي، ج٤ / ص ١٢٣.
([٣١])الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤ / ص ٥٠٤.
([٣٢])الزركلي، أعلام النبلاء، ج ٧ / ص ١٩٢.
([٣٣])الطوسي، اختبار معرفة الرجال، ج / ص ٣٤١.
([٣٤])ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٤ / ص ١٩٢.
([٣٥]) المجلسي، بحار الانوار،ج٤٥/ص٣٤٣.
([٣٦])ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣ / ص ٢٧١.
([٣٧]) الحموي، معجم البلدان، ج٢ / ص ص ٤٨٧ – ٤٨٩.
([٣٨])ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣ / ص ٢٧١.
([٣٩])الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥ / ص ١٠٧.
([٤٠])ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣ / ص ٥.
([٤١])المصدر نفسه، ج٣ / ص ٣٧٥.
([٤٢])المصدر نفسه، ج٣ / ص ٣٧٦.
([٤٣])المصر نفسه، ج٣ / ص ١٣٣.
(٤٤) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٩ .

(٤٥) المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥/ص٣٤٤ . **المصادر والمراجع:**

* ابن الأثير: أبو الحسن علي ابن أبي الكرم الجزري (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

١. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٢. أسد الغابة، في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط٣، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٩هـ.

* **ابن أعثم أبي محمد احمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م).**

٣. الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١، دار الأضواء (د. م، ١٤١١هـ).

* **الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).**

* **ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البلوي الزهري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م).**

٤. الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر – بيروت ١٩٨٦م.

* **السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).**

٥. تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز (د. م، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

* **الطبري: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر (٣١٠هـ / ٩٢٢م).**

٦. تاريخ الأمم والملوك، ط٢، دار التراث – بيروت ١٣٨٧هـ.

* **ابن كثير، أبو الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).**

٧. البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن، ط١، دار هجر الجيزة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٨. ارشاد الفقيه الى معرفة أدلة التنبيه، تحقيق: بهجت يوسف حمد أبو الطيب، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٦هـ.

٩. اختصار علوم الحديث، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، ط١، دار الميمان للنشر والتوزيع – الرياض ١٤٣٤هـ.

* **المسعودي: أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ / ٩٥٧م).**

١٠. التنبيه والاشراف، تحقيق: عبدالله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي– القاهرة، د. ت.

* **النويري: احمد بن عبدالوهاب بن محمد بن شهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).**

١١. نهاية الارب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة ١٤٢٣هـ.

* **اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت بعد ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).**

١٢. تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبدالأمير مهنا، ط١، شركة الأعلمي – بيروت ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

* **الزركلي: خير الدين محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ / ١٨٧٦م).**

١٣. الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، (د. م، ٢٠٠٢م).

* **احمد الحلبي، علي بن ابراهيم بن احمد الحلبي، أبو الفرج نور الدين (ت١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م).**

١٤. السيرة الحلبية أنساب العيون في سيرة الأمين المأمون، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٧هـ.

* **الأربلي: أبي الحسن بن عيسى أبي الفتح (٦٩٢هـ / ١٢٩٢م).**

١٥. كشف الغمة في معرفة الأئمة (عليهم السلام)، تحقيق: علي آل كوثر، دار التعارف – بيروت ١٤٣٤هـ.

* **البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ / ٨٩٢م).**

١٦. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ١٤١٧هـ.

* **الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).**

١٧. معجم البلدان، ط٢، دار صادر – بيروت ١٩٩٥م.

* **البغدادي: أبي بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).**

١٨. تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٢٢هـ.

*ابن طاووس، علي بن موسى (ت٦٦٤هـ/١٢٦٥م)،

١٩. اللهوف في قتلى الطفوف، انوار الهدى، قم ١٤١٧هـ .

٢٠. المجلسي، محمد باقر(ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)

بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م .

أساليب امير المؤمنين علي (عليه السلام) في مواجهة افكار الخوارج المتطرفة

The methods of the Commander of the Faithful Ali (peace be upon him) in confrontation the extremist ideas of the Kharijites

م.م. آزر عبد الكاظم اسماعيل
مديرية تربية محافظة بابل

أ.م.د. احمد محمد جودي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The caliphate of the Commander of the Faithful, Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), was afflicted by many problems, strife and wars. Since his assumption of the caliphate, those who broke their oath and promise were the owners of the camel, and they declared war against the imam of their time and their caliph. The Commander of the Faithful (peace be upon him) defeated him in the Battle of Siffin, and the end would have come close to Muawiya and those with him had it not been for the deception of raising the Qur'an and arbitration and the departure and acceptance of those in whose heart there was doubt or suspicion or deceived by that deception, and they are the renegades, so that a new page of confrontation between these and the Commander of the Faithful begins. Peace be upon him), and it is the most difficult of those confrontations because of the deviant ideas that were believed by these people that managed to split the stick of the Muslims and cause confusion in the ranks of the Commander of the Faithful (peace be upon him) army, which ultimately resulted in their killing in the Battle of Nahrawan. The first topic included the meaning of the Kharijites, as well as their upbringing and the hadiths narrated in their right. We also dealt in this topic, also, with the most important views of the Kharijites in the Imamate and the Caliphate. And then to the most important sources that were used in the research.

الملخص:

عصفت بخلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) الكثير من المشاكل والفتن والحروب فمنذ توليه الخلافة نكث الناكثين ببيعتهم ووعدهم وهم اصحاب الجمل، واعلنوا الحرب ضد امام زمانهم وخليفتهم، وما ان انتهت حرب الجمل حتى تمادى معاوية ومن معه من القاسطين في طغيانه وعدوانه على بلاد المسلمين فناجزه امير المؤمنين (عليه السلام) بحرب صفين، وكادت النهاية تلحق بمعاوية ومن معه لولا خدعة رفع المصاحف والتحكيم وخروج وقبول من كان في قلبه شك او مرتاب او خدع بتلك الخدعة وهم المارقين لتبدا صفحة جديدة من المواجهة بين هؤلاء وبين امير المؤمنين(عليه السلام) وهي اصعب تلك المواجهات بسبب ما كان يعتقد به هؤلاء من افكار منحرفة تمكنت من شق عصا المسلمين واحداث البلبلة في صفوف جيش امير المؤمنين (عليه السلام) اسفرت في نهاية المطاف بقتلهم في معركة النهروان، ولقد قسمنا بحثنا هذا الى مقدمة ومبحثان ونتائج فأما المبحث الاول فقد ضم معنى الخوارج وكذلك نشأتهم وما روي من احاديث في حقهم كذلك تناولنا في هذا المبحث ايضا اهم اراء الخوارج في الامامة والخلافة، واما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه دور الامام علي (عليه السلام) في مواجهة الفتن والافكار المنحرفة للخوارج ثم توصلنا الى بعض النتائج ومن ثم الى اهم المصادر التي استخدمت في البحث.

كلمات مفتاحية: (الأمام علي (ع)، الخوارج، الفكر المتطرف، الخلافة، النهروان)

المبحث الاول- نشأة الخوارج، ومنطلقاتهم العقائدية

اولا: معنى الخوارج:

الخوارج جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي(عليه السلام)، أو لخروجهم على الناس[١]، ولقد أطلقت كلمة الخوارج هذه في كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والأهواء لخروجها على الدين أو على الإمام علي (عليه السلام) فعرفوا بانهم قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة[٢]

ويقول الزبيدي[٣] عنهم: هم الحرورية والخارجية طائفة منهم، وهم سبع طوائف سموا به لخروجهم على الناس أو عن الدين أو عن الحق أو عن علي (عليه السلام) بعد صفين،

وقد عرَّف أهل العلم الخوارج بتعريفات عدَّة، كلها تدور حول مصطلح الخروج على علي (عليه السلام)، أو الخروج على أحد الخلفاء ونحوهم، وقد عرَّف الشهرستاني[٤] الخوارج بتعريف عام حيث قال: " هم كلُّ مَن خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمَّى خارجيًّا"، وقد عرَّفهم ابن حجر العسقلاني[٥] بقوله: "الخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم، وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته، وقاتَلوهم"

وقال ابن حزم[٦]: "ومَن وافق الخوارج من إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجَوْر، وأن أصحاب الكبائر مخلَّدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش، فهو خارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، وإن خالفهم فيما ذكرنا، فليس خارجيًّا

ثانيا: اراء الخوارج في الامامة :

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري [٧]: ان أوّل ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة نبيّهم اختلافهم في الإمامة، ويقول الشهرستاني[٨] : إنّ الاختلاف في الإمامة أعظم خلاف بين الأُمّة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة في كل زمان، واتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي آتى بها رسول الله(صلى الله عليه واله)، واختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام فذهب بعض أهل السنة وبعض أهل المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله(صلى الله عليه واله) علي بن أبي طالب(عليه السلام) وذهبت الخوارج كلها وبعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة إلى أن أفضل الصحابة بعد رسول الله(صلى الله عليه واله) أبو بكر وعمر، وفي هذا المجال ذهبت طائفة من الخوارج إلى أنه لا يجوز إمامة من يوجد في الناس أفضل منه فيما ذهبت طائفة اخرى من الخوارج إلى أن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه، كما وذهبت جميع الخوارج إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يمكن دفع المنكر إلا بذلك قالوا: فإذا كان أهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع، ولا ييأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك، وإن كانوا في عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد، وقال الخوارج: أقوال غريبة جدا فاسدة منها أن أقواما من الخوارج قالوا كل معصية فيها حد فليست كفرا وكل معصية لا حد فيها فهي كفر، والخوارج يفضلون

أنفسهم وهم شر خلق الله تعالى وكلاب النار على عثمان وعلى طلحة والزبير، ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله (صلى الله عليه واله) وقالت الخوارج: علي المصيب في قتاله أهل الجمل وأهل صفين، وهو مخطئ في قتاله أهل النهر[٩]

وجوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش، وكل من نصبوه برأيهم، وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل، واجتناب الجور كان إماما، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غير السيرة، وعدل عن الحق، وجب عزله أو قتله، وهم أشد الناس قولا بالقياس، وجوزوا ان لا يكون في العالم إمام أصلا، وإن احتيج إليه، فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا[١٠]

ويذكر حسين الشاكري[١١] ان جمهور الخوارج اتفقوا على نظريتين : الأولى : نظرية الخلافة، وهي أن الخليفة لا يكون إلا بانتخاب حر صحيح من المسلمين، ويستمر الخليفة ما قام بالعدل مبتعدا عن الزيغ والخطأ، فإن حاد وجب عزله أو قتله، والنظرية الثانية : أن العمل جزء من الإيمان، وليس الإيمان الاعتقاد وحده، فمن لم يعمل بفروض الدين، وارتكب الكبائر فهو عندهم كافر، ولم يفرقوا بين ذنب يرتكب عن قصد وسوء نية، وخطأ في الرأي والاجتهاد يؤدي إلى مخالفة الصواب، وبهذا كفروا جميع فرق المسلمين وأباحوا دماءهم

ثالثا: نشأة الخوارج وما وردفيهم من أحاديث:

يُرجِعُ تاريخ نشأة الخوارج إلى زمن النبي (صلى الله عليه واله)، وأولَ الخوارج هو ذا الخُوَيْصرة[١٢]الذي اعترض على النبي (صلى الله عليه واله)، ويورد أبا سعيد الخدري رواية مفادها: "بينما رسول الله (صلى الله عليه واله) بيننا، وهو يقسم قسما جاء رجل من بنى تميم، يدعى ذا الخويصرة، فقال : اعدل يا محمد، فقال (صلى الله عليه واله) : قد عدلت، فقال له ثانية : أعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، فقال (صلى الله عليه واله) : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، فقام عمر بن الخطاب، فقال يا رسول الله، ائذن لي أضرب عنقه، فقال : دعه، فسيخرج من جنس هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم إلى نصله فلا يجد شيئا، فينظر إلى نضيه فلا يجد شيئا، ثم ينظر إلى القذذ فكذلك، سبق الفرث والدم يخرجون على حين فرقة من الناس، تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، وصومكم عند صومهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود أو قال أدعج مخدج، اليد، إحدى يديه كأنها ثدي امرأة أو بضعة تدردر"، فقال أبو سعيد : فاشهد انى سمعت هذا الحديث من رسول الله (صلى الله عليه وآله) واشهد ان علي بن أبي طالب (عليه السلام) قاتلهم وانا معه فأمر بذلك الرجل، فالتمس، فاتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي نعته[١٣]

وفي رواية انه كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه واله) رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله (صلى الله عليه واله) باسمه، فلم يعرفه، فوصفناه بصفته، فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا هو هذا قال: إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان، فأقبل حتى وقف عليهم، ولم يسلم فقال له: رسول الله (صلى الله عليه واله)، فأنشدك الله هل قلت: حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني قال: اللهم نعم ثم دخل يصلي فقال رسول الله (صلى الله عليه واله) لأبي بكر قم إلى ذا الخويصرة فاقتله، فقام ثم عاد، وقال : وجدته يصلي، فقال لعمر :

مثل ذلك، فعاد وقال : وجدته يصلي، فقال لعلي (عليه السلام) مثل ذلك، فعاد فقال : لم أجده، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "لو قتل هذا لكان أول الفتنة وآخرها، أما إنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[١٤]

وفي رواية أن الإمام علي (عليه السلام) بعث من اليمن بذهب إلى الرسول في المدينة فقسمه الرسول (صلى الله عليه واله) بين أربعة، فغضبت قريش . . فقال الرسول : إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين نائي الجبين محلوق الرأس فقال: اتق الله يا محمد، فقال الرسول: " فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني أهل السماء على أهل الأرض ولا تأمنوني، ثم أدبر الرجل، فقال الرسول: إن من ضئضى هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"[١٥]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله): "إن بعدي من أمتي – أو سيكون بعدي من أمتي – قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حَلاقيمَهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون فيه، هم شر الخلق والخَلِيقة"[١٦]

وعن سويد بن غفلة قال : قال لي على (عليه السلام) السلام: " إذا حدثتكم عن رسول الله فلان اخر من السماء أحب إلى من أن اكذب عليه، وإذا حدثكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة، سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول : يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة"، وعن محمد بن جعفر(عليهما السلام) قال : سألت أبى عن قوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)[١٧] هم الحرورية، والحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين[١٨]

وروي ان ابن الكوّاء سأل الامام علي (عليه السلام) فقال له : مَن " الأخسرِينَ أعمالاً " ؟ قال : وَيلكَ هُم أهل حَرُورا [١٩]

" وعن عائشة انها سألت مسروق فقالت له: يا مسروق إنّك من ولدي، وإنّك من أحبّهم إليّ، فهل عندك علم من المُخدج ؟ قال: نعم قتله عليّ بن أبي طالب على نهر يقال: لأعلاه تامرا، ولأسفله النهروان بين اخفاق وطرفاء فقالت : أبغني على ذلك بيّنة، فأتيتُها بخمسين رجلاً من كلِّ خمسين بعشرة يشهدون أنّ علياً (عليه السلام) قتله على نهر يقال لأعلاه: تامّراً ولأسفله النهروان بين اخفاق وطرفاء، فقلت : يا أُمّه أسألك بالله وبحقّ رسول الله (صلّى الله عليه واله) بحقّي – فانّي من ولدك – أيّ شيء سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه ؟ قالت : سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : "هم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خيرُ الخلق والخليقة ،وأقربُهم عند الله وسيلة "[٢٠]

ولقد روي عن الإمام علي(عليه السلام) انه قال: " سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول: الخوارج كلاب أهل النار، وانه سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من

خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة " [٢١]

وقال (عليه السلام): " أيها الناس إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول: يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم (صلى الله عليه واله) لا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله "[٢٢]

المبحث الثاني- دور الامام علي (عليه السلام) في مواجهة الفتن والافكار المنحرفة للخوارج :

وإن كان اول ظهور سافر للخوارج، قد حصل في صفين، في حادثة رفع المصاحف، ثم التحكيم، ولكن الحقيقة هي أن افكارهم واشكالياتهم قد تغيرت قبل هذا الوقت، وبالذات في حرب الجمل، حيث فاجأهم علي (عليه السلام) بموقف مفاجيء تجاه اعتراضهم على السبي والغنائم في تلك الحرب، حيث تبين نتيجة اعتراضهم هذه على انهم قوم طغت عليهم أطماعهم، وكانوا يعانون من الجهل والغباء، ولا سيما بالنسبة للأحكام الإسلامية مع قلة الدين، حيث انهم لم يستطيعوا أن يفهموا سرّ حرمان علي (عليه السلام) إياهم من السبي ما دام قد أعطاهم من الغنائم في حرب الجمل، فقد روي : انه لما أتاهم علي- أي الخوارج – في جيشه، وبرزوا إليه بجمعهم، فقال لهم قبل القتال : "ماذا نقمتم مني، فقالوا : أول ما نقمنا منك : أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل، فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم، ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم ؛ فكيف استحللت مالهم، دون نسائهم والذرية ؟ فقال : إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة، قبل قدومي عليهم، والنساء والذرية لم يقاتلونا، وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام، ولم يكن منهم ردّة عن الإسلام ؛ ولا يجوز استرقاق من لم يكفر، وبعد . . لو أبحت لكم النساء، أيكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ فخجل القوم من هذا، وتنادى الناس من كل جانب : أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد "[٢٣]، وفي نص آخر : " أن الخوارج لعنوا علياً في تركه اغتنام أموالهم، وسبي ذريتهم، ونسائهم " [٢٤]

ثم جاءت مسألة التحكيم في وقعة صفين، والمسألة يوم ذاك وإن اصطبغت بصبغة سياسية لكن كان لها أساس دينيّ، وهو أنّ الخوارج خالفوا علياً وانعزلوا عن جنده بحجّة أنّ حكم اللّه في الباغي، هو مواصلة الحرب والجهاد حتى يفي إلى حكم اللّه لا التصالح وإيقاف الحرب، وحجّتهم في ذلك واهية وباطلة لأجل أنّ التحكيم إنّما فُرِض على الإمام (عليه السلام)، لا أنّه قبله عن اختيار وحرية، والخوارج هم الذين فرضوه عليه، بل انهم لم يكتفوا بذلك حيث فرضوا عليه صيغة التحكيم ووثيقته، وحتى المُحكِّم الذي يشارك فيه مع مندوب معاوية، إلاّ أنّ هذا الاعوجاج الفكري صار سبباً لتشكّل فرقتين متخاصمتين إلى عهود وقرون، وذلك لأن اختلافهم مع الامام علي (عليه السلام) كان يختلف عن اختلاف غيرهم

أمثال طلحة والزبير ومعاوية معه (عله السلام) إذ لم يكن اختلافهم حول المبادئ، وإنّما طمع هؤلاء بأن يكونوا خلفاء، ولذلك لم يثيروا إلاّ مشاكل سياسية دموية، بعكس اختلاف الخوارج، فإنّ اختلافهم كان حول المبادئ وكانوا يردّدون كلمة (لا حكم إلاّ للّه) وكان علي (عليه السلام)يحتج عليهم بالقرآن والسنّة [٢٥].

حيث روي: " ان الامام علي (عليه السلام) خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال : لا حكم إلا الله، فسكت علي (عليه السلام) ، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه قال : كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال : لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفئ ما كانت أيديكم مع أيدينا، لا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به، وأشهد لقد أخبرني النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين أنه لا يخرج علينا منكم فرقة قلت أو كثرت إلى يوم القيامة، إلا جعل الله حتفها على أيدينا، وإن أفضل الجهاد جهادكم، وأفضل الشهداء من قتلتموه، وأفضل المجاهدين من قتلكم، فاعملوا ما أنتم عاملون فيوم القيامة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون[٢٦]

فلم يكن علي (عليه السلام) ذلك الرجل الذي يريد أن تكون له السلطة والهيمنة القاهرة بحيث يحبس على الناس أنفاسهم خوفاً ورعباً، بل هو يريد أن يحفظ الأمن، وأن يربي الناس، ويعلمهم، ويهديهم سبيل الرشاد، والسداد، وأن يحكم فيهم بحكم الله سبحانه، ويفقههم في الدين، فهذا هو مبدأ علي (عليه السلام) في سياساته مع الخوارج وغيرهم، فقد روى : " أن رجلاً من الخوارج جاء إلى علي (عليه السلام)، فقال له : يا أمير المؤمنين، هذا يسبك، فقال له : فسبه كما سبني، ثم قال : ويتوعدك، فقال له: لا أقتل من لم يقتلني، ثم قال : لهم علينا ثلاث : أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم في أيدينا، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا"[٢٧]

حيث روي أنه لما بلغ عليا ما كان من أمر أبي موسى الاشعري، وعمرو بن العاص خطب فقال : "إني كنت تقدمت إليكم في هذا الحكومة ونهيتكم عنها، فأبيتم إلا عصياني، فكيف رأيت معاقبة أمركم إذ أبيتم علي ؟ والله إني لأعرف من حملكم على خلافي، والترك لأمري، ولو أشاء أخذه لفعلت، ولكن الله من ورائه، وكنت فيما أمرت بهكما قال أخو بني جشم أمرتهم أمري بمتعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد من دعا إلى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله، ولو كان تحت عمامتي هذه إلا أن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله ،وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة، ولا حق معروف، فأماتا ما أحيا القرآن وأحيا ما أماته، واختلف في حكمهما كلامهما، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، فتأهبوا للجهاد، واستعدوا للمسير، وأصبحوا في عساكركم إن شاء الله تعالى " [٢٨] .

ثم كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الخوارج الذين اعتزلوه : " من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس، أما بعد :فإن هذين الرجلين اللذين ارتغبنا حكمهما قد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملا بالسنة، ولم ينفذا للقرآن حكما، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا، فاقبلوا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام "[٢٩]

فكتبوا إليه: " أما بعد فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين "[٣٠]، وهكذا فقد خاطب الخوارج أمير المؤمنين (عليه السلام)، ورموه بالكفر، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أنهم لا يعلمون من الإسلام إلا اسمه، وتحت هذا الاسم ساروا وراء أمير المؤمنين، ليأكلوا باسم هذا الشعار، وعندما رفع أهل الشام المصاحف وجدوا أنفسهم في الشعار وليس في الشعور، وطالبوا الإمام بوقف القتال، وعندما انتهى القتال بطلب التحكيم راح الذين يقرؤون القرآن و الذي لا يتجاوز تراقيهم يوزعون الأخطاء، ويرمون أمير المؤمنين بالكفر، وقد نفذ علي (عليه السلام) سياسات الإسلام في الخوارج بدقة، فبالغ في الإحتجاج على الذين أعلنوا الانفصال وإظهار التمرد، وبين لهم بما لا يقبل الشك مدى خطأهم في تصوراتهم، وبغيهم في مواقفهم، ولم يقتصر امر الاحتجاج على الخوارج بشخص امير المؤمنين(عليه السلام) بل احتج عليهم أيضاً العديد من اصحابه كأبو أيوب الأنصاري، وابن عباس، وصعصعة بن صوحان، الذي أصبحت خطبه فيهم مضرب الامثال حتى قيل : "أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج "[٣١]

ولذلك قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج : "لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا "[٣٢]، حتى قيل: إن الزبير قال لابنه : لا تخاصم الخوارج بالقرآن، خاصمهم بالسنة قال ابن الزبير : فخاصمتهم بها، فكأنهم صبيان يحرثون سخبهم [٣٣]، كما روي ان الامام علي(عليه السلام) أرسل إليهم عبد الله بن عباس، فاجتمع معهم، واحتج عليهم بحجج من كتاب الله عز وجل، ومن فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، وأبي بكر، وعمر حتى قطعهم، ولم يجدوا جواباً لما قال، فقال بعضهم لبعض : " دعوه عنكم، ولا تجيبوه، فلن تطيقوا مخاصمة ابن عباس، فإنه من القوم الذين قال الله تعالى فيهم : (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [٣٤]، وقال جل ثناؤه : (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) [٣٥]، وكان فيهم من تبين له الحق، فرجع معه منهم من حروراء ألفان إلى الحق، وصدقوا ابن عباس فيما قال، ولزموا عليها، وأما الباقون فمكثوا على ضلالهم وعنادهم، وهم أهل النهروان، وكانوا ستة آلاف[٣٦]

ولقد ذكر الكافي[٣٧] رواية جاء فيها: ان عبد الله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى الخوارج ليحاججهم لبس أفضل ثيابه، وتطيب بأفضل الطيب، وركب أفضل مراكبه، فخرج إليهم، فلقيهم فقالوا له : " يا ابن عباس بيننا أنت خير الناس إذا أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم ؟ فقال لهم : اللهم هذا أول ما أخاصمكم به، قال الله تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ) [٣٨]

وهنا نلاحظ أنه (عليه السلام) لا يحتج عليهم بالقرآن بصورة عامة، وإنما كان يحتج عليهم بسنة النبي (صلى الله عليه وآله) واعماله وافعاله ، حيث قال (عليه السلام) : "وقد علمتم : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجم الزاني، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله، وقتل القاتل، وورث ميراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكح المسلمات، فأخذهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم

من بين أهله " [٣٩]

كما أنه (عليه السلام) قد احتج عليهم : " بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد منّ على أهل مكة، فلم يسب نساءهم ولا ذريتهم، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد محا كلمة : رسول الله من صحيفة الحديبية، وأنه (صلى الله عليه وآله) قد أعطى النصفة لأهل نجران، حيث قال : (ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[٤٠]، وأنه (صلى الله عليه وآله) قد حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة، فاستأمن من الخوارج لذلك ثمانية آلاف، وفي رواية : أن مناديه (عليه السلام) قد نادى : ألا يدخل عليه (عليه السلام) إلا رجل قد قرأ القرآن .وبعد أن امتلأت الدار بقراء القرآن دعا بمصحف عظيم، فوضعه بين يديه، فطفق يصكه بيده، ويقول : أيها المصحف، حدث الناس، فناداه الناس، فقالوا : يا أمير المؤمنين، ما تسأل منه ؟ فإنه ورق ومدا دثم تذكر الرواية احتجاجه عليهم، وذلك كله يفسر لنا ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) : يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم [٤١]

وقال البلاذري[٤٢]: "خاصمت الحرورية علياً ستة أشهر، فطالت خصومتهم، وخصومة علي بالكوفة"، وقد عبر علي (عليه السلام) عن قوة وكثرة احتجاجه عليهم بقوله : "أنا حجيج المارقين "[٤٣]

وقد كان لتلك المناظرات والاحتجاجات والخطب تأثير بالغ في حقن دماء الألوف منهم، حيث أظهرت لهم خطأهم في مواقفهم، فرجع الكثير منهم إلى الحق، فقد روي ان الامام علي (عليه السلام) توضأ وصلى ركعتين ثم خرج إلى الخوارج، وهم يخاصمون ابن عباس، فقال لابن عباس : " انته عن كلامهم ألم أنهك، رحمك الله ؟ ثم حمد الله، وأثنى عليه، وقال : إن هذا مقام من فتح الله فيه، كان أولى بالفتح يوم القيامة، ومن نطق فيه وأوعب، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء، فقال علي : فما أخرجكم من حكمنا قالوا : حكومتكم يوم صفين، فقال : نشدتكم بالله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم : نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم : إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين، ولا قرآن، فإني قد صحبتهم، وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شر أطفال، وشر رجال امضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة، ووهنا، ومكيدة فرددتم علي رأيي، وقلتم : لا بل نقبل منهم، فقلت لكم : اذكروا قولي، ومعصيتكم إياي، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن، فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء، فهل قام إليَّ رجل، فقال : يا علي، إن هذا الأمر أمر الله، فلا تعطه القوم قالوا : لا قالوا : فأخبرنا، أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ قال : إنا لسنا الرجال حكّمنا، وإنما حكّمنا القرآن، وهو خط مسطور بين لوحين، لا ينطق حتى يتكلم به الرجال، وأنتم حكمتم أبا موسى، وجئتموني، وأتيتموني به مبرنساً، وقلتم : لا نرضى إلا به، ومعاوية حكم عمروا ثم قال : وأخبرني عنك يا ابن الكواء، متى سمي أبو موسى حكماً أحين أرسل ؟ أم حين حكم ؟ قال : حين حكم قال : فقد سار وهو مسلم، وأنت ترجو ان يحكم بما أنزل الله قال : نعم قال : فلا أرى الضلال في إرساله، إذ كان عدلاً، قالوا : فخبرنا عن الأجل لم جعلته بيننا وبينهم ؟ قال : ليتعلم الجاهل، ويثبّت العالم، ولعل الله أن يصلح في تلك المدة بين الأمة، ثم قال علي : أرأيتم، لو أن رسول الله أرسل رجلاً

مؤمنا يدعو قوماً مشركين إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافرا، كان يضر النبي شيئاً ؟ قالوا : لا قال : فما ذنبي، إن ضل أبو موسى، ولم أرض بحكومته إذ حكم، ولا بقوله إذ قال قالوا : أفرأيت كتابك باسمك واسم أبيك، وتركك اسمك الذي سماك الله به بإمرة المؤمنين ؟ قال علي : على يدي دار مثل هذا الحديث كتب النبي: هذا كتاب من محمد رسول الله، وقال أبو سفيان، وسهيل بن عمرو[٤٤] : لا نقر ولا نعرف أنك رسول الله، لقد ظلمناك إذاً إن شهدنا أنك رسول الله، ثم قاتلناك، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك ،فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) اكتب من محمد بن عبد الله، فإن ذلك لا يضر نبوتي شيئاً ،فكتبها رسول الله لآبائهم، وكتبتها أنا لأبنائهم قالوا : صدقت، ولكن بقيت خصلة : إنا قد علمنا أنك لم ترض بحكمهم حتى شككت، وكتبت في كتابك : إن جرني كتاب الله إليك تبعتك، وإن جرك إلي تبعتني تعطي هذا القول وقد خاضت خيلنا في دمائهم، وما فعلت هذا حتى شككت فقال علي : نبئني أنت ومن معك أولى بأن لا تشكّوا في دينكم أم المهاجرون والأنصار أم أنا أولى بالشك، أم معاوية ؟قال ابن الكواء : النبي (صلى الله عليه واله) أولى باليقين منك، وأهل الشام خير من مشركي قريش، والمهاجرون والأنصار خير منا قال : أفرأيت الله حين يقول لرسوله : (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[٤٥]أشك النبي (صلى الله عليه واله) فيما هو عليه حين يقول هذا ؟ أم أعطاهم إنصافاً ؟ فقال ابن الكواء : خصمتنا ورب الكعبة، وأنت أعلم منا بما صنعت، فقال علي (عليه السلام) : "ادخلوا مصركم رحمكم الله " فلم يبرح علي (عليه السلام) حتى تفرقوا، ودخلوا معه، وقلبوا أترستهم"[٤٦]

وفي الوقت الذي كان فيه أمير المؤمنين(عليه السلام) يحرض فيه أتباعه على قتال أهل الشام، حتى بدأ الخوارج يتحركون في الداخل ويثيرون المشاكل والفتن، فقد اجتمعوا في أربعة آلاف، وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي، وتحركوا حتى نزلوا المدائن، وكان مسعر بن فدكي توجه إلى النهروان في ثلاثمائة من المحكمة، فمر ببهر سير، وعليها عدي بن الحرث بن يزيد بن رويم الشيباني فخرج إليهم ليمنعهم، فقتله أشرس بن عوف الشيباني، فطعنه فقال : خذها إليك من ابن عم لك مفارق، لولا نصرة الحق كان بك ظنينا، ويقال: إنه سلم من طعنته وبقي بعد علي (عليه السلام) وولاه الحسن بهر سير، وكان فيمن أتى أشرس بن عوف – حين خرج بعد النهروان – فضربه وقال : خذها من ابن عمّ لك شأن، ولقوا عبد الله بن خبّاب بن الأرت ومعه أم ولد له يسوق بها، فأخذوه وذبحوه وأم ولده، فأرسل إليهم علي(عليه السلام) : أن ابعثوا إليّ بقاتل ابن الحرث وابن خباب حتى أترككم وأمضي إلى الشام . فأبوا وقالوا : كلنا قتله، فسار إليهم (عليه السلام) في محرم من سنة ٣٨هـ فدعاهم فاعتزل بعضهم فلم يقاتلوه، وبقي الآخرون فقاتلهم بالنهروان فقتلوا، وقتل عبد الله بن وهب الراسبي قتله زياد بن خصفة وهانئ ابن الخطاب الهمداني جميعا[٤٧]

وقيل: ونتيجة للعمليات التخريبية للخوارج قال الناس في معسكر أمير المؤمنين : لو سار بنا أمير المؤمنين إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم ثم نسير بعد ذلك إلى الشام، وعندما علم أمير المؤمنين بما يقوله الناس خطب وحرضهم على الجهاد وقال : "سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قدما، فإنهم سعوا في إطفاء نور الله، وحرضوا على قتال رسول الله (صلى الله عليه واله) ومن معه ألا إن رسول الله أمرني بقتال القاسطين، وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم، والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم، والمارقين ولم نلقهم

بعد، فسيروا إلى القاسطين، فهم أهم علينا من الخوارج سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا، ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دولا "[٤٨]

وروي انه عندما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) بأخبار هذه المجازر، بعث إليهم بالحارث بن مرة العبدي ليتحقق من صحة هذه الأخبار، وما أن وصل الحارث إليهم حتى قتلوه، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس وقالوا : " يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام "

وعندما نادى مناد أمير المؤمنين(عليه السلام) بالذهاب إلى قتال الخوارج، ثارت امام امير المؤمنين (عليه السلام) فتنة اخرى واشاعة أخذت على عاتقها زعزعت النفوس من قتال الخوارج ،على اعتبار أنهم قراء ويصلون ويصومون، وهذه الإذاعة وصلت حتى المدينة المنورة فعن أبي سعيد الرقاشي قال : " دخلت على عائشة فقالت : ما بال أبي الحسن يقتل أصحابه القراء، وعن أبي كثير قال : كنت مع سيدي علي بن أبي طالب حتى قتل أهل النهروان، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم [٤٩]

ولكن امير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) واجه تلك الشبه بان خرج في نهاية المعركة يطلب من أصحابه أن يبحثوا له عن ذي الثدية بين القتلى ووصفه لهم فقال بعضهم : " ما نجده فقال(عليه السلام): والله ما كذبت ولا كذبت اذهبوا فابحثوا عنه، فوجدوه على الوصف الذي وصفه علي ، في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلا، فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة . له حلمة عليها شعيرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي طول يده الأخرى، ثم تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة، فلما استخرج قال علي : الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت، أما والله لولا أن تتكلوا عن العمل، لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله) لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم . عارفا للحق الذي نحن عليه، ثم مر أمير المؤمنين على خوارج وهم صرعى وقال : بؤس لكم، لقد ضركم من غركم فقال الناس : يا أمير المؤمنين من غرهم ؟ قال : الشيطان وأنفس بالسوء إمارة غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنه مظاهرون، ثم وقف أمير المؤمنين على ذي الثدية وسأل الناس : من أبوه ؟فجعل الناس يقولون بعد أن اختاروا في اسم أبيه ولم يعرفه أحد منهم : هذا ملك ! هذا ملك، فقال علي : ابن من هو ؟ فلم يجيبوه، فقال : أما إن خليلي (صلى الله عليه وآله) أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم، والثاني له جمعكثير، والثالث فيه ضعف [٥٠]، وفي رواية اخرى ان علي(عليه السلام) قال :" أيكم يعرف هذا، فقال رجل من القوم هذا حرقوص أمه ههنا، فأرسل إلى أمه وقال لها : ممن هذا ؟قالت : ما أدري إني كنت في الجاهلية أرعى غنما لي بالربذة، فغشيني شيء كهيئة الظلمة فحملت سنة فولدت هذا "، وعندما وصل الخبر إلى الناس، قال سعد بن أبي وقاص : " قتل علي بن أبي طالب شيطان الرهة"[٥١] حتى روي عن أبي سعيد الرقاشي انه قال: "دخلت على عائشة فقالت: ما بال أبي الحسن يقتل أصحابه القراء قال قلت : يا أم المؤمنين إنا وجدنا في القتلى ذا الثدية، فشهقت أو تنفست ثم قالت : كاتم الشهادة مع شاهد الزور سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: يقتل هذه العصابة خير أمتي[٥٢]، وفي رواية اخرى انها قالت : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: "هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي، وفي رواية ثانية: هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة " [٥٣]

ومن هنا اراد اتباع الشعار الذي لا شعور فيه، الذين يأكلون الدين بالدين، ويقرؤون القرآن الذي لا يتجاوز تراقيهم قد اصطفوا وراء شيطان من شياطين الجن، وأنفس أمارة بالسوء يتلبس أصحابها بجلود آدمية حتى روي عن الامام مسلم[٥٤]، حديثا جاء فيه : "إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم : سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث"، وروى المتقي الهندي[٥٥] حديثا جاء فيه : "ستكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي وسيقوم رجال قلوبهم قلوب رجال شياطين في جسمان إنسان"، حتى قيل: أن عليا (عليه السلام) مر بقتلى الخوارج فقال : "بؤساً لكم لقد ضركم من غركم، فقي : ومن غرهم ؟ فقال : الشيطان المضل، والنفس الأمارة بالسوء، غرهم بالأماني، وفسحت لهم في المعاصي، ووعدتهم الإظهار فاقتحمت بهم النار"[٥٦]، فهولاء هم أتباع اللاشعور واللادعوة حيث عبدوا كل شئ حتى ذواتهم، فاهتموا بصورهم واشتغلوا بها ولم يفقهوا لقول النبي (صلى الله عليه وآله)، ولقد استهدف الشيطان قلوبهم حتى أنهم لم يجدوا حرجا في تكفير أمير المؤمنين الذي هو من النبي بمنزلة هارون من موسى إلى النبوة، وهذا الصنف من الناس لم يستأصل في موقعة النهروان، بل كان لهم امتداد على طول التاريخ حتى روي أنه لما قتل الخوارج قيل لأمير المؤمنين(عليه السلام): "هلك القوم بأجمعهم، فقال : كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين"[٥٧]، وبالمقابل وبعد كل ما عمل الخوارج من محاولات زرع الشك واذكاء الفتنة في اصحاب امير المؤمنين (عليه السلام)، فانه يصفهم بوصف لا يخرج الا من فم نبي او وصي يتسامى عن الاحقاد والاضغان، حيث سئل (عليه السلام) عن الخوارج فقيل له : " أمشركون هم، فقال : من الشرك فرّوا فقالوا : أفمنافقون، فقال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، فقيل : فما هم يا أمير المؤمنين، فقال : إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم علينا "[٥٨]، وفي نص آخر: "أن علياً (عليه السلام) أرسل ابن عباس إلى أهل حروراء، فنظر في أمرهم وكلمهم، ثم رجع فقال له (عليه السلام): ما رأيت ؟فقال ابن عباس: والله، ما أدري ما هم، فقال علي (عليه السلام): رأيتهم منافقين، فقال: والله، ما سيماهم بسيما المنافقين، إن بين أعينهم لأثر السجود، وهم يتأولون القرآن، فقال (عليه السلام) : دعوهم ما لم يسفكوا دماً، أو يغصبوا مالاً، وأرسل إليهم ما هذا الذي أحدثتم ...."[٥٩]، وعن الامام الحسن(عليه السلام)انه قال : لما قتل الامام علي (عليه السلام) الحرورية، قالوا: "من هؤلاء يا أمير المؤمنين ؟ أكفار هم ؟قال : من الكفر فرّوا قيل : فمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً ، قيل : فما هم ؟قال : قوم أصابتهم فتنة، فعموا فيها، وصمُّوا" [٦٠]، اذن هي فتنة ومحنة واجهت امير المؤمنين (عليه السلام) فقال عنها: "أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيها، واشتد كلبها، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون"[٦١]، وقد قال عدي بن حاتم : "لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه، فإنه ما وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان، وفي يده من الله سبب " [٦٢]

النتائج:

١ – نشأت الفرقة من الخوارج بصفين، عندما طلب معاوية التحكيم من علي (عليه السلام)، وهي " كلمة حق يراد بها باطل " كما قال (عليه السلام)، وهي خدعة حربية استعملها معاوية بإشارة من

عمرو بن العاص حين أحس بالهزيمة، ولمس الضعف في جيشه، فأراد معاوية أن يوقع الشك في نفر من الذين لم يتركز الإيمان في قلوبهم ومرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، وهم المخدوعون الذين أجبروا الإمام (عليه السلام) على قبول التحكيم، وبعد أن تبينت لهم خدعة رفع المصاحف ومهزلة التحكيم احتجوا على الإمام (عليه السلام) في قبوله التحكيم، وظهرت منهم مخالفة الإمام علي (عليه السلام)، وتجرأوا على مقامه، ونسبوا إليه ما لا يليق بشأنه، وقبل واقعة النهروان تلبسوا بالظلم إلى أبعد حد وأباحوا دماء المسلمين، وخضبوا البلاد الإسلامية بالدماء، وتشددوا في عقيدتهم، وإباحوا دماء المسلمين الذين خالفوا عقيدتهم، فالمسلم المخالف لهم لا عصمة لدمه وعرضه وماله، ومن طريف أخبارهم : أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم فيه، وقتلوا عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف، وقالوا : إن الذي في عنقك يأمرنا أن نقتلك، فذبحوه، وبقروا بطن زوجته وهي حامل، وساوموا نصرانيا نخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا : والله ما كنا لنأخذها إلا بثمن، فقال لهم النصراني :ما أعجب هذا ؟ أتقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون منا نخلة إلا بثمن.

٢ – عكس تعامل أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الخوارج انموذجا رائعاً لتعامل الراعي مع الرعية، مع أنّهم كانوا تحت سلطته، وكان الكثير من المحيطين بالإمام علي (عليه السلام) يحثّونه على قتال الخوارج وإبادتهم قبل معركة النهروان، لكنّه رفض مقاتلتهم إلاّ بعد أن أتمّ الحجة عليهم بالحوار، وما فعله الإمام (عليه السلام) مع الخوارج يصلح لأن يكون أنموذجاً في التعامل مع المعارضة حيث كان الإمام (عليه السلام) أعطاهم كل الحقوق المتعلّقة بإبداء الرأي وطرح الفكر، لانهم كانوا في نظر أغلب القراء والمصلين حتى قال عنهم عدي بن حاتم : "لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه"، فلم يبدأهم الإمام علي (عليه السلام) بقتال، ولم يقصِهم أو يقم عليهم الإقامة الجبريّة، بل فتح لهم باب الحوار على مصراعيه، ممّا جعل الخوارج يفتحون الجبهة الإعلامية بشكل قوي، مع ذلك لم يحاربهم، واقتصر على رد الرأي بالرأي، وطرح بيّناته وحججه، وفعلا حاججتهم (عليه السلام) حتى قيل: "ان الحرورية خاصمت علياً ستة أشهر"، وقد عبر (عليه السلام) عن قوة احتجاجاته عليهم بقوله : "أنا حجيج المارقين"، وبفعل تلك المحاججات اهتدى كثير منهم، وتحمّل الإمام علي (عليه السلام) الطرف المعارض إلى أقصى حدّ، ما دام الطرف الآخر قد اعتمد لغة الحوار، والأكثر من ذلك أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل المقاضاة، وهو حاكم الدولة وخليفة المسلمين في قضية مالية، ووقف أمام شريح القاضي هو والطرف الذي رفع الشكوى عليه، وهي نماذج لا نجدها إلاّ عند أهل البيت (عليهم السلام)، وعندما اضطر الى مقاتلتهم وهم له ظالمون قال عنهم : "إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم علينا".

الهوامش

[١] الزبيدي، الدين محمد مرتضى الحسيني،(ت١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر،بيروت ،١٩٩٤م، ج٢، ص٣٠

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم،(ت٧١١هـ / ١٣١١م) لسان العرب،ادب الحوزة،قم،١٤٠٥هـ، ج١، ص٨٠٨

[٣] الزبيدي، تاج العروس، ج٢،ص٣٠

[٤] الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم،(ت ٥٤٨هـ/ ١١٤٣ م)،الملل والنحل، تح: محمد سيد گيلاني، دارالمعرفة للطباعة والتوزيع، بيروت،(د،ت)،ج١، ص١١٣.

[٥]ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي ،(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،دار المعرفة،ط٢، بيروت، (د، ت)،ج١،ص ٤٥٩.

[٦]ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد،(ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الصادر، بيروت،(د، ت)، ج ٢،ص ١١٣

[٧]الاشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل،(ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبدالحميد الناشر: المكتبة العصرية، بيروت: ١٩٩٠م،ص٤٧

[٨]الشهرستاني،المللوالنحل،ج١ ،ص ٢٤

[٩] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤،ص١٦٣

[١٠]الشهرستاني، الملل والنحل،ج١،ص١١٦

[١١]حسين الشاكري، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، ستارة، ١٤١٨هـ،ص١١٣

[١٢] ذا الخويصرة هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي ذو الخويصرة من بني تميم صحابي شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام ثم خرج عليه وكان من رؤوس الخوارج وقتل بالنهروان سنة٣٧ هجرية، ينظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي ،(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م) ،الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل احمد عبدالموجود،ط١،دارالكتب العلمية، بيروت ،١٩٩٥م، ج١ ،ص ٣١٩

[١٣]ابن ابي الحديد ،عزالدين عبد الحميد،(ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م) شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط٢،داراحياء الكتاب العربي، القاهرة ،١٩٦٧م،ج٢،ص٢٦٧

[١٤]المجلسي، محمد باقر،(ت١١١١هـ / ١٦٩٩م) بحار الانوار ،داراحياء التراث العربي ،ط٣، بيروت ،١٩٨٣م ،ج٣٠،ص٥٧٩

[١٥] الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد،(ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الاعلام، تح : عمر عبد السلام ،دار الكتاب العربي ،بيروت،١٩٨٦م ،ج١، ص٣٢٩

[١٦]ابن الأثير، علي بن أبي الكرم،(ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: محمد عوض ، ط١، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٩٤م ،ج٢،ص١٥٥

[١٧]الكهف: ١٠٣ و١٠٤

[١٨]ابن البطريق، يحيى بن الحسن بن الحسين(ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٧هـ،ص٤٥٩

[١٩]ابن شهر اشوب، محمد بن علي،(ت٥٨٨هـ / ١١٩٢م)، مناقب ال ابي طالب، تح: المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م، ج٢، ص٣٦٨

[٢٠]ابن ابي الحديد، شرح النهج،ج٢،ص٢٦٧

[٢١]العلامة الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)،منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط١، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٢هـ،ج٢،ص٩٨٤

[٢٢] صالح الورداني، السيف والسياسة، دار الجسام، القاهرة، ١٩٩٦م،ص١٣٧

[٢٣]ابن شهر آشوب، المناقب، ج ١، ص ٢٦٨

[٢٤]الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٦

[٢٥]العلامة الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي(ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، نهاية المرام في علم الكلام،تح: جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق (ع)،قم،١٤١٩هـ،ج١،ص١٧

[٢٦]القاضي المغربي ،ابي حنيفة النعمان بن محمد،(ت٣٦٣هـ / ٩٧٣م) دعائم الاسلام، تح:آصف بن علي اصغرفيضي،ط٢، دار المعارف، مصر،١٩٦٠م،ج١،ص٣٩٣

[٢٧] البيهقي، احمد بن الحسين، (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، كنز العمال، دارالفكر، بيروت،(د،ت)، ج ١١، ص ٢٨٧ وص ٣٠٨

[٢٨]المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين،(ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م)مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣ ،مطبعة السعادة ،القاهرة،١٩٨٥م،ج٢،ص٤٠٢

[٢٩]ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م) الإمامة والسياسة، تح:علي شيري،ط١،مطبعة أمير، قم،١٤١٣ هـ، ج١، ص١٢٣

[٣٠]الطبري، محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الطبري، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم ،ط٢،دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٩م،ج٤،ص٥٧

[٣١]العاملي، مرتضى جعفر، علي والخوارج، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت،٢٠٠٢ م،ج١،ص٢٦٤

[٣٢] ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري ،(ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي ،مؤسسة اسماعيليان ،قم، ١٣٦٤هـ، ج ١، ص ٤٤٤

[٣٣]الزمخشري، جار الله محمود ،(ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، الفايق في غريب الحديث ،تح :إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٩٩٦م ،ج ٣، ص ٣٦٠

[٣٤] الزخرف:٥٨

[٣٥]مريم : ٩٧

[٣٦]البري، محمد بن أبي بكر الأنصاري التاهساني، (تق ٧هـ)، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله،تح: دكتور محمد التونجي،كتبة النوري، دمشق،١٤٠٢هـ،ص١٠٨

[٣٧]الكليني، ابي جعفر محمد بن يعقوب، (ت٣٢٩هـ / ٩٤٠م) الكافي ،تح:علي اكبر غفاري، ط٣،دار الكتب الاسلامية ،طهران، ١٣٦٧هـ ،ج٦،ص٤٤٢

[٣٨]الاعراف:٣٢

[٣٩]ابن ابي الحديد، شرح النهج،ج٢،ص٢٨٥

[٤٠] آل عمران: ٦١

[٤١]العاملي، علي والخوارج،ج١،ص٢٦٧

[٤٢] البلاذري، احمد بن يحيى،(ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) انساب الاشراف، تح: محمد حميد الله ،دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م ،ج ٢، ص ٣٥٣ .

[٤٣]ابن ابي الحديد، شرح النهج ،ج ١، ص ١٢٢

[٤٤]سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ بن غالب القرشي العامري، يكنى أبا يزيد، كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية، أسر يوم بدر كافرا، وكان خطيب قريش، ولما صالح رسول الله صلى الله عليه واله قريشا يوم الحديبية قال لعلي عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو: لا نعرف الرحمن الرحيم أكتب باسمك اللهم فقال النبي صلى الله عليه واله: لعلي اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال: سهيل بن عمرو لو تعلم أنك رسول الله لصدقناك، ولم نكذبك اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي صلى الله عليه واله: لعلي اكتب محمد بن عبد الله واكتب من أتانا منكم رددناه عليكم ومن أتاكم منا تركناه عليكم فقالوا يا رسول الله تعطيهم هذا قال من أتاهم منا فأبعده الله ومن أتانا منهم فرددناه عليهم جعل الله له فرجا ومخرجا، ينظر: السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ادب الاملاء والاستملاء، تح: سعيد محمد اللحام، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٩٨٩ م،ص١٨

[٤٥] القصص: ٤٩

[٤٦]أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٢ م)، المعيار والموازنة، تح: محمد باقر المحمودي، (د، م)،ص ١٩٨ – ٢٠١

[٤٧]البلاذري، انساب الاشراف،ج٢،ص٣٦٢

[٤٨] المسعودي، مروج الذهب،ج٢،ص٤٠٤

[٤٩] سعيد أيوب، الفتن، انتشارات سعيد بن جبير، قم، ١٤١٦هـ،ص١٢٣

[٥٠]ابن شهر اشوب، المناقب،ج٢،ص٢٧٢

[٥١] ابن كثير،ابي الفداء اسماعيل بن نور الدين،(ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)البداية والنهاية، تح:علي شيري، ط١،داراحياء التراث العربي ،،بيروت،١٩٨٨م ،ج٧،ص٢٩٨

[٥٢]ابن أبي عاصم،أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت٢٨٧هـ)، السنة،تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٩٣ م،ص٥٨٥

[٥٣] ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي ،(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م) فتح الباري بشرح صحيح البخاري،دار المعرفة،ط٢، بيروت، (د٠ت)،ج١٢،ص٢٨٦

[٥٤]مسلم النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، (د،ت)،ج١، ص٩

[٥٥]المتقي الهندي، علاء الدين علي،(ت٩٧٥هـ / ١٥٦٧م) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تح:صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، ج٦، ص٦١.

[٥٦] ابن ابي الحديد،شرح النهج،ج١٩،ص٢٣٥

[٥٧]ابن ابي الحديد، شرح النهج،ج٥،ص١٤

[٥٨]ابن كثير، البداية والنهاية،ج٧،ص٣٢١

[٥٩]المجلسي، بحار الانوار،ج٣٣،ص٣٤٣

[٦٠]المتقي الهندي، كنز العمال،ج١١،ص٢٩٩

[٦١]القاضي المغربي،ابي حنيفة النعمان بن محمد،(ت٣٦٣هـ / ٩٧٣م)شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، تح: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، (د، ت) ،ج٢،ص٣٩

[٦٢]ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة ،ج ١ ،ص ١٢١

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١ – ابن الأثير، علي بن أبي الكرم،(ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: محمد عوض ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٤م

٢ – ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري ،(ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) ،النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي ، مؤسسة اسماعيليان ،قم، ١٣٦٤هـ

٣ – الاشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل،(ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، بيروت: ١٩٩٠م

٤ – البري، محمد بن أبي بكر الأنصاري التاهساني، (تق ٧هـ) ،الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، تح: دكتور محمد التونجي، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٢هـ

٥ – ابن البطريق، يحيى بن الحسن بن الحسين (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)،عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٧هـ

٦ – البلاذري، احمد بن يحيى،(ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) انساب الاشراف، تح: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م

٧ – البيهقي، احمد بن الحسين، (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، كنز العمال، دار الفكر، بيروت، (د،ت)

٨ – أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبدالله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٢ م)، المعيار والموازنة، تح: محمد باقر المحمودي، (د،م)،

٩ – ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي،(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م)،الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل احمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٩٥م،

١٠ – ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي ،(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، ط٢، بيروت، (د،ت)،

١١ – ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد،(ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م) شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار احياء الكتاب العربي، القاهرة ،١٩٦٧م

١٢ –ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد،(ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الصادر، بيروت،(د،ت)،

١٣ –حسين الشاكري، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، ستارة، قم، ١٤١٨هـ

١٤ – الذهبي، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد،(ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الاعلام، تح : عمرعبدالسلام،دارالكتابالعربي،بيروت،١٩٨٦م

١٥– الزبيدي، الدين محمد مرتضى الحسيني،(ت١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت،١٩٩٤م

١٦ –الزمخشري، جار الله محمود ،(ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ،الفايق في غريب الحديث ،تح :إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٩٩٦م

١٧ –سعيد أيوب، الفتن، انتشارات سعيد بن جبير، قم، ١٤١٦هـ

١٨- السمعاني، أبي سعيد عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ادب الاملاء والاستملاء، تح: سعيد محمد اللحام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩ م

١٩ – ابن شهر اشوب، محمد بن علي،(ت٥٨٨هـ / ١١٩٢م)، مناقب ال ابي طالب، تح: المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م

٢٠- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبدالكريم،(ت ٥٤٨هـ/ ١١٤٣ م)،الملل والنحل، تح: محمد سيد گيلاني، دار المعرفة للطباعة والتوزيع، بيروت،(د،ت)،

٢١ – صالح الورداني، السيف والسياسة، دار الجسام، القاهرة، ١٩٩٦م

٢٢- الطبري، محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الطبري، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم ،ط٢،دارالمعارف، القاهرة ، ١٩٦٩م

٢٣ – ابن أبي عاصم، أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت ٢٨٧هـ)،السنة، تح: محمد ناصرالدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م

٢٤ – العاملي، مرتضى جعفر، علي والخوارج، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠٠٢ م

٢٥ – العلامة الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)،منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط١، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٢هـ

٢٦ – العلامة الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي(ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، نهاية المرام في علم الكلام، تح: جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق (ع)،قم، ١٤١٩هـ،

٢٧ – القاضي المغربي، ابي حنيفة النعمان بن محمد،(ت٣٦٣هـ / ٩٧٣م) شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، تح: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، (د،ت)

٢٨ – ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م) الإمامة والسياسة، تح: علي شيري، ط١، مطبعة أمير، قم،١٤١٣هـ

٢٩ –ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل بن نور الدين،(ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت،١٩٨٨م

٣٠ – الكليني، ابي جعفر محمد بن يعقوب،(ت٣٢٩هـ / ٩٤٠م) الكافي، تح: علي اكبر غفاري،ط٣،دارالكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٧هـ

٣١ – المتقي الهندي، علاء الدين علي،(ت٩٧٥هـ / ١٥٦٧م)كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تح: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م

٣٢ – المجلسي، محمد باقر،(ت١١١١هـ / ١٦٩٩م) بحار الانوار، دار احياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م

٣٣ – المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين،(ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣ ،مطبعةالسعادة،القاهرة،١٩٨٥م،

٣٤ – مسلم النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، (د،ت)،

٣٥ – ابن منظور، محمد بن مكرم،(ت٧١١هـ / ١٣١١م) لسان العرب، ادب الحوزة، قم،١٤٠٥هـ،

آثر المكتبات الخاصة في الحركة العلمية في الإسلام
– العصر العباسي انموذجاً –

How Private Libraries Influenced Muslim Scientific Advancement:
The Abbasid Contributions

م.د حسنين علي دلي العتابي
جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/شعبة حوار الأديان

Abstract .

Libraries are intellectual radiation centres, science stores and learners' destination indicative of the culture of peoples and individuals They are the source of information and data that researchers need, and libraries have evolved and diversified over the days and ages and Muslims' awareness of the acquisition of libraries has increased. In times of intellectual and civilized prosperity, the mosque and the house must contain... To date, there have been public libraries and private libraries. The libraries have evolved according to the scientific and technical development in the world where their contents are not limited to paper books but have become digital electronic libraries through which information can be obtained. Despite this development, the priority remains for digital books.

الملخص

حث الإسلام على أهمية طلب العلم وتدوينه؛ فبه تزدهر الامم وتتقدم في مواكب الحضارة، وقد ازدهرت المكتبات في مختلف الاقاليم الاسلامية ، بتشجيع الولاة والامراء ، لأنها من وجهة نظرهم تحفظ تاريخهم وإنجازاتهم فضلا عن تنمية روح القراءة عند الأفراد وتشجيعهم على ذلك، وكانت هناك انواع مختلفة لتلك المكتبات العامة منها والخاصة التي بدورها ايضا تتنوع وفقا لتخصصات مالكيها منها العلمية والدينية والتاريخية ...ومنها مكتبات دور الحديث وقصور الخلفاء، وقد نظمت تلك المكتبات وتم فهرستها وتعزيزها بالكتب المتنوعة، وحصل تنافس شديد بين الناس على مختلف مستوياتهم لا نشاء مكتباتهم الخاصة التي اصبحت مثار التباهي بها.

الكلمات المفتاحية: (المكتبات الخاصة، الخلفاء، الحركة العلمية، الإسلام، العصر العباسي)

مقدمة:

تعد المكتبات من مراكز الاشعاع الفكري ومخازن العلم ومقصد المتعلمين الدالة على ثقافة الشعوب والأفراد، فهي مصدر المعلومات والبيانات التي يحتاج لها الباحثين ، وقد تطورت المكتبات وتنوعت على مدار الأيام والعصور، وازدهرت بعضها في بعض الفترات واندثرت في أخرى، كما ازداد ولع المسلمين باقتناء المكتبات ، حيث عدت في فترات الازدهار الفكري والحضاري ضرورة يجب ان يحتويها المسجد والبيت ... الخ الى يومنا هذا ، فكانت هناك مكتبات عامة واخرى خاصة ، وقد تطورت المكتبات وفقا للتطور العلمي والتقني الذي يشهده العالم حيث لم تقتصر محتوياتها على الكتب الورقية بل أصبحت المكتبات الالكترونية الرقمية التي يمكن من خلالها الحصول على المعلومات ، وعلى الرغم من ذلك التطور الا ان الاولوية تبقى للكتب الرقمية.

تناولنا في بحثنا الموسوم (اثر المكتبات الخاصة في الحركة العلمية في الاسلام – العصر العباسي انموذجاً) ضرورة تلك المكتبات والابداع الاسلامي لا سيما في العصر العباسي في تنظيمها واغنائها بالكتب ...فجاءت الدراسة مقسمة على ثلاث مباحث تناول المبحث الاول التطور التاريخي لحركة تأسيس المكتبات في الاسلام حتى العصر العباسي حيث تم التعريف بالمصطلح ومعناه اللغوي والتطور التاريخي لانشاء المكتبات ابتداء من صدر الاسلام حتى العصر العباسي . وتضمن المبحث الثاني المكتبات الخاصة في العصر العباسي والتي تنوعت كثيرا سواء للخلفاء والوزراء او للعلماء وعامة الناس، في حين ركز المبحث الثالث على اثر المكتبات في الحركة العلمية حيث كان ولا زال اثرها كبيرا على الحركة الفكرية والثقافية والعلمية للبلد بل تعد اللبنة الأولى لبناء الاجيال ، وجاءت الخاتمة لتبين اهم النتائج التي توصل لها الباحث.

اعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر مهمة منها كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير ومعجم العلماء لياقوت الحموي فضلا عن مراجع حديثة ابرزها المكتبات في الاسلام لمؤلفه محمد ماهر حمادة، وكتاب من تاريخ المكتبات في البلدان العربية لمحمد الجواهري وغيرها في قائمة المصادر والمراجع.

اولاً: التطور التاريخي لحركة تأسيس المكتبات الخاصة حتى العصر العباسي: نظر عامة

ان مفهوم المكتبة في اللغة جمعها مكتبات ، وهي مكان وضع الكتب في المنزل او بناية مخصصة لِقُرّاء الكتب، او المطالعة والاستعارة ، وقد تشمل مكان بيع الكتب ايضا(ابو العزم، معجم الغني، كتاب منشور على الشبكة العكبوتية موقع www.almougem.com). ويتم جمع تلك الكتب بكافة أنوعها وأشكالها، وتنظم وتحفظ وتحلل محتوياتها، من خلال فهرستها تصنيفها وترتيبها على الرفوف؛ ليسهل استرجاعها بسهولة وفي أقصر وقت ممكن، وتقدم خدماتها الأفراد المجتمع الذين يحتاجونها، من خلال خدمات الاعارة والمراجع والدوريات والتصوير والإحاطة لجارية، والبث الانتقائي للمعلومات، بالإضافة للخدمات المحوسبة لها.

وقد تتكون تلك المكتبات من غرفة أو مجموعة من الغرف تحتوي على مجموعة من الكتب والمواد الأخرى، بهدف استخدامها من قبل عامة الناس أو فئات مخصصة أو مجموعة تابعة لهيئة او جمعية أو ما شابهها(حمادة، محمد ماهر، المكتبات في الاسلام، ص١١-١٢).

عاش العرب في شبه الجزيرة احقابا طويلة قبل الإسلام، وهم في شبه عزلة عن العالم الخارجي، نعم كانت هناك اتصالات بينهم وبين باقي الشعوب المحيطة بهم، لكنها كانت اتصالات محدودة، ومقصورة على التجارة وحراسة القوافل .وكذلك كانت معارفهم بسيطة تتناسب مع حياتهم البدوية المتنقلة ومتطلبات حياتهم اليومية، لذلك اهتموا بأنسابهم عناية كبرى، ولهم اهتمام بأيامهم وحروبهم والبلاغة وانشاد الشعر الذي يعد من اسس ثقافتهم. كما تناقلوا الكثير من الاساطير، وعندهم بعض مبادئ الطب ولم يكن عندهم سجلات مدونة او مكتبات او كتب او شيء من هذا القبيل أما المواد التي كانوا يكتبون عليها واستمر استخدامها بعد ذلك ، فضروب شتى؛ منها:

أ_ الجلد:

وكانوا يسمونه: "الرق" و"الأديم" "الرق": الجلد الرقيق الذي يسوى ويرقق ويكتب عليه؛ وتجعل "الأديم": الجلد الأحمر أو المدبوغ؛ وتجعل القضيم: الجلد الأبيض يكتب فيه وقد جاء ذكر "الرق" في

القرآن الكريم(ينظر: المسيح، محمد، مخطوطات القران مدخل لدراسة المخطوطات القديمة، ص٢٢-٢٣)، قال تعالى: {والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور}(سورة الطور، الاية ١،٢،٣) ، ورد ذكر الأديم فيما روي لنا من كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم: " وكانوا يكتبون الوحي في زمن رسول الله على الأديم(ينظر:الزركشي، ابرهان، ص١٦٤: الداني، المقنع، ص١٣٤-١٣٨: السجستاني، المصاحف، ج١، ص٢٣-٢٤)، ذكر عمر بن الخطاب أنه انتسخ -على عهد رسول الله - كتابا من أهل الكتاب ثم جاء به في أديم(الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٥٢).

اما القضيم فهو: الجلد الأبيض، فلعله شبه طرائق الدم بنحرها بطرائق جلد أبيض مكتوب عليه أو منقوش عليه باللون الأحمر ، وقد ورد أن الوحي كان يكتب لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على القضم، قال الزهري: قبض رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والقرآن في العسب والقضم(الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج٢،ص١٥٠)) وربما كتبوا على جلد لم يعد للكتابة، وإنما تضطرهم الحاجة الملحة إلى أن يكتبوا عليه، قال سعيد بن جبير "**كان ابن عباس يملي علي في الصحيفة حتى أملأها وأكتب في نعلي حتى أملأها**"(الخطيب البغدادي،تقييد العلم، ص١٠٢).

ب_ القماش: وهو إما حرير وإما قطن، ويطلقون على الصحف إذا كانت من القماش: المهارق، مفردها : المهرق. قال الأصمعي(المفضل، المفضليات، ص٢٥) هو فارسي معرب، وكان أصله خرق حرير تصقل وتكتب فيها الأعاجم، تسمى: مهركرد، فأعربته العرب وجعلته اسما واحدا فقالوا: مهرق ... وقال الأصمعي أيضا المهارق: كرابيس كانت تصقل بالخرز ويكتب فيها، فأراد: مهركرد، أي: صقل به". والكرابيس جمع كرباس بالكسر: ثوب من القطن الأبيض(الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص٢٠) .

يبدو أن هذا الضرب من مواد الكتابة يحتاج إلى إعداد خاص، فكان عزيزا نادرا وغالي الثمن، ولذلك كانوا لا يكتبون فيه إلا الجليل من الأمر، قال الجاحظ: "**لا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان**"(ابن سيده، المخصص، ج١٣، ص٨-٩).

ج_ العسيب، وجمعه: عُسُب بضمتين- وهو السعفة أو جريدة النخل إذا يبست وكشط خوصها(الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص٣٠)، وقريب من العسيب: الكرنافة، وجمعها: كرانيف، وهي أصول السعف الغلاظ العراض اللاصقة بالجذع(م ، ن ، ج٢ / ص ٥٩ مادة ج ذ ع) . وقد ورد أن الوحي كان يكتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على العسب والكرانيف(الزمخشري ، الفائق ، ج ٢ ، ص ١٠٥).

د_ الخشب، وهو على أنواع منه: الرحل: قال زيد بن ثابت: فاتبعت أجمع القرآن من الرقاع والأكتاف والأقتاب جمع قتب بفتحتين أو بكسر فسكون- وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير(السجستاني، المصاحف، ص ٢٠) ،ومن أنواع الخشب التي كانوا يكتبون عليها: الروسم وهي خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الطعام والأكداس في الجاهلية(الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص٣٠).

هـ_ العظام، وأشهر أنواعها : الكتف والأضلاع وكان يكتب عليها الوحي، قال زيد بن ثابت ""... **فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الأضلاع...**" (داني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ص٣)، وكان صحابة رسول الله يكتبون كذلك على الكتف، قال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله: "**يا عبد الله ائتني بالكتف التي كتبت فيها شأن الجد بالأمس ..**"(ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣،ص٣٤٠)

و_ الكتابة على الحجارة: وكانت آيات القرآن تكتب –على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)– على حجارة رقيقة، قال زيد بن ثابت حينما أمره أبو بكر أن يجمع القرآن: فجعلت أتتبعه من الرقاع والعسب واللخاف. واللخاف: حجارة بيض رقاق، واحدته: لخفة، بفتح اللام(الزمخشري ، الفائق ،ج١، ص ٥٢٥).

كان – إبان الدعوة الإسلامية في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) زمن تنزُّل القرآن – طائفة من الصحابة وكلّ إليهم كتابة القرآن وتدوينه، وغرفوا بكتاب الوحي، وكان منهم: أُبَي بن كعب، وعلي بن أبي طالب(ع)، وزيد بن ثابت، وغيرهم ولكنه كان مدونا في صحائف متفرقة، ولم تجمع إلا في عهد الخليفة أبي بكر خوفا عليه من الضياع، وقد ورد عن كثير من الصحابة أنهم كانوا يحتفظون بصحائف وكتب، ثم تطور تدوين القرآن وضبط رسمه في عهد الخليفة عثمان بن عفان حسماً للخلاف بين الأمة حول القراءات القرآنية، وكان هذا التدوين هو أضخم وأدق عملية تدوين تمت في الصدر الأول للإسلام، ثم انتشرت نسخ القرآن، بالإضافة إلى مدونات متفرقة للأحاديث النبوية التي كانت في أول أطوارها. ومما يذكر من مدونات في العصر الأول – وبعضه من موروث العصر الجاهلي – تلك المعاهدات والرسائل، والوثائق والأنساب التي احتفظت بها القبائل وبعض الإمارات(الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص١٥)

وبشكل عام، فليس هناك ما يستحق أن يوصف بأنه مكتبة في ذلك العهد، إلا ما كان من الاحتفاظ ببعض المدونات من النسخ، سواء في البيوت أو المساجد ونحو ذلك . فيذكر أن الصحابي عبد الله بن عباس(ت ٦٨هـ/٦٨٧م) كان يملك كتبا كثيرة بلغت حمل بعير، وكان لعبد الله بن عمر(ت ٧٤هـ/٦٩٣م) كتب إذا خرج إلى السوق نظر فيها، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحفظ كتبه وصحفه في صندوق له حلق، ولعروة بن الزبير(٩٤هـ/٧١٣م) كتب احترقت يوم الحرة فحزن عليها وقال: **(وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي)**(المرعشلي، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، ص٢١٦)، وكان مجاهد بن جبير(ت ١٠٤هـ/٧٢٢م) يسمح لبعض أصحابه أن يصعدوا إلى غرفته فيخرج إليهم كتبه فينسخون منها(م.ن ، ص٢١٧).

ثانياً – المكتبات الخاصة في عصر الدولة الاموية:

شهد هذا العصر اهتماما ملحوظا بالمكتبات ،ففي عهد معاوية بن أبي سفيان بالشام صارت له مكتبة لها خدم وأعوان متعاونون على احضارها وقراءة مصنفاتها عليه، ثم كثرت الكتب العربية والمعربة بها، ومن المكتبات الأخرى في العصر الاموي، مكتبة خالد بن يزيد بن معاوية الذي أعده أكثر من الباحثين أول من حملت له الكتب وجعلها في خزانة الاسلام(الكتاني، تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب ص ٢٥–٦).

وكان أول من أمر بترجمة كتب الطب والكيمياء، فضلا عن انه كان شاعراً وخطيباً فصيحاً وله مؤلفات عدة لاسيما في علم الصنعة (الكيمياء) الذي اشتهر به (الدياجي، بيت الحكمة، ص٩).

ويذكر أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وجد كتاب الطب في خزائن الكتب الأموية(ينظر: البدراوي، الاضطهاد للنصارى في الدولة الاموية، ص٩٧ وما بعدها) وانه استخار الله في إخراجه إلى المسلمين وبثه في أيديهم،

وهذا النص صريح في الإشارة إلى اهتمام الخلفاء الأمويين بالمكتبات ونقل المعرفة من اللغات الاخرى (حمادة، المكتبات في الاسلام ، ص ٤٢-٤١).

ومن مكتبات الخلفاء في العهد الأموي مكتبة الوليد ابن عبد الملك (ت٨٩٦/٧١٤ م) ويذكر ان للوليد الثاني (ت ١٢٥/٧٤٢م) مكتبة، وانها كانت كبيرة اذ يذكر انها حملت بعد وفاته على دواب عدة(الجبوري، المكتبات في الحضارة الإسلامية، ص ١٧٢).

وذكر الزهري (ت ١٢٤هـ ٧٤١م) رواية عن الخليفة عمر بن عبد العزيز فيها يأمر بتدوين السنن وتوزيعها على الامصار الإسلامية وطبعي انها كانت تحفظ في أماكن لكي تكون في متناول الجميع في دليل على اهتمام الخليفة بالعلم ومن دون شك بتشييد المكتبات (غلامي، محو السنة أو تدوينها، ص١٩٥).

ثالثاً: المكتبات في العصر العباسي

١_ مكتبات رجال الدولة:

أ- الخلفاء: كان الخلفاء العباسيون في مقدمة المشجعين على ارتياد مناهل العلم والاقبال عليه ،وقد بذلوا في سبيل ذلك المبالغ الطائلة، فأسسوا المدارس وأعمروا الخزائن بالأسفار النفسية ووصلوا العلماء والأدباء والشعراء بالصلات السنية.

فلم يكن قصر الخليفة إلا منتدى تتبارى فيه الشعراء والأدباء، ومن أعظم الأدلة على رغبتهم في العلم، انشاؤهم لخزائن الكتب في دار الخلافة(جورج مقدسي، نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ص٣٤١-٣٤٢، كوركيس ، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة ، ص ١٠٣).

ومن أبرز الخلفاء الذين كانت لديهم مكتبات خاصة وحسب ما تداولته الكتب:

١ - الخليفة أبو جعفر المنصور:

هو ثاني خلفاء بني العباس، ومن ابرزهم على الساحة السياسية تولى الخلافة سنة (١٣٢-١٥٨ هـ/ ٧٠٤-٧٧٥م) كان هو أول من عني بالعلوم من خلفاء بني العباس وكان بارعا في الفقه، وفي علم الفلسفة وخاصة في علم صناعة النجوم، حيث يقول ابن أبي أصيبعة أنه " نقل للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية"(ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢١٣، ينظر ايضا: جورج مقدسي، نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ص١٠٣ وما بعدها). وأشار إلى أن احد البطاركة المسيح من التراجمة في أيام المنصور فقد أمره بنقل الأشياء من الكتب اليونانية القديمة " ولا شك في أن النسخ لهذه الكتب المنقولة كانت تحفظ في خزانة المنصور". وكان المنصور يتتبع اخبار المؤلفين، ويتقصى أخبار كتبهم قبل أن يطلع عليها الناس، فقد وصل إلى علمه أن أبا الفرج الأصفهاني الأديب المشهور، وكان أموي النسب، يؤلف كتابا لم يسبقه إليه أحد هو كتاب الأغاني(الجواهري، من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، ص ١٣٣) ،هذا وقد جمع المنصور جميع من كان حاذقا في النسخ والضبط والإجادة في التجليد وتسخيره في خدمة العلم والمكتبات(م،ن،ص١٣٣).

٢ - الخليفة المعتضد بالله:

المعتضد بالله الخليفة العباسي السادس عشر الذي امتدت خلافته من (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م)، اذ يذكر ابن أبي أصيبعة في حديثه عن أحمد ابن الطيب السرخسي ان ذلك المؤلف صنف جملة من الكتب للخليفة العباسي المعتضد منها: اللهب والملاهي ونزهة المفكر الساهي وهو كتاب الغناء

والمغنيين ومنها كتاب الطبيخ وكتاب في أدب النفس حيث وضعت باسم الخليفة في خزانة كتبه(ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٢١٥: وكذلك ينظر : جورج مقدسي، نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ص٩٨)

ومما حوته خزانة المعتضد من المصنفات هي جوابات عن مسائل سأل عنها هذا الخليفة طبيبه أبا الحسن ثابت بن قرة (ت٢٨٨هـ/٩٠٠م)، وأيضا كان يحي بن علي بن يحي المنجم (ت ٣٠٠هـ-٩١٢م) قد صنف للخليفة المعتضد بالله رسالة في الموسيقى(م ن ، ص ٢٢٠).

٣ – الخليفة الراضي بالله:

كان الراضي بالله العباسي(للتفاصيل عنه ينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤٢٧، الدوري: عبدالعزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٥٩-٦٠، منيرة عبدالله، العريان، الخليفة الراضي بالله العباسي، ص٣٥-٩٧) أحد الخلفاء الأدباء وكانت خلافته (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م)، وقد كانت له اهتمامات علمية قبل تسلمه زمام الخلافة، وكان يملك خزانة كتب خاصة، وقد وسع تلك الخزانة وأغناها بأمهات الكتب وأعيانها بعد استخلافه، وما يدل على توسعتها انه كان لها وراقون ومجلدون، مما يدل على الرغبة في اعمارها واثراء كتبها في النسخ والاعتناء بها في التجليد، وقد ضمت في ما ضمت طرائف وتحفا خطية نفيسة ومعاهدات ومراسلات كما يحكى عن اخبارها (الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي باالله، ص ١٩١) ، ومن تلك النفائس كتاب ورد من ملك الروم إلى الخليفة الراضي بالله، وصفه ابن الجوزي بأنه مكتوب بالرومية بماء الذهب والترجمة بالعربية بماء الفضة، كان يطلب فيه الهدنة(الصولي، اخبار الراضي والمقتفي، ص٨-٩، كوركيس، خزائن الكتب القديمة، ص١١٦).

٤ – الخليفة القائم بأمر الله:

هو الخليفة السابع والعشرون من خلفاء بني العباس(السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٥٠٠) حيث كانت مدة الخلافة (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٠م)، كانت له خزانة كتب ورثها عمن سبقه من الخلفاء، غنية بالمصنفات المتنوعة، ومما اشتملت عليه خزانة القائم بأمر الله من النوادر، النسخة الأم من كتاب (رسوم دار الخلافة) لهلال بن المحسن الصابي (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) فقد ذكر في مقدمته أنه ألفه وأهداه الى القائم لأمر الله (م ن ،ص ١١٧).

٥ – الخليفة المقتدي بأمر الله:

المقتدي بأمر الله هو الخليفة العباسي الثامن والعشرون(للتفاصيل عنه ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٣)، وكانت مدة خلافته (٤٦٧-٤٨٧هـ/ ١٠٧٥-١٠٩٤م)، وشانه شأن غيره من الخلفاء، حيث كانت له مكتبة احتوت على العديد من الكتب في مختلف صنوف المعرفة، مثل كتب الطب، ومنها كتاب "**تقويم الأبدان في تدبير الاغسان**" لأبي علي يحيى بن عيسى المتطبب(ت ٤٩٣هـ)، و أيضاً **كتاب النفيس في المواد الطبية**، عنوانه "**منهاج البيان فيما يستعمله الانسان**"، كما ألف أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين، الطبيب (ت ٤٩٥هـ / ١١٠١م) كتابا للمقتدي بأمر الله عنوانه "**المغني في الطب**"(كوركيس، خزائن الكتب القديمة ، ص ١١٩، موسوعة الملك عبدالله العربية للمحتوى الصحي، على الانترنت، HON...Code ، ٢٠١٨م).

٦ – الخليفة الناصر لدين الله العباسي:

هو أحمد بن المستضيء لأمر الله الحسن بن المستنجد، أبو العباس الناصر لدين الله ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٥٧٥هـ/١١٨٠م) وبقي في الحكم مدة طويلة بلغت حوالي سبع و أربعين

سنة(٥٧٧هـ-١١٨٠م/٦٢٣هـ-١٢٢٥م)، وقد كان قويا حازما أعاد للخلافة هيبتها بعد أن دب فيها الضعف والإنحلال(السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤٩٣). وكان للناصر خزانة كتب كبيرة حوت مختلف العلوم والفنون ،ومما يستدل على ضخامة هذه الخزانة، أنه أخرج منها كتبا لثلاث خزائن اخرى: خزانة دار المسناة، وخزانة الرباط الخاتوني السلجوقي، وخزانة المدرسة النظامية وكلها ببغداد.(الجبوري، المكتبات في الحضارة الاسلامية، ص ٢٠٩).

٧ - الخليفة المستعصم بالله:

المستعصم بالله آخر الخلفاء بني العباس، الذي قتله هولاكو قائد المغول عند اسقاطهم الخلافة العباسية (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) (السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٥٠٩) ، جمع من خزائن الكتب ما اشتهر ذكره في بطون التواريخ، وللخليفة المستعصم بالله خزانتان متقابلتان للكتب، كما عمر الخليفة خزانة كتب اخرى وأمر أن يختار لها كاتبين يكتبان ما يختاره، وتلك الخزانتين تولى امر ادرتهما ابن النيار الصوفي (قتل سنة ٦٥٦هـ عند دخول المغول الى بغداد) وهي القديمة (ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥-٣٦) والثانية الجديدة: سلمت الى صفي الدين الأرموي البغدادي(٦١٣هـ-١٢١٦م/٦٩٣هـ-١٢٩٤م)(ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص٣٨٤-٢٨٥؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٨٤؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ج٥ و٣، ص١٤٩؛ امين، احمد، ظهر الاسلام، ج١، ص١٨٤).

ولكن الغريب في امر الخليفة المستعصم وبحسب ما يذكر عنه انه لم يكن من اصحاب العلم اذ جاء في رواية عند احد المصنفين انه "**في بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوسا ليس فيه كثير فائدة**"(ابن طباطبا، الفخري في الاداب السلطانية، ج٢، ص١٢٢-١٢٣، وكذلك ينظر : كوركيس، خزائن الكتب القديمة ، ص ١٢٣).

ب - الوزراء: عرف عن بعض من وزراء الدولة العباسية ميلهم الشيديد الى الأدب، وضربهم بسهم وافر في ميدان البحث والتألف، فضلا عن انهم كانوا رجال سياسة ، مما يدلل على انه يجمعون بين السياسة والادب وولعهم بالادب والعلم كان دافعا لهم باقتناء مكتبات خاصة بهم ومنهم .

١ - يحيى البرمكي:

هو يحيى بن خالد البرمكي، من أشهر رجال البرامكة ، حيث قربه هارون الرشيد اليه وجعله وزيراً له الى أن نكب هارون البرامكة فغضب عليه وأدخله الحبس، فمات فيه سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م)(الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص ١٢٨). وكان يحيى البرمكي محبا للأدب والشعراء مغدفا عليهم وكان يقول لولده: "**أكتبوا أحسن ما تسمعون وأحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون**"(م . ن ، ج٤، ص ١٢٩). كما كانت له خزانة كتب جليلة حافلة بالمصنفات المتنوعة، ولقد ذكر الجاحظ خبرا عن نفائس تلك الخزانة حيث قال:"**حدثني موسى بن يحي قال: ما كان في خزانة كتب يحي البرمكي وفي بيت مدارسه كتاب إلا وله ثلاث نسخ** "(كوركيس، خزائن الكتب القديمة، ص١٧٨).

٢ - محمد بن عبد الملك الزيات:

كان ابن الزيات(للتفاصيل عنه ينظر : ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص٩٣: الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٨٤)، من أشهر الوزراء والعلماء في العصر العباسي وقد وزر للمعتصم والواثق وأياما قلائل في خلافة المتوكل، لان الأخير نكبه ثم قتله سنة (٢٣٣هـ/٨٤٧م).

وقد جمع ابن الزيات خزانة كتب كبيرة كانت زاخرة بمختلف مصنفات المعرفة ، اذ جاء عنها في قول للجاحظ: "**أردت الخروج الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وأهدته كتاب سيبويه فقال له ابن الزيات: ظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب**"(ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص٥٤٩ ؛ الزركلي، الاعلام ، ج٦، ص٢٤٨). وذكر ابن أبي أصيبعة في حديثه عن محمد بن عبد الملك الزيات كان يقارب عطاؤه النقلة والنساخ في كل شهر ألفي دينار، ونقل باسمه كتب عدة، وكان أيضا ممن نقلت إليه الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء، ومن هاته الأخبار خير دليل ما كانت تضم مكتبته من نفائس الكتب وأمهاتها(كوركيس، خزائن الكتب القديمة، ص ١٧٩).

٣ – الفتح بن خاقان:

هو وزير الخليفة العباسي المتوكل و الذي قتل معه في سامراء سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م)(ابن طباطبا، الفخري، ص١٧٤)، أغرم الفتح بجمع الكتب: فكانت له خزانة جليلة القدر " لم يُر أعظم منها كثرة وحسنا"، حيث أشار ابن النديم، إلى أن أبا الحسن بن يحي بن أبي منصور المنجم ت(٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م) هو الذي عني بجمع خزانة الفتح، فقد اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة، نقل إليها من كتبه ومما استكتبه الفتح أكثر مما اشتملت عليه خزانة أخرى (ابن النديم، الفهرست، ص٣٦١).

ومما يدل على ولع الفتح بن خاقان بالمطالعة، " أنه كان يحضر المجالس التي كان يقيمها الخليفة المتوكل ، فإذا أ ارد القيام لحاجة، أخرج كتابا من كمه، وقراه في مجلس المتوكل إلى حين عودته إليه و أرجع الكتاب لمكانه في دلالة على ولعه بالعلم (كوركيس، خزائن الكتب القديمة، ص١٨١)، وكان الفتح يهتم كثيرا بالعلماء، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبحرينين، وهذا يدل على اهتمامه بالعلم والعلماء، كما يذكر عنه انه كان يطلب من العلماء ان يؤلفوا له كتبا في عنوانات هو يطلبها منهم : الجاحظ ألف له : "**التاج في أخلاق الملوك**" و"**مناقب الترك و عامة من الخلافة**"، وألف له محمد بن الحارث الثعلبي كتابه المعروف بـ " **أخبار الملوك**"، وألف له محمد بن حبيب، كتاب "**القبائل الكبيرة والأيام**)وهو من الكتب المفقودة (م ن ، ص١٢٠).

٤ – الوزير القاسم بن عبيد الله:

أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان(ت٢٩١هـ/٩٠٣م)، كان وزير للمعتضد ثم للمكتفي كان أيام صباه يتأدب على يد أبي إسحاق الزياج النحوي، وقد اقتنى القاسم بن عبيد الله، خزانة كتب في أبي العباس ثعلب النحوي (الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص٥-٦؛ متز، ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٢٤٩؛ كوركيس ، خزائن الكتب القديمة ،ص ١٨٢.)

٥ – الوزير سابور بن أردشير:

هو أبو نصر سابور بن أردشير (ت ٤١٦هـ/١٠٢٥م) وهو الذي وزر لبهاء الدولة البويهي ثلاث مرات، ووزر أيضا لشرف الدولة وكان سابور كاتبا سديدا، عفيفا عن الأموال، كثير الخير، حيث أنه اشتهر بخزانة الكتب التي أنشأها ببغداد سنة (٣٨١هـ/٩٩٠م) وسماها دار العلم ووقفها على أهله ونقل إليها كتبا كثيره ابتاعها وجمعها، وعمل لها فهرست، ورد النظر في أمورها ومراعاتها والاحتياط عليها، الى الشريفين أبي الحسين محمد بن أبي شيبة وابن عبيد الله محمد أحمد الحسيني(ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،

ج٤، ص١٦٤؛ابن الاثير، الكامل ، ج٨، ص٨٨).

وأشار بعض المؤرخين إلى أن عدد ما اشتملت عليه هذه الخزانة، كان أكثر من عشرة آلاف مجلد و كانت تلك الخزانة مرتعا للعلماء والباحثين، تترددون إليها للدرس والمناظرة والمباحثة ومن أشهر روادها الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري(ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)(م . ن ، ص: ١٤٠-١٤١).

٦ – مكتبة الكندري:

الكندري منسوب إلى كندر وهي قرية في نواحي نيسابور، و اسمه عميد الملك أبو نصر محمد بن أبي صالح منصور بن محمد الكندري، استوزه السلطان طغرل بك السلجوقي، ثم استوزه ألب أرسلان السلجوقي إلى أن قتل سنة (٤٩٦هـ _ ١١٠٢ م)(ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢، ص ١٠٣). كانت لديه خزانة كتب جلب لها كتب من خزانة الكتب التي وقفها أردشير التي أحرقت فيما بعد أي مكتبة اردشير، فاختار الكندري لها من الكتب خيرتها، (م ن ، ،ج٢، ص١٠٥).

٧ – الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي:

هو أبو طالب محمد ابن أحمد بن العلقمي، كان وزيرا في أيام الخليفة المستعصم أخر خلفاء بني العباس في العراق، واشتهر أمره في حادثة سقوط بغداد على يد المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وتوفى سنة ٦٥٦هـ . كان لهذا الوزير خزانة كتب حافلة بصنوف المعرفة والواقعة في داره، وكان قد نقل إليها كتبا كثيرة في مختلف العلوم، وقد ذكر ابن كثير بقوله في حوادث سنة ٦٤٤ هـ يوم تم فتح تلك الخزانة جاء فيه: " **فيها فتحت دار الكتب التي أنشأت من الوزير مؤيد الدين عمر بن أحمد العلقمي بدار الوازرة، وكانت نهاية في الحسن، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة الكثير وامتدحها الشعراء بأبيات وقصائد حسان**!"(ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ١٧٢).

وذكر ابن طباطبا إن ابن العلقمي "**كان يحب أهل الأدب ويقرب أهل العلم اقتنى كتبا كثيرة نفيسة**"(ابن طباطبا ، الفخري ، ص ٣٨٩-٣٨٨) ، وابن العلقمي هو الذي طلب من ابن ابي الحديد تأليف كتاب شرح نهج البلاغة، (ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٤).

ج_ مكتبات اخرى تعود ملكيتها لبعض سلاطين بني بويه والسلاجقة:

ومنهم – خزانة عضد الدولة البويهي:

هو أبو شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة البويهي، حيث دامت ولايته بالعراق خمس سنين ونصف، وتوفي ببغداد سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)، وقد كان عضد الدولة البويهي محبا للعلوم والعلماء حيث كان يجلس معهم يعارضهم في المسائل و كان العلماء يقصدونه من كل بلد، وصنفوا له الكتب منها: "الايضاح في النحو، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٣-١٦)، هذا وقد جمع عضد الدولة لنفسه خزانة كتب كبيرة، أنشاها أولا في قصره بمدينة شيراز. ولكنها نقلت فيما بعد إلى بغداد، حيث يصف البشاري المقدسي تلك المكتبة وهو من معاصري عضد الدولة البويهي بقوله: " **وخزانة الكتب هي حجرة على حدى، عليها وكيل وخازن ومشرف ولم يبق كتاب صنف إلى وقته من انواع العلوم كلها إلا وحصله فيها وهي أزج طويل في صفقة كبيرة، فيه خزائن من كل وجه، وقد ألصق إلى جميع الحيطان الأزج والخزائن بيوتا طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق، عليها ابواب تتحدر من**

فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع من البيوت وفهرستان فيها أسامي الكتب لا بدخلها إلا وجيه"(المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٤٩).

٢ – مكتبات العلماء والادباء

أ_ مكتبة محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م):

الواقدي من أشهر المؤرخين في العصر العباسي، وهو عالم بالسير والمغازي والفتوح والأخبار وألف العديد من الكتب في تلك المجالات، وانتقل من المدينة الى بغداد، وأقام فيها، وأنشأ مكتبة عظيمة، أصبحت مضربا للأمثال في كثرة مؤلفاتها، فيذكر أنه عندما تحول من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي في بغداد حمل معه عددا من المؤلفات التي بلغت كما بذكر ستمائة قطمير، والقمطر ما يحفظ به الكتب(ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج٥، ص٢٨١) ،وكان الواقدي يستعين بالنساخ في مؤلفاته، فيذكر أن غلامين كانا يقومان بالنسخ للواقدي في الليل والنهار(عبد الرؤوف، الحواضر الإسلامية الكبرى، ص ٢٤٩: ينظر، ابن النديم، الفهرست، ج٢، ص٣٠).

ب _ مكتبة إسحاق الموصلي (ت ٢٠٣هـ/٨٥٠م):

وهو النديم الشهير صاحب الغناء لم يكن له نظير في الغناء في العصر العباسي، وكان شاعرا عالما باللغة وعلم الكلام، وله العديد من الأشعار، ولد سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) وألف العديد من المؤلفات في الغناء والأخبار، لديه خزانة كتب شهيرة، اشتهرت بكثرة مؤلفاتها، وعندما خرج من بغداد إلى الرقة برفقة الملك بن قريب الأصمعي، حمل من كتبه شيئا خفيفا بلغ حوالي ثمانية عشرة صندوقا، فاستغرب الأصمعي من ذلك وقال :" **ماذا حملت؟ قال: حملت الخفيف ، فقال الأصمعي : إذا كان ذلك الخفيف فما بالك بالثقيل، فقال الموصلي: أضعاف ذلك**"(عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث هجري، ص٢٩٤).

ج_ مكتبة يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م):

وسميت هذه الخزانة بالكندية، وكانت تشتمل على عدد من المؤلفات في مختلف الفنون، وقيل أن مصنفات الكندي وصلت إلى حوالي مئتين وسبعين كتابا في العديد من العلوم كالفلسفة والهندسة والحساب والنجوم والمنطق والموسيقى(عبد الرؤوف، دارسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٩٨).

د _ مكتبة الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م):

وهو الأديب والكاتب الشهير عاش في ايام المأمون، وكتب في الفلسفة والعلوم والاقتصاد والرياضيات وعلم الحيوان، وله الكثير من المؤلفات الأدبية مثل البيان والتبيين، والبخلاء واتصف بحبه للعلم ، وهو بهذه الموصفات يعد عالما موسوعيا، وقد انعكس ذلك في جمعه للكتب اذك كانت له خزانة خاصة به، بالإضافة إلى أنه كان يقضي الأوقات ليست بالقصيرة في دكاكين الوارقين، وتذكر المصادر أن هذه الخزانة التي كانت تصل إلى سقف غرفته وقعت عليه وهو مريض وتسببت في قتلته (م . ن ، ص٢٩٩).

هـ – مكتبة علي بن يحيى المنجم (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨ م):

كان شاعرا و راويا للأخبار، اتصل بالفتح بن خاقان وجمع مكتبة كبيره له حوت مختلف صنوف المعرفة، ولشدة تأثره بالوزير الفتح بن خاقان في هذا المجال قرر ان ينشأ مكتبة كبيرة في قصره الواقعة في كركر إحدى ضواحي مدينة بغداد، وكان العلماء والأدباء يأتون إليها من مختلف الأقطار والامصار

للإفادة من مصنفاتها في التألف في مختلف أنواع العلوم (ياقوت الحموي ،معجم الأدباء، مج١٥ ، ص ١٥٧) ، ويذكر أن رجلا كان ذاهبا لأداء فريضة الحج وبعد أن أرى مكتبة علي بن يحيى المنجم، دخل إليها، وانشغل عن أداء فريضة الحج، وجلس في تلك المكتبة للتأليف. ويذكر ان النفقة على تلك المكتبة كانت تجرى من مال يحيى بن المنجم الخاص(السامرائي، علي بن هارون المنجم، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ٢-٣، ١٩٨٢م، ص ٢٠٣).

و – مكتبة إسماعيل بن إسحاق الأزدي (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):

كان إسماعيل الأزدي قاضيا ببغداد عرف عنه انه كان محبا للعلم والعلماء ، عمل خزانة كتب كبيرة حوت مختلف صنوف المعرفة مما كانت مقصدا للعديد من العلماء والمؤرخين(سعيد ، معاهد التربية الإسلامية ، ص ٤١٧).

ز – مكتبة إبراهيم بن إسحاق الحراني (ت ٢٨٦هـ/٨٩٨م):

هو الإمام والفقيه إبراهيم بن إسحاق الحراني ، كانت له مكتبة معروفه بما حوته من مؤلفات مختلفة، ولأهميتها وسعتها كانت تتم فيها عمليات النسخ والتجليد، قال عنها الخطيب البغدادي بأنها ثروة، ويبلغ عدد المؤلفات فيها حوالي أثنى عشرة ألف مجلد(الخطيب البغدادي ،تقييد العلم، مج ٦، ص ٣١).

م – مكتبة أبناء موسى بن شاكر:

وهم ثلاثة إخوة ، كانوا من أشهر علماء ومنجمي العصر العباسي، لهم العديد من المؤلفات الشهيرة، عملوا خزانة للكتب جلبوا لها المصنفات من مختلف البلدان، ومن اجل تطويها ورفدها بمختلف صنوف المعرفة قاموا بإرسال البعثات العلمية إلى بلاد الروم، وأحضروا المترجمين ليقوموا بأعمال الترجمة وأظهروا بعملهم هذا عجائب الحكمة في مختلف مجالات العلوم(القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٠٨).

نتائج الدراسة:

١- أن نهضة أي أمة وازدهار حضارتها لا يأتيان من فراغ، إنما ذلك نابع من إنجاز متكامل ومتناسق في كل المجالات، إضافة إلى وعي تام بكل ما يوصل للتميز والرقي، خاصة في مجال العلم الذي يعد مشعل الفخر بين الأمم، والمؤشر الأبرز لتقدمها الحضاري، من خلال العناية بالعلم والعلماء والإشادة بفكرهم، وتشجيعهم على البحث والإنتاج ونشر كتبهم وحفظها في الخزائن والمكتبات' عرف تاريخنا الإسلامي حقبا لا نظير لها في رقي العلم والتأليف في كل الفنون والميادين المعرفية، وشهد ظهور أكبر المكتبات التي بهرت انظار العالم اذ كانت تشد إليها الرحال من كل أقطار العالم لذيع صيتها وندرة كتبها. ولا ننسى ان في تراثنا الإسلامي ان القرآن شجع الإنسان على التفكر في خلق الله والنظر في الكون فقال سبحانه: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}(سورة يونس: آية ١٠١) ، وأمرنا ربنا بالتفكر في خلق الجبال والسموات والكواكب والزروع والحيوانات والنفس البشرية وتاريخ الأمم لتتنوع معارفنا عن الحياة التي تحيط بنا، قال الله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧)وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**}(سورة فاطر: آية ٢٧ – ٢٨)

٢. وقد وجدنا في صدر الإسلام كان المسجد النبوي هو مكتبة المسلمين يتعلمون فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتربون على يديه، وقد أمرهم بكتابة القرآن الكريم والحفاظ على الرقاع التي يكتب عليها، حيث كانت تحفظ في البيوت وتصان من التلف والتزوير، وكان هذا يمثل نقطة تشكل مفهوم المكتبات في الإسلام، وقد جمعت هذه الرقاع والألواح في مكان واحد في خلافة الصديق حين بدأ بجمع القرآن الكريم إثر معركة اليمامة لقد تحول أعراب البادية وأبناء القبائل الفقيرة في المسجد النبوي المبارك من أناس بسطاء لا يعرفون شيئا سوى الرعي والحرب وما توارثوه من الأخلاق والشعر إلى قادة للأمم يعلمونهم الأخلاق والحكمة والمعرفة ودين الله.

وقد تجلى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم كأحد أركان المجتمع المسلم بعد معركة بدر الكبرى عندما جعل فداء بعض الأسرى تعليم القراءة والكتابة لعشرة من أولاد المسلمين؛ إذ استمر تعليم القراءة والكتابة طيلة العهد النبوي بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن سعيد بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبا محسنا.

٣. وفيما تلا الحقبة النبوية عمل بعض الصحابة على تدوين ما تيسر لهم من الحديث والمسائل، كما أسس بعض الصحابة والتابعين مكتبات خاصة بهم يجمعون فيها صنوف الكتب والعلم، ويعد هذا أول ظهور للمكتبات في الإسلام .

٤ـ لقد استمر عصر المكتبات الخاصة في فترة الحكم الأموي، ويعد معاوية بن أبي سفيان(٤١هـ/٦٠هـ) أول من أمر بتدوين القصص والتاريخ وكتابته على الورق، ثم جاء بعده حفيده خالد بن يزيد(ت ٩٠هـ/٧٠٩م)، الذي كان له اهتمام خاص بعلوم الكيمياء، فأمر بإحضار كتب اليونان والقبط إلى دمشق وترجمتها إلى العربية، وبذلك وضع أول أساس للمكتبات العلمية في عالمنا الإسلامي، فالعلم يبدأ من ترجمة معارف الأمم الأخرى الأكثر تقدما إذ تتعلمها الأمة ثم تبني عليها لتسهم في دورة الحضارة الإنسانية.

استمرت حركة التدوين واقتناء الكتب ضعيفة في ذلك العصر، واقتصرت المكتبات على الصعيد الشخصي؛ إذ كان اعتماد أهل العلم في ذلك الزمن على المشافهة والتلقي لا التدوين في الكتب.

٥. وفي عصر العباسيين(١٣٢هـ/٧٥٠م-٦٥٦هـ/١٢٥٨م) انتشرت حركة التدوين والنسخ أكثر، وكثر التأليف في مختلف العلوم، وعلى رأسها الحديث الشريف والتفسير واللغة والشعر والسيرة والتاريخ والمنطق والفلسفة والطب، وكان الخلفاء العباسيون يجزلون العطاء على العلم والتأليف والترجمة.

٦ـ إن المكتبات العامة شكلت إحدى أبرز معالم النهضة العلمية عند العرب والمسلمين، وقد كثرت منذ أواخر القرن الثاني الهجري، بعد ان تنافس الخلفاء في الحصول على أنفس الكتب وأندرها حتى زخرت المكتبات العامة بآلاف المجلدات، وانتشرت خزائن الكتب في أقطار العالم الإسلامي من سمرقند وفاس إلى بخاري وقرطبة ومن بغداد ودمشق إلى حلب والقاهرة، وأمدها الأمراء والخلفاء بما تحتاج إليه من الموظفين والمواد الكتابية وما يلزم لتجليد الكتب لكن كانت بغداد هي التي تحتل الصدارة.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

اولا_ المصادر القديمة

١_ ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) الكامل في التأريخ (مطبعة صادر ، بيروت ،١٩٦٦م).

٢_ ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس(ت٦٨٦هـ / ١٢٧٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق موللر (مطبعة القاهرة ، القاهرة ، ١٨٨٤م).

٣_ الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) . تقييد العلم ، تحقيق سعيد عبد الغفار على (دار الاستقامة ، بيروت ، ١٩٩٠ م) . تاريخ بغداد (مكتبة الخانجي ، القاهرة ،١٩٣١م).

٤_ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (دار السعادة ، مصر ،١٩٤٨م).

٥_ الداني ، أبو عمر عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق نورة بنت حسين (مطبعة الترقي ، دمشق ،١٩٤٠ م).

٦_ الزبيدي ،محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى(ت١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس ، (طبعة الكويت ، الكويت ، ١٩٩٠م).

٧_ الزمخشري، جار الله محمود بن عمر(ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٧م)

٨_ السجستاني ،ابو بكر بن ابي داود (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨م) المصاحف ، تحقيق، محمد بن عبده ط١ (مكتبة الفاروق الحديثة ، مصر ،٢٠٠٢م).

٩_ ابن سعد ،محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ / ٨٤٤م) الطبقات الكبير الطبقات الكبرى تحقيق علي محمد عمر،ط١ (مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت)

١٠_ ابن سيده ،علي بن إسماعيل أبو الحسن(ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) المخصص (دار الطباعة الكبرى الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م)

١١_ الصولي ، محمد بن يحيى بن عبد الله (ت٣٣٥هـ / ٩٤٦م)،أخبار الراضي بالله والمتقي بالله (مطبعة مصر ، القاهرة ،١٩٣٧م)

١٢_ ابن طباطبا، محمد بن الحسن بن محمد (ت ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق محمد توفيق (المطبعة الرحمانية ، القاهرة ،١٩٢٩).

١٣_ الطبري،محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ / ٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك منشور على الشبكة الالكترونية https\\www.google.com

١٤_ الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب مجد الدين(ت٨١٧ هـ / ١٤١٤م) القاموس المحيط (دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٠م).

١٥_ القنطي ، جمال الدين القفطي (ت٦٤٦ هـ /١٢٤٨م)أخبار العلماء بأخبار الحكماء مطبعة السعادة، مصر ،١٩٢٧ م).

١٦_ ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)البداية والنهاية، (مكتب السعادة القاهرة، ١٩٦٦م).

١٧_ المفضل ، بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي(ت١٦٨هـ / ٧٨٤م) المفضليات "ليال": تحقيق احمد محمود شاكر و عبد السلام محمد هارون (دار المعارف، القاهرة ، ١٩٩٠م).

١٨_ المقدسي، محمد بن أحمد (ت٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م)أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (وزارة الثقافة شق ،١٩٨٠م).

١٩_ ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) تحقيق: أمين فؤاد السيد (مؤسسة الفرقان لتراث الاسلامي ، لندن ،٢٠٠٩م).

٢٠_ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م)،معجم الأدباء (دار المستشرق، بيروت ،١٩٢٢م).

<u>ثانيا . المراجع الحديثة</u>

١_ الجبوري :يحي وهيب ،المكتبات في الحضارة الإسلامية (دار الغرب الإسلامي،بيروت، ١٩٩٨م).

٢_ الجواهري ، محمد ،من تاريخ المكتبات في البلدان العربية (منشورات وازرة الثقافة السورية ، دمشق ،١٩٩٢م)
٣_ حمادة: محمد ماهر: المكتبات في الاسلام ،ط٢ (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٨م).
٤_ الخطيب :محمد عجاج ، أصول الحديث علومه ومصطلحه(دار الفكر ، بيروت ،٢٠٠٢م).
٥_ الدياجي ،سعيد ،بيت الحكمة، ط٢ (مؤسسة الكتاب للطباعة والنشر ،بغداد ، ١٩٧٢م).
٦_ السامرائي: يونس علي بن يحي المنجم ، مجلة المجتمع العلمي العراقي، العدد ٣٧، (مطبعة المجمع ، بغداد ، ١٩٨٥م).
٧_ السرجاني ،الدكتور راغب ، المغول وحرق مكتبة بغداد، موق الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات .
٨_ سعيد ، إسماعيل ،معاهد التربية الإسلامية (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦).
٩_ عبد الباقي ، أحمد ، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث هجري، ط١ (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،١٩٩١)
١٠_ عبد الرؤوف ، عصام
- الحواضر الإسلامية الكبرى، ط١(دار الفكر ،بيروت ، ١٩٧٦) .
- دارسات في تاريخ الدولة العباسية(دار الفكر ، القاهرة ،١٩٩٩) .
١١_ ابو العزم، عبد الغني، معجم الغني ، كتاب منشور على الشبكة الالكترونية موقع https\\www.almogem.com
١٢_ غلامي ، حسين غيب ، محو السنة أو تدوينها ، ط١(مؤسسة الهادي ، كربلاء ، ١٩٩٨).
١٣_ الكتاني : عبد الحي
- تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ط٢ (المكتبة الحنفية ، الرباط، ٢٠٠٥)
- التراتيب الإدارية ، تحقيق عبد الله الخالدي ، ط٢ (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٩) .
١٤_ كوركيس ، عواد ،خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة ،ط٢ (دار الرائد العربي ، بيروت ،١٩٨٦)
١٥_ المرعشلي : يوسف ، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٦).

لمحات من تاريخ العراق العسكري في العصر الاسلامي (١٤ – ٢٢٧ هـ)

Glimpses of Iraq's Military History in the Islamic Era (14 AH–227 AH)

م.د. روى ظاهر الحسيني
مديرية تربية محافظة ذي قار

Abstract .

The study of the military history of Iraq in the Islamic era constituted an aspect of the Arab-Islamic civilization, especially the Islamic conquests until the Abbasid era, because the military leaders of Iraq contributed to the development of the military system throughout history, influenced by the Persian and Roman systems, as evidenced by their military victories in the invasion of the Byzantines.

الملخص:

شكلت دراسة التاريخ العسكري للعراق في العصر الإسلامي جانبا من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، وخاصة الفتوحات الإسلامية حتى العصر العباسي ، لأن القادة العسكريين للعراق ساهموا في تطوير النظام العسكري عبر التاريخ ، متأثرين بذلك في النظم الفارسية والرومانية دلت على ذلك انتصاراتهم العسكرية في غزو البيزنطيين.

كلمات مفتاحية: (العراق، القوات العسكرية، ديوان الجند، شرطة الخميس، البيزنطيين)

المقدمة:

استدعت مطالب توسع الدولة الإسلامية ان تتحرك القوات العسكرية المتوجه من القادسية الى وسط العراق والبصرة في زمن الخليفة عمر الخطاب، وكانت هذه القوة تتلقى اوامرها العسكرية من الخليفة في سير عملياتها، وكان نشاطها الميداني في كثير من الأحيان في المنطقة التي تتعرض لها الدولة لتهديدات اشار الطبري ناقلاً قول عمر الخطاب الى سعد بن ابي وقاص عندما ارسله مع العمليات العسكرية لفتح العراق قائلاً: "**إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم وهم شهود**"(١)، أما مساكن الجيش في العراق قبل تمصير مدنه، فكانت بين تجمعات خيام ومنازل من القصب ، وعندما تحركت ثكناتها العسكرية لمواصلة عملياتها ينتزعون ذلك القصب كانت في مرحلتها هذه حاميات مؤقتة في المدن العراقية. وفي مرحلة التأسيس والتخطيط لمدينتي الكوفة والبصرة ، وتنظيم السكان وتوزيع القبائل، تم تنظيم الوحدات الإدارية والمدنية والاهتمام بالجانب العسكري من متطلبات الأمن والاستقرار في العراق(٢).

هدف هذه الدراسة بيان الثقافة العسكرية التي تكتسب بالتجربة وبدراسة تاريخ الحروب والمعارك وهذا ما اكده المارشال فوش قائلاً:" **ان الانظمة العسكرية صالحة لإدارة تمرين من التمارين ،ولكننا نحتاج في لحظة الخطر لشيء اخر، فالشجاعة المادية والبدنية للجندي لا علاقة لها بالشجاعة المعنوية التي ينبغي ان يتحلى بها القائد والتي تستند الى ما يعرف**"(٣)، ولا بد من القول انه في عهد عمر بن الخطاب حفظت حقوق العسكر وكان "ديوان الجند"(٤) في العراق تابعاً

إدارياً للديوان المركزي في الحجاز وكان يحتوي على أسماء الجنود والمقاتلين وعطاءاتهم. وعندما آلت مقاليد السلطة للدولة الاموية اصبح مركز ديوان الجند في الشام وفي العصر العباسي اصبح ديوان الجند في العراق[٥]،كان لجبهة العراق (البصرة والكوفة) دور في انتصار معركة نهاوند ٢١/٦٢٤ ضد الدولة الفارسية[٦].

في عهد الإمام علي (ع) تم إدخال "شرطة الخميس"[٧] في النظام العسكري في الكوفة على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حين تولى مقاليد الحكم بهدف حفظ الأمن والنظام وصد الانتهاكات التي تهددهم. وسميت بذلك لأن صنوفها خمسة أقسام[٨]، وتميز أصحابها بالشجاعة وكان من فرسانها الاصبغ بن نباتة وهو من فرسان اهل العراق[٩]، وقد استعملت كلمة شرطة لأول مرة في عهد علي بن أبي طالب، وهم جماعة مخصصة من الجيش لهم علامة يعرفون بها والخميس الجيش لأنه مركب من خمسة أقسام القلب والجناحان والمقدمة والساقة أو لأنه يأخذ خمس الغنيمة، ويظهر مما تقدم ان شرطة الخميس كان في زمن علي عليه السلام اسماً لجماعة خاصة مخلصة في ولائه وإن سبب تسميتهم بذلك قوله لهم تشرطوا أو إنهم تشرطوا على أنفسهم القتل في الحرب كما تدل عليه رواية الاصبغ بن نباتة[١٠]

واستخدم علي بن ابي طالب في واقعة صفين نظام الصفوف لتوزيع عسكر العراق، وذكر الطبري قول امير المؤمنين لجنده قائلاً:" أن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تشفى بكم على الخير الايمان بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله تعالى ذكره وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنات عدن ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام والتووا في أطراف الرماح فإنه أصون للأسنة وغضوا الابصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم"[١١]، ونلاحظ ان هدف هذه الخطة السيطرة على القطعات وحفظ النظام، وهو ما اشار اليه ابن خلدون قائلاً:"ومن هنا يظهر لك حكمة إيجاب الثبات وتحريم التولي في الزحف فإن المقصود من الصف في القتال حفظ النظام "[١٢]

بعد حادثة اغتيال علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب كانت هناك حاجة لاستحداث وظيفة شرطة الحرس الشخصي، التي كانت مهمتها حراسة شخص الحاكم ،و تزامن تطور جهاز الشرطة في العصر الأموي مع تطور الأوضاع السياسية والاجتماعية للدولة بعد أن تطور نظام الحكم من خليفة إلى ملك وان معاوية بن ابي سفيان اول من اتخذ وظيفة الحرس[١٣]، ان اتساع رقعة الدولة الاموية وزيادة اعداد الجيش الاسلامي واستبدل نظام الصفوف بنظام عسكري جديد وهو العمل بنظام الكراديس[١٤]، اما الرتب العسكرية في العصر الاموي وهم امير التعبئة[١٥] وتقع على عاتقه مسؤولية خمسة الاف جندي وامير الكردوس الذي يقود ألف جندي ورتبة الاسباع الكوفيين ورتبة امراء الاخماس البصريين[١٦]

النظام العسكري العراقي في العصر العباسي

نتيجة الاحتكاك العسكري مع الفرس والعرب والرومان ، زادت تجربة الجيش العراقي مع تطور فن وادارة الحرب، وهذا ما نلاحظه من تأثير الأنظمة العسكرية الفارسية، حيث أخذ العباسيون منهم العرض

العسكري أمام الخليفة وكان من ضمن التدريبات وفي وقت العرض كان الخليفة يرتدي الزي العسكري. ويتأثر النظام العسكري بمجاليين الاول يتمثل بالإمكانية الاقتصادية للدولة والمجال الاخر يتمثل بالعتاد، حيث ان السياسة تدعم الحرب بالوسائل العسكرية والاقتصادية والنفسية والدبلوماسية[١٧]. انعكس تطور الدولة على نظامها العسكري وانفصلت وظيفة الشرطة عن القضاء واصبح لصاحب الشرطة مكانة اكبر تعادل مكانه الوالي ففي بغداد كان ينظر في الجرائم والعقوبات ،يتم تعين صاحب الشرطة في بغداد من قبل الخليفة وكان صاحب شرطة بغداد في عهد المأمون طاهر بن الحسين[١٨] فاما الوظائف العسكرية في العصر العباسي الاول استحدث هارون الرشيد (ديوان العرض) وأوكلت مهمة الاستعراض العسكري لصاحب ديوان الجند فكانت من مهامه[١٩].

اما أنواع الأسلحة ومعدات عسكر العراق في العصر العباسي كانت متنوعة البعض منها موروثة، مثل الرمح والسيف والقوس الذي يحمله النشابون ، وفي الحرب يرتدون الدرع للحماية من سهام العدو[٢٠] وفي الكوفة تصنع البيض وهي سيوف قصيرة عرضها ثلاثة أصابع وطولها ثلاثة اشبار[٢١] وأشارت المصادر التاريخية الى نوع اخر من معدات عسكر العراق تستعمل غطاء للرأس وقت الحرب ووردت بلفظ "الخوذة" ونستشهد بنص المسعودي قائلاً:" **وبعث هرثمة بن أعين بزهير ابن المسيب الضبي من الجانب الشرقي ، فنزل الماطر مما يلي كلواذا ، وعشَّر ما في السفن من أموال التجار الواردة من البصرة وواسط ، ونصب على بغداد المنجنيقات ، ونزل في رقة كلواذا والجزيرة ، فتأذي الناس به ، وصمد نحوه خلق من العيَّارين وأهل السجون ، وكانوا يقاتلون عُراة في أوساطهم التبابين والميازر ، وقد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص وسموها الخوذ** "[٢٢].

من بين معدات الجيش العراقي ، التي يستخدمونها في الحروب للحفاظ على سلامتهم ، "الاتراس"[٢٣] وهي أنواع منها ما يصنع من الحديد والفولاذ ومنها ما يصنع من الجلد والأخرى مصنوعة من الخشب المغطى بجلد الابل[٢٤] وتندرج هذه الأصناف ضمن الأسلحة الخفيفة النوع،اما الأسلحة الثقيلة تمثلت بالمنجنيق يستعمل لرمي الحجارة وهدم الاسوار والقلاع ومنها لرمي النشاب(النار والنفط) والعرادات[٢٥] وكانت جند دار الخلافة في بغداد كلما تعرضت للخطر نصبت المجانيق والعرادات[٢٦]

وشهد عصر المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م)صناعة عسكرية فريدة من نوعها وهذا ما لاحظناه في رسالة الكندي لصناعة السيوف والحفاظ عليها باستخدام الكيمياء حيث ابدعت مدرسة بغداد الفلسفية في صناعة السيوف وصهر المعادن وتحديد اجناسها باستخدام اكثر من خمسة وعشؤين نوعاً من الحديد، كتب الكندي رسالة بعنوان" اتخاذ جواهر الحديد للسيوف وغيرها من الأسلحة وسقيانها وأنواع الحديد التي يطبع بها السيوف وسقيانها وما يطرح فيها... "[٢٧]

وشهدت بغداد وسامراء احتفالات تكريم العسكريين والقادة المشاركين في تحقيق الانتصارات العسكرية للدولة العباسية ، واللافت ان هناك مكافآت تُعطى للجيش المشارك في الحملة العسكرية عندما يحقق انتصارا. اما الرتب في العصر العباسي فكانت تمثل:

الأمير: مسئول عن عشرة قادة وعشرة آلاف جندي.

القائد : مسئول عن عشرة نقباء وألف جندي.

النقيب : مسئول عن عشرة عرفاء ومائة جندي.

العريف: مسئول عن عشرة جنود[٢٨].

الهوامش:

(١) تاريخ الطبري ،ج٣ /ص٨.

(٢) صالح العلي،التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط٢ ،دار الطليعة، بيروت

.١٦٤ -١١٦ -١١٢ص ١٩٦٢؛ عبد العزيز سالم،التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية،ص٢٧٠-٢٧٢.

(٣) ديوان الجند : إن أول من وضعه ورتّبه عمر بن الخطاب في عهد خلافته. يهتم بشؤون الجنود وأعطياتهم ومهمامهم .حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام،ج١/ص٤٤٧.ط٧،مكتبة النهضة المصرية-

(٤) ايريك موريز ،مدخل الى التاريخ العسكري،ص١١،ترجمة اكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي،دار الرشاد،ط١ ،١٩٧٠.

(٥) ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج١/ص٢٣٨،ط٤،دار احياء التراث العربي-بيروت

(٦) ابن قتيبة الدينوري،الاخبار الطوال،ص١١٣-١٣٣،ط١،دار احياء الكتب العربي-١٩٦٠م

(٧) قال الطريحي: والخميس بالفتح : الجيش، سمي به لأنه خمسة أقسام الميمنة، والميسرة، والمقدمة، والساق، والقلب وشرطة الخميس اعيانه ومنه حديث عبدالله بن يحيى الحضرمي انك واباك من شرطة الخميس) وانما سموا شرطة قيل من الشرط وهو العلامة، لان لهم علامة يعرفون بها، أو من الشرط وهو التهيؤ لأنهم متهيؤن لدفع الخصم وقوله: (انك واباك من شرطة الخميس يريد أنهما من اعيان حزبنا يوم القيامة .مجمع البحرين،ج٤/ص٦٦وص٦٧،ط٢،الناشر مرتضوي

(٨) ابن خياط،تاريخ ابن خياط،ج١/ص٢٣١،تحقيق:سهيل زكار،دار الفكر بيروت-لبنان

(٩) ابن خياط،تاريخ ابن خياط،ج١/ص٢٣١.

(١٠) محسن الامين،أعيان الشيعة، ج ١/ ص ١٩؛ المصدر نفسه ، ج ٣ /ص ٤٦٥،تحقيق:حسن الامين،دار التعارف للمطبوعات -بيروت

(١١) تاريخ الطبري،ج٤/ص١١،تحقيق :نخبة من العلماء،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات-لبنان

(١٢) تاريخ ابن خلدون،ج١/ص٢٧١.

(١٣) عبد العزيز سالم،التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية،ص٣٥٨،الناشر :دار النهضة العربية-بيروت

(١٤) الكردوس لغة :الخيل العظيمة،وقيل القطعة من الخيل العظيمة،وكردس القائد خيله أي جعلها كتيبة كتيبة،ابن منظور،لسان العرب،ج٦/ص١٩٥،نشر أدب الحوزة-قم - إيران١٤٠٥ ﻫ

(١٥) أي ترتيب الجيش وتهيأتهم للحرب .د.قصي فالح عبد الرؤوف،الهندسة العسكرية في الفتوحات الاسلامية،ص١٢٠،دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد ١٩٩٧م

(١٦) يوسف فويل،تنظيمات الجيش في العصر العباسي ،ص١١٣،رسالة ماجستير-منشورة-بوزريعة الجزائر ٢٠٠٩-٢٠١٠

(١٧) ايريك موريز ،مدخل الى التاريخ العسكري،ص٢٨.

(١٨) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، من كبار الوزراء والقادة وهو الّذي وطّد الحكم للمأمون ، وقضى على أخيه الأمين لقب بذي اليمينين لأنه كان أعور العين اليسرى لقبه المأمون بذي اليمينين لان كلتا عينيه يمين.وقيل لانه ضرب بعض أصحاب علي بن عيسى بن ماهان بالسيف وقد قبض عليه بيديه فلقب به .الأنساب،السمعاني،الانساب،ج ٣/ ص ١٦،تحقيق:عبد الله عامر البارودي،ط١،دار الجنان - بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨م؛الزركلي،الاعلام،ج٣/ص٢٢١،ط٥،دار العلم للملايين-بيروت١٩٨٠

(١٩) القاضي التنوخي،نشوار المحاضرة،ج٨/ص١٨٢،تحقيق:عبود الشالجي المحامي طبعة ١٩٧٣

(٢٠) ثابت نعمان واخرون،الجندية في الدولة العباسية،ص٦٧،بغداد-١٣٥٧ﻫ/١٩٣٩م

(٢١) رسالة الكندي في عمل السيوف :تحقيق الدكتور فيصل دبدوب-مطبعة العاني بغداد-١٩٦٢

(٢٢) مروج الذهب،ج٣/ص٤٠٣،ط٢،منشورات دار الهجرة ايران-١٩٨٤

(٢٣) الطبري،تاريخ الطبري،ج٥/ص١٨٤

(٢٤) هندي،الحياة العسكرية عند العرب،ص٦٨.

(٢٥) جمع عرادة ، وهي من آلات الحرب منجنيق صغير، ترمي بالحجارة المرمى البعيد،الجاحظ،البرصان،ص٢٥٧؛ابن الجوزي،المنتظم،ج٥/ص١٩وج١٦/ص٨،تحقيق:محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا-ط١،١٩٩٢

(٢٦) الطبري،تاريخ الطبري،ج٧/ص٤٣٨؛ابن الجوزي،المنتظم،ج١٨ /ص١١٢؛ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج٧/ص٣٨٥،دار الصادر-بيروت-١٩٦٥م

(٢٧) رسالة الكندي في عمل السيوف واجناسها،باب في السيوف وانواعها وسقيانها،ص٢٧-ص٦٠،تحقيق الدكتور فيصل دبدوب ،مطبعة العاني-بغداد ١٩٦٢م

(٢٨) مروج الذهب،ج٣/ص٤٠٣

ابن الدهان الواسطي
- قراءه في سيرته ومنجزه العلمي -
Ibn Al-Dahan Al-Wasiti
Read it in his biography and scientific achievement

الباحثة: فاطمه محمد عبد الرضا
جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

م.د افراح حميد عبد حسن المفرجي
جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

Abstract .

The studies in the field of social classes and the statement of the contribution of a certain segment of the personalities of the Wasti society in the Islamic eras are among the important studies. Because it will fill a clear void in the historical library in general and the history library of the city of Wasit in particular, and perhaps my choice to study this subject (Ibn al-Dahan al-Wasiti, his readings in his biography and his scientific achievement) has two justifications: one of them is external due to the personal desire of the researcher if we try to highlight the role of that Wasitian personality in scientific resourcefulness and the extent of his influence on the Wasti community; The other thing is to show what factors contributed to its scientific production? In order to follow the purposes of the study, I divided this research into axes, topped by an introduction that dealt with the idea of the topic, its scope, and the justifications for its selection. The first axis included the personal biography of Ibn al-Dahan al-Wasiti, and we studied in the second axis the scientific effects of Ibn al-Dahan al-Wasiti, while in the third axis we examined the educational method of Ibn al-Dahan al-Wasiti and the position of scholars Then we ended the study with a conclusion in which we summarized the conclusion of the research, and a list of sources that formed the backbone of the research.

الملخص:

تُعد الدراسات في مجال الطبقات الاجتماعية وبيان اسهام شريحة معينة من شخصيات المجتمع الواسطي في العصور الاسلامية من الدراسات المهمة؛ لأنها ستسد فراغاً واضحاً في المكتبة التاريخية بشكل عام ومكتبة تاريخ مدينة واسط بشكل خاص، ولعل اختيارنا لدراسة هذا الموضوع (ابن الدهان الواسطي قراءه في سيرته ومنجزه العلمي) مسوغان: أحدهما خارجي يعود للرغبة الشخصية للباحثتين، اذا حاولنا ابراز دور تلك الشخصية الواسطية في الحيلة العلمية ومدى تأثيرها في المجتمع الواسطي؛ والامر الاخر هو الرغبة في توضيح وتتبع العوامل التي اسهمت في إنتاجه العلمي؟ ، وبغية تتبع مقاصد الدراسة قسمت بحثي هذا الى محاور تصدرتها مقدمة تناولت فكرة الموضوع ونطاقة ومسوغات اختياره شمل المحور الاول السيرة الشخصية لابن الدهان الواسطي ، ودرسنا في المحور الثاني الاثار العلمية لابن الدهان الواسطي ، في حين بحثنا في المحور الثالث الاسلوب التعليمي لابن الدهان الواسطي وموقف العلماء منهُ ثم قفينا الدراسة بخاتمة اوجزنا فيها خلاصة البحث، وقائمة مصادر شكلت العمود الفقري للبحث.

كلمات مفتاحية: (ابن الدهان، الواسطي، الضرير، مؤلفاته، المدرسة النظامية)

المحور الاول- السيرة الشخصية لابن الدهان الواسطي

أولا : اسمه ومولده ونشأته:

العلامة وجيه الدين أبو بكر المبارك بن المبارك بن أبي الأزهر سعيد بن أبي السعادات الواسطي النحوي الضرير(١) وقد كني بـ(أبي بكر) ولقبة (الوجيه) وشهرته (ابن الدهان)(٢).

ولد في مدينة واسط ضريراً باتفاق مصادر أخباره إلا أنها اختلفت في تحديد التاريخ فالكثرة منها جعلتها سنة ٥٣٢ هجرية(٣)، والبعض الآخر سنة ٥٠٢هجرية(٤) .

نشأ بصيراً نحيف البنية لا يقدر على الأعمال البدنية التي تحتاج إلى جهد وسط مجتمع محب للعلم وكثره العلماء لذلك صبّ جلّ اهتمامه في أن يكون أحد أعلام الفكر في المجتمع الذي كان يعيش في وسطه فقد جاهد وواضب حتى تلقف علومه من مصادر مختلفة وتحقق له ما أراد أن يطمع إليه(٥).

ثانياً :لقبة وكنيته:

كان يلقب بألقاب كثيرة منها الوجيه والأديب لكن اللقب الأكثر شهرة هو لقب ابن الدهان(٦)، كان يكني بأبي محمد ويذكر ابن خلكان " أبو محمد سعيد"(٧)، ويقول ياقوت الحموي " ابن محمد المعروف بابن الدهان"(٨) .

ثالثاً: مذهبه:

وذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أن ابن الدهان الواسطي كان على المذهب الحنبلي ثم أصبح على المذهب الشافعي على الرغم من اهتمامه الكبير بالأمور الفقيه لاسيما المذاهب المسلمين(٩).

تفقه أولا لأبي حنيفة، ثم تحول شافعيًا بعد علو سنه، وولي تدريس النحو بالنظامية، إلى أن مات، وشرط الواقف أن لا يفوض إلا إلى شافعي المذهب، فانتقل الوجيه المذكور إلى مذهب الشافعي وتولاه، وفي ذلك يقول المؤيد أبو البركات بن زيد التكريتي:

ومن مبلغ عني الوجيه رسالة	وإن كان لا تجدي إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل	وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي تدنيا	ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر	إلى مالك فافطن لما أنا قائل

رابعاً: صفاته:

لقد تميز ابن الدهان الواسطي بمميزات متنوعة حيث كان واسع العلم حسن المظهر كريم الطبع فإلى جانب تلك الصفات ذكر لنا المؤرخ القفطي أنه كان كثير الغلط سقيم الحظ سيء الحفظ(١٠)، ويذكَر له في ذلك نادرة طريفة، فقد أملى حكايةً على ابن عساكر، ثم عرضها عليه ابن السمعاني، فقال: ما أعرفها، ثم استملأها ابن الدهان من ابن السمعاني، قال: أخبرني ابن السمعاني، عن ابن عساكر عني، روى عن شخصين عن نفسه(١١)، وقد كُف بصره آخِر عمرِه، وكان من سبب ذلك أنَّ بغداد لما غرقت سنة ٥٦٨هـ، انهدمت داره في الغرق على كتبه، وكان جوار داره مدبغة، فسرى إلى ما بقي من

كتبه رائحة الجلود، فصارت في غاية النتن وسوء الحال، فأمر بحمل كتبه إليه، ثم بخرها بأربعين رطلاً من اللاذن، لتزول منها رائحة العفونة، فلم تزل، وتضررت عيناه من كثرة التبخير حتى ذهب بصره(١٢).

خامساً: رحلاته:

تعد الرحلات العلمية واحدة من المناقب التي تحسب لصالح أصحابها إذ إنها تساعد عن تلاقي الأفكار وتبادل الثقافات، وكان ابن الدهان من المهتمين على التجوال في المعمورة في سبيل تلقي المعرفة فقد رحل إلى أصبهان(١٣)، وسمع بها وأفاد من خزائن وقوفها وكتب الكثير من كتب الأدب بخطة وعاد إلى بغداد وأستوطنها زماناً(١٤).

ثم خرج من بغداد قاصداً دمشق واجتاز الموصل فتلقاه فيها الوزير جمال الدين(١٥) فأحسن اليه وأكرمه، فبقي في الموصل أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر(١٦)

سادساً: تعليمه وشيوخه:

تلقى ابن الدهان الواسطي تعليمة من كبار العلماء إذ قرأ الأدب على أبي سعيد نصر بن محمد المؤدب ، وقدم بغداد مع والده ، فسكنها وقرأ الأدب على ابن الخشاب، وقرأ جملة من كتب النحو واللغة والشعر على أبي البركات الأنباري من حفظه، وذكر لي أنه قرأ نصف " كتاب سيبويه " من حفظه عليه أيضا، وأنه كان يحفظ في كل يوم كراسا في النحو ويفهمه ويطارح فيه، حتى برع، وكان يتردد إلى منازل الصدور لإقراء الأدب، وكان شديد الذكاء، ثاقب الفهم، كثير المحفوظ، مضطلعا بعلوم كثيرة : النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، ومعاني الشعر، والتفسير، ويعرف الفقه، والطب، وعلم النجوم، وعلوم الأوائل. قلت : لو جهل هذين العلمين لسعد .

قال: وله النظم والنثر، وينشئ الخطب والرسائل بلا كلفة ولا روية، ويتكلم بالتركية والفارسية والرومية والأرمنية والحبشية والهندية والزنجية بكلام فصيح عند أهل ذلك اللسان، وكان حليما بطيء الغضب، متواضعا، دينا، صالحا، كثير الصدقة، متفقدا للفقراء والطلبة؛ تفقه أولا لأبي حنيفة، ثم تحول شافعيا بعد علو سنه، وولي تدريس النحو بالنظامية، إلى أن مات، قرأت عليه كثيرا، وهو أول من فتح فمي بالعلم؛ لأن أمي أسلمتني إليه ولي عشر سنين، فكنت أقرأ عليه القرآن والفقه والنحو، وأطالع له ليلا ونهارا، وإذا مشى كنت آخذا بيده، وكان ثقة نبيلا ، أنشدني لنفسه:

أيها المغرور بالدنيا انتبه لنفسك ... إنها حال ستفنى وتحول

واجتهد في نيل ملك دائم ... أي خير في نعيم سيزول

لو عقلنا ما ضحكنا لحظة غير ... أنا فقدت منا العقول(١٧)

كما ذكرت المصادر أن سماعه بدأ وهو في الثامنة من عمره(١٨)، وقيل في العاشرة(١٩)، وكان قد سمع من شيوخ كثر، فقد وصفه الذهبي: سمع" من خلق كثير(٢٠)، وكانوا من أماكن متفرقة لاسيما من أبناء مدينته واسط وبغداد التي سكنها وسمع مشايخها ومن قدم إليها(٢١).

سادساً: شيوخه ومعاصروه:

ابو الفرج الله علي بن محمد بن علي بن احمد بن عبد الله الواسطي المعروف بابن السودان(٢٢)، ولد في وأسط سنة (٤٨٢هـ) منحدراً من بيت معروف بالكتابة والنباهة فتلقف علومه على

غير واحد من أهل بيته حتى أصبح شاعراً حسناً له معرفة باللغة والنحو توفى سنة (٥٥٦هـ) في واسط(٢٣).

أبو محمد عبد الله بن احمد بن احمد البغدادي المعروف بابن الخشاب(٢٤) (١٢) ولد سنة (٤٩٢) وقرأ العلوم منذ نعومة أظفاره حتى صار أحد أقطاب العلم في عصره له معرفة ودراية في الحديث النبوي الشريف واللغة والنحو والفلسفة وغيرها من العلوم ومن تصنيفاته: (دار الغواص الحريري أم درة الغواص في أوهام الخواص) و(الرد على الحديدي في مقاماته) و(شرح المقامات) و(اللامع في النحو) توفي سنه ٥٦٧ هجرية(٢٥) .

أبو البركات عبد الرحمن بن محمد عبيد الله الانباري(٢٦)، أصلا البغدادي مولداً ولد سنة (٥١٣ هـ) وتلقت علومه على مشايخ بغداد التي نشأ فيها وتعلم وسكن المدرسة النظامية التي تفقه فيها واصبح علماً من أعلام وقته في الفقه الثاني وفضلاً عن الفقه فقد تخصص أيضا بعلم النحو الذي عرف به واشتهر توفي في بغداد سنة (٥٧٧هـ) ومن مصنفاته: (النور اللائح في اعتماد السلف والصلح أم الصالح) (هداية الذاهب في معرفة الذاهب أم المذاهب) (ديوان اللغة) و(نزاهة الالباء في طبقات الأدباء) (تاريخ الانبار)(٢٧).

معاصروه:

عاش ابن الدهان في سنى العباسيين، في أيام الخلفاء : المستظهر والمسترشد، والراشد، والمقتفى، والمستنجد، والمستضيء، في العصر السلجوقي الذي ساد فيه سنجر ومن جاء بعده، ويقول القفطي: " وكان يقال حينئذ النحويون ببغداد أربعة: ابن الجواليقي، وابن الشجرى، وابن الخشاب، وابن الدهان وكان جماعته يتعصبون له ويفضلونه على غيره، ويقصدون نحوة النحوه(٢٨)، وهذا طرف من أخبار هؤلاء الأعلام.

أولا : الجواليقي : هو أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي اللغوي وكان من أكابر اهل العلم ورعا قوي الإيمان وكان ثقة صدوقا.

سابعاً : تلامذته:

أما فيما تعلق بتلاميذ الشيخ ابن الدهان الواسطي، فقد تتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم، وصور ذلك المنذري بقوله: "تخرج به- أي الشيخ ابن الدهان- جماعة أئمة(٢٩) وكان من أشهرهم :

أبو المرجى سالم بن احمد بن سالم التميمي البغدادي المعروف بالمنتجب(٣٠)، ولد في بغداد وتلقف علومه بها فتخصص بالنحو والعروض حتى اشتهر بها وانفرد في وقته، وممن تتلمذ عليه في النحو ياقوت بن عبد الله الحموي، ومن مصنفاته في هذا المجال (صناعة الشعر) (أرجوزة في النحو و(كتاب العروض) (كتاب القوافي) توفي سنة (٦١١)(٣١).

شمس الدين أبو المظفر يوسف التركي ثم البغدادي الحنفي المعروف بسبط ابن الجوزي، ولد في بغداد وتعلم فيها حتى انفرد وتميز بعلمه في وقته، وكان على المذهب الحنبلي في أول أمره ثم انتقل إلى المذهب الحنفي، وبعد أن اشتهر وذاع صيته، انتقل إلى دمشق في سبيل العلم، فتصدر هناك للتدريس في مدارس دمشق والخطابة في جوامعها، ومن مصنفاته: (تفسير كبير يقع في بضع وعشرين مجلد)

(مرآه الزمان) و(مناقب أبي حنيفة)(٣٢).

ثامناً: وفاته:

توفي ابن الدهان في شهر شعبان(٣٣) من سنة (ت٦١٢هـ)، ودفن في بغداد بمنطقة تدعى بالوردية(٣٤)، وبذلك يكون ابن الدهان قد فارق الحياة عن عمر تجاوز الثمانين سنة، وذكرت مصادر أخباره إن يوم وفاته كان يوماً مشهوداً، إذ خرج حشد كبير من الناس وبمختلف الطبقات والمذاهب الإسلامية وهم يبكون حزناً على فرقته، حامليه على الأكتاف(٣٥).

المحور الثاني- الآثار العلمية لابن الدهان الواسطي

اولا: مؤلفاته:

كان الشيخ ابن الدهان الواسطي من بين العلماء المكثرين في الناتج العلمي والأدبي ولاسيما مجال عصره حتى وصفة الغساني بقوله " قرأ وأشتغل في العلوم"(٣٦) لكنه ما يؤسف أن أغلب كتبه قد كان من المفقودات ومنها :

كتب مقدمة في النحو(٣٧): وكان قد أعتمدها في تدريس مبادئ النحو في المدرسة النظامية ويبدو أنها كانت ذات شهرها في بغداد فحسب وإنما امتدت إلى مدن العراق كافة فقد درسها طلبة العلم في واسط والموصل والبصرة طبقا لما أورده سبط ابن الجوزي(٣٨).

كتاب شرح أبنية سيبوبه : وهو من الكتب التي وصلت صنع في دار الطلائع وتحقيق د. علاء محمد رأفت ويتكون من (١٥٩) صفحة.

وقد اعتمد في تدريس طريقة المعجبين في عرض المادة اللغوية، وكان منهجه واضحاً من البداية وهو ذكر البناء ثم تفسيره بكلمة أو كلمتين على الأكثر دون الخوض في مسائل الاستشهاد التي تزيد الموضوع تطويلا في كثير من الأحيان والهدف من ذلك هو التيسير والتسهيل على طالب هذا العلم وذلك كله في مكان واحد دون شعوت ومن هنا جاء الكتاب مقسماً إلى (٢٨) ثمانية وعشرين بابا مرتبة على حروف الأبجدية غير أنه قدم باب الواو على باب الهاء ثم ختم كتابه بذكر ما فات الكتاب من أمثلة وداخل كل باب حدد من الدهان المثال المراد شرحه بوضع خط أفقي فوق الكلمة حتى لا يضيع البناء وسط الشرح ، وقد بلغت الأمثلة التي شرحها من ابن الدهان عن سيبويه (٨٣٠) ثمانمائة وثلاثين بناء، بالإضافة إلى (٦٤) اربعة وستين بناء استدركهم تحت عنوان "وهذه الأبنية التي فتات الكتاب ونذكرها إن شاء الله تعالى على الحروف.

ثانيا : مؤلفاته المفقودة:

من خلال تتبعي لسيرة ابن الدهان الواسطي يذكر ان هناك مؤلفات مفقودة ومنها :

ديوان الشعر : لم اعثر على هذا الديوان لكن وجدت ديوانا يحمل اسم ديوان ابن الدهان وبعد تصفحي له لم أجد عاد له وإنما عاد لعبد الله بن اسعد ابن الدهان الموصلي (٥٢٢ هـ _ ٥٨٢ هـ) وهذا الديوان رقم ٨٩٣٤ موجود بدار الكتب المصرية وقد حققه الاستاذ عبدالله الجبوري(٣٩).

رسالة في اللغة : انفرد بذكرها رضا كحالة في كتابة معجم المؤلفين ٢٢٩ /٤ ولا نستطيع بذكر هذه الرسالة ضمن مؤلفات ابن الدهان لهذا يجوز انكارها او نشك فيها.

زهور الرياض : يدل اسمة على ما كان لابن الدهان من حب للأدب والغوص في جمالة ولعل هذا الكتاب كان موجودا إلى عصر القفطي (ت٦٤٦ هجري)(٤٠).

شرح أبنية سيبويه :أغفل المترجمون عن ذكرة فلم أر أحدا ذكره الا بروكلمان ولقد وجدت هذا العنوان منسوبا الى ابن الدهان في فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة جاء فيها ما يلى : شرح أبنية سيبويه تأليف ناصح الدين أبي محمد سعيد بن المبارك بن على بن الدهان المتوفى سنة ٥٥٦٩ نسخة كتبت سنة ٦٢٠هـ بخط نسخ كتبها أبو الحسن علي بن أبي القاسم الشيباني النحوي الاريلي بشير أنا أيوب ١٩٣/١٨٠٥ ورقة ١٣ × ١٨ سم (٨٠) . لكنني لم أره ولم أطلع عليه –

شرح الايضاح : تكاد تجمع المصادر والمراجع على أن لابن الدهان من مؤلفاته العظيمة : شرحه لإيضاح أبي على الفارسي وقد ذكر القفطي بقوله: شرح الايضاح ثلاثة وأربعون مجلدا ... وطلع علينا ابن خلكان بإضافة جديدة فقال : وشرح الايضاح والتكملة وهو مقدار ثلاثة وأربعون مجلدا (٨١) ، وأيا ما كان الأمر من هذا الاختلاف ، فان الجميع أثبتوا لابن الدهان شرحه لإيضاح أبى على الفارسي ، ولعل هذا الاختلاف انما يكون من قبيل تساهل المؤرخين أو تحريف الناسخين(٤١).

رابعاً : أشعاره:

فصلاً عما ذكرنا ترك ابن الدهان جملة إشعار، ويبدو ما وصل لينا هو القلة من نتاجه لأن باتفاق المصادر كان شاعراً كبيرا مكثراً فيه إماماً، ويظهر من هذا القليل اتجاهات الشعر لدى الشيخ ابن الدهان وهي الغزل والمدح والهجاء والوعظ(٤٢)، ومما انشده في الهجاء هجاه لقوم بخلاء لا يريد رؤيتهم ذاكراً فيه كما بقوله(٤٣):

قد سرني دهري وما ساءني ... بفقد عيني بأنعما

لو كنت ذا عين وعاينتهم ... لكان أشهى ما إلى العمى

ومن أروع ما قاله في الوعظ والإرشاد(٤٤):

أيها المغرور بالدنيا انتبه لنفسك ... إنها حال ستفنى وتحول

واجتهد في نيل ملك دائم ... أي خير في نعيم سيزول

لو عقلنا ما ضحكنا لحظة غير ... أنا فقدت منا العقول

وفي هذا المجال نفسه قال(٤٥):

لا خير في الخمر فمتن شأنها ... إفقادها العقل وجلب الجنون

وفي موضع آخر قال(٤٦):

من المزن يوما ثم شاء لمازها ... عبيد له في الشرق والغرب مازها

ولو وقعت في لجة البحر قطرة ... من المزن يوماً ثم شاء لمازها

ولو ملك الدنيا فاضحي ملوكها ... عبيد له في الشرق والغرب مازها

ومما تقدم يتبين بصورة جلية المعارف المتنوعة التي امتاز بها الشيخ ابن الدهان، فكان موسوعي الثقافة على طراز جهابذة العلماء الذين نبغوا في العصور الإسلامية المبكرة.

المحور الثالث- الأسلوب التعليمي لابن الدهان الواسطي وموقف العلماء منه

اولا : الأسلوب التعليمي:

تميز الشيخ ابن الدهان بأسلوبه التعليمي، دل على ذلك ما ذكره ابن كثير في رواية نصها: كان لا يغضب قط، فتراهن جماعة مع واحد وانه إن أغضبه كان له كذا وكذا فجاء إليه فسأله عن مسألة بالعربية فأجابه فيها جواب فقال له السائل: اخطأت أيها الشيخ فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى، فقال: كذبت وما أراك إلا قد نسيت النحو فقال الوجيه أيها الرجل فلعلك لم تفهم ما أقول لك، فقال: بلى ولكنك تخطيء في الجواب فقال فقل أنت ما عندك لتستفيد منك فاغلظ له السائل في القول فتبسم ضاحكاً وقال له: إن كنت راهنت فقد غلبت وإنما مثلك مثل البعوضة التي سقطت على ظهر الفيل فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك ان أطير، فقال لها الفيل: ما أحسست بك حين سقطت فما احتاج طرت(٤٧)، ومع هذا الأسلوب التعليمي والعلمي المميز لأبن الدهان وقدرته على إفهام الا انه كان قليل الحظ مع تلاميذه يتخرجون عليه ولا ينسبون إليه(٤٨).

ثانياً: آراء العلماء فيه:

لقد أشاد المؤرخون والعلماء بابن الدهان الواسطي، ولعل من أبرزهم ياقوت بن عبد الله الحموي، الذي عاصره أشاد به وبعلمه، إذ قال عنه: كان يتقن اللغات التركية والحبشية والرومية والأرمنية والزنجية فكان إذا قرىء عليه عجمي واستغلق عليه المعنى بالعربية فهمه إياه بالعجمية على لسانه وكان حسن التعليم طويل الروح كثير الاحتمال للتلامذة(٤٩).

كما وصفه الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، بأنه شديد الذكاء مطلع بعلوم كثيرة منها النحو والتصريف والعروض ومعاني الشعر والتفسير، ويعرف الفقه والطب وله النظم والنثر، يتكلم التركية والورمية والأرمنية والحبشية والهندية والزنجية بكلام فصيح عند أهل اللسان(٥٠)، والسبكي (ت٧٧١هـ)، بقوله: كان جيد القريحة حاد الذهن متضلعاً في علوم كثيرة ، إمام في النحو واللغة والتصريف والعروض ومعاني الشعر والتفسير والإعراب وتحليل القراءات، عارفاً بالطب والفقه وعلوم النجوم والأوائل(٥١)، والأسنوي (ت ٧٧٢هـ) بعبارته: كان إماماً نظاراً دقيق الفهم اغواصاً على المعاني لم يكن له نظير في زمانه في المذهب والأصلين ولم ير. أجمع لفنون العلم منه(٥٢)، وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) الذي وصفه بأنه كان أعجوبة من كثر حفظه إماماً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والتصريف والعروض والتفسير والقراءات ومعاني القراءة والأشعار وعلوم الأوائل يتكلم بعدة السن وبأفصح العبارات(٥٣)، كما نعته السيوطي (ت ٩١١هـ) بأنه كان إماما في النحو واللغة والتصريف والعروض ومعاني الأشعار والتفسير والأعراب(٥٤)، واتقن اللغات التركية والحبشية والرومية والأرمنية والزنجية فكان إذا قرىء عليه عجمي واستغلق عليه المعنى بالعربية فهمه إياه بالعجمية على لسانه وكان حسن التعليم طويل الروح كثير الاحتمال للتلامذة.

ترك لنا آثار علمية بعلوم كثيرة منها النحو والتصريف والعروض ومعاني الشعر والتفسير، ويعرف الفقه والطب وله النظم والنثر، يتكلم التركية والورمية والأرمنية والحبشية والهندية والزنجية بكلام فصيح عند أهل اللسان.

الهوامش

[١]() الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢/ ص٨٧.

[٢]() ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ٤ /ص١٥٢؛الذهبي ، المصدر نفسه ، ج٢٢/ ص٨٧.

[٣]() سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ج٨ / ص٥٧٤؛ المنذري، التكملة ج ٢/ ص ٣٤٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣ /ص٥٣

[٤]() ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج ١٧/ص ٥٩؛ الصفدي، نكت الهميان، ص٢٣٤.

[٥]() سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ج ٨ /ص٥٧٤؛ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج١٢/ ص٦٩.

[٦]() ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٤ /ص١٥٢؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج٢٢ / ص٨٧ .

[٧]() ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ص٣٨٢.

[٨]() ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج١١ / ص٢١٩ وما بعدها.

[٩]() المصدر نفسه، ج ١٧ / ص ٦٦.

[١٠]() ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣ / ص ١٣٧١؛ ونكت الهميان، ص ١٥٩.

[١١]() الذهبي ،إنباه الرواة ،ج٤٩ص/٢؛ ابن خلكان، ووفيات الأعيان ج ٢ /ص ٣٨٤؛ ونكت الهيمان، ص ١٥٩ .

[١٢]() ياقوت الحموي، معجم الأدباء؛ ج٣ /ص١٣٧١؛ الذهبي، إنباه الرواة؛ ج٢/ص ٤٨، الصفدي، نكت الهيمان، ص ١٥٩.

[١٣]() أصفهان : هي إحدى مدن إيران ومركز محافظة أصفهان على بعد ٤ كم جنوب طهران تقع على نهر زاينده والذي يسمى في إيران «زاينده رود» ورود كلمة فارسية تعني «نهر».

[١٤]() القفطي ، إنباه الرواة، ج ٢ /ص ٤٧.

[١٥]()الذهبي هو جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي بن أبي المنصور (ت ٥٥٩ هجري) ،انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٤٣ ؛ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٤ / ١٨٥.

[١٦]() القفطي، المصدر نفسه، ج٢ /ص ٤٧.

[١٧]() الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢/ ص٨٨.

[١٨]() الأسنوي ، طبقات الشافعية ج ١ /ص ٢٧١.

[١٩]() الأسنوي ،المصدر نفسه، ج ١ / ص ٢٧١.

[٢٠]() الذهبي، المختصر المحتاج، ص٣٣٣.

[٢١]() الذهبي، العبر، ج ٥/ ص٤٣.

[٢٢]() السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ /ص ٣٥٤.

[٢٣]() المنذري، التكملة، م ٢ /ص٣٤٣ ؛ الذهبي ،المختصر المحتاج، ص٣٣٣؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨ /ص٣٥٤ .

[٢٤]() السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣ /ص٣٨٥؛ البغدادي، هدية العارفين ج١ /ص ٤٥٦؛ الزركلي ،الأعلام ج٤ /ص٦٧ .

[٢٥]() المنذري، التكملة، مج ٢ /ص ٣٤٣، الذهبي، المختصر المحتاج ،ص ٣٣٣ .

[٢٦]() ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ٣ /ص ٤٨٥ _ ٤٨٢.

[٢٧]() الذهبي، المختصر المحتاج، ص٣٣٣ ؛ الذهبي، سير الاعلام، ج ٢٢/ ص ٨٨ ؛ الذهبي، العبر ج ٥ /ص ٤٣ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب ج ٣ /ص ٥٣ .

[٢٨] () القفطي، إنباه الرواة، ج ٢ / ص٥١.

[٢٩]() الذهبي، سير الأعلام، ج٢١/ص١١٤_١١٥ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٥/ص١٨٣ .

[٣٠]() المنذري، التكملة، م ٢/ ص ٣٤٣؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص ٣٥٢.

[٣١]() ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٧/ ص٥٩؛ الصفدي، نكت الهميان، ص٢٣٤.

[٣٢]() البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٣٨١؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٤/ص٢٠١؛ الزركلي، الأعلام، ج٣/ ص٧٠.

[٣٣]() ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ /ص٦٩ ؛السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج٨ /ص٣٥٤.

[٣٤]() الذهبي، العبر، ج٥/ ص٤٣ ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص٣٥٢؛ الفيروز آبادي، البلغة، ص ٣٥٤.

[٣٥]() ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ /ص٦٩.

[٣٦]() ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٧/ص ٥٩؛ الداودي، طبقات المفسرين، ج٢/ ص٣٠٢.

[٣٧]() ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣ /ص ٥٨ .

[٣٨]() سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، م ٨/ ص٥٧٥.

[٣٩]() الصفدي، نكث الهيمان، ص١٥٩.

[٤٠]() القفطي، انباه الرواة، ج٢ / ص ٥٠.

[٤١]()المصدر نفسة ، انباه الرواة، / ج ٢ / ص ٥٠.

[٤٢]() ينظر لمزيد من التفاصيل ياقوت الحموي، معجم الأدباء ،ج١٧/ص٦١_ ٧١.

[٤٣]() الفيروز آبادي، البلغة، ص ١٨٠؛ ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج٦ /ص٢١٤.

[٤٤]() الفيروز آبادي، البلغة، ص ١٨٠.

[٤٥]() الذهبي، سير الاعلام ، ج ٢٢/ ص ٢١٩.

[٤٦]() سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان، ج٨/ ص٥٧٥.

[٤٧]() ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ ص٦٩ _ ٧٠.

[٤٨]() ياقوت الحموي؛ معجم الأدباء، ج ١٧ / ص ١٣٣.

[٤٩]() ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٧/ ص ٦٠.

[٥٠]() الذهبي، سير الأعلام، ج ٢٢/ ص ٨٨

[٥١]() السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ /ص ٣٥٤ .

[٥٢]() السيوطي، بغية الوعاة، ص ٣٨٥.

[٥٣]() السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ١ / ص ٢٧٢.

[٥٤]() ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢/ ص ٤١.

المصادر والمراجع

اولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

١- ابن الجزري: شمس الدين محمد بن محمد بن احمد (ت ٨٣٣هـ _ ١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القراء ؛عدد الاجزاء ٢،عني بنشره ج برجبستراسر؛ مكتبة الخانجي، مصر،١٣٥١ هـ – ١٩٣٢م.

٢- ابن العماد الحنبلي: أبو فلاح عبد الحي احمد بن محمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣- ابن تغردي البردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ- ١٤٦٩ م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مصر ، (د. ت)

٤- ابن خلكان: احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ__١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وأنباء الزمان، عدد الاجزاء ٨ ، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

٥- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي(ت ٧٧٤هـ__ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، عدد الأجزاء ١٤ ، مكتبة المعارف، بيروت (د.ت).

٦- القفطي: جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٧- الانسوي: جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ. ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري ؛ مطبعة الارشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ __ ١٩٧٠م.

٨- البغدادي: اسماعيل باشا بن محمد الباباني(ت ١٩٢٠م) هدية العارفين؛ اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط ٣، المطبعة البهية، استنبول _ ١٠٥١م، واعادت طبعة بالاوفسيت المكتبة الإسلامية بطهران.

٩- الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن احمد (ت ٩٤٥ هـ _ ١٥٣٨م)، طبقات المفسرين، عدد الأجزاء ٢؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م.

١٠- الذهبي: محمد بن احمد عثمان (ت ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م)، العبر في خبر من غير؛ تحقيق صلاح الدين منجد ط٢؛ مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٤٨ م.

١١- الذهبي: محمد بن احمد عثمان (ت ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م)، المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي؛ دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

١٢- الذهبي: محمد بن احمد عثمان (ت ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م)، سير أعلام النبلاء عدد الأجزاء؛ ٢٣؛ تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي؛ ط٩؛ مؤسسه الرسالة، بيروت، ١٤١٣ م.

١٣- الزركلي: خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، الاعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين؛ ط ٤ ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩ هـ _ ١٩٧٩ م.

١٤- سبط ابن الجوزي: ابو المظفر شمس الدين يوسف بن القروغلي (ت ٦٥٤__ ١٢٥٦)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الركن، الهند، ١٣٧٠هـ__ ١٩٥٢م،

١٥- السبكي: أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ- ١٣٦٩ م)، طبقات الشافعية الكبرى؛ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط٢؛ دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، الجيزة، ١٩٩٢ م.

١٦- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ__ ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عني بتصحيحه وقراءته محمد امين الخانجي؛ مطبعة السعادة، مصر.

١٧- الصفدي: صلاح الدين خليل بن ابيك؛ نكت الهيمان في نكث العميان، تحقيق احمد زكي بيك، المطبعة البابية، القاهرة، ١٩١١ م.

١٨- الغساني: الملك الاشرف (ت ٨٠٣ هجري /١٤٠٠ م)، العسجد المسبوك والجوهر المعكوك في طبقات الخلفاء والملوك؛ دراسة وتحقيق شاكر محمود عبد المنعم؛ دار البيان؛ بغداد، ١٣٩٥هـ_ ١٩٧٥م.

١٩- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت ٨٧١ هجري _ ١٤١٤م)، البلغة في تراجم ائمة النحو واللغة؛ تحقيق محمد المصري، جمعية إحياء التراث الاسلامي، الكويت، ١٤٠٧ هـ.

٢٠- كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين؛ تراجم مصنفي العربية؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)

٢١- المنذري: أبو محمد عمر العظيم بن عبد القوي، (ت ٦٥٦ هـ ١٢٥٨م) التكملة لوفيات النقلة، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف، ط٤، سوريا، ١٩٨٨.

٢٢- الحموي: ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ__ ١٢٦٦م)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ،تحـ: الدكتور إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ – بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٣- الحموي: ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ__ ١٢٦٦م)، معجم البلدان عدد الاجزاء٥ ، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

الاحتجاج في العراق وأثرهُ على الحياة السياسية خلال العصر العباسي

Protest in Iraq and its impact on political life in Abbasid era

م.د افراح حميد عبد حسن المفرجي
جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

ا.م.د يحيى عبيد ردام الطائي
جامعة كربلاء/كلية التربية للعوم الإنسانية
قسم التاريخ

Abstract .

The idea of protest in Islamic times occupied a large part of the thinking of Muslim and non-Muslim historians, especially contemporary researchers. There are many study centers concerned with this issue for many considerations. Perhaps one of the most prominent of them is(protest), which is considered the most prominent and most influential issue at the present time on the life of the fate of individuals. And at other times it is stripped from other countries and they are powerless, for the purpose of specific goals and aspirations. Therefore, we note that this thought may be practiced at times negatively and at other times positive for the progress of countries as sponsors of this issue, and the best example of this matter is the distinguished activity that the Islamic world is witnessing in Islamic eras.

الملخص

شغلت فكرة الاحتجاج في العصور الاسلامية حيزا كبيرا من مساحة تفكير المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ولاسيما الباحثين المعاصرين، فهناك العديد من مراكز الدراسات عُنيت بتلك القضية لاعتبارات كثيرة؛ لعل من ابرزها(الاحتجاج)عُدت القضية الأكثر والأبرز تأثيراً في الوقت الحالي على حياة مصير الأفراد ولعل ارتباطها الوثيق في دائرة السيطرة ،وكذلك النفوذ هو ما يصنفه البعض بأن الاحتجاج آنذاك كان سلاح ذو حدين تارةٌ يُستخدم في سبيل إرساء قواعد السلم والأمن في بلاد ما، وتارةٌ أخرى يتم تجريده من بلاد أخرى وتكون لاحول لها ولا قوة، لغرض أهداف ومطامح معينة لذلك نلاحظ أن ذلك الفكر قد يمارس بشكل تارة سلبي وتارة أخرى إيجابي لتقدم الدول على أنها راعية لهذه القضية، وخير مثال على هذا الأمر النشاط المميز الذي يشهدهُ العالم الإسلامي في العصور الإسلامية.

كلمات مفتاحية:(الاحتجاج، دوافع الاحتجاج واشكاله، العراق، العصر العباسي، الشخصية الإسلامية)

المقدمة:

هناك مسوغان لدراسة(الاحتجاج في العراق واثرهُ على الحياة السياسية خلال العصر العباسي): أحدهما خارجي يعود للحالة النفسية التي رسمت ملامح شخصية العربية والاسلامية والتي أخذت تنتشر بفعل واقع الحروب المتكررة التي فرضت عليهم بفعل واقع الأنظمة السياسية قديماً وحديثاً التي تحكمه – لاسيما بعد التغيير_ منذ القدم؛ حيث شهد العالم العربي والاسلامي العديد من التحديات والمتغيرات العالمية التي أصبحت فيما بعد واقعا فرض نفسه على كافة المجتمعات، ومن أهم هذه المتغيرات ما اصطلح عن الاحتجاجات في العصور الاسلامية واثرها على كافة مجالات الحياة البشرية الصرفة وصولاً إلى المجالات الاقتصادية، والتعليمية، والبيئية...إلخ، على واقع البلدان والتي ذابت فيها الحدود الجغرافية والثقافية، وأصبحت بأبعادها وتحدياتها المتعددة من نظمها ومبادئها وأهدافها المعلنة الخفية عنصرا محركا

وأداة تغيير إجبارية فرضت على العالم الإسلامي أجمع في كافة مجالات الفكر الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي؛ والمسوغ الآخر داخلي يتعلق بالباحث نفسه إذ يرى انه لابد من دراسة التطور التاريخي لمفهوم الاحتجاج واثرهُ في الحياة السياسية خلال العصور الإسلامية التي شكلت ظاهرة سياسية ذو اثر كبير على واقع المجتمعات، ولقد قسمنا بحثنا هذا الى ثلاثة مباحث شمل الاول: الجذور التاريخية الاولى نشأة مفهوم الاحتجاج في التاريخ السياسي خلال العصور الاسلامي، ودرسنا بالمحور الثاني الدوافع الاقتصادية والسياسية للاحتجاج في العصر العباسي، بينما تناول المحور الثالث أشكال الاحتجاج في العصر العباسي ؛ وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر التاريخية التي شكلت العمود الفقري لبحثنا هذا ثم لخصنا بحثنا هذا بجملة من الاستنتاجات.

مفهوم الاحتجاج في التاريخ الإسلامي:

إنّ المتأمل لهذا المصطلح سيجده مدفوعا مشفوعا بمسوغات شرعية تشجع المظلومين على إعلان مظلوميتهم، ودفع أصحاب الحق للكفاح من أجل حقوقهم، وأن أول هؤلاء المشجعين هو النبي(ص) الذي كان ينصت لذوي المطالب والحاجات، ويمنع عنهم أي مانع قد يحول بينهم وبين الإفصاح، بل إنه حرّم احتجاب السلاطين عن الرعية فقال(ص): "من ولِيَ من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة"(١) والذين جاءوا من بعده قد عززوا في نفوس الأمة وواقعها "فقه الاحتجاج" على السلطة، وعرَّفوها حقها في الاعتراض على ما ترفضه من سياساتهم، ومن بعدهم أئمة العلماء المصلحين الذين عرفوا أن دورهم الحقيقي هو أن يكونوا بين الناس ليعيشوا همومهم، وبذلك تأسست زعامتهم الشعبية للأمة وتأكدت حيوية المجتمع الإسلامي بإيجابية علمائه، فازدادت قوة تأثير الرأي العام المسلم –علماء وعامةً– في مكافحة المظالم وردع الجور(٢)، ولهذا يعرف الاحتجاج لغة واصطلاحاً بأنّهُ: " افتعال من الحجج، وهو القصد الحجة لغة: البرهان والدليل، وما دفع به الخصم(٣) وقال الأزهري بأنها :" إنما سمّيت حجة ؛لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها واليها وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك"(٤)، ويعرف الجرجاني الحجة اصطلاحا – بقوله:" ما ذل به على صحة الدعوى فالاحتجاج كما قال أحد الباحثين هو تقديم الحجة(٥).

المحور الأول- نشأة مفهوم الاحتجاج خلال العصور الإسلامية

عرف التاريخ العربي والإسلامي عددًا من الاحتجاجات كانت على أشكال متعددة منها ما يكون على شكل ثورات وحركات و التمردات أو انقلابات، فكان عصر الدعوة الاسلامية وما نتج عن احتجاج أبناء عمومة على نبوة رسول الله محمد ابن عبد الله(ص)، وما نتج عنها من محاربة قريش للدعوة الإسلامية ورفض ما جاء به نبي الامة من مفاهيم وقيم اسلامية تنافي ما كان سائد في شبه الجزيرة العربية من عبادة الأوثان والأصنام وما كان منتشر من بعض العادات السيئة مثل وئد البنات .. الخ فكان احتجاج زعماء قريش من المشركين إن النبي محمد أراد تصحيح ما كان سائدا آنذاك فجاء منذرا ومحذرا الأقربين بناء لقوله تعالى﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤](٦) ومن هنا بدأ الاحتجاج في التاريخ الإسلامي، مرورا بتصاعد الاحتجاج في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان عام ٣٥ هجريًا، التي سُميّت بالفتنة الكبرى، تمثلت بخروج فصائل من الجيوش المرابطة في البصرة والكوفة ومصر إلى المدينة

المنورة، حيث حاصرت منزل عثمان لأربعين يومًا، ومن ثم تسللت مجموعة منها إلى داخل المنزل واغتالت الخليفة(٧)كانت واقعة الاحتجاج على الخليفة عثمان بن عفان –التي بدأت سلمية وانتهت مقتولا في داره– هي البداية التأسيسية لمسارٍ طويل ومطّرد من الاحتجاجات السياسية الجماعية والميدانية، والتي وثّقتها بدقة متناهية مدونات التاريخ الإسلامي طوال عهودها المختلفة(٨)، ثم ما إن آلت الخلافة للإمام علي(ع) حتى انتهت حقبة الخلافة الراشدة – على أثر استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب(ت ٤٠هـ/٦٦١م)– بما أسسته للمسلمين من مبادئ تقر حقهم في الاعتراض والاحتجاج على سياسات حكامهم، باعتبارهم وكلاء عن الأمة في تحقيق وحفظ مصالحها العامة والخاصة، وبوصف الاحتجاج – إذا كان نابعا من أسباب موضوعية– نوعا من أنواع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صيغة "الحِسبة على السلطان"(٩) ثم ما ان آلت الحكم بعد استشهاد الامام علي عليه السلام حتى تمكن الإمام الحسن ع من تولى الحكم وتعالت صيحات بمطالبة الأمويين للحكم

وانطلاقا من ذلك الإرث النظري والعملي الذي حكم نظرة الصحابة والتابعين إلى سياسات الخلفاء الراشدين؛ نجد أن المسلمين واجهوا سلطة الدولة الأموية في حالات كثيرة بكلٍّ من تلك الأوضاع الاحتجاجية، وذلك بدءا من مؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان(ت ٦٠هـ/٦٨١م) وحتى آخر حكام الأمويين لقد كانت حادثة سابقة قرار معاوية توريث السلطة لابنه يزيد(ت ٦٤ هـ/٦٨٥م) أولى محطات المسيرة الاحتجاجية على الأمويين؛ فحين أمر معاوية واليه على الحجاز مروان بن الحكم(ت٦٥هـ /٦٨٦م) أن يأخذ له بيعة الصحابة بالمدينة النبوية بولاية العهد لابنه يزيد تصدت له كوكبة من أبناء الصحابة، معترضين على ذلك القرار الذي كان له لاحقا تأثير خطير في تاريخ المسلمين(١٠) و كان مروان على الحجاز –استعمله(جعله واليا اي معاوية– فخطب فذكر يزيد بن معاوية لكي يبايَع له بعد أبيه...، فقال مروان: سنة أبي بكر وعمر! فقال عبد الرحمن: " سنة هرقل وقيصر!!" وكان مروان يعني أن استخلاف معاوية لابنه إنما جاء اقتداءً باقتراح أبي بكر على الصحابة تولية عمر خليفة بعده، أما الصحابة فقد رأوا في الأمر تقليدا لعادة قياصرة الروم في توريث الملك لأبنائهم؛ وهو ما توضحه رواية لدى الإمام السيوطي(ت ٩١١هـ /١٥٠٦م) –في 'تاريخ الخلفاء'– بقوله: "فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق(ت ٥٣ هـ/٦٧٤م) فقال: بل سنة كسرى وقيصر! وإن أبا بكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما، ولا في أحد من أهل بيتهما"(١١)، وكان في قوله ذلك إشارة بليغة إلى تأثير بيئة الشام –الرومانية الحكم سابقا– على مزاج البيت الأموي، وخاصة معاوية الذي تولى –حتى ساعتها– ولاية الشام نحو ثلاثين سنة(واليا وخليفة)؛ ويورد ابن حجر ما يفيد بأن هذا الموقف الاحتجاجي تكرر مع معاوية نفسه حين قدم الحجاز حاجًّا سنة(٥١هـ/٦٧٢م) وأراد أخذ البيعة لابنه من أهل المدينة؛ فقد "خطب معاوية فدعا الناس إلى بيعة يزيد، فكلمه الحسين بن علي(ت ٦١هـ/٦٨٢م) وابن الزبير(عبد الله(ت ٧٣هـ/٦٩٠م) وعبد الرحمن بن أبي بكر، فقال له عبد الرحمن: " أهِرَقليةٌ؟! كلما مات قيصر كان قيصر مكانه؟! لا نفعل والله أبداً"(١٢)، وينقل لنا السيوطي المرافعات القوية التي قدمها الصحابي الجليل عبد الله بن عمر(ت ٧٣هـ/٦٩٠م) دفاعا عن موقف أهل المدينة المناهض لتوريث الخلافة عائليا؛ فيذكر أنه خاطب معاوية قائلا: "أما بعد؛ فإنه قد كان قَبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يَروا

في أبنائهم ما رأيتَ في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار " وقد عزز عبد الرحمن بن أبي بكر موقف ابن عمر حين رفض الاستماع إلى حجج الخليفة معاوية "فقطع عليه كلامه، وقال: إنَّك لوددتَ أنا وكَلناك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل! والله لتردنّ هذا الأمر شورى في المسلمين أو لنعيدنّها عليك جذعة" وعبارة "لنعيدنّها عليك جذعة" فيها تهديد صريح بأنهم مستعدون لتصعيد الموقف من الاحتجاج السلمي إلى العصيان المسلح(١٣).

ومن تلك المواقف نشأ الاحتجاج فخلال العصر العباسي شهد العديد من الاحتجاجات على جميع الاصعدة لاسيما السياسية منها حيث نشأت الحركات والتمردات ضد سياسات الحكم العباسي(١٤)

المحور الثاني- الدوافع الاقتصادية والسياسية للاحتجاج في العصر العباسي

تعددت الدوافع والأساليب المؤدية للاحتجاج التي يمارسها الأفراد على مر العصور الإسلامية فعادة ما تكون اقتصادية، او دوافع سياسية في التاريخ الإسلامي حافلا بالأحداث السياسية التي كان لها الأثر البالغ في ظهور الاحتجاج بأشكال متعددة .

أولا: دوافع اقتصادية:

تزايد الاستغلال الطبقي والاجتماعي خلال العصور الاسلامية وتم استفحال الفقر الذي اكتوى به عامة المسلمين في تلك العصور، لا سيما في العصر العباسي بعد أن تشكلت طبقة أرستقراطية مقربة من السلطة استحوذت على أهم الموارد الاقتصادية الممثلة الإقطاعات الزراعية بجنوب العراق مستغلة مكانتها لدى السلطة ونفوذها للاستئثار بها باعتبارها إقطاعات تمليك، ولعل أهم الاحتجاجات الاقتصادية(حركة الزنج) وتُعد أحد أهم الحركات الثورية الاحتجاجية التي أقضت مضجع الدولة العباسية، وكان هؤلاء يستقدمون من الصومال وزنجبار ويستخدمون في الزراعة بأعداد كبيرة جدا نتيجة النشاط التجاري في غسل واستصلاح الأراضي الزراعية(١٥) ان النظام الإقطاعي السائد آنذاك، قد سبب بتحول الفلاحين إلى مؤجرين، وفي كثير من الأحيان كانوا يعملون بالسخرة، فضلا عن الضرائب الفادحة التي فرضت على الأراضي الزراعية حتى عجز ملاكها عن دفعها، ما استفاد منه الإقطاعيون الكبار الذين ضموها إلى أملاكهم بعد تخلي أصحابها عنها، واستقدموا عبيدًا الزنوج والزط من الهند للعمل في الأرض، وتم تسخيرهم للعمل الزراعي، ومن شدّة العمل مات الكثير منهم(١٦)، ولكن هؤلاء قد عانوا الأمرين اذ عوملوا معاملة غير إنسانية اذ يعملون ساعات عمل طويلة والسياط على ظهورهم إن أظهروا أي تهاون أو تراخ في أثناء ممارستهم لأعمالهم الزراعية في بيئات رطبة تنتشر فيها الأوبئة و الأمراض مقابل طعام هزيل ورديء لا يسمن ولا يغني من جوع يسمى بالسويق، وهو التمر الممزوج بالدقيق، في وقت تزايدت فيه ثروات أسيادهم بشكل كبير بفعل الأرباح المحققة من خلال هذه الأنشطة الإنتاجية ولَّدت هذه الأوضاع غير الإنسانية أرضية مناسبة لبعث الروح الثورية من جديد، فبدأت تظهر إلى العلن العديد من الحركات المعارضة لسياسات العباسيين، ولعل أهم الحركات الثورية التي هزت بعنف الدولة العباسية وقوضت استقرارها، تلك الثورة التي عُرفت بثورة الزنج التي أنهكت الدولة العباسية، سواء من حيث إنجازاتها المحققة أم برنامجها الاجتماعي والإنساني الذي ارتكز على منطلقات إنسانية كتحرير العبيد الزنوج ومساواتهم بباقي المسلمين(١٧) ولذلك انضم عدد كبير من العبيد لتلك الحركة ويقول ابن الاثير

عن هذه الحركة بقوله :"ومازال يدعو غلمان اهل البصرة ويقبلون الية للخلاص من الرق والتعب فاجتمع عند زعيم حركة الزنوج فخطب بهم ووعدهم وحلف بهم ان لا يغدر بهم ولا يخذلهم .."(١٨) لذلك استمرت تلك الحركة اربعة عشر عاماً اي من سنة ٢٥٥هجرية الى ٢٧٠ هجرية وكان الهدف الأساسي منها اقتصادي بحت(١٩) ومن نماذج الاحتجاج بسبب أزمات الغذاء وغلاء الأسعار وسوء أوضاع المعيشة ما سجله الإمام ابن الجوزي(ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١م) – من غلاء فاحش في بغداد سنة ٣٧٣ هـ/٩٨٤ م، إذْ "زادت الأسعار في هذه السنة زيادة مفرطة، ولحق الناسَ مجاعةٌ عظيمة...، وضج الناس وكسروا منابر الجوامع، ومنعوا الصلاة في عدة جُمَع، ومات خلق من الضعفاء جوعا على الطريق، ثم تناقصت الأسعار" في نهاية السنة(٢٠) وتذكر الروايات التاريخية عندما احتج الخليفة المتوكل العباسي ٢٣٢_ ٢٤٧هجرية على تدخل الأتراك على مقدرات البلاد الاقتصادية لاسيما على بيوت الأموال حتى ضاق المتوكل على الله ذرعا بتصرفات الاتراك بأموال الدولة ومواردها وجعل يحيل الآراء في استئصال لهذا اتخذ خطوات عملية من اجل التخلص منهم من نفوذ الأتراك حيث نقل الحجابة الى وصيف وانر بإنشاء الكاب بقبض ضياع وصيف واقطاعها للفتح بن خاقان وعزم على قتل وصيف وبغا(٢١) وقد احتج الخليفة على تلك التدخلات بالانتقال الى سامراء واتخاذ الماخورة وسماها الجعفرية(٢٢)، "وفي سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٩م وقع غلاء شديد في أسعار الحبوب بمصر "واشتد تكالب الناس على الخبز، فاجتمعوا وضجُّوا من قلّته وسواده، ورفعوا للحاكم قصة عريضة شكوى مع رغيف خبز أرفقوها بها "(٢٣)، لذلك ينشأ الاحتجاج غالبا ما يكون بدوافع اقتصادية من قبيل ارتفاع الأسعار أو نقص المؤن وانتشار الفقر، أو فرض الضرائب والجبايات الظالمة المجحفة بالشعب، أو مصادرات لأموال الناس وممتلكاتها.

ثانياً : دوافع سياسية:

لا تقلُّ الأسباب سياسية الكامنة وراء أنشطة الاحتجاج أهمية وكثرة عن نظيرتها الاقتصادية؛ ومن ذلك أن الناس قد تحتج رفضا لتولية مسؤول معيَّن ترى في سيرته الذاتية فسادا إداريا أو فكريا أو أخلاقيا زالت الدولة الاموية نتيجة الاحتجاج الناس عليها وقد قادها العباسيون ضدهم اذ قاموا سنة ١٣٢هـ/٧٥١م بثورة هائلة دبّرها العباسيون، فيتجدد بذلك عهد جديد من السياسات التي لم تخلُ من اعتراضات وممانعات أبداها الناس بشأنها واحتجاجات مارسوها ضدها، وذلك طوال عصور الخلافة العباسية المختلفة وما تخللها من أنظمة حكم مستقلة في المشرق والمغرب(٢٤)، ولهذا شهدت الخلافة العباسية العديد من التمردات والحركات والثورات اقضت من مضجع الخلافة لعدد من السنين لعل ابرز تلك الحركات السياسية اذ كانت على اشكال متعددة تارة يكون على شكل حركة مثل حركة نصر بن شبث العقيلي حيث كان احد اهم رؤساء القبائل الشامية الذي استقدمت الامين لحرب اخية المأمون لتغطية العسكرية حيث انضم له من اسلافه من بني امية في كيسوم وعند مقتل الامين امتنع نصرا عن المبايعة المأمون واخذ يتمرد في كيسوم والمناطق المجاورة حتى امتدت حركته هذه الجزيرة الفراتية وحصر حران وقد فشلت الخلافة العباسية بالتخلص منه وقد استطاع ان يلفت نظر الخلافة ولأهميته السياسية لاسيما وان القادة الذين بعثوا لمحاربته قد فشلوا في القضاء عليه(٢٥)، وتارة اخرى يكون على شكل تمرد مثل تمرد عبد الله بن علي عندما نصب نفسه حاكما بعد وفاة ابو العباس السفاح الاول وادعى ان ابن اخية قد عهد اليه

ولاية العهد حيث بايعه الجند الشامي وقسم من بلاد الشام في الوقت الذي كان ابو جعفر المنصور يواجه تمرد آخر متمثلا بأبي مسلم الخراساني ؛ ولهذا اراد ان يضرب الاول بالثاني والتخلص من الاثنين(٢٦) وقد استغرقت وقتا وجهدا غير قليل للتخلص من الاثنين أبي مسلم وعبد الله بن علي(٢٧)؛ فضلا عن ذلك شهدت الخلافة العباسية العديد من التمردات مثل ما حصل في عام ٢١٦هجرية حيث تمرد سكان مصر حيث كان له اثر كبير على الخلافة العباسية في بغداد، وقد شارك في هذا التمرد المسيحين وقد عمت تلك الحركة الوجه البحري إذ دامت ما يقارب ثمانية اشهر حتى اضطرت الخلافة بتهدئة الاوضاع من خلال ذهاب المأمون العباسي لمصر وحاول الاخير ولكن دون جدوى حتى تمكن من ان يتخلص من التمرد من خلال قائدة الافشين حيث قضى على زعمائهم وجيء بهم الى بغداد(٢٨)، فكثير من قصص الاحتجاج في تاريخنا كانت دوافعها سياسي بحتة، من قبيل التخلص من خليفة أو حاكم أو والي السيطرة على دفة الحكم و تولي الزعامة السياسية لذلك جاءت تلك الدوافع السياسية بأشكال متعددة كأن تكون على شكل حركة او تمرد او ثورة ..الخ

المحور الثالث- أشكال الاحتجاج في العصر العباسي

أولا: الدعاء والقنوت:

تعددت أشكال الاحتجاج حسب وجهات مطالب الرعية فمنها ما يكون على شكل تحشيد تظاهر وإضراب أو مقاطعة، أو تعطيل لمصالح والحركة، وكتابة العرائض المطلبية واستخداما للرمزيات الاحتجاجية فبعض الأحايين تكون على شكل تجمع في المساجد للدعاء والقنوت في لحظات الشدة كان من السلوكيات الاحتجاجية المعروفة والمؤثرة، وشهدت تلك الأنشطة شيئا من التدافع والتصادم عند إبداء الآراء من قبل المحتجين وغيرهم ممن يجاهرون بالمطالبة بحقوقهم المسلوبة من قبل الدولة وكان أغلب الأحايين يشترك جميع عناصر المجتمع سواء كانوا عربا أو غيرهم مسلمين وغير مسلمين(أهل الذمة) (٢٩)، وقد تتجلى بعض صور الاحتجاج فيها الوحدة من خلال تكاتف المسلمين وغير المسلمين عندما تهدد الدولة مصالحهم الاقتصادية و المعيشية حيث يخرج جميع رموز الدينية من علماء المسلمين ورجال الدين المسيحيين في مظاهرات عامة تخرج دفعا للظلم والعدوان كما عرف المسلمون في تاريخهم الاحتجاج الفئوي لأصحاب المهن والحِرَف والإضرابات العمالية التي تؤدي إلى إغلاق الأسواق(٣٠)، وتأخذ بعض أشكال الاحتجاجات ذروتها، حينما تتخذ من تعطيل المساجد والصلوات وذلك تعبيرا احتجاجيا تخاذل السلطات عن توفير الأمان أو تقوم بخلع الولاة والعمال والقضاة والوزراء، أو حتى تتصاعد من سلمية وادعة إلى ثورة عارمة تطيح برأس النظام وأركانه(٣١).

ثانياً: الاحتجاج بالطرق السلمية:

عرف العرب المسلمين وغير المسلمين على مر التاريخ احتجاجا سلميا تكون صوره بتحشيد نماذج ومواقف دينية و عملية انخرط فيه المسلمون في الصدع بالحق أمام قرارات الجائرة من قبل الخلافة العباسية في سياساتها وممارساتها ومن ذلك أيضا ما رواه العلامة(ابن الجوزي) بقوله عن أحداث " سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م حينما اضطربت الأوضاع السياسية والأمنية ببغداد، فاجتمعت العامة في جامع دار السلطان، وتظلمت من الدَّيْلم عساكر البويهيين ونزولهم في دورهم بغير كراء وقد تعداها، بذلك معاملاتهم،

فلم يقع إنكار لذلك من السلطان؛ فمنعت العامة الإمامَ من الصلاة وكسرت المنبرين..، ومنعهم الديلم من ذلك فقتلوا من الديلم جماعة"(٣٢)، وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٨م أطلق القائد أمين الدولة الحسن بن عمار الكُتامي(ت ٣٩٠هـ/١٠٠١م) لجنوده العنان في المجتمع "فكثر عتيُّهم، وامتدت أيديهم إلى الحُرُم في الطرقات، وشلحوا الناس ثيابهم، فضج الناس منهم واستغاثوا إليه بشكايتهم، فلم يَبدُ منه كبيرُ نكيرٍ"، ثم تفاقم حتى أدى إلى عزل ابن عمار عن وظيفته ثم اغتياله(٣٣)، وفي أحداث سنة ٤٠٥ هـ/١٠١٥م يذكر ابن الجوزي عن الجواسيس التي انتشرت بقوله : "رتَّبَ في كل دربٍ أصحاب أخبار يطالعونه بما يعرفونه، ورتبوا لهم عجائز يدخلن الدُّور ويرفعن إليهم أخبار النساء، وأن فلانا يحب فلانة وفلانة تحب فلانا، وأن تلك تجتمع مع صديقها وهذا مع صاحبته، فكان أصحاب الأخبار يرفعون إليه ذلك، فينفذ من يقبض على المرأة التي سمع عنها مثل ذلك، فإذا اجتمع عنده جماعة منهن أمر بتغريقهن، فافتضح الناسُ وضجوا من ذلك" حتى احتج الناس بشتى أساليب متعددة الاحتجاج المتاحة لهم ومن هذه الاشكال متعددة، تأخذ معارضة الناس لسياسات سلطانهم وممارساته منها إظهار الامتعاض والاعتراض؛ إذْ لا يقتصر الاحتجاج على التحشيد والتظاهر فقط، بل هو درجات متفاوتة في القوة والوضوح، فبعضها يكون بمجرد الدعاء والبكاء، وبعضها يكون بالنزول إلى الشوارع للتجمهر والصراخ بالمطالب(٣٤)، ومن صور الاحتجاج التي يقوم بها عامة الناس في أماكن عامة مثل المساجد ومرافق السلطة، وقد يغلقون بعض تلك الأماكن ويعطلونها عن أداء وظائفها أو يضربون عن العمل ويعطلون نشاط الحركة التجارية عن طريق إغلاق الأسواق والدكاكين، ومن أنماط الاحتجاج أيضا التعبير صراحة عن مطالب معينة أو كتابتها في عرائض ورفعها إلى من يهمهم الأمر فقد يلجأ الناس أحيانا إلى الإضراب العامّ بغلق المساجد والمحلات التجارية داخل الأسواق وخارجها، احتجاجا على موقف أو سياسي أو اقتصادي(٣٥)، ويذكر أن ذلك اعتداء البيزنطيين على الدولة إذ أثار غضب الجماهير الرعية فخرجوا محتجين على تخاذل قادة الدولة في صد المعتدين، وكان من الأنشطة الاحتجاج السلمية هو أغلاق اهالي الموصل الأسواقَ الدكاكين، واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك، ومضوا إلى ناصر الدولة ابن أبي الهيجاء الحَمْداني ت ٣٥٨هـ/٩٦٩م فضمن لهم مقاومة العدو حتى ينهي احتجاجهم ويوقفوا إضرابهم وقد تضامن سكان عاصمة الخلافة بغداد مع احتجاجات إخوانهم في الموصل وشمالي البلاد، فأعلنوا الدخول في إضراب و"أغلقت الأسواق، وذهبوا إلى باب الخِلافة ومعهم كتاب يشرح مُصيبة حلب وضَجُّوا"، وخاطبوا الخليفة فقالوا: لا نقنع إلا بخروجك أنت، وأن تكتب إلى سائر الآفاق وتجمع الجيوش، وإلا أن تعتزل لنولي غيرك، فغاظه كلامُهم(٣٦)

ثالثاً : إجراءات مبتكرة للاحتجاج في الخلافة العباسية:

ذكرنا انفاً تعدد أشكال الاحتجاج فمن ضمن تلك الأشكال ما كان يقدم عليه المحتجون في إغلاق المساجد وتعطيل إقامة الصلوات فيها حتى تلبّي السلطات مطالبهم، وقد تكرر ذلك كثيرا –في مختلف العصور حتى أصبح فيما بعد ظاهرة مرصودة بصورة لافتة في كتب التاريخ الإسلامي ومن تلك الصور ذلك ما وقع في بغداد سنة ٣١٢ هـ/٩٢٤ م حين اعترض القرامطة بقيادة أبي طاهر الجنّابيّ القرمطيّ(ت ٣٣٢ هـ/٩٤٤م) طريق قافلة الحجاج القادمة بعد انقضاء موسم الحج من الحجاز إلى العراق، وقتلوا منهم ٢٥٠٠ شخص منهم ثلاثمائة امرأة(٣٧)، ومن طريف أساليب الاحتجاج ما كان يُقْدم عليه المحتجون من

كتابة العرائض المطلبية، واتخاذ الوسائل الإيضاحية الرمزية للتعبير عن مواقفهم ومطالبهم، وهو ما يذكرنا بما نراه اليوم من حمل المحتجين في مظاهرات الجياع وثورات الخبز القدور والأواني فالمؤرخ المقريزي(ت ٣٩٨هـ/١٠٠٩م وقع غلاء شديد في الحبوب واشتد تكالب الناس على الخبز، فاجتمعوا وضجوا من قلّته وسواده، ورفعوا للحاكم قصة عريضة شكوى مع رغيفة خبز أرفقوها بها(٣٨)، ويذكر ابن الجوزي أنه في احداث سنة ٤١٠هـ/١٠٢٠م تحرّك العامة في مصر للاحتجاج على الأوضاع ووضعوا في الطريق الذي يسلكه عادة الخليفة الحاكم بأمر الله تمثال امرأة من قراطيس بخُفٍّ وأزوار ونصبوها، وتركوا في يدها رقعة مختومة تتضمن كل لعن وشتيمة، فلما اجتاز بها الخليفة لم يشكَّ أنها امرأة، وأن الرقعة رقعة ظُلامة، فتقدم فأخذها من يدها ففتحها فرأى في أولها ما استعظمه، فقال: انظروا هذه المرأة من هي؟ فقيل: إنها تمثال معمول من قراطيس الجمعات تنظيم أنشطتهم الاحتجاجية، على نحو ما نراه اليوم في احتجاجات الجماهير حين تختار لها أيام الجمعة لسهولة احتشاد الناس لها(٣٩).

ومن الاساليب المبتكرة ما يخبرنا به ابن الجوزي عندما بويع ابراهيم المهدي العباسي بقوله:" أنّه بويع في بغداد بالخلافة لإبراهيم بن المهدي العباسي(ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م) في سنة ٢٠١ هـ/٨١٦م لأن المأمون(ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) لما فوَّض ولاية عهده إلى علي بن موسى الرضا العلوي(ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) رفض العباسيون ذلك خشية على مستقبل دولتهم، فـ"أظهروا أنهم خلعوا المأمون وبايعوا لإبراهيم بن المهدي، ومن بعده [ابنُ أخيه] إسحق بن موسى بن المهدي(ت بعد ٢٠١هـ/٨١٦م)"(٤٠)، وقد خططوا لإنجاح ضغطهم الاحتجاجي على المأمون بأن ضمنوا للجُند أشياء يعطونهم، وأمروا رجلا يقول يوم الجمعة حين يؤذن المؤذن: " إنا نريد أن ندعو للمأمون، ومن بعده لإبراهيم يكون خليفة ودسُّوا قوما فقالوا: إذا قام من يتكلم بهذا فقوموا وقولوا: لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم، ومن بعده لإسحق وتخلعوا المأمون! فلما قام من تكلم بهذا وأجيب بهذا، لم يُصَلُّوا في ذلك اليوم الجمعةَ، ولا خَطَب أحدٌ، وصلى الناس أربع ركعات"، ومن خلال ذلك العرض نرى أنّ المحتجين على قرار المأمون بشأن ولاية العهد استعملوا أسلوب الاحتجاج الشعبيّ لتحقيق هدفهم عبر تهديد الشارع بخلع المأمون، وذلك حتى لا يُقال إنه خُلع بدون وجه حقّ أو من غير مطالبة جماهيرية توجب ذلك المحتجين كانوا بارعين في إظهار الأمر وكأنّ عامة الناس هم من يسعون لخلع الخليفة، وليس فقط الفاعلين في مراكز القرار بالدولة من أقاربه وعائلته الذين فعلوا ذلك غضبا على المأمون حين أراد إخراج الخلافة من ولد العباس إلى ولد علي؛ وفقا لابن الجوزي. وبذلك ندرك أنّ الاحتجاج قد يكون حقيقياً وقد يكون مصطنعاً، حسب اختلاف طبيعة الفاعلين وأهدافهم؛ ومن أمثلة ذلك أيضا تخيُّرُهم للأماكن العامة التي يسهل فيها الوصول إلى المسؤولين، كما حكاه وقد ذكر ابن الجوزي في احداث من أنه في سنة٣٣٠هـ/٩٤٢م "قام رجل من العامة في جامع الرصافة والإمام يخطب، فلما دعا للمتقي لله(الخليفة العباسي ت ٣٥٧ هـ/٩٦٨ م) قال له العامي: "كذبت، ما هو بالمتقي فأخِذ وحُمِل إلى دار السلطان"(٤١).

الخاتمة

١. أن الاحتجاج نضال سنجده مدفوعاً مشفوعاً بمسوغات شرعية تشجع المظلومين على إعلان مظلوميتهم، ودفع أصحاب الحق للكفاح من أجل حقوقهم، وأن أول هؤلاء المشجعين هو النبي(ص) الذي كان ينصت لذوي المطالب والحاجات وينتفض على الظلم والعدوان.
٢. أن للاحتجاج جذوراً تاريخية عرفها التاريخ العربي والإسلامي في عصر الدعوة الإسلامية النواة الأولى للنضوج فكرة الاحتجاج على ما كان سائداً في قريش آنذاك.
٣. تعددت الدوافع والأساليب المؤدية للاحتجاج فغالبا ما يمارسها الأفراد على مر العصور الإسلامية ما تكون اقتصادية او دوافع سياسية في التاريخ الإسلامي حافلا بالأحداث السياسية التي كان لها الأثر البالغ في ظهور الاحتجاج بأشكال متعددة وكان لها الاثر الاكبر في تغير مجرى التاريخ في العصر العباسي.
٤. تعددت أشكال الاحتجاج حسب وجهات مطالب الرعية تجاه حكامهم فمنها ما يكون على شكل تحشيد تظاهر وإضراب أو مقاطعة، أو تعطيل لمصالح والحركة، وكتابة العرائض المطلبية واستخداما للرمزيات الاحتجاجية فبعض الأحايين تكون على شكل تجمع في المساجد للدعاء والقنوت في لحظات الشدة كان من السلوكيات الاحتجاجية المعروفة والمؤثرة، وشهدت تلك الأنشطة شيئا من التدافع والمعارك وغالباً ما ينتج عن تلك المعارك تغير مجرى التاريخ في العصر العباسي.

الهوامش

(١) ابن كثير، جامع المسانيد، ج١١/ ص ٣٢٥٤، علق عليه د.عبد المعطي أمين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٧١م

(٢)ابن كثير، المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٣)ابن منظور، لسان العرب، ج٢/ ص٢٢٠، دار الصادر بيروت ١٤١٤

(٤)الأزهري، تهذيب اللغة، ج٤/ ص٧٢

(٥)عبد الفتاح شلبي، الاحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره، عدد ٤، ص ٨٧ نشرة مجلة ابحاث علمي وتراث الإسلامي تصدر كلية ام القرى عدد ٤، ١٤٠٢

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ ص٥٥، تحقيق الشيخ احمد عادل عبد الماجود، ط٢، مكتبة العبيكان ١٩٨٨م.

(٧) الهمذاني الأسد آبادي، تثبيت دلائل النبوة، ص ٩

(٨)ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/ ص٢٠٧، دار الصادر بيروت ١٩٧١م.

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/ ص ٢٥٤، دار الصادر بيروت للطباعة والنشر لبنان ١٩٧٥م.

(١٠) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣/ ص ٣٥١.؛ الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص ٧٤.

(١١) العسقلاني، تقريب التهذيب، ج١/ ص٥٢٥.

(١٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء،ص٢١٤.

(١٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء،ص٢١٤.

(١٤) ينظر السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، ص ٣٣.٣٤.٣٥.٣٦.٣٧.٣٨، الموصل ١٩٨٨م.

(١٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧/ ص٢٠٦ ؛ الدوري، دراسات، ص٧٥ .٧٦

(١٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج٩/ ص ٤١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر ١٩٦١

(١٧) الطبري، المصدر نفسه والجزء والصفحة

(١٨) ابن الاثير، الكامل ،ج٧/ ص٢٠٩

(١٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩/ ص٣١٤.

(٢٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦ / ص ٢٢٠.

(٢١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣١٣

(٢٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧/ ٨٧

(٢٣) ابن الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨/ ص ١٩٠

(٢٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢/ ص٨٩، المطبعة الحيدرية النجف الاشرف ١٣٩٤هج/ ١٩٧٤م ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧/ ص٤٤٩.

(٢٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨/ ٦٠٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦/ ٢٩٧.

(٢٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧/ ص٤٥٠

(٢٧) ينظر لمزيد من التفاصيل فوزي، العباسيون الاوائل، ج ١/ ص٨٧

(٢٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦/ ص٤٢٠

(٢٩) ينظر المفرجي، افراح حميد عبد، أهل الذمة في مدينة الموصل، ص١٩٥

(٣٠) المفرجي، المرجع نفسه، ص

(٣١)ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦ / ص٢٢٢

(٣٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦/ ص ٣١٢.

(٣٣) المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١ م)، اتّعاظ الحُنفا، ص ٢٢٩

(٣٤) ابن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦/ ص٢١٠ .

(٣٥)

(٣٦) المفرجي، أهل الذمة، ص١٩٤

(٣٧) المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١ م)، اتّعاظ الحُنفا، ص٣٠٠

(٣٨)ابن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦/ ص ١٣٢.

(٣٩)ابن الجوزي، المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٤٠)ابن الجوزي ،المنتظم،ج٦/ ص١٠٩

(٤١)ابن الجوزي، المنتظم، ج٦/ ص١٣٨

علاقات نصارى العراق بنصارى بيزنطة في العصر العباسي

(١٣٢ - ٣٣٤ هـ)

Relations of the Christians of Iraq with the Christians of Byzantium in the Abbasid era (132-334 AH)

م.م فاضل عبد الرضا حايد
مديرية تربية محافظة واسط

م.م حسين سعد حنوف السويراوي
مديرية تربية محافظة واسط

Abstract .

This research enters the field of interest in the history of the Islamic state and the statement of the role of Christians and the study of the process of imitation and the relationship between the Christians of Iraq and the Christians of Byzantium during the Abbasid rule, as well as imitation between the Byzantine and Abbasid states through political and cultural relations, the exchange of gifts and messengers, the exchange of prisoners, and all communication processes between Christians in Iraq And the Byzantine Christians, whether it was positive communication, espionage operations, information exchange, or bringing in scholars and others.

المخلص:

يدخل هذا البحث في مجال الاهتمام بتاريخ الدولة الاسلامية والى بيان دور النصارى ودراسة عملية المحاكاة والصلة بين نصارى العراق ونصارى بيزنطة خلال فترة الحكم العباسي وكذلك المحاكاة بين الدولتين البيزنطية والعباسية من خلال العلاقات السياسية والثقافية وعمليات تبادل الهدايا والرسل وتبادل الأسرى وكل عمليات الاتصال بين النصارى في العراق ونصارى البيزنطيين سواء كان الاتصال ايجابي أم عمليات تجسس أو تبادل معلومات أو جلب علماء وغيرها.

كلمات مفتاحية: (الدولة العباسية ، الخلفاء العباسيون ، نصارى العراق ،نصارى بيزنطة، ، الدولة البيزنطية)

النصارى

هم اتباع المسيح(١) عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته (عليه السلام) وهو المبعوث حقاً بعد موسى (عليه السلام) المبشر به في التوراة مصداقاً لقوله تعالى (انما المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه)(٢) وجاء بالإنجيل(٣) وكانت له آيات ظاهرة مثل احياء الموتى وابراء الاكمة (٤) ، وسمو بالنصارى نسبة الى قرية بالشام يقال لها نصران أو ناصرة(٥) ، وقيل جاءت التسمية من قوله تعالى (قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله)(٦) وقيل كذلك لتناصرهم فيما بينهم ومهما يكن مصدر هذه اللفظة فإنها كانت تطلق على كل الذين يدينون بالمسيحية.

النصارى في المجتمع العباسي

كان أهل الذمة ومنهم المسيحيون يمارسون دينهم وعاداتهم بحرية تامة واكتفت الخلافة العباسية بأخذ الجزية منهم ولكن بقيت منزلتهم من حيث مساواتهم للمسلمين أقل إلا انهم شاركوهم في وظائف الدولة وممارسة المهن بحرية دون تدخل الخلفاء العباسيين في شؤونهم الدينية إلا في بعض الأحيان، وخضعوا للقيود على ألبستهم شأنهم في ذلك شأن اليهود(٧) وكانت أغلب المهن التي امتهنها هؤلاء تتراوح بين صيرفي وبزاز وتاجر وطبيب وخياط واسكافي وجزار وصباغ(٨).

وتمتع النصارى في العهد العباسي بحرية لا تشوبها شائبة حيث وثقت صلتهم بكل طبقات المجتمع فكان منهم كتاب السلاطين، وخدم الملوك، وأطباء الأشراف وصيادلة(٩) وكانت معظم المدن العباسية عامرة بهم فكانت الرها ، وهي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام اسست فيها أقدم المدارس السريانية النسطورية التي كان يدرس فيها اللاهوت والثقافة اليونانية(١٠) ، فضلا عن ذلك ان تكريت كان أكثر أهلها نصارى، كما اختصت بهم كذلك محلات بغداد كمحلة الشماسة ومحلة الروم وقطيعة النصارى وبذلك عاشوا متجاورين مع المسلمين وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وصار النصارى أحب الى العوام من المجوس وأسلم صدوراً عندهم من اليهود وأقرب مودة، ومنح الخلفاء لرؤسائهم الروحيين مباشرة امور وشؤون أبناء ملتهم وكان رئيس النصارى في بغداد سمي الجاثليق (١١)، يعينه الخليفة بعد استشارة الأساقفة(١٢)، ويتم تعينه بعهد أو منشور يتضمن الحقوق والامتيازات التي تمنحها الدولة له(١٣) .

وكان للنصارى في بغداد الكثير من الأديرة أشهرها دير العذاري ويقع في قطيعة النصارى على نهر الدجاج في الجانب الغربي من بغداد وكان دير للرواهب السريانيات ودير الزندود ويقع في الجانب الشرقي من بغداد في منطقة كلها فواكه وأعناب ، وقد استمر وجود هذا الدير حتى العهود المتأخرة ، ودير سالمو ويقع بالجانب الشرقي من بغداد بباب الشماسية ، وفضلاً عن ذلك فان هناك العديد من الأديرة المنتشرة في بغداد والتي كان يقصدها العامة للتنزه مثل دير جرجوجيس ودير سابو ودير الجاثليق ودير الثعالب ودير الروم (١٤) .

وكان تعداد النصارى في بغداد أوائل القرن الرابع الهجري بين أربعين ألفاً الى خمسين ألفاً بحسب احصائية بعض قوائم الجزية ومن المحتمل أنهم لم يزيدوا كثيراً عن هذا العدد حتى القرن السادس الهجري وكان أكثرهم من النساطرة الذين يرأسهم الجاثليق الذي اتخذ مقامه في دار الخلافة واستطاع بنفوذه أن يمنع رئيس اليعاقبة من اتخاذ بغداد مركزاً لطائفته بدلاً من أنطاكيا(١٥) .

العلاقات في العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢هـ)

بانتقال الخلافة العباسية الى بني العباس ازداد حب النصارى للمسلمين فمنحهم ابو العباس السفاح (١٣٢. ١٣٦ هـ) ومن اتى بعده النفوذ الواسع والحرية لاسيما بعد ان تولى ابو جعفر المنصور الخلافة سنة (١٤٩ هـ)(١٦) ، نال النصارى ما ناله المسلمون من حرية دينية واسعة فنرى الجاثليق الجديد بعد تنصيبه يسير بحفاوة الى دار الخلافة وكان يحضى بكتاب العهد الحاوي على حقوقه، ثم تلقى عليه ثياب الجاثليق الثمينة التي كانت من ارقى انواع الثياب، بعد ذلك ينحدر الى مدينة كرسيا مع ثلة من الجنود والاساقفة وعظماء الدولة فيزور ضريح مار ماري في ديره اما كتاب العهد الذي تمنحه السلطة المدنية اليه كان يشتمل على كل الحقوق والامتيازات وله الحق في مراجعة السلطات في الامور المتعلقة بالطائفة المسيحية الا انه في عهد المنصور هناك تمييز في التعامل بين نصارى الثغور والنصارى المقيمين في قلب دار السلام أي مع المشارقة السريان من النساطرة وحدث هذا التمييز ابان الحملات على العدو البيزنطي لنرى ان اولى تلك الاحداث قيام راهب يدعى زعارى من دير مارمتى القريب من الموصل الذي استولى على نفائس ديره وحاول الهرب بها الى خارج الحدود فما كان من السلطة الا ان

اصدرت امراً بإحصاء اموال الأديرة والكنائس والمعابد، واتخذ المنصور اجراءات ضد النصارى وبالخصوص اهل الثغور منهم وتمييزهم بالوان الثياب او الكي بالحديد الحامي وذلك خوفاً بالاتصال بالعدو البيزنطي (١٧) ، وفي خلافة المهدي (١٥٨ . ١٦٩ هـ) وبتطور حركة الترجمة اصبح حال النصارى افضل وتقربوا من الخليفة فنجد ان المهدي العباسي يطلب من طيماثوس ان يترجم له كتاباً لارسطو عن السريانية وقد انجز الجاثليق ترجمته ففضله الخليفة على ترجمة اخرى من اليونانية، الا ان هناك امور قد حدثت ومنها اعدام الراهب السوري رومانوس الذي اتهم بالتجسس لحساب الدولة البيزنطية سنة(٧٧٨ م) ،وفي عهد الخليفة الهادي (١٦٩ –١٧٠هـ)حضي الجاثليق طيماثوس الاول بمنزلة خاصة لدى الخليفة فكان يستدعيه ويحاوره في مسائل الدين فقد خدم المسلمين هو واتباعه بإخلاص وقد عمل الخليفة بعد ذلك على اسكانهم بالقرب من دار الخلافة في مكان عرف دار الروم(١٨). التي بنيت بها المدارس التي تعلم بها ابناء الوزراء وسادات الدولة ، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد(١٧٠–١٩٣هـ) ازداد عدد النصارى نتيجة الغزو الذي شنه المسلمون على اراضي الدولة البيزنطية فقام بإسكانهم شمال شرق بغداد في دار الروم ، وكان نتيجة للفتوحات التي قام به المسلمين في اراضي بيزنطة، تم جلب العديد من المخطوطات والكتب التي ملأت مكتبات بغداد وكانت بحاجة الى ترجمتها الى العربية لذلك استعان الخليفة بمترجمين من طائفة النصارى للقيام بتلك الترجمة مفضلين على أقرانهم من المترجمين الاخرين(١٩) ، وامر الخليفة هارون الرشيد بهدم الكنائس في الثغور الاسلامية واخذ النصارى بلباس خاص يخالف لباس المسلمين وكان هذا بسبب قيام نصارى الثغور بمساعدة الروم خفية جراء الحرب التي حدثت ما بين هارون الرشيد والروم البيزنطيين سنة(١٩١هـ) ، بعد ان توفي الخليفة هارون الرشيد سنة (١٩٣هـ) بويع بالخلافة ابنه الامين (١٩٣–١٩٨هـ) وحدثت الفتنة بينه وبين اخوه المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ) فعمت فتنة الامين والمأمون وسببت الفوضى بالبلاد وانتشرت الاضطرابات في كل ناحية وهدمت الدور والمنازل فلحق بالنصارى الأذى، اذ احرقت أكثر اديرتهم ودمرت كنائسهم واغلقت اغلب مدارسهم لكن بعد ان استتب الامر للمأمون هدئت الخواطر فاطلق لرعاياه الحرية الواسعة في الفكر والقول وعمل على اكرام العلماء والاطباء واهتم باستحضار الكتب من كل صعاق المعمورة وبالخصوص من الدولة البيزنطية وعمل على انشاء ديوان لتعريبها فاقبل اليه العلماء والفلاسفة المسيحيون اقبالاً فلم يدعوا كتاباً في الحكمة الا عربوه(٢٠) فضلا عن ذلك كانت للخليفة المأمون اتصالات بقياصرة الروم وطلب منهم جمع المخطوطات في العلوم الطبية والهندسية وان يبعثوا الى بغداد عالما بالرياضيات يونانيا اسمه لاوون يعمل على تدريس الطلبة المسلمين، ومما يوكد الاهتمام بالنصارى انه عمل معهد للترجمة عرف ببيت الحكمة وكان معظم المترجمين فيه من النصارى واليعاقبة والنساطرة .

ان هذه العلاقة توكد ان الاتصال كان قائم بين الدولتين، وان النصارى في بغداد كان لهم مكانة مرموقة (٢١)، ومن رؤساء النصارى الذين نالوا الجاه لدى الخليفة المأمون طيماثوس الاول والجاثليق يشوع برنون والجاثليق جيورجيس الثاني وجاء في كتاب مختصر تاريخ العرب ان الخليفة المأمون انشا مجلس استشاري للدولة تألف من جميع الطوائف فكان عهده مضرب للأمثال بالتساهل حتى بلغ عدد الكنائس التي شيدت احدى عشر الف كنيسة علاوة على مئات من معابد النار والهياكل اليهودية (٢٢)

وفي خلافة المعتصم بالله (٢١٨ . ٢٢٧ هـ) فان من الامور المهمة التي حدثت، هي عقد هدنة بين ملك الروم ثيوفيلوس والمعتصم وكان سبب عقد الهدنة هو استمرار الحركة الفكرية، وقد كان طبيب المعتصم نصرانياً اسمه يوسف بن صليبا وأعلن الخليفة على الملأ ان طبيبه اهم من قاضي القضاة الا ان ازدياد طغيان الجيش التركي واستفحال شره ادى الى نهب اموال النصارى فهدمت بعض الكنائس وسطى احد ابناء المعتصم عام(٢٢٣ هـ) المكنى بابي داود الذي يعده ميخائيل السرياني عدو النصارى الذي اصدر امراً من ابيه يحضر على النصارى ان يظهروا الصلبان خارج الكنائس ، هذه الاعمال ادت الى هجر النصارى الى دار السلام حتى ان رجال من المسلمين راحوا يطاردون رجال من النصارى حاولوا الرجوع الى النصرانية الى بلدة سروج في سوريا ومن الامور المهمة التي حدثت في معركة عمورية نجد ان الخليفة المعتصم اصطحب ايوب بطريك انطاكيا الذي دعي المحاصرين بإيعاز من الخليفة الى التسليم ودفع الجزية لحقن دمائهم (٢٣).

العلاقات في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤ هـ)

في عهد المتوكل العباسي(٢٣٢ – ٢٤٧هـ) استمرت المصادرات ضد النصارى واستخدمت اجراءات تميزيه ضدهم الا انه في سنة(٢٤٣هـ) لما قدم المتوكل الى دمشق طرحت في طريقه الرياحين وعقدت القباب فاستحسنها وسئل الفتح بن خاقان عن منظم الحفل فقال له انه سرجيس مطران نصبين من السريان نتيجة هذه الحادثة تحسنت العلاقة بين المتوكل والنصارى وامر الخليفة للجاحظ بالكتابة عن النصارى كما سمح للنصارى والاكابر منهم بزيارة نصبين ولقاء المطران سرجيس فتوسعت العلاقات ما بين النصارى في نصبين وسامراء (٢٤) وفي سنة(٢٤٧هـ) قام الطبيب صفين بن اسحق الذي كان يقيم في بلاد الروم وانتقل الى بغداد من ابداء مشاعر العداء ضد النصارى الموجودين في دار السلام فشكاه بختشوع الى الخليفة المتوكل الذي ترك البت في عقوبته الى الجاثليق وفي عهد الخليفة المنتصر (٢٤٧ –٢٤٨هـ) اتهم طبيبه النصراني اسرائيل الطيفوري بانه كان سبب وفاة المنتصر العاجلة من خلال استعمال مبضعاً مسموماً ادت الى وفاته وكانت هذه الحادثة تدل على ان هناك علاقات تجسس ما بين الروم والنصارى الموجودين في داخل العراق(٢٥).

وفي خلافة المقتدر(٢٩٥ –٣٢٠هـ) نتيجة عمليات التجسس ما بين الدولة البيزنطية والنصارى الموجودين في العراق امر الخليفة المقتدر بإبعاد النصارى واليهود عن كتابة الدواوين وحصرهم في الصيرفة والطب وفرض عليهم لبس الغيار وقد اعدم ابو ياسر النصراني كاتب مؤنس الخادم لاسباب خفية تل على ان امرا قد حدث عمل على اعدامه (٢٦) ،ومن ناحية العلاقات فقد حدثت مناظرات كثيرة بين المسعودي وأبي زكريا دنخا النصراني لما قابله ببغداد في الجانب الغربي في قطيعة أم جعفر وتكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء(٢٧)، وأما من ناحية العلاقات الرسمية فقد جاء أسقف عسقلان الملكاني الى بغداد في أواخر خلافة الراضي (٣٢٨ هـ) والتمس الإذن بإعادة عمارة كنيسة السيدة العذراء التي خربها المسلمون واليهود وأحرقوها فما حصل على شيء ، ربما كان المسلمون أيضاً ينقمون على الروم لأجل ما فعلوه من حمل المسلمين على النصرانية بعد حصار ملطية سنة(٣٢٢هـ)من قبل الروم ، أذ ضربوا خيمتين على احداهما الصليب و كان على المسلمين الراغبين في أن تسلم لهم أموالهم وأهليهم أن

ينحازوا الى الخيمة التي نصب عليها الصليب ومن أراد الاسلام انحاز الى الخيمة الأخرى ، وبذلك اجبر أكثر المسلمين ان ينحازوا الي الخيمة التي عليها الصليب من اجل الظفر بأهليهم وأموالهم(٢٨) ، هذا ان دل على شيء أنه في السلم يتمتع الرعايا من كلى الدولتين بالرفاه والعلاقة الايجابية وفي حال الحرب فيقع عليهم الجور والظلم .

الخاتمة:

ان دراسة موضوع علاقة نصارى العراق بنصارى بيزنطة من المواضيع التي يصعب الوصول بها الى نتائج قريبة للواقع وذلك لوجود روايات قليلة وغامضة لا يمكن أن تتخذ اساساً للخروج بحكم عام على طائفة كبيرة ومهمة في العراق ، اذ أن العلاقات كانت تتبدل بين الحين والآخر بسبب تبدل سياسة الخلفاء العباسيين نحو النصارى وتقلب الرابطة الدينية بين نصارى العراق وأبناء ديانتهم من نصارى بيزنطة ، فقد تضعف أحياناً أو تغيب ومن ثم تعود الى الواجهة بقوة في أثناء وقوع الحروب بين المسلمين والروم البيزنطيين ، ويدفع نصارى الشرق الثمن فتهدم كنائسهم وتؤخذ أموالهم ، وهذا في طبيعة الحال نتج عنه اضمار الحقد تجاه المسلمين والعمل على التعاون في السر والعلن مع نصارى بيزنطة، وشعور نصارى الشرق بأنهم اقرب الى نصارى الغرب من المسلمين ، ومع ذلك الشواهد كثيرة ان النصارى قدموا خدمات جليلة للدولة الاسلامية في مختلف المجالات وكانوا جزءاً فاعلاً في المجتمع العباسي كان كدليلً على اخلاصهم وطاعتهم للدولة العباسية .

الهوامش

(١) المسيح: كلمة آرامية تعني الممسوح بزيت الكهنوت والملك وقيل سمي المسيح لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بأذن الله . ابن منظور،لسان العرب ،ج٢/ص٥٩٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١٧١ .

(٣) الانجيل : كتاب الله منزل على عيسى عليه السلام وهي كلمة يونانية معناها البشارة . ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج١/ص ٤ . ٥

(٤) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١/ص٢١١ .

(٥) البهوتي ، كشاف القناع عن متن الاقناع ، ج٣/ص١١٨.

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٥٢ .

(٧) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعه ، ص٩٥ .

(٨) أبو يوسف ، الخراج ، ص٧٠ .

(٩) الجاحظ ، رسالة الرد على النصارى ، ص١١٦.

(١٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣/ص١٢٠.

(١١) الجاثليق : كلمة مقتبسه عن اليونانية وتعني الأعلى مقاماً وهو رئيس من رؤساء النصارى وهو عندهم صاحب الصلاة . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥/ص٤٤٤.

(١٢) الأساقفة : أسقف يعني ناظر الكنيسة عند النصارى أو من كان فوق الكاهن. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥/ص٤٤٤.

(١٣) جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ص٨١ .

(١٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢/ص٢٦٤-٤٢٧٧ جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ص٩٠ .

[١٥] جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ص٩٠ .

[١٦] بطرس نصري ، ذخيرة الاذهان ،ص ١٨ . ٢١ .

[١٧] جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ص ٥١ . ٥٩.

[١٨] دار الروم هي محلة النصارى في بغداد والتي استمرت بالبقاء الى عام ١٣٠٠م وكان موقعها على الجزء الاسفل من نهر المهدي او نهر الفضل اي شرقي الصليخ اليوم . والاصل في هذا الاسم ان اسرى من الروم قدم بهم الى الخليفة المهدي واسكنوا دار هذا الموضع فسميت بهم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٢/ص٣٢٤ .

[١٩] رفائيل بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا ، مطبعة المنصور بغداد ١٩٤٨م ، ص٦٨ .

[٢٠] الطبري ، تاريخ الامم والملوك،ج١٠/ص ٢٠٣، ١٧٠ .

[٢١] احمد امين ، فجر السلام ، ١٦١. ١٣٢ .

[٢٢] بطرس نصري ، ذخيرة الاذهان ،ص٣٤٣ .٣٤٤ ; رفائيل بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٦٨.

[٢٣] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١/ص٢٥٧ ; ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص٣٣ .

[٢٤] جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ص١٥٠.

[٢٥] المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢/ص٩٦.

[٢٦] جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ص١٥١.

[٢٧] المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ج١/ص ١٣٢.١٣٣.

[٢٨] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧/ص٣١ .

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ ،تحقيق عمر عبد السلام،ط١،دار الكتاب العربي ،(بيروت ١٩٩٧م)
- البهوتي ،منصور بن يونس ، كشاف القناع عن متن الاقناع، ط١، وزارة العدل (السعودية –٢٠٠٠م)
- الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ،رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد، مكتبة الخانجي المصرية، (القاهرة – ١٩٦٤م)
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي (القاهرة . ١٤٣١ هـ) .
- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل ، مؤسسة الحلبي، (١٤٣١هـ).
- الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ط٢،دار التراث (بيروت . ١٣٨٧هـ) .
- ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ،(١٤٣١ هـ)
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية، (بيروت١٤٣١هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية،ط١، دار هجر للطباعة ،(بغداد.١٩٩٧م).
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، ط١، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الحكمة (بيروت . ١٩٨٧م) .
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب ، دار صادر، (بيروت–١٤١٤هـ)،
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ، معجم البلدان، دار صادر (بيروت . ١٩٨٥م) .
- ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، الخراج ، دار المعرفة،(بيروت . ٢٠١٠م)
- احمد أمين ، فجر الاسلام ، ط١٠، دار الكتاب العربي ، (بيروت . ١٩٦٩م)
- بطرس نصري، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، دير الأباء ، (الموصل . ١٩١٣) .
- جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، دار المشرق ، (بيروت . لبنان) .
- رفائيل بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، مطبعة المنصور، (بغداد . ١٩٤٨م) .

ظاهرة عزل الولاة والقضاة وأصحاب الشرط في العصر العباسي (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٤٩-٨٤٦م)

The phenomenon of isolating governors, judges and owners The condition in the Abbasid era (132-232 AH/749-846 AD)

م.م. يوسف خضير كسار
جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الإنسانية

م.م. محمد جابر عبد
جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الإنسانية

Abstract .

The study of the phenomenon of isolation in a certain period of time and under a specific system of government comes within the important studies in history in general and Islamic history in particular, because it reveals matters that occurred in some of the joints of the state apparatus, and shows its causes and circumstances and the internal and external challenges that faced the rulers during their rule, and in turn Methods of treatment for these cases appear, and how they were dealt with to deter transgressors of the rights of society and the state.

Hence, and in response to the voices calling for the fight against job corruption in its various forms, which was and still is a scourge threatening the destinies of peoples and transgressing their rights, the idea of choosing the topic emerged as a research project under the title (The phenomenon of removing governors, judges, and policemen in the Abbasid era (132-232 AH / 749-846 AD.(

الملخص:

إنّ دراسة ظاهرة العزل في حقبة زمنية معينة وفي ظلّ نظام حكم محدد يأتي ضمن الدراسات المهمة في التاريخ بصورة عامة والتاريخ الإسلامي بصورة خاصة، لكونها تكشف عن أمور حدثت في بعض مفاصل أجهزة الدولة، وتبّين أسبابها وظروفها والتحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الحكام إبّان حكمهم، وبالمقابل تظهر سُبل المعالجة لهذه الحالات، وكيف تعاملت معها على لردع المتجاوزين على حقوق المجتمع والدولة.

ومن هنا واستجابة للأصوات المطالبة بمكافحة الفساد الوظيفي بصوره المختلفة الذي كان ومازال آفة تهدد مصائر الشعوب والتجاوز على حقوقها انبثقت فكرة اختيار الموضوع ليكون مشروع بحث تحت عنوان (**ظاهرة عزل الولاة والقضاة وأصحاب الشرط في العصر العباسي (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م)**.

كلمات مفتاحية: (الشرط، الولاة، الحكام، عزل، العصر العباسي)

أولاً- ظاهرة عزل الأمراء والولاة:

أطلق على من يشغل إدارة ولايات الدولة العباسية تسميات عديدة منها: الأمير ويعني "**ذو الأمر، وقد أمر بأمر أمره أي صار أميراً. وأمر أيضا بأمر إمارة وأمرهُ تأميراً جعله أميراً وتأمر عليه تسلط**"[١]، والوالي، وهو اسم فاعل ومنه والي البلد والولاية لأنّه يلي القوم بالتدبير والأمر والنهي[٢]، وحدد الماوردي الإمارة على البلدان بنوعين، إمارة خاصة وإمارة عامة، فأمّا الخاصة يكون الأمير فيها مقتصر على تدبير

الجيش وسياسة الرعية وضبط النظام والذب عن الحريم، وليس له ان يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات[٣]، وأمّا العامة فهي بنوعين، إمارة استكفاء باختيار الخليفة أحد ثقاته ويفوضه إمارة بلد أو اقليم على جميع أهله ويمارس وظائفه دون الرجوع إلى الخليفة، وإمارة استيلاء وهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوّض إليه تدبيرها وسياستها[٤].

وكان الأمراء والولاة عرضة للعزل أسوة بغيرهم من موظفي الدولة العباسية، ومن جملة من عُزل منهم في مدة بحثنا، الأمير يحيى بن محمد (ت١٣٥هـ/٧٥٢م)[٥] عزله السفاح عن إمارة الموصل، وكان قد ولاه هذه الوظيفة سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م)[٦].

وكان يحيى شخصية غير حكيمة، فأصبحت الموصل أثناء مدّة ولايته غير مستقرة في جوانب الحياة المختلفة[٧]، وهو ما أكده صاحب أخبار الدولة العباسية عن طريق عرضه رواية مفادها أنّ يحيى قال لإبراهيم الامام: "**والله لئن لم تعنّي على مؤونتي وتقضي ديني لأرفعنّ عليك، فقيل: إنّه أمر له بخمسة آلاف درهم، وقال للشيعة: احذروه فإنّ فيه ضعفا شديداً**"[٨].

وزاد على ذلك أنّ أهل الموصل شهدوا ظلماً منه وتعسرت أحوالهم المعيشية بسبب سوء ادارته وقلة خبرته[٩]، حتى غادرها جمع كثير من أهلها بسبب ذلك[١٠]، فقرر على أثر ذلك السفاح عزله، وإسناد وظيفته إلى عمّه إسماعيل بن علي (ت١٦٤هـ/٧٨٠م)[١١]، الذي ما أن كُلّف حتى خطب بأهل الموصل بأمر من السفاح بهدف امتصاص غضبهم[١٢] بقوله: "**لولا إنّا أهل بيت مغفور لنا لحقت على يحيى بن محمد النار لما صنع بكم، ولكني سأرد المظالم عليكم وأحسن السيرة فيكم**"[١٣]، وفي مناسبة أخرى قال لهم: "**يا أهل الموصل انا أرد عليكم المظالم واعطيكم ديات من قتل يحيى منكم**"[١٤].

ونلحظ من نص الخطاب أنّ إسماعيل أضاف قدسية على العباسيين بجعلهم من أهل الجنة مهما ارتكبوا من ذنب، وفي هذا مخالفة لقيم الإسلام والإنسانية.

ومن الولاة الذين تم عزلهم سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس (ت١٤٢هـ/٧٥٩م)، وكان كريماً جواداً، يعتق في كل موسم عشية عرفة مائة نسمة[١٥]، ومن المقربين من السفاح والمنصور[١٦]، ولاه عمّه السفاح على إمرة البصرة والأهواز والبحرين في سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م)، ثم تولى إمرة الحج بالنيابة عن الخليفة السفاح في سنة (١٣٥هـ/٧٥٢م)[١٧].

وأقره المنصور بعد تسنمه الخلافة على عمله، لكن في سنة (١٣٩هـ/٧٥٦م) أمر بعزله عن ولاية البصرة عندما علم أنّه أخفى استتار أخيه عبد الله عنده[١٨]، وزاد من نقمة المنصور عليه استغلال منصبه سياسياً[١٩]، فأسند ولاية البصرة إلى سفيان بن معاوية (ت بعد ١٤٥هـ/٧٦٢م)[٢٠]، وأمره بالتوجه اليها بجيش كبير، فدخل البصرة واستلمها منه في سنة (١٣٩هـ/٧٥٦م)[٢١]، وظل هو في البصرة إلى حين وفاته بها[٢٢]، وعزل المنصور أيضاً محمد بن سليمان (ت١٧٣هـ/٧٨٩م)[٢٣] سنة (١٥٥هـ/٧٧١م)[٢٤]، وكان أميراً على الكوفة، إذ بدر منه قصوراً في الإدارة، وهو ما صرح به الطبري من دون أن يفصل به، بقوله: "**إنّما عزل المنصور محمد بن سليمان عن الكوفة لأمور قبيحة بلغت عنه**"[٢٥].

وزاد على ذلك قتله لابن أبي العوجاء (ت١٥٥هـ/٧٧١م)[٢٦] من دون أن يأخذ إذنه، فغضب المنصور عليه وقال: "**أيقتل رجل من العرب بغير علمي**"[٢٧]، ولاسيما أنّه حذره مسبقاً من القيام بذلك،

تمثل ذلك بوصيته له: "**إيّاك أن تحدث في أمر ابن أبي العوجاء شيئا، فإنّك إن فعلت فعلت بك وفعلت**"[٢٨]، فأمر بعزله وقرر قتله لولا تدخل عيسى بن علي (ت١٦٤هـ/٧٨٠م)[٢٩]، الذي قال للمنصور: إنّما قتله على الزندقة، إن أصاب فهو لك وان أخطأ فعليه، وهنا برر لمحمد قتله مسلماً من دون محاكمة، وقد اقتنع بذلك المنصور وعدل عن قتله واكتفى بعزله فقط[٣٠].

ومن جملة من تم عزلهم من الولاة محمد بن أبي العباس السفاح (ت١٤٩هـ/٧٦٦م)[٣١]، وكان كثير الغرور بنفسه[٣٢]، ولاه المنصور البصرة سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م)[٣٣]، فقدمها ومعه مجموعة من الشعراء والمغنين، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وكانت لهم مجالس شرب الخمر، فكان ذلك سبب عزله، وهو ما صرح به عمر بن شبه (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) بقوله: "**شرب الشراب وعاث، فبلغ ذلك أبا جعفر، فعزله**"[٣٤].

وعزل المنصور كذلك أخاه العباس بن محمد بن علي (ت١٨٦هـ/ ٨٠٢م)[٣٥]، وكان قد كلفه بولاية الجزيرة والثغور والعواصم في سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م)[٣٦]، وأمر بعزله وحبسه ومصادرة أمواله سنة (١٥٥هـ/٧٧١م)، على أثر تظلم أهل الجزيرة منه لسوء أخلاقه[٣٧]، فضلاً عن شكاية يزيد بن أسيد (ت بعد ١٦٢هـ/٨٧٧م)[٣٨] منه، إذ قال للمنصور: "**إنّ أخاك أساء عزلي وشتم عرضي، فقال له المنصور: أجمع بين إحساني إليك وإساءة أخي يعتدلان، فقال يزيد بن أسيد: يا أمير المؤمنين؛ إذا كان إحسانكم جزاء بإساءتكم، كانت طاعتنا تفضلاً منّا عليكم**"[٣٩].

ويظهر من النص أنّ هذا العزل صدر لإرضاء يزيد؛ لأنّ العباس عسف به عند عزله وشتم عرضه، وهذا منافياً للأخلاق، أضافة لتظلم أهل الجزيرة منه لسوء أخلاقه.

وعزل الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥- ٧٨٥ م) في سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م) عبد الصمد بن علي (ت١٨٥هـ/٨٠١م)[٤٠] عن ولاية الجزيرة[٤١]، بعد مضي أربع سنوات من إسناد هذه الوظيفة له[٤٢]، بسبب ضعفه الإداري في أيامه الأخيرة، وزاد على ذلك عدم استقباله له عند قدومه إلى الجزيرة مرافقاً لابنه هارون سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م)، فجرى على أثر ذلك كلام بينهما أغلظ فيه المهدي فرده هو بغلظة كذلك[٤٣]، فتم عزله جراء ذلك وحبسه وصادر أمواله[٤٤].

ثانياً – ظاهرة العزل لمشاهير القضاة:

القضاء لغة معناه القطع بالأمور المحكم لها، واستقضي فلان أي جُعل قاضياً يحكم بين الناس[٤٥]، قال الرازي: أنّ القضاء هو الحكمُ[٤٦]، فالقضاء هو الحكم والالزام بمعنى الأداء، كقوله تعالى: **(فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ)**[٤٧]، بمعنى أديتم مناسككم اذ قضيتم أفعال الحج[٤٨].

أمّا اصطلاحاً فهو الفصل في المنازعات والتشاجر والخصومات واستيفاء الحقوق ممّن مطل بها[٤٩]، وعرّفه ابن خلدون بأنّه: "**الْفصل بَيْنَ النَّاس في الْخُصُومَاتِ حَسْماً لِلتَّدَاعِي وقطْعاً للتَّنَازُع**"[٥٠].

وفي العصر العباسي(١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م) اتسعت سلطة القاضي بسبب ظهور المذاهب الاسلامية، فأصبح القاضي يحكم حسب المذهب الذي ينتمي اليه، واصبح في كل ولاية قضاة يمثلون مذاهبهم، ينظر كل منهم في النزاع الذي يحدث بين من يدينون بمذهبه[٥١]، وخرج تعيين القاضي من سلطان الوالي وصار يُعَيَّنه الخليفة مباشرة أو يُقِرُّ تعيينه[٥٢].

وشملت ظاهرة العزل خلال مدة البحث عدداً من القضاة، من جملتهم عبيد الله بن الحسن بن الحُصين العنبري التميمي (ت١٦٨هـ/٧٨٤م)، وكان له قدر وشرف وفقه كبير ومأثور[٥٣]، كلّفه المنصور بقضاء البصرة في سنة (١٥٦هـ/٧٧٢م)[٥٤]، وقال له: "**أنّي قد قلدتك طوقاً ممّا قلدني الله طوقاً، فأعلقت في عنقك طرفه، وأبقيت في عنقي طرفه**"[٥٥]. ونلحظ من قول المنصور أنّه لم يحد من سلطته، ولم يفرض عليه الحكم وفق مذهب معيّن.

وأقره المهدي بعد موت المنصور ثم عزله في سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م)[٥٦]، لتحايله على كتاب الخليفة الخاص بأقطاع أرض اقتطعها أبي العباس السفاح الى أقاربه، في محاولة منه إرجاعها إلى أهلها، فغضب عليه وأرسل إليه كتاباً شديد اللهجة جاء فيه: "**والله الذي لا إله إلّا هو لتجلسنّ في مجلس الحكم، ولتجمعنّ عليك الناس ثم لتخبرني، أنّك خالفت الحق، وحكمت بغيره... ولتردنّ قضاءك، أو لأرسلن من يأتيني برأسك، فأنت نسبت أبي وعمي إلى الظلم والعدوان، وزعمت أنّهما أقطعا ما لا يحل إقطاعه لهما**"[٥٧].

فرضخ للأمر وأشهد الجميع بأنّه قبل كتاب الخليفة وفسخ حكمه وعُزل، وعجل في ذلك أنّ والي البصرة محمد بن سليمان بن علي (ت١٧٣هـ/٧٨٩م) قد شكاه عند المهدي لعدم استقباله له وبقاءه واقفاً ببابه[٥٨]، وعزل أيضاً القاضي معاذ بن معاذ ويكنى أبا المثنى (ت١٩٦هـ/٨١١م)، وكان من التقاة وعقلاء أهل البصرة وفقهائها[٥٩]، ولي قضاء البصرة في سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)، وكان صلباً على البصريين، ومن ذلك أنّه حبس شخصاً فأخرجه الوالي من الحبس، فقعد هو في بيته فثقل على محمد بن سلمان والي البصرة فأمر بعزله[٦٠]، ثم كُلّف مرة ثانية بقضاء البصرة في سنة (١٨١هـ/٧٩٧م) من قبل الرشيد[٦١]، واستمر نحو عشر سنوات، عُزل بعدها في سنة (١٩١هـ/٨٠٢م) بسبب غضب أهل البصرة عليه وكرههم لإجراءاته الصارمة في الأحكام، دلّ على ذلك نحرهم الجزور وتصدقهم بلحمها في يوم عزله[٦٢]، ومن القضاة الذين تم عزلهم كذلك يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي (٢٤٢هـ/٨٥٦م)، وكان من أئمة الاجتهاد، واسع العلم بصيراً بالأحكام، قلده المأمون قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعته[٦٣]، ثم ولاه قضاء البصرة في سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م) واستمر فيه حتى سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)[٦٤]، وعزل عنه بسبب تهم تعلقت بسوء أخلاقه[٦٥]، لكنّه تواصل من جديد مع المأمون ونادمه فقلده القضاء الأكبر وتدبير مملكته، فكانت الوزارة لا تعمل إلّا بعد مطالعته[٦٦]، وفي سنة (٢١٧هـ/٨٣٢م) رافق المأمون حينما ذهب الى مصر للوقوف على اضطرابات حصلت، فأجلسه للقضاء أياماً معدودات لعدم وجود قاضٍ[٦٧].

عُزل عن القضاة بوصية المأمون للمعتصم التي رواها الطبري ونصّها: "**ولا تتخذنّ بعدي وزيراً تلقى إليه شيئاً؛ فقد علمت ما نكبني به يحيى بن أكثم في معاملة الناس وخبْث سيرته حتى أبان الله ذلك منه في صحة منّي، فصرتُ إلى مفارقته! قالياً له غير راضٍ بما صنع في أموال الله وصدقاته، لا جزاه الله عن الاسلام خيراً**"[٦٨].

وعزل المأمون ايضاً القاضي محمد بن سماعة (ت٢٣٣هـ/٨٤٧م)[٦٩]، وكان يشغل وظيفة القضاء في بغداد، إذ بان عليه التقدم في السن وضعف بصره، فأمر بعزله عن وظيفته[٧٠] وأسندها إلى

إسماعيل بن حماد (ت٢١٢هـ/٨٢٧م)[٧١]، وعزل كذلك أبو صالح شعيب بن سهل بن كثير الرازي (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م)، كلفه المعتصم بقضاء الرصافة في سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م)، وجعل إليه الصلاة بالناس في مسجد الرصافة أيام الجُمع والأعياد[٧٢]، ولما استخلف الواثق أقره على وظيفته[٧٣].

وفي سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م) وثب عليه قوم وهو في مسجده لإزالة الكتابات التي كتبت على مسجده التي ذكر فيها أنّ القرآن مخلوق، فرماهم خادمه بالنشاب[٧٤]، فوثبوا وأحرقوا باب داره ونهبوا منزله وأرادوا قتله فهرب، وهو أول قاض حرقت بابه، وكان يقول قول الجهمية[٧٥]، مبغضاً لأهل السنة متحاملاً عليهم منتقصاً منهم، فأدى ذلك إلى عزله عن القضاء من قبل الواثق في سنة (٢٢٨هـ/٨٤٢م)[٧٦].

ويظهر ممّا تقدم أنّ القضاة وعلى الرغم من اكتسابهم صفة الاستقلالية في الرأي، وعدم تدخل الولاة في شأنهم لم يكونوا مستثنين من العزل الوظيفي.

ثالثاً – ظاهرة عزل أصحاب الشرط:

الشرطة لغة تعني نخبة السلطان من جنده[٧٧]، وقيل هم أول كتيبة تشهد الحرب، وتتهيأ للموت وهم أيضاً أعوان الولاة[٧٨]، وقيل سموا الشرط لأنّهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها[٧٩]، كأشراط الساعة كما في قوله تعالى: **(فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا)**[٨٠]، أي علاماتها[٨١]، واصطلاحاً الشرطة عرفها ابن خلدون بقوله: "**هي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها**"

يعدّ نظام الشرطة من أهم النظم الإدارية في الدولة العباسية، وظيفته المحافظة على النظام والأمن والسهر على حماية أرواح الناس وأعراضهم وممتلكاتهم وحماية المنشئات والمرافق العامة وقصور الخليفة وكبار رجال الدولة، وكان يشغل هذا المنصب المقربون الموثوق فيهم كل الثقة من الخليفة، وكان يختار صاحبه من كبار القادة العسكريين المعروفين[٨٢].

ووصف ابن خلدون الشرطة في العصر العباسي بقوله: "**كان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدادها أولاً ثم الحدود بعد استيفائها فإنّ التُّهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع إلّا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها بإقرار يكرهه عليه الحاكم إذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد وباستيفاء الحدود بعده إذا تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة**"[٨٣]، بمعنى أنّ عمل صاحب الشرطة في العصر العباسي تمثل ردع المجرمين بعد انتزاع أقوالهم ومن ثم إرسالهم الى القاضي ليقوم عليهم الحدّ عند جمع المعلومات التي تثبت إدانتهم، ولعل أول عزل حدث في الدولة العباسية لصاحب الشرط هو غيلان الخزاعي (ت بعد ١٣٣هـ/٧٥٠م)[٨٤]، الذي أسند إليه السفاح إمرة شرطة المنصور في مدينة واسط سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) فمكث أياماً، طلب بعدها من المنصور أن يعزله، قائلاً له: "**إنّي لا أقوى على الشرط؛ لكنّي أدلك على من هو أجلد منّي**"، قال المنصور: "**من هو؟**" قال: جهور بن مرار (ت١٣٨هـ/٧٥٥م)، قال: "**لا أقدر على عزلك، لأنّ أمير المؤمنين استعملك**"، ودل هذا على أنّ من استعمله الخليفة لا يستطيع عزله إلاّ الخليفة نفسه، فطلب غيلان من المنصور أن يكتب إلى السفاح، فكتب إليه المنصور فأجابه السفاح: "**أن اعمل برأي غيلان** "، فولى شُرطه جهورا[٨٥]، وواضح من النص أنّ غيلان بان عليه الضعف في جسده، بصورة جعلته غير قادر على إدارة المهام الوظيفية المسندة إليه،

وهو ما عبّر عنه بقوله: "**إنّي لا أقوى على الشرط**"، على أنّه كان مقرباً من البيت العباسي وصاحب مكانة عندهم، وله رأي في أحوال دولتهم، اذ هو من طلب من السفاح أن يرسل المنصور لقيادة الجيش لحصار واسط[٨٦]، إنّ إرسال الخليفة لأخية وإسناد قيادة القوات له كان خطة سياسية وعسكرية ناجحة؛ كون الموقف يتطلب قيادة قوية من البيت العباسي نفسه لترتفع المعنويات وتتوحد الصفوف[٨٧]، وممن عزل ايضاً عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي (ت١٤١هـ/٧٥٨م)[٨٨]، وكان أحد الدعاة العباسيين السبعين[٨٩]، جعله السفاح على شرطه في سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) وعندما صار المنصور خليفة أقره على وظيفته[٩٠]، وكان يمتلك من الخبرة والحنكة الشيء الكثير، وفي سنة (١٣٩هـ/٧٥٦م) عزله المنصور عن الشرطة ليوليه خراسان[٩١]، بهدف إعادة أمور خراسان إلى نصابها بعد أن اضطربت، فاختار صاحب شرطته ليكون خلفاً للوالي السابق، وشرح له السياسة التي يسير عليها، وتمثل ذلك بقوله: **قد وليتك خراسان فأطع الله، ولا تطعني في معصية الله، ولنْ للمُحسن وكن خشناً على المسيء**"[٩٢]، فتوجه الى خرسان وأعاد الأمور إلى نصابها[٩٣].

وعُزل كذلك عمر بن عبد الرحمن الأزدي (ت بعد ١٤١هـ/٧٥٨م) صاحب شرط المنصور الذي تولى الشرطة سنة (١٣٩هـ/٧٥٦م) بعد رحيل أخيه عبد الجبار إلى خراسان[٩٤]، وعزل عنها سنة (١٤١هـ/٧٥٨م)، وكانت توليته لقيادة الشرطة مرتبطة بأخيه لأنّه عصى وخلع، إذ عزل عنها بسببه، وقد وضح اليعقوبي أسباب عزله وظروفها بقوله: "**عزله لمّا عصى أخوه، وفتك به**"[٩٥].

ومن أصحاب الشرط الذين أمر بعزلهم، المسيب بن زهير الظبي (ت١٧٥هـ/٧٩١م)، وكان من رجالات الدولة العباسية، رئيساً لشرطة المنصور ووَلِيَ شرطة بغداد في أيام المهدي والهادي والرشيد[٩٦]، تولى خُراسان في أيام المهدي سنة (١٦٣-١٦٦هـ/٧٧٩-٧٨٢م)[٩٧]، فأمر بعزله وإلقائه في السجن بسبب قتله أبان بن بشير الكاتب (ت١٥٨هـ/٧٧٤م)[٩٨] بالسياط من دون أن يأخذ أمراً منه حيثُ ضربه حتى الموت، لأنّه كان شريك أخيه في حكم ولاية الكوفة وخراجها، لكن خلصه المهدي حين توسط أبوه في المسيب فرضى عنه وأطلق سراحه وأعاده إلى عمله[٩٩].

وكان الولاء والطاعة من صفاته للخليفة عندما حاجج المنصور في طاعته، وهذا ما ذكره المسعودي في قوله: "**قال يوماً لجلسائه: تالله ما رأيت رجلاً انصح من الحجاج لبني مروان. فقام المسيب بن زهير الظبي فقال: يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ من نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أمرتنا بقتل اولاده فأطعناك، وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا؟**"[١٠٠]، وهذا التصريح خطير منه لقيامه بقتل أولاد الأنبياء بالباطل وكيف لا وكان أبو جعفر: "**إذا أراد بإنسان شرّاً أمر بتسليمه إلى المسيب**"[١٠١]، كما عُزل العباس بن المسيب بن زهير (ت بعد ٢٠٤هـ/٨١٩م)[١٠٢]، وكان يشغل منصب إمرة الشرطة في عهد المأمون، في نهاية سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م)، بسبب تقدمه بالسن وإصابته بعلة النقرس، ممّا أثر في تأديته لمهامه الوظيفية بالصورة المطلوبة، وهو ما أفصح عنه المأمون بقوله له: "**قد كبرت وثقلت عن حمل الحربة**"[١٠٣].

وعزل الخليفة المأمون قائد شرطة بغداد طاهر بن الحسين بن مصعب (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) في سنة (٢٠٥هـ/٨٢٠م) بعد مضي أقل من سنة على تكليفه[١٠٤]، وكان من الدهاة الشجعان، وله بلاء

حسن وخبره في الحروب وتدبير الحكم وشؤون السياسة، ومع ذلك كان شغوفاً بالعلم والأدب، وجهه المأمون إلى بغداد لمحاربة أخيه الأمين فظفر به وقتله، وهو الذي وطّد الملك للمأمون بعد قتل أخيه(١٠٥).

وعلى ما يبدو أنّ سبب عزلة كان رغبة منه للابتعاد عن المأمون لشيء رابه منه، فعند دخوله عليه اغرورقت عيناه، فقال له طاهر: "**ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فلم يخبره**"(١٠٦)، وأراد أن يعلم سبب بكائه فأعطى الخادم أموالاً حتى استعلم له ممّا بكى فأخبر المأمون الخادم: "**إني ذكرت محمداً أخي وما ناله من الذلّة فخنقتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة ولن يفوت طاهراً منّي ما يكره**"(١٠٧)، ولمّا علم طاهر سبب بكاء المأمون سعى بنفسه على أن يعزل من الشرطة وبأنصار الخليفة حتى تحقق له ذلك.

الاستنتاجات:

١. أنّ جميع الولاة مهما بلغت منزلتهم وصلة قرابتهم وأهمية عملهم كانوا عرضة للعزل، وكانت هذه سياسة كل الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول .
٢. وهناك من تم عزله بسبب ضعفه الإداري في أدارة البلاد مثل ما حصل مع عبد الصمد بن علي (ت١٨٥هـ/٨٠١م) عزله المهدي عن ولاية الجزيرة.
٣. ومن القضاة الذين تم عزلهم بسبب غضب أهل المصر عليه وكرههم لإجراءاته الصارمة في الأحكام كما حصل مع قاضي أهل البصرة معاذ بن معاذ ويكنى أبا المثنى (ت١٩٦هـ/٨١١م).
٤. بعض أصحاب الشرط كانت لهم الرغبة في عزلهم عن مناصبهم بحجج منها انه لا يقوى على أدارة هذا المنصب ويحتاج إلى من هو أجلد منه وهذا ما حصل مع غيلان الخزاعي صاحب شرطة المنصور ومنهم من أراد الابتعاد عن الخليفة خوفاً منه مثل طاهر بن الحسين صاحب شرطة المأمون.
٥. وهناك منهم من عزل بسبب تقدمه بالسن وضعف جسده كما عُزل العباس بن المسيب بن زهير (ت بعد ٢٠٤هـ/٨١٩م)، وكان يشغل منصب إمرة الشرطة في عهد المأمون.

الهوامش

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص٢٠.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ج٢/ ص٣٥٥؛ البستاني، المحيط، ص٩٨٦.

(٣) الأحكام السلطانية، ص٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٤- ص٤٥.

(٥) هو يحيى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس، خرج مع إخوته وأعمامه من الشّراة لطلب الخلافة، ولاه السفّاح الموصل، ففعل فيها ما فعل، فعزله، ثم ولاه فارس فمات بها، وامه ام الحكم بنت عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢/ ص٣٧؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج٤/ ص٣٧٧.

(٦) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٤/ ص١٧٨؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٢٩٢؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص١٤٥؛ زامباور، معجم الأنساب، ص٥٦ .

(٧) فوزي، لمحات من تاريخ الموصل، ص٥٦ .

(٨) مجهول، ص٢٤١.

(٩) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٤١١؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص١٥٦ .

(١٠) الترمانيني، أحداث التاريخ الاسلامي، ص٨٦٠- ص٨٦١ .

(١١) هو اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس، كنيته أبو الحسن، ولاه المنصور فارس والبصرة وكسكر، ولما توفي ابو العباس تزوج من امرأته أم سلمة بنت يعقوب، فغضب عليه المنصور فطلقها. ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف، ج٤/ ص١٣٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩/ ص١٥٦.

(١٢) الطبري، تاريخ، ج٧/ ص٤٦٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧/ ص٣٢٢ .

(١٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص١٥٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص١٥٦.

(١٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/ ص١٦٢

(١٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص١٢٣؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج١٠/ ص١٨٣.

(١٧) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٢٩٨؛ الطبري، تاريخ، ج٧/ ص٤٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧/ ص٣٢٦.

(١٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٣٠٥؛ الطبري، تاريخ، ج٧/ ص٥٠٠؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٣/ ص٢٢٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨/ ص٢٢؛ العاني، سياسة المنصور، ص١٤٦– ص١٤٧.

(١٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص١٥٢.

(٢٠) اسمه سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، تولى امارة البصرة في زمن السفاح، ثم تم عزله بعد سنة، وحل بدلا عنه سليمان بن علي. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص٢٣٠.

(٢١) المصدر نفسه، ج٤/ ص١٥٢.

(٢٢) الترمانيني، احداث التاريخ الاسلامي، ص٨٩١.

(٢٣) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، كان عظيم اهله وجليل رهطه، ولي امارة البصرة في عهد المهدي، ولما بويع الرشيد بالخلافة قدم عليه فاكرمه واعظمه، وزاده فيما كان يتولاه من اعمال البصرة كورة دجلة والاعمال المفردة والحرين وعمان واليمامة وكور الاهواز وكور فارس، ولم يجمع هذا لاحد غيره، توفي عن عمر ٥١ سنة وخمسة أشهر بعد ان أمر الرشيد بقبض امواله واخذ منزله. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣/ ص٢١٥– ص٢١٦؛ ال خليفة، امراء الكوفة، ص٥٠٣ .

(٢٤) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٤٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥/ ص٢٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٣/ ص٢٥٤؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٥٢ .

(٢٥) تاريخ، ج٨/ ص٤٨– ص٤٩ .

(٢٦) هو عبد الكريم بن أبي العوجاء، صلبه محمد بن سليمان على الزندقة، وهو من بني عمرو بن ثعلبة بن عامر بن ذُهل بن ثعلبة. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٣١٦.

(٢٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص١٣٠ .

(٢٨) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٤٨ .

(٢٩) هو عيسى بن علي ابن عبدالله بن العباس الهاشمي، عم المنصور وكان أميراً من علماء العباسيين ينسب اليه نهر عيسى وقصر عيسى وقطيعة عيسى في بغداد، وقيل ان ولادته كانت سنة ثلاث وثمانين، توفي وسنّه ثمانين سنة. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ ص٤٦٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧/ ص٤٠٩؛ الزركلي، الاعلام، ج٥/ ص١٠٥

(٣٠) البلاذري، انساب الاشراف، ج٤/ ص١٣٠ .

(٣١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، امه أم سلمة بنت يعقوب المخزومي، ولد في دمشق، وخرج مع أبيه السفاح الى الكوفة، وولاه عمه المنصور البصرة، وكان كثير الطيب يملأ لحيته بالغالية إذا ركب فلقبوه أبا الدبس؛ لأنه قدم البصرة كان في يوم صيف فصعد المنبر وخطب ولحيته تقطر على قبابه كأنه دوشاب. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣/ ص٣١٤ .

(٣٢) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٤٢٣ .

(٣٣) المصدر نفسه، ص٤٢٣ وص٤٣٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٢/ ص١٧٩ .

(٣٤) أخبار البصرة، ص٤١٢– ص٤١٣ .

(٣٥) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الامير ابو الفضل الهاشمي العباسي، اخو السفاح والمنصور لأبيهما، ولد في سنة (١١٨هـ/٧٣٦م) وولى دمشق الشام والجزيرة، وحج بالناس غير مرة، توفي عن عمر ٦٥ سنة وستة أشهر في بغداد، وصلى عليه الأمين، ودفن في العباسية. البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤/ ص٥؛ الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص١٦٤ .

(٣٦) الطبري، تاريخ ، ج٧/ ص٥١٤ ؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص١٧٧.

(٣٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢/ ص٣١ .

(٣٨) هو يزيد بن أسيد بن زافر أبي أسماء بن أبي السيد بن منقذ بن مالك بن عوف بن امرى القيس السلمي، من قادة بني العباس، وله صولات عسكرية منها غزوة بناحية بحر الخزر سنة (١٥٥هـ/٧٧١م)، ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٢٦٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦/ ص٣٢٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٧/ ص٣٢١- ص٣٢٢ .

(٣٩) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٤٧ .

(٤٠) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، مات ببغداد وهو ابن تسع وسبعين سنة وصلى عليه هارون الرشيد ودفن في مقابر باب البردان، وكان اعمى، خرج مع أخيه عبد الله بن علي حين خالف على المنصور وجعله ولي عهده. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ ص٣٠٠ وما بعدها ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣/ ص١٩٥.

(٤١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٣٤ .

(٤٢) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص١٤٠؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص٢٤٠ .

(٤٣) ابن خلدون، العبر، ج٣/ ص٢٦٤ .

(٤٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨/ ص٢٦٤.

(٤٥) بن منظور، لسان العرب، ج١١/ ص٢٠٩.

(٤٦) مختار الصحاح، ص٢٦٧.

(٤٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٠

(٤٨) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢/ ص٤١- ص٤٢.

(٤٩) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٤.

(٥٠) المقدمة، ص٢٧٥.

(٥١) حسن، تاريخ الاسلام، ج٢/ص٢٩٣،

(٥٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٣٣٠؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج١/ ص٣٩٧.

(٥٣) عمر ابن شبه، أخبار البصرة، ص٤١٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٩/ ص٢٨٦.

(٥٤) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٤٣٤؛ وكيع، أخبار القضاة، ص٢٩٢.

(٥٥) وكيع، المصدر نفسه، ص٢٩٢.

(٥٦) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص١٥٤.

(٥٧) وكيع، أخبار القضاة، ص٢٩٤

(٥٨) المصدر نفسه، ص٢٩٤.

(٥٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٩/ ص٢٩٤.

(٦٠) وكيع، أخبار القضاة، ص٣٢٣- ص٣٢٤؛

(٦١) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٤٦٤؛ وكيع، أخبار القضاة، ص٣٢٨.

(٦٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٥/ ص١٦٧؛ سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ج١٢/ ص٤٣٧؛

(٦٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٦/ ص٢٨٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦/ ص١٤٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢/ ص٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٨، ص٧٠.

(٦٤) وكيع، أخبار القضاة، ص٣٤٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧/ ص٢١٧.

(٦٥) الثعالبي، الكناية والتحريض، ص٥٧.

(٦٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٥/ ص٢٩.

(٦٧) الكندي، الولاة والقضاة، ص٣١٦.

(٦٨) تاريخ، ج٨/ ص٦٤٩.

(٦٩) هو محمد بس سماعة بن عبيد الله بن هلال بن وكيع، كنيته أبو عبد الله التميمي، ولد سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م)، كان أحد اصحاب الرأي، ولي القضاء في بغداد، وهو من الحفاظ الثقات، توفي بعد تركه القضاء بمدة طويلة. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣/ ص٢٩٨ وما بعدها؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠/ ص٦٤٦.

(٧٠) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٥٩٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣/ ص٣٠٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٠/ ص٦٤٦.

(٧١) وكيع، اخبار القضاة، ص٦٦٩. وإسماعيل بن حمّاد هو: الفقيه أبو حيان بن الامام أبي حنيفة . روى عن مالك وولي قضاء الجانب الشرقي ببغداد، وولى قضاء البصرة. وكان موصوفا بالزهد والعبادة والعدل في الاحكام. الذهبي، العبر، ج١/ص٢٨٤.

(٧٢) وكيع، أخبار القضاة، ص٦٦٥؛ الدروبي، موسوعة تراجم قضاة بغداد، ص٧٣.

(٧٣) وكيع، المصدر نفسه، ٦٦٥.

(٧٤) النشاب، النبل واحدته نشّابة، والناشبة قوم يرمون بالنشاب، والنشاب، السِّهام. ابن منظور، لسان العرب، ج١٤/ ص١٣٧.

(٧٥) الجهمية، هم اصحاب جهم بن صفوان (ت١٢٨هـ/٧٤٥م) من رجال العصر الاموي، وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن احوز المازني في اخر حكم بني امية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليها، وزعم ان الجنة والنار تفنيان وتبيدان وزعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل به. البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٨٦؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١/ ص٩٧.

(٧٦) وكيع، اخبار القضاة، ص٦٦٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠/ ص٣٣٦؛ الدروبي، موسوعة تراجم قضاة بغداد، ص٧٣؛ الانباري، النظام القضائي في بغداد، ص١٨٤.

(٧٧) الفراهيدي، العين، ج٢/ ص٣٢٣.

(٧٨) ابن سيده، المخصص، السفر ٣/ص١٣٣؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ج١/ص٥٠٢.

(٧٩) الجوهري، الصحاح، ج٣/ص١١٣٦؛ الرازي، مختار الصحاح، ص١٦٩.

(٨٠) سورة محمد: الآية (٨)

(٨١) القلقشندي، صبح الاعشى،ج٥/ص٤٥٠؛الطبرسي، مجمع البيان،ج٩/ص١٣٠؛ الوابل، اشراط الساعة، ص٧٤.

(٨٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠/ ص٣٣٦.

(٨٣) المقدمة، ص٣١١.

(٨٤) اسمه غيلان بن عبد الله الخزاعي، وكنيته أبو فضالة، كان أحد قادة الدولة العباسية ودعاتها، أوفده الحسن بن قحطبة الى السفاح ايام حصار ابن هبيرة بواسط. الطبري، تاريخ، ج٧/ ص٤٥٢– ص٤٥٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٣/ ص٢٢٠.

(٨٥) الطبري، تاريخ، ج٧/ ص٤٥٣ .

(٨٦) الطبري، تاريخ، ج٧/ ص٤٥٣ .

(٨٧) العاني، سياسة المنصور، ص٧٨ .

(٨٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص٣٠٤.

(٨٩) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٢١.

(٩٠) ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص٣٠٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٣٣١.

(٩١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص٣٠٣؛ العاني، سياسة المنصور، ص٤٦٥؛ الدليجي، العفو عند المنصور، ص٣٨٠.

(٩٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص٣٠٣.

(٩٣) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٠٤.

(٩٤) ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤/ ص٣٠٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٣٣١؛ العاني، سياسة المنصور، ص٤٦٥.

(٩٥) تاريخ، ج٢/ ص٣٣١.

(٩٦) ابن قتيبة، المعارف، ص٤١٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٥/ ص١٧٤- ص١٧٥؛ الزركلي، الاعلام، ج٧/ ص٢٢٥.

(٩٧) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٤٣٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٥/ ص١٧٥.

(٩٨) لم اعثر على ترجمته في المصادر المتوفرة لدينا.

(٩٩) الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٥٦- ص٥٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥/ ص٢٥٨.

(١٠٠) مروج الذهب، ج٣/ ص٣٠٩.

(١٠١) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٣٤.

(١٠٢) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

(١٠٣) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص١٩.

(١٠٤) ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٥؛ ابن طيفور، كتاب بغداد، ص١٩؛ الأصيبعي، الشرطة في النظم الاسلامية، ص٣٧٥.

(١٠٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠/ ص٤٨٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ ص٥١٨.

(١٠٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠/ ص٢٦٠.

(١٠٧) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص٢٣؛ الطبري، تاريخ، ج٨/ ص٢٦٠.

قائمة مصادر البحث ومراجعه

اولاً: المصادر:

- ابن الأثير، عزّ الدين الجزري علي بن محمد بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):

١-الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ـ ١٩٨٧م).

- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م):

٢-تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، دار إحياء التراث الإسلامي(القاهرة ـ ١٩٦٧م).

- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧):

٣-الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة ابن سيناء، (القاهرة ـ د.ت).

- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):

٤-أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ـ رياض زركلي، ط١، دار الفكر (بيروت ـ١٩٩٦م).

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤/١٤٦٩م):

٥-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (لبنان ـ د. ت).

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

٦-الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء (د. م ـ ١٩٩٨م).

- الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م):

٧-الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، ط١، مطبعة مصطفى البابي وأولاده (القاهرة ـ ١٩٣٨م).

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٨-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر و مصطفى عبد القادر عطا ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ـ ١٩٩٢م).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م):

٩-تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، دار العلم للملايين (بيروت ـ ١٩٨٤م).

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م):

١٠-المحبر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة (بيروت ـ د.ت):

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م):

١١-جمهرة أنساب العرب، عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف(القاهرة ـ د.ت).

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م):

١٢-تاريخ مدينة السلام المعروف بتاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي (بيروت ـ٢٠٠١م).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

١٣-العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المشهور بتاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر (بيروت ـ٢٠٠٠م).

١٤-مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر (بيروت ـ ٢٠٠١م).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):

١٥-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر(بيروت ـ د. ت).

- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٥م):

١٦-تاريخ خليفة، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة، (الرياض ـ١٩٨٥م):

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م):

١٧-سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد، ط١، مؤسسة الرسالة (بيروت١٩٨١م).

١٨-العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية(بيروت ـ د.ت).

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(٧٢١هـ/١٣٢١م):

١٩-مختار الصحاح، تحقيق: عصام فاري الحرستاني، ط٩، دار عمار (عمان ـ٢٠٠٥م).

- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م):

٢٠-اساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ـ ١٩٩٨م).

- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن علي (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م):

٢١-مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: عمار ريحاوي و آخرون، ط١، دار الرسالة العالمية(دمشق ـ ٢٠١٣م).

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م):

٢٢-الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي(القاهرة ـ ٢٠٠١).

- ابن سيدة، أبو الحسن على بن سماعيل الأندلسي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م):

٢٣-المخصص في اللغة، تحقيق، ط١، بولاق (مصر ـ ١٣١٦).

- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر احمد(ت٥٤٨هـ/١١٥٤م):

٢٤-الملل والنحل تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط٣، دار المعروفة (بيروت ـ ١٩٩٣م).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

٢٥-الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتايز (بقيسباون ـ١٩٦٢م).

- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م):

٢٦-مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١،دار العلوم (د.م ـ ٢٠٠٥م).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م):

٢٧-تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف (د.م ـ د. ت):

- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت٢٨٠هـ/٨٩٣م):

٢٨-كتاب بغداد المستوعب لفترة خلافة المأمون، دار الجنان(بيروت ـ د.ت).

- عمر بن شبة النميري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م):

٢٩-أخبار البصرة، تحقيق: سلمى عبد الحميد حسين الهاشمي، ط١، مركز تراث البصرة(البصرة ـ ٢٠١٥م).

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ/٧٩٦م):

٣٠-كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية(بيروت ـ ٢٠٠٣م).

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/٨٨٩م):

٣١-المعارف، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف(القاهرة ـ د.ت).

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

٣٢-صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية (القاهرة ـ١٩٢٢م).

- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري(ت بعد٣٥٥هـ/٩٦٦م):

٣٣-كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل و احمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ـ٢٠٠٣م).

- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

٣٤-الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، دار التعاون للنشر والتوزيع(الكويت ـ ١٩٨٩م).

- مجهول، مؤلف:

٣٥-أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار صادر (بيروت ـ ١٩٧١م):

- مجهول، مؤلف:

٣٦-العيون والحدائق في أخبار الحقائق،ج٣، مكتبة المثنى(بغداد ـ د.ت):

- المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):

٣٧مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط١، الناشر شركة القدس للتصدير، مطبعة المدني(القاهرة٢٠٠٩م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ/١٣١٢م):

٣٨-مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس و اخرون، ط١، دار الفكر(دمشق ـ ١٩٨٤م).

٣٩-لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي (بيروت ـ ١٩٩٩م).

- وكيع، محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ/٩١٩م):

٤٠-اخبار القضاة، تحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب(د. م ـ د.ت):

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٤١-معجم البلدان، دار صادر(بيروت ـ ١٩٧٧م).

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح(ت٢٩٢هـ/٩٠٥م):

٤٢-تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، الاعلمي للمطبوعات (بيروت ـ ٢٠١٠م).

ثانياً: المراجع:

اولاً: الكتب العربية والمعربة:

- الأصيبعي، محمد ابراهيم:

٤٣-الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، المكتب العربي(اسكندرية ـ د.ت).

- البراقي، حسين ابن السيد أحمد(ت١٣٣٢هـ/١٩١٤م):

٤٤-تاريخ الكوفة، تحقيق: تحقيق ماجد أحمد العطية، ط١، انتشارات المكتبة الحيدرية (د. م ـ ١٤٢٤هـ).

- البستاني، بطرس:

٤٥-محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان(بيروت ـ ١٩٨٧م).

- الترمانيني، عبد السلام:

٤٦-أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، (دمشق ـ د.ت).

- حسن، إبراهيم حسن:

٤٧-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة (بيروت ـ ١٩٦٤م):

- آل خليفة، محمد علي:

٤٨-أمراء الكوفة وحكامها، تحقيق: د. ياسين صلواتي، مؤسسة الصادق(طهران ـ ٢٠٠٤م)).

- الدروبي، إبراهيم عبد الغني:

٤٩-موسوعة تراجم قضاة بغداد، تحقيق: اسامة ناصر النقشبندي، ط١، دار الوثائق(بغداد ـ ٢٠٠١م).

- زامباور:

٥٠-معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، اخرجه: زكي محمد حسن بك و حسن احمد محمود، دار الرائد العربي(بيروت ـ ١٩٨٠م).

- الزركلي، خير الدين:

٥١-الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين)، ط١٥، دار العلم للملايين (بيروت ـ٢٠٠٢م).

- العاني، حسن فاضل زعين:

٥٢-سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، ط٢، دار الثقافة (بغداد ـ ٢٠١٣م).

- الوابل، يوسف بن عبدالله بن يوسف:

٥٣-أشراط الساعة، ط٤، دار ابن الجوزي(السعودية - ١٩٩٤م).

ثانياً: الأبحاث والرسائل والأطاريح:

- الأنباري، عبد الرزاق علي:

٥٤-النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي(١٤٥-٦٥٦هـ)، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب(جامعة بغداد - ١٩٧٧م).

- فوزي، فاروق عمر:

٥٥-لمحات من تاريخ الموصل في العصر العباسي الأول،(د. م - د.ت).

دور النساء في حركات الخوارج - دراسة تحليلية -

The role of women in the Kharijite movements, an analytical study

م.م. علي حسام عبد علي
جامعة واسط / كلية الآداب

Abstract .

The topic of the research regarding "the role of women in the Kharijite movement" is considered one of the important topics that have not been highlighted in research and university theses as a historical material around which research, investigation, scrutiny and scrutiny of the sources' stomachs revolve. The Kharijites, however, that brevity was not at the level of clarifying the roles of outside women in the theater of historical events, especially since the subject of the aforementioned research is one of the important topics in Arab Islamic history for many reasons, including that the movement of the Kharijites in the Arab Islamic state had taken a long period of time It lasted about three hundred years, starting from the end of the Rashidun era, passing through the Umayyad era, and ending with the second Abbasid era.

So it was natural for the role of women to extend along with the movement of the Kharijites, and to take a long period of time, and this gave the research a large and wide temporal dimension, and thus it would have differed stereotypically from other historical topics, most of which are considered subject to a specific temporal and spatial period.

الملخص :

يعد موضوع البحث فيما يخص " **دور النساء في حركة الخوارج** " من المواضيع المهمة التي لم يسلط الضوء عليها في البحوث والرسائل الجامعية كمادة تأريخية يدور حولها البحث والتقصي والتمحيص والتدقيق في بطون المصادر، ولعل المؤلفات الحديثة اشارت بشكل موجز عن موضوع المرأة الخارجية ضمن استرسالها في عقيدة الخوارج ، إلا ان ذلك الإيجاز لم يكن بمستوى توضيح أدوار النساء الخارجيات في مسرح الأحداث التاريخية ، لاسيما ان موضوع البحث المشار اليه هو من المواضيع المهمة في التاريخ العربي الاسلامي لاسباب عديدة منها ، ان حركة الخوارج في الدولة العربية الاسلامية ، كانت قد اخذت مدة زمنية طويلة استمرت ثلاثمائة سنة تقريباً امتدت من نهاية العصر الراشدي مروراً بالعصر الاموي انتهاءً بالعصر العباسي الثاني ، لذا كان طبيعياً ان يمتد دور النساء الخارجيات بأمتداد حركات الخوارج ، ويأخذ مدة زمانية طويلة ، وهذا اعطى البحث بُعداً زمانياً واسعاً ، ويكون بذلك قد اختلف نمطياً عن المواضيع التأريخية الأخرى ، والتي تعد اغلبها خاضعة مدة زمانية ومكانية محددة .

كلمات مفتاحية: **(الخوارج، النساء، اسهامات التحريض، الحرورية، المارقة)**

اولاً : نبذة تعريفية عن الخوارج :

أ- الخوارج في اللغة : الخوارج جمع خارجة ، وفي الدلالة اللغوية : خارجة ، خارج ، خارجي ، والتي تدور حول معنى : برز من محلة او حالة او انفصل وخرج على السلطان والناس وتمرد وثار[١].

ب- في الاصطلاح

١- رأي الخوارج :

ترجمة المصطلح على حد قول احد الخوارج ان الخارجي : هو كل من خرج الى الجهاد في سبيل الله [٢] ، وان كان ذلك الجهاد يعني الخروج على الإمام اذا خالف السنة[٣]، وقد استدلوا رأيهم هذا في القرآن قوله تعالى : ((**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**)) [٤]، لاسيما عدوا خروجهم من ديارهم مثل خروج النبي(ﷺ) مهاجراً من مكة الى المدينة فكانوا يقولون : نحن اليوم بمنزله المهاجرين بالمدينة [٥] ، والدليل على ذلك زعيهم الخارجي عبد ربه الصغير [٦] ، يخاطب اصحابه قائلاً : ((**يامعشر المهاجرين**)) [٧]، وبذلك يكون افراد هذه الفرقة قد استمدوا هذا المعنى عندما قرروا الجهاد في سبيل الله عن طريق الخروج عن طاعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) [٨].

٢ – الرأي المضاد :

اطلق المسلمون على هذه الطائفة اسم الخوارج لخروجهم عن طاعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقبوله الاضطراري للتحكيم في معركة صفين سنة (٣٨هـ/٦٥٧م) [٩]، وبمرور الزمن صارت هذه اللفظة اصطلاحاً او علماً على الطائفة الذين نزعوا ايديهم من طاعة ذو السلطان من الائمة[١٠]، وذهب البعض من كتاب الفرق الاسلامية الى تعريفهم بقولهم : " **هو كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة سواء كان خروجه ايام الصحابة على الائمة الراشدين او من كان بعدهم على التابعين بأحسان والائمة في كل زمان**" [١١] ، اما اصحاب الأنساب فنسبوا الخوارج الى الجماعة التي خرجت على الخليفة علي (عليه السلام) [١٢] .

ثانياً : ألقاب الخوارج :

١-المُحكمة

بعد ان رفض الخوارج التحكيم في معركة صفين ، اظهرو شعاراتهم تحت مسمى : لا حكم الا لله [١٣] ، ومنذ ذلك اطلق عليهم وصف المُحكمة لانهم دعوا الى تحكيم الله تعالى لا تحكيم الرجال [١٤] ، ويذكر ان الإمام علي (عليه السلام) كان يجيبهم عند سماعه قولهم : لا حكم الا لله بقوله "**كلمة حق يراد بها باطل**" [١٥] .

٢-الحرورية :

لقبَ الخوارج بالحرورية نسبة الى قرية حروراء [١٦] ، وهي القرية التي هاجرو لها بعد انتهاء معركة صفين ، وقبول الإمام التحكيم ، فرفضوا الدخول مع الإمام الى الكوفة ، واعلنوا تمردهم عليه ، فسموا بها [١٧]ويذكر ان الإمام كان قد خرج اليهم محاولاً وقف تمردهم وارجاعهم الى صفوف جيشه ، وقال لهم انذاك :" **انتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء** "[١٨].

٣ – الشراة :

تعد لفظة الشراة مأخوذة لغوياً من الفعل شرى بمعنى : باع يبيع ، والشراة جمع شاري ، ويتبين ذلك من قولهم : شرينا انفسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة ، وهي تسمية استمدوها من قوله تعالى : "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**

"[١٩] ، كما جاءت الدلالة الاصطلاحية لهذه الكلمة فهي تدور حول المعنى الذي يقصده الخوارج من انهم اشتروا انفسهم وباعوها في سبيل الله بثمن هو الجنة ، وقد عرف الشراة بأقدامهم على التضحية بالنفس والمال ابتغاء مرضاة الله والفوز بالجنة [٢٠] ، على مايبدو ان هذا المصطلح هو ارتجالي من لدن الخوارج انفسهم وليس من الذين عدوهم اعدائهم من سائر المسلمين .

٤- المارقة :

ترجع تسمية المارقة عند المؤرخين وكتاب الفرق الى حادثة تاريخية في عصر الرسالة ، إذ يذكر ان حرقوص بن زهير التميمي الملقب بذو الخويصرة اقبل على الرسول (ﷺ) بينما كان يقسم الغنائم يوم حنين ، فقال : اعدل يارسول الله ، فقال الرسول (ﷺ) : ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل ، فقال احد الصحابة : يا رسول الله أ نقتله ؟ فقال (ﷺ) : لا دعه فأنه سيخرج من ضئضيء [٢١] ، هذا الرجل من قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [٢٢] ، كما يذكر ان الإمام علي(عليه السلام) حين انتصر على الخوارج في معركة النهروان نادى بالمسلمين : " **ايها الناس ان الله قد نصركم على المارقين** " [٢٣] ، وكان هذا اللقب من اشهر الالقاب يلائم الخوارج ، وابغضه على نفوسهم ، فيما يجده ، خصومهم من المسلمين اصدق وصف لهم ، واكثر تعبيراً عن واقع حالهم ، لذا رفضوه شكلاً مضموناً لانهم يرون انفسهم قمة اهل الايمان واكثر الناس التزاماً بالقرآن [٢٤] .

٥- النواصب :

وقد سموا بذلك لغلوهم في حب ابي بكر الصديق ، ونصبهم العداوة كما يقال للإمام علي (عليه السلام) [٢٥].

ثالثاً : إسهامات النساء في تحريض الخوارج :

ذكرت اغلب كتب التاريخ العربي الأسلامي حادثة استشهاد أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، إذ يروى في مسرح الجريمة ان ثلاثة اشخاص من الخوارج اجتمعوا في مكة بعد موسم الحج وهم : عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، والبرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بكر التميمي [٢٦]، سيما انهم كانو ناقمين ومبغضين من الإمام لما فعل بذويهم في معركة النهروان ، فرأوا انه لابد من الانتقام وأخذ الثأر من الذين اسموهم بأئمة الظلالة ، وقرروا قتلهم[٢٧]، وهم برأيهم : الإمام علي(عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ، فقال ابن ملجم : ((انا اكفيكم علي ، وقال البرك : انا اكفيكم معاوية ، وقال عمرو : (انا اكفيكم ابن العاص) [٢٨]، وتعاهدوا ان يبقى الامر سراً بينهم حتى ساعة الصفر في التنفيذ [٢٩]، يبدو ان اتفاق هؤلاء الثلاثة لم يكن ضمن خطة جماعية وضعها الخوارج ، فهم لم تكلفهم جهة معينة لتنفيذ عمليات القتل الثلاث ، بل هم الذين قرروا قراراً انفرادياً تولوا فيه قيامهم بتلك العمليات في زمن محدد وضعوا تاريخه ، والدليل على ذلك انهم تعاهدوا فيما بينهم ان يبقى الامر سراً بينهم حتى وقت التنفيذ، ولو كانوا مكلفين من جهة اخرى لذكرت الروايات التاريخية هذا التكليف ، ولما ذكرت ان ثلاثة من الخوارج اجتمعوا فيما بينهم وقرروا الانتقام لقتلاهم في معركة النهروان هذا من ناحية، كما ان لم تكن مؤامرة قتل الإمام صلوات الله وسلامه عليه مقتصرة على الخوارج فحسب بل أن بني أمية كان لهم الأثر الفاعل في التخطيط والتمويل والتأسيس لهذه الحادثة الرزية التي أصيب بها

الإسلام واستفاد منها أهل النفاق والكفر، وعلى هذه المشاركة الأموية في قتل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من ناحية اخرى توجد وشواهد عديدة منها:

أولا: إن أبا الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين ألقى تبعة مقتل الإمام على بني أمية، وذلك في مقطوعته التي رثى بها الإمام والتي جاء فيها:

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصلاة فجعتمونا بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ورحلها ومن ركب السفينا [٣٠]

ومعنى هذه الأبيات أن معاوية هو الذي فجع المسلمين بقتل الإمام الذي هو خير الناس، فهو مسؤول عن إراقة دمه، ومن الطبيعي أن ابا الأسود لم ينسب هذه الجريمة لمعاوية إلا بعد التأكد منها .

ثانياً: والذي يدعو إلى الاطمئنان في أن الحزب الأموي كان له الضلع الكبير في هذه المؤامرة هو أن ابن ملجم كان معلما للقرآن وكان يأخذ رزقه من بيت المال ولم تكن عنده أية سعة مالية فمن أين له الأموال التي اشترى بها سيفه الذي اغتال به الإمام بألف وسمه بألف ومن أين له الأموال التي أعطاها مهر لقطام وهو ثلاثة آلاف وعبد وقينة كل ذلك يدعو إلى الظن أنه تلقى دعما ماليا من الأمويين إزاء قيامه باغتيال الإمام [٣١].

ثالثاً: افتخار بعض الأمويين عندما أدخلوا السبايا في مجلس يزيد بن معاوية لعنه الله بقوله: " **نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماح وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح** " [٣٢] فهو أوضح دليل على أن للأمويين يداً طولى في قتل سيد الوصيين صلوات الله وسلامه عليه .

كما تصور الروايات التاريخية دور امرأة تدعى : قطام ابنة الشجنة [٣٣]، في تحريض ابن ملجم على قتل الإمام (عليه السلام) . فعندما سار ابن ملجم الى الكوفة ، وكان عنده اصحاب في تيم الرباب ، فذهب اليهم ، فألتقى هناك بقطام ، وكانت من اجمل بنات عصرها ، فأعجب بها اشد الاعجاب حتى نسى حاجته التي جاء اليها ، وهي قتل الإمام علي (عليه السلام). وكانت قطام ترى رأي الخوارج ، وقد قتل ابوها واخوها في معركة النهروان[٣٤]، ثم اذنت له بالدخول ، فلما دخل ونظر اليها ارخو الخدم الحجاب ، فقال لها: التام امرنا ام لا ؟ فقالت : اوليائي ابوا ان ينكحوني اياك الا على ثلاثة الاف درهم وعبد وقينة ، فقال : لكِ ذلك [٣٥]، واشترطت قطام عليه شرطاً مقابل الزواج به ، وكان شرطها قتل أمير الإمام علي (عليه السلام) ، فيذكر ان ابن ملجم حالما سمع شرطها قال لها: ويحك ومن يقدر على قتل علي وهو فارس الفرسان، ومغالب الاقران والسباق الى الطعان، فقالت: لا تكثر علينا، اما المال فلا حاجة لنا فيه ، ولكن قتل علي هو الذي قتل ابي واخي يوم كذا وكذا، فقال ابن ملجم لها: اما قتل علي ان رضيت مني ضربة اضرب علياً بسيفي فعلت ، فقالت : قد رضيت على ان يكون سيفك عندي رهينة، فدفع اليها سيفه وانصرف ، فقال لها ابن ملجم : اما قتل علي فلا اراك ذكرته لي وانت تريديني، قالت: بل التمس غرته فأن اصبت شفيت نفسك ونفسي ، ويهنئك العيش معي ، وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها ، فقال لها : ما جاء بي الى هذا المصر الا قتل علي ، فلكِ ما سألت[٣٦]،وكانت قد بعثت قطام الى ابن ملجم برجل من قومها اسمه وردان ليساعده ، اما ابن ملجم فقد ذهب الى رجل من اشجع

يقال له: شبيب بن بجرة الاشجعي الحروري ليساعده في قتل الخليفة ، فقال له الرجل : ويحك لو غير علي كان اهون عليّ ، فقد عرفت سابقته في الاسلام وقرابته من رسول الله (ﷺ) فما اجدني انشرح صدراً ، فقال له ابن ملجم : اما تعلم انه قتل اهل النهروان العباد الصالحين ، قال : بلى ، قال : فنقتله بمن قتل من اخوتنا ، فأجابه[٣٧] ، فجاءوا الى قطام وهي معتكفة في المسجد ، فقالوا لها : قد جمعنا امرنا على قتل علي ، فقالت : فأذا اردتم ذلك فأتوني ، ثم عاد اليها ابن ملجم ليلة الجمعة التي في صبيحتها قتل الخليفة علي (ﷺ)، فقال : هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبي ان يقتل كل واحد منا صاحبه ، فدعت قطام لهم بالحرير فعصبتهم به [٣٨]، ولما سمعت قطام اذان الخليفة علي(ﷺ) بالمسجد قامت الى ابن ملجم وهو نائم فأيقظته ، وقالت : يا اخا مراد هذا اذان علي ، قم فأقضي حاجتنا وارجع قرير العين مسروراً ، ثم ناولته السيف ، فقال لها : بل ارجع سخين العين مثبوراً ، وقد سمعت علي يقول : قال النبي (ﷺ):" **ان اشقى الاولين قدار بن سالف عاقر ناقة صالح ، واشق الاخرين قاتل علي بن ابي طالب**" [٣٩] ، ان دور قطام التحريضي في حادثة مقتل الخليفة علي (ﷺ) بالتأكيد هو دوراً واضح . ولكن لم يكن هو السبب الوحيد الذي دفع ابن ملجم لارتكاب جريمته البشعة تلك . فبقدر تأثير قطام في نفس ابن ملجم ومحاولتها دفعه الى اخذ ثأر ابيها واخيها من الامام علي (ﷺ) الذي ترى انه قتلهما في معركة النهروان ، كان الحقد الخارجي في اعماق ابن ملجم على الخليفة علي(ﷺ) الذي استطاع القضاء على الخوارج في النهروان بالانتصار عليهم وتفريق جمعهم ، ومن ثم تشتيتهم ، يثير فيه الكراهية والعدوانية والرغبة في الانتقام من الذي قتل اهله واقاربه وجعله وحيداً مع افكاره الخارجية المريضة الحاقدة على الخليفة علي (ﷺ) منذ قبوله التحكيم في معركة صفين ، الى تلك اللحظة التي قرر فيها مع نفر من الخوارج بقتل ما اسموهم بـ:أئمة الظلالة ، والذين كانوا يرون انهم السبب في فقدانهم اهلهم واقاربهم [٤٠]، كما كان لتحريض زوجة نافع بن الازرق تأثيراً كبيراً في نفس زوجها واتجاهات افكاره ، ومن ثم تحديد قراره ، فيذكر صاحب الاغاني رواية لنا مفادها : ان ابن الازرق اقام في السوق لا يعترضه احد ، فجاءته امرأته يوماً ، فقالت له : " **ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيه فدع نحلتك ودعوتك ، وان كنت خرجت من الكفر الى الايمان فأقتل الكفار حيث لقيتهم واثخن في النساء والصبيان**" [٤١]، فقبل نافع قولها وبسط سيفه في الناس ، وجعل يقتل الاطفال ، و يقول :" **ان هؤلاء اذا كبروا كانوا مثل ابائه**" [٤٢]، ان الادلة التاريخية التي ذكرتها سابقاً بشأن تحريض النساء الخارجيات لذويهن واضح بلا ادنى شك ، ولعل تأثير المرأة في الفكر الخارجي مثلّ دوراً مهماً من الادوار العديدة التي اضطلعت بالقيام بها على اكمل وجه ، لتعطي حركة الخوارج دفعاً معنوياً بجانب قوتهم العسكرية ، وبذلك تضاف لهذه الحركة ميزة مهمة ، الا وهي دور المرأة الواضح فيها .

رابعاً : مشاركات النساء في القتال مع حركات الخوارج

يذكر ان اول نشاط لأمرأة خارجية كان في خلافة معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨١م) ففي ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤٥هـ/٦٦١م خرج ابو مريم مولى بني الحرث بن كعب واخرج معه امرأتان هما : قطام وكحيلة ، فكان اول من اخرج معه النساء ، فعاب عليه ذلك ابو

بلال مرداس بن ادية ، فقال : قد قاتلت النساء مع رسول الله (ﷺ) ومع المسلمين بالشام ، فوجه اليه المغيرة بن شعبة جابراً البجلي فقتله واصحابه [٤٣] .

وكان خروج النساء الخارجيات في ايام ابن عامر عامل المغيرة بن شعبة على البصرة، فكان اصحابه يعيرونهم ويصيحون بهم : يا اصحاب كحيلة وقطام ويعرضون لهم بالفجور ، فتناديهم الخوارج بالدفع والردع ، ويقول قائلهم : لا تقف ماليس لك به علم [٤٤]،

ونتيجة خروج النساء مع الخوارج ومشاركتهم اياهم في القتال تشدد المغيرة بن شعبة في ملاحقتهن حتى قيل انه توفي سنة (٥٠هـ/٦٧١م) وفي محبسه ثلاثمائة امرأة وقيل الف امرأة [٤٥] ، يبدو ان هدف الخوارج من مشاركة نسائهم في الحرب هو ادخال روح الحماسة في نفوسهم وتقوية لعزائمهم وزيادة لاستبسالهم ، فلا يكون احداً يدافع عن نفسه وعقيدته الخارجية فحسب ، بل عن عرضه وشرفه ، ولو اراد الدفاع عن نفسه لما استطاع ذلك . فالعربي لا يحتمل التراجع في القتال ، ولا سيما عندما يفخر بحضور امه او اخته او زوجته مما يجعله يتحلى بفدائية اكبر، كما نجد في بعض المواضع قساوة التنكيل بالنساء الخارجيات كما حصل مع احدى النساء الخارجيات التي تعرضت الى الصلب نتيجة قولها (لقريب بن مره الأزدي، وزحاف الطائي) ، عندما مرت عليهما وهما مصلوبان : سلام عليكم طبتم فأدخلوها آمنين ، كما انه هدد القبائل بقوله : اينما امرأة خرجت فعلت بها مثل هذه ، ولعل سياسة زياد تجاه النساء الخارجيات كانت مغالاة منه خرج بها على مفاهيم المجتمع العربي ومبادئ الاسلام الحنيف ، خروجاً عكس شدة رد فعل سلوك الخوارج في نفسه وعمق تخريبهم في ولاية البصرة [٤٦]، بالرغم من بشاعة ما قام به زياد تجاه اولئك النسوة ، الا ان عمله كان ذكياً من الناحية السياسية فقتل الخارجيات على تلك الصورة ، كان سبباً في اخماد ثورات الخوارج لمدة من الزمن بعد ان ضعفت عزائمهم وقلت حماستهم ، فقد كان وجود النسوة في معسكر الخوارج له اثر في اذكاء روح الحماسة لديهم وشحذ عزائمهم ،ودفعهم بقوة للامام ، وان كان الامام هو الموت [٤٧].

كذلك من الشواهد التاريخية التي تدلل مشاركة النسوة الخارجيات في غمار الحرب ما حدث سنة ٤٦هـ/٦٦٦م خرج يزيد بن مالك الباهلي الملقب بالخطيم ، ومعه امرأتين يقال لهما : اراكة وام سريع ، الا ان زياد قتلهما مع الخطيم ، فقال رجل يعيب اهله [٤٨]، لعمري لقد اخزت اراكة قومها وما قصدت للدين ام سري، ويبدو ان العيب الذي قصده هذا الرجل هو اسلوب التعرية الذي كان يتبعه زياد تجاه النساء الخارجيات ، فهو يعيب على اهله خروج اراكة وام سريع اللتين قتلتا وعريتا امام الناس، اما في ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة سنة ٥٥هـ/٦٧٤م ، فقد شهدت عدة ثورات خارجية، وكان للنساء الخارجيات تواجداً فيها ، مما دعا ابن زياد باتباع سياسة والده السابقة في قمع تلك الثورات والمشاركين فيها رجالاً ونساءً ، بل كان اشد من ابيه على الخوارج ، فحاول التفريق بينهم ، واخذ يتعقبهم بيقظة ويأخذهم بشدة ، فقتل منهم الكثير ، وكان ابرز الخوارج في البصرة يومئذ : ابو بلال مرداس بن أديه [٤٩]، وكان ابن زياد قد قتل عروة بن أديه ، وبعث برأسه الى ابنته ، فجاءت اليه وجثته مطروحة بين يدي ابن زياد ، فخاطبها قائلاً : انتِ على دينه ؟ قالت : كيف لا اكون على دينه ، وما رأيت قط خير منه ، فأمر بها فقتلت [٥٠].

وقد لاحظ ابن زياد ان النساء الخارجيات يخرجن مع الثائرين ويشتركن في نشر الذعر الامني ، فتوعدهن بأشد العقوبات ، الا ان ذلك لم يردع بعض النساء من الانظمام الى الخوارج ، فقد خرجت امرأة تدعى:جزعة مع صاحبها في البصرة ، فقبض ابن زياد عليها ، وامر بقتلها ، وقيل انه قتل الرجل وحبس المرأة [٥١].

وشاركت النساء الخارجيات في القتال مع عبد الله بن الزبير في حصاره الاول لأهل الشام زمن الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، وقد تقاتل اهل الشام مع اصحاب عبد الله بن الزبير ، فقتل مصعب بن عبد الرحمن بن عوف عدداً منهم ، واجهزت عليه امرأة من الخوارج يقال لها : سلمى ، فقال رجل من الشاميين يصف قتال سلمى [٥٢]،

اني لم انسى الاريث اذكـره ايام تطردنا سلمى وتنفينـا

ومن النساء الخارجيات اللواتي برزن في حركة الخوارج ، وكان لهن دور قيادي في معاركهم ، امرأة تدعى : غزالة الخارجية زوجة شبيب بن يزيد الشيباني[٤] الذي عد اقوى ثائر خرج في العراق وهدد سلطان الامويين، واقض مضاجع العراقيين ونشر الفزع والرعب بينهم[٥٣]، وفي عهد الوليد بن عبد الملك خرج زياد الاعسم [٥٤]، وكانت معه اخته فقدمها اليه في المعركة خشية ان تقع في السبي فتقدمت وقتلت [٥٥]، وفي عهد الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٣م) قامت ثورة سعيد بن بجدل ١٢٦هـ/٧٤٣م الذي اشترك كثير من النسوة في جيشه وقاتلن معه قتالاً مجيداً [٥٦] ، وفي عهد الخليفة مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الامويين (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م) خرج عليه ابو حمزة الخارجي سنة ١٣٠هـ/٧٤٢ ، وقد شاركته امرأته الجديعاء في الخروج والقتال معه ، وكان قد استولى على مكة ، فارسل اليه الخليفة ابن عطية ، فاستطاع القضاء عليه وقتلت زوجته معه [٥٧] .

خامساً : الموقف المضاد للنساء من حركات الخوارج

كان لبعض النساء الخارجيات موقف مضاد من حركة الخوارج ، فلما بلغ المغيرة بن شعبة ، وكان والي الكوفة ، ان المستورد بن علقمة العتبي يريد الخروج عليه في غرة شعبان سنة(٤٣هـ/٦٦٣م) ، وانه يجتمع في دار حيان بن ظبيان ، ارسل اليه قبيصة بن الدمون صاحب شرطته ، فحاصروا دار حيان ، فثارت ام ولد لحيان واخذت سيوفاً كانت لاصحابه فخبأتها تحت الفراش فلما ارادوا القيام الى سيوفهم لم يجدوها فأستسلموا [٥٨].

وكان لبعض المقاتلين الخوارج مواقف مع زوجاتهم اللواتي يطالبنهم بالانفاق عليهن وهم في ساحات القتال فيثورون ويغضبون من طلباتهن تلك ، مثلما رد يزيد بن حبناء [٥٩]، على زوجته ام عاصم التي ارسلت اليه وهو يقاتل في جبهة سابور تطلب الهدايا والالطاف منه ، فأعتذر اليها لانشغاله عن مطالبها بالحرب والجهاد [٦٠] .

الهوامش

(١) ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، اعداد وتصنيف : يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، دار لسان العرب (بيروت ، د.ت) ،١٠/٨٠٨ ، الفيروز ابادي ، مجد الدين بن

يعقوب الشيرازي (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م) : القاموس المحيط ، دار الفكر (بيروت /١٩٧٨) ،ص١٨٤ ، انيس ، ابراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط٢ ، دار المعارف (القاهرة ،١٩٧٣) ، ٢٢٤/١

(٢) الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف (القاهرة ، د.ت) ،٧٤/٥ ، ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) : الامامة والسياسة ، تحقيق : خليل منصور ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ،١٩٩٧) ، ١٢١/١ ، الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) : الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ،مطبعة عيسى البابي واولاده (القاهرة /١٩٦٠) ، ص٢٠٢

(٣) الشهرستاني ، ابو الفتح بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) : الملل والنحل ،تحقيق : احمد فهمي محمد ، مكتبة الحسين التجارية (القاهرة ، ١٩٦٠) ،١١٥/١

(٤) سورة النساء ، الاية ١٠١

(٥) الاشعري ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت٣٣٠هـ/٩٤١م) : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ،١٩٥٠) ، ٢٦٢/١

(٦) احد موالي قيس بن ثعلبة ، وقد بايعه الخوارج بعد اختلافهم مع احد زعمائهم وهو قطري بن الفجاءة ، وكان عبد ربه معلم كتاب . ابن ابي الحديد ، عز الدين ابو حامد هبة الله (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : لجنة احياء التراث ، دار مكتبة الحياة (بيروت،١٩٨٣) ،٤٠٣/١

(٧) المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) ، الكامل في اللغة والادب ، تحقيق : محمود ابو الفضل ابراهيم ، السيد شحاته ، دار نهضة مصر للطبع والنشر (القاهرة /د.ت) ،١١٦٢/٣

(٨) البابطين، يوسف الشيخ عبد المحسن ، حركة الخوارج : نشأتها ، اسبابها ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة الكويت (الكويت ،١٩٩٧) ، ص١٣٥

(٩) الطبري ، تاريخ ،٤٩/٥ ،ابن الاثير ،علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، دار الفكر (بيروت،١٩٧٨)، ١٦١/٣ للمزيد عن حادثة التحكيم ينظر ، محمد الريشهري ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، ٢٤٥-٢٤٨

(١٠) الهمذاني ، تريخ غازان ، ص٢٧٠ ؛ مؤلف مجهول ، الحوادث ، ص٥٣٢-٥٣٨ ؛ ايات ، تاج الدين الآوي ، ص ١٠٥

(١١) الشهرستاني ، الملل ، ١٠٥/١

(١٢) السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م) : الانساب ، تحقيق :عبد الكريم محمد البارودي ، مؤسسة الكتب الثقافية (بلا مكان،د.ت) ،٣٠٤/٢

(١٣) الطبري ، تاريخ ،٥٧/٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣،١٦٩ ، ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل القرشي ابن الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، ط١ ، دار الفكر العربي (بيروت،١٩٣٣) ، ١٨١/٧ ، الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة المقدسي (القاهرة ،١٣٥٠هـ) ، ٤٧/١

(١٤) ايات ، تاج الدين الآوي ، ص١٣٦

(١٥) اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) : تاريخ اليعقوبي ، مطبعة العربي (النجف ، د.ت) ، ١٦٧/٢ ، الطبري ، المصدر نفسه ، ٤١/١ ، ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٣٠٧/١ ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر، المعروف بتاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت -١٩٧٩) ، ٧٨/٣

(١٦) قرية بظاهر الكوفة ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ، دار صادر (بيروت ،١٩٥٧) ، ٢٢٥/٢

(١٧) ابن سعد ، محمد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ/٨٨٤م) : الطبقات الكبرى ، تحقيق : ادوارد سخو ، مطبعة بريل (ليدن ،١٩١٨) ،١٧/٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ١٦٧/٢ ، ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) : الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، مكتبة المثنى (بغداد ،١٩٧٥) ، ١٣٧/١

(١٨) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ٥٨٩/٢

(١٩) سورة البقرة ، الاية ٢٧

(٢٠) العزاوي ، اسماء عبد الله غني ، نشاط الخوارج في البصرة والاحواز خلال القرن الاول الهجري ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد (بغداد ، ٢٠٠١) ص٤٩ ؛

(٢١) ضئضيء : هو الاصل والمعدن والجنس ، ومعنى قوله (ﷺ) يخرج من ضئضيء هذا ، أي من اصله وجنسه . الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ/١٠٠٨م) : الصحاح في اللغة والعلوم ، تقديم : عبد الله العلايلي ، اعداد : نديم مرعشلي ، اسامة مرعشلي ، دار الحضارة العربية (بيروت ، د.ت) ، ٣٧٥/١ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٠٣/٢

(٢٢) ابن هشام ، محمد بن عبد الملك (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) :السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي(مصر،١٩٥٥) ، ٤٩٦/٢ ، ابن حنبل ، احمد بن محمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) : المسند ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، ط٢ ، دار المعارف (مصر ،١٤٠٤هـ) ،٢٧٦/٢ ، النيسابوري ، ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م): صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث (القاهرة ،د.ت) ، ٧٤٠/٢ ، البخاري ، الجامع الصحيح ، ٤٦١/٩ ، ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد ابراهيم البنا ، محمد احمد عاشور ، محمود عبد الوهاب الفايد ، دار الشعب (بلا مكان ، د.ت) ، ١٧٢/٢

(٢٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٩٥

(٢٤) معروف ، الخوارج في العصر الاموي ، ص١٩١

(٢٥) المقريزي ، الخطط ، ٣٥٤/٢

(٢٦) الطبري ، تاريخ ، ١٤٤/٥ ، المسعودي ، التنبيه و الاشراف ، تحقيق : عبد الله اسماعيل الصادق ، مكتبة المثنى (بغداد ، ١٩٣٨) ، ص٢٥٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٥/٣ ، ابن الكازوني ، ظهير الدين بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) : مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق :د. مصطفى جواد ، اشرف على اخراجه : د. سالم الالوسي، مطبعة الحكومة (بغداد ،١٩٧٠) ، ص٧٦ . وقد اختلف بعض المؤرخين في اسم صاحبي ابن ملجم ، فقال الدينوري انهما النزال بن عامر وعبد الله بن مالك الصيداوي . الاخبار الطوال ، ص١٩٧، وقال غيره : انهما الحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وداودية مولى بني العنبر ، مروج الذهب ، ٤٠٥/٢،اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن سليمان الميمني المكي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) : مرأة الجنان وعبره اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،ط١ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية (حيدر اباد – الدكن ،١٣٣٧هـ) ، ١٠٢/١ ، ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، د.ت) ، ١١٤/١ ، سالم ، د. السيد عبد العزيز ، تاريخ الدول العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة العربية) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت،١٩٧١) ، ص٢٠٥

(٢٦) المقريزي ، الخطط ، ٣٥٤/٢

(٢٧) البلاذري ، انساب الاشراف،٤٨٧/٢ ، الطبري ، المصدر نفسه ،٤٤/٥، ابن الاثير ، المصدر نفسه ،١٩٥/٣ ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : دول الاسلام ، تحقيق : حسن اسماعيل فروة ، محمود الارناووط ، دار صادر (بيروت،١٩٩٩) ، ٣٤/١

(٢٨) الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) : مقاتل الطالبين ، مطبعة الديواني (بغداد،١٩٧٩) ،ص١٧ ، ابن الاثير ، الكامل، ١٩٥/٣، ابن الطقطقي،الفخري ، ص١٠، ابن كثير،البداية والنهاية، ٣٥٤/٧ .

(٢٩) ابن خياط ، تاريخ ، ١٨١/١ ،الطبري ، تاريخ ،١٤٤/٥،المقدسي،البدء والتاريخ ، ٢٥٧/١ . ويذكر المسعودي ان قطام ابنة عم ابن ملجم، مروج الذهب ، ٤٠٥/٢ .

(٣٠) باقر القريشي ، حياة الإمام الحسين ، ج٣/ص١٠٣

(٣١) المرجع نفسه الجزء والصفحة

(٣٢) الشيخ الطبرسي ، الاحتجاج ، ج٢/ص٢٨

(٣٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ٢٤٤/٥ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ،١٩٥/٣ ، بينما يذكر البعض ان اسمها هو قطام بنت الاخضر ، ابن ابي الحديد،شرح النهج ، ٣٣٩/٢ . وعند غيرهم : قطام بنت علقمة . ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ١٢٠/١ ؛ البلاذري ،

انساب الاشراف ، ٤٨٧/٢ ؛ المبرد ، الكامل في اللغة والادب، ١٩٦/٣ . ويذكر ابن اعثم ان اسمها هو قطام بنت الاضبع التميمي . الفتوح ، ١٣٤/٣ .

(٣٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٤٨٧/٢ ، الطبري ، المصدر نفسه ، ٢٤٥/٥ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣٥٩/٤ ، ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ١٩٢/٣ ، ويذكر ابن دريد ابن اخو قطام واسمه : معقل بن قيس الرياحي كان على شرطة الخليفة علي (ﷺ) . الاشتقاق ، ١٨٦/١ .

(٣٥) ابن اعثم ، الفتوح ،١٣٨/٤.

(٣٦) الطبري ، تاريخ ، ١٤٤/٥ ؛ الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص١٧-١٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٥/٣ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٣٣٨/٢ ؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص٧٦ ؛ الذهبي ، دول الاسلام ، ٣٤/١

(٣٧) الطبري ، تاريخ ، ١٤٤/٥؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٥/٣

(٣٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤٠٧/٢-٤٠٨ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص٢٠ ، الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١) : احياء علوم الدين ، دار المعرفة ، (بيروت،د.ت) ، ٢٧٩/٤ ، ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٣٤٠/٢ .

(٣٩) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣٥/٤ ، ابن حجر ، فتح الباري ، ٦٠/٧

(٤٠) ابن خياط ، تاريخ ، ١٨٠/١ ، الطبري ، تاريخ ، ٥/ ١٤٤-١٤٥

(٤١) الاغاني ، ١٤٢/٦

(٤٢) المصدر نفسه الجزء والصفحة

(٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٤١٢/٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٤١/٣ ؛ معروف ، الخوارج في العصر الاموي ،ص١٠٧

(٤٤) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ،٢٤٦/٣

(٤٥) الذهبي ، العبر ، ٥٦/٣ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٥٩/١

(٤٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٤ /١٧٦

(٤٧) ابو نصر ، الخوارج في الاسلام ،ص٤٨ ، العزاوي ، نشاط الخوارج ، رسالة ماجستير ، ص٩٠

(٤٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٤/ق٤٩/١ ، الطبري ، تاريخ ، ٢٢٨/٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤٥٤/٣

(٤٩) الخيرو ، ادارة العراق ، ص٢١٧

(٥٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٤ /٨٩

(٥١) المصدر نفسه ، ٤ /٩٣

(٥٢) المصدر نفسه ، ٤ /٥٠

(٥٣) الراوي ، العراق في العصر الاموي ، ص٢٠٠-٢٠١

(٥٤) من بني نصر بن عوف ، وقيل من بني عبد القيس ، وقيل بل كان مولى لهم ، وكان يرى رأي الازارقة ، وقد خرج بعد ان اقنعه صاحبه داود بن النعمان العبدي رغم محاولة ابوه ان يرده حتى انه اغراه بالمال ، ولكنه رفض وخرج ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار، ١٦/٣

(٥٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ١٨/٧ ، نقلاً عن معروف ، ديوان الخوارج ، ص٦٤

(٥٦) الطبري ، تاريخ ، ٣١٦/٧ ؛ فلهوزن ، الخوارج والشيعة ، ص١٣٠-١٣١

(٥٧) الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٤٠/٢٣ ، ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٤٦١/١

(٥٨) الطبري ، تاريخ ، ١٨٠/٥؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢١٢/٣

(٥٩) هو ابن عمرو بن ربيعة من الازارقة ، المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ١٦٩/٣

(٦٠) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ٤٠٦/٣ ؛ الامدي ، المؤتلف والمختلف ، ص١٠٦ ، الشجري ، الحماسة ، ص٥٨١ ، ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٤٠٨/١ ؛ ابو تمام ، الوحشيات ، ٧٨/١

المصادر والمراجع

أ- المصادر الاولية :

١- القرآن الكريم

- ابن ابي الحديد ، عز الدين ابو حامد هبة الله (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)

٢- شرح نهج البلاغة ، تحقيق ، لجنة احياء التراث ، دار مكتبة الحياة (بيروت ،١٩٨٣)

- ابن ابي شيبة ، ابو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م)

٣- مصنف ابن ابي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ،ط١ ، مكتبة الرشد (الرياض ، ١٤٠٩) .

- ابن الاثير ، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)

٤- النهاية في غريب الحديث والاثر ، تحقيق : محمود محمد الطناجي ،ط٢ ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٩)

- ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

٥- الكامل في التاريخ ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٨)

٦- اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد ابراهيم البنا ، محمد احمد عاشور ، محمود عبد الوهاب الفايد ، دار الشعب (بلا مكان ، د.ت)

- ابن اعثم ، ابو محمد احمد الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م)

٧- الفتوح ، دار الندوة الجديدة (بيروت ، د.ت)

- ابن بدران ، الشيخ عبد القادر (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)

٨- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ، ط٢ ، دار المسيرة (بيروت ، ١٩٧٩)

- ابن الجوزي ، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن البغدادي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

٩- تلبيس ابليس ، مكتبة الشرق الجديد (بغداد ، د.ت)

-ابن حجر ، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد بن علي الكناني المصري الشافعي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

١٠- الاصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت)

١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، اعداد : خالد عبد الفتاح سبل ابو سليمان ، ط٤ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٢)

١٢- جمهرة انساب العرب ، تعليق : ليفي بروفنسال ، دار المعارف (مصر ، د.ت)

- ابن حنبل ، احمد بن محمد (ت٢٤١هـ/٨٥٦م)

١٣- المسند ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، ط٢ ، دار المعارف (مصر،١٤٠٤هـ)

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

١٤- العبر وديوان المبتدأ او الخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن بعدهم من ذوي السلطان الاكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت،١٩٧٩)

- ابن خياط ، خليفة (ت٢٤٠هـ/٨٤٥م)

١٥- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، مطبعة الاداب (النجف ،١٩٦٧)

- ابن سعد ، محمد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)

١٦- الطبقات الكبرى ، تحقيق : ادوارد سخو ، مطبعة بريل (ليدن ،١٩٨١)

- ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

٣٦-بهجة المجالس ، تحقيق ، محمد مرسي الخولي ، ط١ ، دار الكتاب العربي (القاهرة ،د.ت)

٣٧-الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، مكتبة نهضة مصر (القاهرة ، د.ت)

- ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)

٤٣-تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي (دمشق ، ١٩٨٩)

- ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)

٤٤-الامامة والسياسة وهو منسوب له ، تحقيق : خليل منصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٧)

٤٥-المعارف ، تحقيق : محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، ط١ ، المطبعة الاسلامية في الازهر (القاهرة ،١٩٣٤)
٤٦-عيون الاخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر (القاهرة ،د.ت)
٤٧-الشعر والشعراء ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار المعارف (بيروت ،د.ت)
- ابن قدامة ، ابو محمد بن عبد الله بن محمد المقدسي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)
٤٨- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)
٥٢-لسان العرب ، تقديم : الشيخ عبد الله العلايلي ، تصنيف : يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، دار لسان العرب (بيروت ، د.ت)
- ابن هشام ، محمد بن عبد الملك (ت٢١٨هـ/٨٣٣م)
٥٥-السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحليي (مصر – ١٩٥٥)
- ابن همام ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد الحنفي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)
٥٦-شرح فتح القدير ، ط١ ، المطبعة الكبرى الاميرية (مصر،١٣١٥هـ)
- ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائي (ت٢٣١هـ/٨٤٥م) .
٥٩- الوحشيات ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط٢ ، دار المعارف (مصر،د.ت) .
- الاشعري ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)
٦٣-مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد محي عبد الحميد ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٥٠)
- الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) .
٦٥-حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، دار الفكر (بيروت د.ت)
- الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)
٦٧- الاغاني ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر (القاهرة ، د.ت) .
٦٨- مقاتل الطالبين ، مطبعة الديواني (بغداد ، ١٩٧٩)
- الامدي ، ابو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الثغوري (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)
٦٩-المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء ، تحقيق : د. فرنسيس كرنكو ، مكتبة المقدسي (بلا مكان ، د.ت)
٧٨- الفرق بين الفرق ، دار الكتب العلمية (بيروت،د.ت)
- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)
٨٣- انساب الاشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ،ط١ ، مؤسسة الاسلمي للمطبوعات (بيروت ، ١٩٧٤)
٨٤- فتوح البلدان ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، د.ت)
- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)
٩١- الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، مكتبة البابي الحلبي (القاهرة ، ١٩٤٣)
الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي الرازي الحنفي (ت٣٧٥هـ/٩٨٠م)
٩٥- احكام القرآن ، دار الكتاب العربي (بيروت ،د.ت)
- الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
١٠١- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة المقدسي (القاهرة ،١٣٥٠هـ)
- الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)
١٠٧- الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، مطبعة عيسى البابي واولاده (القاهرة ، ١٩٦٠)
-الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
١١٠- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد ين بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت)
١١١- دول الاسلام ، تحقيق : حسن اسماعيل فروة ، محمود الارنؤوط ، دار صادر (بيروت ،١٩٣٩)
١١٢- سير اعلام النبلاء ، تحقيق : محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، ط١ ، دار البيان الحديثة (القاهرة ، ٢٠٠٣)
١١٣- تاريخ الاسلام ، تحقيق : د.عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٩٠)

- الرازي ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الشافعي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)
١١٤- التفسير الكبير ، ط١ ، المطبعة البهية المصرية (مصر ،١٩٣٨)
١١٥- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، مراجعة ، علي سامي النشار ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٣٣٨)
- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م)
١٢٤- الانساب ، تحقيق : عبد الكريم محمد البارودي ، مؤسسة الكتب الثقافية (بلا مكان ،د.ت)
- الشهرستاني ، ابو الفتح بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)
١٣٠- الملل والنحل ، تحقيق : احمد فهمي محمد ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة ٦٠ .
- الصنعاني ، ابو بكر عبد الرزاق (ت٢١١هـ/٨٢٦م)
١٣٢- مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمي ، المجلس العلمي (بلا مكان ، د.ت) .
- الصنعاني ، محمد بن اسماعيل اليمني (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)
١٣٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام من ادلة الاحكام ، تحقيق : ابراهيم عصر ، دار الحديث (القاهرة ، د.ت)
- الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)
١٣٤- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف (القاهرة ، د.ت)
١٣٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط٢ ، دار الحديث (القاهرة ، ١٩٨٧)
- الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م)
١٤٤- احياء علوم الدين ، دار المعرفة (بيروت ، د.ت)
- الفيروز ابادي ، مجد الدين بن يعقوب الشيرازي (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)
١٤٥- القاموس المحيط ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٨)
- القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٩هـ/٩٦٦م)
١٤٦- الامالي في لغة العرب ، دار الكتاب العلمية (بيروت ، ١٩٧٨)
- القرطبي ، عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م)
١٤٧- الجامع لاحكام القرآن المعروف بـ:تفسير القرطبي ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٠)
– الكرماني ، محمد بن يوسف بن علي بن سعد (ت٧٨٦هـ/١٣٨٤م)
١٥٢- الفرق الاسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف) تحقيق : سليمة عبد الرسول ، مطبعة الارشاد (بغداد ، ١٩٧٧)
- الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/٦٦٥م)
١٥٣- الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط١ ، مطبعة عيسى البابي واولاده (القاهرة ، ١٩٦٠)
- المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)
١٥٤- الكامل في اللغة والادب، تحقيق: محمود ابو الفضل ابراهيم، السيد شحاتة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة، د.ت)
- المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)
١٦٤- مروج الذهب و معادن الجوهر ، تحقيق : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، ط١ ، دار العلم (بيروت ، ١٩٨٩)
١٦٥- التنبيه والاشراف ، تحقيق : عبد الله اسماعيل الصادق ، مكتبة المثنى (بغداد ، ١٩٣٨)
- المقدسي ، مظهر بن طاهر (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)
١٦٦- البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى (بغداد ، د.ت)
- المقريزي ، تقي الدين ابي العباس محمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)
١٦٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار والخطط المقريزية ، مكتبة المثنى (بغداد ، ١٩٧١)
- النوبختي ، ابو محمد الحسن بن موسى (ت٣٠٠هـ/٩٢١م)
١٧٥- فرق الشيعة ، تحقيق : مصلموت ريتر (اسطنبول ، ١٩٣١)

- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)
١٧٦- نهاية الارب في معرفة احوال العرب ، المؤسسة المصرية (القاهرة ، د.ت)
- النووي ، ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)
١٧٧- شرح صحيح مسلم ، ط١ ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٢٩)
- مسلم ، ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)
١٧٨- صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث (القاهرة ، د.ت)
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
١٨٢- معجم البلدان ، دار صادر (بيروت ، ١٩٥٧)
- اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)
١٨٣- تاريخ اليعقوبي ، مطبعة الغربي (النجف ، د.ت)
١٨٤- البلدان ، ط٣ ، (النجف ، ١٩٥٧)

ب- المراجع الثانوية :

- ابو نصر ، د.عمر
١- الخوارج في الاسلام ، مكتبة المعارف (بيروت ،١٩٥٦)
- احمد ، د. لبيد ابراهيم واخرون
٢- الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي ، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، ١٩٩٢ .
- اسماعيل ، د. محمود
٣- تاريخ الحضارة الاسلامية ، ط٢ ، مكتبة الفلاح (الكويت ، ١٩٩٠)
٤- الخوارج في المغرب الاسلامي ، دار العودة (بيروت ، ١٩٧٩)
انيس ، ابراهيم واخرون
١٠- المعجم الوسيط ، ط٢ ، دار المعارف (القاهرة ،١٩٧٣)
- بروكلمان ، كارل
١٥- تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه امين فارس ، منير البعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين (بيروت ،١٩٨٤)
- بل ، الفرد
١٦- الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ترجمة :عبد الرحمن البدوي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي ،١٩٠٧)
- الخيرو ، د. رمزية عبد الوهاب
٣٤-ادارة العراق في صدر الاسلام حتى نهاية الدولة الاموية ، دار الحرية للطباعة (بغداد ،١٩٧٨)
- دبوز ، محمد علي
- الدوري ، د. عبد العزيز
٣٩- النظم الاسلامية ،ط١ ، مطبعة نجيب (بغداد ، ١٩٥١)
- الديوه جي ، سعيد
٤٠الراوي ، د. ثابت اسماعيل
٤٢- العراق في العصر الاموي ، ط١ ، مطبعة الارشاد (بغداد ، ١٩٦٥)
٤٣- الزبيدي ، محمد مرتضى
٤٦- تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ، د.ت)
الزركلي ، خير الدين
٤٩- الاعلام ، ط٢ (بيروت ، ١٩٧١)
- السامرائي ، د. خليل واخرون
٥٢- تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي (١٣٠-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) ، (الموصل ، ١٩٨٨)

- السامرائي ، د. عبد الله سلوم
٥٣- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية ، دار واسط للنشر (بلا مكان ، د،ت) .
٦٩- الاسلام والخلافة ، ط١ ، مطبعة دار السلام (بغداد ، ١٩٧٧)
- فروخ ، عمر
٧٤- تاريخ الادب العربي ، ط٢ ، دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٤٣)
- فلهوزن ، يوليس
٧٥- الخوارج والشيعة (احزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الاسلام) ترجمة : عبد الرحمن البدري ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٥٨)
٧٦- تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة : د. يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية (دمشق ، ١٩٥٦)
– فوزي ، د.فاروق عمر
٧٨- التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، ط٢ ، دار اقرأ (بلا مكان ، ١٩٨٥)
القاضي ، د. النعمان
٧٩- الفرق الاسلامية في العصر الاموي ، دار المعارف (مصر ، د.ت)
- ماجد ، د. عبد المنعم
٨٥- التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الامويين) ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة ، د.ت)

ج- الرسائل الجامعية :

- البابطين ، يوسف الشيخ عبد المحسن
١- حركة الخوارج نشأتها واسبابها ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة الكويت (الكويت ١٩٧٧)
- جاسم ، مهند ماهر .
- الحيالي ، ساجدة هاشم احمد
٢- صورة المرأة في الشعر العربي الاموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد ، ١٩٨٨ .
–العاني ، اسراء حسن فاضل
٣–دور المرأة السياسي حتى نهاية العصر الاموي ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية تربية ابن رشد / جامعة بغداد ، ٢٠٠١.

مظاهر الحياة السياسية وآثرها في بغداد في العصر العباسي المتأخر

Manifestations of political life and its impact in Baghdad Late Abbasid period

م.م. صدام عمران وحيد الخفاجي

ديوان محافظة واسط

Abstract .

Baghdad, the capital of the Abbasid Caliphate, witnessed important events during the seventh century AH / twelfth century AD, as the city of Baghdad witnessed two distinct eras, the first: the era before the Mongol invasion, when Baghdad was the capital of the Abbasids. The second state: the era after the invasion that ended the Abbasid state, which lived for more than five centuries, and after the city of Baghdad was the capital of the Abbasid Caliphate and the Arab-Islamic state, it became a secondary city under the rule of the Mongol sultan. Baghdadi community at that time.

الملخص

شهدت بغداد عاصمة الخلافة العباسية أحداثا مهمة، خلال القرن السابع الهجري / الثاني عشر الميلادي، اذ عاصرت مدينة بغداد، حقبتين مميزتين أولهما : حقبة ما قبل الغزو المغولي لها، يوم كانت بغداد عاصمة للدولة العباسية، وثانيها: حقبة ما بعد الغزو، الذي وضع نهاية الدولة العباسية، التي عاشت أكثر من خمسة قرون، وبعد أن كانت مدينة بغداد عاصمة للخلافة العباسية، والدولة العربية الإسلامية، أصبحت مدينة ثانوية تابعة، لحكم السلطان المغولي، ان من المهم دراسة مظاهر السياسة الداخلية التي أنتهجها خلفاء العصر العباسي الأخير، ومدى تأثيرها على حياة المجتمع البغدادي في ذلك العصر.

كلمات مفتاحية: (الاوضاع السياسية، المجتمع البغدادي، الصراع الاجتماعي بغداد، العصر العباسي)

المحور الاول : أثر الحياة السياسية على المجتمع البغدادي خلال العصر العباسي المتأخر

تعد الحياة السياسية من أبرز المظاهر التي تؤثر في حياة المجتمعات إذ أن لاستقرار الأوضاع السياسية يسهم بانصراف الدولة إلى الإصلاحات الاجتماعية، والاهتمام بالمرافق العامة، وتحقيق رفاهية الشعب الاجتماعية، كما يؤدي الصراع السياسي إلى صراع اجتماعي يفتت وحدة المجتمع، و يبعثر جهود أبناء المجتمع الواحد .

شهد المجتمع البغدادي خلال العصر العباسي الأخير، أحداثا لها غاية في الأهمية، تركت بصمتها على الحياة الاجتماعية، و تميز هذا العصر بنهاية حكم السلاجقة الذي دام قرناً ونصف القرن، (٤٤٧ – ٥٩٠هـ / ١٠٥٥ – ١١٩٣م)، اذ أصبح الخليفة العباسي ممتلكا لزمام الحكم، وموجها لسياسة الدولة، مما دفع من بغداد عاصمة الخلافة العباسية أن تنهض من كبوتها، وتبدأ عصرا جديدا، اذ وصل إلى سدة الحكم خلفاء أقوياء متمكنين، تميزوا بالكفاءة في إدارة الدولة العباسية أمثال الناصر لدين الله(٥٧٥–٦٢٢هـ/١١٧٩ــ ١٢٢٥م)، والظاهر بأمر الله(٦٢٢–٦٢٣هـ/١٢٢٥–١٢٢٦م)، والمستنصر بالله(٦٢٣–٦٤٠هـ/١٢٢٦– ١٢٤٢م)، والمستعصم بالله(٦٤٠–٦٥٦هـ/١٢٤٢– ١٢٥٨م)، اذ شهد عصره نهاية الخلافة العباسية على يد المغول الايلخانين.

امتدت خلافة الخليفة الناصر لدين الله سبعاً وأربعين سنة، تعد أطول حقبة حكمها خليفة عباسي، ووقعت في عهده عدة أحداث من بينها : نهاية النفوذ السلجوقي في العراق سنة (٥٩٠هـ)، و تعد حقبة خلافته عصر نهضة الخلافة العباسية، وازدهار العلوم، والمعارف في مجالاتها المتعددة، وجوانبها المختلفة، ذلك لاهتمام الخليفة بشؤون دولته، إذ تـ سلم الخلافة في ذي القعدة من سنة(٥٧٥هـ/١١٧٩م)، بعهد من والده المستضيء (٥٦٦ – ٥٧٥هـ) (١)، فبعد تسلمه الخلافة، ضرب على أيدي المتسلطين، وعمر البلاد، فقد كان " شهما شجاعا أبي النفس، حازما متيقظا ذا فكرة صائبة وعقل رصين ودهاء ومكر وكانت هيبته عظيمة(٢)، فبدأ بإبعاد من لهم نفوذ في الدولة، وإدارة أمورها، فقبض على مدبر دولته ظهير الدين بن العطار ، بعد أيام قلائل من خلافته(٣)، كما وصف بأنه: " **من أفاضل الخلفاء وأعيانهم بصيرا بالأمور، مجربا، سائسا، مهيبا، مقداما .. متوقد الذكاء والفطنة ... يفاوض العلماء مفاوضة خبير ويمارس الأمور السلطانية ممارسة بصير** (٤) **فكان كل واحد من أرباب المناصب والرعايا يهابه ويخافه ويحاذره** "(٥).

اعتمد الخليفة الناصر لدين الله في تثبيت سلطته على أصحاب الأخبار، اذ كانوا يوافونه بكل صغيرة وكبيرة، في داخل الدولة وأطرافها (٦)،فقد اهتم الخليفة بهذه المؤسسة اهتماماً، بالغاً إلى جانب مؤسسات الدولة الأخرى، نتيجة لما مرت به الـ خلافة العباسية من اضطراب ؛ بسبب التسلط الأجنبي، اذ أراد بذلك، إعادة هيبة الخلافة ، فبعد أن أصبح زمام الأمور بيده عمل جاهدا لأجل القضاء على نفوذ سلاطين السلاجقة، ومحو أثرهم في العراق (٧)، فقد قام بعدة إجراءات عسكرية، من اجل القضاء على أخر سلاطين السلاجقة "(طغرل الثالث)"*. التي انتهت بهزيمته وقتله (٨)، وبذلك انقرضت دولة آل سلجوق، وحل محلها الخوارزميون، الذين لا يقلون خطرا على الخلافة من أسلافهم السلاجقة(٩)، كما استطاع أن يعيد عدداً من الأقاليم إلى نفوذ الدولة العربية، كون حكام تلك الأقاليم قد استقلوا بأقاليمهم؛ مما أدى إلى تقلص نفوذ الخلافة، فاخذ الخليفة يعمل على توسيع رقعة دولة الخلافة، ففي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م استغل الخلاف الذي نشب ما بين اتابك الموصل عز الدين مسعود وقائد جيشه مجاهد الدين قايماز، فارسل الخليفة جيشا احتل داقوقا (١٠)*، كما استرد سنة ٥٨٥هـ /١١٨٩م تكريت(١١).

واستطاع وزير الخليفة مؤيد الدين بن القصاب الذي كان يتمتع بكفاءة عسكرية فضلا عن قابليته الإدارية والمالية ان يسترد الاحواز واصفهان، وحاصر الري(١٢) *وبذلك أصبحت حدود العراق تمتد من: أطراف الموصل شمالا حتى عبادان جنوبا، ومن القادسية غربا حتى حلوان شرقا (١٣).

واهتم الخليفة الناصر لدين الله ببناء دولته ثقافيا، واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا، فقد استطاع القضاء على الطائفية التي زرعها، البويهيون والسلاجقة في المجتمع العربي (١٤)، فيذكر انه انشأ جهاز استخبارات، نشطاً يزوده بالأخبار سواءا، ما كان يحصل في الداخل أم في الخارج (١٥)، إذ كانت تصله الأخبار أولا بأول، بكل ما يحصل في دولته، وأحوال الملوك الظاهرة والباطنة (١٦)، فضلا عن هذا كان يقوم بنفسه بجولات داخل بغداد، بصورة سرية، ليراقب عن كثب أحوال الناس (١٧)، اذ اعتقد البعض ان له كشفا، واطلاعا على الغيب، ولهذا وصفه المؤرخون بالدهاء والحنكة (١٨).

اهتم الخليفة الناصر بنظام الفتوة : تعبئة الشعب لمجابهة الظروف، الخطيرة التي كانت تتعرض لها أراضي الخلافة ما بين الحين و الحين الآخر لأجل بناء قاعدة شعبية قوية متمكنة وقادرة على حفظ الأمن والأمان في الدولة وزج أبناء الجماهير في أمور ذوات فائدة للمجتمع بدلاً من جلب المتاعب والاهمال للدولة والمجتمع، كالفتن المذهبية والصراع الطبقي بين أبناء المجتمع الواحد، وتمكن الخليفة الناصر لدين الله خلال مدة خلافته ان يمسك بزمام الامور، ويحافظ على استقلال الخلافة سواء بجهده الشخصي ام بلجوئه الى السياسة في التعامل مع اعدائه، اذ كان يعمد الى تحريض بعضهم على بعض حتى قيل انه "**(يوقع العداوة بين ملوك متحابين وهم لا يعلمون ويوقع الصداقة بين ملوك متحاربين وهم لايعلمون)**"(١٩)، كانت وفاته ببغداد اخر ليلة من شهر رمضان سنة (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م)، تسلم مقاليد الحكم الخليفة الظاهر بأمر الله (٦٢٢- ٦٢٣هـ / ١٢٢٥ – ١١٢٦م)، تولى الخلافة بعهد من ابيه (٢٠)، وبويع في رمضان سنة (٦٢٢ هـ)(٢١)، وعمره اثنان وخمسون عاماً (٢٢)، ولم يدم حكمه سوى تسعة اشهر وايام (٢٣)، وبالرغم من عدل الخليفة الظاهر بامرالله، وحسن سيرته، الا انه لم يكن مؤهلا لتولي منصب الخلافة في ذلك الوقت العصيب، فقد كانت الاخطار تحدق بالخلافة من كل حدب، وصوب، وذلك لضعف الظاهر (٢٤)، فلم نره يقوم باي دور سياسي بارز، وقد رضي بالطاعة الاسمية للخلافة، العباسية من الخوارزميين (٢٥)، توفي الخليفة الظاهر بأمر الله في شهر رجب سنة (٦٢٣ هـ) (٢٦)، فلم تدم خلافته كثيرا، بل كان عصره قصيرا ، وبعد ذلك تولى الخلافة ولده المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن محمد، (٦٢٣-٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ – ١٢٤٢م) (٢٧)، وسلك في السياسة سيرة أبيه (٢٨)، فكان متواضعا، ولرجاحة عقله في صغره كان جده الناصر لدين الله يسميه **بالقاضي**(٢٩)، وعرف المستنصر بالله حبه للعلم ، ولعل إنشاءه **المدرسة المستنصرية**، ذلك الصرح الحضاري الذي تناقله كتابات المؤرخين، ما هو ألا دليل على حرصه للعلم والمعرفة، شهد عصر الخليفة المستنصر بالله، أحداثا سياسية بارزة منها ، أعادة سيطرته لمدينة اربل سنة (٦٣٠ هـ)، فقد سير الخليفة جيشا استولى عليها(٣٠)، واعاد مدينة عانة إلى أملاك الخلافة العباسية سنة (٦٣٧هـ) (٣١)، كما استطاع أن يحسن علاقته بالخوارزميين، اذ عادت الخطبة للخليفة في ديارهم ، ولكنه لم يستطع من تحقيق التعاون بين الخوارزميين والايوبين، لاجل التصدي للمغول (٣٢)، وإيقاف زحفهم اتجاه الشرق (٣٣)، و لم يفلح في توجيه الزعامات الإسلامية، لمواجهة الخطر الداهم على بلاد الإسلام، عموما وأراضي الخلافة بشكل خاص، مثل حملات المغول على داقوقا، واربل، اذ تعرضت هذه المدن لهجماتهم على مدار عدة سنوات (٣٤)، وفي يوم الجمعة عاشر جمادي الأخره (٣٥)، سنة(٦٤٠هـ)، توفي الخليفة المستنصر بالله (٣٥)، وكانت مدة خلافته ست عشرة سنة، وعشرة أشهر وعشرين يوما(٣٦)، وقد خلف من بعده أرثا ثقيلا، اذ الأخطار تحدق به من كل جانب (٣٧)، وسيطر المماليك على أمور الدولة، وغدوا المتنفذين الفاعلين، ويبدو انه كان يريد ان يمهد الطريق لأخيه الخفاجي ليحل محله إلا انه لم ينجح في تحقيق ذلك، و تولي ولده عبد الله الملقب بـ(المستعصم بالله)، (٦٤٠-٦٥٦هـ ١٢٤٢ – ١٢٥٨ م) " **لما يعلمون من لينه، وانقياده ليكون الأمر إليهم، فتقلدها واستبدوا بالتدبير**"(٣٨)، وقد عارضت الأسرة العباسية هذا الاختيار، لكن الحاشية المتآمرة، أكرهتهم على البيعة بالتهديد، والخديعة (٣٩)، من اجل أبعاد أخي المستنصر الذي عرف بشجاعته، وأقدامه اذ كان يقول : "**أن**

مكنني الله الأمر لاعبرن نهر جيحون وانتزع البلاد من التتار"(٤٠)، وهكذا تولى المستعصم بالله في أصعب ظروف تمر بها الدولة، وهذه الصفات التي ميزت بها شخصية الخليفة المستعصم بالله لم تؤهله ليكون رجل سياسة، وحرب في ظروف، حرجة تحتاج إلى شخصية قوية، توحد العالم الإسلامي، للوقوف بوجه الزحف المغولي لعاصمة الخلافة بغداد ، فكانت طبيعته تناسب حكم دولة، تعيش في ظروف هادئة، ففضلا عن الزحف المغولي، كانت الدولة تعاني من انحلالا سياسيا واجتماعيا، واقتصاديا وهذه الأزمات لم تكن تتناسب مع قابليته وشخصيته، التي عرفت بالتهاون والتغاضي، عن معالجة الأمور التي كانت تعصف بالبلاد (٤١)، هذا فضلا عما وصف به الخليفة "من البخل والرغبة في جمع المال وتردده في الأنفاق على جيشه مما أدى إلى تفرق جنده وهجرهم البلاد(٤٢)، في الوقت الذي كانت فيه الخلافة تحتاج إلى قوة عسكرية تقف بوجه التيار المغولي"، فكان عندما يسمع بزحف المغول يقول:" **أن بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد**". **ولا أيضا يهجمون علي وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي**" (٤٣)، أن إهمال الناحية العسكرية وما يترتب عليها من نتائج سيئة، لا يتحمل مسؤولياتها الخليفة وحده بل يشاركه رجال دولته، من الوزراء والحجاب، وأمراء الجيش والحاشية ، فقد كان الخليفة محاطا بعدد من المقربين والمستشارين الذي أطلق عليهم ابن الطقطقي"**(الجهال وأراذل العوام)**"(٤٤)،وهكذا أصبحت بغداد ضحية للصراع بين أفراد السلطة الحاكمة كل يفكر في أمر نفسه ، متناسيا واجباته تجاه المسلمين في هذه الظروف التي تمر بها الدولة العربية الإسلامية هذا إلى جانب تردي الأوضاع الداخلية، وكثرة الاضطرابات والفتن، بين محال بغداد والتي تغذيها، نار الفتنة الطائفية ورغم ذلك فقد كانت الظروف السياسية التي واجهتها الدولة العباسية سواء ما يتعلق بالخطر المغولي أم الفوضى الداخلية المتردية ترمي بظلالها على البلاد مما أدى إلى أن تنهي حياة هذا الخليفة على يد المغول اذ قتله هولاكو في صفر سنه (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) عندما اجتاح بغداد (٤٥)، ووضع هذا الحدث نهاية للخلافة العباسية التي استمرت أكثر من خمسة قرون.

المحور الثاني : اثر الاوضاع السياسية على المجتمع البغدادي بعد العصر العباسي المتأخر

يرى البعض إن مسؤولية احتلال او سقوط بغداد سنة(٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، تقع على عاتق خلفاء العصر العباسي المتاخر، وهم: الناصر لدين الله، والظاهر بأمر الله والمستنصر بالله والمستعصم بالله، وقد يكون هذا الرأي صحيحاً بعض الشيء، إلا انه لا يجب أن نضع اللوم كله على الخلفاء فقط، بل هنالك عوامل أدت بدورها في نهاية للخلافة العباسية، فلو اتجهنا إلى الأقاليم الشرقية، المحيطة بأراضي الخلافة العباسية، ونقصد منها الدولة الخوارزمية، التي هي بمثابة الحصن المنيع، الذي يدفع عن الخلافة العباسية الأخطار القادمة من الشرق، لم يلبث حاكمها علاء الدين بن تكش(٥٩٦-٦١٧هـ)، من أن يطمع بالاستيلاء على بغداد، ومحاولاته لانتزاع السلطة من الخليفة، اذ بحد تصوره يرى ان له الحق في أن يرث عرش البويهيين، والسلاجقة الذين كانوا قبله، وهذا ما جعل الخليفة الناصر لدين الله ينصرف لمحاربته، وصد زحفه نحو بغداد، في حين كان من الأولى لهما من أن يتوحد الجانبان لصد الزحف المغولي، القادم نحو أقاليم الدولة العربية الإسلامية، واستمر العداء بين الجانبين، حتى بعد اعتلاء جلال الدين منكوبرتي بن علاء الدين محمد (٦١٧-٦٢٨هـ)عرش الدولة الخوارزمية، أما الأقاليم الشمالية

والغربية، المحيطة بأراضي الخلافة العباسية التي كانت تضم الجزيرة وبلاد الشام، فرغم إنهم يلبون نداء الخلافة العباسية، عندما تطلب منهم الإمدادات العسكرية، لتقف متحدة مع جيش الخليفة لصد هجمات المغول، إلا إن مثل هذه الإمدادات كانت قليلة، لا تتناسب وخطورة الموقف، الذي كان يحدق بالخلافة العباسية وبالدولة العربية الإسلامية، ويمكن اعتبارها امدادات رمزية، كما إن اغلبها وصلت متأخرة، ويمكن تعليل ذلك هو خوف حكام الأطراف من على مناصبهم، و من منافسيهم ومن الأقاليم المجاورة لهم، هذا اضافة الى تهديد الحملات الصليبية لتلك الأقاليم، ولذلك كانت مساعداتهم للخلافة العباسية لا تناسب وحجم الكارثة التي تتعرض لها الدولة العربية الإسلامية.

ومهما تعددت الأسباب والعوامل التي أدت إلى إنهاء الخلافة العباسية، فأن الغزو المغولي لبغداد كان جزءا من حركة واسعة، تستهدف إقامة إمبراطورية مغولية واسعة، نجحت أيام مؤسسها جنكيز خان، باحتلال إمبراطورية الصين الشمالية، وأواسط آسيا وإيران، وجورجيا وروسيا، وبولندة وأجزاء أخرى من أوربا الشرقية (٤٦)، واستمرت حملات الغزاة هذه حتى الى ما بعد وفاة جنكيز خان سنة(٦٢٤هـ)، وتنصيب ابنه أوغوتاي أو (أوكتاي) خلفا له، حيث أرسل بجيوشه، للقضاء على الدولة الخوارزمية سنة (٦٢٨هـ)، فأصبح الطريق مفتوحا أمام الغزاة، للتوجه نحو بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وهذا ما تم فعلا، من على يد قائد المغول هولاكو الذي استباح بغداد سنة (٦٥٦هـ)وقتل الخليفة وغالبية أهل بيته، هذا فضلا عن قتلهم النساء والأطفال والشيوخ من دون تمييز بين طوائف المجتمع، كما أشاعوا الفوضى في البلاد، من قتل ونهب، واسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب(٤٧)، ولم يتبق من أهل البلد، ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل، ماعدا النصارى فقد عين لهم أشخاص، يحرسون بيوتهم، والتجأ إليهم خلق كثير من المسلمين ـ فسلموا عندهم، وكان ببغداد جماعة من التجار ممن كانوا يعرفون أمراء المغول، وحصلوا منهم على أوامر بعدم التعرض لهم، وعين لهم من يحرس بيوتهم والتجأ إليهم جماعة من جيرانهم فسلموا، وكذلك دار الوزير ابن العلقمي ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني، وقد سلم فيها خلق كثير وألقيت النار في معظم البلد، ومنها جامع الخليفة ومشهد موسى الكاظم (عليهم السلام) ومراقد الخلفاء وكان القتلى في الأسواق والدروب كالتلال، وقعت عليهم الأمطار وداستهم الخيول، فتغيرت صورهم (٤٨)، وقد اختلف المؤرخون في اعداد من قتل في واقعة بغداد، فذكر أن عدد القتلى قد زادوا عن ثمانمائة ألف نفس، عدا ما القي في الوحـ ل من الأطفال، ومن هلك في القنى، والآبار وسراديب الموتى، جوعا وخوفا (٤٩)، وهناك من قدر ان اعداد الموتى قد بلغ ألف ألف، وثمانمائة ألف وزيادة (٥٠)، وأشار ابن كثير" **إلى اختلاف الروايات في تقدير من قتل في الواقعة حتى قال البعض إنهم بلغوا ثمانمائة ألف، وذكر آخرون ألف ألف وثمانمائة، وقال غيرهم ألف ألف نسمة**(٥١)، **ومهما تعددت الروايات حول عدد القتلى** (٥٢) "، فالنتيجة هي واحدة هو ان أي غزو لمدينة ما سيخلف وراءه عدداً من الضحايا، والخراب والدمار، هذا إذا علمنا إن الغزاة المغول هم بالأصل أقوام وثانية تعيش على هجماتها المتكررة، لاستباحة المدن ونهب خيراتها (٥٣)، وهذا ما حل ببغداد، فقد خلت المدينة من السكان و الساكنين إلا القليل منهم، وأصابها من الخراب الشيء، الكثير (٥٤)، قد وصفها ابن الكازروني بقوله " **وافيتها بلدة خالية وأمة جالية، ودمنة حائلة، ومحنة جاثمة وقصورا خاوية، وعراصا باكية، قد رحل عنها سكانها،**

وبان عنها قطانها وتمزقوا في البلاد، ونزلوا بكل واد، وقصورها المشيدة مهدومة ونعماؤها مسلوبة معدومة، موحشة لفقد قطانها، باكية بلسان الحل على سكانها "(٥٥)، هذا ومهما ذكرت المصادر عن مدى الخراب الذي نال بها المدينة من أثر الغزو المغولي لها فأن احتلال بغداد، وزوال الخلافة العباسية لم يكن حدثا، اعتيادياً لكي يمر من دون تأثير على المجتمع البغدادي، والمجتمع الإسلامي عامة، فقد رثى الشعراء نكبة بغداد، وسقوط الخلافة العباسية، ومنهم الشاعر شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ:

يا دارُ اين الساكنون ؟ واين ذ ياكَ البهاءُ وذلك الاعظامُ !؟
يا دارُ اين زمانُ ربعكِ مونقاً وشعارُكِ الاجلالُ والاكرامُ !؟
يا دارُ مذ أفلت نجومُك عّمنا والله من بعدِ الضياء ظلامُ
فلبعدهم قَرُبَ الردى ولفقدهم فُقدَ الهدى وتزلزلَ الاسلامُ
فمتى قبلتِ من الاعادي ساكنا بعد الاحبّةِ لاسقاك غمامُ (٥٦)

ولم يكن تأثير هذه النكبة مقتصراً على سكان المدينة وإنما أثرت على مكانة بغداد الدينية والسياسية، ففضلا عن إنها كانت مركزا رئيسياً لقاعدة الخلافة الإسلامية التي تمثل السلطان الروحي الذي يجمع ولاء المسلمين ويشد بعضهم إلى بعض، فهي كانت في الوقت نفسه مركزا للنشاط السياسي للعالم الإسلامي فمنها تصدر التقاليد والتشريفات التي كانت تضفي الشرعية على حكم أمراء المسلمين واليها يلجأ هؤلاء الأمراء عند تعرضهم لاعتداءات الخارجية لكي تأخذ بأيديهم وترد عنهم بما ترسله من رسل وأوامر، وفضلا عن إنها مجمع العلماء والأدباء المفكرين ومقصد لطلاب العلم ومنبع للتراث الإنساني، فبسقوطها فقدت بغداد زعامتها للعالم الإسلامي، وتحولت إلى مدينة ثانوية تابعة لحكم المغول الغزاة مرغمين سكانها على تقديم الولاء للحاكم الوثني بدلا من إمام المسلمين ورغم ذلك فان الشعور الديني لم يضعف لدى الناس، فقد اشتد عندهم للدفاع على الأقل عن وجوده، وخير دليل على ذلك هو اعتناق بعض الغزاة المغول للدين الإسلامي بعد أقل من ثلاثين سنة من سقوط الخلافة العباسية (٥٧).

هذا ولم تقتصر خسارة بغداد لفقدها مكانتها كقاعدة للخلافة الإسلامية وإنما طال ذلك أيضا نتاجها العلمي والفكري، فقد شهدت المدينة ضياع العديد من الكتب القيمة وتلفها، على اثر الحرق والتدمير الذي رافق عملية غزو المغول، فمن جراء ذلك فقد الكثير من المؤلفات العلمية التي نقرأ عن أسمائها ولا نجدها (٥٨).

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى هذه الخسارة رغم المبالغة في وصفها بالقول " إن المغول بنوا إسطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن وذكر مصدر آخر إن أمواج دجلة ابتلعت الكثير من الكتب حتى قيل أن لون مائه قد تغير (٥٩)، والقليل الذي حفظ بعد الواقعة، هو ما بيع لأهل الحلة والكوفة والمسيب الذين كانوا يجلبون الأطعمة إلى بغداد ويبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة بابخس الأثمان (٦٠)، وأورد البعض عما أصاب الكتب من ضياع بقوله " **بأنها ذهبت فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها**" (٦١).

وتشير بعض المصادر إلى نقل كتب مهمة من بغداد إلى مراغة، حيث ذكر" **إن نصير الدين الطوسي**(٦٢)، **الذي رافق هولاكو عند غزوه بغداد كان قد أسس مرصدا بمراغة فيه خزانة كتب مهمة،**

ملأها من كتب بغداد وغيرها من المدن"، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد"(٦٣) وقد ذكر ابن كثير ذلك، أيضا بقوله :" **نقل إليه – أي الرصد – شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد**"(٦٤)، ويذكر ابن ألفوطي الذي كان قد أسر من قبل المغول (٦٥)، إن عدد من قتل من رجال العلم في هذه الواقعة لا يتجاوز أربعة عشر شهيد(٦٦)، ومهما كانت المبالغة والاقتضاب في المصادر حول من قتل في واقعة بغداد فيكفي أنها أشارت إلى مقتل الخليفة وأهل بيته، وأوردت أرقاما قد تكون مبالغاً فيها، إلا إنها لا تعفي المغول من مسؤولية قتلهم للعلماء والفقهاء، أو حتى تشريدهم في البلاد، فقد فر البعض منهم بدينه، وعلمه إلى بلاد الشام والقاهرة بحثا عن الاستقرار، وقد يكون قد نقل معه ما شاهده، من مأساة على يد الغزاة المغول (٦٧)، لهذا نرى إن بعض مؤرخينا من هم في بلاد الشام ومصر قد أكدوا مقتل العلماء والفقهاء، والمجازر التي أحدثها الغزاة ببغداد (٦٨)، هذا ويجب أن لا ننسى انه قد يكون بعض العلماء والفقهاء قد طلبوا الأمان من هولاكو عند دخوله بغداد، وقد أمنوا على أنفسهم، ولم يصابوا بمكروه، بل على العكس فقد أسندت لهم مناصب مهمة، بعد الغزو المغولي، هذا فضلا عن استمرارهم بنشاطهم العلمي(٦٩)، وقد أمر هولاكو بعد انتهاء عمليات الاستباحة بإصلاح ما خرب من المدينة، وترميم الأسواق وإعادة أعمال أهلها إلى ما كانت عليه، ورفع القتلى من الناس والحيوانات(٧٠)، وهكذا اجبر أهل بغداد وغيرهم من المسلمين الذين استولى المغول على بلادهم من الرضوخ للسلطان الجديد، وبدء عهد مهم في تاريخ المدينة، فالناس أرغموا على تقديم الولاء للحاكم الجديد بدلا من إمام المسلمين، على إن الحكام الجدد كانوا لا يتعصبون لمذهب معين، ولا يتقربون لطائفة معينة، أو دين خاص، **فمنهم** " **من دان باليهودية ومنهم من دان بالنصرانية، ومنهم من اطرح الجميع، ومنهم من تقرب بالأصنام**" (٧١)، وكان اهتمام هؤلاء الحكام ينصب على إخضاع الناس لسلطانهم، وتأمين جباية الأموال دون التعرض للمسائل الأخرى، واقصد بها العادات والتقاليد، والشعائر الدينية التي يمارسها الناس، وقبل أن يغادر هولاكو المدينة سنة (٦٥٦هـ)، وضع الأساس الإداري لها، بعدها غادر هولاكو بغداد نحو مراغة، واتخذها عاصمة له (٧٢)، وأصبحت بغداد تابعة لها، وعرف النظام الذي حل محل الخلافة العباسية في بغداد (بالايلخاني)، نسبة إلى اللقب الذي اتخذه هولاكو (٧٣).

الهوامش

١) العماد: الكاتب الاصفهاني، عماد الدين بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي البنداري الاصفهاني،مطبعة دار الافاق الجديد، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٧٧ ؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، جـ ٩، ص١٤٨ .

٢) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة القاهرة، ١٩٥٣م، جـ٣، ص٢٢٨.

٣) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، جـ ١٢، ص٣٠٢ .

٤) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، د.ت، ص ٣٢٢.

٥) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ)، دول الإسلام، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد الركن، ط ٢، ١٣٦٥هـ، جـ ٢، ص ٦٥، ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ) نكت الهيمان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، مصر، ١٩١١م، ص٩٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٣، ص١٠٦ .

٦) ابن جبير، محمد بن احمد الكناني (ت٦١٤هـ)، الرحلة، دار صادر بيروت، ١٩٦٤م، ص ٢٠٣.

٧) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد (ت ٦٩٧هـ)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠م، ص٢٤٥ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص ٣٢٢ ؛ الغساني، الملك الاشرف إسماعيل بن عباس (ت٨٠٣هـ)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في تاريخ الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، ١٩٧٥م، جـ ٢، ص٢٠٢.

٨) *يتضح موقف الخليفة الناصر وإصراره علي التصدي للسلاجقة ؛ الذهبي، دول الإسلام، جـ ٢، ص ٦٨، ابن خلدون، العبر، جـ ٥، ص ٩٩.

٩) الروانـدي، محمد بن علي (ت ٦٠٣هـ) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، مطابع دار العلم، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٥١٣ ؛ الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي (ت في القرن السابع الهجري)، أخبار الدولة السلجوقية، باعتناء محمد إقبال، لاهور، جامعة البنجاب، ١٩٣٣م، ص١٧٨.

١٠) ألجميلي، رشيد عبد الله، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٨م، ص٧٤.

a. داقوقا او دقوقاء او داقوقي : مدينة بين أربل وبغداد، معروفة لها ذكر في الأخبار والفتوح ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، جـ ٢، ص ٣٠٣.

١١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٩، ص١٦٣ .

١٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٩، ص٢٠٥ ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، جـ ٩، ص يو ؛ فهد، بدري محمد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م، ص٦

١٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٩، ص ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص٣٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٣، ص١١ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، جـ ٢، ص٥٨ ؛ ألجميلي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص٧٤.

١٤) فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ص ٧.

١٥) أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٥، ص١٧١، ١٧٢، ١٧٣ .

١٦) ابن الطقطقي، الفخري، ص٣٢٢ ؛سلمان، عيسى، تحرير العراق من التسلط الأجنبي وانتعاش الخلافة، بحث منشور في كتاب العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣م، ص٤٦٠.

١٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٧٨ ؛الصفدي، نكت الهيمان، ص٩٤.

١٨) ابن الطقطقي، الفخري، ص٣٢٢ ؛سلمان، تحرير العراق، ص٤٦٠.

١٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٧٩.

٢٠) ابن الطقطقي، الفخري، ص٣٢٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٢.

٢١) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص٧٨، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٠، ٣٤١

٢٢) ابن الاثر، الكامل في التاريخ، حـ٩، ص٣٦١، سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، حـ٨، ق٢، ص٦٣٦

٢٣) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٥٤، الغساني، العسجد المسبوك، حـ٢، ص٤١٢

٢٤) ابن الراهب، ابي شاكر بطرس بن ابي كرم بن المهذب القبطي(ت٦٨١هـ)، تاريخ ابن الراهب، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٣م، ص٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٣، ص١٠٧

٢٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، حـ٩، ص٣٦٨، سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، حـ٨، ق٢، ص٦٤٣

٢٦) ال ياسين، الحياة الفكرية في العراق، ص٦٥

٢٧) القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير، ص١٠٢، فوزي، فاروق عمر، تاريخ العراق في عصر الخلافة العربية الاسلامية (٦٥٦.١هـ) مطبعة الدار العربية، بغداد ١٩٨٨، ص٣٤١.

٢٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٩، ص ٣٦٨ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٤٠ .

٢٩) Muir , Sir William : The Caliphate . Its Rise , Decline and fall , Beirut1963.*P*593

٣٠) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٩ ، ص٣٦٩ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق١ ، ص٦٤٣ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص٢٥٨ ؛ الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص٢٨٥ .

٣١) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، جـ٣، ص١٣٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣، ص١١٣.

٣٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، جـ٤ ، ق٣ ، ص٥٥١ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، ص١٤٦ ؛ الكتبي ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤ هـ) ، فوات الوفيات ، تحقيق أحسان عباس، بيروت ، ١٩٧٣ ، جـ٤، ص١٧٠ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٤٩.

٣٣) Muir , Sir William : The Caliphate . Its Rise , Decline and fall ,P 593

٣٤) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق٢ ، ص٦٨٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٤٥ .

٣٥) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق٢ ، ص٧٢٩ .

٣٦) المغول: عرف المغول بأسماء مختلفة منها المغل والتتر وهي مسميات متعددة لشعب واحد يتكون من قبائل متعددة ويعتبرون جميعا من الترك ، وموطنهم الأصلي في هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي الممتدة في أواسط جنوبي سيبريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان ، بين جبال التاي غربا وجبال خنجان شرقا ، وقد مارس المغول الرعي والصيد فكانوا يتنقلون في أرجاء هضبة منغوليا سعيا وراء مواطن المياه والكلأ حيث تتوفر الظروف المناسبة للرعي ، وفي الصيف يستقرون في المرتفعات وأعالي الجبال مدة شهرين أو أكثر حسب البرودة والمياه ، والواقع أن تأريخهم السياسي بدأ مع ظهور جنكيزخان الذي نجح في استقطاب جموع المغول وربطهم بتنظيمات سياسية قدر لها الاستمرار بفضل مهارتها وحسن قيادته حتى بعد وفاته . ينظر: شلبي ، احمد . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٢م ، جـ٧ ، ص٥٥٦

٣٧) القزاز ، الحياة السياسية في العراق ، ص١٠٣ .

٣٨) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق٢ ، ص٦٩٩ ؛ الحوادث الجامعة، ص١٢٧، ١٣٧.

٣٩) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص٢٥٩ ؛ أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٣٧ ؛ الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٧ ، ص٢٨١ .

٤٠) الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، ص١١٠ ؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٥٠٦ ؛ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ،جـ٦ ، ص٣٤٥ ؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣١١

٤١) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص٢٨٨ .

٤٢) خصباك ، تاريخ العراق في عهد المغول ، ص١٦

٤٣) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، جـ٣ ، ص١٩٤ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٥٢ .

٤٤) الاربلي ، خلاصة الذهب، ص٢٩٠؛ الغساني ، العسجد المسبوك .جـ٢ ، ص٥١٠ .

٤٥) الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، ص١١٠ .

٤٦) خصباك ، تأريخ العراق في عهد المغول ، ص٦ .

٤٧) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص٢٧٠ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، مـج١، ق١ ، ص٨٧ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٥٣ .

٤٨) ابن العبري ، تأريخ مختصر الدول ، ص٢٥٥ .

٤٩) الحوادث الجامعة ، ص٣٥٧ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، مـج١، ق١ ، ص٨٥ ؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق٢ ، ص٤٠٩.

٥٠) خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانين، ص١.

٥١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١ ؛ الحوادث الجامعة، ص٣٥٩ ؛ الصالح، عباس علوان، نصير الدين الطوسي واستيلاء المغول على بغداد، مجلة الرسالة، العدد ٤٦، السنة الثانية، ١٩٣٤م، ص٧٥٨.

٥٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٢ ؛ الحوادث الجامعة، ص ٣٦٠ ؛ الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة قسم الكاظمين، ص ٣٣

٥٣) يرى الأستاذ الدكتور جعفر خصباك " إن هذه الأرقام مبالغ فيها عن عدد من قتل في هذه الواقعة حيث ذكر أن أسوار بغداد كانت تضم الرقعة المحصورة بين باب المعظم الحالي والباب الشرقي من جهة اخرى، (العراق في عهد المغول الايلخانين، ص ٥٦).

٥٤) القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧٠، ص٢، ١٩– ٢٨.

٥٥) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، جـ ١، ص١٦٣ ؛ لسترنج، غي، بغداد في عهد الخلافة العباسية ترجمة بشير يوسف فرنسيس، بغداد ١٩٣٦م، ص٢٩٤ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص ١٠٦

٥٦) مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد، بغداد، ١٩٦٢م، ص ١٥

٥٧) تُنظر القصيدة كاملة عند: الكتبي، فوات الوفيات، جـ ١، ص ٤٩٧، ٤٩٨ ؛ العبود، عبد الكريم توفيق، الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد، ١٩٧٦، ص ١٨٠.

٥٨) ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وعبد المجيد، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٠ ؛ بدر، مصطفى طه، مغول إيران بين المسيحية والإسلام، القاهرة، د.ت، ص ١٢ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص ١١٠.

٥٩) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ص ٢٩٠، ٢٩٤ ؛ ابن حجر، احمد بن علي بن محمد(ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق سالم الكرنكوي، حيدر أباد الدكن، ١٣٤٨هـ، جـ ٣، ص ١١٩، ١٢٩

٦٠) الحوادث الجامعة، ص ٣٦١ ؛ آل ياسين، الحياة الفكرية في العراق، ص ٩٨، ٩٩.

٦١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرحه علق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، جـ ١، ص ٥٣٧.

٦٢) نصير الدين الطوسي : هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ولد بطوس سنة ٥٩٧هـ، وتوفي ببغداد في ١٨ ذي الحجة سنة ٦٧٢هـ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر – عليه السلام – من رجال الفكر الإسلامي في الفلسفة والرياضيات، والفلك والسياسة والأدب، السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، جـ ٧، ص ٢٤٣، ٢٤٥.

٦٣) الكتبي، فوات الوفيات، جـ ٢، ص ٣٠٧، ٢٠٨ ؛ آل ياسين، الحياة الفكرية في العراق، ص ١٠٣، السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، جـ ٧، ص ٢٤٥.

٦٤) البداية والنهاية في التاريخ، جـ ١٣، ص ٢١٥، ٢٦٨.

٦٥) ينظر حول هذا الموضوع مقدمة لـ مصطفى جواد في كتاب (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب)، جـ ٤، ق ١، ص ١٦.

٦٦) ينظر كتاب د. آل ياسين، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، حيث أورد إحصائية بأسماء الأربعة عشر من رجال العلم الذين استشهدوا في تلك الواقعة، هذا فضلا عن ذكره للمصادر التي عالجت هذا الموضوع راجع الصفحات ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ .

٦٧) القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص ١٣٣ .

٦٨) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ ١، ق ١، ص ٨٨، ٨٩ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ ٣، ص ١٩٤ .

٦٩) حيث جاء في الحوادث الجامعة، ص ٣٦٢ إن بعد واقعة بغداد(عين عماد الدين القزويني نائب عن الأمير المغولي، فكان يحضر الديوان مع الجماعة، وكان ذا دين ومروءة، وعين علي شهاب الدين بن عبد الله صدرا في الوقف، وتقدم إليه بعمارة جامع الخليفة وكان قد احرق، ثم فتح المدارس والربط، واثبت الفقهاء والصوفية، وأدر عليهم الاخباز والمشاهرات). وهذا النص يدل على إن المدينة لم تخل من الفقهاء ورجال العلم.

٧٠) الصالح، نصير الدين الطوسي واستيلاء المغول على بغداد، ص ٨٥٧ ؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانين، ص ٥٧.

٧١) الجويني، علاء الدين عطا ملك (ت ٦٨١هـ)، تاريخ جهانكشاي، تحقيق محمد عبد الوهاب القزويني، ليدن، ١٩١٦، جـ ١، ص ١٨.

٧٢) ابو الفدا، تقويم البلدان، تحقيق رينود وديسلان، باريس، ١٨١٥، ص٣٩٨، ٣٩٩، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤، ص١٩٩.

٧٣) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، جـ٣، ص١٢٣، حتي، تاريخ العرب، جـ ٢، ص٥٨٤.

الشيخ محمد أمين الشنقيطي ١٨٧٦- ١٩٣٢م
ودوره في تأسيس مدرسة النجاة الأهلية الابتدائية في الزبير

Sheikh Muhammad Amin Al-Shanqeeti 1876-1932 and his role in establishing Al-Najat National Primary School in Al-Zubair

أ.د. عكاب يوسف الركابي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Abstract .

Until today, an Arab personality in the modern and contemporary history of Iraq has not received the attention of Arab historians, writers, and others, just as the personality of Sheikh Muhammad Amin Al-Shanqeeti, of Mauritanian nationality, has received many books and researches, and Iraqi writers and authors have devoted many books and researches to studying the important aspects of this personality and its literary and cognitive efforts. Knowledge students in Iraqi universities discuss this personality in their scientific research, and they deal with the history of Al-Zubayr and Basra, and a number of contemporaries of this personality published their memoirs, which in turn dealt with certain aspects of this personality, and in recent years it was the turn to address specific aspects of one aspect of this personality. Such as the educational and literary side, collecting his memoirs and similar topics.

Al-Najat National School in Al-Zubayr constituted an important historical precedent in the educational movement, not only in the history of Al-Zubayr and Basra, but also on the scale of Iraq and the Arabian Gulf region in general, as a result of the effects it left immortal in the minds of the population, whether those who studied there or those who were influenced by its ideas, it was As a bright beacon of flag around the globe.

الملخص

لم تحظ شخصية عربية حتى اليوم في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، باهتمام المؤرخين والكتاب العرب وغيرهم، مثلما حظيت شخصية الشيخ محمد أمين الشنقيطي الموريتاني الجنسية، فقد كرس الكتاب العراقيون العديد من الكتب والبحوث، لدراسة جوانب هذه الشخصية وجهودها الأدبية والمعرفية، ولم يستثني طلاب المعرفة في الجامعات العراقية هذه الشخصية في بحوثهم العلمية، وهم يعالجون تأريخ الزبير والبصرة، ونشر بعض المعاصرين لهذه الشخصية مذكراتهم التي تناولت هذه الشخصية، وفي السنوات الأخيرة جاء دور معالجة جوانب محددة تخص جانباً واحداً من جوانب هذه الشخصية.

شكلت مدرسة النجاة الأهلية في الزبير سابقة تاريخية مهمة في الحركة التعليمية على نطاق العراق ومنطقة الخليج العربي بشكل عام، نتيجة للأثار التي تركتها خالدة في أذهان السكان، سواء الذين درسوا فيها أو الذين تأثروا بأفكارها، فقد كانت بمثابة منارة علم ساطعة في أرجاء المعمورة.

كلمات مفتاحية: (الشنقيطي، مدرسة النجاة، التعليم، منهج تربوي، الجمعيات الخيرية)

المقدمة

يرجع الفضل الكبير إلى الشيخ محمد أمين الشنقيطي وبعض وجهاء مدينة الزبير في تأسيس تلك المدرسة، كما لا يمكن أغفال الفضل الكبير الذي قدمه بعض السكان سواء داخل المدينة أو خارجها عن

طريق التبرعات المادية والعينية التي أسهمت إلى حدٍ ما ببقاء المدرسة قائمة على الرغم من الصعوبات المادية التي واجهتها، ومع إن جميع هؤلاء وغيرهم من المؤلفين العراقيين، بذلوا جهوداً قيمة لتقديم صورة واضحة إلى حد كبير عن شخصية الشيخ الشنقيطي وجهوده التربوية، إلا أننا لازلنا بحاجة ماسة إلى مؤرخ يتمتع بتفكير علمي وإحساس تأريخي، يجعلانه ينظر إلى هذه الشخصية نظرة العالم إلى الظاهرة الطبيعية وذلك بإخضاعها لمنهج علمي واضح، والواقع أننا نلاحظ تحيزاً ملموساً في بعض الدراسات وسطحية واضحة في بعض أخر منها، ومع ذلك فإنَّ بعض المؤرخين، دشنوا بداية جديرة لدراسة شخصية الشيخ محمد أمين الشنقيطي وجهوده في تأسيس مدرسة النجاة الأهلية في الزبير، مما سهل حتماً مهمة من يتصدى لمعالجة أي جانب من جوانب الموضوع نفسه في المستقبل، ومن اجل تسليط الضوء على حياة الشيخ وأبرز المعالم في حياته العلمية نستعرض البدايات الأولى لنشأته وبواكير الحياة العلمية له.

المبحث الأول- الشيخ محمد أمين الشنقيطي الولادة والنشأة

هو الشيخ محمد بن عبدي بن فال الخير[١] بن حبيب الله بن آبي[٢] بن حبيب بن احمد بن اعمر كداش الحسني[٣]، وامه عائشة بنت عبيد الله بن إبَّن[٤] بن أحمد الخليل بن حبيب الله بن آبي إلى آخر نسب أبيه حيث يلتقي نسبهما في حبيب الله[٥]، وقد اثبت هذا النسب الشيخ محمد الشنقيطي في مذكراته، مؤكداً بالقول:" **هذا القدر من نسبي محقق عندي ليس فيه نقص ولا زيادة** "[٦].

ولد الشنقيطي في عام ١٨٧٦م[٧] في قريه تنبكتو إحدى قرى شنقيط ونشأ فيها[٨]، وطلب العلم على يد خاله محمد بن عبد الله وحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ كما حفظ شيئاً من منظومات السيرة النبوية، ثم تتلمذ على يد الشيخ محمد بن بنيامين الذي قال عنه انه أكثر مشايخه له نفعاً وعلى مشايخ شنقيط[٩].

كان والد الشنقيطي وجده من اعيان قبيلته غير انهما لم يتسما بصبغه العلم على الرغم من تشبث والده بطلب العلم، وكان مولعا بالأذكار الواردة لديهم حيث كان يقرأها صباحاً ومساءً – كما اورده الشنقيطي في مذكراته– حيث كان والده غالباً ما يعلمه ويلقنه لحفظها، وكان اعمامه معروفين بالأثر والقصة، ويقول الشنقيطي بخصوص اسم والده عابدي انه سمي بهذا الاسم نسبة إلى أحد اعمامه المعروف بكونه شاعراً، أما عن بنو آبي، فيقول هم بطن وليس من القبيلة نفسها، وعن لقبهم بـ الحسني، فقد تضاربت الآراء ولم يتفق الذين تصدوا إلى تراجم شخصيات تلك القبيلة على رأي واحد، فقد اعتقد البعض انهم يرجعون إلى العلويين نسبة الى الإمام الحسن بن علي (رض)، بينما ذهب البعض الآخر إلى القول بأن التسمية جاءت نسبة إلى الحسن بن ابي الحسن، جدهم الأعلى وليس الحسن ابن الإمام علي (رض)، وهذا الامر أكده الشنقيطي في مذكراته[١٠]، كما أشار أيضاً إلى انه التقى في موسم الحج لعام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م مع أناس كثيرون ذكروا له ان الشيخ التندغي[١١] قد الف كتاباً في أحوال القبائل الموجودة في شقنيط، وقال عن قبيلته انهم من ذريه محمد بن الحنفية:" **ابن الإمام علي بن ابي طالب (رض)**"[١٢]، ومن هنا يتضح انه لم يتفق على أصل تسمية عشيرته، وقد ناقش الخالدي كاتب سيرة الشنقيطي ذلك الأمر بشيء من التفضيل[١٣]، وعن والدته فقد ذكر الشنقيطي في مذكراته انها كانت تحفظ القرآن الكريم عند ظهر قلب، ولها اشتغال بطلب العلم ولكنها توفيت وهو صغير فتربى لدى جدته لأمه، وكانت تعلمه القراءة آنذاك[١٤]، وكان جده لأمه – كما وصفه علامة وشاعراً وسطاً وله يد طولى في الفقه

والعلوم العربية ولاسيما اللغة ويحفظ مقامات الحريري عن ظهر قلب، وله مناظيم حسنة في الفقه وغيره[١٥].

أولاً: الشنقيطي وتعلمه وبواكير نضوجه الفكري

عند مطالعة مذكرات الشيخ الشنقيطي لم يذكر بدايات تعلمه وحفظة للقرآن الكريم أو كيف تعلم القراءة والكتابة – ولعله تعلّم أو تتلمذ في تلك المدة –كما ذكر في مذكراته– عن طريق جدته لأمه[١٦]، لاسيما ان قبيلته في ذلك الوقت كان الصبيان فيها يتعلمون على يد النساء اللواتي كن يتعهدن الصغار في تلك المرحلة المبكرة من العمر، وربما كانت عادةً متبعة في شنقيط والمناطق المجاورة لها[١٧]، ولما كانت امه عائشة تحفظ القرآن الكريم وهي في مقتبل الشباب، وكان خاله قد اخذ بيده منذ الصغر حتى عرج به على دراسة العروض والشعر، فما ذلك إلا دليل على اثر الوسط العلمي الذي نشأ به، فليس عجيباً اذن أن يحفظ القران قبل البلوغ، كما حفظ شيئاً من السيرة النبوية، ولكنه بعد أن شب لم يكتف بملازمة خاله، بل راح يختار ويتنقل بين مجالس العلم، وينضم إلى حلقات الدروس في بلده، كما كانت العادة هناك حيث يختار الطالب من يريد من العلماء كلاً حسب اختصاصه حسب الفائدة[١٨]، ومن هنا بدأت بواكير التعلم الأولى تتضح لدى الشنقيطي من محيطه الاجتماعي الذي كان يخالطه، واخذت عقليته العلمية والدينية بالنضوج، أما أبرز من تتلمذ عليه الشنقيطي، فقد ذكر في مذكراته انه تتلمذ على محمد بن بنيامين، الذي قال عنه إنه أكثر مشايخه نفعاً له، ودرس على عبد الله بن حِّمين، ودرس لدى المختار ابن المعلّى وعبد القادر المجلسي، وبحسب ما ذكره الخالدي فقد درس على جميع هؤلاء الشيوخ في شنقيط وتحديداً كتاب الأجرومية ومتفرقات من ألفية ابن مالك في النحو ومواضيع متفرقة من مختصر خليل في الفقه، وفي الشعر والأدب قرأ رسالة ابن زيدون وشيئاً من علم العروض وكذلك الشعر الجاهلي وعلم اللغة[١٩]، ولعل هذه المرحلة تعد الأولى في حياة الشيخ الشنقيطي العلمية، حيث تلتها المرحلة الثانية من توجهاته العلمية، فقد سافر إلى العديد من البلدان بحثاً عن العلم وحضر دروس العديد من المشايخ.

لقد تمثلت المرحلة الثانية من حياه الشيخ الشنقيطي والتي بدأت وعمره تقريباً خمس وعشرون عاماً، ومرَّ خلالها أولاً بالمغرب العربي في عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، وكان من المؤمل أن يطيل المقام في مدينة فاس للتعلم، إلا أن إصابته بمرض الجدري منعه من ذلك[٢٠]، غير أنه اتصل ببعض الحلقات العلمية العائدة الشيخ ماء العينين، وذكر في مذكراته بعضاً من مطارحاته مع بعض الادباء في تلك المرحلة ومحاورات مع الشيخ محمد الهيب بن الشيخ ماء العينين، ولعل أفضل ما ذكره لنا صاحب الترجمة عن تلك المرحلة نماذج من شعره، الذي أقرَّ أنه غير راضٍ عنه كل الرضا ولو انه كان ناقداً ماهراً معه ميّز بين جيد الشعر وركيكة[٢١]، وكانت وجهته الثانية بعد المغرب إلى مصر التي وصلها في نهاية ذلك العام –أي في ذي الحجة عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م – وهناك أتيح له مقابلة أحد علماء منطقته شقنيط وهو الشيخ اللغوي محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي[٢٢]، وجرت بينه وبين مترجمنا مطارحات ومناقشات أدبية، اظهر فيها الذي نترجم له قوة حافظته وسعة اطلاعه على شعر أدباء قبيلته وذكر الشنقيطي بعض تلك القصائد في مذكراته، كما ذكر الشنقيطي أنه التقى في مصر بالشيخ محمد عبده[٢٣]، مفتي الديار المصرية وقتها، وذهب معه إلى الأزهر برفقة الشيخ محمد محمود التركزي[٢٤]، ثم

بسط لهما مكاناً في الجامع وظل يرعاهم ويتعهدهم بالزيارة والعناية، وأخذ لهم بتوصية من الحكومة المصرية للمرور من خلال السويس إلى جدة، فتوجه من أجل العمرة إلى مكة في آواخر محرم ١٣١٩هـ -١٩٠١م، ثم عاد إلى جدة مرة أخرى[٢٥].

ترك الشنقيطي جدة متوجهاً لمنطقة رابغ ومنها إلى المدينة المنورة، وهناك اصيب بحمى يثرب وطالت مدة اصابته بها وحضر هناك درساً في حديث البخاري على الشيخ علي ظاهر الوتري البغدادي وعلى أديب الحجاز[٢٦] الشيخ عبد الجليل برَّاده[٢٧]، وفي مكة المكرمة حضر لدى الشيخ أبي شعيب بن عبد الله الرحمة الدّكالي المراكشي[٢٨]، وقرأ أيضاً على الشيخ أحمد التكروي وأجازه الشيخ عبد الجليل برَّاده فيما بعد[٢٩]، وبعد مكة سافر الشنقيطي إلى الهند وعُمان والبحرين والإحساء، ونزل في مدرسة الشيخ أبي بكر فحضر دروس الشيخ عيسى بن عكَّاس[٣٠]، والشيخ عبد العزيز بن مبارك[٣١] في الإحساء، وهناك جاءته رسائل من شيخه أبي شعيب[٣٢] يأمرهُ بالتوجه إلى العراق لتولي إمامة مسجد مزعل باشا السعدون في الزبير، وكان ذلك في صفر عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، فتوجه من الإحساء إلى البحرين ثم الكويت[٣٣]، وقبل أن يصل البصرة سمع بأن الشيخ مزعل باشا قد توفي[٣٤]، وأن الشيخ محمد بن رابح المغربي[٣٥] قد تولى إمامة المسجد المذكور، فلم يسع الشنقيطي إلا أن فكر بالعودة إلى مكة المكرمة غير انه انتقل إلى البصرة، وهناك طلب منه بعض طلبة العلم في الزبير البقاء بغية التعلم على يديه، ففعل واستمر في ذلك وازدحم المسجد بالحاضرين، حيث استقر في بادئ الامر في دار صديق له يدعى علي بن عبد الله بن عبد الرحمن البسّام، واستمر على التدريس والوعظ والإرشاد، ويبدو أن الرجل قد ذاع صيته ليس في الزبير فحسب، بل في جميع انحاء مدينة البصرة آنذاك بعد أن لمسوا التجديد والإصلاح في الفكر الديني[٣٦]، ولما فكر بعض سكان الزبير في وسيلة لإقامته الدائمة بينهم، وذلك بتوثيقه بسبب يجعله مرتبطاً بالبقاء بينهم، فلم يجدوا رابطة أقوى من الزواج، فعرضوا عليه ذلك وحببوه له فتزوج من امرأة تدعى لؤلؤة بنت سلطان السلطان الملقب بالطويل، وأنجب منها ثلاثة أولاد وأربع بنات[٣٧]، وهكذا استقر به المقام في الزبير من ذلك الحين[٣٨].

ثانياً: الشنقيطي واعظاً في الزبير .دراسة في منهجه وتأثيره الفكري والديني ١٩٠٩م -١٩١٣م

عُرف عن الشنقيطي أنه كان مالكي المذهب، كغالبية سكان منطقه شقنيط في بلاد المغرب العربي، وكما هو معروف عن الإمام مالك بأنه يأخذ بالكتاب والسنة، وهو إمام أهل المدينة في ذلك العصر، غير أنه لا يهمل الرأي، شأنه شأن بقية علماء الحجاز، ولو لم يكونوا كأهل العراق في الاعتماد على الرأي، إلا انهم يردون بعض الأحاديث لمعارضتها لكتاب الله القرآن الكريم أو لحديث آخر أكثر اعتماداً أو لأصلٍ كلي[٣٩]، ولما كان الشيخ الشنقيطي قد درس مذهب الإمام مالك دراسة متتبع على أيدي علماء بارزين سواءً في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة، فضلاً عن أساتذته الآخرين من علماء محدثين وفقهاء ومفسرين، حيث الفوه بمجموعهم مدرسة فكرية إسلامية رصينة، تناولت الفكر الإسلامي من اصوله، ولمت به من جميع أطرافه. كما لا يمكن اغفال دراسة الشنقيطي الخاصة وتتبعه وذكاءه اللامع وبيئته الفكرية الحرة[٤٠]، لذا ليس من الغريب أن خرج بفكر كبير وعلم صحيح وتوجه عقائدي

شامل في موارد الدين الإسلامي من الكتاب والسنة، والاجماع والقياس معتمداً في ذلك على آراء كبار علماء المسلمين والمفكرين الذين – بحسب اعتقاد البعض– لا ترقى التهم إلى سلامة عقائدهم الإسلامية، لذا نراه ينزع في أغلب آرائه إلى الأخذ بآراء بعض علماء المذهب المالكي[٤١]، وإلى جانب ذلك، عُرف الشنقيطي بأنه ذات اتجاهات سلفية حيث سار على نهج ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وإبراهيم البقاعي[٤٢]، ومحمد بن عبد الوهاب[٤٣]، الذي ترجع عليه الحركة الوهابية اليوم واتباع السلفية[٤٤].

ومن هذا المنطق والمنهج سار الشنقيطي في تعليمه ووعظه وإرشاده في مدينة الزبير[٤٥]، متأثراً إلى حدٍ ما بدراسته العلمية الدقيقة للمدارس الإسلامية الفكرية المارة الذكر، وغيرها من آراء بقية العلماء ذلك الخط، ولا يستبعد أن يكون الرجل قد اعتقد بأن مذهب مالك يُعد من المذاهب المثالية في الإسلام، وربما يكون –بحسب اعتقاده– أنه أقرب إلى الصواب، كما كان يعتقد بذلك ابن تيمية، الذي كان يعتقد هو الآخر بأن مذهب الإمام أحمد القدوة الاصلح، كما نهج على ذلك محمد بن عبد الوهاب في اقتنائه أثر ابن تيمية كما اسلفنا[٤٦]، وهكذا يبدو أنَّ الشيخ الشنقيطي لا يعدو أنْ يكون متأثراً بآراء ابن تيمية والبقاعي ومحمد بن عبد الوهاب، وبآراء اساتذته في مكة المكرمة والمدينة المنورة الذين تأثر بهم اشد تأثير وكذلك علماء الإحساء الذين نهل منهم بعض العلوم الأخرى، وبلا شك فإنَّ جميع هؤلاء ساروا على خط واحد وهو اتباع بعض مناهج كتاب القرآن والسنة والصحاح الستة، على الرغم من تناقض بعض معلوماتها واختلاف مفاهيمها وهو ما عرف بنهج السلف الصالح[٤٧].

ولما استقر المقام بالشنقيطي في مدينة الزبير ذهب يؤكد على تلك التعاليم والمناهج التي اخذها من أساتذته التي تؤكد وجوب اتباع الكتاب والسنة النبوية، محاولاً قدر الامكان التنويه بأن تلك المناهج وتلك التعاليم الإسلامية هي من تنور عقول المسلمين وتسلحهم بسلاح العلم، معتقداً في الوقت نفسه إنَّ الكثير من المدارس الدينية لا زالت متمسكة بمناهج التعليم التقليدية مما اسهمت إلى بقاء الجهل بين العامة، واضعاً اللوم ايضاً على الدولة العثمانية لعدم أخذها بيد العلماء وتشجيع المدارس الدينية والانفاق عليها، كما صبَّ لومه على الدولة العثمانية لإقرارها الفواحش وتعطيلها إقامة الحدود الإسلامية الرادعة[٤٨].

وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ الشنقيطي ونتيجة لمناهجه العلمية واساليبه في التعليم، واجه بعض المعارضة من أبناء الزبير وعدم رضاهم لما كانوا يسمعون عنه[٤٩]، واعتقد البعض إن السبب في تلك المعارضة يرجع إلى حسد البعض لمّا شاهدوا الصدى الكبير الذي حظي به الشنقيطي في نفوس الأخرين، كما كان له صدى واسع داخل البصرة والكويت وبعض دول الخليج العربي، الأمر الذي أثار حفيظة بعض ائمة المساجد في الزبير، ممن وجدوا انفسهم دون ذلك المستوى، الأمر الذي جعلهم يشعرون بعدم الموازنة والمساوات معه، لذلك راحوا يلتمسون له المعايب، بدافع الغيرة والحسد، واخذوا يبحثون عن الزلات في آرائه وما يصرح به من مخالفات لما كان عليه الناس من تقاليد في اعتناق المذاهب وزيارة القبور والتوسل للأولياء بالنذور، كما وجدوا ضالتهم في تحديه الدولة العثمانية والتشهير بها، ونقد سياستها المخالفة للشرع الإسلامي[٥٠]. لذا لم يجدوا باباً يسلكونه في هذا الشأن اوسع وارحب من العامة[٥١]، فأخذوا يثيرونهم ضده، فشحنت بعض الاذهاب بالريبة منه، وتعالت الاصوات بضرورة

إبعاد هذا المغربي لأنه يثير الفتن بين الناس وينتقد ديانتهم[٥٢]، وبلا شك يبدو ان توجهات الشنقيطي المذهبية ذات الاتجاهات السلفية اثارت ضغينة الناس عليه، لا سيما ان مدينة الزبير كانت تسكنها عوائل مختلفة وذات مذاهب متنوعة، ويعيشون بسلام ومحبة غير مكترثين بالتعصب الديني والنزعات الطائفية، ولعلهم ادركوا خشيت طريقة التعاليم التي كان ينطق بها الشنقيطي والتي اعتقدوا بأنها ستشق الصف بين ابناء الجلدة الواحدة، فضلاً عن كونه ينتمي إلى بلاد بعيدة لا تمت بصلة لعادات وتقاليد البصرة، وربما عدم معرفته بتلك التقاليد والاعراف والتعرض لها اثار غضب الجمهور عليه، فضلاً عما ذكر من مواقف أئمة المساجد الأخرى، جعلت تلك المواقف الشنقيطي في مكان أو زاوية لا يحسد عليه، الأمر الذي تعالت فيه اصوات ضرورة اخراجه من المدينة أو ابعاده خارج العراق.

ثالثاً: الشنقيطي والجمعية الخيرية في الكويت ١٩١٣م – ١٩١٤م

ذكرنا سابقاً إنَّ الشنقيطي واجه المعارضة داخل الزبير وطلب سكانها ضرورة مغادرته المدينة، إلا أن الأخير حاول البقاء هناك غير مبالي لما يدور حوله، لكنه في نهاية عام ١٩١٣م تنفس الصعداء عندما جاءته دعوة من السيد فرحان الفهد الخالد الخضير، الذي كان ينوي إنشاء مؤسسة خيرية تهدف إلى دعم العلم وإرسال الطلبة إلى البلدان الإسلامية الاخرى بهدف التعليم وكسب العلوم الدينية[٥٣]، فلم يتأخر الشنقيطي في تلبية الدعوة الموجه له، فترك الزبير متوجهاً صوب الكويت التي وصلها في نهاية ذلك العام أي في عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م[٥٤].

كانت الغاية من الدعوة للشنقيطي بأن يكون واعظاً ومرشداً للجمعية المزمع افتتاحها في الكويت[٥٥]، كذلك كانت هناك حاجة ايضاً لاستدعاء طبيب وصيدلاني إلى الجمعية لمعالجة ومداواة الفقراء مجاناً، وبعد حصول الموافقات من الاطراف المعنية افتتحت الجمعية الخيرية في ربيع الآخر عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م، واقيم لافتتاحها حفلة كبرى القيت فيها الخطب والقصائد، وهكذا دعي الشنقيطي ليكون محدثاً وواعظاً في تلك الجمعية[٥٦]، كما دعي لها بطبيب تركي من البصرة يدعى الدكتور أسعد، واستمرت تلك الجمعية بعملها الهادف إلى الدراسة والوعظ الديني، وقصدها بعض طلاب العلم من البلدان المجاورة، وبحسب ما ذكره البعض اسهمت تلك الجمعية بظهور بواكير حركة علمية وادبية، وبذر طلائع النهضة الفكرية في الكويت آنذاك[٥٧]، وقد وجهت الدعوات إلى المفكر التونسي عبد العزيز الثعالبي ورشيد رضا وحافظ وهبة ونجم الدين الهندي وغيرهم لكي يلقون الدروس وحث ووعظ وارشاد الناس[٥٨].

وفي الكويت التقى الشنقيطي بحافظ وهبة ونشأت بينهما صداقة متينة، ولاسيما بعد تقارب في وجهات النظر والاهداف الفكرية والدينية، وربما كان لهذا الأمر اثراً في اشتراك الشنقيطي وحافظ وهبة في مناهضة ما سعى إليه الشيخ مبارك الصباح[٥٩] لحمله الكويتيين على مساعدة الشيخ خزعل بن جابر بن مرداو[٦٠] حاكم المحمرة بغية إخماد الثورة التي قامت ضده حينذاك[٦١].

وبهذا الصدد نود أنْ نشير إلى خطأ ما ذكره الشيخ ناصر إبراهيم الأحمد[٦٢] الذي أخرج تتمة لمذكرات الشيخ الشنقيطي عندما ذكر بأن الاخير قد اسهم في تأسيس المدرسة المباركية في الكويت[٦٣]، والحقيقة إنَّ تلك المدرسة كانت قد انشأت قبل عام من مجيء الشنقيطي إلى الكويت – أي تأسس عام ١٩١٢م– بينما كان قدوم الشنقيطي للكويت في نهاية عام ١٩١٣م، وهذا ينفي ما ذكره الشيخ ناصر،

وبحسب ما أكده الخالدي فإنَّ الشنقيطي لم يشترك في تأسيس تلك المدرسة ولم يشترك بالتدريس فيها، ومع ذلك ظل الشنقيطي في الكويت دائباً على إلقاء الدروس في الفقه والحديث، والتنديد بالمنكرات والمحرمات ولما كان لبعض تلك المحاضرات من تدخل في شؤون البلاد وتوجهاتها الخارجية، اثار ذلك الأمر خشية حاكم الكويت آنذاك الشيخ مبارك الصباح الذي كان على ما يبدو انه لا يرغب أن يرتفع صوت فوق صوته ولا تعلو كلمة على كلمته، فلم يرق له اسلوب الشنقيطي الداعي إلى التحرر الفكري والديني، لاسيما إن الأوضاع الدولية كانت توحي بالخطر وشبح الحرب العالمية الأولى يلوح في الأفق، وتربط شيخ الكويت معاهدة سرية مع بريطانيا المعاهدة ١٨٩٩م[٦٤]، وهو يعلم بأنّ مواعظ الشنقيطي الداعية إلى توجيه الشعب الكويتي لمحاربة الدولة الكافرة، وهذا الأمر سيصب في صالح الدولة العثمانية التي كان يمقتها الشيخ مبارك. أضف إلى ذلك ان الشيخ مبارك توجس خيفة ايضاً من الطبيب التركي أسعد الذي استدعته الجمعية الخيرية، لذا عمد شيخ الكويت إلى طرد ذلك الطبيب وإصدار أمر بوجوب مغادرته للكويت، وبلا شك كانت تلك المبادرة تمهيداً لغلق الجمعية الخيرية وإضعاف صوت الشنقيطي وتحديداً بعد اصدار أمر اغلاقها في عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م[٦٥].

وعلى الرغم من اغلاق الجمعية إلا أنْ الشيخ مبارك لم يصدر أمراً بإبعاد الشنقيطي خارج الكويت، وظل الأخير يمارس دوره في الارشاد والموعظة وإلقاء المحاضرات في المساجد، الأمر الذي كان لا يستسيغه الشيخ مبارك، فضلاً عن عصيان الكويتيين[٦٦] وعدم استجابتهم لطلب الشيخ مبارك في إرسال قوات لمساعدة صديقه الشيخ خزعل الذي كان يواجه ثوره رافضة له، واعتقاد الشيخ مبارك بأن الشيخ الشنقيطي وراء ذلك العصيان وتمرد اتباعه من خلال محاضراته التي كان يدعو فيها لمحاربة بريطانيا ومساندة الدولة العثمانية من الناحية الإسلامية[٦٧]، ولعل هذا السبب دق المسمار الأخير في نعش الشنقيطي وبقائه في الكويت، لذا بدأت مضايقات الشيخ مبارك له والدعوة لضرورة مغادرته للكويت[٦٨]، وجديراً بالذكر ان نشير هنا إلى دراسة للباحث والاديب الكويتي الاستاذ سيف مرزوق الشملان نشرها في مجلة "مرأة الأمة الكويتية" في عددها الخامس والعشرين بتاريخ ١٥ رمضان ١٣٩١هـ/ تشرين الثاني١٩٧١م على الصفحة ١٤ بعنوان" القضاء على الجمعية الخيرية عام ١٩١٤م" اشار فيها بوضوح إلى اسباب ابعاد الشنقيطي خارج الكويت وعدم رغبة الشيخ مبارك في بقائه[٦٩]، لذا غادرها متوجهاً إلى الزبير[٧٠]، ومن هناك اشترك في معركة الشعيبة مع القوات العثمانية والعشائر العراقية ١٩١٥م[٧١].

وبعد خسارة القوات العثمانية والقوى العشائرية المساندة لها في معركة الشعيبة وتشتت شمل المجاهدين في ١٤ نيسان ١٩١٥م ترك الشنقيطي مدينة البصرة متوجهاً نحو مدينة سوق الشيوخ[٧٢] ومنها إلى الناصرية ثم بغداد[٧٣]، وهناك من يعتقد ان السفر نحو بغداد جاء بطلب من الشيخ عجمي باشا السعدون لخشيته على حياة الشنقيطي من جواسيس البريطانيين، وفي بغداد نزل في دار صالح العسافي[٧٤]، وبعد أن وصلت القوات البريطانية إلى مشارف بغداد ولاسيما بعد معركة سلمان باك التي وقعت بتاريخ ٢٢ نوفمبر تشرين الثاني ١٩١٥م، قرار الشنقيطي تركها والتوجه صوب مدينة السماوة ومنها انظم إلى إحدى قوافل الحج متوجهاً إلى نجد[٧٥]، وعلى الرغم من ترحيب بعض سكان المنطقة له،

إلا أن الملك عبد العزيز ال سعود ظل يرتاب من وجود الشنقيطي لا سيما بسبب موقف الأخير من بريطانيا، وعلاقة ابن سعود ومصالحه مع البريطانيين حال دون بقاء الشنقيطي هناك[٧٦]، وربما وصلت رسالة من ابن سعود توحي للشنقيطي بأنه ضيف غير مرغوبٍ فيه، لذا قرر الشنقيطي ترك عنيزة والتوجه إلى مكة المكرمة لغرض الحج، وقد ذهب إليها برفقة الشيخ أحمد الجابر الصباح، الذي صادف أن مرَّ بعنيزة من بلاد القصيم آنذاك وتحديداً في عام ١٣٣٦هـ[٧٧].

وتذكر المصادر التاريخية ان الذي نترجم له سافر إلى الكويت في شهر شعبان عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، برفقة بعض القوافل المتوجهة إلى هناك، وصادف قبل تلك المدة أنْ توفي الشيخ مبارك الصباح[٧٨] في ١٢ محرم ١٣٣٤هـ/١٩١٥م الذي سبق وأنْ أمر بطرد الشنقيطي من الكويت، وتسلم الحكم الشيخ سالم المبارك الصباح[٧٩]، لذا اعتقد الشنقيطي بأن الحاكم الجديد سيرحب بقدومه، لاسيما بعد وفاة الشيخ مبارك، وسيكرم مثواه[٨٠]، فأستصحب معه أحد اصدقائه من وجهاء الكويت يدعى مرزوق الداوود من آل بدر[٨١] للسلام على الشيخ سالم وتهنئته بتسنم كرسي الإمارة، واراد الشنقيطي أن يعرض خدماته الدينية بالكويت في مجال الدين والفكر والتوجيه، إلا أنه على عكس ما توقع واجه الغلظة والتقريع من قبل الشيخ سالم المبارك الصباح الأمر الذي ادهش الجميع[٨٢].

وقد أشار مؤرخ تاريخ الكويت السياسي حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه " تاريخ الكويت السياسي" وكذلك الرشيد في " تاريخ الكويت " إلى لقاء الشنقيطي بالشيخ سالم الصباح وما جرى بينهما من كلام وكيف وبخ الشيخ سالم ضيفه الشنقيطي وهدده بتسليمه إلى القنصل البريطاني، ثم امهله ثلاثة أيام لمغادرة الكويت[٨٣]، ونتيجة لملاقاه الشنقيطي من جفاء في الكويت، قرر المغادرة إلى العراق، فتوجه إلى الزبير وهناك وصلت تعليمات من الشيخ سالم الصباح إلى حاكم البصرة في الإدارة البريطانية يخبره بها بأن الشنقيطي من رجال الحركات الدينية المزعجة، وممن يثيرون الرأي العام على القوات البريطانية باسم الدين، وحاول حاكم البصرة الاستفسار عن الشنقيطي فسال عنه الشيخ إبراهيم[٨٤]، فوجد الأخير عذراً للشيخ الشنقيطي وبرأ ناصيته[٨٥]، ومنذ ذلك التاريخ ١٣٣٧هـ/١٩١٨م استقر شنقيطي في مدينة الزبير متخذاً منها مقراً له ولم يغادرها حتى وفاته[٨٦].

ومن هنا يبدو أن الرجل واجه الجفاء في نجد والكويت وعانى ما عانى خلال تلك المرحلة التي قاربت نحو ست سنوات ١٩١٣م – ١٩١٨م ولكنه وجد حُسن المقام في مدينة الزبير في العراق، لذا قرر الاستقرار هناك، وواصل عمله في الارشاد والوعظ حتى افتتاح مدرسة النجاة الأهلية بمشاركة سكان ووجهاء المدينة حيث أصبح أول مدير لها.

وأخيراً يمكن القول أن الذي نترجم له لم تكن له مدرسة فقهية انفرد بها خلال تلك المرحلة من حياته العلمية والفكرية، بقدر ما كان مدرساً وواعظاً مستنيراً ووسطياً في نهجه، منصرفاً نحو الدعوة الدينية، ولم ينتم إلى أي فرقة أو طائفة من الطوائف أو الطرق الصوفية المنتشرة آنذاك.

المبحث الثاني- الشنقيطي ونشاطه الاجتماعي في الزبير

أولاً: مدرسة النجاة الأهلية (جمعية النجاة الأهلية كانت البداية)

كانت حركة التعليم في البصرة قائمة بشكل أساسي على عدد من الكتاتيب التي كان يتعلم فيها الصبيا القراءة والكتابة، مع وجود بعض المدارس القديمة التي سبق أن تأسست منذ زمن بعيد ولا سيما مدرسة الدويحس[٨٧]، التي أسسها دويحس بن عبد الشماس[٨٨] في عام ١٧٧٢م مقابل جامع النجادة[٨٩]، إلى جانب بعض المدارس الأخرى التي كان يشرف عليها بعض أئمة وشيوخ المساجد ومنها مدرسة الشيخ محمد العوجان في مسجد الباطن[٩٠]، ومدرسة الشيخ عبد الله الحمود ومدرسة الشيخ إبراهيم العقيل ومدرسة الشيخ عيسى القرطاس ومدرسة الزهير ومدرسة الشيخ محمد غنيم ومدرسة مسجد النقيب ومدرسة الشيخ محمد الرابح وغيرها[٩١]، وفي المرحلة التي اعقبت نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت مدينة الزبير حالة من الصراع الثقافي بسبب الاتجاهات المختلفة بين علماء الدين الذي كانوا يمارسون التدريس في المدارس الدينية والكتاتيب وبعض الحلقات الدراسية المنتظمة في المدارس الأخرى التي سبق لها أن فتحت في مدينة البصرة والزبير كمدرسة الزبير الابتدائية التي فتحت عام ١٩٠٢م، ومدرسة الرشدية[٩٢] والمدرسة الاميرية الابتدائية التي فتحت عام ١٩١٦م[٩٣].

ولكن هذه المدارس التي أشرنا إليها اعلاه ولا سيما المدارس الحديثة المنتظمة كانت خاضعة لسلطة الاحتلال البريطاني آنذاك، لذا سعت بعض الشخصيات الدينية في الزبير يساندهم الشيخ الشنقيطي من أجل فتح مؤسسة تتصدى لدراسة بعض المناهج التي تساير روح العصر، لأن المدارس التي كانت منتشرة في المساجد –بحسب الاعتقاد السائد آنذاك– هي ذات طبيعة دينية بعيدة عن تأهيل الناشئة لإيجاد فرص عمل في المجتمع أو في دوائر الدولة[٩٤]، ولما كان افتتاح مثل تلك المؤسسة " الهيئة:" **لا يتم إلا من خلال جمعية ذات نظام مصرح به من قبل وزارة الداخلية العراقية، لذا تقدم جماعة من أهل الزبير برئاسة الشيخ محمد أمين الشنقيطي طلباً إلى وزارة الداخلية في عام ١٩٢٠م للإذن بتأسيس جمعية أهلية باسم "جمعية النجاة الأهلية"**[٩٥]، وينقل بأن سبب التسمية جاء من انهم "توخوا بالعلم النجاة من كل شر"[٩٦]، لذا سميت بالنجاة على الرغم من ان الشيخ الشنقيطي قد اختار لها اسماً آخر[٩٧]، ومن أهم المؤسسين لتلك الجمعية الشيخ محمد أمين الشنقيطي، والشيخ عبد الوهاب الطباطبائي والشيخ محمد العوجان والشيخ محمد العسافي[٩٨] والشيخ محمد السند والشيخ ناصر الأحمد والحاج محمد العقيل والحاج إبراهيم العبدالله البسّام والحاج عبد المحسن المهيوب وسليمان السويدان وداود البريكان[٩٩].

أما عن نظام الجمعية الأساس، فقد تكون من ثلاثة فصول هي: تضمن الفصل الأول أربعة مواد، بينما جاء في الفصل الثاني ستة عشر مادة، في حين تكون الفصل الثالث من ست مواد، وبهذا شكل نظامها الأساس ستة وعشرون مادة[١٠٠].

المادة (١): يسمى هذا النظام:" النظام الأساسي للجمعية النجاة الأهلية ".

المادة (٢): مركز الجمعية في الزبير ويجوز أن تفتح فروع في مراكز الالوية بعد استحصال موافقة المتصرف المختص[١٠١].

المادة (٣): لا تشتغل الجمعية بالسياسة مطلقاً.

المادة (٤): هدف الجمعية هو نشر التعاليم الإسلامية بين طبقات الشعب المختلفة وتعليم العلوم الدينية النافعة وتربية الناشئة على الآداب الدينية والعوائد القومية، وهي تتوسل إلى تحقيق هذا الهدف ضمن حدود هذا النظام بما يأتي:

أ. بتأسيس المدارس العالية والثانوية والمهنية والابتدائية ورياض الأطفال وغيرها للبنين والبنات.

ب. بمساعدة الطلاب الفقراء والمحتاجين في مدارس الجمعية لضمان مواصلة دراستهم وأكمالها سواء في مدارس العراق أو في خارجه.

أما بالنسبة للفصل الثاني من نظام الجمعية فقد تطرقت إلى أعضاء الجمعية وتشكيلاتها[١٠٢]، بينما سلط الفصل الثالث الضوء على أملاك الجمعية واموالها[١٠٣]، وعلى هذا الأساس تشكلت جمعية النجاة الأهلية في الزبير وانتخب الشيخ الشنقيطي مديراً لها[١٠٤].

وكما يبدو أن الهدف من تأسيس تلك الجمعية ولاسيما فيما نصت علية المادة (٤) من نظامها الأساس هو" نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة وتربية النشء على التمسك بالدين وآدابه وتربيتهم تربية استقلالية يعتمدون بها على أنفسهم في كسب معيشتهم وتحبب لهم الأعمال الحرة، وهي تتوصل إلى هدف بفتح المدارس على اختلاف أنواعها ودرجاتها في جميع أنحاء العراق[١٠٥].

ومن هنا يبدو لنا واضحاً السبب الرئيسي من تشكيل تلك الجمعية والهدف من انشاءها ولعل في مقدمتها الغاية لتدريس الدين وغرس عقيدة السلف الصالح –كما روج لها آنذاك– في نفوس النشئ والتحذير من البدع والخرافات ومقاومة الإلحاد والتحلل، والثبات على المبدأ الإسلامي القائم على فهم وقصيرة وفهم عميق للصمود أمام التيارات المختلفة والمذاهب الوافدة والآراء الدخيلة البعيدة عن روح الإسلام وجوهره، تلك الدعوات الجوفاء التي قد ينحرف ببهرجها بعض الشباب المسلم ممن لم يتحصن بتعاليم الدين الإسلامي وينشأ عليها منذ حداثته.

أما عن أبرز المناهج التي قامت بتدريسها فهي: اللغة العربية والعناية الخاصة بحسن الخط وتعليم مبادئ مسك الدفاتر، وكما ذكر بعض مؤسسيها أن الغاية من وراء ذلك هو تأهيل بعض طلابها للعمل الحر، ولعل أدل شيء على ذلك هو أن أكثر موظفي المحلات التجارية كانوا من تلاميذها آنذاك[١٠٦].

وكانت الجمعية تؤهل طلابها للاشتراك في الامتحانات العامة الوزارية ونجاحهم فيها يؤهل لمن يرغب لإكمال دراسته في الدراسة العالية، كما تعنى بتغذية الروح حيث كانت الجمعية تعتني بتربية الجسم وتقويته بالتمارين الرياضية والارشادات الصحية إذ ان العقل السليم –كما يعبرون– في الجسم السليم، وكان لها كؤوس التفوق في هذا المضمار[١٠٧]، أما عن ماليتها فعلى ما يبدو انه ليس للجمعية أي مورد مالي ثابت تعتمد عليه في تسديد نفقاتها سوى التبرعات التي كانت تجمع لها من بعض الوجهاء في مدينة الزبير وخارجها، وكذلك بعض رجال الدين الذين كانوا يحصلون على أموال الخمس أو الزكاة حيث كان يباح لها أن تصرف مثل تلك الاموال لغايات خدمة التعليم، لذا كانت تلك القضية من أهم المشاكل التي واجهت الجمعية منذ تأسيسها[١٠٨].

وبعد أن حصلت تلك الجمعية على الاذن بتشكيلها من وزارة الداخلية العراقية في ٢١ سبتمبر أيلول ١٩٢٢م[١٠٩]، تقدمت بطلب آخر لمنحها الاذن بتأسيس مدرسة ضمن منهاجها التأسيسي باسم مدرسة النجاة الأهلية فحصلت على الاذن بذلك في ٨ يناير كانون الثاني ١٩٢٣م[١١٠]، فجمعت التبرعات الكثيرة، وأعان على تأسيسها والانفاق عليها من المحسنين من التجار والملاك ومحبي العلم والمعرفة[١١١]، ومن هنا ومن رحم جمعية النجاة ولدت مدرسة النجاة الأهلية في الزبير والتي استمرت قرابة خمسين عاماً ونيف في مواصلة مسيرتها العلمية واسهاماتها الفكرية حتى تاريخ اغلاقها في عام ١٩٧٤م.

ثانياً: مدرسة النجاة الأهلية.. الفكرة والتأسيس

لقد أوردنا في الفصل الأول من هذا الكتاب طبيعة التعليم في مدينه الزبير آنذاك، لاسيما أن المدينة كانت في مرحلة صراع ثقافي وفكري بين معظم الاتجاهات المختلفة، ولما كان هناك العديد من رجال الدين في المدينة، فقد اتخذ بعضهم إذا لم يكن اغلبهم قد أسهم بشكلٍ أو بأخر في فتح بعض المدارس الدينية والكتاتيب[١١٢]، وجديراً بالذكر إن عدد تلك الحلقات العلمية التي كان يتعلم فيها الكبار والصغار في المرحلة التي شهدت اندلاع الحرب العالمية الأولى وتحديداً في عام ١٩١٤م، حيث ذكر قرابة خمسة عشر حلقة دراسية، فيما كانت الكتاتيب التي عنيت بتعليم الصغار من الصبية وقد بلغت قرابة عشرين كتابٍ[١١٣]، ومن الجدير بالذكر ان الشيخ عبد الله بن سند ت ١٣٨٩هـ/١٩٧٧م قد اشار إلى ذلك الامر بالقول:" **إنَّ مدرسة الدويحس خرجت عشرات الفطاحل من العلماء**[١١٤]، **واختصت الزبير وحدها ما يزيد على خمسين دارساً وستين شخصاً يصلحون للإفتاء**"[١١٥]، لذا نعتقد بأن لتلك المدرسة ونقصد بها الدويحس كان لها الفضل الكبير في تطور حركة التعليم في البصرة عموماً، ومنطقة الزبير بشكل خاص، وربما ساهمت إلى حد كبير لاهتمام الناس بالتعليم و إرسال ابنائهم بغية التعلم ولاسيما قراءة القرآن الكريم وتعلم الكتابة، ولا يخفى ما للأخيرة من أهمية في مجال عملية التجارة آنذاك، وبهذا الصدد كتب جاسم الدرويش:" **إنَّ معظم أصحاب حلقات الدروس وأئمة المساجد كانوا من خريجي تلك المدرسة –ويقصد مدرسة الدويحس– من امثال الشيخ محمد بن غنيم والشيخ عبد المحسن بن علي الاشيقري والشيخ عبد الله حمود والشيخ عبد الله جميعان والشيخ عبد الله النفيسة والشيخ عثمان الجامع الشيخ عبد الله بن سند وآخرون**"[١١٦].

وبلا ريب فإن ما ذكره الدرويش يدفعنا إلى الاعتقاد بأن لتلك المدرسة وما خرجته من علماء ومشايخ أسهم إلى حدٍ كبير في دفع عجلة التعليم في الزبير واسهم في بناء القواعد العلمية والفكرية في تلك المدينة، ووضع اللبنات الأولى لتأسيس مدرسه النجاة فيما بعد.

وفي خضم تلك الاجواء وتطورات الاوضاع الاجتماعية في اعقاب الحرب العالمية الأولى، كانت مدينة الزبير تحتضن أحد مشايخ الدين التي ذاع صيته آنذاك في بعض مناطق الخليج العربي وتحديداً في الكويت، ألا وهو الشيخ محمد أمين الشنقيطي، وقد مرَّ بنا سابقاً كيف تنقل خلال تلك الآونة في بعض مناطق الخليج العربي، ثم وجهت إليه الدعوة من قبل الشيخ مزعل باشا السعدون للإشراف على المدرسة التي اشرف على تأسيسها في الزبير[١١٧]، ولكن شاءت الصدف أن توفي السعدون قبل الشروع في تلك المدرسة، وكان الشنقيطي وقتها في الكويت عندما وصله نبأ وفاة الشيخ مزعل، وهمَّ بالعودة إلى

دياره أو إلى المغرب العربي، لكن البعض اشاروا عليه من القدوم إلى الزبير وإلقاء الدروس الدينية فيها، وعند وصول الشيخ الشنقيطي إلى الزبير وجد إن المدرسة المزمع انشاءها قد أعطيت إلى الشيخ محمد بن رابح من قبل أحمد الصائغ وإبراهيم بن مزعل، وهما المشرفين على تأسيسها، لذا نزل ضيفاً لدى علي بن عبدالله البسّام[١١٨]، وهنا طلب منه بعض الطلبة البقاء في المدينة وإلقاء الدروس حتى موسم الحج[١١٩]، لأن الشنقيطي همَّ في الرجوع إلى مكة آنذاك[١٢٠]، ونزولاً عند رغبة أبناء المدينة استقر أخيراً في الزبير وواكب على إلقاء الوعظ والارشاد في عدة اماكن من المدينة، فالتف الناس حوله واحتشدت الجماهير وازدحمت حلقات الدرس عنده[١٢١]، حتى ذاع صيته في مدينة البصرة بشكل عام[١٢٢]، ورغبة من أهالي الزبير لإبقاء الشنقيطي واستقراره في المدينة عرضوا عليه الزواج ورغبوه فيه واعانوه على ذلك[١٢٣].

وتضامناً مع ما طلبه منه أبناء المدينة، ظل الشنقيطي في مدينة الزبير يساعده بعض مشايخ المدينة من أمثال الشيخ محمد غنيم والشيخ محمد العوجان والشيخ محمد عبد الجبار، وكانت محاضرات الشنقيطي يوماً بعد يوم تأخذ مكانها في مساجد مدينة الزبير حتى بلغت قرابة تسع مساجد آنذاك، كما أسس له مكتبة خاصة في محلة الرشيدية عام ١٩١١م، كان لبعض الوجهاء من الزبير والمدن العراقية الأخرى دور في تموينها[١٢٤]، وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ الشنقيطي يلقي محاضراته في مساجد الزبير، وجهت إليه دعوة من السيد فرحان الفهد الخالد في عام ١٩١٣م الذي عمل على تأسيس جمعية خيرية في الكويت وطلب من الشنقيطي أن يكون واعظاً ومحدثاً في تلك الجمعية[١٢٥]، ولم يتردد الشنقيطي في طلب تلك الدعوة فتوجه إلى الكويت ودأب على الوعظ والإرشاد[١٢٦]، وزار خلال إقامته هناك عدة مؤسسات تعليمية ومنها المدرسة المباركية التي كانت حديثة العهد حيث فتحت في عام ١٩١٢م[١٢٧]، أي قبل عام من توجه الشنقيطي إلى الكويت واطلع على طبيعة التعليم فيها، كما اطلع على مناهجها وأسلوب التعليم فيها[١٢٨].

ويبدو أنَّ تلك الزيارة تركت أثراً في نفس الشيخ الشنقيطي وزرعت في فكره ضرورة تأسيس مدرسة على شاكلة المدرسة المباركية، ولعلها كانت البلورة الأولى في انشاء مدرسة النجاة الأهلية، إذا لم تكن الرحم الذي ولدت منه، فبعد رجوع الشنقيطي إلى الزبير بعد سنوات قليلة، نشأت المدرسة التي اطلق عليها النجاة ولا سيما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وظهور بعض بوادر الانفتاح الاجتماعي في جنوب العراق.

يقول الدرويش بهذا الشأن:" **بدأت مرحلة جديدة من حياة الشيخ الشنقيطي بعد ست سنوات من الجهاد ضد سلطات الاحتلال، حيث انصرف إلى مجالس العلم والتدريس والوعظ في مدينة الزبير التي ورثت علم البصرة القديمة، فكان يرى فيها مجددة علوم البصرة ومجدها الخالد وحضارتها الزاهية، فلم تكن إلا مدة قصيرة حتى لهجت الألسن بالثناء عليه والإعجاب به فقصده الناس من كل مكان متزودين من علمه وتقواه على اختلاف مشاربهم من تجار وكسبة وأصحاب حرف وطلاب علم، وانتظموا في حلقات دروسه، فمالت إليه القلوب واشربت بحبه النفوس، فلما آنس منهم رشداً، فكّر في إنشاء دار للعلم ليبقى خالداً على مرّ الأزمان**"[١٢٩].

كما أشار ناصر إبراهيم الأحمد إلى ذلك الأمر في تتمة مذكرات الشنقيطي قائلاً:" **اعتزم الإقامة في الزبير، وباشر الوعظ والإرشاد، فانتفع به الكثيرون، ثم بدأ يحث على تشكيل مدرسة للعلوم الدينية والدنيوية**[١٣٠]**، تربّي الجيل الصاعد تربية قويمة سامية، وبعد جهود متواصلة، وطرق شتى الأبواب لإيقاظ الهمم الخامدة وتذليل جميع العقبات الرسمية وغير الرسمية، استطاع الشيخ بمساعدة المخلصين من أهل الزبير وعلمائها، فتشكلت لجنة مؤلفة من السيد عبد الوهاب الطباطبائي والشيخ محمد العسافي وسليمان السويدان وناصر الأحمد والشيخ محمد العوجان والحاج عبد المحسن المهيب والحاج إبراهيم العبد الله البسّام والحاج محمد العقيل وداود البريكان والشيخ محمد السند والشيخ محمد أمين الشنقيطي**"[١٣١]، أما الشنقيطي فقد ذكر بهذا الشأن:" **في غمرة هذه الفكرة وكيف الرجاء بضمان التأسيس ونجاحه رأيت أن استخير الله امضي أم أحجم، فصليت ركعتين وقرأت الدعاء فشرح الله صدري للمضي**"[١٣٢].

وبهذا الصدد نجد من المفيد الإشارة إلى ما كتبه الدرويش بخصوص الدوافع وراء تأسيس مدرسة النجاة الأهلية، إذ اعتقد بأن الشيخ الشنقيطي ربما أدرك حاجة المجتمع في مدينه الزبير إلى مدرسة غير خاضعة لسلطات الاحتلال البريطاني آنذاك كما هو الحال المدارس الرسمية الحكومية، وتتبع مناهج روح العصر، لأن المدارس المنتشرة في المساجد هي ذات طبيعة دينية بعيده عن تأهيل الناشئة لإيجاد فرص عمل في المجتمع أو في دوائر الدولة[١٣٣]، وهكذا بذلت المساعي والجهود لتحقيق تلك الفكرة لتصبح واقعاً من أجل تحقيق نهضة علمية مبنية على أساس قوي في نشر العلوم والفضيلة، ولما كان طلب افتتاح المدرسة من ذلك النوع لا يأتي إلا بطلب للوزارة المختصة آنذاك، فقد قدم بعض اهالي الزبير وبرفقتهم الشيخ محمد الشنقيطي طلباً إلى وزارة الداخلية عام ١٩٢٠م للاذن بتأسيس جمعية خيرية باسم جمعية النجاة الأهلية[١٣٤]، وبحسب ما ذكره مترجم حياة الشنقيطي عبد اللطيف الدليشي الخالدي في كتابه:" **إن المساهمين أرادوا بتلك التسميه النجاة أن تكون جمعيتهم تتوخى النجاة بأعمق معاني هذه الكلمة**"[١٣٥]، ومن هنا ظهرت الفكرة إلى حيز الوجود وولدت مدرسة النجاة الأهلية من رحم تلك الجمعية.

أما عن أبرز المساهمين في تأسيس تلك الجمعية، فيذكر إن مجموعة من أهالي مدينة الزبير ساهموا وتبرعوا في إنشاء تلك الجمعية، نذكر منهم الشيخ محمد الشنقيطي رئيساً لها والشيخ عبد الوهاب الطباطبائي والشيخ محمد العوجان والشيخ محمد السند والشيخ محمد العسافي والشيخ ناصر الأحمد والحاج محمد عقيل والحاج ابراهيم العبد الله البسّام والحاج عبد المحسن وداود البريكان وسليمان السويداني وغيرهم[١٣٦].

وعليه يمكن القول ان الرغبة في تأسيس تلك الجمعية التي تحولت بعد سنتين تقريباً إلى مدرسة النجاة الأهلية جاءت بعد تظافر الجهود والهمم من أبناء مدينة الزبير ومساندتهم لرغبة الشيخ الشنقيطي، لذا ساهمت تلك الجهود في انشاء وبناء تلك المدرسة، وعن بداية تكوينها، يقول ناصر إبراهيم الأحمد بعد حصول الموافقة على انشاء الجمعية، تقدم أعضاؤها بطلب الى وزارة المعارف العراقية لفتح المدرسة فحصلوا على الاذن بذلك بتاريخ ٨ يناير كانون الثاني ١٩٢٣م، وسميت بمدرسة النجاة الأهلية، وقد أعان

على انشائها الكثيرون من المحسنين والتجار ومحبي العلم والدين بفضل مساعي السيخ الشنقيطي وصحبه[١٣٧].

الخاتمة

شكلت مدرسة النجاة الأهلية في الزبير سابقة تاريخية مهمة في الحركة التعليمية ليس في تاريخ منطقة الزبير والبصرة فحسب، بل على نطاق العراق ومنطقة الخليج العربي بشكل عام، نتيجة للأثار التي تركتها خالدة في أذهان السكان، سواء الذين درسوا فيها أو الذين تأثروا بأفكارها، فقد كانت بمثابة منارة علم ساطعة في أرجاء المعمورة.

يرجع الفضل الكبير إلى الشيخ محمد أمين الشنقيطي وبعض وجهاء مدينة الزبير في تأسيس تلك المدرسة، كما لا يمكن أغفال الفضل الكبير الذي قدمه بعض السكان سواء داخل المدينة أو خارجها عن طريق التبرعات المادية والعينية التي أسهمت إلى حدٍ ما ببقاء المدرسة قائمة على الرغم من الصعوبات المادية التي واجهتها.

كان الهدف الرئيس من وراء تأسيس تلك المدرسة هو تنشئة الأبناء وتعليمهم القراءة والكتابة فضلاً عن تلقينهم أمور دينهم ودنياهم، فكانت بمثابة المؤسسة التعليمية والتربوية في آن واحد، كما أنها عُدّت بمثابة الجامعة –إذا صح التعبير– من خلال مناهجها وأساليبها التعليمية، فقد كانت ذات مستوى عال مقارنة مع بقية مدارس ذلك الوقت، فقد كانت بمثابة منارة يعتد بها، وخرّجت أجيالاً مميزة، فبحسب بعض الشهادات كان خريجي الابتدائية من تلك المدرسة يساوون إذا لم يفوقوا خريجي المراحل الثانوية في العصر الحديث.

استمرت المدرسة قرابة نصف قرن من مسيرتها التعليمية، وتمكنت بجهود اساتذتها ومعلميها من الصمود بوجه التحديات التي واجهت خلال تلك المرحلة، وربما هذا الأمر يفسر قوة بقائها طوال تلك المدة.

لقد حرص مدرسو تلك المدرسة على إعداد طلابهم إعداداً جيداً متكاملاً، فكانت هناك دروس التربية الإسلامية والتوحيد والعقيدة والفرائض والفقه ومسك الدفاتر – أي المحاسبة – فضلاً عن التاريخ والجغرافية واللغة العربية، الأمر الذي دفع ببعض التجار ليتسارعوا من أجل كسب خريجيها كمحاسبين وأمناء صندوق في مكاتبهم ومحلاتهم، لثقتهم بعلمهم وكفاءتهم وأمانتهم، وإلى جانب ما ذكر، يمكن القول أن تلك المدرسة يرجع إليها الفضل في تعليم طلابها الأمنة والحرص ومخافة الله، ولا يستغرب من ذلك، لأن هذا الأمر نابع من ثقافة ومنبع اساتذتها ومدرسيها الذين تنازلوا في أحيانٍ كثيرة عن رواتبهم بغية مساعدة المدرسة والاستمرار في المسيرة العلمية.

أغلقت مدرسة النجاة الأهلية في عام ١٩٧٤م بعد أن عملت بمثابرة دؤوبة وحرص كبير على تخريج طلابها وإعدادهم الإعداد الصحيح مدة تزيد من نصف قرن تقريباً، وقد جاء إغلاقها –كما أسلفنا– عندما قررت الحكومة العراقية آنذاك بتأميم المدارس الأهلية ولا سيما الدينية منها، وتم دمج طلبتها مع طلاب المدارس الحكومية، وبالتالي أطفأت منارة العلم التي أنارت العقول في مدينة الزبير جنوب العراق.

الهوامش

(١) فال الخير: لقب تلقب به الشيخ محمد أمين، وهنا جاء فال الخير اسم لجده وليس لقباً، وربما كان لقب لعائلته المعروفين آنذاك بـ بني أمين أوالأمين السالم، وكما ورد في مذكراته الشخصية، لذا لقب بـ محمد أمين أو محمد المين. ينظر: مذكرات محمد الأمين فال الخير الحسني الشنقيطي- مؤسس مدرسة النجاة في الزبير- كتبها في عنيزة سنة ١٣٣٦ هـ/١٩١٨م، اعتنى بها عبد الرحمن بن صالح الشبيلي، الكويت: مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي،٢٠١٥م، ص٩٢.

(٢) آبي: بفتح الهمزة.

(٣) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٩٢؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، الشيخ محمد أمين الشنقيطي، بيروت: حياته – مذكراته – علاقته بملوك ومشايخ الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٩م، ص١١.

(٤) إبَّن: بكسر الهمزة وتشديد الموحدة المفتوحة آخره نون.

(٥) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٩٢.

(٧) لم يرد في مذكراته مكان ولادته، بل ذكر انه ولد في شهر ربيع الأول ١٢٩٣هـ. ينظر: مذكرات محمد الأمين، المصدر نفسه، ص٩٢؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٢.

(٨) تنبكتو: مدينة مشهورة، ويقال أن اغلب سكانها من السودان. ينظر: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر نفسه، ص١٣.

(٩) سعود بن عبد العزيز الربيعة، الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون قضاتها- علماؤها- شيوخها . بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١م، ص٢٢٩.

(١٠) راجع على سبيل المثال: مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٠٠، ١١٠-١١؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٣٠-٣١.

(١١) هو الشيخ سيديا ابن الشيخ سيدي الكبير بن المختار بن الهبة التندغي.

(١٢) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٣٣.

(١٣) للاطلاع يمكن الرجوع إلى: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٣١ وما بعدها.

(١٤) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٩٤.

(١٥) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٢.

(١٦) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٩٤.

(١٧) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٣-١٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص١٤.

(١٩) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٤؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٦-١٧.

(٢٠) يذكر أن الشيخ الشنقيطي سافر في عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م إلى المغرب العربي ومرّ بمراكش والرباط وطنجة طلباً للعلم، وفي الرباط أصيب بالجدري فأقعده المرض فيها، وبعد شفاؤه سافر إلى مصر. ينظر: سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٢١) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٥٣.

(٢٢) توفي الشيخ محمد التركزي في عام ١٩٠٤م وقد أشار إليه وترجم حياته خير الدين الزركلي في كتابه الاعلام. للتفاصيل عن حياته. يراجع: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٦٨-٦٩.

(٢٣) توفي الشيخ محمد عبده في عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م.

(٢٤) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٥٣؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٦٨؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٢٥) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٧٩؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٧٣.

(٢٦) قال عنه في مذكراته: أديب الحجاز وشاعره ولغويّه في وقته بدون منازع. ينظر: مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٨٠.

(٢٧) سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٢٨) وهو علامة مراكشي شهير، درس عنده العديد من المشايخ في ذلك الوقت، ويعرف بـ الدّكالي نسبة إلى مدينة دِكال بكسر الدال وهي أحدى مدن مراكش. ينظر: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٨١.

(٢٩) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٨٠؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٧٣؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٣٠) وهو مؤسس أحدى المدارس في الإحساء ولد عام ١١٩٧هـ – ١٢٧٠هـ. ينظر: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٠.

(٣١) مارس الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك التدريس فيما بعد في المدرسة المباركية في الكويت ابان تأسيسها. ينظر: عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت،ج٢، اشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م، ص٢٦٣، ٢٧٤، ٢٩٤.

(٣٢) توفي الشيخ أبو شعيب بحدود عام ١٩٤٤م.

(٣٣) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٠؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٣٤) توفي الشيخ مزعل السعدون في محرم ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. ينظر: محمد النبهاني، التحفة النبهانية – تاريخ المنتفق، ص١٧٠.

(٣٥) هو العلامة محمد بن رابح المغربي الذي كان يسكن مدينة الزبير، وهو والد عبد الله الرابح المدرس بمدرسة الدويحس الدينية الأهلية في الزبير، ثم باشر التدريس بالمعهد الإسلامي في البصرة التابع لوزارة الأوقاف. ينظر: عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٢١؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٢.

(٣٦) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٩١–١٩٥؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٣؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٣٧) وهم: حسن وأمين ويوسف وعائشة ومريم وميمونة وطيبة. ينظر: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٤–٩٥.

(٣٨) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٣–٩٥.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٩٥.

(٤٠) للاطلاع أكثر عن هذا الجانب. يراجع: مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٤ وما بعدها؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٦.

(٤١) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٦.

(٤٢) هو إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفي في عام ٨٨٥هـ، مؤلف كتاب مصرع التصوف، تحقيق عبد الرحمن الوكيل.

(٤٣) توفي محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠١هـ/١٧٨٧م .

(٤٤) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٧.

(٤٥) لقد اشرنا إلى مدينة الزبير وبنائها وعمرانها في الفصل الأول من هذا الكتاب، وللمزيد من المعلومات حول تلك المدينة. يمكن الرجوع إلى: حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني ١٥٤٦م – ١٦٦٨م، دمشق، دار تموز، ٢٠١٢م؛ حسن ثجيل عجيل النصار وعبد العظيم اسحق راضي، البصرة –ولاتها ومتسلموها–مراقدها ومزاراتها الدينية، البصرة: ٢٠١٥م؛ سعد شريف طاهر، الزبير من العهد العثماني إلى التاريخ المعاصر، المصدر السابق، ص١٠؛ عبدالله رمضان الرفاعي، الزبير بين جيلين–حقائق تاريخية واجتماعية ١٩٠٠م –٢٠٠٠م، دار تموز، دمشق، ٢٠١٣م؛ عبد اللطيف بن ناصر الحميدان، تاريخ مشيخة الزبير النجدية–من النشوء إلى السقوط، بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠١٩م؛ سعد شريف طاهر، الزبير.. نشأتها، عوائلها، شيوخها، قضاتها، مساجدها، المصدر السابق، ص١٥؛ ميرزا حسن خان، البصرة.. تاريخها، عشائرها، حكامها، علماؤها، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١م، ص١١٤–١١٥؛ عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز الناصر، الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي، ط٢، ٢٠١٦م.

(٤٦) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص٩٩.

(٤٧) المصدر نفسه، ص٩٩.

(٤٨) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٩٥ وما بعدها.

([٤٩]) المصدر نفسه، ص١٩٦.

([٥٠]) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٩٧.

([٥١]) ذكر الشنقيطي في مذكراته ان في مقدمة من كان معادياً له هو عبدالله بن حمود، قاضي المدينة، والمكينزي إمام مسجد ابن إبراهيم، وابن دبيكل إمام مسجد الحزم، وكذلك ابن عبد الجبار إمام مسجد الرشيدية.

([٥٢]) للتفاصيل أكثر عن هذا الموضوع. يراجع: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٧.

([٥٣]) يذكر أنه كان من أهداف الجمعية إرسال الطلبة إلى دمشق والقاهرة وبيروت لكسب العلوم الدينية.

([٥٤]) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٤؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٠٣؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

([٥٥]) سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

([٥٦]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٠٤؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

([٥٧]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٥.

([٥٨]) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق،ج٢، ص٢٩٤؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

([٥٩]) للتفاصيل أكثر عن حياة الشيخ مبارك الصباح ودوره في حكم الكويت. يراجع: حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي،ج٢، عصر الشيخ مبارك، بيروت: ١٩٦٢م؛ عبد المسيح انطاكي بك، الايات الصباح في مدح مولانا صاحب السمو أمير الكويت الشيخ مبارك باشا الصباح، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٥م.

([٦٠]) للتفاصيل أكثر عن حياة الشيخ خزعل ودوره في حكم المحمرة. يراجع: مجموعة من الباحثين، الشيخ خزعل أمير المحمرة،ط٢، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩م، ص٩- ١٦.

([٦١]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٠٥؛ مجموعة من الباحثين، المصدر السابق، ص٤٣.

([٦٢]) وهو مدير مدرسة النجاة الأهلية بعد وفاة الشيخ الشنقيطي، وقد وضع تتمة لمذكرات الشنقيطي كما ذكر ذلك الشبيبي بأنه اتصل به واستمع إليه لإضافة تلك التتمة. ينظر: مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٣.

([٦٣]) يرجع الفضل في إنشاء المدرسة المباركية إلى ثلاث اشخاص هم: يوسف بن عيسى وناصر المبارك والسيد ياسين الطباطبائي. ينظر: عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٣٦٧.

([٦٤]) حول هذه المعاهدة يمكن الرجوع إلى: أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠م – ١٩٦٥م، الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٤م، ص٣٢١-٣٢٣.

([٦٥]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٢٠٦-٢٠٧.

وللتفاصيل أكثر يمكن الرجوع إلى: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،ج٤،ط٢، دار الراشد، بيروت، ٢٠١٣م، ص١٧٠-١٧١.

([٦٦]) عن عصيان أهل الكويت. يراجع: عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٢٠٣-٢٠٥.

([٦٧]) جاء في التتمة التي كتبها الشيخ ناصر الأحمد في مذكرات الشنقيطي أن الأخير استمر بعد اغلاق الجمعية الخيرية بالإرشاد ووعظ الناس حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكان الشيخ مبارك لجانب بريطانيا ومؤيد لسياستها، بينما الشيخ الشنقيطي فقد كان يندد بسياسة بريطانيا ويكشف مخازيها ويحرض عليها الناس في مجالسه ووعظه، فأغضب ذلك الشيخ مبارك وأوعز إليه بمغادرة الكويت. ينظر: مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٤.

([٦٨]) عبدالعزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٢٠٥؛ علي الوردي، المصدر السابق، ص١٧١.

([٦٩]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٠٧..

([٧٠]) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٤؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١١٩؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٧٧.

([٧١]) حول معركة الشعيبة يمكن مراجعة: اخلاص لفته حريز الكعبي، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤م – ١٩٢٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية- كلية التربية، ٢٠٠٦م، ص٦٠-٦٩؛ علي الوردي، المصدر السابق، ص١٧١-١٧٨.

وعن دوره في معركة الشعيبة. يراجع: عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٣٦-١٤٢.

(٧٢) وهي مدينة تقع في جنوب محافظة ذي قار. للتفاصيل حول تاريخ المدينة يمكن الرجوع إلى: أحسين الزيادي، أرض الضارات جغرافيا ومحافظة ذي قار، بيروت: الرافدين،= =ص٧٢؛ عماد جاسم حسن الموسوي، دراسات في تاريخ مدينة سوق الشيوخ الحديث والمعاصر، بيروت: ٢٠١٧م، ص٧٧ .

(٧٣) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٤٢؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٧٤) كان العسافي أحد تجار بغداد آنذاك، والاسم يعود لأحد اجدادهم المدعو عسّاف. ينظر: سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٧٥) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٤٢؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٧٦) يذكر أن الشنقيطي كتب مذكراته وهو في عنيزة.

(٧٧) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٥١؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٧٨) حكم الشيخ مبارك الصباح للمدة ١٨٩٦م – ١٩١٥م. ينظر: أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص٣٠٧-٣٣٧.

(٧٩) تسلم الشيخ سالم المبارك الصباح الحكم للمدة ١٩١٧م – ١٩٢١م وقد سبقه في الحكم الشيخ جابر مبارك الصباح للمدة ١٩١٦م-١٩١٧م. للتفاصيل أكثر يراجع: أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص٣٤٢-٣٥٠؛ حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي،ج٤، بيروت: ١٩٦٥م؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٢٢٣ وما بعدها.

(٨٠) سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٨١) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٤٢؛ حسين خلف الشيخ خزعل،ج٤، المصدر السابق، ص٦٧-٦٩.

(٨٢) للتفاصيل أكثر. يراجع: حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق،ج٤، ص٦٧-٦٩؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٢٤٠-٢٤٣.

(٨٣) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٥؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٢٤٠-٢٤٣؛ حسين خلف الشيخ خزعل،ج٤، المصدر السابق، ص٧٠.

(٨٤) وهو الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الراشد، شيخ الزبير آنذاك.

(٨٥) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٦٠-١٦١؛ حسين خلف الشيخ خزعل،ج٤، المصدر السابق، ص٧١؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٨٦) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٥.

وعن أسباب نقمة حاكم الكويت الشيخ سالم الصباح على الشنقيطي. يمكن مراجعة: حسين خلف الشيخ خزعل،ج٤، المصدر السابق، ص٧١-٧٢.

(٨٧) وهي أول مدرسة أهلية في الزبير أسسها دويحس الشماس مقابل جامع النجادة وسميت باسمه بحدود عام ١١٨٠هـ/١٧٦٧م. ينظر: سعد شريف طاهر، الزبير من العهد العثماني إلى التاريخ المعاصر...، ص٢٤.

(٨٨) الشماس هي أحدى العوائل التي نزحت إلى الزبير من القصيم، وهم من الدواسر من الازد. ينظر: عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، أمارة الزبير بين هجرتين،ج١، ١٩٨٨م، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٨٩) عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، أمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩-١٣٤٢هـ،ج٣، الكويت: طباعة مطبعة مقهوي، ١٩٨٨م، ص٢٣؛ جاسم ياسين الدرويش، مدرسة النجاة الأهلية في الزبير ١٩٢٠م -١٩٧٤م، البصرة: ٢٠٠٧م، ص٧- ٨ .

(٩٠) حول مسجد الباطن. يراجع: عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، المصدر السابق،ج٣، ص٢٥.

(٩١) عن تلك المدارس. يمكن مراجعة: المصدر نفسه، ص٤٤؛ عبد الباسط خليل محمد الدرويش، موسوعة الزبير، الحالة العلمية والثقافية في الزبير،ج٥، بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٣م، ص٣١-٦٩.

(٩٢) سميت هذه المدرسة نسبة إلى اسم السلطان محمد رشاد. للتفاصيل أكثر. يراجع: عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، المصدر السابق،ج٣، ص٤١-٤٤.

(٩٣) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص١١-١٢.

([٩٤]) المصدر نفسه، ص٢٢.

([٩٥]) للاطلاع على النظام الأساسي للجمعية. يراجع: النظام الأساسي لجمعية النجاة الأهلية في الزبير، المصادق عليه من وزارة الداخلية بكتابها المرقم ١٦٠٠٤ المؤرخ في ٧/ ١١/ ١٩٥٤م، العراق: مطبعة الأديب، ١٩٦٣م، ص١-١٢.

([٩٦]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٥-١٧٦.

وبهذا الصدد ذكر الشنقيطي في مذكراته أنه بدأ النقاش حول تسميتها، وكان الأخير قد اقترح اسم " صدّاء " بدال مشددة، مستشهداً ببيت من الشعر لأبي الفتح البستي:

ما كل ماءٍ كصدّاء لوارده نعم ولا كل نبت فهو سعدان

ولكن اقترح آخرون اسم النجاة الذي سميت به. ينظر: مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٣٦.

([٩٧]) علي أبا حسين، المصدر السابق، ص١١٣.

([٩٨]) أنظر ترجمته في: عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، المصدر السابق،ج٣، ص١٥٧-١٥٩.

([٩٩]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٦-١٧٧؛ جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٢.

([١٠٠]) النظام الأساسي لجمعية النجاة الأهلية في الزبير، المصدر السابق، ص٣-١٢.

([١٠١]) كان عبد الله الصانع أول متصرف للبصرة، وكان يشغل ذلك المنصب إبان تأسيس مدرسة النجاة الأهلية، حيث شغل المنصب للمدة ١٩٢٠م-١٩٢٧م. ينظر: عبد الله رمضان الرفاعي، المصدر السابق، ص٧٠.

([١٠٢]) النظام الأساسي لجمعية النجاة الأهلية في الزبير، المصدر السابق، ص٤-١٠.

([١٠٣]) المصدر نفسه، ص١١-١٢.

([١٠٤]) جمعية النجاة الأهلية في الزبير، ملخص موجز عن: نشأتها.. مؤسساتها الثقافية، البصرة: دار الطباعة الحديثة، ب. ت، ص٣؛ عبد الباسط خليل محمد الدرويش، موسوعة الزبير.. حوادث الزبير،ج٢، بيروت: الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص٧١.

([١٠٥]) جمعية النجاة الأهلية في الزبير، المصدر السابق، ص٣-٤؛ مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٤٦-٤٧.

([١٠٦]) جمعية النجاة الأهلية في الزبير، المصدر السابق، ص٤-٥؛ مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٤٨.

([١٠٧]) جمعية النجاة الأهلية في الزبير، المصدر السابق، ص٥؛ مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٤٨.

([١٠٨]) جمعية النجاة الأهلية في الزبير، المصدر السابق، ص٧-٨.

([١٠٩]) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٤؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٧.

([١١٠]) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٤؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٧؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣١.

([١١١]) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٧.

([١١٢]) للمزيد من التفاصيل عن تلك الحقبة وطبيعة التعليم في مدينة الزبير، يمكن مراجعة: عبد الباسط خليل محمد الدرويش، المصدر السابق، ص٩ وما بعدها.

([١١٣]) محمد النبهاني، المصدر السابق، ص١٢١.

([١١٤]) للاطلاع أكثر. مراجعة: عبد الباسط خليل محمد الدرويش، المصدر السابق، ص٣٤-٤٧.

([١١٥]) عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، المصدر السابق،ج٣، ص٤٠.

([١١٦]) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص١٦.

([١١٧]) علي أبا حسين، لمحة من تاريخ الزبير –تراجم ووثائق، البحرين: مؤسسة فخراوي للدراسات والنشر، ٢٠٠٩م، ص١٠٨.

([١١٨]) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥.

([١١٩]) علي أبا حسين، المصدر السابق، ص١٠٨-١٠٩.

([١٢٠]) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥.

([١٢١]) ذكر الشنقيطي في مذكراته:" **إنَّ المسجد كان يمتلئ حتى يضيق بالناس ويجلسون بالشمس، فثقل ذلك على بعض أئمة المساجد فجرت عليّ بسبب ذلك محنة... واشتكوا لدى مدير الحكومة هناك وقالو له: ان هذا المغربي يلزم إبعاده من هذه**

البلدة، فإنه مثير للفتن يقدح في الحكومة، ويحرض الناس على القيام عليها، ويقدح في الائمة الأربعة ويعترض على مذاهبهم ويسيء إلى الزبير...". ينظر: مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٦.

(١٢٢) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص١٧- ١٨.

(١٢٣) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص١٩٥؛ جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص١٨.

(١٢٤) علي أبا حسين، المصدر السابق، ص١١٠-١١١.

(١٢٥) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٤؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣٠.

(١٢٦) علي أبا حسين، المصدر السابق، ص١١١.

(١٢٧) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص١٩.

(١٢٨) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٥؛ جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص١٩.

(١٢٩) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٠.

(١٣٠) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٥-٢٠٦؛ سعود بن عبد العزيز الربيعة، المصدر السابق، ص٢٣١.

(١٣١) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٥-٢٠٦.

(١٣٢) نقلاً عن: جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢١.

(١٣٣) جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢١-٢٢.

(١٣٤) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٥؛ جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٢.

يذكر أن الطلب قدم إلى وزارة الداخلية في عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م، وقد حصلت الجمعية على الاذن بتأسيسها في عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٢م، بعدها قدم أعضاء الجمعية طلباً للإذن بتأسيس مدرسة النجاة الأهلية فحصلت الموافقة بذلك في ١٣٤٢هـ/٨ يناير كانون الثاني ١٩٢٣م. ينظر: جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٤؛ عبد الباسط خليل محمد الدرويش، المصدر السابق، ص٥٠؛ محمد النبهاني، المصدر السابق، ص١٠٠-١٠١.

(١٣٥) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٥-١٧٦.

(١٣٦) المصدر نفسه، ص١٧٦-١٧٧؛ جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٢.

(١٣٧) مذكرات محمد الأمين، المصدر السابق، ص٢٠٦؛ عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المصدر السابق، ص١٧٧؛ جاسم ياسين الدرويش، المصدر السابق، ص٢٤.

تطور مسار العلاقات الإيرانية ـ العراقية

١٩٢٥ ـ ١٩٤١

The path evolution of Iranian-Iraqi relations

1925 – 1941

أ.د حسنين عبد الكاظم عجه
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أ.د رحيم كاظم محمد
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

This study dealt with the development of Iraqi and Iranian relations, negatively and positively, since the establishment of the Kingdom of Iraq, with a focus on the causes of the differences between the two countries in the twenties of the last century, and the position of each of those differences and ways to address them, then entering the relations of the two countries in a new field after Iran's recognition of the monarchy in 1929 And its reflection on the file of their differences, especially the border ones, and how the two countries were able to resolve them in 1937, then empowered them in the Saadabad Pact and their regional and bilateral policies within its framework, and what are the reasons for the failure of that pact and its repercussions on their bilateral relationship until the fall of Reza Shah Pahlavi at the hands of the Allied forces.

الملخص

تناولت هذه الدراسة مسار تطور العلاقات العراقية والإيرانية سلباً وإيجاباً منذ تأسيس المملكة العراقية، مع التركيز على أسباب الخلافات بين البلدين في عشرينيات القرن المنصرم، وموقف كل منهما من تلك الخلافات وسبل معالجتها، ثم دخول علاقات البلدين في مضمار جديد بعد اعتراف ايران بالنظام الملكي عام ١٩٢٩، وانعكاس ذلك على ملف خلافاتهما لاسيما الحدودية منها، وكيف تمكن البلدان من حسمها عام ١٩٣٧، ثم خولهما في ميثاق سعد آباد وسياستيهما الاقليمية والثنائية في إطاره، وما أسباب فشل ذلك الميثاق وتداعياته على علاقتهما الثنائية حتى سقوط رضا شاه بهلوي على يد قوات الحلفاء.

كلمات مفتاحية: (العراق، إيران، ميثاق سعد آباد، شط العرب)

أولاً – العلاقات حتى انضمام البلدين الى ميثاق سعد آباد

عانت العلاقات الإيرانية – العراقية من التوتر المستمر خلال حقبة السيطرة العثمانية على العراق، وبعد تأسيس المملكة العراقية وتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً عليها في ٢٣ اب ١٩٢١ ورث العراق من الدولة العثمانية جميع الاتفاقيات المتعلقة به، بضمنها مشاكل الحدود مع إيران[١] لذا لم تعترف الحكومة الإيرانية بالحكم الملكي في العراق رغم الجهود التي بذلت للحصول على هذا الاعتراف[٢] وظلت تتجاهل وجود دولة العراق الامر الذي تسبب معه نشوب حملات اعلامية بين البلدين[٣]

وقفت العديد من الاسباب وراء موقف الحكومة الإيرانية السلبي من العراق منها الخلاف حول قانون الجنسية العراقية، والخلافات الحدودية، فضلاً عن الامتيازات الاجنبية[٤] التي منحتها الحكومة

العراقية للأجانب بموجب الاتفاقية العدلية التي عقدت بين العراق وبريطانيا في ٢٥ اذار ١٩٢٤، والتي استثنت الجالية الإيرانية في العراق لأسباب منطقية[٥] فطالبت الحكومة الإيرانية بشمول رعاياها بهذه الامتيازات، فضلاً عن طلبات اخرى مخلة بالسيادة الوطنية، رفضتها الحكومة العراقية[٦] .

ادى هذا التوتر الى حدوث تجاوزات واصطدامات على الحدود، مما حدا بالحكومة العراقية لتقديم مذكرة مسهبة حول الموضوع الى دار الاعتماد البريطاني في بغداد[٧] وتأكيد رفضها لادعاءات الحكومة الإيرانية[٨]، وقد ادت وسائل ضغط الحكومة العراقية السابقة المدعومة من بريطانيا[٩] الى موافقة الحكومة الإيرانية على تأسيس علاقات ضمن قواعد منظمة مع العراق، أرجئ ابرامها لحين حصول الاعتراف الإيراني بالعراق[١٠]، وجاء الغاء العراق للامتيازات الاجنبية عام ١٩٢٩[١١] وتأكيد السفير البريطاني في طهران في الخامس من اذار ١٩٢٩ استعداد حكومته لمساعدة الفرس في النظر في مطالبهم في شط العرب، في حالة اعترافهم بالعراق[١٢]، ليجعلا الحكومة الإيرانية توافق على الاعتراف بالعراق[١٣] فسافر وفد عراقي رسمي برئاسة رئيس الديوان الملكي رستم حيدر الى طهران في ٢٠ نيسان ١٩٢٩ لتلقي الاعتراف[١٤].

رفضت الحكومة الإيرانية بعد اعترافها بالعراق، الاعتراف بشرعية الحدود معه، وطالب رضا شاه ببحث قضية الحدود من جديد، وتركز خلافه بشكل خاص حول اعادة النظر في الملاحة في شط العرب، ومدى حقوق إيران في استخدامه[١٥] .

سعى رضا شاه لتحقيق اهدافه خلال زيارة الملك فيصل الاول الى بلاده في ٢٢ نيسان ١٩٣٢[١٦] فلفت انتباه الملك فيصل الاول الى رغبة الحكومة الإيرانية في ان يصبح خط التالوك (Thalweg) في شط العرب حداً فاصلاً بين البلدين[١٧] وهكذا لم تحقق الزيارة الملكية لإيران اهدافها، فاستمرت الحكومة الإيرانية تثير المشاكل بين الحين والاخر متذرعة بمزاعم مختلفة لانتهاك حرمة الاراضي العراقية[١٨] ولم يؤد استئناف المفاوضات بين وزير الخارجية العراقية نوري السعيد والوزير الإيراني المفوض في بغداد تقي خان نبوي لإنهاء المشاكل مع إيران[١٩]، فاستمرت الحكومة الإيرانية تطالب بخط التالوك، وكررت رغبتها هذه عند التصويت على قبول العراق عضواً في عصبة الامم في الثالث من تشرين الاول ١٩٣٢، محاولة استغلال تصويتها للمساومة حول هذه المسألة، اذ انها وقفت الى جانب قبوله في العصبة، على امل ان يغير موقفه ويستجيب لادعاءاتها ثمناً لتصويتها لصالحه في العصبة[٢٠].

تفاقمت مشاكل الحدود بين البلدين بشكل حاد في هذه الفترة الامر الذي انعكس في قيام الحكومة الإيرانية بقطع الانهار الإيرانية التي تصب في الاراضي العراقية، وقيامها بتجاوزات حدودية متعددة[٢١] تزامنت مع زيارة رضا شاه الى تركيا، التي ادت الى اتفاق إيران وتركيا حول القضايا المعلقة بينهما كافة، ومنها مشكلة الاكراد، الامر الذي اثار قلق الحكومة العراقية على مصالحها، مما حدا بوزير العراق المفوض في طهران خالد سليمان للدعوة لاستغلال الاكراد كسلاح للضغط بدقة ومهارة عند الضرورة[٢٢]، ومن جانب اخر، حاول العراق استغلال زيارة رضا شاه لحسم مشاكله مع إيران[٢٣] وضمن هذا الاطار، اوضح وزير العراق المفوض في انقرة ناجي شوكت لرئيس الوزراء التركي عصمت اينونو المشاكل التي

تسببها حكومة طهران للعراق، فوعده الاخير بأنه سينتهز فرصة زيارة الشاه ويبذل اقصى جهده لازالة سوء الفهم بينهما[٢٤] . وقد اكد وزير الخارجية التركي توفيق رشدي اراس لوزير العراق المفوض في لقاء اخر انه فهم من الشاه ان الخلاف الاساس بين البلدين ينحصر في قضية شط العرب، وكرر العرض الذي سبق وأن عرضه بجعل تركيا حكماً في هذا الخلاف، مؤكداً ان هدف تركيا ايجاد حل يرضي الطرفين كي لا يبقى أي خلاف بين الاقطار الشرقية يحول دون ائتلافها ببعض لتكون متأزرة، مما ولد انطباعاً لوزير العراق المفوض بأن تركيا تمهد لاقامة ميثاق تدخل فيه مع إيران والعراق وافغانستان[٢٥]، كما أخبر وزير الخارجية الإيراني باقر كاظمي وزير العراق المفوض في طهران بأنه سيحاول حل المسائل العالقة بإجراء محادثات مباشرة مع المسؤولين في بغداد[٢٦]، الا ان المفاوضات التي جرت بين كاظمي ورئيس الوزراء العراقي علي جودت الايوبي في بغداد بتاريخ ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٤ اظهرت تقاطعاً في وجهات نظر الطرفين، مما دعا الايوبي للتأكيد في ختام المفاوضات "**ان العراق مستعد ان يختار كل الطرق المألوفة قانونياً ودولياً لأجل حل الاختلافات**" بين البلدين، "**بما فيها قبول تحكيم العصبة، ومحكمة عدل لاهاي الدولية**"[٢٧]، لكن إيران لم تلقِ بالاً لتلك التحذيرات واستمرت على موقفها المتصلب واظهر لقاء كاظمي مع وزير العراق المفوض في طهران بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٤ تقاطعاً تاماً في وجهات النظر[٢٨]، مما ادى الى اضطرار الحكومة العراقية لإثارة الموضوع في عصبة الامم، فقدمت شكواها في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٤، للوصول الى حل سلمي على وفق ميثاق العصبة[٢٩] .

استمرت مناقشات الخلافات العراقية . الإيرانية في عصبة الامم من كانون الثاني ١٩٣٥ الى آيار ١٩٣٥[٣٠] حاولت الحكومة الإيرانية خلالها اقناع العراق بسحب شكواه واللجوء الى المفاوضات المباشرة[٣١]، وقد ادت هذه المحاولات، فضلاً عن تعاطف العديد من اعضاء مجلس العصبة مع ايران، وتوصية مقرر اللجنة التي شكلتها العصبة الى قرار اللجنة احالة القضية للمفاوضات المباشرة[٣٢] . فدخل الطرفان في مفاوضات مباشرة في روما وطهران، استمرت تركيا خلالها ببذل مساعيها لحث الطرفين للتوصل لتسوية المشكلة سلمياً[٣٣] في اطار جهودها لتكوين تكتل في المنطقة[٣٤].

سافر الوفد العراقي الى جنيف في السادس من ايلول ١٩٣٥ ليعرض نتائج مفاوضاته في طهران على مجلس العصبة، وهناك جرت مناقشة اتفاقيات عدم الاعتداء والتحكيم والصداقة، وعلى اثر ذلك طالب العراق في الرابع من تشرين الاول ١٩٣٥ من مجلس العصبة سحب شكواه المقدمة ضد ايران على امل حل الخلافات بالمفاوضات المباشرة المرتقبة في بغداد[٣٥]، وزار الوفد الايراني بغداد في ١٧ كانون الاول ١٩٣٥ لاستئناف المفاوضات[٣٦]، التي استمرت اكثر من اربعة اشهر، اسهمت تركيا خلالها بدور كبير في الضغط على الطرفين لتجاوز النقاط المختلف عليها في ضوء رغبتها في عقد ميثاق عدم الاعتداء الذي اهتمت به الصحف العالمية والاقليمية، وترافقت جهودها مع الزيارات المكثفة بين مسؤولي هذه البلدان وتصريحاتهم عن هذا الميثاق[٣٧]، الامر الذي ادى الى الضغط على الجانب العراقي واضطراره للموافقة على بعض مطالب ايران[٣٨]، مما ادى الى حدوث تقدم في المفاوضات الجارية بين البلدين[٣٩] عبر عنه السفير الايراني في تركيا خليل فخيمي خان بقوله: "**ان المفاوضات جارية الان بين الدولتين مباشرة، ومن المحتمل ان تبدأ مذاكرات الحلف الرباعي حال انتهاء هذه القضية**"[٤٠] . وفي

خضم تلك المفاوضات، قام الفريق بكر صدقي بأول انقلاب عسكري في تاريخ العراق المعاصر بتاريخ ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦، اطاح خلاله بوزارة ياسين الهاشمي ليصبح حكمت سليمان رئيساً للوزارة الجديدة[٤١]، وكان لجهود الحكومة التركية بعد تقاربها مع حكومة الانقلاب، اثراً كبيراً في تهيئة الظروف الملائمة لحل النقاط المختلف عليها وانجاح المفاوضات بين الطرفين[٤٢]، مما ادى الى حل الخلافات بين العراق وايران، وموافقة مجلس الوزراء العراقي على ارسال وفد برئاسة وزير الخارجية العراقي ناجي الاصيل الى ايران، وتخويله عقد معاهدة الحدود، واتفاقيات عدم الاعتداء، والتحكيم، الموقع عليها بالأحرف الاولى في جنيف، وتخويله التفاوض حول الاتفاقيات المتعلقة بالشؤون القنصلية، واسترداد المجرمين والتعاون القضائي والملاحة[٤٣]. واصدر الملك غازي الاول ارادة ملكية بهذا الشأن[٤٤]، وسافر الوفد العراقي في ٢٨ حزيران ١٩٣٧ الى طهران، حيث ابرم معاهدة الحدود في الرابع من تموز ١٩٣٧، كما وقع اتفاقيتين مع ايران، الاولى في ١٨ تموز ١٩٣٧، تناولت قضايا المحافظة على الامن والسلم وتبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، والثانية في ٢٤ تموز ١٩٣٧، بحثت قضايا الخلافات التي قد تنشأ بينهما في المستقبل ومعالجتها على وفق الاعراف الدبلوماسية والقوانين الدولية[٤٥] .

ثانياً – تطور العلاقات الإيرانية – العراقية منذ انضمامهما الى ميثاق سعد آباد حتى سقوط رضا شاه بهلوي

أسهم ابرام ميثاق سعد آباد بين العراق وإيران وأفغانستان وتركيا في تحسين العلاقات العراقية – الإيرانية، فاستغل وزيرا خارجية البلدين اجتماع وزراء خارجية دول الميثاق في الثامن من تموز ١٩٣٧ في طهران، لتطوير وتنظيم العلاقات الإيرانية – العراقية فأصدرا العديد من القرارات التي تنظم العلاقات بينهما وباقي دول الميثاق، وقد دعت هذه القرارات لوضع سياسة مشتركة لدول الميثاق عن طريق "**تأليف مجلس للبحث في المسائل التي لها علاقة بالمصالح المشتركة المتعلقة بالدول الموقعة على الميثاق**" و "**تأليف مجلس من وزراء خارجية الدول الموقعة على الميثاق ... يجتمع مرة واحدة في السنة ... في جنيف او أي مكان اخر يقرره المجلس**"، "**تكون رئاسته متناوبة بين وزراء خارجية دول الميثاق**" و "**احداث سكرتارية للمجلس ترتبط بالرئيس ...، قوامها سكرتير عام ينتخبه الرئيس المذكور من بين كبار موظفي وزرائه وثلاث سكرتاريين يعينون من قبل اعضاء المجلس الاخرين**"[٤٦]، لكن هذه القرارات لم ترتق الى المستوى المطلوب من التنسيق بين دول الميثاق، فلم تنص على أي تنسيق اقتصادي او ثقافي بين دول الميثاق، وجاءت قراراته في الجانب السياسي متواضعة وبالإمكان الاتفاق عليها دون الحاجة لاجتماع مجلس الميثاق، وصبت في مصلحة الدول المتنفذة في الميثاق، ايران وتركيا . فقد اقتصرت القرارات على قيام "**المجلس بمعاضدة ترشيح ايران للمقعد الذي تشغله تركيا في مجلس عصبة الامم الذي سيشغر في شهر ايلول القادم وان يتخذ التدابير الممكنة لجعل المقعد المذكور يشغل بالتناوب بين دول الميثاق بعد انتهاء مدة عضوية ايران**"[٤٧]، وفي ختام اجتماعهم، قرر اعضاء المجلس "**ان يعقد الاجتماع القادم في كابل عام ١٩٣٨**"[٤٨].

أخذت ايران بنظر الاعتبار تحسين علاقاتها بالعراق بعد ابرام الميثاق، فأوقفت ادعاءاتها في منطقة الخليج العربي مؤقتاً، وتصاهرت الاسرة الشاهنشاهية مع الاسرة المالكة المصرية بزواج ولي العهد

محمد رضا بهلوي من الاميرة فوزية ابنة الملك فؤاد[٤٩]، الا ان الشك والارتياب استمر مع العراق وافغانستان، وهو ما اوضحته احدى التقارير السرية لمفوضية العراقية في انقرة المرسلة الى رئيس الوزراء العراقي فقد اشار هذا التقرير الى رغبة "**الحكومة الافغانية في تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين.. بتعيين وزراء مفوضين في بغداد وكابل**"، واكد الوزير المفوض العراقي في انقرة تأييده لهذا الطلب لأن سياسة ايران ترتكز على المناورة وابقاء التوترات في علاقاتها مع البلدين، لذا "**فإن تقارب البلدين يجعل ايران مضطرة لمسايرة واحترام كل منهما**" ويوطد مركزيهما في ميثاق سعد أباد[٥٠]، ويبدو أن هذه الشكوك تعود للمرحلة السابقة التي تميزت بالتوتر في العلاقات بين ايران والعراق، الا ان إيران حاولت فتح صفحة جديدة في علاقاتها مع العراق بعد عقد الميثاق، فعلى سبيل المثال، قام وزير الخارجية الايراني بزيارة ودية للعراق للفترة ٥–٩ تشرين الثاني ١٩٣٧، ناقش فيها وسائل تطبيق المعاهدات التي اتفق عليها البلدان سابقا[٥١]، وقد عبرت الحكومة العراقية عن التطور في علاقاتها مع ايران في خطاب العرش الذي القي في افتتاح مجلس الامة العراقي، الذي اشار الى ان العلاقات مع ايران التي تستند الى اسس المودة والتعاون قد توطدت بتوقيع معاهدات الحدود والصداقة، والتحكيم، وعقد ميثاق سعد اباد الذي يثبت دعائم السلام في المنطقة[٥٢]، وعلى الرغم من التحسن النسبي في العلاقات بين ايران والعراق وباقي اعضاء الميثاق الا ان الاخيرة لم تنسق سياستها الخارجية على وفق ما يقتضيه وجودها في الميثاق، واتبعت سياسة المناورة على حساب القوى الدولية[٥٣]، وكان ظهور المانيا على مسرح السياسة الدولية كقوة عالمية فرصة طيبة لرضا شاه ليقيم توازناً بين الدولتين اللتين طالما هددتا استقلال ايران، فهي معادية على خط مستقيم لكل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي[٥٤] فاتبع رضا شاه ما عرف في تاريخ ايران الدبلوماسي باللجوء الى "**القوة الثالثة**"، من خلال اعتماده على المانيا للموازنة بين القوتين التقليديتين بريطانيا والاتحاد السوفيتي[٥٥] وقد لعبت عوامل عديدة اقتصادية وتجارية وثقافية وسياسية دورها في التقارب بين ايران والمانيا[٥٦] .

ولم يكن غريباً والحالة هذه أن ينعكس هذا التقارب سلبياً على علاقات ايران بالاتحاد السوفيتي[٥٧] وبريطانيا[٥٨] بالرغم من محاولة ايران الظهور بمظهر الدولة غير المنحازة، واشادتها على لسان وزير خارجيتها بميثاق سعد اباد، واظهار تمسكها به، وايمانها بدوره "**في تأمين السلم في الشرق الذي يؤثر في السلم العالمي**"[٥٩] وضمن هذا الاطار، اكد وزير الخارجية الايراني في خطاب القاه في مجلس الامة الايراني في الثالث من تموز ١٩٣٨، اهمية الدور الذي تقوم به اقطار الميثاق، التي تتعاون "**مع بعضها في حفظ الامن والسلم**" واثر ذلك التعاون في اقرار "**الهدوء والسكينة في اسيا والعالم**"[٦٠].

ادركت تركيا خطورة التوتر في العلاقات الإيرانية – السوفيتية على ايران والمنطقة بصورة عامة فحاولت تهدئة حدة التوتر بين ايران والاتحاد السوفيتي[٦١]، وكان لابد لها من عقد اجتماع لمجلس الميثاق، لتنسيق المواقف في هذه المرحلة التي تميزت بـ"**التطورات السياسية في أوربا والاضطرابات التي تستلزم الانتباه المتواصل**"[٦٢]، فأجتمع مجلس الميثاق في جنيف في ١٤ ايلول ١٩٣٨ برئاسة وزير خارجية ايران مظفر أعلم وعضوية وزراء خارجية دول الميثاق، وقد ناقش المجلس العديد من القضايا المهمة، كالهجرة اليهودية إلى فلسطين، وفي هذا الموضوع ابدت دول الميثاق عطفها على وجهة نظر

العراق التي ركزت على ضرورة منعها، وبينت انها "**ستعرب للمندوب البريطاني في عصبة الامم عن ارتياح حكوماتها إذا وجد للقضية الفلسطينية حل تصان فيه ... المصالح المشروعة لسكان فلسطين**"، واكد ممثلو اعضاء الميثاق "**الاتفاق التام بين وجهات نظر حكوماتهم بعدم السماح لهجرة اليهود**"[٦٣]، وتقرر في ختام الاجتماع "**ان يقوم وزير خارجية ايران بصفته رئيس مجلس الميثاق باطلاع وزير خارجية مصر بصورة غير رسمية على القرارات المتخذة ... لكي تكيف الحكومة المصرية خططها وفقها أو تتخذ موقف يختلف عن مواقف دول الميثاق ازاء القضايا المذكورة**"[٦٤]، ومع أن القرارات المتخذة في هذا الاجتماع، كانت متواضعة لم تحسم أي موضوع[٦٥]، الا ان ايران سرعان ما تنصلت عن قرارها بعدم منح السمات ليهود العراق، فمع أن القناصل الايرانيين رفضوا منح اليهود العراقيين سمات الدخول الى ايران بناء على الاوامر الصادرة اليهم من المفوضية الإيرانية، إلا أنهم منحوا هذه السمات بصورة مفاجئة عام ١٩٣٩، بناء على اوامر وزير الخارجية الايراني، الامر الذي يدل على عدم التزام ايران بقرارات ميثاق سعد اباد[٦٦]، وعلى اثر انفضاض اجتماع المجلس، ظهرت بوادر الحرب المقبلة بصورة واضحة، على اثر سيطرة المانيا على جيكوسلوفاكيا في ١٦ اذار ١٩٣٩، الامر الذي اثر بشكل واضح على سياسة دول الميثاق، بسبب خطر الحرب المتوقعة على المنطقة في ضوء ارتباط بلدانها بأطراف هذه الحرب، والاهمية الاستراتيجية والاقتصادية لهذه المنطقة في العمليات الحربية، اللتان تعرضانها لخطر الاحتلال، وبدا وضحاً أن سياسة إيران الخارجية لم تراعِ قرارات الميثاق[٦٧] .

ويبدو أن العراق بدوره لم يكن جاداً في الالتزام بثوابت ميثاق سعد آباد، فقد اخبر وزير الخارجية العراقي نوري السعيد القائم بالاعمال الامريكي في بغداد نابنشو (Knabenshue)، ان اجتماع دول ميثاق سعد اباد لن يحدث بسبب استحالة حضوره او حضور وزير الخارجية التركي، وقد كان هذا التبرير غير منطقي، ويدل بصورة واضحة ان دول الميثاق لم تعول على ميثاق سعد اباد في تنسيق سياساتها حيال الظروف الدولية، وهو ما اكده وزير خارجية العراق حين قال للقائم بالاعمال الامريكي "**انه حتى لو عقد سيكون اجتماعاً سنوياً اعتيادياً، وليس مخصصاً لاتخاذ موقف حيال الوضع الراهن**"[٦٨]، واخيراً، قرر اعضاء الميثاق عقد اجتماعهم الذي وصف بالـ "**روتيني**" في طهران[٦٩] لمناقشة التطورات العالمية الاخيرة[٧٠]، وقد توقعت البعثة الامريكية قبل الاجتماع "**ان ممثلي ميثاق سعد اباد سوف يناقشون تحول ... الميثاق باتجاه الدفاع المتبادل في اجتماعهم**"[٧١]، وكان الاجتماع الذي عقد في طهران للفترة من ٢٨-٢٩ نيسان ١٩٣٩، برئاسة وزير خارجية ايران مظفر اعلم مجرد استعراض للمشاكل الدولية دون تبني مواقف سياسية واضحة، وقد استهل ممثل العراق الاجتماع بتأكيده ضرورة اتباع سياسة التعاطف مع القضية الفلسطينية التي تبنتها دول الميثاق في الاجتماع السابق، كما دعا تلك الدول للتعاطف مع القضية السورية[٧٢] والوصول الى حل منصف لها[٧٣] .

عكس خطاب الممثل التركي باي رانا طرهان ضعف التنسيق والترابط بين دول الميثاق، اذ انه على الرغم من اشارته الى الخطر المحدق بدول الميثاق، وتأكيده انها تعيش "**في وقت عصيب، وان سير الحوادث لا يقاس بالأشهر والاسابيع بل بالأيام**"، الا انه حمل كل عضو تبعات الحرب، حين ذكر انه: "**اذا ما ارغمت احدى دول الميثاق على دخول الحرب فان الواجب الملقى على عاتق ... الدول الاخرى**

البقاء على الحياد"، واكد طرهان ان أي تبدل يحدث في الموقف التركي سيبلغ للأعضاء الاخرين، واللافت ان مجلس الميثاق وافق على هذا التصريح بالإجماع[٧٤]، وهكذا اثبتت قرارات هذا الاجتماع، انه مجرد لقاء روتيني لا يهدف الى اتخاذ مواقف موحدة ازاء المشاكل المختلفة[٧٥]، ولا يحقق فوائد تذكر لأعضائه، وان جل ما يحققه اشاعة الهدوء بين اعضائه في حالة نشوب حرب عالمية[٧٦] .

اخذت الظروف الدولية في التردي بعد هذا الاجتماع، لاسيما بعد عقد المانيا والاتحاد السوفيتي اتفاقية عدم اعتداء بينهما في ٢٣ اب ١٩٣٩، واقتسامهما بولندا، وفقدان دول البلطيق استقلالها عملياً، مما ادى الى توجس ايران من توجهات الاتحاد السوفيتي، واحساسها بخطورة المرحلة المقبلة[٧٧] .

اعلنت ايران حيادها في اليوم الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية بين دول الحلفاء ودول المحور في الثالث من ايلول ١٩٣٩، وعلى الرغم من اتخاذ الحكومة الإيرانية هذا الموقف[٧٨]، واعلان رضا شاه امام مجلس الامة الايراني في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٩، ان علاقات بلاده "**مع الحكومات كافة ولاسيما مع جيرانها قائمة على الود والاحترام**"[٧٩]، الا ان ميل ايران للألمان بدا واضحاً من خلال التغلغل الاقتصادي الالماني الذي شكل ارضية للهيمنة الالمانية عليها[٨٠]. فانتشرت اعداد كبيرة من الالمان في البلاد وتعاطف الكثير من الصحفيين وكبار موظفي الدولة والجيش ممن لهم تأثير كبير على مؤسسات الدولة والرأي العام مع الاتجاهات النازية داخل ايران[٨١]، واتبعت ايران سياسة المناورة مع القوى الدولية استمراراً على موقفها بعدم تنسيق سياساتها الخارجية على وفق ما يقتضيه وجودها في الميثاق[٨٢]، ولهذا رفضت المساعي التركية للتقريب بينها وبين بريطانيا إلا في حالة منحها البحرين وقبول العراق اقتراحاتها بشأن لجنة المراقبة في شط العرب[٨٣]، كما اوضحت لوزيرها المفوض في بغداد رداً على استفساره عن صحة ما يقال عن قرب اجتماع ممثلي دول ميثاق سعد اباد لبحث اهمية ونتائج الاتفاق الثلاثي بين تركيا وبريطانيا وفرنسا "**بأنها لا ترى ضرورة للإسراع في عقد هذا الاجتماع**"[٨٤] ولهذا اوضح الوزير الايراني المفوض في بغداد في جوابه على سؤال القائم بالأعمال الامريكي في بغداد نابنشو حول صحة ما تردده الاذاعات الايطالية من احتمال اجتماع دول سعد اباد لفترة وجيزة بانه: "**لا يرى ضرورة الاجتماع في الظرف الراهن، طالما ان علاقاتهم المتبادلة لم تتأثر بالوضع الدولي**" الامر الذي دعا القائم بالأعمال الامريكي الى نقد موقف الوزير الايراني في تقريره للخارجية الامريكية والتأكيد "**انه كان مخطئاً**" في رأيه هذا، الذي خالف المادة الثالثة من ميثاق سعد اباد[٨٥] .

وقد ادى موقف ايران الى عدم اجتماع دول الميثاق لبحث نتائج الاتفاق الثلاثي، بالرغم من الدعوات التي وجهها وزير الخارجية العراقي والوزير المفوض التركي في بغداد لعقده[٨٦]، وفضلاً عن تحمل ايران جزءاً كبيراً من مسؤولية اضعاف دور الميثاق، كان لبنود الميثاق دور مهم في اضعاف الميثاق ايضاً، اذ انها حددت وضعه القانوني كـ "**ميثاق عدم اعتداء بين الموقعين عليه وليس للمساعدة المتبادلة تجاه الاعتداء الخارجي**"، وقد علق القائم بالأعمال الامريكي على هذا الامر، قائلاً انه: "**إذا اصبحت الحكومة البريطانية في حالة حرب ضد ايران فان الحكومة العراقية ستكون في حل من بنود الميثاق، وفي الوقت نفسه ستكون مجبرة على الالتحاق بالبريطانيين وفق معاهدة التحالف مع بريطانيا**"[٨٧]، كما ان تنوع ارتباطات دول الميثاق ادى الى اضعافه، وقد كان واضحاً "**ان معاهدة**

التحالف البريطانية – العراقية، والاتفاق بين بريطانيا وفرنسا وتركيا، ومطالب الاتحاد السوفيتي الاقتصادية في ايران ستؤدي الى حدوث تطورات تؤثر في المصالح المشتركة لاعضاء ميثاق سعد اباد"[٨٨] وهكذا لم يبق من التزام ايران من الميثاق سوى تبادل برقيات التهنئة مع دوله في بعض المناسبات[٨٩] .

ان مواقف ايران السلبية السابقة كانت وراء عدم تحبيذ بريطانيا لاقتراح رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، بعقد اجتماع لدول ميثاق سعد اباد، والدعوة لتطويره الى ميثاق للمساعدة المشتركة، وقد كشفت بريطانيا دور ايران في اتخاذها هذا الموقف، فقد بين السفير البريطاني في بغداد بازل نيوتن لنوري السعيد انه فهم من وزير الخارجية البريطاني اللورد هاليفاكس "**ان الحكومة الإيرانية ... لا تريد عقد اجتماع خاص بين دول سعد اباد وانه من المستبعد جداً ان توافق تلك الحكومة على تقوية الميثاق ... على المنوال الذي**" بينه نوري السعيد[٩٠]، واضاف قائلاً: "**ان اللورد هاليفاكس ... يرى ان ... من الضروري ان يبحث جميع من يهمهم الامر في ما قد يحدثه أقتراح تقوية الميثاق من رد فعل في البلدان الاخرى ... ولما كانت حكومة بريطانيا ملزمة بان تبادر الى مساعدة العراق عندما يشترك في حرب فستكون لها علاقة شديدة بهذا الامر**"[٩١]، ومع ان العلاقات بين ايران وبين دول الميثاق ظلت جيدة خلال عام ١٩٤٠، في ظل محاولاتها البقاء محايدة قدر الامكان[٩٢] لكن ايران استمرت باتباع سياستها الخاصة في ضوء ما تراه ضرورياً ومنسجماً مع طبيعة مؤثرات السياسة الدولية[٩٣] الامر الذي انهى دور ميثاق سعد اباد نهائياً[٩٤]، وقد اشار وزير خارجية افغانستان خلال لقائه مع احد المسؤولين العراقيين – الى دور ايران الحاسم في انهاء دور ميثاق سعد اباد موضحاً "**ان الحكومة الافغانية تقدمت منذ اندلاع الحرب بطلب للحكومة الإيرانية ترجوا اجتماع دول الميثاق للتنسيق فيما بينهم اذا داهمهم الخطر، لكن الحكومة الإيرانية لم تبد أي استعداد لذلك واعتذر الشاه لعدم النظر في مطلب الحكومة الافغانية لانه يتبع سياسته الخاصة**"، واوضح الوزير الافغاني أن سياسة ايران هذه ادت الى عدم تمكن "**دول ميثاق سعد اباد من الاستفادة من الوضع الدولي الراهن لانها لم تحدد اتجاهها السياسي وان النتيجة ستكون وخيمة على الجميع**" على حد تعبير الوزير الذي استطرد قائلاً: "**لو كانت حدودنا متصلة بالعراق وتركيا لتبدل وضعنا تماماً، لكن وجود ايران في الوسط اصبح عقبة كأداء في وجه تعاون دول الميثاق**"[٩٥] .

بدأت ايران تتحمل نتائج سياساتها المنفردة، التي ظهرت بصورة جلية بعد منحها حق اللجوء للزعماء العراقيين الذين لجاءوا اليها بعد فشل انتفاضة نيسان – مايس ١٩٤١، وعدم الالتفات الى الطلبات البريطانية المتكررة بتسليمهم[٩٦] وجاء الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي في ٢٢ حزيران ١٩٤١ ليقلب مواقف بريطانيا والاتحاد السوفيتي من ايران رأساً على عقب[٩٧]، لاسيما أن النشاط الالماني في أيران وخصوصاً في الشمال كثف جهوده لأثارة الاضطرابات، الأمر الذي دعا الاتحاد السوفيتي وبريطانيا الى تكثيف جهودهما على أيران للقضاء على هذا النفوذ[٩٨] . ولاستخدام أيران لأمداد الاتحاد السوفيتي بالمساعدات العسكرية، إلا أن رضا شاه رفض هذا الطلب، بحجة أنه يناقض حياد بلاده[٩٩] وأمر وزيره المفوض في لندن في التاسع من تموز ١٩٤١ أن يبلغ الحكومة البريطانية بأن "**أيران ستقوم بالرد على المعتدي**" و"**في حالة قيام هجوم بريطاني فأن الحكومة الإيرانية ستتوجه الى ... المانيا لطلب**

مساعدتها، وستدخل الحرب الى جانبها"، وستطبق الأمر ذاته في حالة هجوم السوفيت على أيران[١٠٠]، وأمام هذا الموقف المتصلب وجهت بريطانيا والاتحاد السوفيتي آخر إنذار لإيران في ٢٥ آب ١٩٤١ عبرا فيه عن خيبة أملهما من موقف الحكومة الإيرانية تجاه مطالبهما[١٠١] وغزتا أيران في اليوم نفسه بدخول القوات السوفيتية من الشمال، والقوات البريطانية من الجنوب[١٠٢]، وبعد مقاومة بسيطة أبدتها القوات الإيرانية اضطرت الحكومة الإيرانية للاستسلام[١٠٣]، وتنازل رضا شاه عن العرش لولي عهده محمد رضا بهلوي في ١٦ أيلول ١٩٤١، قبل أن تنفيه الحليفتان الى جنوب افريقيا[١٠٤]، ولم يبد العراق أي تعاطف مع الحكومة الإيرانية لأن بريطانيا العراق هيمنت على سياسته الخارجية تماماً بعد فشل انتفاضة نيسان – مايس ١٩٤١[١٠٥]، وهكذا انتهى ميثاق سعد آباد دون أن يسهم في تطوير العلاقات العراقية – الإيرانية .

الاستنتاجات

- انتابت العلاقات العراقية – الإيرانية خلافات متعددة انعكست سلباً على سياستيهما ازاء بعضهما في عشرينيات القرن المنصرم، وكانت تلك الخلافات بمجملها مطالب ايرانية على حساب العراق، سواء ما يتعلق بقضية الحدود أو منح الجالية الايرانية في العراق امتيازات كثيرة، وسواها من الخلافات.
- ابدى العراق جهوداً حثيثة لحسم تلك الخلافات وتأسيس علاقته مع ايران على ثوابت المصالح المشتركة وحسن الجوار، لكن ايران لم تتفاعل مع تلك الجهود لرغبتها في نيل امتيازات خاصة من العراق.
- فشل البلدان في حل خلافاتهما الحدودية في عصبة الأمم فلجئا الى مفاوضات مشتركة، بذلت اثنائها تركيا جهوداً كبيرة للتوسط بين البلدين، حتى نجحت في اقناعهما بإبرام معاهدة لحسم خلافاتهما الحدودية تمهيداً لضمهما الى ميثاق اقليمي يضم فضلاً عنهما تركيا وافغانستان.
- تحسنت العلاقات العراقية – الإيرانية بعد انضمامهما الى ميثاق سعد آباد، لكن ظروفاً وعوامل كثيرة اضعفت ذلك الميثاق تحملت مسؤوليتها إيران بالدرجة الأولى، وكان العراق متشككاً من بعض نوايا ايران وسياستها ازائه.
- انتهى ميثاق سعد آباد الى الفشل بعد سقوط الشاه رضا بهلوي، ولم يكن رد فعل العراق متعاطفاً معه لأنه كان خاضعاً لتوجهات بريطانيا التي اسقطت رضا شاه.

هوامش البحث

[١] خالد يحيى العزي، مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات والقانون، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٢ . ١٣.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] محمد عبد الحسين، ذكرى فيصل الاول او العراق في اثني عشر عاماً، بغداد، ١٩٣٣، ص ١٠٢–١٠٤.

[٤] محمد كامل محمد عبد الرحمن، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١ –١٩٤١، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٣٧ . ١٣٨.

[٥] د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة/٢/٥، التسلسل ٣١١/٧٣٤، تقرير المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية، المرقم بلا والمؤرخ في ٢٤ شباط ١٩٢٧، وثيقة رقم ٤٤، ص ٩٦ . ٩٧.

[٦] نادية محمد خضير، ميثاق سعد آباد عام ١٩٣٧ ودور العراق فيه، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٧٥ . ٧٦.

(٧) خالد يحيى العزي، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٨) نادية محمد خضير، المصدر السابق، ص ٧٥ . ٧٦.

(٩) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة/٥/٢، التسلسل ٣١١/٧٣٤، ترجمة الكتاب السري المؤرخ ٧ اذار سنة ١٩٢٧ المرسل من المندوب السامي في العراق الى رئيس الوزراء العراقي، وثيقة رقم ٤٥، ص ١١٥.

(١٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف س/٢/د، التسلسل ٣١١/٢٥٨٣، كتاب دار الاعتماد البريطاني المؤرخ ٢٤ اب ١٩٢٧ المرسل من المندوب السامي في العراق الى رئيس الوزراء العراقي، وثيقة رقم ٢٠، ص ٣٨.

(١١) خالد يحيى العزي، المصدر السابق، ص ٤٠ . ٤١.

(١٢) محمد كامل محمد عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(١٣) ارسل رئيس الوزراء الإيراني الى رئيس الوزراء العراقي في ٢٥ نيسان ١٩٢٩ رسالة اوضح فيها ان الغاء العراق للامتيازات، الغى المانع امام اقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين، للمزيد من المعلومات، ينظر : عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢،ط٢، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٠٤ . ٢٠٥.

(١٤) جهاد صالح العمر واسعد زيدان الجواري، ايران في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥ . ١٩٤١، بغداد، ١٩٩٠، ص ٤٩ . ٥٠.

(١٥) مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب، البصرة، ١٩٨٣، ص ١٦٩ . ١٧٠.

(١٦) خالد يحيى العزي، المصدر السابق، ص ٤٣.

(١٧) يقصد بالتالوك، المجرى العميق الذي يتوسط النهر ؛ مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(١٨) صفاء عبد الوهاب المبارك، انقلاب سنة ١٩٣٦ في العراق ممهداته واحداثه ونتائجه، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٤٥.

(١٩) لم تثمر هذه المباحثات سوى عن اتفاق مؤقت لتنظيم قضايا الحدود بين البلدين، بتاريخ ٦ كانون الاول ١٩٣٢، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ط٣، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢١٦ . ٢١٩.

(٢٠) مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٢١) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ١/٢/٢، التسلسل ٣١١/٧١٨، كتاب المفوضية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية، المرقم ٦٧٠ والمؤرخ في ٣ حزيران ١٩٣٤، وثيقة رقم ٣٠، ص ١٤٥ . ١٤٦ ؛ شاكر صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران، بغداد، ١٩٦٠، ص ١٢٠.

(٢٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /١/٢/٥، التسلسل ٣١١/٧٤١، تقرير المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية، المرقم ٦٨٣ والمؤرخ في ٥ تموز ١٩٣٤، وثيقة رقم ٤١، ص١٨٠.

(٢٣) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ١/٢/٢، التسلسل ٣١١/٧١٨، تقرير المفوضية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية، المرقم ٣٤١٩ لشهر حزيران ١٩٣٤، وثيقة رقم ٢١، ص ١١٤.

(٢٤) الملف نفسه، كتاب المفوضية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية، المرقم ٦٧٠ والمؤرخ في ٣ حزيران ١٩٣٤، وثيقة رقم ٣٠، ص ١٤٥ . ١٤٦.

(٢٥) الملف نفسه، كتاب المفوضية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية، المرقم ١٠٠٦ والمؤرخ في ١٨ اب ١٩٣٤، وثيقة رقم ١٨، ص ١٠٩ . ١١٠.

(٢٦) محمد كامل محمد عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٢٧) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /١/٢/٥، التسلسل ٣١١/٧٤١، تقرير المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية، المرقم بلا والمؤرخ في ١ كانون الثاني ١٩٣٤، وثيقة رقم ١٧، ص ١٠٠.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٩ . ٥٠.

(٣٠) خالد يحيى العزي، المصدر السابق، ص ٤٨ . ٦٦.

(٣١) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /١/٢/٥، التسلسل ٣١١/٧٤١، كتاب المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية، المرقم ٤٤٥ والمؤرخ في ٣٠ نيسان ١٩٣٤، وثيقة رقم ١٠، ص ٥٦.

(٣٢) المصدر نفسه ؛ خالد يحيى العزي، المصدر السابق، ص ٦٤ . ٦٥.

(٣٣) محمد كامل محمد عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٧٨ . ٢٠٠.

(٣٤) صفاء عبد الوهاب المبارك، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(٣٥) محمد كامل محمد عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

(٣٦) شاكر صابر الضابط، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(٣٧) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢/٢ /١، التسلسل ٣١١/٧١٨، تقرير المفوضية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية، المرقم س / ٢٤٠٣ والمؤرخ في ٥ كانون الأول ١٩٣٤، وثيقة رقم ١٢، ص٧٧، محمد كامل محمد عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٢٠١ . ٢٠٢.

(٣٨) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢/٢ /١، التسلسل ٣١١/٧١٩، برقية المفوضية العراقية في انقرة، المؤرخة في ايار ١٩٣٦ المرسلة الى وزارة الخارجية، وثيقة رقم ٣٤، ص ١٨٢.

(٣٩) مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

(٤٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢/٢ /١، التسلسل ٣١١/٧١٩، تقرير المفوضية العراقية في انقرة لشهر حزيران المرسل الى وزارة الخارجية، وثيقة رقم ٤١، ٢٢٢.

(٤١) فاضل حسين، مشكلة شط العرب، بغداد، ١٩٧٥، ص ٥٠ ؛ وكان اول انقلاب عسكري في تاريخ الوطن العربي المعاصر ايضاً.

(٤٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /١/٥/٢، التسلسل ٣١١/٧٤٤، تقرير القنصلية العراقية في تبريز لشهر اذار ١٩٣٧ المرسل الى وزارة الخارجية، وثيقة رقم ٥٨، ص ١٦٨.

(٤٣) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /١١/١٦، التسلسل ٣١١/٩٠٥، قرار مجلس الوزراء العراقي المتخذ في جلسته المنعقدة في حزيران ١٩٣٧، وثيقة رقم ٧، ص ٩.

(٤٤) الملف نفسه، كتاب الملك غازي الاول الى وزير الخارجية ناجي الاصيل، وثيقة رقم ٦، ص ٨.

(٤٥) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٢٤ . ٣٣٨.

(٤٦) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢٦/٦، التسلسل ٣١١/٩٢١ ، كتاب المفوضية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية ، المؤرخ في ٢٩ حزيران ١٩٣٦، وثيقة رقم٤٤، ص١٣٥ .

(٤٧) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(٤٨) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢٦/٦، التسلسل ٣١١/٩٢١، كتاب وزارة الخارجية العراقية الى سكرتارية مجلس الوزراء، المرقم ش/٤٨٥٤/٢٥١٠/١٠ والمؤرخ في ٢٧ اذار ١٩٣٨، وثيقة رقم ٤٨، ص١٤١.

(٤٩) صالح محمد صالح العلي، التاريخ السياسي لعلاقات ايران بشرقي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥-١٩٤١، البصرة، ١٩٨٤، ص١٧٢-١٧٣.

(٥٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة / ٦ / ٢٦، التسلسل ٧٧٢ / ٣١١، كتاب المفوضية العراقية في انقرة الى سكرتارية مجلس الوزراء، الرقم فوق العادة والمؤرخ في ٤ أب ١٩٣٧، وثيقة رقم ٥، ص٦.

(51) U. S. D. P. R. Despatch from American legation , Baghdad , To the Secretary of state , Washington , 11 November 1937 , No. 897 , Film 25 , P. 144-145.

(٥٢) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج ٥، ص٢١ -٢٢.

(٥٣) محمد كامل محمد عبد الرحمن، المصدر السابق، ص٢٦٠ - ٢٦١.

(٥٤) عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٧٣، ص٧٩.

(55) Lenczowski , G. The Middle East in the world Affairs , Ithaca , 1956 P. 175.

(٥٦) سليم واكيم، المصدر السابق، ص١٧٨ - ١٧٩.

(٥٧) عودة سلطان العودة وجهاد صالح العمر، العلاقات الايرانية - السوفيتية ١٩١٧ - ١٩٤١، البصرة، ١٩٩٠، ص٢٣ - ٢٥.

(58) Richard Frye. Persia , London , 1968 , P. 102.

(٥٩) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢٦/٦، التسلسل ٣١١/٩٢١، كتاب المفوضية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية، المرقم ٦٦٩ / ١/٢/ ١٩٦ والمؤرخ في ٢٨ حزيران ١٩٣٨، وثيقة رقم ٥٠، ص١٤٤.

(٦٠) الملف نفسه، كتاب المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية، المرقم ٣١٩/١/٢/٧١٦ والمؤرخ في ٥ تموز ١٩٣٨، وثيقة رقم ٥١، ص١٤٥.

(٦١) عبد شاطر عبد الرحمن المعماري، سياسة تركيا الاقليمية بين الحربين العالميتين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب جامعة الموصل، ١٩٩٥ ص١٦٩.

(٦٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢٦/٦، التسلسل ٩٢١/ ٣١١، كتاب المفوضية العراقية في طهران الى وزارة الخارجية، المرقم ٧١٦ / ٢ / ١ /٣١٩ والمؤرخ في ٥ تموز ١٩٣٨، وثيقة رقم ٥١، ص١٤٥.

(٦٣) إن ترأس وزير خارجية ايران لهذا الاجتماع يشير الى هيمنة ايران على الميثاق من جهة، وعدم وجود آلية ثابتة للميثاق من جهة ثانية، إذ انه يخالف قرارات اجتماع وزراء خارجية دول الميثاق لعام ١٩٣٧، التي اشارت الى ان رئاسة المجلس تكون متناوبة بين دول الميثاق. الملف نفسه، كتاب وزارة الخارجية العراقية الى سكرتارية مجلس الوزراء، المرقم ش/١٩٣٣٠ /١٠/٢٥١٠ والمؤرخ في ٧ كانون الاول ١٩٣٨، وثيقة رقم ٥٣، ص١٥٠.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج ٥، ص٣٥.

(٦٦) صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤-١٩٥٢، بغداد، ١٩٨٠، ص١٠٧-١٠٨.

(٦٧) رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، ج ١، بيروت، بلا، ص٣٣٤-٣٦٥.

(68) U. S. D. P. R. Confidential Telegram from American legation , Baghdad , To the Secretary of state , Washington , 13 April 1939 , No. 16 , Film 31 , P. 364.

(69) U. S. D. P. R. Telegram from American legation , Baghdad , To the Secretary of state , Washington , 24 April 1939 , No. 24 , Film 31 , P. 380 ; U. S. D. P. R. Telegram from American legation, Baghdad, To the Secretary of state , Washington , 24 April 1939 , No. , Film 31 , P. 381.

(٧٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ٦ / ٢٦، التسلسل ٩٢١ / ٣١١، كتاب وزارة الخارجية العراقية الى سكرتارية مجلس الوزراء، المرقم ش/٦٨٢٨ /١٠/٣٩٧ والمؤرخ في ٦ ايار ١٩٣٩، وثيقة رقم ٥٧، ص١٥٥.

(71) U. S. D. P. R. Confidential Telegram from Secretary of state , Washington , To the American legation , Baghdad , 12 April 1939 , No. 7 , Film 31 , P. 314.

(٧٢) شهدت سوريا في هذه الفترة اضطرابات بسبب الخلافات حول معاهدة ١٩٣٦ مع فرنسا، الامر الذي ادى الى استقالة الوزارة السورية وتعذر تكوين وزارة جديدة، وتفجر مظاهرات صاخبة في ٣١ اذار ١٩٣٩، فحاولت الحكومة العراقية التوصل الى حل عادل للقضية السورية وبذلت مساعي كبيرة لتحقيق هذه الغاية، للمزيد من المعلومات، ينظر: عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج ٥،ص٩١-٩٤

(٧٣) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ٢٦/٦، التسلسل ٣١١/٩٢١، كتاب وزارة الخارجية العراقية الى سكرتارية مجلس الوزراء، المرقم ٧١٦٧ /١٠/٣٩٧ والمؤرخ في ١٣ ايار ١٩٣٩، وثيقة رقم ٥٨، ص١٦١.

(٧٤) المصدر نفسه، ص١٦٢.

(75) U. S. D. P. R. Confidential Telegram from Secretary of state , Washington , To the American legation , Baghdad , 13 April 1939 , No. 16 , Film 31 , P. 364.

(76) U. S. D. P. R. Confidential Telegram from Embassy in Anqera , To the Secretary of state , Washington , 3 May 1939 , No. , Film 31 , P. 382.

(٧٧) عودة سلطان العودة وجهاد صالح العمر، المصدر السابق، ص٢٥.

(٧٨) خليل علي مراد، تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي ١٩٤١ – ١٩٤٧، البصرة، ١٩٨٠، ص٦ ؛ حاولت الحكومة الايرانية اظهار تمسكها بالحياد من خلال نشر صحافتها البلاغات الحربية الصادرة من جبهتي القتال على السواء، ينظر Lenczowski , G. Russia and the West in Iran 1918-1948 , A study in bigpowers Rivalry , Ithaca , : 1949 , P. 167 /

(٧٩) عبد الهادي كريم سلمان، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية، الموصل، ١٩٨٦، ص٥٠.

(80) Sydney Nettleton Fisher , The Middle East A history , London , 1971, P. 472-473.

(٨١) عودة سلطان العودة وجهاد صالح العمر، المصدر السابق، ص٢٥.

(٨٢) محمد كامل محمد عبد الرحمن، المصدر السابق، ص٢٥٥-٢٦٠.

(٨٣) عوني عبد الرحمن السبعاوي، " العلاقات العراقية – التركية في اثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ "، مجلة الخليج العربي، العدد ١٤، ١٩٨٥، ص٢٢٣.

(٨٤) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٦ /٢٦، التسلسل ٩٢١/ ٣١١، كتاب وزارة الخارجية العراقية الى سكرتارية مجلس الوزراء، المرقم ش /١٦٥٩٣ /١٠ والمؤرخ في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٩، وثيقة رقم ٥٩،ص١٧٠.

(85) U. S. D. P. R. Confidential Telegram from American Legation , Baghdad , To the Secretary of .state , Washington , 1 November 1939 , No. 1425 , Film 31 , P. 440-441

(86) U. S. D. P. R. Confidential Telegram from American Legation , Baghdad , To the Secretary of state , Washington , 1 November 1939 , No. 1425 , Film 31 , P. 440-441.

(87) U. S. D. P. R. Telegram from American Legation, Baghdad, To the Secretary of state , Washington , 25 June 1936 , No. 655 , Film 22 , P. 167-169.

(88) U. S. D. P. R. Confidential Telegram from American Legation , Baghdad , To the Secretary of state , Washington , 1 November 1939 , No. 1425 , Film 31 , P. 440-441.

(٨٩) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة /٢٦/٦، التسلسل ٩٢١ / ٣١١، كتاب وزارة الخارجية العراقية الى سكرتارية مجلس الوزراء، المرقم ت ٦١٦/٢٠٠/٧٩٢٣ والمؤرخ في ٢٢ حزيران ١٩٤١، وثيقة رقم ٦١، ص١٧٣.

(٩٠) الملف نفسه، كتاب السفير البريطاني في بغداد الى رئيس الوزراء العراقي، المرقم ٦٢٦ والمؤرخ في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٩، وثيقة رقم ٦٠، ص١٧٢.

(٩١) المصدر نفسه.

(٩٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة / ٢ /٢ / ١، التسلسل ٧٢٢ / ٣١١، كتاب وزارة الخارجية العراقية الى رئاسة الديوان الملكي، المرقم ش/ ٢٩٢٢/ ٢٩٢٢/ ٦/ ٢٠٣٦٤ والمؤرخ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٠، وثيقة رقم ١٢، ص٦٤ ؛ الملف نفسه، تقرير المفوضية العراقية في انقرة لشهر كانون الأول ١٩٤٠ المرسل إلى وزارة الخارجية، وثيقة رقم ٢٠، ص١١٣.

(٩٣) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة / ٢ /٥ /١، التسلسل ٧٤٥ / ٣١١، تقرير المفوضية العراقية في كابل الى وزارة الخارجية، المرقم ٢ / ١ / ٤٨ /١٢ والمؤرخ في ٥ شباط ١٩٤١، وثيقة رقم ١٥، ص٦٥.

(٩٤) عوني عبد الرحمن السبعاوي، العلاقات العراقية – التركية...، " بحث "، ص٢٢٣.

(٩٥) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملف ة / ٢ /٥ /١، التسلسل ٧٤٥ / ٣١١، تقرير المفوضية العراقية في كابل الى وزارة الخارجية، المرقم ٢/١/٤٨/ ١٢ والمؤرخ في ٥ شباط ١٩٤١، وثيقة رقم ١٥، ص٦٥.

(٩٦) عن هذا الموضوع ينظر: د. محمد كامل محمد عبد الرحمن، " ماذا جرى لثوار مايس في ايران " نشرة الامة العربية والتحديات، بغداد، ٢٠٠٠، ص١ -١٠.

(97) Yahya Armajani , Middle East Past and Present , New Jersey , 1970 , P. 344.

(٩٨) روح الله رمضاني، سياسة ايران الخارجية ١٩٤١-١٩٧٣، ترجمة علي حسين فياض وعبد المجيد حميد جودي، البصرة، ١٩٨٤، ص٤٣.

(99) George Lenczowski , The Middle East.... , P. 176.

(١٠٠) سميرة عبد الرزاق العاني، العلاقات الايرانية – البريطانية ١٩٣٩ – ١٩٥١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٨٠.

(101) U. S. D. P. R. Report from the the Secretary of state about the joint Soviet – British Note of , 25 August 1941 , to the Iranian Government , 4 January 1950 , No. 5147 , Film 5 , P. 473.

(102) Hassan Arfa , Under Five Shahs , Edinburgh , 1964, P. 277-278.

(١٠٣) روح الله رمضاني، المصدر السابق، ص٤٨.

(88) Yahya Armajani, Middle East Past and Present, New Jersey , 1970, P. 344 ; George Lenczowski , The Middle East... , P. 176.

(١٠٥) للمزيد من المعلومات عن اوضاع العراق بعد مايس ١٩٤١، ينظر : جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق ١٩٤١ – ١٩٥٣، النجف، ١٩٧٦.

قياس فاعلية النظام السياسي في العراق حتى عام ١٩٦٨
دراسة مقارنة

Measuring the effectiveness of the political system in Iraq until 1968 A comparative study

ا د حسن علي عبدالله السماك
جامعة القادسية/كلية التربية/قسم التاريخ (متقاعد)

Abstract .

Measuring the effectiveness of the political system in Iraq is a complex matter، but we can determine the formation of the ministries and those in charge of them in the period under discussion، amounting to 47 starting points، but it remains difficult and its difficulty lies in several reasons، including that the period under discussion included two completely different systems in the philosophy of internal management note that the first system is considered the basis on which the iraqi state was built and was called the monarchy. it occupied a period of time from the research period، an ability of 37 years، and it was a parliamentary system، and it can be described as a monarchy bound by a constitution، and it was a written and enforceable constitution، with the presence of some abuses. as for the second system that arose after that and occupied a period of time of 10 years، it was called the republican system and was formed after the overthrow of the first system by using military action to change and drafting a provisional constitution for the state، but it was violated.

The ministries of the royal era at the beginning of the regime were few in number، then they began to increase، which is a true indicator. whenever the regime finds there is an urgent need to do what necessitates the existence of a ministry for the matter، it is possible for the ministry to be formed، and sometimes the regime believes that there are reasons that some ministries must be abolished، so some ministries are canceled due to developments economic and political، but economic developments are the most in drawing the map of the iraqi ministries. as for the number of ministries during the monarchy era، it was different. the number of ministers occupied 570 ministers، while the number of personalities who held the position for one time was 124 ministers. as for the number of those who were repeated in the position، it was 446، which is an indication that the regime keen to focus on specific personalities who are acceptable to them and have the ability to manage the state's tasks. as for the republican era، it represented the beginning of a new bloodshed، given that it rejected the previous philosophy in managing the state. however، after scrutiny، it became clear to us that the change it brought about was a service to the system. the number of ministers who contributed to the administration of the state during the research period reached 247 ministers. the position among them was for once، their number reached 142 ministers، while the number of those who were repeated in the position was 105 ministers، and thus the republican system was seeking to push new elements into the political arena. the transfer of power between the parties، and there was no peaceful transfer in the transition، and here lies the secret in bringing the new faces، given that each regime has special faces in managing its political stage.

الملخص

يعد قياس فاعلية النظام السياسي في العراق من الامور المعقدة الا اننا من الممكن تحديد تشكيل الوزرات والقائمين عليها في المدة قيد البحث والبالغة ٤٧ نقطة الانطلاق الا انها تبقى امرا صعبا وتكمن صعوبتها في اسباب عدة منها ان المدة قيد البحث شملت نظامين مختلفين تماما في فلسفة الادارة

الداخلية والخارجية علما ان النظام الاول يعد الاساس الذي قامت عليه الدولة العراقية وسمية بالنظام الملكي وشغل مدة زمنية من مدة البحث قدرة ب ٣٧ عام وكان نظاما برلمانيا ومن الممكن وصفه بانه نظاما ملكيا مقيدا بدستور وكان دستور مكتوب ومعمول به مع وجود بعض التجاوزات . اما النظام الثاني الذي قام بعد ذلك وشغل مدة زمنية قدرة ب ١٠ اعوام وسمي بالنظام الجمهوري وتشكل بعد الاطاحة بالنظام الاول باستخدام العمل العسكري في التغير ووضع دستور مؤقتا للدولة الا انه كان مخروقا .

كانت وزارات العهد الملكي في بداية النظام قليلة العدد ثم بدأت بالازدياد وهو مؤشر صحيح وكلما وجد النظام هناك حاجة ماسة لعمل ما تستوجب وجود وزارة للامر من الممكن ان تتشكل الوزارة وفي بعض الاحيان يعتقد النظام هناك اسباب يتوجب الغاء بعض الوزارات لذلك يتم الغاء بعض الوزارات بفعل التطورات الاقتصادية والسياسية الا ان التطورات الاقتصادية هي الاكثر في رسم خارطة الوزارات العراقية اما عدد الوزارات في العهد الملكي كان متباينا فقد بلغ عدد شغلوا منصب وزير ٥٧٠ وزير اما عدد الشخصيات الذين شغلوا المنصب لمرة واحدة ١٢٤ وزيرا اما عدد الذين تكرروا في المنصب ٤٤٦ وهو مؤشر بان النظام حريص في التركيز على شخصيات محددة مقبولة بالنسبة لهم ولها القدرة في ادارة مهمات الدولة .

اما العهد الجمهوري وكان يمثل البداية لانطلاق في زج الدماء الجديدة على اعتبار بانه جاء رافضا للفلسفة السابقة في ادارة الدولة الا انه بعد التدقيق تبين لنا ان التغير الذي احدثه خدمة للنظام فقد بلغ عدد الوزراء الذين ساهموا في ادارة الدولة مدة البحث ٢٤٧ وزيرا اما عدد الذين تبوئوا المنصب منهم لمرة واحدة بلغ عددهم ١٤٢ وزير اما عدد الذين تكرروا في المنصب ١٠٥ وزير وبذلك يكون النظام الجمهوري كان ساعيا في دفع العناصر الجديدة الى الساحة السياسية هذا الامر في الظاهر وفي الحقيقة ان النظام السياسي في العهد الجمهوري شهد تغيرا في جوهر النظام بفعل القوة العسكرية في تداول السلطة بين الفرقاء ولم يكن هناك تداول سلمي في الانتقال وهنا يكمن السر في المجيء بالوجوه الجديدة على اعتبار كل نظام لديه وجوه خاصة في ادارة مرحلته السياسية.

كلمات مفتاحية: (الإدارة البريطانية، العهد الملكي، التقويم الاحصائي، الوزارات العراقية)

المقدمة

اتخذت الادارة البريطانية بعد احتلال العراق قرارا بإدارة العراق ادارة مركزية وكان هناك نقاش داخل الادارة البريطانية لوجود طرف يؤكد على المركزية وطرف اخر يؤكد على منهج الادارة الغير مباشرة وفي الاخير انتصرت فلسفة الادارة المباشرة واستمر الحال حتى قيام ثورة عام ١٩٢٠ وفيها اقتنع قادة الادارة البريطانية انها كانت مخطئة في اتباع اسلوب الادارة المركزية ، لذلك كان التوجه بأسلوب الادارة الغير مباشرة وتم ذلك من خلال تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة والتي اطلق عليها في حينها وتم اختيار رئيس الحكومة من قبل مسؤول الادارة البريطانية في العراق السير برسي كوكس .

لقد اضحت النية متجهة الى تشكيل نظام سياسي في العراق ليتحول الى مملكة وتم ذلك بتاريخ ٢٣ اب ١٩٢١ وبموجب ذلك تغير واقع العراق السياسي من اعتباره من ولايات الدولة العثمانية الى كيان سياسي اسمة المملكة العراقية وتتشكل السلطة فيه من الملك وهناك رئيس مجلس الوزراء وهم يمثلون

السلطة التنفيذية في المملكة العراقية .

من هنا تأتي اهمية البحث المعنون قياس فاعلية الوزارات العراقية حتى عام ١٩٦٨ دراسة مقارنة.

توزع البحث على مبحثين حمل المبحث الاول عنوان تقويم فاعلية الوزارات في العهد الملكي والممتد من عام ١٩٢١ وحتى ١٩٥٨ شغل العهد الملكي منها ٣٧ سنه من عمر مدة البحث البالغة ٤٧ سنه وبذلك تكون نسبة العهد الملكي ٧٨،٧٢٣% .

لقد تباين اعداد الوزارات في العهد الملكي منذ بدايته وحتى نهايته ففي بداية العهد الملكي كان عدد الوزرات قليل ثم بدا العدد بالازدياد وبنفس الوقت كانت هناك وزارات تلغى في مدة محددة لأسباب مختلفة وبعد زوال تلك الاسباب والمؤثرات يتم العودة اليها مرة ثانية وفي هذه الفقرة تؤشر لنا ان النظام السياسي عندما يمر بأزمة اقتصادية ويعتقد بانه من الممكن الاستغناء عن بعض الوزارات من اجل الترشيد في الانفاق الا ان ذلك لا يؤثر على نوعية الخدمة المقدمة الى المواطنين .

ان النظام قد يستغني عن تلك الوزارات كما حدث على سبيل المثال عندما تم الغاء وزارة الصحة وهناك مؤشر بان النظام كان يستحدث وزارات في حالة الازمات وعند زوال تلك المؤثرات من الممكن حلها كما حدث عندما تم استحداث وزارة التموين بسبب احداث الحرب العالمية الثانية والازمة الاقتصادية التي مرت على العالم والعراق منها لذلك وجدت من اجل التغلب على تلك الازمة ولابد من استحداث وزارة خاصة لمتابعة حاجات المواطن وعندما انتهت اثار تلك الازمة تم حل تلك الوزارة والملاحظة المؤشرة على العهد الملكي ان الوزارات يتم استحداثها حسب الحاجة اليها وليس اعتباطا لذلك كانت اعداد الوزارات تنمو تباعا و يحق لنا القول ان فاعلية الوزارات العراقية في العهد الملكي كان دقيقا اما اعداد الوزراء في كل وزارة واعداد الدماء الجديدة والتي يحرص النظام على زجها في كل وزارة يمكن متابعتها بين ثنايا البحث وحسب المراحل التي مر بها النظام والتي وزعت حسب العقود الزمنية بين عقد العشرينات والثلاثينات والاربعينات الخمسينات وفيها يتم كشف هوية رجال النظام اما انهم حريصون على تجديد رجال الحكم في الوزارات او انهم كانوا حريصون على حصر الدخول الى المناصب الوزارية في شخصيات محددة ومن ابرز مواصفاتهم اخلاصهم المطلق ولا بد من اعتبارهم رجال النظام .

اما العهد الجمهوري والذي كان عمره في مدة البحث ١٠ سنوات وكانت نسبته من المدة الزمنية قيد البحث ٢١،٢٧% وتعد نسبة قليلة من عمر مدة البحث الا ان النظام السياسي بدا بعدد اكبر من الوزارات عن النظام الساسي السابق وهي ظاهرة صحية على اعتبار ان الوضع السياسي متطور وحاجات الدولة كانت واضحة وقامت على انقاض النظام السابق ومع ذلك تم استحداث وزارات جديدة ويحق لنا القول ان الاستحداث للوزارات جاء بفعل الاحداث السياسية ولم تكن لحاجات اساسية للمجتمع وبالإمكان الاستغناء عنها او دمجها بوزارات اخرى وتقدم ذات الخدمة الا ان الميزة في العهد الجمهوري ظاهرة ادخال الدماء الجديدة في الوزارات ظاهرة صحية ولكن ليس القصد ان النظام ساعي بجد لزج الدماء الجديدة لقناعته بأهمية ادخال الدماء الجديدة بل لان النظام السياسي كان كثير التبدل بفعل احداث الانقلابات التي وقعت وساهمت في خلق التغيرات السياسية وكلما حدث تغير سياسي يحاول رجال التغير السياسي الاتيان بشخصيات مؤيدة لهم ويتم ابعاد كل شخصية مشكوك بولائها للنظام الجديد وعد ذلك سر

تبدل الشخصيات في الوزرات العراقية .

في ضوء ما تقدم يظهر لنا ان استقرار الشخصيات الوزارية في العهد الملكي فسرت سلبيا على اعتبار ان النظام يحاول الحفاظ على الشخصيات المؤمنة بالنظام والادق ان النظام حاول اقناع الجيل الجديد بالفلسفة التي يؤمن بها الا ان الكثير منهم كان مقتنع بان النظام لايمكن التعامل معه باي حال من الاحوال الا بالانقلاب عليه اما العهد الجمهوري كان سر كثرة التبدل الوزاري لكثرة التغيرات السياسية وبالتالي عند المقارنة تكون المعادلة .

ان التغير السياسي في العهد الجمهوري اصبح ظاهرة سلبية لأنه مثل صورة من الصراع السياسي وانعكس على تشكيل الوزارات العراقية اما العهد الملكي كان اكثر استقرارا من العهد الجمهوري .

اعتمد البحث على مصادر متنوعة منها الرسائل والاطاريح الجامعية علي ناصر حسين ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ حاولت الاطروحة تسليط الضوء على الادارة البريطانية وساهمت بصورة او باخرى في خلق الازمات داخل المجتمع العراقي بل انها عبئت المجتمع لانطلاق ثورة العراق الكبرى لعام ١٩٢٠

الكتب العربية

في المقدمة منها تقف مؤلفات السيد عبدالرزاق الحسني ومنها تاريخ الوزارات العراقية باجزائه العشرة وكذلك كتاب الاصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي الزائل حاول المؤلف اعطاء مادة خام للباحثين وبالامكان توظيف تلك المادة حسب توجهات الباحث في الكتابة عن تلك الحقبة من تاريخ العراق المعاصر ولاسيما في العهد الملكي

ياتي كتاب تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري والذي تم تاليفه من قبل لجنة برئاسة نوري عبدالحميد العاني واخرون فيعد ايضا مادة خام في حفظت تاريخ العراق في العهد الجمهوري وبالامكان الاستفادة منها لكل باحث في تاريخ العراق والخروج بنتائج جديدة في تاريخ العراق المعاصر .

يعد كتاب حنا بطاطو والمعنون العراق " الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار من الكتب القيمة والتي من الممكن الوقوف عندها لادراك الصراع السياسي الداخلي في اعقاب ثورة ١٤ تموز في العراق اضافة الى ذلك هناك العديد من المصادر استخدمت في ثنايا البحث

المبحث الاول- التقويم الاحصائي للوزارات في العهد الملكي ١٩٢١- ١٩٥٨

تعد الحرب العالمية الاولى والنتائج التي افرزتها في المجالين الاقتصادي والسياسي كبير جدا وبخاصة في المجال السياسي وفي المقدمة منها انهيار الدولة العثمانية وخروج الكيانات التي كانت تحت سيطرتها لتعلن ولادة جديدة لكيانات اصبحت فيما بعد دول جديدة (١).

لقد تغيرت خارطة العالم في اعقاب الحرب العالمية والعراق واحد من الكيانات التي ظهرت في اعقاب الحرب وخضع لنظام الانتداب وكان من حصة المملكة المتحدة والتي تعد من الدول المنتصرة في الحرب ويحق لها الاستفادة من تركات الدولة العثمانية وضمن مبدا حق الغالب على المغلوب وقد فرضت المملكة المتحدة في البداية الادارة المركزية في الحكم وتم تعين السير برسي كوكس(sir percey cox) (٢) مندوبا ساميا واخذ على عاتقه تأسيس دولة سميت فيما بعد بالمملكة العراقية(٣).

ان فرض الادارة المركزية في حكم العراق والتي فرضتها افكار مدرسة الهند الاستعمارية والتي كان يمثلها ارنولد ولسون (Arnold Wilson)(٤) ثبت فشلها والدليل على ذلك الاحداث اللاحقة التي حدثت بعد ذلك ومنها ثورة العشرين والتي انطلقت في ٣٠ من حزيران وظلت منذ ذلك التاريخ الحدث الابرز في رسم خارطة العراق السياسية كل تلك الاحداث كانت تقود وتؤشر بان الادارة المركزية لحكم العراق كانت فكرة غير مدروسة ولا بد من اعادة النظر في مشروع المملكة المتحدة في العراق. في ضوء ذلك لابد من ولادة كيان سياسي جديد سمي فيما بعد المملكة العراقية بعد ان كان عبارة عن ولايات تابعة للدولة العثمانية (٤) .

ان ولادة المملكة العراقية(٥) التي ضمت في الظاهر مجتمعاً موحد الا انه في الحقيقة عبارة عن تجمع سكاني متباين في النسب بين القوميات والمذاهب، وهناك من يحاول ان يبقى بعيدا عن مؤسسات الدولة وهناك من انخرط فيها، وقد لاحظ الملك فيصل ذلك عندما ادرك ان الاكثرية هم المحكومون والاقلية هي الحاكمة، فحاول الملك فيصل جاهداً زيادة اعداد الشيعة وهم الاكثرية في الادارات الحكومية الا انه تعثر في مسعاه عندما سعى الى زيادة اعداد الشيعة في كلية الحقوق(٦). وقد اشار الملك في مذكرته التي وجهها الى الوزارة القائمة وشخص اهمية الاقتصاد في بناء الدولة ولا بد من تطوير الاقتصاد لذلك دعا الى تأسيس لجنة دائمة ذات صلاحيات واسعة برئاسة رئيس الوزراء وكان في حينها عبدالرحمن الكيلاني تتولى تنشيط الصنائع والحرف والزراعة وتأسيس الشركات الوطنية ودعا الملك الى اتباع سياسة تستند الى الاقتصاد في النفقات الادارية من اجل تنفيذ مشاريع ذات النفع العام لتطوير الاقتصاد(٧).

ان الطروحات التي عرضها الملك فيصل واناط مسؤوليتها برئيس الوزراء فيها اتجاهين الاول محاولة احراج رئيس الوزراء من اجل دفعه الى تقديم استقالته والمحاولة الثانية للضغط على الادارة البريطانية من اجل دعم العراق اقتصاديا والتي كانت متمسكة برئيس الوزراء عبدالرحمن النقيب وبما ان الادارة البريطانية كانت تعاني من الازمة المالية لذلك لم يبق امام الملك خيار سوى دفع رئيس الوزراء الى تقديم استقالته(٨).

ان بناء الدولة الجديدة يتوجب قيام مؤسسات لها وتسير بموجب القوانين وفي المقدمة منها تشكيل الوزارات والتي وضعت بالأساس من اجل تقديم الخدمات للمواطنين في الدولة والتي تبدا بالخدمات الامنية المقدمة للمواطنين في الداخل وهناك الامن الخارجي لحماية كيان الدولة من الاعتداءات الخارجية لذلك كان لابد من ايجاد اهم وزارتين وهي وزارة الداخلية ووزارة الدفاع اضافة الى الوزارات التي تقدم الخدمات التعليمية والخدمات الصحية لذلك كانت الوزارات التي برزت في الدولة وبشكل متتابع ولم تظهر دفعة واحدة والملاحظ ان الوزارات العراقية كانت تمر بحالة بين الالغاء او الدمج بين الوزارات او الاستحداث وكل ذلك لأسباب اقتصادية والتي كان يمر بها البلد وفي بعض الاحيان تتشكل وزارات لأسباب خاصة مر بها البلد (٩).

لقد تباين عدد في الوزارات العراقية طيلت العهد الملكي وكذلك تباين عدد الوزراء العاملين في الوزارات من حيث اعداد الشخصيات التي تكررت في قيادة الوزارات والشخصيات الجديدة منذ ولادة المملكة وحتى انهيار النظام السياسي في ١٤ تموز ١٩٥٨ ويمكن ملاحظة اول تشكيل وزاري بعد ولادة

المملكة العراقية بلغ عدد الوزارات المشكلة (٩) تسع وزارات وكانت البلاد في حينها بحاجة فقط الى تلك الخدمات التي تقدمها الوزارات وتباينت خدماتها بين الامنية والدفاعية وخدمات اخرى كان الفرد ساعي لتحقيقها (١٠) . الا ان هذا العدد من الوزارات تقلص في اعقاب استقالة وزارة عبدالرحمن النقيب الاولى لتشكل وزارة جديدة باسم وزارة عبدالرحمن النقيب الثانية ، وتقلص فيما بعد عدد الوزارات واصبح عددهم (٧) وزارات بعد ان تم الإستغاء عن وزارة الصحة (١١) وكذلك وزارة التجارة (١٢) ويبدو ان الاستغاء جاء بفعل الازمة الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة لذلك وضع القيمين على الدولة امام خيارين اما البقاء على الدولة وتقليص الوزارات او انهيار الدولة بسبب الوضع الاقتصادي لذلك كان اختيار تقليص عدد الوزارات من اجل تخفيض المصروفات هو الحل الافضل للمعالجة (١٣) .

ان الفقرة الاخرى والتي يمكن متابعتها في ضوء التقويم الاحصائي عدد الوزراء في كل وزارة وعدد الاسماء المكررة والاسماء الجديدة ومن الممكن توظيفها بطريقة اخرى وهي كلما كانت الدماء جديدة في الوزارة عد مؤشر ان الوزارة جادة في تقديم الخدمات ولا تبالي في ان حظيت بالقبول السياسي او الرفض وكلما كانت الاسماء قد مارست العمل السياسي في وزارات سابقة يعد مؤشر بان الوزارة جادة في الحفاظ على الموافقات السياسية ففي اول وزارة تشكلت في ظل النظام الملكي كانت وزارة عبدالرحمن النقيب الاولى والتي تشكلت بتاريخ اب عام ١٩٢١ وكانت تظم (٩) وزارات وهي وزارة الداخلية ، العدلية ، المعارف ، الصحة ، المواصلات والاشغال ، التجارة ، المالية ، الدفاع ،الاوقاف الا ان هذا العدد من الوزارات لم يستمر بسبب الازمة المالية واول اجراء اتخذ الغاء وزارة الصحة بتاريخ ٨ حزيران ١٩٢٢وكذلك تم الغاء وزارة التجارة بتاريخ ١٥ تموز ١٩٢٢ وتحويلها الى مديريات وتقدم الخدمة للمواطنين من خلالها و عندما ندقق بأسماء الوزراء في اول حكومة عراقية بعد الغاء وزارتي الصحة ووزارة التجارة يظهر لنا ان اربع من الوزراء هم من العناصر التي لم يتم إستيزارهم في الحكومة المؤقتة وهناك ثلاثة من الوزراء تم إستيزارهم في الحكومة المؤقتة وبذلك تكون نسبة الدماء الجديدة في الوزارة (٥٧،١٤%) وتعد ظاهرة صحية الا ان الوزارة لم تستمر وقدمت استقالتها في ٩ اب ١٩٢٢ ليعاد تشكيلها مرة ثانية .

يبدو ان الاستقالة السابقة كانت شكلية وشكلت مرة ثانية بتاريخ ٢٨ ايلول ١٩٢٢ واستمر عدد الوزارات (٧) وزارات الا ان الشخصيات الوزارية السابقة استمرت ولم يحاول رئيس الوزراء اضافة اي شخصية جديدة في الوزارة (١٤)

كانت امام الوزارة مهمات كبيرة من ابرزها تشكيل المجلس التاسيسي من اجل اقرار المعاهدة العراقية البريطانية الاولى لذلك قرر رئيس الوزراء تقديم الاستقالة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢ وتم اسناد الوزارة الى عبدالمحسن السعدون (١٥) ليتراس الوزارة لاول مرة وذلك بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ واستمر ذات العدد من الوزارات الا ان المتغير في الوزارة انها ضمت (٤) وزراء تقلدوا المنصب لاول مرة بعد ذلك تم تكليف جعفر العسكري (١٦) لتولي منصب رئيس الوزراء وتم فعلا بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ واستمر ذات المنهج بادخال الشخصيات الجديدة وكانت نسبتهم هي الغالبة ولكن في ظل وزارة

ياسين الهاشمي(١٧) الاولى والتي شكلها في ٢ اب ١٩٢٤ ، ويبدو ان الملك كان جادا في اختيار الشخصيات التي عرفها في مدة سابقة.

ان التطور الذي اصاب بناء الدولة في تلك المرحلة حتمت على القائمين عليها وبمشورة الادارة البريطانية استحداث وزارة تهتم بالشؤون الخارجية في ضوء ذلك تم استحداث وزارة الخارجية بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٤ (١٨) . ويبدو ان القائمين على ادارة الدولة وجدوا الحاجة ماسة الى ذلك الاستحداث ولم يكن مجرد ترف اداري وبموجب ذلك اصبح عدد الوزارات ٨ وزارات. بلغ عدد الشخصيات الوزارية الجديدة (٥) فقط ونسبتهم (٦٢،٥%) والمتكررين (٣) وبذلك تكون النسبة (٣٧،٥%) ، وفي وزارة جعفر العسكري الثانية والتي تشكلت بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦ وتم فيها استحداث وزارة الري والزراعة وذلك بتاريخ ١٠ شباط ١٩٢٧ وبذلك اصبح عدد الوزارات (٩) واستمر هذا العدد من الوزارات حتى عقد وزارة توفيق السويدي (١٩) الاولى والتي عقدت بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٢٩ وهو مؤشر بان الوزارات لايمكن استحداثها الا من اجل سد فراغ في بناء الدولة وحتى اذا تم الغاء الوزارات لا يتم الا للحاجات الضرورية وفيها يعتقد القائمين على الادارة ان الالغاء يحقق الفائدة اكثر لو استمرت الوزارة لذلك تم الغاء وزارة الاوقاف ليصبح عدد الوزارات (٨) واستمر هذا العدد حتى نهاية عقد العشرينات من تاريخ الدولة العراقية وبموجبه ستظهر لنا الاحصاءات التالية :

تشكل في عقد العشرينات ١١ تشكيل وزاري وبلغ عدد الوزارات (٨) اما عدد الوزراء الذين تناوبوا على قيادات الوزرات (٨٨) شخصية وزارية اما عدد العناصر الجديدة بلغ عددهم (٢٥) وبذلك تكون نسبتهم (٢٨،٤٠) اما عدد الشخصيات التي تكررت في الساحة السياسية لاسباب عدة ومنها القرب من صانع القرار بلغ عددهم (٦٣) وبذلك تكون نسبتهم (٧١،٥٩) وهم يشكلون الغالبية في ادارة الدولة وبذلك يكون النظام السياسي حريص على غلق الابواب بوجه النخب الجديدة لان ذلك يحقق للنظام الامن الداخلي والمحافظة على علاقاتها في المجال الخارجي .

اما عقد الثلاثينات بدا في ظل وزارة نوري السعيد الاولى والتي تشكلت بتاريخ ٢٣ اذار ١٩٣٠ وكان عدد الوزارات فيها (٨) وزارات الا انه بسبب الازمة الاقتصادية التي كان يمر بها العراق دفعت الوزارة القائمة الى الغاء وزارة الري والزراعة(٢٠) وتحويل صلاحيات الوزارة الملغاة الى وزارة اخرى او الى مديرية تابعة الى اي وزارة من اجل تمشية الامور الخدمية للمجتمع والخاصة في مجال الزراعة والري وهذا مؤشر ان الغاء الوزارات لايعني خلق اضطرابات ادارية او فنية تؤثر نوع الخدمة المقدمة المواطن والدولة واصبح عدد الوزارات في الدولة (٧) وزارات استمرت بنفس عدد الوزارات السابقة الا ان التغير الجديد في عدد الوزارات حدث في ظل وزارة نوري السعيد الرابعة والتي تشكلت بتاريخ ٦ نيسان ١٩٣٩ عندما تم استحداث وزارتين ليصبح العدد (٩) وزارات ففي اب ١٩٣٩ تم فصل وزارة الاقتصاد والمواصلات لتصبح وزارتين الاولى وزارة الاقتصاد والاخرى وزارة المواصلات والاشغال (٢١) وتم استحداث وزارة جديدة باسم وزارة الشؤون الاجتماعية وذلك بتاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٣٩ (٢٢) .

في مدة الثلاثينات بلغ عدد التشكيلات الوزارية (١٣) تشكيلا وزاريا بلغ عدد الوزراء المساهمين في الوزارات (٩٤) اما عدد الدماء الجديدة في الوزارات (٢٤) وزيرا وبذلك تكون نسبة العناصر

الجديدة (٢٥،٥٣%) اما الشخصيات المكررة في الوزارات بلغ عددهم (٧٠) وزيرا وبذلك تكون نسبتهم (٧٤،٤٦%) وهو مؤشر ان مرحلة الثلاثينات من المراحل المضطربة لذلك سعى النظام الى الاستناد للعناصر التي يثق بها والنسبة في عقد الثلاثينات تفوقت على عقد العشرينات وهذا الامر يؤشر ان العلاقة بين النخب القديمة والجديدة بدات تتازم فالعناصر القديمة ساعيه للحفاظ على ما حققته بكل السبل المتاحة اما النخب الجديدة ساعية للوصول الى السلطة ايضا بكل السبل حتى ولو كان باستخدام العنف الثوري وهذا ما تحقق لها .

اما عقد الاربعينات والذي يبدا من وزارة نوري السعيد الخامسة والتي تشكلت بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٤٠ وتنتهي بوزارة علي جودت الايوبي الثانية والتي تشكلت بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٤٩ . بلغ عدد التشكيلات الوزارية خلالها (١٨) تشكيلا وزاريا كان عدد الوزارات (٩) الا انه تم استحداث وزارة التموين (٢٣) في ظل وزارة نوري السعيد الثامنة بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية والازمة الاقتصادية وصعوبة ايصال المواد الغذائية للمواطنين ومن اجل انسيابية وصول المواد الغذائية تم استحداث الوزارة الا ان عمرها انتهى لمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية وزوال تاثيراتها الاقتصادية على المواطنين لذلك تم الغائها في ظل وزارة مزاحم الباجه جي والتي تشكلت بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٤٨ . بلغ عدد الوزراء المساهمين في التشكيلات الوزارية (١٧٠) وزيرا وعدد الشخصيات الجديدة والتي زجت في العملية السياسية (٣٩) وزيرا وبذلك كانت نسبتهم (٢٢،٩٤ %) اما الشخصيات التي تم تكرارها في المناصب بلغ عددهم (١٣١) وبذلك تكون نسبتهم (٧٧،٠٥%) وهو مؤشر بان النظام السياسي بدا يفقد ثقته بالدماء الجديدة بل يعدها مصدر قلق ولا بد من تحديد اعدادها في العملية السياسية .

اما عقد الخمسينات والذي يبدا بوزارة توفيق السويدي الثالثة وشكلت بتاريخ ٥ شباط ١٩٥٠ (٢٤) وينتهي بوزارة احمد مختار بابان والتي انتهت حياتها السياسية بتاريخ ١٤ تموز ١٩٥٨ بانطلاقة الثورة والتي انهت النظام السياسي الملكي واقامة النظام الجمهوري (٢٥) . بلغ عدد التشكيلات الوزارية في عقد الخمسينات (١٥) تشكيلا وزاريا وعدد الوزارات في بداية العقد (٩) وزارات الا انه ازداد العدد ليصبح (١١) وزارة في ظل وزارة نوري السعيد الحادية عشر والتي تشكلت بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٥٠ عندما تم استحداث وزارة الزراعة وذلك بتاريخ ١ اذار ١٩٥٢ وبعد ذلك تم استحداث وزارة الصحة بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٥٢ وفي ظل وزارة جميل المدفعي السابعة والتي تشكلت بتاريخ ٧ مايس ١٩٥٣ وتم استحداث وزارة الاعمار بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٥٣ ليصل عدد الوزارات الى ١٢ وزارة وفي ظل وزارة نوري السعيد الرابعة عشرة والتي تشكلت بتاريخ ٣ اذار ١٩٥٨ تم استحداث وزارة الانباء والتوجيه وذلك بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٥٨ ليصبح عدد الوزارات في المملكة العراقية (١٣) وزارة تقدم خدماتها للمواطنين في مختلف جوانب الحياة الا ان المملكة دخلت في المدة الاخيرة في مشروع وحدوي مع المملكة الاردنية الهاشمية سمي الاتحاد العربي الهاشمي مما دعا الى الغاء وزارة الدفاع والخارجية ليصبح عدد الوزارات في الدولة الى (١١) وزارة الا ان عمر الحالة الاخيرة لم يكن طويلا بفعل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

بلغ عدد الوزراء في عقد الخمسينات (٢١٨) وزيرا وعدد الوزراء الجدد (٣٦) وزيرا وشكلوا نسبة تقدر (١٦،٥١٣%) اما عدد الشخصيات المتكررة في المناصب بلغ عددها (١٨٢) وزيرا وشكلوا نسبة

تقدر (٨٣،٤٨٦%) وبذلك تكون منظومة الادارة في المملكة العراقية كانت جادة في ضخ الدماء الجديدة في وقت الازمات من اجل ذر الرماد في العيون الا انها في الحقيقة كانت ساعية الى احكام القبضة على مؤسسات الدولة من خلال رجالها الذين ينالون ثقتها ويمكن ملاحظة اعداد الوزراء الكلي في العهد الملكي في ضوء الحقب الزمنية كما هو مبين في الجدول رقم (١) (٢٦)

الحقبة الزمنية	عدد التشكيلات الوزارية ونسبتهم	مجموع الوزراء ونسبتهم	الوزراء الجدد ونسبتهم	الوزراء المتكررون ونسبتهم
العشرينات	١١(١٩،٢٩)	٨٨(١٥،٤٣)	٢٥ (٢٠،١٦)	٦٣(١٤،١٢)
الثلاثينات	١٣(٢٢،٨٠)	٩٤(١٦،٤٩)	٢٤(١٩،٣٥)	٧٠(١٥،٦٨)
الاربعينات	١٨(٣١،٥٧)	١٧٠ (٢٩،٩٨)	٣٩(٣١،٤٥)	١٣١ (٢٩،٣٧)
الخمسينات	١٥(٢٦،٣١)	٢١٨(٣٨،٢٤)	٣٦(٢٩،٠٣)	١٨٢(٤٠،٨٠)
المجموع	٥٧	٥٧٠	١٢٤ (٢١،٧٦)	٤٤٦(٧٨،٢٤)

من خلال الجدول المشار اليه ان حقبة العشرينات من اقل الحقب في التشكيلات الوزارية واقل العدد من حيث عدد الوزراء الا ان عدد الوزراء الجدد هم الاكثر قياسا الى حقبة الثلاثينات اما عدد الوزراء المتكررون كانت نسبتهم تقريبا اكثر من ضعفي عدد الوزراء الجدد ويمكن ملاحظة عدد التشكيلات الوزارية في الحقب اللاحقة فان الزيادات في اعداد التشكيلات ليست كبيرة الا ان الزيادة الكبيرة في عدد الوزراء .

حاول ان النظام السياسي جادا زيادة عدد الوزراء كما هو مبين في الجدول ولكن بنسبة ليست كبيرة قياسا الى الوزراء المتكررون والهدف منها امتصاص نقمة الشارع . يبدو ان النظام السياسي احس بالخطر الكامن ولابد من ادخال العناصر الجديدة الا ان بدايته كانت بارقام بسيطة الا انها لم تتمكن من حماية النظام السياسي ويمكن ملاحظة ذلك في الجدول اعلاه

جدول رقم (٢)

الوزارات والمدة الزمنية لها وعدد الحقائب الوزارية

اسم الوزارة	تاريخ التشكيل	عدد الحقائب	الملاحظات	
وزارة النقيب الاولى	١٢ / ايلول ١٩٢١	٩	اول وزارة في العهد الملكي	
وزارة النقيب الثانية	٣٠ ايلول ١٩٢٢	٧	تم الغاء وزارتي الصحة والتجارة	
وزارة السعدون الاولى	١٨ ت٢ ١٩٢٢	٧		
وزارة جعفر العسكري الاولى	٢٢ ت٢ ١٩٢٣	٧		
وزارة ياسين الهاشمي	٢ اب ١٩٢٤	٨	استحداث وزارة الخارجية	

الاولى				
وزارة السعدون الثانية	٢٦ حزيران ١٩٢٥	٨		
وزارة جعفر العسكري الثانية	٢١ ت٢ ١٩٢٦	٩	استحداث وزارة الري والزراعة	
وزارة السعدون الثالثة	١٤ ك٢ ١٩٢٨	٩		
وزارة توفيق السويدي الاولى	٢٨ نيسان ١٩٢٩	٨	الغاء وزارة الاوقاف	
وزارة السعدون الرابعة	١٩ ايلول ١٩٢٩	٨		
وزارة ناجي السويدي الاولى	١٨ ت٢ ١٩٢٩	٨	تمثل الوزارة نهاية عقد العشرينات	
وزارة نوري السعيد الاولى	٢٣ اذار ١٩٣٠	٧	الغاء وزارة الري والزراعة	
وزارة نوري السعيد الثانية	١٩ ت١ ١٩٣١	٧		
ناجي شوكت الاولى	٣ ت٢ ١٩٣٢	٧		
رشيد الكيلاني الاولى	٢٠ اذار ١٩٣٣	٧		
رشيد الكيلاني الثانية	٩ ايلول ١٩٣٣	٧		
جميل المدفعي الاولى	٩ ت٢ ١٩٣٣	٧		
جميل المدفعي الثانية	٢١ شباط ١٩٣٤	٧		
علي جودت الاولى	٢٧ اب ١٩٣٤	٧		
جميل المدفعي الثالثة	٤ اذار ١٩٣٥	٧		
ياسين الهاشمي الثانية	١٧ اذار ١٩٣٥	٧		
حكمت سليمان	٢٩ ت١ ١٩٣٦	٧		
جميل المدفعي الرابعة	١٧ اب ١٩٣٧	٧		
نوري السعيد الثالثة	٢٥ ك١ ١٩٣٨	٧		
نوري السعيد الرابعة	٦ نيسان ١٩٣٩	٩	استحداث وزارتي الاقتصاد والشؤون	تمثل نهاية عقد

			الاجتماعية	الثلاثينات
نوري السعيد الخامسة	٢٥ شباط ١٩٤٠	٩		
رشيد الكيلاني الثالثة	٣١ اذار ١٩٤٠	٩		
طه الهاشمي الاولى	٣١ ك٢ ١٩٤١	٩		
رشيد الكيلاني الرابعة	١٠ نيسان ١٩٤١	٩		
جميل المدفعي الخامسة	٢ حزيران ١٩٤١	٩		
نوري السعيد السادسة	٩ ت١ ١٩٤١	٩		
نوري السعيد السابعة	٨ ت١ ١٩٤٢	٩		
نوري السعيد الثامنة	٢٥ ك١ ١٩٤٣	١٠	استحداث وزارة التموين	
حمدي الباجه جي الاولى	٣ حزيران ١٩٤٤	١٠		
حمدي الباجه جي الثانية	٢٩ اب ١٩٤٤	١٠		
توفيق السويدي الثانية	٢٣ شباط ١٩٤٦	١٠		
ارشد العمري الاولى	١ حزيران ١٩٤٦	١٠		
نوري السعيد التاسعة	٢٦ ت٢ ١٩٤٦	١٠		
صالح جبر	٢٩ اذار ١٩٤٧	١٠		
محمد الصدر	٢٩ ك٢ ١٩٤٨	١٠		
مزاحم الباجه جي	٢٨ حزيران ١٩٤٨	٩	الغاء وزارة التموين	
نوري السعيد العشرة	٦ ك٢ ١٩٤٩	٩		
علي جودت الثانية	١٠ك١ ١٩٤٩	٩	يمثل نهاية عقد الاربعينات	
توفيق السويدي الثالثة	٥ شباط ١٩٥٠	٩		
نوري السعيد الحادية عشر	١٥ ايلول ١٩٥٠	١١	استحداث وزارتي الصحة والزراعة	
مصطفى العمري	١٢ تموز ١٩٥٢	١١		
نور الدين محمود	٢٣ ت٢ ١٩٥٢	١١		

جميل المدفعي السادسة	٢٩ ك٢ ١٩٥٣	١١		
جميل المدفعي السابعة	٧ مايس ١٩٥٣	١٢	استحداث وزارة الاعمار	
فاضل الجمالي الاولى	١٧ ايلول ١٩٥٣	١٢		
فاضل الجمالي الثانية	٨ اذار ١٩٥٤	١٢		
ارشد العمري الثانية	٢٩ نيسان ١٩٥٤	١٢		
نوري السعيد الثانية عشر	٣ اب ١٩٥٤	١٢		
نوري السعيد الثالثة عشر	١٧ ك١ ١٩٥٥	١٢		
علي جودت الثالثة	٢٠ حزيران ١٩٥٧	١٢		
عبدالوهاب مرجان	١٥ ك١ ١٩٥٧	١٢		
نوري السعيد الرابعة عشر	٣ اذار ١٩٥٨	١٣	استحداث وزارة الانباء والتوجيه	
احمد مختار بابان	١٩ مايس ١٩٥٨	١١	تم الغاء وزارتي الدفاع والخارجية	

في ضوء الجدول رقم (٢) يتبين لنا ان عدد الوزارات كانت متباينة من حيث العدد ، بدا النظام الملكي السلطة التنفيذية في العراق ب (٩) وزارات الا ان المتغيرات التي مرت على البلاد والعالم حتمت على السلطة اتخاذ تدابير اقتصادية من اجل عبور الازمة لذلك تم تقليص اعداد الموظفين وهذا الامر تتطلب الغاء بعض الوزارات كما حدث عندما الغيت وزارة الصحة والتجارة وفي احيان اخرى عندما تتحسن الحالة الاقتصادية والسياسية مما يتوجب استحداث وزارات كما حدث عندما استحدثت وزارة الخارجية وفي بعض الاحيان يكون الالغاء والاستحداث من اجل تحقيق اهداف اخرى وبذلك تكون السلطة التنفيذية في العهد الملكي تضع امامها مهمات سعت الى تحقيقها من خلال المؤسسات المتوفرة واذا تطلب الامر استحداث مؤسسات اخرى من اجل تحقيق تلك الاهداف وتعد حقبة الثلاثينات والاربعينات من الحقب التي شهدت استقرارا في عدد الوزرات باستثناء المدة التي تم فيها استحداث وزارة التموين لظروف اقتصادية وعندما ازيلت تلك الظروف تم حل الوزارات اما مرحلة الخمسينات تعد من افضل مراحل بناء الدولة فقد بلغ عدد الوزارات في الدولة(١٣) وزارة عندما تم اعادة الوزارات الملغية وهي وزارتي الصحة والزراعة وتم استحداث وزارة الانباء والتوجيه اما الغاء وزارتي الدفاع والخارجية تم بفعل تحقيق المشروع الوحدوي بين العراق والاردن وما يطلق علية الاتحاد العربي الهاشمي ، الا ان ما يؤخذ

على النظام السياسي الملكي لم يكن جاد في زج دماء جديدة الى الساحة السياسية ويمكن ملاحظة ذلك في جدول رقم (٣) والذي يبين النخب العراقية التي ادارت الحياة السياسية في السلطة التنفيذية من الذين شغلوا منصب رئيس وزراء اضافة الى منصب وزير

جدول رقم (٣)

اسم رئيس الوزراء	الجدول التكراي لمنصب رئيس الوزراء	الجدول التكراري لمنصب الوزير
عبدالرحمن النقيب	٢	–
عبدالمحسن السعدون	٤	٣
جعفر العسكري	٢	٦
ياسين الهاشمي	٢	٦
توفيق السويدي	٣	٤
ناجي السويدي	١	٥
نوري السعيد	١٤	١٥
ناجي شوكت	١	٧
رشيد الكيلاني	٤	٤
جميل المدفعي	٧	٣
علي جودت	٣	٣
حكمت سليمان	١	٣
طه الهاشمي	١	٥
حمدي الباجه حي	٢	٢
ارشد العمري	٢	٣
صالح جبر	١	١٠
محمد الصدر	١	–
مزاحم الباجه جي	١	١
مصطفى العمري	١	٧
نور الدين محمود	١	----
فاضل الجمالي	٢	٧
عبدالوهاب مرجان	١	٥
احمد مختار بابان	١	٧

بلغ عدد الشخصيات والتي شغلت منصب رئاسة الوزارة وبنفس الوقت منصب وزاريا (٢٣) شخصية شغلوا (٥٨) منصب رئيس وزارة و(١٠٦) منصب وزير وبذلك يكون مجموع المناصب التي شغلت من قبل الشخصيات المذكورة (١٦٤) منصبا تنفيذيا قياديا ويعد حكر على هذه المجموعة وهي

ظاهرة سلبية في السلطة التنفيذية في العهد الملكي لذلك كان التغير حتميا لوجود طموح لدى النخب الناشئة من اجل المساهمة في ادارة الدولة وعندما لم تجد من يسمح لها بكل الطرق وجدت ان الطريق الوحيد قلب المعادلة السياسية بالقوة المتاحة لها وحسب امكانياتها

المبحث الثاني- التقويم الاحصائي للوزارات العراقية في العهد الجمهوري حتى عام ١٩٦٨

انطلق العهد الجمهوري بتاريخ ١٤ تموز ١٩٥٨ بعد القضاء على العهد الملكي بمرتكزاته المعروفة الملك ورئيس الوزراء والسند العشائري فقد تمكنت الثورة من القضاء على المرتكز الاول والثاني بالعملية العسكرية والتي تمت في يوم التنفيذ الا ان المرتكز الثالث تم القضاء عليه فيما بعد عندما صدر قانون الاصلاح الزراعي والذي يعد في الظاهر قانون ذو مردودات اقتصادية واجتماعية الا انه بالدرجة الاساسية من وجهة نظر رجال الثورة ذو مردود سياسي قبل كل شيء وبدونه لم تحقق الثورة النجاح التام في القضاء على مرتكزات النظام الملكي (٢٧)

خلال العهد الجمهوري قيد البحث والذي تقدر مدته زمنيا (١٠) سنوات وقد تناوب على رئاسة الوزارة فيها (٧) شخصيات شغلوا (١٢) تشكيلا وزاريا الا ان الفارق الزمني في عمر التشكيلات الوزارية كبيرة جدا الا ان ذلك لا يعني ان التشكيل الوزاري ذو العمر الطويل دلالة على شعبيته او خدمته للجمهور ومن الممكن القول قدرة النظام في السيطرة على القوى المعارضة باي وسيلة كانت ومنها القوة العسكرية او القدرة على تحييدها بخلق قوى سياسية مناوئة اليها ومن الممكن القول هناك خصائص لكل تشكيل وزاري .

يعد التشكيل الاول والذي كان برئاسة عبدالكريم محمد قاسم من اطول التشكيلات الوزارية فقد بلغ عمر التشكيل (٤) سنوات و (٦) اشهر و (١٨) يوم علما انه جاء في اعقاب الثورة وحاول التصدي لكل المحاولات التي كانت تنوي النيل من الثورة (٢٨).

بلغ عدد الوزراء الذين تناوبوا على ادارة الدولة في تلك المرحلة (٣٤) وزيرا وكلهم من العناصر الجديدة علما ان عدد الوزارات التي سيرت امور الدولة (١٨) وزارة منذ بداية العهد الجمهوري وهو مؤشر ان مهمات الدولة كانت واضحة ومحددة (٢٩).

ظل التشكيل الوزاري الاول مستمرة ولم تقدم استقالتها لاعتقاد قادتها بانهم ساعين في تقديم الخدمات للمواطنين وكذلك لم يشر الدستور او يحدد النظام السياسي الالية في دفع الوزارة على الاستقالة وتم القبض على السلطة ومن مختلف الجوانب حتى قيام انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ . يبدو ان القوى السياسية التي ادارة الدفة قد استسلمت الى الجيش في قدرته على تغير النظام السياسي القائم علما ان النظام السياسي سن قانون الاحزاب السياسية لا قناع القوى السياسية المناوئة بان النظام سائر في طريق الديمقراطية . علما ان الاحزاب التي اجيزت بعد موافقة النظام السياسي وتم رفض اجازة احزاب اخرى وفيها انتقل العراق الى مرحلة جديدة بعد نجاح انقلاب ٨ شباط من الممكن ان نطلق عليها مرحلة الصراع السياسي بين الاحزاب و بدات الممارسات من اجل التصفية الجسدية بين المنتمين الى الاحزاب التي كانت متقاربة في السابق ووضعت لها هدفا ستراتيجيا واحدا والمتمثل في اسقاط النظام الساسي الا انها لم تضع الخطط بعد ذلك وهي التي ساهمت مستقبلا في حدوث الازمات بينهما وباختصار تحولا اصدقاء

الامس الى اعداء اليوم واصبح المنهج العام في الدولة البدء بخطط جديدة في الادارة لكل حكومة جديدة لتصبح نتائج الحركة لكل تنظيم في السلطة رفض الافكار السابقة لانهم يعتقدون برفض الخطط السابقة والبدء بالفكرة الجديدة ويستمرون في بيان اخطاء المرحلة السابقة وضرورة وضع خطط جديدة واصبح منهج الحكومات في العهد الجمهوري كل حكومة تاتي تشغل نفسها في سبيل ازالة كل اعمال الحكومة السابقة بل وتحاول ان تزيل كل مميزات الحكم السابق من اذهان المواطنين وهذا السبب الذي جعل حكومات العهد الجمهوري مستقرة في اماكنها (٣٠).

في اعقاب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ شكل احمد حسن البكر وزارته الاولى وبلغ عدد الوزارات فيها (١٨) وزارة فعليا باستثناء وزراء الدولة وهم حقائب بدون وزارات فعلية وشغلوا الوزارات (١٨) وزيرا وبلغ عدد العناصر الجديدة (١٥) وزيرا اما عدد العناصر التي كانت متكررة في الوزارات السابقة (٣) فقط وواضح ان الهدف من ايصال شخصيات جديدة للوزارة لانها جاءت بفعل انقلاب تختلف كليا عن العناصر السابقة على اعتبار ان من يتسنم منصبا وزاريا لابد ان يكون مؤمنا بالنظام الجديد .

ان الوزارة لم تستمر طويلا بفعل الازمة السياسية الداخلية لذلك قدم رئيس الوزارة الاستقالة واعاد تشكيلها مرة ثانية في نفس يوم استقالة وزارته الاولى وذلك بتاريخ ١٢ مايس ١٩٦٣.

بلغ عدد الوزارات التي ضمتها الوزارة (١٩) حقيبة وزارية وذلك باستحداث وزارة جديدة اويمكن القول تمت اعادتها من جديد بعد ان الغيت في مدة سابقة وهي وزارة الاوقاف والتي الغيت بتاريخ ٢ تموز ١٩٢٩ وسارت الامور بدون الحاجة اليها الا ان النظام الجديد وجد هناك حاجة ماسة اليها في ظل وزارة البكر الثانية من اجل السيطرة على الاوقاف الشيعية تحت شعار الكل يخضع لوزارة الاوقاف وهو ما يؤشر ان النظام السياسي يحدد الحاجة للوزارات بأهداف سياسية اكثر من الاهداف الاخرى لانه جاد في استقرار الوضع السياسي .

استمر عدد الوزارات في ظل وزارات طاهر يحي الاولى والثانية والثالثة وفي ظل وزارة عارف عبدالرزاق والتي تشكلت بتاريخ ٦ ايلول من عام ١٩٦٥ وفيها تم استحداث وزارة جديدة سميت وزارة الوحدة وواضح الهدف منها سياسيا على اساس ان النظام السياسي قومي وحدوي لذلك وضع هدف تحقيق الوحدة العربية من ضمن مهماته التنفيذية في الدولة ولا يمكن سن اي قانون يتقاطع مع هدف الوحدة وبذلك اصبح عدد الوزارات (٢٠) وزارة واستمر هذا العدد حتى شكل الوزارة عبدالرحمن محمد عارف الوزارة بتاريخ ١٠ مايس ١٩٦٧ عندها تم استحداث وزارة جديدة سميت وزارة الشباب . ويبدو ان الهدف من تشكيل الوزارة الجديدة سياسيا من اجل وضع تحركات الشباب تحت تصرف السلطة واحتواء الشباب وابعادهم عن الحركات السياسية التي كانت اخذت بالانتشار في تلك المرحلة وذلك اصبح عدد الوزارات (٢١) وزارة وفي ضوء ما تقدم نجد ان النظام السياسي الجمهوري بدا بـ (١٨) وزارة وخلال العشر سنوات لم تحل اي وزارة كانت تعمل الا انه تمكن من استحداث ثلاث وزارات . عند التدقيق في الوزارات التي تم استحداثها سنجد ان العامل السياسي وراء التشكيل وليس هناك عوامل خدمية اخرى كما كان ذلك في العهد الملكي وهو مؤشر ان الوزارات الخدمية كانت مستقرة الا ان النظام كان بحاجة الى وزارات تقدم خدمات سياسية غير منظورة . يبدو ان النظام السياسي لم ينظر الى التاثيرات السلبية على الاقتصاد

العراقي من جراء زيادة عدد الموظفين في الدولة الا انه شعر بضرورة اخضاع الاقتصاد لتحقيق اهداف الخدمة السياسية للنظام القائم .

ان فلسفة رسم وزارات الدولة ظلت مستمرة لفترات لاحقة في الدولة العراقية من جراء الزيادة في عدد المناصب الوظيفية اذا كانت تقدم له خدمة سياسية وهو يتقاطع مع اهداف النظام السياسي في العهد الملكي الذي جعل الوضع السياسي يقدم خدمة لتحقيق الاهداف الاقتصادية .

ان عشر سنوات من عمر النظام الجمهوري والذي استمر حتى الان الا انها تضمنت توجهات سياسية متباينة وكل فئة تحاول ازاحة الاخرى من الساحة السياسية وتحت مختلف الذرائع وحتى الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ عندها تغيرت فلسفة النظام السياسي من نظام رئاسي شمولي الى نظام برلماني ديمقراطي توافقي وكما هو معلوم ان التوافقية تشوه النظام الديمقراطي . بالامكان قياس فاعلية الوزارات العراقية من حيث الدماء الجديدة التي دخلت كل وزارة على اعتبار ان الباحث وضع اساس لقياس فاعلية الوزارات من خلال الدماء الجديدة التي كانت تدخل في كل وزارة تتشكل . يبدو لي ان هذا المقياس سوف لا يكون دقيقا على اعتبار ان في كل تشكيل وزاري هناك توجها سياسيا جديدا لذلك سعى كل تشكيل وزاري زج دماء ساعية الى تسير الامور حسب توجهاته الجديدة ويمكن ملاحظة ذلك كما هو مبين في شكل رقم (٤)

(شكل رقم ٤)

رئيس الوزراء	عدد تسنم المنصب	مدته	عدد المناصب الوزارية	%	الجدول التكراري	%	الوزراء الجدد	%
عبدالكريم قاسم	١	٤س ٦ ش١٨ي	٣٤	%١٣	----	---	٣٤	%٩٤'٢٣
احمد حسن البكر	٢	٩ش ١٣ي	٤٣	%١٧	٢٠	١٩،٠٤	٢٣	%١٦،١٩
طاهر يحي	٤	٢س ٨ش ٢٨ي	٨٥	%٣٠	٥٠	٤٧،٦١	٣٥	٢٤،٦٤
عارف عبدالرزاق	١	١٥ي	١٦	%٦،٤٧	٦	%٥،٧١	١٠	%٧،٠٤
عبدالرحمن البزاز	٢	١٠ش ١٨ي	٣٣	%١٣،٣٦	٢٠	%١٤،٨	١٣	%١٢،٣٨
ناجي طالب	١	٩ش	١٧	%٦،٨٨	٧	%٤،٩٢	١٠	%٩،٥٢
عبدالرحمن	١	٢ش	١٩	%٦،٦٩	١٣	%٩،١٥	٦	%٥،٧١

عارف								
المجموع	١٢		٢٤٧		١٠٥	٤٦،٩٦%	١٤٢	٥٣،٠٣%

في ضوء الجدول المذكور يتبين ان عبدالكريم قاسم اكثر رؤساء الوزراء في العهد الجمهوري من حيث المدة الزمنية وعدد الوزراء الجدد ويمثل عهده بداية النظام السياسي الجديد ، ياتي بالدرجة الثانية الرئيس طاهر يحي والذي شغل المنصب اربع مرات بلغت المدة الزمنية تقريبا سنتان وثمانية اشهر وكانت الدماء الجديدة في الوزارات بلغت (٣٥) وزيرا وعدد الذين تكرروا بلغ عددهم (٥٠) اما الدرجة الثالثة من حيث المدة الزمنية كانت من حصة عبدالرحمن البزاز وبلغت ١٠ اشهر اما من حيث العناصر الجديدة في الوزارات يكون الترتيب طاهر يحي اولا ثم عبدالكريم قاسم ثانيا واحمد حسن البكر ثالثا وعبدالرحمن البزاز رابعا وعارف عبدالرزاق وناجي طالب بالدرجة الخامسة واخيرا عبدالرحمن عارف . يبدو ان الدماء الجديدة التي كانت دخلت الوزارات لا يعني ان النظام السياسي ساعي الى زج دماء جديدة من اجل النهوض بالبلاد بل ان في كل شخصية تصل الى منصب رئيس الوزارة فهو يمثل مرحلة جديدة تختلف عن المرحلة التي سبقتها لذلك سعى المكلف الجديد باستقدام شخصيات تتماشى مع العهد الجديد لذلك كانت الشخصيات الجديدة هي الاعلى في نسب الوزراء المساهمين في وزارات العهد الجمهوري .

بلغت نسبة الوزراء الجدد (٥٣،٣٦%)اما الوزراء المتكررون كانت نسبتهم (٤٦،٩٦%) الا ان نسبة الدماء الجديدة المرتفعة لا تعني ان النظام جاد في ادخال الدماء الجديدة الا ان النظام السياسي وفي كل تشكيل هناك معطيات جديدة يتوجب عليه الاتيان بشخصيات تتوافق مع الوزارة الجديدة وابعاد الشخصيات التي مارست العمل في الوزارات السابقة او التي كانت تتقاطع معه باي صورة كانت

الخاتمة:

يعد تقويم الوزارات العراقية في المدة الممتدة من عام ١٩٢١ – ١٩٦٨ والبالغة ٤٧ سنة صعبة وتكمن صعوبتها في الاسباب التالية : –

ان المدة المقصودة تشمل نظامين مختلفين تماما في فلسفة الادارة الداخلية والخارجية علما بان النظام الاول وهو النظام الملكي شغل مدة زمنية قدرت ب (٣٧) سنة وهو اساس بناء الدولة العراقية اما النظام الثاني والذي شغل مدة حكم قدرت ب (١٠) سنوات وتمكن من ازاحة النظام الاول عن طريق استخدام الجيش في القضاء على النظام وسمية النظام الجديد بالجمهوري وتغيرت فلسفة النظام كليا .

ان وزارات العهد الملكي كانت في بدايتها اعداد قليلة ثم بدات في الزيادة والملاحظة الملفتة للانتباه ان الوزارات كانت متباينة في الاعداد بين مدة واخرى بفعل التطورات السياسية والاقتصادية والملاحظة المؤشرة بان الوزارات في العهد الملكي كانت تتاثر بالعوامل الاقتصادية اكثر من اي عامل اخر بدليل ان بعض الوزارات تلغى لاسباب اقتصادية وبعضها تستحدث ايضا لاسباب اقتصادية وهو مؤشر بان النظام السياسي هدفه من تشكيل او الغاء الوزارات العامل الاقتصادي اما عدد الوزراء في المدة الزمنية قيد البحث اعدادهم كبيرة حيث قدرت اعداد الوزارات ب (٥٧٠) وزيرا اما عدد الوزراء الذين شغلوا المنصب لمرة واحدة ولم يتم استيزارهم مرة اخرى عددهم (١٢٤) وزيرا اما عدد الوزراء الذين تكرروا في الوزارات لاكثر من مرة بلغ عددهم (٤٤٦) وزير وهو مؤشر بان النظام السياسي كان حريص على

التركيز على الشخصيات التي لها ارتباط بالنظام السياسي وعند مقارنة المراحل التي حاول النظام السياسي زج اكبر عدد من الوزراء الجدد في مرحلة الازمات وهي مرحلة الاربعينات من القرن العشرين فقد بلغ عدد الوزراء الجدد (٣٩) وزيرا من مجموع (١٧٠) وزير في المرحلة المحددة وكذلك تعد مرحلة الخمسينات من المراحل المتميزة في زج وزراء جدد في العملية السياسية فقد بلغ عدد الوزراء الجدد (٣٦) وزيرا من مجموع (٢١٨) وزيرا ويبدو ان النظام كان يدرك خطورة المرحلة لذلك حاول قدر الامكان امتصاص الغضب الجماهيري بادخال الدماء الجديدة في العمل السياسي عسى ان يطول عمر النظام الا ان ادراك الخطر جاء متأخراً لذلك لم يتمكن النظام من اسعاف نفسه وانطلقت احداث ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

يعد العهد الجمهوري يمثل البداية لانطلاقة زج الدماء الجديدة في الوزارات العراقية فقد بلغ عدد الوزراء في العهد الجمهوري (٢٤٧) وزيرا اما عدد الوزراء الذين تبوئوا المنصب لمرة واحدة بلغ عددهم (١٤٢) وزير وكانت نسبتهم (٥٧،٤٨%) اما عدد الذين تكرروا في المنصب الوزاري كان عددهم (١٠٥) وزيرا وكانت نسبتهم (٤٥،٥١) وبذلك يكون النظام الجمهوري ساعيا في دفع العناصر الجديدة الى الساحة السياسية الا ان ذلك يعني ان النظام السياسي مقتنع بأهمية زج العناصر الجديدة ولكن بفعل التغيرات السياسية المضطربة في الداخل تستدعي ان في كل تغير سياسي يستوجب القيام على التغير و الايتان بشخصيات جديدة لذلك لا يمكن اعتيار ان الفلسفة الجديدة التي انتهجها النظام الجديد تمثل طريق النجاح الا انه طريق الاقصاء والابتعاد عن رجال الخبرة تحت اهمية الحفاظ على النظام السياسي .

الهوامش

١ – مأمون امين زكي ، ازدهار العراق تحت الحكم الملكي ١٩٢١ – ١٩٥٨ " دراسة تاريخية سياسية اجتماعية مقارنة ، ط٢ ، (لندن ٢٠١٣) ، ص ٣١

٢ – السير برسي كوكس سياسي وعسكري بريطاني معروف التحق بالجيش البريطاني عام ١٨٨٤ وانظم الى ادارة حكومة الهند عام ١٨٨٩ وتدرج في المناصب حتى اصبح وزيرا للخارجية في حكومة الهند عام ١٩١٤ التي كانت تشرف على مصالح بريطانيا في الخليج العربي وبعد اعلان الحرب العالمية الاولى عين كوكس مستشارا سياسيا للحملة البريطانية التي توجهت اولا الى البحرين استعدادا لغزوا العراق وبعد احتلال بغداد في اذار ١٩١٧ صدر الامربتعين كوكس حاكما سياسيا في العراق ولم تمض الا فترة قصيرة حتى نقل الى طهران سفيرا لبلاده للمزيد من التفاصيل ينظر يعقوب يوسف كورية ، انكليز في حياة فيصل الاول ، (لبنان ١٩٩٨) ، ص ١٢٨

٣ – جورج انطونيوس ، يقظة العرب " تاريخ حركة العرب القومية " ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، ط٣ ، (بيروت ١٩٦٩) ، ص ١٩٠ ؛ البرت منتشاشغيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم التكريتي ، (بغداد ١٩٧٨) ، ص ١٥

٤ – عبدالرزاق عبد الدراجي ،جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ –١٩٤٥ ، ط٢ ، (بغداد ١٩٨٠) ، ص ٢٥ ؛ علي ناصر حسين ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤ –١٩٢١ ، اطروحة دكتوراه منشورة ، كلية الاداب ،(جامعة بغداد ١٩٩١) ، ص ٣٠

٥ – ولدت المملكة العراقية بتاريخ ٢٣ اب ١٩٢١ وتم تنصيب الملك الحسين بن علي ملكا الا ان ذلك لم يتم بطريقة سلسلة بل عبر مجموعة من الظروف الاستثنائية للمزيد من التفاصيل ينظر عبدالرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، ج١ ، ط٧، (بيروت

٢٠٠٨) ، ص ١٠ ؛ علي عبدالامير علاوي ، فيصل الاول ملك العراق ، ط١ ، ترجمة سيمون اك رم العباس و غيث يوسف محفوظ ، مركز الرافدين للحوار ، (النجف الاشرف ٢٠٢١) ، ص ٥٣٤

٦ – المصدر نفسه ، ص٥٣٨

٧ – عبدالله شاتي عبهول ، تجربة العراق الملكي في الاعمار ١٩٥٠ –١٩٥٨ " دراسة في التاريخ الاقتصادي " ،ط١ ، (بغداد ٢٠١٧) ، ص ٢٣

٨ – الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي ، ج١ ، ط٧ ، (بغداد ١٩٨٨) ، ص ٧٥

٩ – الحسني ، الاصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي الزائل ، ط٢ ، (بيروت ٢٠١٤) ، ص٢

١٠ – الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي ،ج١ ، ط٧ ، ص ٧٦

١١ – تم الغاء وزارة الصحة بتاريخ ٨ حزيران ١٩٢٢ واصبحت الوزارة مديرية عامة والحقت بوزارة الداخلية حتى عام ١٩٣٩ للمزيد ينظر حيدر حميد رشيد ، الاوضاع الصحية في العراق ١٩٤٥ – ١٩٥٨ " دراسة في التاريخ الاجتماعي للعراق المعاصر " ، ط٢ ، (دمشق ٢٠١٠) ، ص ٦٣

١٢ – تم الغاء وزارة التجارة بتاريخ ١٥ تموز ١٩٢٢ وحولت الى مديرية تابعة الى وزارة المالية للمزيد ينظر الحسني ، الاصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية ، ص ٢٤

١٣ – سعيد عبود السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي ، (النجف الاشرف ١٩٧٣) ، ٦٧

١٤ – عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي ، ج١، ص ٧٦

١٥ – عبدالمحسن السعدون من مواليد الناصرية عام ١٨٧٩ ودرس في استانبول واصبح نائبا في مجلس المبعوثان العثماني عن لواء المنتفق شغل مناصب وزارية وكذلك تراس اربع تشكيلات وزارية الا انه انهى حياته بالانتحار والتي اثارت ضجة كبيرة في الاوساط السياسية العراقية للممزيد من التفاصيل ينظر لطفي جعفر فرج ، عبدالمحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر ، (بغداد ١٩٨٨) ، ص ٢٩

١٦ – جعفر العسكري من مواليد بغداد عام ١٨٨٥ ويبدو انه ينحدر من الطبقة الوسطى ويعد من المؤسسين لوزارة الدفاع باعتباره اول وزير دفاع في الدولة العراقية وشكل الوزارة مرتين في تاريخ العراق المعاصر الا ان نهايته كانت الاغتيال في ظل ازمة انقلاب بكر صدقي للمزيد ينظر نجدة فتحي صفوت ، مذكرات جعفر العسكري ، (لندن ١٩٨٨) ، ص ٩٠

١٧ – ياسين الهاشمي ولد في بغداد عام ١٨٨٥ واصبح من الضباط في الجيش العثماني وساهم مع الملك فيصل في سوريا ويعد اول رئيس وزراء في تاريخ العراق يتم ازاحته من السلطة بطريقة الانقلاب العسكري للمزيد من التفاصيل ينظر سامي عبدالحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية ، ج١ ، (البصرة ١٩٧٥) ، ص٢٢

١٨ – الحسني الاصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية ، ص ٣٩

١٩ – توفيق السويدي من مواليد بغداد عام ١٨٩٢ خريج مدرسة الحقوق في بغداد حتى اصبح عميدا لكلية الحقوق في بغداد وشكل الوزراء الثلاث مرات للمزيد ينظر توفيق السويدي ، مذكراتي " نصف قرن من تاريخ العراق" (بيروت ٢٠١١)

٢٠ – كمال مظهر احمد ، العراق في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩– ١٩٣٣ ، افاق عربية (مجلة) ، العدد ٧ ، السنة ٨ ، (بغداد ١٩٨٣) ، ص١٩

٢١ – الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ،ج٥ ، ط٧ ، (بغداد ١٩٨٨) ، ص ١٠٠

٢٢ – عبدالناصر ناصر حميدي ، وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية (١٩٥٨– ١٩٦٨) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، (جامعة القادسية ٢٠١٦) ،ص٢

٢٣ – الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٦ ، ط٥ ، (بيروت ١٩٧٨) ، ص ١٧٢

٢٤ – المصدر نفسه ،ج٨ ، ط٥ ، (بيروت ١٩٥٥) ، ص ١٤٥

٢٥ – ليث الزبيدي ، قصة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ص ١٠١

٢٦ – تم اعداد الجداول بالاعتماد على عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية بأجزائه المتعددة

٢٧ – ليث عبدالحسين الزبيدي ، قصة ثورة ١٤ تموز ، ص ١٤ ، عقيل الناصري ، من اوجه الصراع السياسي في الجمهورية الاولى ١٤ تموز ١٩٥٨ – ٩ شباط ١٩٦٣ ، ط١ ، (بغداد ٢٠١٧) ، ص ٢٢٣

٢٨ – حنا بطاطو ، العراق " الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار " ، الكتاب الثالث ، ترجمة عفيف الرزاز ، (طهران ٢٠٠٥) ، ص ١٣١

٢٩ – نوري عبدالحميد العاني واخرون ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري " ١٤ تموز ١٩٥٨ –٧ شباط ١٩٥٩ ، ج١ ، ط١ ، (بغداد ٢٠٠٠) ، ص ١٠٥

٣٠ –مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، ط١ ، (بيروت ١٩٧٤) ، ص ١٦

المصادر والمراجع

الرسائل والاطاريح الجامعية

- عبدالناصر ناصر حميدي ، وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية ١٩٥٨ – ١٩٦٨ " دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة القادسية ٢٠١٦
- علي ناصر حسين ، الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٩١

الكتب العربية والمعربة

- البرت منتشاشغيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم التكريتي ، (بغداد ١٩٧٨)
- توفيق السويدي ، مذكراتي " نصف قرن من تاريخ القضية العراقية " ،(بيروت ٢٠١١)
- جورج انطونيوس ، يقظة العرب " تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، ط٣ ، (بيروت ١٩٦٩)
- حنا بطاطو ، العراق " الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار ، الكتاب الثالث ، ترجمة عفيف الرزاز ، (طهران ٢٠٠٥)
- حيدر حميد رشيد ، الاوضاع الصحية في العراق ١٩٤٥ –١٩٥٨ " دراسة في التاريخ الاجتماعي للعراق المعاصر " ، ط٢ ، (دمشق ٢٠١٠)
- سعيد عبود السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي ، (النجف الاشرف ١٩٧٣)
- سامي عبدالحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية ، ج١ ، (البصرة ١٩٧٥)
- عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي ، ج١ –ج١٠ ، (بيروت ١٩٥٥)
- ---------- ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٦ ، (بيروت ١٩٧٨)
- ---------- ، تاريخ العراق السياسي الحديث ،ج١ ، ط٧ ، (بيروت ٢٠٠٨)
- ---------- ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي ، ج١ ، ج٥ ، ط٧ ، (بغداد ١٩٨٨
- ---------- ، الاصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي الزائل ، ط٢ ، (بيروت ٢٠١٤)
- عبدالرزاق عبد الدراجي ، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨– ١٩٤٥ ، ط٢ ، (بغداد ١٩٨٠)
- عبدالله شاتي عبهول ، تجربة العراق الملكي في الاعمار ١٩٥٠ – ١٩٥٨ ، " دراسة في التاريخ الاقتصادي " ، ط١ ، (بغداد ٢٠١٧)
- علي عبدالامير علاوي ، فيصل الاول ملك العراق ، ط١ ، ترجمة سيمون العباس وغيث يوسف ، مركز الرافدين للحوار ، (النجف الاشرف ٢٠٢١)
- عقيل الناصري ، من اوجة الصراع السياسي في الجمهورية الاولى ١٤ تموز ١٩٥٨ – ٩ شباط ١٩٦٣ ، ط١ ، (بغداد ٢٠١٧)

- لطفي جعفر فرج ، عبدالمحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر ، (بغداد ١٩٨٨)
- ليث عبدالحسن الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز في العراق ، دار الرشيد سلسلة ١٨٤ ، (بغداد ١٩٧٩)
- مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، ط١ ، (بيروت ١٩٧٤)
- مامون امين زكي ، ازدهار العراق تحت الحكم الملكي ١٩٢١ – ١٩٥٨ " دراسة تاريخية سياسية اجتماعية مقارنة " ، ط٢ ، (لندن ٢٠١٣)
- نوري عبدالحميد النعيمي واخرون ،تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ج١ ،١٤ تموز ١٩٥٨ – ٧ شباط ١٩٥٩ ، ط١ ، (بغداد ٢٠٠٠)
- يعقوب يوسف كورية ، انكليز في حياة فيصل الاول ، (لبنان ١٩٩٨)

المجلات

- افاق عربية ، العدد ٧ ، السنة ٨ ، (بغداد ١٩٨٣)

المعارضة الشيعية العراقية ضد نظام البعث في وثائق الاستخبارات الامريكية (CIA) (١٩٧٩-١٩٨٢م)

The Iraqi Shia opposition against the Baath regime in CIA documents (1979 – 1982)

أ.د. علي خيري مطرود

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

Abstract .

The research reviews the Iraqi Shiite opposition to the Baath regime in the documents of the American Intelligence (CIA) and how the reports and studies issued by its departments and research centers categorized the Shiite opposition movements in terms of their strength, effectiveness, and their ability to threaten the ruling regime in Iraq, in addition to the type of relationship they had with the Iranian regime, and the size of It represents a direct threat to US interests in the region or the province.

الملخص

استعرض البحث المعارضة الشيعية العراقية لنظام البعث في وثائق الاستخبارات الامريكية (CIA) وكيف صنفت التقارير والدراسات الصادرة عن دوائرها ومراكزها البحثية، حركات المعارضة الشيعة من حيث قوتها وفاعليتها ومدى قدرتها على تهديد النظام الحاكم في العراق، الى جانب نوع العلاقة التي جمعتها بالنظام الايراني، وحجم ما مثلته من تهديد مباشر للمصالح الامريكية في المنطقة أو الإقليم.

كلمات مفتاحية: (الشيعة، نظام البعث، المعارضة، الارهاب، النظام الإيراني)

المقدمة:

تُعد الوثائق بصورة عامة المنشورة منها وغير المنشورة، أحد أهم مصادر المعلومات أن لم تكن أهمها على الاطلاق، كونها تتأتى من مصادر رسمية وغير رسمية وعلى مختلف المستويات، لذا فهي تشكل السجل العلني أو السري للأحداث والسياسات والمواقف العلنية والسرية، لذا فأن الاعتماد عليها في العمل التاريخي يزيد من قيمته ورصانته. على أن يفهم من ذلك أن الوثائق لاسيما التقريرية منها تعكس في الغالب تصورات وفهم كاتبها أو الجهات التي عدتها وفق ضوابط ومعايير محددة، ومع ذلك تبقى المصدر المعلوماتي الأول لأي عمل بحثي لاسيما أن كان حديث أو معاصر.

لا يختلف اثنان على أن الوثائق والتقارير الأمريكية تعد من أهم أنواع الوثائق التي يمكن الرجوع اليها لدراسة حقبة أو مرحلة أو خصيصة تاريخية معينة، لاسيما وثائق وتقارير وكالة الاستخبارات الأمريكي (CIA)، لامتيازها بحرفية عالية ومعلومات موثقة يتم الحصول عليها من مصادر متعددة داخلية وخارجية، مع كل الإمكانات المادية والحرفية التي تتمتع بها تلك الوكالة، الامر الذي جعل وثائقها وتقاريرها في مقدمة الوثائق المعتمدة في أي دراسة ذا علاقة، ومما نشرته (CIA) بعد عام ٢٠٠٦ ، مجموعة هائلة من الوثائق والتقارير التي كانت سرية وسرية جداً حتى الوقت القريب، مما أعدته مكاتبها ومراكزها لاسيما مكتبها المختص بشؤون غرب وشرق أسيا وجنوب افريقيا وغيره، ومن بين تلك الوثائق عدد هائل تناول حقب تاريخية عديدة من تاريخ العراق، لاسيما في مرحلة سبعينيات وثمانينيات القرن

المنصرم، وقد كشف تلك الوثائق عن معلومات مهمة للغاية وقيمة جاءت بناءً على تقارير ودراسات وابحاث اسهم فيها افراد ومراكز بحثية متعددة، شملت دراسة مختلف جوانب الحياة في العراق لاسيما السياسية منها وإرهاصات نظام البعث وعلاقته بالقوى السياسية في داخل العراق وخارجه، وموقفه من قوى المعارضة السياسية الشيعية، التي شكلت مركز المعارضة لنظام البعث لاسيما في أعقاب حدوث الثورة الإسلامية في إيران وما ترتب على ذلك من تأثير على نظام الحكم في العراق، بلحاظ التقارب الشيعي بين ايران والعراق ورغبة النظام الجديد في إيران لتصدير ثورته الى جميع دول العالم، وهو أمر اشعر النظام الحاكم في العراق بقلق كبير، لذلك عمد الى اتخاذ سلسلة طويلة من الإجراءات للقضاء على المعارضة الشيعية في الداخل ومحاولة قطع أي علاقة أو صلة لها بالنظام الجديد.

لقد شكل ذلك التنازع بين العراق وايران بصورة عامة، وبين نظام البعث والمعارضة الشيعية بصورة خاصة، مادة خصبة لتقارير ووثائق CIA ولذلك شرع في تلك المرحلة التاريخية بأعداد الدراسات والتقارير الوثائقية السرية التي تناولت المعارضة الشيعية من حيث تفصيلها وعلاقتها بنظام البعث من جهة، وعلاقتها بالنظام الإيراني من جهة أخرى، وسنحاول في هذه الورقة استعراض بعض ما ذكرته تلك الوثائق والتقارير وتقييمها لنوعية وفاعلية المعارضة الشيعية في العراق لنظام البعث، على ان يؤخذ بنظر الاعتبار أن ما ورد في تلك الوثائق من تصورات ورؤى وكلمات مستخدمة تعكس وجهة نظر معديها وليس بالضرورة أن تكون حقائق تاريخية ثابتة أو مجمع عليها .

أولاً. تصنيف وثائق CIA للمعارضة الشيعية:

عمدت العديد من الوثائق والدراسات التي صدرت عن المكاتب والمراكز البحثية ومصادر المعلومات التابعة لCIA الى تصنيف المعارضة الشيعية وفق معايير محددة، مثل حجم وتأثير كل حركة، ومدى فاعليتها على الأرض العراقية، وما شكلته من مصدر قلق للنظام البعثي في العراق، ومع أن التصنيف ومعاييره التي اعتمدت، جاءت بحسب رؤية الجهات التي عدتها، فأنها عكست الأسس التي صاغت بموجبها الولايات المتحدة الامريكية موقفها من المعارضة الشيعية في العراق لنظام البعث.

لقد صنفت وثائق CIA، المعارضة الشيعية وفق معايير بعضها أجمالي عام، تعلق بمدى قوة تأثيرها على النظام البعثي، كما جاء على سبيل المثال في تقرير سري للوكالة تحت ترقيم (NESA 85-10120) في حزيران ١٩٨٥، بعنوان (Iraq's Exiled Shia Dissidents) (العراقيون الشيعة المنشقون المنفيون) إذ اشتمل التقرير الذي أعتمد على تحليل أعده مكتب الشرق الأدنى وجنوب اسيا، الى أن معظم التيارات والحركات الشيعية المعارضة للنظام البعث المتواجدة في ايران لا تشكل بالضرورة تهديد حقيقي للنظام القائم في العراق، على الأقل في المرحلة الراهنة، لكنهم مع ذلك تثير قلق للحكومة العراقية، لاسيما مع وجودها في منفى يسمح لها بحرية الحركة والنشاط العسكري، فالشيعة : "**العراقيون في المنفى لا زالوا يشكلون مصدر قلق لبغداد، غير أنهم لا يشكلون سوى تهديد قليل لاستقرار العراق**" (CIA, Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120,, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)، وقد علل التقرير سبب عدم تشكيلهم تهديد حقيقي لنظام البعث لطبيعة الإجراءات التي اتخذتها أجهزة الامن لمواجهتهم والقضاء عليهم عبر إجراءات وصفها

التقرير بالقاسية من قبيل قتلهم وسجنهم ونفي العديد منهم وترهيب الباقين وبحسب التقرير فأن :" **أجهزة الامن في بغداد التي لا تعرف الرحمة والفعالة اعتقلت معظم النشطاء الشيعة أو رحلتهم فيما أرهبت الباقين**"(CIA, Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120,, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)

ومن المعايير الأخرى التي اعتمدتها وثائق CIA بمختلف مراكزها البحثية لتصنيف المعارضة الشيعية، معيار **مدى المقبولية** التي تمتعت بها الحركات الشيعية المتواجدة في إيران لدى الداخل العراقي، فخلصت معظم التقارير والدراسات أن المعيار الرئيس في ذلك هو " **العلاقة مع إيران**" وأن الحركات الشيعية لاسيما المتواجدة في إيران تدفع ثمن باهض لعلاقتها مع النظام الإيراني تمثل بتراجع مقبوليتها لدى الشارع العراقي الشيعي، الذي لم يتحمس على ما يبدو للتفاعل مع التيارات والحركات الشيعية المعارضة التي مارست عليها طهران نفوذاً واضحاً، وبحسب التقارير فأن المعارضين الشيعة الذين تلقوا دعماً من طهران:" **دفعوا ثمن ذلك الدعم، لأننا نعتقد أن سمعتهم قد تلطخت بين الشيعة العرب في العراق الذين لديهم استياء عميق الجذور تجاه إيران، ينبع ذلك العداء من الحروب والمنافسات المتكررة، على مناطق النفوذ الإقليمي**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)، وفي مورد أخرى أعادت الوثائق الامريكية التأكيد على تصورها بأن معيار تقبل الحركات الشيعية المعارضة لنظام البعث في الداخل العراقي انما مرده لطبيعة ومدى علاقتها وقربها من حكومة طهران، والكيفية التي تستجيب بها لمطالبها فأشار أحد التقارير الى أن:" **الحركة المنشقة الشيعية تتمتع بجاذبية محدودة في العراق. يدعم معظم الشيعة العراقيين من أصل عربي الجهود المبذولة لمنع الغزو الإيراني، ويعتبرون الجماعات المعارضة المدعومة من طهران بمثابة بيادق لإيران**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)، وذكرت وثائق CIA الامريكية بأن رغبة طهران في اخضاع تلك الجماعات لسلطتها ترك تأثيره عميقاً على عمل ومقبولية تلك الجماعات فأن:" **اهتمام طهران الأكبر بجعل الشيعة خاضعين بدلاً من بناء حركة فعالة مناهضة لبغداد يقدم للمعارضين خياراً صعباً فأن قبول السيطرة الإيرانية يكسبهم قاعدة قريبة من العمليات والأسلحة والدعم المالي، لكنه يضعف تقبلهم لدى الشيعة العرب في العراق، الذين يضمر الكثير منهم استياء عميق الجذور تجاه إيران**"(CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8). كما حددت التقارير الامريكية أسباب أخرى لمدى ضعف أو قوة فاعلية المعارضة الشيعية، وأن ربطتها ايضاً بالعلاقة مع أيران ايدولوجيا أو عقائدياً بصورة أو أخرى ، فقد لخص أحد التقارير على سبيل المثال لا الحصر، ما اسماه "**نقاط الضعف في المعارضة الشيعة**" وهي نقاط تسببت فيها إيران عبر محاولة فرض نفوذها على تلك الجماعات ومحاولة ممارسة تأثير في تشكلها وطبيعة عملها، فذكر التقرير بأن: " **جهود طهران لجعل المعارضة الشيعية خاضعة للمفاهيم والسيطرة الإيرانية تقع جزئياً على حقيقة أنها منقسمة وضعيفة**" وأرجعت التقارير الامريكية سبب ذلك الضعف وبحسب السفارة الامريكية في بغداد

الى أن:" **العديد من المعارضين الشيعة العراقيين يعارضون مفهوم ايران لولاية الفقيه، الذي يرى أن اية الله الخميني هو المرشد الأعلى لجميع الشيعة، بمن فيهم أولئك الموجودين في العراق، فيما يقاوم أخرون محاولات طهران للسيطرة على أنشطتهم**"، وأضاف التقرير الأمريكي إلى أن السبب الاخر لعدم تقبل الحركات المدعومة من أيران، فحسب دبلوماسيون أمريكيون في بغداد فأنه على : "**على الرغم من رغبة العديد من هؤلاء القادة الإطاحة بالرئيس صدام حسين، الا أنهم قلقون من أن الإطاحة به ستؤدي الى تدفق الإيرانيين الى المدن العراقية التي تضم بعض اضرحة الإسلام الشيعي، كما أنهم قلقون من أن القادة الإيرانيين سيطالبون بالأولوية على نظرائهم العراقيين**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)، ومع ذلك فأن وثائق CIA، أشارت الى وجود عدد من المعارضين الشيعة ممن لم يذهبوا بعيداً مع التقارب الإيراني وحاولوا جاهدين الحفاظ على مساحة من الاستقلال بعيداً عن التأثير الإيراني من أجل الحفاظ على مساحة أوسع لمقبوليتهم في الشارع العراقي، غير أن سلوكهم ذلك قلل كثيراً من الدعم الإيراني لهم الامر الذي قلل من فاعليتهم على الساحة العراقية، وسمت الوثائق بعض الحركات المعارضة التي قاومت النفوذ الإيراني ما سمح بمنحها مقبولية أكبر داخل العراق، ومن تلك الحركات رابطة اهل البيت التي خلصت التقارير الى أن استقلالها :" **عن إيران يمنحها جاذبية محتملة في العراق أكثر من غيرها من التنظيمات المتنافسة ومقرها طهران، ومع ذلك ليس لدينا تأكيد كبير على فعاليتها داخل العراق ولا تقديرات لحجمها**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8).

وأشارت التقارير الامريكية الى أن وجود جماعات شيعية حاولت مقاومة النفوذ الإيراني المطلق، دفع بإيران الى اضعافها واستبعادها عبر تشكيل جماعات جديدة تحل محلها على أمل أن تحظى بالمقبولية المطلوبة لنسخ نظام ولاية الفقيه في العراق، فبحسب أحد التقارير فأن الإيرانيين :" **يحاولون تشكيل حركات جماهيرية جديدة بين المنفيين الشيعة العراقيين في إيران لتحل محل الجماعات القديمة، مثل حزب الدعوة الذي يقاوم الهيمنة الإيرانية، لقد أنشأوا العديد من المنظمات بما في ذلك المجاهدون العراقيون وحزب الله وجند الأمام على أمل أن يكتسبوا الدعم الشعبي في العراق لجمهورية إسلامية على أسس إيرانية**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8).

أما المعيار الثالث فهو **مدى الفاعلية العسكرية التي تمتع بها كل فصيل شيعي** معارض لنظام البعث، وربطت الوثائق والدراسات الامريكية الصادرة عن وكالة الاستخبارات الامريكية بين ذلك المعيار ومدى نفوذ وقرب تلك الجماعات وحجم وطبيعة ما حصلت عليه من دعم لوجستي ومالي من إيران والى حدٍ ما سوريا، وكل ذلك تحكم فيه مدى استجابة تلك الحركات الى مطالب النظام الإيراني وتصوراته ومشاريعه، فأشارت التقارير الى ذلك التصور بالقول: "**أن القادة العراقيون المنشقون الشيعة الذين يقبلون بالسيطرة الإيرانية يحصلون على قاعدة عمليات أمنة ودعم مالي ولوجستي واسلحة**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 –

RDP90T01298R000300300001-8). وذكر التقرير الأمريكي بأن تدخل النظام الإيراني في عمل ونشاط الجماعات الشيعية المعارضة ومحاولة جمعها قوة واحدة كبيرة وفاعلة جاء بنتائج عكسية، أسهمت في التقليل من فاعلية تلك الجماعات، وبحسب التقرير فأن:" **جهود إيران لتوحيد الفصائل المنشقة وتحويلها الى قوة فاعلة في المنفى، أدى الى ضعافها وانقسامها أكثر من أي وقت مضى، بعد أن قاوموا الى حد كبير محاولات طهران للهيمنة ومقسمة بسبب القضايا الايدولوجية والقيادية والاستراتيجية**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)، ورغم ذلك التصور فأن وثائق CIA الامريكية خلصت الى نتيجة مفادها بان تلك الجماعات ورغم حالة الشلل التي تعيشها بفعل الإجراءات القاسية التي ارتكبها نظام البعث، إلا انها ستبقى نشطة في مناطق وحالات معينة، بسبب المساعدات التي تتلقاها من إيران والى حدٍ ما سوريا: "" **على الرغم من أنهم يعانون من الشلل الى حداً كبير داخل العراق، إلا أن المنشقين مازالوا نشطين في المنفى وحصلوا على مساعدة تنظيمية ومالية كبيرة من إيران وبدرجة أقل من سوريا**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8).

أما المعيار الأخر الذي صنفت على أساسه الولايات المتحدة الامريكية المعارضة الشيعية ضد نظام البعث فهو معيار "**مدى تأثير تلك المعارضة على مصالح الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية وما أسمته بالدول العربية " المعتدلة**"، فقد صنفت الوثائق الامريكية بعض التيارات والأحزاب الشيعية المعارضة بأنها "**راديكالية**" وأنها تمثل خطر على مصالح الولايات المتحدة الامريكية والغرب بصورة اعم، فخلصت تلك التقارير بأن قسم من الحركات الشيعية المعارضة تتبنى الراديكالية وممكن أن تكون خطراً على مصالح الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها، وأوردت تلك المخاوف أحد تقارير وكالة الاستخبارات الأميركية حين أشار تحت تصنيف سري للغاية بأن بعض عناصر المعارضة الشيعية الراديكالية :"" **ستواصل الانخراط في (الإرهاب) ضد الولايات المتحدة والغرب والمعتدلين من العرب**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8). وأرجعت تلك التقارير سبب مهاجمة المصالح الامريكية والغربية الى رغبة النظام الإيراني في توظيف الجماعات الشيعية المعارضة لتخيف الضغط على النظام الإيراني بعد تعثر عملياته العسكرية من جهة، ورغبت حكومة طهران في معاقبة الدول التي قدمت مساعدات للنظام العراقي والضغط عليها لتقليل تلك المساعدات: وأشار التقرير إلى أن إيران: "**وبعد أن تعثرت في جبهات القتال، قد توجه إيران الجماعات الشيعية العراقية التي تسيطر عليا للبدء في مهاجمة الأجانب، بما فيهم الامريكيون لتقليل الدعم الخارجي لنظام بغداد**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8).

واشارت التقارير الامريكية الى أن أيران ومن دون شك ستوظف المعارضة الشيعة لصالحها بعد تعثر عملياتها العسكرية وانها ربما ستدفع بهم لمهاجمة أفراد أو مصالح أمريكية وغربية : " **بعد أن تعثرت**

ايران في حرب برية ، ستميل الى توجيه الجماعات العراقية الشيعية المنشقة التي تسيطر عليها للقيام بعمليات " إرهابية" ضد الأجانب بما في ذلك مواطنين أمريكيين في العراق، مما لا شك فيه أن الإيرانيين قد شجعهم رحيل العديد من التابعين الدبلوماسيين والمقاولين الأجانب من العراق بعد همات بصواريخ سكود الإيرانية الأخيرة ، سيكون للهجمات الإرهابية تأثير مماثل في اضعاف الدعم الأجنبي للنظام العراقي فضلاً عن اقتصاده، كما يظهر تفجير السفارة الامريكية في الكويت فأن المعارضين الشيعة العراقيين لديهم الإمكانيات اللازمة للضرب خارج العراق" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)

وأضاف التقرير السري الأمريكي الى أن أيران: " **قد تأمر بشن هجمات " إرهابية" ضد مصالح الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الغربية والعربية المعتدلة" خاصة إذا كانت تعتقد أن وضعها العسكري يائس**"، غير أن التقرير في الوقت نفسه أكد على أن هناك بعض فصائل المعارضة الشيعية ربما لا تحبذ القيام بتلك الهجمات، وتفضل العمل السياسي عليها، لاسيما حزب الدعوة المعارض، غير أن ذلك لن يمنع " الراديكاليين" من الشيعة من القيام بتلك الاعمال وهو ما ذكره التقرير الأمريكي مبيناً أنه:" **على الرغم من حقيقة ان معتدلي حزب الدعوة يعطون أولوية للعمل السياسي على [الإرهاب] فأن الشيعة الراديكاليين مستعدون للانخراط في مثل تلك الاعمال اما بمفردهم أو كوكلاء لإيران**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8).

ثانياً: المعارضة الشيعية ومعادلة العلاقات العراقية –الإيرانية:

سجلت معظم أن لم تكن جميع الوثائق التي نشرت عن تاريخ المعارضة الشيعية، بأن اندلاع الثورة الإسلامية في إيران وأسقاط حكومة الشاه، هما السبب الاقوى الذي حول المعارضة الشيعية العراقية لنظام البعث الى طرف قوي جداً في معادلة العلاقات العراقية– الإيرانية، وكيف سعى الطرفان سواء كان نظام البعث أو طهران الى الإفادة من تلك المعارضة، العراق عبر تحييدها، وإيران عبر توظيفها، وقد اعتبرت تلك التقارير بأن تشكل نظام الجمهورية الإسلامية في إيران كان السبب الرئيس في ظهور المعارضة الشيعية، فبحسب أحد التقارير ان نجاح الأصوليين الاسلامين: " **في الإطاحة بشاه إيران عام ١٩٧٩، هو ما شجع بعض الشيعة العراقيين على التنظيم للإطاحة بالنظام البعثي العلماني لصدام حسين في بغداد**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8)، غير أن تلك التقارير أشارت الى أن جذور المعارضة الشيعة ضد نظام البعث متأصلة في المجتمع العراقي الشيعي حتى قبل الثورة لأسباب عدة منها ما تتعلق بالعقيدة وطبيعة الحكم وشعور الشيعة بالظلم كونهم أغلبية غير حاكمة، ما جعلهم مهيأين للاستجابة لأي دعوة تقدم لهم لدعم نضالهم ضد نظام البعث، وبحسب تقرير أعدته وكالة الاستخبارات الامريكية بالتعاون مع عدد من المراكز والمؤسسات البحثية الملحقة بالجهاز، فأن:" **المنشقون الشيعة شكلوا خلايا سرية مستغلين استياء العراقيين الشيعة الذين يشكلون أكثر من نصف السكان ولكنهم لا يشاركون بشكل متناسب في السلطة السياسية أو المنافع الاقتصادية، وبحلول عام ١٩٨٠ كان**

النشطاء الشيعة يشنون هجمات "إرهابية"[١] ضد النظام بما في ذلك محاولة اغتيال وزير الخارجية العراقي" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8). وشدد التقرير على أن ردت الفعل القاسية التي أتبعها النظام ضد المعارضة الشيعية زاد من نقمة الشيعة على النظام لاسيما بعد أن رد: " **حزب البعث الحاكم بأسلوب صارم بترحيل أكثر من ٦٠ ألف شيعي من أصل إيراني كما قام باعتقال قادة معارضين بمن فيهم رجل الدين الشيعي الأكثر احتراماً في العراق محمد باقر الصدر**"، ورجح التقرير نجاح تلك الإجراءات وتأثيرها على مدى فاعلية عمل المعارضة الشيعية بالقول: " **وقد ينعكس نجاح جهود بغداد في الغياب الفعلي للعلميات "الإرهابية التي نفذها الشيعة في بغداد منذ ذلك الحين وفقاً للسفارة الامريكية في بغداد**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8).

أجمعت التقارير التي أعدتها دوائر CIA ومصادره، على أن المعارضة الشيعية في العراق لنظام البعث تحولت الى أداة مهمة للغاية في الصراع العراقي –الإيراني واثرت بصورة هائلة على طبيعة العلاقات بين البلدين، فأورد أحد التقارير السرية للغاية الى أن ظهور نظام جديد في ايران سيكون سبباً رئيساً لتدهور العلاقات بين العراق وايران مع غياب أو ابعاد العناصر التي وصفها التقرير "**بالمعتدلة**" من الدائرة القريبة المحيطة بالأمام الخميني التي كان بأماكنها تخفيف حدة اندفاع الثوار المسلمين الشيعة ورغبتهم في نشر ثورتهم الى مختلف دول العالم من قبيل رئيس الوزراء بازركان ووزير الخارجية يزيدي،، وذكر التقرير بأن :"**تولي المجلس الثوري لأية الله الخميني للسلطة الحكومية في إيران أدى الى تدهور العلاقات بين إيران والعراق، وعلى الرغم من استمرار الجهود المبذولة لتهدئة الوضع فأن أبعاد عناصر معتدلة نسبياً من الحكومة الإيرانية المؤقتة مثل رئيس الوزراء بازركان ووزير الخارجية يزدي، يعني انه لا يوجد أحد الان في وضع يمكنه تخفيف الحماسة الثورية للمسلمين الشيعة، في محيط الخميني**"، وخلص التقرير الى أن المخاوف الحقيقة لأي نزاع قد يندلع بين البلدين، هو مدى تأثيره على أمدادات وسوق النفط العالمي : " **أن اندلاع قتال خطير بين البلدين سيعطل بشكل كبير الوضع النفطي العالمي واستقرار الشرق الأوسط**"، (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence , Memorandum, Top Secret، Sc00518/79 ,A P, 79-10542C).

لقد مارس النظام الإيراني نفوذاً ملحوظاً على المعارضة الشيعية ضد نظام البعث، وقد صنفت الوثائق الامريكية الصادرة عن CIA حجم ذلك النفوذ على كل فصيل والإمكانات التي تمتع بها، فذكر أحد التقارير على سبيل المثال بأن: **الإيرانيون لديهم سيطرة كبيرة على منظمة العمل الإسلامي ايضاً وهي منظمة تنافس حزب الدعوة يترأسها رجل دين " إيراني" محمد تقي المدرسي وقد نفذت هذه المنظمة عمليات(إرهابية) داخل العراق وخارجه لكننا لا نعرف أي شيء عن توجيههم ضد المصالح الامريكية**" (CIA، Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 85-10120، June 1985

---

(١) هكذا وردت في نص الوثيقة. بل وفي معظم الوثائق والتقارير الأخرى التي أطلق على العمليات التي كانت تقوم بها المعارضة الشيعية سواء داخل الأراضي العراقية أو الخارجية " بالعمليات الإرهابية".

8-RDP90T01298R000300300001 –)[١]، وفي وثيقة أخرى وتحت عنوان " **المجتمع الشيعي العراقي**" أعدت من قبل المركز التحليلي لجنوب غرب اسيا، وقسم شرق وجنوب أسيا ومكتب التحليل السياسي بالتنسيق مع مسؤول الاستخبارات الوطنية للشرق الأدنى وجنوب اسيا ومديرية العمليات ومكتب البحوث الاستراتيجية ومكتب البحوث الجغرافية والمجتمعية في ٢١ تشرين الأول ١٩٨١. جاء فيها:" **دعا أية الله الخميني ورجال الدين الإيرانيون مراراً المسلمين الشيعة في العراق للإطاحة بحكومة الرئيس صدام حسين التي يهمين عليها السنة، ومن المرجح أن تزداد حدة تلك الدعوات وتقبل الأغلبية الشيعية في العراق لها في منتصف تشرين الثاني أي بداية شهر محرم وهو ذكرى استشهاد الامام الشيعي الحسين في القرن السابع، فهذه الفترة العاطفية يمكن أن تثير الانشقاق الشيعي المتجدد، نعتقد أن التهديد الرئيس لصدام في هذا الحدث سيكون من رفاقه السنة، الذين قد يعملون ليحلوا محل صدام اقمع التمرد الشيعي**" (CIA, , Doc, Iraq's Shia Community, RDP81B00401R000400110002-7,). وواكبت تقارير CIA الامريكية سعي الجمهورية الإسلامية في إيران الى محاولة توحيد الفصائل الشيعية المعارضة في مظلة واحدة لزيادة قوة فاعليتها وتحقيق أهداف أخرى من وجهة نظر وكالة الاستخبارات الامريكية تمثلت في:" **تشكيل المعارضين في هيئة واحدة تقوم بأعمال (إرهابية) وحرب عصابات داخل العراق وتساعد في تأكيد الهيمنة الإيرانية على العراق بعد هزيمة البعثين. حتى الان. لم تحقق جهود أيران نجاحاً**"، وأشار تقرير أخرى لنفس الهدف والمضمون بالقول: " **أنشأ الإيرانيون المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (SAIRI)، المكون من ٤٠ عضواً عام ١٩٨٢، كمنظمة جامعة لمعظم المعارضين الشيعة والاكراد العراقيين. وقد تم تصميمه لتنسيق انشطتهم وضمان النفوذ الإيراني عليهم. تشعر إيران بخيبة أمل من عدم فاعلية التنظيم ومع ذلك.. بقية التقرير مخفية**""-85 (CIA, Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents ENSA 10120,, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8).

استعرضت العديد من الوثائق والتقارير الامريكية الصادرة عن وكالة الاستخبارات الامريكية طبيعة تاريخ العلاقات العراقية الإيرانية منذ عام ١٩٧٥ حتى وصول النظام الجديد بالقول:" **من جانبه فضل العراق منذ عام ١٩٧٥، أن تكون له علاقة مستقرة مع إيران. وحاولت بغداد التوصل الى تسوية مع نظام الخميني غير أن الفوضى والاضطراب في القيادة الإسلامية أحبطها، علاوة على ذلك فأن الهيمنة المتزايدة لرجال الدين في إيران تغري العراقيين بصورة متزايدة بفكرة أن استبدال الخميني أفضل مسار ممكن لاستعادة الاستقرار الإقليمي وزيادة النفوذ العراقي في المنطقة**"[١] (CIA، Iran-Iraq , Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79- 10542C, Sc00518/79). وأرجعت التقارير الاستخباراتية سبب تردي العلاقة بين الدولتين الى المرحلة التي سبقت سقوط الشاه بمدة وجيزة، وكان استدلالها على ذلك تصريحات السفير العراقي في بيروت التي طالبها فيها بضرورة أعادة النظر باتفاقية الجزائر مستخدماً لفظة " طوعاً" قائلاً: "**أدت**

---

(١) CIA, Doc, Iraq's Exiled Shia Dissidents, an intelligence Memorandum, Top Secret, ENSA 85-10120, June 1985 – RDP90T01298R000300300001-8, Approved for Release,2010/ 01/21.

الأحداث التي سبقت سقوط حكومة بازركان إلى تآكل العلاقات بالفعل. في أواخر أكتوبر صرح السفير العراقي في بيروت علناً أنه يجب على إيران "طوعا" إجراء العديد من التعديلات في اتفاق الجزائر لعام ١٩٧٥ الذي أنهى التمرد الكردي في العراق وحسم نزاع حدودي طويل الأمد بين بغداد وطهران حول وضع ممر شط العرب المائي.، منفذ العراق الوحيد إلى الخليج الفارسي. واقترح السفير، من بين أمور أخرى، إعادة السيادة العراقية الكاملة على شط العرب. على الرغم من أن القيادة العراقية في بغداد لم تكرر تصريحات السفير، فقد أخبر مسؤول عراقي رفيع المستوى منذ ذلك الحين دبلوماسيين أمريكيين على انفراد أن العراق لم يعد يعتبر الاتفاقية سارية. ربما يشك الإيرانيون في أن القيادة العراقية تنوي إلغاء الاتفاقية" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence , Memorandum, Top Secret, Sc00518/79, 10542C-79, A P).

ونقلت التقارير الاستخبارية حادثة استيلاء الثوار الإيرانيين على قنصليتين عراقيين مباشرة بعد اقتحام السفارة الامريكية من دون أن تربط بين الحادثتين على خلفيات معينة، فجاء في التقرير بأنه: "**فور الاستيلاء على السفارة الأمريكية في طهران، استولى الثوار الإيرانيون المتعصبون أيضًا على قنصليتين عراقيتين في غرب إيران؛ واحد في كردستان والآخر في محافظة خوزستان، منطقة النفط الإيرانية. ورد العراقيون بالاستيلاء على القنصلية الإيرانية في البصرة وكربلاء. وعلى الرغم من أن الحكومتين نجحتا في حل المناوشات القنصلية، إلا أن هذه الحادثة توضح عجز النظام الإيراني عن الحفاظ على منزله، وكذلك إصرار العراقيين على الرد بقوة على أي استفزاز إيراني**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating , Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79).

وكشف التقرير الأمريكي اثناء تقييمه للعلاقة بين الدولتين عن وجود انقسام عبر عن رؤيتين للعلاقة مع العراق في القيادة الإيرانية دعا أحدهم الى عدم استفزاز العراق، لاسيما في ضوء حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي تعيشها إيران يومذاك ومما جاء في التقرير:" **كان التسلسل الهرمي الإيراني منقسمًا في الماضي حول كيفية التعامل مع العراق. أدرك بازركان ويزدي خطورة استفزاز العراق، في ظل عدم الاستقرار السياسي في إيران، والفوضى الاقتصادية، وعدم وجود قوة عسكرية فعالة، والاضطرابات بين الأقليات العرقية. لعب يزدي، على وجه الخصوص، دورًا نشطًا في محاولة تخفيف التوترات والتقى بالرئيس العراقي صدام حسين في مؤتمر عدم الانحياز في هافانا**" (CIA، Iran-Iraq , Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79)، فيما رأى قسم أخر وهم المتدينون عكس ذلك، فيعتقدون بأن ظروف الثورة الإسلامية وفرت لهم فرصة مناسبة للتخلص من نظام البعث الذي يمثل حكم أقلية سنة تحكم أغلبية شيعية: "**يرى بعض القادة الإيرانيين المتدينين فرصة بل واجبا. بالنسبة للعديد من القادة الشيعة في إيران، فإن النظام العراقي يثير الغضب لأن حكومة أقلية سنية تحكم أغلبية من السكان الشيعة**" وأكدت تقرير الاستخبارات الامريكية بأن هناك أسباب أخرى دعت المتدينين الإيرانيين لتبني ذلك التوجه منها، عدهم النظام في العراق بغير الإسلامي بصورة كافية، وأنه منع العراقيين من دعم الثورة الإسلامية التي

حدثت في ايران، بل عملوا بالضد منها حين أقدموا على محاولة اخراج اية الخميني من النجف:" **يعتبر الإيرانيون النظام العراقي غير إسلامي بما فيه الكفاية ويعتقدون أن العراقيين فشلوا في دعم الثورة الإيرانية. آية الله الخميني غاضب بشكل خاص من العراقيين لأنه بعد أن أمضى ١٣ عامًا في المنفى في العراق في مدينة النجف الشيعية المقدسة، أطاحت به سلطات بغداد في أواخر عام ١٩٧٨ بسبب رغبتها في الحفاظ على العلاقات مع الشاه على قدم المساواة**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79)، الى جانب تلك الأسباب اضافت التقارير الاستخبارية الامريكية أسباب أخرى من بينها تدخل العراق بالشؤون الداخلية الإيرانية عبر دعمه مجموعات المعارضة والأقليات الدينية في إيران واقامة العراق لعلاقات وصلات مع منشقين عرب في خوزستان بل وتقديم الدعم المادي لهم: " **فالإيرانيون مقتنعون أيضًا بأن العراقيين يشجعون التمرد بين الأقليات الكردية والعربية والبلوشية في إيران. تدرك طهران جيدًا أن للعراقيين علاقات طويلة الأمد مع المنشقين العرب في خوزستان ومختلف القبائل الكردية. المخاوف الإيرانية ليست غير مدعومة بأدلة على الإطلاق. ويحافظ العراقيون على اتصالاتهم مع مختلف الجماعات العرقية الإيرانية التي كانوا يدعمونها قبل اتفاق الجزائر ويعيدون الحيوية إليها**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79). وخلص التقرير الى ان القيادات العليا في ايران تفضل تصدير الثورة الى العراق، على الأقل كنوع من الرد على ما اسموه " الدور التخريبي" الذي يؤديه العراق، وأستشهد التقرير بجواب لأية الله السيد الخميني على رسالة التهنئة التي أرسلها العراق له بمناسبة الثورة، فقد وجد التقرير بأن الإجابة حملت نوع من التهديد المستتر بإمكانية تصدير الثورة الإسلامية للعراق، ونقل التقرير ذلك الجزء من الرسالة الجوابية بالقول: " **يفضل البعض في القيادة الإسلامية صراحة تصدير الثورة الإيرانية إلى جيرانها العرب، ولا شك في أن العراق يعتبر مرشحًا رئيسيًا "للتخريب". آية الله الخميني، على سبيل المثال، استجاب في نيسان لرسالة التهنئة التي وجهها الرئيس العراقي بإصدار تهديد مستتر بالكاد بأن ثورة إيران ضد "دكتاتورية بهلوي" كانت بمثابة "تحذير لكل المتغطرسين" من "الضعفاء والمضطهدين". في الوقت نفسه، هناك تقارير تفيد بأن أشرطة ومنشورات تروج لآراء الخميني قد وزعت في العراق**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79).

وفي مورد أخر من التقارير عالية السرية، أشير الى أن التوترات بين الشيعة والسنة في الفترة الأخيرة، أنما مرده الى سلوكيات: "**تغذيها الأدبيات المناهضة للنظام التي وزعتها مجموعات مختلفة تدعي أنها تمثل الشيعة العراقيين المضطهدين أو تتحدث باسمهم. تلك الادبيات يطالب بإسقاط النظام البعثي ويؤكد الروابط بين الشيعة العراقيين والإيرانيين!**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79). وأرجع التقرير ذلك التوجه لوجود روابط:" **بين الزعماء الدينيين الإيرانيين والشيعة**

العراقيين بوجود حوالي ٢٥٠ ألف شيعي من أصول إيرانية في العراق، يقيم معظمهم بالقرب من المدينتين الشيعيتين المقدستين كربلاء والنجف. وأحد أكثر العلماء الإيرانيين احتراماً، آية الله خوي (الخوئي)" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, Sc00518/79 ،10542C, 79-A P). ويظهر بأن الأمريكيين كانوا ينظرون الى السيد الخوئي بأنه زعيم أيراني في العراق ولوجده فرصة تأثير ممكن أن تستفيد منها الجمهورية الإسلامية في إيران في تأليب الشيعة العراقيين، لذا رصد التقرير الإجراءات التي اتخذها نظام البعث في العراق للقضاء على أي تحرك للشيعة ضد الحكم ومن بينها اعتقال اية الله محمد باقر الصدر أحد من أكبر الزعماء الشيعة في العراق:" **في حزيران، ألقت الحكومة العراقية القبض على الزعيم الشيعي العراقي آية الله باقر الصدر، على ما يبدو لمنعه من قيادة الانشقاق الديني الناشئ المناهض للحكومة. يحظى باقر الصدر بدعم قوي في إيران. بعد الاعتقال، أرسل الخميني برقية لدعم باقر الصدر، كما أرسل العديد من آيات الله الإيرانيين البارزين رسائل إلى الخوئي، يحثونه على حشد المظاهرات من أجل إطلاق سراح الصدر. وأثار اعتقال الصدر مظاهرات في العديد من المناطق الشيعية في العراق وأنتج استعراضًا للقوة من قبل الحكومة**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, Sc00518/79 ،10542C, 79-A P).

وقد قدرت التقارير الاستخبارية الامريكية بأن العراق حاول منذ عام ١٩٧٥، تجنب أي عداء مع إيران وسعى لأقامه علاقات جيدة معها، لخشيته من تأثيرها على المجتمع الشيعي في العراق، وسرد التقرير ذلك بالقول:" **سعت بغداد منذ عام ١٩٧٥ إلى إقامة علاقة مستقرة مع إيران بغض النظر عن التوجه السياسي أو الديني للجماعة التي تسيطر على الحكومة في طهران. كان البعثيون قادرين على التوصل إلى تسوية مع الشاه وربما كانوا يرغبون في إبرام صفقة مماثلة مع الجمهورية الإسلامية على الرغم من نفورهم من آية الله الخميني. وراء تفضيل العراق لعلاقة مستقرة هو حساسية بغداد تجاه التدخل الخارجي في مجتمعها الشيعي، الذي له تاريخ طويل من الصراع مع الأقلية السنية الحاكمة في العراق. الانقسام الشيعي السني، الذي بدأ كنزاع على خليفة النبي محمد في القرن السابع، لا يزال يثير مشاعر قوية في العراق بعد حوالي ١٣ قرنًا. يعتبر السنة الشيعة بمثابة ارتدادات جاهلية وخرافية لعصر منسي. ويرى الشيعة أن السنة هرطقة وماديون ولا يشعرون بالراحة تجاه التوجه القومي العربي لحزب البعث، الذي يعتبرونه يهدد بإغراقهم في بحر العرب السني**"(CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, Sc00518/79 ،10542C, 79-A P).

واعترف التقرير في التقييم ذاته وبعد تقديره لنسبة الشيعة في العراق، بأنهم طائفة مضطهدة اجتماعياً ومحاربة سياسياً على الرغم من أنهم شكلوا ٥٥% من سكان العراق، ورجح التقرير صحة مخاوف نظام البعث من تبعات تقبل الشيعة وتبنيهم لفكرة نظام الجمهورية الإسلامية في ايران وما قد يرتكه ذلك على تأثير على وضع نظام الحكم البعثي لاسيما وأن الشيعة يتمركزون في المناطق الجنوبية التي يمر بها انابيب النفط نحو الخليج، الى جانب تواجدهم في" المراتب الدنيا" في الجيش والشرطة،

اللتان يسيطر على قيادتهما السنة ولخص التقرير تلك الحقيقة بالقول: " **يشكل الشيعة العراقيون ٥٥ في المائة من السكان وهم في وضع جيد لإحداث مشاكل للبعثيين الذين يغلب عليهم السنة في حال تبنوا التجربة الإيرانية كمخطط للثورة. يتركز الشيعة في جنوب العراق، سواء في المناطق الحضرية أو الريفية. قد تكون بغداد نفسها بقدر نصف الشيعة. تمر خطوط أنابيب النفط الرئيسية عبر المحافظات الشيعية. تعتمد المنشآت الاستراتيجية مثل ميناء البصرة ومحطات النفط في الخليج العربي وحقول النفط الجنوبية بشكل كبير على العمالة الشيعية. كما أن الشيعة ممثلون بقوة بين الرتب الدنيا في الشرطة والجيش، على الرغم من أن الضباط يهيمن عليهم السُنة**" (CIA، Iran-Iraq , Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79).

وثق التقرير بعد ذلك إجراءات النظام البعثي ضد تلك المخاوف، والكيفية التي تعامل بها للحد من مخاطر الشيعة أو على الأقل تقليل اندفاعهم تجاه النظام الإيراني، مستشهداً بما فعله النظام حينما واجه الانتفاضة الشيعية عام ١٩٧٧ بالقوة وقضى عليها:" **كان رد فعل البعث على قدرة المنشقين على ممارسة الأنشطة التخريبية هو المزج بين التطبيقات السخية لمزايا الرعاية الاجتماعية والقمع القاسي عندما يفشل التملق والمحسوبية. على الرغم من استخدام الجيش لإخماد أعمال الشغب الدينية في مدينتي النجف وكربلاء المقدستين لدى الشيعة في شباط ١٩٧٧، كان التأثير الأكثر وضوحًا للثورة الإيرانية على الحكومة العراقية هو تحفيز الجهود الخاصة التي تبذلها بغداد للتوفيق بين المجتمع الشيعي العراقي. كما بذل الرئيس صدام حسين جهدًا شخصيًا للتخلص من الجوانب العلمانية للبعث، والتأكيد على الإسلام، واللعب على العداوات التقليدية بين العرب والفرس**" (CIA، Iran-Iraq , Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79)، ثم تتابع وثائق الاستخبارات الامريكية تصعيد العراق من أهدافه للتخلص من النظام الإيراني الى حد بذله جهود إقليمية ودولية لاستبدال ما اسماه " نظام الخميني لخشيته مما يمثله من تهديد على نفوذه الإقليمي لاسيما في منطقة الخليج الفارسي ، وقد استند التقرير في استنتاجه ذلك على معلومات كشفها مسؤول عراقي مقرب من نظام صدام حسين لدبلوماسيين أمريكيين، ومما جاء فيه : " **تم الكشف عن اهتمام بغداد بتحييد التهديد الذي يمثله الخميني للعراق ومنطقة الخليج بأكملها في مقاربة فريدة للدبلوماسيين الأمريكيين قام بها مؤخراً مسؤول عراقي مقرب من صدام حسين في بغداد. وأكد هذا المسؤول أنه كان يتحدث بشكل شخصي، لكن من شبه المؤكد أن زيارته تمت الموافقة عليها رسميًا، وتعكس تصريحاته اهتمامًا عراقيًا رفيع المستوى واستعدادًا لدعم الإجراءات للإسراع باستبدال نظام الخميني**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence , Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, Sc00518/79). وربما أرسل التقرير إشارة الى الجهات المعنية في الدوائر الامريكية بأن العراق على استعداد لتتعاون من أجل زيادة الضغط على النظام الإيراني على الأقل فيما تعلق بقضية الرهائن الأمريكيين، ونقل في التقرير بأن المسؤول العراقي:" **وشدد على ضرورة التحرك السريع لإزالة الخميني وأشار ضمناً إلى موافقة العراق على**

ممارسة ضغط أمريكي قوي على إيران للإفراج عن الرهائن الأمريكيين" وركز التقرير على أن العراق كانت مهتماً بقضية مركزية في الموقف الأمريكي من نظام الخميني، هي أمكانية أن تقطع الولايات المتحدة الامريكية الصادرات العسكرية لإيران: وأستنتج التقرير أن أي تدهور في الفعاليات:" **العسكرية الإيرانية سيسمح للعراق "بالتعامل مع الخميني بمفردنا". كما أبدى المسؤول العراقي وجهة نظر متعاطفة مع المشكلة التي قد تواجهها الولايات المتحدة بسبب مقاطعة النفط الإيراني، وأشار إلى أن بغداد لن تعترض على زيادة الإنتاج في دولة عربية أخرى لتعويض النقص من الواردات الإيرانية المفقودة**"(CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, Sc00518/79, 10542C-79 P, A). ونقل التقرير كذلك بأن رغبة العراق في إزالة نظام الخميني دفعه "**الاتصال ببعض عناصر المعارضة الإيرانية في المنفى**" **ومع ان التقرير أكد على أن العراق لا يدعم مرشحاً بديلاً لاية الله الخميني غير أنه يرغب في أن يكون:" النظام اللاحق يساريًا، لكن غير شيوعي، ومنشغل جدًا بالشؤون الداخلية بحيث لا يكون راغبًا أو غير قادر على إبراز نفوذه في الخليج الفارسي، مما يسمح للعراق بتحقيق هدفه الذي طالما سعى إليه. لتصبح القوة الرائدة في المنطقة**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, Sc00518/79, 10542C-79 P, A).

ورغم ذلك فأن كل التقارير والوثائق الامريكية التي تناولت موضوع الصراع العراقي الإيراني في تلك المرحلة خلصت الى استنتاج واحد تقريباً هو: " **لا يبدو أن إيران ولا العراق يرديان بدء صراع كبير لأن كلاهما يدرك أنه سيكون من الصعب السيطرة عليه، ويمكن أن يلحق الضرر بسهولة بمنشأتهما النفطية، وقد تتصاعد الاشتباكات الحدودية المحلية وتخرج عن نطاق السيطرة، علاوة على ذلك، يمكن الخطر في أن كل ما يمثل الحكومة يمكن أن ينهار مما يشكل هدفاً جذاباً للعراقيين**" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, Sc00518/79, 10542C-79). وأضاف التقرير أسباب أخرى لعدم رغبة أيران في بدأ صراع عسكري مع العراق تمثل في:" **أن القوات الإيرانية متورطة في السيطرة على الأقليات المضطربة في البلاد**". كما أن الحكومة العراقية تدرك بأن أي صراع مع إيران يعني بالضرورة: "**التحريض على انتفاضة شيعية**"، الى جانب أن أقدام العراق على عمل عسكري مع إيران قد يضر بالعلاقات العراقية العربية وأن تلك الخطوة: " **ستحيي على الفور المخاوف من التوسع العراقي بين الدول العربية في الخليج الفارسي، وبالتالي القضاء على سنوات عديدة من الجهود العراقية لإنهاء عزلتهم في العالم العربي. إن رغبة صدام حسين في لعب دور قيادي في حركة عدم الانحياز ستتضرر أيضًا من لعب القوة العارية ضد إيران العاجزة**"، وأخيراً فأن أي صراع حدودي كبير بين العراق وإيران سيؤثر بصورة: " **فورية وخطيرة على سوق النفط العالمية، حيث أن البلدين من بين أكبر مصدري النفط في العالم. يقع جزء كبير من بنيتها التحتية النفطية بالقرب من الحدود ويمكن أن تتضرر بسبب القتال أو التخريب. أخيرًا، سيكون للصراع العراقي الإيراني، اعتمادًا على مدته ومداه، تداعيات كبيرة على الاستقرار في الشرق الأوسط**" وأشار تقرير أخرى لنفس الهدف والمضمون بالقول: " **أنشأ الإيرانيون المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في**

العراق (SAIRI)، المكون من ٤٠ عضواً عام ١٩٨٢، كمنظمة جامعة لمعظم المعارضين الشيعة والاكراد العراقيين. وقد تم تصميمه لتنسيق انشطتهم وضمان النفوذ الإيراني عليهم. تشعر إيران بخيبة أمل من عدم فاعلية التنظيم ومع ذلك.. بقية التقرير مخفية" (CIA، Iran-Iraq Deteriorating , Relation, an intelligence Memorandum, Top Secret, A P, 79-10542C, (Sc00518/79

الخاتمة:

عكست التقارير والدراسات التي عدتها الدوائر والمراكز البحثية التابعة لوكالة الاستخبارات الامريكية CIA، المتعلقة بالمعارضة الشيعية العراقية ضد نظام البعث، تصورات ورؤى مبنية على أسس ثلاثة (سياسي وعسكري -أمني واقتصادي)، لذا وجدنا في كل وثيقة أو تقرير متعلق بالموضوع تبرز المخاوف من انعكاس أي صراع عراقي- إيراني، على الوضع العام سواء في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج أو في النظام الإقليمي، وحجم تأثير الصراع على امدادات النفط العالمية وتأثر الاقتصاد العالمي، وأخيراً مدى تأثر مصالح الولايات الأمنية وحلفائها وما اسمته بالدول المعتدلة.

أظهرت التقارير الامريكية بأن تصنيفها للمعارضة العراقية لم يكن واحدً، بل وضع حسب معايير محددة تعرضنا لها في البحث، كقوة تأثير كل حركة معارضة، ومدى فاعليتها في الساحة العراقية، فضلاً عن مقبوليتها وعلاقتها بالنظام الإيراني، غير أن التقارير أغفلت معايير مهمة أخرى مثل مدى علاقة كل حركة بمركز "المرجعية" في النجف، وهي علاقة من دون شك تترك تأثيرها على مقبولية أي حركة أو تيار معارض، الى جانب مدى نجاح كل حركة في التسويق عن نفسها اعلامياً في المجتمع العراقي عموماً، والشيعي خصوصاً، لاسيما أن نظام البعث بسلطته القاسية وإجراءاته القمعية مارس تعتيماً اعلامياً على الحركات ، ولم يسمح لأحد أو جهة نقل أخبارها ونشاطاتها، لذا ضل قسم منها مجهول للعراقيين من غير المختصين أو المهتمين.

استخدام الوثائق لتعبيرات غير دقيقة لتوصيف نشاط المعارضة العسكري ووسمه بـ (الإرهاب) و (العلميات الارهابية)، مثير للاستغراب والتساؤل! فلماذا تطلق التقارير والوثائق الامريكية على نشاط المعارضة العراقية الشيعية بأنه (ارهاب)؟ وربما مرد ذلك الى التزام تلك التقارير والدوائر البحثية بالمعايير والتعريفات الرسمية التي تتبنها الإدارة الامريكية في تعريفها للحركات المعارضة حول العالم وليس بخصوص المعارضة الشيعية العراقية، التي تعد أي عمل مسلح خارج أطار الدولة النظامية يعد عملاً إرهابياً، لاسيما إذا جاء بمعونة دولة أخرى وهدد بصورة أو أخرى مصالح الإقليمية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

كان المعيار الأهم الذي حدد موقف الولايات المتحدة الامريكية وعلاقتها بأي حركة شيعية معارضة لنظام البعث، مدى تبني الحركة لعقيدة أيدولوجية " راديكالية" ومدى استعدادها لمهاجمة المصالح الامريكية في العراق أو المنطقة، وهما اعتباران طغيا على بقية الاعتبارات الأخرى.

كشفت التقارير بأنها أعدت بالاعتماد على مصادر معلوماتية متنوعة، كالمسؤولين والدبلوماسيين العاملين في السفارة العراقية في بغداد، وبقية المناطق، ومسؤولين عراقيين وصفتهم في أحيان كثيرة "

بالمقربين من نظام صدام"، أو الى ما أسمته "بالمخبر" وربما اريد به عميل رسمي أو متعاون محلي، الى جانب اعتمادها على الصحافة ومصادر متنوعة أخرى غذت المراكز والدوائر البحثية التابعة لوكالة الاستخبارات التي اعدت تلك التقارير والدراسات.

الايزيديون واوضاعهم العامة في العهدين العثماني والملكي في العراق

The Yazidis and their general conditions during the Ottoman and royal eras in Iraq

الباحثة: أسيل شامل جودة
طالبة دراسات عليا/جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

ا.د عباس فرحان ظاهر
جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

Abstract .

The Yezidis are one of the religions or minorities that settled on the land of Mesopotamia since ancient times, but this sect represents a small minority for Muslims, Jews and Christians, in addition to their different beliefs, customs and religious rituals that are strange or unacceptable to society. This research included a brief explanation of The origin and beginning of this religion, its formation, rituals, beliefs, and ranks of clerics in it, as well as an explanation of their conditions during the Ottoman era in terms of political, economic and social aspects, including culture and education, and their position on the British occupation of Iraq and their conditions during the royal era.

الملخص

تعد الايزيدية احدى الديانات او الاقليات التي استوطنت على ارض بلاد الرافدين منذ عصور قديمة الا ان تلك الطائفة تمثل اقلية صغرى بالنسبة الى المسلمين واليهود والنصارى فضلاً عن اختلاف عقائدهم وعاداتهم وطقوسهم الدينية التي تعد غريبة او انها غير مقبولة من المجتمع وقد تضمن هذا البحث توضيح موجز عن اصل هذه الديانة وبداية وتكوينها وطقوسها ومعتقداتها ومراتب رجال الدين فيها فضلاً عن توضيح احوالهم خلال العهد العثماني من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما فيها الثقافة والتعليم وموقفهم من الاحتلال البريطاني للعراق واوضاعهم خلال العهد الملكي.

كلمات مفتاحية: (الايزيديون، عدي بن مسافر، العثمانيون العهد الملكي، بابا الشيخ)

اصل التسمية والديانة :-

عند دراسة اصل هذة التسمية نجد ان الاجتهادات والاراء كثيرة حولها فبعضهم يعيد معنى كلمة الايزيدي باللغة الكردية(ئه زادي) اي الخالق وباللغة الفارسية (ايزوان _ ايزدان) يعني الله أو الرب ومعنى كلمة الايزيدي عبد الخالق باللغة العربية. إذ يطلق الايزيديون هذه التسمية على انفسهم والتي يقصدون منها (من خلقني) وليس نسبة الى يزيد بن معاوية كما يضنه البعض وهذا يمثل سوء فهم لدى عامة الناس عن اصل هذه الطائفة[١]، وتشير الدراسات التي اجريت حديثاً حول الايزيديين ان تسميت هذه الطائفة تعود الى اللفظ الفارسي (ايزيد) والتي تعني الملاك او المعبود ، كما ان كلمة الايزيديين تعني ببساطة (عبد الله) وهذا هو ما يقصده الايزيديون على انفسهم فضلاً عن انهم اطلقوا على انفسهم اسم (داسين او داسنيين) وتعود هذه الكلمة الى اسم ابريشية تابعة الى الكنيسة الشرقية القديمة .[٢]

جاءت في بعض كتابات الرحالة عدد من المصطلحات حول تلك التسمية وهي(اليزيدية وعبدة الشيطان والايزيدية) فمثلاً الرحاله هيوبارد كان قد ذكر ان الايزيدين تميزوا عن المسيحيين والمسلمين

وحتى اليهود بأنهم عبدة الشيطان وقد ايده في هذا الرأي الرحاله بدج الذي يقول ان هذه التسمية أطلقت عليهم من اناس غيرهم لكن ذلك يعد خطأ شائعاً فضلاً عن اراء اخرى لرحاله اخرون [٣]

اما عن الاراء حول تسميتهم (عبدة الشيطان) فأن اساس هذه التسمية يعود الى رفضهم الجمع بين حرفي (شين طاء) حيث انهم يتشائمون من ذلك ويعدوه لعناً بما في ذلك لعن ابليس والذي هو بالنسبة لهم الموحد الاول لانه لم يسجد لأدم ولم ينسى وصية الرب بعدم السجود لغيره بخلاف الملائكة الذين سجدوا ونسوا تلك الوصية حيث يرون ان السجود لأدم مجرد اختبار ويقولون ان الله تعالى قد كافئه على ذلك بأن جعله طاووس الملائكة ورئيساً عليهم وهو مايعرف ب(طاووس الملك) لدى الايزيدية .[٤]

ولابد ان نطرح سؤالاً . لماذا يسمى اليزيديون عبدة الشيطان؟ او داسني او ديوبه ريس وكل من هذه الاسماء له نفس المعنى؟ وبصدد الأجابه عن هذا التسأول يقول احد الباحثين(لافاري نابو الألماني) انه اكتشف في اللغات القديمة مثل السومرية والاشورية والبابلية بأن كلمة يزيدي أو ايزيدي تعني الروح الطيبة أو الخيرة للذين يسيرون على صراط مستقيم حيث يذكر بأن هذه الطائفة يعود تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد حيث يعودون الى اقدم ديانه عرقيه في ارض سومر اي انهم يعدون بقايا ديانه سومرية بابلية قديمة. [٥]، ويعد ذلك اتماماً لما اعتقدته بعض الدراسات التي تحدثت بوجود علاقة بين الكلمة السومرية (ايزدا) المكتوبة بالخط المسماري والتي معناها هو الروح الخيرة والتي اعادوا تسمية الايزيديين لها ، وقد جاء في كتاب الملك والنحل ان الايزيديين هم فرق من الاباضية والين يعدون اتباعاً لرجل اسمه (يزيد بن انيسة) والذي كان في البصرة ثم انتقل الى بلاد فارس وزعم ان الله سوف يبعث رسولاً وينزل عليه كتاباً ينسخ به من الشريعة الاسلامية ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن .[٦]

أما الالهة اليزيدية فأن الدكتور خليل جندي قد اشار الى ثلاثة الهة كبار والذين يمثلون ركن من الأركان الاساسية لهذه الديانة وهي:-

١- شيخ شمس او اله الشمس ويسمى باللغة البابلية(شماش) ، اما بالسومرية فيسمى (دينكير اوتو) ويعتقد انه هو طاووس الملك نفسه حيث عندما يفرش الطاووس ريشه يظهر شكل اشبة بالشمس.

٢- شيخ حسن او يسمى اله القمر وانه باللغة البابلية يسمى(سين) وبالسومرية يسمى(نانا) والذي يعد من الهة مابين النهرين ، فضلاً عن انه اله الخصوبة عند النساء.

٣- اما الثالث هو شيخ ادي والذي يسمى بالسومرية(إيم) كما ان له اسماء مختلفة في بلاد مابين النهرين مثل(ادد ، ادى ، حداد ،عاد وغيرها) ويعد اله المطر والخير والبركة وقد ورد ذكر الاله ادد في اثار الاشوريين المتمثلة في كتابتهم على الجدران معبده في وادي لالش (شمال الموصل) اذ انهم كانوا يكرمونه [٧]

اماكن تركزهم وتوزيعهم الجغرافي :-

تركز وجود الايزيديين قديماً في وادي لالش بشيخان والذي في اعتقادهم انه قلب الأرض اضافه الى جبل سنجار في الموصل شمال العراق ، ويمكن القول ان اغلب الايزيديين يتركزون في محافظتي نينوى ودهوك الواقعتين شمال العراق ، وبالتحديد في شيخان وسنجار وتلكيف وزاخو وسميل والمناطق التابعة لها . وفي سنة ١٩٩٧ اجري احصاء سكاني والذي توضح من خلاله ان عدد الايزيديون في

العراق الحوالي(٢٠٥٣٧٩) نسمة [٨]

لقد ورد عن كوركيس حنا عواد بأن اصل الايزيديين او جنسيتهم تعود لجذور كردية لان لسانهم لسان الكرد وهم لايعرفون غير اللغة الكردية ويمكن ان يكون سبب ارجاع الباحثين لهذا الطائفة لأنها تركزوا في المناطق الشمالية (اقليم كوردستان الحالي) مما يجعلنا نستنتج ان ايزيديي العراق من اصل كردي والايزيديين يرون انفسهم احفاداً للميديين وانهم حافظين للديانه الميديه الكردية القديمة كما ان هناك مناطق تواجدهم خارج العراق في سوريا وتركيا وعلى الحدود الروسية القفقاسية[٩] .

منشأ نحلتهم وتكوين طائفتهم:-

تذكر احدى المصادر التاريخية التي تناولت الطائفة الايزيدية ان هذه الطائفة لم يكن لها وجود فعلي ولا ذكر حتى القرن السادس حيث كانت احدى الطرق الصوفية الا انهم غلوا في شيخهم غلواً كثيراً فقام هؤلاء الشيوخ في توسيع هذا المذهب وتحريفه بما تقتضيه مصالحهم من زيادة ونقصان عبر السنين حتى خرجوا من الاسلام فمثلاً اشتهر الشيخ *(عدي بن مسافر) بالورع والزهد وكثرة المجاهدة وما ان انتشر صيته حتى قصدة الناس من الاطراف بهدف الاسترشاد، وبعد ذلك انتقل بن مسافر الى جبال هكار موطن الكرد وتبعه اشخاص كثيرون حيث اسس هناك الطريقة العدوية والذي كانت طريقة لا تمثل شيءً مريباً حتى وفاته حيث شاع بينهم الانحراف والبدع في زمن الشيخ حسن ، ومن خلال ذلك يتضح لنا انها كانت في بادئ الأمر طريقة صوفية تسمى بالعدوية. ومن ثم سميت باليزيدية بعد ان مرت بأدوار من التغالي والتحريف وتوالي التغير والنقص والزيادة عليها حتى وصلت الى ماهي عليه الان. [١٠] .

رجال الدين الايزيديون:-

لقد كان رجال الدين الايزيديون يمثلون محفلاً مقدساً في لالش منذ العصور الوسطى والذي ينتمي اليهم رجال طقس السماع ومجموعة الخدمتكاريين الذين يهبون حياتهم للعبادة والخدمة ويتركون الحياة المادية بكل اشكالها ويقسم رجال الدين الذين ينتمون الى هذا المحفل الى: (بير ثم شيخ ثم مريد ثم فقراء ثم فقرايات(الكوجك)) وقد كانوا يقسمون في هذه المراتب عن طريق التخلي عن املاكهم والتوجه الى لالش للعبادة والتأمل والمحافظة على قدسية العلم الايزيدي المقدس والخفي والحافظ على طقوسه الادانيه وقوانينها اذ انهم كانوا ينعزلون عن العالم وتأتي القرى الازيدية لهم بالاطعمة والشراب لأنهم لايغادرون لالش لأي سبب الا ان هؤلاء تخلوا عن تلك الطقوس والشروط[١١]، وهنا يتبادر لنا سؤال وهو لماذا تخلى الايزيديون عن محفلهم المقدس؟، والجواب على هذا هو أن حروب الابادة التي مورست ضد هذه الطائفة ادت الى ابعادهم عن لالش في كثير من الفترات مما اضطرهم للتخلي عن مكان تواجدهم فيها وممارسة تأملاتهم وطقوسهم الدينية، اضافة الى تخلي الكثير من رجال المحفل المقدس عن التزامهم الفعلي فلم يعيشوا حياة روحية بحتة وبدأوا يقسمون حياتهم بين املاكهم وحياتهم واولادهم وبين لالش والالتزام الفعلي تجاه العلم المقدس، وقد سمي هذا المحفل بالمجلس الروحاني الذي كانت شروط الانتماء له هي :

١- ان يلتزم رجال المحفل المقدس بأن يؤدون طقس السماع بالحياة الروحية بشكل كامل والتخلي بصورة نهائية عن ملذات الحياة المادية وان من يخالف ذلك يختار المجلس الروحي سبعة رجال لمحاكمتة وابعادة عن لالش واختيار غيره لهذا المحفل.

٢- الالتزام بالحياة الروحية معناه التخلي عن الاملاك الدنيوية لكل من يريد الانتماء للمحفل الايزيدي وتوزيع امواله جميعها على العوائل الايزيدية الفقيرة .

٣- الالتزام بنشر تعليم المعرفة المقدسة وان يكون رجل المحفل قدوة حسنة للأخرين .

٤- ان يعيش كل من يسخر نفسة لخدمة لالش في باحات المعبد ولا يغادرها تحت اي ظرف حيث يوهب حياتة لتعلم أسرار المعرفة المقدسة ، كما عليه ان يتحلى بالقيم الروحية التي تؤهله للبقاء في لالش [١٢]

مراجعهم الدينية :

وتسمى المرجعية الدينية للايزيديين بالمجلس الروحي الايزيدي الأعلى والذي يضم:-

١- - **الامير** :- ويمثل امير الايزيدية في العراق والعالم ورئيس المجلس الروحاني الاعلى .

٢- - **بابا الشيخ** :- ويمثل زعيم الايزيدية الروحي والمسؤول عن الامور والتشريعات الدينية والتي تأتي بالتوافق بين اعضاء المجلس الروحاني وموافقة الامير .

٣- - **رئيس القوالين** :- هو المسؤول عن حفظة النصوص الدينية ومرتلي الادعية مع جولة الطاووس .

٤- - **شيخ الوزير** :- والذي يتولى تنظيم شؤون جولة الطاووس بين مناطق الايزيدية اذ انه يرافق القوالين ويشرح لهم اعمالهم ويحددها .

٥- - **البيشيمام** :- وهو المسؤول عن الرعية الايزيديين فيما يتعلق بتنظيم امورهم بين القرى والزواج وغيره [١٣]

كتبهم الدينية :-

من الكتب الدينية لدى الايزيديين هو ما يسمى الجلوه ويقال انه كتب بأسلوب سماوي كأنما جاء الوحي يخاطب معبود الايزيديين الاعظم حيث تكلم عن بقائه وقدمه وقدرته وعن وعده كما تكلم عن تناسخ الأرواح فضلاً عن ذلك فأنه تناول جزءاً من الوصايا كالتآخي والاتحاد ومقاومة من هم من ديانات اخرى ونبذ كتبهم بالدعاء بأنها محرفه اضافة الى تجنب اعطاء كتبهم خوفاً عليهم من التحريف وعدم اعطاء اسم معبودهم وصفاته ويظهر ذلك من خلال عملهم بمبدأ الاميه ولم يعرف واضع هذا الكتاب الصحيح بينما يراجعه بعض الكتاب الى الشيخ شمس الدين الحسن بن ابي الفضائل عدي بن الشيخ أبي البركات العدوي.

أما الأخر فهو كتاب الاسود او ما يسمى (مصحف رش) والذي يعد كتاب تاريخي طائفي وقد ذكرت فيه بعض حوادث القوم وجزءاً من عاداتهم وتقاليدهم ويعتبر هذا مايجعله مختلفاً عن كتب الجلوه الذي يعد بالنسبة لهم كتاباً سماوياً أما الثاني فهو كتاباً ارضياً كما ان هذان الكتابان غير متحدان في زمن الوضع ولا الواضع وعند الحديث عن ما يحتويه مصحف رش فقد جاء فيه "خلق السموات والارض وما فيها من جبال وبحار واشجار وخلق الملائكة والعرش وادم وحواء وارسال الشيخ عدي بن مسافر من الشام الى لالش وماكان من نزول طاووس ملك الى الارض واقامتة ملوكاً لليزيده ومقاومة اليهود والنصارى

والمسلمين والعجم لهم ..."

كما يذكر هذا الكتاب ان كافة طوائف البشرية من نسل ادم وحواء ، غير ان شيت ونوح وانوش من اباء اليزيدية الاولين وهم من نسل ادم فقط اذ ان اصلهم من توأمين ذكر اللذان كانت ولادتهما خارقه ، كما ان طوفانا جاء لليزيدية بعد طوفان نوح . الا ان رئيسهم الاول هو ملك طاووس(الشيطان) والذي يمثل الاله الاعظم ومرتبة هولاء دون مرتبته [١٤].

الطقوس والعبادات الايزيدية :-

١. حج معبد لالش المقدس ويكون مرة في كل سنة وخلال تلك الشعيره او الطقس الديني ويقومون بزيارة قبر الشيخ ادي وباقي قبور مشايخهم اذ انهم يعتقدون ان هذا المعبد هو مركز الارض وهو المكان الذي هبط فيه طاووس الملك الى الارض ، كما ان الحج يعد من اهم مناسبات الايزيديين الدينية اذ انهم يأتون الى ذلك المعبد من مختلف بقاع العالم رجالاً ونساءاً واطفالاً.

٢. صلاتهم :- اذ ان هذه الطائفة يؤدون ثلاثة صلاوات وهي الفجر والصبح وصلاة الغروب حيث يتجهون بأتجاه الشمس التي تعد قبلتهم اي ان قبلتهم غير ثابتة ومن شروط الصلاة عند الايزيديين غسل الوجه واليدين ثم الانحناء على الارض وتقبيلها ثم يرددون تلاواتهم الخاصة [١٥]

٣. الصوم:- ولهذه الفريضة عند الايزيديين أنواع هي الصوم العام و الصوم الخاص وصوم الاربعين وسوف نوجز توضيح لكل نوع :

أ. الصوم العام :- يسمى صوم ايزيد او صوم الفرائض حيث يصوم جميع الايزيديين البالغين دون استثناء والذي يستمر لثلاثة ايام ويبدأ في كانون الاول حيث يمتنع الصائم عن أكل اي شي من الصباح حتى الغروب ويكون يوم الجمعة عيداً للفطر ويسمى بعيد ايزيد .

ب. الصوم الخاص:- ويكون في الايام الثلاثة الأخيرة من الاسبوع الذي يسبق صوم ايزيد، كما يوزع ثوابه على اولياء الايزيديين .

ت. صوم الاربعين :- ويسمى ايضا صوم الخير وهو مخصص لرجال الدين ويقسم على موسمين (اربعين الشتاء) ويبدأ مطلع الشتاء ويستمر أربعين يوماً، وصوم (اربعين الصيف) ويبدأ من اول دخول الصيف ويستمر أربعين يوماً. لكن في هذا الصوم يمكن لأخ الاخره ان يدعو الصائم والمشايخ لضيافة حيث يفطر في ذلك اليوم عنده فيقبل صيامه دون ان يكمل المدة وبعد انتهاء مدة الاربعين يقدم الصائم قرباناً ويسمى ذلك بعيد الاربعين .

٤. الزكاة :- وتعد احدى الفرائض التي على الايزيدي ادائها وتعطى الزكاة للشيخ او البير او للمحتاجين [١٦]

اعياد الايزيديين :

سوف نستعرض الاعياد التي يحتفل بها ابناء الطائفة الايزيدية والتي تعتمد على التقويم الميلادي الشرقي والذي يختلف عن التقويم الميلادي الغربي بثلاثة عشر يوماً كما انهم يعتمدون على التقويم الهجري في عيدي (القربان والمحيى) كما ان اعيادهم هي :

١. عيد رأس السنة أو ما يسمى(سري صالي) باللغة الكردية: وهذا العيد يكون في أول أربعاء من شهر نيسان. والذي يعود في اصوله التأريخية الى العراقيين القدماء اذ ان الأكديين والبابليين والآشوريين كانوا يحتفلون به بما كان يعرف ب(أكيتو) .

٢. عيد الميلاد ويسمى(عيد بلندة): ويكون الاحتفال بهذا العيد في يوم (٢٥ من كانون الأول)، وهو عيد ميلاد عدي بن مسافر.

٣. عيد اربعينية الصيف: الذي يستمر لمدة ثلاثة أيام ويكون بعد صيام ما يسمى اربعين الصيف حيث يذهب فيه رجال الدين إلى مرقد عدي بن مسافر بعد اتمامهم صياماً مدته أربعين يوم.

٤. عيد الحج او يسمى بـ (عيد القربان): ويكون هذا العيد في أول يوم من أيام عيد الأضحى عند المسلمين، وفي هذا العيد يذهب رجال الدين إلى مرقد الشيخ عدي فيكثرون من الدعاء ويقومون فضلاً عن القاء التراتيل الدينية حيث يعتقدون أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل في هذا اليوم أن يذبح ولده إسماعيل، ثم هيأ له كبش فداه به ، فضلاً عن عيدي الجماعية وهو سلسة من الاحتفالات لمدة سبعة ايام وعيد خدر الياس الذي يكون في اول يوم خميس في شهر شباط .[١٧]

مكانة المرأة في المجتمع الايزيدي :

ان المرأة تمثل عنصراً مهماً وفعالاً في المجتمع سواء كان ذلك المجتمع مسلم او غير مسلم ، عربي ام اجنبي فأنها الدعمة الاساسية التي تساعد في قيام الحضارات كما انها تعد مقياساً للتعرف على حقيقة المجتمعات واتجاهاتها وانماط التفكير والمستوى الثقافي والحضاري الذي تمكنت المجتمعات الانسانية من الوصول اليه ، اما بالنسبة للمجتمع الايزيدي فقد اعطى للمرأه قدر من الحرية اذ ان شخصية المرأة الايزيدية وموقعها الاجتماعي جذب اهتمام الكثير من الرحالة الذين تعايشوا مع المجتمع الايزيدي ، وبهذا الصدد يقول الرحالة (لايارد) " ان المرأة الايزيدية كانت تمارس دوراً ونشاطاً كبيراً في الاسرة والمجتمع ، فهي غير منعزلة عن الرجل وتستقبل الزوار ومن ثم تقوم بأعمال بيتية ... وتخرج من القرية لجلب الماء ، ولا تتخلى اثناء ذلك عن تربية اطفالها ..." [١٨].

يوضح الرحالة (فيلشتر) وضع المرأة الايزيدية حيث اشار انها فضلاً عن دورها البارز في المجالين الاجتماعي والاسري فقد كان للمرأة الايزيدية دوراً واضحاً في الجانب الديني ، خاصة النساء اللواتي كن يخدمن في معبد لالش المقدس حيث تمتعت المرأة التي تخدم في ذلك المعبد بمرتبة دينية في النظام الديني الايزيدي الا وهي (فقرى) ويمكن تعريف هذه الكلمة بأنها المرتبة الدينية التي كانت تحصل عليها النساء اللواتي يخدمن في المعبد المقدس (معبد لالش) ، حيث يصف (فليشتر) احدى النساء التي التقى بها اثناء زيارته الى ذلك المعبد عام ١٩٠٩ " انها امرأة متوسطة العمر ، كانت ترتدي ملابس بيضاء وتحترم من قبل الكل احتراماً كبيراً بسبب مركزها الديني " [١٩].

ومن خلال ما جرى ذكره انفاً عن اوضاع المرأة في المجتمع الايزيدي نرى ان النساء الايزيديات كن يتمتعن بقدر من الحرية وكان لهن قدر كبير من الاهمية والاحترام وذلك للدور الفعال الذي تؤديه المرأة في المجتمع سواء في المنزل او خارجه وفي مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية وحتى الدينية حيث ان ذلك يعكس لنا مدى احترام ذلك المجتمع للمرأة وتقديسه لما تقدمه سواء كان ذلك من خلال

تنشئة اجيال تخدم ذلك المجتمع او العمل الى جانب الرجل .

الايزيديون في العهد العثماني:-

ان الدولة العثمانية في بداية عهدها اتخذت قاعدتين اساسيتين في التعامل مع الامارات الكردية الا وهما

١. احترام الدولة العثمانية للأعراف والتقاليد السائدة في تلك المناطق وعدم التطلع الى تغيير انظمتهم حيث اكتفت بولائهم مع اعطائهم استقلال ذاتي لتيسير شؤون اماراتهم فقد سعت الدولة العثمانية الى عقد اتفاقيات مع الامراء الاكراد من بينهم امارة داسني الايزيديه

٢. اما العامل او القاعدة الثانية فهي اغراقهم بالعطايا والاقطاعات لضمان ولائهم (اي ولاء الامارات الكردية) حيث كان العثمانيين يوزعون العطايا والاقطاعات في كل نصر يحققونه على الصفويين فضلا عن الالقاب والرتب [٢٠]

الا ان الدولة العثمانية بالرغم من ذلك لم تشير الى اعتراف رسمي بهذه الطائفة كمجموعه دينيه بالرغم من رعاية السلطان العثماني التي تمتعت بها اماره داسني الا ان نفوذ هذه الأمارة بدأ يتقلص كباقي الامارات مثل اماره الشيخان ومنطقه سنجار ، فانه مع بدايه القرن الثامن عشر بدا الايزيديون يتعرضون لحملات الاباده من قبل المسؤولين العثمانيين وخاصه في بغداد والموصل اذ انهم استخدموا اقصى انواع البطش والتنكيل خلال حملاتهم لا سيما ضد الايزيديين الموجودين في جبل سنجار وذلك لرفضهم الخضوع للاجانب والذي تمثل في امتناعهم عن دفع الضرائب مما اسمته الدوله العثمانية تمردا وعصيان ضد السلطة الا انهم كانوا يمتنعون عن دفع الضرائب بسبب سوء احوالهم الاقتصاديه فكانت الدولة العثمانية تعالج المسألة بالعنف والقوه فضلا عن اسباب اخرى [٢١].

ويمكن القول ان السياسة في الدولة العثمانية كانت تتغير اتجاه الاكراد الايزيديين بتغيير السلاطين الذين كان اغلبهم ينتهجون سياسة العداء ضد تلك الطائفة، ومثال ذلك فتوى ابو مسعود العمادي ١٤٩١-١٥٨٥ الشهيرة التي اقتضت القتال ضد الايزيديين وجواز بيعهم اذ لم يسلموا مما اضفى غطاءاً دينيا للاعتداء والحملات العسكرية ضد ابناء الطائفة[٢٢]، وهناك شخصيات ايزيدية لعبت دورا سياسياً فعالاً أثناء الحكم العثماني مثل حسين بك الداسني الذي كان اشهر الامراء الايزيديين وتولى حكم الموصل أثناء حكم والده حسن بك لاماره الشيخان ثم بعد وفاه والده (١٥٣٤) تولى اماره الشيخان وتمكن من كسب ود كبار رجال الدولة العثمانية[٢٣]، وبعد وفاته بمدة ظهر الامير حسن بك الداسني الملقب بـ (ئيزدي ميرزا) الذي اعاد امارة الشيخان لحالها بعد مدة من الضعف والانحلال، وقد دبر امورها من قصر الاماره في بعشيقه شمال الموصل[٢٤]، ونستنتج من خلال ذلك ان الطائفة الايزيدية لم يكن لها نشاط سياسي بارز خلال العهد العثماني غير ان الدولة العثمانية اعطت بعض الشخصيات الايزيديه الحق في حكم بعض الايالات وذلك تثمينا لمواقفهم المساندة للدولة العثمانية خلال الصراع بينها وبين الصفويين.

العلاقة بين الايزيديين والدولة العثمانية :-

ويمكن القول ان العلاقة بين الايزيدين والعثمانيين كانت متأرجحة بين الود تارة والعداء تارة اخرى اذ انها في العقد الاول من القرن السادس عشر اي بداية التواجد العثماني كانت العلاقة بين الطرفين ودية

ومميزة الا انها بعد مدة اي نهاية الحكم العثماني تمثلت بسلسلة من الحروب والحملات التي كانت تكاد تقضي على الاقلية الايزيدية، فمنذ عام ١٦٥١ حتى سقوط الحكم العثماني في العراق اتبع السلاطين العثمانيين لغة القتل والتهجم حيث عانى الايزيديون خلال هذه الفترة الويلات من القتل والتنكيل مما ادى الى تناقص اعدادهم بصورة كبيرة [٢٥].

ومن اهم حملات الدولة العثمانية ضد الايزيديين حملة الوالي حسن باشا عام ١٧١٥ او حملة احمد باشا ١٧٣٣ وحملة سليمان باشا ١٧٥٢ فضلاً عن حملات الجليلين التي راح ضحيتها اعداد كبيره من ابناء الطائفة الايزيدية وحملات علي باشا وسليمان باشا الصغير ورشيد باشا كريدلي وبكر باشا وغيرها من الحملات التي قامت خلال القرن التاسع عشر ١٨٠٢ وحتى ١٨٤٤ اضافة الى حملة تهجير الايزيديين من قبل جماعة الاتحاد والترقي ابان الحرب العالمية الاولى [٢٦].

نشاط الايزيديون الاقتصادي خلال العهد العثماني:-

لقد كانت مهن الزراعة وتربية المواشي تمثل نشاطاً اقتصادياً رئيسياً لابناء الطائفة الايزيدية اذ ان الرحالة (فوربس) اشار الى ان هناك عدة عوامل ساعدت في اتجاههم نحو النشاط الزراعي عندما قال " تتميز مناطق الايزيديين بوجود السهول الخصبة والصالحة للزراعة ، وتتساقط الامطار بنسبة كافية لزراعة الحنطة والشعير بشكل رئيسي" ويدل ذلك على اشتغالهم بالزراعة وخاصة محصولي الحنطة والشعير .

اما الرحالة بكنغهام فأنه يصف جبل سنجار بـ " جبل سنجار الخصب الملائم لزراعة مختلف أنواع الفواكه " واشار الرحالة فليشتر الى وجود سهول واسعة فضلاً عن تنوع المناخ في مناطق الايزيديين مما يساعد على زراعة محاصيل مختلفة في الجهات الشمالية والشرقية للموصل مثل سهول الشيخان، بالاضافة الى كل تلك العوامل الطبيعية فأن الايزيديين لاسيما في سنجار كانوا يعملون على استصلاح الأراضي الجبلية ويقومون بتهيئتها للزراعة فقد وصف فوربس ذاك بقولة " ان الاهالي كانوا يجمعون الاحجار الصغيرة والكبيرة من اراضيهم ويشكلون منها سياجاً في الاطراف لحمايته ، كما كانوا يلجأون الى رفع الادغال وتسوية الحفر وبناء الجدران في الأراضي الجبلية للاستفادة من سفوحها لزراعة مختلف أنواع الاشجار " [٢٧]، كما عرف الايزيدون بتربية المواشي والاغنام وغيرها من الحيوانات بحسب ما ذكر لنا الرحالة (اينسورت) و (بيل)[٢٨]، اما من الناحية الصناعية فقد عرفت مناطق الايزيديين لاسيما سنجار بعدد الصناعات الغذائية مثل الزيوت والمربيات والسكر والزبيب فضلاً عن المنتجات الحيوانية كالالبان والاجبان وغيرها وبعض الصناعات النسيجية والقطنية فضلاً عن بعض الصناعات الحرفية كالنقش وغيره[٢٩].

الايزيديون من النواحي الاجتماعية والثقافية :-

لم يكن للطائفة الايزيدية نشاطات ثقافية او اجتماعية ملموسة خلال العهد العثماني وربما يعود ذلك لأسباب عدة اهمها هو الغبن والظلم الذي عاشه ابناء هذه الطائفة في مدة الحكم العثماني اضافة الى اضطراب اوضاع مناطق تركز ابناء هذه الطائفة من النواحي السياسية والامنية والحملات العسكرية المستمرة التي كانت تشنها السلطات العثمانية ضدهم مما ساعد على انتشار الجهل والامية بين ابناء هذة الطائفة ، فضلاً عن كل ما سبق ذكره من الأسباب فأن الديانة الايزيدية كانت تحرم التعليم على اتباعها

بصورة صريحة وواضحة حيث ان مسألة القراءة والكتابة كانت تعد من المحرمات على ابناء العامة من الايزيديين [٣٠]، كما ان المجتمع الايزيدي كان مجتمع ذو طابع بدوي زراعي مما جعل ابناء الطائفة الايزيدية لا يهتمون لمسألة التعليم ، ومناطق تواجدهم في الجبال للاحتماء من الاضطهاد العثماني جعلهم بعيدين عن مراكز الثقافة والتعليم والحضارة.

الايزيديون خلال الاحتلال البريطاني :-

ان الطائفة الايزيدية رحبت بالاحتلال البريطاني حيث هربت اعداد كبير من الايزيديين الى المناطق التي تتواجد فيها القوات البريطانية وذلك خوفاً من العثمانيين كما برز دور هذه الاقلية خلال فترة الاحتلال البريطاني اضافة الى اتصال رؤساء هذة الطائفة بالقوات البريطانية بعد احتلالها لبغداد كما ان الايزيديين استقبلوا مجموعات من المسيحين والارمن والسريان والارثذوكس ممن توجهوا صوب جبل سنجار حيث سكن حوالي ٩٠٠ مسيحي في جبل سنجار عام ١٩١٦ وكان من ابرز مؤيدي هذه الفكرة هو الزعيم الايزيدي حمو شرو حيث وقف يقول لأتباعه في اجتماع عام: " إننا يجب أن نطعمهم و نحترمهم و إذا رفض أي واحد منكم مساعدتهم فأنني سوف أنزل به العقاب الصارم .

صادف لجوء المسيحيين إلى منطقة سنجار اشتداد الحرب العالمية الأولى، وعقد زعماء الإيزيدية هناك اجتماعا اتفقوا فيه على ضرورة إنهاء السيطرة العثمانية على جبل سنجار والاتصال بالقوات البريطانية لتساعدهم في ذلك. فهاجم الإيزيديون القوات العثمانية في موقع (د مير قبر) وحدثت مناوشات بين الإيزيديين والقوات العثمانية والألمانية والعشائر العربية الموالية للعثمانيين، واستولت قوات الإيزيديين على ستة مركبات عسكرية ألمانية مع أسلحة وذخائر وملابس وغيرها[٣١]، ويمكن القول ان البريطانيين قد اهتموا بالايزيديين في جبل سنجار لعدة عوامل منها موقع هذه المنطقة استراتيجياً والذي يمكن للقوات البريطانية الاستفادة منه في عدة امور.

ان اتخاذ الايزيديين قرار الهجوم على القوات التركية– الألمانية والوقوف إلى جانب بريطانيا وحلفائها في الحرب كان له عدة عوامل ، حيث ان الأوضاع في مناطقهم كانت سيئة للغاية بسبب السياسة العثمانية المعادية لوجودهم، وما تعرضوا له من حملات عسكرية واضطهاد، لاسيما في العقود الأخيرة من العهد العثماني مما زاد من عدائم للعثمانيين، فضلاً عن ان الايزيديين في قوة العثمانيين أكبر من أن يصمدوا أمامها، فقد قرروا الاتصال بالحلفاء وتحديداً بريطانيا لطلب المساعدة منها للتخلص من حكم الأتراك، وقد شجعهم على ذلك وصول الأخبار بسقوط بغداد على يد القوات البريطانية في ١١ آذار ١٩١٧، كما كانت السلطات البريطانية في بغداد على علم بأوضاع الايزيديين في جبل سنجار ورغبتهم في الحصول على الدعم والمساعدة من قبل القوات البريطانية ضد العثمانين ، وفي ال ١٩١٧ أرسلت المس بيل الموظفة في الدائرة السياسية البريطانية في بغداد برسالة الى حمو شرو والتي أول اتصال رسمي بين الايزيديين والادارة البريطانية في بغداد وهو ما شجع الزعماء الإيزيديين في خريف ١٩١٧ على إرسال رسالة إلى البريطانيين موقعة من قبل زعماء الإيزيديين في جبل سنجار، وقد حمل الرسالة رجل مسيحي أسمه (يوسف) من أهالي بغداد. وقد طلب زعماء الإيزيدية في هذه الرسالة مساعدة القوات البريطانية ضد الحكومة العثمانية وتهديداتها لهم ولأرواح اللاجئين المسيحيين المقيمين في سنجار، ورجع

يوسف ومعه جواب الرسالة من القائد العام للقوات البريطانية في العراق الجنرال ستانلي مود والتي جاء فيها" إن الحكومة البريطانية ممتنة وشاكرة للغاية لاحتضانكم المسيحيين، وأنها على استعداد لمساعدتكم في كل ما يلزمكم". [٣٢]

وقد شنت القوات العثمانية حملة عسكرية ضد الايزيديين في جبل سنجار حيث قاوم الايزيديون بقيادة حمرو باشا تلك الحملة بكل عزيمة وقوة ، ويمكن ان العلاقة بين القوات البريطانية والايزيديين اصبحت قوية حتى ان المس بيل ادركت ان هذه الطائفة تؤيد الوجود البريطاني بأخلاص ، وارسلت اليهم الادارة البريطانية تخيرهم بين الحكم الاسلامي او الحكم البريطاني وعرض البريطانيون على زعيم الايزيديين حمرو شرو اقامة امارة ايزيدية في سنجار الا ان الاخير رفض تلك الفكرة [٣٣].

الايزيديون خلال العهد الملكي:-

ان الدولة العراقية الملكية التي تأسست عام ١٩٢١ قامت على اساس قومي ومذهبي بالدرجة الاولى حيث استمرت الحملات العسكرية على سنجار بحجج مختلفة مثل فرض قانون التجنيد الالزامي او رفض اهل هذه المنطقة دفع الضرائب الا ان الحقيقة هي ان هذه الحملات تسعى الى تعريب المنطقة قومياً ومذهبياً اي انها كانت موجهة ضد ابناء الطائفة الايزيدية بشكل خاص وذلك من خلال الحملات العسكرية واصدار القوانين التي تخدم العرب لأنشاء ، مستوطنات عربية في المنطقة ، حيث ان الحكومة العراقية كانت اولى خطواتها هي تعيين موظفين عرب في المناطق الايزيدية بينما رفضت تعيين موظفين من اهل المنطقة [٣٤] .

ان ابناء الطائفة الايزيدية قدموا الى المندوب السياسي البريطاني في الموصل مطالب وذلك خلال الاستفتاء الذي اجرتة الادارة البريطانية لمعرفة رغبات السكان عام ١٩١٩ حول تنصيب الامير فيصل ملكاً على العراق وقد وقع على تلك المطالب كل من حمو شرو وداوود الداوود والشيخ علي رئيس المجلس الروحاني لهذه الطائفة والتي تضمنت طلبهم بأن يكونوا رعايا بريطانيين وان لايعهد اي منصب حكومي في مناطقهم لشخص مسلم حيث جاء فيها " نطلب قلباً ولساناً ان نكون رعية لحكومة بريطانيا العظمى ولا نقبل قطعاً ان تحكم علينا دولة عربية" [٣٥].

ويتضح لنا من خلال ماسبق ان الايزيديون كانوا يرفضون تنصيب الامير فيصل ملكاً عليهم او اي مسؤول عربي مسلم ويمكن ارجاع ذلك لخوفهم من ان تعود عليهم ويلات الاضطهادات والابادة التي تعرضوا لها خلال العهد العثماني، وعند إجراء انتخابات المجلس التأسيسي لم يكن الأيزيديون ممثلين في هذا المجلس رغم ان أعدادهم كانت تتراوح بين ٢٦- ٣٠ الف نسمة حيث تذرعت وزارة جعفر العسكري بأنها تجنبت وقوع الفتن او النعرات الطائفية لأقصاء العنصر الايزيدي من المجلس فضلاً عن الخلافات بين زعماء الايزيدية حول تولي رئاسة الطائفة وتقسيم واردات معبد لالش بينهما فضلاً عن الخلافات بين الزعماء العشائر الايزيدية وقد سمحت المحكمة الملكية في العراق للاقليات بممارسة شؤونهم الادارية الدينية الخاصة مما نتج عنه تأسيس المجلس الروحاني للايزيديين في ١٩٢٨[٣٦].

وفيما يخص قضية الموصل وموقف الايزديين منها فيمكن القول ان التأثير البريطاني كان قوياً على الأقليات الدينية وخاصة والايزيدية الذين استفادت منهم بريطانيا في صراعها مع تركيا حول مصير

ولاية الموصلوذلك لسببين الاول: الوعود البريطانية للايزيدية، اما الثاني: فهو العداء والكره الذي كان الايزيديون يشعرون به تجاه الاتراك ، حيث يقول رئيس اللجنة الدولية التي زارت في اذار ١٩٢٥ مناطق الايزيدية وخاصة شيخان ومنطقة سنجار، بأن الايزيدية وزعمائها كانوا يفضلون حكومة عربية شريطة ان تكون تحت الانتداب البريطاني ولابد من الاشارة الى ان حمو شرو زعيم الايزيديون كان له اثر على رأي على السكان في سنجار يعد من أشد المعارضين للادعاءات التركية بأن الموصل تابعة لتركيا وذلك نتيجة السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية ضد الايزيدية كما ذكرنا والتي تمثلت بشن الحملات العسكرية على مناطقهم وحملات الإبادة الجماعية ضدهم لذا فضل حمو شرو الانضمام الى الدولة العراقية على ان تكون تحت الحماية والانتداب البريطاني بصورة مباشرة او غير مباشرة .[٣٧]

ومن اهم الاحداث التي بقيت في ذاكرة الايزيديين هي الحملة العسكرية التي قامت بها الحكومة الملكية ضد الايزيديين والتي كانت الخطوات او البوادر الاولى لها هي ان قيام الحكومة العراقية بتعين الموظفين العرب في مناطق الايزيدية ورفض تعين موظفين من أهالي المنطقة، الامر الذي دفع بزعماء الايزيدية الى طلب المساعدة من بريطانيا للتدخل في الامر لذا عقد زعماء الايزيدية مؤتمرا لهم في مدينة الموصل ١٩٣١ برعاية بريطانيا والذي حضر فيه السفير البريطاني همفريز، وقد ضم الكثير من زعماء الايزيديين في الشيخان وسنجار حيث تم خلاله الاتفاق على ارسال مذكرة احتجاج الى المندوب السامي طالبوا فيها بتنحية الأمير سعيد بك وتعين موظفين مسيحيين في المناطق الايزيدية فضلاً عن اعادة الأراضي التي استولت عليها الحكومة العراقية ،وبعد ذلك بمدة قصيرة صدرت الإرادة الملكية التي تقضي بتنفيذ قانون الدفاع الوطني في ١٢ حزيران ١٩٣٥ مما ادى الى قيام الاضطرابات والتمردات القبلية في عدة مناطق ضد تطبيق القانون الامر الذي اعتبره شيوخ العشائر في تلك المنطقة انه يؤدي الى تجريد الشيوخ من عدد كبير من الرجال الذين يستغلون في العمل الزراعي باعتبارهم احد مصادر القوة البشرية في القبيلة حيث أرسلت الحكومة العراقية بعد تلك الاضطرابات قواتها العسكرية بقيادة اللواء الركن حسين فوزي في ٧ تشرين الأول ١٩٣٥ بحجج عدة منها فرض القوانين الجديدة اضافة الى فرض الخدمة العسكرية الزامية في انحاء العراق الا انها في حقيقة الامر كانت موجهة ضد الايزيديين في سنجار والذين رفضوا قانون التجنيد الالزامي مما ادى اعدام اعداد كبيرة من الايزيديين وفرض احكام بالسجن بين ١٠ سنوات الى مدى الحياة على العديد من المعارضين وهروب عدد كبير الى سوريا وعلى راسهم زعيم الحركة داود الداود، ولابد من الاشارة الى ان قيام الحكومة العراقية بقمع تلك الانتفاضة في ١٩٣٥ ادى الى تشجيع بعض العشائر العربية للتوجه الى سنجار للسيطرة على الاراضي مما نتج عنه ازدياد نفوذ تلك العشائر في المنطقة وخاصة عشيرة شمر بزعامة الشيخ عجيل الياور الذي استمر في الاستحواذ على الأراضي الايزيدية وقد كان مدعوماً من الحكومة العراقية وسلطاتها في المنطقة والتي كانت تحاول القضاء نفوذ زعماء الايزيديين في سنجار واجبارهم على ترك اراضيهم مما ادى الى احتدام الصراع بين الايزيديين والعشائر العربية .[٣٨]

من خلال ماتم ذكره انفاً نرى ان الحكومة الملكية التي تأسست في العراق عام ١٩٢١ واستمرت حتى ١٩٥٨ لم تكن تنظر الى الاقليات الدينية في العراق على قدم المساواة والدليل على ذلك انها سعت

الى القيام بحملات القتل والتهجير ضد ابناء الطائفة الايزيدية في شمال العراق وخاصة في شيخان وسنجار التي تضم اكبر تجمع ايزدي اذ تعد مركز تواجد الايزيديين في العراق فضلاً عن محاولتها لتعريب المنطقة من خلال توصين العشائر العربية فيها ومساعدتهم للاستيلاء على اراضي الايزيديين ممن قتلوا او هربوا خلال الحملة العسكرية على سنجار وذلك بهدف القضاء على النفوذ الايزيدي في المنطقة وتحويلها الى منطقة عربية ولو احتوت على اعداد قليلة ممن تبقى من الايزيديين الذين لا يمكنهم مواجهة اجراءات الحكومة وبالتالي الانصياع الى اوامرها

الاستنتاجات :

١- اختلفت الآراء حول اصل الايزيدية فمنها من اعادتها الى الاسلام وأنها كانت طريقة صوفية في بداية امرها ثم تحولت عن طريق التحريف والتأويل الى ديانة وضعية لا تمت للصوفية او الاسلام بأي صلة اذ ان الايزيديين عبدوا الظواهر الطبيعية واتخذوا منها اله ومقدسها وبعد احتلال الدولة العثمانية لبلاد الرافدين.

٢- الايزيديون من الاقليات الدينية المكونة للمجتمع العراقي الذي عرف بتنوع اديانه واعراقه ومذاهبه.

٣- لقد اختلفت الاراء التاريخية حول اصل تسمية الايزيديون فالبعض اعادها الى الغات الكردية والفارسية والبعض الاخر اعاد تسميتهم الى نوع ديانتهم حيث اطلق عليهم عبدة الشيطان والداسنيين وغير تلك الاسماء بينما يعيد بعض الباحثين اصل تلك الديانة وتسميتها الى الحضارات القديمة مثل السومرية والاشورية والبابلية .

٤- لقد كان للأيزيديين الهة خاصة بدينهم مثل طاووس وملك وغير كما تميز المجتمع الديني الايزيدي بوجود عدد من الطبقات الدينية مثل البير والمريد والفقراء وغيرهم .

٥- لقد تركز الوجود الايزيدي في العراق على المناطق الشمالية ولا سيما الجبلية منها مثل سنجار والشيخان وتلعفر وذلك لأسباب خاصة مثل طبيعة ديانتهم التي تحتم عليهم الانعزال اضافة الى الاضطهاد التي تعرظوا له خلال فترات كثيرة .

٦- ان ايزيدوا العراق لم يكن لهم ادواراً بارزه في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ولا حتى السياسية كما هو الحال في الاقليات الاخرى كاليهودية او المسيحية ، ويمكن ارجاع ذلك الى انهم لم يتلقوا التعليم ولم يندمجوا في المجتمع العراقي لعدة اسباب منها الاضطهاد الذي تعرضوا له واسباب اخرى تتعلق بتعاليمهم الدينية .

٧- تعرضت الاقلية الايزيدة خلال المدة من العهد العثماني في العراق وحتى العهد الملكي الى الكثير من الظلم والاضطهاد وحملات الابادة والتهجير مما ادى الى تناقص اعداد ابناء هذه الطائفة بصورة ملحوظه .

الهوامش

(١) سعد سلوم ، الاقليات في العراق الذاكرة الهوية والتحديات، مؤسسة مسارات للتنمية والثقافة ، طم ، ٢٠١٣ ، ص٨٦

(٢)رضا سالم داوود ، الاقلية الايزيدية في العراق(بحث في الجغرافية السياسية ، مجلة مداد الاداب) ، الجامعة العراقية ، ٢٠١٨، ص١٤٨ .

(٣) سعد سلوم، السياسات والاثنيات في العراق ، مؤسسة مسارات للتنمية والثقافة ، بغداد ، ٢٠١٤، ص ١٢٥

(٤)رضا سالم داوود ، المصدر السابق ، ص١٤٨-١٤٩ .

(٥) سهيل قاشا ، مذهب اليزيدية(سلسلة الاديان السرية ٩) ، مراجعة جوزيف. أ. قزي، دار الاجل المعرفة ، لبنان ، ٢٠٠٣ ، ص ٨-٧

(٦) رضا سالم داوود ، المصدر السابق ، ص١٤٩ .

(٧) نبيل عبد الامير الربيعي ، حقائق حول الديانة الازيدية ، صحيفة المثقف.

(٨) رضا سالم داوود ، المصدر السابق ، ص١٥٥

(٩) عدنان زيان فرحان، الكرد الايزيديون في اقليم كردستان ، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية ، ٢٠٠٤ ، ص١٢

* يرجع عدد من المؤرخين العرب نسب الشيخ عدي بن مسافر الى (مروان بن الحكم وهو رابع الخلفاء الامويين حيث بدأ عدي بنشر الاسلام بين الاكراد الهكارية الذين جعلهم يؤمنون بطريقته التي سميت بالطريقة العدوية اذ ان اعداد كبيرة من هؤلاء الاكراد احبوا الشيخ عدي وامنوا بطريقته فأثبتوا له كرمهم وحسن ضيافتهم ، حيث انهم تعاونوا معه ومع التابعين له حتى اصبحث سلطة الدولة الاموية بدرجة من القوة يحث يقول (شاكر فتاح) " (انه بعد مائة عام لمع بينهم شخص يدعى (الشيخ حسن) ساروته فكرة اعادة احياء الخلافة الاموية وكافح من اجلها... لم يسجل التاريخ حتى الان مآخذ على الطريقة العدوية او يوجه اليها اي اساءة ما . بل بالعكس اشاد بجلاء وامانة الشيخ عدي وتفانية من اجل الدين الاسلامي ...)" للمزيد ينظر : شاكر فتاح ، اليزيديون والديانة اليزيدية ، ترجمة : دخيل شمو الحكيم ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص١١ .

(١٠) احمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأة نحلتهم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ٢٠١٢، ص٤٦-٤٥

(١١)فواز فرحان ، الايزيدية صدى الحضارة ، ط١ ، دار الكتب الأول للطباعة ، المانيا ، الجزء٨ ، ٢٠١٩ ، ص ٤٥٦.

(١٢) فواز فرحان ، المصدر السابق ، ص ٤٥٠- ٤٥٧ .

(١٣)سعد سلوم ، المصدر السابق ، ص٨٩ .

(١٤)صديق الدملوجي ، اليزيدية ، مطبعة الاتحاد ، العراق ، ١٩٤٩ ، ص١١٥- ١١٦ .

(١٥) رشيد الخيون ، الاديان والمذاهب بالعراق ، ج١ ، ط ١، مركز المسبار للبحوث والدراسات ، دبي ، ٢٠١٦ ، ص ١٦٧

(١٦) محمد عبدو علي ، الديانة الازيدية والايزيديون في شمال غرب سوريا ، النسخة العربية ، عفرين ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٦- ٤٧

(١٧) رضا سالم داوود ، المصدر السابق ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(١٨) ارشد حمد محو ، الايزيديون في كتب الرحالة البريطانيين ، ط ١، مؤسسة موكرياني للنشر ، مطبعة خاني ، دهوك ، ٢٠١٢ ، ص١٢٤ .

(١٩) المصدر نفسه ، ١٢٥

(٢٠) سعدي عثمان هروتي، كوردستان والامبراطورية العثمانية (دراسة في تطوير سياسة الهيمنه العثمانية في كوردستان) ١٥١٤-١٨٥١، ط١،مؤسسة موكرياني للنشر ، مطبعة خاني ، دهوك، ٢٠٠٨،ص١١٧.

([٢١])المصدر نفسه ، ص ١٢٠

([٢٢]) سعيد الديوه جي، اليزيدية، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢١٢؛ صديق الدملوجي، المصدر السابق، ص٤٢٨-٤٣٢.

([٢٣]) عدنان زيان فرحان،الكرد الايزيديون ،ص١٧

([٢٤]) سعدي عثمان هروتي، المصدر السابق ، ص١١٩

([٢٥]) سعيد الديوه جي ، المصدر السابق ، ص١٩٩

([٢٦]) سعدي عثمان هروتي ، المصدر السابق ، ص١١٧- ١١٨

([٢٧]) ارشد حمد محو ، المصدر السابق ، ص ١٤٩- ١٥٠

([٢٨])المصدر نفسه ، ص١٥٦

([٢٩])عبد الحميد الارقط ، دور الاقليات الدينية في المجتمع العراقي خلال العهد العثماني ١٥١٧- ١٩١٧ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الجزائر ، ٢٠٢٠ ، ص٣٥١ .

([٣٠]) سعيد الديوه جي ، المصدر السابق ، ص ٤٧

([٣١]) عدنان زيان فرحان : السياسة البريطانية اتجاه الاقليات الدينية في العراق ١٩١٤ – ١٩٤١ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دهوك (كلية الاداب / قسم التاريخ) ،٢٠٠٩ ، ص ٧١ – ٨٠ .

([٣٢]) عدنان زيان فرحان ، السياسة البريطانية ، ص ٧٤ – ٨٠ .

([٣٣]) المصدر نفسه ، ص٨١- ٨٤ .

([٣٤]) عمار يوسف عبدالله العكيدي ، السياسة البريطانية تجاة عشائر العراق ١٩١٤- ١٩٤٥ ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٣٥ .

([٣٥]) ابراهيم احمد خليل ، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨- ١٩٢٢ ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٧٥، ص ٤٣٤، ٤٤١ .

([٣٦])قاسم سليم شمو ، عدنان زيان فرحان ، دراسات في تاريخ الكورد الايزيديين ، مركز الدراسات الكوردية ، جامعة دهوك ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢١، ١٢٦

([٣٧])سعيد خديده علو ، شنطال (سنجار) ١٩٢١-١٩٨٠ دراسة في تعريب المنطقة من قبل الحكومات العراقية ، ورقة بحث، جامعة دهوك ، كلية العلوم الانسانية ، ص ٤-٥.

([٣٨]) سعيد خديده علو ، المصدر السابق ، ص٦- ٧

الكاكائية في العراق - دراسة في أصلهم ونشأتهم ومعتقداتهم -

The Kakais in Iraq, a study of their origin, upbringing, and beliefs

الباحثة: دعاء خيون راضي
طالبة دراسات عليا/جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

ا.د عباس فرحان ظاهر
جامعة واسط /كلية التربية للعلوم
الإنسانية/قسم التاريخ

Abstract .

The Kakaiyya is one of the Alawite mystical spiritual sects and sects. It originated at the hands of Sayyid Ishaq, who was known as Sultan Ishaq in the regions of Shahrzour. They descend from the dynasty of Imam Ali. The Kakaiyya is an ancient monotheistic sect known in Iraq. It lives in different regions in Iraq such as Kirkuk, Mosul, Diyala, Baghdad and the Kurdistan region. They have Their own belief that lasted for long periods and was subjected to change during the long Kakai procession that extends for hundreds of years, and despite this, this monotheistic belief continued and was influenced and influenced by the religions and ideas that preceded and followed it, and this is a natural case for the movement of ideas and beliefs that develop with the passage of time and the development of man, and they are an independent religious group From the Kurds, its roots go back to the Mithraean religion, and it shares common ties with many religions and sects.

الملخص

الكاكائية هي احدى المذاهب والطوائف الروحانية العرفانية العلوية، نشأت على يد السيد اسحاق والذي اشتهر بالسلطان اسحاق في مناطق شهرزور وينحدرون من سلالة الإمام علي، والكاكائية طائفة توحيدية قديمة معروفة في العراق، تسكن في مناطق مختلفة في العراق مثل كركوك والموصل وديالى وبغداد واقليم كردستان، لهم معتقدهم الخاص الذي استمر لفترات طويلة وتعرض للتغيير خلال مسيرة الكاكائية الطويلة التي تمتد لمئات السنين، ورغم ذلك استمرت هذه العقيدة التوحيدية وأثرت وتأثرت بالأديان والأفكار التي سبقتها والتي تلتها، وهذه حالة طبيعية لحركة الأفكار والمعتقدات التي تتطور مع تقادم الزمن وتطور الانسان، وهم مجموعة دينية مستقلة من الأكراد، تعود بجذورها إلى الديانة الميترائية، وتشترك مع العديد من الأديان والطوائف بوشائج مشتركة، وهم جماعة دينية منفتحة، ومتسامحة، تعرضوا إلى الكثير من التنكيل والاضطهاد بأشكال مختلفة، وما زالوا تحت التهديد، يكافحون من أجل الاستمرار والبقاء، وبسبب الاضطهاد المستمر، أصبحوا بحاجة إلى الكثير من المساعدة من أجل إعادة إحياء تراثهم والحفاظ على المتبقي منها.

كلمات مفتاحية: (الكاكائية، الأكراد، أقلية دينية، الإسلام، التعريب)

مقدمة

تبحث هذه الدراسة عن الأقلية الكاكائية التي تسكن كردستان العراق، وهي مأخوذة من كلمة كاكه الكردية للدلالة على وجود والتقدير والأخوة فيما بينهم وبين شيخهم ، والغموض في أصول هذه الديانة أهم مشاكل هذه الدراسة ، والكاكائية إحدى الجماعات والفرق المنتشرة في كردستان العراق، شأنها شأن الأقليات الدينية التي يختلف المؤرخون والباحثون حولها بسبب الغموض والسرية والرمزية التي تحيط

بعقيدتهم إضافة إلى تداخل الأديان والمذاهب في عقائدهم، حتى قيل فيهم "إنها مشهورة الاسم والتقاليد غير معروفة التعاليم أو المعالم" لذا نحاول في هذا البحث أن نقدم إلى القارئ العزيز ما تصل اليه أيدينا من معلومات، بعضها كتبها أتباع الكاكائية وبعضها من خارج فرقتهم محاولين إعطاء فكرة كافية عن عقائدهم وانتشارهم وأهم شخصياتهم والدراسة عن الأقليات باتت ضرورية خاصة أن مرحلة ما بعد تغيير النظام السابق شهدت نشاطا ملحوظا للأقليات، للمطالبة ببعض الحقوق والامتيازات ، كما شهدت الفترة الحالية حرصا من بعض الأحزاب والقوميات الكبيرة لاستقطاب هذه الأقليات اغراض سياسية الأمر الذي يجعل الأنظار مسلطة أحياناً على هذه الأقليات منها الكاكائية لذا ارتأينا دراستهم في هذه الصفحات عسى أن تفيد القارئ بشيء من أصول هذه الديانة وعقائدها.

المبحث الأول- اصل الكاكائية- ونشأتهم ومعتقداتهم-عباداتهم-لغتهم- مناطق تواجدهم

اصل التسمية

أن مصطلح الكاكائية تعريب (الكامي الكوردية) وهو مشتق من كلمة (كاك) مضاف اليها الملحق (ة) في اللغة الكردية بدلا من الفتحة العربية، ثم (يائي) النسب ليدل على انتساب شخص معين الى تلك المجموعة ألا أن معنى كلمة (كاك) تختلف انثروبولوجيا عندما يضاف اليها الملحق، كما يختلف معناها أيضا بأضافة اليائين أن كلمة (كاك) تستعمل كنعت من نعتي الوصف والنداء، عندما يضاف على اسم شخص بعيد عن المتكلم ليس الاب والاخ والحال والعم، وعند أظهار الحب والاحترام له، أما عندما يضاف اليها الملحق (ه) وتصبح (كاكه) فلا تستعمل للنداء ألا للشقيق الأكبر وهو أخ ،حقيقي، هذا من جهة ومن جهة أخرى لا تستعمل للوصف ألا لشخص مقدس في نظر المجتمع كابن الشيخ أو السيد أو انسان روحاني بشكل عام وعليه جاء مصطلح (كاكه يى) ليدل على اتباع (كاكة فلان) أحد رجال الروحانيين ربما السلطان أسحاق، حينما وصفه بعض أفراد المجتمع بكاكة لقدسيته بنظرهم كما يظهر في القصيدة الدينة الآتية[١].

عرفت "الكاكائية" كنحلة في القرن العاشر والحادي عشر الهجري، ولا يقطع بتاريخ ظهورها كعقيدة بهذا الاسم حيث كانت معروفة قبل هذا التاريخ بشكل طريقة تصوفيه[٢]، ويقال إنها كانت تعرف بـ "الفتوة" حيث ذكر ذلك في مؤلفات عديدة ولا يعرف عن "الكاكائية" اليوم أكثر من التغني ببعض الأشخاص والاحتفاظ ببعض أشعارهم وهم لا يودون الاحتكاك بالمجتمع ولا الترغيب الى المعتقد أو الدعوة له ، والملاحظ هو تكتمهم الشديد ازاء ما يعتقدون[٣]، ولهذا فإن الأوهام والشبهات تحوم حولهم، هذه النحلة مشهورة في العراق وتدعى "الفتوة" وانتشرت في الأناضول باسم "الأخيه" وشاعت بهذا الاسم لدى الأتراك وفي ايران ثم تحولت الى "كاكائية" يقول طه الهاشمي في كتابه "مفصل جغرافية العراق" قبيلة الكاكائية خاضعة لنفوذ السادة البرزنجية تسكن الساحة الواسعة عند جبل برادان وتعيش على الزراعة[٤].

وقد ورد في تقرير الاستخبارات البريطانية، أن (كا كه) بالأصل طريقة صوفية دروشية، سواء من ناحية التنظيم أو المنشأ التاريخي، وأن مؤسسها حسب التقرير هو (سلطان إسحاق بن عيسى البرزنجي)، جاء ذلك مطابقاً لما قاله مينورسكي حول العلي إلهية، وأما كشف الأسرار، فلم يتم في عهد القول بألوهية

علي، وإنما بعده، فقد حدث في عصر بابا خوشين والسلطان إسحق[٥]، وقد ورد ذكره في العراق بلفظ (كك) مثل (حسام الدين كك)، و(مبارز الدين كك)، وهؤلاء في عهد المغول، جرت لهم حروب معهم، والموضوع به إلى تاريخ استعمال (كك) ، وينطق به (كاكه)، و(ككه) أيضا ولكن هاء السكت لم تذكر عند القدماء فقيل (كل) بكافين مفتوحين كما عرف من مسالك الأبصار وتعين أن لفظة (كل) معروفة من القرن السابع للهجرة، وأنها ترجمة (أخى) إلى الكردية ، والطريقة هي (الكاكائية) أو (انككية)[٦].

تطلق جماعات الكاكائية على أنفسهم كنيات مختلفة، وتسميات متباينة قد لا يرغبون بها، لكنهم لا يبدون امتعاضاً منها، إلا في ما ندر، ويختلفون فيما بينهم في تفضيل تسمية على أخرى[٧].

نشأة الكاكائية

وتشير اغلب الدراسات المتخصصة أن ديانة الكاكائية التي كانت تعرف باليارسانية جددت بعد ذلك في كردستان على يد شاه خوشين مبارك شاه الذي هو من اهالي كردستان وهو احد الاشخاص المتصوفين وصاحب مكانة مرموقة في عصره اشتهر بالعلم والتقوى وهو (كما يرى (الكاكائيون) من اصحاب الظهور في ديانتهم، والمقصود بهذا ان الكاكئية كديانة تكونت من خلال مراحل عدة في كل مرحلة يرأسها ويجدد دعائمها شخص ذو منزلة مقدسة، وكان شاه خوشين احد رؤساء تلك المراحل وصولا الى السلطان اسحاق البرزنجي، ان اول ظهور لشاه خوشين كان في ناحية (هورين شيخان) الواقعة في ديالي حالياً، حيث كانت له عصبة من الأنصار والمريدين يطلق عليهم (اليارسانيين)[٨]، والكاكائية هي احدى المذاهب والطوائف الروحانية العرفانية العلوية، نشأت على يد السيد اسحاق والذي اشتهر بالسلطان اسحاق في مناطق شهرزور وينحدرون من سلالة الإمام علي، والكاكائية طائفة توحيدية قديمة معروفة في العراق، تسكن في مناطق مختلفة في العراق مثل كركوك والموصل وديالى وبغداد واقليم كردستان، لهم معتقدهم الخاص الذي استمر لفترات طويلة وتعرض للتغيير خلال مسيرة الكاكائية الطويلة التي تمتد لمئات السنين، ورغم ذلك استمرت هذه العقيدة التوحيدية وأثرت وتأثرت بالأديان والأفكار التي سبقتها والتي تلتها، وهذه حالة طبيعية لحركة الأفكار والمعتقدات التي تتطور مع تقادم الزمن وتطور الانسان[٩].

وقد هاجر السلطان اسحاق البرزنجي الى (هورمان) بعد ان لقي العداء والضغينة من اخوته نتيجة للكرامات التي لديه وحب واحترام أبيه والناس له، حيث قام ببناء (نياز خانة) وهو دار للنذور وموضع العيادة ويقوم مقام التكية ايضاً، وهناك وبهذا الموضع كانت نشأة الكاكائية، وبهذا اصبح اسحاق المجدد الثالث والأبرز للديانة بعد عمرو بن بهلول وشاه خوشين، بعد ذلك اصبح لدى السلطان اسحاق البرزنجي، حاشية من الانصار والمريدين في منطقة (هورمان) وهي عبارة عن ثلاث مجموعات سميت على التوالي بالخالدين السبعة والطاهرين السبعة والوكلاء السبعة، حيث ان السادة (البير) الكاكائيون الحاليون في العراق هم احفاد لهؤلاء الخالدين السبعة[١٠].

معتقداتهم:

معتقد غير تبشيري، ولا يقبل التحُّول الديني، وبحسب اعتقادهم، فإذا لم تولد كاكائيًّا فلن تكون كاكائيًّا أبدا، وهي شبيهة في سريتها وانطوائها على ذاتها بجيرانها من اليزيدين والشبك، وهو ما فتح الباب

لكثير من الاتهامات والأساطير حول الجماعة وطبيعة معتقداتها، ويُقدر عدد الكاكائيين في العراق، بحسب المختص في شؤون الأقليات سعد سلوم، بنحو مئتي ألف[١١].

وهناك خلط بين أهل الملل والنحل المتجاورة بكركوك والموصل والمنطقة الكردية على العموم، ونجد القاسم المشترك إلى حد ما صحيح هو العلاقة بعلي بن أبي طالب، لذا تكاد تكون تسمية (العلي إلهية) مشتركة بينها مثلما هو الحال مع الشبك والكاكائية والعلي إلهية أنفسهم، نجد مثلاً الجغرافي شاكر خصباك تشتبه عليه ملامح الكاكائية والعلي إلهية، فيقول عن العلي إلهية ويطلقون على أنفسهم اسم يارم وعلى الغرباء اسم جوز، كما يسمون زعماءهم ويفترض أنهم ممثلون لصاحبي كرم ويختصون بسلطة إصدار القرارات فيما هو شرعي وغير شرعي، وهم يمتنعون عن حلق لحاهم أو تشذيب شواربهم، هذا الكلام المفروض عن الكاكائية الذي جاء على ذكرهم في الفقرة اللاحقة من كتابه ، تحت عنوان الكاكائيون[١٢].

الاعتقاد بالله عندهم اصعب العقائد وأكثرها غموضا، وتبسيطه عندهم ان الاعتقاد بالله مبنى على أن الألوهية لا يمكن ادراك كنهها ، ولا تصح معرفتها بوجه ، أو لا يتيسر الاطلاع عليها ، أو الوقوف على معرفتها من جراء ان الله لا يصح وصفه أو تحته بل ليس من الصواب تسميته، أو الاتصال به من طريق ما الا في حالة واحدة بأن يظهر في الاشخاص رأفة منه بهم ورحمة، وقد ظهر في أدوار عديدة (أدوار الظهور)، يرون أن البدن واسطة الظهور وأن الله نور لا يمكن وصفه ، ولا ادراكه ، ولا معرفة حقيقته بوجه ، وانما برز للعيان بطريقة الحلول ، والاتحاد ملازم له غير منفك في اشخاص كانوا أمام العين، ترمقهم الانظار وتشاهدهم الابصار، ممثلين لا يرتاب فيهم مرتاب، كما ان الملائكة تتقمص صور البشر وذكرت في تاريخ العراق بين احتلالين عن (العلى اللهية) ما يوضح هذه العقيدة عند هؤلاء بل لا يقولون باختصاص الامام على (رض) بهذه الخصيصة، وانما نال الكثيرين الظهور قبله وبعده وهؤلاء معروفون عندهم ويرددون ذكرياتهم[١٣]، وكذلك التناسخ من عقائدهم الاصلية وهو ومتأخرا عن الاعتقاد بالوحدة ، بل سابقا لأصل الحلول ، وان هذا نتيجته ، فاذا لم يتم التناسخ، فلا يكون الحلول أبدا وفى هذا لا يفترقون عن (مذهب الاتحادية) من أهل التصوف الغلاة[١٤]، وهكذا عند النصيرية ، وهو تنقل الروح العادية من بدن الى آخر حتى تظهر وتكون مصالحة مجردة عما ارتكبته من اعمال، أو أصابها من مصيبة، أو اقترفت من جزيرة، ومن ثم نرى التباعد عن طريق الفتوة فيما هم عليه الآن ولا نجزم في تاريخ دخول هذه العقيدة في (الكاكاية) بالضبط بل في أواخر المائة السابعة والثامنة للهجرة واذا كانت الطريقة في أصولها لا تزال باقية، فان العقيدة دخيلة ولا شك أن الغلاة دخلوا من طريق التصوف ، وهو تصوف الغلاة وهذا لا يفترق عن عقائد (النصيرية) ، وعن عقائد (الدروز) و(الاسماعيلية) فى حقيقته وماهيته ، وأمثلة هذه العقائد يوضحها ما يعتقدونه في الشيخ ابراهيم أحد مزاراتهم الآن، انه ظهر لست مرات ، وسيظهر للمرة السابعة، مما يوضح فعلا عقيدة الناسخ والمحلول[١٥].

عباداتهم:

تقوم عقائد الكاكائية على أربعة اركان رئيسة هي (الطهارة ، الصدق ، الفناء ، والعفو)

١. الطهارة حيث على كل واحد منهم أن يكون طاهراً أي نظيفاً في الظاهر والباطن.

٢. الصدق أي السبيل الصحيح ، والقيام بما أمرنا الله به.
٣. الفناء في الله بمعنى الابتعاد كليا عن التكبر والغرور والانانية وهوى النفس، والرذائل الأخلاقية.
٤. العفو أي المغفرة والإحسان ، حيث يجب على كل انسان مد يد العون والمساعدة للمحتاجين، لكي يكسب رضا الله ومحبته، ويقولون إن من يستند إلى هذه الأركان يصل إلى مرحلة الفناء في الله وتستجاب دعواته وينال لطفه ورحمته [١٦]،
٥. لا صلاة لهم أي اهل مناجاة ولا اهل صلاة ويعللون عدم اقامتهم للصلاة بأسباب عدة منها : ان الصلاة تتطلب حضور القلب، وحضور القلب لا يحصل الا قليلاً ، فالصلاة بدونه عمل بلا فائدة ، اما رؤساؤهم الأولون فقد عللوا تركهم للصلاة بأنهم قد عرفوا الله حق ،المعرفة، ووصلوا اليه بإشراقاتهم وفيضهم، فأصبحت الصلاة بنظرهم عبئاً وبلا فائدة ، وتبعهم تلاميذتهم في ذلك فتركوا الصلاة. وكذلك يسقطون الصلاة لان آلامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) قتل عندما كان ذاهباً لتأدية الصلاة [١٧]، وذكر البعض أنهم يصلون مرتين في اليوم، الصلاة الأولى قبل بزوغ الشمس والثانية بعد غروبها ، والغالب على صلاتهم الادعية والمناجاة ، وليس لهم مساجد بل تكيات خاصة كالصوفية.
٦. للكاكائيه صومان الصوم الأول: صوم ثلاثة أيام احياء لذكرى الأيام الثلاثة التي قضاها سلطان إسحاق ، ودراويشه في كهف "لوى في جبل شندروي قريب من مدينة حلبجه) بدون طعام ولا شراب، والصوم الثاني : وهو صوم ياراني قلطاس" أي أصحاب قلطاس" وهؤلاء سبعة اشخاص سمعوا بسلطان إسحاق وعقيدته فقدموا اليه وتوقفوا اثناء سيرهم للاستراحة، فهبت عليهم عاصفة ثلجية ، وغطتهم لمدة ثلاثة أيام، ولما سمع بهم سلطان إسحاق دعا لهم وارسل فرقة لانقاذهم فلما خلصتهم امر اتباعه بالصوم ثلاثة أيام تكريماً لهم [١٨].
٧. الكاكائية لا زكاة عندهم ، كغيرها من الفرائض الأخرى ، وانما يتصدقون بصدقات لا يضبطها قدر ، او نصاب ، أو غيره فلا زكاة عندهم كنظام متكامل كما في الإسلام ، ولكنهم يرفعون شعار الاخوة ، فهناك تكافل فيما بينهم، وقد شاهدنا انهم يضعور عند أضرحتهم فيها الصدقات، **الحج** :عند كاكائية العراق لا يقوم الكاكائية بأداء فريضة الحج على الطريقة الإسلامية ، ولا يحجون الى أي مكان اخر ، وانما يكتفون بزيارة الأضرحة لأكابرهم [١٩].

لغة الكاكائيون ومناطق تواجدهم في العراق:

لغة الكاكائيه هي اللغة الكرديه ولكنهم يتحدثون بلهجة الماجو ونصوصهم الدينية مكتوبة بهذه اللهجة القديمه وهم قومياً(أكراد)[٢٠].

يتواجد الكاكائية في العراق في سهل نينوى وديالى وسليمانية و حلبجه وأربيل و كركوك [٢١]، ويسكنون ايضاً في المناطق المتنازع عليها بين اربيل وبغداد ويعانون في هذه المناطق من حملات تعريب ديمغرافي [٢٢]، وتنتشر الكاكائية في المناطق التي بزغوا منها والتي هاجروا إليها بفعل العديد من العوامل، وتعد كركوك من مراكزهم الأساسية، كما ينتشرون في مندلي والبدرة والزرباطية ومنصوريّة الجبل وخانقين وجلولاء وقرتبة وسعدية وشهربان وجبال حمرين وخورماتوو وداقوق وسهل حويجة ومخمور وأربيل وخازر وسهل تلعفر وقرةقوش والموصل وحلبجة وسليمانية وسهل شارزور ويقدر عددهم حسب تقديرات غير

رسمية بين (٢٠٠ إلى ٥٠٠) ألف نسمة، أما في إيران فوجودهم أكبر بكثير، فهم يستقرون في مناطق عيلام ولورستان وكرمانشاه وكربان ودلفان وبشتكوة في إيلام وجرنداب ومراغة وهمدان، ويعيش العديد منهم في قزوين ومازندران وأذربيجان وزنجان وشيراز، وتتراوح نسبتهم بين (٢-٤) ملايين حسب التقديرات غير الرسمية وهناك تجمعات للكاكائية في درسيم وسيواس في تركيا يقدر أعدادهم بقرابة (١٠٠) ألف ويشكلون جماعة دينية في أرمينيا وجورجيا ويعرفون في باكستان والهند وأفغانستان باليادكارية (زكري)[٢٣].

المبحث الثاني- مزاراتهم - كتبهم الدينية - علاقة الكاكائية بالإسلام- طبقات المجتمع الكاكائي

مزارات الكاكائيين وكتبهم الدينية ومعتقداتهم:

مزار سلطان إسحاق الموجود في جبل هورامان بإقليم كردستان العراق، ومزار سيد إبراهيم ببغداد، والباب الأوسط ببغداد، إضافة إلى دكان داود بقصر شيرين بإيران ومزار باوة محمود في خانقين [٢٤]، ومزار مير اسكندر ومزار خان احمد في كركوك ويقال ان عند زيارتهم هذه الاماكن المقدسة يجلبون معهم الخبز و التمر او الخبز والماء ويتركوها لأرواح اخرى في داخل المزار او في اطراف المزار [٢٥].

يعد الكتاب المقدس (**السرنجام**) دستورا تستند اليه كافة انشطة الكاكائيين الثقافية والاجتماعية وهو مصدر التشريع لديهم، حيث يستمدون منه حلالهم ويجتنبون وفقا له محرماتهم، ان مجمل ما يتضمنه هذا الكتاب هو نصوص دينية على كل كاكائي الايمان المطلق بها والالتزام بمضامين وتعاليم تلك النصوص والتي تعد مقدسة بالنسبة لكل كاكائي يعتقد الكاكانيون أن الذات الإلاهية كانت حاضرة في كتابة وتدوين هذا الكتاب، ان السرنجام في مجمله وحسب ما ورد في نصوصه هو عبارة عن حوارات بين الله والملائكة المخلوقين من نوره وان هذه الحوارات تمثل تعاليم الدين الكاكائي[٢٦].

ويسمى الكتاب المقدس عند الكاكائيين ايضا بـ (الكلام) بتشديد اللام حيث يقسم الى الكلام (سرنجام) وهو حوار بين الله والملائكة والقسم الثاني (الكلام (جاودار) وهو حوارات بين مجموعة من الناس المتصوفين والقديسين الذين مثلوا زعماء الديانة[٢٧].

وذكر الكاكائيون أن لكل جزء من تلك السرنجامات تعاليم خاصة اشتملت على امور معينة اختصت بالفترة التي ظهرت فيها الا انها اجتمعت كلها في الكتاب الرئيسي في عهد السلطان اسحاق المسمى (بالسرنجام)، ان اللغة التي دون بها الكتاب المقدس تسمى ب (الماجو) او اللهجة الكورانية الهورمانية نسبة الى العشائر التي تتحدث بها أو نسبة إلى الأرض التي تقطن بها تلك العشائر[٢٨]، وكذلك كتاب **جاودان عرفى** وهذا يعد من كتبهم المهمة، ونرى فضل الله الحروفي صاحب مكانة في نفوسهم، يحترمونه ويرجعون اليه فى مطالبهم، بل يتبعون آراءه وكتابه جاودان عندي نسختان منه وهو منتشر اليوم فيما بينهم باللغة التركية ، وباللغة الفارسية ، ورأيت نسخة منه في التركية باستانبول، طبع من مدة طويلة وكتب الحروفية من كتبهم ذكرتها في تاريخ العراق – حياة لم أره، وانما أسمع عنه[٢٩]، وكتاب (**يارسان**) ومؤلفه السلطان اسحاق الكوردي المولود في العام (١١٨٢م)، وله اسم ((نيشان) في معبد لالش الأيزيدي، وكتاب **خطبة البيان** يعدونها من أعظم كتبهم وأجلها، لا يرغبون في أن يطلعوا أحداً عليه، أو أن يقرأه امرؤ، غيرهم لما فيه من غلو، وأوصاف تنسب إلى الإمام[٣٠].

تقوم معتقدات الأقلية الكاكائية على أربعة أركان أو شروط هي: الطهارة والصدق والغناء والعفو، وهي تؤمن بتناسخ الأرواح، ومن الكتب التي تعد مقدسة بحسب معتقدهم كلام الخزانة أو سرانجام" الذي يعود إلى القرنين السابع والثامن الهجري، ويتكون من ستة أجزاء، بيد أنّ هذا الكتاب غير متوفر إلا لدى أبناء الطائفة فقط[٣١]، ولم يطبع أو يتداول يعتقد أهل الحق أن الألوهة (الحق) تتجلّى بنفسها في سلسلة من المظهريات تُسمَى أدواراً وتكتمل بالرقم سبعة، الدور رقم أربعة هو السلطان إسحق البرزنجي مؤسس الديانة في القرن الرابع عشر، وخمسة هو المسيح وستة هو الإمام علي، ويعتقدون أن الإمام المهدي سيأتي لإتمام الأدوار السبعة. يؤمن أتباع اليارسانية بتناسخ الأرواح ولا يعتقدون بعذابات القبر، ولا يلعنون أياً من المخلوقات، ومن بينها الشيطان يطلقون شواربهم، ويحرَمون حلاقتها أو تشذيبها إذ يعتقدون أنهم يتوارثونها من الإمام علي نفسه. ويؤمنون أن الخالق الأعظم لا يدير شؤون العباد بصورة مباشرة بل عن طريق تجسدات ومنها ستة لحد هذا العصر[٣٢]، والفكر اليارساني يقسم الأديان والمعتقدات والطوائف والأفكار على أسس معينة، وهي:

١. أديان وأفكار الشريعة و مثالها الديانة اليهودية والاسلامية وما شابهها.
٢. أديان وأفكار الطريقة مثالها البكتاشية والإسماعيلية وما شابهها.
٣. أديان وأفكار المعرفة وتشمل الجانب المجدد في كل معتقد، مثل الطائفة الإنجيلية البروتستانتية في المسيحية
٤. أديان وأفكار الحقيقة وتشمل الاديان النورانية، معتقدات وطوائف وأفكار اهل جبال زاكروس مثل الزرادشتية والايزيدية ويضاف إليها اليارسانية وهنا جاء أصل تسمية أهل الحق في ايران[٣٣].

علاقة الكاكائية بالإسلام:

ترتبط الكاكائية بالإسلام بوشائج عميقة ومتداخلة، تبلورت بفعل دوافع وأهداف عديدة، وهناك آراء متفاوتة للتصنيف ومن أهم تلك الآراء: أن الكاكائية جماعة مسلمة يختلف أصحاب هذا التوجه من حيث كيفية ونوعية إسلام هذه الجماعة، ويوجد منهم أربعة تيارات:

١. التيار الأول: يرى أن الكاكائية مسلمون سنة، ويتبعون طريقة صوفية باطنية خاصة بهم.
٢. التيار الثاني: يصفهم كمسلمين شيعة غلاة.
٣. التيار الثالث: يصفهم كإحدى الجماعات التي تتبع الطوائف التي يصفونها بالباطنية كـ(النصيرية والإسماعيلية، والبكتاشية والقزلباشية والأخية).
٤. التيار الرابع: أتباع طريقة صوفية تحولوا إلى طائفة صوفية مغالية[٣٤].

وهناك من يصنف الكاكائية كجماعة دينية غير مسلمة وهم على ثلاثة آراء مختلفة.

١. الرأي الأول: يرى أن الكاكائية مسلمون تركوا الإسلام بفعل اعتقاداتهم الباطلة.
٢. الرأي الثاني: يرى أن الكاكائية غير مسلمين تأثروا ببعض مظاهر الإسلام تقرباً وتأثراً.
٣. الرأي الثالث: الكاكائية دين صوفي مستقل احتفظوا بعلاقات عضوية مع التصوف الإسلامي، وأسهموا في تطويرها وتأثروا بها[٣٥].

وتتباين آراء الكاكائية أنفسهم في موقفهم من الإسلام، ومن أهم آرائهم:

أولاً: تيار يعتبرون أنفسهم مسلمين سنة متصوفة، لهم طريقتهم الصوفية الخاصة. وهذا الرأي هو الشائع عن الكاكائية في العراق وأجزاء من إيران وأفغانستان والهند ومناطق أخرى.

ثانياً: تيار يعتبرون أنفسهم مسلمين شيعة متصوفة، ويختلفون عن الإمامية. وينتشر أصحاب هذا الرأي في إيران والعراق وبعض المناطق الأخرى.

ثالثاً: تيار يعتبرون أنفسهم طائفة إسلامية متصوفة خاصة، ترتبط بالطوائف الباطنية الإسلامية الأخرى كالعلوية والبكتاشية والقزلباشية.. وغيرها.

رابعاً: تيار يعتبرون الكاكائية جماعة دينية مستقلة تربطها علاقات ووشائج قوية مع الإسلام كما الأديان الأخرى، ويعتبرون الصوفية هي الرابط الذي يجمعهم مع الإسلام[٣٦].

طبقات الطائفة الكاكائية وتعداد أفرادها:

يتكون التركيب الكاكائي من هرم ديني واجتماعي، ينقسم على ثلاث طبقات وهي:-

١. **طبقة السادة** وهم الذين ينحدرون من الشيخ عيسى ابن السلطان إسحاق، وهؤلاء هم الأمراء ورؤساء الدين جمعوا بين الامارة والرئاسة الدينية.
٢. **طبقة الدليل (البير)** ويسمى عندهم (مام) وله منزلة خاصة، يتولى الإرشاد، ويقال للواحد منهم (مرشد)، أو (بابا)
٣. **طبقة (الأخوان)** وهم المعروفون بالعامة (الكاكائية)، أي طبقة العوام، ويتجلى بينهم التعاون تطبيقا لمبدأ الأخوة [٣٧]،

لا يُعرف عدد الكاكائيون حالياً، لكن عدّهم الكرملي في عام ١٩٢٨ بحوالي عشرين ألف نسمة لهم في كركوك ٦٠ بيتاً وعلى نهر الزاب ٤٨٠ بيت وفي خانقين نحو ٥٦٠ بيت [٣٨]،

المبحث الثالث- عاداتهم وتقاليدهم- مكانة المرآه في المجتمع الكاكائي- الانتهاكات التي تعرض لها الكاكائية- نشاطهم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي

عاداتهم وتقاليدهم:

الكاكائيون يحتفلون كبقية الشعب الكردي، بعيد نوروز بداية السنة حيث يبدأ التقويم اليارساني بهذا اليوم الذي يعد يوم ولادة السلطان إسحاق. بالإضافة إلى ذلك فهم يحتفلون ب "عيد الآلهة" أو عيد الكهف الجديد: هذا العيد يسبقه صوم ثلاثة أيام متوالية يبدأ في بداية حلول فصل الشتاء وبعد هذه الأيام الثلاثة يكون العيد يشير هذا العيد إلى هجرة السلطان إسحاق من برزنجة إلى مقاطعة شيخان في هورامان، حيث يعد هذا العيد إحياء لما عانى منه السلطان إسحاق ومرافقوه من مصاعب عند بقائهم ثلاثة أيام وثلاثة ليالي في كهف (مه رى نوى) بلا طعام يأتي بعده الاحتفال بهذا العيد بذبح الديك الرومي (كه له شير) وطبخ الرز تيمناً ووفاءً للسلطان إسحاق ورفاقه بعبورهم تلك المحنة[٣٩].

١. يتبرك الكاكائيون بتطويل شواربهم وكانوا يتشددون بها بشكل يميزهم عن الأحرين لكن الان بدات هذه العادة بالفتور بعد الاختلاط بغيرهم [٤٠].

٢. التكتم ومراعاة السرية التامة، ويُعدّ ذلك ضروريا عندهم فلا يظهرون عقائدهم ولا مراسمهم علنا، كما يمثل التكتم من أهم واجباتهم الدينية لدرجة أنه أصبح يضرب به المثل؛ فيقال كتوم للسر مثل الكاكائي.

٣. يوما الاثنين والجمعة من الأيام المقدسة لديهم، ويفضل فيها الزواج والاجتماعات العامة وغيرها.

٤. يطيعون السيد المعروف بـ (البير) وهو رئيسهم، بأن يتبعوا ولا يجوز الخروج عن أمر السادة.

٥. لا يقبل السيد هدية أو عطية، ولكن له حق التصرف في جميع أموال الكاكائية، وهذا ما يعرف لديهم بـ (إباحة الأموال)

٦. من أكلاتهم المقدسة أكلة المحبة، يجرى طهيها في الاجتماع العام، إذ يعمد أحد الرجال إلى ذبح ديك وطبخه مع الحنطة أو الأرز، ويقدم للشيخ، أو يقوم الرئيس بذبح شاة أو خروف، ويدعو أهل القرية، ويقيمون مهرجانا كبيراء ويرقصون ويقرؤون دعاء الألفة، ويوزعون الطعام (الأكلة)، إذ يعتقدون أن من أكل من هذه الأكلة المباركة نال الثواب.

٧. لا يكون على ميت بعويل وصراخ والحزن غير جائز عندهم، بل إنهم يحتفلون ويدقون الطبول

٨. وبما أن الكاكائي ممنوع أن يلعن الشيطان فأن أغلب المسلمين يشيرون لهم بعبدة الشيطان [٤١].

٩. **الزواج** ان الشرع الكاكائي يؤكد على الزواج الداخلي الذي هو زواج رجل من امراة تنتمي الى نفس جماعته ومرتبته الروحية وتوجه له العقوبات الصارمة ان تزوج امرأة من خارجها ويقع الزواج الداخلي بين الافراد المنتمين لنطاق الجماعة الدينية او الطبقة الاجتماعية الواحدة بين المراتب والفئات الدينية المختلفة التي يكون منها نظام المراتب الروحية في المجتمع الكاكائي ، فالعقيدة التي يؤمن بها الكاكييون لا تفسح المجال لاي واحد منهم بالزواج من خارج مرتبته او فئته الدينية التي ينتمي اليها، فمثلا لا يمكن التزاوج بين السادة والادلة والمريدين لوجود علاقة المحسوب بالمنسوب، باعتبار ان المنسوبين من البير والادلة هم بمثابة الاب او الاخ لمريديهم، وهي رابطتهم الروحية والقدسية، كما أنهم يحاولون الحفاظ على نقاوة الاشخاص وكرامتهم ونسبهم من المراتب والفئات الدينية المختلفة[٤٢].

١٠. **الطلاق:** يصعب الطلاق عند الكاكائيين، فانهم لا يطلقون زوجاتهم إلا في حالات استثنائية، لسببين احدهما اجتماعي والثاني ديني، السبب الاجتماعي مرتبط باحترام الذين حضروا مع افراد عائلة العروسين مثل: بير العائلتين وبعض وجهاء العشيرة اما السبب الديني، فالعقيدة الكاكائية لا تتساهل في فك العلاقة الزوجية التي ترتبط استمرارها بقدسية النياز الذي لا يجوز الغاؤه، وهناك حالات معينة للطلاق ١- الخيانة الزوجية ٢- الاتفاق بين الطرفين[٤٣].

مكانة المرآه في الطائفة الكاكائية:

من ناحية الشرع الكاكائي تكون المرآه متساوية مع الرجل في الحقوق ومتساوية معه في الميراث وفي كل شي متساوية مع الرجل اما قانونياً في (المحكمة) يتم التعامل معهم وفق القانون العراقي [٤٤]،

الانتهاكات التي تعرضت لها الطائفة الكاكائية:

لقد تعرض الكاكائية لعدد من الانتهاكات وتمت محاربتهم على أساس قومي مذهبي وعانوا من التهميش فضلاً عن تطبيق العديد من السياسات التي ساهمت في تقويض حرياتهم العقائدية وسلب

ممتلكاتهم وأراضيهم وترحيلهم قسراً ويحدثنا شيخ عشيرة الكاكائية السيد عدنان فتاح خليل الآغا عن بعض الانتهاكات التي حدثت في قضاء داقوق ضمن محافظة كركوك منها :-

١- تصفية القرى التابعة لهم:

حيث كان يبلغ عدد قراهم ٢٥ ،قرية ولم يبق منها سوى ٧ أو ٨ فقط بعد تعرض سكانها إلى العديد من الضغوط بعد الاستيلاء على أراضيهم الزراعية وفق قرار ٨٢٤ والذي تم بموجبة استملاك ٣٨ ألف دونم للعرب [٤٥]،

٢- مصادرة أراضيهم الزراعية:

حيث تعرضت أراضيهم وبمساحات كبيرة إلى الاغتصاب والحجر والمصادرة. فخلال الفترة من عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٩٤ استولى النظام البعثي على (١٥٠) ألف دونم من أراضي أبناء الكاكائية، ومنحها للعرب الوافدين، وفي السبعينات من القرن الماضي، تمت مصادرة وإطفاء (١٠٠) ألف دونم من أراضينا الزراعية الخصبة في إطار قانون الإصلاح الزراعي ذكر أنهم الآن يعملون على استردادها رويداً رويداً في إطار القانون الجديد.

٣- سياسة التعريب:

حيث تم إجبارهم على تغيير قوميتهم إلى العربية إبان حكم البعث، وفق ماعرف بـ (تصحيح القومية) [٤٦].

٤- تقييد التعبير عن العقيدة:

فقد حدثنا الشيخ عدنان عن حادثة تتلخص في قيام الشيخ بتقديم طلب إلى الأمانة العامة الشريفة إعادة ترميم احد المزارات، لكنّ النظام البعثي رفض ذلك حتى أنه لم يبد أي استعداد للقيام بتولي مهمة ترميمه، ورغم ذلك ظل الشيخ عدنان يحاول جاهداً الحصول على الموافقات الرسمية، خاصة وأن المساحة المحيطة تتقوض شيئاً فشيئاً بعد أن أصبح الناس يأخذون من الأراضي المحيطة به ويبنون عليها المحلات واستمرت محاولته حتى طالت ١٣ سنة، إلى أن حصل على الموافقات أخيراً والذي مكنه من ترميم وتوسيع المزار في عام ٢٠٠٢ [٤٧].

نشاطهم الاقتصادي:

يعتمد نشاطهم الاقتصادي على الزراعة أن العمل في الزراعة يدل على التوطن وملازمة الأرض، بخلاف الرعي والبداوة التي بالضرورة تقوم على التنقل والترحال. وربما يعود سبب ممارسة الكاكائية للزراعة من دون الرعي ميلا منهم للسكن في مناطق قريبة من مزاراتهم، فضلا عن اتخاذهم ملاذات آمنة في مناطق تمكنهم من ممارسة طقوسهم بحرية تامة، وتحميهم من الآخرين المغايرين لهم في عقائدهم، ومن جانب آخر كان الأكراد (البدو) ، وربما مازالوا ينظرون إلى العمل بالزراعة بوصفه عملا متدنيا، ويعدّون العاملين فيه ضعفاء، وبذلك فانهم يبتعدون عن مزاولته وغالبا ما كانوا يغيرون على المزارعين للحصول على ما يحتاجون إليه من الحبوب والمواد الأخرى [٤٨].

يؤكد (وليام إيفلتون) أحد أهم من درس تاريخ الكورد وعشائرهم وتنظيماتهم السياسية وحركاتهم الاجتماعية وأشهرهم أن قبيلة كوران الكبيرة التي ينتمي إليها بعض الكاكائية بحسب مجموعة

من المصادر كانوا نساجين ويعملون في حياكة السجاد. كما أن منسوجاتهم لم تكن تحمل هوية مستقلة في فن السجاد، وإنما كانت تعرف من خلال سجاد سنجابي، أي إن طريقتهم في صناعة السجاد مماثلة ومقتبسه من منطقة سنجابي [٤٩]، اضافة إلى الثروة الحيوانية يربى الكاكييون وبصورة خاصة الذين يسكنون القرى، اعداداً من الابقار والاغنام والدواجن والعائلة الواحدة لا تنفرد بتربية نوع واحد من الحيوانات، بل انها تقوم بتربية انواع مختلفة منها الابقار تعتبر البقرة من الحيوانات المهمة والضرورية بالنسبة للعوائل القروية، وذلك لما تدره عليها من فوائد وهي بالاضافة الى كونها دليلا على امكانية المادية للعائلة، فأن منتجاتها من الحليب ومشتقاتها من اللبن تعتبر غذاءً رئيسياً وضرورياً لافراد العائلة، حيث تضاف اليه كمية من الماء لتحويله الى (ماستاو)، ويشرب بدلا من الماء مع كل وجبات الاكل والعائلة التي لا تمتلك البقرة، تضطر الى شراء اللبن من العوائل التي تملكها، أو الذهاب الى مركز قضاء داقوق لشراء ما تحتاجه ضمن مشترياتها الأخرى[٥٠]، وتعد الأغنام من الثروات الاساسية في المجتمعات التقليدية سواء كانت مستقرة ام متنقلة وهناك عوائل تمتلك أعدادا من الأغنام، علما بان عدد هذه العوائل قليل قياساً إلى عدد العوائل التي تمتلك الابقار والدواجن ان السبب في قلة العوائل التي تهتم بتربية الاغنام يعود الى تعرض المنطقة في السنوات الاخيرة الى موجة من الجفاف وقلة نمو الاعشاب الطبيعية فضلا عن ارتفاع تكاليف معيشتها [٥١]، أما بالنسبة للدواجن فأن جميع العوائل الكاكه بيه التي تسكن القرى تربي الدواجن ان زيادة اهتمام الكاكيين بتربية الدواجن يعزى الى سببين الاول ديني عقائدي، حيث يفترض من كل عائلة ان تقدم لحم ديك أو دجاجة في كل شهر قربانا عن النذور الشخصية التي تقدم من قبل العوائل في المناسبات الدينية كايام الصوم والاعياد اما السبب الثاني يرجع الى ان للدواجن فوائد اقتصادية، حين تستفيد العائلة المجتمعات الريفية من لحمها ومنتجاتها كالبيض والريش ويقدم لحمها في حالة حلول الضيف عليهم، ويستفاد من بيض الدجاجة عند الافطار (قاولتي). وهناك عوائل تبيع بيض الدجاجة [٥٢]، ويبدو أن تربية الدجاج تدر موارد لا بأس بها، كما يستفاد من ريشها لصنع الوسائد فالعوائل الكاكه بية سواءً كانت تعيش في القرية أو المدينة، تمتلك أعدادا من الوسائد المصنوعة من ريش الدجاج، وبالاضافة الى ذالك، فان الدواجن لاتحتاج الى رعاية واهتمام لانها تتغذى على فضلات الطعام كالرز والبرغل، مما هو يزيد من وجبات الطعام اضافة الى بعض الحبوب التي تقدم لها من وقت لآخر[٥٣].

نشاطهم السياسي والثقافي:

يطالب الكاكائيون بتمثيل سياسي يتطابق مع نفوسهم وذلك لطي صفحة طويلة من تهميشهم ونلاحظ أن الكاكائيون ليس لديهم نشاط سياسي كبير وملحوظ في إقليم كردستان خاصة والعراق عامة وهناك أسباب وراء ذلك منها قلة عددهم مقارنة بأعداد الأقليات الاخرى حيث يذكر أنهم حاولوا البحث عن تمثيل سياسي لهم في برلمان إقليم كردستان العراق ولم يتحقق ذلك لهم لأنهم لم ينضموا صفوفهم كأحزاب سياسية وحاولوا أيضا تشكيل مجلس قيادي لهم ولكنهم لم يتلقوا دعم من أي طرف سياسي وايضا لم يعترف بهم الدستوري العراقي وخلال تأسيس جمهورية العراق الحديثة لم يتم الاعتراف بهم كديانة بسبب قلة أعدادهم ولا يزالون إلى الآن يطالبون بحقوقهم كأقلية دينية[٥٤]، أما ثقافياً فتبدوا وجهة أنظارهم في الكتب المنسوبة اليهم انهم اهتموا بالثقافة والمعرفة ، وكانت لهم نشاطات في مختلف الجوانب الثقافية،

ففي الشعر لم يقفوا عند الشاعر المعروف (هجرى دده) ، ولا عند غيره أمثال نسيمى ، أو ويراني وغيرهم، فانهم يحفظون مقطوعات يسمونها (بويروغ) ، ويريدون ما يريده البكتاشية بـ (انفاس) وفي العربية يصح أن يعبر عنها بـ (ما تفضل به) أو (أمر به) ، ويقابلها (مختارات الشعر) او (مجاميع شعرية الا أن هذه خاصة بما يحمل آراءهم ، وينطوي على نحلتهم[٥٥].

الاستنتاجات:

الكاكائية مجموعة دينية مستقلة من الأكراد، تعود بجذورها إلى الديانة الميثرائية، وتشترك مع العديد من الأديان والطوائف بوشائج مشتركة، وهم جماعة دينية منفتحة، ومتسامحة، تعرضوا إلى الكثير من التنكيل والاضطهاد بأشكال مختلفة، وما زالوا تحت التهديد، يكافحون من أجل الاستمرار والبقاء، وبسبب الاضطهاد المستمر، أصبحوا بحاجة إلى الكثير من المساعدة من أجل إعادة إحياء تراثهم والحفاظ على المتبقي منها، وهم طائفة دينية مستقلة في إقليم كردستان، ولهم ممثلية في المؤسسات الرسمية، ويمتلكون كوتا في مجلس محافظة حلبجة، بالإضافة إلى ضمانة رسمية وغير رسمية قادرة على حمايتهم من التهديدات الإرهابية والتطرف الديني، وهم منخرطون بقوة في الحياة العامة، وما زالوا يسعون إلى تحقيق العديد من التطلعات الأخرى، وبسبب غنى صورتهم الروحية في كردستان قد يكونون قادرين على الصمود والاستمرار في ظل كل التحديات التي تواجهها. لكنهم يقفون في مواجهة الكثير من التهديدات التي تأتي بسبب أن تنامي العنصرية القومية والتطرف الديني في العراق وإيران ومناطق أخرى يؤثر بشكل سلبي على وجودهم، كما أن أغلب مناطقهم هي مناطق متنازع عليها بين الحكومة المركزية العراقية والحكومة الإقليمية في كردستان، وتنشط فيها حركات متطرفة وعنصرية، وبسبب التلكؤ في تنفيذ المادة (١٤٠) من الدستور العراقي وتنامي الصراع، أصبح هناك ضرورة للتفكير في مستقبل هذه الجماعة الدينية بشكل عاجل.

الهوامش

(١) محمد حسين محمد شواني، التنوع الاثني والديني في كركوك، مؤسسة موكرياني، أربيل، ٢٠٠٦، ص١٧٤.

(٢) عامر جليل إبراهيم، الكاكائيون: ديانتهم الإسلام وعقيدتهم التوحيد، مقال منشور في مجلة الشبكة العراقية، ٢٠٢٠.

(٣) عامر جليل إبراهيم، المصدر السابق.

(٤) محمد حسين محمد شواني، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٥) رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ٢٠١٦، ص٨٨.

(٦) عباس العزاوي، الكاكائية في العراق، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٤٩، ص٢٦.

(٧) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ج١، ت: محمد عليّ عوني، ط٢، مطبعة صلاح الدين، بغداد،١٩٦١، ص٢٩٠.

(٨) مصطفى محمد فرعون العقيدي، الكاكائية دراسة ميدانية في الانثرولوجيا الثقافية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٩، ص٤٥.

(٩) عامر جليل إبراهيم، المصدر السابق.

(١٠) مصطفى محمد فرعون العقيدي، المصدر السابق، ص٤٨.

(١١) عامر جليل إبراهيم، المصدر السابق.

(١٢) رشيد الخيون، المصدر السابق، ص٩٥.

(١٣) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص٥٦.

(١٤) عامر جليل إبراهيم، الكاكائيون: ديانتهم الإسلام وعقيدتهم التوحيد، مقال منشور في مجلة الشبكة العراقية، ٢٠٢٠.

(١٥) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص٦١.

(١٦) رشيد الخيون، الكاكائية وحيرة المؤرخين في تقصي تاريخها ومعرفة أحوالها الراهنة، صحيفة وطن للجميع ٢٠١١/٢/٢٨.

(١٧) عباس الحسيني، علويو ايران والعراق (الكاكائية- اليارسانية) التاريخ المعتقد والمستقبل، مقال منشور في مرصد ليبانون فايلز، ١٥ حزيران/ ٢٠١٧.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) الكاكائية في العراق: تاريخ طويل واضطهاد مستمر، مقال منشور على شبكة الانترنت. على الموقع https://fanack.com/ar/iraq/population-of-iraq/kakaism-in-iraq-long-history-and-ongoing-persecution/.

(٢٠) لقاء على قناة الحرة عراق ، مجموعة شخصيات ، من اربيل ، الكاكائية بين المعتقد والتصوف ، قناة الحرة ، ١٠ / يوليو / ٢٠٢١ ، موجودة على شبكة الانترنيت : https://www.youtube.com/watch?v=YWxX5kZFuho&feature=youtu.be.

(٢١) معلومات وكالة ستيب نيوز ، الديانة الكاكائية في العراق ، وكالة ستيب نيوز ، ٢٢ / اغسطس / ٢٠٢١ ، موجود على شبكة الانترنيت : https://youtu.be/NgzAXOfEmgM .

(٢٢) لقاء على قناة الحرة العراقية ، المصدر السابق .

(٢٣) عبد الرحمن كريم درويش، الكاكائية في كردستان العراق وايران، بحث منشور في مركز المسبار للدراسات والبحوث، ١٠/١٠/ ٢٠٢١.

(٢٤) جوزيف زيتون، الكاكائية-التسمية ومناطق تواجدهم والعقيدة، مقال منشور على شبكة الانترنت، ٢٠٢٠/١٠/١١ .

(٢٥) لقاء على قناة الحرة عراق ، المصدر السابق .

(٢٦) مصطفى محمد فرعون العقيدي، المصدر السابق، ص٤٩.

(٢٧) عبد الرحمن كريم درويش، المصدر السابق.

(٢٨) مصطفى محمد فرعون العقيدي، المصدر السابق، ص٤٩.

(٢٩) عباس العزاوي، المصدر السابق، ٥٣.

(٣٠) سعد سلوم ، المصدر السابق، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٣١) مصطفى محمد فرعون العقيدي، المصدر السابق، ص٤٩.

(٣٢)مقال منشور على الموقع :https://web.archive.org/web/20180809031446/http://looklex.com:80/e.o/ahl-e_haqq.htm .

(٣٣) جوزيف زيتون، المصدر السابق.

(٣٤) عبد الرحمن كريم درويش، المصدر السابق.

(٣٥) مصطفى محمد فرعون العقيدي، المصدر السابق، ص٤٩.

(٣٦) عبد الرحمن كريم درويش، المصدر السابق.

(٣٧) سعد سلوم ، الاقليات في العراق ، ط٣ ، بيروت ، دار الرافدين للطباعة والنشر ، ٢٠١٤ ، ٢٢٦ – ٢٢٧ .

(٣٨) حسين جلوب الساعدي ، الاقليات العراقية من العذاب الى التمكين ، ط١ ، ميسان ، مؤسسة الهدى ، ٢٠١٤ ، ص ٢٧٧ .

(٣٩) كاظم حبيب ، العراقيون اليارسانيون (الكاكائيون) ، مقال منشور على موقع قناة الحوار المتمدن ، ١٦ / ٥ / ٢٠١٨ .

(٤٠) سعد سلوم ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٤١) سعد سلوم ، المصدر السابق، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٤٢) نوري ياسين الهرزاني ، الكاكه بية دراسة أنثروبولوجية للحياة الأجتماعية ، ط١ ، اربيل ، دار ئاراس للنشر ، ٢٠٠٧ ، ص ١٠٧ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(٤٤) لقاء على قناة الحرة عراق ، المصدر السابق .

(٤٥) حسين جلوب الساعدي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .

(٤٧) حسين جلوب الساعدي ، المصدر السابق ،ص ٢٨١ – ٢٨٢ .

(٤٨) سعد سلوم ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .

(٥٠) نوري ياسين الهرزاني ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

(٥١) نوري ياسين الهرزاني ، المصدر السابق ١٥٥ – ١٥٦ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

(٥٣) نوري ياسين الهرزاني ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٥٤) لقاء على قناة الحرة عراق ، المصدر السابق ،

(٥٥) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص١٠٨.

موقف العراق من الصراع المصري – الإسرائيلي، وابرام معاهدة كامب ديفيد بين مصر واسرائيل ١٩٥٦ – ١٩٧٨

Iraq's position on the Egyptian–Israeli conflict, and the conclusion of the Camp David Treaty Between Egypt and Israel 1956–1978

الباحثة شيماء ناجي حربي/طالبة دراسات عليا
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أ.د. حسنين عبد الكاظم عجه
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

This study touched on the position of the Iraqi government and people on the course of relations between Egypt and Israel since the tripartite aggression against Egypt in 1956, and what was the position of the Iraqi government and people on that aggression, and how the Iraqi position evolved from the conflict between Israel and the Arabs to the military and material participation in the confrontation with Israel in 1967. And how Iraq's participation in the October 1973 war with Israel grew and had an effective impact in defeating Israel, and it dealt with the pivotal role of Iraq opposing Egypt's efforts to reconcile with Israel and how Iraq polarized the Arab countries in an attempt to dissuade President Sadat from his rapprochement with Israel, through the use of enticement and pressure that managed to Iraq affected it by isolating Egypt from the Arab countries and blocking its attempts to bring Arab countries into peace with Israel.

الملخص

تطرقت هذه الدراسة الى موقف العراق حكومة وشعباً من مسار العلاقات بين مصر واسرائيل منذ العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وما موقف حكومة العراق وشعبه من ذلك العدوان، وكيف تطور موقف العراق من الصراع بين اسرائيل والعرب الى المشاركة العسكرية والمادية في مقارعة اسرائيل عام ١٩٦٧، وكيف تنامت مشاركة العراق في حرب تشرين ١٩٧٣ مع اسرائيل وكان لها آثرها الفعال في هزيمة اسرائيل، وتناولت الدور المحوري للعراق المناوئ لجهود مصر في مصالحة اسرائيل وكيف استقطب العراق الدول العربية في محاولة ثني الرئيس السادات عن تقاربه مع اسرائيل، من خلال استخدام ترغيب وضغط تمكن على أثرها العراق من عزل مصر عن الدول العربية وقطع الطريق امام محاولاتها زج دول عربيه في سلام مع اسرائيل.

كلمات مفتاحية: (اسرائيل، العدوان الثلاثي، حرب ١٩٦٧، انور السادات، كامب ديفيد)

المقدمة

دأب العراق على دعم مصر ودول المواجهة العربية مع اسرائيل في عدوان ١٩٥٦ على مصر وحربي ١٩٦٧ و١٩٧٣، وكان دعمه فاعلاً ومتنوعاً بين الدعم اللوجستي والمادي والعسكري، ولا شك أن دور العراق في حرب النكسة كان مهماً لأنه جنب العاصمة السورية دمشق السقوط بيد الصهاينة، وخفف الضغط عن الجبهة المصرية، وكذا دوره في حرب اكتوبر ١٩٧٣ الذي كان مهماً في تدمير الة الحرب الصهيونية، بخلاف ضغطه الاقتصادي من خلال منع توريد نفطه الى الدولة الداعمة لاسرائيل، بيد أن

الرئيس المصري انور السادات اختط لنفسه بعد ذلك الانتصار سياسة تمثلت بفصل موقف مصر عن مواقف الدول العربية ازاء اسرائيل، واقامة سلام معها راعى مصالح مصر دون أخذ مصالح الدول العربية لاسيما دول المواجهة بنظر الاعتبار، مما شكل ضربة قوية للصراع العربي الاسرائيلي، مما دفع العراق لاستهجان الموقف المصري، وتبني مواقف قوية ازائه، والحقيقة أن موقف العراق من ابرام معاهدة كامب ديفيد بين مصر واسرائيل كان محورياً، لأن العراق تمكن من استقطاب الدول العربية بأجمعها ضد النظام المصري، وشكل ضغطاً كبيراً عليه.

موقف العراق من عدوان ١٩٥٦ على مصر، وحربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ بين اسرائيل والعرب

كان للعراق دوراً مهماً مع باقي الدول العربية في موقفها من العدوان الثلاثي، فقد تبنى العراق موقفاً شعبياً رافضاً للعدوان شكل ضغطاً كبيراً على الحكومة العراقية التي اضطرت رغم وجودها في ميثاق بغداد الى استهجان ذلك العدوان وعقد اجتماع مع دول الميثاق ادان دور بريطانيا في ذلك العدوان، وأعلن العراق رسمياً أنه يقدم علاقته مع مصر على ارتباطاته والتزاماته في ميثاق بغداد، وأن العراق مناوئ لإسرائيل ومصر على مقاومة عدوانها واطماعها التوسعية[١]، ومع أن الموقف العربي والدولي الضاغط على اسرائيل وحليفاتها انتهى الى وقف العمليات العسكرية المضادة لمصر، إلا أن الرأي العام العراقي استمر على فعالياته الداعمة لمصر، فقد اقيمت المظاهرات والاعتصامات في جميع المدارس والمعاهد العراقية خاصة ثانويه الكرخ، وأُعلن الاضراب التام في العراق كافه استنكارا للعدوان الثلاثي على مصر، أما الحكومة العراقية فلم تكتفي بانسحاب قوات العدوان الثلاثي من بور سعيد، بل طالبت بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بانسحاب القوات الإسرائيلية من غزة[٢].

شكلت حرب ١٩٦٧ بين اسرائيل ودول المواجهة وفي مقدمتها مصر تحدياً جديداً للعراق الذي تبنى موقفاً صارما ضد اسرائيل[٣]، ومسانداً لدول المواجهة العربي لاسيما مصر وسوريا وشاركت القوات العراقية في الجبهة السورية فضلاً عن دعمها الى القوات المصرية، واللافت أن حملة تطوع حدثت في عموم العراق شملت فئات كثيرة من الجماهير الفلاحية العراقية لمواجهة اسرائيل[٤]، وكان موقف الصحافة العراقية داعماً لجمال عبدالناصر ضد اسرائيل، وحاثاً الجماهير والانظمة العربية على تدميرها[٥]، ونقد سياسه بريطانيا وامريكيا وانها وقفت الى جانب اسرائيل حتى تم اصدار جريدة خاصة لنقد سياسات الدول الكبرى في دعم اسرائيل[٦]، ولأن القيادة المصرية كانت مدركة لقدرة الجيش العراقي وأهمية مشاركته في مقارعة اسرائيل[٧]، أرسلت رئيس اركان القوات المسلحة المصرية الفريق سعد الدين الشاذلي الى العراق بوصفه الامين العام المساعد للشؤون العسكرية، فطلب من العراق زج جيشه على الجبهتين الاردنية والسورية لتقوية الجهد العسكري العربي المضاد لإسرائيل[٨]، فتم ارسال القوات العراقية قبيل الحرب تحسبا من هجوم اسرائيلي على سوريا أو الاردن[٩]، فقصفت القوات الاسرائيلية المطارات الاردنية والسورية وبعض القطعات العراقية[١٠]، ومع ذلك باشرت القوات العراقية قصفاً جوياً من قاعدتي الحبانية والوليد على المواقع الإسرائيلية فيما اطلق عليه بعملية البرق العراقية[١١]، وتمكنت القطعات العسكرية العراقية التي قادها اللواء الركن حسن النقيب من صد الهجوم الاسرائيلي على سوريا وانقذت دمشق من

السقوط[١٢]، لتخفف من وطأة ما عرف بحرب الأيام والستة أو نكسة حزيران ١٩٦٧[١٣]، التي كانت من أسباب حدوث انقلاب ١٩٦٨ في العراق[١٤].

كان للعراق مشاركه واضحه ودور كبير في حرب١٩٧٣ بدت في عدد قواته التي زجها وكانت اكبر الجيوش العربية بعد سوريا ومصر[١٥]، ارسلها الى لجبهتين الأردنية والسورية تزامناً مع اضافة سبعه ملايين جنيه استرليني الى حساب الحكومة المصرية واستمرت القوات العراقية في عملياتها ضد اسرائيل الى نهاية الحرب[١٦].

رد فعل العراق من ابرام مصر اتفاقية كامب ديفيد

حرص الرئيس الأمريكي جيمي كارتر على إبرام تسوية بين مصر واسرائيل كمقدمة لإنهاء الصراع العربي الاسرائيلي، وبعد اتصالات بين الجانبين وافق الرئيس المصري انور السادات على تلك الزيارة رغم رفض الحكومة العراقية لها[١٧]، بوصفها جزء من مخططات غربية لفرض سلام مذل على العرب، لكن الرئيس المصري انور السادات اعتقد ان في توجهه الى الإدارة الأمريكية حل لمشاكل مصر الداخلية والخارجية لاسيما الاقتصادية منها، وسرعان ما وجه الرئيس الأمريكي دعوه الى الرئيس المصري انور السادات الى كامب ديفيد وهو منتجع يقع في الولايات المتحدة[١٨]، لعقد مفاوضات أولية لاتفاق تسوية بين مصر وإسرائيل[١٩]، كمقدمة لحل المشكلة الفلسطينية وانهاء الصراع بين دول المواجهة واسرائيل[٢٠].

زار الرئيس انور السادات القدس لإستكمال ترتيبات السلام بين مصر واسرائيل التي باشر بها في كامب ديفيد سابقاً[٢١]، وتم توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر واسرائيل في١٧ أيلول ١٩٧٨، التي اثارت حفيظة العراق فأبدى رفضاً واضحاً وصريحاً ضدها، كما أتهم الرئيس السادات بالخيانة، وتبنت الحكومة العراقية موقفاً رسمياً متشدداً من تلك الاتفاقية[٢٢]، تمثلت في بيانات واجتماعات ومؤتمرات، وقد وصفت الحكومة العراقية اتفاقية كامب ديفيد بأنها: "وفرت للعدو القدرة على عزل مصر من ساحة المواجهة العربية، سواء كان ذلك من حيث الموقع أم القدرة السكانية لكونها تمثل ثلث سكان الوطن العربي، وان العراق سيستمر في دعمه للقضية الفلسطينية[٢٣]، من خلال رفضه لهذه الاتفاقيات وموقفه بالضد منها"[٢٤]، موضحة إن هناك أسباباً عدة تجعل العراق يرفض توجهات الرئيس السادات نحو عقد اتفاقية غير متكافئة مع إسرائيل منها[٢٥]: أن هذه الاتفاقية ستعزل مصر عن دول المواجهة العربية مع أنها من الدول العربية الأساسية في المواجهة ضد اسرائيل، وإن الرئيس السادات استعاد بعض أجزاء سيناء اسمياً لكنه من الناحية الفعلية استبدل الاحتلال الإسرائيلي بالأمريكي وجعلهما يتدخلان في الشؤون الداخلية المصرية، وإنه عملياً منح الشرعية لاحتلال إسرائيل للأراضي العربية الأخرى[٢٦]، كما أكدت الحكومة العراقية في بيان مجلس قيادة الثورة الصادر في ١٩٧٨/١٠/١ ضرورة إقامة مؤتمر قمة عربي في بغداد يسهل تفادي أخطاء خروج مصر من ساحة الصراع العربي – الإسرائيلي[٢٧].

أصدرت حكومة العراق في ١٥ تشرين الأول ١٩٧٨ بياناً أدان اتفاقية كامب ديفيد ودعى إلى مقاومة نتائجها ونقض أي تنازل يترتب عليها ورفض كل ما يتفرع عنها رفضاً تاماً[٢٨]، مع التأكيد على

المواجهة ورفض الاستسلام واعتبار مواجهة الصهيونية ومخططاتها جزءاً من مواجهة الامبريالية ومخططاتها، وتوحيد الجهد ووضع جميع الإمكانيات المتفرقة لدى الدول العربية في خدمة المواجهة والتحرير، واعتبار الجبهة السورية والعراقية جبهة واحدة يضع العراق ثقله الكامل فيها، ومساندة ودعم الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة[٢٩]، وشجب واستنكار المؤامرة التي باشرت بها مصر وداعميها ومست مصير الأمة وحقوقها وكرامتها[٣٠]، وقررت الحكومة العراقية في ١٠/٣١ اعتبار العراق جزءاً من الجبهة العسكرية الشمالية لموجهة العدو الصهيوني، وأبدت استعدادها ارسال قوات عسكرية الى الجبهة السورية لتأمين القوة العربية القادرة على مواجهة العدو الصهيوني، ولتفادي خروج مصر من الصراع العربي الصهيوني في حالة تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد، وركزت الحكومة العراقية على وجوب تبني جميع الحكومات العربية وقفة جديدة ومسؤولة للحيلولة دون تنفيذها [٣١].

دعا العراق ايضاً إلى عقد مؤتمر قمة عربي لتدارس التحدي الذي تعرضت له الدول العربية، وتقديراً من العراق للظروف الاقتصادية الخانقة التي عانت منها مصر سنوات طويلة، وفي حالة استعداد الحكومة المصرية التخلي عن اتفاقية كامب ديفيد، فإن العراق سيحث الأقطار العربية المقتدرة مالياً إلى إنشاء صندوق قومي يتولى مساعدة مصر وتأمين احتياجاتها المالية، كما يتولى تأمين المتطلبات المالية، لجبهات المواجهة الغربية والشمالية والشرقية[٣٢]، والمتطلبات المالية لمنظمة التحرير الفلسطينية وصمود الشعب العربي في الأراضي المحتلة على أن لا تقل مخصصات ذلك الصندوق عن تسعة مليارات دولار سنوياً قابلة للزيادة في ضوء احتياجات المعركة لمدة عشر سنوات، على أن تكون حصص الدول المشاركة فيها : العراق مليار دولار، ليبيا مليار ونصف المليار دولار، الجزائر نصف مليار دولار، السعودية ثلاثة مليارات دولار، الكويت مليار ونصف المليار دولار[٣٣]، قطر نصف مليار دولار، الإمارات العربية المتحدة مليار دولار، يخصص من هذا المبلغ خمسة مليارات دولار مساعدة سنوية لمصر، وتخصص المبالغ الأخرى لجبهات المواجهة من أجل تغطية الاحتياجات العسكرية لجبهات المواجهة الشمالية والشرقية ومنظمة التحرير الفلسطينية على طريق الصمود والتحرير[٣٤].

وشجبت المنظمات الشعبية والاتحادات المهنية والجماهيرية في العراق اتفاقيات التسوية التي وقعها السادات مع الكيان الصهيوني في كامب ديفيد، وأصدرت بياناتها المنددة بالاتفاقية، ودعت المنظمات النقابية العربية لإعادة النظر في مواقفها وتجاوز تناقضاتها الثانوية وتوحيد صفوفها لخوض المعركة القادمة، وعقدت اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب العرب في بغداد مؤتمراً صحافياً دعت فيه إلى إقامة جبهة شعبية عربية لتكون بمثابة رد فعل عربي ثوري ضد مخططات التسوية الرامية إلى إبقاء الهيمنة الامبريالية على مقدرات المنطقة العربية[٣٥]، فضلاً عن اجتماع المشترك بين العراق وسوريا وفلسطين في دمشق في ١٤ كانون الثاني ١٩٧٩ لبحث القضايا والوقوف امام اتفاقيه كامب ديفيد ووضع الخطط النهاية وعلى اثر ذلك تم عقد المؤتمر الثاني في بغداد الذي بدأ المؤتمر بكلمة الرئيس العراقي احمد بكر الذي اكد خطورة الاتفاقية، وانها بعيد' عن الطموح العربي، كما انها تمت بشكل انفرادي ولا تعبر عن السلام الحقيقي الذي يخدم العرب، وطالب الرئيس البكر دول المواجهة بفرض الاجراءات المتشددة على مصر، كما وجهت الدول العربية ضربة اقتصادية الى مصر من خلال تجميد

عضويتها في المؤسسات المالية العربية من الصندوق العربي، وأعلن الحزب الديمقراطي الكردستاني عن شجبه واستنكاره لنتائج مؤتمر كامب ديفيد، ودعا المكتب السياسي للحزب في بيانه القوى التقدمية لتوحيد طاقاتها وإمكاناتها النضالية في جبهة عربية تقدمية موحدة لدحر مخططات الأعداء من الإمبرياليين والرجعيين والمستسلمين[٣٦]، كما وصف الحزب الشيوعي العراقي الاتفاقية بأنها معاهدة بغيضة هدفها تصفية القضية الفلسطينية، ونبه إلى ضرورة الإسراع في اتخاذ موقف ضد محاولات الولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد تسوية شاملة للدول المحيطة بإسرائيل بهدف تأمينها من أي اعتداء مستقبلي[٣٧].

أما موقف الصحافة في بغداد، فقد هاجمت بشدة اجتماع كامب ديفيد والنتائج التي أسفرت عنه ونشرت في عناوينها الرئيسة الاستنكار الشعبي العربي الواسع، وفضح المؤامرة والضالعين في ركبها، وقد دعت صحيفة الثورة إلى تعبئة جماهير الشعب وطاقات العرب ضد الامبريالية ومصالحها[٣٨]، وان الانتصار يستوجب رفض الحلول الاستسلامية، وجاء في صحيفة الجمهورية العراقية: "إن الحديث عن تسوية مشرفة في ضوء معطيات الوضع الراهن في ظل التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي يدعو إلى السخرية ويدين مروجيه بالسذاجة السياسية"[٣٩]، وكان لنقابة المحامين العراقيين دوراً مهماً في نقد اتفاقية كامب ديفيد والدعوة للوقوف مع الشعب الفلسطيني خاصة بعد الزيارة التي قام بها السادات واستنكار المخططات الاستعمارية[٤٠].

ميثاق العمل القومي المشترك بين سوريا والعراق

ترتب على عقد اتفاقية كامب ديفيد نتائج خطيرة على القضية الفلسطينية[٤١]، منها الاعتراف بـ إسرائيل وتطبيع العلاقة معها، وإنهاء حالة الصراع وتصفية القضية الفلسطينية، وفي ضوء ذلك كان لابد من العمل على مواجهة تلك النتائج، وقد جاء الرد من خلال اتفاق العراق وسوريا على ميثاق العمل المشترك ل توفير مستلزمات المواجهة للأخطار التي تهدد مصير الأمة العربية وكرامتها وسيادتها ومستقبلها[٤٢]، فأجتمعت قيادتا القطرين في بغداد بين ٢٤-٢٦ تشرين الأول ١٩٧٨ واتفقتا على (ميثاق العمل المشترك) بين البلدين في الميادين كافة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وغيرها[٤٣]، وكانت رؤية العراق من خلال ذلك الاتفاق بناء علاقة وحدوية عربية متينة[٤٤]، وعلى أثر ذلك حضر إلى العراق الرئيس السوري حافظ الأسد بناء على دعوة سبق أن وجهها له الرئيس أحمد حسن البكر للقيام بعمل موحد لهما في تطوير العلاقة بين البلدين، لاسيما بعد أن أعلن العراق استعداده الكامل والفوري لإرسال الجيش العراقي إلى الجبهة الشمالية لتعزيز صمودها في وجه أي عدوان إسرائيلي محتمل، وان وحدة العراق وسوريا لها هدفان يتمم الواحد منهما الآخر وهما: إقامة دولة قادرة على مواجهة إسرائيل في الشرق الأوسط، وإقناع مصر بالعودة إلى العمل العربي لتحقيق الهدف الأول، وفي ضوء نتائج العمل الوحدوي بين القطرين كان واضحاً أن الوحدة باتت وشيكة لكن في حقيقة الأمر كانت المباحثات الحزبية التي اقترنت بالمباحثات الرسمية[٤٥]، تعثرت منذ الأيام الأولى لإعلان الميثاق، وكان السبب في عدم التوصل إلى اتفاق بشأن وحدة الحزب على الرغم من أن الجانب العراقي كان متحمساً لوحدة الحزب، لكن الجانب السوري كان يقابل هذا الحماس بالتنكر لفكرة الثورة العربية والمماطلة والالتفاف على هذا الميثاق[٤٦].

تنامى موقف العراق المناهض للسادات واستطاعت حكومة العراق توحيد الصف العربي لكشف سياسة السادات الرامية إلى جذب باقي البلدان العربية إلى اتفاقية سلام مذلة مع إسرائيل، ونجح العراق في منع أي بلد عربي من الانخراط وراء مخططات الرئيس السادات واعتبار ذلك التصرف خروجاً عن مبادئ الأمة العربية وعدم الالتزام بقرارات جامعة الدول العربية، كما ندد سعدون حمادي وزير خارجية العراق أمام الدورة ٢٣ للجمعية العامة للأمم المتحدة باتفاقيات كامب ديفيد ووصفها بأنها: "**إطار للإذلال ومعاهدة استسلام**"، وبين وزير الإعلام العراقي سعد قاسم حمودي : "**إن السادات سيتحمل مسؤولية عزل مصر**[٤٧]**، ولكننا على ثقة من أن غياب مصر لن يكون طويلاً**"، وعلى المستوى الشعبي كانت ردة فعل الشعب العراقي عنيفة تجاه ما قام به السادات من تصرف لا مسؤول على حساب القضية الفلسطينية، حيث انطلقت مظاهرات احتجاجية في مختلف المدن العراقية[٤٨].

قمة بغداد ٢ – ٥ تشرين الثاني ١٩٧٨

تم الإعداد للقمة العربية ببغداد في اجتماع عاجل لوزراء الخارجية العرب الذي عقد في بغداد بين (٢– ٥) تشرين الثاني ١٩٧٨، بهدف التحضير لعقد اجتماع طارئ للقمة العربية ببغداد لدراسة المواقف الناجمة عن اتفاقيات كامب ديفيد[٤٩]، وجاء قبول الملوك والرؤساء العرب لدعوة بغداد بمثابة إشارة واضحة تمثل جدية العالم العربي في رفض اتفاقية كامب ديفيد، وترأس وزير خارجية العراق سعدون حمادي مؤتمر وزراء الخارجية العرب، وأبلغهم إن العراق لا ينوي فرض مواقفه وآرائه على أشقائه العرب، بل إن الهدف الأساس هو التضامن العربي ووحدة الصف وأن يتم التوصل إلى اتفاق مشترك يحظى بموافقة الجميع وينفذ بأمانة وإخلاص من قبلهم[٥٠].

وبدأ المؤتمر أعماله بكلمة الرئيس العراقي أحمد حسن البكر قائلاً: "**إن الاتفاقية بما تضمنتها من نصوص وما تمخضت عنها من نتائج لتختلف جذرياً عن الأسس العامة التي حددها الإجماع العربي في مؤتمري القمة في الجزائر والرباط كهدف مرحلي للأمة العربية**[٥١]**، بل أنها قد فرطت بالحقوق التاريخية للأمة العربية وأوجدت ثغرة كبيرة في جدارها لصالح العدو الصهيوني وحلفائه، لذلك ومن دون المساس بصلاحية أي حاكم عربي في البلاد العربية، لا نستطيع أن نقبل بأن يفوض السادات نفسه بتقرير شؤون الصراع وإنهائه بإرادته المنفردة، لأنه بذلك يسبب للأمة العربية أذى شديداً ويطعنهم في الصميم**"، وظهرت في مداولات القمة خلافات بين الدول العربية ، فقد تبلورت أربعة اتجاهات: البعض منها أيدت موقف الرئيس السادات في كامب ديفيد[٥٢]، ودعا بعضهم إلى التضامن العربي وعقد مؤتمر جنيف، ورأى اتجاه ثالث أن من الضروري تعديل ميزان القوى لصالح العرب[٥٣]، ليمكن اللجوء إليه في حال فشل التسوية السلمية، أما الاتجاه الرابع فدعا إلى ضرورة استخدام القوة والعمل العسكري لتحرير الأراضي العربية المحتلة[٥٤].

اتفق المجتمعون في مؤتمر قمة بغداد يوم ٢ تشرين الثاني ١٩٧٨ على إرسال وفد إلى مصر لمقابلة الرئيس السادات، على الرغم من أن القيادة العراقية كانت واثقة بعدم حدوث جدوى من جراء ذلك، لإصرار الأخير على المضي في تطبيع العلاقات مع إسرائيل[٥٥]، وعدم اكتراثه لردود أفعال الدول

العربية، ولكن مناشدته بالعدول عن قراره بالصلح المنفرد مع إسرائيل لابد منها[٥٦]، وتوجه وفد مرسل الرؤساء والملوك العرب المجتمعين في قمة بغداد إلى القاهرة في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٨ ضم رئيس وزراء لبنان (سليم الحص) و (طارق عزيز) ووزير خارجية الإمارات أحمد خليفة السويدي ووزير الإعلام السوري أحمد إسكندر. على الرغم من أن بعض الدول العربية ارتأت عدم إدانة السادات وأيدته لكنه لم يكن يحتاج عطفاً بقدر الدعم والتأييد ولكنها حضرت المؤتمر لكي تخفي نواياها الحقيقية وعلاقاتها مع الدول الكبرى، ولكي لا تظهر على الساحة العربية بمظهر المؤيد لنهج السادات[٥٧].

تزامن وصول الوفد إلى القاهرة، في وقت كان فيه الرئيس أنور السادات يلقي خطاباً أمام مجلس الشعب المصري، فقابلهم وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء سليمان متولي، وأثناء اللقاء عرض الوفد مساعدات عربية لمصر بقيمة (٥) مليار دولار، كما سلموه رسالة تضمنت تواقيع رؤساء الوفود العربية في المؤتمر للرئيس السادات تناشده بالعدول عن تنفيذ اتفاق كامب ديفيد، إلا إن السادات رفض مقابلة الوفد، كما هاجم المؤتمرين من الملوك والرؤساء العرب. جينها عاد الوفد في ٥ تشرين الثاني وقدم تقريره إلى مؤتمر القمة في جلسته الخامسة الذي اختتم أعماله عند وصول الوفد بإصداره بيان تضمن مبادئ أساسية تؤمن بها الأمة العربية[٥٨]، وإلى وحدة المصير العربي والالتزام بتقاليد العمل العربي المشترك وهي : اعتبار قضية فلسطين قضية عربية مصيرية، وعلى الأقطار العربية تقديم المساندة والدعم والتسهيلات للمقاومة الفلسطينية المتمثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة وخارجها وتخصيص مبلغ سنوي قدره خمسون مليون دولار تقوم بتوزيعه منظمة التحرير الفلسطينية[٥٩]، ودعوة مصر للتراجع عن اتفاقيتي كامب ديفيد والعودة إلى الصف العربي المشترك وعدم التصرف بصورة منفردة في شأن الصراع العربي الإسرائيلي، وتأكيد الالتزام بمقررات القمة العربية، وخاصة المؤتمرين السادس والسابع المنعقدين في الجزائر والرباط[٦٠]، وعدم قبول أي حل إذا اقترن بقرار من مؤتمر قمة عربي يعقد لتلك الغاية، وفي حالة استجابة حكومة مصر لدعوة المؤتمر[٦١]، سيظل المجال أمامهم لتحتل مكانها الطبيعي في الصف العربي ودعمها وحمل أعبائها ضمن الإطار الذي قرره ذلك المؤتمر[٦٢]، وتتعهد الأقطار المذكورة بتقديم مساعدة سنوية ولمدة عشر سنوات لدعم الجبهة الشمالية والشرقية ومنظمة التحرير ونضال الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة[٦٣]، وتطبيق قوانين المقاطعة على الشركات والأفراد المتعاملين مع مصر ومع إسرائيل والتمييز بين الحكومة والشعب في مصر[٦٤].

تحددت مساعدة دول الجبهة الشمالية والشرقية بالآتي: العراق(٥٢٠) مليون دولار، الجمهورية العربية الليبية (٥٠٠) مليون دولار، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية (٢٥٠) مليون دولار، المملكة العربية السعودية (١٠٠٠) مليون دولار، دولة الإمارات العربية المتحدة (٤٠٠) مليون دولار، دولة قطر (٢٣٠) مليون دولار، دولة الكويت (٥٥٠) مليون دولار، ويخصص من ذلك المبلغ لسوريا (١٨٥٠) مليون دولار، والأردن (١٢٥٠) مليون دولار ولمنظمة التحرير الفلسطينية(٢٥٠) مليون دولار مع التمسك بقواعد المقاطعة للكيان الصهيوني[٦٥]، وبلورة سياسية إعلامية عربية فعالة، ونقل مقر الجامعة العربية وتعليق عضوية مصر في حالة توقيع الحكومة المصرية اتفاقية الصلح مع العدو الصهيوني، على أن

يجتمع وزراء الخارجية العرب في بغداد بدعوة يوجهها وزير خارجية العراق لاتخاذ التدابير اللازمة[٦٦].

وهنا من المناسب القول أن قمة بغداد كانت رد سياسي قومي مؤثر أسهم إلى حد كبير بالحفاظ على السلام والأمن ووحدة المصير العربي، كما عقدت في موعدها المحدد ونجحت في اتخاذ عدة قرارات، وعلى الرغم من الخلافات الموجودة بين القادة العرب إلا أنه تم تجاوزها، بحيث أثمرت الاجتماعات عن موقف عربي موحد ضد مصر والسادات، كما تزعم العراق العالم العربي من خلال مؤتمر بغداد الذي حضرته جميع الدول العربية عدا مصر، إذ تم تشكيل لجنة لإقناع القاهرة بالتراجع وعندما فشلت في مهمتها تقرر تعليق عضوية مصر[٦٧]، من الجامعة العربية لمدة عشر سنوات ١٩٧٩-١٩٨٩ ونقل مقر الجامعة العربية من مصر إلى تونس وتقديم الدعم الاقتصادي لدول المواجهة ومنظمة التحرير والحيلولة دون انضمام دول عربية أخرى للخط الانهزامي المصري، وكان رد الولايات المتحد الأمريكية على الموقف العربي الرافض لسياسة مصر أن عمدت إلى دعم مصر عسكرياً واقتصاديا [٦٨]، من خلال صندوق النقد الدولي بعد عزلها من قبل العرب، كما وقع الوزير سايروس فانس (Cyrus Vance) ووزير الدفاع هارولد براون (Harold Brown) مذكرات اتفاق مع نظرائهم في إسرائيل ومصر تضمن لهما الدعم الاقتصادي والعسكري، وتقرر حصول مصر على مساعدات اقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة، ولكن على مستويات مختلفة من التمويل. تعهدت الولايات المتحدة في البداية بمبلغ ١,٥ مليار دولار من المساعدات على مدى ثلاث سنوات[٦٩]، وقدمت قائمة من المعدات العسكرية التي يسمح لمصر بشرائها، وجاء أهم التزام من موارد الولايات المتحدة من حيث الموظفين المكرسين على تنفيذ اتفاقات كامب ديفيد من المراقبين وقوات متعددة الجنسيات ووحدة للإشراف. بعد أن أثبتت الأمم المتحدة عدم رغبتها تنظيم قوة لحفظ السلام ومراقبة الاتفاق[٧٠]، ويتضح من خلال موقف العراق ضد اتفاقية كامب ديفيد إنه الدولة العربية الأولى التي تصدت للاتفاقية وألتي أهلت العراق لزعامة الدول العربية لاحقاً بما انتهى الى اغتيال السادات وفشل تدابيره.

الاستنتاجات

- ساند العراق حكومة وشعباً مصر عند حدوث العدوان الثلاثي عليها عام ١٩٥٦، رغم وجوده في ميثاق بغداد وتدهور علاقاته مع الحكومة المصرية.
- اظهر العراق دعماً لوجستياً ومادياً وعسكرياً كبيراً لمصر ودول المواجهة مع اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧، وكان لجيشه فضل كبير في انقاذ دمشق من السقوط بيد اسرائيل.
- أثرت حرب عام ١٩٦٧ سلباً على العراق، وكانت من بين أسباب انقلاب عام ١٩٦٨ فيه.
- ساند العراق مصر وباقي دول المواجهة بشكل كبير في حرب ١٩٧٣ ضد اسرائيل، واستخدم سلاح النفط فضلاً عن مشاركته العسكرية والمادية الفاعلة بما انتهى الى الانتصار على اسرائيل.
- تصدى العراق لمحاولات الرئيس المصري انور السادات بالتصالح مع اسرائيل، وحاول العراق استخدام وسائل الترغيب والترهيب لمنعه من ابرام معاهدة كامب ديفيد مع اسرائيل دون جدوى.
- قاد العراق حملة عربية رسمياً وشعبياً لعزل نظام انور السادات بعد تقاربه مع اسرائيل، ونجح في تحجيم دور مصر اقليمياً وعربياً.

الهوامش

(١) اسامة صاحب منعم الجنابي، مصر وحركه الانحياز ١٩٥٥-١٩٧٠، رساله ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٧م، ص١٤٧.

(٢) نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط١، عمان، دار الفكر، ٢٠١٠، ص٢٣٢.

(٣) مجدي كامل، الحكام العرب في مذكرات زعماء وقاده ورجال المخابرات، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة ٢٠٠١م، ص١١.

(٤) محمد حسن شلال، حرب سيناء ١٩٥٦، مطبعة الراشد، بغداد، ١٩٧٢م، ص٦٨.

(٥) لطفي الخولي، حرب يوليو ١٩٦٧ بعد ٣٠ سنة، مركز الاهرام للترجمة، شارع الاجلاء القاهرة، ١٩٩٧، ص١٥٦.

(٦) نمير طه ياسين، المصدر السابق، ص٢٣٢.

(٧) هالة السعودي، السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الاسرائيلي ١٩٧٨ – ١٩٧٣، المستقبل السعودي، العدد٥٦، ت، ١٩٨٣، ص٥٠.

(٨) يوسف محمد عيدان، الصراع العربي الاسرائيلي ١٩٧٣-١٩٤٨، مجله جامعة الانبار للعلوم الانسانية، جامعة الانبار، د.ت، ص٨٥.

(٩) كاظم حطيط، العرب وتحديات المصير، ط١، الدار العربية، مصر، ٢٠٠٢م، ص٩٦.

(١٠) عبد الله فؤاد الربيعي، جمال عبد الناصر والتحاد السوفيتي عام ١٩٦٧، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٣٠٠٣، ص٣٣.

(١١) لطفي الخولي، المصدر السابق، ص١٥٦.

(١٢) هاله السعودي، السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ١٩٧٨-١٩٧٣، المستقبل العربي، العدد٥٦، ت٢، ١٩٨٣، ص٥٠.

(١٣) سهيل حسين الفتلاوي، موسوعة المنظمات الدولية جامعة الدول العربية، ط١، دار الحامد، الاردن، ٢٠٠٢م، ص٧٦.

(١٤) خلدون حسين، مدخل الى اوراق الهزيمة دراسة اولية في نتائج حرب حزيران، جامعة الكويت، ١٩٨٥، ص٢٥.

(١٥) يوسف محمد عيدان، الصراع العربي الاسرائيلي ١٩٧٣-١٩٤٨، جامعة الانبار للعلوم الانسانية، الانبار، د.ت، ص٨٥.

(١٦) زهراء عبد العزيز سعيد، دور العراق السياسي في جامعة الدول العربية ١٩٥٨-١٩٦٨م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص٥٦.

(١٧) نقابة المحامين العراقيين، مجلة القضاء، العدد١، بغداد، ١٩٧٨، ص٦ – ٧.

(١٨) بسمة محمد سعيد، العلاقات الفلسطينية – الأردنية ١٩٨٥-١٩٩٣، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة سامراء، ٢٠١٤، ص٣٢ .

(١٩) نقابة المحاميين العراقيين، مجلة القضاء، العدد١، ص٧.

(٢٠) سليمان الحمداني، السياسة الخارجية العراقية، ١٤ تموز١٩٥٨ – ٨ شباط ١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص٧٦.

(٢١) محمد حسين هيكل، سنوات الغليان، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٦٤٥.

(٢٢) علي مفلح محافظة، العرب والعالم المعاصر، ط١، دار الشروق، عمان، الاردن، ٢٠٠٩م، ص٣١٣.

(٢٣) مفيد الزيدي، التاريخ العربي بين الحادثة والمعاصر، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابوظبي الامارات، ٢٠٠٠هـ، ص٢٧.

(٢٤) جريدة الثورة، ١٣٢١، تشرين الاول، ١٩٧٨.

(٢٥) شامل اباظة، الوجه الاخر لاتفاقية كامب ديفيد، ط١، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠، ص٥٥.

(٢٦) اميره اسماعيل العبيدي، مؤتمر كامب ديفيد واثاره على القضية الفلسطينية، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، ٢٠١٢م، ص١٧.

(٢٧) محمود أحمد خضر، الموقف العراقي من المعاهدة المصرية – الاسرائيلية ١٩٧٧-١٩٨٦، اطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٠١١، ص٨٠.

(٢٨) حازم صاغية، وداع العروبة، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٣.

(٢٩) صالح عباس محمد الطائي، السياسة الخارجية العراقية لثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٦٨.

(٣٠) محمد حسن، الشيطان تاريخ مصر بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢، ص٧.

(٣١) شوقي ابراهيم، ديان يعترف، دار التعاون للطبع والنشر، مركز الدراسات الصحفية، القاهرة،ص٣٣٥،

(٣٢) قتيبة عبدالله عباس، مصر واسرائيل بين المواجهة والسلام ١٩٦٧ -١٩٧٨، المعد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص١٧١.

(٣٣) اميرة اسماعيل العبيدي، المصدر السابق، ص١٨.

(٣٤) انعام رعد، حرب وجود لا حرب حدود، دار الميسرة، بيروت، ١٩٧٩، ص٥٣٣.

(٣٥) وصفي التل، كتابات في القضايا العربية، دار اللواء للصحافة والنشر، عمان، ١٩٨٠، ص٣٢٦.

(٣٦) كاظم حطيط، المصدر السابق، ص٩٧.

(٣٧) محمود احمد خضر، المصدر السابق، ص٩٣.

(٣٨)علاء الدين الاعرجي، أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المفعل، الجزائر، دار الرياض للعلم والمعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص٨٩.

(٣٩) عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٩٥.

(٤٠) رفيق الخطيب التميمي، القدس في ضمير العالم الاسلامي، ع١٥٥، ٢٠١٩م، اصدار رابطة العالم الاسلامي، ط٢، مكة المكرمة، ١٩٩٩، ص٤٥.

(٤١) صالح عباس محمد، المصدر السابق، ص٦٩.

(٤٢) وفاء خضر الطائي، مصر والعراق دراسة تاريخية في العلاقات السياسية ١٩٧٨-١٩٩١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠١٢،ص٥٠.

(٤٣) لطيف الخولي، المصدر السابق، ص١٥٧.

(٤٤) ابراهيم الحلو، كفاح القومية العربية في القرن العشرين، منشورات مكتبة حسن النوري، دمشق، د.ت، ص١٤٢.

(٤٥) عمار محمد الطائي، موقف العراق الرسمي من نكسة حزيران ١٩٦٧،جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٥م،ص٩.

(٤٦) شفيق عبد الرزاق السامرائي، المشرق العربي، مطابع مؤسسة دار الكتب للنشر والتوزيع، الموصل، ١٩٨٠، ج١، ص١٩٧.

(٤٧) مجدي كامل، المصدر السابق، ص٢٦.

(٤٨) محمد حسين هيكل، سنوات الغليان، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨، ص٦٥٤.

(٤٩)صادق الشرع، حروبنا مع اسرائيل معارك خسارة وانتصارات ضائعة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧م، ص٥٤١.

(٥٠) محمود رياض، مذكرات البحث عن السلام في الشرق الاوسط ١٩٤٨-١٩٧٨، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ص٥٩٢.

(٥١)خلدون حسين، مدخل الى اوراق الهزيمة دراسة اولية في نتائج حرب حزيران، جامعة الكويت، ١٩٨٥م، ص٢٥.

(٥٢) اسعد محمود ناجي، العلاقات المصرية – الامريكية وتأثيرها على الشؤون العربية ١٩٥٢-١٩٦١،اطروحه دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة بغداد، ص١٣٣.

(٥٣) عبد اللطيف البغدادي، مذكرات، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٨٣.

(٥٤) شفيق عبد الرزاق السامرائي، المصدر السابق، ص١٩٩.

(٥٥) محمد حسن، مصرفي المشروع الاسرائيلي للسلام، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

(٥٦) سعد عبد خليفة العبيدي، مواقف الدول العربية والاسيوية من تطور السلام بين مصر واسرائيل ١٩٧٣-١٩٨١، العراق – السعودية نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٥، ص١٢٢.

(٥٧) انعام رعد حرب وجود لا حرب بحدود، دار الميسرة، بيروت، ١٩٧٩،ص٥٣٣.

(٥٨) قتيبة عبدالله عباس، المصدر السابق، ص١٦٩.

(٥٩) وفاء خضر الطائي، المصدر السابق، ص٥٠.

(٦٠) يوسف محمد عيدان، الصراع العربي الاسرائيلي ١٩٧٣ – ١٩٧٨،جامعة الانبار للعلوم الانسانية، الانبار، د.ت، ص٨٥.

(٦١) احمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والمشرق العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص١٤٦.
(٦٢) غازي حسين، الفكر السياسي الفلسطيني١٩٦٣-١٩٨٨م، دار دانيه للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ن١٩٩٣، ص٦٨.
(٦٣) رشيد الخالدي، الاتحاد السوفيتي وكامب ديفيد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٠، ص.٥٥.
(٦٤) سعد عبد خليفة العبيدي، مواقف الدول العربية والاسيوية من تطور السلام بين مصر واسرائيل ١٩٧٣ – ١٩٨١ العراق – السعودية نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية الآداب – جامعة المنصورة، ٢٠١٥، ص١٢٢.
(٦٥) حامد عبد الله ربيع، الدعاية الصهيونية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٦٨.
(٦٦) وفاء خضر الطائي، المصدر السابق، ص٥٢.
(٦٧) محمد مصطفى خنوت، انكلترا وقناه السويس ١٩٥٤-١٩٥٦، المكتبة التجارية الكبرى، الاسكندرية، ص٢١١.
(٦٨) حسن نهله محمد، مجله كلية الآداب، القناة والعدوان الثلاثي على مصر،٢٠١٨م،ص٦٦.
(٦٩) محمد عبد العزيز ربيع، الوجه الاخر للهزيمة العربية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٧٨، ص٨٨.
(٧٠) عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٩٥.

الحركة الآثورية في العراق ١٩٣٣

The revolutionary movement in Iraq 1933

الباحثة صابرين أبراهيم عبد علي
طالبة دراسات عليا/جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

ا.د عباس فرحان ظاهر
جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

Abstract .

The Assyrians were and are still claiming that they are the descendants of Sargon II, Sennacherib and other kings of Assyria, and that they are from the Semitic dynasties that descended in northern Iraq three thousand years BC, without there being any historical evidence to support their claim, while accurate historical traces indicate that those who claim That they are from the remnants of the ancient Assyrians, but they are from the remnants of the Nestorians who used to live outside Iraq, and that they were not known by the name they liked to call themselves except at a very late time, and the reason for giving this late name was more political than historical, the first to live within the borders of the Ottoman Empire and Iran, and they were concentrated in the states of Mosul, Erzurum, and Van, and in the Sanjak of Hakkari in particular, and the majority of the Assyrians who lived within the borders of the Ottoman Empire were followers of the Nestorian Church, and the Nestorian Assyrians spoke the Syriac-Aramaic language.

الملخص

الاثوريين هم أحفاد سرجون الثاني وسنحاريب وغيرهما من ملوك أشور ، وأنهم من السلالات السامية التي نزلت شمال العراق قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة، دون أن يكون هناك أي دليل تاريخي يسند زعمهم ، على حين تشير التتبعات التاريخية الدقيقة إلى أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم من بقايا الآشوريين القدماء إنما هم من بقايا النساطرة الذين كانوا يقطنون خارج العراق ، وأنهم لم يعرفوا بالاسم الذى يحلولهم أن يطلقوه على أنفسهم إلا في زمن متأخر جداً، وكان السبب في إطلاق هذا الاسم المتأخر ، سياسياً أكثر من أن يكون تاريخياً،الاولى يعيشون في حدود الدولة العثمانية وايران وكانوا يتركزون في ولايات الموصل وارضروم ووان، وفي سنجق حكاري على نحوخاص ، وكان أغلبية الآثوريين الذين كانوا يعيشون في حدود الدولة العثمانية من اتباع الكنيسة النسطورية، ويتكلم النساطرة اللغة السريانية الآرامية.

كلمات مفتاحية: (الأثوريون، الكنيسة النسطورية، حكاري، بريطانيا، الحركة الأثورية)

المقدمة

حين قام العراق المستقل في اعقاب معاهدة ١٩٣٠ التي فرضت قيودا على حريته ، اكتنفته الصعوبات المترتبة على علاقاته ببريطانيا ومخلفات الحكم العثماني الطويل ، بالأضافة إلى بعض المشكلات التي اثارها وجود بعض الأقليات التي كان دمجها في الدولة الجديدة يستلزم بعض الوقت ، إلا ان الوجود البريطاني زاد في تفاقم هذه المشكلات التي لعب هودورا اساسيا في تحريكها ، فلقد لوح للأكراد بالأستقلال في الوقت التي استقدم فيه الآثوريين من خارج البلاد وجعل منهم ركيزة من ركائز حكمه ، الامر الذي جعل بعض هؤلاء رغم قلة اعدادهم يثيرون المتاعب في وجه الحكم الوطني ثم يجنحون بالتمرد، ولهذا كان من الطبيعي ان تسخر الحكومة العراقية بع ذلك بالقيام بأول انقلاب عسكري في تاريخ

العرب المعاصر .

يتضمن هذا البحث عن الحركة الآثورية في العراق مبحثين تناولنا في المبحث الاول من هم الآثوريون واصولهم وهجرتهم ، كما تناولنا في الجزء الثاني منه مناطق توزيعهم وتركيبهم الاجتماعي والاقتصادي، اما المبحث الثاني فيضم نبذة عن الحركة الآشورية وكيف قامت ، وما علاقة بريطانيا بها ،وعرضنا ابرز نتائجها، أعتمدت في بحثي على ابرز الدراسات التي تناولت موضوع الحركة الآثورية منها رسالة ، رياض رشيد ناجي الحيدري بعنوان الآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٦ وايضا رسالة ، وفاء هادي حبيب الخفاجي بعنوان ممثلوا الاقليات غير المسلمة في مجلس النواب العراقي تقييم لدورهم السياسي والتشريعي (١٩٢٥-١٩٥٨)، وأطروحة عدنان زيان فرحان التي كانت بعنوان السياسة البريطانية تجاه الأقليات الدينية في العراق (١٩١٤-١٩٤١) .

كلمات مفتاحية: (الايزيديون، عدي بن مسافر، العثمانيون العهد الملكي، بابا الشيخ)

المبحث الاول- اصول الأثوريين وهجرتهم الى العراق

أولاً : أماكن توزعهم :

كان الآثوريون قبل الحرب العالمية الاولى يعيشون في حدود الدولة العثمانية وايران وكانوا يتركزون في ولايات الموصل وارضروم ووان، وفي سنجق حكاري على نحو خاص ، وكان أغلبية الآثوريين الذين كانوا يعيشون في حدود الدولة العثمانية من اتباع الكنيسة النسطورية، ويتكلم الآثوريون النساطرة اللغة السريانية الآرامية، ومع أن الآثوريين كانوا يدفعون الضرائب الى الحكومة العثمانية إلا أنهم كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي أو بالأحرى باستقلال فعلي في كثير من شؤونهم، وتشير المصادر التاريخية إلى أن عدد الآثوريين في العراق قد بلغ نحو 250.000 نسمة، في حين ذكر فاضل حسين – استناداً إلى لجنة التحقيق الدولية للحدود العراقية –التركية – أن عددهم تراوح بين 80.000- 90.000 نسمة [١] .

اتجه الاثوريون الساكنون في منطقة (حكارى) شرق الأناضول بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى إلى بريطانيا لإيجاد ملجأ أمناً لهم، فبذلت الاخيرة جهوداً كبيرة لإسكانهم في العراق، وجعلهم مواطنين عراقيين فتم اسكانهم في منطقة الدورة ببغداد وكذلك الموصل، واثار الاثوريين مشكلة خطيرة مست وحدة البلاد حين دعوا الى إقامة منطقة حكم ذاتي لهم في شمال العراق وفي نهاية عام ١٩١٨م اكتمل وصول الاثوريين في العراق واقيمت لهم مخيمات على الضفة اليسرى لنهر ديالى بعقوبة[٢]، وقد شكل الآثوريون مع الاقليات جزءاً من المجتمع العراقي بأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وقد حظيت هذه الاقليات ومنها الاثوريون باهتمام السياسة البريطانية في العراق التي ارادت كسب ولائهم لها ولتطبيق هذه السياسة فقد تبنت بريطانيا قضية الآثوريين منذ الحرب العالمية الاولى حتى نهاية حركتهم عام ١٩٣٣م [٣] .

ثانيا : أصولهم :

اختلفت الآراء حول أصولهم ، فالآثوريين عموما من بقايا نساطرة الشرق لذلك يعرفون كذلك بالنساطرة ، ويرى الرحالة والآثاري البريطاني هنري لايارد أنهم أحفاد الإمبراطورية الآشورية ، ويؤيده باحث آخر بقوله انه وبعد سقوط الأسرة الحاكمة في نينوى ٦١٢ ق.م منح الميديون الآشوريين نوعا من الاستقلال الذاتي فدعوها آثور بينما دعاها الفرس آشورا ، وعندما احتل الرومان بلاد ما بين النهرين

أعادوا لها استقلالها واسمها الاصلي آشور ، وعندما احتلها الفرثيون التجأ عدد كبير من الآشوريين إلى جبال تلك المنطقة ، ويصر الآثوريون أنفسهم على انهم من احفاد آشور القديمة ولذا استوطنوا المناطق الآشورية ، كما إن تقاليدهم الخاصة ومظهرهم الخارجي ولباسهم ولغتهم تؤكد إنهم من دم آشوري [٤]، وهناك من ينفي وجود أية صلة للآثوريين بالشعب الآشوري القديم ، ويذكر مهرداد إيزادي أن المسيحيين من نسطوريي بلاد ما بين النهرين وكوردستان الذين سموا أنفسهم مؤخرا بالتسمية الأثنية (الآثورية)، هم في الحقيقة خليط من اصول كردية وسامية اعتنقوا ديانة الكنيسة النسطورية الشرقية وأخذوا يتكلمون بلغة هذه الكنيسة ، وكان قسم كبير من هؤلاء المسيحيين حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى يقطنون جبال كوردستان الشمالية بعيدا عن اي تأثير اثني اوعرقي للمسيحيين الساميين في سهول بلاد ما بين النهرين ، وحتى إن مظهرهم وبنيتهم الجسمية تختلف عن أخوانهم ساميي منطقة الموصل وهو دليل آخر على أصلهم الكردي، مع ذلك فأنهم يتحدثون اللغة الآرمية الحديثة ويؤكدون على ان لهم هوية أثنية مختلفة [٥].

عندما ظهرت المسيحية كان الآشوريون من اوائل الشعوب التي اعتنقوها وتمسكوا بها وحملوا رسالتها إلى الشرق واعطوا في سبيلها آلاف الشهداء ، وكان القرن الخامس الميلادي بداية ظهور الانقسامات في الكنيسة التي ازدادت بفعل الارساليات التبشيرية التي جعلت الاشوريين امة متكونة من طوائف مذهبية متعددة، حيث ان آثوريي هكاري واورمية وكلدانيي عنكاوه لا يختلفون الا في انتماءاتهم الكنسية حيث انهم يشتركون في انتمائهم القومي ولغتهم التي كانت اللغة الرسمية للامبراطورية الاشورية مع انه طرأت عليها اختلافات طفيفة نتيجة تأثرها بالظروف المحيطة بالشعب الاشوري منذ القدم ، وهذا شيء طبيعي في جميع لغات العالم ، اما من حيث العادات والتقاليد فليس هناك اي اختلاف بينهم حيث ان الآشوريين بجميع طوائفهم مازالوا يحتفظون ببعض العادات والتقاليد التي مورست في عهد الامبراطورية الآشورية مثل صوم نينوى وعيد رأس السنة الآشورية وغيرها كثيرة ، هذا من جانب ومن جانب آخر فأن زعماء وقادة ومفكري الحركة القومية الآشورية في العصر الحديث كانوا من مختلف الطوائف والمذاهب الدينية امثال الجنرال اغا بطرس والمطران توما اود وكانوا كلدانا ونعوم فائق وبرصوم بيرلي واشور يوسف كانوا سريانا واخرون من الطوائف الآشورية الاخرى كالمارونيين والنساطرة واليعاقبة [٦] .

ثالثاً : تركيبهم الإجتماعي و الأقتصادي

توزع الأثوريون على مجموعة عشائر رأسها زعيم اوامير (ملك) ولكنه في الواقع اقطاعي كبير ، كان ينتخب من القبيلة والعشيرة والأسرة (وكان هذا المنصب ينتقل من الأب إلى الأبن وفي حال غياب الأولاد ينتقل للأخ الأكبر) وكان صاحب هذا المنصب ينتخب من وجهاءالقبيلة، والبطريك هو الرئيس الديني والدنيوي للآثوريين جميعا ويلقب مار شمعون (سيمون المقدس)، ولدى الآثوريين زعيم يسمونه (الرئيس) وظيفته تقديم الاتاوات إلى زعيم القبيلة (الملك) ويعد الطابع القبلي الصفة البارزة لحياتهم، واشهر قبائلهم تياري العليا وتياري السفلى وتخوما وجيلووباز وديز، وتعيش كل قبيلة في منطقة محددة تنقسم الى قرى، وتنقسم القبيلة الى أفخاذ ترتبط ببعضها بوشائج النسب وينقسم الفخذ بدوره إلى اسرة كبيرة (كولباتا) تبلغ احيانا من ٤٠-٦٠شخصا، وينتخب اكبر افراد الفخذ واكثرهم وجاهة لمركز الشيخ[٧]، اما اوضاعهم الاقتصادية فتمثلت في أنهم يشتغلون بالدرجة الأولى في الزراعة وتربية النحل والماشية وكانوا

يزرعون الذرة والتبغ والحنطة وغيرها، ويذهب كثير من الآثوريين في الشتاء إلى حلب والموصل وما وراء القفقاس بحثا عن عمل ، ثم يعودون إلى مواطنهم الأصلية في الربيع للمباشرة بزراعة الحقول [٨]، وفيما يتعلق بالقضايا السياسية وغيرها ، فأن اتصال الاتراك بالآثوريين كان يتم بواسطة بطريكهم ، ورؤسائهم وهذا يدل على انهم كانوا يتمتعون بقسط كبير من الاستقلال الذاتي في تركيا ، فقد كان رؤسائهم يعتبرون بمثابة امراء محليين ، ولم تكن علاقتهم بالولاة الاتراك إلا علاقة نسبية وحيث انهم كانوا يتمتعون بسلطة مطلقة لإدارة المناطق التابعة لهم [٩].

رابعاً : هجرتهم :

لقد ألجأت ظروف الحرب العالمية الأولى الآثوريين إلى ترك بلادهم فهاجر قسم منهم إلى بلاد القفقاس في حين هاجر القسم ألاخر الى العراق بعد الاحتلال البريطاني فسكنوا بعقوبة .كما سكن قسم منهم القرى الشمالية القريبة من الحدود في أقضية العمادية وزاخوواوندوز وسكن قسم ثالث بغداد والموصل والبصرة [١٠] .

قبل الحرب العالمية الأولى يعيشون في حدود الدولة العراقية وإيران، وكانوا يتركزون في ولايات الموصل وارضروم ووان ، وأغلبهم من اتباع الكنيسة النسطورية . وهؤلاء زعموا أنهم من بقايا الاشوريين سكان العراق القدماء وقد خضع النساطرة إلى رئيسهم (مار شمعون) ، وقد جاءت بهم بريطانيا إلى العراق من إيران وتركيا قبل الهدنة وإسكانهم في مدينة بعقوبة مدة ثلاث سنوات لم يكن جلب البريطانيين للاثوريين حدثاً عادياً ، وإنما أرادوا بوساطتهم تنفيذ برامجهم في العراق ، فجعلوهم يتصورون أن قيام بريطانيا بإسكانهم في العراق هومكافأة لهم مقابل مساندتهم إياها في الحرب ، وافهموهم بان لا يستخدموهم للدفاع عن العراق ، بل وعدوهم بالعودة إلى اوطانهم ، كان الاثوريون يأملون من حلفائهم البريطانيين المساعدة بعد عودتهم إلى مواطنهم السابقة إلى (تأسيس حكم ذاتي) تحت الحماية البريطانية ، وقامت قوات سلطات الاحتلال بنقلهم إلى زاخوودهوك والعمادية وعقرة وفتحت معسكراً جديداً في مندان شمال شرق الموصل ، ومع ذلك كانت مسألة توطين الاثوريين في العراق من الامور الجدية للسلطات البريطانية . فقد نصت مقترحات ارنولد ولسن ، التي قدمها إلى "اللجنة الشرقية البريطانية" على ان ضم ولاية الموصل إلى العراق ضروري لتأمين بقاء الاثوريين ضمن العراق بحسب رغبتهم [١١].

استمرت بريطانيا في مساندة الاثوريين في العراق ، ففي مؤتمر القسطنطينية الذي افتح في التاسع عشر من ايار ١٩٢٤ بين بريطانيا وتركيا ، فقد أشار كوكس في هذا المؤتمر إلى قضية الاثوريين الذين استعانوا بالحكومة البريطانية لاعادة إسكانهم في مواطنهم السابقة تحت الحماية البريطانية ، وقد أخبر كوكس فتحي بك رئيس الوفد التركي أن الحكومة البريطانية قررت أن تضمن خطاً للحدود بشكل جماعة متماسكة ضمن حدود العراق ، واستمرت بريطانيا في مساندة الاثوريين حتى عقد معاهدة ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا ، فقد نظر إليها الاثوريون نظرة شك وريبة لأنها لم تضمن لهم ما يحقق رغائبهم بالحكم الذاتي على الرغم من العرائض التي قدموها لعصبة الامم . فقد اتخذ مجلس عصبة الامم قراراً يقضي بعدم قبول طلب الاثوريين المتعلق بحكم ذاتي إداري في داخل العراق ، واستدعاء خبير أجنبي لمساعدة الحكومة في تنفيذ مشروعها لإسكان اثوريي العراق بأحوال مناسبة على قدر الامكان في وحدات متجمعة

بشرط أن لا تمس الحقوق على اثر ذلك توترت العلاقة بينهم وبين الحكومة العراقية والتي اضطرت أن تدخل في إختبار وهوالوقوف لأول مرة امام قوة عسكرية دربها البريطانيون ، وبدأت الصدامات المسلحة بين القوات الحكومية بزعامة بكر صدقي والاثوريين (انتهز البريطانيون قيام الحكومة العراقية بالزام المار شمعون بالاقامة في بغداد ، فعملوا على زيادة العلاقات سوءاً بينهما ، فصوروا انفسهم مدافعين عن مصالح الاثوريين حتى يشجعوا زعيمهم المار شمعون في موقفه المتصلب ، وزيدوا في الوقت نفسه اصرار الحكومة على موقفها ، وبذلك أصبح الجو مهيأ للانفجار في أي لحظة يريدونها) ، وتمكن الجيش من إجبارهم على الانسحاب ، واستسلام الاثوريين والقضاء على حركتهم ، ونقل المار شمعون إلى قبرص بطائرة بريطانية خاصة على اثر إسقاط جنسيته في السادس عشر من اب ١٩٣٣ [١٢].

عملت الانقسامات الكنسية التي حلت بهم على انفصالهم إلى شرقيين (آشوريون وكلدان) وغربيين (سريان) كما حدثت اختلافات لغوية بين السريانية الخاصة بالمشاركة وتلك الغربية. كما ساهموا في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في بلاد المشرق وخاصة في عهد الدولة الأموية والعباسية. غير أن المجازر التي حلت بهم ابتداءا بتيمورلنك في القرن الرابع عشر مرورا ببدر خان بداية القرن التاسع عشر أدت إلى تناقص أعدادهم كما تقلص عددهم بأكثر من النصف بسبب المذابح الآشورية عشية الحرب العالمية الأولى. وشهد النصف الثاني من القرن العشرين هجرة العديد منهم إلى دول أوروبا وأمريكا، كما أدت حرب الخليج الثالثة والانفلات الأمني الذي تبعها إلى تقلص أعدادهم بشكل كبير في العراق بعد نزوح مئات الآلاف منهم إلى دول الجوار وخاصة سوريا [١٣] .

المبحث الثاني- الحركة الآثورية - بداياتها وعلاقتها ببريطانيا، ومواقفها من التطورات السياسية في العراق

أولاً : علاقة الحركة الأثورية ببريطانيا :

بعد أن فقد الآشوريين في الحرب العالمية الأولى أكثر من نصف قوامهم على حين أملوا من حلفائهم المساعدة في تمكينهم من العودة إلى مواطنهم السابقة ، لقد كان هدفهم تأسيس حكم ذاتي تحت الحماية الانكليزية التي لم تشأ ولا بأي شكل من الأشكال إعادة الآشوريين إلى تركيا ، فقد قرر الانكليز بفترة طويلة قبل انتهاء الحرب نقل الآشوريين إلى العراق حيث نووا استغلالهم كقوة عسكرية لحماية الصناعات النفطية ، وفي الوقت ذاته لم تشأ انكلترا إضعاف آمال الآشوريين في تحقيق مسألة تقرير المصير لهم ، وقد سهل ذلك مهام القيادة الانكليزية في سنوات الحرب في تشكيل القطعات والكتائب العسكرية الآشورية ، بحجة تأسيس الحكومة الآشورية في البداية مؤكدين ذلك بأن الحكومتين التركية والإيرانية لا تسمحا بتأسيس ذلك في الأماكن الأصلية ويبقى المكان الوحيد الذي يمكن لآشوريي " هكاري " البقاء فيه هوشمال العراق وعلى سبيل المثال ولاية الموصل " نينوى سابقاً " حيث يعتبر الآشوريين من الطائفة الكلدانية السكان الأصليين لها على مدى قرون طويلة . ولقد كان للزعماء الآشوريين الدور الكبير في تأسيس الكتائب الآشورية إذ كان لهم كما للملوك والكهنة مصلحة مادية في توسيع الكتائب العسكرية حيث كانوا يتقاضون وفق الاتفاق مع القيادة الانكليزية حصة نقدية من مرتب كل ضابط ومجند آشوري ، ولقد سبب استخدام الكتائب الآشورية ضد الأكراد قلقاً واضحاً لدى الآشوريين البسطاء ولإسكاتهم أعلمت

السلطات الانكليزية في العراق الآشوريين على أنه في تشرين الثاني ١٩١٨ م تم توقيع اتفاقية بين انكلترا وفرنسا تنصّ على حق تقرير المصير للشعوب المقيمة في تركيا العثمانية سابقاً بما في ذلك الآشوريين ، إلا أن الوفد الآشوري منع من حضور الكونفرانس في باريس من قبل السلطات الانكليزية واكتفوا بحضور سورما خانم إلى مجلس اللوردات البريطاني وما كانت المطاليب التي جلبتها سورما خانم إلى الكونفرانس إلا مطاليب متواضعة فلم تذكر فيها شيئاً عن تأسيس دولة آشور . (١٤)

لعبت السياسة البريطانية دورا هاما في حياة هذه اقومية المهاجرة التي لم يكن لها حول ولا قوة بعد ان فصلت عن قواعدها قسرا وقطعت الامل بالعودة الى ديارها حتى وقعت تحت مؤثرات ثلاثة :

١. العزلة والنفور .
٢. الادارة المستندة على المصلحة .
٣. الاسكان والعمل من اجل الحياة والعيش .

فأما باعث العزلة والنفور فكانت نتيجة لما بذره العثمانيون من الضغائن الدموية بين هذه الملة والعشائر الكردية والإيرانية في كل من تركيا وإيران والتي تسربت إلى العشائر العراقية بعض الشيء تحت ستار الطائفية والعنصرية والقومية الغربية وبتحريض من بعض اذناب العثمانيين والمتنفذين من الاقطاعيين العراقيين وبتوجيه حفنة من البريطانيين الاستعماريين ليحتكموا في مصيرهم وليجعلوا منهم آلة مسخرة بيدهم ، فكانت استفزازات محلية ذهب ضحيتها كثير من ابناء هذه القومية العزلاء ، التي لا تملك سلاحا ولا ارضا ولا مالا (١٥) .

اتخذ مجلس عصبة الأمم في ٢٤ كانون الأول ١٩٣٢ قرارًا يقضي بعدم قبول طلب الآثوريين المتعلق بحكم ذاتي إداري داخل العراق ، واستدعاء خبير أجنبي لمساعدة الحكومة على تنفيذ مشروعها لإسكان اثوريي العراق بأحوال مناسبة على قدر الإمكان في وحدات متجمعة على شرط أن لا تمس الحقوق الموجودة للسكان وقد شكلت الحكومة العراقية بتوجيه من بريطانيا لجنة لإسكان الآثوريين ، واستقدمت لهذا الغرض الخبير البريطاني الذي قام إثر وصوله إلى العراق في ٣١ مايس ١٩٣٣ بمقابلة Thomson الميجر ثومسن المار شمعون في مقر كورنواليس مستشار وزارة الداخلية ليعلمه بأنه باستثناء كونه موظفًا في مركز المستشار لا يملك سلطة رسمية لتنفيذ الأمور (١٦)، وبسبب المواقف المتشددة التي اتخذها المار شمعون ازدادت العلاقات سوءًا بينه وبين الحكومة العراقية في نهاية شباط ١٩٣٣ وأصبح الوضع العام مهيأ للصدام مع الآثوريين بعد أن تمكن الإنكليز من توفير المناخ الملائم لذلك ، فرعايتهم للمار شمعون وأتباعه خلقت حاجزًا بينهم وبين بقية سكان العراق ، مما ساعد على أن يكون الصدام المسلح وشيكًا ، ويبدوان الإنكليز كان يهمهم أن يكون مركز العراق ضعيفًا غداة حصوله على "الاستقلال" لكي يستخدموا ذلك حجة ضد أية حكومة تحاول إحداث تغييرات في المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٣٠ ، كما أنهم بتشجيعهم الآثوريين على الصدام مع الحكومة العراقية لم يكونوا راغبين في إعطائهم الحكم الذاتي الاقليمي، ولا حتى إسكانهم في مجموعة واحدة، لأنهم خشوا أن يكونوا مثالا تحتذي به الاقليات الخاضعة لهم، وقد حرص الإنكليز على أن تظل العلاقات بين عناصر السكان المختلفة في العراق قائمة على الكره والعداء مما يفقده استقراره وصلابة جبهته الداخلية، لذا قربوا الآثوريين إليهم ، كما

ضغطوا على الحكومة العراقية لنقل الفريق بكر صدقي من الموصل إلى مكان آخر بحجة أن وجوده يشكل خطرًا عليهم. وليجعل الإنكليز أنظار العراقيين تتجه دومًا لطلب المساعدة منهم حاولوا زعزعة ثقة العراق بنفسه وبقدرته على مواجهة الاضطرابات فزعم الكولونيل ستافورد المفتش الإداري البريطاني في الموصل ان الجيش العراقي غير قادر على قتال الآثوريين وأنهم سيحصلون على مساندة الأكراد ، ونصحت السفارة البريطانية في بغداد عددًا من المسؤولين العراقيين بعدم استخدام القوة ضدهم[١٧].

ثانياً : موقف الحكومة من الحركة الأثورية :

تطور هذا الامر إلى اشتباكات بين الجيش وقوة من الآثوريين المسلحين للفترة من (٥ اب – ١٦ اب ١٩٣٣) ، فما كان من الحكومة العراقية إلا ان أخذت الامر على محمل الجد وضربب بيد من حديد المتمردين وقضت على تمردهم وعلى حركتهم نهائيا بع ان اذعن المتمردون وسلموا انفسهم للسلطات، تمكنت الحكومة من القضاء على التمرد الاثوري وشرعت بمساعدة العوائل التي نكبت بفقد معيلها من جراء هذا التمرد ، لكن الحكومة جابهت معارضة داخل المجلس عندما عرضت المعارضة (لائحة قانون اضافة مبالغ إلى الميزانية العامة لسنة ١٩٣٣ في جلسة المجلس المنعقدة في ٢ كانون الثاني ١٩٣٤ ، والتي طلبت فيها إضافة مبلغ مقداره (٧٠٠٠) دينارا لمساعدة المنكوبين من جراء هذا التمرد الاثوري [١٨].

أما على المستوى العراقي فقد أرست السلطات الحاكمة مبادئها وقيمها السياسية والعسكرية في أسلوب معالجة المشاكل الوطنية وفي كيفية التعامل مع التطلعات المشروعة للتنوّع القومي والديني في العراق وهي القيم والمبادئ نفسها التي طغت على منهج السياسة العراقية في تعاملها مع الأقليات عبر ستة عقود حكمت مسار تطور تاريخ العراق السياسي ، فلقد نجحت في إيجاد الحلقة الأضعف واستغلتها خير استغلال وجعلها الهدف الأمثل لتحقيق أهداف النخبة الحاكمة في تأطير الاستقلال بصورة بطولية ووطنية تثير حماس واندفاع الشعب نحوحكومة الدولة الفتية، والمغزى المراد استخلاصه من الحدث لا يكمن في الأهمية التاريخية للمذابح باعتبارها نتاجا أوحاصل تحصيل الحركة الآشورية التي اعتبرت أوّل حركة سياسية اجتماعية نادت بأهدافها بعد أشهر قلائل من استقلال العراق واكتسابه لعضوية عصبة الأمم فحسب ، بل يكمن هذا المغزى أيضا في [١٩] :

١. الاستعداد الحكومي والشعبي ، فكريا وسياسيا، والتخطيط المنّظم المسبق لارتكاب المذبحة والهالة الدونكيشوتية التي أحيط بها مرتكبيها .
٢. دراماتيكية الحدث نفسه والنتائج التي أعقبتها ليس على الآشوريين فحسب ، بل على بقية المجموعات القومية الدينية . فالاستعداد المسبق للحدث تتبع نواياه من ترسبات تاريخية تمتد جذورها إلى عقود الحملات العثمانية التأديبية تجاه الآشوريين فمعظم أعضاء النخبة الحاكمة التي عالجت الحركة الآشورية بأسلوبه العسكري الفاشي كانوا من المؤسسة العسكرية العثمانية.

ثالثاً : موقف نواب الأقليات منها :

تقدم مجموعة من نواب المجلس النيابي ومنم من الاقليات غير المسلمة نائب الموصل (سليم حسون) ، اقتراح عقد جلسة سرية حول تقديم الحكومة ايضاحا إلى المجلس حول هذه المألة وذيولها. رد رئيس الوزراء (جميل المدفعي) في وزارته الاولى (٩ تشرين الثاني ١٩٣٣– ١٩ شباط ١٩٣٤) بأن

المسألة ليست خافية على النواب ولا على الشعب فالتقارير نشرت والجرائد كتبت وعليه لا يرى لزوما لعقد جلسة سرية ، مما دفع نواب المجلس النيابي الذين قدموا الاقتراح المذكور سابقا ومنهم نائب الموصل (سليم حسون) المطالبة بالتصويت على (اقتراح عقد جلسة سرية) لأجل معرفة هل ان الحكومة العراقية قد اعطت تعهدات إلى جهات معينة حول هذه المسألة ليطلع المجلس عليها ولكن المجلس رفض اقتراح عقد جلسة سرية [٢٠] .

خصصت وزارة جميل المدفعي الثانية (٢١شباط ١٩٣٤ – ٢٦ اب ١٩٣٤) مبلغا قدره (٦٠٠٠) دينار ، للمنكوبين ، اعترض مجموعة من نواب المجلس وبينوا بأنه لا يوجد مبرر لهذا الصرف لأنه يكلف الخزينة مبالغ طائلة والبلاد بأمس الحاجة اليه ، وبهذا الصدد طالب نائب البصرة (روبين بطاط) بوضع حد لهذا الصرف لان ليس من المصلحة الاستمرار عليه وأن العديد من الالوية بأمس الحاجة لهذه المبالغ لتحسين وضعها ، فأجاب رئيس الوزراء (جميل المدفعي) بأن العراق لم يصرف هذه الاموال من باب الشفقة بل من باب الاضطرار رفعت حكومة ياسين الهاشمي الثانية (١٧ آذار ١٩٣٥– ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦) لاحة (قانون الميزانية العامة لسنة ١٩٣٥) بعد ان خصصت لها مبالغ لذلك قدرت بـ (٦٧،٩٩٢) دينار كنفقات لتسفير الآثوريين وتبنت الوزارة نفسها مهمة ترحيل الآثوريين الا ان الاطاحة بها من قبل الجيش اجل مهمة الرحيل حيث انتهت نهائيا بأنتهاء السنة المالية لعام (١٩٣٨) .

يظهر لنا جليا مما تقدم ذكره ان نواب الاقليات غير المسلمة اثناء مناقشتهم في مجلس النواب كانوا حريصين اشد الحرص على وجدة العراق ، الدليل على ذلك يتجسد بموقفهم تجاه قضية الاثوريين ، حيث اظهروا بالغ الاسف لهذه الحادثة مطالبين بمحاسبة القائمين بها ، واتخاذ العقوبات الصارمة بحقهم ، كونهم تسببوا في اراقة الدماء البريئة ، وظهر ذلك ايضا عندما اتخذت عصبة الامم في حينها قرار في ١٤ كانون الاول ١٩٣٢ ، بإسكان الاثوريين في وحدات سكنية مجتمعة ، شريطة ان لا تمس بحقوق السكان الآخرين من المناطق المجاورة وبعد رفض المار شمعون ذلك القرار مما ادى الى تطور الامر وتفاقم الاحداث عبر حدوث اشتباكات بين الجيش وقوة من الآثوريين ، مما دفع الحكومة إلى ضربهم بقسوة والتمكن من القضاء عليهم، اما موقف نواب الأقليات ، فقد كان موقفا ثابتا من هذه الحادثة ، ولاسيما بعد تقديمهم اقتراحا بعقد جلسة سرية تقدم خلاله الحكومة ايضاحا حول تلك الاحداث ، والتصويت على اقتراح عقد جلسة سرية وعندما حاول الحكومة تعويض المنكوبين اظهر هولاء النواب معارضتهم بحجة ان هذا التعويض يكلف خزينة الدولة اموالا طائلة وبهذا الموقف الواضح والجريء اثبت نواب الاقليات وطنيتهم وعراقيتهم ، وكونهم جزء مهم في بنية المجتمع العراقي يتفاعل مع احداثه بعيدا عن الهوى والميول العراقية [٢١] .

رابعاً : نتائجها :

تركت أحداث الآثوريين أثرها على موقف الحكومة البريطانية ، فكان القائم بالأعمال البريطاني فوربس في غاية الغضب بعد حادثة سميل وقد أكد ان هذه الواقعة سيترتب عليها نتائج مؤثرة على العراق وأشار إلى احتمال إعادة الانتداب على ولاية الموصل، كما ادعى المفتش العام للجيش العراقي اللواء روان روبنسون بان قائد المنطقة الشمالية اللواء بكر صدقي يعد مسؤولاً عن هذه الأحداث ودعا إلى

مثوله أمام المحكمة العسكرية إلا ان الحكومة ، كما استغلت الصحافة البريطانية ذلك الحادث وعدت العراقية رفضت هذا الإدعاء إجراءات الحكومة العراقية قاسية ومناهضة للتعهد الذي أخذه العراق على نفسه تجاه الاقليات [٢٢]، وفي محاولة لإنقاذ سمعتهم اتخذ الإنكليز عدد من المحاولات لمساندة الآثوريين فقد صرحوا في عصبة الأمم بأنهم نظموا في ٢٠ آب ١٩٣٣ معسكراً للاجئين وقد بلغ عدد الوافدين إليه منذ ٢١ آب وحتى ١٠ أيلول ١٩٣٣ أكثر من ٢٠٠٠ شخص كما عين الميجر تومسن في ١٨ آب ١٩٣٣ رئيساً للجنة إغاثة الآثوريين وقد رصد مبلغ أولي مقداره ١٠٠٠ دينار عراقي وضع تحت تصرفه من الحكومة العراقية وفي لندن أبدت الأوساط الحاكمة – على حد تعبير بارمتي – "قلقاً حقيقياً" على الآثوريين محاولة بذلك رفع مسؤولية الحوادث التي جرت للاثوريين عن كاهلهم ، فأسس في إنكلترا مكتب لجمع التبرعات للاثوريين المهاجرين إلى سوريا واختير أسقف كانتبري رئيساً له [٢٣].

كان فشل حركة الآثوريين اندحاراً كبيراً للنفوذ البريطاني في العراق وقد استغل الهاشمي هذا الانتصار فأقصى عدداً من الموظفين البريطانيين من بعض المناصب الحساسة وحدد صلاحيات أعضاء البعثة البريطانية المشرفة على تدريب الجيش العراقي وقلص نفوذها وجعل وظيفتها "استشارية" لا تتعدى الأمور الفنية لقد حملت المصادر الاثورية الأوساط الحاكمة في العراق مسؤولية الأحداث المذكورة وقد كانت تصرفات المسؤولين العراقيين – بحسب زعم بارمتي – مسؤولة فيما وقع من حوادث على الآثوريين "أما الحكومة العراقية فقد عدت السياسة البريطانية مسؤولة عن الصعوبة والريبة وعدم الهدوء "عن تلك الأحداث بسبب تسليحها للاثوريين وإعدادهم بوصفهم قوة موازية للجيش العراقي ، ان لم تكن متفوقة عليه ويبدوان حركة الآثوريين دبرتها دوائر الاستخبارات البريطانية لكي تنهي محاولات الحكومة العراقية المحتملة للتوصل إلى تعديل معاهدة ١٩٣٠ [٢٤] .

الخاتمة

تناول البحث الحركة الآثورية في العراق والتطورات التي مرت بها المسألة الآثورية في العراق ، وخصائصهم الإجتماعية والأقتصادية والسياسية والدينية، واسباب هجرتهم الى العراق وموقف الحكومة والنواب والأقليات منها، وموقف بريطانيا وكيف انتهت الحركة، وكيف اراد البريطانيين استغلال الحركة وصنع جيش لهم في العراق وباءت مخططاتهم بالفشل، وشكلت علاقة بريطانيا بالاقليات في العراق ومنهم الآثوريون اهمية كبيرة في السياسة البريطانية، لاسيما خلال حقبة الانتداب البريطاني على العراق فكانت تلك الاقليات ورقة ضغط تمارسها بريطانيا على الحكومات العراقية المتعاقبة لاخضاعها لسياساتها المرسومة في العراق، وأن حركة مار شمعون مثلت تهديدا خطيرا مقصودا لسلطة بغداد والعرب لا يمكنهم ان يسمحوا بثورة ناجحة في الشمال ولهذا لم يكن بوسع بريطانيا مساندة الأقليات ضد الحكومة المركزية.

الهوامش

[١] عمار يوسف عبد الله ، بريطانيا والآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٣، مجلة التربية والعلم ،كلية التربية \ جامعة كركوك ، المجلد ١٤ ، العدد ١، لسنة ٢٠٠٧، ص ، ٥٨ .

[٢] وفاء هادي حبيب الخفاجي ، ممثلوا الاقليات غير المسلمة في مجلس النواب العراقي تقييم لدورهم السياسي والتشريعي (١٩٢٥-١٩٥٨) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة القادسية – كلية التربية – قسم التاريخ ، ٢٠١٣، ص،٦٩.

[٣] وفاء هادي حبيب الخفاجي ، ممثلوا الاقليات غير المسلمة في مجلس النواب العراقي تقييم لدورهم السياسي والتشريعي (١٩٢٥-١٩٥٨) ، مصدر سابق ، ص، ٧٤.

[٤] عدنان زيان فرحان ، السياسة البريطانية تجاه الأقليات الدينية في العراق (١٩١٤-١٩٤١)،اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث ، جامعة دهوك ، كلية الآداب _ قسم التاريخ ، ٢٠٠٩، ص،٨.

[٥] عدنان زيان فرحان ، السياسة البريطانية تجاه الأقليات الدينية في العراق (١٩١٤-١٩٤١)، مصدر سابق ، ص، ٩.

[٦] ياسين خالد سردشتي ، صفحات من تاريخ اثوريي كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى ، الطبعة الاولى ، مطبعة خه بات ، دهوك ، ١٩٩٩ ، ص،٤٩.

[٧] عمار يوسف عبد الله ، بريطانيا والآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٣، مصدر سابق ، ص،٥٩.

[٨] عمار يوسف عبد الله ، بريطانيا والآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٣، مصدر سابق ، ص،٥٨.

[٩] رياض رشيد ناجي الحيدري ، الآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٦، مصدر سابق وص، ٤٣.

[١٠] عمار يوسف عبد الله ، بريطانيا والآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٣،مصدر سابق ص ،٥٩.

[١١] ضياء الشكرجي ، العلمانية والدين والاحزاب الاسلامية في العراق والشرق الاوسط ، https://m.ahewar.org/s.asp .

[١٢] ضياء الشكرجي ، العلمانية والدين والاحزاب الاسلامية في العراق والشرق الاوسط ،مصدر سابق ، https://m.ahewar.org/s.asp

[١٣] https://www.marefa.org6

[١٤] د . بطرس تشابا ، حقيقة يوم الشهيد الآشوري ، ٢٠١٢ ، https://aztagarabic.com/archives/5922 .

[١٥] جرجيس جبرائيل هومي ، القوميات العراقية ، من اتحاد الادباء العراقيين ، ١٩٩٥، ص،٤٨-٤٩ .

[١٦] عمار يوسف عبد الله ، بريطانيا والآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٣، مصدر سابق ، ص، ٦٦.

[١٧] عمار يوسف عبد الله ، بريطانيا والآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٣، مصدر سابق ، ص،٦٧.

[١٨] وفاء هادي حبيب الخفاجي ، ممثلوا الاقليات غير المسلمة في مجلس النواب العراقي تقييم لدورهم السياسي والتشريعي (١٩٢٥-١٩٥٨) ، مصدر سابق ، ص، ٧٢.

[١٩] د . بطرس تشابا ، حقيقة يوم الشهيد الآشوري ، ٢٠١٢ ، مصدر سابق ، https://aztagarabic.com/archives/5922 .

[٢٠] وفاء هادي حبيب الخفاجي ، ممثلوا الاقليات غير المسلمة في مجلس النواب العراقي تقييم لدورهم السياسي والتشريعي (١٩٢٥-١٩٥٨) ، مصدر سابق ، ص،٧٤.

[٢١] وفاء هادي حبيب الخفاجي ، ممثلوا الاقليات غير المسلمة في مجلس النواب العراقي تقييم لدورهم السياسي والتشريعي (١٩٢٥-١٩٥٨) ، مصدر سابق ، ص، ٧٤.

[٢٢] فاضل حسين ، تاريخ العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٨٦.

[٢٣] عمار يوسف عبد الله ، بريطانيا والآثوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٣، مصدر سابق ، ص، ٧١.

[٢٤] حازم المفتي ، العراق بين عهدين ياسين الهاشمي وبكر صدقي ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص،٩٦.

مسيحيو العراق ودورهم السياسي في العراق خلال العهد الجمهوري ١٩٥٨- ١٩٦٨

Iraqi Christians and their political role in Iraq during The Republican Era 1958-1968

الباحثة ليلى حمزة جساب
طالبة دراسات عليا/جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

ا.د عباس فرحان ظاهر
كلية جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The Christian minority in Iraq is the second largest religion in terms of number after Islam. Christianity is a recognized religion according to the Iraqi constitution. It recognizes fourteen Christian denominations in Iraq that are allowed to worship. Its people are divided into several sects, and a percentage of them speak. Its emergence in Iraq dates back to the first century AD. Christianity also spread in Mosul, Baghdad, Basra, Erbil, and Kirkuk. As for the political situation, Christians have their own personal status law, and Syriac is an official language in the areas where they form a majority in northern Iraq.

الملخص

تُشكل الاقلية المسيحية في العراق ثاني أكبر الديانات فيها من حيث العدد بعد الإسلام، وتعد المسيحية ديانة مُعترَف بها حسب الدستور العراقي حيث أنه يعترف بأربعة عشر طائفة مسيحية في العراق مسموح التعبد بها. يتوزع أبناؤها على عدة طوائف دينية ويتحدث نسبة منهم اللغة العربية ويرجع تاريخ ظهورها في العراق الى القرن الأول الميلادي كما انتشرت المسيحية في الموصل وبغداد والبصرة واربيل وكركوك ، اما بالنسبة للوضع السياسي لدى المسيحيين فلهم قانون أحوال شخصية خاص بهم، وتعتبر السريانية لغة رسمية في المناطق التي يشكلون فيها أغلبية في شمال العراق .

كلمات مفتاحية: (النصرانية، الكنيسة، البطريرك، العهد الجمهوري، الأديرة)

المبحث الأول- أوضاع المسيحيين في العراق حتى عام ١٩٥٨

أولاً – نبذة عن المسيحية في العراق:

النصرانية لغة:

أصلها من الفعل نصر ينصر نسبة الى النصرة، وقيل إنها نسبة إلى الناصرة الفلسطينية، وهي قرية المسيح عيسى عليه السلام، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعها نصارى.

النصرانية اصطلاحاً:

تطلق على الذين يتبعون ديانة المسيح عيسى الله ، وكتابهم التوراة والإنجيل. وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وقد ذكر اسمهم في سورة البقرة ثماني مرات، وفي سورة

المائدة خمس مرات، ومرة واحدة في سورتي التوبة والحج. وأطلق عليهم أيضا أهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح الله، ويسمون ديانتهم المسيحية [١] .

تاريخ النصرانية في العراق:

يعود اصل الديانة المسيحية في العراق ربما الى سنه ٧٠ ميلادية اي بعد سقوط مملكة اورشليم على يد طيطس كما اشار عدد من الباحثين ان بدايات هذه الديانة في العراق كانت بعد ثلاثة عقود من غياب (عيسى المسيح (ع)) اضافة الى الراي القائل بان حدياب (اربيل حالياً) قد تنصرت وانتشرت فيها الديانة النصرانية منذ عام ٥٩ميلادية ويتضح لنا من خلال الراي الاخير ان المسيحية او النصرانية انتشرت في بلاد الرافدين بسبب حركه تبشيرية هادئة[٢] .

ان الديانة النصرانية في العراق انتشرت في غضون القرن الاول الميلادي حينما كان العراق تابعاً لسيطرة الدوله الفارسية حيث سمي النصارى ب(السريان)وذلك لكي يتميزوا عن الوثنيين كما ان هذه الديانة بدأت في سوريا او (سورايا) باللغة الارامية والتي تعني النصراني ، كما اطلق على جميع الاقوام المسيحية في العراق تسمية السريان اذ انها اصبحت مرادفه لكلمه مسيحي وقد انقسم ولاء النصارى الديني في العراق عام ٤٣١ ميلادية بين الكنيستين الكنيسة (السريانية النسطورية) وهم اتباع نسطوريوس(والكنيسة السريانية اليعقوبية) وهم اتباع يعقوب البراوعي [٣] .

ويمكن القول ان الديانة النصرانية او المسيحية مرت بعدة ادوار او مراحل تعرضت خلالها لاضطهاد اليهود وضاع الانجيل الحقيقي مما ادى الى التخبط في عقائدهم وقد تمثلت المرحلة الاولى بعهد النبي عيسى (ع) حيث كانت النصرانية هي دين الله الحق لانه نبي منزل وصاحب الرساله والعقيدة الصحيحة التي يجب ان يكون عليها اتباع المسيح وانتهت هذه المرحلة بعد ان رفع الله تعالى عيسى علية السلام وقد واجة النصارى بعد ذلك اضطهاد اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى (ع) واخذوا يطاردون النصارى ويقتلوهم حيث بدأت هنا المرحلة الثانية عندما تحمل النصارى اضطهاد اليهود واخذوا ينشرون المسيحية والتي دامت لنصف قرن تقريبا كما شهدت هذه الفترة ظهور بولس والتي مثلت حجر الاساس حيث اصبح النصارى يسمون بالمسيحيين الا ان بولس لم يكن يؤمن بالتثليث ولا بألوهية المسيح(ع) اذ انه قام بالإضافة والتبديل على الدين المسيحي [٤] .

ومع بداية النصف الثاني من القرن الاول الميلادي بدأت المرحلة الثالثة التي سميت بعصر كتابة الاناجيل والتي يرى البعض بانها اجتهادات شخصية لا علاقة لها بالسيد المسيح(ع) بل يرون بان قسم منها هو دس اليهود وقد استمرت هذه المرحلة قرابة ثلاثة قرون وتميزت تلك الفترة بالتخبط والتفرقة في الاراء فضلاً عن التأثر بالطقوس والاراء والفلسفات الوثنية اضافة الى عباده المسيح الانسان ويمكن القول ان هذه الفترة انتهت بعهد المجاميع الذي يمثل المرحلة الرابعة والتي كانت بدايتها في التجمع المسيحيين(النصراني) الذي عقده ملك الرومان في نيقيا(قسطنطين) [٥] .

وقد قرر خلال هذا التجمع او المؤتمر اصحاب البدع من النصارى التوجه نحو النصرانية الضالة والتي كانت انذاك خليط من الديانات الوثنية الهندية والوثنية الرومانية السائدة انذاك وفرق اليهود الضاله وبقايا النصارى الظالين حيث ترسخت لدى هذه المجاميع فكره التثليث(اي ان الله ثالث ثلاثة) [٦] Kومن

الجدير بالذكر ان مراحل نشأت النصرانيه قد تأثرت ببولس(شاوول) وهو في الاصل يهودي الا انه اعتنق المسيحيه بعد ان رفع المسيح(ع) حيث تمكن من تغيير اتجاهها وبدا يسير بها نحو فكره التثليث ولابد من الاشاره الى انه كان عدوا للمسيحيين وكان يضطهدهم بصوره مستمره

ثانياً – التوزيع الجغرافي للمسيحيين:

أن التوزيع الجغرافي للمسيح في العراق يأخذ شكلاً مبعثراً، ولا تشكل أماكن تركز هم إقليما حضرياً متميزاً عما يجاوره، بل هناك تجمعات سكانية مسيحية.ومن هذه التجمعات هي:

أ.تجمع المسيحيين في شمال العراق:

وتعد منطقة سهل نينوى شمال العراق منطقة تمركز الوجود المسيحي في العراق وهي تتألف أقضية هي **الحمدانية والشيخان وتلكيف، وبعد سهل نينوى الموطن التاريخي المسيحيي العراق** ،كذلك هناك امتداد لهذا التجمع في محافظة دهوك ويمتد ليشمل وسط محافظة اربيل والسليمانية، ويبدو للعوامل الجغرافية دور في هذا التوزيع، إذ لموقع الجوار الجغرافي مع شرق تركيا وشمال إيران وجنوب أرمينيا دور في وجودهم فضلاً عن وعورة المنطقة التي تتخذها المكونات حصناً طبيعيا لها عند الضرورة ناهيك عن توفر الظروف الملائمة للزراعة لاسيما المطر، مما شجع المسيح على الزراعة في هذه المنطقة..

ب. تجمع المسيح في المدن الرئيسة

إذ يوجد أكبر تجمع في مدينة بغداد، وخاصة منطقة الكرادة والمأمون ومركز قضاء الرصافة ثم المنصور والكرخ والاعظمية والكاظمية والبتاويين والدورة وبغداد الجديدة والغدير والسيدية وشارع فلسطين وغيرها. أما في البصرة فيكثر المسيح حيث كانت تصل نسبتهم إلى السكان في مركز قضاء البصرة إلى ٤،١٪ كونها المركز الحضري الثاني في العراق بعد بغداد، وحرية مزاولة الحرف الحضرية من قبل المسيح، فضلاً عن كونها ميناء العراق الأول، أما التجمع الحضري الثالث للمسيح فهو مدينة الموصل، وترتفع نسبتهم فيها إلى ٧،٥% في مركز قضاء الموصل، كون هذه المنطقة قريبة من التجمع الرئيسي للمسيح في شمال العراق ويتواجد المسيح ايضاً في كركوك والحلة وبعقوبة والعمارة، إضافة إلى **تجمعهم في المناطق التي أقيمت فيها منشات عسكرية للبريطانيين كالحبانية والشعيبة بالبصرة، ومعسكر الهنيدي الرشيد** [٧] .

ثالثاً – الطوائف المسيحية في العراق

يتوزّع مسيحيو العراق على عدة كنائس تنتمي إلى عدة طوائف تتبع طقوساً مختلفة. وأغلب المسيحيين في العراق هم من أتباع الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، حيث يتوزع المسيحيون في العراق على الطوائف التالية :

١.طائفة الكلدان: وهم أكبر الطوائف المسيحية عدداً في العراق ، اعتنقت المذهب الكاثوليكي

٢ـ الطائفة الاشورية او الاثورية: وهم اقدم الشعوب في العالم ويرجع تاريخهم لالاف السنين فهم ينتسبون الى مجموعة الشعوب السامية وتعتبر من الطوائف المسيحيه في العراق ويمكن تصنيفهم الى طائفتين أالسريان الشرقيين ب السريان الغربيين

٣.السريان : هي احدئ الطوائف المسيحيه في العراق وتعد السريانية اقل عددا من الكلدان والاشوريين وينقسمون الى طائفتين :الطائفة السريانية الأرثوذكسية الطائفة السريانية الكاثوليكية

٤.الارمن: وينقسم الارمن في العراق الى قسمين أ. ارمن بغداد ب . الارمن المهاجرون وينقسمون هؤلاء ايضا الى طائفتين: الطائفة الارمنية الارثوذكسية والطائفة الارمنية الكاثوليكية

٥ـ البروستانت:وهي اقل الطوائف المسيحية نسبة في العراق ويشكلون ثلاث طوائف في العراق أ- الانجيلية ب .الاثورية ج . السبتيين

٦.الروم الكاثوليك: والروم الارثوذكس

٧.طائفة الأقباط الأرثوذكس وهم من الجالية المصرية في العراق (٨)

رابعاً – الكتب الدينية للمسيحيين:

يعتبر الكتاب المقدس لدى النصرانية او المسيحيه هو مصدر التشريع والذي يقسم الى قسمين الاول العهد القديم (التوراه) الذي نزل على موسى والعهد الجديد هو(الانجيل) الذي نزل على عيسى ع والذي يتكون من (٢٧سفراً) والتي تقسم ايضاً الى اربعة اقسام وهي :

الاناجيل الاربعة : أن هذه الاناجيل ليس كتاباً انزل على المسيح (ع)[٩] ، بل انه اخبار واقوال واحداث ترتبط بالمسيح(ع) من حيث اعمالة وحياتة وتعاليمة ومعجزاتة هذه راي المسيحيين في الانجيل اما المسلمين فيرون بانه كتاباً منزلاً من الله تعالى على عيسى ابن مريم (ع) اما الانجيل في العهد الجديد فيقسم الى اربع كتب هي :

- **انجيل القديس متى :** والذي يوجد رأيين حول سنه كتابته يقول الاول انه بحوالي ٤٥م اما الثاني في ٦٠م وعدد اصحاحة ٢٨ مكونة من١٠٧١ فقره
- **انجيل القديس مرقس :** كتب حوالي ١٦م وعدد اصحاحه ٢٤ مكونة من ٦٧١ فقرة
- **انجيل القديس لوقا :** والذي كتب في حوالي ٦٣م وعدد اصحاحة ٢٤ مكونة من ١١٥٣ فقره
- **انجيل القديس يوحنا :** والذي كتب في حوالي ٩٨م وعدد اصحاحه ٢١ مكونه من ٨٧٦ فقره[١٠] .

وهناك كتابات مسيحية مقدسة أبرزها:

- **اعمال الرسل :** التي تنسب الى القديس لوقا وتعتبر كتاب تاريخي يعنى بسرد الاحداث التي جرت بعد رفع المسيح ويتكون هذا الكتاب من جزئين الاول عن احوال تلاميذ المسيح وحياة الحواريين ، اما الجزء الثاني فيتكلم عن بولس رسول المسيحية ورحلاته التبشيرية
- **رسائل القديس بولس والرسائل الجامعة :** والتي كتبها خلال رحلاته التبشيرية وعددها ١٤ رسالة ارسلها الى الكنائس التي قام بتاسيسها خلال رحلاته ما بين ٥٠ _ ٦٠ ميلادي وتتكون من ١١٠٦ اصحاح ، اما الرسائل الجامعة تتمثل في(رسالة ليعقوب واثنان لبطرس وثلاثة ليوحنا) وقد كتبت بحدود ٦٠ – ٦٥ ميلادي والتي تحتوي على معلومات كثيرة بخصوص المجتمعات المسيحية الاولى ومعتقداتها المختلفة

- **رؤيا يوحنا (اللاهوتي) :** واسماه المسيحيين او النصارى السفر النبوي والذي يدعى انه يحتوي على رؤية منامية للقديس يوحنا وفيه نبوءات بحسب الفكر المسيحي كما ان هذا الكتاب ليس له اهمية تاريخية [١١] .

خامساً – الطقوس والشعائر الدينيه عند المسيحيين:

١. العبادات الدينية:

الصلاة:– ولدى المسيحيين سبع صلاوات في اليوم والليلة والصلوات هي صلاه البكوره وصلاه الساعه الثالثه والسادسة والتاسعة والالحادية عشره والثانية عشره وصلاة منتصف الليل وليس لها اسلوب محدد او شروط أنها عبارة عن ادعية مختاره في الغالب من الادعية المنسوبة الى داوود(ع) ولايتشرط في صلاتهم الوضوء او الطهارة الجسدية(اي أنها تجوز في كل الحالات)وان الصلاة عند المسيحيين لها شرطين هما ان تقدم الصلاة باسم المسيح وان يتقدم صلاتهم الايمان بعقيده التثليث او الثالوث[١٢] .

الصوم :– الصيام عند المسيحيين غير محدد او ثابت اذ انهم يصومون عند حاجاتهم لذلك حيث يرون ان كل صيام محدد هو بدعة غير مشروعة والصيام عندهم يعني الامتناع عن الطعام والشراب حتى منتصف النهار ثم تناول طعام خالي من الدسم اما انواع الصيام عندهم هي الصوم الكبير (الاربعيني) والصوم الصغير مدته ٢٥ يوما من ٢٥.١ كانون الاول قبل عيد الميلاد من كل عام وصوم السيدة العذراء وصوم الرسل وهو عيد الرسولين مار بطرس وبولس وصوم نينوى ومدته ثلاث ايام تبدا الاثنين الثلاثاء الاربعاء[١٣] .

الحج :– ان الحج عند المسيحيين يعني زيارة الاماكن المقدسة في فلسطين وهي الاماكن التي شرفها السيد المسيح (ع) بولادته وموتة وقيامة في الناصره والقدس وبيت لحم وغيرها من الاماكن ويمكن القول ان ذلك بدعه حيث لا يوجد نص في الانجيل بحسب المؤرخين يحث على اي نوع من الزيارات الى اماكن مقدسة بل انه المسيح يوصي تلاميذه بان لا تقام مزارات او صروح باسمه [١٤] .

٢ . الطقوس الدينية:

أ – التعميد

ويعد التعميد من الطقوس التي تتفق عليها كل الفرق المسيحية ولا بد من الإشارة الى انه كان موجودا قبل المسيحيين لدى اليهود حيث كان يوحنا المعمدان يعمد الناس في نهر الاردن كما انه هو الذي عمد المسيح(ع)ولم يتفق على وقت محدد لهذا الطقس (الشعيرة) فالبعض يعمد الشخص منذ طفولته والبعض الاخر يقول ان ذلك يتم في اي وقت من حياته وبعضهم يعمد من هو على فراش الموت باعتبار ذلك ازاله للسيئات وتطهير من الذنوب ويتم ذلك برش الماء على الجبهة او غمس اي جزء من جسم الانسان في الماء وان ذلك لابد من ان يقوم به احد الكهنة الذي يعمد الشخص ثلاث مرات باسم الاب والابن و روح القدس [١٥] .

ب – العشاء الرباني:

والذي يعد احد العادات التي اخذت عن الاديان السابقة ويقصد منها عشاء عيسى الاخير مع تلاميذه حيث انه اقتسم معهم الخبز والنبيذ اذ ان الخبز يرمز الى جسد المسيح الذي صلب لنجاه البشرية

كما يرمز النبيذ الى دمه الذي سفك لنفس الغرض ويقومون خلال هذه الشعيره باستعمال القليل من الخبز مع القليل من الخمر لأحياء تلك الذكرى حيث يعدوه طعام روحيا للمسيحيين [١٦] .

ج – تقديس الصليب وحمله:

وتمثل احدى الطقوس عند المسيحيين حيث يعني حمل الصليب عندهم الاستهانة بالحياة والاستعداد الى الموت اقتداءاً بالمسيح(ع) عن طريق الصلب على خشبة وقد اصبحت شعيرة تقديس الصليب اداة تذكر المسيحيين بالتضحية التي قام بها عيسى (ع) من اجل البشرية ، ويتضح لنا وجود علاقه بين النظم الروحانية القديمة التي جعلت آنذاك حمل الصليب دليلا على صدور الحكم على شخص ما بالاعدام صلبا وبين قضية تقديس الصليب لدى المسيحيين الامر الذي يبين تاثير الديانة المسيحية بتلك النظم[١٧] .

سادساً – اوضاع المسيحيين في العهد العثماني:

ان الدولة العثمانية منذ احتلالها للعراق وتثبيت سيطرتها عليه استندت في سياساتها على مبدا التسامح الديني مع الاديان الاخرى غير الاسلام او من يسمون اهل الكتاب ، اذ ان المسيحيين تمتعوا في ظل الحكم العثماني بحقوقهم الثقافية فضلاً عن تحسن احوالهم الاقتصادية والسياسية فانهم حصلوا على مناصب ادارية وسياسية على درجة عالية من المسؤولية مما اسماه المؤرخ هولت(تعايشاً متكافلاً مسالماً) كما ان المسيحيين تمكنوا خلال الحكم العثماني من الاحتفاظ بكل هياكلهم و طقوسهم ومؤسساتهم الدينيه فضلاًعن اعطاءهم الحق في الرجوع الى بطاركتهم في الامور التي تتعلق بالاحوال الشخصية كما كان لهم الحق اقامة الكنائس والمدارس والمؤسسات الخيرية الخاصة بهم حيث اكدت الدولة العثمانية على تلك الحريات من خلال مرسومها الاصلاحي عام ١٨٣٩ خط شريف كولخانة[١٨].

ويبدو ان مراسيم الدولة وقوانينها كانت عاملا ساعد في التقدم الثقافي والفكري للمسيحيين في العراق، حيث استفاد هؤلاء من التعليم الطائفي الذي اتخذ شكله المتميز بعد مرسوم گلخانة المشار إليه، وقبل أن تقوم الدولة العثمانية يفتح وتأسيس المدارس في ولايات العراق بربع قرن، ذلك أن هذه الوعود التي تحقق بعض منها زادت من ترابط الجماعات المسيحية بسبب تنظيم شؤون البطريركيات والمجالس الروحانية التي اضطلعت بمهمة تأسيس المدارس لأبنائها، ولعل مما ساعد في دفع عملية التعليم إلى الأمام لدى مسيحيي العراق انتشار المدارس التي بدأت الإرساليات التبشرية الغربية بتأسيسها في ولايتي الموصل وبغداد [١٩]، وبصدد ذلك يقول الرحالة نيبور بعد زيارته الى العراق وتحديدً الموصل عام١٧٦٦" وحالت نصارى الموصل افضل بكثير من النصارى بقيه بلدان الامبراطورية العثمانية فانهم يعيشون سعداء وعلى وئام تام مع المسلمين ولهم الحق في ان يلبسوا كما يلبس المسلمين ، والكثير منهم يعمل في خدمة الباشا حتى ان حرم كهياسي (اي رئيس طباخي زوجة الباشا) كان نصراني كما كان ابوه يشغل هذه الوظيفة لمدة طويلة عند والد الباشا" [٢٠]، كما جاءت الدولة بنظام الملل في عهد السلطان محمد الثاني١٤٥١ –١٤٨١ والذي اعطى المسيحيين حرية واستقلال اكثر مما سبق حيث اصبحوا يتمكنون من تيسير شؤونهم بنفسهم الامر الذي فتح امامهم افاقا لتوطيد علاقاتهم بالدول الاوروبية[٢١]، كل تلك الامور ساعدت المسيحيين على الحصول على مناصب قيادية في الدولة العثمانية مثل منصب الوزير الذي يعد

اعلى منصب يصله اصحاب الذمم في الدولة العثمانية والذي شغلة حوالي ٢٢ مسيحي فضلاً عن منصب الريس افندي وهو مسؤول عن السياسة الخارجية للدولة مثل الكسندر مافروكيراتو فضلاً عن مناصب اخرى مثل ترجمة والاستشاره وغيرها[٢٢].

واستطاعت شخصيات مسيحية أن تتولى مناصب ذات أهمية، فكان إلياس الحلبي الكاثوليكي صرافا الوالي الموصل الحاج حسين باشا الحليلي، وكان زكريا الضالع موظفا هاما لدى الوالي نفسه، ووصف بأنه (مسموع الكلمة عند الباشا). وعرف بطرس بن إلياس جبران البغدادي بالطمعجي، لأنه (كان من كبار الموظفين في الدائرة التي كانت تعرف بالطمعة) وهي من إدارات الضرائب الرئيسة في ولاية الموصل، وتقلد بدروس كور كي منصب رئيس الفرالين، ويوسف كفورك رئيس الصيارفة وستراك بوغصيان مركز المفتش العام للبنك العثماني[٢٣]، وبشكل عام، عاش مسيحيو العراق في ظل نظام من التساهل يزيد على ما كانت عليه أوضاع أقرانهم في ولايات ومناطق أخرى من الدولة العثمانية، وقد عد أحد السواح الأوروبيين (ولاية بغداد الولاية العثمانية الوحيدة التي يصاب فيها المسيحيون واليهود أيضا بأقل أذى) . ونتيجة لذلك فتحت أبواب الحياة الاقتصادية والتجارية والاجتماعية أمام الكثير من المسيحيين، حيث ظهرت أسماء لعائلات مسيحية كانت لها إسهاماتها المباشرة في المجتمع العراقي، وهذا ما جعل المسيحيين، على وصف الرحالة صمويل أيفرز سنة ١٧٧٩، يستحوذون على التجارة في العراق. وتظهر بعض المصادر أن معظم التجار المسيحيين في العراق كانوا من أرمن إسطنبول المهاجرين، وقد ارتكزت ثروتهم على تجارة الأحجار الكريمة والشال مع إيران والهند.

سابعاً – اوضاع المسيحيين في العهد الملكي:

بعد اندحار العثمانيين في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨)، وتفكك إمبراطوريتهم العتيدة، ولد العراق الحديث وحكومة وطنية رأسها الملك الهاشمي فيصل الأول ابن الحسين في ٢٣ آب/أغسطس ١٩٢١ أن الملك ذا الميول القومية حاول جهده السير بسفينة ومع الدولة العراقية إلى شاطئ الاستقرار والوحدة [٢٤]، وإن قيام الحكم الوطني في العراق قد دفع إلى خروج المسيحيين من عزلتهم المناطقية إلى كل محافظات العراق، ودون تحفظ في العيش مع المسلمين. كما لم تكن للمسيحيين أي نوازع سياسية بانفصال أو حكم ذاتي يعبر عن خصوصياتهم الدينية أو الثقافية، عدا حادثة أو مذبحة الأثوريين أو الآشوريين التي حصلت في تموز ١٩٣٣، والتي أحجم غالبية المسيحيين عن تأييدها وطيلة العهد الملكي استجاب مسيحيو العراق لكل قوانين البلاد، وساهموا مع إخوانهم المسلمين في نهضة البلاد وتقدمها، ولم يتوان أبناؤهم عن أداء الخدمة العسكرية ودفع الضرائب والمشاركة في المهمات الوطنية التي تلقى على عاتقهم. ورغم أن غالبية المسيحيين لم يشتركوا في تمرد الآثوريين عام ١٩٣٣، ولم يدعموه فإن ذلك التمرد قد ولد حالة نفسية وسلوكية دفعت بعضا منهم للانكماش والتوجس من المشاركة السياسية، وكثيرا ما باتوا يتبنون مواقف حيادية من الأحداث السياسية والاجتماعية التي حصلت في العراق [٢٥] .

وبشكل عام، ورغم أن الأجواء النفسية والسياسية التي خلقتها مشكلة الأثوريين التي دفعت بعض المسيحيين إلى الانكماش، فإن نسبة كبيرة منهم آثرت الاستمرار في سياسة التعايش والانغماس في ميدان العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع العراقي ولهذا شهدت الفترة اللاحقة مشاركة سياسية

واسعة للمسيحيين تمثلت بانضواء شخصيات هامة في الأحزاب العراقية [٢٦] ، وأنخرط المسيحيين في الحياة السياسية الجديدة خدمة لوطنهم وشعبهم، فبرزت مجموعة من رجالات مسيحيين عملوا يدا بيد مع إخوانهم العرب المسلمين في كافة المجالات السياسية والتجارية والثقافية والاجتماعية وعندما حاول عدد من السياسيين العراقيين تأليف أحزاب سياسية تعبر عن إرادة الشعب، وبعد إصدار وزارة الداخلية قانون الجمعيات في تموز ١٩٢٢ والذي تشكل بموجبه عدد من الأحزاب السياسية والجمعيات العلنية، كان دور رجال السياسة المسيحيين نشطاً خلال مواقفهم السياسية الواضحة، والمشاركة الفعالة في تأليفها، والانتماء اليها، وقد انضم المسيحيون الى مجموعة من الاحزاب السياسية ومن أبرز تلك الاحزاب هو الحزب الحر العراقي والحزب الشيوعي وحزب الامه وحزب الاستقلال العراقي [٢٧]، حيث لعب نواب الأقلية المسيحية دورًا كبيرًا في مجلس النواب العراقي خلال العهد الملكي من خلال تمثيلهم في لجان مجلس النواب، وإقرارهم عدد كبير من اللوائح القانونية التي أصبحت فيما بعد قوانين أساسية في الدستور العراقي والتي ساعدت على بناء وتطور العراق في مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية؛ مما أدى ذلك على انفتاح العراق على مختلف الدول العالمية هذا من جانب ومن جانب آخر استمر نواب الأقلية المسيحية في تمريرهم للقوانين منذ اليوم الأول من الدورة الانتخابية الأولى التي بدأت في ١٦ تموز ١٩٢٥م وحتى اليوم الأخير من الدورة السادسة عشرة التي انتهت في ٩ حزيران ١٩٥٨م بسبب اسقاط النظام الملكي وقيام النظام الجمهوري مما أدى ذلك إلى إلغاء مجلس النواب العراقي أي ان نواب الأقلية المسيحية استمروا في العمل داخل قبعة البرلمان العراقي ٣٣ عاماً وعشرة اشهر وخمس وعشرين يوماً من مجموع الحياة البرلمانية خلال العهد الملكي البالغة ٣٣ عاماً. وأن من مثل الأقلية المسيحية خلال هذه الفترة الزمنية اثنان وعشرين نائباً عملوا جميعهم على خدمة ابناء الشعب العراقي بكل مكوناته، علماً أن بعض من النواب انتخب لدورات عديدة متقطعة أو متسلسلة، والبعض الآخر انتخب لمرة واحدة ويجري انتخاب هؤلاء من ثلاثة ألوية . هي بغداد البصرة، والموصل[٢٨]، علماً أن نواب المسيحيين كان لهم ثقلهم السياسي داخل المجلس حيث تولى نوابهم مراكز مرموقة وحساسة ومهمة في الدولة العراقية منهم من أصبح نائب رئيس للجنة الإدارة والسياسة، وبعضهم مقرر اللجنة المالية، والبعض الآخر كان عضواً في لجنان معينة. وعندما ينحل مجلس النواب ويشكل مجلس آخر فأن نواب الأقلية المسيحية تعطى لهم مراكزهم المرموقة دون أن تسلب حقوقهم بمجرد تبديل ذلك المجلس هذاما يدل على ان للنواب المسيحين ذو إمكانيات اقتصادية وتجارية، وتعمل الحكومة العراقية على الاستفادة من هذه الامكانيات[٢٩] .

مارس المسيحيون أنشطة اقتصادية متعددة، إذ زاولوا مهنة التجارة وبمختلف المواد من حديد وأخشاب وسيارات ومكائن ،وغيرها، كما كان بعضهم يمتلكون الأراضي الخاصة ويزرعونها، وكان بعضهم فلاحين عملوا في أرض الغير ولا سيما المناطق الشمالية، واحترفوا بعض الصناعات المحلية، وأسس أصحاب رؤوس الأموال منهم شركات صناعية، وقد مارسوا تجارة الاستيراد والتصدير في مختلف مدن العراق ووسعوا نشاطهم التجاري الى نطاق التجارة الدولية، كما أن استيطان المسيحيين في المناطق الريفية فرض عليهم إمتهان حرفة الزراعة، حيث كان غالبيتهم يمتهنون هذه الحرفة، وخاصة في محافظتي

نينوى، وأربيل، يميل المزارعون المسيحيون لزراعة اشجار الفواكه وخاصة الكروم والزيتون، وفي القرى القريبة من المدن الكبيرة يمتهنون زراعة الخضروات، الا أن القمح يشكل المحصول الرئيسي الذي يزرعونه، وايضا كان لمسيحيى العراق أثر بارز في الجانب الثقافي خلال العهد الملكي ، إذ أهتموا بالتعليم اهتماماً كبيراً، وعملوا على نشر الثقافة وأسسوا المدارس لمكافحة الجهل والأمية،وكانت المدارس الابتدائية الحكومية تقبل التلاميذ كافة الذين أكملوا السادسة من عمرهم ولم يتجاوزوا الرابعة عشر بدون تفريق بين العناصر والأديان والتعليم فيها مجاني والزامي كما أسس المسيحيون عدداً من المدارس الأهلية، ففي الموصل أسست كل طائفة مدرسة خاصة بها، ومن أبرز تلك المدارس هي مدرسة الكلدان الأهلية التي تأسست في مدينة الموصل عام ١٩١٤، ومدرسة السريان التي تأسست عام ١٩١٤ ، ومدرسة اليعاقبة التي تأسست في العام نفسه، ولم تقتصر المدارس المسيحية على المدن فقط، وإنما كانت تنتشر في القرى والمدن.

المبحث الثاني- المسيحيون ودورهم السياسي في العهد الجمهوري١٩٥٨ـ ١٩٦٨

أولاً – موقف المسيحيون من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨:

بعد سقوط النظام الملكي في العراق ١٤ تموز/ ١٩٥٨، وقيام النظام الجمهوري بزعامة عبد الكريم قاسم، انقسم المسيحيون بين مؤيد للتغيير الجديد ومعارض له، لا سيما من تلك الطبقات المسيحية المتنفذة سياسيا واقتصاديا وإداريا التي وجدت في تغيير النظام الملكي انهيارا لامتيازاتها ونفوذها. ومع ذلك شكل انحياز عبد الكريم قاسم الحقوق الفقراء، وقيامه بالإصلاحات التي رفعت من مستوى الطبقات الكادحة عامل جذب لكثير من المسيحيين الفقراء للانخراط في الحركات السياسية الثورية، ولا سيما الحزب الشيوعي، حيث أصبحوا مقاومة شعبية، وكان لهم دورهم المؤثر في بعض الأحداث الهامة التي حصلت في الساحة العراقية [٣٠]، فاندفع المسيحيون بعد قيام ثورة تموز مع أبناء الشعب العراقي عامة ويتعقبون أثر الجيش العراقي من أجل الوصول إلى أهدافهم من الحرية ويضعون حداً فاصلاً بين الأم واضطهاد وظلم الماضي البعيد والقريب وبين أمال تمخضت في افكارهم في الحاضر ومن أجل مستقبل تزدهر فيه حياتهم وحياة الأجيال من بعدهم طالما كانوا يتحسسون بمعنى الحياة الحرة الكريمة [٣١] .

وقد تميزت الاعوام العشرة الأولى من الحكم الجمهوري بعدم الاستقرار السياسي جراء تحكم المؤسسة العسكرية بالسلطة السياسية مباشرة، ورافقت كل هذه التغيرات تطورات دستورية وسياسية مهمة أثرت بشكل كبير في نطاق تطبيق الحقوق السياسية وممارستها خلال هذه المدة، ففي صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ تم القضاء على النظام الملكي الذي حكم العراق منذ سنة ١٩٢١، عن طريق الجيش ومجموعة من الضباط الأحرار، إلا أنها (أي الثورة)، قد حصلت منذ ساعاتها الأولى على تأييد شعبي واسع وقوبلت بترحيب كبير من الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب العراقي عرباً وكرداً وباقي أطيافه الدينية والإثنية وأعلن البيان الأول للثورة الصادر في تموز (١٩٥٨) عن تشكيل مجلس غرف بـ (مجلس سيادة) [٣٢] ، كما أعلن البيان المذكور عن تشكيل حكومة برئاسة الزعيم عبد الكريم قاسم[٣٣] .

بعد قيام ثورة ١٤ تموز ، صدر الدستور الجديد للبلاد، والتي نصت المادة التاسعة منه على: (أن جميع المواطنين سواسية أمام القانون في الحقوق والواجبات العامة، ولا يجوز التمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة) [٣٤].

وقد حرص المسيحيون على الوحدة الوطنية وعملوا ما استطاعوا إليه سبيلاً من جهد لدعمها وتثبيتها، وقد عاشوا مع المواطنين الآخرين على أفضل وجه مشاركين إياهم الحياة سراءها وضراءها، وتبرز هذه الروح متجسدة في العلاقات الاسلامية المسيحية حيث تعقد بين حين وآخر ندوات ولقاءات وطنية يشترك فيها جميع المواطنين بروح واحدة حتى في الشؤون السياسية ، وعلى الرغم من من كل التطورات التي شهدها العراق بعد قيام الحكم الجمهوري، ظل المسيحيون محافظين على كيانهم متشبثين بوطنيتهم ، وسارت أمورهم بصورة طبيعية وعلى وتيرة واحدة دون أية متغيرات تذكر عما كانت عليه قبل قيام الثورة [٣٥] .

سعت ثورة ١٤ تموز الى تحقيق مهامها على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي ظلت طيلة العهد الملكي تخضع لنظام شبه أقطاعي، وتبعية توزعت بين الاستعمار والعائلة المالكة والحكومات المتعاقبة، وتكوين دولة قوية تضم كافة فئات الشعب العراقي دون تمييز طائفي أو عرقي [٣٦].

كما برز عددا من المسيحيين على المسرح السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وأظهروا كفاءة عالية من الحرص على النهوض فساهموا في حركة اليقظة العربية، كما عرف المسيحيون بوطنيتهم الخالصة والصادقة على مذ التاريخ، ولهذا كان ثقلهم التاريخي والحضاري ومكانتهم الواسعة والعالية في العراق الحديث والمعاصر ووجودهم الحي واجب عبر مؤسساتهم الدينية والاجتماعية بأديرتهم وكنائسهم ومدارسهم وخاصة في الموصل وفي بغداد وفي البصرة، وقد امتازت الفترة التي أعقبت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ظهور شخصيات مسيحية سياسية وثقافية أدت دوراً في تاريخ العراق الحديث والمعاصر [٣٧]

ثانياً – الشخصيات السياسية المسيحية ١٩٥٨-١٩٦٨:

كان الدور السياسي للمسيحيين محدود جداً، لأن المسيحى ليس لديه توجه سياسي، والظاهرة السياسية حديثة بالنسبة للمسيحيين، فضلاً عن كونهم أقلية، وأن انضمام بعض الشخصيات المسيحية للأحزاب السياسية خلال المُدَة (١٩٥٨-١٩٦٨)، هو عمل فردي وليس جماعي، ولم يكن هناك تدخل من المرجعية فيما يتعلق بإنضمامهم للحياة السياسية، وإنما يكون انتماء الشخص على أساس قدرته، كما يتم اختياره من قبل الحكومة على أساس كفاءته ومن أبرز ملامح هذه المرحلة المهمة من مراحل تكوين العراق الحديث هو ظهور رجال مسيحيين عملوا معاً مع العرب المسلمين في كافة المجالات السياسية، والتجارية والثقافية، والاجتماعية ، وكانت لهم مواقف وطنية متميزة ومن أبرز هذه الشخصيات هي:

- يوسف نمرود رسام
- كامل قزانجي
- ايشاي مارشمعون
- داود الصائغ
- خدوري يعقوب خدوري

- نائل انطوان بولص سميحري
- داوود يعقوب سر
- نجيب الصائغ
- جرجيس فتح الله
- طارق عزيز

ثالثاً – دور المسيحيون في الاحزاب الاسياسية١٩٥٨-١٩٦٨:

على الرغم من حل الاحزاب السياسية في الفترة الأخيرة التي سبقت ثورة تموز فقد استمرت في ممارسة نشاطها سرا ، وتعاونت مع ضباط الجيش لكي تثبت حقها في الدفاع عن الحرية كما قال بعض زعماء تلك الاحزاب. اما حكومة الثورة التي كانت تعتبر نفسها في بادئ امرها حكومة موقته فانها لم تعترف رسميا بالاحزاب السياسية كما لم تفكر عليهم حقهم في العمل السياسي وبما أن الثورة كانت قد اعلنت الغاء الدستور القديم ، فان الاحزاب السياسية سعت لدى زعماء الثورة الى استعادة حقها الشرعي في العمل السياسي بحجة أن الدستور القديم الذي حلت بموجبه اصبح لاغيا [٣٨] .

ازدادت الضغوط الشعبية والحزبية المطالبة بأجازة الاحزاب السياسية، فأعلن عبد الكريم قاسم في خطابه بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لثورة ١٤ تموز ١٩٥٩ عن قرب انتهاء فترة الانتقال، وحدد يوم ٦ كانون الثاني ١٩٦٠ موعداً الصدور قانون الجمعيات الأجازة الاحزاب السياسية، بمناسبة عيد الجيش، وبالفعل اقرت الحكومة قانون الجمعيات رقم (١) لسنة ١٩٦٠" في الأول من كانون الثاني ١٩٦٠، بعد صدور قانون الجمعيات تقدمت اربعة احزاب سياسية في ٩ كانون الثاني ١٩٠٠ يطلب الترخيص لها، وهي: الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الديمقراطي الموحد لكردستان العراق وحزبان شيوعيان الاول بزعامة زكي خيري سعيد، والثاني بزعامة داود الصايغ. وقدم مجموعة من الاخوان المسلمين طلباً لأجازة حزب سياسي باسم الحزب الاسلامي العراقي"، وفي الوقت نفسه قدم طلب مماثل لتأسيس حزب التحرير الإسلامي، وقدم عبد الفتاح ابراهيم وجماعته في ١٢ شباط طلباً لأجازة حزب سياسي بأسم "الحزب الجمهوري". وبعد الانشقاق في صفوف الحزب الوطني الديمقراطي تقدم محمد حديد لتأسيس حزب سياسي بأسم "الحزب الوطني التقدمي". اما القوميون العرب فقد ادركوا منذ البداية عدم جدية الحكومة في احترام الحياة الحزبية[٣٩].

لم تكن هناك أحزاب ولا تنظيمات سياسية خاصة بالمسيحيين، بل انضموا إلى أحزاب، وخاصة الحزب الشيوعي، ويرجع سبب انضمامهم لهذا الحزب هو شموليته، لأن الفرد المسيحي كان يشعر بالغبن، ويعد نفسه مواطن من الدرجة الثانية، وكانت مبادئ الأحزاب الاشتراكية تتلائم مع أفكارهم، فقد كانوا يهتمون بالإنسان، بينما عند المسلمين الدين الدولة، وهذا يشعر الأقليات بنوع من الأقصاء، لذلك وجد المسيحيون في الشيوعية بديلاً لهم، ولم يكونوا يؤمنوا بها إيماناً مطلقاً بل اعتبروها وسيلة لتحقيق حقوقهم، وكذلك تحقيق المشروع الوطني المفصول عن الدين، ولم يكونوا يطمعوا بالسلطة، لذلك اتجه اغلبهم لممارسة مهنة الطب والمحاماة والتعليم وغيرها من المهن بعد صدور القانون المذكور، استجاب المسيحيون له، وقد اشتركوا في الحياة السياسية، وانخرطوا في بعض الأحزاب السياسية وأدوا دوراً فيها،

ومن أهم تلك الأحزاب [٤٠] .

- **الحزب الشيوعي العراقي**
- **الحزب الشيوعي العراقي (جماعة داوود الصائغ)**
- **الحزب الوطني الديمقراطي:** برئاسة كامل الجادرجي وكان المثقفون المسيحيون أبناء الأسر المتوسطة والميسورة يميلون الى الحزب الوطني الديمقراطي أكثر بكثير من جميع الأحزاب العلنية الأخرى، ، وكان من أبرز المسيحيين الذين انتموا للحزب خدوري يعقوب خدوري" الذي كان معروفاً في صفوف الوطنيين، إذ كان رأسمالياً معروفاً ، مشاركاً في أكثر من شركة قبل ثورة ١٤ تموز، وانتخب بعدها سكرتيراً لاتحاد الصناعات العراقية، وفضلاً عن خدوري كان الرأسمالي الصغير نائل سمحيري، من أبرز المسيحيين الذين انتموا للحزب الوطني الديمقراطي، فقد استهوته أفكار الوطنيين الديمقراطيين في وقت مبكر، فأصبح من أعضاء الهيئة المؤسسة للحزب سعى الأعضاء المسيحيون المنتمون للحزب الديمقراطي الى ايضاح شكل النظام السياسي على أن يكون برلمانياً وليس رئاسياً، كما طالبوا الحزب بإنهاء الاحكام العرفية والمحاكم الاستثنائية ورفع التقيدات عن النشاط السياسي والتنظيمي، واحترام الحريات الديمقراطية [٤١] .
- **الحزب الوطني التقدمي:** برئاسة محمد حديد حظي الحزب بتأييد الأوساط المسيحية، فقد رفع عدد من المعلمين والفلاحين المسيحيين في منطقة (برطلة)، التابعة للواء الموصل، برقية تهنئة الى جريدة البيان لمناسبة إجازة الحزب كان من الأعضاء المسيحيين الذين أدوا دوراً في الحزب خدوري، حيث شغل منصب سكرتير الهيئة المؤسسة للحزب الوطني التقدمي الديمقراطي، وانتخب أعضاء اللجنة الادارية المركزية للحزب، والتي فاز فيها عضوين مسيحيين وهما،خدوري وسميحري [٤٢] .

رابعاً – الوضع السياسي للمسيحيين ١٩٦٣-١٩٦٨:

كان في بداية الستينات، أي قبل اندلاع الصراع بين بغداد والاكراد حوالي ٥٠٠٠ كلداني يعيشون على أطراف زاخو، فالمنطقة الإدارية المسيحية كانت تشمل (٣٨) قرية مسيحية مع كنائسها ودور عبادتها، وكان المسيحيون يشكلون حوالي ٥٤/. من سكان مدينة زاخو، وبعد تدهور الأوضاع بين حكومة بغداد والأكراد لم يسلم مسيحيو كردستان من هذا الصراع، إذ دخلوا فيه رغماً عنهم، فالحياد كان صعباً عليهم، فالذين كانوا يعيشون في بغداد والمناطق الأخرى وقفوا إلى جانب الحكومة، والذين يتواجدون في المناطق الكردية التحقوا بالمقاومة الكردية [٤٣] .

تصاعدت معاناة المسيحيين السياسية والاجتماعية لا سيما منذ أواخر العام ١٩٦٠، أي مع إندلاع حركة التمرد الكردي وما صاحبها من عمليات حربية واعتداءات طالت المدنيين ومناطق سكناهم، ولأن نسبة كبيرة من المسيحيين يسكنون المناطق الكردية أو بمحاذاتها، فقد أصابتهم ويلات المعارك الدائرة بين الجيش العراقي وبين الأكراد وهو ما وضعهم في مواقف صعبة اضطرت نسبة منهم أما للنزوح من قراهم أو الالتحاق بالأكراد، في حين أضطر القسم الأكبر من مسيحيي سهل نينوى في قضاء عقرة وحرير وراوندوز وشقلاوة الى النزوح، فتفرقوا في بغداد والمدن الرئيسة الأخرى، ثُمَّ هاجر من تمكن منهم الى دول أجنبية ولا سيما الولايات المتحدة واستراليا وكندا. و بعد انتقال رئاسة الطائفة الكلدانية إلى بغداد

عام ١٩٦٠، دفع ذلك الانتقال إلى زيادة هجرة مسيحيوالموصل الى العاصمة، وقد قاموا بشراء الكثير من قطع الأراضي في مناطق مختلفة من بغداد، وشيدوا كنائس وأديرة الحديثة، وأصبحت تجمعاتهم في مناطق الشمال تتركز بالقرب من تلك الكنائس والأديرة [٤٤] .

وقد جاء وفد بابوي إلى العراق للاطلاع على أوضاع المسيحيين في نيسان/ أبريل ١٩٦٤ ، بعد انتهاء الأعمال القتالية في الشمال بين الحكومة والبارزاني. وتحدث رئيس الوفد البابوي عن ستة من الأساقفة ورؤساء المسيحيين كانوا على مشكلة مع الحكومة بسبب نشاطاتهم السياسية البارزاني مع ضد الحكومة، فكان هناك اثنان في السجن واثنان آخران في المنفى والباقون تحت الإقامة الجبرية، كما سببت الحرب هجرة عدد من العائلات المسيحية من الشمال وتوافق رأي السفير البريطاني والموفد البابوي على أن السبيل الوحيد لضمان الهدوء للمسيحيين امتناعهم عن النشاطات السياسية، لأن الحكومة العراقية لا تمارس في الأصل أي تمييز ضدهم وعلى الرغم من ذلك استمر وضع المسيحيين هادئا حتى نهاية حكم عبد الرحمن عارف ١٩٦٨ [٤٥] .

خامساً – النشاط الاقتصادي للمسيحيين:

أ – النشاط الزراعي:

أحترف مسيحيو العراق حرف مختلفة، فزاولوا الأعمال الحرة واشتغلوا نظير آبائهم الاشوريين والكلدانيين بفلاحة الأرض وتربية الحيوانات الداجنة، وبرعوا مثل أجدادهم الاراميين في التجارة، كما تمهروا في فنون الصياغة والحياكة والتجارة والحدادة [٤٦] .

كانت الزراعة ولا زالت أهم مهنة يزاولها أهل القرى الكلدانية شمال العراق، ومنها زراعة الحنطة والشعير والرز والسمسم والعدس والطماطة والخضروات، والكتان، والتبغ، وزراعة البساتين، والكروم بتنويع فواكهها وجودتها، وكان الفلاح يعتمد في عمله على عدد محدودة كالفدان الذي تجره الحيوانات والمسحاة والمنجل وبعض المكملات الأخرى ومن أجل زيادة الانتاج كان الفلاح يقحم أيدي عاملة جديدة ويضاعف من أعداد الحيوانات المستخدمة، وقد كان بعض أفراد الطائفة أصحاب قطعان الماشية والاغنام يقومون بتنقلات منتظمة في فصلي الصيف والشتاء الى المرتفعات والوديان والسهول، ففي فصل الصيف كانوا يتوجهون الى المرتفعات الجبلية في أقصى الشمال من أجل رعي أغنامهم وفي نهاية الخريف يتوجهون الى السهول الغنية بالعشب [٤٧] .

من الملاحظ ميل الفلاحون المسيحيون لزراعة محصول الحنطة وهي من أهم صادرات العراق آنذاك، إذ احتلت زراعتها أغلبية الأراضي المزروعة لديهم، لإعتماد مياه الأمطار في أروائها، كما استغلت المرتفعات الموجودة في المنطقة للزراعة وأهم أنواع الحنطة التي يزرعونها هي الخمرك والايطالية والكارونية بنوعيها البيضاء والحمراء، والقندهارية، والشقراء، ومثل هذه الأصناف تصلح لصنع الخبز. وفضلاً عن ذلك كانوا يزرعون العدس والحمص[٤٨] .

كان هناك مورد آخر يعتمد عليه أبناء القرى المسيحية الى جانب الزراعة، وهو تربية الماشية والأغنام للاستفادة من لحومها وحليبها، وساعدهم على ذلك سفوح الجبال الغنية بالمراعي الطبيعية، وكثرة ينابيع وعيون المياه فضلا عن بعض الانهار والجداول. هذه الظروف المناسبة أتاحت اقتناء ثروة حيوانية

مربحة، فصاحب القطعان الكبيرة من الماشية غالباً ما يكون له راعٍ يرعاها مقابل أجر محدد من المال، كما كان البعض يقوم بتربية وتسمين الاغنام للاستفادة منها تجارياً بعد أن يقوم بعلفها وتنظيفها لعدة أشهر حتى يزداد وزنها ومن ثم يقوم بتسويقها إلى مراكز المدن لغرض بيعها بأضعاف سعرها الأصلي .

ب – النشاط الصناعي: لقد زاول الكلدان نشاطات اقتصادية متعددة الى جانب الزراعة وتربية الحيوان في مجتمعاتهم التقليدية، مثل مهنة الحياكة والتجارة والحدادة والتجارة والصيد والطب الشعبي وصناعة الخمر بالاضافه الى عمل الراشي والبرغل والحبية، فكانت هذه المهن الوسيلة الوحيدة لدى البعض في كسب العيش اما اليوم فهناك ايضا الوظائف الحكومية والمعامل الاهلية، وتختلف اهمية كل مهنة من قرية الى اخرى، ففي القرى الكبيرة تتوفر كل تلك الطرق، اما القرى الصغيرة فمعظمها تعيش على الزراعة وبعض من هذه المهن الحياكة مثل حياكة الملابس الرجاليةوالنسائية وكان الحائك يقوم بانتاج الخيم واكياس خزن ونقل الحبوب والبسط الصوفية والمفروشات والحقائب وايضا امتهنو مهنة النجارة مثل كنجارة الابواب والشبابيك والتخوت والمقاعد وغيرها.

ج – التجارة: أعتمد العديد من أبناء القرى المسيحية في معيشتهم على التجارة المحلية والخارجية، وكانت التجارة المحلية تشتمل على بيع وشراء المواد المعيشية والبيئية والأدوات المهنية والزراعية ومواد البناء ومعدات المعامل الصغيرة الموجودة في القرى ،وغيرها ومعظم تلك المواد كانت تعد في القرية أو القرى المجاورة ومنها تشتري المدن المجاورة، أما التجارة الخارجية فكانت بالتبادل بين تجار القرى المسيحية وتجار الموصل أو أبناء العشائر الكردية الذين كانوا يجلبون الفواكه والحطب والفحم إلى القرى الكلدانية ويشترون بأثمانها الحبوب والسكر والزيت والملابس القطنية والصوفية [٤٩] .

عرف المسيحيين بعلاقاتهم التجارية مع الغرب ويعود ذلك إلى مجموعة من الأسباب منها: معرفتهم باللغة الانكليزية، وقد ارتكزت المصالح التجارية الغربية عليهم دون غيرهم من المسلمين، وقد انخرط المسيحيون في خدمة هذه المصالح وكلاء ومترجمين ومقاولين ووسطاء، لا سيما أن نسبة غير قليلة من التجارة في العراق خصوصاً في بغداد والموصل كان يتحكم بها الأرمن الذين يسيطرون على أغلب المعامل القليلة الموجودة هناك، وفي الوقت الذي رفعت تلك الحالة من الواقع المسيحي وأبرزت المسيحيين إلى ساحة العمل التجاري والاقتصادي في العراق فإنها دمرت في الوقت نفسه حياة الكثير من العوائل المسلمة، ومن بينها الحرفيون والتجار الذين عجزوا عن تطوير تقنيات إنتاج جديدة ومنافسة [٥٠] .

سادساً – التسلسل الهرمي للزعامات الدينية المسيحية:

أ – البطريك:– وهو رئيس الاساقفه وجمعها بطاركة وبطاريك ويعد البطريك رئيس الطائفة ويدعى ب صاحب القداسة وهو اب لكل المطاريه والاساقفة والكهنه والشعب وان يكون ذو مميزات في الشخص المرشح مثل مخافة الله وعادلا وفطنا ومصلى ومعلماً ....الخ

ب – المطران :– وهو رئيس الاساقفه ويسمى ايضا مطرا فوليط وهو رئيس الابرشية المطرانيه والذي يخلف البطريك بعد موته وان يتميز بصفات مثل ان يكون حاصلا على شهاده الدكتوراه في احد العلوم المقدسة وان يكون خبيرا بقوانين الكنيسة

ج – الاسقف :– هو رئيس الابرشية الإسقفية وحاكمها وحاكمها ويحكم مناطق ابرشيته فقط وهو تحت سلطه المطران (رئيس الاساقفه)

د – الكاهن :– وهي الدرجة الثانية في الترتيب الديني للكاهن والتي تنقسم بدورها الى مراتب (القس و الخور او اسقف.

هـ – الشماس :– وهو الشخص الذي يقوم بالخدمه المقدسه في الكنيسه وتنقسم هذه الدرجه الى ثلاث مراتب هي القارئ الرسائلي ، والانجيلي [٥١] .

سابعاً – النشاط الثقافي للمسيحيين:

لمع عدد كبير من المسيحيين العراقيين في تخصصات علمية مهمة داخل العراق وخارجه في **مجالات الكيمياء والفيزياء والذرة والطب والجراحة والأدوية**، كما برز من بين المسيحيين العراقيين رجال قانون أذكياء، **ومحامون** مبدعون وأغلهم يشهد لهم التاريخ بمواقفهم. الجريئة في المرافعات، وكسبهم للدعاوى والقضايا التي كانوا يدافعون عنها، ولمع في سماء العراق من الكتاب والأدباء المسيحيين العدد الكبير من الشخصيات البارزة في عالم الثقافة، **كما نشطت الحركة المسرحية بين المسيحيين العراقيين، فأبدع المسيحيون الذين درسوا في المدارس ذكوراً وإناثاً**، فمثلوا على المسارح تمثيليات قصيرة، ومسرحيات دينية واجتماعية، كما سطع في سماء العراق نجوم مسيحيون في الموسيقى كما **شجّع المسيحيين الرسم والتصوير** وخاصة **على جدران الكنائس** وصفحات المخطوطات، فبرع عدد كبير من المسيحيين العراقيين بهذين الفنيين، ولمع عدداً منهم في اللوحات الزيتية والمائية التي أرخت وقائع حياتية يومية وسجلت بالريشة كثيراً من العادات والتقاليد المسيحية والشعبية [٥٢] .

وأنشأت المدارس المسيحية في أول الأمر داخل الكنائس والأديرة، وكان يقتصر تدريسها على تعليم مبادئ القراءة والكتابة والدين، إلا أنها أدت دوراً كبيراً في نشر التعليم، ثم تطورت هذه المدارس لتنفصل عن الكنيسة شيئاً فشيئا ، وقد أولى المسيحيون أمور التعليم عناية كبيرة وانتشرت مدارسهم في مختلف أنحاء العراق التي قدمت خدماتها التعليمية إلى الطلاب في مختلف الأديان على حد سواء، وقد نصت المادة السادسة عشر من القانون الأساس لعام ١٩٢٥ على أن للطوائف المختلفة حق تأسيس المدارس لتعليم أفرادها بلغاتها الخاصة.

ثامناً – الكنائس والاديرة المسيحيه في العراق ١٩٥٨-١٩٦٨:

عندما شاعت المسيحية في العراق شيّد الأغنياء الكنائس والأديرة والقصور وقد تولى بناءها مهندسون مسيحيون بذلوا أقصى سعيهم في اتقان صناعتها وبقاياها إلى اليوم تشهد على أهميتها ، فكانت الكناس غالباً هياكل واسعة عالية القباب جامعة بين متانة البناء وحسن الشكل [٥٣] .

يوجد في العراق الكثير من الكنائس الأثرية سيما في المناطق الشمالية، ففي محافظة دهوك تلاحظ أن هناك الكثير من الكنائس والأديرة الأثرية التي وجدت منذ القرن الرابع للميلاد، إذ أن بعضها اندثرت معالمها وبعضها ما يزال شاخصاً وشامخاً بمتانة وبراعة هندستها المعمارية ويقبيها الجميلة، إذا أن معظمها بنيت من الحجر والكلس وهي تقع في المناطق الجبلية التي تمتاز بطبيعتها الحصينة والخلابة، وتمتاز مدينة بغداد بوجود القسم الأكبر من مراكز العبادة المسيحية، كما يوجد عدد كبير من

الكنائس والأديرة في الموصل ويعود ذلك الى تركز نسبة كبيرة من المسيحيين فيها ومن الظواهر السكانية السائدة في العراق وجود علاقة ارتباط موجبة بين انتشار المسيحيين والكنائس في المراكز الاستيطانية، فحيث يتركز المسيحيون تقوم الكنيسة وكلما ازداد عدد المسيحيين ازداد عدد الكنائس وهكذا يكتسب التوزيع المكاني للكنائس أهمية كبيرة باعتباره مؤشراً من مؤشرات التوزيع المكاني للمسيحيين في العراق، ويختلف الدير عن الكنيسة، فالكنيسة يتم تشييدها في المدن، أم الدير فيُشيد في القرى والأرياف [٥٤] .

كانت هناك مجموعة من الإجراءات التي أتبعتها أنظمة الحكم المتعاقبة بشأن تشييد المعابد للطوائف غير المسلمة في العراق منذ العهد العثماني واستمرت حتى بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وأبرز هذه الإجراءات هي

١_لا يتم تشييد أي معبد (كنيسة دير)، إلا بعد إبناء السلطات الإدارية رأيها.

٢_أن يكون محل بناء المعبد بعيدا عن أماكن عبادة المسلمين.

٣_أن يكون بناء المعبد في مكان غالبية سكانه من أفراد الطائفة المراد تشييد المعبد لها .

٤_ أن لا تكون الأرض المراد تشييد المعبد عليها محجوزة أو تابعة للدولة.

٥_ يجب أن تحصل موافقة وزارة الداخلية على تشييد المعبد، وذلك من خلال طلب يُقدمه من يمثل الطائفة إلى وزير الداخلية للموافقة عليه.

هوامش البحث

(١) حسين جلوب الساعدي ،الاقليات العراقية من العذاب الى التمكين ،ط١،العراق، مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجيه، ٢٠١٥، ص

(٢) رشيد الخيون ، الاديان والمذاهب بالعراق ، ط ٢، منشورات الجمل ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص١٦٣.

(٣) زيد عدنان ناجي ، اقليات العراق في العهد الملكي(دراسة في الدور السياسي والبرلماني) ، ط ١، دار الرافدين ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص٣١_٣٣.

(٤) سامي عبد الله المغلوث ، اطلس الاديان(تاريخ – عقائد – انتشار) ، ط ١، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٧ ، ص١

(٥) المصدر نفسه ، ص١٧٤_١٧٧.

(٦) ناصر بن عبدالله الغفاري وناصر بن عبد الكريم العقل ، الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة ،ب ، ط ، دار الصميعي ، الرياض ، ١٩٩٢ ، ص٦٩.٧١.

(٧) قاسم عبد علي عذيب ، تغير الخريطة الجغرافية للمكونات الدينيه في العرا ق(اليهود_الصابئة_المسيح_ الايزيديه) دراسة في الجغرافية السياسية،مجلة ميسان للدراسات الاكاديميه،عدد٣٢،٢٠١٧، المديرية العامة لتربية ميسان، ص١٩٠ .

(٨) احمد جلوب الساعدي، المصدر السابق ،ص١٨٤.١٨٥

(٩) سعود عبد العزيز الخلف،دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية،ط١،مكتبة اضواء السلف،الرياض،١٩٩٧،ص١٤٤.

(١٠) المصدر نفسه،ص١٥١.١٥٧.

(١١) محمد ضياء عبد الرحمن الاعظمي،دراسات في اليهودية والمسيحيه واديان الهند،ط٢،مكتبة الرشد،الرياض،٢٠٠٣،ص٣٩٠.٣٩٢.

(١٢) سعود بن عبد العزيز الخلف ،المصدر السابق ، ص٢٦٨.

(١٣) سامي بن عبدالله المغلوث ، المصدر السابق ، ص٢٨٨.

(١٤) المصدر نفسه ، ص٢٦٢.

([١٥]) احمد شلبي، مقارنة الاديان(المسيحيه)ط١٠، مكتبة النهضه المصرية ،القاهرة ،١٩٩٨،ص١٧٢.

([١٦]) احمد الشلبي ،المصدر السابق،ص١٧٣.

([١٧]) المصدر نفسه ، ص١٧١.١٧٢.

([١٨]) دهام محمد العزاوي ، مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق المستقبل ، ط ١، مركز الجزيرة للدراسات ، قطر ، ٢٠١٢ ص١٠٠- ١٠١.

([١٩]) كارستن نيبور ، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة : محمود حسين الامين ، ب . ط ، وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص١١٣.

([٢٠]) دهام محمد العزاوي، المصدر االسابق، ص١٠٢.

([٢١]) دهام محمد العزاوي،المصدر السابق،ص١٠٨.١١٠.

([٢٢]) عبد الحميد الارقط ، دور الاقليات الدينية في المجتمع العراقي خلال العهد العثماني ١٩١٥_١٩١٧، اطروحة دكتوراه(غير منشورة) جامعة الشهيد محمد لخضر ، الجزائر ، ٢٠٢٠، ص٢٠٧.

([٢٣]) المصدر نفسه ،ص٢٣٢.٢٣٣.

([٢٤])دهام محمد العزاوي، المصدر السابق ، ص١٢٧.

([٢٥]) المصدر نفسه،ص١٢٨.١٣٦.

([٢٦])المصدر نفسه،ص١٣١.

([٢٧]) بهاء حسين شاكر الشباني،مسيحيو العراق١٩٥٨.١٩٦٨،رسالة ماجستير،جامعة القادسية،كلية التربية،٢٠١٧،ص٤٤

([٢٨]) زيد عدنان ناجي، المصدر السابق،ص٣٣٢.

([٢٩])المصدر نفسه ، ص٣٣٢.

([٣٠]) دهام محمد العزاوي،المصدر السابق، ص١٣٦.

([٣١]) جرجيس جبرائيل دهومي،القوميات العراقية ماضيها وحاضرها واثرها الفعال في ثورة ١٤ تموز،مطبعةالارشاد،بغداد:١٩٥٩،ص١٠٢.

([٣٢]) بهاء حسين شاكر الشباني،المصدر السابق،ص٥٩.

([٣٣]) جمال مصطفى مردان،عبد الكريم قاسم البداية والسقوط،المكتبة الشرقيه،ص١٣.٢٠.

([٣٤]) بهاء حسين الشباني،المصدر السابق، ص٦٠.

([٣٥]) رفائيل بابو اسحاق،تاريخ نصارى العراق(١٠٠٠.٢٠٠٦) ترجمة يوحنا ابراهيم،مكتبة قدمس للنشروالتوزيع،بيروت:٢٠٠٨،ص١٦٤.١٦٥.

([٣٦]) بهاء حسين الشباني ، المصدر السابق، ص٦٠.

([٣٧])رافائيل بابو اسحاق،المصدر السابق،ص١٦٧.

([٣٨]) مجيد خدوري ،العراق الجمهوري،انتشارات الشريف الرضي مطبعه امير. قم،ص١٨٨.

([٣٩]) جعفر عباس حميدي،تاريخ العراق المعاصر،١٩١٤.١٩٦٨،مكتبة عدنان،بغداد ٢٠١٥ص٢٧٢.٢٧٤.

([٤٠]) بهاء حسين شاكر الشيباني ، المصدر السابق، ص٧٥.

([٤١]) المصدر نفسه ، ص٧٦.٨٤.

([٤٢]) المصدر نفسه،ص٨٥.٨٧.

([٤٣]) حسين جلوب الساعدي ،المصدر السابق،ص١٩١.١٩٢.

([٤٤]) بهاء حسين شاكر السيباني، المصدر السابق، ص٩٣.٩٦.

([٤٥]) عمارعلي السمر، شمال العراق ١٩٥٨.١٩٧٥،دراسة سياسية / المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ،ط١ بيروت:٢٠١٢، ص٣٣٥.

([٤٦]) رافائيل بابو اسحاق، المصدر السابق، ص٧

([٤٧]) عصام ابراهيم محمد،طائفة الكلدان في العراق، دراسة انثروبولوجية، رسالة ماجستير– جامعة بغداد– كلية الآداب، ٢٠٠٧، ص١١٤.

([٤٨]) بهاء حسين شاكرالشباني، المصدر السابق،ص١١٤.

([٤٩]) عصام ابراهيم محمد ، المصدر السابق، ص١١٨.١٢١.

([٥٠]) بهاء حسين شاكر الشيباني ، المصدر السابق، ص١٢٧.

([٥١]) عصام ابراهيم محمد ،المصدر السابق، ص٧١.٧٧.

([٥٢]) بهاء حسين شاكر الشيباني ، المصدر السابق، ص١٦٢.١٧٩.

([٥٣]) بابو إسحاق، المصدر السابق، ص ٢٢.

([٥٤]) بهاء حسين شاكر الشيباني،المصدر السابق، ص١٩٥_١٩٦.

الهجرة من الريف الى المدينة في العراق (١٩٦٣ – ١٩٧٩م)
دراسة تاريخية

Migration from the countryside to the city in Iraq (1963-1979)
a historical study

م.د عباس محمد جميل
مديرية تربية محافظة نينوى

أ.د.عباس فرحان ظاهر
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The issue of migration from the countryside to the city in Iraq between the years 1963-1979 is considered one of the important and vital topics in the field of historical study that has attracted the attention of researchers and specialists as it is one of the social phenomena that underlie various factors and causes that directly and indirectly affected the daily life It directly and indirectly affected the daily life of the peasants, which were suffering from real problems, so the republican governments tried to put in place successful solutions to exacerbate them due to factors that expel and attract them.

The most prominent of its measures was the issuance of the Agrarian Reform Law, but despite all of that, Iraq witnessed in the sixties and seventies a phenomenon of increasing migration from the countryside to the cities, as the villegers began to move towards the main cities, where the economic and social services that they desperately needed are available.

In order to shed light on migration, its causes, areas of occurrence, and knowledge of its results, the research was divided into three main axes. The first topic dealt with the phenomenon of migration between 1963-1979. The second topic focused on the causes of migration. The third topic dealt with its results and its various effects on the countryside and the city.

الخلاصة

يعد موضوع الهجرة من الريف الى المدينة في العراق بين عامي ١٩٦٣ –١٩٧٩ من الموضوعات الحيوية في حقل الدراسة التاريخية التي حظيت باهتمام الباحثين والمختصين كونها من الظواهر الاجتماعية التي تكمن ورائها عوامل مختلفة اثرت بشكل مباشر وغير مباشر على الحياة اليومية للطبقة الفلاحية التي عانت من مشاكل حقيقة، لذلك حاولت الحكومات الجمهورية وضع الحلول الناجحة لها لتفاقمها بفعل عوامل طاردة وجاذبة لها. وكان ابرز اجراءاتها اصدارها قانون الاصلاح الزراعي، لكن رغم ذلك كله شهد العراق في فترة الستينات والسبعينات ظاهرة ازدياد الهجرة من الريف الى المدن حيث بدأ سكان الريف بالتوجه صوب المدن الرئيسة التي تتوفر فيها خدمات اقتصادية واجتماعية هم بحاجة ماسة لها، وبهدف تسليط الضوء على الهجرة واسبابها ومناطق حصولها ومعرفة نتائجها قسم البحث على ثلاثة محاور رئيسية تناول المبحث الاول ظاهرة الهجرة بين عامي ١٩٦٣–١٩٧٩، وركز المبحث الثاني على اسباب الهجرة، وتطرق المبحث الثالث الى نتائجها واثارها المختلفة على الريف والمدينة.

كلمات مفتاحية: (الاصلاح الزراعي، الهجرة، الريف، العوائد النفطية، المدن)

المقدمة:

يُعدّ موضوع الهجرة من الريف الى المدينة أحد اهم المواضيع التي شهدها العراق في الفترة ما بين(١٩٦٣-١٩٧٩)، إذ تعرض العراق طيلة هذه الفترة الى موجة من الهجرة الداخلية، على الرغم من الاجراءات التي قامت بها الحكومة العراقية لاجل حل هذه المشكلة وكان ابرز اجراءاتها المتخذة هو اصدارها قانون الاصلاح الزراعي، لكن رغم ذلك كله شهد العراق في فترة الستينات والسبعينات ظاهرة ازدياد الهجرة من الريف الى المدن حيث بدأ سكان الريف بالتوجه صوب المدن الرئيسية، حيث تتوفر الخدمات الاقتصادية والاجتماعية التي هم بحاجة ماسة لها، وتركت هذه الهجرة اثاراً واضحة على كلا المنطقتين الطاردة والجاذبة.

أن الاسباب الموجبة لاختيار هذه الموضوع جاءت لكونه أحد المواضيع المهمة التي كان لها تأثير كبير على حياة المجتمع، فضلاً عن كونه من المواضيع الحيوية التي ترتبط بجميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، اضافة الى ان فترة البحث لم تدرس بشكل دقيق من قبل الباحثين الذين تطرقوا لهذا الموضوع.

قسم البحث الى ثلاثة محاور رئيسية وخاتمة، تناول المحور الاول (الهجرة من الريف الى المدينة في العراق ١٩٦٣-١٩٧٩)، حيث ركز الباحث على الهجرة التي سبقت موضوع الدراسة، ثم الهجرة في الفترة الزمنية التي تناولتها الدراسة، واهم المناطق المهاجر اليها وعدد المهاجرين، اما المحور الثاني (اسباب الهجرة من الريف الى المدينة) فقد كُرس لدراسة ابرز الاسباب والدوافع التي ادت الى حدوث الهجرة الداخلية، في حين ركز المحور الثالث على (نتائج واثار الهجرة من الريف الى المدينة) واهم ماتتركه الهجرة من اثار اجتماعية واقتصادية وثقافية بالنسبة لكلا المنطقتين الجاذبة والطاردة.

اعتمد البحث على مصادر عدة اهمها كتاب المؤلف سهيل صبحي سلمان (التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨) تضمن معلومات مهمة عن الهجرة من الريف الى المدن تطرق فيها الى اسبابها وابرز نتائجها واثارها مما اغنى البحث في محاوره الثلاث.

اما كتاب المؤلف عبد الرزاق الهلالي (الهجرة من الريف الى المدن في العراق) فهو الاخر افاد الدراسة كثيرا حيث تناول الهجرة واسبابها ونتائجها. كما اعتمد البحث على الرسائل والاطاريح الجامعية والتي من اهمها اطروحة غصون مزهر حسين (التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٨) والتي تناولت الهجرة ونتائجها بشيء من الايجاز، كذلك رسالة رياض ابراهيم السعدي (الهجرة الداخلية للسكان في العراق ١٩٤٧-١٩٦٥) والتي تناولت بالتحليل والنقاش الهجرة الداخلية واسبابها واثارها على المجتمع.

أما فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهت الباحث فهي كثيرة كان من أبرزها ندرة المصادر التي تتناول الفترة الزمنية التي يتناولها البحث، وكذلك ضيق الوقت، فلم يسع الباحث للحصول على المزيد من المصادر، لكن الحمدلله تم اجتياز هذه الصعوبات وتم انجاز البحث بعون الله.

واخيرا احمد الله عزوجل على توفيقه وهو المستعان، وامل ان اكون قد وفقت في تقديم دراسة تفيد الاخرين، تختص في دراسة تاريخ العراق المعاصر.

المحور الأول: الهجرة من الريف إلى المدينة في العراق (١٩٦٣ –١٩٧٩):-

يشكل تاريخ الهجرة من الريف إلى المدينة في العراق، خاصة الهجرة من الجنوب، مشكلة اجتماعية قديمة نشأ في بداية الأربعينيات من القرن الماضي ولم تنتهي حتى الوقت الحاضر بسبب تجاهل الحكومات المتعاقبة لها ولأسبابها وعدم إيجاد الحلول المناسبة لإيقافها أو الحد منها على الأقل، ولا زالت موجات الهجرة هذه على مدى السنوات السبعين الماضية آثارها على الوجه الحضاري الجديد لمدينة بغداد، المدينة التي كانت قد بدأت تنهض ثقافيا وعلميا وفكريا واقتصاديا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩–١٩٤٥ وتركت، هذه الهجرة، آثارها أكثر ما أثارت على الحياة الاجتماعية لسكان المدينة وطابعها المدني بما حملته معها من ريف الجنوب من عقائد وتقاليد ومفاهيم وعادات وقيم وأعراف عشائرية. كما أثرت على الوضع الاقتصادي للمدينة نظرا لكثرة الأيدي العاملة وازدياد البطالة وتدني الأجور بسبب الأعداد الكثيرة من المهاجرين من الريف إلى المدينة، إضافة إلى الخدمات الأساسية التي كان على الحكومة تقديمها إلى هؤلاء النازحين. كما تسببت، هذه الموجات من المهاجرين النازحين في تردي الأوضاع الأمنية والأخلاقية وزيادة حالات الجريمة المختلفة، وفيما بعد في الأحداث السياسية التي جرت في بغداد قبل الانقلاب العسكري الثوري في ١٤ تموز ١٩٥٨.

تعتبر الهجرة ظاهرة إنسانية سكانية تتمثل في الانتقال من مكان إلى أخر إما بحثا عن حياة أفضل أو هروبا من وضع سيء، والهجرة هو أن ينتقل الشخص من مكان إقامته إلى مكان أخر وفي الحقيقة إن هذه الهجرة لها مرددوها السلبي والايجابي على المناطق المهاجر منها أو المهاجر إليها(هالة، ٢٠٠٣، ١)، فقد شهد العراق على مر السنين العديد من الهجرات الداخلية فشكلت ظاهرة شبه دورية خطرا على البلاد خاصة على الوضع الاجتماعي فقد حدثت هجرة من الريف إلى المدينة في فترة الحرب العالمية وما بعدها(سهيل، ٢٠٠٩، ٢٢٦). وفي الحقيقة إن جذور هذه الهجرة تعود إلى قيام الحكومة العراقية سنة ١٩٢١ فقد زادت الهجرة من الريف إلى المدن العراقية الرئيسية وهي بغداد والبصرة والموصل(غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٤)، وذلك لوفرة العمل فيها ولقيام الصناعات الاستهلاكية الوطنية وتطور حركة البناء والعمران فيها في فترة الثلاثينات فكل ذلك جعل من المدن مناطق جذب للسكان، وهذا النوع من الهجرة يعرف بالهجرة المستمرة بينما قد تحدث هجرة من موسم لأخر لغرض العمل فتسمى هجرة موسمية على سبيل المثال الهجرة إلى البصرة في موسم كبس التمور(سهيل، ٢٠٠٩، ٢٣١)، كل ذلك جعل الفلاح يترك أرضه ويتجه صوب المدن للحصول على لقمة العيش، إضافة إلى صدور قانوني الرمة والتسوية في سنة ١٩٣٢ (عماد، ١٩٨٢، ١٨٠–٢٨٣؛ سهيل، ٢٠٠٩، ٢٩)، فكان لهذه القوانين الأثر السلبي على الفلاح فسبب بحدوث تناقضات واسعة بين الملاكين والفلاحين في القرى فبالتالي اضطر الفلاح إلى الهجرة (سهيل، ٢٠٠٩، ٢٢٦–٢٢٧)، لكن هذه الهجرة أثرت سلبا على المدن فادت إلى زيادة سكان المدن بشكل كبير، فيقدر إن ٢٢% من سكان بغداد هم من الريف، كما وزاد الضغط على الخدمات الموجودة في المدينة فحدثت بطالة في صفوف العمال والكثير من المشاكل الأخرى، لقد حاولت الحكومة أن تعالج هذه الظاهرة التي أصبحت مشكلة كبيرة وتشكل خطرا كبيرا على البلاد، فقامت الحكومة بالكثير من المشاريع الإسكان في تلك الفترة (غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٤)، وشيدت العديد من القرى العصرية

بفترة (١٩٤٥ –١٩٥٨) لحل مشكلة السكن وللتخلص من الصراف والأكواخ التي أنشأها المهاجرون في إطراف بغداد فأسست دور لسكن الفلاحين والمستخدمين والعمال فساعد هذا على استقرار عدد من الأسر فيها، واهم هذه المشاريع التي أقامتها الحكومة مشروع الدخيلة والحويجة وشهرزور وغيرها من المشاريع الأخرى (سهيل، ٢٠٠٩، ٢٣٧)، لكن رغم كل ذلك بقي العراق يعاني من هذه الظاهرة لأنه في الأساس السبب الرئيسي للهجرة هو تردي أوضاع العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتشكيل الحكم الجمهوري في البلاد سعت الحكومة للنهوض بالواقع الاقتصادي والاجتماعي فعملت على تطوير الاقتصاد وتوفير فرص العمل وسن قوانين الضمان الاجتماعي وإنشاء مجلس الشؤون الاجتماعية وتشريع قانون الإصلاح الزراعي (عماد، ١٩٨٢، ٣٠٧–٣٨٣)، الذي احدث هوة قوية في المجتمع لأنه خطوة تقدمية كان يسعى إليها الفلاحون منذ فترة طويلة ليتمكنوا من امتلاك ارض خاصة بهم تعود عليهم بالنفع والفائدة، ونتيجة لزيادة العوائد النفطية بتلك الفترة قامت الحكومة بتسليف المواطنين بمبالغ كافية لتشييد الدور السكنية، كما قامت بتوزيع الأراضي على الموظفين والعسكريين بأسعار زهيدة كل ذلك من إن تحل مشكلة السكن والتخلص من الصرائف والأكواخ الموجودة حول المدن(غصون، ٢٠٠٥، ٢٣٤)، والتي شكلت ظاهرة غير حضارية للمدينة حيث زاد أعداد هذه الصرائف والأكواخ بشكل كبير في مدينة بغداد في فترة الخمسينات فقد بلغ عدد سكان الصراف والأكواخ في سنة ١٩٥٧ حوالي (٣٣٥٤٦) نسمة، بينما بلغ عدد السكان الصرائف والأكواخ في سنة ١٩٥٨ حوالي (١٨٤٠٠٠) نسمة، فهذه الزيادة الكبيرة التي حدثت في الصراف والأكواخ أثرت سلبا على المدينة لذلك سعت المدينة جاهدة للتخلص منها(عباس، ٢٠٠٣، ٧٣)، كما وأقامت الحكومةالكثير من المشاريع لغرض حل مشكلة الهجرة من الريف إلى المدينة وإيقافها فقامت بإنشاء مشروع القرية النموذجية في أللطيفية في سنة ١٩٥٩ فوافق مجلس الوزراء على تخصيص مبلغ ١٥٠،٠٠٠ ألف دينار لإنشاء قرية عصرية نموذجية زراعية قرب بغداد تتوفر فيها أسباب الحياة الريفية المتحضرة لإسكان قسم من الفلاحين والعمال، فتم انجاز هذا المشروع في تموز ١٩٥٩ فكانت القرية تتكون من (١٠٠) دار ريفية عصرية تم توزيعها على الفلاحين من مديرية الإصلاح الزراعي، فقد شهدت فترة العهد الجمهوري الأول والثاني قيام الكثير من المشاريع (غصون، ٢٠٠٥، ٢٣٤)، لكن على الرغم من كل هذه الجهود المبذولة من قبل الحكومة لغرض حل مشكلة الهجرة والنهوض بالواقع الاقتصادي والاجتماعي للفلاح إلا إن هذا لم يمنع من حدوث الهجرة مرة أخرى حيث استمرت عملية النزوح نحو المدن وبقيت كظاهرة مستمرة يعاني منها العراق، فانطلق المهاجرون صوب المدن (إبراهيم، ٢٠١٧، ١)، نتيجة التطور والتحسن الذي طراء على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (إبراهيم، ٢٠١٧، ١)، وخاصة التطور في مجال التعليم حيث تطور التعليم بشكل كبير وإتاحة الفرصة للتعليم العالي للشباب وفتح المجال للدراسة لجميع الأعمار والمستويات (حامد، ١٩٧٢، ٣٩)، فكل ذلك جعل من المدن مناطق جاذبة للسكان فقد سعى الشاب الريفي إلى السفر إلى المدينة من اجل الدراسة وللحصول على التعيين هناك وترك ارض أبائه وأجداده هذا بسبب التطور الحاصل في المدن وتوفر كافة الخدمات فيها، بينما السبب الأخر الذي دفع ابن الريف إلى ترك ريفه والاتجاه صوب المدن يكمن في حالة الفقر للخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية وخدمات الإسكان التي

يعاني منها الريف(غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٧)، فاتجه ابن الريف صوب المدن للحصول على العمل والدراسة طمعا بالخدمات المتوفرة في المدن، لكن هذا أدى إلى ترك اثارا سلبية على المدن فقد تسببت في زيادة هائلة في إعداد سكان المدن فقد بينت نتائج التعداد اخرجوا منام ١٩٦٥ ارتفاع عدد سكان المدن وانخفاض واضح في عدد سكان الألوية الجنوبية والأخر، في العمارة والبصرة والناصرية والديوانية، فقد قدر عدد النازحين بين عامي ١٩٥٧ – ١٩٦٥ إلى المدن الكبيرة بثلاثمائة وثلاثين ألف نسمة تقريبا فكانت أغلبية النازحين من محافظة ميسان (٤، ٢٩%) تليها ذي قار ثم ديالى ثم نينوى (إبراهيم، ٢٠١٧، ١)، فكان صافي الهجرة من الريف إلى المدن حوالي (٣٦٥،٤٦٥) ألف نسمة في بغداد ثم كربلاء بلغ فيها صافي الهجرة حوالي (٢٥،١٧٩) نسمة باعتبارها منطقة دينية، ثم تلتها البصرة إذ بلغ صافي الهجرة حوالي (٩٧،٢١٥) ألف نسمة خلال الفترة ١٩٥٧ –١٩٦٥ (رياض، ١٩٧٤، ٤٦)، وبلغ صافي الهجرة في العراق بشكل عام خلال الفترة (١٩٦٥–١٩٧٧) حوالي (١،٠٤٧) مليون نسمة، حيث أن مدن محددة جذبت السكان، ففي سنة ١٩٧٧ استحوذت بغداد على حوالي ٧٩% من المهاجرين ثم تلتها البصرة ٩،٣ % أما أكثر المحافظات التي فقدت سكانها عن طريق الهجرة هي ميسان إذ بلغت نسبة الطرد فيها ٣٠ % تلتها ذي قار ١٥ % أي أن ٤٥% من المهاجرين خرجوا من هاتين المحافظتين فقط (هاشم، ٢٠٠٦، ١)، فبلغ السكان الحظر بهذه الفترة حوالي ٥،٣ وبلغ عدد سكان الريف حوالي٠،٩(هاشم، ٢٠٠٦، ١).

يتضح مما سبق إن الهجرة حدثت في العراق في فترات وسنوات مختلفة فأصبحت كظاهرة شبه دورية تحدث بين الحين والأخر، لكن السبب الحقيقي الذي يكمن وراء حدوثها هو العامل الاقتصادي بالدرجة الأولى فبسبب افتقار المناطق الريفية للخدمات وسوء أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية كل ذلك دفع ابن الريف إلى ترك ريفه والتوجه صوب المدن فبعد ذهابه إلى المدن واطلاعه على مافيها من خدمات دفعه إلى الاستقرار بشكل دائم فيها فكل هذا اثر على المدن لأنه زاحم السكان الأصليين للمدينة في الخدمات وإضافة إلى الآثار السلبية التي تركها على الإنتاج الزراعي الذي بداء بالانخفاض المستمر نتيجة لإهماله.

المحور الثاني: أسباب الهجرة من الريف إلى المدينة:

شهد العراق بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ظاهرة ازدياد الهجرة من الريف إلى المدينة على الرغم من الإجراءات التي إقامتها الحكومة في سبيل حل هذه المشكلة، وفي الحقيقة إن هذه الظاهرة لم تأتي من فراغ بل يكمن وراء حدوثها أسباب وعوامل عدة تأتي في مقدمتها العوامل الاقتصادية فقد عانى الريف العراقي بتلك الفترة من تدهور وانخفاض الإنتاج الزراعي، نتيجة لافتقار الفلاحين الصغار إلى رؤوس الأموال والبذور والآلات (وزارة الزراعة والإصلاح، د.ت، ٧)، والسبب الرئيسي في ذلك هو فشل قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ الذي أصدرته الحكومة من اجل النهوض بالزراعة (عماد، ١٩٨٢ ٣٠٧)، في أداء واجبه وتخليص الفلاح من التخلف الذي يعيشه فهو حمل امتيازات كثيرة خدمت الإقطاعيين بالدرجة الأولى كاختيار الأرض ومبدأ التعويض وما جرى عليه من تعديلات فهو لم يحقق طموحات الريف وبقيت حالة الفلاحين كما هي بل زادت سوءا، فكل ذلك دفع الفلاح للهجرة والتوجه نحو المدن، فبالتالي هذه الهجرة عادت سلبا على الإنتاج الزراعي فتدهور وانخفض (الهلالي، ١٩٥٨، ١٥٢)،

ما دفع الحكومة إلى الاعتماد على المحاصيل الزراعية المستوردة (وزارة الزراعة والإصلاح، د.ت، ٧)، فضلاً عن فإن توفر النقد اليومي لعمال المدن كان سبباً وراء هجرة الكثيرين فهذه ميزة لا تتوفر في الريف، فمن المعروف إن الفلاح يعمل في الزراعة طيلة السنة ويضطر للانتظار إلى نهاية الموسم الزراعي حتى يحصل على أجره (سهيل، ٢٠٠٩ ٢٣٢-٢٣٣)، إضافة إلى عدم ضمان نجاح الزراعة والحصول على محصول جيد مستمر يتمكن الفلاح بواسطته من سد مايترتب عليه من الديون وسد حاجاته من الأشياء الضرورية طيلة السنة (الهلالي، ١٩٥٨، ١٥٠)، فربما تحدث ظروف طبيعية غير اعتيادية كالفيضانات وقلة الإمطار كذلك الآفات الزراعية كل ذلك يؤثر سلبا على الإنتاج الزراعي فيقل دخل الفلاح لذلك فكر الفلاح بالانتقال إلى المدن حيث وفرة الإشغال، وارتفاع اجر العامل اليومي نسبيا (الهلالي، ١٩٥٨، ١٥٢)، فان سوء الحالة الاقتصاد والاجتماعية هي التي دفعت الفلاح للهجرة، فان الريف لم يعد قادرا على إعالة أبنائه وتوفير ابسط الخدمات لهم (غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٥)، إما من الناحية الاجتماعية فقد أصاب الرابطة القبلية الانحلال والتفكك وهذا يعود إلى قوانين الأرض التي جعلت من الشيخ مالكا لها ونتيجة التطورات التي حدثت فأصبح المالك يعيش في المدن ويأخذ أموال الريف ويبذرها في المدينة ليعمل على تطوير الريف والزراعة لذا بقي الريف يعاني الكثير من المشاكل والإهمال (سهيل، ٢٠٠٩، ٢٢٩)، وتدهور الحالة الصحية فيه، حيث يفتقر إلى المستشفيات والمستوصفات (الهلالي، ١٩٥٨، ١٥٢)، كما ويعاني السكان الريفيين من سوء التغذية ويفتقرون إلى ابسط الخدمات الاقتصادية والاجتماعية والصحية (عباس، ٢٠٠٣، ٧٠)، من جانب آخر كان لدخول الآلات والمكائن الزراعية للريف سبب في الهجرة، لان استخدام المكائن قلل من عدد العمال مما سبب حدوث بطالة في الريف، فكل ذلك يعتبر من العوامل الطاردة للسكان ما دفعت بهم للبحث عن متطلبات الحياة في أماكن تواجدها في المدن (حامد، ١٩٧٢، ٤٣)، الجاذبة، حيث يتوفر فيها كافة الخدمات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وقد شجع ذلك أبناء الريف للهجرة الى المدن فكان للنمو الصناعي والتجاري الذي شهدته المدن بتلك الفترة العامل الرئيسي في جذب جميع عمال الريف (حامد، ١٩٧٢، ٣٨)، إذ نشأت الصناعة والمعامل، نتيجة زيادة إيرادات النفط فبدأ الفلاحين يهاجرون نحو المدن التي يستثمر فيها النفط الخام في كلٍ من كركوك والموصل والبصرة وقد نالت بغداد حصة الأسد من المهاجرين باعتبارها عاصمة العراق فكان التطور والتقدم فيها كبير جداً، فيوجد فيها كافة المؤسسات المصرفية والشركات التجارية (غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٨)، نتيجة ذلك هاجر العمال للمدن بحثا عن عمل حيث تكون الاجور اعلي ومنتظمة أفضل بكثير مقارنة بالريف الذي كان الفلاح يعتمد على الموسم للحصول على أجره (حامد، ١٩٧٢، ٣٨)، كما كان لتوفر الخدمات الاجتماعية خاصة الصحية والثقافية الدور الكبير في جذب المهاجرين لأنهم يفتقرون إلى هذه الخدمات في مناطقهم الريفية (عباس، ٢٠٠٣، ٧٢)، فالمدن تكون أكثر تحضرا وثقافة من الريف حيث توجد فيها مدارس وجامعات ودورا للكتب كثيرة وتتوفر فيها كافة المستلزمات ووسائل الراحة من الكهرباء والتدفئة البخارية والغاز وغيرها أكثر مما هو عليه الحال في الريف (حامد، ٢٠١٣، ٣٩)، فكان للتطور الذي طرأ على التعليم بتلك الفترة نتيجة إلى اهتمام الحكومة فيه بشكل كبير الدافع الرئيسي وراء الهجرة فهو أتاح الفرصة وفتح المجال أمام جميع الأعمار والمستويات لإكمال تعليمهم مما دفع ابن

الريف للتوجه صوب المدن لإكمال دراستهم (غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٧)، كما كان لتطور طرق النقل والمواصلات دورا في جذب المهاجرين للمدن حيث أصبح من السهل التنقل والحركة من الريف إلى المدن مماشجع الكثير إلى الذهاب للمدن بشكل مستمر لغرض العمل في المراكز التي تتوفر فيها مجالات العمل كعمال أو رجال شرطة او عمال خدمات (رياض، ١٩٧٤، ٥٠)، وبعد اطلاعهم على التطور والتحضر الذي تعيشه المدن دفعهم للهجرة ثم الاستقرار فيها ولم يعدوا يفكرون بالعودة نهائيا كل ذلك أصبح من العوامل الجاذبة للسكان نحو المدن(عباس، ١٩٧٤، ١٤٧).

يتضح مما تقدم إن الهجرة من الريف إلى المدينة لم تحدث من فراغ بل يكمن وراء حدوثها عوامل وأسباب عدة هي التي دفعت وأدت لحدوثها، وهذه العوامل يكون معظمها جاذب والأخر طارد، فنتيجة النقص في الخدمات الحاصل في الريف وللتدهور أوضاع الريف الاجتماعية الصحية التعليمية وافتقاره للمؤسسات وابسط الخدمات اندفع المواطن إلى المدن حيث يتوفر فيها ما يفتقر له، الامر الذي شجعه على الاستقرار فيها فلم يفكر بالعودة للريف مرة أخرى، فالمسألة كلها ترتبط بتوفر الخدمات والمؤسسات أو عدمها.

المحور الثالث:- نتائج واثار الهجرة من الريف الى المدينة:

تمثل الهجرة ظاهرة مستمرة بانتقال الافراد من الريف الى المدينة ومن مكان الى اخر داخل المدينة نفسها، فهي بالتالي تترك اثارا سلبية اجتماعية واقتصادية وسياسية فتؤدي الى التغير الديموغرافي في السكان فتسبب بزيادة نسبة سكان المناطق الجاذبة بينما تعاني المناطق الريفية الطاردة من النقص الكبير في حجم السكان (غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٩)، فقد بين الاحصاء السكاني لسنة ١٩٦٥ ارتفاع عدد سكان المدن وانخفاض واضح في عدد سكان الالوية الجنوبية وبخاصة في العمارة البصرة والناصرية والديوانية فقد قدر عدد المهاجرين بين عامين ١٩٥٧ -١٩٦٥ الى المدن الكبيرة بثلاثمائة وثلاثين الف نسمة تقريبا (ابراهيم، ٢٠١٧، ١)، بينما بلغ في ١٩٦٥ -١٩٧٧ حوالي ١،٠٤٧مليون نسمة فكانت حصة بغداد من المهاجرين حوالي ٧٩ % (هاشم، ٢٠٠٦، ١)، فقد ادت هذه الزيادة الكبيرة في حجم السكان الى حدوث ازمة سكن (ستيفن، ٢٠٠٩، ١٨١)، فقد كان المهاجرين في بداية الامر بلا سكن ولا يملكون اي مورد مالي يعتمد عليه في توفير سكن مناسب، فظهرت بذلك ازمة سكن كبير ولأجل حل هذه المشكلة قام المهاجرين ببناء الصرائف والاكواخ من القصب والطين في اطراف المدن بالتالي قاد هذا الى حدوث مشكلة اكبر من ذلك (غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٨)، فسعت الحكومة الى حل مشكلة السكن والتخلص من هذه الاكواخ والصرائف التي شوهت منظر المدينة وافقدتها روح التحضر فقامت بتوزيع الاراضي (عباس، ٢٠٠٣، ٧٢؛ ابراهيم، ٢٠١٧، ٢)، على الموظفين والعسكريين والعمال مقابل اسعار زهيدة (غصون، ٢٠٠٥، ٢٣١)، فكل ذلك ادى الى حدوث نمو كبير في المدن فاق النمو الطبيعي للسكان فظهر بذلك ما يسمى بالقرى العصرية، فنمت مناطق شعبية على اطراف مدينة بغداد منها مدينة الثورة (الصدر حاليا) في شرق بغداد ومدينة الشعلة في شمالي بغداد، والاثر الكبير الذي تركته الهجرة على المدن هو العادات والتقاليد التي جلبها المهاجرين معهم الى المدينة فهذى ادى الى حدوث خلخلة في البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ونكوص تدريجي في الوعي الاجتماعي والحضري وذلك لان اهل

الريف اكثر احتفاظا بقيم البداوة وعاداتها وعصبيتها من اهل المدن واهل المدن المحاذية للبادية اكثر تاثراً بها من اهل المدن البعيدة عنها، كما ان معظم هؤلاء يتميزون بالمروءة والشهامة والكرم ولكنهم يحملون في ذات الوقت مساوئ البداوة كالتغالب والعصبية والفخر وغيرها (ابراهيم، ٢٠١٧، ٢)، فالتمسك بهذه العادات والتقاليد ادى الى حدوث الكثير من المشاكل في المدينة والى سوء حالة السكان بشكل كبير (سهيل، ٢٠٠٩، ٢٣٣)، كما وادت الهجرة الى حدوث البطالة في المدينة، لان الوافدون الجدد سيطروا على كل المهن والورش واصبحوا متنفذين في هيكل الدولة بشكل عام، فبداء المهاجر يعمل باجور زهيدة وهذا دفع العامل الماهر الى ترك العمل مما ادى الى ظهور البطالة في صفوف العمال المهرة (حامد، ٢٠١٣، ١)، وكما تسببت الهجرة في حدوث الضغط الكبير على الخدمات المتوفرة في المدينة فزاحم المهاجرين السكان الاصلين في المدينة في الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، كل هذا عاد بالاثر السلبي على المدينة (سهيل، ٢٠٠٩، ٢٤٠)، لكن في الحقيقة ان الهجرة لم تترك اثارا سلبية فقط على المناطق الجاذبة لها (المدن) انما تركت اثارا سلبية ايضا على المناطق الطاردة لها (الارياف)، فادت الى حدوث اختلال التوازن الاجتماعي فقد ارتفع عدد الاناث في الريف وقل عدد الذكور بينما في المدينة نلاحظ زيادة نسبة الذكور مما هياة فرص مؤاتية للزواج في المدينة، كما واتسم الريف بالجمود، وذلك لان السمة الغالبة لكبار السن المحافظة على التقاليد المتعارف عليها، لذلك فان الواقع الاجتماعي والاقتصادي في الريف اصابه الركود وظلت القرية تعيش في حالة تخلف (سهيل، ٢٠٠٩، ٢٢٨)، كما واثرت الهجرة على الانتاج الزراعي فقد اصاب الانتاج الزراعي الركود والانخفاض الكبير، نتيجة الى فقدان الريف لليد العاملة لاسيما وان معظم المهاجرين هم من الايدي العاملة الشابة فكل ذلك ادى الى تدهور الانتاج الزراعي نتيجة اهماله (غصون، ٢٠٠٥، ٢٢٦)، اضافة الى المشكلة الاخرى التي اصابت الريف هي حدوث التفكك الاسري نتيجة استقرار الفئة المهاجرة في المدن وخاصة ان بعض المهاجرين كانوا يهاجرون مع عوائلهم فبالتالي تفككت الروابط الاسرية (ستيفن، ٢٠٠٩، ١٨٠).

ويتضح مما سبق ان الهجرة تسبب اضرارا واثارا كبيرة سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي وحتى الثقافي على المناطق الجاذبة لها، فالمهاجر او اي شخص في طبيعة الحال عندما ينتقل الى مكان اخر غير مكان اقامته سيلقي بثقافته وعاداته وتقاليده في ذلك المكان، فبالتالي هذا يؤثر على المدن الجاذبة بما ان المهاجر جاء يحمل عاداته وعصبيته القبلية الموروثة الغير متعارف عليه في المدن المتحضرة ما سبب ارباك اجتماعي، وحسب راي الباحث ان الهجرة لم تكن تحمل في طياتها الجوانب السلبية فقط انما فيها جوانب ايجابية والدليل على ذلك انها ادت الى زيادة نسبة الذكور في المدينة وهذا بدوره هياة فرصا مؤاتي' للزواج.

الخاتمة:

شهد العراق بفترة الستينات والسبعينات ظاهرة ازدياد الهجرة من الريف الى المدن الرئيسية على الرغم من كل الاجراءات التي اقامتها الحكومة العراقية في سبيل حل هذه المشكلة الا انها بقيت مستمرة واثرت بشكل كبير على المجتمع حيث ادت الى الضغط على خدمات المدينة ومزاحمة السكان الاصليين فيها، فضلاً عن نقل المهاجرين ثقافاتهم من عادات وتقاليد بعضها ايجابي والبعض الاخر عاد بالاثر

السلبي على حياة المدينة، فالهجرة بشكل عام سببت اثارا اقتصادية واجتماعية وثقافية بالنسبة الى كلا المنطقتين الطاردة والجاذبة، ولم تقتصر تلك الاثار على الجانب السلبي فحسب بل كانت هناك لها اثار ايجابية عادت بالنفع الكبير بالنسبة للمناطق الجاذبة فالدليل، وما يدل على ذلك انها اتاحت فرص للزواج في المدينة حيث زادت نسبة الذكور في المدينة فهياة فرصا لزواج الاناث في المدينة وهذا بدوره يقلل من نسبة العنوسة والارامل في المدينة.

اما بالنسبة الى الاسباب التي أدت الى حدوث ظاهرة الهجرة فهي متعددة ولا تقتصر على سبب بعينه يأتي في مقدمتها التقدم والتطور الذي تشهده المدن، حيث وفرة العمل والاجر اليومي، ووجود المصانع والمعامل والمؤسسات وكافة الخدمات الاجتماعية الصحية والتعليمية التي يفتقر لها الريف، فكل هذا اصبح حافزا لسكان الريف لترك الريف وتوجيه انظارهم صوب المدن، لكن السبب الرئيسي الذي ادى الى حدوث الهجرة هي الحكومة نفسها فلم تكن اجراءاتها التي اقامتها ومنها الاصلاح الزراعي جادة في حل المشكلة والقضاء عليها نهائيا فعلى سبيل المثال ان الاصلاح الزراعي لم ينجح في تطوير الزراعة ولا في انقاذ الفلاح من ظلم الاقطاعيين بل اضر بدل من ان ينفع أي بقي الوضع كما هو، فنستنتج من كل ذلك ان اجراءات الحكومة لم تكن جدية فهي ركزت على المدن بالدرجة الاولى اكثر من الريف لذلك بقي الريف العراقي يعيش في معاناة كثيرة دفعته الى ترك ارضه وريفه للحصول على حياة افضل.

قائمة المصادر والمراجع

- ابراهيم الحيدري، الهجرة من الريف وترييف المدن، جريدة ايلاف، العدد ٥٧٧٨، ١٧ مارس،٢٠١٧.
- حامد حمودي عباس، هجرة الارياف الى المدن واحد الاسباب المهمة لظاهرة البطالة، جريدة المحور المتمدن، العدد ٤٠٨٩، ٢٠١٣/١١/٥.
- حامد عبد احسين، السالم، الهجرة من الريف إلى الحضر مع بحث ميداني بين المهاجرين في مدينة بغداد ،رسالة ماجستير (غير منشورة) ،جامعة عين الشمس ،كلية الآداب،١٩٧٢.
- رضا عبد الجبار، فاهم محمد جبر، نمو السكان في العراق والعوامل المؤثرة فيه للمدة ١٩٧٧ – ٢٠٠٧،مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد ١٩، العدد ٤، ٢٠١١.
- رياض إبراهيم، الهجرة الداخلية للسكان في العراق ١٩٤٧–١٩٦٥، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عين الشمس، كلية الآداب، ١٩٧٤، ص ٤٦.
- ستيفن همسلي لونكريك، فرانك ستوكس، ترجمة مصطفى نعمان، العراق منذ فجر التاريخ حتى ثورة ١٤ تموز١٩٥٨، دار المرتضى، بغداد،٢٠٠٩، ص١٨١.
- سهيل صبحي سلمان، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق ١٩٤٥ –١٩٥٨ ، ط١ ، بغداد، ٢٠٠٩ ، ص٢٢٦.
- عباس فاضل ، محافظة بغداد دراسة في جغرافية الزراعة والسكان ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة القاهرة ، كلية الاداب، ١٩٧٤، ص ١٤٧ .
- عباس فرحان الموسوي، الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد ١٩٣٩ –١٩٥٨ دراسة تاريخية ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٣.
- عبد الرزاق الهلالي، الهجرة من الريف إلى المدن في العراق، ط١، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٨، ص ١٥٢.
- العراق وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، الستلزمات الضرورية لعلاج مشكلة هجرة الفلاحين، د. ت.
- العراق وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي، المصدر السابق، ص٧.

- عماد احمد ألجواهري ، تاريخ مشكلة الأراضي والإصلاح الزراعي في العراق ١٩٣٣ -١٩٧٠ ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة بغداد ،كلية الآداب، ١٩٨٢ .
- غصون مزهر حسين، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق ١٩٥٨ -١٩٦٨، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ص٢٢٤.
- هاشم نعمة، الهجرة الريفية الحضرية الأسباب والنتائج، جريدة الحوار المتمدن، عدد ١٦٥٣، ٢٠٠٦/٨/٢٥، ص١.
- هاشم نعمة، الهجرة الريفية الحظرية الاسباب والمعالجات، جريدة المحور المتمدن،العدد١٦٥٣، ٢٠٠٦.
- هالة وليد حمدي، تقديرات الهجرة الداخلية في العراق باستخدام النماذج السكانية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد،٢٠٠٣، ص١.

Reference

- Abbas Fadel, Baghdad Governorate, a study in the geography of agriculture and population, PhD thesis (unpublished), Cairo University, Faculty of Arts, 1974, p. 147.
- Abbas Farhan Al-Musawi, Social Life in the City of Baghdad 1939-1958, a Historical Study, PhD thesis (unpublished), University of Baghdad, College of Education, Ibn Rushd, 2003, p. 73.
- Abd al-Razzaq al-Hilali, Migration from the Rural to the Cities in Iraq, 1st edition, An-Najah Press, Baghdad, 1958, p. 152.
- Ghosun Muzher Hussein, Economic and Social Developments in Iraq 1958-1968, PhD thesis (unpublished), University of Baghdad, 2005, p. 224.
- Hala Walid Hamdi, Estimates of Internal Migration in Iraq Using Population Models, Master Thesis (unpublished), University of Baghdad, College of Administration and Economics, 2003, p.1.
- Hamed Hamoudi Abbas, Rural Migration to Cities is One of the Important Reasons for Unemployment, Al-Mehwar Al-Motamden Newspaper, Issue 4089, 5/11/2013.
- Hamid Abd Hussain, Al-Salem, Migration from Rural to Urban with Field Research among Migrants in the City of Baghdad, Master Thesis (unpublished), Ain Al-Shams University, College of Arts, 1972.
- Hashim Nehme, Rural Banned Migration, Causes and Treatments, Al-Mahwar Al-Motamden Newspaper, Issue 1653, 2006.
- Hashim Nehme, Rural-Urban Migration, Causes and Results, Al-Hiwar Al-Motaddin Newspaper, Issue 1653, 8/25/2006, p. 1.
- Ibrahim Al-Haidari, Migration from the Rural and Ruralization of Cities, Elaph Newspaper, Issue 5778, March 17, 2017.
- Imad Ahmed Al-Jawahiry, History of the Land Problem and Agrarian Reform in Iraq 1933-1970, PhD thesis (unpublished), University of Baghdad, College of Arts, 1982.
- Iraq Ministry of Agriculture and Agrarian Reform, previous source, p. 7.
- Iraq, Ministry of Agriculture and Agrarian Reform, the necessary requirements to treat the problem of emigration of farmers, d. T.
- Reda Abdul-Jabbar, Fahem Muhammad Jabr, Population growth in Iraq and the factors affecting it for the period 1977-2007, Babylon University Journal for Human Sciences, Volume 19, Number 4, 2011.

- Riyad Ibrahim, Internal Migration of the Population in Iraq 1947-1965, Master Thesis (unpublished), Ain Al-Shams University, Faculty of Arts, 1974, p. 46.
- Stephen Hemsley Lonkirk, Frank Stokes, translated by Mustafa Numan, Iraq from the dawn of history until the revolution of July 14, 1958, Dar Al-Mortada, Baghdad, 2009, p. 181.
- Suhail Subhi Salman, Economic and Social Developments in Iraq 1945-1958, 1st edition, Baghdad, 2009, pg. 226.

الصابئة في العراق دراسة في احوالهم العامة

The Sabeans in Iraq a study of their general conditions

الباحثة شيماء عبد الصاحب حسين
طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

ا.د عباس فرحان ظاهر
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

Minorities in Iraq include various ethnic and religious groups. Kurds, Assyrians (also known as Chaldeans, Assyrians), and Iraqi Turkmen represent the three largest non-Arab minorities. Other small ethnic groups include Armenians, Roma, Shabaks, Yazidis, and Sabians. Yahya, peace be upon him, was its prophet. The most important thing that distinguishes them is the baptism in running water, and our topic is them. As for the Hanafi Sabians, they are in the position of those who followed the law of the Torah and the Bible before the abrogation, distortion and alteration of the Jews and Christians. These Hmayorm God and praised them. They also rely on the authenticity of the Hijri date and use it, because of their mixing with Muslims, and because the appearance of the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, was mentioned in the holy books they have.

الملخص

ان الأقليات في العراق تشمل مختلف الجماعات العرقية والدينية. الأكراد والآشوريين (المعروف أيضا باسم الكلدان الآشوريين، والتركمان العراقيين يمثلون أكبر ثلاث الأقليات غير العربية وغيرها من الجماعات العرقية الصغيرة تشمل الأرمن، والغجر، الشبك اليزيدية ، والصابئة هو موضوع هذا البحث تعتبر الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم، والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبيًّا لها اهم مايميزهم هو التعميد في المياه الجارية وموضوعنا أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى. وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. كما يعتمدون بصحة التاريخ الهجري ويستعملونه، وذلك بسبب اختلاطهم هم بالمسلمين، ولأن ظهور النبي محمد (ص) كان مذكوراً في الكتب المقدسة الموجودة لديهم.

كلمات مفتاحية: (الصابئة، المندائيين، كنزا ربا، نياني، التعميد)

مقدمة

تعد طائفة الصابئة المندائيون احدى الطوائف الكثيرة التي استوطنت على ارض العراق منذ عصوره الاولى ولابد ان نشير ان تلك الطائفة تمثل لوناً من الوان الطيف العراقي اما ديانتهم هي أحد الأديان الابراهيمية وأتباعها من الصابئة يتبعون أنبياء الله آدم، شيث، إدريس، نوح، سام بن نوح ، يحيى بن زكريا وقد كانوا منتشرين في بلاد الرافدين وفلسطين، ولا يزال بعض من أتباعها موجودين في العراق كما أن هناك تواجد للصابئة في إقليم الأهواز في إيران إلى الآن ويطلق عليهم في اللهجة العراقية «الصبة» كما يسمون، وكلمة الصابئة إنما مشتقة من الجذر (صبا) والذي يعني باللغة المندائية اصطبغ، غط أو غطس في الماء وهي من أهم شعائرهم وبالرغم من ان طائفة الصابئة لم تؤدي دوراً بارزاً من الناحية السياسية في تاريخ العراق الا انها لعبت دوراً اقتصادياً من النواحي الحرفية والصناعية كما ان

للصابئة المندائيين مناطق تركز في العراق لابد من التعرف عليها فضلاً عن معتقداتهم الدينية وكتبهم المقدسة وغيرها من الامور التي سنتطرق لها

المبحث الأول- ذكر الصابئة في القرآن الكريم - تعريفهم اصلهم ولغتهم - اماكن سكنهم وجذورهم التاريخية

ذكرهم في القرآن الكريم:

جاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاث آيات الأولى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١)، والثانية (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢)، والثالثة : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٣)

تعريف الصابئة:

ان لفظة الصابئة مأخوذة من كلمة صبا العربيه ومن صبا النجم اي ظهر وكذالك مشتقه من صبا الماء اشارة الى اعتمادهم عليه في الارتماس والتعميد حسيت الاغتسال بالماء الجاري وهذا يعني انهم اقوام يتميزون بكثرة حبهم للماء وتسمى هذا الممارسة (مصبة) اي التعميد اما، هم فيعرفون انفسهم ب المندائين وهي مشتقة من المندا بمعنى العلم والمعرفة وبتالي تعني العارف او العالم بوجود الخالق الاواحد اما الصابئة كتسمية جاءت من الاقوام المجاورة لهم أي صبهم للماء في طقوسهم الدينية(٤).

اصل الصابئة المندائيون:

تعقب تاريخ الصابئة المندائيين ليس امراً سهلاً لقلة أو انعدام التنقيبات لأماكن تواجدهم ولاسيما عند نهري دجلة والفرات جنوب العراق وذلك لطبيعة المنطقة التي تتعرض بشكل مستمر للفيضانات والتحولات الغرينية(٥)، والسبب الآخر يتمثل في انغلاقهم الديني الشديد ولحقب زمنية طويلة ويعود سبب ذلك الانغلاق الى الاضطهاد الذي تعرض له افراد هذه الطائفة على حقب متعاقبة ففضلوا الانغلاق للمحافظة على معتقداتهم اضافة الى ضياع او حرق الكثير من المصادر والكتب التي تتحدث عن تاريخهم وتراثهم(٦).

آثار وجود الصابئة منذ الفي عام في دست ميسان ووجودهم في القدم وقرب معتقداتهم وطقوسهم من معتقدات بلاد الرافدين القديمه من الممارسات والمعتقدات والاساطير حيث برزت في بابل اولاً كما لمح المؤرخون المسلمين ان معتقدات الصابئة برزت في نص ابن خلدون ان الملك بعد نوح كان لكنعان بن كوش بن حام ثم لابنه النمرود من بعده وكان على دين الصابئة) كما ان اخر الملوك الكلدانيين انه دخل تغيرات في دينه من المعتقدات والشعائر الخاصة(٧)، وهذا يجعلنا نبحث عن أوجهه التشابهه من حيث الديانه بين البابلين قديماً والصابئة وسوف نستعرض ما يأتي:

١. ان كلتا الديانتين تنزل منزل الماء مكانه عاليه مصدراً للحياة وقرب مواطن الحضاره البابلين من الانهار وكذالك طقوس الصابئة وتعميد والرشامه اي الوضوء في الماء الجاري

٢. معبد الصابئة يسمى مشكنا وتعني بيتاً وكذالك البابلين يدعون معابدهم بالبيت والمندى عبارة عن كوخ صغير من القصب المطلي بالطين وهو نفس معبد البابلي في مراحله الأولى حيث يوضح تمثال الألهه في كوخ صغير من القصب والطين ويجلس فيه الكاهن ويلتجى اليه الناس التماسا للمشورة

٣. يلتقي البابليين والصابئة في قضية تحريم حلق اللحي وشعر الرأس رغم ان عامة الناس من الصابئة لا يلتزمون بهذا التحريم الا ان رجال الدين يتركون لحاهم وشعر رأسهم ليضفروه وكذالك الحال بالنسبه للملوك البابلين

٤. في بابل الكهانة وراثيه اي من الاب للابن ونقل كل معلومات فيما يتعلق بالسلك الكهنوتي لتكون معرفه محصوره بين الكهنة وكذالك الصابئة تكون هذا الوظيفة وراثية يعلمون الاباء للابناء اللغه الخاصه وتدريبهم على خفظ النصوص واستنصارها وتطبيقها (٨)

٥. يعتقد الصابئة في مسألة الموت ان نفس الميت لا تأخذ سبيلها صعود إلى السماء الأ بعد ثلاثة ايام من الوفاة ثم تأخذ سبيلها مارة بسبعة مراكز للمراقبة تدعى (مطراثي) اي الموكل بمحاسبة الموتى وهو نفس الفكر لدى البابلين حيث يدعى (مثري) يتولى وزن اعمال اعمال الميت وهذا أوجهه تشابهه بينهم يدعوا الى تأكد على ان الصابئة ذات اصل شرقي اما اوجهه الاختلاف هي مسألة تعدد الألهه لدى البابليين اما الصابئة نحو التجريد والتوحيد (٩)

لغتهم:

يتكلم الصابئة المندائيون اللغة المندائية، وهي لهجة من لهجات اللغة الآرامية الشرقية، الفرع النقي من اللغة الآرامية الشرقية التي تضم فضلا عن المندائية: البابلية، بل هي والسريانية، كما يصفها الأكاديميون والمعنيون باللغات السامية، ذلك لعدم تأثرها بمفردات اللغة العبرية كا في اللهجات اليهودية، ولا بالاغريقية كما في اللهجات المسيحية، وهي لغة العراقيين الأوائل بعد اللغة السومرية، شاعت وسط العراق وجنوبه، وسكت بها نقود مملكة ميسان (١٠)، والمندائية كبقية اللغات الآرامية تكتب من اليمين إلى اليسار، وتتصل حروفها مع بعضها في الكتابة، أي بما قبلها وما بعدها، وهناك حروف تنقطع ، أي لا تتصل بما بعدها، لكنها تبقى متصلة بما قبلها. وتتكون اللغة المندائية من أربعة وعشرين حرفا أبجديا ، تبدأ بحرف الألف وتنتهي به، وهي غير منقطة، وتفتقر إلى الحركات على الحروف، والتي يستعاض عنها بأحد الحروف الصوتية المتحركة، أي حروف العلة وهي الألف والواو والياء، التي تسمى وحسب الترتيب الحلقة والشقة والعكسة (١١)

اماكن سكنهم وعددهم:

ان المندائيين أو الصابئة وهي أقلية دينية صغيرة تتوزع بين العراق (جنوب العراق) وإيران، يقارب عددهم ٢٥٠٠٠ في العراق (١٢) ، ويتمركزون في عدة مناطق في العراق اهمها :- عندما دخلت جيوش المسلمين إلى العراق إبان الفتح الإسلامي وجدوا الصابئة المندائيين يتواجدون شرق ميسان في الطيب والبطائح من باكسا إلى نهر الأعمى أي (من شيخ سعد إلى المشرح). ويعيش الصابئة المندائيون على ضفاف الأنهار في جنوب العراق ومن أشهر المدن التي سكنوها في محافظة ميسان مدينة العمارة والكحلاء والمجر الكبير والمشرح وقلعة صالح وفي محافظة ذي قار والبصرة فضلا عن مدينتي مندلي

وواسط، ومن هذه المدن انتقل قسم منهم إلى بغداد، إذ بدأت الهجرة إليها في أوائل القرن العشرين لتصبح أكثر المدن التي تمركزوا فيها وانتقل قسم منهم إلى الديوانية والانبار وكركوك. إن معظم الصابئة كانوا يتركزون في الوحدات الإدارية التي توجد فيها المدن المهمة لاسيما مدينة العمارة، لرواج صناعة الصياغة، ولارتفاع المستوى المعاشي لسكان المدن بالمقارنة مع سكان الريف، كذلك يتركزون في الوحدات الإدارية التي تتصف بكثرة المسطحات المائية والأنهار لمزاولة حرفة صناعة القوارب وإصلاحها، ولتحقيق ما تمليه عليهم طقوس عقيدتهم بالسكن قرب المياه الجارية للطهارة والاغتسال بالماء الجاري بشكل مستمر إضافة إلى دور العامل المناخي في تركز الصابئة في المناطق الحارة التي تزيد فيها درجة الحرارة الصغرى شتاء عن ٤ م والعظمى ١٥م وتعليل ذلك أن الصابئي يصعب عليه ممارسة طقوسه في الماء إذا انخفضت درجة الحرارة عن الحد المذكور، ناهيك عن أن هذه المنطقة تعد الموطن الأول للصابئة المندائيين في العراق بعد أن هجروا من منطقة نهر الأردن (١٣)

وبشكل عام يتوزع الصابئة المندائيون في امتدادين جغرافيين هما:

أ-المنطقة الممتدة بين محافظتي ميسان وذي قار:

وهي منطقة أهوار جنوب العراق والمجاري المائية المتفرعة من دجلة والفرات، وهي منطقة تجمعهم الرئيسية، إذ يعيش في ميسان آنذاك ٤٥% من مجموع الصابئة في العراق. ويتوزعون في مركز قضاء العمارة ١,٤% وناحية المشرح وناحية الكحلاء وقضاء قلعة صالح وفي ناحية العدل، وتقل نسبة الصابئة كلما ابتعدنا عن المجاري المائية باتجاه الغرب ثم ترتفع ثانية عند نهر الفرات وتفرعاته في كل من مركز قضاء سوق الشيوخ في محافظة ذي قار حيث تصل نسبتهم إلى ٣,٣% من السكان، وفي مركز قضاء الناصرية.

ب-المراكز الحضرية :

في السنين الأخيرة ونتيجة لارتفاع المستوى الثقافي والاقتصادي لأبناء الصابئة واحتكاكهم بالمؤثرات الحضارية، هاجر الكثير منهم إلى المدن الكبيرة مثل بغداد والبصرة، ففي بغداد توزعوا في ناحية المأمون، والكرخ، والمنصور، ومركز قضاء الرصافة، ومدينة الصدر، وفي الكرادة الشرقية والكاظمية) وقد بلغ عدد الصابئة المندائيين اعتماداً على إحصاء١٩٤٧ ما يقارب (٦٣٦٨) نسمة وبلغوا عام ١٩٥٧ حسب الإحصاء الرسمي (١١٨٢٥) نسمة وفي تعداد ١٩٦٥ بلغ عددهم (١٤٥٧٢) نسمة. وورد عددهم في تقرير مديرية الأمن العامة في العراق وفق إحصاءات (١٩٤٧، ١٩٥٧، ١٩٦٥، ١٩٧٧) على التوالي (٦٥٩٧ ، ١١٤٢٥، ١٤٢٦٢، ١٥٩٣٧) نسمة وهي لا تختلف كثيراً عن الإحصاءات الرسمية وأكثر نسبة لهم في بغداد ثم البصرة ثم العمارة ثم الناصرية (١٤)

جذورهم التاريخية

تعد الديانة الصابئة من أقدم الديانات التي شهدتها المنطقة وقد ولدت في بلاد الشام شأنها شأن الديانتين اليهودية والمسيحية ثم انتقلت فيما بعد إلى بلاد الرافدين حيث استقرت على ضفاف دجلة والفرات وثم على ضفاف كارون والكرخه والذروس هجرتهم من نهر الاردن بعد مقتل النبي يحيى (ع) و يسمى بالمندائية لأضطهاد اليهود لهم وتوجهوا في هجرتهم إلى جنوب العراق حيث الأرض الخصبة وافرة المياه

و التي تلائم مع طبيعة الطقوس أن تداعى التي تقام علي اغلبها في الماء الجاري قاموا في المراكز لهم الطين قرب مدينة العمارة وبعد ذلك استمر بتلك المنطقة ويكون لهم تجمع وفيها من الأقلية خاص لهم بحرف إصابة إطلاقها على قوام المجاورة لهم من حب الماء من الالتماس والاغتسال (١٥)

بعد الفتح الإسلامي خضع الحرية شانها في ذلك شأن جميع أهل الذمة من الكتابيين وقد وجدت أداة فخرية في تلك المناطق المتواجدين فيها أي مناطق انتشارها في العراق للأمن) محافظات ديالى ، بغداد، الأنبار ، واسط ، ميسان) وتعود تلك الأواني الفخارية إلى ما قبل الفتح الإسلامي و عليها كتابات اللغة البدائية عبارة عن أدعية دينية يكتبها رجال الدين المدانين ويرضاه الفرد الصابئي على داره تحت كتبه الست وذلك الإكتفاء بال وقاية له من ثغر من الثرور الحرز وبهذا يجد أماكن وجودهم قرب الأنهار في جنوب العراق وأيضا لا يرمون ذكرهم وأشهر المواقع التي سكنوا هي البصرة مدينة الطين في ميسان العمارة، الكحلة، المجر الكبير، المشرح، الناصرية، سوق الشيوخ، مندلي، واسط ثم انتقل إلى بغداد، الديوانية، الأنبار، وبعد ٢٠٠٣ الى خارج العراق) (١٦).

المبحث الثاني- معتقداتهم الدينية ، كتبهم المقدسة ، مراتب رجال دينهم ، أعيادهم

معتقداتهم:

تعد ديانة الصابئة المندائيين من الديانات التوحيدية القديمة إن لم تكن أقدمها، كانت منتشرة في مناطق الحجاز وبلاد الرافدين وفلسطين تدعو إلى الإيمان بالله ووحدانيته وتؤمن بأن الجسم فان، وإن النفس خالدة تعود بعد الممات إلى خالقها، وأن هناك عالمين؛ عالم النور يدخله المؤمنون الصالحون، وعالم الظلام المخصص للأشرار، وترتكز ديانة الصابئة المندائيين على خمسة أركان :

١. التوحيد أول ديانة عرفت التوحيد للخالق هي الديانة المندائية ، فالله تبارك اسمه، رب العوالم كلها، الذي لاحدود لقدرته كما تصفه افتتاحية كتابهم المقدس | كنزا ربا: «أسبحك ربي بقلب طاهر ، رب العوالم كلها ، مسبح ومبارك ومعظم دو الوقار والجلال، رب العلى سبحانه ملك النور السامي، ذو الحول الشامل الذي لاحدود لقدرته. وهي بثلاثة
٢. الصلاة وتسمى بالمندائية (البراخا)، وتعني المباركة، أو التبرك بذكر الله، أوقات. والنص الآتي من كتاب الكنزا ربا يحدد أوقاتها وعددها ؛ امع انفلاق الفجر تنهضون وإلى الصلاة تتوجهون، وثانية في الظهر تصلون، ثم صلاة الغروب، فبالصلاة تتطهر القلوب». ويجب أن يسبقها غسل الوجه والفم والعينين والمنخرين والأذنين والركبتين والقدمين والأعضاء الداخلية بالماء الجاري مع أدعية خاصة لكل عضو أثناء غسله، وتسمى هذه الشعيرة في اللغة المندائية الرشاما)، وتعني الرسم أو الوضوء والصلاة المندائية هي قراءات دينية تسبح للخالق وتستغفره يقيمها المندائي وهو واقف باتجاه الشمال، وينحني عند ذكر اسم الله والشمال بالنسبة للصابئة المندائيين هو القبلة التي يتوجهون إليها في صلاتهم، وجميع طقوسهم الدينية، إذ يعتقدون أن عالم الأنوار، أو أبواب عالم الأنوار تقع باتجاه الشمال (١٧)

٣. الصوم: هناك هناك صوم صغير، وصوم كبير لدى المندائيين، الأول للجسد؛ ويكون بالامتناع عن تناول لحوم الحيوانات ونحرها خلال أيام متفرقة ومعلومة من السنة وعددها ٣٦ يوما. أما الصيام الثاني فهو للنفس ويكون بالامتناع عن كل ما يشين علاقة المندائي مع خالقه أو أخيه الإنسان، وهو ما نص عليه كتاب الكنزا ربا بقوله: «صوموا الصوم الكبير صوم القلب والعقل والضمير لتصم عيونكم وافواهكم وأيديكم.

٤. الصدقة: وتسمى «الزدقا» في اللغة المندائية؛ وهي كل ما يهبه الصابئي المندائي مما يملك لاخيه الإنسان الذي لايملك، ويمكن أن تكون عينية أو مادية على أن لا يفسدها بالتشهير، ورد في كتاب الكنزا ربا نصوص كثيرة تحث المندائيين على أن يهبوا الصدقة، وكيف سيجازى الواهب في الآخرة من هذه النصوص: (الصدقة والإحسان وثبات قلبك في الإيمان، ذلك هو زادك في طريقك إلى الديان) (١٨)

٥. التعميد : ويسمى «الصبتا» باللغة المندائية، وهو فرض واجب على الصابئة المندائيين، إذ يعمد الأطفال الرضع بعد مرور ثلاثين يوما على ولادتهم، ويعمد الكبار قبل الزواج وبعد الزواج بأسبوع، وتعمد المرأة بعد شهر من ولادتها، ويكون التعميد يوم الأحد، وفي الأعياد والمناسبات الدينية، والتعميد يقام لذكور والإناث بنفس الطريقة، ولكن كل منها على حدة، ويمكن للصابئي الصدائي أن يتعمد أكثر من مرة وكلما أراد، ويجب أن يكون التعميد بالماء الجاري، وباللباس الديني المسمى (الرستا)، والمصنوع من القاش الأبيض دلالة على العام والتعميد عند الصابئة المندائيين هو تطهير النفس، إذ ترمز عملية الغطس، وقطع النفس عند الغمار المرء تحت الماء إلى الموت أو الفناء، ويرمز الخروج إلى سطح الماء بعدها إلى الولادة والخلق أو البعث. ويصاحب عملية الموت والبعث هذه صلوات وتراتيل وادعية يتلوها رجل الدين القائم بالتعميد، ويرددها المتعمد معلنا توبته طالب الرحمة والغفران والبداية من الله يقول في هذا أحد نصوص الله، كتاب الكنزا ربا: «البركة لجميع المؤمنين ولجميع المندائيين المصبوغين في الماء الحي الذين للحي يشهدون والأعمال الصالحة يعملون (١٩)

كتبهم المقدسة:

للصابئة المندائيين العديد من الكتب تقسم إلى:

١. الكنز العظيم الصحف الأولى (كنزا) ربا) وهو الكتاب المقدس للصابئه وسمية بلكنز العظيم لما يحتويه من مفاهيم وكلام إلى رب العظيم.

٢. كتاب الانفس سيدرا) (ارنشماتا) ويضم تراتيل وأناشيد ترنم في مراسيم الزواج.

٣. كتاب تعاليم النبي يحيى (دراشا اديهيا) يحتوي على حكم ومواعظ وتعليم النبي يحيى ابن زكريا عليهم السلام.

٤. القلستا يحتوي على أناشيد خاصه.

٥. نياني الرهمي كتاب خاص في الأدعية والصلوات.

٦. نياني مصبتا لا يضره شروح التعميد وكذلك يوجد أيضا ٢٦ ديوانا تضم شروحات للطقوس الدينية(٢٠)

إن الصابئة المندائيين يعتبرون النبي يحيى ابن زكريا رسولهم المنزل حيث كان مولده معجزة من المعجزات الالهية ومكرمة من مكارم الأنبياء وذلك لانه والده النبي زكريا قد بلغ من العمر عتياً وكانت امرأته عاقل لا تنجب ومع ذلك فإن الله عز وجل استجابه لدعاء أي دعاء زكريا بأن يكون له ابن إيرث النبوة من بعده وارزقه بابنه يحيى وقد وردا في القرآن الكريم والإنجيل وكتب الصابئة المقدسة ووصفة للميلادي ونبوته و وفاته وكذلك جاء ذكره في القرآن الكريم(٢١)

مراتب رجال دينهم:

تعتمد الطقوس الدينية التي يؤديها المندائيون على رجال الدين اللذينا يتسلسلون بمراتب كهنوتية وفق دراستهم وخبراتهم بالدين لهم مراسيم خاصة تقام لهم حيث تتميز ديانتهم بالسرية ونقل العلم من الأب إلى الإبن و حيث دونت معتقداتهم في صوره كتب وتقارير ولفائف مخطوطه ضلوا يستنسخونها جيلاً بعد جيل رغم تشديد الوصاية الدينية على ضرورة تحري الدقة في عملية النسخ حيث تشابه هذه العملية بعض العيوب و أن الصابئة قطايف دينية تلجأ في كتابها إلى لغة الرمز و التأويل فإنهم في سردهم للMythology التي يؤمنون بها يلجأون إلى المعاني المجردة والمقاولات العامة و أبرز ما تميزت به هم انه شديدين الإنطواء على أنفسهم (٢٢)

وبالتالي كونهم لا يبشرون في دينهم ولا يسمحون بال الاطلاع على كتبهم من الآخرين بل انه حتى رجال الدينهم كانوا يحاولون دونه أطلاع العام من الناس عليها و يقتصرون تداولها عليهم وحدهم ولديهم اسرارهم الدينية ولا يفشون بها إلى المستويات العليا من كهنتهم ويقسم رجال الدين إلى أقسام:-

١. الترمذا أول المراتب التي يجب على المرشح أن يكون مؤهلا دينية وأن يجتاز الامتحان الديني
٢. الكنز برا أي عابر الكنزا بمعنى خاتمها و عليه أن يجسد معناها فعليا أي يكون ملماً بجميع جوانب الديانة المندائية.
٣. رشه امه وتطلق على من يكون أثاره واضحة وهي أعلى درجات الزهد والتصوف الديني حيث يبتعد عن كل الماديات وينصرف للتعميد ٤- الربي هي أعلى المراتب مرتبة النبي يحيى ابن زكريا (٢٣)

أعيادهم:

تقسم أعياد الديانة الصابئة على السنة أولها عيد البنت أول برونا هو عيد الخليقة العلوي هي ذكرى خلق العوالم النور والأرواح الأثيرية الأولى وفيها تفتح بوابات نور وتنزل الملائكة والأرواح الطاهرة فيها منورة الأرض و مدة هذا العيد خمسة أيام اما العيد الآخر شيء يسمى عيد التعميد الذهبي وهو هبة الله سبحانه وتعالى للملائكة حيث تعمد في عوالم نور العليا و هديتي آدم وذريته من بعده حيث عمده جبرائيل وفي هذا اليوم تعمد النبي يحيى ابن زكريا ومدته يوم واحد كذلك العيد الاخر هو عيد دهو اربا أي عيد رأس السنة من المندائية (العيد الكبير) وكذلك عيد دهو هنينا عيد الأزدهار (العيد الصغير) أما أهم ما يميز شعائرهم هي راية السلام الدرفش و رأيت النبي يحيى ذات مكان نورانيه لديهم حيث تدخل في اغلب الطقوس الدينية وتتكون من غصن الزيتون على شكل علامة زائد تشبه الصليب للدلالة على الجهات الأربع للأرض وترمز للسلام وتوضع قطعة بيضاء للدلالة على النقاء والطهارة وغصن الزيتون و ب وسبعة أغصان من الأس للدلالة على الحياة الأسرية وبذلك يكون الدرفش رمز السلام، الطهارة،

النقاء، الحياة الأزلية هي صفات يجب أن ترسخ في كل إنسان من دائي يتعمد ويجب عليه أن يحاول نشرها أينما حل(٢٤)

المبحث الثالث- دورهم الاقتصادي ، الاجتماعي، والسياسي حتى قيام الجمهورية

الجانب الاقتصادي:

لم يؤدي الصابئة المندائيون دور مؤثر في النشاط الزراعي في العراق بسبب عدم امتلاكهم للمقومات التي يتطلبها النشاط الزراعي واولها الطابع الاجتماعي القبلي حيث سيطرت القبائل الكبرى في العراق على الاراضي الزراعية فضلاً عن ان هذا النشاط يحتاج الى القوة لحماية الاراضي وذلك لكثرة النزاعات القبلية حول الاراضي فيما ان الصابئة يمتازون بطابع المسالمة فضلاً عن بروزهم في النشاطات الحرفية الاخرى والتي اظهروا فيها براعة كبيرة (٢٥) . اما في الجانب الصناعي والحرفي فقد برز الصابئة المندائيون بشكل واضح من خلال النجارة التي مارسوها منذ القدم مثل نجارة الاثاث المنزلي والكراسي والطاولات اذ عرف عن الصابئة اتقانهم لهذه المهنة ، كما أن مهنة صناعة واصلاح الزوارق تكاد تكون حكراً لهذه الطائفة وذلك بحكم وجودهم قرب الانهار (٢٦) ، اضافة الى انهم امتهنوا الحدادة ، وفضلاً عن كل ذلك ، برع الصابئة في مهنة الصياغة وصناعة المجوهرات والتي اصبحت من المهن الاساسية والمتوارثة لديهم وقد انتشرت محلاتهم بشكل واسع في جميع المدن العراقية (٢٧) .

ونلاحظ من خلال الكتابات التاريخية سواء لرحالة أجانب أو لكتاب عراقيين من طوائف أخرى أو من طائفة الصابئة المندائين أن هذه الطائفة انحصر دورها الاقتصادي في الصناعة والحرف التقليدية كالحدادة والنجارة والصياغة وغيرها، في حين غابت أدوارها تماما في قطاعي الزراعة والتجارة ، ولم يمارسوا أنشطة ذات طابع فلاحي أو تجاري الا في أضيق الحدود وهو ما أكده الكسندر آداموف والليدي دراوور وغيرهم من الباحثين لكننا حاولنا الغوص في أسباب عزوف هذه الطائفة على الزراعة والتجارة فيما يلي: – أن النشاط الزراعي يتطلب مقومات كثيرة لا يمتلكها الصابئة المندائيون ومنها الطابع الاجتماعي القبلي لملكية الأراضي في العراق حيث استولت القبائل الكبرى ذات المكانة والقوة والامتداد الديمغرافي في البلاد على أغلب الأراضي الزراعية، ولم يكن بالامكان منافستهم في ملكية الأراضي – الطابع المسالم للصابئة المندائيين حيث يتطلب العمل في هذا المجال على القوة التي تمكن أصحابها من حماية أراضيهم عن طريق القوة والدخول في نزاعات قبلية مع قبائل أخرى ان تطلب الأمر ذلك، وهو ما لا يتوفر لديهم فقلة عددهم وسلميتهم حتمت عليهم الابتعاد عن كل ما يدخلهم في صراعات تنعكس عنهم سلبا. – تاريخيا لم تكن الزراعة من ضمن أولويات الأنشطة الاقتصادية للطائفة طوال تواجدها في العراق فالزهد والانطواء أبرز سماتهم فعملوا في أنشطة لا توجد بها منافسة . الطوائف الأخرى فاعتمدت على النشاط الحربي وأبدعت فيه وكان أبرز نشاط ارتبطت به الطائفة تاريخياً، والدخل المادي القليل الذي تدره الزراعة مقارنة بالأنشطة الاقتصادية الأخرى كالحرف التي مارسها الصابئة المندائيون اذ ذكرت المصادر التاريخية أن دخل الحربي في مهنة الحدادة مثلا ضعف دخل الفلاح العراقي في بداية القرن العشرين (٢٨)، وبالتالي فرضت طبيعة تكوينهم الديني والاجتماعي انفرادهم بالصناعات وحرف تميزوا بها واصبحوا معروفين بصناعها حيث أخذت تنسب إليهم منها فن الصياغة حيث الصياغة معدن الفضة

وكذلك تزين الحلا و الأواني والساعات حيث تكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم لأنهم يحرصون على حفظ اسرارهم كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر وكذلك صناعة الميناء وهي صناعة قديمة التي تعني الزجاج أو تشبه الخزف ذات ألوان متعددة وكذلك صناعة السفن الصغيرة المسماة بالطرارید هي سفن يكثر استعمالها في جنوب العراق كما أن بعضهم ينتهي الحدادي ويبيع الأخشاب وهم قليلون ولابد للإشارة انه مهاراتهم في الصياغة دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بلدان شتى منها بيروت ودمشق والإسكندرية ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا كما أنهم كما أنهم أخذوا من اليهود السحر وتعلموا أسراره (٢٩) .

الجانب الاجتماعي:

اما في الجانب الاجتماعي فقد تمتع الصابئة بمجموعة من الحقوق وهي الأمان على أنفسهم وممتلكاتهم وحرياتهم الدينية وحرية التنقل والإقامة والتجارة وغيرها من الحقوق، مقابل أداء واجباتهم المالية للدولة «دفعهم الجزية، والخراج ، وضرائب التجارة»"(٣٠)

يعتبر الصابئة المندائيين جزء مهم من تركيبه المجتمع ويرتبطون بعلاقه مميزة بجميع أطياف الشعب العراقي و يتعايشون بكل ود وين دايم يجون مع الجميع حيث فرضت طبيعة أن عملهم في الأسواق واختلاطهم مع كافة مكونات المجتمع العراقي وقد برز من أبناء هذه الطائفة نخبة متميزة في معظم المجالات العلمية فمنهم الادباء والمهندسون والأطباء والفنانون والأساتذة والتجار وصياغة ولهم دور فعال في تقديم المجتمع العراقي والعربي وتطويره حيث لابد من الإشارة إلى أبرز تلك الشخصيات:- ثابت بن قرة : - الذي كان طبيبا وفيلسوفاً بارعاً في علم الرياضيات سنان بن ثابت بن قرة : الذي كان رئيس الأطباء في بغداد في زمن الخلافة العباسية إبراهيم بن سنان بن ثابت مهندس مشهورا وله كتابات في هذا المجال البستاني - عالم رياضيات وعلم الكواكب وله كتابات مهمة في الفلك أبو إسحاق الصابئي: - الكاتب والأديب والشاعر صاحب ديوان الرسائل الدكتور عبد الجبار عبد الله - عالم فيزيائي معاصر ومعروف على الصعيد المحلي والعالمي تولى منصب رئيس رئيس جامعة بغداد خلال فترة حكم عبد الكريم قاسم، وهناك أيضاً الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد والشاعرة لميعة عباس عمارة (٣١)

الجانب السياسي:

يتضح من خلال ماتخبرنا به المصادر التاريخية ان الصابئة في عهد الدولة العثمانية كباقي الاقليات من اهل الكتاب فقد تعاملت معهم بكل تسامح وحرية مع وجود فرق بسيط والذي يعود الى حجم الاقلية ولم يتعرضوا للاضطهاد خلال فترة الحكم العثماني الا في

بعض المواقف التي كانت تصدر بصورة فردية من قبل بعض الذين يتقلدون مناصب حكومية. ومن الناحية الاجتماعية فقد كان الصابئة المندائيين منظمين تنظيماً دينياً هرمياً يقوم على اساس احترام رجال الدين حسب رتبهم الدينية (٣٢) ، الا ان طبيعة هذه الطائفة تميل الى الانغلاق والانعزال من اجل المحافظة على خصوصيتها مما جعلهم منعزلين عن الاحداث خلال تلك الفترة كما ان مراسيم الانتماء الى دينهم وشروط الزواج التي لا تسمح للصابئي الزواج بغير الصابئية كل تلك الأمور جعلت الصابئة المندائيين محصورين في العدد ميالين الى التناقص (٣٣) . مسرح تركز الصابئة المندائيون خلال العهد العثماني في جنوب العراق وخاصة مناطق الاهوار خاصة مناطق العمارة والعزير وقلعة صالح والشرش

ونهر صالح والجبايش والحمار وسوق الشيوخ والناصرية والبصرة والقرنة مع وجود اعداد قليلة منهم في اربيل والسليمانية وكربلاء ومن ثم بغداد مع بداية القرن العشرين (٣٤) .

تمثلت الهجرة لطائفة الصابئة المندائيون في الرغبة في تحسين أوضاعهم المعيشية والاقتصادية خاصة وانهم يتميزون بأنهم حرفيين ماهرين وصاغة ماهرين فضلاً الدوافع الاجتماعية التي تمثلت في تخلي ابناء هذه الطائفة عن العادات والتقاليد المتوارثة وسعيهم الى تعليم ابنائهم في المدارس الحكومية الحديثة التي بدأت تظهر مع الاصلاحات العثمانية وازدهار التعليم الحديث وفتح مدارس خاصة لليهود والنصارى (٣٥) ، فضلاً عن ابداء رجال الصابئة تساهلاً في موضوع المراسيم الدينية لهم والتي كانت مشترطة على التواجد بالقرب من المياه الجارية(٣٦)

ولابد من الاشارة ان الدولة العثمانية لم تعترف بالصابئة المندائيين كطائفة مثل اليهود والنصارى الا انها في نفس الوقت لم تتعرض لهم كما سبق ذكره حيث اتسمت معاملتها لهم بعدم الاكتراث(٣٧) ، ويمكن ان نعيد ذلك لقلة اعداد ابناء هذه الطائفة، وعدم ضغطهم على الحكومة للاعتراف بهم وذلك لطابعهم الانعزالي

ولم تعمل الدولة العثمانية على تيسير شؤون تلك الطائفة الا في بعض الاحيان عند طلبهم لذلك فمثلاً في عام ١٨٦٧ حدثت مذبحة لابناء الطائفة المندائية خلال حكم محسن عبد المهدي حاكم العمارة بعد ان خرجت امرأة مندائية الى النهر في اول ايام السنة الجديدة اذ يكون ابناء الصابئة خلال ذلك الوقت كلهم في بيوتهم فتعرض لها احد رجال الحاكم من الاعراب مما ادى الى حدوث القتال بين الفئتين حيث وقعت مذبحة ضد ابناء هذه الطائفة راح ضحيتها الكثير من النساء والاطفال ورجال الدين (٣٨)، وبعد ان طلب شيوخ الطائفة من الدولة العثمانية مثل الشيخ يحيى والشيخ داوود وغيرهم في الكوت والعمارة ان تتدخل حيث اقدمت السلطة لنفي احد شيوخهم المدعو يحيى بسبب علاقاته بالدول الاجنبية .

ومن الجدير ذكر ان الطائفة المندائية لم يكن لها حضور سياسي او نشاط يذكر خلال فترة الحكم العثماني وقد يعود ذلك الى العامل الديني كما سبق ذكره حيث كان رجال الدين في هذه الطائفة على عدم التدخل في الامور السياسية بسبب تعاليمهم التي لا تكترث لهذا الجانب وتميل الى حياة الزهد والعبادة فضلاً عن قلة ابناء الصابئة حيث انهم لم يمثلوا قوة مؤثرة انذاك تتمكن من حماية نفسها اضافة الى مناطق تركزهم في جنوب العراق واطرافه مما جعلهم يبتعدون من مراكز السلطة والحكم الا بعض الشخصيات مثل دفتر بشارة السهيلي الذي اصبح مختاراً في لواء المنتفق ابان الحكم العثماني والذي استمر هكذا حتى عام ١٩٠٩(٣٩) .

اما في ضل الدولة العثمانية فلم يلاحظ وجود او مشاركة سياسية للصابئة وهناك عدة اسباب لمنع وصولهم للسياسة:

أ-العامل الديني: بسط رجال الدين سيطرتهم وهيمنتهم على شؤون المجتمع المندائي خاصة ما يتعلق بالتواصل مع الطوائف الأخرى، في كل المجالات تقريبا، وفي ميدان السياسة فقد أكدت عدة دراسات أن رجال الدين المندائيون يحرصون على عدم الولوج في العمل السياسي في العراق، والسبب أنه شاق ومكلف في الأرواح، كما أن تعاليم الدين المندائي لا تهتم بالسياسة ولا بالميراث ولا بالمال، لأنه دين

زهد وتصوف، وحتى بعد الاعتراف بهم كطائفة في عهد الدولة العراقية الحديثة اقتصرت مشاركتهم السياسة في اصدار بيانات باسم المجلس الروحاني للطائفة، وغالبا ما كانت تساير السلطة وتختار ما يلائم هدفها الرئيسي، وهو تجنيب أبناء الطائفة تسلط الحكام والمحافظة على وجودها وكيانها.

ب العامل الاجتماعي: تمثل هذا السبب في قلة عدد أبناء طائفة الصابئة المندائية مقارنة بكل الطوائف الأخرى، حيث أنها لم تمثل طوال فترة الحكم العثماني أي ثقل ديمغراغي، يمكن أن يجعلها معادلة مهمة للسلطة أو للمجتمع على حد سواء، وهذا ما جعلها في موقف ضعف بسبب عجزها عن حماية نفسها، ومن المعلوم أن تقلبات السياسة في العراق لم تسلم منها طوائف أقوى وأكثر عددا من الصابئة ، فتحتم عليها الالتزام بخط حيادي يحفظ لها كيانها، دون التصادم مع أي طرف كما دأبت الطائفة على تأييد كل حاكم قوي قادر على حمايتها، ويحترم ديانتها وخصوصيتها ، فلم تعارض يوما السلطة العثمانية ولا ممثليها الولاة في أي أمر يمكن أن يرتد عليها وعلى مستقبل أبنائها (٤٠)

ج – العامل الثقافي ونقصد به التعليم والانفتاح على باقي أطياف المجتمع العراقي والاحتكاك بالسلطة فقد أكدت الكتابات التاريخية أن هذه الطائفة ظلت طوال فترة الحكم العثماني منغلقة ومنطوية لأبنائها بالدراسة في المدارس التي انتشرت في العراق خلال القرن الثامن عشر، وظل الأطفال المندائيون يكتفون بالدراسة في مدارسهم الدينية المندائية محدودة المستوى والامكانيات وتقتصر على دراسة الكتب الدينية المندائية واللغة الآرامية، فبقوا أبعد الطوائف العراقية عن مؤثرات الحضارة الأوروبية، وهذا ما جعل أبناء الطائفة يتخلفون عن نظرائهم النصارى واليهود والمسلمين الذين استطاعوا أن يجدوا لهم أدوارا في المجتمع العراقي، وتقلدوا مناصب عليا سياسية وادارية، وعليه لم يكن أبناء هذه الطائفة قادرين على الوصول إلى مناصب هامة آنذاك.

د– العامل الجغرافي: اختار الصابئة الاقامة في بطائح العراق"، وهي بعيدة عن مراكز السلطة ودوائر القرار في فترة الحكم العثماني، سواء السلطة المركزية في الأستانة، أو عواصم الولايات بغداد والموصل والبصرة، ورغم أن الأخيرة تعد الأقرب لسكناهم الا أن الصابئة لم يسكنوا المدينة بل كانوا يقطنون الأقضية والقرى كالناصرية والعمارة وقلعة صالح ، فهم لم يكونوا من سكان كبرى المدن العراقية، وهذا لم يساعدهم في الاحتكاك بالسلطة وممثليها ، أو الاقتراب منها فكيف يمكن لهم الحصول على مزايا أو مناصب أو نفوذ(٤١).

الصابئة حتى قيام الجمهورية:

لقد كانت مدينة البصرة هي المحطة الأولى لهجرة الصابئة المندائيين في بداية القرن العشرين مما أحدث تحولات وتغيرات مهمة في البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقد كانت البصرة تمثل محطة مهمة للصابئة المندائيين لتواجد عدد من العشائر المندائية فيها مثل الجحيلية والجيزانة والكياليين وغيرهم.

ان البصرة تقع على حافة الاهوار لذلك كانت مدينة مناسبة لسكن المندائيين ، كما هاجر افراد وجماعات من هذه الطائفة للعمل او التجارة او الدراسة في المدارس الحكومية وفي الاربعينيات انتقل بعض رجال الدين المندائيين الى بغداد مثل الشيخ عبدالله الشيخ سام وهو والد الدكتور عبد الجبار عبدالله

رئيس جامعة بغداد انذاك فسكن محلة الكريميات في منزل مطل على نهر دجلة واخذ يمارس الطقوس الدينية في منزله(٤٢) .

بعد سقوط الدولة العثمانية وقيام الاحتلال البريطاني في العراق عام ١٩١٧ اخذ ابناء هذه الطائفة يمارسون دوراً ملحوضاً في المجتمع فقد كان المختار خوجة جالس يعد اول مختار لمدينة العمارة عام ١٩١٧ وبعد قيام النظام الملكي في العراق عام ١٩٢١ قام الملك فيصل الأول بتعينه عضواً في المجلس التأسيسي في بغداد ممثلاً عن ابناء الطائفة المندائية الا انه رفض المنصب وبقي مختاراً على العمارة حتى وفاته ١٩٢٧ (٤٣) ، كما بدء اول نشاط لابناء الطائفة في الجمعيات عام ١٩٣٣ عند تأسيس اول جمعية لهم والتي سميت (جمعية الصابئة في بغداد) (٤٤) .

تتابعت بعد ذلك الهجرات الكثيفة لابناء الطائفة من الجنوب الى بغداد ويمكن القول ان الطائفة المندائية انتقلت الى بغداد مع بقاء بعض العوائل في الجنوب ، اذ دخلوا بكثافة في المدارس الحديثة والجامعات ومن ثم في الوظائف الحكومية ، ومن المميز دخولهم في الاحزاب السياسية العراقية انذاك وخاصة الاحزاب اليسارية الماركسية حيث وصل بعضهم الى درجات قيادية مثل مالك السيف الذي اصبح سكرتيراً للحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٤٩ .

كما بقي في الحزب الشيوعي كوادر مميزة من ابناء هذه الطائفة مثل المفكر والكاتب عزيز سباهي ، ومن ثم تم بناء اول معبد للطائفة المندائية في بداية عقد الستينات وفي منتصف السبعينات حصلت الطائفة على قطعة ارض من وزارة الاوقاف في منطقة القادسية الا ان الشحة المائية حالت دون بناء معبد عليها وقد بني معبد في القادسية بعد ان صادرت الدولة ارض المعبد الواقع في الدورة حيث بني المعبد الذي لا زال قائماً حتى الآن وفيه رئاسة الطائفة والمجالس الادارية) مجلس العموم – مجلس شؤون الطائفة)، كما انتقل الشيخ دخيل الشيخ عيدان من ذي قار الى بغداد عام ١٩٥٩ فسكن في منطقة الدورة مما اسس لمرحلة جديدة اصبحت فيها رئاسة الطائفة في بغداد (٤٥) .

ويمكن ان نشير من خلال ماسبق ذكره ان الصابئة المندائيون قد تمتعوا بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقيام الجمهورية في العراق بحقوق وحريات أكثر مما كانوا عليه خلال فترتي العهد العثماني والملكي في العراق وذلك يعود الى السياسة التي اتبعها عبد الكريم قاسم اذ انه عمل على تنصيب الافراد في المناصب والمؤسسات الحكومية طبقاً لما يتمتعون به من كفائات وخبرات وليس على اساس التمييز المذهبي والعرقي ومثال ذلك تعيين الدكتور عبد الجبار عبد الله رئيساً لجامعة بغداد وهو صابئي الاصل كما ذكرنا انفاً .

ولابد من الاشارة الى انه في مطلع الثمانينات من القرن الماضي حدث تحول واضح في البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية لهذه الطائفة والذي مثل بلورة جادة لهوية الصابئة المندائيين الثقافية والدينية حيث شكلت ثلاث مجالس هي :

١–المجلس الروحاني : يضم جميع رجال الدين ويهتم بالشؤون الدينية ويترأسه رئيس طائفة الصابئة المندائيين في العراق (الكنزبرا الشيخ ستار جبار الحلو)

٢- مجلس العموم : ويتكون من ممثلين لكل عائلة أو عشيرة تنتخبهم عوائلهم بطريقة الانتخاب الحر المباشر ويعتبر هذا المجلس بمثابة برلمان مهمته التشريع والرقابة

٣- مجلس الشؤون : وينتخب اعضاؤه من قبل مجلس العموم بأسلوب الاقتراع الحر المباشر ويقوم بأدارة شؤون الحياة لأبناء الطائفة عن طريق اقسامة وبعد ذلك استطاعت الطائفة المندائية ان تفرض نفسها كطرف في المعادلة العراقية وان تعلق عن هويتها القائمة على اساس مبدأ المواطنة وان ابناء هذه الطائفة هم عراقيون ولهم حق يجب ان يستمتعوا به وبعد حراك من قبل رووؤساء هذه الطائفة تمكنوا من الحصول على معقد في الجمعية الوطنية الانتقالية ٢٠٠٥ وشغل هذا المعقد السيد صبحي مبارك مال الله (٤٦) .

لم يكن هنالك أي مشاركة لهذه الطائفة في السياسة باعتبارهم يمثلون اقلية في المجتمع العراقي وكذلك طبيعة تكوينهم الديني حيث الانعزال والانغماس في امور الدينية بعيدا عن المناصب السياسية أو التدخل في الحكم وعلى الرغم من دور هذه الأقليات الدينية والقوميه في بناء الحضارة وتكوين المجتمع حيث امتلك الكثير من الطاقة والكفاءة المرموقة أما في وقتنا الحالي بعد الضغوط المستمرة والمطالبات المشاركة في الحياة السياسية البلد تم حصولهم على مقعد نيابي واحد و مقعدين في مجلس محافظة بغداد وفق نظام الكوتا كما لأول مرة في تاريخ العراق تم ذكر الصابئة المندائيين في الدستور النافذ لعام ٢٠٠٥ ٢٠٠ في الفقرة الثانية من المادة (٢) على ما يلي: (الشعب العراقي، كما يضمن كامل الحقوق الدينية لجميع الأفراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية والصابئة المندائين)، كما لابد من استعراض أهم الحوادث التي تعرضت لها هذه الطائفة منها حوادث القتل التي تعتبر من أخطر الأمور التي واجهت المندائيين وكذلك حوادث ال اختطاف وسرقة المصوغات الذهبية وطلب الفديه كما أنه هنالك عدد كبير من المفقودين الذين خرجوا من منازلهم ولم يعرف مصيرهم حتى الآن كذلك حوادث الإنفجارات وأخيرا النزوح وا والتهجير القصري حيث تحركت أعداد كبيرة منهم نحو كردستان وخارج العراق(٤٧)

الخاتمة وأهم التوصيات:

١. مثل الصابئة المندائيون، في الأمس واليوم، طيفاً جميلاً من أطياف الماضي السحيق، ألسنة ما زالت تنطق بالآرامية لغة إبراهيم الخليل هم كفئه مسالمة عاشت في العراق لفترة طويلة من الزمن ليس هناك من إحصاء يبين كم عدد الباقين من الصابئة المندائيين داخل العراق
٢. دعم الأقليات والمحافظة على بقائها في العراق وضمان كافة حقوقهم والحفاظ على وجودهم التاريخي.
٣. زيادة تمثيلهم السياسي من خلال منحهم مقعد ثاني في مجلس النواب العراقي للدورة القادمة عن المنطقة الجنوبية وكما يجب تمثيلهم السياسي والإداري في مجالس المحافظات والقضية ونواحي في كل المحافظات التي يتواجدون فيها وذلك حسب نظام الكوتا والكثافة السكانية.
٤. ضمان الحقوق الثقافية لأبناء الصابئة من خلال فتح مدارس خاصة لهم تدرس فيها لغتهم الأم (الآراميه) كون هذه اللغة حسب تقرير اليونسكو لعام ٢٠٠٦ من اللغات المهددة بالانقراض وكذلك يجب دعم مركز الدراسات والبحوث التابعة للرئاسة الصابئة لانه المركز الوحيد المخصص بإصدار البحوث والدراسات وطباعة الكتب المندائية.

٥. سن تشريعات لمنع العنف والتمييز ضد الأقليات.

٦. دعم العوائل المتعففه والمهجرة و توفير كافة المستلزمات الضرورية لهم من خلال شمولهم بشبكة الرعاية و توفير سكن وفرص عمل للعاطلين منهم

٧. تكريما و عرفاً بدورهم في بناء الحضارة العراقية لابد من تسمية إحدى الجامعات أو الساحات او الشوارع أو عمل نصب تذكاريك علامة لهم وشكرا لي دورهم كمثال لذلك الدكتور عبد الجبار أول رئيس للجامعة بغداد.

الهوامش

(١) سورة البقرة ، الآية ٦٢

(٢) سورة المائدة الاية ٦٩

(٣) سورة الحج ، الآية ١٧

(٤) محمد عمر حمادة تاريخ الصابئة المندائيين، دار قتيبة للنشر والطباعة، ١٤١٣هـ، ص ٢٩

(٥) صادق شهيد الطائي سر الفضة – سر الماء المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة الهيئة العامة للهيئة الأميرية ٢٠١٠، ص٧

(٦) سعد سلوم الاقليات في العراق الذاكرة الهوية التحديات مؤسسة مسارات للتنمية استثقافة والاعلامية ٢٠١٣، ص ١٠٦ .

(٧) احمد العدوي الصابئة منذ ظهور الاسلام حتى سقوط العباسية، رؤية شر ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ط ١ ، ص ٨٠

(٨) ايهاب محمد عيسى الصابنه حقيقتهم واصول معتقداتهم، مجلة كلية أصول الدين لدعوة، العدد الخامس والثلاثون ، ج ٢٠١٧، ١، ١٣١٦ص

(٩) ايهاب محمد عيسى المصدر السابق، ص ١٣١

(١٠) صادق شهيد الطائي : سحر الفضة سر الماء ، ط١ ، مصر ، المجلس الاعلى الثقافي ٢٠١ ، ص ٦٦

(١١) سعد سلوم : الاقليات في العراق الذاكرة ، الهوية ، التحدي ، ط٣، بيروت ، دار افدين ، ٢٠١٤، ص ١٠٥

(١٢) جوزيف ياكوب : ما بعد الاقليات، تر حسين عمر، ، بيروت، الدار البيضاء ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨٢.

(١٣) عذيب قاسم عبد علي : تغيير الخريطة الجغرافية للمكونات الدينية في العراق) –هود– الصابئة المندائيين – المسيح – الايزيدية) ، مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية (العراق العدد (٣٢)، (٢٠١٧) حزيران (ص ١٨٨

(١٤) عذيب قاسم علي ، المصدر السابق ، ص١٨٨

(١٥) سمر عبد وحواح الناشيء ، عصابة العراق دراسة في جغرافية السكان ماجستير غير شورة كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٣ ، ص٩

(١٦) عزيز ساهي، اصول للصابئة المتداين ومعتقداتهم الدينية ، ط ١ ، دار المدى الثقافة شر سوريا ، دمشق ، ١٩٩٦ ، ص ٢١–٢٢

(١٧) سعد سلوم ، المصدر السابق ، ص١٠٧ – ١٠٨ .

(١٨) سعد سلوم : المصدر السابق، ص ١٠٩

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١١٠

(٢٠) محمد عمر حمادة ، المصدر السابق ، ص ٦٤

(٢١) سمر عبدو وحواج الناشي ، المصدر السابق، ص ١٣،١٢

(٢٢) الليدي داروور ، الصابئة المندائيون ، دار المدى للثقافة دمشق، ٢٠٠١، ط١، ص ٥٢

(٢٣) عزيز سباهي، المصدر السابق ص ٧٦

(٢٤) عزيز سباهي، المصدر السابق، ص ٨٧

(٢٥) مصطفى شاكر سليم ، دراسة انثروبولوجية لقرية في الاهوار ، ط١ ، مطبعة الرابطة، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ١٦٨–١٦٩

(٢٦) صادق شهيد الطائي ، المصدر السابق ، ص١٩٤

(٢٧) عبد الرزاق الحسني ، الصابئة ماضيهم وحاضرهم ، ص ١٢٩ .

(٢٨) عبد الحميد الارقط : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

(٢٩) عبد الرزاق الحسني، الصابئه قديماً وحديثاً، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٢٥،ص ٦٤-٦٥

(٣٠) زيد عدنان ناجي : المصدر نفسه ، ص٣٠-٣١

(٣١) قادر خالد محمد صالح الصابئة وأحكام أحوالهم الشخصية مجلة الحقوق و البحوث قانونية والاجتماعية، العدد ، ٢٠١٥ ، العدد ٣٠٨ يونيو،ص ٧٦.

(٣٢) عبد المجيد الارقط ، دور الاقليات الدينية في المجتمع العراقي خلال العهد العثماني ١٩١٧-١٥١ ، اطروحة دكتوراه، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الجزائر ، ٢٠٢٠ ، ص٢٨٧

(٣٣) عماد عبد السلام رؤوف ، الحياة الاجتماعية في العراق في عهد المماليك ١٧٤٩- ١٨٣ ، اطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة كلية الأداب ، ١٩٧٦ ، ص ٣٨٤ .

(٣٤) الليدي دراور ، الصابئة المندائيون ، ترجمة : نعيم بدوي ، غضبان الروحي ، ط٢. ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريا ، ٢٠٠٦ ،،ص٣٢

(٣٥) جميل موسى النجار ، التعليم في العراق خلال العهد العثماني الاخير ١٨٦٩-١٩١٨ ،الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٢٠

(٣٦) عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ص٦٢-٦٣

(٣٧) سعد سلوم ، المصدر السابق ، ص٧٥

(٣٨) الليدي دراور ، المصدر السابق ، ص٤٤

(٣٩) عبد العزيز سليمان نوار ، تارخ العراق الحديث ، دار الكاتب العربي طباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٩

(٤٠) عبد الحميد الارقط : الاقليات الدينية في المجتمع العراقي خلال العهد العثماني ، اطروحة غير منشورة ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الجزائر ، ٢٠٢٠، (١٩١٧-١٥١٧ ن ٢٩٤

(٤١) عبد الحميد الارقط : المصدر السابق، ص ٢٩٥ .

(٤٢) صادق شهيد الطائي ، المصدر السابق ، ص٢٩

(٤٣) عبد الزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، دار الرافدين للطباعة ، ٢٠٠٧ ،ص ٤٣

(٤٤) خالد ميران دفتر السهيلي، شخصيات صابئة مندائية في التاريخ المعاصر ، مؤسسة العيون المعرفية ، ص ١٣٧

(٤٥) صادق شهيد الطائي ، المصدر السابق ، ص٢٩-٣٠

(٤٦) سعد سلوم ، المصدر السابق ، ص١١٥-١١٦

(٤٧) قادر خالد محمد صالح المصدر نفسه، ص ٧٧

القضية الكردية في العراق ١٩٦٨ – ١٩٧٥م

The Kurdish issue in Iraq 1968-1979

الباحثة أيمان نعيم عرد
طالبة دراسات عليا/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أ.د. عباس فرحان ظاهر
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The Iraqi Kurdish issue has formed since the establishment of the Iraqi state on August 23, 1921. This issue has escalated in pace and its effects until it became the first problem to be raised on the agenda of successive Iraqi governments, as this issue constituted one of the important issues that faced Iraq. Whenever a new Iraqi regime or government came And it announced its internal and external policies, and among them was a just and peaceful solution to the Kurdish issue, but it returned and retracted from implementing its promises, and every time those regimes and governments make the Kurdish issue the first brake that hinders it, so what are the reasons that made the Kurds in the Iraqi state, a chronic problem in comparison With their peers from other minorities who live peacefully within the framework of the Iraqi state or with regard to the Kurds in other and neighboring countries who live in worse conditions when compared to the rights that the Kurds obtained in the statement of March 11, 1970, in which the outside factor did not have an opportunity to employ their case to influence it in The internal conditions of those countries in which they live and reside freely and safely, and this leads us to believe that there is a strong and influential external factor working to exploit the Kurdish cause in Iraq.

الملخص:

إن ما يلاحظ على القضية الكردية العراقية ومنذ تشكيل الدولة العراقية في ٢٣ آب العام ١٩٢١ تلك القضية تتصاعد وتيرتها وتأثيراتها حتى أصبحت المشكلة الأولى التي تطرح على جدول أعمال الحكومات العراقية المتعاقبة، إذ شكلت هذه القضية احد القضايا المهمة التي واجهت العراق ، فكلما جاء نظام عراقي جديد أو حكومة جديدة وأعلنت عن سياساتها الداخلية والخارجية وكان منها حل القضية الكردية حلاً عادلاً سلمياً، إلا وعادت وتراجعت عن تنفيذ وعودها وفي كل مرة تجعل تلك الأنظمة والحكومات من القضية الكردية الكابح الأول المعوق لها، إذن فما هي الأسباب التي جعلت من الأكراد في الدولة العراقية، مشكلة مزمنة مقارنة مع أقرانهم من الأقليات الأخرى التي تعيش، بسلام في إطار الدولة العراقية أو بالنسبة للأكراد في الدول الأخرى والمجاورة والذين يعيشون ظروفاً أسوء فيما إذا قورنت بالحقوق التي حصل عليها الأكراد في بيان ١١ آذار العام ١٩٧٠ التي لم تتح للعامل الخارجي، فرصة لتوظيف قضيتهم للتأثير بها في الأوضاع الداخلية لتلك الدول التي يعيشون ويسكنون فيها بحرية وأمان وهذا يدفعنا للاعتقاد أن هناك عاملاً خارجياً قوياً ومؤثراً، يعمل على توظيف القضية الكردية في العراق.

كلمات مفتاحية: (كردستان، البارزاني، حكومة العراق، بيان أذار، اتفاقية الجزائر)

المقدمة:

إن ما يلاحظ على القضية الكردية العراقية ومنذ تشكيل الدولة العراقية في ٢٣ آب العام ١٩٢١ تلك القضية تتصاعد وتيرتها وتأثيراتها حتى أصبحت المشكلة الأولى التي تطرح على جدول أعمال

الحكومات العراقية المتعاقبة، إذ شكلت هذه القضية من القضايا المهمة التي واجهت العراق ، فكلما جاء نظام عراقي جديد أو حكومة جديدة وأعلنت عن سياساتها الداخلية والخارجية وكان منها حل القضية الكردية حلاً عادلاً سلمياً، إلا وعادت وتراجعت عن تنفيذ وعودها وفي كل مرة تجعل تلك الأنظمة والحكومات من القضية الكردية الكابح الأول المعوق لها، إذن فما هي الأسباب التي جعلت من الأكراد في الدولة العراقية، مشكلة مزمنة مقارنة مع أقرانهم من الأقليات الأخرى التي تعيش، بسلام في إطار الدولة العراقية أو بالنسبة للأكراد في الدول الأخرى والمجاورة والذين يعيشون ظروفاً أسوء فيما إذا قورنت بالحقوق التي حصل عليها الأكراد في بيان ١١ آذار العام ١٩٧٠ التي لم تتح للعامل الخارجي، فرصة لتوظيف قضيتهم للتأثير بها في الأوضاع الداخلية لتلك الدول التي يعيشون ويسكنون فيها بحرية وأمان وهذا الأمر يدفعنا إلى أن هناك عاملاً خارجياً قوياً ومؤثراً، يعمل على توظيف القضية الكردية في العراق، اذ تبت الادارة الامريكية بعد عام ١٩٦٨ استراتيجية جديدة تقوم على بناء تكتلات امنية وذلك بدعم : دول في المنطقة واهمها ايران . لكبح جماح العراق القومية والعمل على تقيده تحت شعار محاربة الشيوعية ومنع سيطرة السوفيت على الانظمة العربية . لأن ذلك يعني تصفية المصالح الامريكية .

ومن اجل تحقيق الاهداف واهمها اضعاف العراق . قامت الولايات المتحدة الأمريكية على أثارة القضايا الداخلية وتشجيع الثورات واهمها القضية الكردية لاستخدامها ورقة ضغط على العراق . لا سيما وان المشكلة الكردية بقيت من اهم المشاكل التي عانى منها العراق على مدار عقود طويلة .

المبحث الاول- تطورات المسألة الكردية حتى بيان ١١ اذار ١٩٧٠

اولاً: وضع الكرد السياسي بين عام (١٩٦٨ – ١٩٦٩) :

كانت المسألة الكردية واحدة من اعقد المشاكل التي واجهت حكومة حزب البعث ايام حقبة حكمه الثاني للعراق بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ وقد جاء وصف هذا الواقع في التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث ، الذي سلط الضوء على هذه القضية مشيراً اليها بما نصه " كانت القضية الكردية اكثر المعضلات التي واجهت حزب البعث والثورة خلال السنوات الماضية صعوبة وتعقيداً [١]، وحاول البعثيون في بداية تسلم السلطة ايجاد حلول سلمية للقضية الكردية ، التي كانت سبباً مهما من اسباب عدم الاستقرار الداخلي للبلاد ولما يمتلكه الاكراد من علاقات خارجية يمكن الاستعانة بها عند الضرورة والحاجة اليها ضد الدولة ، وقد وصف صدام حسين[٢]، الحركة الكردية بأنها حركة قومية تمتلك مبررات مبدئية وواقعية لغرض مطالبتها بحقوقها القومية المشروعة على الرغم من وجود بعض الملابسات التأريخية التي رافقت الحركة وما تحتويه من شوائب واتجاهات رجعية [٣] .

جاءت اول اشارة الى القضية الكردية من نظام ما بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ في البيان رقم (١) الامر الذي عكس مدى اهميتها وتشكيلها تحدياً حقيقياً للحكومات التي تعاقبت على حكم العراق وادارت سدة حكمه في مختلف المراحل الى الحد الذي يصعب معه تجاهلها وتركها بدون حل ضروري لخلاص العراق من ويلات الحروب الداخلية ما بين الطرفين [٤]، لذا جاء في البيان المذكور الاعلان عن عزم الحكومة الجديدة حل القضية الكردية " بحكمة ودراية. على حد وصف البيان وبعد صدوره قام النظام الجديد بأشراك الاكراد في التشكيلة الوزارية بـ ٣ وزراء اكراد واحدهم ممثل عن الملا مصطفى البارزاني ، يدعى

محسن دزني وبعد اسبوع واحد من اعلان البيان رقم (١) اعلن رئيس الجمهورية انه سيتم تنفيذ بيان البزاز الخاص بالقضية الكردية[٥].

حاولت حكومة حزب البعث احتواء او اضعاف الحركة الكردية بأي طريقة كانت من دون اعطائها أي تنازلات جوهرية بالمشاركة في الحكم ، كونها تشكل تهديداً جدياً لها ، اذ ادركت الحكومة عدم رسوخ نظامها بالقدر الكافي ، لذا لم تكن راغبة في دخول صراع مسلح ضد الأكراد بشكل مباشر ، لذا حاولت تحجيم دور الملا مصطفى البارزاني على الساحة الكردية ، فعملت على دعم مجموعة ابراهيم احمد - جلال طالباني المنشقة عن الحزب الديموقراطي الكردستاني وكانت المجموعة المذكورة أكثر مرونة حيال التعامل مع حكومة حزب البعث واكثر استعداداً للتفاوض[٦] ولعل السبب في ذلك يعود الى اعتناقها الافكار القومية والاشتراكية كما هو حال حزب البعث. حاولت حكومة حزب البعث في اجراء مفاوضات مع الملا مصطفى البارزاني ، الذي اشترط على حزب البعث ان يقطع العلاقة ، جماعة ابراهيم جلال طالباني قبل ان يشرع للتفاوض معهم الا ان الحكومة رفضت الشرط فعمل مصطفى البارزاني على سحب ممثله من مجلس الوزراء في ٢٦ اب ١٩٦٨[٧]، وهكذا اخذت العلاقة بين الطرفين تتجه نحو التعقيد بعد حوالي عامين من الهدوء الذي شهدته المناطق الكردية ، على اثر اعلان بيان البزاز في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ ، الذي ظل من دون تطبيق. كان ديدن البعث وهدفه العمل على تشتيت الاكراد حيث اراد التقرب من جماعة ابراهيم احمد جلال طالباني والعمل على اضعاف وتقليل سطوة الملا مصطفى البارزاني لذا عملت سلطة البعث على مد جسور التعاون معهم واتخذت الحكومة عدة اجراءات منها تعيين وزير كردي من جماعة ابراهيم احمد – جلال طالباني المدعو طه محي الدين معروف والسماح لهم بـ اصدار جريدة النور الناطقة بأسمهم المؤيدة لسياسة البعث وعملت الحكومة على اصدار اوامر بصرف رواتب القوات العائد لجماعة ابراهيم احمد – جلال طالباني والتي كانت تسمى فرسان صلاح الدين في كردستان لكن جماعة ابراهيم – جلال كانت تأمل من الحكومة بـ مميزات اخرى لكسب ثقة الجمهور بالتحالف السلطة [٨] .

نتيجة لهذا التوتر في العلاقة بين الطرفين هاجمت قوات الملا مصطفى البارزاني القوات الحكومية وكذلك هاجمت قوات ابراهيم أحمد – جلال طالباني في ١٢ تشرين الاول عام ١٩٦٨ واستمرت المعارك ٦ ايام كانت نتيجتها السيطرة على منطقة قرداغ ومقتل قيادي بارز من جماعة جلال طالباني المدعو كامل ملا ويس والحقت خسائر كبيرة بقوات جماعة ابراهيم احمد – وجلال وعلى اثرها انسحبوا الى كركوك مقرين بالهزيمة التي لحقت بهم من قوات الملا مصطفى البارزاني رغم وصول فوج من الجيش النظامي ارسلته الحكومة لمساندتهم في العودة الى القتال ضد قوات البيشمركة لكنهم رفضوا [٩] ، عملت حكومة حزب البعث على التقليل من حدة التوتر والركون والتروي والسكون وتهدئة الاوضاع مع الملا مصطفى البارزاني ليتسنى للحكومة كسب الوقت وذلك لان حزب البعث كانت شعبيته في هذه المدة ضعيفة جداً وكذلك خوفهم من طموح الضباط العسكريين من داخل الحزب والمتمثل بـ صالح مهدي عماش. وحردان عبد الغفار التكريتي لذا لم يرغب الجناح اليميني البكر وصدام من حسم النزاع عسكرياً الملا مصطفى البارزاني [١٠] لذا اقدمت الحكومة على اتخاذ حزمة من القرارات بشأن القضية الكردية في

مؤتمرها القطري السابع المنعقد في اواخر عام ١٩٦٨ [١١]وبداية ومن ابرزها واهمها الالتزام بحق الكرد في في التمتع بحقوقهم القومية تحت مظلة الوحدة الوطنية والرغبة في حل المشكلة الكردية بالطرق الدبلوماسية على اساس بيان البزاز لعام ١٩٦٦ [١٢].

اوجست حكومة البعث خوف من الانتهاكات مع الاكراد مع تزايد الدعم العسكري والمادي الذي يحصل عليه الاكراد من ايران حيث تم تزويدها بـ الاسلحة والمعدات المتطورة لغرض مجاراة الجيش النظامي الحكومي وهذا تدخل سافر في شؤون العراق الداخلية ، لهذا أعلنت الحكومة عن رغبتها في شباط ١٩٦٩ القيام بتنفيذ اهم بنود بيان البزاز بالمقابل تجاهل البارزاني الذي فسر عرض الحكومة بضعف موقفها ، معتمداً في الوقت نفسه على الدعم الايراني له ، فضلا من ان الحكومة لم تقطع علاقتها مع مجموعة ابراهيم احمد – جلال طالباني تلك العلاقة التي رغب البارزاني بأنهائها [١٣] .

لهذه الاسباب هاجمت قوات الملا مصطفى البارزاني بعد وضع خطة مدروسة حيث قاموا على تدريب عدد من البيشمركة على العملية الهجومية لغرض تحقيق الغرض منها بكل دقة ونجاح حيث عملوا على استطلاع الموقع المراد استهدافه في نهاية كانون الثاني ١٩٦٩ ، وفي ١ – ٢ من شهر آذار عام ١٩٦٩ بدأت العملية في الساعة ٩ ليلاً حيث تم قصف الموقع من سلاح المدفع الذي استمر في القصف لمدة تزيد على الساعتين اذ كانت نتيجة هذه العملية التخريبية اندلاع حريق هائل في المنشأة النفطية بادرت الحكومة بأرسال طائرات استكشاف الغرض منها معرفة المنفذين والقاء القبض عليهم لكن الحكومة لم تستطيع تحقيق الهدف المنشود وهذا ما سعى اليه الملا مصطفى البارزاني في استعراض قواه امام السلطة لتحسب له حساب وتضعه ضمن أولوياتها في حل مشاكلها معها والابتعاد عن الجانب الآخر المتمثل بـ ابراهيم احمد – جلال طالباني[١٤].

هناك اسباب عديدة دفعت حكومة حزب البعث الى التفاوض مع الأكراد ومن ابرز هذه الاسباب التهديد الايراني والغاء الجانب الايراني معاهدة ١٩٣٧ الخاصة بشط العرب في نيسان ١٩٦٩ وزادت حدة التوتر بين الطرفين نتيجة الاجراء الذي قامت به ايران فعملت الحكومة العراقية على ارسال مذكرة رسمية في ٢١ نيسان ١٩٦٩ الى كافة الهيئات الدبلوماسية الموجودة في العراق لشرح المعاهدة وبنودها وقرار ايران بـ الغائها [١٥]، اضافة الى ذلك التهديد الايراني والغاءه معاهدة ١٩٣٧ الخاصة بشط العرب في ٢٧ نيسان ١٩٦٩ حيث اصدرت ايران عن طريق وزارة الخارجية بيان يوم ٢٧ نيسان ١٩٦٩ بينت وسلطت الاضواء على ان الحكومة الايرانية تعتبر المعاهدة ملغاة[١٦] بالمقابل وجهت الحكومة العراقية عن طريق وزارة الخارجية مذكرة شديدة اللهجة في ٢٨ نيسان ١٩٦٩ الي السفارة الايرانية الموجودة في العاصمة بغداد والخاص بمشاكل وسوء المعاملة التي يتعرض لها كادر القنصلية العراقية في بوشرمن قبل السلطات الايرانية التي استغلت ء العلاقة بين الطرفين[١٧] .

ونتيجة الحشود والحملات الاعلامية الايرانية قدم ممثل العراق في الأمم المتحدة في ١٣ ايار ١٩٦٩ مذكرة الى مجلس الأمن الدولي بناء على أوامر من الحكومة يعلم المجلس بالوضع المتأزم بين الجارتين العراق وايران ان هذه الاضطرابات وتدهور العلاقات بين الجانبين هي في صالح الاكراد الذين استفادوا من هذا الوضع المتأزم وانشغال الحكومة عن تحركاتهم ونشاطهم. يضاف الى ذلك ان هناك

عامل ضاغط آخر على نظام حزب البعث في هذه المرحلة التأريخية الا وهو شعوره بالخطر من الجناح اليساري البعثي الموالي لسوريا والذي يؤيده اغلب البعثين في العراق[١٨] فضلاً عن الصراع داخل حزب البعث ما بين الجناحين العسكري والمدني زيادة على ذلك أضاف صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة سبباً آخر هو ضعف الحكومة وعدم جاهزيتها للدخول في مواجهة عسكرية ، اثناء لقاءه مع عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي الألماني الموحد هورست زاندرمان نائب رئيس مجلس الدولة رئيس مجلس نواب الشعب في المانيا [١٩] .

ثانياً: المفاوضات بين الحكومة العراقية وقادة الحركة الكردية :

ادركت الحكومة العراقية أن العمليات العسكرية لم تحقق نتائجها المطلوبة في حل المسألة الكردية فقررت أن توقف القتال وتتجه الى التفاوض مع الحركة الكردية وحل المسألة بالطرق السلمية، فأرسلت موفداً الى البارازاني عرض عليه رؤية الحكومة العراقية في حل المسألة الكردية واستمع الى مطالب البارزاني[٢٠]، وفي أثناء اللقاء مع البارزاني عرض عليه رغبة الحكومة العراقية في اجراء حوار مع القيادة الكردية والتوصل الى حل سلمي وعلى أثر اللقاء اجتمع البارزاني مع أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني وابدوا استعداهم للتفاوض مع الحكومة العراقية [٢١]، وفي تشرين الثاني عام١٩٦٩ ارسلت الحكومة العراقية وفدا برئاسة سمير عزيز النجم الذي نقل الى البارزاني رغبة الحكومة بالتفاوض مع الاكراد من أجل التوصل الى حل سلمي للمسألة الكردية، وبعد عودة الوفد الحكومي الى بغداد ارسل البارزاني احد اعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الى بغداد وهو دارا توفيق لكي يتفاوض مع الحكومة العراقية والتقى مع صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في ذلك الوقت وتفاوض معه على مجموعة من المطالب منها الحصار الاقتصادي واعادة المفصولين اضافة الى مسألة الحكم الذاتي التي عدها الأكراد أساسا من اجل حل المسألة الكردية[٢٢]، وفي كانون الثاني ١٩٧٠ اخذت عملية التفاوض تنشط من خلال الوفود الرسمية بين الحكومة العراقية والحركة الكردية اذ وصل وفد كردي الى بغداد يحمل مقترحات البارزاني الى الحكومة العراقية في ٧ كانون الثاني ١٩٧٠ وبعد ذلك زار صدام حسين في ١٢كانون الثاني ١٩٧٠ شمال العراق وبحث مع البارزاني حل المسألة الكردية ونزع السلاح من جماعة جلال الطالباني وتسليم البيشمركة لأسلحتهم الثقيلة وتحويل قسم منهم الى حرس حدود[٢٣] .

ارسلت الحكومة العراقية وفدا برئاسة حردان التكريتي الى شمال العراق ومن خلال التفاوض تم الاتفاق على أن يرسل الأكراد وفد يزور العاصمة بغداد من أجل التفاوض مع الحكومة العراقية [٢٤] وفي٣ شباط ١٩٧٠ ذهب وفد كردي الى بغداد برئاسة الدكتور محمود عثمان لإجراء المفاوضات مع الحكومة العراقية لكن الوفد الكردي لم يلتق خلال مدة تواجده في بغداد اي مسؤول كبير في الحكومة العراقية ولم يتوصل الى اي اتفاق الأمر الذي ادى الى توقف المفاوضات حتى نهاية شهر شباط ١٩٧٠[٢٥]، وخلال هذه المدة انقطعت الاتصالات بين الحكومة العراقية والجانب الكردي وبدأ الخلاف يعود من جديد الامر الذي دفع صدام حسين التوجه الى شمال العراق في ٨ آذار ١٩٧٠ من أجل التفاوض وايجاد حل للمسألة الكردية ومن خلال المفاوضات اكد على عدم عودته الى بغداد بدون التوصل الى اتفاق مع الاكراد، ويبدو ان الحكومة العراقية كانت تعمل على ايجاد حل الى المسألة الكردية بالطرق السلمية والعمل على تهدئة

الوضع الداخلي من أجل الحفاظ على الجبهة الداخلية وعدم اضعاف الدولة . ومن ثم وفي ضوء سير المفاوضات تم التوصل الى صياغة بيان ١١ آذار ١٩٧٠[٢٦].

ثالثاً: بيان ١١ أذار عام ١٩٧٠ :

بدأت المفاوضات وبشكل سري في ايلول ١٩٦٩ بين الطرفين وقد مثل الملا مصطفي البارزاني في المفاوضات محمود عثمان عضو المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني رئيس الوفد . بعض السياسيين الاكراد انجال مصطفى البارزاني وهم ادريس ومسعود اضافة الى عزيز شريف الذي ادى في المفاوضات دور الوسيط لتقريب وجهات النظر بين الطرفين ، كانت شروط الملا مصطفى البارزاني هو ان تقوم الحكومة بقطع علاقتها مع جماعة ابراهيم احمد جلال طالباني وحل تشكيلات فرسان صلاح الدين ، لكن هناك مشاكل رافقت المفاوضات منها كركوك حين طالب الاكراد بالعمل علي ضمان الحكم الذاتي ومناطق اخرى ثانوية حتى تصل الى خانقين وهذه المناطق هي مناطق غنية بالنفط . لكن الحكومة ابدت قلقها من هذه المطالب لأنها ستهدد امن المركز كذلك طالب الاكراد بـ ان يكون لهم ممثل في مجلس قيادة الثورة لكن السلطة رفضت ذلك معللة السبب ان البلد يمر بمر. حلة انتقالية والمطلوب هو بقاء المجلس تحت سيطرة حزب البعث كذلك رفضت السلطة بـ انشاء مجلس تشريعي خاص بالأكراد في فترة آمدها عامين حيث كان مطلب كردي لكنه رفض [٢٧] ، استمرت الحكومة في محاولة احتواء القضية الكردية ، ولتحقيق هذا الهدف بدأت في ١٢ كانون الثاني ١٩٧٠ مفاوضاتها مع الاكراد الذين مثلهم في هذه المدة الملا مصطفى البارزاني فيما مثل صدام حسين الجانب الحكومي في المفاوضات[٢٨]. والتي خرجت من طابعها السري الذي كان متفق ان تسير به الى العلن لتصبح رسمية مباشرة وبدون وسيط ، وشدد البارزاني خلالها ان تقطع الحكومة علاقتها ، مع جماعة ابراهيم احمد – جلال طالباني ، لم يكن امام الحكومة خيار غير ابداء الموافقة إدراكا منها لضعف تأثير هذه الجماعة وقوة البارزاني على الساحة الكردية[٢٩].

توصل الطرفان الى اتفاق وقع في الحادي عشر من اذار ١٩٧٠ ، وبناءاً على طلب من احمد حسن البكر وافق مصطفى البارزاني على عدم اعلان بعض بنود الاتفاق والتي اثيرت حولها العديد من المشاكل والمناقشات وذلك لحراجة الموقف الذي تسببه هذه المواد لسلطة البعث منها تحديد فترة انتقالية لتنفيذ البيان مدة أربع سنوات قبل اعلان الحكم الذاتي للأكراد أما الأمر الثاني الذي بقى سراً حسب اتفاق الطرفين هو اجراء تعداد سكاني لمحافظة كركوك في ١١ آذار ١٩٧١ وكان المطلوب من هذا البند هو تحديد المناطق المتنازع عليها وبعد اجراء الاحصاء يتم الاستفتاء لكن السلطة رفضت الاستفتاء جملة وتفصيلا[٣٠] .

كما جاءت المراسلات بين احمد حسن البكر رئيس الجمهورية والملا مصطفى البارزاني اننا ايها الاخ تنظر الى الحل المنشود لتآخي القوميتين على انه هو القضية المبدئية والوطنية التي تواجهنا ، اما التفصيلات فهي دون ذلك على كل حال لان احلال السلام في ربوع الوطن وفي اطار الحل الوطني الديموقراطي للمسألة الكردية اكبر بكثير من جزئيات الاشياء التي فرضتها علينا مراحل الاصلاح وليس في نيتنا ، ايها الاخ ، جعل النقاط الي مازالت قيد المناقشة عقبة في احلال السلام وتوطيد الأخوة العربية

الكردية ، وليس لنا اعتراض على مضمونها لكننا نجد في أدراجها ما يؤثر على سمعة حزينا وسمعة الثورة والحكم ، وهذا ما يضعف الحل نفسه ، وليس الينا جميعاً ولا سيما ان سمعة الثورة وهيبتها هي سمعتكم وهيبتكم بالإضافة الى ان التفاعل بهذه الطريقة ، وهي طريقة الاحراج والاشتراط تنقص من السمة الوطنية والاطار الوطني الذي نتحرك من خلاله وتوفر الفرص الملائمة لأعداد الحل من اجل لضم الطريق وتضليل البسطاء من ابناء الشعب ، حضرة الاخ انني على ثقة من ان حكمتكم وحسن درايتكم وتقديركم للأمور وللظروف التي يمر بها وطننا وامتنا العربية والقضية الكردية نفسها ستكون رافعاً وسنداً لاجتياز الخطوة الاخيرة المتبقية والتي ننظر اليها من جانبنا كبداية للخطى البناءة لتحقيق السلام وتوطيد الأخوة بين ابناء شعبنا العظيم[٣١].

وقد نص الاتفاق المعلن على النقاط الآتية :

- ان تصبح اللغة الكردية لغة رسمية وتستخدم كلغة للتعليم في المدارس الكردية ،واللغة الثانية في بقية المحافظات العراقية .
- يكون الموظفون في المناطق ذات الاغلبية الكردية من الكرد أو من الذين يجيدون اللغة الكردية[٣٢].
- مشاركة الشعب الكردي في السلطة التشريعية العراقية حسب النسبة السكانية في العراق.
- أن يكون أحد نواب رئيس الجمهورية من المكون الكردي [٣٣]
- مشاركة الأكراد في الحكومة العراقية ويتم تعيينهم في المناصب الحكومية بما فيها الوزارات والجيش وتقوم الحكومة العراقية بتخصيص رواتب تقاعدية الى عوائل الشهداء وكذلك العجزة والعاطلين عن العمل[٣٤].
- وضع ميزانية خاصة من أجل تطوير مناطق شمال العراق .
- اعطاء الحكومة العراقية الى الشعب الكردي الحق في انشاء المنظمات الاجتماعية كمنظمات الطلاب والمعلمين والمنظمات النسوية وغيرها من المنظمات و عودة المشردين من السكان الأكراد والعربي الى مناطق سكناهم [٣٥]. بالاضافة العمل على تطبيق قانون الاصلاح الزراعي في شمال العراق وتعديله بالشكل الذي يؤدي الى تصفية مع القطاعيين وحصول الفلاحين على اراضي زراعية مناسبة وفضلا عن اعفائهم من الضرائب .
- الاتفاق على تعديل الدستور العراقي المؤقت بالشكل الذي يؤدي الى ضمان حقوق الكرد وان الشعب العراقي يتكون من قوميتين العرب والأكراد .
- تسلم الإذاعة الكردية والاسلحة الثقيلة الى الحكومة العراقية ويكون ذلك مرتبطا بتنفيذ المراحل الاخيرة للاتفاق .
- الاتفاق على تعديل قانون المحافظات بشكل ينسجم مع بنود البيان .
- يتم التشاور مع اللجنة المشرفة على تنفيذ البيان بعد اعلانه والعمل على اتخاذ الاجراءات اللازمة من اجل توحيد المحافظات والوحدات الادارية التي يكون سكانها من الاغلبية الكردية وفقا الى الاحصاءات الرسمية[٣٦].

- العمل من اجل تعزيز الثقافة والتعليم الكردي[٣٧].

نتيجة اتفاق ١١آذار ١٩٧٠ تم تشكيل لجنة من الطرفين سميت لجنة السلام مهمتها هي الاشراف على ما يتم تنفيذه من البنود الاتفاق وهي الاداة التي ينفذ بها البيان وقد اعطيت صلاحيات من قبل مجلس قيادة الثورة بمعنى ان أي قرار يصدر من هذه اللجنة هو واجب التنفيذ الا أن قرارات هذه اللجنة كانت لا تنفذ بسبب روتين المؤسسات الحكومية ، والذي وضع بتعمد من الحكومة كونها لا ترغب في تنفيذ بنود البيان[٣٨]، برزت مشاكل بعد الاتفاق ما بين الجانبين منها ما اكده حزب البعث على اعتبار اربيل عاصمة الكرد بينما اصر الملا مصطفى على اعتبار كركوك هي العاصمة لأنه يعلم ان اربيل هي محافظة كردية خالصة ولا يمكن المساس بها عكس كركوك التي تضم خليط من الاكراد والعرب[٣٩] وقد برزت مشكلة أخرى بعد البيان تمثلت بالمناطق المختلطة التي يوجد فيها مع الأكراد قوميات وطوائف كما هو الحال في مدينة كركوك والموصل وديالي حيث أدعى الأكراد اجراء تعداد سكاني لغرض تحديد اغلبية ساكني هذه المدن ولكن حزب البعث كان يرفض ذلك رغم أن هذا البند لم يذكر في البيان [٤٠] . جاءت محاولة اغتيال ادريس البارزاني مشكلة تضاف الى مجموعة المشاكل ، وتزداد من تعقيد الأمور التي اخذت تظهر بعد الاتفاق ففي ٢ كانون الاول ١٩٧٠ تعرض أدريس البارزاني الى محاولة اغتيال واتهمت اجهزة الحكومة بأنها تقف وراء هذه العملية التي نجا منها نجل الملا مصطفى البارزاني[٤١] عندها ارسل صدام رسالة الى الملا مصطفى البارزاني قال فيها ان المقصود ليس نجلكم وانما علاقتنا ويقف ورائها الاستعمار لضرب اتفاقنا، وهذه الاعذار التي يتحجج بها البعث بعد كل عملية فاشلة يقومون بها ضد شركائهم من كافة الاحزاب والطوائف دون استثناء.

تعثرت مسيرة تنفيذ بيان ١١ آذار ١٩٧٠ مع انها كانت تستند الى دعم وتأثير جماهيري واسع مع دعم من بقية القوى داخل البلاد وخارجها وثم أن الطرفين ما زالا يعلنان تمسكهما الشديد بضرورة تنفيذ البيان نصاً كأساس ثابت لحل القضية الكردية وتقوية الجبهة الداخلية لكن الاكراد استمروا في التعاون من اجل تطبيق الاتفاقية التي كانوا يحلمون بها لما تضمنه من بنود وارادوا اقتناص الفرصة واستثمارها رغم علمهم ان حزب البعث لم يكن جاداً في تنفيذ الاتفاق ، حيث اخذ مجلس قيادة الثورة تنفيذ قرارات لصالح الأكراد ولكنها ليست في الصميم مثلاً تعيين علي عبد الله عضو المكتب السياسي للحزب الديموقراطي محافظاً للسليمانية في الثالث من كانون الثاني ١٩٧١[٤٢].

استعمال اللغة الكردية في كردستان ، وبدأت الصحف الكردية بالصدور ، اعادة تعمير القرى ، المباشرة بـ تنفيذ الاصلاح الزراعي نزع سلاح الفرسان[٤٣]. أعلن رئيس اللجنة العليا لشؤون الشمال صدام حسين قرار محاكمة الفرسان الذين لا يسلمون اسلحتهم في محكمة الثورة في ٧ حزيران ١٩٧١ وذلك لإثبات حسن نوايا الحكومة في تنفيذ الاتفاق[٤٤]. اثارت سلطة البعث مشكلة جديدة مضافة الى مجموعة المشاكل بين الجانبين وتمثلت بـ أعلان ميثاق العمل الوطني في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١ على لسان صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة والذي نص على فتح حزب البعث حواراً مع الحزب الشيوعي العراقي مما ادى زيادة التوتر مع الاكراد ، حيث كان فحوى الاعتراض على آلية ومضمون هذا الاعلان والتوقيت الذي جاء فيه على الرغم من وجود الاكراد كركيزة ثالثة من هذا الميثاق هناك مشكلة اخرى

زادت الأمر تعقيداً الا وهي رفض الحكومة مرشح الحزب الكردستاني حبيب محمد كريم نائب لرئيس الجمهورية كونه كردي فيلي من اصول ايرانية ، ان الموافقة على ترشيحه تعني الاعتراف من الحكومة بأن الكرد الفيلين عراقيين .

اجرت الحكومة العراقية مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي تركزت حول النفط ومستحقات وحقوق العراق في شركات النفط ١٩٧٢ ، وقد ادت هذه المفاوضات الى عقد معاهدة مع الاتحاد السوفيتي في نيسان ١٩٧٢ وقد ادت هذه المفاوضات الى ازاحة القضية الكردية عن الصدارة في المشهد السياسي واصبح ينظر على انها قضية ثانوية وهذا ما اغاض الاكراد بالمقابل اصبح العراق اكثر قوة بعد توقيع المعاهدة وتصالحها الشيوعيين[٤٥] ، ومن هنا نجد ان حزب البعث اصبح اقوى من السابق واخذ يماطل في تنفيذ بنود الاتفاق ١١ آذار ١٩٧٠ لتقاربه مع الحزب الشيوعي العراقي من خلال تحوله الى اقامة علاقات اقتصادية مع ا الاتحاد السوفييتي والتهيؤ لإعلان التأميم الشركات النفطية من خلال الاعتماد على لاتحاد السوفيتي كحليف رئيس ضد الشركات الاجنبية وكان من نتائج هذه العلاقة انه عزز علاقاته مع الحزب الشيوعي العراقي على حساب الاكراد ، ايضاً وضعت الحكومة عراقيل في تنفيذ التعداد السكاني على تعريبها بنقل واقامة عرب في المناطق الكردية[٤٦].

المبحث الثاني- تدهور اوضاع كردستان العراق منذ ١٩٧١ حتى ابرام اتفاقية الجزائر ١٩٧٥

اولا: محاولة أغتيال مصطفى بارزاني ١٩٧١ :

اجتمع الملا مصطفى البارزاني بأعضاء الوفد في ٢٩ / ايلول / ١٩٧١ في الساعة الرابعة وخمس واربعون دقيقة مساءاً مرحباً بهم وبعد مدة لا تتجاوز عشر دقائق من بدء الاجتماع قام ابراهيم الخزاعي بفتح جهاز التسجيل الصوتي من اجل توثيق المقابلة بين الوفد والملا مصطفي البارزاني وبصورة سرية وكان تشغيل المسجل بداية الانفجار وعلى اثره توفي كل أعضاء الوفد بأستثناء الملا مصطفى البارزاني الذي حال بينه وبين الموت النادل الذي يقدم القهوة والذي توسط بينه وبين ابراهيم الخزاعي[٤٧] .

اصيب الملا مصفى البارزاني بجروح بسيطة ومات اثنان من البيشمركة وهم زبير البارزاني ومحمود شريف وقد جرح العديد من الاشخاص ' وبعد خروج الملا من محل الاجتماع قام سائق السيارة الحكومية التي تقل الوفد برمي رمانة يدوية على الملا مصطفى البارزاني ادت الى اصابته بجروح فأسعفه على الفور الدكتور محمود عثمان بعد ذلك استطاع الحرس الموجود في المنطقة ، سائق السيارة الذي قام بالعملية ، اما سائق السيارة الثانية التي كانت مع الوفد بعد ان قاوم الحراس استطاع الوصول الى احدى البنايات وبرفقته احد الاشخاص ومن هناك دارت مناوشات بين الطرفين انتهت بمقتل الشخصين . اسفرت محاولة اغتيال الملا مصطفى البارزاني عن مقتل ٩ من رجال الدين وهم كل من عبد الوهاب الاعظمي ، باقر المظفر ، عبد الجبار الاعظمي ، ابراهيم الخزاعي ، غازي الدليمي ، نوري الحسيني ، أحمد محمد قاسم ، أحمد عبد الله ياسين الهيتي ، وكان ضمن القتلى السائقان اللذان اقلا الوفد وهم كل من سلمان كوفي ومحمد كامل اسماعيل ، اضافة الى مقتل اثنان من الجانب الكردي وهم سليم زبير البارزاني و محمود شريف ، اما الجرحى في العملية فقد كانت حصيلتها ١٤ جريح كانوا اجمعهم من الجانب الكردي ومن ضمنهم الملا مصطفى البارزاني[٤٨] .

بعد انتشار نبأ محاولة الاغتيال التي حدثت في ٢٩ أيلول ١٩٧١ والمستهدف بها كان الملا مصطفى البارزاني ارسلت القيادة القطرية لحزب البعث برقية تهنئ الملا بـ السلامة ونجاته من محاولة الاغتيال وابدت الحكومة استعدادها الكشف عن المتورطين بالعملية ومن يقف ورائهم وما كان من الملا مصطفى البارزاني الا ان يقول ان الذين نفذوا العملية جاءوا من بغداد وعلى اثر هذه الامور ارسل رئيس الجمهورية احمد حسن البكر عبد الستار الجواري وزير التربية مندوباً من الحكومة للإعراب عن مواساتها واسفها لما حصل وقد تم تشكيل لجنة لغرض التحقيق في الحادث مكون من حامد العاني وكيل وزير الداخلية ومدير امن اربيل حازم القاضي والشيخ رضا كولاني مدير الشرطة وعلي عبد الله اضافة الى احسان شيرزاد وزير الشؤون البلدية ونافذ جلال وزير الزراعة [٤٩]، وبعد الانتهاء من التحقق من عملية الاغتيال لم تتوصل اللجنة الى أي شيئ وكان الجميع يعلم ما ستؤول اليه نتيجة اللجنة كون للحكومة يد في عملية الاغتيال ، علما ان الاكراد سلموا جميع الجثث الى الحكومة العراقية ما عدا سائق لم تسلم جثته وقد سبب هذا الامر الذعر لدى السلطة لاعتقادها بأن السائق حي وسيعترف بكل شيء فما كان من الحكومة الا القبض على كل من له صله مع السائق ورميهم بالمعتقل ، اراد الاكراد قطع العلاقة مع الحكومة واعلان حالة التمرد والحرب ضدها الا ان الملا مصطفى البارزاني رفض ذلك قائلاً " كلا بدأنا القتال فليكن من اجل كركوك وخانقين وسنجار لابسببي" ثم عادت الأمور الى طبيعتها بين الطرفين وخاصة بعد عودة الوزراء الكرد لممارسة اعمالهم الرسمية في وزاراتهم[٥٠].

ثانياً: اتفاقية الجزائر ١٩٧٥:

لقد كانت الحرب الدائرة في شمال العراق شرسة جدا وتنبئ بنهاية غير محمودة العواقب ، وكان استمرارها يكلف الحكومة العراقية خسائر كبيرة ، إذ كانت تنفق يومياً حوالي ثلاثة ملايين دينار عراقي اي ما يعادل (١٠ ملايين دولار امريكي)، فضلاً . عن الخسائر البشرية والمادية ، لذا فقد بدأت القيادة العراقية تلمح الى امكانية حصول تفاهم مع ايران ، واخذ صدام حسين ، نائب رئيس الجمهورية العراقية، يعرض بشكل غير مباشر امكانية تعديل الحدود في شط العرب مقابل قيام ايران بقطع مساعداتها عن الكرد ، مما لاقى استحسان الشاه [٥١]، وانسجاماً ، مع تلك التوجهات قامت الحكومة الجزائرية في شهر اب عام ١٩٧٤ بعقد اجتماع ضم وزيري خارجية العراق وايران ، نوقش خلاله العديد من القضايا كان ابرزها قضية شط العرب[٥٢] باعتبارها من ابرز القضايا التي من الممكن ان تدفع ايران الى الجلوس على مائدة المفاوضات مع الحكومة العراقية .

وفي مؤتمر القمة العربية الذي عقد بالرباط في المملكة المغربية في تشرين الثاني من العام نفسه عرض صدام حسين، قضية العلاقة ايران ، لذا قرر العاهل الاردني الملك حسين بن طلال (١٩٥٢-١٩٩٩) ان يقوم بدور الوساطة بين البلدين كما نشطت وساطة مصرية علنية، إذ عرض الرئيس المصري انور السادات (١٩٧٠-١٩٨١) على الشاه حل الخلافات بين ايران والعراق [٥٣] .

ولم تكن تلك الاخبار بعيدة عن الادارة الامريكية، ففي التاسع عشر من شباط عام ١٩٧٥ ابلغ هنري كيسنجر الرئيس الامريكي جيرالد فورد أن هناك مساع للبدء بمفاوضات بين الشاه محمد رضا بهلوي ونائب الرئيس العراقي صدام حسين، وقد تكون القضية الكردية على رأس تلك المفاوضات ، لذا فقد

ارسل في اليوم اللاحق رسالة اطمئنان الى الملا مصطفى البارزاني من دون ان يضمنها اية اشارة الى خطط الشاه في الحكومة العراقية، وفي اطار تلك الجهود قام الشاه محمد رضا بهلوي بزيارة الى كل من مصر والاردن في المدة بين يومي السادس والثاني عشر من كانون الثاني وكانت القضية الابرز التي استحوذت على المحادثات التي اجريت هي النزاع مع العراق وضرورة انهائه بشكل يضمن مصالح البلدين[٥٤]، ومن الطبيعي ان تؤدي تلك التحركات الى اثارة خشية القيادة الكردية على مستقبل الحركة المسلحة، وبدأ بعض القادة الميدانيين الكرد بطرح تساؤلات حول امكانية تفاهم ايران مع العراق والتخلي عن الحركة الكردية المسلحة ، وبعد مناقشات مطولة أوضح الملا مصطفى بقوله : اذا كان الامر متروكاً لإيران فأنها ستتفق ولكن هناك من هو اكبر منها في العملية . في اشارة الى الولايات المتحدة الامريكية، مما يدل على الثقة التي كان يوليها الملا مصطفى البارزاني للجانب الامريكي، فضلاً عن اعتقاده بأن قرار الشاه بشأن دعم الحركة الكردية لم يكن مستقلاً وائما مره ا مرهوناً الى حد كبير بالموقف الأمريكي وبالفعل حاول الملا مصطفى البارزاني الالتجاء الى الولايات المتحدة الامريكية من اجل الحصول على الدعم اللازم له، فارسل في السادس عشر من كانون الثاني عام ١٩٧٥ رسالة مطولة الى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية ، عبر فيها عن خشيته من ان يكون التقارب العراقي –الايراني على حساب القضية الكردية ، وابدى الملا مصطفى رغبته في الحصول على المساعدات العسكرية الامريكية لتحسين وضعه في شمال العراق ، لكي يستغل حلول شتاء عام ١٩٧٥ لتحقيق تقدم ميداني في ساحة المعركة، كما طلب البارزاني من كيسنجر ان يوافق على ارسال مبعوث شخصي منه الى الولايات المتحدة الامريكية لعرض طلبات الكرد بشكل مباشر امام الادارة الامريكية[٥٥].

ويظهر ان تلك الطلبات الكردية لم تكن تحظى بموافقة وقبول مدير الاستخبارات المركزية الامريكية وليام كولبي William Colby ، لأدراكه ان الهدف من تلك الزيارة هو الالحاح على تقديم المساعدات العسكرية، وهو الامر الذي لا تستطيع الادارة الامريكية تقديمه انذاك ولعل ذلك ارتبط بقرار امريكي بشأن ايقاف المساعدات الى الكرد، فقد باتت ادارة الرئيس فورد غير مقتنعة بجدوى استمرار المساعدة للحركة الكردية خصوصاً وان تلك المساعدة تكلف الادارة الأمريكية مبالغ طائلة ، فضلاً عن الاعتقاد الذي ساد في دوائر صنع القرار الامريكي من ان تسوية النزاع بين ايران والعراق بمثابة خطوة مهمة لاحتواء نظام بغداد وتحويله الى أداة لخدمة مخططاتها الاستراتيجية في المنطقة[٥٦]. ويمكن اضافة سبب آخر ساهم في امتناع الادارة الامريكية عن مساعدة الكرد وهو ما صرح به كولبي موضحاً " في ذلك الربيع ، كان لدينا في جنوب شرق آسيا قصصاً اخرى مأساوية واكثر اهمية بالنسبة لنا " في اشارة الى سقوط كمبوديا وفيتنام الجنوبية[٥٧].

ويبدو أن خشية الملا مصطفى البارزاني كانت مبررة الى حد ما، فعلى هامش مؤتمر قمة اوبك[٥٨] التي اقيمت في الجزائر في مطلع شهر آذار عام ١٩٧٥ التقى الشاه محمد رضا بهلوي بصدام حسين ، وتناقشا مطولاً بشأن العلاقات بين البلدين لاسيما قضايا الحدود ومساعدة ايران للحركة الكردية المسلحة، و جاءت تلك المناقشات نتيجة وساطات وجهود مكثفة من مصر والاردن وبترتيب مباشر من الرئيس الجزائري هواري بومدين (١٩٦٥–١٩٧٨)، واسفرت تلك المناقشات عن توقيع اتفاق يوم السادس

من شهر آذار عام ١٩٧٥ عرف بـ" اتفاقية الجزائر" تضمنت العديد من التنازلات من الحكومة العراقية منها :

- اشار الاتفاق الى ترسيم نهائي للحدود بناء على بروتوكول القسطنطينية لسنة ١٩١٣ ومحاضر لجنة تحديد الحدود لسنة ١٩١٤ .
- فضلاً عن ترسيم الحدود المشتركة في شط العرب .
- كما اتفقا على اعادة الأمن على طوال الحدود والالتزام بالحفاظ على رقابة حازمة وفعالة على حدودهما المشتركة من اجل وضع حد نهائي لجميع اعمال "التخريب" اينما كانت ومن اية جهة تأتي. في اشارة واضحة الى الحركة الكردية المسلحة[٥٩] .

وعلى الرغم من ان ذلك الاتفاق كان بمثابة خطوة اولي باتجاه تطبيع العلاقات بين العراق و ايران، الا ان هناك من كان يرى ومنهم وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية التطبيق أو التنفيذ قد يكون عملية تمتد مدة زمنية طويلة وقاسية ، لأنه من المرجح ان كلا الطرفين سوف يراقب بحذر أية مؤشرات على خرق بنود الاتفاق وفي حالة حدوث أي شيء من هذا القبيل ربما يؤدي الى افشال الاتفاق[٦٠]. ورغم ذلك كانت اتفاقية الجزائر من ابرز التدابير الناجعة التي اتخذتها الحكومة العراقية للقضاء على الحركة الكردية المسلحة التي اندلعت منذ عام ١٩٧٤.

الخاتمة

كانت القضية الكردية من اهم المشاكل التي واجهت حكومة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، بفعل الدور الخارجي الذي كانت تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية للضغط على العراق من اجل المحافظة على مصالحها ، ومنع العراق من التوجه نحو الاتحاد السوفيتي .

وعلى الرغم من الوعود الاصلاحية التي قدمتها الحكومة العراقية غير ان المساعي لم تثمر عن شيء بفعل الدور الذي لعبته ايران لاستغلال الاكراد لتنفيذ اطماعها الحدودية والتي كان آخرها الغائها اتفاقية سعد آباد عام ١٩٦٩ والموقعة عام ١٩٣٧ وزيادة المساعدات للأكراد بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية لتحقي اهدافها الى جانب اطماعها في الخليج العربي، وفي مسعى آخر قامت الحكومة العراقية بخطوة لتجنب القتال مع الأكراد اولاسباب اخرى تتعلق بالضروف الاقتصادية للعراق اومايتعلق بالوضع الاقليمي ، وقعت الحكومة العراقية اتفاقاً في الحادي عشر من آذار ١٩٧٠ يضمن للأكراد حقوقهم .

أثبتت القضية الكردية بوضوح، مدى تجذرها وتعقيدها، حيث نال هذا المكون الأحقية في المطالبة والمغالبة السياسية والمقاومة المسلحة، بعد أن وقفت المواثيق الدولية إلى جانب حقوقه القومية.

لقد نظرت حكومة البعث إلى مسألة الحكم الذاتي على أنها مسألة شكلية، ولم تكن لتعترف في مضمونها بمبدأ الحريات الديمقراطية خارج إطار القومية العربية، رغم أن القضية القومية الكردية كانت مفصلية لاستقرار العراق السياسي الداخلي.

إن قانون ١١ أذار ١٩٧٠، جاء بعد تضحيات جسام قدمها الشعب الكردي، وهذا بعد نضال طويل ميزه العنف، ولم تأت هبة من نظام الحكم في العراق منذ عقود مضت، لقد مثلت هذه الاتفاقية بحد ذاتها نصرا سياسيا لافتا، كما حققت تلاحما جماهيريا كرديا كبيرا، نالت بموجبه احتراما دوليا.

إن الممارسات الميدانية لحزب البعث بإعلانه الشكلي للحكم الذاتي في كردستان العراق في ١١ مارس ١٩٧٠، كان يتناسب مع حساباته الرسمية، وأن إجراءاته لم تكن كافية لحل الأزمة التي لم تحل إلا جزئيا، وأن هذا الاعتراف لم يجد طريقه نحو التجسيد الميداني عل الأقل في شكل حكم ذاتي فعلي في إطار دولة مركزية.

إن مسار الأحداث السياسية أثبت فيما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٥ أن اتفاقية الجزائر جاءت محصلة لتفاهمات سابقة بين إيران والعراق، على اعتبار أنها نوقشت في جولات ولقاءات سابقة، كما أن حكومة البعث لم تهتم بمسألة تنازلها عن جزء من سيادة العراق، بقدر اهتمامها بالقضاء على الحركة الكردية واجتثاثها وتصفيتها، في عصر اشتهر بعدم وجود صديق دائم ولا عدو دائم، بل هناك أصدقاء متحولون.

_ لقد أثبتت الأحداث بأن بعض القيادات الكردية كانت تفتقر إلى قراءة في تشابك العلاقات الدولية مع تصدع في الجبهة الداخلية وتضارب المصالح والانقسام السياسي بين زعاماتها، مع قصر نظر بعضها من خلال عدم إدراكها لخطورة تمييع أي صراع عندما يتم تدويله، بحيث يفقد أصحابه السيطرة عليه، وهذا ما عا ناه مصطفى بارزاني الذي قاد نضالا طويلا خاصة ضد الاستعمار بعد أن أدرك خطورة ذلك بالقول:.. إذا كنت ضد هذا الاستعمار فلن يسمح ذلك بأن تنمو أظافرك إلى درجة تستطيع معها حك جلدك.

الهوامش

١ . حازم صاغية ، بعث العراق _ سلطة صدام قياما و حطاما ، دار الساقي ، بيروت ٢٠٠٣ ، ص ٩٥ .

٢ . حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية ، ط٢ ، المعارف للمطبوعات ، ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٣٤٢ .

٣ . شفيق عبدالرزاق السامرائي ، صدام حسين فكرة السياسي ، مطبعة سوفتك ، ١٩٨٤ ، ص ٥٨ .

٤ . صحيفة الوقائع العراقية ، بغداد ، ١٩٦٨ .

٥ . نديم احمد الياسين ، القضية الكردية موقف ومنجزات ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٨ .

٦ . محمد محمد الحيدري ، تاريخ العراق السياسي المعاصر ،ج٣ ، ط ١ ، المركز العراقي ، للمعلومات و الدراسات ، لبنان ،٢٠١٤ ، ص١٨١ .

٧ . ديفيد مكدول ، مصدر سابق ، ص ٤٩٠ .

٨ . محمد سهيل طقوش ، تاريخ الاكراد ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص ٢٢٤ .

٩ . مسعود البرزاني ، البرزاني و الحركة التحررية الكردية ، ج٣ ، اربيل ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٦ .

١٠ . ماريون فاروق سلوغت و بيتر سلوغت ، العراق الحديث من الثورة الى الديكتاتورية ، ترجمة : مركز الدراسات و الترجمة ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١٧٦ .

١١ . جبران شامية ، سجل الأراء و الوقائع السياسية في البلاد العربية ، ١٩٧٠ ، دار الابحاث للنشر ، بيروت ، ص ١٢٦ .

١٢ . حامد محمود عيسى ، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٥٢ .

١٣ . منذر الموصلي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٦ .

١٤ . مسعود الرزاني ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١١٠ .

١٥ . راضي دواي طاهر الخزاعي ، العلاقات العراقية الايرانية ، كلية التربية ، جامعة المستنصرية ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٨٨ .

١٦ . خالد يحيى العزي ، مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات و القانون ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٥ .

١٧ . راضي دواي الخزاعي ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .

١٨ . حسن العلوي ، العراق دولة المنظمة السرية ، ط١ ، مطبعة سبحان ، ايران ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٦ .

١٩ . حنا بطاطو ، العراق الكتاب الثالث ،الشيوعيون و البعثيون و الضباط الاحرار ، ترجمة : عفيف الرزاز ،ط١ ،منشورات فرصاد، طهران ، ٢٠٠٥ ، ص ٤١١ .

٢٠ . عبد الفتاح علي البوتاني ، ملا مصطفى البارزاني قائد الثورة الكردية و ملهمها ، دهوك ، ٢٠١٢ ، ص ١٠٥ .

٢١ . مسعود الرزاني ، مصدر السابق ، ٢٢٦ .

٢٢ . . كمال مظهر احمد ، مذكرات فؤاد عارف ، دار أراس .، اربيل ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٦٣ .

٢٣ . مسعود برزاني ، مصدر سابق ، ٢٣٥ ،

٢٤ . المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .

٢٥ . . مسعود برزاني ، مصدر سابق ، ٢٤١ .

٢٦ . عبد الفتاح البوتاني ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

٢٧ . محمد سهيل طقوش ، مصدر سابق ، ص ٢٣٦_٢٣٧ .

٢٨ . مسعود برزاني ، مصدر سابق ، ص ٢٣٤ .

٢٩ ، مجلة الثقافة الجديدة ، بغداد ، العدد ١٠ ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤١ .

٣٠ . جامد محمود عيسى ، مصدر سابق ، ص ٢٢٦ .

٣١ . المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .

٣٢ . مجموعة ابحاث للمؤلفين الكرد و الرؤس ، البرزاني و شهادة التاريخ ، ترجمة :بافي نازي و عبدي حاجي ، ط١ ، دار الحرية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٣ .

٣٣. محمد سهيل طقوش ، مصدر سابق ، ص ٢٤٠ .

٣٤. ديفيد مكدول ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .

٣٥ . مجموعة ابحاث للمؤلفين الكرد و الروس ، مصدر سابق ، ص ٩٣ .

٣٦ . نديم احمد الياسين ، مصدر سابق ، ص ٥٩ .

٣٧ . ديفيد مكدول ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .

٣٨ . مسعود برزاني ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٦٧١ .

٣٩. حازم صاغية ، مصدر سابق، ص ٩٧ .

٤٠. محمد الحيدري ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .

٤١ . رورهان ويسي خالد ، مشكلة المناطق المتنازع عليها في العراق ، اقليم كردستان انموذجا، مطبعة كركوك ،ط١ ، ص ٥٣ .

٤٢ . محمد الجيدري ، مصدر سابق، ص ١٨٧ .

٤٣ . محمد سهيل طقوش ، مصدر سابق ، ص ٢٤٠ .

٤٤ . ايوب بارزاني ، الحركة التحررية الكردية و صراع القوة الاقليمية و الدولية ، دار النشر حقائق المشرق ، سويسرا ، ٢٠١١ ، ص ٣٣٤ .

٤٥ . حسن ظاظا ، العراق في دراسة تاريخة السياسي ١٩٠٨_٢٠٠٥ ، ط١ ، دار الرؤية للطباعة و النشر ، سوريا ، ٢٠٠٧ ، ص ١٧٧ _١٧٨ .

٤٦ . محمد سهيل طقوش ، مصدر سابق ، ص ٢٤١_٢٤٢ .

٤٧. احمد تاج الدين ، الاكراد تاريخ شعب و قضية وطن ، دار الثقافة للنشر، ط١ ، مصر ، ٢٠٠١ ، ص ١٣١ .

٤٨ ، مسعود البرزاني ، مصدر سابق ، ص ٢٦٤ .

٤٩ . حامد الجبوري ، عصر البكر و صدام شاهد على العصر ، منشورات قناة الجزيرة الفضائية ،ص ١٢ .

٥٠ . المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

٥١ . ديفيد مكدول ، مصدر سابق ، ص ٥١٠ .

٥٢ .جوناثان راندل ، امة في شقاق :دروب كردستان كما سلكتها ، ترجمة : فادي حمود ،ط ١ ، دار النهار للنشر، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٢١١ .

٥٣ . حامد محمود عيسى ، مصدر سابق ٢٣٦ .

٥٤. صلاح الخرسان ، التيارات السياسية في كردستان العراق ، مؤسسة البلاغ للطباعة و االنشر و التوزيع ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٢٢٤ .

٥٦ . حامد محمود عيسى ، مصدر سابق، ص ٢٣٦ .

٥٧ . الخرسان ، مصدر سابق، ص ٢٢٥ .

٥٨. راندال ، مصدر سابق ، ص ٢١٦_٢١٧ .

٥٩ . سيروب ستيبانيان ، منظمة البلدان المصدرة للنفط ، منشورات النفط و التنمية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٨ _ ١٣ .

٦٠ . الجمهورية العراقية ، وزارة الخارجية العراقية ، النزاع العراقي _ الايراني ،ملف وثائقي ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣١٤ .

٦١ . المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .

قائمة المصادرو المراجع

_ احمد تاج الدين ، الاكراد تاريخ شعب و قضية وطن ، دار الثقافة للنشر، ط١ ، مصر ، ٢٠٠١ .

_ ايوب بارزاني ، الحركة التحررية الكردية و صراع القوة الاقليمية و الدولية ، دار النشر حقائق المشرق ، سويسرا ، ٢٠١١ .

_ حازم صاغية ، بعث العراق _ سلطة صدام قياما و حطاما ، دار الساقي ، بيروت ٢٠٠٣ .

_ حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٥.

_ حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية ، ط٢ ، المعارف للمطبوعات ، ، بيروت ، ٢٠١٣ .

_ حسن العلوي ، العراق دولة المنظمة السرية ، ط١ ، مطبعة سبحان ، ايران ، ٢٠٠٥ .

_ حسن ظاظا ، العراق في دراسة تاريخة السياسي ١٩٠٨_٢٠٠٥ ، ط١ ، دار الرؤية للطباعة و النشر ، سوريا ، ٢٠٠٧ .

_ جبران شامية ، سجل الأراء و الوقائع السياسية في البلاد العربية ، ١٩٧٠ ، دار الابحاث للنشر ، بيروت .

_ جلال الطالباني ، مذكرات جلال الطالباني، بغداد ، ٢٠١١ .

_ جوناثان راندل ، امة في شقاق :دروب كردستان كما سلكتها ، ترجمة : فادي حمود ،ط ١ ، دار النهار للنشر، بيروت ، ١٩٩٧ .

_ خالد يحيى العزي ، مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات و القانون ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .

_ حنا بطاطو، العراق الكتاب الثالث ،الشيوعيون والبعثيون و الضباط الاحرار، ترجمة:عفيف الرزاز ،ط١ ،منشورات فرصاد،طهران ، ٢٠٠٥.

_ ديفيد مكدول ، تاريح الاكراد الحديث ، ترجمة : راج ال محمد ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

_ رورهان ويسي خالد ، مشكلة المناطق المتنازع عليها في العراق ، اقليم كردستان انموذجا، مطبعة كركوك ،ط١ .

_ سليم مطر ، الذات الجريحة اشكاليات الهوية في العراق و العالم العربي ، ط٣ ، مركز دراسات الامة العراقية بغداد ، ٢٠٠٨ .

_ سعيد حقي توفيق ، مبادئ العلاقات الدولية ، دار وائل ، عمان ، ٢٠٠٠ .

_ سعد ناجي جواد ، العراق و المسألة الكردية ، دار المدى لندن ، ١٩٩٠ .

_ سعيد محمد الخلفاوي ، الجمهورية الثانية ، بداية مرحلة جديدة من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ٢٠٠٨ .

_ سيف الدين الدوري ، الفريق طاهر يحيى ضحية الصراعات السياسية و العسكرية في العراق ، الدار العربية للعلوم ، عمان ، ٢٠٠٨ .

_ شفيق عبدالرزاق السامرائي ، صدام حسين فكرة السياسي ، مطبعة سوفتك ، ١٩٨٤ .

_ صلاح الخرسان ، التيارات السياسية في كردستان العراق ، مؤسسة البلاغ للطباعة و االنشر و التوزيع ، بيروت ، ٢٠٠١ .

_ عبد الفتاح علي البوتاني ، ملا مصطفى البارزاني قائد الثورة الكردية و ملهمها ، دهوك ، ٢٠١٢ .

_ قاسم البغدادي ، اللعبة الامريكية قناع ضباع جياع ، بغداد ، ٢٠١٠ .

_ فيبى مار، تاريخ العراق المعاصر البعث في السلطة ، ج ١، ترجمة :مصطفى نعمان احمد، دار مصر مرتضى للكتاب العراقي، بغداد ،٢٠٠٩.

_ كمال مظهر احمد ، مذكرات فؤاد عارف ، دار أراس .، اربيل ، ٢٠٠٩ .

_ محمد محمد الحيدري ، تاريخ العراق السياسي المعاصر ،ج٣ ، ط ١ ، المركز العراقي ، للمعلومات و الدراسات ، لبنان ،٢٠١٤ .

_ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الاكراد ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠١٥ .

_ مسعود البرزاني ، البرزاني و الحركة التحررية الكردية ، ج٣ ، اربيل ، ٢٠٠٢ .

_ مجموعة ابحاث للمؤلفين الكرد و الرؤس ، البرزاني و شهادة التاريخ ، ترجمة :بافي نازي و عبدي حاجي ، ط١ ، دار الحرية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

_ ماريون فاروق سلوغت و بيتر سلوغت ، العراق الحديث من الثورة الى الديكتاتورية ، ترجمة : مركز الدراسات و الترجمة ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

_ منذر الموصلي ، القضية الكردية في العراق البعث و الاكراد ، مؤسسة المختار للطباعة و الترجمة و النشر ، دمشق ، ٢٠٠٠ .

_ مكرم الطالباني ، الحل السلمي للمسألة الكردية ضرورة وطنية ، مجلة الثقافة الجديدة ، بغداد ، العدد ٩ ، ١٩٦٩ .

_ نديم احمد الياسين ، القضية الكردية موقف ومنجزات ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٥ .

_ وليد محمد سعيد الاعظمي ، نوري سعيد و الصراع مع عبدالناصر ، المكتبة العالمية ، بغداد ، ١٩٨٨ .

_ وليد محمد سعيد الاعظمي ،ثورة ١٤ تموز و عبدالكريم قاسم في الوثائق البريطانية ' منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٩ .

_ الجمهورية العراقية ، وزارة الخارجية العراقية ، النزاع العراقي _ الايراني ،ملف وثائقي ، بغداد ، ١٩٨١ .

_ مجلة الثقافة الجديدة ، بغداد ، العدد ١٠ ، ١٩٧٠ .

أوضاع العراق في ظل حكم جمعية الاتحاد والترقي ١٩٠٨- ١٩١٤م

The conditions of Iraq under the rule of the Committee of Union and Progress 1908 – 1914

الباحث: سلام هاشم لايذ
طالب دراسات عليا/جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

ا.د عباس فرحان ظاهر
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The Ottoman state was subjected to military and media campaigns whose purpose was to weaken the state, and then work to disintegrate it, and the European countries used the conditions of the Christians in the state as a pretext for intervention. Who later became famous, Namik Kamal, and they believed that the work must be in the form of introducing the people to their political rights.

The Young Turk revolution promised to improve the administrative organization, but as soon as its government was established, it proved from the beginning that it was somewhat disorganized and ineffective, and since these citizens are from the working class, and they had little knowledge about how to run the government, they imposed their ideas on the Sultanate In a simple liberal victory, Kamel Pasha, a supporter and liberal ally of England, was appointed Grand Vizier on August 5, 1908. His policies helped maintain some balance between union, promotion, and liberals, but his struggles with the old guard led to his dismissal only 6 months later, on February 14. 1909.

The revolution and the work of union and promotion had a great impact on Muslims in other countries. The Persian community in Istanbul founded the Iranian Association for Union and Progress. Indian Muslims also imitated the Union and Promotion Association, which was administered to the organization's recruits, and the leaders of the Bukhari Youth Movement were strongly influenced by the Young Turk Revolution, and considered it a role model.

الملخص:

لقد تعرضت الدولة العثماني لحملات عسكرية واعلامية كان الغرض منها إضعاف الدولة، ومن ثم العمل على تفتيتها، وكانت الدول الاوربية تتخذ من اوضاع النصارى في الدولة حجة للتدخل، قد خرجوا هؤلاء الشباب بفكرة تكوين جمعية سرية واطلقوا على جمعيتهم اسم اتفاق الحمية ومن ضم هؤلاء الشبان الشاعر الذي اصبح فيما بعد واسع الشهرة نامق كمال، ورأوا ان العمل لا بد ان يكون في شكل تعريف الشعب بحقوقه السياسية .

عدت ثورة تركيا الفتاة بتحسين التنظيم الإداري، ولكن بمجرد تأسيس حكومتها أثبتت منذ البداية أنها نوعا ما غير منظمة وغير فعالة، وبما أن هؤلاء المواطنين هم من الطبقة العاملة، ولم يكن لديهم سوى القليل من المعرفة حول كيفية إدارة الحكومة، إلا أنهم فرضوا أفكارهم على السلطنة، ففي انتصار ليبرالي بسيط، تم تعيين كامل باشا مؤيد وحليف ليبرالي لإنجلترا ليكون صدر أعظم في ٥ أغسطس ١٩٠٨، ساعدت سياساته في الحفاظ على بعض التوازن بين الاتحاد والترقي والليبراليين، ولكن صراعه مع الحرس القديم أدت إلى إقالته بعد ٦ أشهر فقط، يوم ١٤ فبراير ١٩٠٩.

كان للثورة وعمل الاتحاد والترقي تأثير كبير على المسلمين في البلدان الأخرى. فقد أسست الجالية الفارسية في إسطنبول جمعية الاتحاد والترقي الإيرانية. وكذلك قلد المسلمون الهنود جمعية الاتحاد والترقي الذي تم إدارته لمجندي المنظمة، وتأثر قادة حركة شباب بخاري بشدة بثورة تركيا الفتاة، واعتبروها نموذجًا يحتذى به.

كلمات مفتاحية: (السلطان عبد الحميد، الاتحاد والترقي، الدستور العثماني، اوضاع العراق، الحرب العالمية الأولى)

المقدمة :

جمعية الاتحاد والترقي بالعثمانية اتحاد وترقي هي جمعية تركية سرية أسست في ٦ شباط ١٨٨٩ لمجموعة من طلاب كلية الطب وهم ابراهيم طمو، عبد الله جودت، إسحاق سكوتي، وحسين زاده علي، وسميت أولاً بـ اتحاد عثماني، ثم أصبحت منظمة سياسية أسسها بهاء الدين شاكر بين أعضاء تركيا الفتاة في عام ١٩٠٦ أثناء إنهيار الدولة العثمانية، وهي حركة معارضة هدفت إلى الإطاحة بالدولة العثمانية (رجل أوروبا المريض) . وصلت إلى سدة الحكم في الدولة العثمانية بعد إنقلابها على السلطان عبدالحميد الثاني في ٢٧ ابريل ١٩٠٩ ومن ثم ورطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى سقوطها وتقاسم الدول الأجنبية لأراضيها.

تناول بحثنا مرحلة مهمة في تاريخ العراق الحديث بين ١٩٠٨– ١٩١٤، وبينا في المبحث الاول نظرة عامة على ثورة الاتحاد والترقي التي حدثت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على غرار الثورة الفرنسية، اما المبحث الثاني فتناولنا فيه اوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والادارية والصحية، وظهور ملامح فكر جديد نقيض للفكر التقليدي، وركز المبحث الثالث على اوضاع التعليم في العراق، والصحف والمجلات انذاك .

المبحث الاول- انقلاب جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد تأثر العثمانيين المثقفين لأفكار الثورة الفرنسية، التي حققت حكما ديمقراطيا في فرنسا، وجاءت بأفكار القومية، والعلمانية، والتحرر من حكم الفرد، وكذلك تأثر بالحركة القومية الايطالية التي قادها ماتزيني، وتعرضت الدولة العثماني لحملات عسكرية واعلامية كان الغرض منها إضعاف الدولة، ومن ثم العمل على تفتيتها، وكانت الدول الاوربية تتخذ من اوضاع النصارى في الدولة حجة للتدخل، قد خرجوا هؤلاء الشباب بفكرة تكوين جمعية سرية واطلقوا على جمعيتهم اسم اتفاق الحمية ومن ضم هؤلاء الشبان الشاعر الذي اصبح فيما بعد واسع الشهرة نامق كمال، ورأوا ان العمل لا بد ان يكون في شكل تعريف الشعب بحقوقه السياسية (١).

جمعية الاتحاد والترقي هي منظمة ثورية سرية تأسست باسم جمعية الاتحاد العثماني، لقد تأسست في اسطنبول يوم ٦ فبراير ١٨٨٩، تم انشائها من قبل مجموعة من طلبة الطب في مدرسة الطب العسكرية الكبرى، وبعدها اصبحت منظمة سياسية، وقد اندمجت جمعية الاتحاد والترقي مع حركة تركيا الفتاة الاوسع واطلق على اعضائها اسم اعضاء تركيا الفتاة الاوسع وعرف اعضاؤها داخل الدولة العثمانية باسم اتحادجي او كوميتجي، وتعني الوحدويين والمنتمين إلى الجمعية على التوالي (٢).

لقد ادى تنامي الوعي القومي لدى الفئات المثقفة من العراقيين الذين كانت تضطرهم اعمالهم او دراستهم للإقامة في العاصمة العثمانية، فقد انخرط بعضهم في تنظيمات جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدعوا إلى اجراء اصلاح دستوري تنال بموجبه شعوب الدولة العثمانية حقوقها القومية، وسادت البهجة وروح التفاؤل في الاوساط العراقية الواسعة عندما وصلتها انباء نجاح اعضاء هذه الجمعية في اجبار السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩، على اعادة العمل بالدستور في ٢٤ تموز ١٩٠٨ الذي كان معلقا منذ عام ١٨٧٦، بما يكفل من حريات وحقوق، وتم فتح فروع للجمعية في بعض المدن العراقية وسط جو من التفاؤل والامل، ويشير السفير البريطاني في الدولة العثمانية جيرالد لوثر ان الجماهير في بغداد استقبلت اعادة العمل بالدستور بحماسة، في حين لم يلق الدستور ترحيبا كبيرا في الموصل(٣).

وبعدها بدأت تتكشف الامور امام الجميع، فلم يكن قد مضى وقت على تولي الاتحاديين للحكم سوى بضعة اشهر إلا وقد افصحوا عن نواياهم السياسية التي بدأوا في تنفيذها في الولايات العربية من حيث سياسة التتريك ودمج العناصر غير التركية، وقد عجلت هذه الاجراءات في تقويض كيان الدولة العثمانية، واخذت جمعية الاتحاد والترقي بأتخاذ اجراءات اكثر تعسفا واستبدادا مما كان قبل اعلان الدستور، فأحدث هذا التبديل المفاجئ ردود افعال حادة وسريعة في الولايات العربية، ومما زاد من نفور العرب من الاتحاديين هو ما يسمى بقانون انتخاب مجلس المبعوثان، ففي ٢٤ تموز ١٩٠٨ تقرر الدعوة إلى القيام بانتخابات لتشكيل مجلس للمبعوثان البرلمان العثماني، وبدأت الاستعدادات لإجرائها غير ان الذين يعرفون اصول الانتخابات كانوا قليلين جدا في اسطنبول اذ ان عدد اعضاء مجلس المبعوثان يجب ان يمثل شخص واحد عن كل خمسين الف من التبعية العثمانية، والانتخاب على الاقتراع السري، وقد صمم الاتحاديون على ان تكون اكثرية المبعوثان من الترك اولا، ومن المنتسبين لجمعية الاتحاد والترقي ثانيا، وقد عمدوا إلى ترشيح مبعوثين من الترك في مختلف الولايات العربية مخالفين بذلك الدستور، فقد فاز منهم ١٥ نائبا يمثلوا الولايات العربية(٤).

اعتقد العرب عقب قيام الانقلاب العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨ من قبل جمعية الاتحاد والترقي، بأنه فرصة لرفع الظلم عنهم انطلاقا من المبادئ التي رفعها الاتحاديون والمتمثلة بالحرية والاخاء والمساواة اذ مال العديد من العرب في استانبول في تلك الفترة الى تشكيل جمعيات تساند جمعية الاتحاد والترقي(٥).

لقد تدخل الاتحاديون في شؤون العراق وقاموا باستغلال قانون الانتخابات العثمانية الذي كان يحصر الحق بالنيابة بسكنة المناطق الانتخابية واهاليها، بل كان يسوغ لأي شخص مستكملا لشروط الانتخاب ان يرشح نفسه عن اي منطقة شاء، بهذه الطريقة فاز حمزة بك قائمقام القرنة السابق وهو تركي من الاتحاديين عن لواء المنتفك بعد ان فرضه المتصرف فريد بك واندر بالشر من ينتخب غير قائمة الاتحاديين، واضطر المعارضون إلى الانسحاب، وقد خصصوا للعراق ١٧ نائباً منهم عراقيون، وبذلك منعت العشائر العراقية من حق المشاركة بالانتخابات متعللين بجهلهم لاعدادهم ومواطن سكناهم، على الرغم من المآخذ التي كانت تؤخذ على مجلس المبعوثان الا انه يعد منبرا يلتقي فيه النواب من مختلف

الولايات العثمانية، وقد تأثر النواب العراقيون بنواب القوميات الاخرى من المتطرفين وغيرهم، وهذا مما ساعد على نمو الوعي الفكر لديهم، ولقائهم مع النواب العرب قد ولد لديهم الكثير من التقارب في وجهات النظر وتنسيق العمل السياسي.

لقد ادت سياسة الاتحاديين إلى رد فعل كبير في العراق تجسد في اتجاهين :

١ – رفض الدستور ومساندة السلطان عبد الحميد الثاني .

٢ – العمل لتأكيد الحقوق القومية للعرب .

بالنسبة للاتجاه الاول برز اثناء قيام الثورة المضادة ضد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي في اسطنبول، وسرعان ما تشكلت هناك الجمعية المحمدية، وتركزت دعونها على وجوب الوقوف بوجه الدستور لكونه مخالف للشريعة الاسلامية على حد اعتقاد زعماء الجمعية، وقد انتشرت انبا الثورة المضادة إلى جميع الولايات العثمانية، ومن ضمنها الموصل التي تشكل فرع للجمعية المحمدية فيها في اواخر عام ١٩٠٨، واتخذ من المدرسة الاحمدية في منطق باب السراي مقرا له، ولقيت الجمعية رواجا في اوساط الناس، واتخذ من المدرسة الاحمدية في منطقة باب السراي مقرا له، ولقيت الجمعية رواجا في اوساط الناس، وبعض علماء الدين الذين كانوا يميلون للسلطان عبد الحميد الثاني، وانتموا اليها دون ان يعلموا شيئا عن طبيعتها او عن هوية مؤسسيها (٦) .

من جهة اخرى فقد يجلى عندما نبذ الاعضاء العرب عضويتهم في جمعية الاتحاد والترقي، وانطلقوا في مجالات العمل السياسي العلني والسري على حد سواء بهدف تحقيق آمالهم القومية والتصدي لمحاولة لطمس هويتهم العربية، وايد العرب القوميون من العراق والاحزاب المناوئة للاتحاديين ومنها الحزب الحر المعتدل الذي تأسس بأستنبول لمناوئة جمعية الاتحاد والترقي، فشكلوا فروعا في البصرة وبغداد والموصل ومارست هذه الفروع نشاطات بارزة بهدف السعي وراء كل ما ينهض بالأمة العربية، كما اسس اخرون فروعا لحزب الحرية والائتلاف العثماني المعادي للاتحاديين والمنادي بمبدأ اللامركزية في حكم الولايات، فكان في كل من بغداد والبصرة فرع ينادي بأتباع سياسة لا مركزية تمنح العرب حقوقهم القومية كاملة وكانت السمة العامة لهذه الفروع انها كانت تتبع سياسة شبه مستقلة عن قيادتها الرسمية في الدولة العثمانية، وانها كانت تنسق عملها غالبا مع الفروع الاخرى في العراق والوطن العربي، اكثر من تنسيها مع قياداتها تلك وانها كانت تتبع نهجا قوميا عربيا خاصا بأخوال الامة العربية في تلك المرحلة، واضاف إلى ما تقدم فقد اسس العرب القوميون في العراق احزابا وجمعيات قومية مستقلة تماماً لعبت ادواراً مختلفة في التصد لسياسة التتريك التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي، ففي البصرة الفت المعارضة للاتحاديين في تشرين الثاني ١٩١١ حزب الحرية والائتلاف، وقد ايد معظم البصريين هذا الحزب، وعقد اول اجتماع للحزب في دار السيد طالب النقيب حضره حوالي ١٠٠ شخص من وجهائها، وكانت اهداف الحزب لا تتعد المطالبة بالمساواة بين العرب والاتراك وضرورة الاصلاح في الامبراطورية العثمانية وانهاء سياسة الاضطهاد، وفي بغداد اسس نفر من الزعماء العرب جمعية المشورة بهدف ضرب نشاط الاتحاديين والمطالبة بالحكم الذاتي للعرب، كما قام عدد من الشباب العربي المثقف بتأسيس جمعية عربية باسم النادي الوطني العلمي عام ١٩١٣ زاد عدد من الشباب العربي المثقف بتأسيس جمعية عربية باسم

النادي الوطني العلمي عام ١٩١٣ زاد عدد اعضائه على مائتي عضو، وكان هدفه تطبيق الحكم الذاتي للعرب ضمن نظام اللامركزية وذلك بالتعاون مع الاحزاب والجمعيات القومية المشابهة له في الهدف(٧)، وفي العام نفسه انشأ العرب القوميون في البصرة يتزعمهم السيد طالب النقيب جمعية عربية قومية عرفت بجمعية البصرة الاصلاحية وكانت من اقوى التنظيمات القومية العربية واكثرها نشاطا في العراق، وكانت هذه الجمعية على غرار حزب اللامركزية في القاهرة وابرز اهداف الجمعية :

١ – ان يكون العراق ارضا عثمانية تحت راية الهلال.

٢ – يعي الوالي من الحكومة المركزية على ان يكون عراقيا مسلما بعاداته وتقاليد العشائر المحلية، وان يعين مدير المالية والقاضي، والمتصرف، ومدير الجمارك والبريد بعد استشارة المجلس العموم وان يكونوا ملمين باللغة العربية .

٣ – العربية هي اللغة الرسمية في جميع الدوائر في الولاية .

٤ – يخدم الضباط العرب في بلادهم .

٥ – تدريس جميع العلوم في المدارس باللغة العربية، مع العناية بالعلوم الدينية واللغة التركية .

وخلال العام نفسه عقدت الجالية العربية في باريس مؤتمر للمطالبة بحقوق العرب، وعرف بالمؤتمر العربي في بريس، وفي العراق ارسل السيد طالب النقيب إلى باريس برقية يؤيد فيها عقد المؤتمر، كما ارسل جماعة من بغداد برقية يطلبون فيها ان يمثل العراق في المؤتمر توفيق السويدي وكان آنذاك درس في باريس، وقد وقع البرقية مزاحم الباججي، ونعمان الاعظمي، وشاكر غضيبة، وعبد الرحمن البناء، وعبد اللطيف الملل، ومحي الدين الكيلاني، وبهجت زينل، ويوسف ضياء، ومحمد سعيد الراوي واخرون(٨)، وابرقت من بغداد برقيات اخرى كثيرة في تأييد المؤتمر، دفع اصحابها اجورها غير انها لم ترسل، ولكن رغم ذلك حضر المؤتمر اثنان من العراق احدهما توفيق السويدي، وكان لظهور عزيز علي المصري وهو ضابط في الجيش العثماني اثر كبير في تزايد الحركة القومة فقد اسس في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٣ جمعية عربية سرية عرفت باسم جمعية العهد، واخذ يجتذب اليها شبان العرب من ضباط وطلاب، وكان الضباط العراقيون يؤلفون الاغلبية في هذه الجمعية مثل نوري سعيد، وياسين الهاشمي، وجميل المدفعي، ومولود مخلص، وعلي جودت الايوبي، وطه الهاشمي وغيرهم، واصبح منزل عزيز علي المصري في اسطنبول يعج بالحركة، اذ كان يلتقي فيه الشبان العرب لاسيما الضباط منهم(٩).

المبحث الثاني- اوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والادارية والصحية

لقد اصبحت انظار بريطانيا إلى العراق في اواخر القرن التاسع عشر نتيجة لاكتشاف منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد و وقد نشطت الدول الاستعمارية ولاسيما بريطانيا والمانيا للحصول على امتيازات من الدولة العثمانية تعطيها حق التنقيب عن النفط واستخراجه وتسويقه، وبعد صراعات دولية استمرت مدة طويلة، واتسمت بالعنف احيانا اخرى اتفق البريطانيون والالمان، لاسيما بعد ظهور المحاولات الامريكية للتغلغل الاقتصادي في الدولة العثمانية والحصول على امتياز التنقيب عن النفط على تكوين جبهة واحدة، نتيجة للجهود التي بذلها كالوست سركيس كولبنكيان وهو مهندس ارمني

الاصل، عثماني الجنسية كان له دور كبير في اثارة الانتباه إلى امكانات العراق النفطية و وقد انعكست تلك الجهود في امرين (١٠):

١ – تأسيس البنك الاهلي العثماني عام ١٩١٠ برأسمال بريطاني لمعاضدة المشاريع البريطانية في الدولة العثمانية، واصبح كولبنكان مديرا فيه وعضوا في اللجنة التنفيذية .

٢ – الاتفاق بين البنك الالماني والبنك الاهلي العثماني على تأسيس شركة الامتيازات الافريقية والشرقية المحدودة في كانون الثاني ١٩١١ والتي تحولت في ٢٣ تشرين الاول عام ١٩١٢ إلى شركة النفط التركية المحدودة، وفي البداية كان رأسمال الشركة ٨٠٠٠٠باون استرليني موزعا كما يلي : ٣٥% للبنك الاهلي العثماني، ٢٥% للبنك الالماني، ٢٥% لشركة النفط الانكلو – سكسونية، ١٥% ل كولنبنكيان، وكان من اهم المواد التي احتوتها الاتفاقية هي تعهد الشركاء المؤسسين بعدم منافسة الشركة في المطالبة بأمتياز للنفط في المنطقة التي تعمل فيها، وعدم احقية اي من الشركاء في الحصول على امتياز خاص ب ضمن منطقة امتياز الشركة، وفي اوائل حزيران ١٩١٤ شرعت الشركة النفطية التركية بمفاوضة الحكومة العثمانية للحصول على امتياز للنفط في ولايتي بغداد والموصل وقد نجحت في الحصول على ذلك الامتياز، الا ان العقد لم يوقع لاندلاع الحرب العالمية الاولى (١١).

عانت المدن العراقية من انقسامات وصراعات داخلية استمرت لمدة طويلة من الزمن، منها مثلاً انقسان مدينة النجف الى معسكرين متنافسين هما الزكرت الشمرت، ولم تستطع السلطة العثمانية إيقاف النزاع الذي استمر حتى ما بعد قيام الحكم الوطني عام ١٩٢١، لذلك كانت روح الجماعة بين سكان المدن ضعيفة، تحولت فيها الولاءات الوطنية الى ولاءات إقليمية ومذهبية، ومن ثم تبلورت الى ولاءات للجاه والمال والسلطان ليس في العراق وحسب وإنما في العديد من البلدان العربية الخاضعة للدولة العثمانية مثل سوريا ومصر وغيره، أمست الأمية أكثر انتشاراً في المدن العراقية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكان ذلك نتيجة السياسات العنصرية التي اتبعها العثمانيون تجاه المجتمع العراقي، وعدم إدارة أمور البلاد بشكل صحيح (١٢).

بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤، حقق المجتمع العراقي تحولات مهمة ادت إلى قلب تدريجي للتوازن في العلاقات الاجتماعية ولعل من ابرز مظاهره صعود فئات اجتماعية جديدة، إلا ان هذه التحولات لم تستطع قلب موازيين القوى في المجتمع العراقي، لأن القوى المحافظة استطاعت استقطاب العديد من افراد الفئة المثقفة وضمهم تحت جناحها، مما اضعف فعليا اصوات الآخرين، واعاق المثقفين عن اداء رسالتهم او في الاقل اسهم في تضاؤل طموحاتهم الفكرية، فاضطروا لقبول هذا الحل على خيار التهميش (١٣)، مع ذلك، شهد العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولات بنيوية مهمة أثرت في المجتمع العراقي ونقلته إلى مرحلة تاريخية أكثر تقدما التحولاتً ، إذ أسهمت هذه الاقتصادية والاجتماعية في إحداث نقلات نوعية في بنية المجتمع العراقي، وظهرت فئات اجتماعية جديدة، مثل البرجوازية وفئة العمال، الذين تنامى دورهم في المرحلة اللاحقة ،إلى جانب تطور المجتمع العراقي بنمو الصحافة والتعليم الحديث، فضلا عن ذلك، كان للعوامل الخارجية والمؤثرات الغربية دور واضح في هذا التحول (١٤).

ان التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدها العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هيأت الارضية المناسبة لان يجتاز العراق ما اصطلح عليه المؤرخون العصور المظلمة، وكان لهذه التطورات الاثر الكبير في ميلاد الفئة المثقفة الحديثة اواخر القرن الماضي، إلا انها كانت اعجز من ان تؤدي إلى خلق تطور فكري سريع للمثقفين، فتركت المجال واسعا امام العوامل الخارجية التي رصدت الفئة المثقفة العراقية بمقومات فكرية جديدة، وبواسطة قنوات مختلفة، احتلت الصحافة المقام الاول منها، وهذا يؤكد ما طرحه الباحث في مقدمته عن الاثر الكبير للعوامل الخارجية في تحفيز الركود الاقتصادية والاجتماعي السائد قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد أسهم ذلك، في ظهور ملامح فكر جديد نقيض الفكر التقليدي بين جدران مجالس المثقفين السائد باتجاه إصلاحي، ولكنه بقي محصورا الخاصة، ويعزى ذلك إلى ضعف الطبقة المتوسطة التي لم يكن بمقدورها أن تتحول إلى حلقة وصل فاعلة بين المثقفين وجماهير الشعب، إلى جانب الجو السياسي الذي خيم على العراق في ظل حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وظهرت مع ذلك حالات تحد لدى بعض المثقفين في العراق ضد النظام السياسي العثماني في حين نقل معظم المعارضين لهذا النظام في الأقاليم الأخرى نشاطهم إلى خارج الدولة العثمانية، مع العلم أن المثقفين العراقيين لم يستهدفوا إلا الإصلاح في الداخل، ولم يفكروا بالانفصال عن جسم الدولة العثمانية (١٥) .

المبحث الثالث- التعليم في العراق ١٩٠٨ - ١٩١٤

ان الانقلاب العثماني الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي في الثالث والعشرين من تموز ١٩٠٨ هزة عنيفة في الحياة التعليمية والسياسية والاجتماعية العثمانية، فكن لإعادة الدستور ورفع شعار الحرية والمساواة وإلغاء الرقابة وانهاء الجاسوسية الذي كان مسلطا على رقاب الرعايا العثمانيين، اثره الهائل والكبير في بث الامل في نفوس الناس حول الامساك بأولى خيوط التغيير، ونبذ العلاقات القديمة التي هيمنة على الحياة العامة ووصمتها بالجمود، اذ لم يكن العراق حتى اواخر القرن التاسع عشر تربة خصبة لنمو الحركة القومية وبالتالي ظهور الجمعيات والاحزاب السياسية والجماعات الاصلاحية وذلك لاسباب كثيرة ابرزها التخلف والجمود الاقتصادي والاجتماعي اللذان كانا سائدين في العراق في تلك الحقبة وان التغيرات الاجتماعية، الاقتصادية البطيئة التي بدأت في الظهور اواسط القرن التاسع عشر عكست نفسها سياسيا بيد النشاط السياسي المنظم وانتشار الوعي القومي العربي في العراق وفي غيره من الدول العربية(١٦).

استمرت حركة الاصلاحات العثمانية بعد ولاية مدحت باشا، وقد ذكر الرحالة فوك الذي زار العراق عام ١٨٧٤ ان الوالي رديف باشا قد انشأ جسر معلق عبر دجلة، وبعدها ت انشاء مستشفى عام، ودائرة للمعارف، واخرى للنفوس، وعدد من المحاجر الصحية، ومرافق اخرى ببغداد، وبعدها بدأت مظاهر التحديث تفرض نفسها، وفي عام ١٨٧٩ تقرر تشكيل دائرة بلدية في جانب الكرخ، كما زاد عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة حتى بلغت زهاء مائة مدرسة، وانشأت مدرسة متوسطة للبنات عام ١٨٩٩، وزاد عددها عام ١٩٠٠م إلى اربعة وقبيل الحرب العالمية بلغ عدد المدارس في انحاء العراق ١٦٠ مدرسة ابتدائية، منها ١٣ مدرسة للبنات، و١٢ مدرسة اعدادية، وافتتحت مدرسة خاصة بالمعلمين دار المعلمين،

ومدرسة تطبيقات تابعة لها، ومدرسة للحقوق عام ١٩٠٨، وزاد عدد القراء والمتعلمين مما ساعد بعض المثقفين على اصدار صحف جديدة غير رسمية كان لها اثرها في اشاعة الوعي القومي، وفي السنين الاخيرة من العهد العثماني اجريت بعض الاعمال الاصلاحية المحدودة (١٧).

نشرت جريدة الدستور مقالة حول النساء الرائدات في مجال التعليم على العهد الملكي، ضمن ما قد جاء فيه : مر التعليم النسوي في العراق بمراحل متعددة، متأثرا بعاملي السياسة والدين ففي حقبة الحكم العثماني لم تملك المرأة من وسائل التثقيف والتعليم شيئا يذكر، كونها كانت عيش ظروفا متخلفة فرضها عليها تخلف المجتمع نفسه، فلم تشهد هذه الحقبة سوى اعدادا قليلة من المدارس والكتاتيب التي اقتصرت على تعليم القراءة والكتابة، هذا إذا ما استثنينا مدارس الاقليات غير المسلمة .

وفي عام ١٩٠٨ قامت نظارة المعارف العثمانية بأفتتاح ثلاث مدارس للإناث في بغداد، الاولى في جانب الكرخ، والثانية في محله البارودية في الجانب الشرقي والثالثة في محلة باب الشيخ في الجانب الشرقي ايضا (١٨) .

الصحافة في العراق:

لم يعرف العراق في العهد العثماني إلى ما قبل اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ شيئاً عن الصحافة الاهلية، وكل ما عرفوه هو الصحف الرسمية التي اصدرتها حكومة الولايات او الصحف التي وصلت من اسطنبول وقد بدأ مدحت باشا اصدار جريدة الزوراء سنة ١٨٦٩ وتعد الصيفة الاولى التي صدرت في العراق، وكان لكل ولاية صحيفتها الرسمية وفي ولاية الموصل كانت صحيفة الموصل ١٨٨٥، وفي ولاية البصرة كانت صحيف البصرة شباط١٨٩٥ وبذلك فأن العراق لم يعرف الصحاة إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وبعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ تعددت الصحف والمجلات الاهلية والرسمية، في مدن العراق الرئيسية فبلغ عدد الصحف الصادرة للسنوات ١٩٠٩-١٩١٣ نحو ٦١ صحيفة، ففي بغداد صدرت بها الصحف فكانت معظمها باللغة العربية وعددها ٣٢ صحيفة، تلتها الصحف التي صدرت بالعربية والعثمانية معا وعددها ٢٥ صحيفة، وصحيفتان باللغة الفارسية، فضلا عن صدور واحدة باللغتين الفارسية والعثمانية واخرى بالكردية والعثمانية (١٩) .

وبلغ عدد المجلات التي صدرت في خلال السنوات١٩١٠-١٩١٤، ستة عشر مجلة، كان لبغداد ١٤ مجلة منها، ولكركوك مجلة واحدة والنجف مجلة واحدة، وتعددت اهتمامات المجلات، اذ اختصت اثنتان منها بالنواحي العلمية واثنتان بالنواحي التاريخية، وعشرة منها بالنواحي الادبية وبلغ ما صدر منها بالعربية احد عشر مجلة وبالعربية والعثمانية مجلتان، وبالعثمانية مجلتان كذلك، وبالفارسية مجلة واحدة(٢٠).

والصحف التي صدرت في بغداد في العهد العثماني الاخير سواء باللغة التركية او العربية او كليهما فقد تتجاوز الخمسي صحيفة، وعندما احتجبت جريدة " الروضة " التي اصدرها الشاعر الحاج عبد الحسين الازري، حلت محلها جريدة " المصباح الاغر ولما تجاوزت هذه الجريدة الحدود المرسومة من قبل حزب الاتحاد والترقي الحاكم آنذاك، لنشرها القصائد الحماسية التي تلهب مشاعر العراقيين ضد الاضطهاد والاستبداد والتمييز العنصري وعطلت ونفى صاحبها إلى مجاهل الاناضول(٢١) .

جريدة الزوراء:

تعد أول جريدة أسبوعية صدرت في العراق بعد مرور شهرين على تعيين مدحت باشا واليا على بغداد، اذ صدر عددها الأول في الثلاثاء الموافق السادس عشر من حزيران ١٨٦٩ واستمرت تصدر بانتظام تسعة واربعون عاما ١٩١٧، حين احتجب اثر الاحتلالً حتى سنة البريطاني لبغداد في الحادي عشر من اذار من السنة نفسها وبلغت اعدادها خلال تلك المدة ألفان وستمائة وستة اعداد وبعد انتقال مطبعة الولاية الى بنايتها المستقلة واعتمادها آلة الطبع البخارية، بدأت بالصدور مرتين في الاسبوع، يومي السبت والثلاثاء، من العدد ٥٢.

وصدرت الجريدة باللغتين العثمانية والعربية، بصفحتين لكل لغة منهما، وتولت نشر اخبار الولاية تحت عنوان " مواد خصوصية "، واخبار الدولة العثمانية وبقية ولاياتها تحت عنوان " مواد عمومية " والاخبار الدولي تحت عنوان " حوادث خارجية " فضلا عن مختلف المواد الاخرى من مقالات وتعليمات رسمية وتعريب القوانين ونصوص فرامين الولاة وكان مكتوبجي الولاية مسؤولا عن تحرير المواد الرسمية ونشرها فيها (٢٢).

اهتمت جريدة الزوراء بذكر اخبار حركة التعليم في العراق من خلال متابعة احوال المدارس التي انشأها الوالي مدحت باشا او الولاة الذين جاؤوا بعده من حيث عددها ونوعية التعليم فيها، والملاحظ في هذا الخصوص ان جريدة الزوراء قد امتلكت حساً نقدياً ناضجاً استعملته في بيان اهمية التعليم الحديث وضرورة اهتمام الناس به وتركهم للتعليم التقليدي، وقدمت الزوراء جملة من المعطيات المتنوعة عن نشر الاخبار واشارت الزوراء نقلا عن جريدة الجوانب إلى الحرية التي كان يتمتع بها الشعب البريطاني والسويسري وحقها في انشاء نواد سياسية وممارسة نقد السلطات القائمة في بلديهما، وقيمت الزوراء نقلا عن جريدة " وقت تركية " حرية الصحافة في بريطانيا بأنها دخلت بحكم العرف والعادة .

توقفت جريدة الزوراء عن الصدور باللغة العربية بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨، واقتصر نشرها على اللغة العثمانية و وذلك تمشيا مع سياسة التتريك التي انتهجتها جمعية الاتحاد والترقي، غير انها عادت إلى الصدور باللغتين العثمانية والعربية ومنذ الثاني عشر من تموز ١٩١٣ بعد احتاج عدد من البغداديين الذين لا يجيدون اللغة العثمانية، وقد توقفت جريدة الزوراء عن الصدور بعد نشر عددها المرقم ٢٦٠٦ الصادر في الثلاثين من ربيع الثاني ١٣٣٥ هـ الموافق الثاني والعشرين من شباط ١٩١٧(٢٣).

كانت المجالات الفكرية الثلاثة التي طالها التحديث هي التعليم ،والصحافة والأدب الحديث وقد أثر ذلك في الجوانب الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعلى اثر ذلك بدأت مرحلة انتقالية خرج فيها التعليم والمجتمع تدريجيا من " الصبغة الدينية " التي هيمنت على المجتمع العراقي قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر و فأسهمت مدارس الحكومة، والإرساليات المسيحية والمدارس اليهودية في توفير معارف جديدة ابتعدت عن السياقات التقليدية الدينية السائدة آنذاك، وقد ركزت تلك المدارس على الانسانيات واللغات والآدب والتاريخ، إلا ان التعليم والتحديث ركز عموما على المناطق الحضرية، التي شكلت خمس السكان وادت تلك التحولات إلى زيادة المتعلمين في هذه المناطق ١% عام ١٨٦٩ إلى ١٠% عام ١٩١٧ (٢٤) .

لقد اصبحت المؤسسة العسكرية تعب دورا مهما في اغلب بلدان العالم الثالث، وقد تميز هذا الدور بالازدواجية فهو يقدم مرة بدورة مؤسسة رسمية وثانية بدور مؤسسة سياسية خاصة، وفي احيان اخرى وفي ظرف ومكان معينين ربما يلعب كلا الدورين في اطار صيرورة الاندماج الديناميكي لهذه البلدان، التي تولي اهمية كبيرة للعوامل المنبثقة عن الوضع الدولي وحدة صراعاته وتناقض مصالح اطرافه وطبيعتها، اذ يوضح تاريخ هذه البلدان ان اختصاصيو العنف المنظم هم اكثر نفوذا في الميادين السياسية الداخلية، مقارنة بزملائهم في المجتمعات الصناعية (٢٥).

الهوامش

(١) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص (٣٦٥-٣٦٩) .

(٢) https://ar.wikipedia.org/wiki A

(٣) د. ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨-١٩١٨) ، الطبعة الاولى ، دار ومكتبة عدنان ، ٢٠١٤ ، ص٤٨٢.

(٤) د. ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨-١٩١٨) ، مصدر سابق ، ص٤٨٣ .

(٥) د. فرح باسم ابراهيم ، تاريخ البلاد العربية المعاصر ، كلية الآداب قسم التاريخ ، المرحلة الثالثة ، ص٢ .

(٦) ابراهيم خليل احمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٩١٦-١٥١٦ ،(الموصل : مطبع جامعة الموصل ، ١٩٨٦ د. ط ، ص٣٠.

(٧) جمال محمود حجر ، القوى الكبرى والشرق الاوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، د . ط ، ١٩٨٩ ، ص ٧٤.

(٨) د. ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨-١٩١٨) ، مصدر سابق ، ص ٤٨٥.

(٩) د. غسان العطية ، العراق – نشأة الدولة ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، دار لام ، د . ط ، لندن ، ١٩٨٨ ، ص ٨٦.

(١٠) د. ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨-١٩١٨) ، مصدر سابق ، ص٤٧٠.

(١١) د. ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨-١٩١٨) ، مصدر سابق ، ص ٤٧٠.

(١٢) سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق، المطبعة الأميركية، بيروت، ١٩٣٨، ص٦٧.

(١٣) محمد جبار ابراهيم ، البنية الاجتماعية والاقتصادية واثرها في الفكر السياسي العراقي الحديث (١٨٦٩-١٩١٤) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠٦ ، ص١٥ .

(١٤) عمر ابراهيم ، التطورات الثقافية في العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٩٦-١٩١٤ ، ص ٢٥٩.

(١٥) عبد الرزاق احمد النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (١٩٠٨-١٩٣٢) ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص ٢٧٥.

(١٦) ابتسام حمود محمد ، اثر سياسة الاتحاديين في تنمية الوعي الوطني في العراق ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة عملية محكمة) ، المجلد ٧ ، العدد ، ٢١ ، حزيران ٢٠١٥ ، ص ٢١١.

(١٧) د. ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨-١٩١٨) ، مصدر سابق ، ص٤٥٠ .

(١٨) م.د سالم هاشم عباس او دله ، التعليم والمعارف في العراق خلال الحقبة الزمنية (١٥٣٤-١٩٣٣) ، مجلة اهل البيت عليهم السلام ، العدد ٢٢ ، ص٢٨٧.

(١٩) امين المميز، بغداد كما عرفتها، شذرات من ذكريات، مطابع دار أفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥، ص١٧٣ .

(٢٠) عمر ابراهيم ، التطورات الثقافية في العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٩٦-١٩١٤ ، مصدر سابق ، ص٢٥٥.

(٢١) امين المميز ، مصدر سابق ، ص١٧٥.

(٢٢) الزوراء ، العدد ٧٧٦ ، ٢٥ شعبان ١٢٩٥ (٢٤ آب ١٨٧٨) .

(٢٣) د. جميل موسى النجار ، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، الطبعة الثانية ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ٣٨٥ .

[٢٤] عمر ابراهيم ، التطورات الثقافية في العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٩٦-١٩١٤ ، مصدر سابق ، ص٢٥٧.

[٢٥] عقيل ناصر و الضباط والسياسة في العراق الحديث ، مدخل تاريخي ، الحوار المتمدن ، العدد ٩٦٤ ، ٢٠٠٤ ، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=23838

المصادر والمراجع

١. ابتسام حمود محمد، اثر سياسة الاتحاديين في تنمية الوعي الوطني في العراق، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة عملية محكمة)، المجلد ٧، العدد، ٢١، حزيران ٢٠١٥.

٢. ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٩١٦-١٥١٦ ، الموصل، ١٩٨٦.

٣. الزوراء، العدد ٧٧٦، ٢٥ شعبان ١٢٩٥ (٢٤ آب ١٨٧٨).

٤. امين المميز، بغداد كما عرفتها، شذرات من ذكريات، مطابع دار أفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥.

٥. جمال محمود حجر، القوى الكبرى والشرق الاوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د . ط، ١٩٨٩.

٦. ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨-١٩١٨)، الطبعة الاولى، دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٤.

٧. جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، الطبعة الثانية ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١.

٨. غسان العطية، العراق – نشأة الدولة، ترجمة عطا عبد الوهاب، دار لام، د . ط، لندن، ١٩٨٨.

٩. فرح باسم ابراهيم، تاريخ البلاد العربية المعاصر، كلية الآداب قسم التاريخ، المرحلة الثالثة.

١٠. سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق، المطبعة الأميركية، بيروت، ١٩٣٨.

١١. عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (١٩٠٨-١٩٣٢)، بغداد، ٢٠١٢.

١٢. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٣. عمر ابراهيم، التطورات الثقافية في العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٩٦-١٩١٤.

١٤. م. د سالم هاشم عباس او دله، التعليم والمعارف في العراق خلال الحقبة الزمنية (١٥٣٤-١٩٣٣)، مجلة اهل البيت عليهم السلام، العدد ٢٢،

١٥. محمد جبار ابراهيم، البنية الاجتماعية والاقتصادية واثرها في الفكر السياسي العراقي الحديث (١٨٦٩-١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٦.

١٦. عقيل ناصر و الضباط والسياسة في العراق الحديث، مدخل تاريخي، الحوار المتمدن، العدد ٩٦٤، ٢٠٠٤، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid23838

١٧. https://ar.wikipedia.org/wiki

علي الوردي ظاهرة سوسيولوجية – تاريخية

Ali Al-Wardi is a socio-historical phenomenon

م.م. سرمد سعد يوسف
رئاسة جامعة واسط /مدير قسم المتابعة

ا.م.د. جواد رضا رزوقي السبع
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The personality of the sociologist, Dr. Ali Al-Wardi, is one of the most prominent personalities that occupied the pens and writings of researchers, academics, and lovers of Al-Wardi. Because Al-Wardi entered the pinnacle of scientific and knowledge production, and he was described as Max Weber of Iraq and that he is the Parsons of the era, Al-Wardi is not covered by studies, no matter how deep and deep they are in the folds of his ideas, hypotheses, topics, and propositions. Which was welcomed, but adored by some and resented by others And he entered into long debates with him between a reader and a researcher. In any case, whatever it is, Al-Wardi, in the full sense of the word, is a sociologist and social historian who wrote to his countrymen with honor and honesty. And he must have his tools that he used for the success of his historical project, namely, his three hypotheses that we examined in the summary and folds of the investigations, with his influence on Western scientific research methods, including the American school and the German school. And the French Annals School, and Emile Durkheim, Talkot Parsons, Max Weber, Iver, and Arnold Toynbee were only centers of enlightenment that strengthened the mind of the scholar Al-Wardi. And researchers in general, with his belief that the end justifies the means, as long as he believed in the readings and writings of (The Prince) Nicola Machiavelli, so he went with a good heart to find proposals and hypotheses for his writings such as the preaching of the sultans and the farce of the human mind and a study in the nature of modern Iraqi society.

الملخص:

تعد شخصية عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي من أبرز الشخصيات التي شغلت أقلام وكتابات الباحثين والاكاديميين وعشاق الوردي ، ولأن دخل الوردي قمة النتاج العلمي والمعرفي وتم وصفه بأنه ماكس فيبر العراق وانه بارسونز العصر فإن الوردي لا تغطيه الدراسات مهما بلغ عمقها وغوصها في ثنايا أفكاره وفرضياته وموضوعاته وطروحاته التي رحب بها بل عشقها البعض وامتعض الاخر منها ودخل معه سجالات طويلة بين قارئ وباحث . وعلى أية حال مهما يكن فأن الوردي بمعنى الكلمة عالما سوسيولوجيا ومؤرخا اجتماعيا كتب لأبناء بلده بكل شرف وأمانه واضعا الاحداث التي مر بها محل التحليل والمنهجية وبنى عليها فرضياته رابطا الماضي بالحاضر والتنبؤ بالمستقبل . ولم يشأ الوردي أن يثير الخصام بين المتضادين بقدر ما اراد أن يعرف حسب نظريته التي آمن بها وهي علم اجتماع المعرفة أن يربط الاحداث حسبما كان يؤمن به من فرضياته الثلاث (البداوة والحضارة _ الازدواجية _ التناشز الاجتماعي) التي خلطها وسميت بخلطة الوردي او فرضيات الوردي بشكل خالص كبراءة اختراع له والتي اعتمد عليها الكثير من هم داخل البلاد وخارجه . وهنا يجب الاشارة الى إن الوردي لم يكن متحزبا أو متطرفا ولا طائفيا بل كان وطنيا حريصا على ابناء شعبه وأكاديميته العلمية وإن نتاجه المعرفي ما كان إلا رد جميل وعرفان لما حصل عليه من معرفة وثقافة أيام دراسته خارج البلد وتحديدا في جامعة تكساس _

مقاطعة اوستن في الولايات المتحدة الأمريكية من ١٩٤٦ _ الى ١٩٥٠ عندما أكمل الماجستير ١٩٤٨ عن رسالته الموسومة **(دراسة في سوسيولوجيا الاسلام)** وعن اطروحته التي اكملها عام ١٩٥٠ التي جاءت تحت عنوان **(تحليل سوسيولوجي لنظرية إبن خلدون – دراسة في سوسيولوجيا المعرفة)** وتوفي الوردي في ١٣ تموز ١٩٩٥ وهو مازال يزخر بالعلم والمعرفة كأنه نهر من عطاء لا ينضب حتى اللحظات الاخيرة من حياته .

كلمات مفتاحية: (البداوة، التحضر، سوسيولوجي، التناشز، الازدواجية، المنهج، المجتمع)

المبحث الاول- ولادته ونشأته وسيرته العلمية

ولد علي حسين محسن الوردي في مدينة الكاظمية عام ١٩١٣ وتأثر فكره وعبق إلهامه ونتاجه العلمي المعرفي بالبيئة التي عاصرها لاسيما بالثنائيات التي ظهرت في نتاجه الثقافي والعلمي وهو بذلك مثل حالة الصراع بين القديم والجديد وبين الماضي والحاضر وتلك المدة التي جاءت بعد قيام الحكم الوطني بالعراق في ٢٣ آب ١٩٢١ حتى إندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨[١]. ولم تكن حياة الوردي يسيرة منذ الحلقات الاولى لتعليمه، فقد دخل في تعليمه الاولي الكتاتيب التي كان التعليم بها للصبيان حيث لا تتعدى ختم القرآن الكريم وتعليم الخط ومبادئ القراءة والكتابة وشيءٍ عن الحساب ولم تكن مدارسا رسمية[٢]، ويذكر علي الوردي بنفسه فضلا عن حسون الحاج هادي الدباغ، وخزعل فاضل، وهاشم عبد الهادي، وآخرون، عن ذلك بانا كنا تلاميذ عند الشيخ (الملة) جواد الشيخ سعيد، نخط اسبوعيا على اللوحة السبورة، وكان هذا يجري يوم الخميس من كل اسبوع [٣]. ولا ننسى إن الوردي هاجر مع والده الى النجف الاشرف وعمره أربع سنوات بسبب هروب والده من التجنيد الاجباري الذي أعلنه العثمانيون في بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وتحديدا خلال أحداث معركة الميزريعة في جنوب مدينة الناصرية ولجأوا الى مضيف الشيخ سالم الخيون[٤]. ظل الوردي في النجف التي أعلنت العصيان على الدولة العثمانية لمدة سنتين وظل بها حتى دخول البريطانيون بغداد في آذار عام ١٩١٧ وعاد بعدها الوردي الى الكاظمية، وكانت لهذه الاحداث أثر بالغ في حياته اللاحقة.

دخل علي الوردي المدرسة الابتدائية والتقى بالمعلم مصطفى جواد[٥] الذي يعد اول من أضاف الى لقب علي الوردي ياء النسب بعدما سأله عن لقبه أجابه بأنه ينتسب الى عائلة الورد فقام مصطفى جواد بإضافة حرف الياء الى لقبه وأصبح "الوردي"، وهكذا عرف علي الوردي بهذا الاسم منذ ذاك [٦]، وكما مر ذكره إن الوردي إضطر الى ترك المدرسة بعدما وصل الى المستوى الخامس (الصف الخامس الابتدائي) كي يمارس مهنة العطارة التي لم تكن كما يتمنى الوردي في تخطيط مستقبله الدراسي وكان قد أمضى خمسة أعوام عبر عنها بإنها أشد فترة من حياته لها أثر في نفسه[٧]: "**أمضيت في مهنة العطارة نحو خمس سنوات وكانت تلك أبشع فترة في حياتي . ومن الجدير بالذكر إني كنت في تلك الفترة أجتاز مرحلة المراهقة والبلوغ وهي مرحلة ذات أهمية بالغة في نمو شخصية الإنسان ولعلني لا إغالي اذا قلت إن شخصيتي على أساس من المرارة لاحد لها**" [٨]. ولم ينجح الوردي في مهنة العطارة فطرد منها وعاد للعمل في محل والده ولوحده مضطرا وفتحت أمامه هذه الفرصة آفاق واسعة في القراءة وسعة فهمه وإداركه دخل بعدها الدراسة المسائية في مدينة الكاظمية لأكمال الصف السادس الابتدائي عام ١٩٣١

ونجح فيها، التحق بعدها الى متوسطة الكرخ في بغداد فكان ذلك بداية لمشوار حياته ومسيرته الجديدة تاركا ورائه مهنة العطارة متجها نحو آفاق مستقبل جديد[٩].

كان دخول الوردي في تشرين الاول عام ١٩٣٢ لمتوسطة الكرخ محطة تغير لاحظها ودونها بنفسه عندما ترك ملابسه القديمة وارتدى ملابس حديثة، فأصبح أفنديا، وهكذا كان يعرف وقتذاك كل من يرتدي السترة والبنطال ويعتمر السدارة[١٠]. وحصل على المرتبة الاولى في نتائج الامتحانات العامة للدراسة المتوسطة عام ١٩٣٥ مواكبا ومستمرا على القراءة والكتابة صاقلا مهاراته العقلية والعلمية في جميع جوانب العلم والمعرفة وأكمل دراسته الإعدادية عام ١٩٣٧ عندما حصل على المرتبة الرابعة في امتحانات الدراسة الإعدادية[١١]. وبهذا التفوق حصل على بعثة علمية من وزارة المعارف للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٣٩ حاصلا بعدها عام ١٩٤٣ على درجة البكالوريوس في الاقتصاد ثم بعثة ثانية لإكمال دراسته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية في جامعة تكساس، مقاطعة أوستن، عام ١٩٤٦ وأكمل دراسة الماجستير في علم الاجتماع ١٩٤٨، ونال الدكتوراه في الجامعة نفسها عام ١٩٥٠ عندما أنهى أطروحته الموسومة "**تحليل سوسيولوجي لنظرسة إبن خلدون . دراسة في سوسيولوجيا المعرفة**"[١٢]، وبعدما عاد الى العراق عام ١٩٥٠ عين تدريسيا في كلية الآداب جامعة بغداد في قسم علم الإجتماع وقدم مجموعة من الإعمال التي كانت بمثابة بحوث للترقية على ضوئها تم ترقيته الى مرتبة استاذ مساعد عام ١٩٥٣ [١٣] وبذلك كانت حياة الوردي العلمية غير مقتصرة على التدريس فحسب وإنما تولى العديد من المناصب الإدارية ولجان الترقية كما تسلم منصب رئيس قسم الإجتماع في جامعة بغداد[١٤] .

نشر الوردي مؤلفاته على التوالي منذ ١٩٥١[١٥] أي بعد عودته من رحلة دراسته الى أرض الوطن كالآتي :-

١. شخصية الفرد العراقي بغداد ١٩٥١[١٦].
٢. خوارق اللاشعور بغداد ١٩٥٢ [١٧] .
٣. وعاظ السلاطين بغداد ١٩٥٤ [١٨].
٤. مهزلة العقل البشري بغداد ١٩٥٥ [١٩] .
٥. اسطورة الأدب الرفيع بغداد ١٩٥٧[٢٠].
٦. الأحلام بين العلم والعقيدة بغداد ١٩٥٩[٢١].
٧. منطق إبن خلدون في ضوء حضارته بغداد ١٩٦٢[٢٢].
٨. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي بغداد ١٩٦٥[٢٣] .
٩. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث في ثمانية أجزاء بغداد ١٩٦٩ _ ١٩٧٩ [٢٤] .

تبنى الوردي الاتجاه التراثي[٢٥] في بحثه الموسوم ابن خلدون والمجتمع العربي الذي أكد من خلاله أسبقية ابن خلدون في تأسيس علم الاجتماع دون غيره لاعتماده على منهجية علمية قائمة على الملاحظة والمقارنة والتحقق من الاحداث المدونة والمنقولة[٢٦].

إن موضوع نظرية إن خلدون في الصراع ما بين البداوة والحضارة في دراسة المجتمع العربي تمثل بقوله: "**إني أعتقد إن مجتمعنا العربي الحاضر من أكثر المجتمعات تأثرا بالقيم البدوية ولا تزال هذه القيم متغلغلة في أعماق نفوسنا من حيث نشعر او لا نشعر، ولعل الكثير من مشاكلنا الاجتماعية ناشئة من التصادم بين القيم البدوية القديمة والقيم الجديدة التي جاءت بها الحضارة الجديدة ... ولاحظت ذلك بوضوح في المجتمع العراقي وهو المجتمع الذي شغلت بدراسته زمنا طويلا فقط. وجدت إن القيم البدوية متغلغلة في تكوين هذا المجتمع تغلغلا غير قليل، لا سيما في الريف منه، فحين نذهب في الريف العراقي نجد العصبية القبلية والفخارِ بالكرم والبخالة والقبلية والحرص على أخذ الثأر سائدا بين السكان، وحتى في المدن العراقية نرى هذه القيم موجودة إلا إنها هناك أخف مما هي في الريف ... ، والملاحظ إن شعار (إبن عشيرتي) الموجود في الريف قد تحول في المدن الى شعار (إبن طرفي) أو (إبن محلتي) أو (جيراني) أو (إبن ولايتي) والرجل الذي ينصر أبناء عشيرته أو مدينته في الحق والباطل، قد ينال من تقدير الناس أكثر مما يناله الرجل الذي عامل الناس جميعا على اساس من المساواة**" [٢٧] ، إلا إن علي الوردي قد انتقد ابن خلدون نقدا عنيفا حينما أكد إن تلك النظرية رغم ما فيها من أهمية كبيرة إلا إنها اعتبرت الواقع الاجتماعي شيئا يصعب تغييره [٢٨]، كما أكد في انتقاده معتبرا ابن خلدون انتهازيا في طروحاته وسلوكه يجاري الواقع القائم آنذاك ولا يفكر في تغييره.

حصل علي الوردي على لقب الاستاذية وأحيل على التقاعد عام ١٩٧٠ من كلية الآداب جامعة بغداد حيث أصبح استاذ متمرس في علم الاجتماع ولم يشرف الا على طالبة واحدة من قسم علم الاجتماع بدراسة الماجستير وسحب منه لقب الاستاذية من قبل النظام السابق بيد انه تقدم بمظلمة الى رئيس جامعة بغداد آنذاك وأستمر في مرحلة التأليف والنتاج العلمي حتى ١٩٧٩ وتعرض الى مضايقات متعددة من قبل النظام السابق وكان مسلوب الرأي والإرادة ومهملا حتى وفاته في ١٣ تموز ١٩٩٥.

المبحث الثاني- نظريات واطروحات الوردي

لربما كانت نظريات الوردي البداوة والحضارة والتناشز الاجتماعي والازدواجية لشخصية الفرد العراقي أبرز ما يميز كتاباته، وإذا أردنا أن نمعن النظر وان نستقرأ نظريات هذا العالم الكبير علينا أن نفهم ماذا أراد الوردي أن يطرحه من أفكار وقيم وسلوك الى الشارع العراقي فالوردي كان حريصا كلما قرأنا كتاباته حول تلك النظريات التي ذكرناها قبل قليل في تحليل بنية المجتمع العراقي وشخصية الفرد في ضوء او طور تكوينه التاريخي المتراكم وآثار ذلك التكوين الاجتماعي خلال تتابع الهيمنة الاجنبية على العراق ولعل البصمات السلبية التي وقعت على الفرد والجماعة مهدت لفكرة إزدواج الشخصية الناشئ عن صراع البداوة والحضارة والتناشز الاجتماعي[٢٩].

ولكي نسلط الضوء على فرضيات الوردي الثلاث التي حاول من خلالها تفسير المجتمع العراقي وفق تسلسل منطقي براغماتي في الازدواجية أولا، يليها صراع البداية والحضارة ثانيا، منتهيا بالتناشز الاجتماعي أخيرا. فبالنسبة الى ازدواجية الشخصية فيقول عنها الوردي بأنه اقتبسها من عالم الاجتماع الاسكتلندي الأمريكي، من الأصول الاستكتلندية، ماك ايفر الذي يخص تأثير نظامين متناقضين من القيم في سلوك الفرد. أما فرضيته الثانية، كما نوهنا عنها في السطور سابقة الذكر، بأنها مقتبسة من عالم

الاجتماع ابن خلدون[٣٠]. وما يخص فرضيته الاخيرة فكانت مقتبسة بشكل واضح عن عالم الاجتماع اوكبرن الذي خصها بالتخلف الحضاري مفادها إن الاجزاء المادية من الحضارة تتغير بشكل أسرع من الاجزاء المعنوية في المجتمع وهذا ما ينتج بدوره فجوة ثقافية وحضارية في مرحلة تقع بين تقدم تكنولوجي وأخرى تتعلق بالتفكير الاجتماعي وهذه التسمية (الفجوة الحضارية او الهوة الحضارية) أطلق عليها الوردي مصطلح التناشز الاجتماعي[٣١] .

لو عدنا الى بدايات فكر الوردي ومع اول ما صدر له في كتاب شخصية الفرد العراقي عام ١٩٥١ لوجدنا صدى هذه الفرضية في فرضيته ازدواجية الشخصية حيث ذكرنا سابقا انه حدد اسباب الازدواج في ثلاثة عوامل هي: حضارية واجتماعية ونفسية، ولم يكن السبب الأول منها الا تجسيدا لفرضية صراع البداوة والحضارة فيما بعد.

ان محور هذه الفرضية كما اوضحها الوردي في كتاباته هو ان العراق يقع على هامش البداوة والمدنية معا فهو مهد اقدم المدنيات البشرية ومن المحتمل ان يكون مهدا لأول دولة في التاريخ ولانه واقع على حافة صحراء تعج بالبدو و تمده بأمواج متوالية منهم فهو خصب وليس فيه ما يمنع البدو من النفوذ اليه من جبل او بحر أو غير ذلك، لذلك فأن هجوم البدو على سكان القرى وسيطرتهم عليها جعل فيها طبقتان (حاكمة ومحكومة)، (غالبة ومغلوبة)، ويؤكد ان هذه حقيقة حضارية عظيمة الاهمية في العراق منذ بدء المدنية فيه حيث هناك طبقتان او حضارتان تتصارعان، حضارة بدوية محاربة وحضارة زراعية خاضعة فنشأ في العراق نظامان للقيم يؤمن بالقوة والبسالة والاباء وبجانبه يؤمن بالكدح والصبر ويمارس اداء الضريبة والخضوع والتباكي[٣٢].

يؤكد الوردي ان الحضارة الحديثة جاءت بأفكار ومفاهيم تناقض العادات الاجتماعية التي نشأنا عليها في بيئتنا المحلية فالمساواة والعدالة والديموقراطية والحرية والوطنية لا تنسجم مع العصبية والقرابة والجيرة والنخوة التي كانت سائدة في الجيل الماضي وظل اثرها باقيا في اعماق النفوس. ان التغيير السريع الذي حدث منذ الحرب العالمية الاولى قفز به الى الأمام من الناحية المادية على المستوى العمراني والاقتصادي والسكاني والصحي والعلمي لكن في الوقت نفسه سبب مشاكل اجتماعية. لذلك فان التغيير في الكيان الاجتماعي لم يكن بالمستوى الذي حدث في جانب الحياة المادية مما أدى الى صراع او توتر او تناقض بينهما فأسمى الوردي ذلك (تناشزا اجتماعيا) ويذكر انواعا من التناشزات[٣٣] :

أولاً :

أ. تناشز الحقوق والواجبات .

ب.تناشز المدارس والوظائف .

ت.تناشز المرأة والرجل .

ث.تناشز الدين والجيل الجديد .

ويعلل الوردي الفجوة بين الدين والجيل الجديد الى أسباب، لعل أهمها: موقف التزمت الديني لدى بعض رجال الدين ازاء الحضارة فحرموا الافكار والنظم والازياء كما كان أهم ما يشغل تفكير رجال الدين هو التفريق بين الحلال والحرام مع إتباع مذهب الادلة العقلية والإقناع للتدليل على صحة العقيدة التي نشأ

عليها او الطائفة التي ينتمي اليها ولكنها لا تنتج فائدة إذ لا يتحول أحد من هذه الطائفة لتلك لاسيما إن بقاء الطقوس الدينية ونموها وتضخمها في العهد العثماني أصبحت لا تتلائم مع واقع الحياة بعد مجيء الحضارة الحديثة[٣٤].

المبحث الثالث- منهجية الوردي

لعل أبرز ما يميز كتابات الوردي هي منهجيته التي كانت حسب ما يراه مناسبا أو يتناسب مع ذهنية القارئ فالأسلوب الذي تميز به "السهل الممتنع"، وتقليده لبعض الكتاب المصريين مثلا جعلت مؤلفات الوردي أكثر رواجا بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨[٣٥]، بل أكثر مبيعا في كتب النشر والتوزيع الطباعة، ولعل سحر هذه المنهجية ألقى بضلاله على متابعي ومحبي كتابات علي الوردي، في الرواية الشفاهية كانت أبرز ما يميز تلك الكتابات وعندما نذكر أمثلة كثيرة عن تلك المنهجية كتب بها الوردي نجد مجموعة من الباحثين والأكاديميين والمهتمين بدراسة او علاقة علم الاجتماع بالتاريخ او العكس قد اشار اليها.

أن التاريخ الشفاهي يستنطق الماضي كونه جذر الحاضر والمغذي للوعي والإدراك فمن خلال الماضي سوف نفهم تاريخ بناء المنظومة الثقافية وليس بعيدا عن هذا الرأي ما يذهب اليه بولو فيدولسكي من ان الماضي يبني الحاضر من خلال تراثه– ثقافته، لكن الحاضر هو الذي يختار هذا التراث ويحفظ بعض جوانبه وينسى الأخر وهو الذي يعيد باستمرار صياغة صورة الماضي في أذهاننا بإعادة رواية القصة مرارا وتكرارا.

اذا التاريخ الشفوي هو كتابة تاريخية تعتمد بالأساس على المصادر الشفوية، والفردية في الغالب، وتعطي الكلمة للشاهد أو الفاعل – الشاهد، من دون أن تمنحه ثقتها اللامشروطة، كيفما كان وزنه وخصاله. ويوظف الباحث أدوات النقد التاريخي منذ مرحلة المقابلة والاستجواب، حتى وإن كان المشروع يقتصر على بناء الأرشيف الشفوي، فهو يبدأ بتوثيق عناصر المرحلة التي تتصل بالمبحوث، ويستحضر احتمالات تحوير الأحداث، إذ غالبا ما تتأثر رواية الأحداث بهفوات الذاكرة ورهانات الحاضر، ولذلك ينبغي التعامل مع التاريخ الشفاهي على أنه دليل وليس مجرد مصدر نهائي، لأن الذكريات عادة ما تكون عرضة للنقص أو التشويش أو التعارض مع حقائق أخرى.[٣٦]، كما تبنى الوردي في طروحاته استخدام منهجا او اتجاها اطلق عليه الاتجاه التوليفي والاتجاه التنظيري[٣٧]، حيث يمكن ان نصنف كتابه (الاحلام بين العلم والعقيدة)، وهو كتاب عرف فيه بالأحلام واراء الفقهاء والنظريات المفسرة لها، ومتناولا فيه كذلك البارا سيكولوجي أو علم خوارق اللاشعور، والفقرة الاخيرة استفاد في عرضها من كتابه خوارق اللاشعور أو اسرار الشخصية الناجحة غير أن هذا الكتاب لم يخل من انطباعات و انتقادات الوردي للتفسيرات غير العلمية للأحلام، والكتاب بعد ذلك يحتوى على جملة من الاحلام جمعها الوردي من بعض الاشخاص أو نقلا عن بعض العلماء، متوصلاً من كل ذلك انه قد تصدق بعض الاحلام وتتحقق، ولكن يجب عدم تصديق كل ما يقال عنها، فهي ليست الا موضوعات يراها النائم في منامه بعد ان عاشها في يقظته ومن الاتجاهات الاخرى التي يمكن ان تصنف ضمنها اغلب ما كتبه الوردي من مؤلفات هو الاتجاه التنظيري حيث حاول هنا تطبيق نظرية ابن خلدون في الصراع ما بين البداوة والحضارة على دراسة المجتمع

العراقي متوصلاً الى ما اسماه (ازدواجية الشخصية) عند الفرد العراقي، وقد حاول في اغلب مؤلفاته اثبات وجود تلك الازدواجية مع الاختلاف في درجة التطرق اليها من مؤلف لآخر، ونبدأ هذا الاتجاه بكتابه الموسوم (شخصية الفرد العراقي)، الذي قال فيه: "**لقد لاحظت بعد دراسة طويلة بأن شخصية الفرد العراقي فيها شيء من الازدواج ... وقد يندهش بعضكم من هذا القول حيث انه لا يحس عيانا بهذا الازدواج الذي أعزوه اليه، والواقع ان كثيرا منا فيه هذا الازدواج الشخصي قليلا أو كثيرا ولكننا نشأنا فيه، وتعودنا عليه بحيث اصبح مألوفا لدينا وهو يبدو لنا كأنه طبيعي لا شيء فيه**" [٣٨]. وعبر البعض الآخر عن منهج البحث لدى الوردي عند وصفه، بانه منهج يعتمد مبادئ التحليل العلمية التي تبحث في طبيعة المجتمع العراقي الحديث ونشأته وتركيبه. وقد استند منهجه في البحث إلى مصادر ومراجع رئيسة، إذ درس ابن خلدون في نقده للمنطق الأرسطي، ولهذا نجد أثر فكر ابن خلدون واضحا في دراسات الوردي وبحوثه.

استند منهج الوردي ايضا إلى نظريات سيجموند فرويد بما يتعلق بنظرية "الدوافع"، ففرويد يعتبر أن السلوك البشري ليس موجهاً بالعقل وإنما بالدوافع، مثل الدافع الجنسي، والدوافع لا عقلانية تؤثر في حياتنا وسلوكنا، فإذا فهم الإنسان السلوك عليه فهم الدوافع التي تختفى وراءه. يقول الوردي: "**إن فرويد استطاع الكشف عن قناع الإنسان المصطنع وجعله عارياً، وإن المفكرين قبله كانوا يعتقدون بأن الإنسان ذو عقل واحدٍ يسيطر على أعماله، ويوجه سلوكه، فإذا انحرف أرجعوا السبب إلى عقله، وناشدوه أن يفعل ويتعظ، فإن لم يفعل اعتبروه مستحقاً للعقاب. أما فرويد فقد اكتشف أنّ في الإنسان عقلاً ثانياً غير العقل الواعي، وقد أطلق عليه اسم العقل الباطن، اللاشعور**".

إنّ منهج الوردي استند في مرحلة لاحقة في بحوثه ودراساته إلى نظرية "اجتماعية المعرفة" لعالم الاجتماع الألماني كارل مانهايم التي تبحث في التأثير المتبادل بين الفكر والواقع الاجتماعي، معتبراً أن الحقيقة نسبية، وأنها موجودة خارج العقل البشري، وشبهها بالهرم ذي الأوجه المتعددة، وأن كلاً منا لا يرى من الهرم سوى الوجه المقابل له من دون الوجوه الأخرى استفاد الوردي من منهج منهايم في دراسة الطبيعة البشرية، هذه الطبيعة هي التي تقود إلى فهم المجتمع العراقي، وشخصية الفرد العراقي، ولهذا طرح الوردي السؤال الديني الفلسفي : "**هل الإنسان مخير أم مسيّر**" ثم أجاب عن سؤال نفسه قائلاً: "**الإنسان مسيّر في أغلب أفعاله، ومدفوع ومجبور بدوافع . اللاشعور، ودور العقل هو تبرير ما يقوم به الإنسان من أفعال**".

إذاً يمكن القول إن منهج البحث العلمي لدى الوردي يرتكز على ثلاثة مناهج في البحث الاجتماعي وعلم النفس والفلسفة. هذا المنهج استطاع إلى حدٍ ما الغوص في بناء الشخصية المجتمعية العراقية، باعتبارها مكونات رئيسة (اثنية – دينية – طائفية – عشائرية)، تتبادل في ما بينها التأثير والتأثر، ما يخلق أنساقاً من العلاقات بين المكونات توضح إلى درجة ما توافقها وتفارقها، وتبين العوامل المساعدة على التوافق الاجتماعي، ومثلها العوامل المساعدة على الصراع الاجتماعي[٣٩].

من هنا تأتي أهمية نقد العقل البشري، إذ إنّ الوردي وظّف هذه الفكرة، فانتقد الافتراض بطبيعة العقل الثابتة، معتبراً أنّ العقل البشري متعصب ومتحيّز للطبيعة بسبب تأثره بالبيئة والقيم والمعتقدات

والمصالح، لذلك انتقد الوردي المنهج العقلي، وبين عيوبه، باعتباره منهجاً لا يتلاءم مع المنهج العلمي الحديث، فأصحاب المنهج العقلي أخطأوا عندما تصوّروا أن الطبيعة البشرية نتاج العقل. وأن العقل موهبة وظيفتها الوصول إلى الحقيقة على هذه القاعدة اعتقد أصحاب المنهج العقلي أن في وسعهم إصلاح البشر عن طريق "**الموعظة والخطابة وإسداء النصح**"، وهذا ما دفع الوردي إلى اتهام أصحاب المنهج العقلاني بأنهم وفكرهم يعيشون في أبراج عاجية، وينظرون إلى المجتمع نظرة فوقية مثالية(٤٠).

وفي مقال منشور في جريدة المدى ذكر منهج الوردي وكتاباته: "**يستهل علي الوردي كتابه منطق ابن خلدون بالتأكيد على انه سيدور حصرا على نظرية المنطق عند ابن خلدون بعد ان يعده من اعظم المفكرين في العالم**" **ويشبهه فلاسفة العصر الحديث شبها لا يستهان به**"، لاعتبارين أولهما انه اول من درس المجتمع البشري بطريقة واقعية، والثاني لان نقده للمنطق الصوري او الأرسطي لم يكن نقدا بسبب التعصب انما بسبب دعوته الى منطق جديد منسجم مع المنهج الاجتماعي الواقعي والحقائق التاريخية فالمفكر حسب الوردي، كلما كان اكثر تحررا من قيود المنطق القديم كان اكثر إبداعا في تفكيره، فيما يثبت الواقع ان العلوم الحديثة كلها، الطبيعية منها والاجتماعية، لم تستطيع ان تنمو هذا النمو العجيب الا بعد أن بدأ فرانسيس بيكون بثورته المعروفة على المنطق الأرسطي والتراث الفلسفي القديم. لذا فهو يعلن الثورة على مفهوم المنطق التقليدي في المنظورات الاجتماعية الموروثة هذه المرة. وهذا ما يفسر ربما البعد النقدي وحتى السجالي الذي يطبع لغة الوردي وتحليلاته لا سيما حيال بعض معاصريه من الباحثين او الدعاة الذين يجادلون معتمدين على" ما لديهم من أقيسة منطقية قديمة يصولون بها كما يصول المحارب بسيفه البتار، "**غير مدركين ان المجتمع، وكما قال ابن خلدون بدهائه يراد له منطق آخر غير المنطق " الأخير**"(٤١).

وطرح ابراهيم الحيدري في مقالة على موقع الحوار المتمدن عن الوردي جمع بين رصانة الفكر وبساطة الاسلوب فأحبه الناس بإن (الفترة التي درسها الوردي و عايشها وخبر أحداثها وكتب عنها ونقدها منذ الحرب العالمية الأولى، لا سيما عقد الخمسينات تعتبر من أهم وأخصب الفترات الفكرية والاجتماعية في تاريخ العراق الحديث وأكثرها إنتاجا وازدهارا . وقد عاصر الوردي سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى وما أفرزته من محاولات للاستقلال والتحرر الوطني وتأسيس الدولة العراقية، مثلما عاش سنوات الحرب العالمية الثانية وثورة ١٤ تموز وما بعدها وما أفرزته من صراعات اجتماعية وسياسية وثقافية، كما عاش سنوات الحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج وما خلفته من محن ومآس وحصار وخراب وردة حضارية ليس من السهولة تجاوزها إلا بعد سنوات طويلة. في ذلك المناخ الفكري المتأرجح بين التراث والمعاصرة وبين اتجاهات فكرية وسياسية متصارعة خاصة القومية والاشتراكية وبين الحركات الإسلامية والليبرالية، ظهر علي الوردي مثقفا اجتماعيا مستقلا، ولكن جريئا ومتمردا، تحدى المنظومات الاجتماعية والثقافية القائمة من خلال توجيهه انتقادات اجتماعية حذرة، مبينا عوامل التخلف والركود، كاشفا عن عجز النظام الاجتماعي – السياسي، الذي قام على اعقاب قرون عديدة من الظلم والاستلاب واستخدم الوردي أسلوبا تنويريا نقديا يعتمد على السرد المبسط والكلام السهل الممتنع، منقبا في عمق الأشياء الصغيرة والظواهر الاجتماعية المبعثرة في ثنايا المجتمع والتاريخ، التي تجاهلها الكتاب والمفكرون وحتى

المتخصصون في علم الاجتماع إما لحساسيتها أو لعدم تقديرهم لأهميتها الاجتماعية والثقافية، لجمعها ودراستها وتحليلها والربط بين أجزائها، ليصل إلى معانيها الاجتماعية والأنثروبولوجيا ويكشف عن دوافعها وأهدافها القريبة والبعيدة[٤٢].

ولعل أهم تقسيمات محمد عيسى الخاقاني في حركة الوردي العلمية بأنه صنفها الى ثلاثة اتجاهات منها تأثر الوردي بالعلامة مصطفى جواد المؤرخ اللغوي الموسوعي الذي يمتاز بتنوع معلوماته ومتابعاته الكثيرة كذلك بالسيد هبة الدين الشهرستاني وآرائه الاصلاحية ويعده رائد حركة الاصلاح والتحريض ضد الجمود الديني كما تأثر بكتابات الكاتب المصري سلامة موسى الذي اقتبس منه كتابة اسلوب السهل الممتنع البعيد عن التنميق كما تأثر منهج الوردي أيضا بأساتذته في جامعة تكساس منهم وليام غراهام سمنر ودايال كارنجي و وليام اوغبرن ورائد الحضارة التاريخية ارنولد توينبي كما اتفق بأن الوردي كان براغماتيا في السياسة وكان يردد بأن (السياسة هي فن الممكن) ودافع عن ميكافيللي وكتابه (الامير) معبرا عنه هناك مساحة مصالح امام كل سياسي وعليه ان يستغلها حسب الظرف والمكان لينجح فلا يوجد في السياسة صداقات دائمة ولا عداوات دائمة وإنما مصالح دائمة وهذا ما يتطابق تماما مع النفعية . وتأثر أيضا بأن افكار ميكافيللي إن الغاية تبرر الوسيلة هي أيضا من أكثر الصور انتشاراً بين الحاكم والشعب أما تأثره بالمفكر البريطاني جون ستيورات ميل حول الليبرالية السياسية والنفعية البراغماتية ضمن اطار الديمقراطية هي الحل الامثل الذي توافق عليه البشر[٤٣].

يرى السيد محمد الخاقاني بأن علي الوردي قد استعمل مناهج البحث العلمي على أتم وجه من خلال تبنّيه للمنهج النوعي في الدراسة والذي يصف الظاهرة الاجتماعية كما تحدث طبيعيا ويهتم بالآراء ووجهات النظر والتجارب والخبرات الإنسانية. كما كان يقوم بالتحليل والتفسير، وبشرح طريقة بحثه بين الناس، وهو الأسلوب الذي نطلق عليه في الدراسات الإنسانية للعمل الميداني، وكان أميناً مع نفسه ومع المجتمع، حيث وصف ما توصل إليه بالفرضية، قائلاً إنها قابلة للتغير والتبديل. وعلى الرغم من إعجاب الوردي بأصحاب الطروحات ثنائية البعد مثل ابن خلدون وجون سمنر إلا أنه لم يعتمد جميع الثنائيات الفلسفية والاجتماعية التي طرحها المفكرون الغربيون منهجاً ليسير عليها أو آلية بحث قابلة للتطبيق، بل اختار ما يناسبه فهو مثلا لم يستعن بتصنيف فردناند تونيز الذي عرف المجتمع بقطبين حيث تسود في القطب الأول العلاقات الأولية والقرائبية، بينما تسود في القطب الثاني العلاقات الثانوية والتعاقدية. كما لم يتأثر بثنائية ماكس فيبر بين النماذج التقليدية والنماذج العقلية، ولا ثنائية هوارد بيكر بين النموذج المقدس والنموذج العلماني، ولا ثنائية روبرت ردفيلد بين المجتمع الشعبي والمجتمع الحضاري. لقد اعتمد الوردي في منهجيته وآليات بحثه، بحسب الخاقاني، على ثلاثة منهجيات لا رابع لها وهي منهجية " تالكوت بارسونز"، "أميل دوركهايم و كارل مانهايم يعتقد الخاقاني بأن مدرسة هيغل الفلسفية هي المدرسة الأقرب الى فكر الدكتور علي الوردي، وهو من أكثر الفلاسفة تأثيراً في تاريخ الفلسفة الحديثة. وقد يسأل سائل عن سبب قرب مدرسة هيغل الفلسفية إلى الوردي؟ والجواب كما يرى الخاقاني أنك لا يمكن أن تفهم الفلسفات الوجودية والماركسية والبراغماتية والفلسفة التحليلية والنزعة النقدية، من دون أن تفهم هيغل وتأثيره فيها جميعاً بالسلب والإيجاب وأكثر من ذلك فإن الوردي حاول أن يحاكي كتاب هيغل "المنطق"

الذي عرض فيه للمعاني الأساسية الميتافيزيقية والمنطقية، من خلال كتابه خوارق اللاشعور "، واستطاع أن يبسط التعقيدات والابهامات التي تكتنف كتاب هيغل، وبطبيعة الحال أن من يقتنع بفلسفة هيغل المثالية لا ينسجم مع المدرسة المادية التي أسسها كارل ماركس. كما أن الماركسية تدخلت في أمور هو في غنى عنها، حيث أنكرت وجود الله، واستهانت بالأديان وحاولت تفسير التاريخ والمجتمع وطبيعة الإنسان حسب خطة ثابتة لا يجوز الخروج عليها، وبذلك خلقت الماركسية أعداء كان من الممكن أن يكونوا أصدقاء لها قدم الخاقاني ملخصاً لما قاله الوردي في النظرية الماركسية نظرية وتطبيقاً، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وعلى الذين قالوا إن الوردي تأثر بالنظرية المادية لم يقرؤوا الوردي جيداً، فالرجل أوضح الفرق بين مثالية هيغل ومادية ماركس، ووضح أن ماركس كان هيغيلياً قبل أن يؤسس نظريته(٤٤).

الخاتمة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت شخصية وسيرة ونظريات وآراء وطروحات ونقد بناء وانتقاد للعلامة الوردي الذي مثل بحرا زاخرا من العلم والمعرفة متناولا الأحداث التاريخية بمنظور اجتماعي بعيد عن التحيز محايدا في إعطاء قراره الاجتماعي التاريخي لوصف ظاهرة سوسيولوجية تاريخية فمثل فلتة زمانه وطفرة نوعية في كتابة التاريخ بمنحى اجتماعي. ولابد أن تكون لديه ادواته التي استخدمها لنجاح مشروعه التاريخي إلا وهي فرضياته الثلاث التي عرجنا عليها في ملخص وثنايا المباحث مع تأثره بمناهج البحث العلمية الغربية ونذكر منها المدرسة الأمريكية والمدرسة الألمانية ومدرسة الحوليات الفرنسية وما كان ايميل دوركهايم وتالكوت بارسونز وماكس فيبر وايفير وارنولد توينبي إلا مراكز تنوير عززت ذهن العلامة الوردي وبوجود خلطة الوردي من فرضياته الثلاث التي زاوج بينها من أبن خلدون في البداوة والحضارة والازدواجية والتناشز الاجتماعي جعل من مؤلفاته آفاقا رحبة في نفوس القراء والباحثين عامة مع إيمانه بأن الغاية تبرر الوسيلة طالما آمن بقراءات وكتابات (الامير) لينقولا مكافيللي فذهب بصدر رحب لإيجاد طروحات وفرضيات لمؤلفاته كوعاظ السلاطين ومهزلة العقل البشري ودراسة في طبيعة المجتمع العراقي الحديث.

الهوامش:

١_ طارق نافع الحمداني، الأعمال الفكرية للدكتور علي الوردي في المجلات والصحف العراقية والعربية، المجموعة الأولى ١٩٤٤ _ ١٩٩٥، المجلد الأول، ط١، دار الوراق، بغداد، ٢٠١٨، ص١٦ ؛ عبد الهادي الحمادي، رحلتي مع الدكتور علي الوردي من كلية الآداب الى مجالس الأدب ١٩٥٥_ ١٩٩٥، ط١، منشورات منتدى نادي الصيد الثقافي الخامسة، مطبعة إبن العربي، بغداد، د.ت، ص٢٤_٢٥ ؛ علي الوردي الفيلسوف الثائر السيد جمال الدين الأفغاني، تحقيق وتقديم : عبد الحسين الصالحي، مؤسسة البلاغ، ط١، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص٨٢_٩٨ ؛ ويراجع أيضا عن حياة الوردي ونشاته والمواقف التي مر بها . محمد عيسى الخاقاني، مئة عام مع الوردي، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٧ .

٢_ عبد الهادي الحمادي، المصدر نفسه، ص٢٧ .

٣_ المصدر نفسه، ص٢٧ .

٤_ عبد الهادي الحمادي المصدر نفسه ص٢٨ ؛ للمزيد من التفاصيل عن شخصية الشيخ سالم الخيون . يراجع : رقية حميد حسن البرزنجي، سالم الخيون ودوره الاجتماعي والسياسي حتى عام ١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣ .

٥_ عبد الهادي الحمادي، المصدر السابق، ص٢٨ .

٦_ المصدر نفسه، ص٢٨ .

٧_ طارق نافع الحمداني، المصدر السابق، المجلد الأول، ص١٧ .

٨_ المصدر نفسه، المجلد الأول، ص١٧ .

٩_ المصدر نفسه، المجلد الأول، ص١٧ ؛ للمزيد من التفاصيل عن أبرز المؤلفات التي كتبت عن الانتقادات الموجهة للجزء الخامس لكتاب لمحات اجتماعية. يراجع : ستار جبر ناصر، هوامش على كتاب علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث الجزء الخامس، مطبعة اوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٧٨، ص١٧، ص١٤_٢٢ .

١٠_ المصدر نفسه، المجلد الأول، ص١٨ .

١١_ المصدر نفسه، المجلد الاول، ص١٨ .

١٢_ المصدر نفسه، المجلد الاول، ص١٨ .

١٣_ للمزيد من التفاصيل . يراجع : علي الوردي، خوارق اللاشعور او أسرار الشخصية الناجحة، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ .

١٤_ علي حسين الجابري، علي الوردي، السيرة والآراء، ط١ ،بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص١١ .

١٥_ ابراهيم الحيدري، علي الوردي شخصيته ومنهجه وأفكاره الاجتماعية ، ط١ ، منشورات الجمل – كولونيا _ ألمانيا _ بغداد، ٢٠٠٦، ص٢١٣ – ٢٦٧ و ص٢٨٨ .

١٦_ علي الوردي، شخصية الفرد العراقي، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

١٧_ علي الوردي، خوارق اللاشعور او أسرار الشخصية الناجحة، المصدر السابق .

١٨_ علي الوردي، وعاظ السلاطين، رأي صريح في تاريخ الفكر الإسلامي في ضوء المنطق الحديث، ط١، دارة ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ ؛ جاء كتاب السيد مرتضى العسكري، مع الدكتور علي الوردي في كتابه وعاظ السلاطين، القسم الأول، منشورات مكتبة الإمام الكاظم عليه السلام العامة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٥ مجموعة انتقادات في الاخلاق والازدواجية والمنطق والانحلال ... الخ و هشام الخفاجي ، وضع الإيدي على ترهات علي الوردي ، النجف الاشرف ، ٢٠١٦ م _ ١٤٣٧ هـ، ص٧_١٠ في انتقاد رأي الوردي الموعظة الحسنة .

١٩_ علي الوردي، مهزلة العقل البشري محاولة جديدة في نقد المنطق القديم لا تخلو من سفسطة، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ ؛ تم توجيه انتقادات مجموعة من الانتقاادات عن طريق الاستاذ عبد الرضا صادق في مؤلفه سوفسطائية للبيع ملاحظات في منهج الدكتور علي الوردي وتفكيره، مكتبة المجلة، بغداد، د.ت، ص٥٥_٥٩ و ص٦٢_٦٨.

٢٠_ علي الوردي، اسطورة الأدب الرفيع، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

٢١_ علي الوردي، الأحلام بين العلم والعقيدة، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، للمزيد من التفاصيل يراجع ما كتبه الوردي عن بعض التفسيرات للأحلام في مؤلف علي الوردي، في النفس والمجتمع، جمعه سعدون هليل، ط١، مكتبة بساتين المعرفة، بغداد، ٢٠١١ .

٢٢_ علي الوردي، منطق إبن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

٢٣_ علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الإجتماع الحديث، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ .

٢٤_ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ثمانية أجزاء، ط٢، دار الراشد، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ .

٢٥_ هادي صالح محمد، آفاق علم الإجتماع في الوطن العربي، اطروحة دكتوراه غير منشوره، كلية الآداب، قسم علم الإجتماع، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص٢١٣ .

٢٦_ المصدر نفسه، ص٢١٣ .

٢٧_ المصدر نفسه، ص٢١٣ .

٢٨_ المصدر نفسه، ص٢١٣ .

٢٩_ علي حسين الجابري، المصدر السابق، ص٢٣ ؛ سلام الشماع، الدكتور علي الوردي نقاط على الحروف، مقالات غير منشورة، تحقيق سلام الشماع، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠١٦، ص١١٣–١٢٥ .

٣٠_ منى العينة جي، التحضر في المجتمع العراقي، في ضوء فرضية الدكتور علي الوردي في الأنتقال من البداوة الى الحضارة، طبع الكتاب على نفقة وزارة الثقافة بمناسبة بغداد عاصمة الثقافة العربية، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٣، ص٤٣ .

٣١_ المصدر نفسه، ص٤٤ .

٣٢_ المصدر نفسه، ص٤٧ ؛ علي الوردي، من وحي الثمانين، جمع وتعليق : سلام الشماع، ط٢، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠٠٧، ص١١٣ ؛ علي الوردي، الأخلاق الضائع من الموارد الخلقية، ط١، شركة دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٧، ص١٢_١٤ .

٣٣_ المصدر نفسه، ص٤٥-٤٦ .

٣٤_ المصدر نفسه، ص٤٦ .

٣٥_ منها الاحلام بين العلم والعقيدة، بغداد، ١٩٥٩ و منطق إبن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، بغداد، ١٩٦٢ و كتاب دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٦٥ و كتاب العمر كما أسماه الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ثمانية اجزاء، ١٩٦٩ _ ١٩٧٩ ؛ سلام الشماع، د. علي الوردي مجالسه ومعاركه الفكرية، ط١، مركز الناقد الثقافي، دمشق، سوريا، ٢٠١٠، ص٨٦ .

٣٦_ بحث منشور في كلية التربية، جامعة واسط، التاريخ الشفاهي في الدراسات الأنثروبولوجية، ٢٧ شباط ٢٠٢٢، ص١٧٦ للمشاركة في المؤتمر المقام في جامعة واسط كلية التربية ؛ عالية خليل ابراهيم، الشفاهية والكتابية في السرد العراقي المعاصر، مقال منشور على الموقع الالكتروني: http://www.alhakikanews.com/index.php/permalink/55803.html، وعن رواية القصة التي رواها علي الوردي عن دخول الجنرال الانكليزي ستانلي مود في أحدى المناطق في العراق وقصته مع راعي الغنم. يراجع الموقع: http://www.alnuhud.com/?p=105902 .

http://rattibha.com/thread/13231684012594544 64?Lang=ar;yupnop.ttospost.com/2020/ostblog-post.html.

٣٧_ هادي صالح أحمد، المصدر السابق، ص٢١٥ ؛ للمزيد من التفاصيل يراجع : حميد الهاشمي، الدكتور علي الوردي ودراسة المجتمعين العراقي والعربي، تقديم : الدكتور مصطفى عمر التير، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١١ .

٣٨_ المصدر نفسه، ص٢١٥ .

٣٩_ اسامة آغي، علي الوردي : البحث عن جذور التخلف، نشر على الموقع الالكتروني: https://alantologia.com/blogs/17782.

٤٠_المصدر نفسه.

٤١_ جريدة المدى، العدد ٣٠٧٨، في ١٢ آيار، ٢٠١٤، على الموقع الالكتروني https://almadapaper.net//view.php?cat=105558.

٤٢_ ابراهيم الحيدري، علي الوردي : جمع بين رصانة الفكر وبساطة الأسلوب فأحبه الناس، نشرت المقالة على موقع جريدة الحوار المتمدن بالعدد ٤٢٦٨، في ٧ تشرين الاول ٢٠١٣ .

٤٣_ عدنان حسين أحمد، نقل من مؤسسة الحوار الإنساني محاضرة الاستاذ محمد عيسى الخاقاني حول المناهج البحثية عند الدكتور علي الوردي، بتاريخ ٥ شباط ٢٠١٤، وعلى الموقع الألكتروني: https://hdf-iq.org.

٤٤_ المصدر نفسه .

قائمة المصادر

أولا: الرسائل والأطاريح:

١_ رقية حميد حسن البرزنجي، سالم الخيون ودوره الاجتماعي والسياسي حتى عام ١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣ .

٢_ هادي صالح محمد، آفاق علم الإجتماع في الوطن العربي، اطروحة دكتوراه غير منشوره، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة بغداد، ١٩٩٠ .

ثانيا : الكتب:

١_ ابراهيم الحيدري، علي الوردي شخصيته ومنهجه وأفكاره الاجتماعية ، ط١ ، منشورات الجمل – كولونيا _ ألمانيا _ بغداد، ٢٠٠٦ .

٢_ حميد الهاشمي، الدكتور علي الوردي ودراسة المجتمعين العراقي والعربي، تقديم: الدكتور مصطفى عمر التير، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١١.

٣_ ستار جبر ناصر، هوامش على كتاب علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث الجزء الخامس، مطبعة اوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٧٨.

٤_ سلام الشماع، الدكتور علي الوردي نقاط على الحروف، مقالات غير منشورة، تحقيق سلام الشماع، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠١٦.

٥_ سلام الشماع، د. علي الوردي مجالسه ومعاركه الفكرية، ط١، مركز الناقد الثقافي، دمشق، سوريا، ٢٠١٠ .

٦_ طارق نافع الحمداني، الأعمال الفكرية للدكتور علي الوردي في المجلات والصحف العراقية والعربية، المجموعة الأولى ١٩٤٤ _ ١٩٩٥، المجلد الأول، ط١، دار الوراق، بغداد، ٢٠١٨ .

٧_ عبد الرضا صادق في مؤلفه سوفسطائية للبيع ملاحظات في منهج الدكتور علي الوردي وتفكيره، مكتبة المجلة، بغداد، د.ت.

٨_ عبد الهادي الحمادي، رحلتي مع الدكتور علي الوردي من كلية الآداب الى مجالس الأدب ١٩٥٥ _ ١٩٩٥، ط١، منشورات منتدى نادي الصيد الثقافي الخامسة، مطبعة إبن العربي، بغداد، د.ت .

٩_ علي الوردي، اسطورة الأدب الرفيع، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ .

١٠_ علي الوردي، الأحلام بين العلم والعقيدة، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

١١_ علي الوردي، الأخلاق الضائع من الموارد الخلقية، ط١، شركة دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٧ .

١٢_ علي الوردي، خوارق اللاشعور او أسرار الشخصية الناجحة، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

١٣_ علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

١٤_ علي الوردي، شخصية الفرد العراقي، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

١٥_علي الوردي، في النفس والمجتمع، جمعه سعدون هليل، ط١، مكتبة بساتين المعرفة، بغداد، ٢٠١١.

١٦_ علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ثمانية أجزاء، ط٢، دار الراشد، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ .

١٧_ علي الوردي، من وحي الثمانين، جمع وتعليق : سلام الشماع، ط٢، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠٠٧ .

١٨_ علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ .

١٩_ علي الوردي، مهزلة العقل البشري محاولة جديدة في نقد المنطق القديم لا تخلو من سفسطة، ط١، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ .

٢٠_ علي الوردي، وعاظ السلاطين، رأي صريح في تاريخ الفكر الإسلامي في ضوء المنطق الحديث، ط١، دارة ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ .

٢١_ علي الوردي الفيلسوف الثائر السيد جمال الدين الأفغاني، تحقيق وتقديم : عبد الحسين الصالحي، مؤسسة البلاغ، ط١، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ .

٢٢_ علي حسين الجابري، علي الوردي، السيرة والآراء، ط١ ،بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢ .

٢٣_ محمد عيسى الخاقاني، مئة عام مع الوردي، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٧ .

٢٤_ مرتضى العسكري، مع الدكتور علي الوردي في كتابه وعاظ السلاطين، القسم الأول، منشورات مكتبة الإمام الكاظم عليه السلام العامة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٥ .

٢٥_ منى العينة جي، التحضر في المجتمع العراقي، في ضوء فرضية الدكتور علي الوردي في الانتقال من البداوة الى الحضارة، طبع الكتاب على نفقة وزارة الثقافة بمناسبة بغداد عاصمة الثقافة العربية، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٣ .

٢٦_ هشام الخفاجي، وضع الإيدي على ترهات علي الوردي، النجف الاشرف، ٢٠١٦ م _ ١٤٣٧ هـ.

ثالثا : البحوث المنشورة :

١_ بحث منشور في كلية التربية، جامعة واسط، التاريخ الشفاهي، في الدراسات الأنثروبولوجية، ٢٧ شباط ٢٠٢٢ .

رابعا : المواقع الالكترونية :

1_ http://www.alhakikanews.com/index.php/permalink/55803.html .

2_ http://www.alnuhud.com/?p=105902 .

3.http://rattibha.com/thread/13231684012594544 64?Lang=ar;yupnop.ttospost.com/2020/ostblog-post.html .

4_ https://alantologia.com/blogs/17782.

5_ https://almadapaper.net//view.php?cat=105558.

6_ https://hdf-iq.org.

مشاكل القطاع الزراعي في العراق في النصف الأول من القرن العشرين

The problems of the agricultural sector in Iraq in the first half of Twentieth century

م .د انتظار نجم كوت
كلية الامام الكاظم (ع) / اقسام واسط

م. حسام حسين عباس
كلية الامام الكاظم (ع) / اقسام واسط

Abstract .

The agricultural sector is one of the main pillars in building the economic entity in Iraq, due to the presence of vast areas of agricultural land and the availability of water and human resources, but that sector is still deficient in the level of production and meeting the local demand for agricultural products and achieving self-sufficiency, as the increasing demand for products is Agricultural products with limited supply made Iraq face an agricultural problem, and turned to importing from abroad to face the problem, which costs the Iraqi economy large sums, and all of this is due to the lack of interest in that sector as required. As the clear neglect of the agricultural reality in general made Iraq a market for agricultural crops imported from neighboring countries and made Iraq a consumer rather than a producer despite the availability of all the ingredients in the country to be self-sufficient in this field and be a source of agricultural crops.

الملخص

يعد القطاع الزراعي من الركائز الاساسية في بناء الكيان الاقتصادي في العراق، لوجود مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية وتوفر الموارد المائية والموارد البشرية، الا ان ذلك القطاع لازال قاصرا في مستوى الانتاج والايفاء بالطلب المحلي للمنتجات الزراعية وتحقيق الاكتفاء الذاتي ، اذ ان الطلب المتزايد على المنتجات على المنتجات الزراعية مع محدودية العرض، جعل العراق يواجه مشكلة زراعية ، واتجه لمواجهة المشكلة نحو الاستيراد من الخارج ، والذي يكلف الاقتصاد العراقي مبالغ كبيرة ، وذلك كله ناجم عن عدم الاهتمام بذلك القطاع بالشكل المطلوب . اذ ان الإهمال الواضح للواقع الزراعي بنحو عام جعل العراق سوقاً للمحاصيل الزراعية المستوردة من دول الجوار و جعل العراق مستهلكاً وليس منتجاً برغم توفر جميع المقومات في البلد لكي يكتفي ذاتياً في هذا المجال ويكون مصدراً للمحاصيل الزراعية.

كلمات مفتاحية: (القطاع الزراعي، الأرياف، الأراضي الزراعية، عمال، رعاة)

المقدمة:

عانى القطاع الزراعي في العراق من وضع بائس وخطير، تطلب من الجهات الحكومية الانتباه له ودراسته بشكل علمي دقيق وتحديد الاسباب التي أدت الى ذلك التردي ووضع الحلول التي تساعد على معالجته ، سيما وان الزراعة تشكل عنصراً مهماً من عناصر النهوض بالاقتصاد العراقي، لان عناصر الاقتصاد تركزت في الزراعة والصناعة والتجارة فضلا عن الجوانب الأخرى، ، فالواقع الزراعي دخل في متاهات ودهاليز ضيقة نتيجة ظروف معقدة مرّت على العراق جعلته في زاوية مظلمة وتحول على أثر ذلك البلد من زراعي إلى مستورد لجميع المنتجات الزراعية، ولا بد أن تقوم الحكومة بتوفير الإمكانيات

التي تسهم بالنهوض بالزراعة ، تألف البحث من محورين ، تناول الاول اهم المشاكل التي واجهت الزراعة، وأسباب تخلف الواقع الزراعي في العراق. اما المحور الثاني فقد تناول الري ومشكلاته وانعكاسه على تدهور الزراعة في العراق .

اولا: مشاكل القطاع الزراعي ومعالجاتها في العراق:

العراق بلد زراعي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، تشكل الزراعة عماد الحياة الاقتصادية فيه، وقد انعكست اثار الحرب عليه وتعود أهمية الزراعة إلى مساهمتها الواضحة في الدخل القومي، وتشغيل أيدي عاملة كثيرة، ومما لاشك فيه إن خصوبة العراق الطبيعية وسهولة الري والسقي النسبية تجعل من العراق إقليما ذا إمكانيات عظيمة لتحسين الزراعة ورقيها قلما نجده في مكان آخر[١].

إن التقدم الزراعي في العراق مرهون بتقدم أساليب الزراعة ووسائلها[٢]، كما انه يتأثر لدرجة كبيرة بالتركيب الاجتماعي للسكان، إذ أن هناك تباين كبير بين مختلف سكان الأرياف أنفسهم ، فالقبائل البدوية متطبعة بعادات وتقاليد تختلف عن عادات وتقاليد سكان الأرياف والمدن ، وهناك جماعات أخرى تتألف من ساكني الجبال في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية ومن قبائل شبه بدوية تستقر على ضفاف الأنهار والمستنقعات[٣]، اما نظام حيازة الأرض في تلك المناطق، فقد عمد رؤساء العشائر والمتنفذين إلى أساليب مختلفة للسيطرة على الأراضي، وتعطي لنا الخبيرة دورين ورنير لمحة عن حالة واحدة في كيفية حصول الشيوخ في معظم الأحيان على الأراضي الزراعية فتقول:"**لقد كانت ديرة[٤] العشيرة هي الأصل في الملكية ولا تقتصر هذه الديرة على الأراضي التي تستغل فعلا بل تتعداها إلى الأراضي غير المزروعة ، وحتى الأراضي التي تغمرها مياه الاهوار، وبمعنى آخر أن الديرة تشمل جميع الأراضي التي تستطيع العشيرة إشغالها عرفا، وكانت هذه الأراضي تعتبر في الأصل ملكا للعشيرة برمتها، وقد ظل هذا الاعتبار مرعيا حتى بضع سنوات خلت ...**)[٥] وكانوا يسخرون سكان الأرياف كعمال ورعاة، ونتيجة لجشع المالكين في الحصول على أوسع الإيرادات من الأراضي أصبحت حصة الفلاحين الذين يسخرهم مالك الأرض غالباً ما تقتصر على ثلث المنتوج وحتى خمسه أحيانا، وانعكس ذلك على الإنتاج الزراعي وأدى إلى انخفاضه .

ومما لاشك فيه إن مستوى دخل الفلاح العراقي بتلك الحالة في غاية الانخفاض، لأنه يتحتم عليه إن يقسم ما ينتجه من غلال بين عدد كبير من الأشخاص، بحيث لا تقتصر على حصة مالك الأرض أو مؤجرها فحسب ، وإنما عليه أن يقوم بدفع الضرائب الحكومية ، وإمداد أشخاص آخرين كممثلي السلطات أو ممثلي مالك الأرض ، كما انه مرغم على تسديد مطاليب الوكلاء (السركال)[٦] والدائنين والوسطاء وغيرهم ، وفي تلك الحالة فان حصة الفلاح النهائية قليلة جدا في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية[٧] ، بحيث لا تكفي لسد أهم حاجاته وهي المأكل والملبس له ولعائلته، والذي يبدو واضحا من مظهر الفلاح الخارجي ومحل سكناه وأمتعته[٨].

أن حالة بلادنا الزراعية آنذاك يحيط بها الكثير من المشاكل وعراقيل كثيرة من شأنها تأخير تقدم البلاد في تلك الناحية، وتقف بوجه تقدم الزراعة وتطور الإنتاج الزراعي في العراق منها إتباع الطرق التقليدية في زراعة الأراضي آنذاك[٩]، والكيفية التي تمتلك بها الأرض والتصرف بها، إذ إن إتباع نظام

الحصة في معظم أنحاء البلاد وبقاء الفلاحين والملتزمين الصغار إجراء في يد مالك الأرض يتصرف بهما كيفما يشاء يحول دون إنماء ثروة البلاد الزراعية، بالإضافة إلى الظروف الحياتية التي عانى منها الفلاح في الريف وكما اشرنا سابقا، التي دفعته إلى الهجرة إلى المدن تاركا الأرض، ومهنته الأساس الزراعة، مما خلف آثارا سلبية على الإنتاج الزراعي[١٠]، ولاجل الوصول للمستوى المطلوب يحتاج إلى الكثير من النفقات والجهود ، كما لا يمكن تحقيق ذلك إلا بعد إيجاد الحلول لمشكلة الأراضي، وتصنيع الزراعة بإدخال الوسائل والآلات الحديثة إليها، وتوسيع مشاريع الري وتحسين أنواع المزروعات وتعددها[١١] .

يمكن القول أن مشكلة الأراضي كانت من أهم المشاكل في البلاد ، ولمعالجتها من جميع جوانبها وبيان أثرها في مشاكلنا الأخرى، وأثر تلك المشاكل فيها، يتوجب علينا البحث في الخطوط الرئيسة لتلك المشكلة .

سادت المجتمع العراقي ظاهرتان بارزتان عامتان، الأولى ، هي قلة السكان بالنسبة لسعة الأراضي وخصوبتها، وانحطاط المستوى المعيشي لأغلبية السكان التي تتمثل بالفلاحين، إذ كانوا أكثر الفئات المسحوقة المضطهدة ، ولا يقتصر ذلك الانحطاط على المستوى المادي إنما يشمل جميع الجوانب الحياتية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية[١٢]، أما الظاهرة الثانية التي أكدتها فهي عمل القسم الأكبر من أهالي العراق في الزراعة أو الإعمال المتعلقة بالزراعة بأساليب بدائية بسيطة وفي ظروف سيئة، وذكرت التقديرات إن أربعة أخماس سكان العراق يعملون في الزراعة أو لهم علاقة بها، وان العراق يعتمد على الإنتاج الزراعي بالدرجة الأولى، أما الخمس الباقي فهم الذين يتعاطون أعمال الصناعة والمهن الحرة والتجارة ويشغلون مناصب الحكومة[١٣]، وكل ذلك يدل على أن العراق بلد زراعي وإقطاعي أيضا بالدرجة الأولى.

أن انبعاث هاتين الظاهرتين لابد أن يكون لها أسباب مادية تنبعث عنها، ولابد أن يكون هنالك علاقة وثيقة مباشرة بين تلكم الظاهرتين اللتين كانتا تسودان المجتمع العراقي، بين قلة السكان وتأخرهم، وانحطاط مستواهم من ناحية، وعمل أكثرية الناس ومصدر رزقهم، أي أولئك الأغلبية من السكان الذين يعملون بالزراعة، من ناحية أخرى . ولما كان ارتفاع المستوى المعاشي للناس وتحررهم من الأمية وتخلصهم من الأمراض، يتوقف بالدرجة الأولى على ارتفاع دخلهم وأرزاقهم، وهذا بدوره يتوقف على الظروف والشروط التي يعمل فيها أكثرية السكان المنتجون، وكذلك على أساليب ووسائل الإنتاج التي يستعملها أولئك في الإنتاج، فلابد أن تكون الظاهرة الأولى ناتجة عن الثانية بالدرجة الأولى[١٤]، وللتعرف على الظروف والأحوال التي تعمل فيها أغلبية السكان، والتوصل إلى طبيعة العلاقة القائمة بين الفلاح وبين المتصرف بالأرض والوسائل والأساليب السائدة المستعملة في الإنتاج، لابد من التطرق في البداية إلى أصناف الأراضي التي تصنف لها أراضي العراق بموجب قانون التسوية[١٥] وهي أربعة اصناف: أراضي مملوكة من قبل الأفراد ويحق لصاحبها التصرف بها ويتمتع بملكيتها المطلقة ، وتكون نسبة تلك الأراضي ضئيلة بالنسبة لبقية أراضي فيه ومعظمها من البساتين والأراضي الزراعية . وأراضي موقوفة أوقفت رقبتها أو حقوق التصرف بها أو منافعها على جهة خيرية أو على الأشخاص، أما النوع الثالث

فهي الأراضي الأميرية وهي الأراضي العائدة للدولة، وحق التصرف بها أو الانتفاع منها ، أما بيد الحكومة وتسمى أراضي أميرية صرفة، أو تفوض تلك الحقوق إلى الأشخاص وتسمى مفوضة بالطابو[١٦] أو تمنح باللزمة لمن تصرف بها زرعا أو غرسا بموجب قانون التسوية وتسمى ممنوحة باللزمة[١٧]، أما الصنف الرابع فهي الأراضي المتروكة ، وهي تعود للدولة كذلك وهي قسمان الأول الأراضي المتروكة لمنفعة عموم الناس كالطرق العامة ، أما القسم الثاني فهو مخصص لفائدة أهالي قرية معينة أو مدينة من المدن، مثل المراعي والغابات والساحات العامة ومحال الأسواق وغيره، وكان هنالك بموجب قانون الأراضي[١٨] الذي طبق في العراق في زمن ولاية مدحت باشا[١٩] صنف خامس هي الأراضي الموات[٢٠]، وقد ألغيت بموجب قانون التسوية في المناطق التي تعلن تسويتها إذ تعد من الأراضي الأميرية الصرفة[٢١].

ومما يجدر ذكره في هذا المجال إن معظم أراضي العراق تكاد تكون ملكا للدولة ، إلا أن القسم غير اليسير من الأراضي الصالحة للزراعة وخاصة في أواسط العراق وجنوب أصبح بيد الشيوخ وأبناء الأسر المتنفذة في المدن وبعض التجار وكبار الملاكين وبقيت الأغلبية الساحقة من سكان الريف التي تخدم الأرض وتزرعها لا تملك في الغالب شبرا من الأرض وإنما يستغله الملاكون أسوء استغلال . فنجد إن العلاقات في وسط وجنوب العراق تكون سيئة حيث يسود نظام (قسمة المحصول) الزراعي الذي يحصل فيه الفلاح على اقل من نصف المحصول بحسب اختلاف المناطق وطرق الري المتبعة ، وعلى الرغم من ضآلة تلك النسبة لا يبقى منها إلى النزر اليسير فقد يكون أكثر محصوله بيع سلفا باسم (البيع على الأخضر)[٢٢] بسعر لا يتجاوز ربع المبلغ السائد . بالإضافة إلى أن قسما كبيرا من حصة الفلاح يذهب إلى جيوب الشيخ والسركال والمرابي . بينما في المناطق الشمالية، فان وضع الفلاح أحسن مما هو عليه الفلاح في الوسط والجنوب، إذ يكون له حق التصرف بقطعة صغيرة من الأرض بعد أن يزرعها، أو أن يدفع بدل إيجار عن زراعة الأرض العائدة لأحد الملاك، وقد يكون البدل حصة من المحصول تتراوح بين السدس والواحد في العشرين، وقد يعود سبب ذلك يعود إلى صعوبة العمل الزراعي وخاصة في المناطق الوعرة[٢٣]، كما انتقدت الصحف بشدة قانون (حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣)[٢٤]، لأنه يصب في مجمله لصالح الإقطاع بينما فرض الواجبات على الفلاح جزافا، وأصبح بموجبه كل ما يأخذه الفلاح من سيده من اجل الزراعة وغيرها دينا ممتازا[٢٥] على بقية الديون ويمنع الفلاح من ترك المزرعة، كما لا يحق استخدامه من قبل أية دائرة حكومية أو أهلية إذا كان مدينا لصاحب المزرعة[٢٦]، أما بالنسبة للوسائل المستخدمة في الإنتاج الزراعي وأساليبه السائدة ، فقد كان معظمها بدائية يدوية حتى انها شبهت بالآلات التي كانت تستعمل في العصور الوسطى، مكونة من محراث أولي ومنجل يدوي ومدراس بسيط تجره الحيوانات . بالإضافة إلى إن أساليب الري لم تكن كافية لسد حاجة البلد، وكذلك الحال بالنسبة إلى طرق المواصلات التي تعد عاملا مهما في تطور الإنتاج وتوسيع نطاق استهلاكه[٢٧]، ونتيجة لتلك الأوضاع التي يرزح فيها الفلاح العراقي قبل الحرب العالمية الثانية وتفاقمها خلال سنوات الحرب ، بدا يتحفز للهجرة هربا من الريف إلى المدينة بحجة إيجاد عمل فيها ، واستمرت هجرتهم نحو العاصمة فضلا عن المدن الكبرى ، وعلى الرغم من أن أجورهم كانت ضئيلة بحيث لا تكفي لسد

حاجاتهم الضرورية ، إلا إنها أفضل كثيرا مما كانوا يحصلون عليه في الريف في تلك الظروف التي كانوا يعملون بها ، وقد أدى ذلك إلى ضعف القدرة الإنتاجية للريف، وتزايدت الشكوى لقلة الأيدي العاملة في الزراعة إلا انه كان من الصعب إيقاف تيار الهجرة بسبب افتقار القرية إلى ابسط مقومات الحياة الأساسية متمثلة بالوسائل الصحية والإسعافات الطبية ومياه الشرب النظيفة والتعليم وطرق المواصلات وكل ما من شانه تحسين أحوالهم المعيشية[٢٨] .

إن مشكلة الأراضي ليست مشكلة محدودة الأثر لا تتعدى نطاق الأمور الزراعية والأرض وشؤون الفلاح، وكما يظن بعضهم أن لا علاقة لها بالجوانب الأخرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إنما تكمن خطورة تلك المشكلة على الجانب الوطني وعلى بقية المشاكل التي يعاني منها المجتمع العراقي، إذ أن مشكلة الأراضي هي مشكلة ٨٠ ٪ من سكان العراق بشكل مباشر، وعدم حلها يعني إن تلك الأكثرية وفي مثل ذلك التخلف والوضع المادي المنحط، لا يمكن أن يكونوا على مستوى من الوعي الوطني، ولا ينتظر منهم أن يكونوا مواطنين صالحين لخدمة وطنهم على الوجه الاتم . لعدم توفر ما يجعلهم قادرين على حل مشاكلهم، ولعدم وجود الدوافع المادية التي تجعلهم يفكرون بمصالحهم الوطنية، بالإضافة إلى التفكك الاجتماعي الذي ينتج عن الحياة الإقطاعية العشائرية، والذي يؤدي إلى انعدام الانسجام بين أبناء الوطن، وانعدام الهدف الوطني الموحد، وانعدام الوحدة الوطنية . بالإضافة إلى ذلك فأن تعاظم نفوذ الملاكين قد يؤدي إلى طغيان تلك الفئة حتى على نفوذ الدولة، فتتكون الحكومات داخل الحكومة، وينعدم الأمن وتنقسم الأمة على نفسها إلى جماعات متناحرة، ويكون ذلك عاملا آخر يمنع تكوين امة موحدة تكوينا صحيحا[٢٩].

اثرت مشكلة الأراضي في الجانب الاقتصادي وفي إقامة الصناعة الآلية الحديثة وانتقال البلاد من ذلك الدور الإقطاعي إلى دور مدني متحضر، ووجدته أكثر وضوحا، لان رفع المستوى الاقتصادي وتصنيع البلد، لا يمكن أن يتم في ظل تلك الظروف التي يعاني منها الأغلبية الساحقة من السكان ، لان انعدام القدرة الشرائية وهي دون المستوى المطلوب لتطمين حاجاتهم الضرورية، يعيق ازدهار الصناعة الوطنية عن طريق تقييد قدرة الأسواق المحلية على تصريف المنتجات الصناعية المتوفرة ، على سبيل المثال لا يمكن ازدهار صناعة الجلود والأحذية ما لم يكن أغلب السكان قادرا على الشراء، وان اثر ذلك لا يقتصر على شل الصناعة الوطنية فحسب، إنما يؤدي إلى انحطاط مستوى الطبقة العاملة بسبب التضييق على نطاق الصناعة، وعليه يمكن القول إن مصير كل من الصناعة الوطنية والطبقة العاملة وكثير من أبناء المدن رهن بمصير الفلاحين الذين يشكلون أغلبية المجتمع ، كما إن تخلف تلك النسبة الكبيرة من الشعب، معناه عدم توفر ملاك كاف لإدارة الصناعة لاسيما الآلية منها حيث تحتاج إلى المهارة والثقافة الصناعية ولو إلى حد بسيط[٣٠]، بينما يتجسد اثر مشكلة الأراضي من الناحية الاجتماعية، بالعادات والعلاقات بين الناس، والأفكار والمؤسسات الاجتماعية والنظم السياسية ، ومن الناحية الثقافية والصحية وغيرها من الأمور، فلا يمكن إلا أن تنسجم مع قوى الإنتاج ووسائله وأساليبه ومع العلاقات القائمة بين الناس في عملية الإنتاج لاسيما وان المجتمع العراقي كان يحيا حياة بدائية إقطاعية يرزح تحت وطأة الجهل والمرض والعادات والعلائق والأفكار والمؤسسات الاجتماعية والسياسية

التي تسود وتطغى في ظل الحياة العشائرية البدائية[٣١].

أن أول عمل اتخذ لحل مشكلة الأراضي، هو تسكين أفراد القبائل البدوية الرحالة وجعلهم مزارعين مستقرين في أماكن صالحة للزراعة، بتوزيع الأراضي عليهم وبتيسير استثمار تلك الأراضي من قبلهم، ومدهم بالمعونات المادية والفنية اللازمة لذلك الغرض، لان تسكين تلك العشائر الرحالة، له علاقة كبيرة بحل معضلة الأراضي، كما أن من شأنه إنقاذ أولئك من حياة البؤس والشقاء التي يحيونها من جهة، والعمل على زيادة الإنتاج الوطني ورفع المستوى الاقتصادي العام، وتوزيع الأراضي على البدو الرحل وإسكانهم، يسهل على الحكومة إيصال مختلف الخدمات إليهم، ويصبح من اليسير عليها حينذاك إن تفتح المدرسة والمستوصف وان توصل لهم الماء النقي وتمدهم بالكهرباء وتنشئ القرى العصرية وتوطد الأمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى يصبح بإمكان الحكومة أن تجبي منهم الضريبة وتجند الجنود وتبسط نفوذها على كل فرد منهم[٣٢]، كما إن إعطاء الأرض يجب أن يكون هدفه الفرد لا شيخ العشيرة ولا العشيرة بمجموعها، وبذلك وحده يتم القضاء على الرابطة العصبية القبلية التي تشكل إحدى العقبات بوجه تطور العراق[٣٣]، وعلى الرغم من المطالبة بتوزيع الأراضي على الفلاحين، تعرض(قانون التسوية رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٨) لانتقادات شديدة، اذ منحت الدولة بموجبه مقاطعات واسعة لأشخاص معدودين، وأصبح بإمكانهم التصرف بالأراضي الأميرية يزرعونها ويؤجروها ويرهنونها ويهبونها وتنتقل إلى ورثتهم، ولذلك انتقد هذا القانون بشدة، ففي القانون تبديدا في ملكية الدولة وحرمان الأجيال المتعاقبة من الاستفادة من أراضي وطنهم، وأصبحت الدولة ملزمة بان تدفع الأموال بدل الاستملاك عن الأراضي التي تحتاجها لإقامة المشاريع العمرانية، ولذلك كثرت المطالبات بإلغاء قانوني التسوية واللزمة وابطال المنح التي تقررت بموجب القانونين وإعادة أموال الدولة إليها، وان يشرعوا قانونا آخر تقسم به الأراضي الزراعية على الفلاحين، على أن لا يزيد ما يعطى للفلاح عن المقدار الذي يستطيع استغلاله فتحتفظ الدولة بملكية الأرض ويستفيد الفلاح من كده وتعبه، وبذلك تتحسن حالة الغالبية العظمى من الشعب بتمتع الفلاح بمورد يؤمن له احتياجاته الأساسية ويكفل له حياة صحية جيدة[٣٤]، ومما لاشك فيه إن انتقاد قانون التسوية والمطالبة بإلغائه واعتماد طريقة أخرى لتوزيع الأراضي على الفلاحين، يعد خطوة متقدمة آنذاك في طريق تغيير العلاقات الزراعية القائمة ومحاولة للنهوض بالقطاع الزراعي .

أن الدعوة وتصاعد المطالبة بالإصلاح والدعوة إلى تشجيع نظام الملكية الصغيرة، وإلغاء قانوني التسوية واللزمة، والنظر إلى حال الفلاح والعمل على إنصافه من خلال حصر توزيع الأراضي الأميرية بالفلاحين، قد دفع الحكومة إلى إصدار (قانون إعمار أراضي الدجيلة في عام ١٩٤٥) الذي يعد أول محاولة حكومية لتوزيع الأراضي الأميرية في الريف العراقي، وتوسيع الاستيطان بموجب قانون خاص بإعمار واستثمار أراضي الدجيلة في لواء الكوت بعد إيصال المياه إليها من قناة الدجيلة المتفرعة من نهر دجلة واعتمد المشروع على سدة الكوت التي أنشأت قبل الحرب العالمية الثانية، إن ذلك القانون لم يمنع الملاك من الشيوخ المقيمين في منطقة الدجيلة من الحصول على ما يقارب من نصف مساحة ذلك المشروع وتسجيل الأراضي بأسمائهم. وقد حدد القانون بان لا تزيد مساحة القطعة التي تعطى للمستثمرين على مائتي مشارة وأن تكون الأفضلية لسكان المنطقة التي يراد تقسيمها، ونظرا لزيادة الطلبات على

استثمار تلك الأراضي، فقد وضعت اللجنة المشرفة على المشروع شروطا، كأن يكون المستثمر فلاحا منذ نشأته وان يكون ذا عائلة مكونة من خمسة أشخاص على الأقل، وان يكون ذا مقدرة مالية تمكنه من استغلال الأرض للسنة الأولى، وان يتمتع بصحة بدنية وان لا يكون محكوما عليه بأحكام مخلة بالشرف، وفي حالة عدم توفر الشروط كلها في العدد المطلوب سيتم أخذ من تتوفر فيه أكثرها، وبعد أن توافق اللجنة على من يريد الاستفادة تسجل القطعة باسمه مفوضة بالطابو، وفي لقاء مع مدير المشروع عبد الجليل برتو أوضح إن الحكومة وجدت أن سبب بؤس الفلاح العراقي وتشرده هو عدم امتلاكه أرضا تربطه بها روابط مادية، كما إن الأراضي الأميرية غير المستثمرة كثيرة وبإمكان تمليك أفراد الشعب العراقي باجمعهم قطعا صغيرة منها، وعليه فقد أريد من المشروع منح الفلاحين قطعا صغيرة منها يسد إنتاجها احتياجاتهم، لاسيما وان خطط إقامة مشروع إرواء أراضي الدجيلة في تلك المنطقة قد رسمت منذ عام ١٩٣٦[٣٥]، إلا إن تأثير ذلك المشروع كان محدودا ولم يحقق أهدافه في علاج المشاكل التي عانى منها الفلاحون في العراق لأنه اقتصر على منطقة معينة من جهة، ولان اغلب الفلاحين الذين وزعت الأراضي عليهم كانوا يرتبطون بعقود مع الشيخ لاستغلال تلك الأرض، وبالتالي تعود علاقة الفلاح بالشيخ كما كانت عليه سابقا، بالإضافة إلى إن بعض الشيوخ والملاكين اخذوا يزاحمون الفلاحين للحصول على بعض أراض المشروع ، ومن الأسباب الأخرى التي جعلت مشروع الدجيلة لا يحقق أهدافه، هو طغيان الملوحة على الأرض بسبب فقدان مشاريع البزل التي بإمكانها القضاء على تلك المشكلة[٣٦] .

ثانيا .الري ومشكلاته:

للري اهمية كبيرة في تطوير الزراعة وتقدمها في بلد زراعي كالعراق، ، الا ان الدولة العثمانية، وحتى بدايات القرن العشرين ، لم تول الاهتمام الكافي بمشاريع الري في العراق بالرغم من اهمية تلك المشاريع للزراعة التي كانت تعد العمود الفقري للاقتصاد العراقي يومئذ . واقتصر الاهتمام بذلك المجال على جهود فردية اضطلع بها بعض الولاة العثمانيين الذين تعاقبوا على حكم العراق، وكان لطبيعة ارض العراق ومواسم فيضان نهري دجلة وفرات ، وتوابعهما تاثيرها السلبي في الري في العراق . فبالنسبة لطبيعة الارض نجد ان ارض العراق تاخذ بالانبساط والاستواء التدريجي كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب، وبالتالي كانت مناطق وسط العراق وجنوبه ابتداءً من شمال العراق بغداد وتكريت على دجلة وهيت على الفرات ، وحتى شط العرب عرضة لخطر الفيضان اكثر من غيره من المناطق[٣٧]، اما بالنسبة لموسم فيضان نهري دجلة والفرات فلم يكن هو الاخر مناسباً للزراعة ، فهما يفيضان في اخر فصل الربيع وهو موسم مبكر للزراعة الصيفية وموسم متاخر جدا بالنسبة للزراعة الشتوية ، اما المسالة الاخرى فهي توافق موسم الفيضانات في بعض الاحيان مع نضج المحاصيل الزراعية ،الامر الذي يؤدي الى اغراق المحاصيل الزراعية واتلافها[٣٨].

فضلاً عن هاتين المشكلتين عانى الري في العراق من مشاكل اخرى منها انه لاتوجد شبكات لتصريف المياه ، علاوة على مشكلة الرواسب (طمى الانهار) ، التي كثيراً ماترتفع في بعض الترع والجداول وتؤدي الى اغلاقها وبالتالي انحسار الماء عن قرى ومزارع اهله بالسكان فيضطر اهلها الى الهجرة وترك الزراعة، كما ان هناك مشاكل تتسبب بها عملية نقل الترسبات من الجدول إلى فروع الجدول

لان حرمان تلك الفروع من المادة الغرينية يؤدي إلى تلف الأراضي وتجريدها من ميزاتها الانباتية ، فقد تسبب بمشكلة كبيرة للزراع لما يتسبب به ذلك من تراكم تلك المادة الى ارتفاع قعر الجدول والحيلولة دون جريان المياه فيه فضرورة رفع تلك الترسبات سنويا من قيعان الجداول والتي أصبحت مشكلة كبيرة من مشاكل الري في العراق نظرا لتوسع الزراعة في البلاد وقلة الأيدي العاملة إضافة إلى أن رمي الترسبات الغرينية على ضفاف الجداول سنة بعد أخرى كون ضفافا مرتفعة بدرجة غدا معها نقل الترسبات إلى ما وراء تلك الضفاف من أصعب العمليات ، وللتخلص من تلك العقبات استبدلت طريقة التطهيرات اليدوية بطريقة التطهير الميكانيكي[٣٩]، وفي السياق نفسه فأن طريقة الإرواء في مشروع الصقلاوية[٤٠] وهي طريقة المناوبة حيث يخضع جدول الصقلاوية إلى نظام المناوبة الداخلية الأسبوعية، إلا أن تلك الطريقة تستخدم أواخر الموسم الشتوي إذ تجري المياه في هذا الموسم باستمرار في الجداول والفروع كافة بغية تأمين الإرواء السريع للمزارع الشتوية التي تصبح كلها في حاجة زائدة إلى المياه في وقت واحد، وتامين السقية الأولى للمزروعات الصيفية التي يصادف ابتداؤها في نفس الوقت[٤١] .

ومن الجدير بالذكر إن جدول الصقلاوية كان قد استغل من قبل الحملة البريطانية العسكرية في سنة ١٩١٨ للحصول على الغلات المطلوبة للجيش المرابط آنذاك في البلاد[٤٢].وتضمن مشاريع الري في عهد الاحتلال البريطاني اعمال تقوية السداد الموجودة في لواء العمارة ونواحيها لمواجهة اخطار الفيضان وعلى وجه الخصوص في منطقة علي الغربي، حيث بلغ مجموع المبالغ التي تم انفاقها بين ايلول وكانون الاول ١٩١٧ حوالي ٢٥٠،٠٠٠ روبية وفي الوقت نفسه تم بناء سد في مدخل قناة المشرح والمجر الكبير في منطقة العمارة[٤٣] . وكانت الغاية من انشاء هذا السد هو توفير المياه من نهر دجلة ، كما تم تعميق المناطق الضيقة للقناة الواقعة اسفل منطقة (قلعة صالح) لكي تلائم كمية المياه الزائدة فيها[٤٤]، أما بشأن، السدود الترابية فإن السلطات البريطانية قدمت السلف لبناء سد (روفة) حجان والغزالي والنفيل وسد أبو الرماح في منطقة الشامية . وانجزت السلطات البريطاية في منطقة الشامية أيضا بناء (روفة) تحيط بقصبة مدينة غماس بطول (٢٠٠) متر وبعرض (٦) امتار وبعلو (٢) متر لدرء مخاطر الفيضانات وحجز لمياه لزراعة الشلب ، وقدمت السلطات البريطانية تقريرا عن اهمية لاعادة بناء السد (روفة) الذي جرفته المياه والذي بناه الزراع على شط دغفيلية لرفع المياه في قناة الحلبة قرب جماجة فغي منطقة السماوة ، وفي منطقة ديالى ذكر أن الظروف كانت تقتضي بناء فتحة الخالص وسد الحويجة ، والاستعداد للتحفظات اللازمة على باقي السدود لدرء مخاطر الفيضان[٤٥].

ادخل الانكليز اساليب المكننة في الانتاج ، مع اعطاء الاسبقية للفلاحين الذين يتعهدون بزراعة الحبوب ، فقد طلب في سنة ١٩١٧ تجهيز مزارعي العمارة بـ (٣٠) مضخة ، وفي سنة ١٩١٨ تم تجهيز زراعة العمارة بالالات الحراثة لقاء زيادة في الضريبة المأخوذة على المثارة ، إذ زيدت الضريبة من ٣ روبيات إلى ٥ روبيات للمشارة الواحدة[٤٦]، وفي الوقت نفسه قامت سلطات الاحتلال بأصلاح عدد من المضخات وتوزيعها على الفلاحين فضلا عن توزيع مادة النفط على الفلاحين لتأمين تشغيلها ،وواجهت القائمين على المشروع مشاكل عديدة لعل ابرزها الاضطرابات العشائرية التي امكن التغلب عليها –عليه السلام– طريق ضمان تأييد شيوخ العشائر من خلال الدعاية التي بثها الضباط السياسيون للمشروع ،

فضلا عن الوعود التي اعطيت لهم باعطائهم الايرادات الممتازة[٤٧]، كما اقتضت المصالح البريطانية التدخل لحل منازعات بعض القبائل ومها عشيرتا الجحيش والمعامرة القاطنتان في المناطق الواقعة شمال الحلة وجنوب المسيب[٤٨]، ومن المشاكل الاخرى التي واجهها المشروع مشكلة فشل استعمال بعض القنوات ، وتعرض البذور إلى السرقة ، وعدم دقة اعمال المسح[٤٩] ، ومع هذا نجح المشروع في تحقيق جزء كبير من اهدافه ، منها تحقيق زيادة في الانتاج الزراعي ، إذ بلغ اول حاصل للمشرو سنة ١٩١٨ حوالي (٥٠-٦٠) الف طن من الحبوب ، ولا شك انها كانت نتيجة مشجعة للقائمين على المشروع للاستمرار فيه[٥٠] . كما ساهم المشروع في تطوير وسائل الري على نهر الفرات من خلال تطهير جميع الجداول الموجودة على جانبي هذا النهر، وتأمين أفضل السبل لجعل الزراعة ممكنة في المناطق المسيطر عليها[٥١]، وانسجاماً مع الموضوع فأن أهم منافع مشروع الحبانية استنادا الى كتاب(وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية) لأحمد سوسة ويأتي في مقدمة تلك الفوائد وقاية أراضي الدلتا الواقعة على ضفتي نهر الفرات من الفيضان ، وهناك فائدة أخرى للمشروع وهي انه يؤدي إلى زيادة مياه الفرات الصيفية والاستفادة منها لتوسيع المزروعات الصيفية على الفرات في جنوب الحبانية[٥٢]، أما بالنسبة لفائدة المشروع بالنسبة للري فقد قدر إن الماء الزائد الذي يتوفر بواسطة خزان الحبانية يكفي في سنة اعتيادية لإرواء (٢٠٥٠٠٠) مشارة [٥٣] إضافية من أراضي الشلب أو(٣٩٥٠٠٠) مشارة من المزروعات الصيفية الأخرى[٥٤]، ومما ينبغي ذكره ان بحيرة الحبانية قد استخدمت في الماضي كمستودع لمياه الفيضان عن طريق أحداث كسرة في سداد النهر لتصريف المياه إلى البحيرة ومن ثم إعادة بنائها بعد انتهاء موسم الفيضان[٥٥].

أن وجود الاصلاح في كثير من الأراضي الاميرية، وانعدام وسائل الري فيها يحول دون الاستفادة منها الاستفادة المرجوة، وان انشاء مشاريع الري والتصريف في هذه الأراضي ثم توزيعها على الفلاحين ومساعدتهم من خلال مدهم بالحبوب والمكائن والقروض امر حيوي يتوقف على سرعة انجازه حياة الآلاف من الفلاحين اليائسين، كما يتوقف عليه ارتفاع مستوى المعيشة في البلاد وازدياد الدخل القومي وانتعاش مالية الدولة[٥٦].

خاتمة :

أن مبعث مشكلة الاراضي هو أساليب الإنتاج ووسائله السائدة وعلاقة الفلاح بالأرض وما يجنيه منها، وهي مشكلة متشعبة الآثار، ويستوجب حلها توزيع الأراضي الأميرية على صغار الفلاحين الذين لا يمتلكون أرضا بالإضافة إلى توزيع أراض أخرى على العشائر الرحالة، وكل ذلك يتطلب إعمار أراضي جديدة بشق الأنهار وإقامة السدود، كما يتطلب تقديم المساعدات المالية والفنية للفلاحين، وبذلك يتم تحسين وضع الفلاح وحل مشاكله الاقتصادية والاجتماعية ، ويتحقق الرابط المادي بين الوطن والفرد الذي لا أرض له .

الهوامش:

(١) سعيد عبود السامرائي، اقتصاديات العراق، بغداد، ١٩٧٠، ص٩ .

(٢) مجلة " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ٢٣-٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٧٢ .

(٣) المصدر نفسه، السنة الثانية، العدد ١٦، ١٠ نيسان ١٩٤٦، ص٣٧١ .

(٤) هي الموطن أو الديار أو الأراضي الواسعة، زراعية كانت أو غيرها، ولا يشترط سعة الأراضي لتطلق عليها كلمة ديرة ، بل تطلق على المقاطعة الصغيرة أيضاً . للمزيد من التفاصيل ينظر : مجلة " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ٢٣-٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٧٢ .

(٥) دورين ورنير، الزراعة والفقر في الشرق الأوسط، ترجمة: حسن احمد السلمان، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٠، ص١٧١ - ١٧٢؛ " الرابطة "، السنة الثانية، العدد ١٦، ١٠ نيسان ١٩٤٦، ص٣٧١ -٣٧٢ .

(٦) كلمة فارسية أصلها سركار، ومعناها رئيس العمل وعند تعريبها أبدل الراء لاما والسراكيل في الغالب هم أبناء الأسر الكبيرة في العشيرة الواحدة، وذوو المكانة والنفوذ فيها . وقد يكون السركال شيخ العشيرة عندما يكون مالك الأرض من سكان المدن، وهم وكلاء لمالكي الأرض يكونوا وسطاء بينهم وبين الفلاحين فيؤجرون الأراضي للفلاحين ويوجدون الفلاحين للعمل في الأراضي، وقد قوي نفوذ السراكيل وازدادت أهميتهم عندما كان ملاك الأرض يتغيبون عن أراضيهم، وعندما شاع استملاك أثرياء المدن الأراضي في الريف وأولئك بحاجة إلى من يرعى أراضيهم بغيابهم، والسركال مثل الشيخ لا يمارس الزراعة بنفسه وإنما يتقاضى جزءا من الغلة يأخذه من الفلاح والمالك لقاء خدماته التي يقدمها للشيخ، ولكن حصته من الفلاح تفوق ما يأخذه من المالك.للمزيد ينظر: عبد الجبر الشطري ، ألفاظ ومصطلحات من الريف العراقي، بغداد، ١٩٦٦، ص ٤ ؛ عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق (١٩١٤ -١٩٣٢) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨، ص٤٤٧ .

(٧) " الرابطة "، السنة الثانية ، العدد ١٠،١٦ نيسان ١٩٤٦، ص٣٧٢ ؛ رشا هشام جميل العاني، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية على العراق ١٩٣٩ - ١٩٤٥، رسالة ماجستير غير من منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص٤٧ .

(٨) " الرابطة"،العددان: العدد ٢٣-٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٤٦ ؛العدد ١٠،١٦ نيسان ١٩٤٦، ص٣٧٢.

(٩) عبد الوهاب النجار، طبيعة تركيب تجارة العراق الخارجية ،"عالم الاقتصاد" ، مجلة ، العدد ٢، نيسان ١٩٦٨،ص٢٠ .

(١٠) سهيل صبحي سلمان، التطورات الاقتصادية والاجتماعية (في العراق) ١٩٤٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص٦ .

(١١) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ١٨، ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٥، ص٤١٩ .

(١٢) المصدر نفسه ، العدد ٢٣-٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٦٨ .

(١٣) " الرابطة "، السنة الأولى ، العدد ٤، ١ أيار ١٩٤٤، ص ٨٣ .

(١٤) المصدر نفسه ، العدد ٢٣-٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٦٨ .

(١٥) صدر قانون تسوية حقوق الأراضي رقم (٥٠ لسنة ١٩٣٢) ضمن مجموعة قوانين لمعالجة مشكلة الأراضي إلا انه يلاحظ عليه دعمه للملكيات الزراعية الكبيرة وإعطائها الصفة الشرعية، وقد ألغى بموجب قانون التسوية تصنيف الأراضي القديم ووضع تصنيفا جديدا قسمت فيه الأراضي إلى أربعة أصناف، وهي الأراضي المملوكة والأراضي المتروكة والأراضي الموقوفة والأراضي الأميرية . لمزيد من التفاصيل عن هذا القانون ينظر: طلعت الشيباني، واقع الملكية الزراعية في العراق، مطبعة دار الأهالي، بغداد، ١٩٥٨، ص٤٤؛ عبد الرزاق الهلالي، قصة الأرض والفلاح والإصلاح الزراعي في الوطن العربي، منشورات دار الكشاف، بيروت، ١٩٦٧،ص١٣٣؛ هادي احمد مخلف وعدنان احمد ولي، نظام الملكية الزراعية، بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق،ج١٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص١٢٣ .

(١٦) الطابو كلمة تركية مشتقة من الفعل تاب وهو فعل العبادة والطاعة والخضوع لله عز وجل طلبا للامان، ومعناها كذلك الاعتراف بالجميل والشكر وتقديم الولاء للإقطاعي والعمل في الأراضي الإقطاعية، وقد تم تطبيق نظام الطابو في العراق عندما جاء مدحت باشا إلى الحكم في العراق سنة ١٨٦٩ وقد صدر القانون في سنة ١٨٧١، بموجبه بيعت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الأميرية العائدة للدولة بالمزايدة العلنية، بعد أن قسمت إلى قطع، بأسعار مناسبة وآجال طويلة الأمد بغية تسهيل بيعها وتشجيع زراعتها . للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد نوري كاظم، ملكية الأرض في العراق، مطبعة التمدن، بغداد، ١٩٥٨، ص١٥ ؛ عماد احمد الجواهري، المصدر السابق، ص٧١ .

(١٧) الأراضي الممنوحة باللزمة هي الأراضي الأميرية غير المفوضة بالطابو والتي منح حق اللزمة فيها لمن تصرف بها زرعا أو

غرسا بموجب أحكام قانون التسوية . واللزمة كما يقول الصوري أشبه بالاستيلاء على أراضي الدولة، لان شيوخ العشائر احتلوا قطعا من الأراضي الأميرية الصرفة وتصرفوا بها لعدة سنوات وخرجت من تصرف الدولة وانحصر التصرف بها بيد بعض شيوخ العشائر حتى أصبح بتصرفهم أراض واسعة جدا من أخصب أراضي العراق . للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد نوري كاظم، المصدر السابق، ص ١٦ ؛ محمد علي الصوري، الإقطاع في لواء الكوت، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٨، ص٨٠ .

(١٨) صدر قانون الأراضي العثماني في الحادي والعشرين من نيسان ١٨٥٨، صدر القانون في مائة واثنين وثلاثين مادة استمدت نصوصها من الشريعة الإسلامية من جانب، ومن القوانين الوضعية الأوربية، الألمانية، والفرنسية، والبريطانية، من جانب آخر، وكان القانون بمثابة بداية لعمل تشريعي ضخم قامت به الدولة العثمانية يهدف إلى تنظيم وتحديد ملكية الأراضي العثمانية، ووضع حد للفوضى والنزاعات التي كانت تجري على عائديتها، والفصل بين ما لأصحاب تلك الأراضي وما للدولة من حقوق فيها . وقسمت الأراضي في الدولة العثمانية بموجب القانون إلى خمسة أقسام هي : الأراضي المملوكة، والأراضي الأميرية، والأراضي الموقوفة ، والأراضي المتروكة ، والأراضي الموات . للمزيد من التفاصيل عن قوانين الأراضي ينظر : محمد نوري كاظم، المصدر السابق، ص ١٦ ؛ نمير طه ياسين ، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ –١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي لدراسات القومية والاشتراكية، جامعة المستصرية ، ١٩٨٤، ص٩٦.

(١٩) ولد مدحت باشا في اسطنبول عام ١٨٢٢، وبعد أن أكمل تعليمه بدراسة اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة الفارسية، انخرط في سلك الوظائف الحكومية، وكان مخلصا في عمله . زار مدن لندن وباريس وفينا فعززت تلك الزيارات من قناعاته وإيمانه المتزايد بالأساليب الأوربية للإصلاح الإداري والدستوري، وفي العام ١٨٦٠ نال رتبة الوزارة، ثم أصبح والياً على " نيش" في بلغاريا ونجح في إدارتها بشكل كبير، وترأس مجلس شورى الدولة، في العام ١٨٦٤ أصبح والياً على " الطونة" ثم والياً على العراق . وعين والياً في سورية (١٨٧٩-١٨٨٠) ثم والياً لأزمير عام ١٨٨٠ حتى أثيرت مسألة موت السلطان عبد العزيز (١٨٦١–١٨٧٦) التي اتهم بها فحكم عليه بالنفي إلى قلعة الطائف حتى مات في سجنه في آذار ١٨٨٤. ويذكر جميل موسى النجار عن العزاوي إن مدحت باشا مات مخنوقا في سجنه في مدينة الطائف بأمر سري من السلطان عبد الحميد الثاني . للمزيد من التفاصيل ينظر: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد (من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩–١٩١٧)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص١٤٥–١٤٦ ؛ محمد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩ –١٩٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص٥١ .

(٢٠) وهي الأراضي التي ليست في تصرف احد الأشخاص، وبعيدة عن العمران . للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرضا الحميري، نظام الإقطاع في العراق بين مؤيديه ومعارضيه ، إصدارات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٢، ص١٩٢؛ جميل موسى النجار، المصدر السابق، ص٤٠٩ .

(٢١) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ٢٣–٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٦٨ .

(٢٢) الاستلام الأخضر أو البيع على الأخضر وذلك بان يبيع الفلاح قسما من حاصله قبل إن ينضج وتساوي قيمته عادة نصف قيمته بعد الحصاد ، نظرا لفاقته وجوعه فانه يضطر إلى بيع اكبر كمية ممكنة وفق هذا الأسلوب قبل الحصاد لأشخاص متعددين على إن يسدد ما بذمته للمشتري لا بالمبالغ التي تسلمها منهم وإنما يتضاعف حتى يساوي قيمة الإنتاج وهو جاهز. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد علي الصوري ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

(٢٣) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ٢٣–٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٦٩ .

(٢٤) يتكون هذا القانون من(٥٢) مادة جميعها تصب في صالح صاحب الأرض وهي في الوقت تشكل قيود قاسية على الفلاح ولم يراع واضعي القانون مصلحة الفلاح بل العكس لان معظم النواب هم من الملاكين والشيوخ . للمزيد من التفاصيل عن القانون ينظر: محمد علي الصوري، المصدر السابق، ص٤٣ –٥١ ؛ عماد احمد الجواهري، المصدر السابق، ص٦٥ .

(٢٥) إذا استدان الفلاح من مالك المزرعة دينا زراعيا يعد ذلك الدين بموجب المادة (٤٢) من قانون حقوق وواجبات الزراع دينا ممتازا أي له الأولوية في الاستيفاء باستثناء ما هو متحقق للحكومة من ضرائب أو حصة . للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد علي الصوري، المصدر نفسه، ص٤٤–٤٥.

(٢٦) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ٢٣–٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٦٩ .

(٢٧) " الرابطة "، السنة الثانية ،العددان : العدد ٣،١٠ تموز ١٩٤٥، ص٥٩؛العدد ١٦، ١٠نيسان١٩٤٦،ص٣٧٢.

(٢٨) عبد الرضا الحميري، المصدر السابق، ص١٦٤ ؛ سالم خلف عبد، المجتمع الريفي، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٢ جميل موسى النجار، المصدر السابق، ١٩٩١، ص١٤٥-١٤٦ ؛ محمد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩ -١٩٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص١٤٦ .

(٢٩) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ٢٣-٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٧٠ .

(٣٠) المصدر نفسه، ص٥٧٠ – ٥٧١ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص٥٧١ .

(٣٢) " الرابطة "، السنة الثانية، العدد ١٦، ١٠ نيسان ١٩٤٦، ص٣٧٢ .

(٣٣) المصدر نفسه، السنة الأولى، العدد ٢٣-٢٤، ٢٨ نيسان ١٩٤٥، ص٥٧١ .

(٣٤) المصدر نفسه ، السنة الثانية، العدد ٣، ١٠ حزيران ١٩٤٥، ص٥٩ .

(٣٥) " الرابطة"، السنة الثانية، العدد ٢، ٣٠ حزيران ١٩٤٥، ص٢٨ ؛ ممتاز العارف ، مشروع الدجيلة تجربة اجتماعية ،" عالم الغد "، مجلة، الجزأين ٨ و٩، السنة الثانية، ١٦ نيسان ١٩٤٦، ص٢١٩ -٢٢١ .

(٣٦) ممتاز العارف ، مشروع الدجيلة تجربة اجتماعية ،" عالم الغد "، مجلة، الجزأين ٨ و٩، السنة الثانية، ١٦ نيسان ١٩٤٦، ص٢١٩ -٢٢١ ." الرأي العام "، العدد ١١٦٩، ١١ كانون الثاني ١٩٤٥ ؛ طلعت الشيباني، المصدر السابق، ص ٧٣؛ قيس حميد مزيد المكصوصي، تاريخ الري في العراق ومشكلاته ١٩٥٠-١٩٦٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠١٢، ص١٨٩ .

(٣٧) الارحيم ، المصدر السابق ص١٥٩ ، فعلى سبيل المثال ذكر مصدر ان عدد ما تعرضت له بغداد من الفيضانات للمدة المحصورة بين ١٨٤٠ . ١٩٠٥ وكان ١٩ فيضاناً لمزيد من التفاصيل ٠انظر ، احمد سوسة ، فيضانات بغداد في التاريخ القسم الثاني ، مطبعة الاديب ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ص٣٧٦ . ٣٧٨ .

(٣٨) صالح حيدر ، التطور الاقتصادي في العراق ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، الجزءان (٩ . ١٠) ، تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥٤ ، ص٤٤ .

(٣٩) " الرابطة " ، السنة الأولى، العدد ٢، ا نيسان ١٩٤٤، ص٤٧ .

(٤٠) عُرف جدول الصقلاوية بأسماء عدة مختلفة على مر الأدوار التأريخية فأقدم تسمية له هي نهر حداقل وكان ذلك في العهد البابلي، وبعدهم سماه الأشوريون بنهر اراهتو ثم سماه الرومانيون بنهر ملكا، أما في العصر العربي فقد أصبح يعرف باسم نهر عيسى، وقد أطلق عليه تسمية (جدول الصقلاوية) نسبة إلى قرية الصقلاوية القريبة من صدره، وبعد قيام الحكومة العراقية قامت بتصميم مشروع الصقلاوية، إذ تم ردم (صدر السرية) المتفرع منه نهر الكرمة القديم وشرع بحفر جدول الصقلاوية الرئيسي الحالي الذي فتح صدره من أيسر نهر الفرات بمسافة (١٢ كم) شمال مدينة الفلوجة، وتم حفر جدول الصقلاوية بطول (٢٠،٥٠٠) كم بواسطة الأيدي العاملة، إذ قامت الحكومة العراقية بإنشاء مخيمات للسجناء هناك وقامت بتشغيلهم لحفر جدول الصقلاوية الرئيس. للمزيد من التفاصيل ينظر: المصدر نفسه، العدد ٢، ا نيسان ١٩٤٤، ص٣٤-٣٦ ؛ كفاح داخل عبيس راشد البديري،تقييم مشاريع الري القديمة في العصر العباسي بالمقارنة مع مشاريع الري الحديثة في منطقة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص٢٧٩ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص٣٦ .

(٤٢) وليم كوكس، ري العراق، ج١، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٣٧، ص٥٩ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦ -٥٩ .

(٤٤)حسان ناجي الحديثي ، تاريخ الري في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢ رسالة ماجستير كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٤) .

(٤٥) المصدر نفسه .

(٤٦) الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراض ، ص ص ٤٣-٤٣٢.

(٤٧) لونكريك ، العراق الحديث ، ج١ ، ص١٦٠.

(٤٨)حسان ناجي الحديثي ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

(٤٩) لونكريك ، العراق الحديث ، ج١، ص١٦٠.

([٥٠])حسان ناجي الحديثي ، المصدر السابق ، ص٥٧.

([٥١])سعيد عبود السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي (النجف ، ١٩٧٣) ، ص٨٠؛ ايرلاند ، المصدر السابق ، ص٨٥.

([٥٢]) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ١٠، ١ أيلول ١٩٤٤، ص٢٤١ .

([٥٣]) المشارة تساوي (٢٥٠٠م٢) وهي وحدة قياس المساحة وتساوي المشارة العراقي. ينظر: نجيب خروفة وآخرون، الري والبزل في العراق والوطن العربي، مطابع المنشاة العامة للمساحة، بغداد، ١٩٨٤، ص٣٩ .

([٥٤]) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد ١٠، ١ أيلول ١٩٤٤، ص٢٤١ .

([٥٥]) عدنان احمد ولي، العلاقات الزراعية والري، بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، ج١٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص١٤٦ .

([٥٩]) " الرابطة" ، السنة الثانية ، العدد ١١ ، ٢٧ كانون الاول ١٩٤٥ ، ص ٢٤٢ .

المصادر

- ستيفن همسلي لونكريك ، العراق الحديث من ١٩٠٠-١٩٥٠ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ج١ ، (بغداد ، ١٩٨٩) .
- عدنان احمد ولي، العلاقات الزراعية والري، بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، ج١٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص١٤٦ .
- نجيب خروفة وآخرون، الري والبزل في العراق والوطن العربي، مطابع المنشاة العامة للمساحة، بغداد، ١٩٨٤.
- سعيد عبود السامرائي، اقتصاديات العراق، بغداد، ١٩٧٠.
- - ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي (النجف ، ١٩٧٣) .
- عماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، (بغداد ، ١٩٧٨).
- وليم كوكس، ري العراق، ج١، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٣٧.
- كفاح داخل عبيس راشد البديري، تقييم مشاريع الري القديمة في العصر العباسي بالمقارنة مع مشاريع الري الحديثة في منطقة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥.
- صالح حيدر ، التطور الاقتصادي في العراق ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، الجزءان (٩ . ١٠) ، تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥٤.
- احمد سوسة ، فيضانات بغداد في التاريخ القسم الثاني ، مطبعة الاديب ، بغداد ، ١٩٦٥.
- حسان ناجي الحديثي ، تاريخ الري في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢ رسالة ماجستير كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٩٤) .
- دورين ورنير، الزراعة والفقر في الشرق الأوسط، ترجمة: حسن احمد السلمان، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٠.
- عبد الجبر الشطري ، ألفاظ ومصطلحات من الريف العراقي، بغداد، ١٩٦٦.
- رشا هشام جميل العاني، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية على العراق ١٩٣٩ - ١٩٤٥، رسالة ماجستير غير من منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ١٩٩٩.
- عبد الوهاب النجار، طبيعة تركيب تجارة العراق الخارجية ،"عالم الاقتصاد" ، مجلة ، العدد ٢، نيسان ١٩٦٨.
- سهيل صبحي سلمان، التطورات الاقتصادية والاجتماعية (في العراق) ١٩٤٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤.
- طلعت الشيباني، واقع الملكية الزراعية في العراق، مطبعة دار الأهالي، بغداد، ١٩٥٨، ص٤٤؛ عبد الرزاق الهلالي، قصة الأرض والفلاح والإصلاح الزراعي في الوطن العربي، منشورات دار الكشاف، بيروت، ١٩٦٧ .
- هادي احمد مخلف وعدنان احمد ولي، نظام الملكية الزراعية، بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق،ج١٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.
- محمد علي الصوري، الإقطاع في لواء الكوت، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٨.
- نمير طه ياسين ، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ -١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي لدراسات القومية والاشتراكية، جامعة المستصرية، ١٩٨٤.

- جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد (من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١.
- محمد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩ -١٩٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- عبد الرضا الحميري، نظام الإقطاع في العراق بين مؤيديه ومعارضيه ، إصدارات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٢.

مكانة العراق والعراقيون في التأريخ

دراسة موجزة للفكر والقيم الاخلاقية في الشخصية العراقية عبر التاريخ

The status of Iraq and the Iraqis in history abrief study of thought and moral values in the Iraqi personality throughout history

م.د. ماجد حميد الاسدي

جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

Abstract .

Mankind passed through three historical phases over the five thousand years of its material history, as the first phase was represented by the emergence of agriculture and the discovery of its methods within the limits of (4500 BC). And according to archeology, which conclusively proved the existence of the first agricultural village - the village of Jarmo - in the Iraqi city of Kirkuk as a precedent in human history.

As for the second phase that the people of Sumer were unique to, it was the invention of writing and its tools around (3600 BC) in the Sumerian city of Nafar, and that was considered an important and glorious event in the ancient Iraqi civilization. We have the third phase only after more than five thousand years have passed since that, which is the manufacture of the steam engine within the limits of (1750 AD) as a new phase in the life of mankind, but this does not concern us in the research because it happened outside the geographical borders in Mesopotamia, and it happened very late in Europe and if what Compare with the human history of the ancient, middle and modern Iraqi civilization.

Thus, this research with its tagged title "The Status of Iraq and the Iraqis in History" represents a serious and modest attempt to root the historical phases to begin with the idea of human values and ideals in the system of government among the people of Mesopotamia at the dawn of human history, as well as a statement of the status of the people of Iraq in the system of values, ideals and virtues that they distinguished It over others in the movement of human history until the centuries after birth.

الملخص:

مرت البشرية بثلاثة اطوار تاريخية على مدى الخمسة الاف سنة من تاريخها المادي، وكان نصيب العراق[١] الطورين الاول والثاني من تاريخ البشرية، اذ تمثل الاول بظهور **الزراعة** واكتشاف طرقها بحدود (٤٥٠٠ق.م)، وشكل ذلك اول حدث هام وتحول في حياة البشرية في الانتقال من حياة الالتقاط الى حياة الزراعة والانتاج، وكان ذلك، وحسب علم الاثار الذي اثبت بشكل قاطع وجود اول قرية زراعية – قرية جرمو – في مدينة كركوك العراقية كسبق في التاريخ البشري.

اما الطور الثاني الذي تفرد به ابناء بلاد سومر هو اختراع **الكتابة** وادواتها بحدود (٣٦٠٠ق.م) في مدينة نفر السومرية، وعد ذلك حدثا هامجا ومجدا تليدا في الحضارة العراقية القديمة، وبذلك احرز ابناء الرافدين في ابتكارهم واختراعهم الطورين الاساسيين في حياة البشرية، ولم يظهر لنا الطور الثالث الا بعد مرور اكثر من خمسة الاف سنة على ذلك، وهو تصنيع المحرك البخاري بحدود (١٧٥٠م) كطور جديد في حياة البشرية، ولكن لا يعنينا هذا في البحث لكونه حصل خارج حدود الجغرافية في بلاد الرافدين، وحدث متأخر جدا في اوربا واذا ما قورن مع التاريخ الانساني للحضارة العراقية القديمة والوسيطة

والحديثة، وبذلك يمثل البحث هذا بعنوانه الموسوم "**مكانة العراق والعراقيون في التأريخ** " كمحاولة جادة متواضعة في تأصيل الاطوار التاريخية لبدء فكرة القيم الانسانية والمثل العليا في منظومة الحكم عند ابناء بلاد النهرين في فجر التاريخ الانساني، وكذلك بيان مكانة اهل العراق في منظومة القيم والمثل والفضائل التي انمازوا بها على غيرهم في حركة التاريخ الانساني حتى قرون ما بعد الميلاد.

كلمات مفتاحية: (الابتكار، العراق القديم، القيم الإنسانية، التنقيبات الأثارية، اختراع الكتابة)

المقدمة:

قسم البحث الى ثلاثة مباحث، تناول الاول عصر الابتكار والاكتشاف في التاريخ القديم، والذي تمثل باكتشاف الزراعة، واختراع الكتابة، كما تناول المبحث الثاني مكانة اهل العراق في منظومة القيم والفضائل الانسانية في العصر الوسيط، وتناول المبحث الثالث والاخير صورة العراق في حركة الفكر والتاريخ الانساني الحديث، وختم البحث بخاتمة واستنتاجات، وتوصيات رأى فيها الباحث الضرورة الملحة في اظهار كنائز ارض العراق وقصب سبقها في تاريخ البشرية، واخيراً اقتضت الضرورة العلمية والوحدة الفكرية لموضوع اثر العراقيون في حركة التاريخ الانساني، ان نظهر بحيادية تامة مكانة وارث ابناء بلاد الرافدين في الاكتشاف والاختراع، وفضائل اسلافهم العلمية والاخلاقية في العصرين الوسيط والحديث، اذ اعتمدنا على مصادر التخصصات الثلاث (القديم والاسلامي والحديث) في استقاء المعلومات التاريخية.

ويأتي البحث هذا، كمحاولة متواضعة لإعادة بناء الذات التاريخية للشخصية العراقية عبر الارث الفكري والاخلاقي للامة العراقية، بعد تزعزعت ذاتنا التاريخية بفعل سياسات التسلط وبث الافكار المثبطة والمارقة على الناس في المائة سنة الماضية، والهدف من وراء القصد هو اظهار الصورة التقريبية الموجزة الحضاري لطبيعة الانسان العراقي في جغرافية بلاد الرافدين، ومدى اسهامه في حركة التاريخ الانساني للبشرية في عصوره المختلفة.

المبحث الاول- عصر الفكر والابتكار عند العراقيين في التاريخ القديم

ما ان يمتد يراع لكتابة التاريخ القديم حتى تؤشر امامه حقائق بائنة كالشمس التي لا يمكن حجبها باي شكل وحال، وهي حقيقة الوجود البشري الاول على ارض وادي الرافدين، حيث الوجود الاول للإنسان فيها دون غيرها من البقاع، وكأن هناك حيزا للمشيئة الالهية في ذلك الوجود الحقيقي[٢] والذي ظل يثير الباحثين على طول التاريخ.

- **اكتشاف الزراعة:**

اكدت الاثار والتنقيبات التي سبر اغوارها العلماء المتخصصين، ان اول اشراق للحضارة البشرية كان في بلاد النهرين كموطن اول للإنسان القديم، سيما بعد اكتشاف المستوطنات البشرية في الحضارة السومرية، وهي الحضارة الاولى في التاريخ البشري[٣]، وهكذا عُد اكتشاف الزراعة في شمال بلاد النهرين طورا وحدثا فاصلا في حياة الانسان يومذاك، اذ انتقل الانسان من نمط حياة الكهوف الى حياة الاستقرار وبناء المنازل، وانشاء القرى الزراعية الدائمة[٤]. وحسب التنقيبات الاثارية، اذ اكتشفت اثار القرى الاولى في تاريخ نمط حياة الانسان، وبذلك بدأت حياة الانسان الطبيعية في الاستقرار وجني ثمار المزارع بعد عصر الصيد والالتقاط المضن، كما اولى الانسان في بلاد النهرين تشييد المساكن والبيوت كمظهر من

مظاهر التطور في الحياة[٥]، وبذلك استطاع الانسان وبمرور الزمن ان يكتسب نوعا من الخبرة، نتيجة لتعدد تجاربه في بناء البيوت، وبالتالي اعطاه ذلك دفعة جديدة وفريدة في فرض سيطرته على قسوة البيئة الطبيعية التي يعيش في ربوعها[٦].

لقد سجلت التنقيبات الاثارية في مواقع ما قبل التاريخ ظهور اول المستوطنات البشرية في التاريخ، حيث القرى والقصبات البدائية، ولعل من اهم تلك القرى هي قرية "جرمو" التي تقع في مدينة كركوك شمال العراق، وعدت اولى القرى الزراعية في جغرافية الحضارة العراقية القديمة[٧].

- **اختراع الكتابة:**

اجزمت الكشوفات والتنقيبات الاثارية أن الطور الثاني من حياة البشرية ظهر في مدينة الوركاء، التي اخترعت الكتابة ورموزها بحدود (٣٥٠٠- ٢٨٠٠ق.م) في جنوب وادي الرافدين، بما عرف تاريخياً بالعصر الشبيه بالكتابي، حيث ظهر لنا فجر الكتابة وتثبيت الحرف الاول، وكذلك ظهور الاختام الاسطوانية، واستخدام الفخار والمعادن، وشكل ذلك بداية الحياة الحضارية المدنية في تاريخ البشرية[٨]، وكان لحضارة وادي الرافدين قصب السبق في اختراع الكتابة التي شكل ظهورها اهم مقومات الحضارة المدنية، اذ لم يؤشر قبل طور الوركاء في حضارة وادي الرافدين والحضارات الاخرى اي ظهور للكتابة، وبذلك تفردت بلاد سومر باختراع الكتابة، اذ عرف تاريخيا عصر بدء الكتابة او ما يعرب بـ"**بروتوليترايت**"[٩]، كبداية لظهور الكتابة المسمارية لتعلم الانسان القديم فن النقش والرسم على الصخور والالواح الطينية التي نسبت للسومريين، ومنها انتقلت الى مصر[١٠]، وبهذا عد عصر اختراع الكتابة اهم المحصلات الحضارية التي حققها الانسان العراقي القديم، اذ ورد نص سومري يؤكد على اختراع فن الكتابة والذي وصف في النص " **فن الكتابة ابو العلماء، وام الخطابة**"[١١]، وهذا يؤكد دون ادنى شك ان الانسان العراقي كان على قدر كبير من الوعي في اختراع الكلمة الاولى في قاموس البشرية.

- **التعليم:**

لم يكن مصطلح "المدرسة" كمكان للتعلم قد شاع في عصور ما قبل الميلاد، لكن دلالة المصطلح ظلت تعطي ذات المعنى بالنسبة للتاريخ القديم، ففي العهد السومري والاكدي (٣٢٠٠-٢٠٠٠ق.م) نمى عصر المعرفة والتعلم، فاضحت الكلمة السومرية التي تقابل كلمة مدرسة هي "**ايدوبا**" وترجمت من اللهجة الاكدية، واصبحت تعرب بـ "**بيت توبى**" اي بيت الالواح، وبذلك سجل اول مصطلح للمدرسة تم ذكره في تاريخ الحضارات البشري[١٢]، فالشواهد الاثارية التي امدتنا بها التنقيبات، والاستكشافات كانت شديدة الاقناع فيما يخصص المدارس وترتيبها في بابل القديمة، ومدن رافدينية اخرى من خلال الحفريات التي اخرجت لنا كنائز العهد القديم، ولا سيما الالواح المدرسية التي اثبتت يقينا سبق اهل بلاد الرافدين في اكتشاف المعرفة[١٣]. ومن هناك بدأ عصر التنوير في تاريخ البشرية.

- **القانون والقضاء:**

لا شك ان من اهم المظاهر الحضارية التي انماز بها سكان العراق القديم دون غيرهم من شعوب المعمورة، والعالم القديم، سوء تلك التي عاصرتهم حضاريا او ما بعدهم، هي القوانين والتشريعات التي نظمت حياة الانسان في حضارة وادي الرافدين، اذ شرعت القوانين نتيجة لتوسع الحياة الاقتصادية

والاجتماعية، وسجلت تاريخيا اقدم اشارة موثقة اشارت الى وجود القضاء والتي يرجع تاريخها الى (٢٣٧٠ق.م)، كأول ظهور للحياة النظامية المدنية في حضارة وادي الرافدين[١٤]، والاشهر من نار على علم في تاريخ العراق القديم هو ظهور مسلة القوانين للملك الشهير حمورابي(١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) حاكم سلالة بابل الاولى، والذي استطاع بقدرة الحاكم القوي من توحيد جميع السلالات تحت حكمه الاوحد، والذي شرع القوانين والتشريعات التي عالجت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لتنظيم أحوال مملكته المترامية الاطراف، حيث جمعت حوالي (٢٨٢) مادة تحت اسم مسلة حمورابي[١٥]، ولكن ما يؤسف عليه حقا، ان المسلة عثر عليها من لدن المنقبين الآثاريين الفرنسيين في مدينة سوسة عام ١٩١٣.

وكان للبابليين تصورا علميا عن مكانة وجودهم على خارطة العالم القديم، اذ اعتقدوا يقينا ان مدينتهم بابل، وما تحمله من بعد روحي ديني ومركز سياسي قوي يومذاك، بان ارض بابل تقع في مركز العالم وهي كدائرة على الخريطة[١٦]، هذا التصور لم يأت اعتباط عند البابليين، وانما جاء وفق الشعور المفعم بالقدرة المعنوية والقوة على المكانة التاريخية لدولتهم وحضارتهم، وهكذا اجمع اغلب العلماء والمؤرخين والآثاريين المتخصصين على سبق واصل حضارة العراق، اذ وصفوها بانها باكورة الحضارة البشرية الناضجة، بل والامتداد الحقيقي للحضارة الانسانية من العالم الحديث، ووصفها احد المؤرخين، انها اقدم اسلافنا البعيدين على الخط السلالي المباشر[١٧]، وذكروا ان حضارة العراق واحدة من اقدم ستة حضارات في تاريخ البشرية[١٨].

اما منظومة القيم الاخلاقية للإنسان في حضارة وادي الرافدين، فأن اغلب المتخصصين اثبتوا ان الكثير من القيم الاخلاقية ذات الصفة الواقعية هي تعود الى السومريين حيث منبت القيم الحضارية، والتي اعتمدت على الربط المستمر بين المنظومة الدينية والحياة اليومية، فالسومريون واسلافهم نظروا للحياة نظرة واقعية[١٩]، ومذ العهود الاولى عد الانسان في بلاد الرافدين الالهة، ليس مصدرا للقيم النبيلة وحسب، بل مصدرا لكثير من للخطايا والشرور التي غالبا ما تجلبها الهة العراق القديم[٢٠].

- **العدالة والحقوق كقيم انسانية:**

ألف العراقيون القدماء بعد عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد قيما انسانية عليا مثل الحق والعدل، والتي مثلت البعد الفكري في حياة الانسان في العراق القديم، فالعدالة ادركها العراقيون القدماء بوقت مبكر من تاريخ ميلادهم القديم، اذ ادركوا ان العدالة حق مشروع لكل نسان، وليس هبة او منة من احد، لان الانظمة السياسية في العراق القديم هي تجسيد حقيقي لإرادة الالهة سياسيا، تلك الارادة التي كانت فرضا ملزما على ملوك العراق القديم [٢١]، كما شهدت حضارة العراق القديمة قبل غيرها من الحضارات البشرية صدور اقدم وثيقة لحقوق الانسان في العهد السومري، ان القانون والعدالة والحرية كانت من اساسيات الفكر العراقي القديم ومنذ بدء التوين في الالف الثالث قبل الميلاد. وكان العراقيون في مختلف عصورهم التاريخية سواء السومرية كانت ام الاكدية او البابلية والاشورية يطالبون عاهلهم دوماً، باعتباره نائباً للإله، بوضع قواعد وتطبيق اجراءات تضمن للجميع الحرية، والعدالة الاجتماعية والمساواة ،وان كلمة حرية

"**امـاركي**" قد وردت في نص سومري لا قدم وثيقه عرفها العالم القديم تشير صراحة الى اهمية حقوق الانسان كقيمة انسانية كبرى(٢٢).

المبحث الثاني- مكانة اهل العراق في مؤلفات مؤرخو التاريخ الاسلامي.

لقد وضع الجغرافيون والرحالة والمؤرخين من العرب والمسلمين بعض المقاييس والقواعد لتحديد اخلاق الشعوب التي زاروها او مروا بها، واستقرار بعضهم فيها لمدة من الزمن، اذ وجدوا ان للطقس والتضاريس اثر واضح في تحديد القيم والمثل الاخلاقية التي تحلت بها بعض الشعوب، وما يهمنا في البحث هذا، هي القيم والمثل والفضائل التي انماز بها الناس في العراق ايام العصور الاسلامية.

بدءاً، ان ما سلم به من الراي المتداول المعروف، ان العرب هم اقوام نزحوا من اليمن والجزيرة الى العراق ومصر والشام، ولكن الحقيقة ما ذكره المؤرخون يذهب الى غير ما سلم به، اذ روى المؤرخ الطبري عن حوادث مطلع العقد الثاني الهجري (١٢هـ/٦٣٣م)، ان الجيش الاسلامي حينما دخل العراق من جهة الانبار بقيادة خالد بن الوليد، فرأى اهلها يكتبون العربية، ويتعلمونها، فسألهم : " ما انتم ؟ قالوا : **قوم من العرب نزلنا على قوم من العرب قبلنا، فكان امراؤهم نزلوها ايام بختنصر**. "، فقال لهم : ممن تعلم الكتاب؟ فقالوا : "**تعلمنا الخط من اياد، وانشد قول الشاعر**(٢٣) :

قومي اياد لو انهم امم او لو اقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم

ونقل عن الاصمعي قائلا " سئلت قريش : من اين لكم الكتابة؟ قالوا : من الحيرة، وقيل لإهل الحيرة: **من اين لكم الكتابة؟** قالوا : من الانبار: وقيل الانبار : **من اين تعلمتم الكتابة؟** قالوا : تعلمنا الخط من اياد وانشدوا قول الشاعر(٢٤) الذي ذكرناه.

وذهب المؤرخ المسعودي برايه الذي قارب ما ذهب اليه الطبري في موضع اصل العرب، حيث اشار الى ان اصل العرب كان في العراق، حيث قال " كان الناس بعد الطوفان مجتمعين بمكان واحد بارض بابل، ولغتهم السريانية، ومن هناك تفرقوا فسلكوا باتجاه الطائف واليمامة، ومكة(٢٥)، كما اورد ابن خلدون من حديث المسعودي عن العرب العمالقة، حيث قال : كان موطن العمالقة تهامة من ارض الحجاز، فنزلوها ايام خروجهم من العراق ايام النماردة من بني حام، اي زمن ملوك بابل الذين كان يطلق عليهم النماردة، ومفردها نمرود والتي دلت على العظمة والجبروت(٢٦). وكما اكدت دراسات حديث صحة المعلومة التي تؤكد ان اصل العرب من العراق، ولكن هاجروا الى الامصار الاخرى(٢٧).

وذهب اخر ان اسم بابل ورد في القران الكريم وذكر بقوله تعالى "**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ**"(٢٨)، اذ اشار الطبري (ت.٣١٠) انها بابل العراق(٢٩).

لقد ورد اسم العراق واهله مبكرا على السنة الخلفاء، ومنهم الخلفاء الراشدين، اذ قال الخليفة عمر بن الخطاب قولته المشهورة في وصفهم "**اهل العراق، كنز الايمان، وجمجمة العرب وهم رمح الله يحرزون ثغورهم ويمدون الامصار**"(٣٠)، وقال الخليفة الرابع الهمام علي بن ابي طالب "عليه السلام" في خطابه لأهل الكوفة في العراق قائلا " **يا اهل الكوفة انتم اواني وانصاري واعواني على الحق...وارجو**

اتمام طاعة المقبل"[٣١]، وقال في وصف رجولة اهل العراق " **الاموال والرجال في العراق**"[٣٢]، وهذا يؤكد دون ادنى شك عن مكانة اهل العراق في التاريخ المبكر للإسلام.

لقد ذكر المؤرخون والجغرافيون خلال الالف الاول من تاريخ العالم الاسلامي، بمكانة العراق في عظيم شأنه، وعلو منزلته، اذ ذكر المؤرخ اليعقوبي(ت.٢٨٤هـ) في وصف العراق قائلا " **انما ابتدأت بالعراق؛ لأنه وسط الدنيا وسرة الارض، وذكرت بغداد؛ لأنها وسط العراق، والمدينة العظمى**"[٣٣]. كما ذهب المؤرخ ابن حوقل (ت.٣٤٠هـ) بوصفه الجميل عن العراق قائلا " **هذا الاقليم – العراق- اعظم الاقاليم الارض منزلة، واجلها صفة، واغزرها جباية، واكثرها دخلا، واجملها اهلا، واكثرها اموالا، واحسنها محاسن، وافخرها صنعة**"[٣٤]، وقال ايضا عن اهل العراق " **واهله فأوفرهم عقولا، واوسعهم حلوما، وافسحهم فطنة في سالف الزمان، والامم الخالية، وبمثله تجري امور امة الاخرة، يقر بذلك لهم اهل الطاعة والفضائل، ولا يمتري فيه اهل الدراية والخصائل**"[٣٥]. وكما ابدع المؤرخ المسعودي (ت.٣٤٦هـ) في وصف بلاده قائلا " **وبلد العراق وسطه، اشرف الارض، وصفوته، وينقسم فيه الزمان الى اربع اقسام، فلا يخرج ساكنوه من شتاء الى صيف حتى يمر بهم فصل الربيع، ولا من صيف الى شتاء حتى يمر بهم خريف، والعراق اشرف المواضع التي اختارها ملوك الامم حتى تفانت عليه الملوك**"[٣٦]، وهذا الوصف البالغ الاثر لم يكن غريبا على اهل العراق، اذ بلغت فيها الفضائل والقيم ما لم يبلغ في الغرب والشرق.

واستمر المؤرخ المسعودي يورد في وصف بلاده كلما شرع بكتاب اخر، اذ قال في موضع الوصف عن بلاده " **واما العراق فمنارة الشرق، وسرة الارض وقبلها، اليه تحادت المياه، وبه اتصلت النظارة، وعنده وقف الاعتدال، فصفت امزجة اهله...وقلب الارض العراق، وهو المجتبى في قديم الزمان، وهو مفتاح الشرق ومسلك النور، ومسرح العينين، ومدنه المدائن وما والاها، واهله اعدل الالوان، وانقى الروائع، وفضائله كثيرة لصفاء جوهره، وطيب نسيمه، واعتدال تربته اغداق الماء عليه ورفاهية العيش به**"[٣٧]، وذكر ايضا صفات رجال اهل العراق قائلا "**وسمي العراق بلد السباع، لان السباع تدعى بالنبطية اريان، احدها اريا، فتشبهوا بالسباع لشدة بأسهم، وشجاعتهم، وعظم ملكهم، وكثرة جنودهم**"[٣٨] وهذا الوصف الجزيل المانع الجامع لشخصية العراقي هو الحقيقة الناصعة التي انماز به اهل ارض العراق على طول التاريخ، وهكذا، ظل المؤرخون يوردون برأيهم عن وصف العراق واهله سوء ممن زاره او مما سمعوا عنه، اذ اورد ابن الفقيه الهمداني(ت.٣٦٥هـ) عن اقليم العراق بالقول " **..وكان بهذا الاقليم فضيلة، انه اكثر اموال المملكة تجبى منه لفضل عمارته، وخيره من غير ان يحتاج له من النفقة الا الجزء اليسير من ارتفاعه، وغيره من الاقاليم، وما احتاج اليه ان ينوبه غيره، ويقوم به سواه فيكون عاما**"[٣٩]، وهذا الراي يؤكد ان العراق كان وما زال عرضة للغزو والسيطرة من الاقاليم الاخرى الطامعة بخيره عبر التاريخ، كما وصف اهل العراق في موضع اخر بانهم " **اصحاب ادب وحكمة، وعلم بالنجوم، وخبرة بالعلوم التعليمية، واصحاب رصد للكواكب والقياس، ولهم ذكاء وفطنة**"[٤٠]، وقال ايضا " **فالدنيا العراق، والناس اهلها**"[٤١]، ولا اظن هنا ان ما اورده الهمداني يختلف عليه احد من اثنين من زمانه آنذاك .

وقال اخر من المؤرخين عن العراق واهله، وهو المؤرخ المقدسي (ت.٣٨٠) في وصف اقليم العراق قائلا " **هذا اقليم الظرفاء، ومنبع العلماء...وبه مولد ابراهيم الخليل، واليه رحل كل صحابي جليل، اليس به البصرة التي قوبلت بالدنيا، وبغداد الممدوحة في الورى، والكوفة الجليلة، وسامراء، ونهره من الجنة بلا مراء، وتمور البصرة لا تنسى، ومفاخر كثيرة لا تحصى وبحر الصين يمس طرفه الاقصى، والبادية الى جانبه كما ترى، والفرات بقربه من حيث جرى**"[٤٢]، وبهذا الوصف الذي صور لنا الارض وما عليها من الخيرات ما هي الا دالة على حيز لطف الله فيها.

ظل المؤرخون يصفون العراق دون موارية، فقد ذكر مؤرخ بغداد الخطيب البغدادي (ت.٤٦٣) عن العراق قائلا " **اقاليم الارض سبعة، والاقليم الرابع بابل، وهو الممثل بالدائرة الوسطى التي اكتنفتها سائر الدوائر، وهو اوسط الاقاليم واعمرها.. وفيه العراق الذي هو سر الدنيا... وفي العراق بغداد، وهي صفوة الارض، ووسطها لا يلحق من فيه عيب سرف وتقصير**"[٤٣]، ولمكانة بغداد في نفوس علماء المذهب، اذ روي عن الشافعي حينما وصف بغداد بالقول " **ما دخلت بلدا قط الا عددته سفرا، الا بغداد، فاني حين دخلتها عددتها وطنا**"[٤٤]، وهذا يؤكد ان بغداد كانت تؤنس النفوس عند زائريها، ويأتي ذلك من غفوها على نهر دجلة، وطيب سكناها، وحتى شاع قول "**ان خرجت من العراق فالدنيا كلها رستاق**"[٤٥]، وهذا يؤكد بلا شك، ان المدنية والحضارة في العراق.

وذكر الشيخ الغزالي (ت.٥٠٥هـ) في وصف خير العراق قائلا " **ان الكسب من مال العراق يورث البركة والخير الوفير..... ان مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين، فلم ار في العالم مالا يأخذه العالم لعياله اصلح منه**"[٤٦]، وفي هذا القول تفسيره حمال اوجه، لكون ان الغزالي امام زمانه ويستطيع ان يفتي، وربما اجاز للبعض ان يأخذوا المال دون وجه حق، فما يحصل في عصرنا هو نهب دون وخزة ضمير، وبدون مروءة نفس، ولا وجل حتى من الله .

وقال سعيد بن جبير(ت.٦١٤هـ) في وصفه لاهل العراق، والذي كان قاسيا الى حد ما في الوصف، وربما انعكس اختلال الاوضاع في الايام الاخيرة للدولة العباسية، اذ ذكر" **اناس كأنهم لا يعتقدون ان لله بلادا او عبادا سواهم، ويغلب على طباعهم الماء والهواء، ويظهرون من دونهم الانفة والاباء**"[٤٧]، ويورد لنا المؤرخ المعتبر ياقوت الحموي(ت.٦٢٦هـ) واصفا العراق قائلا" **والعراق اعدل ارض الله هواء، واصحها مزاجا، وماء..... واقليم بابل موضع اليتيمة من العقد، وواسطة القلادة، ومكان اللبنة من المرأة الحسناء، والمحة من البيضة، والنقطة من البركاء**"[٤٨]، وبهذا الوصف المجازي لأرض بابل يؤكد صحة ما وصف قبله من المؤرخين دون موارية، وفي وصف اهل العراق قال "**كان اهل العراق هم اهل العقول الصحيحة، والآراء الراجحة، والشمائل الظريفة، والبراعة في كل صناعة**"[٤٩]، وقال الحميري (ت.٧٢٧هـ) في موضع العراق قائلا " **انه وسط الدنيا، ومستقر الممالك- الجاهلية والاسلام- وعين الدنيا، وفيه دجلة والفرات، وهما الرافدان، وفيه القواعد العظيمة، والاعمال الشريفة**"[٥٠]، وذكر النويري (ت.٧٣٣هـ) راي الجاحظ في الامصار حيث ذكر " **ان الصناعة في البصرة، والفصاحة في الكوفة، والخير ببغداد**"[٥١]، واخيرا قال الابشيهي (ت.٨٥٠هـ) في وصف اهل العراق قائلا " **اهل العراق اطلب الناس للعلم**"[٥٢].وهذا ما اكدته وقائع الامور وشواهد الازمنة والعصور.

المبحث الثالث- صورة اهل العراق في كتابات الرحالة الاجانب ابان العصر الحديث.

تشكل كتابات الرحالة العرب والأجانب مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ العراق، اذ تكمن أهمية كتابات الرحالة الأجانب مصدرا مهما في دراسة أي جغرافية قد زاروها، حيث تحتوي في عددها الضخم ومادتها الغزيرة ومنهجيتها التي درست جوانب مختلفة، وممتعة من تاريخ العراق الحديث ، ولا سيما ما نقلوه عن العادات والقيم الاخلاقية للمجتمع العراقي، وسنحاول هنا رصد ما كتبوه بعض الرحالة خلال القرون التي كان العراق تحت السيطرة العثمانية ابان العصر الحديث.

لقد زار العراق مجموعة من الرحالة الاجانب، وبأوقات مختلفة، ففي مطلع القرن السابع عشر زار بغداد الرحالة الايطالي "**ديللا فاليه**" عام ١٦١٦م، منتقلا من غرب العراق الة وسط، اذ نقل لنا عن احوال المدن، ففي بغداد ذكر " **ان سكانها مسلمون من مختلف الميول، ويسوسها والي بالعقل اكثر مما بالقوة، وفيها النصارى يمارسون طقوسهم، وجاءها المسيحيون من البلدان التي شهدت حروبا ونزحوا الى بغداد ومدن اخرى بحثا عن الامان، ولكن كانوا يمارسون طقوسهم بسرية خشية السلطات العثمانية التي تضيق عليهم الخناق**"[٥٣]، وهذا ما يؤكد بلا شك ان روح التسامح بين السكان في بغداد في ذلك الوقت كانت السمة البارزة في الحياة الاجتماعية، ولكن السلطة السياسية هي من تتدخل في تفاصيل حياة العامة وتخلق الضجر عندهم.

وهكذا اخذ الرحالة الاجانب يتوافدون على العراق، سيما بعد تزايد حركة التجارة بين الشرق والغرب بعد انتهاء الحروب العثمانية الاوربية، ففي عام ١٧٩٧ زار الرحالة البريطاني "جاكسون" العراق، واخذ يتنقل بين المدن، اذ اشار لنا عن حالة الادارة العثمانية في بغداد، فذكر ان فساد الحكام العثمانيون وطرقهم في الحصول على المناصب بالغلبة كان امرا واقعا، وكذلك شيوع حالة السلب والنهب الناجمة عن العوز، الا ان الحياة العامة طبيعية في المدن، وذكر بان العراق يعد من اكثر البلدان خصبا في الكون[٥٤].

وعند مطلع القرن التاسع عشر، قام احد الضابط البريطانيين المقدم وليم هود (William Heude) وهو يعمل في شركة الهند الشرقية المتجه في طريقه من الهند الى لندن، اذ قام برحلة في زيارة العراق عام ١٨١٧، وشملت رحلته مدن البصرة وبغداد، والموصل وكردستان، اذ وصف الناس في المدن العراقية، ولا سيما اهل الجنوب والوسط التي زارها قائلا " **لا شيء يمكن أن يفوق بساطة المعيشة التي يمكن ملاحظتها في خيام هؤلاء الشرقيين الطيبين، القلم لا يمكنه وصف المجاملة والتواضع وحسن الاستقبال وكرم الضيافة الذي ينالها المسافر في هذه الصحراء التي ينعدم فيها القانون والمليئة بقطاع الطرق**" وقال كنت كثيرا ما أسأل نفسي: **يا للغرابة كل البشر سواء كانوا متحضرين او مثل لصوص الصحراء الفوضويين الذين احل بينهم الان؟ فهؤلاء يستضيفوننا ويحموننا رغم فقرهم ورغم سمعتهم بل ان رئيسهم قال ان ضيفهم لا يهم ان كان مؤمنا او كافرا أو من أين وألى أين وهو ينال الضيافة والحماية في كل الاحوال**"[٥٥]، وهذا ما يدل على روح التسامح بين العراقيين الذين لم يتأثروا بدوافع الغزاة والطامعين.

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، زار العراق مجموعة من الرحالة الاجانب الذين جابوا المدن العراقية بحثا عن المعرفة والاستطلاع عن اهلها بتكليف من مؤسساتهم العلمية والسياسية، ففي عام ١٨٦٢ اخذ القنصل الفرنسي في بغداد جولة في المدن العراقية من البصرة الى بابل وبغداد بتكليف من حكومته في باريس، ونقل لنا مشاهداته عن ديار بابل التي وصفها بانها "**تورماند اسيا**"، وشرح لنا طبيعة الحياة هناك، اذ ذكر عن خلق وكرم اهلها قائلا "**ان استقبالهم للضيف فهو استقبال عاطفي رقيق يتسم بكل ما لدى القرون الاولى من اريحية وكرم**"، ويضيف ايضا " **ان العرب –اهل العراق– ينبثون في كل نقطة من نقاط هذه الاصقاع، الحاجة باطايب الناس، فهم على اخلاق وشمائل رقيقة، وهم متسامحون، وان الاصل الذي ينتمون اليه باد للعيان في كل مكان تقريبا، واهل بابل ظهرت عليهم الخطوط الجميلة للإنسان القديم**"[٥٦]، ونستنتج من ذلك، ان ما توصل اليه القنصل الفرنسي هو دلالة واضحة على اصل انتماء ابناء الرافدين الى الجذور الحضارية الاولى في سومر وبابل دون ادنى شك في ذلك.

وبذات الشأن، زار العراق الرحالة الاسباني "**ريفادينيرا** " عام ١٨٦٩ ، اذ جاب البلاد من البصرة جنوبا حتى زاخو شمالا، واصفا احوال الناس وتفاصيل حياتهم، فقد ذكر ان سكان البصرة اناس بسطاء يعانون اهمال السلطات، ولكن اهل بغداد افضل حالا وذكر قائلا "**اذ سكانها ينعمون بمتانة البنيان وسلامة الأبدان، ويتزوّجون في الحادية عشرة من العمر، وهو وضع يبدو الأبناء معه كأنهم أخوة آبائهم**"، كما وصف العراقيين الذين التقاهم في أثناء رحلته بأنهم يكرمون الضيف، ويقدرونه، وذكر ما صادفه من طيب الناس وحسن خلقهم، اذ ذكر قائلا: "**خرجت من كركوك، يرافقني عشرة أشخاص كنت تعرفت إليهم هناك، وعندما ودعوني خارج المدينة، عانقوني بعاطفة متدفقة كما لو أنهم يعرفونني منذ الأزل**"[٥٧]، وهذا يدل بشكل قاطع على طيبة وسمو اخلاق اهل العراق ليس مع ابناء بلدهم وحسب، بل مع الغرباء الذين يحلون ضيوفا رغم اختلاف اللغة والدين والشكل.

وفي ذات الشأن، يروي لنا رحالة اخر اهتم بدراسة احوال القبائل البدو الرحل في العراق، اذ اخذ يجوب مدن وقرى وارياف البلاد من الغرب الى الشرق، ففي زيارة الرحالة "**الليندي ان بلنت**" الى بغداد ايام حكم مدحت باشا (١٨٦٩–١٨٧٢)، اذ ذكر "**ان مدحت باشا ذلك الرجل النزيه المتلهف بإخلاص لخير بلاده، ومصلحة وطنه**"، واكد ان الباشا حاول اصلاح وضع البلاد من النواحي العمرانية وبناء المدن والقلاع في غرب البلاد وشرقها، ونقل لنا الرحالة عن القيم والفضائل الاخلاقية التي تحلى بناء زعماء القبائل التي زار ديارهم، كما نقل عن مكانة اهل بغداد، وسيما سكان الكاظمية الذي وصفها بانها "**منفى السياسيين**" المبعدين من الهند وبلاد فارس، ونقل لنا الرحالة صورة عن كرم اهل بغداد وحسن الضيافة التي تلقاه في مضايف ودواوين كبار رجال بغداد ورموز عشائرها المنتشرون من نهر الفرات غربا الى نهر دجلة شرقا[٥٨].

وهكذا يظل ادب الرحلات، وكتابات الرحالة مصدرا مهما في قراءة الواقع الاجتماعي للمجتمع العراقي، والذي لم يسلط الضوء على اغلب دراسات الرحالة الاجانب، فعلى الرغم من المأخذ على كتاباتهم، الا انها تبقى جديرة بالاهتمام، وذلك لما تحتويه من معلومات ومشاهدات لم تذكرها المصادر

التاريخية خلال العصر الحديث، لان اغلب الدراسات اتخذت الطابع السياسي في ايراد المعلومات وتدوينها، وبالتالي فقدنا الدراسات الاجتماعية التفصيلية والتي ذكرها الرحالة الاجانب دون غيرهم.

الاستنتاجات:

يمكننا ان نستنتج هنا بعض الحقائق التاريخية التي اوردناها في بحثنا هذا، حول الانسان في العراق عبر العصور التاريخية، اذ وقفنا على مجموعة من الافكار والقيم والمثل التي تحلت وتجلت بها الشخصية العراقية عبر التأريخ، ومن اهم ذلك:

١. ان الانسان في العراق القديم له قصب السبق في اكتشاف الصناعة والزراعة التي كانت تشكل له حاجة من حاجات الحياة اليومية لسكان وادي الرافدين خلال الالف الخامس والرابع قبل الميلاد.
٢. شكل اكتشاف طور اختراع الكتابة في الحضارة السومرية حدثا هاما ليس في حياة ابناء سومر واكد، بل في حياة البشرية، ولابناء بلاد الرافدين السبق في رسم الحرف الاول واشكال الكتابة التي خلدت تاريخ الحضارة العراقية بعد الالف الثالث قبل الميلاد.
٣. مثلت الشخصية العراقية امتداد تاريخي للقيم والسلوك والفضائل، فالتسامح والعلم هما ابرز السمات التي انماز بها الانسان في العراق ابان العصر الاسلامي، اذ اجمع المؤرخون على مكان العراق بين الامصار، وسمو اهله بين شعوب العالم الاسلامي، فالعراق موطن العلم ومكان الدرس عبر العصور الاسلامية، ومدارس الكوفة وبغداد والبصرة دليل على ذلك التاريخ التليد.
٤. لم يختلف المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمين عن اهل العراق، فقد ذكر القيم والفضائل الانسانية التي لم يجدوها في امة اخرى، ما جعلهم يجمعون على مكانة اهل العراق بين الشعوب، وسمو ذكرهم في محافل العلم والادب والشعر والفصاحة، واضحت بغداد قبلت العالم يومذاك.
٥. لقد اوضحت لنا كتب الرحالة الاجانب صورة حياة العراقيين وطبيعة عيشهم، وشمائل اخلاقهم، فقد نقلوا لنا صورا ناصعة عن روح التسامح والالفة بين الطوائف، فعلى الرغم من سلطة الجور التي حكم العراق ايام الدولة العثمانية الا ان ذلك لم يغير طبائع المجتمع العراقي الذي انماز بالكرم والشجاعة والخلق الرفيع.
٦. كشفت لنا دراسة الرحالة الاجانب حقيقة مهمة هي ان الاضطراب الاجتماعي او الفقر والحرمان ناتج عن تدخل السلطة الحاكمة في تفاصيل حياة الناس وتدفعهم الى التذمر والخروج عن الطاعة، وبالتالي يلقى اللوم على الناس بشكل ظالم من لدن الحاكمين.

الهوامش

(١) ارجع بعض المؤرخين اصل كلمة "العراق" الى طبيعة ارضه، اذ سمي بذلك؛ لانه يمثل الامتداد الشاطئي لنهري دجلة والفرات، أي البلاد المعرضة للغرق، وذهب راي اخر الى تصحيف المفردة "اور ايكو" التي تعني مجرى المياه، وقد اطلق عليه اليونانيون لقب "Mesopotamia" اي بلاد ما بين النهرين، وراي ربط الاسم بجذور الاشجار، لانها منبت الاشجار الدائمة، ومنها سمي بارض السواد، وذلك لكثرة خيراته. للتفاصيل اكثر يراجع : ارنست هرنتسفلد، اصل كلمة العراق، ومعناها، مجلة لغة العرب، ج٨، السنة، ١٩٢٧، ص٤٤٢؛ وايضا : رزوق عيسى، معنى كلمة عراق، مجلة لغة العرب، ج٥، السنة ٤، ١٩٢٦، ص٢٨٢ .

(٢) تقي الدباغ، العراق في عصور ما قبل التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) عادل عبدالله الشيخ، بدء الزراعة واولى القرى في العراق، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة بغداد١٩٨٥، ص٣٣ وما بعدها.

(٥) موفق جرجيس سليمان، عمارة البيت العراقي القديم في عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص ٢ وما بعدها.

(٦) ارنست فيشر، ضرورة الفن، ت: اسعد سليم، القاهرة، ١٩٧١، ص٢٥.

(٧) عادل عبدالله الشيخ، المصدر السابق، ص ١٠٤ وما بعدها.

(٨) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٩) احمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، بغداد، ١٩٨٠، ص١٠٧.

(١٠) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢، ص٣٣-٤٤.

(١١) بهيجة خليل اسماعيل، "الكتابة"، حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٢١.

(١٢) كرستوفر لوكاس، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ت: يوسف عبد المسيح ثروة، بغداد ١٩٨٠٩، ص٢٠.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٦ وما بعدها.

(١٤) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٨، ص٨-٩.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٦ وما بعدها.

(١٦) برانت ايفلين كلينكل، رحلة الى بابل القديمة، ت: زهدي الداودي، د.ت، ص٣٢.

(١٧) جان بوتيرو، بلاد الرافدين – الكتابة – العقل- الالهة، ت. الاب البير ابونا، بغداد، ١٩٩٠، ص٤٤.

(١٨) اورنولد توينبي، بحث في التاريخ، ت:طه باقر، بيروت ٢٠١٤، ص١١١.

(١٩) ص. ن. كريمر، السومريون، ت. فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣، ص٤.

(٢٠) حسين فاضل جواد، الاخلاق في الفكر العراقي القديم، بغداد، ١٩٩٠، ص١٣٠ وما بعدها.

(٢١) للتفاصيل اكثر عن الفكر السياسي في العراق القديم ، يراجع: حسين سيد نور الاعرجي، مفهوم العدالة في الفكر السياسي في العراق القديم ٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان، ٣-٤، السنة٧، ٢٠٠٨، ص١٩٨.

(٢٢) للتفاصيل اكثر عن حقوق الانسان في العراق القديم ، يراجع: ياسين محمد حسين، جذور حقوق الانسان في حضارة وادي الرافدين، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد٥، مج ٢، السنة ٢٠١٠، ص١٨٧ وما بعدها.

(٢٣) الطبري، تاريخ الطبري،ج٣، القاهرة ، ١٩٦٢، ص٣٧٥ .

(٢٤) محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢٥) المسعودي، اخبار الزمان، بيروت، ١٩٨٣، ص١٠٤.

(٢٦) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣٠.

(٢٧) محمد ال يوسف، اصول العرب البابلية، مبتدأ العاربة، وخبر المستعربة، بيروت، ٢٠١٣، ص١٧٣ وما بعدها.

(٢٨) سورة البقرة اية ١٠٢.

(٢٩) الطبري، تفسير القران العظيم، ج٢، القاهرة، ١٩٨٧، ص٤٢٦.

(٣٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١٢٥.

(٣١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج٢، ص١٢٤ وما بعدها.

(٣٢) الدينوري، الاخبار الطوال، ص ١٤٣.

(٣٣) اليعقوبي، معجم البلدان،ج٢، النجف الاشرف، ١٣٧٧هـ، ص٢١..

(٣٤) ابن حوقل، صورة الارض، بيروت ، د.ت، ص٢١ وما بعدها.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٢١٠.

(٣٦) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٥، وما بعدها.

(٣٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٦٣.

(٣٨) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٨.

(٣٩) ابن الفقيه الهمداني، مختصر البلدان، ص٨٦.

(٤٠)الهمداني، صفة جزيرة العرب، بغداد، د.ت، ص٤٣.

(٤١) الهمذاني ، بغداد مدينة السلام، ص٧٤.

(٤٢) المقدسي، احسن التقاسيم الى معرفة الاقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص١١٣.

(٤٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، القاهرة ١٩٣١، ٤٩ وما بعدها.

(٤٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١/ ، ص ٣٤٨.

(٤٥) رُستاق كلمة فارسية معربة تعني القرى والارياف.

(٤٦) الغزالي، المنقذ من الضلال، القاهرة، د.ت، ص٤٨.

(٤٧) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٧٠.

(٤٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، بيروت، د.ت، ص٩٥.

(٤٩) المصدر نفسه.

(٥٠) الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٤١٠.

(٥١) النويري، نهاية الادب في نهاية الارب، ص٣٤٤.

(٥٢) الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج١، بيروت، د.ت، ص٣٣.

(٥٣) رحلة ديالا فاليه الى العراق – مطلع القرن السابع عشر، ت: بطرس حداد، بيروت ، ٢٠٠٦، ص ص٤٥-٤٦.

(٥٤) جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق ١٧٩٧، ت. خالد فاروق عمر، ص١٢.

(٥٥) William Heude . A Voyage up the Persian Gulf and a Journey Overland from India to England , in 1817, p62.

(٥٦) بيير دي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤، ت. اكرم فاضل، بغداد، ١٩٦٨،ص ص٣٧-٣٨.

(٥٧) أدولفو ريفادينيرا ، من سيلان إلى دمشق، ت: صالح علماني، دمشق ، ٢٠٠٩، ص٦٠ وما بعدها.

(٥٨) الليندي ان بلنت، قبائل بدو الفرات ١٨٧٨، ت: اسعد الفارس، ونضال خضير، دمشق، د.ت، ص١٦٩ وما بعدها.

موقف نواب لواء الكوت من المعاهدات العراقية -البريطانية ١٩٢٥-١٩٣٩م

The situation of the deputies of the Kut Brigade on the Iraqi–British treaties 1925–1939

م.د. فاطمة عبد شرقي
جامعة واسط/كلية الطب

Abstract .

This study examined the position of the deputies of the Kut Brigade during the royal era regarding the treaties concluded by the government of Iraq during the monarchy with Britain, and their impact on amending the treaties of 1922 and 1928, as well as their position on the intention of the government of Al-Saeed to conclude the treaties of 1930 with the consequent restrictions and obligations on Iraq. And His Excellency, and the impact of their positions on the position of the House of Representatives on that treaty.

الملخص

تناولت هذه الدراسة موقف نواب لواء الكوت في العهد الملكي من المعاهدات التي ابرمتها حكومة العراق إبان النظام الملكي مع بريطانيا، واثر ذلك في تعديل معاهدتي ١٩٢٢ و ١٩٢٨، فضلاً عن موقفهم من نية حكومة السعيد بإبرام معاهد ١٩٣٠ مع ما ترتب عليها من قيود والتزامات على العراق وسيادته، وما اثر مواقفهم على موقف مجلس النواب من تلك المعاهدة.

كلمات مفتاحية: (نواب الكوت، المعاهدات، بريطانيا، العهد الملكي، نوري السعيد)

المقدمة

تشكل المؤسسات التشريعية في أي بلد، العمود الفقري للحكم وفق مبدأ الديمقراطية، وعلى الرغم من أن المجالس والمؤسسات التشريعية قد تخضع أحياناً الى سطوة السلطة التنفيذية في الأنظمة الدكتاتورية، غير أنها تبقى مصدر التشريع الوحيد الممثل لإرادة الشعب ومواقفه تجاه مختلف السياسات العامة والخاصة للدولة.

ولنا في التجربة البرلمانية العراقية في العهد الملكي، مثال حي، فمع أن المجلس التمثيلي في العراق في العهد الملكي كان حديث النشأة غير أنه أثبت قدرة كبيرة على التعامل مع مختلف القضايا التشريعية والرقابية، وطالما سجلت لنا محاضره مناقشات حادة واعتراضات صارمة ضد الكثير من سياسات الحكومات المختلفة وسلوكياتها العامة، لاسيما مع تعلق منها بتهديد استقلال البلاد وسيداتها وتقييد البلاد عبر عدد من الاتفاقيات مع دول اجنبية في مقدمتها بريطانيا العظمى الراعي الرسمي لتشكيل الحكومة العراقية، فقد شهد العلاقة بين العراق وبريطانيا رقابة صارمة من العديد من نواب العراق ومن بينهم نواب لواء الكوت الذين سجلوا واعتراضات وملاحظات مهمة على طبيعة المعاهدات الثنائية المعقودة بين العراق وبريطانيا، ولأهمية تلك المواقف فأننا سنتأول في هذا البحث مواقف عدد من لواء الكوت من المعاهدات العراقية البريطانية منذ تشكل مجلس النواب العراقي حتى عام ١٩٣٩.

موقف نواب لواء الكوت من العلاقات العراقية البريطانية ١٩٢٥-١٩٣٩

صادق المجلس التأسيسي على مشروع انتخابات مجلس النواب في (اب ١٩٢٤) وبذلك انبثق أول نظام برلماني عراقي ممثلاً بالمجلس النيابي الدائم في العراق في(حزيران١٩٢٥)[١]، وكان من المفترض ان تقوم وزارة ياسين الهاشمي التي تشكلت في (٢أب ١٩٢٤) بإجراء الانتخابات النيابية بعد استقالة وزارة جعفر العسكري ، الا ان تلك الوزارة ما لبثت ان استقالت في (٢١ حزيران ١٩٢٥)، من دون إكمال أجراء الانتخابات[٢] ، فشكل عبد المحسن السعدون الوزارة في (٢٦ حزيران ١٩٢٥) فكانت اول وزارة عراقية تعمل تحت إشراف برلماني، ففي (١٦ تموز ١٩٢٥) افتتح مجلس النواب جلسته الأولى والقى الملك خطاب العرش ، ثم بدأت بعد ذلك جلسات المجلس وانتخب رشيد عالي الكيلاني[٣] رئيساً لمجلس النواب[٤]، مثل لواء الكوت في الدورة الانتخابية الاولى (١٦ تموز ١٩٢٥ – ١٨ كانون الثاني ١٩٢٨) ، اربعة نواب هم كل من (احمد حالت ، محمد الصيهود ، عبد الله الياسين ، سعيد خضير[٥]، وسجلوا مناقشات عديدة على بعض القضايا المطروحة للنقاش. لاسيما العلاقة بين بريطانيا والعراق وطبيعة المعاهدات المعقودة بين الطرفين، وفي مقدمتها المعاهدة العراقية البريطانية لعام (١٩٢٦) إذ اظهروا موافقتهم كبقية نواب المجلس، مضطرين على القبول بهدف الاحتفاظ بولاية الموصل وعدم منحها الى تركيا وهو الشرط الذي املته الحكومة البريطانية على الملك وحكومتهِ ومجلس النواب لأجل توقيع المعاهدة[٦].

اجرت وزارة عبد المحسن السعدون الثالثة التي تشكلت في (١٤كانون الثاني ١٩٢٨) الى (٢٠كانون الثاني ١٩٢٩) [٧].، الانتخابات النيابية العامة في البلاد في (١٩ أيار١٩٢٨) وعقد المجلس الجديد اولى جلساته في(١٩ أيار١٩٢٨)، وقد مثل لواء الكوت في الدورة الثانية كل من (رشيد عالي الكيلاني ، عطا الخطيب[٨]، وعبد الله الياسين الذي استبدل فيما بعد بـ (عباس فضلي) الذي شغل منصب متصرف لواء الكوت، احمد حالت) [٩].

وحين عرض السعدون لائحة اتفاقية جديدة مع بريطانيا تم بموجبها اعفاء شركة النفط البريطانية الفارسية من رسوم الترانزيت ، اعترض النائب عطا الخطيب بشدة وطالب الحكومة بسحبها وحرض النواب على رفضها[١٠]، كما انتقد النائب رشيد عالي بشدة منهاج وزارة توفيق السويدي التي تشكلت في (٢٨ نيسان ١٩٢٩) فيما يتعلق بتعديل معاهدتي (١٩٢٢) و(١٩٢٦) ، وأوضح بان هاتين المعاهدتين تسيئان الى سمعة العراق ولا تلبيان طموح ابناء الشعب ، ولا تحظيان بتأييد اغلبية اعضاء مجلس النواب[١١]، وقد وجه النائب رشيد عالي انتقاداً لاذعاً لبرنامج حكومة ناجي السويدي (١٨ تشرين الثاني١٩٢٩–١١ أذار ١٩٣٠)[١٢]. وطالب الحكومة بان تأخذ مسؤوليتها التامة وتحقق الاستقلال السياسي والاقتصادي والتخلص من التبعية للحكومة البريطانية [١٣].

شهد مجلس النواب في دورته الثانية الكثير من المنازعات والاختلافات في وجهات النظر وبالأخص التي تتناول طبيعة العلاقات البريطانية العراقية فطلب الملك فيصل ايجاد مجلس نيابي يمرر معاهدة(٣٠حزيران١٩٣٠) فاضطر الى حل المجلس والشروع بانتخاب مجلس جديد [١٤]. ، وبالفعل اجريت الانتخابات في (١٠ أيلول١٩٣٠) وعقد المجلس اولى جلساته في(١تشرين الثاني١٩٣٠) ، وقد

مثل لواء الكوت في تلك الدورة الانتخابية الثالثة(أحمد حالت، عبد الله الياسين ، صادق البصام[١٥]. بهجت زينل[١٦]. وعلى الرغم من قصر عمر المجلس في تلك الدورة كان لنواب مواقف مؤثرة، وقد برز موقف نواب الكوت في دورته الثالثة، موقفاً صريحاً ضد سياسة نوري السعيد[١٧]. ولما عرض رئيس الوزراء نوري السعيد لائحة قانون تعديل الاتفاقية الخاصة بتعديل تصديق الاتفاقية التي وقعت بين الحكومة العراقية وشركة انماء النفط البريطانية التي سميت فيما بعد بشركة (نفط الموصل)، حيث وافق النائب احمد حالت وتغيب بقية النواب عن التصويت [١٨].

كانت من اهم اولويات المجلس النيابي في دورته الثالثة التصديق على المعاهدة العراقية البريطانية عام (١٩٣٠) [١٩]. وبالرغم من ان هذه المعاهدة وقعت في (٣٠حزيران١٩٣٠) من جانب وزارة نوري السعيد الاولى المشكلة في (٢٣أذار١٩٣٠) الى (١٩تشرين الاول١٩٣١) ، وفي ذلك الوقت كان المجلس النيابي معطلاً بإرادة ملكية رغبة منه في تمرير المعاهدة[٢٠] الا ان الحكومة كانت بحاجة الى موافقة المجلس النيابي وبالفعل استطاعت من الحصول على موافقة (٧٠ عضواً) من أصل(٨٨) في المجلس النيابي[٢١]، وقد انقسم نواب لواء الكوت عند التصويت الى قسمين حيث وافق على المعاهدة كل من النائب احمد حالت والنائب عبد الله الياسين وعارضها النائبان بهجت زينل وصادق البصام[٢٢]. فأصبحت تلك المعاهدة نافذة من (٣تشرين الاول١٩٣٢) ليصبح العراق عضواً في عصبة الامم بحسب بنود تلك المعاهدة [٢٣]. وهكذا لم تعد هنالك حاجة لبقاء المجلس النيابي في دورته الثالثة بعد ان أتم المهمة الملقاة على عاتقهِ، فصدرت إرادة ملكية بحلهِ وإجراء انتخابات جديدة في (١٠كانون الأول ١٩٣٢) [٢٤].

استكملت وزارة ناجي شوكت(٣تشرين الثاني١٩٣٢)الى(١٨أذار١٩٣٣) [٢٥] ، إجراء الانتخابات في(١٠كانون الأول ١٩٣٢) ، وقد مثل لواء الكوت في تلك الدورة كل من احمد حالت، عبد الله الياسين، علي محمود الشيخ علي[٢٦] ، ، محمد سليم[٢٧] ،كنواب في المجلس النيابي في دورتهِ الرابعة[٢٨] .

وكان لنواب الكوت مواقف مؤثرة في الدورة كان اولها انتقاد النائب علي محمود الشيخ علي برنامج وزارة رشيد عالي الكيلاني الاولى التي شكلها في (٢٠ اذار١٩٣٣) الى (١٩أيلول١٩٣٣) [٢٩] ، حيث انتقد الفقرة الاولى من المنهاج الذي جاء فيها ان الوزارة مهتمة بتقوية صلات المودة والصداقة مع دول العالم واحترام العهود الدولية أي بضمنها المعاهدات العراقية البريطانية السابقة[٣٠]، فقد وجه النائب علي محمود الشيخ علي انتقاده لهذه الفقرات لأنها تتعارض مع ما كان يروج لهُ السياسيين ومنهم الكيلاني في معاهدة (١٩٣٠)، واعتبر ذلك مخالفاً للمبادئ الوطنية التي شكلت على اساسها الوزارة[٣١] .

اجريت انتخابات المجلس النيابي الذي أجرتهُ وزارة علي جودت الايوبي[٣٢] الاولى (٢٧آب١٩٣٤– ٢٧شباط١٩٣٥) [٣٣] ، في (٦كانون الاول ١٩٣٤) وقد مثل لواء الكوت في الدورة الانتخابية الخامسة كل من (أحمد حالت ، وعندما ألف ياسين الهاشمي[٣٤] وزارتهُ الثانية في (١٧ آذار ١٩٣٥– ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦) [٣٥] تم انتخاب المجلس النيابي في(١٤ آب١٩٣٥) ، ومما تجدر الإشارة اليه الى ان عدد النواب في تلك الدورة زاد من (٨٨نائباً) الى (١٠٨نائب) ، وذلك بسبب زيادة اعداد السكان في البلاد، وعقد المجلس النيابي اولى جلساتهِ في (٨ آب١٩٣٥) ، فمثل لواء الكوت فيه

خمسة نواب هم كل من (أحمد حالت ، حامد الوادي ، عوني النقشلي[٣٦] ، مزهر السمرمد[٣٧] ، عبد الله الياسين) [٣٨]. شهد المجلس النيابي في دورته السادسة مواقف عديدة لنواب لواء الكوت، فعلى اثر مقتل الفريق بكر صدقي في(١١ آب١٩٣٧) [٣٩] ، استقالت وزارة حكمت سليمان في (١٧ آب١٩٣٧) [٤٠] ، فشكل جميل المدفعي وزارتهُ الرابعة في (١٧ آب١٩٣٧– ٢٥كانون الثاني١٩٣٨) ، وصدرت إرادة ملكية بحل المجلس النيابي والبدء بانتخاب مجلس جديد[٤١]، وبالفعل تمت الانتخابات النيابية في (١٨ كانون الاول١٩٣٧) وعقدت أولى الجلسات ، في (٢٣ كنون الاول١٩٣٧) ، وقد مثل لواء الكوت في تلك الدورة الانتخابية الثامنة كل من (أحمد حالت ، عبد الله الياسين ، صادق البصام ، داود السعدي[٤٢] ،عبد الغفور البدري) [٤٣] وبعد حادثة مقتل الملك غازي في (٤ نيسان١٩٣٩) اجتمع مجلس النواب تطبيقاً لأحكام المادة (٢٠ و٢٢) من القانون الأساسي للمملكة للبت في امر الوصاية على العرش وقد تم ذلك في يوم(٦ نيسان١٩٣٩) حيث عين عبد الأله وصياً على عرش العراق ومن ثم صدرت إرادة ملكية بحل المجلس النيابي[٤٤]

الخاتمة

على الرغم من أن معظم نواب الكوت لم يكونوا ممثلين حقيقين لمدينتهم، غير أن العديد من تمكن من تأدية دور مهم للغاية في مناقشات مجلس النواب العراقي، عبر معارضة بعض سياسيات الوزارات المتعاقبة، وفي مختل فالقضايا الداخلية والخارجية، غير أن العلاقة مع بريطانيا توقيع المعاهدات معها كانت من أكثر القضايا التي تعرض لها نواب الكوت، اذ عارض معظمهم سعي الحكومة العراقية لتوقيع المعاهدات مع بريطانيا رغم تفهمهم لمواقفها في أطار الموقف الدولي الذي كان قائم يومذاك. كما حدث على سبيل المثال حينما وافقوا على تمرير بعض المعاهدات لضمان موقف بريطانيا السياسية والعسكرية في الحفاظ على المملكة العراقية وضمان حقوقها مع بعض دول الجوار.

كانت مواقف نواب الكوت مبنية على أسس منطقية وليست معارضة لغرض المعارضة، فعلى الرغم من اختلاف خلفياتهم الثقافية والاجتماعية غير أنهم عارضوا معظم الأحيان الذهاب بعيداً في علاقات بلادهم مع بريطانيا، وفضلوا تنويع تلك العلاقة مع دول أخرى على أمل أن لا تتحول العلاقة مع بريطانيا الى نوع من التبعية السياسي أو حتى الاقتصادية، ولذلك وجدناهم عارضوا حتى التوسع في الاتفاقيات الاقتصادية مع بريطانيا وليس فقط العلاقات السياسية.

نجح نواب الكوت على الرغم من نجاح الحكومة في تمرير المصادقة على معظم المعاهدات مع بريطانيا، في تثبيت موقف الكوت مما كان يحدث وبالتالي لم يظهروا بمظهر الضعيف أو الموالي للسلطة في جميع حالاتها وقراراتها، الامر الذي سمح لهم بممارسة دور أكبر في مناقشات المجلس وقضايا الامة العامة في المرحلة اللاحقة من تاريخ المجلس التشريعي في العراق.

حافظ نواب لواء الكوت على روح الديمقراطية في مناقشات المجلس والتزموا بالسلوكيات العامة على الرغم من أن معظمهم لم يكن يتسند في مواقفه على أحزاب قوية أو تجمعات عشائرية فاعلة.

الهوامش

(١) جريدة الوقائع العراقية ، العدد١٨٨ ، في ٩ حزيران ١٩٢٥؛ فائز عزيز اسعد ، انحراف النظام البرلماني في العراق ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٥) ، ص٢٩ .

(٢) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج١ ، ص٢٤٠ .

(٣) هو رشيد بن عبد الوهاب بن عبد القادر بن مراد الكيلاني ، ولد في بغداد(١٨٩٨) نشأ وتربى تربية دينية ، دخل المدارس الحكومية فأكمل مراحل التعليم العام ، ودخل كلية الحقوق وتخرج منها بدرجة امتياز ، أكمل التطبيقات القانونية في اسطنبول وكان يتقن اللغة التركية والفارسية والكردية والانكليزية والألمانية إضافة الى إلمامه باللغة الفرنسية ، تولى العديد من المناصب في العهد الملكي ، شغل منصب وزير العدلية في وزارة ياسين الهاشمي في(٢ أب ١٩٢٤) ، ووزيراً للداخلية في وزارة السعدون الثانية(١٩٢٥) ، انتخب اكثر من مرة رئيساً لمجلس النواب ونائباً عن الكوت في الدورة الانتخابية الثانية كلف برئاسة الوزراء اكثر من مرة ، تعاون مع العقداء الأربعة للإطاحة بالوصي عبد الاله في عام (١٩٤١) ، وقد شكل حكومة الدفاع الوطني برئاستهِ لكن الحكومة اسقطت وهرب الكيلاني الى المانيا عن طريق ايران ، توفي في(٢٨ أب ١٩٦٥) ، للمزيد انظر نجم الدين السهروردي ، التاريخ لم يبدأ غداً ، ط١ ، شركة المعرفة للنشر والتوزيع ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ص١– ٣ ؛ قيس جواد الغريري ، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية حتى عام١٩٤١، رسالة ماجستير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد١٩٨٩.

(٤) لطفي جعفر فرج ، المصدر السابق ، ص ص١٧٨ – ١٧٩

(٥) سعيد خضير من الاسر البغدادية العريقة، عمل الى جانب السياسة في المهن الحرة ، مثل لواء الكوت في الدورة الانتخابية الاولى ، وكان دوره فاعلاً ومواقفهُ بارزة في مناقشة القضايا المطروحة في المجلس ، عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج١٠ ، ص٢٩٠

(٦) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات ، ج٢ ، ص٨٥ .

(٧) محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الاولى ، الاجتماع الاعتيادي لسنة١٩٢٦، الجلسة(١١) ، في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٦ ، ص ص٨٣ –٨٤ .

(٨) كان شاعراً واديباً بارزاً عمل في الصحافة ورأس تحرير جريدة (الارشاد) ثم أصدر جريدة (هدى الاسلام عام ١٩١٥) ، عين نقيباً في نقابة الافتاء في بغداد عام(١٩١٦) ونفي الى الهند ، عاد الى بغداد(١٩٢٠) ، انتخب نائباً عن الكوت في الدورة الثانية عام(١٩٢٨) ، عبد الله الجبوري ، موسوعة أعلام العرب ، ج١ ، بيت الحكمة ، (بغداد ، ٢٠٠٠) ، ص٣٦٥

(٩) المصدر نفسه ، ص٢٩٣

(١٠) الاجتماع غير الاعتيادي لسنة١٩٢٨ ، الجلسة (١٨) في١٦تموز ١٩٢٨، ص ص٤٢٢ – ٤٢٣ .

(١١) جريدة العالم العربي ، العدد١٧٤٥ ، في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٩ ؛ جريد العراق العدد ٢٩٢٤ ، في ١٩تشرين الثاني ١٩٢٩ .

(١٢) محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الثانية ، الاجتماع الاعتيادي الثاني لسنة١٩٢٩ ، الجلسة(٢٦) ، في ٢٣تشرين الثاني١٩٢٩ ، ص٥٥ .

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) جريدة الوقائع العراقية ، العدد ١٨٣ ، في٧ تموز ١٩٣٠

(١٥) ولد في بغداد عام (١٨٩٩) نشأ وتربى فيها ، ودخل المدرسة الملكية الاعدادية وانتقل منها الى اسطنبول عام(١٩١٥) ومنح رتبة ضابط احتياط واشترك في حرب ازمير ،وبعد الهدنة عام(١٩١٨) عاد الى بغداد ومارس التجارة وفي عام(١٩٢٢) دخل كلية الحقوق وتخرج منها عام(١٩٢٥) ، تولى رئاسة تحرير جريدة الوقائع العراقية عام(١٩٢٤) انتخب نائباً عب الكوت في الدورة الانتخابية الثالثة ، ثم أُعيد انتخابه نائباً عن لواء الديوانية مرتين ، تقلد العديد من المناصب الإدارية حيث تولى إدارة مديرية الأملاك والاراضي عام(١٩٣٥) ، عين وزيراً للمعارف في وزارة ياسين الهاشمي الثالثة ، فاولى كلية الحقوق اهتماماً كبيراً اذ خصص لها مبالغ كبيرة واستقدم الأساتذة المتخصصين في هذا المجال للنهوض بمستواها ، انظر سعيد عبد علي المكصوصي ، دور نواب الكوت في البرلمان العراقي (١٩٢٥– ١٩٣٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة واسط ، ٢٠٠٦ ، ص٦٠ .

(١٦) من مواليد بغداد(١٨٩٤) ، تخرج من كلية الحقوق عام(١٩١٤) ، مارس المحاماة عام(١٩١٨) انتمى الى نقابة المحامين في(٦كانون الثاني١٩٣٤) وانتخب رئيساً لها في نفس السنة ثم اعيد انتخابه لأربع دورات متتالية كرئيس للنقابة ، يعتبر من مؤسسي

النادي العلمي الوطني في بغداد عام(١٩١٢) ، الذي كان ينادي بالفكرة القومية انتخب نائباً عن لواء الكوت في الدورة الثالثة في(١٠ أيلول ١٩٣٠) ، باقر امين الورد ، المصدر السابق ، ص١٦٧ ؛ سعيد عبد علي ، المصدر السابق ، ص٦١ .

([١٧]) سياسي لامع من ابرز زعماء الفكرة العربية ولد في (بغداد ١٨٨٨) ، اتم دراسته العالية في المدرسة الحربية في اسطنبول فتخرج منها عام(١٩٠٦) ، برتبة ملازم ثانٍ التحق بالجيش العثماني في العراق شارك في حرب البلقان ، شارك في احداث الثورة العربية (١٩١٦) ، رافق الأمير فيصل في رحلاته الى اوربا للدفاع عن القضية العربية شغل منصب رئيس أركان الجيش عام(١٩٢١) ووزارة الدفاع (ست مرات) ، ألف أول وزارة عام(١٩٣٠) ، ثم شغل رئيس وزراء (ثلاث عشرة مرة) كان اخرها في عام(١٩٥٨) حيث اطيح به بثورة (١٤تموز١٩٥٨) عن سيرتهِ ومواقفه السياسية انظر عبد الرزاق احمد النصيري ، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام(١٩٣٢) ، مكتبة اليقظة العربية ، ط٢، (بغداد ،١٩٨٨) ؛ توفيق السويدي ، المصدر السابق ، ص ص٨٣-٨٥

([١٨]) الاجتماع الاعتيادي الثاني لسنة(١٩٣١) ، الجلسة(٥٤) في١٤ أيار١٩٣٢ ، ص ص٥٧١- ٥٧٣ .

([١٩]) المصدر نفسه.

([٢٠]) ستيفن هيمسلي لونكريك ، العراق من(١٩٠٠- ١٩٥٠) ، ج١ ، ص٣٠٢

([٢١]) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٣ ، ص ص٨٥- ٩٧ .

(١) ([٢٢]) محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الثالثة ، الاجتماع الاعتيادي الأول لسنة١٩٣٠ ، الجلسة (٧) ، في ١٦ تشرين الثاني١٩٣٠ ، ص٧٦ .

([٢٣]) لمزيد عن بنود هذه المعاهدة ينظر عبد الرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات .

([٢٤]) جريدة الوقائع العراقية ، العدد١١٩٨ ، في١٤تشرين الثاني١٩٣٢

([٢٥]) سعيد عبد علي ، المصدر السابق ، ص٤٨

([٢٦]) ولد في بغداد في ناحية أبو غريب في(٣حزيران١٩٠١) ، دخل كلية الحقوق عام(١٩١٩) تخرج منها عام(١٩٢٣) ، عين أستاذا في كلية الحقوق ، شغل عدة مناصب وزارية كوزير للعدلية وللدفاع وكالة في وزارة حكمت سليمان (٢٩تشرينالثاني١٩٣٦) ، ووزيراً للعدل في وزارة رشيد عالي الكيلاني الثانية (٣١أذار١٩٤٠) ، ووزيراً للعدل في وزارة رشيد عالي الكيلاني الثالثة (٢١نيسان١٩٤١) ، ووزيراً للمالية في وزارة نور الدين محمود (٢٣تشرين الثاني١٩٥٢) ، ووزيراً للعدل في وزارة جميل المدفعي السابعة (٧ أيار١٩٥٣) ، عرف بمعارضته الدائمة للوجود البريطاني في العراق أدى دوراً كبيراً في معارضة المعاهدة العراقية البريطانية عام(١٩٣٠) ، نفي إلى بدرة في(١١كانون الاول١٩٣٨) سبب موافقة المعارضة للحكومة القائمة آنذاك ، علي محمود الشيخ علي ، مذكرات علي محمود الشيخ علي ، وزير الدفاع في حكومة الدفاع الوطني في وزارة رشيد عالي الكيلاني الأخيرة سنة(١٩٤١) ، تحقيق محمد حسن الزبيدي ، الدار العربية للطباعة ، (بغداد ،١٩٨٥) ، ص٢٠ .

([٢٧]) من مواليد بغداد (١٩٠٠) ، أكمل دراسته فيها وتخرج من كلية الزراعة في جامعة كاليفورنيا ، انتخب نائباً عن الكوت في المجلس النيابي في دورته الرابعة عام(١٩٣٢) ، الياهو دنكور ومحمود تقي ، المصدر السابق ، ص٩٢٧ .

([٢٨]) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج١٠ ، ص٢٩٤ .

([٢٩]) جريدة العالم العربي ، العدد٢٧٧٥ ، في ٢٠ أذار١٩٣٣ .

([٣٠]) محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة١٩٣٣ ، الجلسة (٥) ، في ٢٧ آذار١٩٣٣ ، ص٣٠ .

([٣١]) محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة١٩٣٣ ، الجلسة (٥) ، في ٢٧ آذار١٩٣٣ ، ص٣١

([٣٢]) ولد في الموصل عام(١٨٨٥) ، وكان والده رئيس عرفاء في الدرك العثماني نشأ وترعرع في بيئة فقيرة ، تدرج في المناصب العسكرية حتى سافر الى اسطنبول ودخل الكلية الحربية الثانية وتخرج ضابطاً برتبة ملازم ثانٍ ، وفي الحرب العالمية الأولى اشترك في حرب العراق مع القوات العثمانية ضد البريطانيين ، فاسر وارسل الى الهند ، ومن هناك تطوع في جيش الثورة العربية في الحجاز ، وأبدى شجاعة واضحة واخلاص في العمل عندما كان يقود الخيالة والهجانة في جيش الأمير فيصل ، وعند تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة تولى متصرفية لواء الحلة ثم لواء الصرة ، ثم وزارة الداخلية في وزارة جعفر العسكري الأولى عام(١٩٢٣) ، ووزيراً للمالية في

الوزارة السعيدية الأولى (١٩٣٠) عارض معاهدة (١٩٣٠) ، وفي(٢٠ آذار١٩٣٣) عين رئيساً للديوان الملكي ، جمعة عليوي فرحان الخفاجي ، علي جودت الايوبي ودوره السياسي في العراق ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد (جامعة بغداد ، ١٩٩٨) .

([٣٣]) جريدة الوقائع العراقية ، العدد١٣٧٦ ، في ١٦ أيلول ١٩٣٤ .

([٣٤]) زعيم عراقي ، ولد في بغداد عام(١٨٨٢) ، تعلم في الاستانة وبرلين وتخرج ضابطاً عام(١٩٠٥) انضم الى جمعية العهد، شارك في الثورة العربية عام(١٩١٦٩ تولى عدد من الوزارات في الحكومة العراقية ، ألف حزب الشعب وتولى رئاسة الوزراء مرتين ، بعد انقلاب بكر صدقي سافر الى بيروت فتوفي فيها ودفن في دمشق عام(١٩٣٧) ، للمزيد انظر ، سامي عبد الحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودوره السياسي في العراق بين عامي١٩٢٢-١٩٣٦ ، ج١وج٢، البصرة- بغداد، مطبعة حداد – مطبعة العاني ، ١٩٧٥ .

([٣٥]) جريدة الوقائع العراقية ، العدد١٤٠٩ ، في١٠نيسان ١٩٣٥ .

([٣٦]) من المحامين البارزين في العراق ، كان عضواً في لجنة الإدارة في نقابة المحامين ، انتخب نائباً عن لواء الكوت في الدورة السادسة ، الياهو دنكور ومحمود فهمي ، المصدر السابق ، ص٤١٣.

([٣٧]) احد شيوخ العشائر البارزين ، كما في العراق كان اميراً لعشائر زبيد ، ولد عام(١٨٨٢) ، وتعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب ، انتخب نائباً عن الكوت في الدورتين السادسة والسابعة ، سعيد عبد علي ، المصدر السابق ، ص٦٣ .

([٣٨]) محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٥ ، الجلسة (١) ، في ٢ تشرين الثاني١٩٣٥ ، ص ص٣- ٤ .

([٣٩]) درس في مدرسة الرشيدية ثم الإعدادية العسكرية ، تخرج برتبة ملازم ثانٍ خيال وفي عام (١٩٠٨) تخرج من مدرسة الحربية العثمانية خدم لمدة عامين ونصف العام في ادرنة ثم دخل في مدرسة الاركان الحربية في اسطنبول فتخرج منها عام(١٩١٥) ، ثم التحق بالجيش العربي السوري في حلب عام(١٩١٩) ، شغل مناصب عسكرية عديدة ، قاد انقلاباً اطاح بوزارة ياسين الهاشمي الثانية ، سيطرة على السلطة حتى مصرعهِ في الموصل في(١١ آب١٩٣٦) ، عن الانقلاب راجع ، صفاء عبد الوهاب المبارك ، انقلاب عام(١٩٣٦) ممهداته- أسبابه – نتائجهِ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧

([٤٠]) حكمت سليمان فائق الحاج طالب الكهية المسلماني ، ولد في بغداد(١٨٨٥) ، اكمل دراستهُ الثانوية فيها ، دخل المدرسة الملكية الشاهانية بارادة ملكية ، وقد أكمل دراستهُ العالية هناك ، وتخرج فعين ملحقاً إداريا لولاية بغداد ، ثم شغل بعد ذلك عدة مناصب ادارية ، شكل اول وزارة لهُ بعد انقلاب صدقي(١٩٣٦) ، اصدر جريدة سياسية اسماها البيان ، عبد الامير هادي العكام ، حكمت سليمان ودورهُ في السياسة العراقية(١٨٨٩- ١٩٦٤)، جامعة بغداد ، كلية التربية٢٠٠٨.

([٤١]) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٥ ، ص١٤ .

([٤٢]) ولد في بغداد عام(١٨٩٦) ، كان كاتباً سياسياً وباحثاً ومن كبار رجال المحاماة والحقوق ساهم في اصدار اكثر من صحيفة منها صحيفة (دجلة) عام(١٩٢١) عرفت باسلوبها الساخر ، عارض بشدة معاهدة عام(١٩٢٢) واعتقل بسبب تلك المعارضة ، كان احد اعضاء حزب الامة وانتخب معتمداً للحزب عام(١٩٢٠) ، كان احد الأعضاء المؤسسين لحزب العهد العراقي ، انتخب نائباً عن الحلة عام(١٩٣٥) شغل عدة مناصب منها مندوباً قانونياً في دائرة التدوين بوزارة العدل ، مثل لواء الكوت في دورتين انتخابيتين هما الدورة الثامنة والتاسعة ، الياهو دنكور ومحمود فهمي ، المصدر السابق ، ص٨٨٣ ؛ حميد المطبعي ، المصدر السابق ، ص ص٦٩- ٧٠ ؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج١٠ ، ص ص٢٩٩- ٣٠٠ .

([٤٣]) محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الثامنة ، الاجتماع الاعتيادي الاول لسنة١٩٣٧ ، الجلسة (٣) ، في ٦ كانون الثاني ١٩٣٧ ، ص٢٢

([٤٤]) حازم المفتي ، المصدر السابق ، ص٢٢٦ .

الموقف الدولي من البرنامج النووي العراقي (١٩٥٩-١٩٨١م)

The international position on the Iraqi nuclear program

(1959 – 1981)

م.د ابراهيم رسول حسين
مديرية تربية محافظة المثنى

Abstract .

The history of the Iraqi nuclear program dates back to 1956, when the Atomic Energy Commission was established as a result of the United States of America providing a gift that included a nuclear library and a small experimental reactor with an estimated power of about 5 megawatts within the Atoms for Peace program to encourage countries to use peaceful atomic energy and not use it for military purposes. Although the reactor did not reach Iraq to ensure benefit from it, as it was directed towards Tehran, because the United States of America considered Iraq a turbulent and politically unstable country, but the latter did not stand idly by, as it made strenuous efforts to obtain atomic energy, heading after the revolution of the fourteenth of September July 1958 towards the Soviet accreditation to achieve its goal, and this was achieved after they agreed in 1959 to establish a nuclear reactor, in addition to that Moscow received Iraqi cadres for the purpose of training them, as well as Iraq went as a kind of following a policy of diversifying its armament sources, especially during the seventies of the last century to maintain its independence and obtain On the best of the markets, in addition to that it contributes to liberating Iraq from the restrictions and conditions described by the exporting party, and obtaining various nuclear weapons, as it went towards France and concluded agreements with it to purchase a reactor called (July-1) Osirak, and the research was divided into An introduction and two chapters, the first of which carried the title of the Iraqi nuclear program 1959-1981, and the second titled the international position on the Iraqi nuclear program 1959-1981, as well as a conclusion.

الملخص

يعود تأريخ البرنامج النووي العراقي الى عام ١٩٥٦ اذ انشأت لجنة الطاقة الذرية، نتيجة تقديم الولايات المتحدة الامريكية هدية شملت مكتبة نووية ومفاعلاً تجريبياً صغيراً تقدر قوته حوالي ٥ ميكاواط ضمن برنامج الذرة من اجل السلام لتشجيع الدول على الاستخدام السلمي للطاقة الذرية وعدم توظيفها للاغراض العسكرية، على الرغم من ان المفاعل لم يصل للعراق لضمان الاستفادة منه، اذ تم توجيه نحو طهران، لان الولايات المتحدة الامريكية عدّت العراق دولة مضطربة وغير مستقرة سياسياً، لكن الاخير لم يقف مكتوف الايدي، اذ بذل جهود حثيثة للحصول على الطاقة الذرية متوجهاً بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ نحو الاعتماد السوفيتي لينال مبتغاه، وقد تحقق ذلك بعد ان اتفق معهم عام ١٩٥٩ على انشاء مفاعل نووي، فضلاً عن ذلك استقبلت موسكو كوادر عراقية لغرض تدريبها، كذلك توجه العراق كنوع من اتباع سياسة تنوع مصادر تسليحه لاسيما خلال سبعينيات القرن الماضي للحفاظ على استقلاليته والحصول على افضل ما في الاسواق، فضلاً عن انه يساهم في تحرير العراق من القيود والشروط التي يضعها الطرف المصدر، والحصول على الاسلحة النووية المتنوعة اذ توجه نحو فرنسا فعقد معها اتفاقيات الشراء مفاعل اطلق عليه (تموز – ١) اوزيراك، وقد تم تقسيم البحث الى مقدمة ومبحثين، الاول منها حمل عنوان البرنامج النووي العراقي ١٩٥٩ – ١٩٨١، والمبحث الثاني حمل عنوان الموقف

الدولي من البرنامج النووي العراقي ١٩٥٩ – ١٩٨١، فضلاً عن خاتمة، وقد اعتمد الباحث على مجموعة وثائق منشورة وغير مشددة وكتب عربية واجنبية.

كلمات مفتاحية: (البرنامج النووي، يورانيوم، تسليح، طاقة ذرية، وكالة، اتفاقيات)

المبحث الاول- بدايات البرنامج النووي العراقي ١٩٥٩-١٩٨١

يعود تأريخ البرنامج النووي العراقي الى عام ١٩٥٦ اذ أنشأت لجنة الطاقة الذرية العراقيةعلى اثر هدية امريكية في اطار برنامج (الذرة من اجل السلام) في عهد الرئيس الامريكي الرابع والثلاثين ادواين ايزنهاور(١) ، والتي كانت عبارة عن مكتبة نووية صغيرة شاملة ومفاعلا تجريبياً صغيراً بقدر ٥ ميكا واط وهدف البرنامج الامريكي في ذلك الوقت نشر معلومات حول الاستخدام السلمي للطاقة الذرية في مسعى لدفع الدول على عدم توظيف الذرة للاغراض العسكرية ، وقد تم شحن المفاعل من الولايات المتحدة الامريكية الى العراق لكنه لم يصل اثر قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨و قد أرسلت الى جامعة طهران ، لان الولايات المتحدة الامريكية عدت العراق بلد غير مستقر ، وبعد عام ١٩٥٩ وجه العراق انظاره نحو الاتحاد السوفيتي في تسليحه اذ شهد التسليح العسكري تنوع مصادرة في المجالات كافة وشمل ايضا البرنامج النووري الذي كانت له حصة من تلك الصفقات ولاتفاقيات العسكرية مع الاتحاد السوفيتي(٢).

ومع حلول عام ١٩٦٤ تطور المفاعل النوووي العراقي بصورة مميزة جدا نتيجة المساعدات المقدمة بهذا الصدد من قبل الاتحاد السوفيتي ، وفرنسا اذ زادت قدرت العراق زيادة ملحوظه ليكون تشغيلة بطاقة ١٣ ميكا واط و اصبح يملك ٧ بطاريات ذرية مع بقائة بنفس الاتجاة السلمي و قد تزامن ذلك مع تأسيس الحكومة العراقية مركز للبحوث النووية عام ١٩٦٤. في مقر مركز التدريب البريطانية الذي تم تأسيسه ايام حلف بغداد، ونتيجة نجاح العراق في زيادة الخبرات النووية بصورة سريعة استطاع العلماء تحديداً في نيسان ١٩٦٥ من تحقيق نجاح كبير في انشاء وحدت للعلاج الذري في مستشفيات العراق ، وكان البرنامج النووي العراقي في تلك المرحلة مفتوحاً وغير سري لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) و حتى الوقود النووي المستعمل في مفاعل ١٤ تموز كان مخصبا تخصيبا واطئا اذ تبلغ نسبته ١٨ % و مصنع من قبضان المنيوم من قبل الاتحاد السوفيتي ، الذي لا يصلح الا للاستخدامات المدنية والابحاث لان المفاعل نفسة مجهز لهذه الاغراض فقط(٣).

وفي عام ١٩٦٦قررت لجنة الطاقة النووية اعادة هيكلة و تنظيم عملها بعد بناء المفاعل النووية (مفاعل ١٤ تموز) و اشرف انشاء مختبرات انتاج النظائر المشعة على الانتهاء و تم دمج مركز الابحاث مع مركز المفاعل و مختبرات النظائر في تنظيم واحد اطلق عليه تسمية (مركز البحوث النووية)(٤)، وطيلة الستينيات من القرن الماضي لم يكن هناك اي خطة استراتيجية من الدولة لتوجية او استخدام البحوث من اجل تطوير برنامج نووي عسكري في العراق ،اذ كانت جميع الجهود الاكاديمية تهدف الى البحث العلمي الصرف في الفيزياء و الكيمياء و التحليل النيوتروني و انتاج النظائر المشعة لتزويد مستشفيات وزارة الصحة بها بدلا من استيرادها من بريطانيا و كان العراق آنذاك يزود الدول العربية لمجاورة بهذه النظائر ، اعيد تشكيل لجنة الطاقة الذرية العراقية عام ١٩٧٠ واصبح يرأسها وزير التعليم

العالي و البحث العلمي بصفتة الوظيفة و قد ضمت ست اعضاء من وزارات الدفاع والصناعة والصحة و الزراعة و جامعة بغداد (٥).

بدأت الحكومة العراقية في تمويل برنامج العراق النووي وقد عزز هذا التوجه اقدام صدام حسين(٦)، على اعادة تشكيل منظمة الطاقة الذرية عام ١٩٧٣ ليكون رئيس هذا التنظيم الجديد دخلت مظمة الطاقة الذرية العراقية مرحلة جديدة ، وقد انشأت لجنه ثلاثية مكونة من نائب رئيس مجلس قياده الثورة صدام حسين ورئيس اركان الجيش عدنان خير الله طلفاح ونائب رئيس الوزراء عدنان الحمداني عام ١٩٧٤(٧)، وقد اتخذت اللجنة قرارها بتطوير وتصنيع اسلحة ومعدات عسكرية لتحقيق تحقيق التوازن العسكري مع ايران و (إسرائيل) واستعانت اللجنة بمكتب استشاري في لبنان يطلق عليه تسمية (مكتب المشروعات والتنمية العربية)(٨).

بعد دراسة مستفيضة لاحتياجات العراق الضرورية وضع برنامج لإنتاج الأسلحة ،قررت اللجنة الثلاثية عام ١٩٧٥ استقطاب الخبرات الفنية اللازمة لهذا الغرض، من فنيين ومهندسين و علماء عرب وعراقيين واستدعاؤهم من مختلف دول العالم، ونجحت اللجنة وخلال مدة قياسية من جذب ما يقارب أربعة الاف من علماء الذرة والكيمياء والمهندسين الكيميائيين، وكان اغلبم من العراق ومصر وسوريا والمغرب فضلاً عن فلسطين والجزائر، وتم التعاقد معهم برواتب مجزية، علاوة على حوافز اخرى مثل منحهم منازل وسيارات(٩).

بعد ان اكملت طاقمها الفني انتقلت اللجنة الثلاثية للخطوة الثانية وهي التركيز على تطوير الأسلحة الكيمياوية والبايلوجية لأنها ابسط من الأسلحة الذرية، فضلاً عن اصرار نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين بالعمل ايضاً في مجال الأسلحة الذرية بالتوازي لإنتاج الأسلحة الكيمياوية والبايلوجية، قام بأرسال وفود الى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وكندا وبريطانيا للحصول على هذه المعدات، وعلى الرغم من الاتفاق فعلا مع بعض الشركات الامريكية لتوريد تلك المعدات، مع المعوقات التي اصطنعتها الإدارة الأمريكية ومخابراتها وعندما علمت الحكومة العراقية بذلك قررت اللجنة انشاء مصنع لهذا الغرض اسم مصنع انتاج المبيدات الحشرية ويعد اول مصنع لإنتاج الكيمياويات الحربية بطاقة قدرها الف طن سنويا(١٠).

عقدت الحكومة العراقية اجتماع في السابع من نيسان ١٩٧٥ شمل العلماء العراقيين وغيرهم من جنسيات اخرى، تمهيداً لبناء مفاعل نووي عراقي، ونتج عنه زيارة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين باريس في ايلول من العام نفسه وجرت مباحثات بين البلدين تمخضت عن اتفاق نووي تم التوقيع عليه في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥، أرسلت الحكومة العراقية ما بين مائة وخمسون ومائتين عالم عراقي الى باريس للاطلاع ودراسة التقنية النووية الحديثة هناك، وفي الوقت ذاته ارسلت مائة وخمسون من كوادرها الفنية والهندسية العراقية الى إيطاليا، تحسباً لمغادرة العلماء والفنيون العرب والاجانب العراق(١١).

كان العراق جاداً في الاستمرار في تطوير برنامجه النووي اذ لم تكن فرنسا الدولة الاوربية الوحيدة التي تعاونت مع العراق في المجال الذري بل فتح العراق قنوات اتصال مع إيطاليا في الاتجاه نفسه، كما

أجرى العراق اتصالات عديدة من اجل ضمان سلامة المشروع وتوفير متطلباته، فعمل على توثيق علاقاته مع باكستان التي تمتلك احدث تقنيه نووية في اسيا، كذلك دخلت البرازيل في الاتجاه نفسه و نتج عنها وصول بعض علمائهم لإجراء اختبارات في اماكن وجود مناجم اليورانيوم في العراق(١٢).

وفي السبعينيات انفق العراق حوالي ٧٥٠ مليون دولار على برنامجه النووي منها ٣٠٠ مليون دولار لمفاعل فرنسية و ٢٠٠ مليون دولار نفقة وقود البلوتونيوم ومنشأة الانفصال الى جانب حشد من الموظفين بلغ ٥٠٠ من المهندسين وفنيين ، وقد بدأ برنامج تخصيب اليورانيوم في استخدام النظائر بالليزر الفصل (LIS) في أواخر السبعينات من القرن الماضي (١٣).

واجه العراق صعوبات وعوائق عدة في مجال تصنيعه العسكري المحلي لاسيما بالمجال النووي، فعلى الرغم من السرية التامة في اتمام برنامجه النووي، ومن تلك الصعوبات هي محاولة الموساد الاسرائيلي التسلل الى المبنى، المعني في صناعة المفاعلين العراقيين السابع عشر من تموز والاخر الثلاثين من تموز، الواقع في بلدة لاسين سيرميز (La seyne – sur–Mer) مصنع (نافال انوستربيل)، وزرع عبوات ناسفة في المفاعلين الجاهزين لنقلها للعراق، فانفجرت العبوات الناسفة في المفاعلين يوم السادس من نيسان عام ١٩٧٩ الساعة الثالثة صباحاً واحدث دمار شامل للمفاعلين من دون الاضرار بقية المصنع(١٤).

استمرت عمليه القضاء على البرنامج النووي العراقي، اذ تم اغتيال احد علماء الذرة وعمود من أعمدة المشروع النووي العراقي العالم المصري الدكتور يحيى المشد، والذي تعاقد العراق معه، اذ استلم منصب مهم في مشروع تموز النووي، ففي حزيران ١٩٨٠ ارسلته الحكومة العراقية الى فرنسا بمهمة، إذ قضى اسبوع في المركز النووي الفرنسي، وفي اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه واثناء عودته الى فندق ميريديان في فرنسا لم يخرج من غرفته وفي اليوم التالي عثر عليه جثة هامدة(١٥).

وقد تعرض علماء اخرون الى محاولات اغتيال ففي ليلة السابع من اب ١٩٨٠، انفجرت قنبلة صغيرة قرب مبنى السنيور ماريو فيوريلي (Mario Fiorelli) المدير العام لأحدى الشركات الإيطالية التي تعاقد معها العراق لإتمام مختبرين احدهما بارد و الاخرساخن ضمن مشروع الثلاثين من تموز ونجا من العملية بأعجوبة(١٦).

واستمرت عمليات الاغتيال لتطال عام ١٩٨٠ اثنين من علماء البرنامج النووي العراقي الاول كان الدكتور سلمان رشيد سلمان في سويسرا والثاني المهندس عبد الرحمن رسول في فرنسا(١٧).

لم تبخل فرنسا في تقديم الخبرات التكنولوجية والمساعدة في بناء قاعدة صناعية عسكرية رصينة في العراق، اذ عملت على تدريب العاملين في المنظومات الفرنسية التي تم التعاقد عليها مع العراق، وتقديم خدمات مابعد البيع، وكان هدف فرنسا التغلغل في سوق السلاح العالمي هو المساهمة مع الدول المستوردة لمعداتها العسكرية ولأسلحتها في نقل خبراتها اليها من خلال مشاريع مشتركة بين البلدين او الاتفاق معها لإقامة صناعات داخل تلك الدول بترخيص من الشركات الفرنسية، اذ انشأ الفرنسيون مشاريع تخص الصناعة العسكرية مثل مشروع (سعد ١٣) المتخصص بالصناعات الالكترونية، والذي تم

انشاؤه عام ١٩٨٠ وقد عمل فيه الف وخمسمائة فني عراقي مع مائتان مهندس فرنسي وتخصص انتاجه في المجال الجوي ومنها صناعة الرادارات الإلكترونية الجوية(١٨).

تعرض برنامج العراق النووي الى ضربة موجعة ،وذلك نتيجة اختراق اربع عشر طائرة (إسرائيلية) يوم السابع من حزيران ١٩٨١ الأجواء العراقية، وقصفت مفاعل تموز النووي محدثة اضراراً جسيمة في منشآت المفاعل ومتسببة بمقتل عدد من العاملين العراقيين والفرنسيين(١٩).

المبحث الثاني- الموقف الدولي من البرنامج النووي العراقي ١٩٥٩-١٩٨١

١- فرنسا :

كان لفرنسا دور مهم وبارز في بناء البرنامج النووي العراقي ، في ظل رفض الاتحاد السوفيتي وغيرهم من منح العراق للتكلولوجيا النووية التي يرغب بها نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين وقيادة البعث في العراق ، كان لابد من التحرك بأسلوب مغاير يحمل تلك الدول على تغيير سياستها في هذا الشأن ، فعملت الحكومة العراقية على اقناع الرأي العام بسلمية نوايا العراق النووية وذلك من خلال اقدام العراق وبصورة مفاجئة على ابرام معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية (NPT) وذلك في التاسع والعشرين تشرين الاول ١٩٦٩ والتي اعطت العراق المبرر القانوني و الضوء الاخضربكافة المشتريات النووية(٢٠) .

تلبية للدعوة الموجه من قبل رئيس الجمهورية الفرنسية جاك شابان دالماس (٢١) (Jacques Chaban Delmas) زار فرنسا في الرابع عشر من حزيران ١٩٧٢ نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين على رأس وفد رسمي ضم الوفد عضو مجلس قيادة الثورة وزير الخارجية سعيد عبد الباقي(٢٢) وعضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصحة عزت مصطفى (٢٣) وعضو مجلس قيادة الثورة ووزير الاصلاح الزراعي عزت ابراهيم الدوري(٢٤) فضلاً عن وزير التخطيط الدكتور جواد هاشم وعضو مكتب الشؤون الاقتصادية في المجلس طارق عزيز (٢٥) ووكيل وزارة الخارجية شاذل طاقة(٢٦) ورئيس مجلس ادارة شركة النفط الوطنية العراقية عدنان القصاب علاوة على مدير عام ديوان رئاسة الجمهورية عدنان الحمداني(٢٧) والدكتور كامل ياسين(٢٨) السفير بديوان وزارة الخارجية وعبد الودود الشيخلي مدير التشريعات العامة في الوزارة والدكتور فاضل الجلبي(٢٩) مدير شؤون النفط العام وعدنان الكندي رئيس المؤسسة العامة للتعميم والانشاء الصناعي في وزارة الصناعة(٣٠) واستمرت الزيارة حتى السابع عشر من حزيران عام ١٩٧٢، ومثلت تلك الزيارة بداية التحول في العلاقات الثنائية بين البلدين، لأنها أسهمت وبشكل فعال في ترسيخ تأميم العراق لنفطه، وبشكل تدريجي استطاعت العلاقات بين البلدين تجاوز الاطار التقليدي للعلاقات بين الدول وتحقيق نجاحاً ملحوظاً وقد اعلن نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين خلال الزيارة رغبة بلاده في شراء مفاعل نووي فرنسي(٣١) بعد انتهاء الزيارة في السابع عشر من حزيران ١٩٧٢ اذ اصبحت فرنسا اهم حليف للعراق في المعسكر الغربي (٣٢)، مما تقدم يلاحظ حجم وقوة الوفد العراقي المشكل المشكل من شخصيات وزارية ومدراء عامين وغيرهم، وان الزيارة جاءت بعد التأميم الذي استفاد منعه العراق مما يدل على توجه العراق نحو البناء من خلال كتم خبرات دول العالم كافة لاسيما فرنسا للنهوض الشامل بالواقع الاقتصادي والزراعي والصناعي والعسكري وخاصة النووي.

وقع العراق عام ١٩٧٤ اتفاقية تسليح مع فرنسا بلغت قيمتها خمسة عشر مليار فرنك فرنسي وشملت الصفقة سلاح متنوع فهي تضم مفاعل نووي تبلغ قوته ٥٠٠ ميغا واط مع قطع السلاح ويعد ذلم نجاح في طريق تنويع مصادر تسليحه (٣٣).

زار وفد عراقي فرنسا في اب ١٩٧٤ لإجراء مفاوضات بشان التعاون النووي، اذ اجتمع الوفد مع رئيس الطاقة الذرية الفرنسية آندريه جيروا (Andre Girault) وفي نهاية الاجتماع سلم الوفد طلبه بتدريب علماء عراقيين وتجهيزه بمفاعل نووي ،على ان يتم اكمال المناقشة خلال زيارة الرئيس الفرنسي جاك شيراك (Jaeques chirac) (٣٤) للعراق(٣٥).

اتخذت الحكومة العراقية قراراً استراتيجياً هاما بالتطلع الى فرنسا للحصول على التكنلوجيا النووية المتطورة، سيما بعد ان اعربت فرنسا عن رغبتها في التعاون النووي مع العراق الذي جاء انعكاساً لطبيعة العلاقات المتطورة بين البلدين وعلى الأصعدة كافة(٣٦).

بدأ التعاون النووي العسكري بين فرنسا والعراق عام ١٩٧٤، عندما زار جاك شيراك رئيس الوزراء الفرنسي بغداد وجرت مفاوضات بين الطرفين وأعطى موافقته المبدئية بتجهيز العراق بمفاعلين نوويين احدهما من نوع آيزيس (Isis) وهو مفاعل تجارب وابحاث ومفاعل كبير اوزيراك(Osirak) قوته ٧٠ ميكا واط حراري والذي صممه المهندس الفرنسي (يافيس جايراد Yves Girad) وكان العراق بحاجة الى ما يكفيه من الطاقة الكهربائية لغرض للتنمية الصحية والصناعية والزراعية(٣٧).

اثمرت الزيارة عن عقد اتفاق تعاون في المجال النووي مع فرنسا، لبناء محطة نووية في العراق وتعمل على تدريب الفنيين والعلماء العراقيين عليها وقد بلغت تكلفة المحطة كما ذكر المسؤولون الفرنسيون اربعمائة مليون دولار، وتم ابرام الاتفاقية وتوقيعها بشكلها النهائي بعد عام كامل(٣٨).

وقع العراق في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥مع فرنسا، اتفاقية تعاون نووي بلغت قيمتها مليار واربعمائة وخمسون مليون فرنك فرنسي، تقوم فرنسا بموجبه بتسليم المركز جاهز للأبحاث النووية على ان يبدأ العمل فيه بعد ستة الى سبعة اعوام، وتزويده بمفاعل قوته سبعون ميكاواط اطلق عليه (تموز – ١)، وانشاء مركز اخر صغير بقوة ثمانمائة كيلو واط سمي بـ (تموز – ٢) تيمناً بالشهر الذي تسلم فيه حزب البعث السلطة في العراق – ويضم مركز تموز للأبحاث مختبرات الكيمياء المشعة والديناميكية الحرارية، فضلاً عن تجهيزات اخرى، وكان هذا جزءا من سياسة اوسع لتطوير وتصدير التكنولوجيا النووية الفرنسية في سبعينيات القرن الماضي الى العراق (٣٩).

زار جاك شيراك (Jacques chirac) رئيس الوزراء الفرنسي بغداد عام ١٩٧٦ وكانت من ابرز نتائج الزيارة مواصلة التعاون النووي بين البلدين على الرغم من قدم تلك المباحثات التي كانت تجري بصورة مستمرة بين الطرفين (٤٠)، كما زار نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين باريس على رأس وفد رفيع المستوى(٤١) عام ١٩٧٦ مهمته شراء مفاعلين تجريبيين من فرنسا ونصبهما في منطقة التويثة في اطراف بغداد(٤٢) وقد استطاع العراق شراء مفاعل نووي من فرنسا عام ١٩٧٦ كان عبارة عن مفاعل صغير يعمل بالماء الخفيف بقدرة ثمانون كيلو وات – وبأستخدام يورانيوم عالي التخصيب وقد تم تشغيله عام ١٩٨٠(٤٣).

عاد ريمون بار(٤٤) مرة اخرى لزيارة بغداد في السابع من تموز ١٩٧٩، بينما واجهت أوروبا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص ارتفاع غير مسبوق في اسعار النفط وشحة محتملة في الامدادات، وكانت لرحلة ريمون بار ثلاثة اهداف كان اولها طمأنة العراقيين على تسليم المفاعل النووي الذي تم الاتفاق عليه مسبقاً والثاني ضمان أستمرار امدادات النفط المصدرة الى فرنسا والثالث مواكبة واستمرار تعزيز الصادرات العسكرية والمدنية الفرنسية الى العراق، شمل الاول داسو ميراج ف١ (Dassault Mirage- F1) وإمكانيات مبيعات Mirage- 2000 (٤٥).

ابدى الجانب الفرنسي رغبة استثنائياً بالتعاون العسكري مع العراق، سيما في مسألة بيع الأسلحة منذ حكم الديغوليين وصولاً الى الاشتراكيين في عهد فرانسوا ميتران (Franco Mitteran)(٤٦) الذي حاول اهمال ميادين التعاون الاخرى ومنها المجال النووي والتركيز على الجانب العسكري سيما بعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية(٤٧).

بعد انهاء القوات الجوية (الإسرائيلية) قصف المفاعل النووي العراقي في مساء السابع من حزيران ١٩٨١ غادر طارق عزيز متوجها الى فرنسا لمناقشة مبيعات الأسلحة وتوصل الطرفان الى اتفاق اولي بتزويد العراق بوسائل تطوير برنامج التكنلوجيا النووية لديها(٤٨).

٣- الاتحاد السوفيتي

وضعت القيادة السياسية في العراق الخطط والبرامج التي من شأنها تقوية التعاون مع الاتحاد السوفيتي لأسباب لها صلة وثيقة بالالتقاء بالقوى الاشتراكية الدولية وهي مسألة ضرورية سيما في ميدان الحاجة الى التسليح والتنمية، مسألتين حظيتا بأهمية بالغة لدى الحكومة العراقية، اذ ان امتلاك السلاح المتطور والفعال عد من ابرز عوامل القوة، والحاجة للتنمية التي تتعلق بطبيعة المهمات التي تتجاوز الاطر الاقليمية الى الاطر القومية في مواجهة قوى دولية ذات امكانيات عسكرية وسياسية واقتصادية كبيرة جداً (٤٩).

بعد نجاح ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ اعلن رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم (٥٠) انسحابه من حلف بغداد مما ادى الى دفع الولايات المتحدة الامريكية من التنصل عن وعودها بانشاء مفاعل نووي للابحاث في العراق و قدمت العرض الى ايران و اصبح للعراق لجنة للطاقة الذرية من دون اي قاعدة بحثية للتطوير العلمي للطاقة الذرية ولذا قامت الحكومة العراقية في السابع عشر من اب ١٩٥٩ بعقد اتفاق مع الاتحاد السوفيتي يشمل على معونة صناعية و زراعية بموجبها انشا السوفيت عداً من المصانع في العراق و تضمنت الاتفاقية انشاء مفاعل نووي للابحاث بقدرة ٢ ميكا واط سمي بمفاعل ١٤تموز للابحاث تيمنا بثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ و قد اخذ الاتجاه النووي العراقي يأخذ طريق اخر في غضون عام ١٩٥٩ لاسيما وانه تم ارسال ٣٧٥ طالب عراقي الى الاتحاد السوفيتي لغرض دراسة التكنولوجيا النووية و في تموز ١٩٦٠ تم التوقيع على بروتوكول نهائي لبناء مفاعل نوي تجريبي و سلمت موسكو بغداد اليورانيوم ٢٣٥ المخصب بنسبة عالية و بادرت الى تأهيل خبراء عراقيين لادارتة و كان الاسم المتداول له وفق الرموز الغريبة (IRT 2000) وانشى في موقع التويثة على بعد ٢٦ كم جنوب شرق بغداد(٥١).

بعد اتمام مفاعل ١٤ تموز والذي اصبح جاهزا للتشغيل في تشرين الثاني ١٩٦٧ تقرر نقل مركز البحوث النووية الى التويثة حيث مقر المفاعل عام ١٩٦٨ ، رافق ذلك اسس السوفيتي هناك مركز للنظائر المشعة المستخدمة في بحوث الطبية و جرت و بحسب الاتفاق مع السوفيت لتزويد مفاعل ١٤ تموز باليورانيوم ، و بعد ابرام العراق معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية (NPT) و ذلك في التاسع والعشرين ١٩٦٩ ، اصدرت وكالة الطاقة الذرية الدولية قرار يقضي بعدم ممانعتها من تزويد العراق بالمفاعلات والبطاريات و المواد المعدنية الذرية و تدريب المهندسين والفنيين لمدة ٢١ عام من قبل اعضاء النادي النووي ومن ضمنهم الاتحاد السوفيتي (٥٢).

زار وزير الدفاع العراقي حردان التكريتي(٥٣) اوائل عام ١٩٦٩ الاتحاد السوفييتي على رأس وفد، وتمخضت الزيارة عن موافقة الاخير على تزويد العراق بالأسلحة مختلفة الأنواع مع طائرات مقاتلة بناءا على اتفاق ابرم عام ١٩٥٩، وقد اعلن العراق انه بحاجة الى هذه الصفقة من الاسلحة للدفاع عن نفسه من جهة وتقديم المساعدة للدول العربية (الاردن – وسوريا) من جهة اخرى ضد تهديدات (اسرائيل)، علما ان قوات عراقية يبلغ تعدادها الف و مائتان جندي كانت موجودة في الاردن واخرى في سوريا ،بالمقابل جاء وفد سوفييتي برئاسة نائب لجنة الطاقة الذرية موركوف (Morkov) الى العراق خصيصاً لزيارة التويثة جنوب بغداد مكان معهد البحوث النووية في العراق وقد انبهر رئيس الوفد بالمعهد وعمل المفاعل، وفي الرابع والعشرين من أيار ١٩٦٩ تم التوصل الى عقد اتفاقية بين الطرفين في مجال الطاقة الذرية(٥٤).

زار نائب رئيس الجمهورية صدام حسين موسكو في الرابع عشر من نيسان ١٩٧٥ على رأس وفد حكومي رفيع المستوى ووقع مع رئيس الوزراء السوفيتي اليكس كوسجين اتفاقيتين الاولى اتفاقية قنصلية والاخرى نووية في الخامس عشر من نيسان ١٩٧٥(٥٥).

٣- الولايات المتحدة الامريكية

من الغريب ان نرى ان برنامج العراقي النووي بدأ في الواقع بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية، اذ اهدت الاخيرة للعراق مكتبة صغيرة تمثلت في تقرير المشروع النووي الامريكي المعروض بتقرير مانهاتن مفاعل صغير للتجارب قدرته ٢ ميكا واط للأغراض العلمية خلال زيارة الملك فيصل الثاني الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٤(٥٦).

اسست الحكومة العراقية ما عرف بلجنة الطاقة الذرية العراقية عام ١٩٥٦ بعد وصول المكتبة الامريكية للعراق وارتبطت اللجنة بمكتب رئيس الوزراء وكان هدفها تحقيق قاعدة علمية وتكنلوجية بالتعاون مع المؤسسات العلمية وجهات الحكومية ذات العلاقة كوزارات الصحة والمعارف والدفاع والزراعة ، وكان من اهم برامج اللجنة الذرية تدريب كوادرها واكسابها الخبرات للامساك بناحية التكنلوجيا النووية لتحقيق هذا الهدف ارسلت عدد من الطلاب الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية والاتحاد السوفيتي للدراسة بما يتناسب وحاجة العراق(٥٧) في اعقاب ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ اعلنت الثورة بقيادة عبد الكريم قاسم انسحابها من حلف بغداد مما ادى الى تنصل الولايات المتحدة الامريكية من وعدها بأنشاء مفاعل نووي للأبحاث في العراق(٥٨) رفضت العديد من الدول الغربية

التعاون مع اي دولة عربية في مجال التكنلوجيا النووية لاعتبارات عديدة منها الجهود الامريكية لوقف الانتشار النووي بسبب ضغوط اللوبي الصهيوني تحقيقا للتفوق او المزيد من الضمانات الاسرائيلة، وعلى الرغم من ذلك تمكن العراق من مواصلة جهوده والحصول على التقنية النووية بمساعدة الاتحاد السوفيتي وفرنسا(٥٩) .

اعلن العراق عام ١٩٥٩ انسحابه من جميع المعاهدات والاتفاقيات العسكرية الموقعة مع الولايات المتحدة الامريكية منها برنامج المساعدات المبرم عام ١٩٥٤، والاتفاق الاقتصادي عام ١٩٥٥ وفي الرابع والعشرين من اذار عام ١٩٥٩ اعلن العراق انسحابه الكامل من حلف بغداد(٦٠) اصدرت وزارة الخارجية الامريكية في الاول من تموز ١٩٦٦ تعليمات بشأن منع تسليح الجيش العراقي بالاسلحة ولا سيما الثقيلة منها والاسلحه المتطورة بما فيها قنابل النابالم وغيرها من المواد الكيميائية(٦١) وبقى الدعم الولايات المتحدة الامريكية (لاسرائيل) على كافة مسارات الصراع العربي لاسرائيلي العقبة الرئيسية في سبيل تطوير العلاقات العراقية _ الامريكية وهو ما اكده وكيل وزارة الخارجية العراقي خلاله مقابلة مع السفير البريطاني ببغداد عام ١٩٧٥، وأوضح ان واشنطن تصعب مهمة إعادة العلاقات بتجهيزها لاسرائيل (٦٢) .

زار وفد عراقي رفيع المستوى ومنهم عماد خدوري العالم النووي العراقي اليابان خلال عام ١٩٧٦_١٩٧٧ للحصول على مفاعل نووي لتوليد الطاقة الكهربائية (محطة كهرونووية) من شركة ميتسوبيتشي وتفاوض الجانب العراقي والشركة ووصلوا الى مراحل متقدمة من المفاوضات، ولكن في اللحظة الاخيرة من التوقيع اعتذر رئيس الوفد الياباني السيد ايتو من مواصلة المفاوضات بأمر من الشركة الامريكية (وستنكلهاوس) والتي تزود اليابان بالوقود النووي(٦٣).

٤- ايطاليا :

وجه العراق انظاره نحو ايطاليا اذ نجح في كسر طوق استيراد السلاح من مصدر واحد، فوقع العراق مع ايطاليا اتفاقية في الثالث عشر من كانون الثاني عام ١٩٧٦ بين لجنتي الطاقة الذرية العراقية والايطالية (CNEN) للتعاون المشترك ونتج عن هذه الاتفاقية قيام شركة ايطاليا (Sina-Technit) بتشييد مشروع سمي (٣٠ تموز) يتكون من مختبر لتصنيع وقود لمفاعلات انتاج الطاقة ، يتضمن قاعدة تكنولوجية لبحوث الهندسة الكيمياوية ، ومختبر فحص المواد وورشة ميكانيكية وورشة كهربائية ومختبراً لانتاج النظائر المشعة وعدد التشخيص الطبية ومحتبرات فحوص المواد . فضلا عن ذلك وقع العراق مع ايطاليا اتفاقية اخرى بين عامي ١٩٧٦ و١٩٧٨ لتأسيس مختبرات راديو كيمياء الحار التي تعالج المواد المشعة كيميائياً، فضلا عن منظومة انتاج وقود نووي لمفاعلات الطاقة وتأسيس منظومة فحوصات انتقال الحرارة والتآكل، كما تضمنت الاتفاقية انشاء مختبرات لانتاج النظائر المشعة والعدد الطبية(٦٤).

حاول الايطاليون التوجه نحو العراق لتحقيق مصالحهم التجارية، لذا حرصت ايطاليا على إقامة علاقات متينة مع بغداد، لتنافس الدول الغربية سيما فرنسا، لتصبح المورد للتكنلوجيا والمعدات العسكرية، اذ ساهمت في المشروع النووي العراقي اوزايراك، فضلا عن عقد صفقة عام ١٩٧٧ بلغت قيمتها خمسين مليون دولار لنقل اربع مختبرات لهيأة الطاقة الذرية العراقية يستخدم احداها لاستخلاص البلوتونيوم،

وشكلت تلك التكنلوجيا مقوما اساسيا في مساعدة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي على تقوية طموحاته الشخصية المتعلقة بامتلاك الأسلحة النووية(٦٥).

واصل العراق تمتين علاقاته مع ايطاليا نتيجة تدهور علاقاته مع الاتحاد السوفيتي فعقد صفقة أسلحة عام ١٩٧٨ تضمنت عشرة فرقاطات(٦٦) وفي العام ذاته وقع معها اتفاقية نووية تم بموجبها تزويد العراق بمختبر راديو كيميائي، والعمل على تدريب خمسة عشر فنيا عراقيا على استخدامه(٦٧) ولم يتوقف التعاون الثنائي بين البلدين على المعدات العسكرية بل شمل تدريب اكثر من مائة عالم وفني عراقي ممن كانوا قائمين على المشروع النووي العراقي عام ١٩٧٨(٦٨).

وافقت الشركة الإيطالية سنيا تكنت(Snia Tachiat)، وهي إحدى اهم الشركات التابعة لمجموعة فيات(FIAT)، في نيسان ١٩٧٩ على بيع اربع مختبرات نووية لصالح الطاقة النووية العراقية، علما ان الاتفاق يقضي بتجهيز العراق ب (البلوتونيوم) لصنع قنبلة واحدة في السنة وسيكون المشروع جاهز بعد عامين(٦٩).

٥- المانيا الغربية :-

لعبت الشركة الألمانية (Karl Kolb) المتخصصة بتجهيز المختبرات الكيميائية ومقرها الإداري في مدينة هيس (Hess) دوراً حاسماً ومهما في تجهيز العراق بالمواد والمعدات الكيمياوية السامة بداية الحرب العراقية – الإيرانية وعبر الوسيط المساعد اللواء الدكتور عامر السعدي الذي نال شهادة الدكتوراه في الكيمياء من تلك المؤسسة(٧٠).

استورد العراق ايضاً من المانيا الغربية بداية الحرب العراقية – الإيرانية مواد كيمياوي لانتاج غاز التابون وكانت الشركة الألمانية هير بيجر (Her berger) استلمت مبلغ قدره سبعة ملايين ومائتا الف مارك الماني قيمة الصفقة(٧١).

اجريت عام ١٩٧٧ محاولة التفاوض مع شركة (نيوكم) الالمانية لشراء ١٠ اطنان من قضبان الوقود من اليورانيوم المنضب ولكن الشركة رفضت ذلك الطلب مشيرة الى وجود صعوبات تتمثل في ان الولايات المتحدة الامريكية وكندا المرخصين لها قد اعلموها بعدم امكانية الحصول على ترخيص لهذه المواد(٧٢) .

بلغ عدد الشركات من المانيا الغربية ست وثمانون شركة ساهمت بشكل مباشر في تطوير اسلحة عراقية، إذ كان هدف العراق من التعامل مع تلك الشركات هو الحصول على تكنولوجيا متقدمة لصناعة الأسلحة والتزود بالأجهزة والمواد التي تحقق الاكتفاء الذاتي، لذا استفاد العراق من الشركات الألمانية في ثلاثة ميادين الأول هو تطوير صناعة الصواريخ والتي أصبحت لها القدرة للوصول إلى العاصمة الإيرانية طهران، و الثاني بناء مصانع الأسلحة الكيمياوية والجرثومية، اما الميدان الثالث تجهيز العراق بأجهزة الكمبيوتر المتطور، وكان هدف العراق هو الاكتفاء الذاتي في تصنيع الأسلحة المتطورة محليا(٧٣).

كان لألمانيا الغربية وفرنسا دور مهم وبارز في تكوين ترسانة من الأسلحة الكيميائية في العراق اثناء حربه مع ايران وكسبت الشركات نتيجة ذلك مبالغ طائلة، علما ان تلك الأسلحة تم شحنها عن طريق فرنسا بسبب حظر الحكومة الألمانية الغربية تصدير الأسلحة إلى اي من الدولتين العراقية والايرانية

ووقوفها على الحياد، اذ كانت المانيا الغربية تورد المعدات ذات الإستخدام المزدوج إذ يمكن استخدامها مدنيا وعسكريا، مثل المعدات والمكونات للصناعات الكيمياوية والتي تم تحويلها لإنتاج الغاز السام، اذ أنشأت الشركات الألمانية بداية الحرب مصنع كيمياوي في سامراء والذي انتج كميات لا يستهان بها من المواد السامة(٧٤).

لعب عبد الجبار عبد الغني السفير العراقي في بون دور كبير في تنسيق وإدارة شبكة الشركات الغربية خلال الحرب العراقية الإيرانية، بالمقابل قام بالدور نفسه السفير الألماني في بغداد اذ كان على علم بما موجود في المصنع الكيمياوي في سامراء(٧٥).

٦- بلجيكا :

استطاع العراق التمدد في الحصول على اسلحته ومنها النووية اذ وقع هذه المرة مع بلجيكا عام ١٩٧٦ عقد مع شركة سيبترا البلجيكية (Sebetra) لاستخلاص الفوسفات من منجم عكاشات لانتاج الاسمدة الفوسفاتية وانشاء وحدة معالجة حامض الفوسفوريك لاستخلاص اليورانيوم منه قبل استغلال الحامض لانتاج الاسمدة الفوسفاتية(٧٦)، كما وقع العراق عقدا مع شركة بلجيكية عام ١٩٨١ لاستخلاص اليورانيوم من حامض الفوسفوريك المنتج من خام الفوسفات المستخدم لانتاج الاسمدة الفوسفاتية في الشركة العامة لانتاج الاسمدة في القائم غرب العراق، وقد بلغت الطاقة التصميمية لتلك الوحدة نحو ستون طن من اليورانيوم سنويا، اذ تم بنائها بعد اربع سنوات من توقيع العقد، وبلغ إنتاجها مائة وستون طن من مادة ثنائي يورنات الامونيوم وهي مادة أولية لليورانيوم يتوجب تنقيتها واستخلاص اليورانيوم منها في معمل تم بنائه لهذا الغرض(٧٧).

٧- البرازيل :

عُد البرازيل من الدول المهمة في تصدير السلاح إلى العراق، اذ تمكن الأخير من إقامة علاقات عسكرية مع البرازيل كمصدر لتنويع مصادر تسليحه، لذا عقد معها صفقة اسلحة عام ١٩٧٦ تضمنت ثمانمائة وخمسون مركبة عسكرية طراز (EE-3, EE9) فضلا عن مائتا شاحنة عسكرية وقد بلغت القيمة الإجمالية للصفقة ثمانمائة وست وعشرون مليون دولار(٧٨) وفي العام نفسه وقعت مع العراق صفقة لتزويده باليورانيوم والاتفاق على تدريب الفنيين العراقيين(٧٩).

تفاوض الرئيس العراقي صدام حسين عام ١٩٧٩ على اتفاقية للتعاون النووي مع البرازيل مدتها عشر سنوات والزمت الأخيرة بتزويد العراق بكميات كبيرة من اليورانيوم الطبيعي المنخفض القيمة، فضلا عن تقنيات للمفاعل ومعدات تدريب(٨٠).

وقع الجانبان في الخامس من كانون الثاني ١٩٨٠ اتفاقية نصت على تجهيز العراق باليورانيوم الطبيعي والمشبع، فضلا عن انشاء مفاعل نووي قادر على توليد الطاقة الكهربائية وتبادل الخبراء(٨١) وفي العام نفسه حصلت الحكومة العراقية على مائتي مدرعة طراز اوروتو وكازاكافيل لتعزيز وحدات المدرعات الخفيفة(٨٢).وعلى الرغم من تعرض مفاعل تموز النووي إلى القصف الاسرائيلي في حزيران ١٩٨١، ابرم العراق عقد مع البرازيل لشراء اليورانيوم المخصب(٨٣).

الخاتمة:

يتضح لنا مما تقدم في بحثنا المتواضع ما يلي :

رغبت واصرار الحكومة العراقية على امتلاك برنامج نووي متكامل ستجعله يقليص الاعتماد على موردي الاسلحة الاجنبية وتمكنه من حماية نفسه ضد اي اعتداء خارجي وهذه الاسلحة والنووية منها ستتيح له ان يصبح قوى عربية عظمى، فضلاً عن ذلك نلاحظ بقاء الصراع العربي – الاسرائيلي من اهم العقبات التي وقفت بوجه تحسين العلاقات العراقية الامريكية منذ عام ١٩٥٨ حتى نهاية السبعينيات القرن الماضي، والعمل على احباط البرنامج النووي بكل الطرق كانت البداية الصحيحة في البرنامج لنووي العراقي الذي ارسى القاعدة الاساسية لدخول العراق آنذاك ساحة العلوم والتكنولوجيا تحت غطاء الاستخدامات السلمية للطقة الذرية.

ونلاحظ كذلك ان العراق حرص على تقوية جيشه وتجهيزه بالأسلحة والمعدات الحديثة لاسيما النووية والكيمياوية منها، فضلاً عن تدريب كوادره العسكرية وزجها في دورات ومعسكرات تدريبية في مختلف دول العالم. نجح العراق في بناء ترسانته النووية نجاحاً باهراً استمر حتى السابع من حزيران ١٩٨١ ولكن ما يعاب على البرنامج النووي العراقي انه كان مكشوفاً ولم يحط بالسرية التامة والدليل سهولة وصول الطائرات F15و F16 الاسرائيلية في حزيران ١٩٨١ الى المفاعل ومن ثم تدميره بعملية اطلق عليها عملية آوبرا.

الهوامش

١- ادوايت ايزنهاور (١٨٩٠-١٩٦٩):ولد علم ١٨٩٠ الرئيس الرابع و الثلاثين للولايات المتحدة الامريكية كان رئيس اركان الجيش قوات التحالف خلال الحرب العالمية الثانية و خطط و اشرف على عملية غزو فرنسا و المانيا خلال عامي ١٩٤٤-١٩٦٥ اصبح عام ١٩٤٩ اول قائد لقوات حلف الناتو راجع عام ١٩٤٨-١٩٥٠ رئيس جامعة كومبيا توفي عام ١٩٦٩ للمزيد ينظر : حيدر عبد الجليل عبدالحسن الحربية ، الدور الفرنسي التربية الاساسية جامعة بابل العدد ١٣ ، ايلول ٢٠١٣ ، ص ٣٨٦

٢- ظافر سلبي واخرون ، معالم واحداث غير مكشوفة في البرنامج النووي الوطني العراقي ١٩٨١-١٩٩١ ،ط ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ٢٠١١ ، ص ص ١٧-١٩.

٣- حيدر عبدالجليل عبدالحسن الحربية ، المصدر السابق ، ص ص ٣٨٩-٣٩٠

٤- علاء محمود التميمي ، الأثير النووي قصة القنبلة الذرية العراقية ،ط، الناشر e-kutmb ، لندن ،٢٠١٩ ، ٣٢-٣٤

٥- المصدر نفسة ، ص ٣٥

٦- صدام حسين (١٩٣٧-٢٠٠٦): و ولد عام ١٩٣٧ في مدينة تكريت ،اذ عاش يتيما و قد تزوج عمة ابراهيم الحسن امه بعد وفاة والده ولم يحسن التعامل معه ، سافر الى العاصمة بغداد ليعيش مع خالة خيرللة طلفاح ، دخل عام ١٩٤٧ المدرسة بعد ان اكمل تعليمة الابتدائي دخل ثانوية الكرخ عام ١٩٥٥ ، انظم الى صفوف حزب البعث عام ١٩٥٧ ، شارك عام ١٩٥٩ في محاولة اغتيال رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم هرب على اثرها الى سوريا ثم منها الى مصر اذ اكمل تعليمة الثانوي بعد الثامن من شباط ١٩٦٣ عاد الى العراق و في عام ١٩٦٤ تم ترقيتة الى عضو قيادة قطرية في الموتمر السابع للحزب ،شارك في انقلاب السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، وفي عام ١٩٦٩ اصبح نائب رئيس مجلس قيادة الثورية و نائب الامين العام الحزب البعث ، استلم عام ١٩٧٩ الحكم بعد ان اقدم احمد حسن البكر استقالتة ، في عهده خاض العراق معركة مع ايران استمرت من ١٩٨٠-١٩٨٨ ، قام بغزو الكويت عام ١٩٩٠ وفي نيسان ٢٠٠٣ سقط حكم حزب البعث اعدم في كانون الاول ٢٠٠٦ للمزيد ينظر : حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية _ الاحزاب و الجمعيات و

الحركات والشخصيات السياسية والقومية والدنية في العراق ، موسسة العارف للمطبوعات ، بيروت ،٢٠٠٧ ، ص ص ٣٤٢-٣٤٤ حازم صاغية بعث العراق سلطة صدام قيامة و حطاما ، ص ٢ دار الساقي ،لبنان ٢٠٠٤ ص ص ٣٩-٤٨

٧- عدنان الحمداني (١٩٣٨-١٩٧٩ولد عام ١٩٣٨ دخل كلة الحقوق نهاية الخمسينات القرن الماض و نظم الى حزب البعث الدوري العسكرب شارك في انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣رجعنقلال ١٩٦٨ عضة في القيادة القطرية الموقتة التي شكلت في الاردن داخل معسكرات الجيش العراقي اصبح وزيرا والمسؤول الاول عن تسويق النفط ، اصبح رئيسا لديوان رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٩ اعدم في ثامن من اب ١٩٧٩ بعد يومين من تسلمة المنصب للمزيد من المعلومات ينظر : حسن لطيف الزبيدي المصدر السابق ٤١٢

٨- إسماعيل صادق، ماذا تبقى من صدام للتاريخ ، د.ط ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ص١٣٤ – ١٣٥ ؛ مجلة الوطن العربي، (باريس)، العدد٣١٢، شباط١٩٨٤، ص١٧؛ Travis Haycraft Travis Haycraft ,The Guns of al-p fao : Saddam , the War and the weapans that made it seoposible , undergraduate Hanors these ,2018.p20 . svet,op,cit,p.176. ، حيدر عبد الجليل عبد الحسين الحرية ، المصدر السابق ، ص ٣٩٤ .

٩- إسماعيل صادق، المصدر السابق، ص١٣٥.

١٠- عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي النفط – التنمسة . الحروب . التدمير . الآفاق ١٩٥٠-٢٠١٠ ، ترجمة محمد سعيد عبد العزيز ، دار الكنوز الادبية ، لبنان، ١٩٩٥، ص١٣٥.

١١- منذر الموصلي، قراءات في حرب الخليج (عرب وفرس) صراع المصائر .... بدأ بذي قار واختتم في القادسية وحسم في الخليج ، د.ط ، دار العروبة . ١٩٨٨، ص٤٣٦.

١٢- منذر الموصلي، المصدر السابق، ص٤٣٦ ؛ عادل محمد حسين العلّيان، المصدر السابق، ص١١٦؛ C.I.A The Iraqi Nucleov program: progress Despite Setbacks, June 1983,p.12.

١٣- حيدر عبد الجليل عبد الحسين حربية ، المصدر السابق ، ص ٤٠٠ .

١٤- مجلة الوطن العربي، (باريس)، العدد ١٤٤، نيسان ١٩٧٩، ص٣٢ ؛ محمد عبد الله العزاوي، العلاقات العراقية الفرنسية دراسة تاريخية سياسية ١٩٦٨-٢٠٠٣، ص٧٧ ؛ .Anthony H.cordesman,op,cit.p.84.

١٥- منذر الموصلي، المصدر السابق، ص٤٣٧ ؛ عماد خدوري، سراب السلاح النووي العراقي مذكرات واوهام، ط١، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٣، بيروت، ص٩٧ ؛ عادل محمد حسين العلّيان، العراق في السياسة الامريكية المعاصرة ١٩٨٠-٢٠٠٣ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠١١، ص١١٩ ؛ سعد البزاز، الحرب السرية خفايا الدور الإسرائيلي في حرب الخليج، ط٢، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، لندن، ١٩٨٧، ص٦٤.

١٦- منذر الموصلي، المصدر السابق، ص٤٣٧.

١٧- وليد خالد يوسف حمادي، العلاقات العراقية – الفرنسية للفترة (١٩١٨-١٩٨٨) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، جامعة المستنصرية ، ٢٠٠١، ص١٢٤.

١٨- المصدر نفسه، ص ص١٣٠ – ١٣١.

١٩- هلبين محمد احمد، (موقف المملكة العربية السعودية من حرب الخليج الأولى والثانية ١٩٨٠ – ١٩٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ٢٠١٦، ص٤٧ ؛ سعد البزاز، المصدر السابق، ص٦٨ ؛ مجلة مشوار، (لبنان)، العدد١٥٧، تموز ١٩٨١، ص١٣ ؛ علي عجيل منهل، ملف عن العدوان الصهيوني على مفاعل تموز النووي، د.ط، بغداد، ١٩٨١.

٢٠- حيدر عبد الجليل عبد الحسين حربية ، المصدر السابق ، ص ٣٩١ – ٣٩٢ .

٢١- جاك شابان دا الماس (١٩١٥-٢٠٠): ولد عام ١٩١٥، عمل بعد تخرجه من الدراسة في الخدمة العسكرية، وفي عام ١٩٤١ عمل في وزارة الانتاج الصناعي النظام الفيشي، اصبح رئيس بلايه بوردو من عام ١٩٤٧حتى ١٩٩٥، انظم عام ١٩٥٤ الى مكرمة بيارمندبس فرانس كوزير للأشغال العمومية، توفي عام ٢٠٠٠للمزيد ينظر ar.m.wikipedia.org.

٢٢- سعيد عبد الباقي (١٩٣٩-١٩٨١) سياسي عراقي ولد عام ١٩٣٩ في مدينة الانبار، اكمل مسيرته الدراسية فأكمل الابتدائية والثانوية عام ١٩٥٩، انتقل الى بغداد وانضم الى صفوف حزب البعث واصبح احد كوادره سيما بعد انقلاب ١٩٦٨ اصبح وزيراً للاقتصاد عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث واستمر بمنصبه حتى عام ١٩٧٤، تبوء مناصب

عدة، وترأس الوفد الذي تفاوض مع شركات النفط الأجنبية عام ١٩٧٢، ثم اعفي من جميع مناصبه، وعين سفيراً للعراق في موسكو، ثم في اسبانيا، وفي حزيران ١٩٧٩ استدعي الى بغداد وتم اعتقاله بتهمة التآمر وحكم عليه بالسجن، وقتل في سجنه وسلمت الى زوجته في حزيران ١٩٨١. ينظر: حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية، روح للنشر، د.م، ١٩٩٠، ص ص ١٩٠ – ١٩١.

٢٣- عزت مصطفى (١٩٢٥ – ٢٠٠٤) ولد عام ١٩٢٥ في محافظة الانبار، واصل دراسته حتى تخرج من كلية الطب في سوريا عام ١٩٤٩، اصبح عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث بعد انقلاب السابع من تموز ١٩٦٨ واستمر في منصبه حتى عام ١٩٧٧، عين وزيراً للصحة للمدة (١٩٦٨ – ١٩٦٩) وفي عام ١٩٧٦ اصبح وزيراً للعمل ثم وزيراً للبلديات وفي آذار عام ١٩٧٧ تم تجريده من مناصبه ووضعه تحت الإقامة الجبرية، بعد رفضه تنفيذ عدد من القرارات المتعلقة بإعدام معتقلي انتفاضة صفر (شباط / ١٩٧٧) عندما كان يشغل رئيس المحكمة الخاصة، توفي في الثالث والعشرين من عام ٢٠١٤. ينظر: حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية ،ط٢ ، شركة العراف للمطبوعات ، لبنان ، ٢٠١٣، ص٤١٨ ؛ عزت مصطفى، متاح على الرابط : .ar.m.wikipedia.org , Assecced in 14/7/2020 .

٢٤- عزت إبراهيم الدوري (١٩٤٢ – ٢٠٢٠) ولد في ناحية الدور التابع لقضاء سامراء عام ١٩٤٢ لذلك عرف بالدوري، فشل في مسيرته الدراسية، فلجأ الى العمل في المهن اليدوية، وبعد نجاح انقلاب عبد السلام محمد عارف في تشرين الثاني ١٩٦٣ اعتقل عزة الدوري وبقي في السجن حتى عام ١٩٦٧، وبعد استيلاء حزب البعث على السلطة في تموز عام ١٩٦٨، أصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة، وأسند اليه منصب رئاسة المجلس الزراعي الاعلى، ثم تقلد مناصب وزارية عدة منها وزير الاصلاح الزراعي (١٩٦٩-١٩٧٤)، ووزير الداخلية (١٩٧٤-١٩٧٩) وبعد استلام صدام حسين السلطة، أصبح عزة ابراهيم نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، فضلاً عن منصبه كعضو في القيادتين القطرية والقومية لحزب البعث، وبقي في منصبه حتى عام ٢٠٠٣ عندما تمت الاطاحة بنظام صدام حسين، وبعد ذلك توارى عن الانظار وبقي مصيره مجهولاً. ينظر: حسن لطيف الزيدي، المصدر السابق، ص٤١٧.

٢٥- طارق عزيز (١٩٣٦ – ٢٠١٥) وزير سابق، ونائب لرئيس الوزراء ١٩٩١ – ٢٠٠٣، ولد في الموصل ١٩٣٦ لعائلة مسيحية، حصل على البكالوريوس في الاعلام من جامعة بغداد ١٩٥٨، عمل محرر لجريدة الجمهورية عند انشائها عام ١٩٥٨، رئيس تحرير جريدة الجماهير عام ١٩٦٣، عاد الى العراق عام ١٩٦٨ ليشرف على تحرير مجلة وعي العمال ثم رئيس تحرير جريدة الثورة، ١٩٧٤ تولى منصب نائب رئيس مكتب الثقافة والاعلام القومي وفي العام نفسه عين وزيراً للإعلام، وفي عام ١٩٧٧ انتخب عضواً في القيادة القطرية، ثم عام ١٩٧٩ اصبح نائباً لرئيس الوزراء، عين وزيراً للخارجية عام ١٩٨٢ – ١٩٩٢، اعتقل من الخامس والعشرين من نيسان ٢٠٠٣، توفي عام ٢٠١٥. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص٣٥٤.

٢٦- شاذل طاقة (١٩٢٩ – ١٩٧٤) ولد عام ١٩٢٩ في حديثة في الموصل واصل دراسته حتى التحق بدار المعلمين العالية عام ١٩٤٦ في بغداد، وعين مدرساً في الموصل، اعتقل على اثر احداث حركة عبد الوهاب الشواف، وفي الثالث والعشرين من حزيران ١٩٧٤ اصبح وزيراً للخارجية، وفي العشرين من تشرين الأول توفي في الرباط اثر نوبة قلبية خلال حضوره مؤتمر وزراء الخارجية العرب . ينظر: حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص٣١٠.

٢٧- عدنان الحمداني (١٩٣٨ – ١٩٧٩) ولد عام ١٩٣٨، وفي نهاية الخمسينات دخل كلية الحقوق وانضم الى صفوف حزب البعث، شارك في انقلاب الثاني من شباط ١٩٦٣، اصبح بعد انقلاب ١٩٦٨ عضو في القيادة القطرية المؤقتة التي شكلت في الأردن داخل معسكرات الجيش العراقي، اصبح وزيراً للتخطيط والمسؤول الأول عن تسويق النفط، عين عام ١٩٧٩ رئيساً لديوان رئاسة الجمهورية، عدم في الثامن من اب ١٩٧٩ بعد ثمان واربعون ساعة من تسنم منصبه للمزيد: ينظر: حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص٤١٢.

٢٨- كامل ياسين (١٩٣٥ – ١٩٦٦) ولد عام ١٩٣٥ في مدينة تكريت، هو ابن عم الرئيس العراقي السابق صدام حسين، اصبح بعد انقلاب السابع عشر من تموز ١٩٦٨ عضو المكتب العسكري ثم محافظاً لديالى بعدها وزيراً للحكم المحلي، توفي عام ١٩٩٦. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص٤٧٨.

٢٩- فاضل جلبي(١٩٢٩ –): ولد في الكاظمية ببغداد عام ١٩٢٩، خبير نفطي عراقي، ينتمي إلى قبيلة طي في شمال العراق في ديار بكر، حصل عام ١٩٦٢ على شهادة الدكتوراه بدرجة امتياز من جامعة باريس عن صناعة النفط العالمية، شغل مناصب متعددة في أمور النفط والمالية والاقتصاد، عضو مجلس إدارة شركة النفط الوطنية العراقية وعضو مجلس ادارة

البنك المركزي العراقي، شغل منصب المدير التنفيذي لمركز دراسات الطاقة العالمي المؤسس من قبل الشيخ أحمد زكي اليماني لمدة اثنان وعشرون عام، أحيل على التقاعد عام ٢٠١١. للمزيد من التفاصيل ينظر: صفاء كاظم عباس، المصدر السابق، ص٩٣.

٣٠- الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام، زيارة الرفيق صدام حسين لفرنسا استفتاءات و وثائق، دار الحرية للطباعة – بغداد، ١٩٧٢، ص ص ٧-٨ ؛ فخري قدوري، هكذا عرفت البكر وصدام رحلة ٣٥ عاماً في حزب البعث ، ط١ ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠١٤، ص ١٢٦ .

٣١- محمد عبد الله العزاوي، العلاقات العراقية الفرنسية دراسة تأريخية سياسية (١٩٦٨ – ٢٠٠٣)، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص٧٠ ؛ Travis Haycraft, cit,p.11.

٣٢- صفاء كاظم عباس، تأميم النفط العراقي ١٩٧٢-١٩٧٥ (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٧، ص١٠٠.

٣٣- مجلة استراتيجية (لبنان)، العدد ٨، حزيران، ١٩٨٢، ص ٨٤ .

٣٤- جاك شيراك (Jaeques chirac) (١٩٣٢ – ٢٠١٩) رجل سياسي فرنسي ولد في التاسع والعشرين من تشرين الثاني في باريس عام ١٩٣٢ من اسرة ميسورة الحال، واصل دراسته، حتى التحق بالمدرسة القومية للإدارة العليا عام ١٩٥٧ – ١٩٥٩، لدراسة العلوم السياسية، وفي عام ١٩٦٢ عمل في مكتب رئيس الوزراء الفرنسي جورج بومبيدو، انتخب نائباً عن منطقة كوريز ١٩٦٨، فضلاً عن توليه منصب سكرتير دولة في وزارة الشؤون الاجتماعية، ثم عين وزير دولة لشؤون الموازنة، ثم وزيراً للزراعة والتنمية الريفية، وفي عام ١٩٧٤ عين وزيراً للداخلية، اصبح رئيساً لوزراء فرنسا ١٩٨٦، ثم رئيساً، ثم انتخب رئيس الجمهورية الفرنسية (١٩٩٥ – ٢٠٠٧) توفي في كانون الأول ٢٠١٩. ينظر: فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج٦ ، ط١ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٣، ص٧٥٢ ؛ جاك شيراك متاح على الرابط :.Ar.m.wikipedia.org , Asseccd in: 11/7/2020 ؛ د.ك.و، وزارة الخارجية، ملفة رقم ٥٧، وثيقة رقم ٧.

٣٥- محمد عبد الله العزاوي ، العلاقات العراقية الفرنسية دراسة تأريخية سياسية (١٩٦٨-٢٠٠٣) ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،٢٠١٣ ، ص ٧٠ .

٣٦- محمد عبد الله العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٧٠ -٧١ .

٣٧- هيفاء عباس عبد، السياسة الخارجية الفرنسية تجاه الوطن العربي للفترة ١٩٧٢-١٩٨٠، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، ١٩٨٢، ص ص ١٥٧-١٥٨ ؛ شارل سان برو، حرب الخليج لماذا تؤيد فرنسا العراق، د.ط، مطبعة جامعة البكر، ١٩٨٥، ص١١٦، حيدر عبد الجليل عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ٣٩٥ .

٣٨- سجل الآراء والوقائع السياسية في البلاد العربية، أيلول ١٩٧٥، اعداد جبران شامية، دار الأبحاث والنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص ص ١٨٣١ – ١٨٣٢.

٣٩- وليد خالد يوسف حمادي، العلاقات العراقية – الفرنسية للمدة (١٩٦٨ – ١٩٨٨)، رساله ماجستير غير منشورة، جامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، ٢٠٠١، ص ص١١٩-١٢٠؛ David A.styan, op.cit, p.177.

٤٠- هيفاء عباس عبد، المصدر السابق، ص١٠٥؛ David A styan,op. cit .p.177 .

٤١- ضم الوفد رئيس منظمة الطاقة الذرية العراقية آنذاك عبد الرزاق الهاشمي والعالم النووي جعفر ضياء جعفر ورئيس قسم النظائر المشعة في لجنة الطاقة الذرية العراقية حسين الشهرستاني وهمام عبد الخالق للمزيد من التفاصيل ينظر: عماد خدوري، المصدر السابق، ص٩٣ ؛ حسن لطيف اللزبيدي، المصدرالسابق، ص٢٣٦ .

٤٢- ظافر سلبي واخرون، معالم واحداث غير مكشوفة في البرنامج النووي الوطني العراقي ١٩٨١-١٩٩١، ترجمة عبد الرحمن اياس، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠١١ ،ص ٢٥ .

43- Anthong H.cordesman , Iraq's Military Forces:1988 – 1993 , Washington , DC 2006 , 1994.p.183.

٤٤- ريمون بار(١٩٢٤_٢٠٠٧): ولد عام ١٩٢٤في مدينة سانت دينيس، وهو اقتصادي وسياسي فرنسي، استاذ جامعي، تسلم منصب نائب رئيس المفوضية الاوربية من١٩٦٧_١٩٧٣، شغل منصب وزير التجارة في حكومة الاولى للرئيس الفرنسي جاك شيراك، توفي عام ٢٠٠٠ . ينظر ar.m.wikipedia.org.

45- David A.styan, op .cit, p.180 ؛ وليد يوسف حمادي، مجلة الوطن العربي، (باريس)، العدد١٢٦، تموز ١٩٧٩، ص١٩ المصدر السابق، ص٩٩.

٤٦- فرانسوا ميتران (Franco Mitteran) (١٩١٦ – ١٩٩٦): ولد في السادس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩١٦، سياسي ورجل دوله فرنسي، درس الحقوق في باريس، اشترك في الحرب العالمية الثانية، فجرح واقتيد اسيراً من قبل الالمان عام ١٩٤٠، وبعد عام من الاسر تمكن من الهرب، واصبح وزيراً لوزارة اسرى الحرب في الحكومة التي شكلها شارل ديغول (١٩٤٧ – ١٩٥٨)، شارك في احدى عشر حكومة وبمناصب عديدة، وفي عام ١٩٥٩ اصبح عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي، وبقى في منصبه حتى العاشر من ايار عام ١٩٨١وهو العام الذي تسنم به منصب رئيس الجمهورية، ليصبح اول رئيس اشتراكي للجمهورية الفرنسية الخامسة، وبقي في منصبه حتى السابع عشر من أيار ١٩٩٥، توفي في الثامن من كانون الثاني ١٩٩٦. للمزيد من التفاصيل ينظر ثائر صاحب شندل الحسيني، الموقف الدولي من الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠–١٩٨٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٤، ص٦٠.

٤٧- وليد خالد يوسف حمادي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

48- Oleg svet, op .cit, p243.

مجلة العلوم القانونية والسياسية ،(بغداد)، دار افاق عربية للصحافة والنشر، العدوان الأول والثاني، ١٩٨٤، ص٤٤ .

٤٩- عمار فاضل حمزة، العلاقات العراقية – السوفيتية ١٩٦٨ – ١٩٧٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الاداب، ١٩٩٨، ص٢٧ و٣٥٧.

٥٠- عبد الكريم قاسم(١٩١٤_١٩٦٣): ولد في بغداد عام ١٩١٤ في محلة المهدية، ودخل الكتاتيب وهناك تعرف على الحروف الابجدية بعمر سبع سنوات، دخل المدرسة في بلده الصويرة اذ درس فيها اربع سنوات وكان انتقال والده الى الصويرة عام ١٩١٢سببة سوء الاوضاع المادية، ثم عاد الى بغداد عام ١٩٢٦ الى محلة قنبر علي، ودرس فيها الثانوية المركزية في بغداد وبعد التخرج تعين معلم، قرر بعدها الالتحاق بالكلية العسكرية عام ١٩٣٢، وقضى فيها اربع سنوات، انظم عام ١٩٥٧ الى تنظيم بتنفيذ ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ واصبح بعده الثورة رئيساً للوزراء والقائد العام القوات المسلحة، واطيح بحكمة اثر انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ واعدم في اليوم التالي للمزيد ينظر :احمد فوزي، عبد الكريم قاسم وساعاته الاخيرة، ط١،دار الحرية للطباعة، بغداد ،١٩٨٨،عقيل الناصري، قراءة ألية في سيرة عبد الكريم قاسم (١٩١٤/١١/١٢_١٩٦٣/٢/٩)،ط٢،دار الحصاد، سوريا،٢٠٠٣،خليل ابراهيم حسين، اللغز المحير عبد الكريم قاسم بدايات الصمود،ج٦،دار الحرية للطباعة ،بغداد،١٩٩٠،ص ص ٧_١١

٥١- حيدر عبد الجليل عبدالحسين حربية ، الدور الفرنسي في تطوير برنامج العراق النووي ١٩٦٧_١٩٨١ ،بحث منشور ،مجلة كلية التربية الاساسية جامعة بابل العدد ١٣ ، ايلول ٢٠١٣ ص ٣٨٨ –٢٨٩ ، علاء محمود التميمي ، المصدر السابق ص ٣٢.

٥٢- حيدر عبد الجليل عبدالحسين حربية ، المصدر السابق ص ص ٣٩٠_٣٩٢.

٥٣- حردان التكريتي (١٩٢٥ – ١٩٧١): ولد عام ١٩٢٥ في مدينة تكريت وفي عام ١٩٣٧ أنهى دراسته الإبتدائية بتفوق، ثم أكمل دراسته الثانوية، دخل عام ١٩٤٦ الكلية العسكرية، وتخرج منها في تموز ١٩٤٩ برتبة ملازم ثانٍ، وفي عام ١٩٥٦ التحق بدورة الأركان القوة الجوية في المملكة المتحدة، انتمى عام ١٩٦١ إلى صفوف حزب البعث، إذ كان له دور بارز في انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ عندما قام باعتقال قائد الفرقة الثانية ومقرها كركوك، عين عام ١٩٦٤ سفيرا في وزارة الخارجية لكنه لم يلتحق، شارك في انقلاب السابع من تموز ١٩٦٨، ثم تعينه نائب القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الوزراء ووزيراً للدفاع (١٩٦٨ – ١٩٧٠) بعد انقلاب البعثيين على رفاقهم ضباط القصر في الثلاثين من تموز في العام نفسه، أصبح نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٧٠، ثم تعينه سفيرا في اسبانيا في تشرين الثاني ١٩٧٠ بعد أن أقصي بعيدا عن السلطة خوفاً منه ولتزايد نفوذه داخل الجيش، اغتيل في الكويت في الثلاثين من آذار ١٩٧١. للمزيد ينظر: هاتف الثلج، حردان التكريتي قائد .... اغتيل غدرا، ط١، دار سطور، بغداد، ٢٠١٦.

٥٤- نهاد طالب عويدي الحميداوي، العلاقات العراقية – السوفيتية ١٩٧٢ – ١٩٨٠، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية الاداب، ٢٠١٤ ،ص٤٤ ؛ سارة محمود عبد الحليم محمود الشيخ، التنافس الأمريكي – السوفيتيعلى العراق (١٩٥٨ – ١٩٩٠)، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس للبنات، الآداب والعلوم التربوية، ٢٠١١، ص ص٢٢٣-٢٢٤.

The Bagdad Opserver ,Bagdad ,No-2182-April, 1975. علاء محمود النعيمي ،العدد، السابق، ص ٣١ ، اليكس كوسجين (١٩٠٤-١٩٨٠) سياسي ورجل دولة ولد عام ١٠٤ في مدينة بطرسبورغ، ينتمي الى عائلة من الطبقة العاملة الروسية، التحق بالجيش الروسي، اصبح عام ١٩٣٩مدير الصناعات النسيجية، عمل عضواً في لجنة الدفاع ابان الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٤١ أنتخب سكرتيراً للحزب الشيوعي تم عضو للمكتب السياسي، وفي عام ١٩٦٠ عين نائب اول لرئيس الحكومة، وفي عام ١٩٦٤ اصبح رئيساً للحكومة واستمر في منصبه حتى عام ١٩٨٠، توفي في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٨٠. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوى السياسة، ج٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٠،ص٢٣٤_٢٣٥.

٥٥- رغيد الصلح، حربا بريطانيا والعراق ١٩٤١، ١٩٩١، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، لبنان، ١٩٩٧، ص٢٧٦؛ قيس جعيول مسافر الشحماني، المصدر السابق، ص١٥٣ ؛ نهاد طالب عويد، المصدر السابق، ص٩٣ ؛ ناطق داود عبد الله، استراتيجية تعدد مصادر السلاح في الدول النامية، ط١، مديرية المطابع العسكرية، ١٩٨٥، بغداد، ص٥٥ ؛ The Baghdad opserver, Baghdad, No -2182. April, 1975.

٥٦- علاء محمود النعيمي، المصدر السابق ،٣٢-٣٤

٥٧- علاء محمود النعيمي، المصدر نفسه ،٣٢-٣٤

٥٨- حيدر عبد الجليل عبد الحسين حربية، المصدر السابق، ص ٣٨٨

٥٩- المصدر نفسه، ص ٣٨٦

٦٠- نجم عبود مهدي السامرائي، العلاقات العراقية _ الامريكية ،ط١،كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الاردن ،٢٠١٣،ص٤٣

٦١- عمر ياسن عيسى الدليمي، سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه العراق ١٩٦٨_١٩٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الانبار، ٢٠١٢،ص٩.

٦٢- وليد محمد مصطفى، المصدر السابق، ص ١٨

٦٣- عماد خدوري، سراب السلاح النووي العراقي مذكرات واوهام، ط١،الدار العربية للعلوم، لبنان، ٢٠٠٣،ص٨٥_٨٦

٦٤- مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (لبنان)، العدد ٣٠٦، ٢٠٠٤، ص٥١ ؛ همام عبد الخالق عبد الغفور وعبد الحليم إبراهيم الحاج، استراتيجية البرنامج النووي في العراق في اطار سياسات العلم والتكنلوجيا، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص٨٦ ، علاء محمود التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

٦٥- الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربي، الطاقة النووية، وثيقة رقم ٢٢٢٠، تشرين الأول ١٩٨٢، بيروت، د.ت، الان فريدمان، صدام : الحياة السرية ، ترجمة مسلم الطعان ، ط١ ، منشورات الجمل ، بغداد ،، ص ص٦٦-٦٧.

66- Oleg Svet, op.cit,p.18.

٦٧- الان فريدمان، المصدر السابق، ص٦٧.

٦٨- وليد خالد يوسف حمادي، المصدر السابق، ص١٢٦.

٦٩- كون كوغلي، المصدر السابق، ص١٦٨ ؛ عادل محمد حسين العلّيان، المصدر السابق، ص١١٧.

٧٠- حيدر عبد الجليل عبد الحسين الحربية، المصدر السابق، ص ١٠٦.

٧١- المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

٧٢- ظافر سلبي واخرون ، المصدر السابق ، ص ٢٢.

٧٣- علي محافظة، المانيا والوحدة العربية ١٩٤٥-١٩٩٥ ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ٢٠٠٠، ص٢٢٦.

٧٤- ستار جبار الجابري، العلاقات العراقية الالمانية بعد ٢٠٠٣ ، بحث منشو ، مجلة دولية ، بغداد ، العدد ٧٠ ، ٢٠١٧، ص ص٢٢-٢٣ ؛ يونس شعيل عجيل، الاتحاد الأوربي والاتفاق النووي في ظل ايدلوجيات السياسة الخفية، ط٢، دار الورشة للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٢١، ص٤٨.

٧٥- حيدر عبد الجليل عبد الحسين الحربية، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

٧٦- علاء محمود التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

٧٧- جعفر ضياء جعفر ونعمان سعد الدين النعيمي، أسلحة الدمار الشامل: الاتهامات والحقائق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات العربية، (لبنان)، العدد ٣٠٦، ٢٠٠٤، ص٥١.

٧٨- مجموعة من الباحثين العرب، ص٢٢٩.

٧٩- الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربي، الطاقة النووية، وثيقة رقم ٢٢٢٠، تشرين الأول ١٩٨٢، لبنان، د.ت.

٨٠- كون كوغلي، المصدر السابق، ص١٦٧ ؛ عادل حسين العلّيان، المصدر السابق، ص١١٧.

٨١- الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربي، الطاقة النووية، وثيقة رقم ٢٢٢٠، تشرين الأول ١٩٨٢، لبنان، د.ت.

٨٢- د.ك.و، ملفة رقم ٣٦١، ١٩٨٤، وثيقة رقم ٣٠.

83- Oleg Svet, op.cit,p.244 ; CiA , Handbook of Major Foreign Wapon Systems Exported to the Third World 1981 – 1986, November 1987,p.49.

قائمة المصادر

اولاً: الوثائق غير منشورة:

١) د. ك. و، وزارة الخارجية منصة رقم ٥٧، وثيقة رقم ٧.

٢) د.ك. و، ملفة الرقم ٣٦١، ١٩٨٤، وثيقة رقم ٣٠.

ثانياً: الوثائق المنشورة:

١) الجمهورية العراق، وزارة الاعلام، زيارة الرفيق صدام حسين لفرنسا استفتاءات ووثائق، دار الحرية للطباعة / بغداد، ١٩٧٤ –

٢) سجل الآراء والوثائق في البلاد العربية، ١٩٧٥ لا اعداد : جبران شامية، دار لا بحاث والنشر، بيروت، ١٩٧٥

٣) الدار العربية الوثائق، ملف العالم العربية الطاقة النووية، وثيقة رقم ٢٢٢٠، بيروت.

ثالثاً: الرسائل ولاطاريح:

١) ابراهيم رسول حسين العامري، تسليح الجيش العراقي ١٩٦٨_١٩٨٨ دراسة تأريخيه اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآ داب، جامعة البصرة، ٢٠٢٢.

٢) ثائر صاحب شندل الحسيني،الموقف الدولي من الحرب العراقية – الايرانية ١٩٨٠ – ١٩٨٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٤ .

٣) ساره محمود عبد الحليم محمود الشيخ، التنافس الامريكي _ السوفيتي على العراق (١٩٥٨_١٩٩٠)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب والعلوم التربوية، جامعة عين الشمس للبنات ،٢٠١١.

٤) صفاء كاظم عباس، تأميم النفط في العراق ١٩٧٢_١٩٧٥ دراسة تأريخيه، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٧.

٥) عادل محمد حسين العليان،العراق في السياسة الامريكية المعاصرة ١٩٨٠ –٢٠٠٣ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠١١.

٦) عمار فاضل حمزة، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨_١٩٧٢، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب جامعة البصرة، ١٩٩٨.

٧) قيس جعيول مسافر الشحماني، التعاون العسكري بين العراق والاتحاد السوفيتي ١٩٧٢_١٩٨٠،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة واسط، ٢٠١١.

٨) نهاد طالب عويد الحمداوي، العلاقات العراقية السوفيتية١٩٧٠_١٩٨٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة ذي قار،٢٠١٤.

٩) هلبين محمد احمد، (مؤالف المملكة العربية السعودية من حرب الخليج الاولى والثانية(١٩٨٠_١٩٩١)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ٢٠١٦.

١٠) هيفاء عباس عبد، السياسة الخارجية الفرنسية تجاه الوطن العربي للفترة ١٩٧٢_١٩٨٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٨٢.

١١) وليد خالد يوسف حمادي،(العلاقات العراقية، الفرنسية للمدة(١٩٦٨_١٩٨٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، جامعة المستنصرية ،٢٠٠١.

رابعاً: الكتب العربية والمعربة:

١) الان فريدمان ، شبكة العنكبوت السرية لكيفية تسليح البيت الابيض للعراق بصورة غير قانونية ، مؤسسة الايمان ، ١٩٩٧ .
٢) حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية، د.ط، روح للنشر، د.٢، ١٩٩٠
٣) رغيد الصلح، حربا بريطانيا والعراق ١٩٤١_١٩٩١، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، لبنان ١٩٩٧.
٤) سعد البزاز، الحرب السرية خفايا الدور الاسرائيلي في حرب الخليج، ط٢، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، لندن، ١٩٨٧.
٥) شارل سان برو، حرب الخليج لماذا تؤيد فرنسا العراق، د.ط، مطبعة جامعة لبكر، بغداد، ١٩٨٥.
٦) ظافر سلبي واخرون، معالم واحداث غير مكشوفة في البرنامج النووي الوطني العراقي ١٩٨١_ ١٩٩١، ترجمة عبد الرحمن ياس،ط١،الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ٢٠١١ .
٧) عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي النفط . التنمية . الحروب . التدمير . الافاق ١٩٥٠ –٢٠١٠ ، ترجمة محمد سعيد عبد العزيز، ط١ ، دار الكنوز الادبية ، لبنان ، ١٩٩٥.
٨) علاء محمود التميمي ، الاثير النووي قصة القنبلة الذرية العراقية ، ط١ ، الناشر e-katmb ، لندن ، ٢٠١٩ .
٩) علي عجيل منهل، ملف عن العدوان الصهيوني على مفاعل تموز النووي، د.ط، بغداد، ١٩٨١.
١٠) علي محافظة، المانيا والوحدة العربية ١٩٤٥ –١٩٩٥ ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ٢٠٠٢ .
١١) عماد قدوري، سراب السلاح النووي العراقي مذكرات وازدهار ،ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٣.
١٢) فخري قدوري، هكذا عرفت البكر وصدام رحلة ٣٥ عاماً في حزب البعث ، ط١، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠١٤ .
١٣) كون كوغلي،صدام : الحياة السرية ، ترجمة مسلم الطعان ، ط١ ، منشورات الجمل ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
١٤) مجموعة من الباحثين العرب ، اسرار التسليح العسكري في العراق منذ ١٩٦٨ الفضائح والاحتيالات ، د.ط ، منشورات دار الابحاث والدراسات العربية ، لندن ، ١٩٩٣.
١٥) محمد عبدالله العزاوي، العلاقات العراقية الفرنسية دراسة تاريخية سياسية (١٩٦٨-٢٠٠٣) ، ط١ ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، لبنان ، ٢٠١٢
١٦) منذر الموصلي، قراءات في حرب الخليج (عرب وفرس) صرع المصائر ... بدأ بذي قار واختتم في القادسية وحسم في الخليج ، د.ط ، دار العروبة ، ١٩٨٨ .
١٧) ناطق داود عبدالله، استراتيجية تعدد مصادر السلاح في الدول النامية، ط١،مديرية المطابع العسكرية، بغداد، ١٩٨٦.
١٨) نجم ياس حسين الدليمي، سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه العراق تأكد من مصدر١٩٦٨_ ١٩٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية لا داب، جامعة لا نبار، ٢٠١٢.
١٩) هاتف الثلج، حردان التكريتي قائد ... اغتيل غدراً، ط١، دار رسطور، بغداد، ١٦.
٢٠) همام عبد الخالق عبد الغفور وعبد الحليم ابراهيم الحاج، استراتيجية البرنامج النووي في العراق في اطار سياسات العلم والتكنلوجيا، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
٢١) يونس شعيل عجيل، لاتحاد الاوربي والاتفاق النووي في ظل ايدلوجيات السياسة الخفية، ط٢، دار الورشة للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٢١.

خامساً: المصادر الانكليزية.

- Anthong H.cordesman,Iraqs militarg forces: 1988-1993
- Darid Astyan A.system franco –Iraq relations and fifth republic foreign policy ,1985-1990,Athesis to get a doctor degree ,Department of Retation ,London school of economics ,1999.
- EXPorted to the Third world 1981-1986, November 1987-p.49.
- Handbook of major Foreign wappon systems.
- oleg svet,op.ct....

- The Baghdad opserver,Baghdad,no...April
- Travis Haycraft Travis Haycraft ,The Guns of al-p fao : Saddam , the War and the weapans that made it seoposible , undergraduate Hanors these ,2018.p20 . svet,op,cit,p.176.
- Washington,Dc 2006,1992.p.183.

سادساً: البحوث والمقالات المنشورة :

١) جعفر ضياء جعفر و نعمان سعد الدين النعيمي، اسلحة الدمار الشامل: الاتهامات والحقائق، غير منشور. مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات العربية، (لبنان)، العدد ٢٠٠٤،٣٠٦.

٢) حيدر عبد الجليل عبد الحسين حربية، الدور الفرنسي في تطور برنامج العراق النووي (١٩٦٧_ ١٩٨١) بحث منشور، مجلة التربية لأساسية، جامعة بابل، العدد ١٣، ٢٠١٣.

٣) حيدر عبد الجليل عبد الحسين حربية، برنامج التسليح الكيمياوي العراقي ودور الشركات الالمانية في تطوير (١٩٨٠_ ١٩٩١) بحث منشور، مجلة دراسات تأريخيه، (بغداد، العدد، ٣٧، ٢٠١٤)

٤) ستار جبار الجابري ، العلاقات العراقية – الالمانية بعد ٢٠٠٣ ، مجلة دولية ، بغداد ، العدد ٧٠ ، ٢٠١٧ .

سابعاً: الصحف والمجلات.

أ_ الصحف.

١) صحيفة الوثائق العراقية،(بغداد)، العدد ١٨، ١٩٥٩.

ب_ المجلات

١) مجلة استراتيجية ،(لبنان)، العدد ٨، ١٩٨٢

٢) مجلة العلوم القانونية والسياسية، (بغداد)، العدد الاول والثاني، ١٩٨٤.

٣) مجلة المستقبل العربي، (لبنان)، العدد ٣٠٦.

٤) مجلة الوطن العربي ،(باريس)، العدد ١٤٤

٥) مجلة الوطن العربي ،(باريس)، العدد ٣١٢

٦) مجلة الوطن العربي ،(باريس)، العدد١٢٦_١٩٧٩

٧) مجلة مشوار، (لبنان)، العدد ١٥٧.

سابعاً: شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت):

- ar.m. Wikipedia.org,Assecced in ٢٠٢٠/٧/١٤.

ثامناً: الموسوعات

١) حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية – الاحزاب والجمعيات والحركات والشخصيات السياسية والقومية والدينية ، شركة العارف للمطبوعات ، لبنان ، ٢٠٠٧ .

٢) حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية ، ط٢ ، شركة العارف للمطبوعات ، لبنان ، ٢٠١٣ .

٣) عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ج٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٠ .

٤) فراس البيطار ، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج٦ ، ط١، دار اسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٣ .

جمعية الهلال الأحمر في لواء البصرة ١٩٣٣-١٩٤٣م

- دراسة تاريخية -

Red Crescent Society in Basra District 1933-1943

Historical study

م. د. حيدر شهيد جبر الخفاجي
جامعة ذي قار – كلية التربية للبنات – الشطرة

Abstract .

A number of social associations appeared in Iraq in general, and in the Basra district in particular, during the 1930s, which greatly contributed to improving the conditions of society by providing a lot of material and in-kind assistance to the various segments of Iraqi society, and the Iraqi Red Crescent Society, which saw the light in 1932, took it upon itself. Carrying out this task in order to achieve its goals in serving the community, so that a number of branches emerged from it that emerged in the Iraqi brigades, including the Basra Brigade, as a number of well-off figures and notables of Basra who were inclined and encouraged such works that seek to serve the Basra community, This resulted in the establishment of a branch of the association in the Basra district in 1933, that is, one year after the establishment of its main branch in Baghdad, so that the year 1933 would be the beginning of the research, while the year 1943 was the end of the research because it witnessed the decline and diminishing of the association's activity.

الملخص:

ظهرت في العراق بشكل عام وفي لواء البصرة بشكل خاص خلال حقبة الثلاثينيات عدد من الجمعيات الاجتماعية التي اسهمت بشكل كبير في تحسين اوضاع المجتمع من خلال تقديم الكثير من المساعدات المادية والعينية لمختلف شرائح المجتمع العراقي، واخذت جمعية الهلال الاحمر العراقي التي رأت النور عام ١٩٣٢ على عاتقها القيام بهذه المهمة في سبيل تحقيق اهدافها في خدمة المجتمع، لينبثق عنها عدد من الفروع التي ظهرت في الألوية العراقية ومن ضمنها لواء البصرة إذ تصدى لهذا العمل عدد من الشخصيات ووجهاء البصرة من ميسوري الحال الذين كانوا يميلون ويشجعون مثل هذه الاعمال التي تسعى لخدمة المجتمع البصري، ونتج عن ذلك تأسيس فرع للجمعية في لواء البصرة عام ١٩٣٣ اي بعد عام واحد من تأسيس فرعها الرئيسي في بغداد، وليكون عام ١٩٣٣ بداية للبحث في حين كان عام ١٩٤٣ نهاية للبحث لكون شهد اضمحلال وتضائل نشاط الجمعية.

كلمات مفتاحية: (جمعية، الهلال الأحمر، البصرة، حفلة، الفقراء، تبرعات)

المقدمة:

قسم البحث الى عدة محاور تضمن اولها تأسيس جمعية الهلال الاحمر في بغداد عام ١٩٣٢ مع نضامها الداخلي، في حين ركز المحور الثاني على تأسيس فرع الجمعية في لواء البصرة عام ١٩٣٣ مع الاشارة الى أبرز الهيئات الادارية التي تناوبت على ادارتها خلال فترة البحث. بينما ركز المحور الثالث على أبرز نشاطات الجمعية التي تضمنت مالية الجمعية وطرق حصولها على الاموال التي تسير اعمالها، فضلاً عن نشاطها الاجتماعي في اقامة الحفلات الخيرية وتقديم يد العون والمساعدة للفقراء من

ابناء البصرة، كذلك نشاطها الصحي من خلال معالجة وتقديم الادوية للفقراء.

اعتمد البحث على عدد من المصادر المتنوعة وفي طليعتها الصحف البصرية التي ارفدت البحث بمعلومات قيمة ونادرة لمم تتطرق لها المصادر الاخرى.

ظهرت في العراق بشكل عام وفي لواء البصرة بشكل خاص خلال حقبة الثلاثينيات عدد من الجمعيات الاجتماعية التي اسهمت بشكل كبير في تحسين اوضاع المجتمع من خلال تقديم الكثير من المساعدات المادية والعينية لمختلف شرائح المجتمع العراقي، واخذت جمعية الهلال الاحمر العراقي التي رأت النور عام ١٩٣٢ على عاتقها القيام بهذه المهمة في سبيل تحقيق اهدافها في خدمة المجتمع، لينبثق عنها عدد من الفروع التي ظهرت في الألوية العراقية ومن ضمنها لواء البصرة إذ تصدى لهذا العمل عدد من الشخصيات ووجهاء البصرة من ميسوري الحال الذين كانوا يميلون ويشجعون مثل هذه الاعمال التي تسعى لخدمة المجتمع البصري، ونتج عن ذلك تأسيس فرع للجمعية في لواء البصرة عام ١٩٣٣ اي بعد عام واحد من تأسيس فرعها الرئيسي في بغداد، وليكون عام ١٩٣٣ بداية للبحث في حين كان عام ١٩٤٣ نهاية للبحث لكون شهد اضمحلال وتضائل نشاط الجمعية.

يحاول البحث الاجابة عن بعض التساؤلات منها: متى أسس فرع الجمعية في لواء البصرة؟ ومن الذي تصدا لتأسيسه وادارته؟ فضلاً عن معرفة مالية الفرع وكيفية حصوله على الاموال؟ وما هي أبرز نشاطاته؟، ولغرض الاجابة عن ذلك قسم البحث الى عدة محاور تضمن اولها تأسيس جمعية الهلال الاحمر في بغداد عام ١٩٣٢ مع نضامها الداخلي، في حين ركز المحور الثاني على تأسيس فرع الجمعية في لواء البصرة عام ١٩٣٣ مع الاشارة الى أبرز الهيئات الادارية التي تناوبت على ادارتها خلال فترة البحث. بينما ركز المحور الثالث على أبرز نشاطات الجمعية التي تضمنت مالية الجمعية وطرق حصولها على الاموال التي تسير اعمالها، فضلاً عن نشاطها الاجتماعي في اقامة الحفلات الخيرية وتقديم يد العون والمساعدة للفقراء من ابناء البصرة، كذلك نشاطها الصحي من خلال معالجة وتقديم الادوية للفقراء، اعتمد البحث على عدد من المصادر المتنوعة وفي طليعتها الصحف البصرية التي ارفدت البحث بمعلومات قيمة ونادرة لمم تتطرق لها المصادر الاخرى.

أولاً: تأسيس جمعية الهلال الأحمر في بغداد عام ١٩٣٢:

أسست جمعية الهلال الأحمر العراقي في عام ١٩٣٢ برعاية وتشجيع ودعم مباشر من الملك فيصل الأول[١] دعا في أوائل عام ١٩٣٢ أمين عام العاصمة بغداد أرشد العمري[٢] نحو (١٥٠) شخصية من وجهاء المملكة، وأشرافها، ومفكريها إلى الاجتماع في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد وعرض عَليهِم فكرة تأسيس جمعية الهلال الأحمر العراقي أسوة بالبلدان الأخرى، وبعد المداولة والبحث تقرر انتخاب هيأَة تأسيسية مكونة من (١٦) عضواً يوكل إليهم أمر تدقيق أنظمة الجمعيات المماثلة، ووضع مسودة نظام أساسي[٣] ليقدم على أساسهِ طلب تشكيل الجمعية إلى وزارة الداخلية العراقية لإجازتها رسمياً[٤]، وعلى اثر ذلك وافقت وزارة الداخلية العراقية في ٢٩ شباط ١٩٣٢ على طلب تأسيس جمعية الهلال الأحمر العراقي وُعدَّ هذا التأريخ هو تأريخ تأسيس الجمعية، وعقد اجتماع للهيأَة العامة فِي ١ آذار ١٩٣٢، وانتخب من بينها هيأَة إدارية من (٨) أعضاء لإدارة أمور الجمعية والاطلاع على المسؤوليات المناطة بها، وتنمية

مواردها، كي تقوم بواجباتها على أكمل وجه[٥] وضمت هيئتها الادارية عام ١٩٣٢ كل من الاسماء المدرجة في الجدول ادناه:

جدول رقم (١) الهيئة الادارية لجمعية الهلال الأحمر العراقية عام ١٩٣٢ [٦]

ت	الاسم	الوظيفة
١	أرشد العمري	رئيساً
٢	جعفر الشبيبي	نائب الرئيس
٣	إبراهيم الشابندر	سكرتيراً
٤	يعقوب سركيس	عضواً
٥	إبراهيم عاكف الآلوسي	عضواً
٦	عارف حكمت	عضواً
٧	عبد الهادي الجلبي	عضواً
٨	بهاء الدّين سعيد	عضواً

ومنذ اليوم الأول من تأسيسها هدفت جمعية الهلال الاحمر العراقية الى تحقيق الأهداف الاتية:

١. العمل على مساعدة جرحى الحروب ومنكوبيها وتخفيف الآمهم بكافة الوسائل المتيسرة لديها وذلك بالتآزر مع الهيئات الصحية والعسكرية .
٢. ضرورة تقديم المعونة الصحية الى مرضى وجرحى الحروب دون تمييز بين صديق وعدو عملاً بالاتفاقيات الدولية في اوقات السلم .
٣. اسعاف المنكوبين الذين اصيبوا بنكبات فجائية في داخل البلاد وفي خارجها .
٤. فتح المستوصفات ومراكز الاسعاف الأولي للعناية بأفراد الشعب من الفقراء .
٥. تدعيم نشاط تدريب المتطوعين على أعمال الاسعاف والتمريض وتهيئتهم لحالات الطوارئ
٦. تشترك الجمعية عند امس الحاجة في المساعي التي تقوم بها الجمعيات الخيرية الاخرى
٧. تقديم الدعم للفعاليات الموسيقية والمسرحية والادبية[٧]

اوضحت جمعية الهلال الأحمر العراقي منذ يومها الأول أَنَّها جمعية إنسانية وطنية غير حكومية تهدف الى تخفيف الآلام والمعاناة عن أبناء المجتمع العراقي من دون تمييز في أوقات السلم والحرب، وفي أثناء الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية، وتُعدّ الجمعية واحدة من الجمعيات الفاعلة في الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، ويعتمد عملها على مبدأ العمل التطوعي، إذ يُعَدُّ القاعدة الأساسية في عمل الجمعية، ومنسجم مع المبادئ الأساسية للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، والخدمة التطوعية هي تجسيد للمبادئ الأساسية للحركة الدولية، ويعد المتطوعون الركيزة الأساسية لعمل الجمعية، فالإغاثة التطوعية لا تعمل لأجل أي مصلحة وتهدف إلى توافر الإغاثة التطوعية من دون أنْ تسعى إلى تحقيق أي ربح[٨] كما حددت مهام الجمعية في وقت السلم إلى إسعاف المتضررين من جراء الكوارث الطبيعية داخل البلاد وخارجها مثل: الفيضانات، والزلازل، والبراكين، والأوبئة، إذ قامت بفتح مستوصفات،

ومراكز الإسعاف الأولية، وإعداد الكوادر المتطوعة على أعمال الإسعاف الأولي والتمريض، لتهيئتهم لحالات الطوارئ، أمّا في وقت الحرب فتسعى الجمعية إلى مساعدة الجرحى، وتخفيف الآلام، والبحث عن المفقودين والأسرى، وتقديم المعونة الصحية إلى مرضى وجرحى الحرب من دون التمييز بين صديق وعدو وبحسب الاتفاقيات الدولية المبرمة[٩]

ثانياً: تأسيس فرع جمعية الهلال الأحمر في لواء البصرة وهيكلها الإداري ١٩٣٣-١٩٤٣.

لم يقتصر تأسيس الجمعية على مدينة بغداد وحدها بل ظهرت فروع أخرى اخذت على عاتقها السير على نظام الجمعية الأساسي في تأسيس فروع لها في مختلف الألوية العراقية، ومنها لواء البصرة، إذ سعى وجهاء وميسوري الحال من المحبين للأعمال الخيرية وفي طليعتهم متصرف اللواء تحسين علي[١٠] الذي دعا الى عقد اجتماع في بيته تخلله اقامة مائدة لشرب الشاي، حضرها نخبة من وجهاء المدينة وكبارها للتداول في تأسيس فرع للجمعية في لواء البصرة[١١] وقد حضر في هذا الأجتماع كل من: "**الكولونيل وارد مدير الميناء والمستر لويد رئيس المحاكم والدكتور ابراهيم عاكف بك الالوسي مدير المستشفى والدكتور هيكز مدير الصحة و محمد صالح بك الرديني رئيس البلدية، هاشم بك النقيب والشيخ صالح بك باش اعيان والحاج عبدالوهاب جلبي الخضيري وعبد الكاظم جلبي الشمخاني وداود افندي اطرقجي وعبد المحسن جلبي**"، واسفرت نتيجة الاجتماع عن ارسال الحاضرين كتاباً الى رئيس هيئة ادارة المركز العام لجمعية الهلال الاحمر ببغداد جاء فيه: "**اطلعنا على مواد النظام لجمعية الهلال الاحمر العراقية وقررنا فتح فرع للجمعية في مركز اللواء وعليه يرجى التفضل بأخذ قرار هيئة ادارة المركز العام واعلامنا**)) ونتيجة لذلك ولرغبة الجمعية في تحسين عملها وتوسيع نشاطها في الألوية العراقية، وافقت الهيأة الإدارية للمقر العام للجمعية في بغداد في ٢٧ كانون الأول عام ١٩٣٣ على تشكيل فرع للجمعية في لواء البصرة بالتنسيق مع متصرفية اللواء[١٢]، ونظرا لعدم وجود هيئة عامة لانتخاب ادارة الفرع في البصرة تم انتخاب (٦) اعضاء لتشكيل الهيئة الادارية للجمعية من قبل اللجنة المؤسسة التي قدمت الطلب، وهم كل من:"**تحسين بك علي، الدكتور ابراهيم عاكف بك، جميل بك كركجي، هاشم بك النقيب، الشيخ صالح بك باش اعيان، عبد الكاظم جلبي الشمخاني**"، وبعد التصويت السري فاز كل من المدرجة اسماؤهم في الجدول ادناه بعضوية الهيئة الادارية للجمعية:

جدول رقم (٢) اعضاء الهيئة الادارية لفرع الرجال لجمعية الهلال الأحمر في البصرة عام ١٩٣٣[١٣]

ت	الاسم	الوظيفة
١	تحسين بك علي	رئيساً
٢	هاشم بك النقيب	نائب الرئيس
٣	الدكتور ابراهيم عاكف بك الآلوسي	سكرتيراً
٤	جميل بك كركجي	اميناً للصندوق
٥	الشيخ صالح باشا اعيان	عضواً
٦	عبد الكاظم الشمخاني	عضواً

يتضح من ذلك رغبة اهالي البصرة في فتح فرع للجمعية يأخذ على عاتقه تقديم أفضل المساعدات للفقراء في المجتمع البصري، فضلاً عن الدور الذي سيقوم به وجهاء البصرة في العمل الانساني الذي من شأنه تحسين الواقع الاجتماعي، وفي عام ١٩٣٥ منح وسام فضي إلى كل من إبراهيم عاكف الآلوسي وتحسين بك علي نتيجة للخدمات التي قام بها في فرع البصرة وافتتاحه لجمعية الهلال الأحمر العراقي[١٤]، وفي عام ١٩٣٦ انتقلت جمعية الهلال الاحمر فرع البصرة من بنايتها القديمة في منطقة العشار الى دار الذكير الواقعة في طريق المتصرفية[١٥]، ونتيجة لعدم حصول النصاب الكافي في الاجتماع العام الذي عقد في بناية الجمعية يوم الاثنين المصادف ١٥ أذار ١٩٣٧، أجلت الجمعية اجتماعها الى يوم الجمعة ١٩ أذار ١٩٣٧ الساعة الخامسة بعد الظهر في بناية الجمعية المذكورة للتداول في شؤون الجمعية وانتخاب اعضاء هيئة الادارة[١٦] التي اسفرت عن فوز الذوات في الجدول ادناه:

جدول رقم (٣) اعضاء الهيئة الادارية لفرع الرجال لجمعية الهلال الأحمر في البصرة عام ١٩٣٧[١٧]

ت	الاسم	الوظيفة
١	تحسين بك علي	رئيساً
٢	هاشم بك النقيب	نائب الرئيس
٣	وحيد حقي	سكرتيراً
٤	جميل بك كركجي	اميناً للصندوق
٥	الشيخ صالح باشا اعيان	عضواً
٦	الحاج عبد الوهاب الخضيري	عضواً

وفي عام ١٩٣٧عقدت الجمعية اجتماعاً بحضور سعادة متصرف اللواء تحسين علي ورئيسها الفخري وهاشم النقيب والشيخ صالح باش اعيان والحاج عبدالوهاب الخضيري وسكرتير الجمعية بالنيابة السيد عبدالوهاب النعمة نائب مدير الكمارك والمكوس بالبصرة للتداول في شؤون الجمعية والاعمال الانسانية القائمة بها[١٨]، وفي يوم الثلاثاء المصادف ٢٢ أذار عام ١٩٣٨ اجتمعت الهيئة العامة للجمعية وجرى انتخاب ثلاثة من اعضاء الجمعية المنتهية مدة عضويتهم ففاز الذوات الاتية اسماؤهم ادناه:

جدول رقم (٤) اعضاء الهيئة الادارية لفرع الرجال لجمعية الهلال الأحمر في البصرة عام ١٩٣٧[١٩]

ت	الاسم	الوظيفة
١	تحسين بك علي	رئيساً
٢	الشيخ صالح باشا اعيان	نائب الرئيس
٣	وحيد حقي	سكرتيراً
٤	حامد النقيب	اميناً للصندوق
٥	عبد الرزاق المير	عضواً
٦	الحاج عبد الوهاب الخضيري	عضواً

وفي عام ١٩٤٠ عقدت الهيئة العامة للجمعية اجتماعها العام للمرة الثانية في ديوان متصرفية اللواء مساء يوم الاثنين المصادف ٦ أيار ١٩٤٠ برئاسة متصرف اللواء عبد الحميد عبد المجيد وبعد تلاوة التقرير السنوي من قبل حضرة الدكتور السيد وحيد حقي وزعت اوراق الانتخاب على الأعضاء، فأسفرت نتيجة الانتخاب عن فوز الذوات المدرجة أسماؤهم ادناه:

جدول رقم (٥) اعضاء الهيئة الادارية لفرع الرجال لجمعية الهلال الأحمر في البصرة عام ١٩٣٧ [٢٠]

ت	الاسم	الوظيفة
١	عبد الحميد عبد المجيد	رئيساً
٢	حسين حسني	نائب الرئيس
٣	وحيد حقي	سكرتيراً
٤	عبد الرزاق المير	اميناً للصندوق
٥	الشيخ صالح باشا اعيان	عضواً
٦	إبراهيم ريحان	عضواً

يتضح مما سبق تناوب عدد من الشخصيات البصرية على إدارة الجمعية التي بقيت رئاستها متمثلة بمتصرف اللواء لكونه المسؤول الإداري الأول في اللواء، الأمر الذي يمكنه من تسهيل عملها وإمكانية الحصول على الدعم المادي والمعنوي من قبل دوائر المتصرفية الأخرى، فضلاً عن وجهاء البصرة ورغبتهم في تقديم كل ما يصب في صالح الجمعية التي كان شعارها خدمة المجتمع البصري.

ثالثاً: مالية الجمعية ونشاطها الاجتماعي والصحي:

١- مالية الجمعية:

كانت المادة الثامنة والثلاثين من النظام الداخلي للجمعية قد حددت بأَنْ تكون وارداتها من المصادر الآتية[٢١]

١. من التعهدات (الاشتراكات) السنوية لأعضاء الجمعية ومنتسبيها.
٢. الإعانات والتبرعات من مختلف الأعمال والنشاطات.
٣. الحفلات أو اليانصيب أو المعارض التي تقيمها الجمعية.
٤. مساعدة الحكومة والبلديات والأوقاف، وتسجل الأموال والأملاك باسم الجمعية، وهي تديرها وتتصرف بها لأمور الجمعية، وتودع نقود الجمعية في أحد المصارف المعترف بها من الحكومة، والذي تفضله هيأة إدارة المركز العام، وإنَّ اللوازم الأخرى العائدة للجمعية توضع في مدخر خاص.

وتتكون الواردات الاحتياطية للجمعية من المصادر الآتية(٢٢):

١. الباقي من النفقات في نهاية السنة بعد تنزيل النفقات السنوية.
٢. الواردات العقارية.
٣. فوائد الدراهم وأرباحها (اشتراك العضوية).

٤. الواردات غير المقننة والعائدات التي تستحصل عليها من الأعضاء الدائمين.

وفي سبيل الحصول على الدعم المادي للجمعية قام رئيس الجمعية تحسين علي بنشر اعلاناً في صحيفة الثغر البصرية[٢٣] لغرض تحفيز أناس على دعم الجمعية ونشاطها، جاء فيه ... "**اعتقد ان حضراتكم تقدرون موقف وخدمات جمعية الهلال الاحمر العراقية وما ترمي اليه من الخدمات الجليلة الى البؤساء والمنكوبين ولذلك احببت ان استفز عواطفكم الشريفة للأخذ بناصرها والتفضل برصد اثمان بطاقات وبرقيات وكتب المعايدة الى البنك العثماني لتقيد ايرادها لفرع الجمعية الذي شكل حديثاً في البصرة برئاستنا مع العلم بأن هيئة إدارة الفرع في البصرة ستقوم بنشر اسماء الذوات الذين يتبرعون في اثمان بطاقات المعايدة في الجرائد المحلية**"[٢٤]، ونتيجة لذلك أقدم عدد من موظفي دوائر لواء البصرة وفي مقدمتهم متصرف اللواء بجمع التبرعات للجمعية كما يوضحها الجدول ادناه:

جدول رقم (٦) تبرعات موظفي لواء البصرة الى جمعية الهلال الأحمر في البصرة عام ١٩٣٤[٢٥]

ت	اسم المتبرع	الوظيفة	مقدار المبلغ	
			دينار	فلس
١	تحسين علي	المتصرف	١	
٢	سامي بك	محاسب اللواء		٥٠٠
٣	إبراهيم بك الشاوي	مدير شرطة اللواء		٥٠٠
٤	عبد القادر افندي	معاون شرطة البصرة		١٥٠
٥	محي الدين الأعرجي	حاكم		٧٥٠
٦	إبراهيم بك الالوسي	مدير مستشفى البصرة		٥٠٠
٧	محمد بك الوداد	دكتور		٥٠٠
	المجموع		٣	٩٠٠

كما شرع الأهالي بالتبرع للجمعية ودعمها لغرض تحقيق أهدافها، أذ بلغ مجموع تبرعات الاهلين والموظفين في عام ١٩٣٤ بأثمان بطاقات المعايدة لفرع الجمعية **(٤٧)** دينارا و**(٤٧٥)** فلساً[٢٦]

ولم يقتصر الأمر على متصرف اللواء فقط بل قام سكرتير الجمعية الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي رئيس صحة اللواء بأرسال بطاقات الانتماء الى الذين يتوسم فيهم معاضدة المشروعات الخيرية عامة وجمعية الهلال الاحمر خاصة، لا سيما الطبقة المثقفة سوف لا تتخلف عن الانتماء الى هذا الفرع. ولغرض تأكيد ذلك نشر الدكتور ابراهيم عاكف بك الالوسي رئيس صحة لواء البصرة في صحيفة الثغر بلاغاً الى عموم أهالي البصرة جاء فيه: "**لا يخفى انه قد تألفت جمعية باسم جمعية الهلال الاحمر العراقية- فرع البصرة غايتها مساعدة جرحى الحرب ومنكوبيها وتخفيف الامهم بكل الوسائط الممكنة لديها ومساعدة المنكوبين بشتى النكبات الفجائية وتدريب المضمدين والمضمدات اللازمين لخدمة الجمعية فنظراً لهذا العمل الخيري الذي تأسست الجمعية من اجله والخدمات الانسانية المتوقع حصولها منها للشعب العراقي التي لا شك تقدرونها كل التقدير نؤمل بانكم سوف تؤازرون الجمعية وتشجعونها**

على العمل وذلك بانتسابكم اليها او دفع التبرعات التي تتفضلون بها لموازرة الجمعية ونرفق بطيه بطاقة التبرع والاشتراك للتفضل بأملاء احدى او كلا الفقرتين واعادتها الينا ودمتم"[٢٧]، وفعلاً تم توزيع بطاقات الانتماء او التبرع لفرع الجمعية لغرض الاقبال على تعضيد هذا المشروع والاشتراك به، غير ان البعض من الذين وصلتهم تلك البطاقات لا يعرفون لمن يدفع بدل الانتماء او التبرع، وقد تم ابلاغهم ان هذه المبالغ تدفع الى رئيس الجمعية، وان اموال الجمعية التي تجمع هنا تصرف عليها في لواء البصرة، لأن الهدف من تأسيس هذا الفرع في البصرة كان من اجل تنفيذ اهدافها الواردة في نظامها الاساسي في لواء البصرة فقط والقيام بتخفيف اعباء الفقراء والمساكين المنتشرين في اللواء[٢٨]، وللحصول على الدعم المادي حرصت الجمعية على إقامة الحفلات الخيرية التي يكون ريع بيع بطاقات الحضور فيها لمصلحتها، إذ اقامت حفلة نهرية ممتازة في شط العرب على ظهر الباخرة زنوبيا تحت تحسين على متصرف اللواء وقد حضر الحفلة جمهور من اهالي البصرة فمخرت الباخرة في مياه الشط والكل تبدو على محياه معالم الفرح والسرور لما في هذه الحفلة من نظام وتنسيق ويزيدها مياه شط العرب الجميل رونقاً وبهاءً[٢٩] وكان متصرف اللواء تحسين على يتفقد الحاضرين على سطح الباخرة وبعد ان قاربت الباخرة وجهة ابو الخصيب عادة فشق عباب الماء تتهادى في حركتها الزاهية وكانت كافة مكابس التمور تحييها على الضفتين في ذهابها وايابها[٣٠]، ونتيجة لذلك قدم فرع الجمعية شكرهم وتقديرهم الى شركة العراق وفارس في برقية جاء فيها... "**جمعية الهلال الاحمر فرع البصرة تشكر شركة العراق وفارس. بعد التحية: اقدم لشركتكم المحترمة التشكرات القلبية والامتنان بالنيابة عن هيأة ادارة هذه الجمعية لما قامت به من التضحية والمساعدة الانسانية بإعطاء الباخرة زنوبيا لإقامة الحفلة النهرية عليها تلك المساعدات الثمينة التي لا زلتم تبدونها لجمعيتنا فالجمعية تقدر فيكم هذه العواطف السامية وتسأل لكم ولشركتكم المحترمة الموفقية الدائمة**"[٣١]

وفي عام ١٩٣٦ بلغت واردات الجمعية (١٠٠) دينار[٣٢] كما اوجدت الجمعية مصدراً مهماً لغرض الحصول على الأموال تمثل باليانصيب او الأكتتاب، فقد سحبت يانصيب لحسابها وكانت حصتها منه (١٦٢) ديناراً و (٨٧٢) فلساً. كذلك لعبة الدونبلة إذ بلغت حصة الجمعية (٣٨٦) ديناراً و (٧٠٦) فلساً. كما اقامت حفلة نهرية بلغ صافي ريعها (١٩) ديناراً. و (٩٨٠) فلساً. وركزت الجمعية على تحصيل الاشتراكات وحث ذوي المروءة على التبرع والمساعدة بكل الوسائل الممكنة ولذلك أصبح لديها من المال لغاية ١٥ أذار عام ١٩٣٧ (٧٩٩) ديناراً. و (٥٠٣) فلساً. بينما كان مجموع الواردات المخمنة (٧٢٦) دينارا . و(١٨٦) فلساً. وبذلك يكون وارد الجمعية قد زاد عما هو مقدر في الميزانية بمبلغ (٧٣) ديناراً. و (٣١٧) فلساً. اما المصاريف فكانت (٢٦٦) ديناراً. و (٤٧٧) فلساً. بينما كان المخصص في الميزانية (٤٢٣) ديناراً. وبهذا تكون مصاريف الجمعية اقل مما هو مخصص بمبلغ (١٤٦) ديناراً . و (٥٢٣) فلساً. كما ان الجمعية قد ارسلت الى المركز العام (٢٠٥) ديناراً. و (٥٢٣) فلساً. وبهذا يكون مجموع المدفوعات (٤٨١) ديناراً. و(٨٠٢) فلساً [٣٣]، ولغرض الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال لتسيير عمل الجمعية اهتمت هيئتها الإدارية عام ١٩٣٧ بهذا الجانب فاستطاعت ان تجمع (٢٠١) ديناراً. و (٨٨٥) فلساً، واضافة اليه مبلغ (٣١٨) ديناراً. و(٥٦٧) فلساً. وهو الفضلة

المدورة من عام ١٩٣٦، فأصبحت واردات الجمعية خلال ١٩٣٧ (٥٢٠) دينارا. (٤٥٢) فلساً [٣٤]، كما استمرت الجمعية في إقامة الحفلات الموسيقية الساهرة ، إذ اقامت حفلة في مساء يوم الأحد المصادف ٢١ كانون الثاني عام ١٩٤٠ شاركت فيها كافة أجواق البصرة الموسيقية ويكون ريعها لمنفعة الجمعية، وفي الوقت نفسه قدمت الهيئة الادارية للجمعية شكرها للسيد عبدالكريم الخضيري على ما تفضل به من معاضدة الجمعية بتبرعه بمبلغ (٥) دنانير وذلك بمناسبة قرب حلول عيد الاضحى المبارك [٣٥]، كما اقامت الجمعية حفلة خيرية تحت رعاية متصرف اللواء لمنفعة الجمعية في نادي شط العرب يوم السبت المصادف ٥ حزيران ١٩٤٣ في الساعة ٣٠-٨ مساءً، وبلغ ثمن البطاقة (١) دينار، ويمكن استصحاب سيدة واحدة، ونصف دينار لكل سيدة إضافية، تباع البطاقات في مكتب المحامي اسكندر منصور في العشار وفي صيدلية السيد ابراهيم ريحان بالعشار [٣٦]

٢ – نشاط الجمعية:

سعت الجمعية بكل ما توفر لديها من إمكانات بشرية ومادية الى تحقيق ابسط الأهداف التي كانت تسعى اليها لخدمة المجتمع البصري، وانقسم عملها الى جانبين هما:

أ – الجانب الاجتماعي:

اهتمت الجمعية في تقديم المساعدة لبعض المنكوبين في لواء البصرة من خلال تقديم المساعدات المادية لهم، ولم يقتصر الأمر عليها فقط بل كان لمركز الجمعية في بغداد دور في دعمها، إذ تبرع مركز الجمعية عام ١٩٣٧ بمبلغ مالي قدره (١٠٠) ديناراً إلى منكوبي الحريق في البصرة[٣٧] إذ أسهمت الجمعية في مساعدة منكوبي حريق محلة الخندق بمبلغ مالي قدره (٥٠) ديناراً[٣٨]كذلك الحريق الذي حدث في قرية الكوام والتهم كثيراً من الصرائف قدرت خسائرها (٣٥٠) ديناراً، وكانت الجمعية سباقة في تقديم يد العون لضحايا الحريق، وقدمت لهم مساعدة مادية قدرت بـ (٣٠) ديناراً[٣٩]، فضلاً عن ذلك لم يقتصر عمل الجمعية على الأحداث الجارية في العراق فقط، بل أسهمت في دعم المنكوبين في مختلف البلدان، ومنها على سبيل المثال الزلزال الذي حدث في تركيا عام ١٩٤٠، وفي سبيل تحقيق ذلك اقامت الجمعية حفلة موسيقية في نادي شط العرب وذلك لمنفعة صندوق منكوبي الزلزال في تركيا [٤٠]، واستمرت الجمعية في نشاطها الاجتماعي وخصصت مبلغ مالياً قدره (٢٠٠) ديناراً لغرض اكساء الطلاب الفقراء في اللواء[٤١]

ب – الجانب الصحي:

سعت الجمعية في الجانب الصحي الى تحقيق أهدافها المنشودة في توفير معظم المستلزمات الطبية والصحية للكثير من الأطفال في لواء البصرة، ولم تتردد في توجيه النقد اللاذع لبعض الأطباء الذين قصروا في عملهم، إذ أبدت الجمعية اسفها على المعاملة التي وجدتها من الدكتور البير الياس والتي لا تأتلف مع الواجب الانساني المحتم على الطيب وذلك بتركه مرضى الجمعية ينتظرونه ساعات عديدة بلا اسعاف كما يجبرهم للمجيء لعيادته حيث كان من الواجب عليه ان يخبر ادارة الجمعية تركه هذا العمل الانساني كي تتلافى الامر، في حين وجهت شكرها الى الاطباء الافاضل الذين يؤازرونها بعطفهم وتقديم المساعدة لها[٤٢]

ومن نشاطاتها الأخرى في هذا الجانب توزيع الحليب على الاطفال الفقراء منذ اليوم الاول من شهر تموز عام ١٩٣٦ لتحقق الجمعية بذلك خدمة انسانية نحو الأطفال الفقراء في اللواء[٤٣]

وورد في تقرير اعمال الجمعية خلال شهر ايلول ١٩٣٦: لقد راجع مستوصف الجمعية خلال الشهر (٤٣٨) شخصاً ما بين نساء ورجال واولاد وجرت معالجتهم من قبل حضرات الاطباء المتبرعين المشكورين على خدماتهم الانسانية وهم الدكتور عبد الحميد الطوخي والدكتور لامير والدكتور لويس والدكتور يورنستك والدكتور صبيح مصطفى والدكتورة فكتوريا والدكتور وحيد حقي وقد وزع الفرع (١٠٨٠٠) غراماً من الحليب المعقم للأطفال الفقراء البالغ عددهم (١٦٠) طفلاً. وتأمل الجمعية ان يسارع الغيورين والمخلصون لمد اياديهم الكريمة نحو هذه المؤسسة العاملة للخير العام ولو بمبلغ زهيد لكي يتسنى لها ان تقوم بخدماتها الانسانية في المجتمع البصري[٤٤]

واستمراراً في عملها اتفقت الجمعية مع مديرية صحة لواء البصرة على اعطاء الوصفات الصحية مجاناً من قبل المستوصف الملكي في العشار للمرضى الذين يراجعون اطباء مستوصف هذه الجمعية بدل ان يشتروا وصفاتهم من الصيدليات على شرط ان يبرزوا ورقة تنبئ بكونهم فقراء من مختاري محلاتهم[٤٥]

وجاء في تقرير الجمعية عام ١٩٣٧:

عقدت احدى عشرة اجتماعا في اوقات مختلفة واستطاعت ان تنظم عيادة الجمعية بمساعدة حضرات الاطباء المتبرعين المشكورين على خدماتهم الانسانية ومن اجل ذلك بلغ عدد المراجعين من المرضى (٣٦٤٩) مراجعاً ثم نظمت عيادة لرضاعة الأطفال الفقراء فبلغ مجموع المراجعين منهم (١١٨٠) طفلاً. صرف لهم (١٢٣٨٠٠) غراماً من الحليب المعقم تحت اشراف ممرضة عينت لهذا الغرض[٤٦]، أما مستوصف الجمعية، فقد بلغ عدد المرضى المراجعين البصرة في شهر حزيران عام ١٩٣٧ (٣٠٠) شخص بين رجال ونساء واولاد. وبلغ عدد المراجعين من الاطفال الفقراء بقصد الحصول على الحليب (٢٩٠) طفلاً ووزعت عليهم خلال الشهر نفسه (١١٣٥) غراماً من الحليب المعقم[٤٧]، ونتيجة لتطور نشاطها وعملها المتميز طلبت امارة الكويت من فرع الجمعية في البصرة تزويدها بنشرات وارشادات صحية بغية احاطة الجمهور الكويتي بالوجائب الصحية العامة والوقاية من الامراض السارية، وعليه كتبت الجمعية الى مديرية الصحة العامة تبلغها بذلك واحضرت النشرات المطلوبة وارسلتها الى الكويت[٤٨]

واستمر مستوصف الجمعية بتقديم خدماته الجليلة لسكان هذه المدينة من الفقراء والمعوزين وقد بلغ عدد المرضى الذين راجعوا المستوصف خلال شهر تموز عام ١٩٣٧ (٢٧٥) شخصاً وبلغ عدد الاطفال المرضعين (٢٩٤) رضيعاً زودتهم الجمعية بـ (٢٢٣٤٥) غراماً من الحليب المعقم[٤٩]، كما شهد مستوصف الجمعية استقالة الانسة سليمة نعيم من وظيفة التمريض في المستوصف ودخولها مدرسة الممرضات في بغداد. وعلى اثر ذلك عينت الانسة روزه نعيم بدلاً منها[٥٠]

وفي عام ١٩٣٨ نظمت عيادة الجمعية بمساعدة حضرات الاطباء المتبرعين المشكورين على خدماتهم الانسانية وبذلك بلغ عدد المراجعين من المرضى (٢٧٥٠) مراجعاً وبلغ عدد الاطفال المراجعين بقصد رضاعة الحليب (٣٣٦٢) طفلاً صرف لهم (٢٥١١٣٥) غراماً من الحليب المعقم[٥١]

ولم تتردد الهيئة الادارية للجمعية في تقديم شكرها وامتنانها الى الدكتور محمد حسن السعدي على خدماته الانسانية الممتازة في مستوصفها مدة مكوثه في لواء البصرة [٥٢]، وفي عام ١٩٣٩ قررت جمعية الهلال الاحمر العراقية ايفاد عدد من الفتيات العراقية للتدريب غلى فن التمريض في مستشفيات أوربا على حساب الجمعية الخاص على ان تحسن الطالبة اللغة الانكليزية او الفرنسية فمن تجد في نفسها الرغبة والقدرة عليها ان تراجع مقام متصرفية اللواء خلال خمسة عشر يوما[٥٣].

الاستنتاجات:

انتهت دراستي الى النتائج الآتية:

١ – دور وجهاء البصرة واعيانها في تأسيس فرع للجمعية في لواء البصرة لكي يأخذ على عاتقه تقديم كل ما يخدم المجتمع البصري.

٢ – دور المركز العام للجمعية في بغداد في دعم تأسيس فروع الجمعية في مختلف الألوية العراقية.

٣ – دور متصرفية لواء البصرة في حث الأهالي وتحفيزهم على تقديم الدعم المادي للجمعية لكي تستمر في تقديم خدماتها ونشاطاتها.

٤ – أهمية الأعمال الإجتماعية التي قامت بها الجمعية تحقيقاً لأهدافها في دعم المنكوبين ومساعدتهم.

٥ – لم يقتصر عمل الجمعية على دعم المنكوبين فحسب، بل أسهمت بشكل كبير في تقديم خدمات جليلة ومختلفة في الجانب الصحي في لواء البصرة.

٦– دور الصحافة البصرية في نشر وتوثيق كل ما يخص الجمعية من اعمال ونشطات في لواء البصرة.

٧– دور أهالي البصرة في تقديم الدعم المادي للجمعية من خلال جمع التبرعات لها.

الهوامش

١- فيصل بن الحسين: ولد في مكة في ٢٠ أيار عام ١٨٨٣، أرسل بعد ولادته بفترة وجيزة إلى قرية (رحاب) التي عاش فيها جدهُ الشريف محمد، ومضى فيها ٧ أعوام تعلم خلالها الفروسية، من ركوب الخيل والإبل ثم سافر مع والدهُ إلى استانبول، بدعوة من السلطان عبدالحميد الثاني، وبدأ فيها حياة جديدة، درس على يد معلمين خصوصيين، وتعلم الكثير في حياته، وحفظ القُرآن الكريم على يد والده، وتعلم مبادئ اللغة الفرنسية، وألمَّ باللغة الانكليزية حتى أتقنها بشكل كبير، وعرف مبادئ الفنون العسكرية من خلال اختلاطه بضباط الجيش العثماني، الذي كان يقوم بتدريبه ضباط ألمان، كما التقى بعدد غير قليل من رجال السياسة، والفكر، والأدب الذين كانوا يزورون والده، اسهمت هذه الامور بدور كبير في صقل شخصيته، حكم الملك فيصل الأول سوريا من عام ١٩١٨–١٩٢٠، ثم أصبح ملكاً على العراق بعد تتويجه في ٢٣ أب عام ١٩٢١ ، ليبقى ملكاً حتى وفاته في عام ١٩٣٣، ويعد مؤسس الدولة العراقية الحديثة، واتسمت سياستهُ بالحكمة، وتحقيق مطالب الشعب العراقي، والضغط على بريطانيا بشكل سلمي وتدريجي خطوة بعد خطوة، متبعاً سياسة (خذ وطالب) كانت له جهود كبيرة في دعم وتأسيس أول منظمة إنسانية في العراق وتشجيعها وهي جمعية الهلال الأحمر العراقي. للمزيد من التفاصيل ينظر: علاء جاسم محمد الحربي، الملك فيصل الأول حياتهُ ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٨٣–١٩٣٣، ج١، ط١، بغداد– ١٩٩٠، ص١٣–٩٠؛ مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، لندن ١٩٨٧، ص١٥–٢٢؛ جيرالد غوري، ثلاثة ملوك في بغداد، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد– ١٩٨٣ ص٧–١٤٣.

٢- أرشد العمري: هو أرشد بن أَحمَد بن محمد بن منيب ولد في الموصل عام ١٨٨٨، أكمل دراستهُ الابتدائية فيها ، ثم درس الهندسة في استانبول وتخرج في مدرسة المهندسين الملكية العالية في عام ١٩١٢، شغل في تركيا بعض الوظائف الهندسية منها: مهندس بلدية في استانبول في مدة الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، كما عمل مهندس في هيأة الأركان (ضابط أركان)، وفي عام ١٩١٩ عاد إلى الموصل وعين مهندساً فيها، وفي عام ١٩٢٥ اسهم في تأسيس جمعية الدفاع الوطني عن الموصل واصبح معتمداً لها في ١٥ تموز ١٩٢٥، أصبح معتمد حزب التقدم الذي أُجيز في ٢٢ آب ١٩٢٥، كما اصبح عضواً مجلس النواب للدورة الانتخابية الأولى للفترة (١٦ تموز ١٩٢٥- ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٨) عن مدينة الموصل، وتنقل في السلك الاداري إذ شغل في تشرين الثاني ١٩٣٠ منصب مدير عام للبريد والبرق، وهو أول عراقي يتولى ذلك المنصب، ثم شغل في تشرين الثاني ١٩٣١ منصب أمين عام العاصمة، وشغل هذا المنصب مدة عامين، وفي تشرين الثاني ١٩٣٣ اصبح مديراً عاماً للري والمساحة، وهو من أول الاعضاء المؤسسين في جمعية الهلال الأحمر العراقي، وأول رئيساً لها في عام ١٩٣٢، كما شغل بعد ذلك عدد من المناصب الوزارية إذ شكل وزارته الأولى في ١ حزيران عام ١٩٤٦، ثم شغل منصب وزارة الدفاع للفترة (٢٩ كانون الثاني ١٩٤٨ إلى ٢٦ حزيران ١٩٤٨)، وشكل بعدها وزارته الثانية للفترة (٢٩ نيسان ١٩٥٤ إلى ٣ آب ١٩٥٤)، وافاه الأجل في بغداد عام ١٩٨٢. للمزيد من التفاصيل يُنظَرُ: خالد أَحمَد الجوال، موسوعة أعلام كبار ساسة العراق في العهد الملكي، ١٩٢٠-١٩٥٨، ط١، ج١، بغداد، ٢٠١٣، ص٣٩-٤٠؛ أَحمَد فوزي، حكايات سياسية وصحفية، ١٢ رئيس وزراء في العهد الملكي، بغداد، ١٩٨٤، ص٢١٩-٢٥٠.

[٣] - للاطلاع على النظام الاساسي للجمعية ينظر: مجلة الهلال الأحمر ، العدد الخاص، في ١ ايار عام ١٩٥٢، ص ١٢-١٧.

٤- أديب توفيق الفكيكي، تأريخ أعلام الطب العراقي الحديث، ط١، ج٣، بغداد- ٢٠٠٠، ص٧٥.

٥- باقر أمين الورد، حوادث بغداد في أثنى عشر قرناً، ط١، بغداد- ١٩٨٩، ص٢٩٤.

٦- محمد جدعان عبدالله، جمعية الهلال الأحمر العراقي ١٩٣٢-١٩٥٤ ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة ديالى، ٢٠١٤، ص ٤٠-٤٦.

[٧] اياد يونس عريبي نعمة، الجمعيات الاجتماعية والدينية والفنية واثرها الثقافي في بغداد ١٩٣٣-١٩٥٨، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ابن رشد- جامعة بغداد، ٢٠١٥، ص ٧١.

٨- جمعية الهلال الأحمر العراقي، كراس تعريفي خاص بالجمعية، بغداد- ٢٠٠٠، ص٣.

٩- عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ج٢، بيروت- ١٩٥٦، ص٣٤.

[١٠] - تحسين علي: ولد في بغداد عام ١٨٩٠، دخل المدرسة الرشدية العسكرية عام ١٩٠٠. وبقي فيها خمس سنوات، وبعد التخرج منها انتقل الى الاعدادية العسكرية عام ١٩٠٦، وبعد اكمال الدراسة فيها لمدة ثلاث سنوات، سافر الى اسطنبول للالتحاق بالمدرسة العسكرية التي دخل فيها في عام ١٩٠٨. وتخرج منها في الاول من مايس عام ١٩١١، برتبة ملازم ثان في الجيش العثماني، وتدرج بالمناصب العسكرية في الجيش العثماني وأشترك في حرب البلقان عام ١٩١٢، ثم عاد الى العراق في عام ١٩١٤، أذ شارك في حرب العراق ضد البريطانيين، وبعد تشكيل الحكومة العراقية عام ١٩٢١، عين سكرتيراً لوزارة الدفاع في الثاني عشر من تشرين الاول عام ١٩٢٢، ثم عين مديراً لشرطة لواء الموصل في الرابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٢٢، وفي التاسع من نيسان عام ١٩٢٥ نقل الى مديرية شرطة لواء الدليم، ثم عين في التاسع عشر. من حزيران عام ١٩٢٧ قائمقاماً لقضاء الصويرة. وفي السادس عشر من تموز عام ١٩٢٨ عين متصرفاً للواء الكوت، وفي تاريخ الثالث والعشرين من نيسان عام ١٩٣٠ عين متصرفاً للواء الموصل، ثم عين متصرفاً للواء الحلة في الثاني والعشرين نيسان عام ١٩٣١، ثم عين متصرفاً للواء الديوانية في أب عام ١٩٣٣، ومن ثم متصرفاً للواء البصرة في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٣٣، وبقي في منصبه حتى عام ١٩٣٨، أذ نقل الى في الثاني والعشرين من ايلول عام ١٩٣٨ الى مديرية الاشغال العامة، ثم اصبح متصرفاً للواء الموصل مرة ثانية في نيسان عام ١٩٣٩، ثم وزيراً للمعارف عام ١٩٤١، ثم انتخب نائباً عن بغداد في عام ١٩٤٢، واصبح وزيراً للمعارف مرة ثانية عام ١٩٤٢، ثم اصبح رئيساً للديوان الملكي عام ١٩٤٣، وبعدها اصبح وزيراً للدفاع في الرابع من حزيران عام ١٩٤٤، ثم اصبح وزيراً للمواصلات والاشغال عام ١٩٤٤ ايضاً، ثم مديراً للأوقاف العامة من أب عام

١٩٤٦ الى أب عام ١٩٤٨، وبعدها قدم استقالته، وأقام في بيروت اواخر حياته وبعد عودته الى العراق توفي في الحادي والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٧٠، للمزيد من التفاصيل ينظر: مذكرات تحسين علي، ١٨٩٠-١٩٧٠، تقديم ومراجعة صالح محمد العابد، بيروت،٢٠٠٤؛ مريم عباس حسين، تحسين علي ودوره العسكري والسياسي ١٨٩٠-١٩٧٠، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، الجامعة العراقية، ٢٠٢١.

[١١] صحيفة الثغر، العدد ٢٣٦، في ١٧ كانون الاول ١٩٣٣.

[١٢] – محمد جدعان عبد الله، المصدر السابق، ص ٨٥؛ صحيفة الثغر، العدد ٢٥٦، في١٠ كانون الثاني ١٩٣٤. ينظر ملحق رقم (١).

[١٣] صحيفة الثغر، العدد ٢٣٧، في ١٨ كانون الاول ١٩٣٣.

١٤- محمد جدعان عبد الله، المصدر السابق، ص ١٠٠.

[١٥]- صحيفة الناس، عدد ٩٩، ٣ أيار ١٩٣٦.

[١٦] صحيفة الثغر، عدد ٦٨٤، ١٨ اذار ١٩٣٧.

[١٧] صحيفة الثغر، عدد ٦٨٦، ٢١ اذار ١٩٣٧

[١٨] صحيفة الثغر، عدد ٨٥٣، ٣ تشرين الاول ١٩٣٧.

[١٩] صحيفة الثغر، عدد ٩٣٤، ٥ نيسان ١٩٣٨؛ صحيفة الناس، عدد ٣٨١، ٦ نيسان ١٩٣٨.

[٢٠] صحيفة السجل، عدد ٥، ٢٣ نيسان ١٩٤٠؛ صحيفة السجل، عدد ١٠، ٧ ايار ١٩٤٠؛ صحيفة السجل، عدد ١٧، ٢٧ ايار ١٩٤٠.

٢١- محمد جدعان عبد الله، المصدر السابق، ص ٥٨.

٢٢- المصدر نفسه، ص٥٩.

[٢٣] – صحيفة الثغر: تعد من أبرز الصحف التي صدرت في البصرة في الثلاثينيات، أذ حصل السيد أحمد العطية على امتياز أصدراها بموافقة وزارة الداخلية بتاريخ ٣/ أذار عام ١٩٣٣، وقد صدر العدد الأول منها في البصرة بتاريخ ١٢/ أذار عام ١٩٣٣، وورد في عنوانها الثغر صحيفة سياسية يومية عامة، صاحب امتيازها ومديرها المسؤول أحمد العطية ورئيس تحريرها ومديرها شاكر النعمة، وكانت تصدر يومياً ما عدا يوم الجمعة، واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٧٣.للمزيد من التفاصيل ينظر: عكاب يوسف عليوي الركابي، صحيفة الثغر البصرية ١٩٣٣-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب- جامعة البصرة، ١٩٩٦. ص ١٩- ٢٠.

[٢٤] صحيفة الثغر، عدد٢٦٠، ١٥ كانون الثاني ١٩٣٤. ينظر ملحق رقم (٢)

[٢٥] صحيفة الثغر، عدد ٢٦٢، ١٧ كانون الثاني ١٩٣٤.

[٢٦] صحيفة الثغر، عدد٣٠١، ٦ اذار ١٩٣٤.

[٢٧] صحيفة الثغر، عدد ٢٩٢، ٢٣ شباط ١٩٣٤.

[٢٨] صحيفة الثغر، عدد ٣٠٢، ٧ اذار ١٩٣٤.

[٢٩] صحيفة الناس، عدد ١٥٩، ٢٠ ايلول ١٩٣٦.

[٣٠] صحيفة الناس، عدد ١٦٠، ٢٢ ايلول ١٩٣٦.

[٣١] صحيفة الناس، عدد ١٦١، ٢٤ ايلول ١٩٣٦. ينظر ملحق رقم (٣)

[٣٢] – محمد جدعان عبد الله، المصدر السابق، ص ١١٠.

[٣٣] صحيفة الثغر، عدد ٦٨٩، ٢٥ اذار ١٩٣٧.

[٣٤] صحيفة الثغر، عدد ٩٣٥، ٦ نيسان ١٩٣٨.

[٣٥] صحيفة الثغر، عدد ١٤٦١، ٧ كانون الثاني ١٩٤٠.

[٣٦] صحيفة الثغر، عدد ٢٤٥٢، ٣١ ايار ١٩٤٣.

[٣٧] – محمد جدعان عبد الله، المصدر السابق، ص ١١٦.

[٣٨] صحيفة الثغر، عدد ٩٣٥، ٦ نيسان ١٩٣٨.

[٣٩]- صحيفة السجل، عدد ٣٩، ١ اب ١٩٤٠.

[٤٠]- صحيفة الثغر، عدد ١٤٩٤، ٢٠ شباط ١٩٤٠؛ صحيفة الثغر، عدد١٥٠١، ٢٨ شباط ١٩٤٠.

[٤١]- صحيفة الثغر، عدد ١٧٠٢، ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٠؛ صحيفة الثغر، عدد ١٧١٨، ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٠.

[٤٢]- صحيفة الناس، عدد ١٠٥، ١٧ أيار ١٩٣٦.

[٤٣]- صحيفة الناس، عدد ١٢٣، ٢٨ حزيران ١٩٣٦.

[٤٤]- صحيفة الناس، عدد ١٦٨، ١٨ تشرين الاول ١٩٣٦.

[٤٥]- صحيفة الناس، عدد ١٧٧، ٨ تشرين الثاني ١٩٣٦.

[٤٦]- صحيفة الثغر، عدد ٦٨٩، ٢٥ اذار ١٩٣٧.

[٤٧]- صحيفة الثغر، عدد ٧٨١، ١١ تموز ١٩٣٧.

[٤٨]- صحيفة الثغر، عدد ٧٩٦، ٢٨ تموز ١٩٣٧.

[٤٩]- صحيفة الثغر، عدد ٨٠٥، ٨ اب ١٩٣٧.

[٥٠]- صحيفة الثغر، عدد ٨٦٢، ١٣ تشرين الاول ١٩٣٧.

[٥١]- صحيفة الثغر، عدد ٩٣٥، ٦ نيسان ١٩٣٨.

[٥٢]- صحيفة الثغر، عدد ٩٨٤، ٤ حزيران ١٩٣٨.

[٥٣]- صحيفة الثغر، عدد ١٤١٤، ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٩. ينظر ملحق رقم (٤)

موقف المرجعية الدينية من التطورات السياسية في العراق (٢٠٠٣ – ٢٠١٤)

- دراسة في الآراء والمواقف -

The effect of religious reference on addressing the political reality in Iraq from (2003-2014)

م.د جعفر رمضان الأسدي
جامعة كربلاء/ رئاسة الجامعة

م.م. عامر حميد سلطان
الجـــــامعة المـستنـصرية

الملخص:

عانى العراق خلال المدة الزمنية التي اعقبت السقوط العديد من المحن الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية التي كان من البديهي ان يتعرض لها اي بلد محتل، وما زاد في الامر سوءاً ان هذا الشعب سبق وان انهكته العديد من الظروف والتي القت بتبعاتها على كاهله بالكامل، فما كان من حصيلة ذلك الا انتاج شعب متصدع لا يعلم اي الجهات ممكن اتباعها، فما كان من المرجعية العليا الا التصدي لذلك الدور الريادي المتميز والذي اثبت كفاءته وبجدارة من في جميع الازمات، ولعل ابرزها ما تعرض له العراق من الاحتلال الامريكي بمعية العديد من الدول، فضلاً عن اقرار الدستور الموحد، وقانون ادارة الدولة الانتقالية، ليكون خاتمة هذه المواضيع هو تنظيم داعش الارهابي، والذي اخذ حيز كبير من الاعلام العالمي، وحقيقة لابد من التنويه اليها وهي ان القراءات الاولية التي خرج بها العديد من الباحثين والساسة عن اوضاع العراق كانت مشجعة على توقع ما سيحصل مستقبلاً، ضناً من الاخر عدم وجود دعامة قوية من الممكن الالتجاء اليها عند المحن، علماً ان تلك القراءات كانت قد تعرضت لدراسة اوضاع العراق من جميع النواحي، الا ان المفاجأة الكبرى هي تدخل المرجعية الدينية العليا لتقف شوكة في وجه كل من اراد الحط من مكانة العراق، ولتثبت للعالم صحة ما نزلت به الكتب السماوية من الركون الى الحصن المتين وهو الارضية الدينية والاجتماع على كلمة واحدة تحت لواء المرجعية التي اثبتت كفاءتها في التصدي لما يتعرض له العراق من افات كفيلة بتدميره وتحويله الى اشلاء.

Abstract .

Iraq suffered during the period of time that followed the fall of the many economic, political and social woes that it was evident that any occupied country would be subjected to, and what made matters worse was that this people had been exhausted by many circumstances that had completely destroyed its consequences on its shoulders. The outcome of this is only the production of a fractured people that does not know which entities can be followed, so what was the point of reference except to address this distinguished pioneering role, which proved its efficiency and merit of those in all crises, and perhaps the most prominent of them was what Iraq was exposed to from the American occupation with many countries, in addition to approving the constitution Consolidated, and Management Law Transitional state, to be the conclusion of this the issues are the ISIS terrorist organization, which has taken a large part of the international media, and a fact that must be mentioned is that the initial readings that many researchers and politicians have come out about the conditions of Iraq were encouraging to expect what will happen in the future, ensuring that there is no strong support from the other Resorting to them during adversity, knowing that these readings were subjected to the study of the situation of Iraq in all respects, but the biggest surprise is the interference of the religious authority.

المقدمة:

أدت المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف دوراً كبيراً ومهماً في الأحداث السياسية الداخلية بعد سقوط النظام الدكتاتوري في(**٩ نيسان ٢٠٠٣**)، وذلك من خلال إصدار العديد من الفتاوى والبيانات والاستفتاءات، التي حددت فيها مواقفها من القضايا الداخلية للبلاد، فضلاً عن منبر العتبة الحسينية في كربلاء المقدسة من اهم منابر صلاة الجمعة الذي أصبح ركناً أساسياً من أركان الحدث العراقي ، فالساسة والجمهور على حدٍ سواء يترقبون ما يُتلى على المنبر بشوقٍ وشفقٍ للتعرف على توجهاتها على الصعيد السياسي والفكري والتربوي، لذا كان من الضروري تسليط الضوء على أثر المرجعية الدينية في الأحداث والتطورات السياسية الداخلية حتى عام ٢٠١٤، وهي مدة زاخرة بالإحداث والإرهاصات مما شكل دافعاً آخر للدراسة، إذ كانت لتلك البصمات الشريفة اثره في رسم مستقبل العراق ، لذا جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على جانب من تلك الادوار التي تبنتها المرجعية، في الوقت ذاته تتصدى فيه لمن حاول طمس معالم المرجعية وتغييب دورها عن الواقع السياسي، وحصره ضمن اطار ديني مفرغ لا يمكن الاستفادة منه، ولابد من القول ان الباحث بذل جهداً كبيراً في متابعة نشاطاتها وفعالياتها ومواقفها السياسية حتى عام ٢٠١٤، وسوف نسلط الضوء على دورها ابتداءً من ٢٠٠٣ والتي رافقها الاحتلال الامريكي وصولاً إلى تنظيم داعش الارهابي وفتوى الجهاد الكفائي، وما تركته من اثر خلال هذه المدة الزمنية.

كلمات مفتاحية: (المرجعية الدينية، الاحتلال الأمريكي، العراق، داعش، الجهاد الكفائي)

اولاً: موقف المرجعية الدينية من الاحتلال الامريكي للعراق وطبيعة نظامه بعد ٢٠٠٣

خضع العراق للاحتلال الامريكي- البريطاني امتد على مدى الاعوام (٢٠٠٣ - ٢٠١١)، بدواعي قانونية وامنية ابرزها امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، عانى خلالها العراق الأمرين في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، إذ اتسمت هذه المرحلة التاريخية بالهيمنة الدولية على العراق من جانب، وعدم قدرة الاحزاب والتيارات السياسية على حسم الامور لصالح إعادة بناء الدولة من جانب آخر، علاوة على الاضطرابات السياسية التي أضحت ميزة لذلك العهد، كما لم تكن الاوضاع الصحية بأفضل حالاً من سابقاتها بسبب الأمراض المستوطنة في البلاد على الرغم من المحاولات الرامية للنهوض والإصلاح، وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه الاوضاع الى ظهور بعض الحركات والانتفاضات الشعبية للمطالبة بإصلاح تلك الاوضاع المتردية.

وكان من الطبيعي للمرجعية العليا في النجف الاشرف ان تحسم الخلافات والمواقف المتباينة في المجتمع العراقي، ولاسيما المواقف المصيرية منها على سبيل المثال كالموقف من سلطة الاحتلال الامريكي والألية التي ينبغي اعتمادها في التعامل مع المثل، وتوجهت الأنظار إلى المرجعية العليا والتي بادرت إلى الإعلان عن موقفها الواضح من قضية العراق وكيفية ادارته، اذ أصدرت المرجعية بيان حددت فيها المبادئ الاساسية التي يجب أن يكون عليها العراق في المستقبل وأهمها حق الشعب العراقي في حكم نفسه بعيداً عن الإدارة الخارجية وارتباط حكم البلاد بأفضل ابناءها بما تختزنه من الكفاءة والنزاهة والاخلاق والوطنية [١].

ولعل مواقفها كانت واضحة منذ أول تصريح أصدرته بعد سقوط النظام الدكتاتوري أعلنت فيها رفضها لأي سلطة أجنبية بعد الحرب التي تعرضت لها البلاد، وطلبت من العراقيين توحيد كلمتهم بوجه العدوان وان يتحلوا بالقوة والصبر، والدفاع عن وطنهم وعرضهم ودينهم ومقدساتهم وطرد الغزاة الكافرين عن ارض الاسلام[٢]، وبالرغم من الاتهامات التي وجهت إلى المرجعية الدينية العليا بسبب موقفها من عدم مقاومة الاحتلال بالعمل المسلح، هذا الاتهام الذي يلقي بظلاله على كثير من الباحثين في شؤون مؤسسة الدينية " **الحوزة العلمية**"، ولان الاجابة عليه تحتاج الى دراسة مجموعة قضايا لغرض الخروج بنتائج لعل أهمها ان حجم ما لاقته المؤسسة الدينية من إعدامات وتعذيب وسجن وتهجير للمفكرين والعلماء الدين [٣]، حتى أصبحت شبه معطلة في المدة التي سبقت دخول قوات الاحتلال الاجنبي للعراق، وان الدارس لظروف المؤسسة الدينية في النجف الاشرف في هذه المدة سيجد الكثير من الدلائل والبراهين التي تشكل نقطة مأساوية في تأريخ مؤسسة الدينية في ظل حكم الدكتاتور صدام حسين، الذي لم يبق من المؤسسة سوى الشكل الرمزي بدون أي دور اجتماعي وسياسي في المجتمع العراقي، مما افقدها القدرة على الفعل في حياة مقلديها وحتى هؤلاء لم يسلموا من بطش السلطة، فهل يبق للمرجعية الدينية العليا أي دور سياسي او إفتائي جهادي ؟، وهنا سيبرز سؤال ما الذي من الممكن ان تقوم به المرجعية من اجراء في ظل هذه الظروف مع دخول قوات محتله للبلد؟ ان الاجابة على هذا السؤال هي التي تقود الى تفهم موقف المرجعية الدينية العليا.

اضف الى ذلك ان للأحزاب والتيارات السياسية المعارضة للنظام الاستبدادي ولاسيما الاحزاب والقوى الاسلامية [٤] كان لها أثر كبير في عدم تشريع فتاوي كهذه ، ولعل السبب واضح، فالاتصالات التي كانت تحدث بهذا الاتجاه من اجل إقناع الرأي العام بعدم الوقوف بوجه الاحتلال الاجنبي للبلاد ، من اجل ان يتسنى لهم استخدامه كوسيلة لإسقاط نظام الدكتاتوري ومن ثم التمهيد لإدارة البلد من بعد هذا السقوط، وكان هذا واضحا في كثير من الأدبيات التي صدرت من هذه الأحزاب إذ تصف هذه القضية بـ "**سقوط النظام او سقوط الصنم**" ، والمهم ان هذه الأجواء وما شابهها لعبت دوراً في تأني المرجعية عن اخذ موقف متطرف جداً من الغزو الامريكي– البريطاني او على الأقل الرضا بالرفض السلبي في عدم التعاون مع المحتل الاجنبي.

في الوقت ذاته اكدت أن وجود القوات الأجنبية في العراق غير شرعي وضرورة انهاء قوات أجنبية محتلة، غير انها رأت أن المعركة من أجل الاستقلال البلد تحتاج إلى عقلية عليا ومرجعية سياسية ودينية وجهود كل الأطياف والقوى العراقية على اختلافها من أجل استخدام الأساليب المتحضرة والديمقراطية لطرد الاجنبي وتجنب العمل المسلح الذي يؤدي إلى المزيد من الدماء في البلاد[٥]، كما استمرت في تنبيه الشعب العراقي الى ما يشكله الاحتلال الاجنبي من خطر كبير وأنه لم يكن المنشود في تغيير النظام الاستبدادي عن طريق الاحتلال، وان ذلك يؤدي الى انهيار مقومات الدولة وانعدام الامن والاستقرار وتفاقم الجرائم وتلف الكثير من الممتلكات العامة وغير ذلك[٦] .

وعلى صعيد آخر فقد رفضت المرجعية الدينية العليا اللقاء مع أي رمز من رموز الاحتلال الاجنبي الغربي في العراق ومنهم على سبيل المثال "**بول بريمر**"[٧] الحاكم المدني للعراق رغم الحاحهم

المستمر على لقائها والتحدث معها، بل فضلت التعامل مع الامم المتحدة باعتبارها الشرعية الدولية مؤيداً على دورها في العراق وان تكون القوات الاجنبية في البلاد تحت مضلة مجلس الامم المتحدة[٨].

خلاصة القول أن موقف المرجعية الدينية في النجف الاشرف من الاحتلال الامريكي-البريطاني اتسم بالهدوء والمقاومة السلمية، لكن على الرغم من عدم اصدار فتوى توجب الجهاد ضد الاحتلال، لا توجد في الوقت نفسهُ فتوى تؤيد هذا الاحتلال أو تعطيه شرعية ، وانما اتسمت مقاومتها من حيث العمل السياسي، وهنا يأتي دورها في المدة اللاحقة للاحتلال وخاصة من القضايا السياسية الكبرى منها مثلا " **الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥م**" وغيرها من القضايا التي لعبت المرجعية الدينية العليا دوراً مهماً وكبيراً فيها وكان لموقفها كلمة الفصل في هذه القضايا.

ثانيا : موقف المرجعية العليا من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥م.

قبل دراسة موقف المرجعية من صياغة الدستور العراقي، لا بده ان نشير الى معنى الدستور من وجه نظر دراسة علمية ، يعرف "**الدستور**" بأنه مجموعة من القواعد القانونية التي تُبين شكل الدولة "**دولة اتحادية أم دولة موحدة**"، وشكل نظامها السياسي "**ملكي أو جمهوري**"، ويبين طبيعة العلاقة بين السلطات الثلاث، إضافة إلى أنه ينظم السلطات العامة ويبين طريقة تكوينها ويحدد اختصاصاتها، وينظم العلاقة فيما بينها، ومع الأفراد، وكما ينص في الوقت نفسه على الحقوق والحريات العامة للأفراد داخل الدولة ، اذن الدستور هو الذي يحدد الفلسفة التي يتبناها نظام الحكم والهدف الذي يسعى لتحقيقه[٩].

وقد أهتمت المرجعية العليا في مسألة كتابة الدستور اهتماما بالغاَ واعطاء الرأي بشأنه، لأن الجماهير وجدت في مرجعيتها المثل الحقيقي لتحقيق تطلعاتها وأهدافها، مما دعا المرجعية الدينية الى أصدار فتواها الشهيرة وقد جاء ذلك بعد ان ادركت عزم "**مجلس الحكم**"[١٠] والحاكم المدني "**بول بريمر**" تشكيل مجلس لكتابة الدستور العراقي، وانه سيعين اعضاء هذا المجلس بالمشاورة مع السياسيين العراقيين يضطلع بهمة وضع الدستور للبلاد، ثم يعرض الدستور بعد اقراره من قبل المجلس للتصويت [١١]، وعلى اثر ذلك اكدت المرجعية على ضرورة اجراء الانتخابات عامة لكي يختار كل عراقي مؤهل لانتخاب من يمثله في مجلس تأسيس كتابة الدستور ثم يجري التصويت العام على الدستور الذي يقره هذا المجلس، وان لا شرعية لأي دستور يكتب بأيدي اشخاص معينين سواء من قبل سلطة الاحتلال او اعضاء ما يسمى بمجلس الحكم، وكما أن تلك السلطات لا تمتلك أي شرعية لتعيين اعضاء مجلس كتابة الدستور الذي لا يعد سلطة ذات سيادة وهو غير مخول للبت في القضايا والخيارات المصيرية للشعب العراقي[١٢]. يمكن القول أن اصرار المرجعية على أن يكون اعضاء مجلس "**كتابة الدستور**" شخصيات منتخبة حصراً، جاء من وحي قراءتها لنتائج صدور الدستور المؤقت، أو ما يسمى "**قانون إدارة الدولة الانتقالي**"، وأن صدوره سيعرقل امكانية صدور دستور دائم، يؤسس لعراق ديمقراطي يتمتع بالسيادة الكاملة والمطلقة على أراضيهِ المقدسة[١٣].

وعلى اثر ذلك حدث الخلاف مع سلطة الاحتلال الاجنبي بسبب اعتذارها من إجراء الانتخابات قبل نقل السلطة عام ٢٠٠٤م، على اثر ذلك تدخلت الأمم المتحدة لحل الخلاف بين المرجعية الدينية و

سلطة الائتلاف المؤقتة ، ونتج عن ذلك تعيين المخضرم الاممي الأخضر الإبراهيمي وكانت مهامه ضمان موافقة المرجعية الدينية العليا تأجيل أول انتخابات لاختيار المجلس الدستوري(١٤).

لكن أن دعوة المرجعية العليا إلى كتابة الدستور، لم تتوقف فقد دعت إلى تنظيم مظاهرات في جميع محافظات البلاد، من اجل تشجع على اجراء الانتخابات العامة كأساس لنقل السيادة من سلطة الائتلاف إلى العراقيين، فضلاً عن اصرارها وعزمها على أن السلطة لا ينبغي لها أن تمارس من قبل قوى الاحتلال الاجنبي، فضلا عن موقفها الرافض اتجاه بعض المبادرات التي تقدم بها أعضاء مجلس الحكم الوطني في كتابة الدستور المؤقت، بل اصرت على أن ينبثق الدستور من اغلبية الشعب العراقي وان يضع المجلس الانتخابي دستوراً وطنياً يطابق المصالح العليا للشعب العراقي ويعبر عن هويته الوطنية الاسلامية التي من ركائزها الاساسية الدين الاسلامي الحنيف(١٥) . يمكن القول ان المرجعية الدينة لم تترك فرصة امام الرأي العام الا واستثمرتها للدعوة الى الانتخابات نزيهة، فضلا عن انها عملت على اشاعة ثقافة الانتخابات في البلاد وذلك من خلال الفتاوى والبيانات التي اصدرتها مؤكدة ان طموحات المرجعية العليا تمثل طموحات العراقيين وارادتهم المستقلة بجميع قومياتهم وطوائفهم.

ثالثا: موقف المرجعية الدينية العليا من قانون ادارة الدولة الانتقالية

اصبحت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف اكثر تحدياً عندما وقع مجلس الحكم الانتقالي على قانون "**ادارة الدولة الانتقالي**"(١٦) ، وهو بمثابة دستور مؤقت سيطبق اعتباراً من(**٣٠ حزيران ٢٠٠٤**) الموعد المحدد لنقل السلطة من التحالف الى العراقيين حتى اعتماد دستور دائم للعراق من قبل جمعية وطنية تنتخب قبل نهاية (**كانون الثاني ٢٠٠٥**)، الا ان المرجعية العليا اعتبر هذا القانون بعد اقراره "**باطلا**" وكل قانون لا يسن بانتخاب من الجماهير يعتبر قانونا باطلاً، اي ان المرجعية اعتبرت لجنة تعيين كتابة هذا القانون لم تتمتع بتأييد معظم ابناء الشعب العراقي، وهذا من شأنه أن يعيق عملية كتابة الدستور الدائم، الذي يمكن من خلاله الحفاظ على وحدة البلاد وحقوق جميع ابنائها من جميع الفئات والطوائف العرقية(١٧).

وعلى ضوء ذلك بعثت المرجعية العليا برسالة موجه إلى بعثة مجلس الامم المتحدة في بغداد، بينت فيها أن قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية يعمل على تكرس التفرقة الطائفية و القومية والعرقية في المجتمع العراقي، في الوقت نفسه ان اقراره سيقيد الجمعية الوطنية المسؤولة عن كتابة مسودة الدستور الدائم ولا يسمح لها باتخاذ ما تراه مطابقا لمصلحة الشعب العراقي، وطالبت عدم ذكره في قرارات مجلس الامن الدولي(١٨) . يبدو من ذلك ان المرجعية العليا كانت تدرك جيدا ان قانون إدارة الدولة يعمل على إثارة أقبح أنواع الفتن والانقسامات الطائفية والقومية الدموية، ويفتح شهية كل من يريد تفجير الانقسامات الطائفية والعرقية ودفع الأوضاع نحو الاقتتال الداخلي، وهذا يمثل الهدف الاساسي لهذا القانون المؤقت، وعليه هذا القانون هو دستور لتعميق السيناريو الأسود في البلاد.

فضلاً عن ذلك تأكيد المرجعية العليا على أن الاغلبية الصغيرة لا ينبغي أن يكون لها حق الرفض والنقض بالدستور، وهذا ما تنص عليه المادة (٦١) من الفقرة (ج) من قانون إدارة الدولة الانتقالية وهي "**على أن يكون الاستفتاء العام ناجحاً، ومسودة الدستور مصادقاً عليها، عند موافقة اكثرية**

الناخبين في العراق، واذا لم يرفضها ثلثا الناخبين في ثلاث محافظات او اكثر" التي اعطيت لأقلية معينة فرصة الوقوف بوجه إرادة الأغلبية من الشعب العراقي[١٩].

وعليه نستنتج من ذلك أن موقف المرجعية الدينية العليا كان واضحاً من هذا القانون غير العنصري والطائفي غير شرعي أن يسري على رقاب الشعب العراقي، كما أن المرجعية كانت تلعب دوراً محورياً في الحفاظ على وحدة الشعب العراقي والتعايش السلمي وتكريس كل جهودها لبناء دولة عادلة ومؤسسات محايدة، وذلك عن طريق اجراء الانتخابات التشريعية التي تضمن الوصول إلى دستور دائم للبلد يحفظ وحدته وحقوق ابنائه من جميع الاعراق والطوائف.

رابعا: موقف المرجعية الدينية العليا من النظام السياسي الفيدرالي

تعود فكرة تطبيق الدولة الفدرالية[٢٠] في العراق إلى منتصف تسعينيات القرن المنصرم عندما اتفقت أطراف الاحزاب والتيارات المعارضة العراقية للنظام الدكتاتوري الاستبدادي في مؤتمراتها التي عقدتها في لندن وشمال العراق، على إمكانية إقامة دولة فيدرالية في العراق بعد إسقاط النظام الدكتاتوري ويكون من اولوية سلطة الائتلاف المؤقتة وذلك بقصد احتواء المشاكل المتوقع لها أن تنشب، فضلا عن ذلك ان فكرة تقسيم العراق تعد من مشاريع الاستعمار، وهذا ما صرحت به العديد من الدراسات، ومنها : دراسة المفكر الإستراتيجي ووزير الخارجية الأسبق "**هنري كيسنجر**" الذي ذكر في (**آذار ٢٠٠٦**) :"**إن المصير الذي ينتظر العراق سيكون مشابها لمصير يوغوسلافيا السابقة**"، وكذلك دعا أيضا السيناتور الديمقراطي "**جوزيف بايدن**" إلى تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق تتمتع كل منهما بالحكم الذاتي، كما أن بعض الدراسات الاكاديمية كالدراسة التي كتبها "**مورافيك**" الصادرة عن مؤسسة راند الأمريكية بين عامين (**٢٠٠٧-٢٠٠٦م**) ، وفيها يدعو إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات في "**الجنوب والوسط والشمال**" تتوزع على المكونات العراقية الثلاث الرئيسية في البلد [٢١] .

فضلاً عن ذلك شكلت مسألة الخلافات في المداولات السياسية بين مختلف قادة الاحزاب والتيارات من العرب والاكراد لحظة كتابة الدستور الدائم للعراق الى عرقلة كتابته، فلم تكن توجه القوميات العربية والكردية موحدة أتجاه صياغة المتضمنات الرئيسية للدستور، اذ ركزت مطالبات الاكراد الدستورية على الفيدرالية الأثنية وتوزيع موارد النفط والغاز، والتوافقية، أما مطالبات العرب الشيعة، فقد حضي اهتمامهم بالفيدرالية الإدارية، وهو ما يقبله الأكراد ويرفضه عرب السنة، خشية من أن السلطة في الاقاليم سوف تؤدي إلى تفتيت العراق أو تأسيس إقليم إسلامي على غرار الدولة الايرانية يضم تسع محافظات شيعية، فكانت مطالبهم واضحة أتجاة هوية الدولة العربية رافضين تعددية النظام **أولاً**، واجتثاث البعث **ثانياً**، واللامركزية وتوزيع الموارد **ثالثاً** [٢٢] .

اما موقف المرجعية الدينية العليا في النجف من الفدرالية ، فأنها قد رفضت اصدار أي فتوى بشأن هذه القضية بالرغم من سعي العديد من قادة الاحزاب والتيارات والمنظمات السياسية من اجل الحصول على رأي منها بشأن ذلك، ويبدو أن المرجعية الدينية تركت الخيار للشعب العراقي ونأت بنفسها عن التدخل في بعض القضايا وخاصة تلك التي تتعلق بمستقبل العراق "**الفيدرالية**"، و"**هوية العراق**" على رغم من الانتقادات التي وجهت اليها من قبل بعض شرائح الشعب العراقي.

خامساً: موقف المرجعية الدينية من الانتخابات التشريعية في العراق

كانت المرجعية الدينية ومواقفها واضحة حول الانتخابات، فقد حثت على التفاعل الايجابي مع صناديق الاقتراع، لكن في نفس الوقت لم يكن لها أي رأي داعم او سلبي تجاه أي مرشح من المرشحين، وابتعدت قدر الامكان عن دعم أي كيان من الكيانات السياسية المرشحة للانتخابات والوقوف على مسافة واحدة من كل الكتل النيابية والسياسية، و تركت الأمر لاختيار المواطن، وهذا الموقف له ما يبرره ، ولعل أهمها ان المرجعية الدينية تدخلت في الشأن الانتخابات الاولى وذلك لأنها كانت تود وضع البلاد على الطريق الصحيح وعدم تدخل أي طرف خارجي في شؤونه الداخلية، لذلك أن دورها في هذا الاتجاه انتهى وعليها ان تعلن انسحابها وتظل تراقب ما يجري على الساحة السياسية الداخلية، في الوقت نفسه فأنها قد أُحبِطت من التجارب الانتخابية السابقة وذلك نتيجة فساد وعدم مسؤولية البعض من النواب، مما جعلها تتجه نحو الانسحاب من دور الداعم لترشيح لكنها تبقى تدعم العملية الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة في البلاد[٢٣] .

وكما اوصت جميع المواطنين بحسن الاختيار للمرشح والقائمة معاً، وذلك باعتماد المعايير السلمية والصحيحة لانتخاب الاصلح لهم موكدة على الثوابت الوطنية التي تحفظ مصالح الجميع بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية والقومية ، وان يتصف بالإخلاص وحب الخدمة والنزاهة والكفاءة، ولا يبحث عن مصالحه الشخصية أو مصالح كتلته أو حزبه أو قائمته[٢٤].

ولذا شجبت بذل الاموال لشراء الاصوات واستخدام النفوذ واعطاء الوعود بالتعيينات أو غير ذلك فأنها امور غير جائزة وتفقد الانتخابات نزاهتها وشفافيتها، اذ قد يساهم هذا الصوت في ايصال العناصر السيئة ومنع وصول العناصر الجيدة، فضلا عن ذلك حذرت بشدة من العزوف عن المشاركة في الانتخابات بعد خيبة الأمل في الانتخابات السابقة، سيمنح الفرصة للآخرين في تحقيق ماربهم غير المشروعة وأن المواطن الذي لم يشارك في عملية الانتخابية فسيشارك غيره وربما هذا الغير وينتخب مرشحا غير كفوء وبالتالي فان هذا المرشح سيصل إلى مواقع السلطة ومواقع حساسة في مجالس المحافظات، فضلا عن ذلك يجب الاستفادة من التجارب الماضية وعدم تكرار الاخطاء التي حصلت والتي ادت إلى تدني النسبة المطلوبة في الاداء، وذلك لاعتماد الناخب معايير غير صحيحة في الانتخابات بحيث انه يعتمد على الانتماء العشائري والطائفي أو المناطقي وأن هذا الشخص المرشح شخص من ارحام الناخب قد حقق له مكاسب شخصية وهكذا، ومن ثم يصل اشخاص غير كفؤين وغير مؤهلين وانصاف متعلمين لإدارة مجالس المحافظات، وكما تؤكد المرجعية الدينية على عدم التأثر بالولاءات العشائرية أو المناطقية أو الحزبية أو العاطفية لتكون معيار الاختيار فأن الانتخابات مسؤولية وامانة في عنق المواطنين[٢٥].

وبهذا يمكن القول ان المرجعية الدينية استمرت في دعمها للانتخابات على الرغم من بعض الاخفاقات التي شهدتها العملية السياسية في البلاد منذ عام (٢٠٠٣-٢٠١٤) والتي لم تسفر عن تحقيق آمال العراقيين في تحقيق الامن والرفاهية والاستقرار، رغم ذلك اكدت على ضرورة المشاركة في الانتخابات التشريعية.

سادساً: تنظيم داعش الارهابي وفتوى الجهاد الكفائي

من الامور التي كانت بعيدة عن الحسبان عند الساسة والجمهور على حدٍ سواء هو اصدار المرجعية العليا فتوى "**الجهاد الكفائي**"[٢٦]، لمحاربة تنظيم داعش الارهابي، بعد انهيار المؤسسة الامنية – العسكرية في مدينتي نينوى وصلاح الدين، وتمكنه من احكام سيطرته عليها بالكامل، فضلاً عن سيطرته على اجزاء مهمة وكبيرة من محافظات ديالى والانبار وبابل، في ظل ازمة سياسية وامنية كبيرة اعقبت انتخابات **(٣٠/ نيسان/٢٠١٤م)**، وما رافقها من احتجاجات وساحات اعتصام في محافظات الغربية، لذا كان الخطر الذي هدد كيان الدولة العراقية كبيراً في ظل الأزمة السياسية واجتماعية والامنية[٢٧] .

وبهذا كان صوت المرجعية مدوياً في منبر العتبة الحسينية المقدسة، اذ جاءت خطبة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي**(دامت توفيقاته)** الى ابناء القوات المسلحة قائلاً:" **اجعلوا قصدكم دينكم ودوافعكم هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته، وحفظ الامن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك، ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم، وشعبه الجريح**"، ويستأنف الشيخ الكربلائي قوله :" **وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فإنها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسال والثبات والصبر، وتؤكد على أن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده واهلة، واعراضهم فانه يكون شهيدا ان شاء الله تعالى**"[٢٨] .

في تلك الظروف العصيبة والخطيرة أفتت المرجعية الدينية في يوم **(١٣ حزيران ٢٠١٤)** إلى الجهاد الكفائي من خلال منبر الجمعة في العتبة الحسينية المقدسة والتي القاها ممثله في مدينة كربلاء سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي مخاطباً الشعب العراقي جميعاً" **من القادرين على حمل السلاح للتطوع في صفوف القوات الامنية للدفاع عن العراق**" الذي يواجه تحدياً كبيراً، وشملت الفتوى كل العراقيين من دون استثناء سواء اكان بالدين أو المذهب أو العرق، وكما اكدت المرجعية على أن التحدي وأن كان كبيراً الا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والاقدام، وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة اكبر من هذه التحديات والمخاطر[٢٩] ، وبهذا يمكن القول ان هذه الفتوى قد احدثت حماس كبيرا ومنقطع النظير لدى ابناء الشعب العراقي بجميع مكوناته وبمختلف الشرائح والفئات الاجتماعية، اذ انخرط مئات الالاف من المتطوعين من الشباب والرجال الكبار للتضحية من اجل بلاد المقدسات والعقيدة، وأن الاستجابة الواسعة لنداء والمرجعية الدينية والوطن، يعد ترجمة حية لأهمية الموروث الديني والوطني في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله والوطن "**حب الوطن من الأيمان**".

وبذلك تمكنت وحدات فتوى الجهاد الكفائي مع الجيش العراقي الباسل في حماية المحافظات والمدن المقدسة كـ" **سامراء والكاظمية وكربلاء**" وتخفيف الحصار عن امرلي وتحرير جرف الصخر وحماية طرق الزيارة وطرد تنظيم داعش الارهابي من محافظة الانبار ومدينة وبيجي والفلوجة وتكريت ومحافظتي نينوى وصلاح الدين [٣٠].

الخاتمة

يمكن ابراز مجموعة من النتائج التي توصل اليها البحث ابرزها:

- ادركت المرجعية الدينية في النجف الاشرف اهمية الحفاظ على وحدة الشعب العراقي، فسعت جاهدةً الى رأب الصدع نتيجة الانقسام والتصدع في بنية المجتمع، فعلى الرغم مما سعت اليه دولاً اقليمية ودولية في اذكاء نار الفتنة بين ابناء البلد الواحد، لكن، الرعاية الابوية التي تمتعت بها المرجعية الدينية استطاعت وبجدارة افشال جميع الخطط التي من شأنها ايجاد الانقسام الداخلي.
- في هذا السياق، لا يمكن ان نغفل ان المرجعية الدينية في النجف الاشرف بوصفها اداة من ادوات التأثير في الواقع السياسي والاجتماعي، وخاصة في العراق، كانت بعيدة عن معاناة والآم المجتمع العراقي، بل على العكس من ذلك، كانت رافداً اساسيا في تقويم العملية السياسية، حتى انها في اغلب الاحيان اعلنت رفضها القاطع لسياسة الدولة العراقية، بوصف انها لا تراعي شؤون الطبقات المتوسطة والفقيرة، لذلك، اثرت المرجعية وبقوة في تغيير نمط سياسة الدولة واسلوب السلطة.
- على الرغم من المحاولات المتعددة من ساسة الاحزاب تهميش دور المرجعية ، والركون الى ما كان يتبناه النظام الاستبدادي البائد ، الا ان المرجعية اثبتت وبمنتهى الجدارة كفاءتها في علاج العديد من الامراض الاجتماعية والسياسية، وانها بحق مؤهلة لتخليص العراق مما يمكن ان يتعرض له من المواقف الصعبة .
- ان الجماهير وجدت في مرجعيتها المثل الحقيقي لتحقيق تطلعاتها وأهدافها مما دعا المرجعية الدينية الى الوقوف امام ظروف الاستثنائية التي يمر به العراق
- للمرجعية العليا اثرها الواضح في مفاصل الحياة السياسية العراقية في ظل سلطات الاحتلال من حيث تقديم التوجيهات والنصح للساسة العراقيين، فضلاً عن تبنيها دعم العمل السلمي "السياسي" منذ بداية الاحتلال.
- للمرجعية الدينية أثر كبير في الحراك الاجتماعي، ولعل ذلك بدا واضحاً في التوعية والحث على المشاركة في الانتخابات التشريعية ودعم العملية السياسية ، وكما لم يكن لها تدخل تجاه بعض القضايا الاساسية منها ما يتعلق بـ "هوية العراق، والفيدرالية"، وان المرجعية العليا تركت الخيار للشعب العراقي ونأت بنفسها عن التدخل في هذه التفاصيل رغم الانتقادات التي وجهت اليها من قبل بعض شرائح المجتمع العراقي.
- كانت خطوة الجهاد الكفائي على رأس الاعمال الحكيمة التي تبنتها المرجعية والتي اصابت العالم بالذهول جراء تلك السياسة واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب ،إذ لم تكن تلك الخطوة مجرد نص فقهي صادر من مرجع تقليد الى مقلديه فقط ، وانما كانت مشروعاً استراتيجيا وطنيا متكاملا وموجّها الى جميع من يستطيع ان يحمل السلاح من العراقيين ويدافع دفاعاً كفائياً في سبيل الله والوطن.
- واخيراً لا يفوتنا القول ان مرجعية بهذا المستوى الفكري الجبار جديرة بمنحها الثقة من قبل جميع ابناء العراق، بوصفها تمتلك جميع المؤثرات على مجمل الحياة السياسية والاجتماعية في العراق.

الهوامش

(١) ان وكالة رويترز طرحت سؤال عن رؤية المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف مفاده مستقبل الحكم في العراق؟ فكانت الإجابة بـ"**أن الحكم في العراق يجب أن يكون للعراقيين بلا أي تسلط أجنبي، والعراقيين هم الذين لهم حق اختيار نوع النظام في العراق وبلا تدخل للأجانب**"، للمزيد من التفاصيل ينظر: حامد الخفاف ، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، (بيروت : دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٧)، ص١٤-١٥؛ مل الخزعلي، المرجعية الدينية والعمل السياسي قراءة في مواقف السيد علي السيستاني من العملية السياسية بعد ٢٠٠٣، " **حولية المنتدى**"،(مجلة)، العدد ١٢، لسنة ٢٠١٢، ص٥١.

[٢] صلاح عبد الرزاق، المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحد الوطنية، (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٠)، ص٥٢.

(٣) شهدت المدة التاريخية (١٩٧٢-٢٠٠٣) حملة إرهابية شنها نظام البعث برئاسة احمد حسن البكر وقادها ناظم كزار مدير الأمن العام وصدام حسين في ما بعد، إذ تصاعدت حملات الاعتقال والمداهمات في صفوف المؤمنين والعلماء والمجتهدين منهم اية الله السيد محمد باقر الصدر وفضلا عن العشرات من المجتهدين الآخرين والمئات من العلماء والآلاف من الطلبة وعشرات بل مئات الآلاف من مقلدي المرجعية الدينية العليا ومن أبناء المجتمع العراقي. للمزيد من التفاصيل ينظر: فائق الشيخ علي، اغتيال شعب، (لندن، ٢٠٠٠م)؛ أحمد الحبوبي ، ليله الهرير في قصر النهاية،(بغداد: شركه ادد للطباعة ،٢٠٠٣) .

(٤) تراوح أحزاب المعارضة ما بين مجموعات صغيرة وأحزاب متوسطة الحجم وتجمع أحزاب، وأكثرها خارج الوطن، ولعل أبرزها في الوسط الشيعي حزب الدعوة الاسلامية والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والذي يرأسه محمد باقر الحكيم ومنظمة العمل الإسلامي والتي تمثل خط المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي وبزعامة السيد محمد تقي المدرسي والحركة الإسلامية هي الامتداد لتيار الإمام الشيخ الخالصي الذي يعد أحد أبرز قادة ثورة العشرين في العراق، وكان هدف هذه الاحزاب العمل من أجل إطاحة نظام الدكتاتوري وإقامة النظام السياسي التعددي الذي يعتمد على الانتخابات الحرة.

(٥) الحقيقة ان المرجعية العليا نادت منذ البداية بالمقاومة السلمية وربما لها بذلك أسباب لعل أهمها أنها لم ترد ان تدخل البلاد في حرب جديدة لا طاقة للشعب العراقي بها، او ربما كان هناك حذر كبير مما ستفرزه هذه المقاومة من مخرجات غير جيدة من سيادة الجماعات المسلحة وتدخل دول الجوار ويزيد من القتل والدمار الذي سيحل بالبلاد، ولعل العبرة بالدول التي سلكت هذه الطريقة خير مثال على عدم تكرارها. للمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر: عمار البغدادي، "**السيد السيستاني... رؤية من الداخل**"، شبكة المعلومات الدولية : www. kitabat. Com .

(٦) حامد الخفاف ، المصدر السابق، ملحق رقم ٢، ص ٢١٢.

(٧) **بول بريمر**(١٩٤١-...) : الحاكم العسكري للعراق إبان الغزو الأمريكي ، وقبل تعيينه في ذلك مندوبا ساميا على العراق كان يرأس شركة استشارية للأزمات عملها ينحصر في تقديم خدمات للشركات لمساعدتها على التعامل مع أزمة قد تواجهها على سبيل المثال الكوارث الطبيعية، وثم انضم إلى السلك الدبلوماسي عام ١٩٦٦ حيث كان مسؤولا سياسيا واقتصاديا وتجاريا في سفارتي بلاده في أفغانستان ومالاوي ما بين المدة (١٩٧٦-١٩٧٩)، كما تولى منصب المساعد التنفيذي والمساعد الخاص لستة من وزراء الخارجية الأمريكيين للمزيد من التفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية، موسوعة الجزيرة، (www.aljazeera.net).

(٨) صالح الضالمي، المرجعية.. والمواقف الصريحة، " **افاق نجفية**"،(مجلة)، العدد الثاني، النجف الاشرف، لسنة ٢٠٠٦ ، ص٢٥.

(٩) طارق حرب، تعريف الدستور لغة واصطلاحاً، "**المدى**"، (جريدة)، العدد ٤٥٩، بغداد، ٩ اب لسنة ٢٠٠٥ ٢٠١٧.

(١٠) **مجلس الحكم** :هي هيئة إدارية تشكلت بتاريخ ١٢ تموز ٢٠٠٣م، بعد التغيير النظام السياسي السابق بقرار من سلطة الاحتلال الأمريكي برئاسة بول بريمر، ومنح له صلاحيات جزئية لإدارة الشؤون العراقية، ويتكون مجلس الحكم من (٢٥) عضواً من ممثلين عن أحزاب والتيارات سياسية عراقية المعارضة للنظام السابق، وقد تم التناوب على رئاسة

المجلس بحسب الحروف الأبجدية لأعضائه ولمد شهر واحد فقط لكل عضو، واستمرت صلاحية المجلس لغاية اوائل حزيران ٢٠٠٤، إذ تم حل المجلس بعد تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة أياد علاوي.

(١١) للمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر: عمر سيكوباه، الامام السيستاني والتحدي الدستوري في العراق ،"**المعراج**"، (مجلة) ، العدد ٦٦، النجف الاشرف ، لسنة ٢٠٠٥ ، ص١٩٨، بيتر وغالبريت، نهاية العراق، ترجمة: اياد احمد، (بيروت: دار العربية للعلوم، ٢٠٠٧)، ص١٥٦.

(١٢) حامد الخفاف ، المصدر السابق، الوثيقة رقم ١٤، ص٢٢٢ ؛ محمد فايز فرحات، الاحتلال واعاد بناء الدولة، (بيروت: مركز دراسات الوحد العربية، ٢٠١٥)، ص ٣١٦-٣١٧، و٣٥٧.

(١٣) للمزيد من التفاصيل ينظر : جاريث ستانسفيلد، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٩)، ص١٨٩.

(١٤) فيبي مار، عراق ما بعد ٢٠٠٣، ترجمة: مصطفى نعمان احمد، (بغداد: دار المرتضى، ٢٠١٣)، ص٥١.

(١٥) يشير حامد الخفاف عندما سأل المرجع آية الله السيد علي الحسيني السيستاني عن ثوابت الدين في الدستور العراقي فأجاب" **أن الإسلام دين اغلبية الشعب العراقي، واذا كتب الدستور بأيدي المنتخبين من قبل العراقيين، فمن المؤكد انه سيمثل فيه قيم الإسلام وتعاليمه السمحاء**". للمزيد من التفاصيل ينظر: حامد الخفاف، مصدر سابق، ص٢٨٠.

(١٦) **قانون ادارة الدولة الانتقالي**: ينص هذا القانون على أن يتم اختيار خمسة فقط من أعضاء اللجنة التنظيمية يتم تعيينهم من قبل مجلس الحكم، فيما يعين خمسة اخرون من قبل مجلس المحافظة، والخمسة الباقون من قبل المجالس المحلية لأكبر خمس مدن ضمن المحافظة على أساس عضو واحد لكل مجلس محلي وهؤلاء وتعتمدهم سلطة الائتلاف المؤقتة) لعقد مجمع انتخابي على مستوى المحافظة، وينتخب المجمع الانتخابي ممثلي المحافظة في الجمعية الوطنية الانتقالية . للمزيد من التفاصيل ينظر: جوناثان ستيل، الهزيمة لماذا خسروا في العراق، ترجمة: بسام شيحا، (بيروت: دار العربية للعلوم، ٢٠٠٩).

(١٧)جوناثان ستيل ، المصدر السابق، ص١٥٣ .

(١٨) للمزيد من التفاصيل ينظر : حامد الخفاف، مصدر سابق، ص١١١-١١٢.

(١٩) فريد هاليداي واخرون، الاثنية والدولة" **الاكراد في العراق وايران وتركيا**"، ترجمة عبدالله النعيمي، (بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص٣٧٤؛ دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥، ص١٧ .

(٢٠) **الفدرالية**: هي نظام سياسي اتحادي تكون فيه السلطة موزعة بين الحكومة المركزية في العاصمة وبين الحكومات المحلية في الوحدات المكونة للاتحاد، ويترتب على ذلك أن يقوم المواطنون بواجباتهم تجاه كل من الحكومتين المركزية والمحلية. للمزيد من التفاصيل ينظر: طه حميد حسن، العراق بين اللامركزية الادارية والفيدرالية، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث، ٢٠١٠)، ص٢٧.

(٢١) باسم عبد الساد خليف، دور المرجعية الدينية في العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير (جامعة بغداد :كلية العلوم السياسية، ٢٠١٠)، ص١٢١.

(٢٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: احمد قاسم مفتن، التنوع الاثني والسلم الاجتماعي في العراق "**العرب والأكراد: دراسة مقارنة**"، اطروحة دكتوراه (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠١٦)، ص١٠٦؛ فالح عبد الجبار، دستور العراق العلاقات العرقية والدينية، ترجمة سعيد شحاته، (بغداد: دراسات عراقية، ٢٠٠٨)، ص١٤.

(٢٣) للمزيد من التفاصيل حول الموضوع ينظر : علي غانم حميد، موقف المرجعية الدينية الشيعية العليا في العراق من التطورات السياسية ٢٠٠٣-٢٠٠٩م، رسالة ماجستير ،(جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠١٠)، ص١٤٩.

(٢٤))جهاد الاسدي، قراءة في موقف المرجعية من الوضع السياسي والانتخابات، (النجف الاشرف: مؤسسة شهيد الحراب، ٢٠١٣)، ص٤٠.

([٢٥]) للمزيد من التفاصيل حول ذلك الموضوع ينظر: خليل مخيف، المرجعية الدينية والانتخابات، "**مجلة العراقية للعلوم السياسية**"، (مجلة)، العدد ٣، كانون الثاني لسنة ٢٠٠٥، ص٣٥ –٤٠؛ قراءة في الرؤية السياسية لأية الله علي الحسيني السيستاني، ترجمة باسم علي خريسان وسعد علي حسين، (مركز الدراسات الدولة ، ٢٠٠٤)، ص٧–٢١؛ جهاد الاسدي، المصدر السابق ، ص٤٣.

([٢٦]) **الجهاد الكفائي:** وهو الجهاد الذي يتوجب القيام به من عدد كاف ومناسب من الناس ليسقط عن الباقين، وهذا العدد الكافي لرد العدوان يحدده القادة الميدانيون والخبراء العسكريين من دون سواهم. للمزيد من التفاصيل ينظر: حيدر نزار السيد سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق، (١٩٥٨–١٩٦٨)، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠)، ص١٦٨.

([٢٧]) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي.. الرهان الاخير، (العراق: مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، ٢٠١٥)، ص٢٣–٢٤

([٢٨]) للمزيد من التفاصيل ينظر: الشيخ عبد المهدي الكربلائي، خطبة الجمعة، بتاريخ ١٣ حزيران ٢٠١٦.

([٢٩]) المصدر نفسه.

([٣٠]) مايكل نايتس، مستقبل قوات الامن العراقية، (بغداد: مركز البيان للدراسات والتخطيط، ٢٠١٦)، ص٣١.

قائمة المصادر

اولا : الكتب العربية والمعربة

أ- اولا : الكتب العربية

١- أحمد الحبوبي ، ليله الهرير في قصر النهاية،(بغداد: شركه ادد للطباعة ،٢٠٠٣).

٢- جهاد الاسدي، قراءة في موقف المرجعية من الوضع السياسي والانتخابات، (النجف الاشرف: مؤسسة شهيد الحراب، ٢٠١٣).

٣- حامد الخفاف ، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، (بيروت : دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٧).

٤- حيدر نزار السيد سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق، (١٩٥٨–١٩٦٨)، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠).

٥- دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥.

٦- صلاح عبد الرزاق، المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحد الوطنية، (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٠).

٧- طه حميد حسن، العراق بين اللامركزية الادارية والفيدرالية، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث، ٢٠١٠).

٨- فائق الشيخ علي، اغتيال شعب، (لندن، ٢٠٠٠م).

٩- مايكل نايتس، مستقبل قوات الامن العراقية، (بغداد: مركز البيان للدراسات والتخطيط، ٢٠١٦).

١٠–مجموعة باحثين، الحشد الشعبي.. الرهان الاخير، (العراق: مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، ٢٠١٥).

١١- محمد فايز فرحات، الاحتلال واعاد بناء الدولة، (بيروت: مركز دراسات الوحد العربية، ٢٠١٥).

ب- الكتب المعربة :

١- بيتر وغالبريت، نهاية العراق، ترجمة: اياد احمد، (بيروت: دار العربية للعلوم، ٢٠٠٧).

٢- جاريث ستانسفيلد، العراق الشعب والتاريخ والسياسة، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٩).

٣- جوناثان ستيل، الهزيمة لماذا خسروا في العراق، ترجمة: بسام شيحا ، (بيروت: دار العربية للعلوم، ٢٠٠٩).

٤- فالح عبد الجبار، دستور العراق العلاقات العرقية والدينية، ترجمة سعيد شحاته، (بغداد: دراسات عراقية، ٢٠٠٨).

٥- فريد هاليداي واخرون، الاثنية والدولة" الاكراد في العراق وايران وتركيا"، ترجمة عبدالله النعيمي، (بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦).

٦- فيبي مار، عراق ما بعد ٢٠٠٣، ترجمة: مصطفى نعمان احمد، (بغداد: دار المرتضى، ٢٠١٣).

٧- قراءة في الرؤية السياسية لأية الله علي الحسيني السيستاني، ترجمة باسم علي خريسان وسعد علي حسين، (مركز الدراسات الدولة ، ٢٠٠٤).

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١- أحمد قاسم مفتن، التنوع الاثني والسلم الاجتماعي في العراق "العرب والأكراد: دراسة مقارنة"، اطروحة دكتوراه (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠١٦).

٢- باسم عبد الساد خليف، دور المرجعية الدينية في العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير (جامعة بغداد :كلية العلوم السياسية، ٢٠١٠).

٣- علي غانم حميد، موقف المرجعية الدينية الشيعية العليا في العراق من التطورات السياسية ٢٠٠٣-٢٠٠٩م، رسالة ماجستير ،(جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠١٠).

ثالثا : الصحف والمجلات

أ- الصحف :

١- "**المدى**"، (جريدة)، العدد ٤٥٩، بغداد، ٩ اب لسنة ٢٠٠٥.

ب- المجلات :

١- " **افاق نجفيه**"،(مجلة)، العدد الثاني، النجف الاشرف، لسنة ٢٠٠٦.

٢- " **حولية المنتدى**"،(مجلة)، العدد ١٢، لسنة ٢٠١٢، ص٥١.

٣- "**المعراج**"، (مجلة) ، العدد ٦٦، النجف الاشرف ، لسنة ٢٠٠٥.

٤- "**مجلة العراقية للعلوم السياسية**"، (مجلة)، العدد ٣، كانون الثاني لسنة ٢٠٠٥.

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية

1- www. kitabat. Com .

2- www.aljazeera.net

الحركة الكردية في العراق (١٩٥٨- ١٩٦٨م)

Kurdish movement in Iraq 1958 -1968

م. د. محمد وعيد مهدي

المديرية العامة لتربية محافظة ديالى

Abstract .

The Iraqi academic centers are interested in studying the history of the Kurdish movement because of its great role in knowing and understanding the great transformations that occurred in the course of that movement. This interest is due to the period following the fall of the monarchy in 1958 until the Baath Party seized power in 1968. During that era, major transformations and events changed the ideologies and strategies of the movement at the leadership and organizational level. During that stage, the movement fought many wars and confrontations with the central authority, as well as the splits and intellectual differences that afflicted the leadership of that movement. In this research, light is shed on the march of that movement. The movement and its organizational structure and the most prominent differences between its advanced staff, as well as the position of foreign countries towards it and how it was dealt with by the successive republican leaders who assumed power during that era in the contemporary history of Iraq. And the ideology that it was suffering from and still is, which is represented by the control of certain leaders and people over the decision-making center, as well as the absence of a distant political vision and planning , as well as dependence on the outside in obtaining rights and demands .

الملخص

اهتمت الأوساط الأكاديمية العراقية بدراسة تاريخ الحركة الكردية لما لها من دور كبير في معرفة وفهم التحولات الكبيرة التي حدثت على مسيرة تلك الحركة، لاسيما في المدة التي تلت سقوط النظام الملكي في العام ١٩٥٨، وحتى قيام حزب البعث بالاستيلاء على السلطة في العام ١٩٦٨، إذ حدثت خلال تلك الحقبة تحولات وأحداث كبيرة غيرت من إيديولوجيات وستراتيجيات الحركة على المستوى القيادي والتنظيمي، كما خاضت الحركة إبان تلك المرحلة العديد من الحروب والمواجهات مع السلطة المركزية، فضلا عن الانشقاقات والاختلافات الفكرية التي عصفت بقيادة تلك الحركة، وفي هذا البحث تم تسليط الضوء على مسيرة تلك الحركة وهيكلها التنظيمي وأبرز الخلافات بين كادرها المتقدم ، فضلا عن موقف الدول الخارجية منها وكيف تم التعامل معها من قبل القيادات الجمهورية المتعاقبة التي تبوأت السلطة خلال تلك الحقبة من التاريخ المعاصر للعراق، ومن خلال ما تم التطرق له يتبين للباحث والقارئ مراحل تطور تلك الحركة والمشاكل التنظيمية والفكرية التي كانت تعاني منها ولازالت والمتمثلة بسيطرة قيادات معينة وأشخاص على مركز القرار، فضلا عن غياب النظرة والتخطيط السياسي البعيد المدى، فضلا عن الاعتماد على الخارج في نيل الحقوق.

كلمات مفتاحية: (الحركة الكردية، البارزاني، الحكم الذاتي، عبد الكريم قاسم، عبد السلام عارف).

المقدمة .

شهدت الحركة الكردية في العراق خلال مراحل نموها وتطورها العديد من الأحداث والتغيرات والاضطرابات التي أسهمت في تغيير هيكلها التنظيمي والحزبي، كما أن الأحداث التي مر بها العراق

خلال الحقبة قيد الدراسة أثرت وبشكل كبير على تلك الحركة وعملت على بلورة تنظيم حزبي يتبنى مطالب الأكراد، فضلا عن تأسيس العديد من الأحزاب السياسية الكردية ذات الخلفيات الفكرية المختلفة، حرص الباحث في هذا البحث لتسليط الضوء على تطور الحركة الكردية خلال تلك الحقبة ودراسة تأثير الأحداث الداخلية والخارجية على عمل الحركة السياسي والعسكري والفكري، ومن خلال معرفة تلك التحولات والتجاذبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية يتصل القارئ الى فهم ومعرفة اصول تلك الحركة وأهدافها ومنجزاتها، فضلا عن الأخطاء التي رافقت تطور هيكلها التنظيمي، قسم البحث إلى ثلاثة محاور، تطرق المحور الأول إلى بدايات تأسيس الحركة الكردية من بداية تأسيس الأحزاب وهيمنة العشائرية وحتى سيطرة الملا مصطفى البرزاني على قيادة الحزب، ثم أشتمل المحور الثاني على دراسة الحركة الكردية وثورة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨، وعلاقة الحركة بعبد الكريم قاسم وتجدد الخلاف معه، وتناول الثالث الحركة الكردية في العهد الجمهوري الثاني وعلاقة الحركة بعبد السلام عارف وتدخل الدول الكبرى في تلك الحركة .

المبحث الأول بدايات الحركة الكردية ومشكلة القيادة والتنظيم :

١. بداية تأسيس الأحزاب الكردية العلنية .

تأسس حزب رزكاري كورد في سنة ١٩٤٥ من بعض المثقفين الأكراد والشيوعيين ، فضلا عن الأعضاء اليساريين المتبقين من حزب هيوا ، وفي الواقع كان الحزب الشيوعي هو النواة والمؤسس لهذا الحزب الجديد ويمكن اعتبار حزب رزكاري الأساس الذي انبثق منه الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي تشكل في آب ١٩٤٦ في بغداد [١] .

كان تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي نتيجة للنجاح الدولي الذي حققه الأكراد نسبياً في تأسيس جمهورية مهاباد في إيران[٢]، في تلك السنة، إذ قرر الأكراد العراقيون المدافعون عن جمهورية مهاباد تأسيس حزب كردي قومي (يضم جميع الاتجاهات الفكرية الكردية) معتمدين على تجربة الحزب المشابه الذي أُنشأ في مهاباد بدعم سوفييتي[٣]، وتبنى تلك الفكرة وعمل على تحقيقها (الملا مصطفى البرزاني)[٤] .

وفي حقيقة الامر، كان لذلك العامل المتمثل بالتفرد بالقيادة وغياب التنظيم عامل ضعف في داخل الحركة القومية الكردية، لأن كل الحركات والتمردات الكردية التي حدثت في العراق قبل سنة ١٩٥٨، كانت ذات قيادة فردية عشائرية ، والذين اشتركوا فيها لم يكن لديهم أي شعور أو معرفة بالتنظيم الحزبي أو العسكري، ومن الطبيعي أن حركاتهم سرعان ما كان يقضى عليها باستخدام جيش منظم مدرب[٥].

وعلى الرغم من أن الملا مصطفى البرزاني قد عُدّ القائد الأعلى للحركة ، غير أن الحقيقة أنه لم يكن هناك قيادة أو بناء قيادي موحد، أو أية خطة عمل موحدة ، كما تصرف كل القادة الميدانيين بناءاً على تقديراتهم الشخصية وليس وفق خطة شاملة، أما إصرار الحزب الديمقراطي الكردستاني على إنشاء قيادة موحدة بينهم وبين الملا مصطفى البرزاني فقد أُهمل تماماً، كما تجسدت مشكلة التنظيم أيضاً في فشل المحاربين الأكراد في العراق وممثليهم في الخارج في تشكيل قاعدة موحدة وفي الخلاف والتضارب

الواضح بين مواقف وتصرفات الملا مصطفى وقيادة الحزب، حتى في مسائل أساسية مثل أهداف الحركة وتطلعاتها، كما أن القادة الأكراد الأتراك فشلوا في الإتفاق بشأنها، إذ كان لهم وجهات نظر مختلفة حول هدفهم البعيد المدى (الحكم الذاتي) [٦]، وفي الحقيقة، أُتهمت القيادة الكردية إبان الحركة المسلحة بأنها تفتقر للمرونة، فضلا عن زيادة وتغيير مطالبها بصورة مفاجئة، وفي بعض الأحيان كانت تقدم مطالب تعجيزية، كما أن غالبية القيادات الكردية كانت متهمة بكونها جاهلة بالسياسة الدولية والدبلوماسية وغير ماهرة في التعامل السياسي الخارجي والداخلي، وفي بعض الأحيان بعيدة عن الواقعية، وربما كان الخطأ الأكبر الذي ارتكبته مختلف القيادات الكردية المختلفة في تلك المدة كان يتمثل في فشلها في إدراك حقيقة عدم إمكانية قهر جيش منظم ومسلح بصورة جيدة، فضلا عن فشلها في إدراك عدم إمكانية مقاتليها في القتال بعيداً عن مناطقهم الجبلية الوعرة، وهذا ماجعل حلمهم في النجاح في تغيير النظام بمفردهم أمراً مستحيلاً هو الآخر[٧]، وعلى الرغم من كل ذلك ، لم تستوعب القيادات الكردية ذلك واعتقدت بأنها من خلال استمرار القتال ستتمكن من إضعاف السلطة المركزية والتمهيد للقيام بانقلاب عسكري، ومع صحة ذلك الاعتقاد نوعاً ما، إلا أن تلك القيادات فشلت أيضاً في استيعاب حقيقة أساسية هي أن أي ضابط في الجيش سينجح في انقلابه سيكون أكثر استعداداً واندفاعاً في استعمال القوة المسلحة ضد الحركة الكردية، بسبب تركيبته وخلفيته العسكرية[٨] .

٢. هيمنة العشائرية وضعف التنظيم الحزبي .

عندما بدأت ظاهرة تأسيس الأحزاب السياسية تظهر في أجواء الكرد السياسية، أجبر الملا مصطفى البرزاني قيادات الحركة الكردية على إدخال عناصر عشائرية في قيادة الحزب الجديد، ولم تمنعه اعتراضات العناصر الشيوعية واليسارية من العدول عن هذا الأمر، وفي نهاية المطاف تغلبت إرادة الملا مصطفى البرزاني، ومما زاد الطين بُلة أن العناصر المثقفة لم تستمر في رفضها لإدخال العناصر العشائرية إلى الحزب وقبلت الفكرة، بل والأكثر من ذلك انتخبت الملا نفسه ليكون رئيساً للحزب الجديد، على الرغم من تحفظهم واعتراضهم على تصرفاته العشائرية، وبلا أدنى شك كانت السمة العشائرية واضحة على برنامج الحزب الجديد، الذي صدر دون أي إشارة إلى إصلاحات اجتماعية واقتصادية، ومن الجدير بالملاحظة، أن الحزب مر بالعديد من التغييرات والصراعات على مستوى قيادته، وتقاذفته التجاذبات وأدت به إلى الاستقرار في النهاية تحت سيطرة الملا مصطفى البرزاني بالكامل [٩]، والحقيقة، أنه مع غياب القوى الاجتماعية والسياسية الأخرى، تحملت العشائر مسؤولية تمثيل الحركة الكردية، فضلا عن الدفاع عن حقوق قادة الحزب من الإقطاعيين، ومع أملهم في استعادة الاستقلال العشائري الذي كانوا يتمتعون به على مر التاريخ، كانت تلك العناصر هي الوحيدة التي تبنت تمثيل الحركة القومية الكردية عن طريق التمرد أو الثورة، وعلى الرغم من أن تلك الحركات العشائرية كان لديها بعض الأهداف القومية، إلا أنها غالباً ما كانت تخضع للأهداف العشائرية ذات النظرة الضعيفة والمحدودة الأفق [١٠] .

أما بالنسبة لتواجد الأحزاب السياسية فقد كان مقتصراً على المدن الكبيرة، لاسيما العاصمة بغداد، غير أنها كانت في الأغلب غير قادرة على التأثير على الجماهير أو على مجاراة أو تحدي الهيمنة العشائرية في مناطق كردستان، ومن الطبيعي أنها فشلت في تغيير البنية الإجتماعية في كردستان[١١] .

ومن الجدير بالملاحظة، أن القوى السياسية الكردية اعترفت بفشلها وخضعت بصورة غير مباشرة للقيادات من العناصر العشائرية، وحدث ذلك بإحدى طريقتين إما بالانضمام للحركات التي كانت قيادتها عشائرية والتي كانت تتحصن في الجبال، أو بالاعتماد بشكل كبير على المقاتلين العشائريين الذين لم يكن لديهم أي ولاء للأحزاب السياسية، ولم يكن الحزب الديمقراطي الكردستاني مستثناً من ذلك الأمر، ومن الغريب أن الحزب بعد أن أصبح أكثر الأحزاب السياسية الكردية تطوراً ونضوجاً، عاد وأخضع نفسه لقيادة الملا مصطفى البرزاني ، وربما يعود ذلك لما كان يمتلكه الملا مصطفى البرزاني من مكانة متميزة لدى عبد الكريم قاسم قائد ثورة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨ [١٢]، وعاد الحزب وكرر نفس الخطأ في العام ١٩٦١، بعد اندلاع الحركة المسلحة الكردية، عندما قرر الاشتراك في حركة مسلحة تحمل أهداف عشائرية ، أدانها الحزب في البداية، الا أن قادة الحزب اعتقدوا خطأً أنهم سيخسرون جماهيرهم الأكراد بصورة نهائية لصالح الإقطاعيين والعشائريين إذا ما بقوا بعيدين عن الحركة ، وهكذا اشتركوا في حركة مسلحة يهيمن عليها العناصر العشائرية والإقطاعية ، وبذلك ضاع هدف الحزب الديمقراطي الكردستاني السابق الذي كان يدعوا إلى تحويل الحركة العشائرية إلى حركة قومية وطنية وتنازله عن هذا الهدف بعد مدة وجيزة من اشتراك الحزب في الحركة المسلحة، فعلى الرغم من قرار الحزب بتأسيس مقرهم بعيداً عن منطقة نفوذ الملا مصطفى البرزاني، كان على الحزب في كل الأحوال ، أن يعتمد على مركز الملا مصطفى القومي بين العشائر، إذ كان الملا يستمد قوته من القوة المحيطة به من البرزانيين وهي قوة مسلحة قوامها حوالي (٢٠٠٠) شخص آنذاك، بينما كان الحزب يعتمد على عشائر أخرى لم تحمل أي ولاء لأهدافه [١٣] .

ويبدو أن أحداث حركة ١٩٦١ المسلحة، لم تكن تختلف عن سابقاتها لأنها حدثت بسبب دوافع عشائرية ، إذ كانت كل عشيرة تتبنى مسؤولية واحدة وهي الدفاع عن منطقتها وصد أي هجوم يقع عليها من قبل الجيش العراقي ، كما أن الحزب الديمقراطي الكردستاني اتبع النمط ذاته، وعلى الرغم من أن الملا مصطفى البرزاني أُعتبر القائد الأعلى للحركة، غير أنه في الحقيقة لم يكن هناك قيادة أو بناء قيادي موحد، أو أية خطة عمل موحدة، وكان كل قائد ميداني يتصرف وفقاً لتقديراته الشخصية وليس كجزء من خطة مركزية موحدة [١٤]، وفي واقع الامر، لم يكن الحزب يمتلك أي وسيلة لاستمرار ثورته وتحقيق أهدافه القومية في حال قررت العناصر العشائرية التخلي عن مساندة الحزب ، وبالفعل حدث ذلك في سنة ١٩٦٤، عندما قرر الملا مصطفى البرزاني تصفية القيادة (العقائدية المثقفة) للحزب، فبعد أن وافق على اتفاق ضعيف مع حكومة عبد السلام عارف [١٥] ، في شباط من السنة ذاتها عارضته قيادة الحزب، فقام الملا مصطفى البرزان ي بالهجوم على مقرات الحزب ومناطق نفوذه وفرض سيطرته عليها وطرد قياداتها خارج مدن وقصبات كردستان العراق، والذي ساعده في ذلك الأمر بلا شك العشائر الموالية له ، فضلا عن العناصر العشائرية المنضوية في الحزب، وبذلك العمل إنتهى التيار العقائدي وأُخضعت قيادة الحزب والحركة المسلحة للقيادة العشائرية بالكامل، كما أن كل مافعله الحزب من أعمال تقدمية في المنطقة التي كانت تحت سيطرته كـ (اللجان الفلاحية وتطبيق نوع من الاصلاح الزراعي) أُلغيت من قبل الملا مصطفى البرزاني بالكامل[١٦]، ولابد من الأشارة إلى أنه ظلت تلك المشكلة المستمرة تؤرق القيادات السياسية الكردية المثقفة في كردستان العراق، والتي تمثلت بمشكلة العمل في وسط فلاحي يعاني من

التخلف والخضوع لهيمنة العشائر، إذ استمرت تلك المعضلة دون حل واستمرت قيادات الحركة الكردية المثقفة تقود جماهير عشائرية أُمية فقيرة ومقاتلين عشائريين يجهلون أبسط المبادئ الحزبية والسياسية [١٧].

٣. سيطرة الملا مصطفى البرزاني على قيادة الحركة الكردية بشكل كامل .

يلاحظ من خلال القراءة السابقة دور الملا مصطفى البرزاني في تأسيس الحزب الديمقراطي وإصراره على التدخل وفرض إرادته على قيادة الحزب وقراراته، مستغلا في أغلب الأحيان الخلافات بين أعضائه البارزين، إذ عمل في البداية على إخراج إبراهيم أحمد [١٨] ، (السكرتير العام) وجلال الطالباني [١٩]، (عضو المكتب السياسي)، من الحزب في كانون الثاني ١٩٥٩، وعين أشخاصاً موالين له بدلاً عنهما، مستندا في ذلك على دعم الأعضاء الباقين في المكتب المركزي في الحزب، ثم عاد وغير قيادة الحزب مرة أخرى في نهاية تلك السنة وأعاد إبراهيم أحمد وجلال الطالباني إلى منصبيهما السابقين، وحدث كل ذلك دون أن يكون لقاعدة الحزب أي دور ورأي في ذلك، ومن الواضح أن كل ماقام به الملا مصطفى البرزاني كان يحدث بسبب دعم عشيرته ومقاتليه من البرزانيين[٢٠]، وكما تم ذكره من قبل ، فأن الملا مصطفى البرزاني قام بالسيطرة على مقرات الحزب ومناطق نفوذه وطرد قياداته إلى خارج كردستان، ونتيجة لذلك فإن سنة ١٩٦٤ كانت سنة الانهزام الأيديولوجي للحزب والهيمنة الكاملة للملا مصطفى البرزاني ، مما حدا بقيادة الحزب المثقفة إلى الاتصال والتعاون مع شاه إيران أولا ثم مع الحكومات العراقية المتعاقبة فيما بعد يدفعها في ذلك رغبة الانتقام من الملا مصطفى البرزاني وصار ذلك الامر هدفها الأول والأخير [٢١] .

وتجدر الإشارة إلى أن، تلك الخلافات بدأت منذ ستينيات القرن الماضي بين الملا مصطفى البرزاني وبعض أعضاء المكتب السياسي كإبراهيم أحمد وجلال الطالباني الذي كان يمثل اليد اليمين للملا مصطفى البرزاني وكان يمثل الحركة الكردية في القاهرة وبيروت ودمشق، ومن تلك الخلافات التي أحدثت انشقاقاً كبيراً في صفوف الحزب الديمقراطي الكردستاني كما صرح بها جلال الطالباني الطريقة والأسلوب في قيادة ومعالجة المسائل السياسية والحزبية والشعبية ، غير أن الواقع كان الخلاف أيديولوجيا بسبب فكر وتوجهات أعضاء المكتب السياسي إبراهيم أحمد وجلال الطالباني التقدمية والمتأثرة بالفكر الماركسي[٢٢]، بالمقابل، كان الملا مصطفى البرزاني يتصرف كزعيم عشيرة متشبث برأيه، وكانت تلك المعضلة غالبة في كثيرة من حركات التحرر في العالم الثالث، ومن البديهي أن يتطور هذا الخلاف حتا وصل إلى مرحلة الاقتتال العنيف بين إخوة النضال مرات عدة في حقبة الستينيات، وبلا شك فأن الحكومة العراقية ستستغل ذلك الخلاف والانشقاق وتعمل على الاستفادة الكاملة منه[٢٣].

المبحث الثاني . الحركة الكردية وموقفها من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

١. موقف الحركة من قيام الثورة .

في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، أطاح انقلاب عسكري بقيادة ضابط في الجيش العراقي هو عبد الكريم قاسم بالنظام الملكي، ساعده في ذلك السخط الجماهيري في العراق، فضلا عن تطور الحركة القومية العربية وتصاعد حركات التحرر في العالم وظهور دول عدم الانحياز، إذ اعتقد الأكراد بأن ذلك التغيير ليس مجرد انقلاب عسكري بل ثورة شعبية حقيقية، ستؤدي بالفعل إلى إحلال الديمقراطية في

العراق، مما يعمل على تطبيق الحكم الذاتي في كردستان، ومما عزز من شعورهم هذا ، ما جاء في الدستور المؤقت الذي صدر بعد اسبوعين من حدوث الانقلاب، والذي كان ينص على إعادة الحياة الديمقراطية للعراق [٢٤]، ومن الجدير بالذكر ايضا أن، الدستور الجديد تضمن عدة نصوص وبنود ، وأهم ما نص عليه فيما يخص الأكراد ما تضمنه البند الثالث بشكل صريح بأن الشعب العراقي يتكون من قوميتين هما العرب والأكراد وأنهما شركاء في الوطن، كما أكد الدستور على ضمان الحقوق الوطنية للكرد داخل إطار الكيان العراقي ، وكان ذلك التخصيص يصدر لأول مرة في تاريخ الكرد الحديث، وهو أن ينص دستور دولة من الدول التي تقسم كردستان بوجود أرض كردية وشعب كردي داخل حدود الدولة [٢٥] ، وتماشياً مع ما تم ذكره، مع رجوع الملا مصطفى البرزاني من الإتحاد السوفيتي السابق هو وأعوانه ممن فروا معه بعد سقوط أول جمهورية كردية (جمهورية مهاباد) التي تأسست في إيران سنة ١٩٤٦[٢٦]، وفي طريق عودته إلى العراق التقى الملا مصطفى البرزاني بالرئيس المصري جمال عبد الناصر في القاهرة، كما استقبله عبدالكريم قاسم في بغداد، مما حدا بالقادة الأكراد بالتغاضي عن البند الثاني من الدستور الجديد الذي كان ينص على أن العراق بكل أراضيه جزء لا يتجزأ من الأمة العربية في حين كان الأكراد ينادون بأن يثبت في نصوص الدستور أن الجزء العربي من العراق هو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية[٢٧].

وجدير بالذكر أن ، موقف الحركة الكردية من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، قد تباين بعد مدة وجيزة، إذ اشتد الصراع بين أعضاء اللجنة المركزية للحزب، وانعكس ذلك على الكوادر والقواعد جميعها، ولم يكن الصراع شخصياً كما كان يتصور البعض رغم أنه لم يخل من دوافع شخصية بنسبة معينة، إلا أن الدافع الشخصي لم يكن هو المحرك الأساسي ، بل كان صراعاً مبدئياً يتمحور في جناحين هما:

١- جناح (إبراهيم – جلال وأنصارهما) والذي كان ينظر إلى التحالف مع السلطة والقوى السياسية من ناحية مصلحية نفعية، وتعني ممارسة السياسة بعقلية تجارية، وفي الواقع كان هذا الجناح يدعو إلى تحقيق أكبر مكسب حزبي بأي اسلوب كان فكانت الغاية عند هذا الجناح تبرر الوسيلة وظل هذا النهج معمولاً به حتى الوقت الحاضر [٢٨] .

٢- جناح (صالح الحيدري- حمزة عبدالله وأنصارهما) وكانت نظرته إلى التحالف مع القوى المذكورة من ناحية المصالح الاستراتيجية للحركة القومية الكردية التحررية، أي عكس النظرة التكتيكية للجناح الأول ، ومن الطبيعي أن يتكلف هذا الجناح تضحيات مؤقتة ومصاعب وعراقيل كبيرة، لكنه على المدى البعيد هو الطريق الأسلم [٢٩] .

٣- وفي واقع الآمر، أن سقوط العرش الهاشمي واعلان الجمهورية العراقية في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، فتح مرحلة جديدة من الأحداث الداخلية في العراق لاسيما ما يتعلق بالحركة الكردية[٣٠].

٢. علاقة الحركة بعبد الكريم قاسم.

بعد سيطرة عبد الكريم قاسم على السلطة بشكل رسمي، عمل على القيام بعدة إجراءات منها اعترافه بالأحزاب السياسية بما فيها (الحزب الديمقراطي الكردستاني) ، كما سمح بتشكيل أحزاب جديدة،

فضلا عن السماح بإصدار صحف ومجلات كردية ، وبالفعل ظهرت في تلك المدة (١٤) صحيفة ومجلة كردية [٣١] .

وتجدر الإشارة، أن عبد الكريم قاسم اتبع سياسة جديدة نحو الأكراد، إذ سلم لهم في صلب الدستور المؤقت بحقوق إدارية وثقافية، وفسح المجال للأكراد لتكوين أحزاب سياسية تنادي بالحقوق القومية، كما أصدر عفواً عن الملا مصطفى البرزاني وسمح له بالعودة للعراق بعد سنوات طويلة في المنفى وأمده بالمال والسلاح[٣٢]، وتماشياً مع ما تم ذكره، استعان عبد الكريم قاسم بالمقاتلين الأكراد من أجل قمع حركة عبد الوهاب الشواف، وذلك شجع الأكراد على زيادة سقف مطالبهم، إذ صرح قادة الحزب الديمقراطي جهراً بمطالبه التي تدعوا إلى نيل حق الحكم الذاتي منذ تشرين الأول ١٩٥٩، كما طالبوا بتضمين ذلك الأمر في نص الدستور، فضلا عن حق الأكراد في تقرير المصير، ومناصرة وتأييد مطالب الأكراد في خارج العراق[٣٣] .

من جانب آخر، حدث تقارب كبير بين قادة الحركة الكردية واليساريين في العراق ، إذ صرح قادة الحركة الكردية بأنهم يستمدون عقيدتهم السياسية من الماركسية اللينينية، فضلا على أنه يوافق على مبدأ وحدة الوطن العراقي مادامت الحكومة العراقية تعمل وفق سياسة تقدمية، وفي حال تنصلها عن ذلك فأن الحركة تفضل الانفصال [٣٤] .

بالمقابل، تميزت سياسة عبد الكريم قاسم ، بظاهرة التقلبات السريعة ، إذ سمح للأحزاب بنشاط محدود غير أنه سرعان ما ضاق بهم ذرعاً وقام بالقضاء عليهم نهائياً، وبالنسبة للأكراد قام بمنحهم امتيازات كبيرة لم يسبق لها مثيل في زمن سابق، لكنه لم يستطيع بعد ذلك أن يلبي جميع رغبات الحركة الكردية، مما حدا بالأكراد إلى القيام بالعصيان المسلح في سنة ١٩٦١، والذي كان أشد خطورة من جميع الحركات والتمردات السابقة وأطولها زمناً، حدث ذلك مع أن الضباط الأحرار قادة الثورة كانوا مجمعين على إيلاء المشكلة الكردية الاهتمام والحيز الأكبر من الأهمية، إلا أن عبد الكريم قاسم زاد المشكلة تعقيداً من قبل [٣٥]، ومما زاد من نقمة الحركة الكردية على حكومة عبد الكريم قاسم إيقافه للحزب الديمقراطي، إذ أثار ذلك الأمر حساسية الأكراد ، فبعد أن فتح عبد الكريم قاسم الباب لتنامي وتطور الحركة الكردية، لم يستطع كبح جماح قادة الحركة وإيقافهم عند الحد المقبول، كما أن علاقته غير الودية مع جيرانه، لاسيما إيران، فبعد إثارته لمسألة إقليم عربستان، دفع بحكومة طهران إلى تأييدها علناً لحركة العصيان في شمال العراق[٣٦]، وفي السياق ذاته، عندما سمح عبد الكريم قاسم بعودة الأحزاب السياسية اشترط عليها تقديم طلب رسمي لوزارة الداخلية، وأن لا يكون وجودها مضراً بوحدة البلاد، وأن لا تكون لها ارتباطات وقواعد خارجية أو مصادر تمويل، وعند تقديم طلبات الأحزاب، تم إعطاء رخص لثلاثة أحزاب هي[٣٧] :

١. الحزب الوطني الديمقراطي .
٢. حزب كردستان العراق الديمقراطي .
٣. فرع الحزب الشيوعي الذي كان يتزعمه داود الصايغ [٣٨] .

وعندما تم اعلان برامج تلك الأحزاب، حافظ الحزب الوطني الديمقراطي على مبادئه السابقة التي استمدها من النظرية الليبرالية، وتأكيده على الحريات السياسية والنظام البرلماني، فضلا عن تمسك الحزب

بالوحدة الوطنية العراقية مع مراعاة خصوصية المنطقة الكردية، كما أعلن حزب كردستان الديمقراطي أن مصدر أفكاره هو الماركسية اللينينية، وفي حال تحقق حكم تقدمي في العراق، فعند ذلك لا يجوز التفكير بالانفصال، كما أن للأكراد خصوصيتهم التي تميزهم والتي تجعلهم يطالبون بحقوق الأقليات ، فضلا عن المساهمة العادلة في أجهزة الدولة الرسمية ونصيب في ميزانية الإعمار، على اعتبار أن مصادر النفط تنبع من المناطق الكردية، علاوة على ضرورة إحياء الثقافة الكردية وتخصيص فرع مستقل في الجامعة لتدريس اللغة الكردية، وفي الواقع، عد حزب كردستان الديمقراطي من الناحية العملية وطنياً اكثر منه ماركسياً، الا أن العبارات والشعارات التي استخدمت بدت أحياناً أكثر يسارية من العبارات والإشارات الواردة في برنامج الحزب الشيوعي، وفي الواقع خضع المجتمع الكردي آنذاك لتأثير الروح القبلية [٣٩] .

٣. تجدد الخلافات بين الحركة الكردية وعبد الكريم قاسم .

أعلن الملا مصطفى البرزاني في الرابع والعشرين من أيار ١٩٦١ أن عبد الكريم قاسم هو المسؤول عن تدهور العلاقات بين الحكومة والحركة الكردية، بسبب عدم تنفيذه لتعهداته السابقة لقادة الحركة المتعلقة بحقوق الأكراد القومية، كالحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي سيقرها الدستور العراقي الجديد، إذ كانت الحقوق الاقتصادية تشير إلى تخصيص جزء من عائدات النفط لإعمار المنطقة الشمالية وتحسين خطوط مواصلاتها، بسبب تحول تجارة العراق الخارجية إلى موانى البصرة، كما أن الأكراد طالبوا بنسبة كبيرة من عائدات النفط بسبب وجود أبار نفط كثيرة في لواء الموصل آنذاك[٤٠].

اضطر عبد الكريم قاسم لإجراء مفاوضات مع الملا مصطفى البرزاني، وخلال تلك المفاوضات طالب الملا مصطفى البرزاني عبد الكريم قاسم بتقديم ضمانات للموافقة على مضمون المفاوضات واشترط عليه تقديم رهائن لاستكمال تنفيذ تلك المفاوضات، من جانبه رفض عبد الكريم قاسم تلك الشروط وقرر استخدام القوة ضد الأكراد لقمع حركتهم، وفي اثناء ذلك كان على عبد الكريم قاسم الموازنة بين حاجته للجيش لدعم نظامه بسبب اتساع حركات المعارضة له في الداخل والخارج، ومن جانب آخر خروج حركة التمرد الكردية عن السيطرة بشكل غير مسبوق، فضلا عن اتساع حركة التمرد سياسياً ، إذ تقدم قادة الحركة الكردية بطلب عرض القضية الكردية على الأمم المتحدة وأرسلوا مبعوثين لبعض الدول العربية لعرض مشكلة القضية الكردية على تلك الدول [٤١]، ومن الجدير بالذكر، أن الخلافات التي نشبت بين عبد الكريم قاسم والملا مصطفى البرزاني كانت تتركز حول عدم تلبية الحقوق القومية للأكراد كما كان يدعي قادة الحركة الكردية، فضلا عن قانون الاصلاح الزراعي، من جانبه، انتهز عبد الكريم قاسم فرصة نشوب نزاع عشائري في منطقة برزان" مسقط رأس البرزانيين" فعمل على تسليح عشيرة الزيباري المتخاصمة مع عشيرة البرزاني، وبالفعل هاجمت تلك العشيرة معقل البرزانيين ومكاتب الحزب الديمقراطي الكردستاني[٤٢]، كما أقدم عبد الكريم قاسم على إغلاق جريدة الحزب الديمقراطي (خبات)[٤٣]، وقدم رئيس تحريرها وسكرتير عام الحزب، فضلا عن كونه أحد أهم الزعماء التاريخيين للحركة الكردية إبراهيم أحمد للمحاكمة[٤٤] .

وفي الواقع، لم يكتفي عبد الكريم قاسم بتلك الاجراءات بل أقدم على دعوة الاكراد للانصهار والذوبان في الشعب العربي من خلال جريدة الثورة الناطقة باسم حكومته، كما ألغى جميع ما تضمنه

الدستور المؤقت، وعند ذاك شعر الملا مصطفى البرزاني بالخطر على حياته، فترك بغداد وفر إلى مناطق برزان، فقام عبد الكريم قاسم بإرسال طائرات الجيش لقصف منطقة برزان بالقنابل بشكل كامل ودون استثناء في الحادي عشر من أيلول ١٩٦١، بالمقابل، اتخذ الحزب الديمقراطي برئاسة الملا مصطفى البرزاني قراره بالإجماع بالدفاع ضد تلك الهجمات، كما أعلن قيام الثورة ضد ممارسات عبد الكريم قاسم، وكانت تلك هي الحرب الأولى بين الحركة الكردية والحكومة العراقية بعد سقوط النظام الملكي مع أن تلك الحرب تخللتها عدد من المفاوضات واتفاقيات الصلح، فضلا عن احتفالات الأخوة العربية الكردية، غير أن الحرب قد استؤنفت من جديد بسبب خروج الأكراد ضد السلطة المركزية [٤٥] .

وفي حقيقة الآمر، نشبت تلك الحرب بعد سنتين من إطلاق الحريات الديمقراطية، فضلا عن السماح بالتعددية الحزبية وممارسة الاحزاب للعمل الحزبي، فضلا عن الاعتراف دستورياً بحق الكرد في العراق وتساويهم في الحقوق والواجبات[٤٦] .

المبحث الثالث . الحركة الكردية في العهد العارفي .

١. علاقة الحركة بعبد السلام عارف .

كان للعداوة التي يضمرها البعث فضلا عن الحزب الشيوعي لعبد الكريم قاسم دورها في دفع الضباط البعثيون في الجيش العراقي للإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم وقتله ومن ثم استيلاء عبد السلام محمد عارف على الحكم وتعيينه لأحمد حسن البكر [٤٧]، رئيساً لمجلس الوزراء، وحال توليه الحكم بدأ حزب البعث بعدد من الأعمال الانتقامية لتصفية من يخالفه الرأي وفي مقدمتهم الحزب الشيوعي والأكراد، وبالفعل فقد أعلن عبد السلام عارف قيام حملته لمحاربة الأكراد في العاشر من حزيران عام ١٩٦٣[٤٨].

ومن الجدير بالذكر، شهدت الحروب بين الحكومة المركزية والأكراد تطورات كبيرة بعد ذلك التاريخ، فبدأت حروب ومعارك متعددة وشرسة ضد الأكراد، وبدأت الحكومة سياسة تغيير ديمغرافي في كركوك عبر تهير بعض من سكانها وابدالهم بسكان آخرين من بعض المحافظات الجنوبية، وبسبب شدة ضراوة المعارك بين الجانبين طلبت الحكومة العراقية من الحكومة السورية مساعدتها في القضاء على تمرد الأكراد بسبب القرب الأيديولوجي بين الجانبين السوري والعراقي آنذاك ، إذ كان طرفي الحزب يخضعان لقيادة قومية واحدة أمينها العام ميشيل عفلق [٤٩]، وبالفعل أرسل الجانب السوري فرقة مدرعة دخلت كردستان العراق عن طريق مدينتي دهوك وزاخو [٥٠]، وفي سياق الأحداث أقدم عبد السلام عارف في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٦٣ على عزل أحمد حسن البكر، فضلا عن البعثيين الآخرين ثم عقد هدنة مع الأكراد في العاشر من شباط ١٩٦٤، ومن الواضح للعيان أنه أراد من عقد تلك الهدنة كسب الوقت والاستعداد لضرب خصومه بقوة بما فيهم الاكراد، وبعد توقف القتال لبضعة من الأشهر خلال جلسات المحادثات بين الوفد الكردي ووفد الحكومة العراقية، ويبدوا أن الحكومة العراقية أرادت أن تعزز من مكانة وفدها وتعطيه ثقلاً من خلال تمثيل بعض الهيئات الشعبية فيه ومن بينهم بعض الأكراد ، الا ان ذلك لم يحد من تعنت القادة الكرد، بل أنهم تمادوا في نزعتهم الذاتية حتى طالبوا بتمثيل كردستان بشكل مستقل في محادثات الوحدة الثلاثية مع سوريا ومصر[٥١]، وبالفعل، حضر جلال الطالباني ممثلاً عن الأكراد في القاهرة ونقل وجهة النظر الكردية للحكومات العربية المشاركة في تلك المحادثات، والتي

تلخصت في أن الأكراد لا يقفون ضد ارادة الشعب العربي وسعيهم نحو تحقيق وحدتهم، غير أن الاكراد يجب أن يمثلوا في الدولة الجديدة، وأضاف أنه "**في حال بقي النظام في العراق دون تغيير، فسيقتصر بيان الحكومة بشأن حقوق الأكراد القومية في إطار النظام اللامركزي، وفي حالة انضمامه الى اتحاد عربي، ففي تلك الحالة يتوجب منح الأكراد الحكم الذاتي**"[٥٢]، ومن الجدير ذكره، أن عبد السلام عارف قام بتجربة جديدة مع الاكراد لتهدئة الأوضاع في كردستان فأصدر بيان في العاشر من شباط ١٩٦٤، تضمن إقرار الحقوق القومية للأكراد داخل الدولة العراقية، غير أن تحديد النتائج المترتبة على تلك الحقوق ضل غامضاً فلم يتم تحديد نظام اللامركزية الذي تبنته حكومة بغداد أو الحكم الذاتي الذي لم يكن يتعدى كونه اتحاد فيدرالي بين المناطق الكردية وبين باقي محافظات العراق [٥٣]، من جانب آخر، كانت مطالب القادة الأكراد واضحة بعد إجراء المفاوضات بين الأكراد والوفد الحكومي الذي أرسل من عبد السلام عارف، إذ تضمنت تلك المطالب "**الاعتراف الفوري بالحكم الذاتي وتضمين ذلك في نص الدستور العراقي المرتقب وإعطاء نسخة من الدستور إلى هيئة الأمم المتحدة، فضلا عن تمثيل نائب كردي لرئيس الجمهورية في شمال العراق، كما تضمنت المطالب تشكيل مجلس وزراء محلي ومجلس وطني منتخب على أن تضل وزارتي المالية والخارجية من اختصاص الحكومة المركزية على أن يتم تخصيص عدد مناسب من المقاعد في المجلس النيابي الوطني والجيش وتصبح اللغة الكردية اللغة الاولى في كردستان العراق**"[٥٤] .

٣. علاقة الحركة بعبد الرحمن عارف وحزب البعث .

مع حلول ربيع ١٩٦٥، قام عبد السلام عارف بشن هجوم جديد على الأكراد، غير أنه لم يكمل ذلك الهجوم بسبب موته في حادث تحطم طائرته المروحية عندما كان في زيارة لجنوب العراق، وبعد تولي عبد الرحمن عارف[٥٥]، شقيق عبد السلام رئاسة الجمهورية استمر في الحرب ضد الأكراد، وبعد معارك ضارية بين الجانبين عقدت هدنة في الخامس عشر من حزيران ١٩٦٦[٥٦] .

وتجدر الإشارة إلى أنه، بموجب تلك الهدنة وافقت الحكومة العراقية على تطبيق نظام اللامركزية، وخصصت جزءاً كبيراً من الميزانية العامة لإعمار الشمال، وسمحت بإنشاء جامعة في السليمانية، فضلا عن إعطاء الأكراد حصة كبيرة في الوظائف المدنية والعسكرية، كما اعترفت بالاستقلال الاداري للمناطق الكردية على أن يسلم الأكراد سلاحهم للحكومة المركزية ، ومع تسليم الحكومة العراقية بالاستقلال الاداري للكرد ، تغير موقف غالبية الاكراد وفضلوا البقاء ضمن الدولة العراقية[٥٧]، ولابد لنا أن نبين أن هدفا الحركة الكردية الرئيسان "الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان" وعلى الرغم من أن مفهوم الكرد للحكم الذاتي كان يكتنفه الغموض وضهر ذلك جلياً في "تضارب المطالب والبرامج" التي قدمتها الحركة الكردية للحكومة طيلة مدة القتال والهدنة، وفي الحقيقة، صرحت الحكومة العراقية دون أن تكذب من قبل الأكراد بأن مطالب الملا مصطفى البرزاني في المفاوضات التي سبقت اعلان اتفاق آذار ١٩٧٠، لم تكن تتعدى الامور المتعلقة بالتعويضات وتسليم العناصر المتعاونين مع الحكومة من الكرد، كما صرحت الحكومة بأنها من طرحت على الوفد الكردي مشروع الحكم الذاتي، وأن ذلك الآمر اربك الوفد الكردي ودفعه للعودة الى كردستان للتشاور ودراسة ذلك المقترح [٥٨]، ومن ناحية أخرى، كان الهدف الثاني

للحركة الكردية كما كانت تنادي في أكثر من مناسبة هو "**العمل من أجل اقامة نظام ديمقراطي لكل العراقيين**" وهو الشيء الذي لم يكن يحتوي على المصداقية المطلوبة بسبب عاملين أولهما: استمرا العمل المسلح ضد كل الحكومات المتعاقبة في العراق والذي ساعد على بقاء وتثبيت العسكر في الحكم، إذ كلما ضعفت الأنظمة الحاكمة فيحدث الاستئثار بالحكم بحجة محاربة الحركات الانفصالية"، والسبب الثاني هو " كلما كانت تسنح الفرصة للحركة الكردية القومية للتعاون كانت تختار التعامل والتعاون مع النظام متجاهلة المصالح الوطنية العليا، وذلك ما حدث مراراً وتكراراً وكان منها ما حدث في سنة ١٩٥٩، إذ تعاون الحزب الديمقراطي الكردستاني مع عبد الكريم قاسم في محاربة العناصر القومية، وعندما تعاون الملا مصطفى البرزاني مع عبد السلام عارف في سنة ١٩٦٤، وايقافه للقتال في أكثر من مناسبة [٥٩]، كما أن الحزب الديمقراطي الكردستاني كان يعمل دائماً على محاربة القيادات الوطنية العراقية التي تلجأ الى كردستان العراق عندما تحتاج لذلك في محاولة منها للاحتماء بكردستان، وفي الحقيقة وصل الأمر في مرات عديدة إلى تصفية تلك العناصر "**كما حدث بعد أحداث الثامن من شباط ١٩٦٣**"، ويبدوا أن خشية القيادة الكردية كانت تتمثل في قيام منظمات غير كردية في كردستان، وأن ذلك الهاجس ضل مستمراً لدى الحركة الكردية، واستمرت في إبعاد العناصر العربية عن الحركة متهمة إياها "**بالشوفينية**"، كما أن تصرفات القادة الكرد ارتبطت بالأجنبي حتى أتهموا بأنهم يتحينون الفرص التي تضعف فيها الحكومة العراقية لتنال منها، او أن الذي يحدث في العراق لا يعنيها في شيء وأن كل الذي يشغل اهتمامها هو كسب المصالح الشخصية[٦٠].

٣. موقف الدول الكبرى من الحركة الكردية .

حازت القضية الكردية على اهتمام ومتابعة العديد من الدول الكبرى وشغلت مساحة واسعة من أولويات سياستها الخارجية، نظراً لما تمثله تلك القضية من أهمية سياسية واجتماعية واقتصادية، كما أنها تعد وسيلة فعالة لتدخل تلك الدول في السياسة الداخلية للعراق، فضلا عن بقية الدول التي يوجد فيها أقلية من السكان الكرد ، علاوة على أنها صارت ميداناً للضغط والتأثير السياسي دولياً وإقليمياً، إذ كان لتلك الدول مواقف متباينة من تلك القضية تختلف من وقت لأخر وحسب متطلبات ومتغيرات السياسة الدولية ، وقد كان للسوفييت على سبيل المثال موقف من تلك القضية اتسمت بالتأييد لمطالب الكرد في شمال العراق، كما أن الحزب الشيوعي العراقي كان مناصراً للحركة الكردية، أما بالنسبة للموقف البريطاني فقد اتسم بالحيلة والغموض إزاء تلك القضية، فقد وجهت الاتهامات لبريطانيا بدعمها للكرد أثناء أحداث عام ١٩٤٤– ١٩٤٥، والتي مثلت أول ثورة عامة للكرد ضد الحكومة المركزية، ومن الواضح أن بريطانيا شجعت الأكراد على القيام بتلك الحركة لتثأر من الساسة العراقيين بسبب أحداث مايس ١٩٤١في العراق، غير أنهم لم يستمروا بدعم تلك الخطوة التي قام بها الأكراد خوفاً منهم على مصالحهم في ولاية الموصل، فضلا عن فقدان أسهم شركة نفط العراق[٦١]، وفي السياق ذاته، نشرت رسائل بين آدموندز [٦٢]، والملا مصطفى البرزاني تبين مدى تدخل بريطانيا في القضية الكردية، وتدل على أن بريطانيا كانت تفضل الاحتفاظ بخط رجعة، أو كانت تتخذ من القضية الكردية وسيلة ضغط على حكومة بغداد للتأثير عليها في مفاوضات تعديل اتفاقيات النفط، ومن الواضح للعيان من خلال الشواهد التاريخية أن الموقف البريطاني

كان دائماً الى جانب الحكومة العراقية عندما تدور في رحى السياسة البريطانية، ولذلك يظهر واضحاً تغير الموقف بعد ثورة ١٩٥٨، وبلا أدنى شك أن الدول الكبرى استفادت من الحركة الكردية حسب ما يتوافق مع مصالحها وما تتطلبه ضرورات سياستها الخارجية وبما يناسب تلك المواقف والمصالح [٦٣] .

وكان الموقف الإيراني يتبنى نفس الطروحات وبما يخدم المصالح العليا للسياسة الايرانية، ويبدوا أن الحركة الكردية في تلك المرحلة قد حازت على التأييد من المعسكرين الغربي والشرقي، وظهرت العديد من الدعوات في كلا المعسكرين التي تؤيد قيام تلك الدولة، غير أن القادة الكرد نفوا في أكثر من مناسبة حصولهم على الدعم العسكري من أي من المعسكرين وصرحوا بأن معظم ما لديهم من أسلحة حصلوا عليها جراء المعارك مع الجيش العراقي أو تسربت اليهم من عن طريق التهريب [٦٤]، وفي الحقيقة، لابد من الإشارة إلى أن الحركة الكردية في العراق في مراحل معينة من نشوءها وحسب ماتتطلبه مصالح الدول التي تتدخل في الشأن العراقي، وفي بعض الأوقات تطورت وتصاعدت بالاعتماد على ايران بشكل اساسي ومن بعدها على الدول الأخرى الدولية والإقليمية، ولذلك فقد خضعت تلك القضية لتقلبات السياسة الخارجية لتلك الدول وحسب ما تفرضه عليها مصالحها الذاتية [٦٥]، ولابد من القول أن مشكلة التعويل والاعتماد على الدول الكبرى أو بشكل آخر الاتكال على القوى الخارجية، فضلا عن عدم وجود قيادة موحدة قادرة على التعامل مع المشاكل الداخلية والخارجية، فضلا عن قدرتها على استيعاب وتحليل السياسة الدولية والإقليمية والتعاطي معها بنفس الاسلوب والطريقة، ظلت على الدوام مشكلة تعاني منها الحركة الكردية في العراق [٦٦].

الخاتمة .

مثلت الحركة الكردية على مدى التاريخ المعاصر للدولة العراقية نقطة خلافية بين الحكومة المركزية والقيادات العشائرية والحزبية والشعبية في كردستان العراق، ومن الواضح للعيان أن تلك الحركة على الرغم من تصديها لقيادة المعارك والمواجهات بين الحكومة المركزية والأكراد في كردستان العراق إلا أنها لم تلبي جميع تطلعات ورغبات المواطنين الأكراد . كما أتسمت تحركات وقرارات تلك القيادات بالتخبط وعدم التخطيط المسبق ولم تتعدى كونها قيادات قبلية تسعى لتحقيق مكاسب ومغانم على حساب القبائل والعشائر الأخرى، كما ظهر واضحا الخلاف الكبير بين قادة الحركة وتفرد الملا مصطفى البرزاني بإصدار وتوجيه الحركة وغلبة الفردية والعنصرية على مركز القرار في قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني ، فضلا عن الحركة الكردية بشكل عام .

ومن الجدير بالملاحظة أيضا أن الحركة الكردية لم تستثمر الظروف السياسية بالشكل الصحيح ولم تستطيع مجاراة واستغلال التقلبات السياسية التي مر بها العراق خلال المدة الممتدة بين عامي ١٩٥٨– ١٩٦٨، بل كانت هي الخاسر الوحيد من بين كل مكونات الشعب العراقي وتعرض الأكراد في تلك المدة لعدد من الحملات العسكرية التي أنهكت المواطنين في كردستان العراق ولم تثمر تلك المعارك على نيل الكرد لمطالبهم الصريحة بالاستقلال أو الحكم الذاتي.

كان اعتماد الحركة الكردية على الخارج في تحقيق المطالب أو كسب الدعم قد شكل خطأ كبير في تفكير قادة الحركة ولم تسفر عن أي نتيجة مهمة لدعم مطالب الأكراد ، بل ظهر وبشكل واضح

استغلال تلك الدول سواءاً كانت دولية أو إقليمية للقضية الكردية وتوجيهها بما يخدم مصالحها الذاتية وبما يساهم في فرض أجنداتها وسياساتها في المنطقة .

مثلت تلك الحركة مصدر قلق وإرباك لجميع الأنظمة والحكومات التي حكمت العراق خلال تلك المرحلة، وظلت القضية الكردية وتداعياتها تمثل إشكالية صعبة الحل لتلك الحكومات وبؤرة توتر واضطراب في العراق والمنطقة .

الهوامش

(١) سعد ناجي جواد، دراسات في المسألة القومية الكردية، ط١، بيروت، ٢٠٠٥، ص ص، ١٤٢- ١٥٦ .

(٢) في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦أعلن قاضي محمد رئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني في إيران رسميًا قيام جمهورية مهاباد (جمهورية كُردستان الديمقراطية) . للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد إحسان، كوردستان ودوامة الحرب، دار ئاراس، أربيل، ٢٠٠٠، ص٣٤ .

(٣) فاضل البراك، مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة، ط٢، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩، ص ص١٢٧-١٢٨.

(٤) مصطفى البارزاني، ولد في ١٤ آذار ١٩٠٣ في منطقة بارزان، سمي بهذا الاسم تيمنًا باسم "مُلاَّ مصطفى مُلاَّ يوسف الجوني" خال والده الشيخ محمد الذي ينتمي إلى أسرة شيوخ بارزان وعُرف بِهِ دومًا، ونشأ وترعرع في بيئة مشبعة بالأفكار الدينية، والسياسية، والثورية، يُعَدُّ البارزاني زعيمًا كُرديًا لكُردستان الجنوبية (شمال العراق)، شارك في بعض الحركات الكُردية التي نشبت بعد الحرب العالمية الأولى، كُلف من قبل شقيقه الأكبر أَحمَد البارزاني بالذهاب إلى الشيخ سعيد بيران والتعاون معهم في ثورته عام ١٩٢٥، شارك البارزاني وقاد كثيرًا من الانتفاضات في سنوات (١٩٣١-١٩٤٥) التي عرفت بانتفاضات بارزان، أسس الحزب الديمقراطي الكُردستاني في ١٦ آب ١٩٤٦ بهدف توحيد صفوف الحركة الكُردية، شارك في جمهورية كُردستان (جمهورية مهاباد)، إذ شغل منصب رئيس أركان الجيش في عام ١٩٤٦، قادَ الحركة الكُردية في أيلول عام ١٩٦١، والتي توجت ببيان ١١ آذار ١٩٧٠ التي جسدت من الناحية الدستورية القانونية اعتراف واضح بالقومية الكُردية لتغيير الأوضاع بعد عام ١٩٧٤، غادر البارزاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتوفي فيها عام ١٩٧٩ . للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالفتاح علي البوتاني، ملا مصطفى البارزاني قائد الثورة الكُردية وملهمها، مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكُردية، جامعة دهوك، ٢٠١٢.

(٥) زهير عبدالملك، الكرد وكردستان بين سؤال وجواب، دار ابيك للنشر، ستوكهولم، ١٩٩٨، ص١٧٧.

(٦) سعد ناجي جواد، ص١٤٢ .

(٧) المصدر نفسه، ص١٥٦ .

(٨) جلال طالباني، تأريخ ونضال، سلسلة اصدارات مكتب الإعلام المركزي للاتحاد الوطني الكردستاني، العدد ١٥، السليمانية، ٢٠٠٣ ، ص٣٢.

(٩) فرحان عبد الكريم، حصاد ثورة مذكرات تجربة السلطة في العراق (١٩٥٨- ١٩٦٨)، ط١، دار البرق، لندن، ١٩٩٤، ص٧٥.

(١٠) فرحان عبد الكريم، ص٧٧ .

(١١) محمد سهيل طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط١، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٥، ص٢٩٣ .

(١٢) عبد الكريم قاسم، من مواليد مدينة بغداد سنة١٩١٤، أكمل الدراسة الابتدائية سنة١٩٢٦، وأكمل الثانوية سنة١٩٣١، دخل الكلية العسكرية سنة١٩٣٢ وتخرج فيها سنة١٩٣٤ ، اشترك في حرب فلسطين ١٩٤٨، انضم بعدها الى حركة الضباط الأحرار، قاد ثورة ١٤ تموز١٩٥٨ ضد النظام الملكي في العراق، وأصبح أول رئيس وزراء في العهد الجمهوري ووزير الدفاع، والقائد العام للقوات المسلحة ١٩٥٨-١٩٦٣، أُعدم في ٩ شباط ١٩٦٣، للمزيد من التفاصيل ينظر : عقيل الناصري، عبد الكريم قاسم من ماهيات السيرة الذاتية ١٩١٤-١٩٦٣، دمشق،٢٠٠٦ ، ص ص١٥٧-٢٠٠ .

(١٣) علي كريم سعيد، عراق ٨ شباط ١٩٦٣، من حوار المفاهيم الى حوار الدم، مراجعة طالب شبيب، ط١، بيروت ١٩٩٩، ص ص١٥-٢٣ .

(١٤) منذر الموصلي، الحياة السياسية والحزبية في كردستان، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩١، ص ٢٧٣.

(١٥) عبد السلام محمد عارف، من مواليد مدينة الرمادي سنة ١٩٢١، تلقى تعليمه الأولي فيها ثم دخل الكلية العسكرية وتخرج فيها سنة ١٩٤١، انتمى لحركة الضباط الاحرار وخطط وقاد مع عبد الكريم قاسم ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، توفي في حادث سقوط طائرة مروحية في سنة ١٩٦٦. للمزيد من التفاصيل ينظر : حنا بطاطو، العراق – الكتاب الثالث، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، تر . عفيف الرزاز، دار الحياة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص٩٠ .

(١٦) منذر الفضل، دراسات حول القضية الكردية دار اراس للطباعة والنشر،، ط١، أربيل ، ١٩٩٩ ، ص٧٥.

(١٧) منذر الموصلي، ص٢٧٥ .

(١٨) ابراهيم احمد، ولد في مدينة السليمانية سنة ١٩١٤، تلقى تعليمه الاولي فيها ثم درس القانون في جامعة بغداد وتخرج فيها سنة ١٩٣٧ ، اهتم بالكتابة والترجمة ويعد من أهم رواد الادب الكردي ، انضم الى الحزب الديمقراطي الكردستاني في سنة ١٩٤٦، ثم صار عضوا في الاتحاد الوطني الكردستاني، له مواقف ودور كبير في الحركة الكردية خلال مراحل تطورها . للمزيد من التفاصيل ينظر : الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت وعلى العنوان التالي :

https:\\ar.wikipedia . org\wiki

(١٩) جلال الطالباني من مواليد سنة ١٩٣٣ لاسرة كردية معروفة، كان عضواً في الحزب الديمقراطي الكردستاني واصبح بعد ١٩٥٨ محرراً في صحيفة الجمهورية، ونتيجة للخلاف مع الملا مصطفى بارزاني، هرب الى ايران ومعه ٤٠٠٠ شخص، وفي عام ١٩٧٥ اسس الاتحاد الوطني الكردستاني الذي رسم الكفاح المسلح ضد نظام صدام حسين وفي ٢٠٠٥/٤/٦ تم اختياره رئيساً لدولة العراق توفي في ٢٠١٧/١٠/٣ . للمزيد من التفاصيل ينظر : مذكرات جلال طالباني من كردستان الى سدة الحكم، مركز تنظيمات بغداد للاتحاد الكردستاني، مطبعة الشعب، د. ت، ص٦٧.

(٢٠) جليلي جليل وم. س لازاريف و م . أ حسرتيان شاكرو محويان وأولغا جغالينا ، تر . د عيدي حاجي، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، ط٢، دهوك، ٢٠١٢، ص٢٨٥ .

(٢١) المصدر نفسه، ص٢٨٥ .

(٢٢) حبيب محمد كريم، تأريخ الحزب الديمقراطي الكردستاني، مطبعة خه بات، دهوك، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص٤٦.

(٢٣) درية عوني، عرب وأكراد، دار الهلال، ١٩٩٣، ص ص ، ٨١–٨٧ .

(٢٤) ستيفن همسلي لونكريك وفرانك ستوكس، العراق منذ فجر التاريخ حتى ثورة تموز ١٩٥٨، تر . مصطفى نعمان احمد، مكتبة مصر مرتضى، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٧٧ .

(٢٥) حبيب محمد كريم، ص٤٧ .

(٢٦) ادمون غريب، الحركة القومية الكردية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٨

(٢٧) فرهاد محمد أحمد، جريدة خبات / النضال ١٩٢٩–١٩٦١(دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص٧٨.

(٢٨) حبيب محمد كريم، ص٤٧ .

(٢٩) المصدر نفسه، ص٤٧ .

(٣٠) ليث عبد الحسين الزبيدي، ثورة ١٤تموز١٩٥٨ في العراق، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ط٢، ١٩٨١، ص ٩٧.

(٣١) درية عوني، ص٨١ .

(٣٢) محمد بوذينة ، موسوعة أحداث العالم في القرن العشرين (١٩٦٠–١٩٦١)، تونس، ٢٠٠١، ص٨ .

(٣٣) محطات في حياة الملا مصطفى البرزاني (افتتاحية)، جريدة التآخي، العدد ٤١٦٦ ، بغداد، ٢٠٠٤/٢/٨.

(٣٤) حبيب محمد كريم، ص٤٨ .

(٣٥) فيبي مار، ص٥٧ .

(٣٦) صلاح العقاد، ص٢٩٠ .

(٣٧) سعد ناجي جواد، دراسات في المسألة القومية الكردية، ط١، بيروت، ٢٠٠٥ ، ص ٣٥.

(٣٨) داود الصائغ، من مواليد مدينة الموصل سنة ١٩٠٧، دخل دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٢٨، ثم دخل كلية الحقوق عام ١٩٤٠، انضم الى الحزب الشيوعي العراقي وأصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب خلال المدة (١٩٤١–١٩٤٣) ، أسس

رابطة الشيوعيين العراقيين سنة ١٩٤٤ ، قام بإصدار جريدة العمل السرية، اختلف مع الحزب الشيوعي العراقي بسب أحداث الموصل . للمزيد من التفاصيل ينظر : حنا بطاطو، العراق، الكتاب الثاني، الحزب الشيوعي العراقي، تر : عفيف الرزاز، بيروت،١٩٩٢، ص ص ١٦٢-١٦٣.

(٣٩) صلاح العقاد، ص٢٧٥ .

(٤٠) المصدر نفسه، ص٢٩٠ .

(٤١) حامد محمود عيسى، المشكلة الكردية في الشرق الأوسط منذ بدايتها حتى سنة ١٩٩٩، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢، ص١٩٩ .

(٤٢) د حامد محمود عيسى، ص٢٠٣ .

(٤٣) أول جريدة كردية حزبية علنية يومية ناطقة باسم اول حزب كردي علني مجاز في تاريخ العراق المعاصر ، كما احدى اهم الصحف التي برزت على الساحة العراقية اذ عبرت عن راي غالبية الشعب الكردي تجاه التطورات السياسية الداخلية والخارجية للعراق وبيان موقف الشارع الكردي منها ، ولعبت دوراً كبيراً في توجيه الراي العام العراقي والعربي حول القضية الكردية في حقب تاريخية متميزة من تاريخ العراق المعاصر . للمزيد من التفاصيل ينظر : فرهاد محمد أحمد، جريدة خةبات / النضال ١٩٥٩-١٩٦١ دراسة تاريخية، كلية الآداب ، جامعة الموصل، ٢٠٠٦ .

(٤٤) ديفيد مكدول، تاريخ الاكراد الحديث، تر. راج ال محمد، ط١، دار الفارابي، بيروت ، ٢٠٠٤، ص٤٧٣ .

(٤٥) المصدر نفسه، ص٤٧٣ .

(٤٦) محمود الدرة، القضية الكردية، ط٢، دار الطليعة، بيروت ، ١٩٦٦، ص٣١٥ .

(٤٧) احمد حسن البكر، ١٩١٤-١٩٨٢، من مواليد مدينة تكريت ، درس الابتدائية فيها ثم تخرج من دار المعلمين العالية في سنة ١٩٣٢، وعمل معلما في احدى المدارس الابتدائية وفي سنة ١٩٣٨ دخل الكلية العسكرية وتخرج برتبة ملازم ثان، كان من المشاركين في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، تولى منصب رئيس الوزراء، ثم عين نائبا لرئيس الجمهورية بعد انقلاب ٨ آب ١٩٦٣، دون ان تكون له سلطات حقيقية مما دفعه للاستقالة من المنصب بعد مدة قصيرة، اشترك مع مجموعة من الضباط وقيادات البعث في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ لإسقاط نظام حكم الرئيس عبد الرحمن عارف واصبح رئيسا للجمهورية فضلا عن رئاسة مجلس قيادة الثورة . استقال من منصبه في ١٦ تموز ١٩٧٩ وسلم مقاليد الحكم الى نائبه صدام حسين . للمزيد من التفاصيل ينظر : جواد هاشم، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام – ذكريات في السياسة العراقية ١٩٦٧-٢٠٠٠، ط١، بيروت ٢٠٠٣، ص١٢٧ .

(٤٨) درية عوني ، ص ص، ٨١-٨٧ .

(٤٩) ميشيل عفلق، ١٩١٠-١٩٨٩، من مواليد مدينة دمشق، درس فيها وتخرج من مدارسها ثم أكمل دراسته الجامعية في فرنسا وتخرج من جامعة السوربون، تأثر بالمد الاشتراكي واتجه للعمل الحزبي واسس حركة البعث سنة ١٩٤٣، واصبح رسمياً حزبه في عام ١٩٤٦، كان له دور مميز في تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا الا أنه لم يستطع أن يوفق بين نظام البعث في سوريا والعراق ، وعلى اثر ذلك نفي من سوريا وعاش في المنفى حتى وفاته. للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الحميد ابو سليمان، أهم الكتب التي اثرت في فكر الامة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج٣، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧، ص١٢٩ .

(٥٠) درية عوني، ص٨٧ .

(٥١) وليد محمد سعيد الاعظمي ، الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ في الوثائق البريطانية ، بغداد، ١٩٩٠، ص ص٤٣- ٤٦ .

(٥٢) كاوس قفطان، الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق ١٩٥٨- ١٩٦٤، ط١، اربيل، ٢٠٠٤، ص١٠٠ .

(٥٣) عبد المجيد كامل التكريتي، المنتظم في تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤- ١٩٦٨، دراسة تاريخية، بغداد،٢٠٠٠، ص١٩٢ .

(٥٤) محمود الدرة، القضية الكردية، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦، ص- ص، ٣١٥-٣١٧ .

(٥٥) ولد في عام ١٩١٦، دخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٦، تدرج في المناصب العسكرية حتى اصبح برتبة لواء عام ١٩٦٤ ، ترأس وفداً عسكرياً إلى الاتحاد السوفيتي في نيسان ١٩٦٦، الا انه اضطر لقطع تلك الزيارة عائدا إلى بغداد ليشارك في مراسيم تشييع جنازة شقيقه الرئيس عبد السلام عارف ، عين على اثرها رئيسا للجمهورية ، ترأس الوزارة بنفسه للمدة من (١٠ ايار- ١٩ تموز ١٩٦٧) ، اطيح بنظامه في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ . للمزيد من التفاصيل : ينظر حميد المطبعي ، ج٢ ، ص١٤١ .

(٥٦) محمود الدرة، ص – ص، ٣١٥-٣١٧ .

(٥٧) ش . خ . مغوي، قضية الحكم الذاتي للشعب الكردي في الجمهورية العراقية (١٩٥٨-١٩٧٠) ، يريفان، ١٩٧٧، ص١١٠ .

(٥٨) المصدر نفسه، ص١١١ .

(٥٩) ديفيد ادامسون، الحرب الكردية، لندن، ١٩٦٤، ص٢١٤ .

(٦٠) ديفيد مكدويل، تاريخ الأكراد الحديث ، ت . راج ال محمد، ط١، دار الفارابي، بيروت،٢٠٠٤، ص ص، ٤٩١-٤٩٣ .

(٦١) حكمت سامي سليمان، " نفط العراق بين الأمس واليوم في المجال السياسي والستراتيجي والاقتصادي " ، مجلة افاق عربية ، العدد١٠ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٧ .

(٦٢) سي جي ادموندز ١٨٨٩-١٩٧٩، هو احد المواطنين البريطانيين الكبار شغل مناصب عديدة في العراق ، كان من ابرزها مستشاراً في وزارة الداخلية العراقية في سنة ١٩٤٥، كان من الملاحظ على سلوك ادموندز تحيزه للقضية الكردية . للمزيد من التفاصيل ينظر :

Tom Licence, Burj st Edmunds and the norman Conquest , the Boydell press,London,2014, p. 114 .

(٦٣) الكسندر بريماكوف ، نفط الشرق الاوسط والاحتكارات الدولية ، ت . بسام خليل ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٩ .

(٦٤) سعد ناجي جواد، ص١٩٣ .

(٦٥) ديفيد مكدويل، ص٤٨٥ .

(٦٦) ديفيد ادامسون، ص٢١٩ .

السماوة في دليل الخليج - دراسة تاريخية -

Samawah in the Gulf guide a historical study

م.م. ظفار محمد يحيى البزوني
المديرية العامة للتربية – محافظة المثنى

Abstract .

Samawah is of strategic and economic importance in the Arab Gulf region in general and in Iraq in particular, as it occupied a distinguished position in the policy of the Ottoman Empire because it was one of the main points that enabled it to contact the tribes of Najd in the north of the Arabian Peninsula for commercial purposes through the location of the city of Samawah, which is located in the north of the Arabian Peninsula , and to extend the control of the Ottoman state over the Nejdi tribes and the Iraqi tribes when any resistance movements occurred against them, because they connect the regions north of the Euphrates to its south and adjacent to the north of the Arabian Peninsula, so Samawah constituted an important article in the Gulf Guide book by indicating its location, agricultural, commercial and industrial resources and the most important ways of transportation in it.

الملخص :

تعد مدينة السماوة ذات اهمية استراتيجية واقتصادية في منطقة الخليج العربي عموماً وفي العراق بشكل خاص، اذ احتلت مكانة مميزة في سياسة الدولة العثمانية لأنها احد النقاط الرئيسية التي تمكنها من الاتصال بقبائل نجد شمال جزيرة العربية للأغراض التجارية من خلال موقع مدينة السماوة التي تقع شمال الجزيرة العربية، ولبسط سيطرة الدولة العثمانية على القبائل النجدية والقبائل العراقية عند حدوث اية حركات مقاومة ضدها لكونها تصل مناطق شمال الفرات بجنوبه ومحاذاتها لشمال الجزيرة العربية، فشكلت السماوة مادة مهمة في كتاب دليل الخليج من خلال بيان موقعها ومواردها الزراعية والتجارية والصناعية واهم طرق النقل فيها .

كلمات مفتاحية: **(الايزيديون، عدي بن مسافر، العثمانيون العهد الملكي، بابا الشيخ)**

المقدمة

تميزت مدينة السماوة بذات اهمية استراتيجية واقتصادية في منطقة الخليج العربي عموماً وفي العراق بشكل خاص، فاحتلت مكانة مميزة في سياسة الدولة العثمانية لأنها احد النقاط الرئيسية التي تمكنها من الاتصال بقبائل نجد شمال جزيرة العربية للأغراض التجارية من خلال موقع مدينة السماوة التي تقع شمال الجزيرة العربية، ولبسط سيطرة الدولة العثمانية على القبائل النجدية والقبائل العراقية عند حدوث اية حركات مقاومة ضدها لكونها تصل مناطق شمال الفرات بجنوبه ومحاذاتها لشمال الجزيرة العربية، كما اشتهرت بكونها مركزاً تجارياً مهماً للاستيراد والتصدير والتجارة مع مدن الفرات الاوسط وشمال الجزيرة العربية، فضلاً عن كونها ممر حيوي رابط بين بغداد وولاية البصرة اتخذها الولاة والقادة العثمانيين ممراً لهم تارةً ومركزاً لأقامتهم فيها تارة اخرة، فشكلت السماوة مادة مهمة في كتاب دليل الخليج من خلال بيان موقعها ومواردها التجارية والزراعية والصناعية واهم طرق النقل فيها، فشرعنا في كتابة الدراسة عن السماوة في دليل الخليج، فتكونت الدراسة من مبحثين، ومقدمة وخاتمة لاهم النتائج التي

توصلت اليها الدراسة، فجاء المبحث الاول عن مؤلف كتاب دليل الخليج (ج . ج لوريمر) وحياته، واهم مناصبه، واسباب تأليف الكتاب، ووقت الشروع فيه، وتاريخ طباعته، وترجمته، واهم طبعات الكتاب.

وتطرق المبحث الثاني حول الموقع الاستراتيجي لمدينة السماوة والمناطق المحيطة بها وتقسيماتها الادارية، واهم مواردها الاقتصادية وطرق النقل والمواصلات، ونسيجها الاجتماعي وبيان اعداد السكان فيها وجنسياتهم وقومياتهم واديانهم ومذاهبهم، واهم القبائل فيها واماكن تواجدها، واهم المحطات التي تعرضت لها المدينة من خلال حركات المقاومة ضد الادارة العثمانية واهم رجال هذه الانتفاضة .

اولاً : جون جوردن لوريمر وكتابه دليل الخليج .

هو جون جوردن لوريمر (John Gordon Lorimer)، المعروف اختصاراً بـ(ج . ج لوريمر)، المولود في مدينة غلاسكو شمال بريطانيا في ١٤ حزيران ١٨٧٠، ونشأ في عائلة دينية، والده القس روبير لوريمر (Lorimer Robber)، كاهناً للكنيسة الحرة القريبة من مقاطعة دندي، وامه ايزابيلا روبرتسون (Isabella Robertson)، تلقى تعليمه في مدرسة دندي الثانوية ثم انتقل الى جامعة ادنبرة وتخرج منها عام١٨٨٩، وتدرب في كرايست تشريش بأكسفورد للخدمة المدنية الهندية[١] .

تولى لوريمر عدد من المهام والمناصب اهمها منصب المساعد الاول للمندوب السامي البريطاني في ولاية البنجاب الهندية عام ١٨٩١، وبسبب كفاءته الدبلوماسية نقل الى مقاطعة شيملا عند سفوح جبال الهملايا ليتولى الشؤون الخارجية لحكومة الهند البريطانية، ونظراً لثقافته وسعة اطلاعه ومعرفته باللغات الشرقية فقد اختير في عام ١٩٠٩ ليصبح المندوب السامي للتاج البريطاني لدى الاقاليم العربية التابعة للسلطان العثماني، ثم انضم الى القنصلية البريطانية في بغداد ١٩١٠ – ١٩١١، وتولى منصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي من كانون الاول ١٩١٣ حتى شباط ١٩١٤[٢] .

ارتبطت عائلة لوريمر ارتباطاً وثيقاً بالخدمة الاستعمارية البريطانية، اذ خدم شقيقه الاصغر ديفيد لوكهارت لوريمر (David Lockhart Lorimer)، نائباً للقنصل البريطاني في عربستان، وادى دوراً مهماً في الاكتشاف المبكر للمخزون النفطي في الخليج العربي، وعمل شقيقه الاخر روبرت لوريمر(Robert Lorimer)، في الخدمة المدنية الهندية، لكنه استبعد لرفضه الاشتراك في معاقبة السكان المحليين في الهند، كما قتل عمه الذي كان قاضياً خلال تمرد هندي حدث عام ١٨٥٧[٣] .

لقد سبق لوريمر تأليف دليل الخليج كتابين، احدهما بعنوان القانون العرفي من القبيلة الرئيسة من مقاطعة بيشاور (customary Law of the Main Tribes in the Peshawar district)، الذي الفه عام ١٨٩٩، وتمت مراجعة الكتاب وتنقيحه من قبل النائب المفوض في بيشاور جي اشيسون (G. Acheson)، تحدث الكتاب عن العادات والتقاليد في منطقة بيشاور، الذي تكون من قسمين، الاول يتكلم فيه عن عادات وتقاليد المسلمين، ويتألف هذا القسم من احد عشر جزءاً، اما القسم الثاني اشار به الى الهندوس وعاداتهم وتقاليدهم، ويقع هذا القسم في احد عشر جزء ايضاً، واحتوى الكتاب على ملحقين، الاول لخص فيه القضايا العرفية في منطقة بيشاور، والاخر ذكر فيه ملخص الحالات المشتركة في كل من القانون الاسلامي والهندوسي[٤]، والكتاب الاخر هو قواعد ومفردات من وزيري باتشو (Grammarand Vocabulary of Waziri Pashto)، الفه لوريمر عام ١٩٠٢ عندما كان موظفاً

في الجيش البريطاني، ووضع خصيصاً للضباط البريطانيين لمعرفة لغة الباشتو، وهو احد اللغات الرسمية في افغانستان وباكستان، وضح الكتاب طريقة الكتابة والتكلم بهذه اللغة واللهجات المتداولة بها، وتكون الكتاب من ٣٤٨ صفحة، والحق بالكتاب ثلاثة ملاحق، خصص الملحق الاول عن العرف والتقاليد، والثاني عن قصة حياة القبائل الباشتوية، اما الثالث اشار الى شخصية قبائل وخصائص الوزيرين السائدة، وسمات الناس في وزيرستان التي يرى انها تشكلت من الطبقة الوعرة وغير السالكة للمنطقة التي يعيشون بها[٥].

ازدادت اهمية الخليج العربي بعد عام ١٨٩٩ بسبب التنافس الدولي حول الامتيازات الاقتصادية والسياسية، فظهرت الحاجة لوجود ملخص تاريخي وجغرافي لهذه المنطقة يستخدمه المسؤولون والسياسيون، لذلك قررت حكومة الهند البريطانية اصدار دليل سهل لموظفيها ودبلوماسييها العاملين في منطقة الخليج حتى يمكن الرجوع اليه للحصول على المعلومات اللازمة بعملهم في المنطقة، ومن اجل تعزيز النفوذ البريطاني في وجه القوى الاوربية الاخرى، اصدر نائب الملك البريطاني اللورد كيرزون اوامره في عام ١٩٠٣ بجمع مواد الدليل التاريخي والجغرافي للخليج وعمان ووسط جزيرة العرب، وكلف لوريمر للقيام بهذه المهمة[٦] .

بدأ لوريمر العمل على جمع مادة الكتاب بداية عام ١٩٠٤، وشكل فريق عمل من الباحثين السياسيين والجغرافيين والعسكريين موظفي الحكومة البريطانية الهندية للاستعانة بهم، وقام بجولة في الخليج يرافقه ج . س جاسكين(Gaskin)، والملازم س . هـ . جابرييل(Gabriel)، وزاروا الاماكن المهمة وهي مسقط والبحرين وصحار والشارقة والكويت والبصرة وبغداد وكربلاء والمحمرة وبوشهر وبندر عباس وجاشك، ودونوا معلوماتهم وملاحظاتهم عن هذه الاماكن . واما المسح التفصيلي لمختلف اقليم الخليج فقد اتمته بعثة هندية برئاسة شير جانج في شتاء ١٩٠٤ وقامت البعثة برسم خريطة تفصيلية كبيرة لجزر البحرين ولإقليم الكويت وما جاوره، وبين عامي ١٩٠٣ – ١٩٠٥ استطاع المسؤولون السياسيون بما جمعوه من معلومات من الاهالي ان يحققوا معرفة جغرافية كاملة، كما قام المقيم السياسي في الخليج بيرسي كوكس (Percy Cox)، بعدد من الرحلات الاستكشافية يرافقه مجموعة من المقيمين والقناصل التابعين لدائرة الهند البريطانية في الخليج، ومنها المسح الجغرافي لسلطنة عمان وابوظبي ورأس الخيمة وصحار والكويت، فضلاً عن المسح الجيولوجي للكشف المعادن وتحديد اماكن وجودها الذي قام به مكتب الابحاث الجيولوجية الهندية[٧] .

اعتمد لوريمر على عدد كبير من المصادر العلمية في اعداد كتابه ابرزها واهمها الدراسات الميدانية المباشرة والمعاينة اليومية التي قام بها بنفسه او بعض موظفي وممثلي بريطانيا من خلال رحلاتهم الى الخليج العربي، كما وضعت حكومة الهند البريطانية تحت تصرفه كل سجلاتها الرسمية ومعلوماتها ووثائقها ومراسلاتها وتقارير وكالاتها مثل تقارير شركة الهند الشرقية وارشيفات كلكتا وبومباي وتقارير السفارات والبعثات السياسية والعسكرية والتجارية، فضلاً عن كتابات ومشاهدات الرحالة الاوربيين عن المنطقة التي الفها علماء زاروا الخليج العربي وعرفوها شبراً شبراً ومسحوا المناطق بأدق التفاصيل[٨].

قسم لوريمر كتابه الى قسمين: الاول تاريخي ويحتوي على تاريخ الخليج وما حوله من الاقطار. اما الثاني جغرافي واحصائي ويشمل قاموساً يضم جغرافية المنطقة . واسماه دليل الخليج الفارسي وعمان ووسط جزيرة العرب (Gazetteer of the Persian Gulf Oman and Central Arabia)، وقد طبع القسم الثاني من الكتاب اي الجغرافي اولاً بمجلدين عام ١٩٠٨باعداد قليلة بلغت (١٠٠) نسخة فقط، ثم طبع القسم الاول منه التاريخي بمجلدين ايضاً عام ١٩١٥ في مدينة كلكتا الهندية، بعدما اكملت مقدمة الكتاب وفهرسته من قبل لوكينجتون بيردود(Lockington Birdwood)، لان المنية عاجلت لوريمر قبل اتمام كتابه في ٨ شباط ١٩١٤، وتم ترقيم الاعداد المائة بالحبر الاحمر وتم تداوله من قبل كبار المسؤولين في الحكومة البريطانية ولم تسمح حكومة الهند البريطانية بتداول هذا الكتاب الابعد ان مضت عليه اكثر من خمسين عاماً عندما انتفت عنه صفة السرية وذلك عام ١٩٦٠[٩].

وتحدث لوريمر في القسم التاريخي عن تاريخ الخليج، ثم تناول بالتفصيل تاريخ كل دولة من دول الخليج على حده، واشتمل المجلد الاول منه على الابواب الاتية :

- الباب الاول / التاريخ العام لمنطقة الخليج .
- الباب الثاني / تاريخ سلطنة عمان .
- الباب الثالث / تاريخ ساحل عمان .
- الباب الرابع / تاريخ قطر .
- الباب الخامس / تاريخ البحرين .
- الباب السادس / تاريخ الحسا .
- الباب السابع / تاريخ الكويت .
- الباب الثامن / تاريخ نجد ووسط الجزيرة .
- الباب التاسع / تاريخ العراق التركي (العراق) .

واما المجلد الثاني من القسم التاريخي فاشتمل على ما يأتي :

- الباب العاشر / تاريخ الساحل الايراني والجزر .
- الباب الحادي عشر / تاريخ مكران الايرانية .

كما اورد المؤلف ١٧ ملحقاً فيها دراسة للأحوال الجوية والمناخية، وطبقات الارض، ومصائد اللؤلؤ وانتاج التمر ومصايد الاسماك والملاحة والنقل والديانات والمذاهب والارساليات ومراكز التلغراف والبريد وتجارة الرقيق والاوبئة والاسلحة والتمثيل الدبلوماسي وغيرها. والحق بالكتاب ١٧ شجرة نسب لحكام عمان وزنجبار والشارقة وابو ظبي ودبي وام القيوين وعجمان ولنجة وقطر والبحرين والكويت وال سعود وال رشيد وال ابي الخير وقبيلة سبيع والقادرية بالبصرة[١٠] .

واما القسم الجغرافي والاحصائي، صنف هذا القسم على شكل معجم جغرافي احتوى على معلومات جغرافية واقتصادية حول المدن والقرى والمناطق والاسر الحاكمة والقبائل والمجموعات الدينية والعرقية متفاوتة من حيث التفصيل، واورد فيه احصائيات وتقديرات حول عدد سكان المدن والقرى وعدد افراد القبائل واماكن تواجدهم واحوالهم الدينية والسياسية والاجتماعية ونوعية الاسلحة المتوفرة لدى المدن

والقبائل، كما ضم الكتاب معلومات مفصلة عن الطرق والمسالك التي يمكن للمسافر اخذها داخل الجزيرة العربية، وتعكس هذه المعلومات مدى المعرفة المتوفرة لدى حكومة الهند البريطانية في تلك الفترة عن المنطقة[١١] .

ولأهمية كتاب دليل الخليج بكونه مصدراً تاريخياً مهماً لمنطقة الخليج والدول والامارات المطلة عليه، وبعدما سمحت الحكومة البريطانية بنشر دليل الخليج صدرت اول ترجمة له من اللغة الانكليزية الى اللغة العربية بعنوان(دليل الخليج) وهي اشهر ترجمة لحد الان وطبعت في قطر بـ(١٤) جزء ، سبعة اجزاء منها تضمنها القسم التاريخي الذي طبع عام ١٩٦٧ وسبعة اجزاء اخرى للقسم الجغرافي الذي طبع في عام ١٩٦٩، واعد هذه الترجمة قسم الترجمة بديوان حاكم قطر (احمد بن علي ال ثاني)، ثم اعيد طباعته للمرة الثانية بكلا قسميه في قطر عام ١٩٧٦ لكن هذه المرة تحت اشراف حاكم قطر الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني[١٢]، وبسبب عدم دقة الترجمة في الطبعتين السابقتين اعيد طباعة الكتاب للمرة الثالثة في قطر بعد ان شكلت لجنة من الباحثين المتخصصين تولت مهمة تصحيح الاخطاء الواردة، واضافت الصور الفوتوغرافية الاصلية الموجودة في النسخة الانكليزية التي لم تنشر في الطبعات السابقة، كما قامت اللجنة بتنظيم مشجرات نسب العائلات الحاكمة وتعديلها على نحو ما ورد في النص البريطاني وصدرت عام ٢٠٠٢[١٣].

وصدرت ترجمة ثانية في سلطنة عمان تحت عنوان (السجل التاريخي والجغرافي للخليج وعمان واوسط شبه الجزيرة العربية) عام ١٩٩٥ بـ(١٩) مجلد، عشرة اجزاء منها خصصت للقسم التاريخي وسبعة اجزاء للقسم الجغرافي ومجلدين ضما الملاحق، وتحت اشراف جامعة السلطان قابوس ومركز الشرق الاوسط بكلية سانت انطوني بجامعة اكسفورد[١٤]. كما قامت الدار العربية للموسوعات في بيروت بإصدار ترجمة ثالثة جديدة للكتاب عام ٢٠١٣ تكون من (٢٠) مجلداً ويقع في (٨٥٠٠) صفحة، ويحمل اسم (دليل الخليج العربي وعمان ووسط الجزيرة العربية)، تكون القسم التاريخي من عشرة مجلدات، والقسم الجغرافي والاحصائي جاء في ستة اجزاء، والحق بأربعة مجلدات للفهارس[١٥]، ومع ان مادة كتاب دليل الخليج جمعت وحققت وكتبت بتكليف من الحكومة البريطانية لاحد كبار موظفيها وهو لوريمر، ليصبح مصدراً غنياً بالمعلومات والتقارير الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاحصائية عن منطقة الخليج العربي لاستخدامه من الموظفين والمعتمدين البريطانيين الذين يبتعثون لخدمة بلادهم وتسهيل مهامهم في هذه المنطقة، ولهذا لا يمكن لأي مهتم او باحث عن تاريخ العراق الحديث والخليج العربي ان يتجاوز هذا السجل الضخم الذي ضم احداث سياسية للمنطقة واحوالها الاقتصادية والاجتماعية منذ مطلع القرن السادس عشر حتى اوائل القرن العشرين، فقد ذكر المؤرخ البريطاني روبن بيدويل (R. Bidwell)، عن دليل الخليج أن "لوريمر لم يكتب تاريخاً للخليج العربي ولا للدور البريطاني فيه، وانما صنع هيكلاً يمكن للباحثين العمل عليه"، ولذا صدرت دراسات اكاديمية وابحاث ومؤلفات تناولت الكتاب ومؤلفه بالتحليل والنقد او الكتابة عن جانب معين او دولة محددة اعتماداً عليه[١٦]:

١. العراق في كتاب لوريمر دليل الخليج، سارة محمد خالد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٩ .

٢. العراق من خلال موسوعة ج.ج لوريمر دليل الخليج ١٦٠٠ – ١٩١٤، سجى انور جابر الشكري، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٩ .
٣. البلوش وبلادهم في دليل الخليج ١٥١٥ – ١٩٠٨، احمد بن يعقوب المازمي، كتاب، ٢٠١٢.
٤. تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، محمد بن سليمان الخضيري، كتاب ، ٢٠٠١ .
٥. البحرين في دليل الخليج، عباس ميرزا المرشد، كتاب ، ٢٠١١ .
٦. الكويت في دليل الخليج، خالد سعود الزيد، كتاب ، ١٩٨١ .
٧. دولة قطر في دليل الخليج، كتاب ، ٢٠١٩ .
٨. سلطنة عمان في دليل الخليج، سيف بن عدي المسكري، كتاب ، ٢٠١٥ .
٩. دولة الامارات العربية المتحدة في دليل الخليج، كتاب ، ٢٠١٤ .
١٠. معجم قبائل الخليج في مذكرات لوريمر، سعود الزيتون الخالدي، كتاب ، ٢٠٠٢ .
١١. كربلاء في دليل الخليج، مرتضى علي الاوسي، كتاب ، ٢٠١٨ .
١٢. بنو كعب في دليل الخليج، محمد فهد الفرس، كتاب ، ٢٠٢١ .
١٣. عربستان في الوثائق البريطانية ١٦٠٠ – ١٩٠٠ من دليل الخليج، ماجد شبر، كتاب .
١٤. وعدد من الابحاث المنشورة في المجلات الاكاديمية التي سيرد ذكرها في قائمة المصادر.

ثانياً : الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والادارية والسياسية في السماوة .

ذكر لوريمر السماوة في دليل الخليج بقسميه الجغرافي والتاريخي على هيئتين، الاولى بشكل مستقل في الجزء السادس من القسم الجغرافي، والاخرى على شكل مادة متناثرة في الاجزاء الاخرى، مبتدئاً بموقعها وحدودها الجغرافية والادارية، وهي مدينة مزدهرة كبيرة في العراق التركي(يقصد به تحت السيطرة والاحتلال العثماني للعراق)، تقع على جانبي نهر الفرات على بعد حوالي خمسة اميال جنوبي النقطة التي يلتقي بها بالمياه التي تسحب بواسطة الهندية بالقرب من المسيب، وبالتحديد شمال النقطة التي يترك فيها نهر الفرات ولاية بغداد ليدخل ولاية البصرة[١٧]، وتبعد حوالي ٥٠ ميلاً جنوب مدينة الديوانية و ٧٠ ميلاً غرب الشمال الغربي من مدينة الناصرية، اما حدودها من جهة الشمال الديوانية ومن جهة الجنوب الغربي صحراء الشامية ومن جهة الشرق قضاء الناصرية التابع لسنجق المنتفك[١٨].

واما ادارياً فكانت السماوة في التقسيم الاداري العثماني قضاء من الدرجة الثانية التابعة لسنجق الديوانية لولاية بغداد[١٩]، ومقر رئاسة القضاء في المدينة بنفس الاسم (ويقصد مركز ادارة السماوة)، والحق بالسماوة مركزين اخرين هما :

١- ناحية الدراجي(من الدرجة الثالثة) / وتقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وتبعد ٢٥ ميلاً جنوب السماوة وتملكها الدائرة السنية[٢٠]، وفتحت فيها محطة للتلغراف (البرق)[٢١]، ويبلغ عدد سكانها ٦٠،٠٠٠ نسمة[٢٢]، وعلى بعد سبعة اميال شمال الدراجي تقع قرية الخضر على الضفة اليسرى لنهر الفرات وتبعد عن السماوة ١٨ ميلاً، وفيها حوالي ١٠٠ منزل من الطين، وسميت بهذا الاسم نسبة الى ضريح مقدس موجود فيها[٢٣]، وسكان الخضر فلاحون وتجار وبحارة واغلبهم ينتمون الى قبيلة ال بومحسن، ومحل اقامة مدير ناحية الدراجي التابعة للسماوة في

الخضر. كما توجد شمال الدراجي قرية عين صيد[٢٤]، وهي قرية صغيرة في الصحراء، يستخرج منها الملح[٢٥].

٢- ناحية الرميثة (من الدرجة الاولى)/ وتقع فوق السماوة (اي شمال مدينة السماوة)، ومنازلها منتشرة بين الحدائق والمزارع لذلك من الصعب تقدير اعدادها، لكن تقدر بـ ٦٠٠ منزل معظمها اكواخ طينية منخفضة، وهي مدينة نصفها مهجورة بسبب جفاف النهر المتفرع من الفرات، وتقع على ضفتي النهر ولا توجد قنطرة (جسر) تربط بين شطري المدينة. اما سكانها فلا يزيد عددهم عن ٢٥٠٠ نسمة جميعهم شيعة وعرب باستثناء حوالي سبعين من الايرانيين[٢٦]، ويمتلكون معظم انواع الحيوانات عدا الجمال، ويوجد فيها حوالي ٣٥٠٠ نخلة، وفيها ١٨٠ حانوت يملك اهمها تجار الاقمشة والبقالون وتجار العقاقير ولكن ٤٠ منها الان اصبحت خالية. وتمتاز بصناعة السجاد لكن صناعته رديئة، وتتاجر الرميثة مع بغداد، وكانت في ايام ازدهارها مركزاً للتوزيع التجاري الذي يخدم منطقة واسعة ولاسيما بعد محصول البلح. والواردات الاساسية فيها هي اقطان مانشستر والعقاقير والبقالة، بينما سلع التصدير الرئيسية هي الشعير والقمح والذرة والبلح والسمن والصوف والجلود، وتقدر قيمة الواردات السنوية بحوالي ٢٥،٥٠٠ جنيه استرليني. وتتبع الرميثة ناحية (ابو جوارير) وفيها مقر حكم مدير الادارة، ومقر اقامته في قلعة حجرية على الشاطئ الايسر من النهر بالقرب من طرف المدينة، لكنه غير مكان اقامته[٢٧] .

وتتكون الادارة المدنية التابعة للدولة العثمانية التي تشرف على تسيير امور السماوة، من دائرة الدين العام او دائرة الدين العمومي ومهمة هذه الدائرة هي جمع الضرائب كضريبة الملح ومصائد الاسماك وغيرها، وايراداتها تذهب الى بغداد ثم الى اسطنبول، ويمثل هذه الدائرة في العراق ناظر يقيم في بغداد ويعمل تحت امرته المدراء والمأمورين، ويترأس احد مأموري هذه الدائرة في السماوة[٢٨]، وان احد فروع دائرة الدين العمومية في السماوة، هي شركة احتكار الطباق، ومسؤوليتها احتكار صناعة وبيع التبغ في انحاء الامبراطورية العثمانية، وينحصر عمل مأمور هذه الدائرة في السماوة وموظفيها هي الاشراف على زراعة التبغ وجمع الضرائب المستحقة عليه[٢٩]، كما يوجد في السماوة فرع من دائرة الموانئ، ويرأسها مدير من اهم مهامه هي جمع رسوم الشحن من القوارب المحلية وادارة الجسور والاشراف عليها والعناية بصيانة الانهار[٣٠]، وترتبط السماوة والدراجي بخط تلغراف منفرد يصل الديوانية ثم الحلة ومركزه في بغداد، واما قوة الشرطة في السماوة فتبلغ حوالي ٥٠ فرداً من الضبطية[٣١] .

عدت السماوة ذات اهمية خاصة بالنسبة للدولة العثمانية لأنها احد النقاط الرئيسية التي تمكنها من الاتصال بقبائل نجد لغرض بسط السيطرة عليها اثناء القتال، فعندما استنزفت موارد الفيلق التركي السادس بين عامي ١٩٠٤-١٩٠٥ بسبب العمليات التركية في نجد، ارسلت القوة المتواجدة في السماوة البالغ عدد رجالها بين ١٥٠٠ – ٢٠٠٠ جندي الى اواسط الجزيرة العربية، وذلك في ايار ١٩٠٤ لكن هذه القوات ابيدت نتيجة الخسائر الكبيرة في المعارك[٣٢]، وتكونت القوات العسكرية العثمانية في السماوة من فصائل مدفعية وعدد من مدافع الميدان وانماط من المدافع الجبلية تابعة للجيش العثماني[٣٣]، وفرقة من المشاة لكن حلت محلها قوات الرديف[٣٤] التي بلغ تعداد افرادها ٣٠٠ مقاتل في عام ١٩٠٥، الا ان

الجزء الاكبر من هذه القوة غير متواجد في مركز قضاء السماوة لأنها مشغولة بجمع ضرائب الدخل من القبائل[٣٥] .

ويقدر عدد سكان قضاء السماوة المستقرين فيها بشكل دائم بحوالي (٦٠،٠٠٠) نسمة، وفي تقدير اخر يصل عددهم الى (١٠،٠٠٠) نسمة، وكلهم تقريباً من العرب الشيعة باستثناء (٣٠٠٠) من المسلمين السنة، كما يوجد بها حوالي (٥٠٠) ايراني و(٢٠٠) يهودي و(٨٠) عبداً حبشياً و(٦٠) فرداً من الاتراك، ولا يوجد مسيحيون او افغانيون او هنود[٣٦]، اما اهم القبائل[٣٧] التي سكنت السماوة فهي، الاعاجيب والظوالم وبني حجيم وال بو حسان وال بو جياش والخزاعل وال بو محسن وال زياد وجميع هذه القبائل من الشيعة العرب باستثناء قبيلة الظفير فهم من السنة المالكين، وهذه القبائل مستقرة في السماوة ويعمل افرادها بالزراعة وتربية المواشي[٣٨] .

وموارد الدخل لأفراد السماوة من الزراعة والتجارة والصناعة تأتي من مصادر عدة، اهمها النخيل اذ تقدر اعدادها بـ (٧٥،٠٠٠) نخلة، وفي تقدير اخر تبلغ حوالي (٢٠،٠٠٠) نخلة، ومزارع النخيل موجودة بصفة اساسية على الضفة اليمنى لنهر الفرات لكنها لا تكفي للاستهلاك المحلي، واراضي السماوة جيدة للزراعة لكنها مليئة بالحصون حيث تحدث حروب كثيرة بين القبائل، وتأتي في المرتبة الثانية زراعة الارز في المدينة اذ يتم زراعته في مزارع مخصصة لذلك، وثالثاً تزرع الحبوب والخضروات والفاكهة فتختلف انواعها لان السماوة بها الكثير ويصدر الفائض منها بكثرة، وتنتج السماوة الملح اذ توجد على بعد عشرة اميال جنوب المدينة بحيرة تغذيها مجارٍ ملحية وتنتج بواسطة التبخير كميات كبيرة من الملح الممتاز الذي يشبه ملح الصخور، ومستودعات البحيرة ليست تحت ادارة مصلحة الدين، ويقدر انتاج البحيرة حوالي بـ (١٥،٠٠٠) طن من الملح سنوياً[٣٩]. كما تعد السماوة مركزاً لتجميع الابل لغرض تصديرها عن طريق البر للأقطار المجاورة، واشتهرت بانها مركزاً مهماً للتجارة مع مدن الفرات الاوسط و شمال الجزيرة العربية، وتتم عملية الاستيراد والتصدير عن طريق نهر الفرات وتقام الشكاوى بسبب نقص المراكب في المدينة، وتفرغ القوارب الكبيرة القادمة من الخليج عن طريق البصرة حمولتها في السماوة ثم تنقل في قوارب اصغر[٤٠] الى محافظات الوسط، والواردات هي ذات القيمة الكبيرة من منسوجات مانشستر والبن والسكر والنيلة، بينما الصادرات الرئيسية هي الصوف والقمح والشعير وجلود الضأن، ولكل من الصادرات والواردات مع مدينة البصرة ولكن قبائل نجد تشتري مشترياتها من السماوة، وتأتي المنسوجات القطنية والادوات كالزجاج والصيني من بغداد وتصدر معظم جلود الخراف الى روسيا، وتتميز الصناعة المحلية بإنتاج السجاد والصوف وتبلغ القطعة الواحدة بمبلغ ٤ ليرات ولكنه لا يصدر في العادة[٤١] .

ولمدينة السماوة مظهر مزدهر وتجاري، اذ يوجد بها سوق يتكون من ٢٥٠ حانوتاً (محل)، وستة خانات وثمانية مساجد، ومن المظاهر التجارية في المدينة هي تردد قبائل المنتفك على السماوة الذين يعتبرونها سوقاً لهم، ويقسم نهر الفرات المدينة الى قسمين والقسم الواقع على الضفة اليمنى اكبر واحسن وبه مصالح ومقر الادارة المحلية التابعة للدولة العثمانية، اما اماكن تواجد القطعات العسكرية فهي تقع على الضفة اليسرى فعلى الرغم من تهالك بنايات تواجد هذه القطعات الا انها مسكونة من قبل الجند

الاتراك، ويعبر النهر الذي يمر بالمدينة بواسطة قارب، كما توجد فيها منازل لسكان المدينة مبينة بالطوب في كل من القسمين[٤٢] .

قسم نهر الفرات حسب مروره بالمدن العراقية الى ثلاثة اجزاء، الاول وهو اعالي نهر الفرات ويبدأ من الفلوجة وحى المسيب، الثاني اواسط نهر الفرات ويبدأ من المسيب وحتى مدينة السماوة، اما الثالث فهو اسفل نهر الفرات ويبدأ من السماوة وحتى القرنة، والسماوة احد المدن العراق التي يمر بها نهر الفرات عند حدودها الشمالية في قرية الامام الحمزة الثاني (الحمزة الغربي)، ثم يمر في قرية ابو جوارير التي تبعد عن الامام الحمزة ١٤ ميلاً، وبعدها يصل الى قرية صغيرة تسمى قرية سيد ال بوطبيخ، مروراً بالرميثة جنوب ابو جوارير، ويضيق مجرى الفرات في بعض مناطق السماوة ليصل بين ٤٠ – ٥٠ ياردة، كما يضيق مجراه في شمال السماوة ويجري في مجرى معكر يتراوح عرضه ما بين ٦٠ – ١٢٠ ياردة اتساعاً وفي موسم قلة المياه يتراوح من ١٧ الى ١٤ قدم، وترتفع ضفاف الفرات اكثر من ١٨ قدم، ويتصل بالفرات عند السماوة نهر العطشان الذي يأتي من بحر النجف فيعوضه الماء الذي فقده في قناة الحلة، ويوجد على نهر الفرات في السماوة جسر عائم على مراكب[٤٣]، وحدثت عملية مسح واستكشاف لنهر الفرات في عام ١٨٣٦م من قبل القائد البريطاني سلبي (Solby)[٤٤]، وبسبب موقعها المحاذي لشمال الجزيرة العربية وقربها من نجد، فقد تعرضت السماوة لهجوم وهابي في نيسان ١٨٠٦م، اذ قام عبد الله بن سعود بالإغارة على القبائل البدوية كل من ظفير وعنيزة ثم وصل بقواته الى السماوة، وذلك انتقاماً من عمل باشا بغداد في العام السابق، لكن هذا الهجوم لم ينجح، وكرر هجماته في الشهر التالي الا ان اهالي السماوة كانوا مستعدين للقائه، وكرر عبد الله بن سعود محاولاته للهجوم على السماوة لكن جميعها باءت بالفشل، وفي عام ١٨٠٨م ظهرت قوات الوهابيين في عين صيد بالقرب من السماوة لكن سليمان باشا اسرع لملاقاتهم بقوات كبيرة من بغداد واستطاع ان يجبرهم على التراجع من هذا المكان وغيرها من الاماكن في العراق التي هاجموها[٤٥]، كما تميزت السماوة بانها ممر حيوي رابط بين ولاية بغداد وولاية البصرة يسلكها ويمر بها الولاة والقادة العثمانيين تارة او يتخذها مركزاً لإقامتهم تارة اخرى، ومن الشخصيات العثمانية التي مرت بالسماوة الوالي العثماني سليمان باشا الذي قصد السماوة ماراً الى الديوانية ثم الحلة وذلك عام ١٧٤٩م[٤٦]، وعندما حدث تمرد قبائل المنتفق في عام ١٧٦٩م وصل باشا بغداد السماوة وعسكر في منطقة ام لباس في تشرين الثاني من العام نفسه لإخضاع هذه القبائل لسلطة الدولة العثمانية[٤٧]. ولأهمية السماوة الاقتصادية لدى الدولة العثمانية فإنها كانت تجمع الضرائب منها بكل قسوة وشهرياً كما حدث ان فرضت الضرائب على المدينة في تشرين الاول ١٨٥٣م التي انفصلت عن المنتفق اذ بلغ مقدار الضريبة مائة الف شامي سنوياً[٤٨]، فكانت قبائل السماوة تتمتع باستقلال فعلي اذ لم تكن تسمح لممثلي الدولة العثمانية بالمرور بأراضيهم وانما كانوا يجمعون الضرائب من خلال القوارب النهرية[٤٩] .

عملت الادارة العثمانية على اخضاع القبائل وشيوخها لسلطة الدولة العثمانية من اجل تنفيذ وتمرير خططها الرامية الى تحديث مفاصل الدولة في العراق عموماً وفي السماوة على وجه الخصوص التي هي من ضمن اقليم المنتفق الذي يتمتع باستقلال فعلي عن الدولة العثمانية، وكان احد مشاريع

التحديث هي انشاء خط تلغراف من بغداد الى الخليج، فقد اصطدمت مساعي الدولة العثمانية هذه بسلطة ونفوذ رجال القبائل وشيوخها، فكان رئيس المنتفق الشيخ بندر ناصر الثامر الذي نصب في عام ١٨٥٥م، قد تخلف عن الوفاء بالتزاماته المالية تجاه الدولة العثمانية مما ادى الى استدعائه اجبارياً الى بغداد ووفاته فيها في ١٣ تشرين الثاني ١٨٦٣م،[٥٠] وقد رأى نامق باشا عقب وفاة شيخ المنتفق بندر السعدون بان الفرصة سانحة لبسط السيادة العثمانية المباشرة على اجزاء جديدة من مناطق المنتفق، واعتزم فصل الاراضي المستقلة والتابعة لإقليم المنتفق والحاقها بالقائمقامية العثمانية بالبصرة، وتجريد شيخ المنتفق من صلاحياته وسلطاته كالعفو والاعدام، وقطع الاعضاء، والعقوبات البدنية وغيرها الكثير، ولأجل ذلك عين الشيخ منصور بن راشد بن ثامر السعدون احد شيوخ المنتفق، ليكون اول قائمقام عثماني معين من الدولة العثمانية في اقليم المنتفق[٥١]، وكان الشيخ منصور عازماً على معارضة ما قصد اليه نامق باشا من الاطاحة بالحكم الذاتي للمنتفق، اذ قام بإلغاء التبليغات التي حدت من سطلته ونفوذه، وكتب الشيخ منصور الى نامق باشا معترضاً على نوع الحكومة الجديدة، كما جاهر شيوخ المنتفق مساندتهم للشيخ منصور وعزمهم الدفاع عن شبه استقلالهم بقوة سواعدهم اذا لزم الامر[٥٢].

وازاء هذا الموقف من الشيخ منصور وشيوخ قبائل المنتفق اتخذ نامق باشا التدابير العسكرية لحمل المنتفق للاذعان له واستقدم تعزيزات من القوات النظامية الى بغداد من الموصل، واعلن في ١٩ اذار ١٨٦٤م تعيين الشيخ فهد ال علي الثامر وهو منافس الشيخ منصور التزام مناطق المنتفق ومشيختها[٥٣]، ونتيجةً لتعيين الشيخ فهد ملتزم المنتفق قام الشيخ منصور بجمع قوة كبيرة هدد بها مدينة السماوة، وكان من اعوان منصور في هذه الاعمال هو الظاهر بن عثمان بك[٥٤] الذي التجأ الى الشيخ منصور بعد عزله من ادارة السماوة لاختلاسه اموال الدولة العثمانية[٥٥] .

رغب نامق باشا في انهاء حالة الفوضى والعصيان التي حصلت في السماوة فكلف قائد الديوانية شبلي باشا بالتقدم نحو السماوة بكل حامية الديوانية، الا انه في تموز ١٨٦٤م نزلت بالقوة المتقدمة للنجدة في السماوة كارثة خطيرة، فبينما كان فريق المشاة المؤلف من (٣٥٠) مقاتل حاملي البنادق وثلاثة مدافع وهم في طريقهم نحو السماوة باغتتهم قوة عشائرية من بني حجيم وهم ال بوحسان والظوالم، فعلى الرغم من التحاق شبلي باشا الى القوة المتقدمة ومعه فرسانه وفرقة من الخيالة من قبيلتي الجبور وزبيد الا انه اضطر الى الانسحاب لتفوق عدد القبائل المهاجمة وقوتها وطلب النجدة من بغداد، التي قتلت اكثر من نصف المشاة فضلاً عن مقتل قائدهم، وبعد اسبوع فقط تمكن (٩٠) جندي من العودة الى الديوانية، كما فقدت المدافع الثلاث الا ان اثنين منهما اعادهما سكان قرية صغيرة تسمى دسكرة تقع بالقرب من موقع القتال[٥٦] .

لم يتوانَ نامق باشا من ارسال قوات اضافية بقيادة حافظ باشا لعقاب الثائرين، وانقاذ السماوة باي وسيلة كانت. وكان زعيم بني حجيم معروفاً بانه على صلة بالشيخ منصور والشيخ مطلق الذي تحت امرته ال بو حسان ولهذا كان ثمة ما يدعو للخوف من الهجوم على القوات العثمانية نتيجة (لتأمر) العرب (اي القبائل العراقية) الواسع النطاق. وفي ١١ تموز ١٨٦٤م زحفت قوة مؤلفة من الفي جندي نظامي و(٣٥٠) فارس غير نظامي، وفرقة كبيرة من العرب (العشائر العراقية)، بينما وصلت القوة الى السماوة

بقيادة حافظ باشا في اوائل اب ١٨٦٤م التي فرضت النظام وانهت حالة العصيان والتمرد، وانضم اليها الشيخ فهد كما سلم الظاهر بن عثمان بك او (عثمان بك) نفسه الى السلطات التركية في الديوانية، وقد اغرى الاتراك بني زريج ليقوموا بسلسلة من الغارات على ال بوحسان والظوالم اعدائهم القبليين، وعند وصول القوات الحكومية لإعانة بني زريج اذيع نبأ قيام حرب قتل فيها (٦٠) او (٧٠) شخص واسترجع المدفع المفقود[٥٧]، ووقع اشتباك اخير على ضفتي قناة ابو كليب قيل ان العشائر فقدت فيه (٦٠٠) شخص ما بين قتيل وجريح، ومنهم النساء والاطفال بينما سلبت القوات الحكومية عدداً من الماشية، واعلن ان الشيخ منصور انسحب الى نجد عن طريق الكويت[٥٨].

ذكر لوريمر استناداً الى مصادر غير عثمانية ملاحظاته عن هذه الاحداث، بأن القبائل التي وقع عليها العقاب من قبل الدولة العثمانية لم يكن قاسياً، وان هذه العشائر هم قبائل ريفية وادعة، وبعد ان قدمت ولائها الى الحاكم التركي الذي اكد بانه لن ينالهم اي سوء[٥٩]. وبعد مراجعتنا لمصادر تاريخية عدة فأنها سردت وقائع تاريخية لم تذكر ما صرح به لوريمر من اسباب ومجريات هذه الانتفاضة التي حدثت في السماوة عام ١٨٦٤م، ومنها ان التمرد حصل ضد القوات العثمانية بسبب امتناع عشائر الظوالم والبو حسان عن دفع ما بذمتهم من بدل الضمان لملتزمي المدينة، وليس معارضة الشيخ منصور والعشائر لمشاريع نامق باشا باقتطاع لواء المنتفق وتغيير شكل الادارة فيها، والامر الاخر ان القوة التي ارسلها نامق باشا الى السماوة نكلت بعشائر المدينة وانزلت بهم اشد العقوبات وقبض على عثمان بك واودع السجن في بغداد، وابعد بعض رؤساء بعض العشائر عن اراضيهم لمدة خمس سنوات ومنها بني زريج وبني حجيم[٦٠]، الا انه تم ذكر هذه الانتفاضة من قبل بعض الباحثين الذين اطلعنا على كتاباتهم مما يؤيد لوريمر في سرد احداث الواقعة ويعضد ما ذهب اليه بشأن انتفاضة السماوة وعشائرها الى درجة فقد العثمانيون سلطتهم الفعلية على السماوة التي اصبحت تحت سيطرة العشائر[٦١].

ويتضح من ذلك بان بعض المصادر لم تذكر انتفاضة السماوة وعشائرها التي حدثت عام ١٨٦٤م على الرغم ورودها وذكرها في المصادر والوثائق البريطانية والعثمانية وهذا ما كشفته من تفاصيل واحداث واسباب هذه الانتفاضة، فتضاف هذه الانتفاضة الى صفحة من صفحات تاريخ السماوة ومواقفها المشرفة ضد السيطرة العثمانية .

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة محاور البحث الاول والثاني توصلنا الى مجموعة من النتائج التي يمكن اجمالها بما يأتي :

١- وصف لوريمر تحرك وانتفاضة العرب اي القبائل العراقية التي دافعت عن حقوقها في السيادة والاستقلال من التبعية العثمانية بأنها مؤامرة ضد الدولة العثمانية، وهذا ما يتعارض مع منهجية البحث العلمي الذي يتطلب الحياد والموضوعية في نقل الاحداث وتدوينها، ونرى ذلك طبيعياً في كتاب دليل الخليج لأنه اعد وكتب من وجهة نظر استعمارية بريطانية بحتة .

٢- اتصفت تقديرات لوريمر لأعداد السكان في السماوة بتباينها وعدم دقتها، مما يستدعي التشكيك بأعداد الجنسيات والديانات والمذاهب التي سكنت المدينة، وهو امر يستلزم التدقيق واعادة ضبط لهذه الاعداد بشكل علمي دقيق.

٣- اغفل لوريمر عندما كتب عن مدينة السماوة ذكر الجانب والواقع الصحي والتعليمي للمدينة، وركز على بيان الاهمية الجيوسياسية والاقتصادية للمدينة وبما تتمتع به من مقومات باعتبارها مدينة حيوية لمن اراد اتخاذها مقراً او مركزاً للسيطرة على القوى المحيطة المحلية والاقليمية المناوئة للسطات الحاكمة .

٤- وجود خلط واضطراب في تحديد بعض الشخصيات والاماكن التي وردت في دليل الخليج عن السماوة، وهذا الخلل لعله راجع الى الترجمة او الى النص الاصلي، فلابد من اعادة ترجمة النص الاصلي بكل دقة وامانة علمية وبيان تعريف الشخصيات والاماكن الواردة في الكتاب من قبل المترجمين والباحثين ويمكن الاقتصار على الجزء الخاص بالعراق لأهميته التاريخية والجغرافية والاقتصادية .

٥- اعتمد لوريمر على وثائق وسجلات حكومة الهند البريطانية ورحلات الرحالة الاجانب في وصف دول الخليج وتدوين الاحداث التاريخية، فعلى الرغم من اهمية هذه المصادر الا انه اعرض عن بقية المصادر العربية من شهادة شيوخ القبائل او الاستماع لأقوال سكنة المنطقة انفسهم او كتابات العرب في وصف وسرد الاحداث التاريخية عن دول ومناطق الخليج العربي ومنها السماوة وبها تكون الصورة اوضح واشمل واكمل .

الملاحق :

ملحق رقم (١) يبين العشائر التي سكنت السماوة واماكن تواجدها فيها[٦٢] :

اسم القبيلة	اماكن تواجدها
ال بوحسان	عكارية، الظوالم،ال بودنان، فزاعية، قص، عروكه، بندرية، برجه، بثاث، حمرة، هور ال حسان، ال بوعيانية، ال بو جريدية، ام جدع، جوبه، بن جوليه، ام جوري، كنكون، كرعه،ام خيل، مدجم، المنجورة، مريفنه، نشابه، خريجية، رمل، ابو رمل، ربع، ساحور، ام وليحة، اكسور وخامه، زهادية
الظوالم	علامه، براده، بريدية، ديدانية، ام الغيم، خزار، الخمس، المريجية، ابوقطان، راشدية، ابو شريش، ابو شويط
ال بوجياش	ام عجينة، نصف داهرة، دحيل، حسينية، ام المحوحي، أسبطه
زياد	ام العكف، خناق، هور الزياد
بني حجيم	غميجة، المحدد، زريجية، صافي، شويخية، بيضة
الخزاعل	بني عارض، دياحم، ابو رفوش، صويحية، يحربه
سيد دريس	بازول، ال بو حسين، شربه

زبيد	نصف الاعاجيب، خناق
بني زريج	شط خنجر، كرد لواح
ال بومحسن	دراجي
عواليين (عويليين)	عين صيد
عشائر متفرقة	مسعده

الهوامش

(١) الهام محمود كاظم، جون جوردن لوريمر سيرته الذاتية واهم مؤلفاته، بحث منشور، مجلة آداب الكوفة، العدد ٤٥،ج١، تشرين الاول ٢٠٢٠، ص١٣ .

(٢) علاء عطا الله صبح القيسي، ج . ج لوريمر ومنهجه في كتابة تاريخ الخليج العربي، بحث منشور، مجلة الآداب، العدد ١٣٦، اذار ٢٠٢١، ص ٢٥١.

(٣) سجى انور جابر الشكري، العراق من خلال موسوعة ج . ج لوريمر ١٦٠٠– ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٩، ص ٨ .

(٤) الهام محمود كاظم، المصدر السابق، ص ١٥ .

(٥) سجى انور جابر الشكري، المصدر السابق، ص ١٨ .

(٦) ج.ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة: مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، ج١، مطابع العروبة، الدوحة، ١٩٦٧، ص ٥٩٠ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٩٢ .

(٨) الهام محمود كاظم، المصدر السابق، ص ٢٤ .

(٩) محمود علي الداود، دليل الخليج دراسة لأرشيف حكومة الهند البريطانية حول امارات الخليج العربي والاقطار المجاورة، بحث منشور، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد ٥٣، ٢٠٢١، ص ٢٢٧.

(١٠) ج . ج لوريمر، القسم التاريخي، ج١، المصدر السابق، ص ٣ .

(١١) عباس ميرزا المرشد، البحرين في دليل الخليج، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١، ص ١٤ .

(١٢) علاء عطا الله صبح القيسي، المصدر السابق، ص ٢٥٧ .

(١٣) الهام محمود كاظم، المصدر السابق، ص ٢٦ .

(١٤) احمد بن يعقوب المازمي، البلوش وبلادهم في دليل الخليج ١٥١٥ – ١٩٠٨، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص ٣١ .

(١٥) سجى انور جابر الشكري، المصدر السابق، ص ٢٧ .

(١٦) الهام محمود كاظم، المصدر السابق، ص ٢١ .

(١٧) ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٦، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦، ص ٢١٣٦ .

(١٨) المصدر نفسه، القسم الجغرافي، ج٦، ص ٢١٤٠ .

(١٩) ظهرت السماوة كوحدة ادارية مستقلة ابان الاحتلال العثماني، ففي عام ١٥٣٤م نظم السلطان سليمان القانوني العراق الى ايالات بغداد، البصرة، الاحساء، الموصل، شهرزور، ثم قسم تلك الايالات الى سناجق وكانت السماوة سنجقاً (لواء او محافظة) مستقلاً تابعاً الى ولاية بغداد، ولكنها كانت من الناحية الفعلية تحت سيطرة القبائل العربية ومنذ القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي، واصبحت السماوة جزءاً من امارة الخزاعل، واحد اسواقها المهمة وبعد ان ضعفت امارة الخزاعل انتزعت الحكومة العثمانية البلدة منها وضمتها كقضاء تابع لسنجق الحلة وذلك في ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م، وبعد سنوات قليلة الغي هذا التنظيم وعدت السماوة جزءاً من قضاء

الديوانية التابع الى سنجق الحلة وذلك في ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، وفي عهد مدحت باشا عادت السماوة كقضاء تابع لسنجق الحلة. للمزيد ينظر:

متعب خلف جابر الريشاوي، لواء السماوة في العهد العثماني حتى نهاية حكم المماليك ١٥٣٤– ١٨٣١، بحث منشور، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٣٧، ٢٠١٦، ص٢١٨؛ عبد العظيم عباس نصار، بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤ – ١٩١٨، المكتبة الحيدرية، ٢٠٠٥، ص٢٢٢.

(٢٠) الدائرة السنية : هي قسم من خزينة خاصة اي قسم المخصصات الملكية العثمانية، تقوم بإدارة الاملاك الخاصة الشاسعة لسلطان تركيا، ويرأس هذه الدائرة في العراق لجنة مركزية مقرها بغداد، وتعرف الاراضي والاملاك الخاصة بالسلطان والتي تديرها الدائرة السنية نيابة عنه (بالأراضي السنية)، ومن ضمن املاك هذه الدائرة التي يرويها نهر الفرات هي الدراجي . للمزيد ينظر :

ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٣، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦، ص١٦٠٣، ص١٠٧١.

(٢١) افتتحت محطة تلغراف خضر الدراجي في ٢٢ اذار ١٨٦٥م، وهو من ضمن المشاريع العثمانية للتحديث بمشورة واشراف حكومة الهند البريطانية بإنشاء خط تلغراف يمتد من بغداد الى البصرة، وتم تعيين كمال افندي مديراً لهذه المحطة براتب شهري مقداره (٢٦٤٠) قرش، وموظف اتصال يجيد اللغة الفرنسية، وعدد من الموظفين . للمزيد ينظر :

سامي ناظم حسين المعموري، الديوانية وتوابعها في وثائق الارشيف العثماني ١٨٦٥ – ١٩١٧، دار المدينة الفاضلة، بغداد، ٢٠١٥، ص١٩١ – ص١٩٦ .

(٢٢) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٣، ص ١٠٣٨ .

(٢٣) الخضر : قرية زراعية صغيرة نشأت على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وكانت تسمى خلال مدة الاحتلال العثماني للعراق بـ (خضر الدراجي) نسبة الى احد شيوخ عشيرة ال بو دراج الذين استوطنوا فيها، وقد شيد فيها جامع اطلق عليه (جامع خضر) واستبدل بمرور الزمن باسم الخضر نسبة الى العبد الصالح الخضر (عليه السلام)، ويقال ان الخضر (عليه السلام) مر بالمدينة فشيدوا مقاماً له واصبحت المدينة تحمل اسم الرجل الصالح تيمناً باسمه، وقد اتخذت الخضر مركزاً ادارياً لناحية خضر الدراجي التي ارتبطت بالسماوة عندما استحدثت عام ١٨٩١م . للمزيد ينظر :

ابرار حامد ثامر سلطان، ناحية الخضر دراسة في احوالها الادارية والاجتماعية والفكرية حتى عام ١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢١، ص ٨، ص٤٧ .

(٢٤) عين صيد : هي عين كبيرة فوارة تنبع من منطقة تسمى (الحجرة) تقع في بادية الفرات الجنوبية، وتقدر قوة ماؤها بـ(٤٠٠) حصان ويحتوي على نسبة عالية من الاملاح، ومن حيث الادارة تتبع ناحية الخضر. للمزيد ينظر :

المصدر نفسه، ص ١٠ .

(٢٥) ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٢، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦، ص ٦٤٨ .

(٢٦) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ٣، ص ٩٥٩ .

(٢٧) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٦، ص ٢٠٠٥، ص٢١٤٠ .

(٢٨) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج ٣ ص ١٠٥٣.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٠٥٤ .

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١٠٨٢ .

(٣١) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٦ ص ٢١٤٢ .

(٣٢) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٣، ص١٠٨٠.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧٧.

(٣٤) قوات الرديف : هي جزء هام من التنظيم العسكري العثماني، ويتألف من رجال راشدين تتراوح اعمارهم بين ٢٩ – ٣٨ سنة ممن سبق لهم ان خدموا تسع سنوات في الجيش النظامي وفي احتياطيه العامل، والرديف معرض لان يجتمع بمقتضى ارادة الامبراطور لبسط النظام او لإخماد الشغب او التمرد او لإكثار عدد اي معسكر يكون بحاجة الى ذلك. للمزيد ينظر:

المصدر نفسه، ص١٠٧٣.

(٣٥) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٦، ص ٢١٤٢ .

([٣٦]) المصدر نفسه، ص ٢١٣٩، ص٢١٤١.

([٣٧]) بلغ عدد القبائل اكثر من ١٣ قبيلة موزعة على اماكن عدة في السماوة . للمزيد ينظر :
الملحق رقم (١) ص١٢ .

([٣٨]) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٣، ص٩٦٣ – ص٩٨٣ .

([٣٩]) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٦، ص٢١٣٩، ص٢١٤١.

([٤٠]) ويسمى هذا النوع من القارب (العراكية) وهو نوع من انواع البلم المستخدم في نقل البضائع، ويصل طوله حوالي ٦٠ قدماً ويحمل ٥٠ طناً من البضائع، ويوجد هذا النوع من القارب في نهر الفرات والهندية من السماوة الى الحلة. للمزيد ينظر :
ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٣، ص١٠٣٢.

([٤١]) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٦، ص٢١٤١.

([٤٢]) المصدر نفسه، ص٢١٤٠ – ص٢١٤١ .

([٤٣]) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٢، ص٦٤٥ .

([٤٤]) ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج١، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦، ص٣٧٣ .

([٤٥]) ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦، ص١٦٠٨ – ص١٦١٠ .

([٤٦]) ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦، ص١٧٨٧ .

([٤٧]) المصدر نفسه، ص ١٨٢١ .

([٤٨]) المصدر نفسه، ص٢٠١٩ .

([٤٩]) المصدر نفسه، ص١٨٤١ .

([٥٠]) المصدر نفسه، ص٢٠٩٩ – ص ٢١٠٠ .

([٥١]) وهو منح شيخ المنتفق لقب قائمقام عثماني بسبب انشغال الدولة في الميادين الخارجية ، كما خصص له راتباً شهرياً مقداره (٣٠) الف قرش، هو اجراء شكلي قامت به الادارة العثمانية لكسب ود شيوخ المنتفق وعدم معارضتهم لها . للمزيد ينظر :
شاكر حسين دمدوم الشطري، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية ١٨٦٩ – ١٩١٣، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٢، ص٦٩.

([٥٢]) المصدر نفسه، ص ٢١٠١.

([٥٣]) المصدر نفسه، ص٢١٠٥ .

([٥٤]) هناك اضطراب في تحديد هوية هذه الشخصية بدقة، ففي الترجمة الاولى لكتاب دليل الخليج يذكر ان اسمه (عثمان بك) وهو ابن حاكم سابق للموصل، وفي الطبعة الثانية من الكتاب نفسه يذكره باسم (الظاهر بن عثمان بك)، اما كتاب تاريخ العراق بين احتلالين فقد ذكره باسم (عثمان بك) قائمقام السماوة السابق ممن اعتقله شبلي باشا لعلمه بانه هو المحرك للعشائر فأرسله الى بغداد فسجن فيها، ولم تحدد هويته من المصادر الاخرى التي ذكرته . للمزيد ينظر :
ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، مطابع العروبة، الدوحة ، ١٩٦٧، ص٢١٢٢ ؛ ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦، ص٢١٠٧ ؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني، مكتبة الحضارات، بيروت، ص١٧٤ ؛ جاسم فيصل الزبيدي، المفصل في تاريخ السماوة وباديتها، ج٤، دار اديان، السماوة، ٢٠٢١، ص١٣٢ ؛ حمود الساعدي، مدينة السماوة، بحث منشور، مجلة البلاغ، العدد ٣، ١٩٧٥، ص٦٨ .

([٥٥]) ج . ج لوريمر، القسم التاريخي، ج٤، المصدر السابق، ص٢١٠٧ .

([٥٦]) المصدر نفسه، ص٢١٠٨ .

([٥٧]) المصدر نفسه، ص ٢٠١٨ .

([٥٨]) المصدر نفسه، ص ٢١٠٩ .

([٥٩]) المصدر نفسه، ص ٢١٠٨.

([٦٠]) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص١٧٤ ؛ متعب خلف الريشاوي، المصدر السابق، ص٢٢١ ؛ جاسم فيصل الزبيدي، المصدر السابق، ص١٣٥ ؛ حمود الساعدي، المصدر السابق، ص٦٨ .

([٦١]) شاكر دمدوم الشطري، المصدر السابق، ص٧٠ .

([٦٢]) ج . ج لوريمر، المصدر السابق، القسم الجغرافي، ج٦، ص٢١٣٧- ص٢١٣٩ .

المصـــــادر :

اولاً : الرسائل والاطاريح الجامعية

١- ابرار حامد ثامر سلطان، ناحية الخضر دراسة في احوالها الادارية والاجتماعية والفكرية حتى عام ١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢١ .

٢- سجى انور جابر الشكري، العراق من خلال موسوعة ج . ج لوريمر ١٦٠٠- ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٩ .

٣- شاكر حسين دمدوم الشطري، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية ١٨٦٩ – ١٩١٣، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٢ .

ثانياً : الكتب

١- احمد بن يعقوب المازمي، البلوش وبلادهم في دليل الخليج ١٥١٥ – ١٩٠٨، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢ .

٢- ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج١، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦ .

٣- ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦ .

٤- ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، مطابع العروبة، الدوحة ، ١٩٦٧.

٥- ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦ .

٦- ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٢، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦ .

٧- ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٣، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦ .

٨- ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٦، مطابع علي بن علي، الدوحة، ١٩٧٦ .

٩- ج.ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة: مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، ج١، مطابع العروبة، الدوحة، ١٩٦٧ .

١٠-جاسم فيصل الزبيدي، المفصل في تاريخ السماوة وباديتها، ج٤، دار اديان، السماوة، ٢٠٢١ .

١١-سامي ناظم حسين المعموري، الديوانية وتوابعها في وثائق الارشيف العثماني ١٨٦٥ – ١٩١٧، دار المدينة الفاضلة، بغداد، ٢٠١٥ .

١٢-عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني، مكتبة الحضارات، بيروت .

١٣-عباس ميرزا المرشد، البحرين في دليل الخليج، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١ .

١٤- عبد العظيم عباس نصار، بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤ – ١٩١٨، المكتبة الحيدرية، ٢٠٠٥ .

ثالثاً : البحوث المنشورة

١- الهام محمود كاظم، جون جوردن لوريمر سيرته الذاتية واهم مؤلفاته، بحث منشور، مجلة آداب الكوفة، العدد ٤٥،ج١، تشرين الاول ٢٠٢٠ .

٢- محمود علي الداود، دليل الخليج دراسة لأرشيف حكومة الهند البريطانية حول امارات الخليج العربي والاقطار المجاورة، بحث منشور، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد ٥٣، ٢٠٢١ .

٣- متعب خلف جابر الريشاوي، لواء السماوة في العهد العثماني حتى نهاية حكم المماليك ١٥٣٤- ١٨٣١، بحث منشور، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٣٧، ٢٠١٦ .

٤- علاء عطا الله صبح القيسي، ج . ج لوريمر ومنهجه في كتابة تاريخ الخليج العربي، بحث منشور، مجلة الآداب، العدد ١٣٦، اذار ٢٠٢١ .

٥- حمود الساعدي، مدينة السماوة، بحث منشور، مجلة البلاغ، العدد ٣، ١٩٧٥ .

معروف عبد الغني الرصافي واسهاماته الفكرية والسياسية في العراق ١٨٧٥ حتى وفاته

Marouf Abd al-Ghani al-Rusafi and his intellectual and political contributions to Iraq from 1875 until his death

م.م سهاد داوود سلمان

رئاسة جامعة واسط- شعبة شؤون التدريسيين

Abstract .

He is known bin Abd al-Ghani bin Mahmoud al-Jabari al-Husayni, an Iraqi poet, born in Baghdad in 1875 AD, to a Kurdish father and a Turkmen mother. His father worked in the Ottoman government, and al-Rusafi grew up in a poor family. Since his childhood, he was free and bold in his opinions and keen on his society. His poetry, which caused him many problems, and his poetry was full of talk about manifestations of political and social injustice, which made him suffer at the end of his life from neglect and deprivation, and it was mentioned that Al-Rusafi had made him an offer from the ruling family to buy his office for ten thousand dinars, in order to compose a poem praising the family Al-Hakimah, but he refused to do so, Al-Rusafi died in 1945 in Adhamiya. His funeral was attended by writers, members of the press and dignitaries, and he was buried in the bamboo cemetery.

الخلاصة

هو معروف بن عبد الغني بن محمود الجباري الحسيني شاعر عراقي من مواليد بغداد عام ١٨٧٥م، لأب كردي وأم تركمانية، وقد عمل والده في الحكومة العثمانية ونشأ الرصافي في عائلة فقيرة، وكان منذ صغيره حرًا وجريئًا في آرائه وحريصًا على مجتمعه، وقد نقد السلطات والحكام في شعره مما سبب له الكثير من المشاكل، وكان شعره مليئًا بالحديث عن مظاهر الظلم السياسي والاجتماعي، مما جعله يعاني في أواخر حياته من الإهمال والحرمان، وُذكر بأن الرصافي قد قدم له عرض من الأسرة الحاكمة بشراء ديوانه مقابل عشرة آلاف دينار، كي يؤلف قصيدة تمدح الأسرة الحاكمة، إلّا أنّه رفض ذلك، وقد توفي الرصافي عام ١٩٤٥في الأعظمية وقد حضر جنازته الأدباء وأهل الصحافة والأعيان وتم دفنه في مقبرة الخيزران ورثاه الكثير من الشعراء وكتبت فيه الكثير من المقالات وتركت وفاته حزنًا كبيرًا في الساحة الثقافية العربية والعراقية.

كلمات مفتاحية: (الرصافي، الشعر العربي، المرأة، الأدب العربي، التحديث)

مقدمة.

نشأ معروف الرصافي في بغداد حيث فيها أكمل دراسته في حلقات الكتاتيب، ثم انتقل إلى المدرسة العسكرية الابتدائية، وبعدها عاد إلى الدراسة في المدارس الدينية، فتلقى العلم على يد أشهر علماء بغداد كالشيخ قاسم البياتي، وعبد الوهاب النائب، وقد سماه الشيخ الألوسي بـ "معروف الرصافي"، ليكون رمزًا في السمعة الحسنة والصلاح، درس اللغة العربية في الكلية الشاهانية، ثم عمل محررً في جريدة سبيل الرشاد عام ١٩٠٩م، وبعدها انتخب عضوًا في مجلس المبعوثان عام ١٩١٢م وعام ١٩١٤م، وقد سافر الرصافي إلى الأستانة عام ١٩٢٢م وبعدها عاد إلى بغداد ليصدر جريدة الأمل،

وعمل معلمًا في دار المعلمين العالية في بغداد عام ١٩٢٧م، وقد بني له تمثال في إحدى ساحات بغداد تمجيدًا له ولما قدمه في حياته، عرف معروف الرصافي بأنه شاعر العراق الأول في عصره، وتميز شعره بالمتانة اللغوية والرصانة في الأسلوب وجزالة الألفاظ، وكانت أجمل قصائده في الثورة على الظلم، وقد تبارى الرصافي مع الشاعر جميل صدقي الزهاوي في فترة من الفترات وتهاجيا واختلفا في كثير من المسائل، فقد دعا كلاهما إلى قضية تحرير المرأة وانتزاع الحجاب الذي كانت ترتديه النساء في العراق.

وللرصافي مؤلفات كثير سوف نتطرق لها خلال البحث الذي قسم الى خمسة محاور تضمن المحور الأول: ولادته ونشأته والظروف التي رافقته والبيئة الاجتماعية والسياسية التي عاش فيها اما المحور الثاني: فدرس النشاط الفكري الذي عرف به الرصافي وابرز القصائد التي دونت وعرّفت به فيما تناول المحور الثالث: الحالة الاجتماعية للرصافي وآرائه الاجتماعية خصوصا فيما يتعلق بالمرأة ومسالة الحجاب، بينما تطرق المحور الرابع: الى آرائه السياسية والدور الذي اداه في مجال السياسة والظروف السياسية التي عاشها وأخيرا المحور الخامس: ذكرنا فيه ابرز المؤلفات التي تركها لنا الرصافي وهي من اهم الموروثات الثقافية التي يتميز بها تاريخ العراق الثقافي.

ولادته ونشأته:

ولد الشاعر معروف عبد الغني بن عبد القادر بن محمود الجباري" الرصافي" عام ١٨٧٥ في بغداد من أم عربية تدعى فطومة بنت جاسم الشيخ، ولم يستطع أحد أن يدلي برأي حاسم عن والد الرصافي ونسبه لأن الرصافي نفسه لم يتكلم عن والده أو نسبه شيئا قط ، كما أن ديوانه الضخم الذي طبع قبل وفاته لم يتطرق بإشارة إلى هذا الموضوع بأي حال من الأحوال ، وقد يكون ذلك من باب الترفع عن التفاخر أو ذكر الأنساب معولين على ما يقدمه المرء من أعمال تكون أثمن من النظر لما خلفه السلف من تلك الفوائد، وعلى كل حال فأن أبوه كان في الأصل من مدينة كركوك من عشيرة الجبارين، ولما كان يعمل فيما يسمى بالجندرمة لدى الحكومة العثمانية برتبة باش جاويش (رئيس عرفاء)، فقد اضطر إلى أن يترك مدينته كركوك ويعيش في بغداد، و قد عرف عنه بأنه كان متدينا حاد المزاج ودائما في وظيفته مما أضعف لقاء الرصافي به[١]، اما والدته التي لم تلد سواه فقد مثلت أهم المؤثرات الفكرية في شخصية ولدها معروف، حين أحاطته برعاية تامة وعنيت بتنشئته، فتعلقت به وتعلق بها، وكان لها أثر عميق في نفسه، فصارت مرجعه في كل شيء حتى بعد تجاوزه العقد الأول من حياته، وهي التي ألزمت نفسها بوجوب أن تراه متعلماً، وكانت تجهز له كل مايلزم لذلك فأرسلته وهو في سن الثالثة من عمره، إلى أول مدرسة قريبة من داره، وكانت قائمة على التدريس فيها امرأه، انتقل بعد ذلك إلى مدرسة في الحيدر خانة تدعى بمدرسة الملا بايز، وفيها تعلم الحروف الهجائية بكتاب يدعى جزء يا فتاح، انتقل بعد ذلك إلى مدرسة أخرى في الميدان تعرف بـ مدرسة منيف أفندي، وفيها، راح يكب على دراسة القرآن[٢]، ان هذا الاهتمام من والدته ترك أثر عميق في نفسه فكأن يكن لها كل الحب، ويعمر لها الاحترام ولا يذكرها الا بالإكبار والاجلال وعند سفرته الأولى الى الآستانة نظم قصيدة بحق والدته قال فيها:

وذكرت من تبكي هناك على بالدمع الغزير تستوقف العجلان ثمة بالرنين عن السير[٣].

وخلال مسيرته العلمية انتسب الى حلقة درس محمود شاكر الالوسي، ولازمه اثنتي عشرة سنة وبدأ ينظم الشعر على الطريقة القديمة وكان أكثر شعره مدح لأستاذه محمود شكري الالوسي الذي شجعه كثيرا على الحفظ وكتابة الشعر، فدرس عنده علم الحال وهو كتاب ديني، كما درس عليه كتاب قطر الندى لابن هشام وفي ذلك يقول الرصافي "لم اتعلم مبادي العربية الا عن طريق هذا الكتاب وانني أرى الآن هذا الكتاب هو أحسن كتاب يبدأ به لتعليم النحو، وكان يأمرني الألوسي بالحفظ ويعني بتفهيمي ويكرر الدرس أكثر من مرة لكي افهمه، كما درست شرح الفاكهي، وألفية ابن مالك و درست كتاب مغني اللبيب على الشيخ عباس القصاب في جامع الشيخ صندل، وكنت أدرس في نفس الوقت كتاب السيوطي عند الشيخ الألوسي، وكنت الازم ديوانين اثنين: المتنبي والمعري، وكنت أقرأ بعض الكتب ومنها العقد الفريد" ولقد لقبه استاذه الألوسي بالرصافي تشبيها له بمعروف الكرخي [٤].

ويشير الرصافي إلى أن أستاذه محمود شكري الالوسي كان قد وضع تحت تصرفه الكثير من كتبه الثمينة مثل كتابه " الشواهد" الذي يضم الأدبيات التي يوردها أهل الأدب شاهدا لإثبات قاعدة ما، وبسبب عشقه لهذا الكتاب وإعجابه فيه، فقد عمد إلى حفظ أكثر من خمسة عشر ألف بيت، وكان من عادة المدرسين أن يضعوا كتاب الشواهد ليرجعوا إليه في أثناء التدريس، إلا أن السيد محمود شكري الالوسي استغنى عن هذا الكتاب، وكان يقول لتلامذته مشيراً إلى الرصافي :"هذا كتاب الشواهد "، لكثرة ما كان يحفظه من شواهد الشعر والقصائد، فإذا آراد الاستشهاد، ذكر له الرصافي البيت وما قبله وما بعده وما قاله إلى آخره[٥].

النشاط الفكري لمعروف عبد الغني الرصافي:

بعد أن أنهى الرصافي دراسته التي استمرت اثنتي عشرة سنة، تم تعيينه مدرسا في منطقة الراشدية التابعة للسيد عبد الوهاب النائب اذ أمضى فيها سنة واحدة لينتقل بعدها إلى مدرسة علي أفندي في محلة رأس الكنيسة وهذه المدرسة عبارة عن مسجد فيه مدرسان أول وثاني ليكون بذلك المدرس الثالث، ولم يمض فيها سنة واحدة، حتى تم نقله إلى مدرسة الإعداد العسكري، مدرسا للغة العربية التي بقي فيها ثلاث سنوات ١٩٠٦-١٩٠٩، وكان من طلاب هذه المدرسة، حكمت سليمان الذي أصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٣٦ وكامل الجادرجي، السياسي العراقي المعروف والدكتور إبراهيم عاكف الألوسي، الذين حفظوا له تلك اليد البيضاء عليها وظلوا يذكرون تلك الأستاذية بكل تجل واحترام، وعند إعلان المشروطية سافر الرصافي إلى الأستانة"، حيث تولى تدريس مادة اللغة العربية في المدرسة الملكية الشاهائية الخاصة بتخريج الموظفين الإداريين، لينتقل بعد إلغاء هذه المدرسة، للعمل بصفة مدرس في مدرسة الواعظين لتدريس مادة الخطابة العربية[٦]، وبعد عودته من رحلته هذه من اسطنبول الى بغداد عقب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨ مر في طريقه بدمشق، فاتصل به احد المعنيين بالتربية والتعليم في فلسطين، وعرض عليه مهمة تدريس آداب اللغة العربية في دار المعلمين في القدس في أوائل عام ١٩٢٠[٧]، وكان السيد " محمد كرد علي" صاحب جريدة المقدس، الذي رشح الرصافي لعضوية المجمع العلمي العربي بدمشق، المفاوض لهذا العقد بين الطرفين، وحين ذاك سافر الرصافي إلى القدس، وبدأ بتدريس هذه المادة براتب خمسة وعشرين جنيها مصريا مع تكاليف الأكل والمنام[٨]، وفي عام ١٩٢١ عاد الى

بغداد فعين نائب رئيس لجنة الترجمة والتأليف في وزارة المعارف، ورئيس تحرير مجلة دار المعلمين الشهرية التي صدرت عام ١٩٢١. وسافر ثانية الى تركيا عام ١٩٢٢ ثم عاد إلى بغداد ١٩٢٣، واصدر جريدة الأمل اليومية والختير عضوا بالمجمع العلمي العربي عام ١٩٢٣، وعين مشرفا اللغة العربية بوزارة المعارف ١٩٢٤، وعضو للمجمع العلمي العراقي ١٩٢٦، فأستاذ اللغة العربية وادابها في دار المعلمين العالية ١٩٢٧ ومعروف الرصافي أقام دولة للشعر في القرن العشرين وخلد اسمه بين الشعراء الأعداد كالفرزدق وجرير وابي تمام والمتنبي، ودیناحته ناصعه، وبيانه علب، وقوافيه محكمة، ومعاليه بعيده، وإن أعراضه شملت السياسة والاجتماع والحكمة الرثاء والوطنية ووصف الطبيعة وسائر مواضيع الشعر في عصر النهضة الحديثة[٩]، ويؤكد الرصافي في مذكراته، انه بعد رجوعه من القدس إلى بغداد، نزل في بيت كانت له فيه ذكريات مع والدته، التي توفيت في غيابه، مما البسه ثوب الكآبة، واجبره على معاقرة الخمر فيما بعد كما يذكر ويقول أن أعمامه في تلك المدة، كانوا قد اعتادوا على زيارته، وهو بدوره ما فتئ يبادرهم الزيارة، إلا انه لم يكن يفهم منهم شيئا لأنهم يتكلمون اللغة الكردية ويقول إن ذلك كان سببا لانقطاع الصلة بينهم نهائيا فأضاف إلى روحه نوعا من الإحساس بالوحدة والانقطاع عن الأصول[١٠].

وقد درس الرصافي ما تلقاه من أوليات معرفية اتجه إلى طلب العلوم الدينية على يد واحد من علماء عصره الذي وجده فيه انشداداً إلى العلوم وتبتل في تقصيها، وزهد بما حوله من منع وانشغالات آلية، ذكرته بما كان عليه واحد من متصوفة بغداد المشهورين" كانت تلك مرحلة لم تواصل حضورها وحدها في المراحل اللاحقة عند هذا الشاعر، ولم تستند نهائياً بوعيه وانشغالاته والتأسيس الذهني الخاص الذي هيأته الأقدار إذا غادرها إلى حيث بشرع أفاقه المعرفية نحو اتساع من مجالات العلوم والنظر الفكري متعدد المصادر كان الرصافي، قد غادر الدراسات الدينية نحو الاهتمام بالتيارات الفكرية الحديثة في منابعها المختلفة والمتصارعة، ليتأمل كثيراً من أفكارها وظواهرها العلمية في كتاباته وشعره ويسعى إلى تحديد رؤيته منها[١١].

حالته الاجتماعية وآرائه:

تزوج معروف الرصافي من امرأة تركية في الآستانة اسمها بلقيس، وبسبب سوء حالته المعاشية هناك، فقد غادرها إلى القدس، واستقر فيها لحين من الزمن، ليعود مرة أخرى إلى العراق هذه النقلات مع تزايد عوزه وفاقته، طال فراقه عن زوجته، التي ما فتئت تتوسل به للعودة إليها وبعد أن عجزت عن استقدامه إلى الآستانة، وثنيه عن العزوف عنها، استفادت من القانون المدني العثماني وطلبت التفريق، فحكمت به المحكمة ومن شدة حبه لها، قال فيها أكثر من قصيدة، كما في قصيدة " آل الجميل" وقصيدة "في زحلة" فكانت تلك آخر مرحلة من مراحل اقتران الرصافي بامرأة، كان يعشقها عشقا خفيا، لطالما كشف عنه في أبيات من شعره، إلا انه كان يأنف من البوح به، وذلك على ما يبدو كان قد أضفى على شخصيته شيئا من التمرد على الواقع[١٢] ، و أمام هذه المتغيرات في حياة الرصافي استقر في منزل يقع في منطقة سوق الهرج قرب الميدان في الزقاق المؤدي إلى المدرسة الثانوية المركزية في بغداد[١٣].

كان الرصافي قد أرتحل من بغداد من الدار التي ما زالت قائمة في سوق الهرج وفي الزقاق المؤدي من السوق إلى بداية الثانوية المركزية، ارتحل عام ١٩٣٣ إلى مدينة الفلوجة ونزل في ضيافة كل

مريم الكرام، الذين أنزلوه أحد مدارهم المطلة على نهر الفرات قريباً من الجسر الذي كان قد ابتني حديثة والتشبيه بجسر الصرافية في بغداد، ارتحل إلى هناك بعد أن سئم الحياة في بغداد، ولغرض التفرغ للمطالعة والكتابة فكان يمضي مدة الصباح حتى الظهر بالكتابة لكنه على الرغم من السنوات الطوال وحتى مغادرته الفلوجة أبان أحداث ثورة مايس ١٩٤١م، وتشوب الحرب بين الجيش العراقي والقوات البريطانية لم يكمل تأليف كتابه والذي ظل مخطوطاً طيلة هذه السنوات وكان من اهم نتاجات الشاعر الكبير معروف الرصافي اسمه(الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس)[١٤]، في الفلوجة سنة ١٩٣٣، وأحدث ضجة واسعة في العالم الإسلامي فور نشره في سنة ٢٠٠٢ متناول فيه سيرة الرسول محمد (ص) ونشأته، وزواجه بالسيدة خديجة، وفضلها في انتشار الإسلام، وتطرق إلى حروب الرسول، ونزول الوحي، والاعتكاف في الغار[١٥]، وكان الرصافي محيط بالسيره بكل تفاصيلها، ويقول في الكتاب ان محمد (ص) هو اعظم شخصية عرفها التاريخ لاسيما وانه احدث انقلابا في الدين والسياسة والاجتماع[١٦] ، وفي المقابل حارب الرصافي العادات البالية والتقاليد الموروثة التي قضت على العزائم وحالت دون التقدم والتطور، ورأى فيها نظاما ثابتا لا يماشي الحياة، ورأى أن التقدم لا يتم إلا على رفات التقاليد الاجتماعية التي تجعل للتذلل والتزلف أعظم قيمة للنجاح في الحياة فراح يحاربها بسخط وانفعال وثورة وتهكم، لأنه كان شديد التعلق بالتقدم والنهوض، إلا أنه ما كان يتشكر للتقاليد النافعة والتمسك بتعاليم الشريعة، يرى الإسلام لا يعوق التقدم بل يساعد عليه لأن الأجداد تقدموا به في الماضي كقوله:

يقولون في الإسلام ظلما بأنه يصد ذويه عن طرق التقدم
فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت أوائله في العـــهد المـــتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم[١٧].

كما ان العلم في نظر الرصافي هو سبيل النجاح فلا حياة اجتماعية مزدهرة في ظل الجهالة والأوهام، ولا حياة سعيدة مع التعامي والتخلف والإحجام العصر عصر العلم والشرق كان قديما منارة العالم وقلبه، فما باله يتخبط في أوهامه اليوم وما باله ينظر إلى الغرب الذي بلغ ما بلغ بالعلم نظرة الذليل الذي لا يستطيع التحرك والعظيم الذي كاد عقله يتوقف عن التفكير. مكانتهم العلم حياة ونشاط وحجر الأساس لازدياد ثروة المجتمع ولنجاته من الفقر، والرصافي يريد نجاة المجتمع من الفقر، فيحث الشاعر على طلب العلم والجد فيه والمثابرة على تحصيله، لأنه وحده يرفع من شأن الأفراد والأمم، ويبتى لهم مجدهم، يرفع من ، يعنى فقيرهم، هو الفيض الذي تحيا به القلوب، والسلاح الذي به يقهر الجهل، والنور يهتدي به في الظلام [١٨].

الرصافي والمرآة:

هل يعلم الشرقي أن حياته تعلو إذا رَبَى البنات وهذبا...
وقضى لها بالحق دون تحكمٍ فيها وعلمها العلوم وأدبا....
فالشرق ليس بناهض إلا إذا أدنى النساء وقربا...
فإذا ادَّعيتَ تقدما لرجاله جاء التأخر في النساء مكذبا...[١٩].

وفي تلك الابيات قَرنَ الرصافي شروط تقدم الشرق بتعلم المراة العلوم والاداب، فليس من الانصاف ان يأخذ الرجل حقه في التعليم وتترك المرأة، مما يؤدي بنظرة الى تخلف المجتمع باكمله .

لم أر بين الناس ذا مظلمة أحق بالرحمة من مُسلمة
منقوصة حتى بميراثها محجوبة حتى عن المكرمة
قد جعلوا الجهل صوانا لها من كل ما يدعو إلى المَاثمه
والعلم أعلى رتبة عندهم من أن تلقاه وأن تعلمه
ما تصنع المرأة محبوسةٌ في بيتها إن أصبحت مُعدِمه
ضاقت بها العيشة إذ دونها سُدت جميع الطرُق المُعلمه
من أي وجه تبتغي رزقها وطُرقها بالجهلِ مستبهمه[٢٠].

ومن ما تقدم يلاحظ ان الرصافي كان يستهجن وبشدة وبدون اي وجل او خوف من المعارضين لتعليم المرأة ولكن الرصافي كان يستخدم أسلوبا ذكيا في مجال طرح موضوع المرأة الا وهو الخلط بين مكوث المرأة في البيت وتحجيم عملها في البيت وتربية الأطفال وبين التعليم الذي كان يراه حقا قائما من حقوق المرأة، اذ جعل اجبارها على المكوث في البيت هو احد اكثر المبررات لتقديمها للمجتمع جاهلة، كما ربط جهل المجتمعات من جعل الامرأة، كما ربط الرصافي بعض القضايا الدينية مثل الميراث مدخلا لدواعي تعلم المرأة واستقدام الرزق، وكأنه يريد ان يقول اذا كان الاسلام قد حدد ميراث المرأة الذي هو بمنقصة عن ميراث الرجل وهو امر حدده الشرع فبالأحرى ان تكون المرأة متعلمة لكي تفيد المجتمع بطاقاتها ومكانتها التي تكتسبها من التعليم، وهو امر غاية في الجرأة وغير مبالي من المتربصين لطروحاته الحاسمة[٢١]، ولا يخفى ان معروف الرصافي قد ساهم مساهمة فعالة في مجال حقوق المرأة من خلال تأييده ممن سبقوه في هذا المجال امثال قاسم امين والشاعر العراقي صدقي الزهاوي، اخذ آرائهم على محمل الجد وترجمها على حق من حقوق المجتمع وليس المرأة فحسب[٢٢] ، وكان الرصافي يرى ان تحرير المرأة في مجتمع ذكوري وذهنية ذكورية، تأتي من منطلق دعوة التفكير الفعلي لتحرير المرأة والمطالبة بحقوقها في الثقافة والتعليم وجاهر الرصافي بقصائده على الرغم من وجود خطاب سلطوي مهيمن إذ كانت المرأة مهمشة ومسحوقة بسبب سيطرة الرجل على المرأة وسطوته والشاعر الرصافي افرد لقضايا المرأة في ديوانه بابا اسمه " النسائيات "[٢٣]، تناول فيه القضايا التي سلبت المرأة حقوقها ، ومع دخول الفن الى العراق في عشرينات القرن العشرين كان الرجل يؤدي دور المرأة في التمثيل لأن المرأة لا يسمح لها بالتمثيل وممارسة العمل الفني للنظرة الضيقة للمجتمع[٢٤]

موقف الرصافي من الحجاب:

لم يكن حال المرأة في العراق خيراً منها في مصر التي نادى بها قاسم امين بحرية المرأه، بل كان الحجاب والجهل من لوازمها الأكيدة في كلا القطرين، فعد موضوع الحجاب خطوة أكثر تقدمية في مجال المطالبة بحقوق المرأة العربية لتصل إلى مرحلة الصراع بين التوجهات المؤيدة والمناهضة، وقد شهدت مدة ما بين القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين صراعا واضحا وقويا بالنسبة لمؤيدي السفور والتحرر ومعارضيه ، فقد اختلف الناس ازاء هذا الموضوع بين مناصر يرون أنه لا نقاش في مسألة اقحام المرأة في موضوع التقدم والرقي، ومعترض يرى خروج المرأة من علامات الجاهلية ودعوة إلى الفسق والخروج على تعاليم الدين، تلك القضية من أكثر قضايا المرأة جدلية من دون القضايا الأخرى كالتعليم والعمل

والزواج، فقد كان المؤيدون لا يستندون في رأيهم على أساس ديني فحسب ، بل أن أساس دفاعهم مبني على أساس عقلي يعتمد على الإقناع والبرهنة المنطقية ، كما نجد أن النساء أنفسهن يشاركن في الدفاع عن تلك القضية[٢٥]، فعندما جاء قاسم أمين عالج مشكلة الحجاب في كتابه الذي نشره بالفرنسية عام ١٨٩٤ ردا على(دوق داركور)، وكان ردا على الكتاب الذي أصدره هذا الدوق عام ١٨٩٣ وكان عنوانه مصر والمصريين وفيه يبين أسباب تمسك المصريين بالحجاب من دون أن يحاول تعريفه ولا تعيين حدوده، وعالج أمين في كتابه تحرير المرأة الذي أصدره عام ١٨٩٩ في فصل طويل يبلغ ربع الكتاب تقريبا ووضح موقفه فيه[٢٦]، محاولا من خلاله الاستناد على الكثير من الأدلة الشرعية في إثبات حجته لكنه فيما بعد لقي الكثير من المعارضة والرفض فهو لا يرى في المجتمع الشرقي وما يتميز به من فصل بين الرجال والنساء أية قيود تحرم المرأة من حق أو تمنع عنها أي شيء نافع لها ولمجتمعها، بل يرى أن المساواة متحققة تماما بين الرجال والنساء، ولقد لفت قاسم أمين النظر إلى أن الحجاب المغالي فيه يرجع إلى حب المغالاة في الاحتياط والمبالغة، فيما يظهر عملا بالأحكام الشرعية بينما الحقيقة ذلك، وفي كتابه يبين أن الحجاب ما هو إلا طور من أطوار حياة المرأة و انه قد تلاشى في كثير من الأمم نتيجة للتقدم والازدهار، فقد ذكر الكثير من الأمم كالمسيحية واليهودية والغربية التي خلعت الحجاب منذ القدم[٢٧].

وفي إحدى أرائه يؤكد مرة أخرى على أن الدين لا يجبر المرأة على تشديد الحجاب إنما من يفعل ذلك هم رجال الدين، ويتهمهم بعدم إدراكهم لجوهر الإسلام، والحجاب عند قاسم أمين لا يعني في الملبس إنما الحجاب عنده في المقام الأول أن تحتجب أي امرأة بأن تقتصر في بيتها وتستتر وجهها إذا خرجت، وقد ناصر الكثير من المصلحين كرفاعة الطهطاوي وبطرس البستاني ومحمد فارس الشدياق وسليم البستاني وشبلي شميل وبشارة زلزل أما الرصافي فقد ناصر هؤلاء المصلحين في تلك في القضية فإنه لا يرى في الحجاب أي حدود للمرأة الجميلة الحسناء يجب أن تتخلى عن الحجاب لأنه يحجب ويخفي جمالها، ولكنه يحرص على صياغة ألفاظه في هذا الموضوع بأسلوب لبق حتى لا يثير هذا أنصار الحجاب[٢٨].

آرائه السياسية:

وقف عن كثب على أحوال السلطنة العثمانية في عاصمة الخلافة وعلى التيارات السياسية والحزبية التي كانت تتصارع فيها ولاحظ مدى التفسخ الذي بلغت إليه السياسة وإدارة الإمبراطورية المتداعية ورأى أيضا كيف كانت تباع المناصب وتشترى وكل ذلك زاد في ثورة الرصافي على الحكم العثماني فرفع صوته في طلب الإصلاح وتغيير الحال ورد الحقوق المسلوبة إلى أهلها، فكان ذلك بداية مشواره السياسي والذي بدأه الرصافي ومنذ عام ١٨٩٨ نقده اللاذع للاستبداد الحميدي وحرض ابناء الامة على التخلص من الاستبداد الحميدي[٢٩] ، ولذا عارض الرصافي في عهد العثمانيين السلطان و قام أمام استبداده و تعسفه ولكن هذا لا يعني أنه عارض الحكومة العثمانية كلها، لا بل اعتقد الرصافي بالإصلاح في إطار الدولة المركزية معارضاً الاستبداد الحميدي، وبعد اعلان الدستور ايده الرصافي ولكنه عاد وانتقد القائمين على تطبيقه لميلهم عن مسارات ذلك الدستور، ومع بدء الحرب العالمية الأولى تدهورت الأوضاع و تطورت بحيث نرى قيام العرب بقيادة شريف حسين ضد الأتراك و انهيار الدولة العثمانية،

فالرصافي في هذه الحرب يقف ضد المستعمرين الغربيين و يدعو إلى حماية العثمانيين ويعارض بعد انهيار الحكومة المركزية المحتلين الاجانب و كذلك الحكومة الصورية (حكومة الانتداب) التي شكلها المحتلين البريطانيين، ومن الأمور التي وقف ضدها الرصافي في أشعاره، المعاهدات التي كانت بين العراق و الحكومات الاستعمارية، فالرصافي في بداية الثلاثينيات أصبح نائبا في المجلس النيابي العراقي حيث كان نوري السعيد رئيسا للوزارة وقد اعترض الرصافي على توقيع المعاهدات التي قدمتها بريطانيا بواسطة نوري السعيد، و كشفت في كلماته في المجلس النيابي مخاطر تلك الاتفاقيات متسائلا: آية معاهدة هذه تقوم بين الطرفين أحدهما قوي محتل و الآخر ضعيف[٣٠].

واما فيما يتعلق بموقفه من ثورة العشرين فقد القى الرصافي قصيدة للثوار ومع ذلك فأن هذه القصيدة لربما لم تكن متناغمة مع الثورة بقدر ما كانت تعني الإشارة إلى ما ترتب عليها، كما إننا لم نجد في دراسة علمية وأكاديمية رصينة عالجت موقف المثقفين العراقيين من ثورة العشرين إلى ما يشير من إن الرصافي قد قال كلمة أو شعرا إزاء الثورة ضد المحتل الأجنبي"، و هو موقف يدعو إلى الاستغراب إزاء شاعر تبنى لبلده مواقف وطنية عدة والأغرب من هذا أن له موقفاً صريحاً وقويا إزاء الحركة القومية في بلاد الشام وقد يكون السبب في موقف الرصافي هذا و الذي يعد مثلبة عليه مرتبط بشكل أو بآخر بإخراجه من الآستانة مع من تم إخراجهم من العرب والرعايا الآخرين خارج الحدود عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وإعلان الهدنة عام ١٩١٨ إذ توجه إلى بلاد الشام أملا ان يجد ترحيبا من الحكومة العربية برئاسة الملك فيصل الذي بدوره أهمله لهجائه أبيه، ويعد الرصافي أول من دعا إلى قيام النظام الجمهوري بديلا عن الحكم الملكي[٣١].

ابرز مؤلفاته:

١-الرؤيا: وهي رواية للأديب التركي نامق جمال ترجمها الرصافي الى العربية ونشرت في بغداد عام ١٩٠٩

٢- نفح الطيب في الخطابة والخطيب: وهي مجموعة محاضرات القاها الرصافي على طلبته عندما كان يعمل مدرسا في مدرسة الواعظين في الآستانة

٣- تمام التربية والتعليم: وهي رسالة شعرية نضم معظمها في الآستانة عندما ذهب اليها غاضبا من العراق عام ١٩١٢

٤-محاضرات الادب العربي: وهي مجموعة محاضرات القاها على مدرسي المدارس الرسمية عام ١٩٢١.

٥- ومؤلفات أخرى منها كتاب رسائل التعليقات، على باب سجن ابي العلا، عالم الذباب، دواوين الرصافي، وكذلك الشخصية المحمدية، ومؤلفات أخرى كثر[٣٢].

الخاتمة

عاش الرصافي ظروفا عصيبة وقلقة من تاريخ العراق السياسي والفكري وشهد بام عينه التحولات السياسية الكثيرة التي ارهقت المجتمع العراقي أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وكان دائما ما يميل الى الطبقات الفقيرة والمسحوقة في المجتمع ويقف بوجه الحكومات التي لم تعالج المشاكل الاجتماعية آنذاك، وفي هذا المجال اعطى الرصافي تصورا كاملا عن الشخصية العراقية

الرافضة للظلم والاستبداد من خلال القصائد التي ثبت بها نتاجه الفكري والسياسي.

اتجه الرصافي إلى طلب العلوم الدينية على يد واحد من علماء عصره الذي وجده فيه انشداداً إلى العلوم وتبتل في تقصيها، وزهد بما حوله من منع وانشغالات آلية، ساهم مساهمة فعالة في مجال حقوق المرأة من خلال تأييده ممن سبقوه في هذا المجال امثال قاسم امين والشاعر العراقي صدقي الزهاوي، اخذ آرائهم على محمل الجد وترجمها على حق من حقوق المجتمع وليس المرأة فحسب، عارض الرصافي في عهد العثمانيين السلطان و قام أمام استبداده و تعسفه ولكن هذا لا يعني أنه عارض الحكومة العثمانية كلها، لا بل اعتقد الرصافي بالإصلاح في إطار الدولة المركزية معارضاً الاستبداد الحميدي، وبعد اعلان الدستور ايده الرصافي ولكنه عاد وانتقد القائمين على تطبيقه لميلهم عن مسارات ذلك الدستور، القى الرصافي قصيدة للثوار خلال ثورة العشرين ومع ذلك فأن هذه القصيدة لربما لم تكن متناغمة مع الثورة بقدر ما كانت تعني الإشارة إلى ما ترتب عليها، كما إننا لم نجد في دراسة علمية وأكاديمية رصينة عالجت موقف المثقفين العراقيين من ثورة العشرين إلى ما يشير من إن الرصافي قد قال كلمة أو شعرا إزاء الثورة ضد المحتل الأجنبي"، و هو موقف يدعو إلى الاستغراب إزاء شاعر تبنى لبلده مواقف وطنية عدة.

الهوامش

(١) احمد ناجي نعمة ، عكاب يوسف الركابي، الشاعر معروف عبد الغني الرصافي والحياة السياسية في العراق ١٨٧٥-١٩٤٥، بحث منشور في مجلة آداب البصرة، العدد ٤٨/ ٢٠٠٩، ص١٣٨.

(٢) مازن قاسم مهلهل الشمسي، الجانب السياسي في شعر معروف عبد الغني الرصافي، بحث منشور في مجلة التراث العلمي العربي، العدد٤٧، ٢٠٢٠، ص٣٠٧

(٣) طارق زيدان خلف، معروف الرصافي ومواقفه الوطنية في العراق، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل/ العدد١١، ٢٠١٣، ص٦٦١.

(٤) المصدر نفسه ، ص٦٦٢.

(٥) احمد مطلوب، الرصافي آرائه اللغوية والنقدية ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص٣٥-٣٦.

(٦) احمد ناجي نعمة ، عكاب يوسف الركابي، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٧) احمد مطلوب، المصدر السابق، ص٣٧.

(٨) مازن قاسم مهلهل الشمسي، المصدر السابق، ص٣٠٩

(٩) طارق زيدان خلف، المصدر السابق، ص٦٦٣.

(١٠) عبد الحميد الرشودي ، الرصافي حياته اثاره شعره ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٨

(١١) سهام حسن خضر، النقد الثقافي في شعر معروف الرصافي، بحث منشور في مجلة كلية الامام الأعظم، العدد ٣٧، ص٤٩١-٤٩٢.

(١٢) مازن قاسم مهلهل الشمسي، المصدر السابق، ص٣٠٩

(١٣) احمد ناجي نعمة ، عكاب يوسف الركابي، المصدر السابق، ص١٤٢.

(١٤) إن الرصافي يدعي في صفحات من هذا الكتاب إن النبي محمد ﷺ هو الذي فكر وخطط وهو الذي اختار أن يكون كلامه كذلك، أي لا شعراً يروى، وينشد بل يجعله قرآنا يقرأ ويحفظ")، ولكن ما يدعيه الرصافي غير موافق لعقيدة المسلمين؛ لأنه ينفي إرادة الله ووحيه بواسطة جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ. إن أدلة ثبوت القرآن بأنه من الله تعالى كثيرة منها: «إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ (الحجر:٩)، وقوله تعالى: «وهذا كتب أنزلته مبارك (الأنعام:٩٢)، وقوله تعالى: «قل نزله، روح القدس من ربك) (النحل:١٠٢)، وقوله تعالى: «تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) (غافر)، فهذه الآيات فيها أخبار عن نزول القرآن من الله. يراجع

للمزيد: ندى عايد سعد، آراء معروف الرصافي الدينية حول القرآن الكريم في كتابه» الشخصية المحمدية »دراسة فكرية نقدية، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية، المجلد١٢، العدد٤٨، ٢٠٢١، ص٧٧٧.

(١٥) سهام حسن خضر، المصدر السابق ، ص٤٨٣.

(١٦) عكاب يوسف الركابي واحمد ناجي الغريري ،بين الايمان والالحاد رحلة لم تنتهي دراسة نقدية وتحليلية في كتاب الشخصية المحمدية للشاعر معروف الرصافي، ٢٠١٢، ص٣٠-٣٥.

(١٧) إسماعيل نادري، معروف الرصافي محلل اجتماعيا للفقر والحرمان، مجلة التراث الادبي، أصفهان، ص١١٦.

(١٨) المصدر نفسه ، ص١١٩.

(١٩) ديوان الرصافي ، شرح وتعليق مصطفى علي ، بغداد ، ١٩٧٤، ص ٤٤

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) ديوان الرصافي ، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢٢) حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، بيروت ، ١٩٨٦، ص ٢١٠.

(٢٣) ديوان الرصافي ، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢٤) ديوان الرصافي ، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢٥) هادي فريد التكريتي ، معروف الرصافي نصير المرأة ، مقال منشور على شبكة الانترنت، في يوم المرأة العالمي، ٣/ ٨/ ٢٠٠٨.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) طه الراوي ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، ط١، دمشق ، ١٩٨٧، ص ١٣٤.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) احمد ناجي نعمة ، عكاب يوسف الركابي، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٣٠) منصوره زركوب، محمود رضا توكلي محمدي، الالتزام السياسي في شعر معروف الرصافي، بحث منشور في مجلة اللغة العربية وادابها، المجلد الأول/ العدد الثالث، ٢٠٠٦.

(٣١) احمد ناجي نعمة ، عكاب يوسف الركابي، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٣٢) احمد ناجي الغريري ، عكاب يوسف الركابي، المصدر السابق، ص١٧.

دور العراقيون في الإدارة الصفوية لبلادهم ١٥٠٨ – ١٥٢٣م

The role of Iraqis in the Safavid administration of their country 1508 – 1523

م.م. نجاة خير الله كاظم
جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد/قسم التاريخ

Abstract .

The importance of this research, entitled (The Role of the Iraqis in the Safavid Administration 1508-1523 AD) - that is, the period of the rule of Shah Ismail I - comes as an attempt to clarify the problematic position of Iraqi men and their role in the Safavid administration that was formed by the Safavid occupation - the first - led by their first kings of the Iraqi cities in the dark period of its history, as This study shows the status of the personalities who participated in the administration of Iraq under the Safavid control since (1508-1524 AD), as well as the relations of the Iraqi local forces with this new occupation and its administration of Iraq. Previously, an arena of political and military conflict and settling scores between foreign powers - with expansionist and colonial tendencies -, and the Safavid administration's restriction to the participation of some sectarian groups - from the Iraqis - in it led to raising some sectarian issues in the future, so the danger of that was reflected on those sectarian groups, which is what It will be explained in the body of this brief research.

الملخص:

تأتي أهمية هذا البحث الموسوم بعنوان (دور العراقيون في الادارة الصفوية ١٥٠٨-١٥٢٣م) أي فترة حكم الشاه اسماعيل الاول ـ كمحاولة لتوضيح اشكالية موقف الرجال العراقيون ودورهم في الادارة الصفوية التي شكلها الاحتلال الصفوي ـ الاول ـ بقيادة اول ملوكهم للمدن العراقية في الفترة المظلمة من تاريخه، كما تبين هذا الدراسة مكانة الشخصيات التي اشتركت في أدارة العراق في ظل السيطرة الصفوية منذ (١٥٠٨ ـ ١٥٢٤ م)، فضلاً عن علاقات القوى المحلية العراقية بهذا الاحتلال الجديد وأدارته للعراق، لذلك أوضح هذا البحث السبب الذي دفع ببعض العراقيين للاشتراك في الادارة الصفوية لبلدهم الذي اصبح فيما سبق ساحة صراع سياسي وعسكري وتصفية الحسابات بين القوى الاجنبية ـ ذات الميول التوسعية والاستعمارية ـ، وقد أدى اقتصار الادارة الصفوية على أشتراك بعض الفئات المذهبية ـ من العراقيين ـ فيها الى أثارة بعض القضايا الطائفية في المستقبل فأنعكس خطر ذلك على تلك الفئات المذهبية، وهو ما سيتم توضيحه في متن هذا البحث الموجز.

كلمات مفتاحية: **(الآق قوينلو، الدولة الصفوية، اسماعيل الصفوي، الإدارة، العراقيون)**

المقدمة:

وقد قُسم البحث الى مقدمة ومحاور رئيسة وخاتمة، تناول المحور الأول أوضاع العراق السياسية قبيل الاحتلال الصفوي، أي فترة حكم القبائل الرعوية التركمانية (دولة الاق قوينلو) التي سيطرة على العراق بعد ان اسقطت نظيرتها (حكومة القرة قوينلو) السابقة سنة ١٤٧٠م وكيف أن هذه الدولة ذات الطابع القبلي لم تختلف عن الدولة السابقة، وبدأت صراعاتها السياسية تظهر بعد موت زعمائها الاقوياء، وتنخر بكيانها المتفكك فاستغل ذلك المتربصون بها وخاصة الصفويين الذين أسقطوها بعد ان قويت

شوكتهم وارتفع نجمهم، سنة ١٥٠٨.

وتطرق المبحث الثاني الى التعريف الحركة الصفوية منذ أن كانت حركة دينية لها مريديها وشيوخها، الى أن اصبحت حركة سياسية ذات صبغة تنظيمية عسكرية، فضلاً عن أعتناقها المذهب الامامي الاثني عشري، حيث تمكن الصفويين بعد ذلك من أعلان دولتهم برئاسة الشاه اسماعيل الاول سنة ١٥٠١، لاسيما بعد اسقط دولة الخروف الابيض في ايران ؛ كما سطر هذا المبحث الاسباب (المذهبية، السياسية، الاقتصادية) التي دفعت بالصفويين لاحتلال العراق سنة ١٥٠٨ .

وبحث المحور الثالث دور العراقيون في الادارة الصفوية بعد ان نظمها الشاه اسماعيل في بعض مناطق العراق لا سيما المدن المقدسة مثل بغداد و النجف الاشرف وكربلاء وغيرها من المدن العراقية الاخرى، كما اوضح هذا المبحث المناصب التي ولاها الشاه الصفوي للبعض العراقيين في مدنهم، واخيراً علاقة القوى المحلية العراقية بأدارة الاحتلال الصفوي، خاصة وان الشاه اسماعيل ترك ادارة بعض المناطق الجنوبية من العراق للقوى المحلية الحاكمة هناك .

اما اهم المصادر التي اعتمد عليها هذا البحث فمنها : فمنها الكتب التي اختصت بتاريخ العراق منها (تاريخ العراق في القرن الخامس عشر لمؤلفه نوري عبدالحميد العاني) و كتاب(العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية لعبدالامير الرفيعي) وايضا كتاب(التركمان والوطن العربي العراقي لأرشد الهرمزي) وتاريخ عباس العزاوي الموسوم بـ(العراق بين الاحتلالين)، وهناك الكتب التي اختصت بالتاريخ الصفوي كـ(نشوء وسقوط الدولة الصفوية لكمال السيد) وكذلك (تاريخ الدولة الصفوية في أيران لمحمد سهيل طقوش) ولا ننسى الكتب المعربة منها (اربعة قرون من تاريخ العراق لبريطاني سيتفن لونكريك)، وايضا كتب التاريخ المحلي كـ(ماضي النجف وحاضرها لجعفر باقر ال محبوبة) و (تاريخ الكاظمية لمحمد امين الاسدي) وغيرها من المراجع التي أفاد منها البحث.

العراق قبيل الاحتلال الصفوي :

كان العراق قبل دخول الغزو الصفوي اليه سنة ١٥٠٨م، تحت حكم اسرة اجنبية تركمانية وهي : الاق قوينلو او (الحكومة البايندرية) التي تنسب الى بايندر احد احفاد اوغوز الذي تنسب اليه قبائل الترك الرعوية، وهذه القبيلة التركمانية نزحت من اسيا الوسطى[١]، وكان نزوح الاق قوينلو هذه القبيلة بالتحديد من تركستان في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي بسبب صراعهم مع المغول، فأنتقلوا الى اذربيجان ثم توجهوا الى جهات الاناضول في عهد السلطان الايلخاني ارغون (١٢٩١.١٢٨٤م)، واتخذوا من ديار بكر العليا (ارمينيا) مقراً لهم[٢]، ومؤسس هذه الاسرة التركمانية هو الشيخ حسن الطويل او يلقب بـ(اوزون حسن)، اما سبب تسميتها بـ(الاق قوينلو) هي تسمية تركية وتعني (بيض الغنم)، لانه يقال ان اغنام تلك القبيلة كان يغلب عليها اللون الابيض، ويقال ايضا ان راية تلك القبائل كان يرسم عليها صورة خروف ابيض[٣] . وقد انضوت تحت لوائهم جماعات اخرى من العشائر الغز وغيرها مثل : (بيات وحاجيلو وموصلو ودبالو وكوريلو وبايراملو)وقد كونوا حلفاً عشائرياً مستقلاً تحت زعامة القائد تور (طور علي بك[٤]، اما احتلال الاق قوينلو للعراق، فبدأ بعد ان قتل (جهان شاه) اخر زعماء دولة القرة قوينلو[٥]، وسار حسن الطويل الى بغداد، وكان يحكم فيها بير محمد الطوشي فحاصرها الطويل غير انه رفع

الحصار عنها وتوجه نحو تبريز لمحاربة حسن ميرزا ابن جهان شاه الذي تولى امر حكومة القرة قوينلو . وبعدها تمكن رجال حسن الطويل من أنزال هزيمة منكرة بجيش حسن ميرزا، الذي هرب من ساحة المعركة ثم لقي حتفه بعد ذلك ويقال بأنه انتحر[٦]، وبعد ان استولى حسن الطويل على اذربيجان وايران ووزع حكم الاقاليم على ابنائه وتمكن قائده خليل آغا من السيطرة على مدن العراق الشمالية، وبدأت قواته التي يقودها خليل آغا ويصحبها مقصود بن حسن الطويل، الزحف نحو بغداد التي كا يحكمها (شاه منصور بن زينل القرة قوينلوي) وكان سيء السيرة فأستسلم لهم بدون مقاومة ودخلوها في الرابع عشر من جماد الاخرة سنة ١٤٧٠م . وعندما تلقى حسن الطويل هذا الخبر وكان في شيراز اصدر قرار بأقطاع العراق لولده (مقصود) وان يرافقه من اتابكه خليل اغا التواجي الملقب (كور خليل) وقورخمس بن محمد بك لمساعدته في الادارة، وبهذا اصبح العراق حكم تركماني اخر وهو الاق قوينلو (دولة الخروف الابيض)، وهي ايضاً تعتبر فترة حكمها للعراق فترة مظلمة من تاريخ العراق الحديث[٧] .

ويعتبر الاستيطان الفعلي لتركمان في البلد العراقي يبدأ في هذه الفترة وخاصة بعد سيطرة الدولتين التركمانيتين (القرة قوينلو ١٤١٠-١٤٧٠م) و (الأق قوينلو ١٤٧٠-١٥٠٨م) بصورة او شكل متتالي، وكذلك دخول الكثيرمنهم مع الحملات العثمانية المتعاقبة على العراق، واصبح العراق للقبائل التركمانية وطناً دائماً لهم وأصيلاً[٨] .

ولم تتغير ظروف العراق عد انتقاله من حقبة حكم القرة قوينلو (الخروف الاسود) الى حقبة الاق قوينلو (الخروف الابيض) الا قليلاً، حيث بدأت بعد وفاة حسن اوزون سنة ١٤٧٧م المنازعات التي كانت تغذيها الاطماع ولا يمكن السيطرة عليها بسبب كثرة عدد اولاد حسن الراحل الذين بدأت صراعاتهم ومنازعاتهم تمزق ولايات الاق قوينلو، كما جرى مع القرة قوينلو - سابقاً -، فقد كان حاكم العراق وقواته في شغل مستمر بخصومات مع ابناء اوزون وتطاحنهم في سبيل العرش . فكان الامير يذب تلو الامير كما كانت المكايد مع العنف تمزق بالإمبراطورية المفككة الثائرة[٩].

وكان قد تولى بعد وفاة حسن الطويل ولده (خليل) كسلطان لأق قوينلو (١٤٧٧-١٤٧٨م) الذي دام حكمه سوى ثمانية شهور بعد ان قتل اخيه (مقصود) وعدد من رجال الدولة، ولكن السلطان خليل بعد ان قتل ايضا تولى زعامة الاق قوينلو اخوه الاخر السلطان (يعقوب) الذي سار على نهج والدهُ (حسن اوزون) وفق الشريعة الاسلامية، لكنه ايضا دخل في صراع مع الصفويين[١٠] الذين قبض عليهم السلطان يعقوب وسجنهم مع امهم بقلعة في اصطخر، الى ان توفي يعقوب بن اوزون سنة ١٤٩٠م مسموماً[١١] .

توفي السلطان يعقوب وتولى بعده عدة امراء الزعامة السياسية ومنهم (بايسنقر بن يعقوب) ولكن لصغر سنه عَزل وتولى بعده (رسم بيك بن مقصود بن اوزون) الذي استولى على تبريز، لكن فاجئه مجيئ احد احفاد حسن اوزون ويدعى السلطان (احمد) وكان هارباً الى الدولة العثمانية، الذي استسلم له الامراء التركمان وسلموه السلطان رستم وقتله سنة١٤٩٥م، لكن حكم السلطان احمد لم يدم سوى ستة اشهر[١٢]، بعد ذلك انقلب الامراء التركمان على السلطان احمد وأردوه قتيلاً في سنة١٤٩٦م، فتجزأت البلاد بعد مقتله وكثر المدعون بالسلطة وتولى الجيش تنصيب ابناء الاسرة على الاقاليم ومنهم : مراد بن يعقوب في شيروان، والوند بن يوسف حسن اوزون في اذربيجان، واخوه محمدي في يزد[١٣]، فأنتشرت

بينهم المكائد والمؤامرات والحروب وتمكن احدهم وهو (محمدي) من الحاق الهزيمة بالوند ودخل تبريز لكنه اصطدم بمراد سنة ١٤٩٩م ليلاقي مصيره في المعركة . وبعد ان استقل مراد بالحكم عقد اتفاقا مع الوند انقسمت الدولة بموجبه الى قسمين وكل قسم حكمه طائفة من الاقطاعيين فصار بلاد فارس والعراق لمراد، واذربيجان وديار بكر للوند[١٤]، وتسببت هذه المنازعات في تصفية ابناء الاسرة وكبار قواد الجيش واستغل الصفويين هذه الفوضى لصالحهم فحمل اسماعيل بن حيدر الصفوي على الوند سنة ١٥٠١ وهزمه الى بغداد فتوجه الى ديار بكر واستولى اسماعيل على فارس واذربيجان ودخل تبريز ظافراً، واعلن نفسه شاهاً . وفي السنة التالية الحق الهزيمة بمراد الذي فر الى بغداد ايضا ثم هرب الى امارة (ذي القدر) ثم الى بلاد العثمانيين، وفشلت جهوده للحصول على دعمهم وتسخير الامكانات والجهود ضد الصفويين . وفي سنة ١٥٠٨ دخل الشاه اسماعيل الصفوي الى بغداد ـ بعد احداث نفصلها في المبحث الثالث ـ بعد ان هرب حاكمها (باريك بك) الاق قوينلي، وبذلك أنهى الصفويين حكم اسرة الاق قوينلو وخضع العراق هذه المرة الى حكم ايراني هي الدولة الصفوية واستمر حتى سنة ١٥٣٤، حين دخل العثمانيين اول مرة الى بغداد ايام السلطان (سليمان القانوني) واستمر حكمهم الى سنة ١٦٢٣[١٥] .

نشأة الحكم الصفوي وطبيعته :

ظهرت في مطلع القرن الخامس عشر دعوة دينية صوفية في منطقة أذربيجان الايرانية بزعامة الشيخ صفي الدين إسحاق الاردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤م)[١٦]، عالم الطب والفلسفة والشريعة والمنطق، من هذا الاسم (صفي الدين) أخذت السلالة اسمها السلالة الصفوية، وانتشرت هذه حركته في صفوف الملايين من الاتراك القاطنين في المناطق الشمالية الغربية من ايران، وفي المناطق الشرقية من دولة (الخروف الاسود) القرة قوينلو التركمانية . وكان من الطبيعي من بين الذين أعتنقوا دعوته وتأثروا بشخصية الفاتح الكبير تيمور لنك (الاعرج) وعدداً أخر من قواده المعروفين، واتخذ الشيخ مدينة أردبيل منطلقا لدعوته . ونشأت بينه وبين حسن الطويل، مؤسس دولة (الخروف الابيض) الاق قوينلو علاقة وثيقة عززت شهرته ومكانته، وصار يلقب بـ(شيخ المشايخ)[١٧] .

وبعد وفاة (صفي الدين) انتقلت الزعامة الى الشيخ جنيد ومنه الى الشيخ حيدر، وصار يطلق على أنصاره ومريديه وفي أرجاء الاناضول المجاورة أسم (القزلباش) نظراً لأرتدائهم العمائم الحمراء ،وتربط هذه العمامة بإثني عشرة لفة تلميحا للأئمة الإثنى عشر المعصومين عليهم السلام . كما تزوج الشيخ حسن كريمة حسن اوزون التركماني التي انجبت اسماعيل(الشاه)، وبانتقال الزعامة الدينية الى نجله اسماعيل (١٤٨٥-١٥٢٣) الذي وثق صلته بحاكم منطقة كيلان، انتشرت دعوته انتشارا واسعاً في ايران والاناضول، وقويت شوكته منذ ان شرع ينتقل بين القرى والارياف واعظا ومرشدا مستغلا انشغال دولة الاق قوينلو بصراعاتهم وتفككهم الى جبهات متناحرة . وفي سنة ١٥٠١ دخل مدينة شيروان على رأس قوة قدرت بآلف مقاتل، وقضى على دولة الخروف الابيض واستولى على مدينة تبريز كبرى مدن اذربيجان وعاصمة الاق قوينلو، واعلن نفسه شاهاً (ملكاً) ووضع على رأسه تاج الملوك، وشرع في تأسيس الدولة الصفوية الاسلامية طبقاً للمذهب الشيعي الامامي الاثني عشري، واقام علاقات جوار حسنة مع سائر الامراء التركمان وكسب صداقتهم وتأييدهم وادت الى أتساع رقعة دولته وشهرته في معظم

مناطق الاناضول الشرقية[١٨] .

أثار انتشار الدعوة الصفوية في بلاد الاناضول على يد النقباء والدعاة مخاوف الدولة العثمانية الناشئة، ولا سيما بعد استيلاء الشاه اسماعيل على مدينتي ديار بكر وخربوط، وما وراءها من امارت تركمانية في اعقاب تمر شاه قلي على امارة علاء الدين السلجوقية، وهذا التمر الذي انتهى بمصرعه وفرار أتباعه الى الاراضي الايرانية والتحاقهم بقوات الشاه الصفوي، وكان لتوغل الصفويين في بلاد الاناضول آثار بعيدة على العلاقات بين الدولتين الفتيتين العثمانية والايرانية . وبظهور ملوك عظام وسلاطين أشداء في كل من ايران والاناضول اشتد الصراع في المناطق الحدودية الشرقية والجنوبية، وسقط العراق اكثر من مرة فريسة بيد هؤلاء الجبابرة المتنافسين على موقعه وثرواته، وشرعوا يوسعون رقعة نفوذهم فالصفويون يتطلعون لأحتلال العراق موطن التشيع، حيث (**العتبات المقدسة**) في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، والى توطيد دعائم الاسلام الشيعي الاثني عشري في ايران والعراق وما جاورهما من أقطار . أما العثمانيون فقد كانوا يتطلعون الى بناء أمبراطورية عثمانية، والى زعامة دينية متميزة ـ كما فعل قبلهم السلاجقة الاتراك ـ في التصدي للزحف الصفوي القادم من الشرق[١٩] .

دوافع الاحتلال الصفوي للعراق سنة (١٥٠٨م) :

أن تطلع الشاه اسماعيل الصفوي لاجتياح العراق وضمه الى دولته، كانت له دوافع عدة، منها:

الدافع المذهبي : كانت حركة الشاه تعتمد على المذهب الشيعي الأثني عشر، وعدت بلاد فارس نفسها المدافع الاول عن هذا المذهب ومسؤولة عن انتشاره، ومن ثم كانت سيطرته على كربلاء والنجف وهي من الاماكن المقدسة لدى الشيعة تعطي حركته دافعا قوياً وتحقق مذهبياً[٢٠]، ويضيف البعض، ان الشيعة في العراق كانوا ينظرون الى الشاه الصفوي على انه الحامي لهم، يلجأون اليه كلما نزل بهم ضرار او اعوزهم الاموال . وكانت حكومة فارس تهتم بالقيام بأصلاحات معمارية في العتبات المقدسة، مما جعل شيعة العراق يعتقدون ان ايران تقف ورائهم اذا تدهورت العلاقات بينهم وبين المسلمين السنة في لذلك كان من الطبيعي ان يتطلعوا الى اليوم الذي تحكم فيه ايران العراق!؟[٢١] .

الدافع السياسي : ان التدخل الثنائي بين الدولتين الصفوية والعثمانية ادى الى دوراً خطيراً في دفع الشاه اسماعيل الاول الى مهاجمة العراق وضمه الى املاكه، فقد كان يسكن في جنوب الاناضول وديار بكر قبائل تركمانية استقطبها شيوخ الصفوية قبله، وكان زعماء هذه القبائل مع بداية القرن السادس عشر الميلادي على استعداد لتنفيذ رغباتهم المبينة لحركتهم، ولما أعتلى الشاه العرش الايراني في تبريز كان عدد اتباعه قد تنامى واخذ يشكل خطراً سياسياً واضحاً على كيان الدولة العثمانية في جنوبي الاناضول، وخاصة بعد ان تمكنوا من الاستيلاء على ولاية (تكة) وقتلوا حاكمها، كما تغلبوا على قرة كوز باشا حاكم قرمان الذي تصدى لهم ثم اجتازوا توقان واستولوا عليها وخطبوا فيها بأسمه، يضاف الى ذلك فأن سيطرته على العراق تكسبه مكانة رفيعة لدى المسلمين الشيعة، كما ان مسألة الحدود بين الدولة العثمانية والصفوية وعدم تحديدها واضعاً ودقيقاً، شكل سبباً سياسياً اخر سبب تعدد الازمات بينهما بفعل تحركات القبائل الكردية التي كانت معظم تحركاتها تجتاز الحدود وتثير المشكلات المعقدة، وكانت تصحب هذه التنقلات في معظم الاحيان اعتداءات على قوافل الحجاج الايرانيين وعلى القوافل التجارية،

مما شجع الصفويين على غزو العراق ان نصف سكانه كانوا شيعة، ومما ساعد العثمانيين على صد الصفويين عن العراق ان نصف سكانه كانوا من اهل السنة[٢٢] .

الدافع الاقتصادي : لم يكن العراق من وجهة نظر الجغرافيا الطبيعية، مجرد بلد يقع بين الدولتين العثمانية والصفوية، بل كان كان يمثل بعداً استراتيجياً و اقتصاديا للدولتين في آن واحد، ولقد بدأت علاقته بالدولة الصفوية منذ العهد المبكر لقيامها، حيث كانت خصوبة اراضيه احدى الدوافع المهمة لهذا الدولة، والتي يمكن من خلالها ان تسند بعضاً من حاجات الايرانيين الغذائية، أما الدافع الاهم للقوى الصفوية فهو السيطرة على الطريق التجاري المار بديار بكر والموصل، والذي يقطع عمق وادي الرافدين الى الخليج العربي عبر بغداد . ومن جهة اخرى تمثل الموصل احدى اهم محطات الطريق الدولي، وبوابته الطبيعية في شمالي العراق التي تسمح بالنفاذ الى الاناضول او بلاد الشام[٢٣] ؛ كل هذا جعل الاستيلاء الصفوي على العراق سنة ١٥٠٨ ضرورة ملحة، خاصة بعد الحصار التجاري الذي فرضه العثمانيين في أواخر عهد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م) على حركة التجارة الايرانية، وهذا الحصار الذي حتم تحول التجارية الايرانية الى المحاور الجنوبية التي تصل الموصل بحلب وساحل المتوسط، كمخرج لا يقل أهمية وديناميكية عن محور ارض روم . بورصة . ومن هذا المنطلق يمكن ان نفهم اسباب السعي الحثيث للصفويين في السيطرة على المناطق الاستراتيجية الجنوبية للأناضول وصولاً الى بلاد الشام فالبحر المتوسط[٢٤] .

دور العراقيون في الادارة الصفوية :

كانت بغداد وضواحيها ـ قبل دخول الصفويين اليها تحت حكم أخر حكام الاق قوينلو (باريك) الذي كان مقر أدارته في بغداد[٢٥]، وارتعب باريك أنتصارات الشاه اسماعيل في المناطق المجاورة، فظل في حيرة من أمره، وفي محاولة منه للتمسك بأهداب الحكم في بغداد، قرر أسترضاء الشاه اسماعيل، فأرسل اليه احد أمرائه ومعه الهدايا والتحف لأظهار الطاعة والخضوع . لكن الشاه اسماعيل لم يأبه بتلك الهدايا وطلب من الرسول ان يتقدم اليه باريك بنفسه لتقديم مراسم الطاعة والاذعان، غير ان باريك احجم عن الذهاب، وبدلاً من ذلك شرع في اصلاح أسوار وقلاع بغداد استعداد لطوارئ . واخذ ايضا يكدس المؤن تحسبا لما يخيفه له المستقبل، ويقال انه بعث عسكره الى مختلف الانحاء، فأخذوا ينهبون ما يجدون لدى السكان من حبوب ومؤن . وهكذا جمع من الحنطة والشعير ما يكفي لأعاشة جيشه لمدة ثلاث سنوات[٢٦] .

ان اجراءات باريك تلك كانت مثلاً للظلم والتعسف والعدوان، فجرت موجة جديدة من الاحتجاجات بين العراقيين الذين تعرضوا للنهب والسلب، وكان على رؤوس المعارضة التي تحدت اجراءات الحاكم باريك، نقيب أشراف بغداد والنجف (السيد محمد كمونة) . ولذا امر باريك بالقبض على نقيب الاشراف وحمله الى بغداد وحبسهفي جب مظلم[٢٧] . وقد حدث ذلك في وقت كانت في الشاه اسماعيل يستعد للزحف على بغداد، لقضاء على اخر معاقل حكومة الاق قوينلو . وفي أواخر صيف سنة ١٥٠٨ امر الشاه المذكور احد كبار قادة القزلباش المدعو (لاله حسين بيك) بالزحف الى بغداد وتحرك الشاه هو متأخرا عنه[٢٨] .

استولى الرعب والهلع على الوالي بارك التركماني حينما وافته اخبار تحرك القزلباش نحو بغداد، ومع حلول الظلام عبر باريك نهر دجلة وهرب باتجاه حلب، وعند الصباح اجتمع سكان بغداد وزحفوا نحو السجن وحرروا منه نقيب الاشراف السيد محمد كمونة، وسلموا اليه مقاليد الامور . ويقال بأن نقيب الاشراف خرج نحيفاً من ظلمة الجب الذي كان فيه محبوساً، وهكذا استلم مقاليد الامور في بغداد زعيم من عرب العراق بعد قرابة قرنين ونصف من حكم المغول وحكومات قبائل التركمانية الرعوية . ولم تكن تمضي بعضة ايام على حكومة السيد محمد كمونة حتى باتت طلائع فرق القزلباش على مقربة من بساتين المدينة، وفي اليوم التالي اعتلى السيد محمد كمونة المنبر ودعا في خطبة صلاة الجمعة للشاه اسماعيل، وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة، خرج سكان بغداد وعلى رأسهم نقيب الاشراف كمونة لملاقات قائد الجيش القزلباش (لاله حسين بك) . وكما أشارت المصادر بأن قائد القزلباش استقبل السيد كمونة بكل اجلال واحترام، وصاحبه لملاقات الشاه اسماعيل الذي استقبله استقبالاً مماثلاً وسار الجميع نحو بغداد ودخلوها بدون مقاومة تذكر[٢٩] .

وبعد دخول الشاه الى بغداد خطب له على المنابر، كما سكت النقود بأسمه دلالة على ضمها الى ممتلكاته وذلك سنة ١٥٠٨ كما اخذ الشاه يصبغ العراق بالصبغة الشيعية، فعمر مزارات الائمة المعصومين في كربلاء المقدسة وصنع صندوق مذهب (شباك الضريح) لحضرات الشيعية هناك، كما عكف هناك ليلة عند الامام الحسين (عليه السلام) ثم توجه بعد ذلك للحلة ثم الى النجف الاشرف لزيارة امير المؤمنين علي (عليه السلام) وقدم الهدايا والنذور الفاخرة لسكان المدينة، ثم ولى الشاه اسماعيل حكومة النجف وأدارة بعض ولايات عراق العرب الى نقيب الاشراف السيد محمد كمونة، الذي يصبح بذلك اول عراقي يعمل ضمن الادارة الصفوية في العراق . وهكذا قامت في النجف حكومة تدير شؤون عرب العراق، وكان السيد كمونة مطاعاً في العراق وخاصة هو من أسرة علوية وله جاه وأحترام ونفوذ تام[٣٠] . كما قام الشاه بتعمير احد الانهر المتفرعة من الفرات الى النجف بعد أندراسه واصبح يعرف بـ(نهر الشاه)[٣١]، وبعد عودة الشاه الى بغداد لم يترك زيارة مرقد الامامين الكاظم وحفيده الجواد (صلوات الله وسلامه عليهما) وهنا ايضا قدم الهدايا الجزيلة لقائمين على خدمة الضريح، كما عين الشاه اسماعيل في الكاظمية ايضا احد العراقيين يدعى السيد (عطيفة) وهو من ذرية شريف مكة حميضة بن ابي نمرا، نقيباً وسادناً للروضة الكاظمية وأميراً للحج العراقي، واقطعه بعض الاراضي المعروفة في بغداد بأسم العطفية . ثم توجه الشاه بعد ذلك الى سامراء لإتمام زيارته لبقية مراقد الائمة المعصومين هناك، لكن ولا نعرف هل ان الشاه الصفوي عين احدا هناك ام ابقى على نفس الادارة السابقة[٣٢] .

وقبل ان يترك الشاه اسماعيل بغداد عين امير الديوان ويدعى ابا منصور طالش ولقبه بـ(خليفة الخلفاء) وهو من زعماء التركمان البارزين والموالين للشاه الصفوي، وأوكل اليه الادارة الصفوية الجديدة في بغداد، وأوصاه بتسير الامور والعناية بالمراقد المقدسة والعمل مع نقيب الاشراق السيد محمد كمونة الذي ولاه الشاه اسماعيل حكومة النجف وفوض اليه شؤون العرب في العراق وخاصة في المنطقة الوسطى بينما أطلق الشاه أدارة شؤون غرب العراق في الجنوب لحكومة (المنتفق) التي كانت تتخذ من البصرة مقراً لها . ولقد اضافة تلك السياسة الصفوية مناخاً لم يشهد العراق مثله منذ فترة طويلة، وكان من

أهم مظاهرها استتاب الامن وانتعاش التجارة وتحسن الأوضاع الاقتصادية في مناطق عرب العراق[٣٣]، وبهذا الصدد كتب المؤرخ البريطاني لونكريك عن العراق في عهد الشاه اسماعيل قائلاً : " **وفي السنوات المنحصرة بين زيارة الشاه اسماعيل ووفاته في سنة ١٥٢٤م[**والأصح سنة ١٥٢٣**]مر على العراق نصف جيل من السلم والهدوء، وكانت تأثيرات العتبات المقدسة القوية تؤيد الحكم الجديد فتقاطر التجار الايرانيون على بغداد، وجذب نفوذ الصفويين حتى العشائر النهرية المتمردة** "[٣٤]، لذلك كانت الادارة الصفوية في بغداد تولي مقام الشريف محمد كمونة التقدير والاحترام وتتجاوب مع جهوده وسياسته في ادارة شؤون مناطق عراق العرب، وبيد ان ذلك الوضع لم يتغير كثيرا بعد مقتل والي بغداد (ابي منصور خادم بك) ومعه نقيب الاشراف السيد محمد كمونة في معركة (جالديران)[٣٥] . فبعد تلك المعركة عين الشاه اسماعيل لأدارة بغداد (أبراهيم خان تكلو) وهو احد زعماء قبيلة تكلو التركمانية الكبرى التي ساندة حكومة الشاه الفتية بدايتاً . أما نقابة الاشراف في النجف الاشرف فقد ألت الى السيد حسين بن السيد محمد كمونة[٣٦] .

ثانياً .القوى المحلية العراقية وعلاقتها بالدولة الصفوية :

استولى الشاه اسماعيل على بغداد سنة ١٥٠٨، ولم يكن قد مضى سوى ثمانية اعوام على قيام الدولة الصفوية التي كانت لا تزال في دور التكوين وتفتقر الى المؤسسات الادارية . لذلك أتبع الشاه منذ البداية سياسة أدارية لا مركزية تعتمد على القوى المحلية في كل أقليم تابع لصفويين . بالنسبة للعراق، فقد ترك الشاه أسماعيل كما رأينا حكومة النجف وأدارة شؤون عرب العراق في المناطق الوسطى الى نقيب الاشراف السيد محمد كمونة[٣٧]، والذي قال عنه صاحب ماضي النجف وحاضرها : "**هو من السادة الاشراف حاز سمعة وصيتاً وكانت له حكومة البلد مع حكومة اكثر البلدان العراقية أيام الصفويين، وكان مطاعا في العراق وله جاه واحترام ونفوذ تام** ..."[٣٨] . اما فيما يخص ادارة شؤون عرب العراق في الجنوب فقد فقد تركها الشاه الى حكومة المنتفق التي كانت تتخذ من البصرة مقراً لها وعلى وضعها السابق[٣٩] .

وتعتبر حكومة المنتفق اول حكومة عربية في العراق منذ سقوط الدولة العباسية بيد هولاكو سنة ١٢٥٨م . لذلك اقام رؤساء المنتفق بعد استيلاء عشائر الجنوب على البصرة فيها حكومة عربية أستمرت في أدارة شؤون جنوب العراق طيلة عهدي حكومات التركمان (القرة قوينلو، الاق قوينلو) وحتى حينما انهارت حكومة الاخير التركمانية سنة ١٥٠٨ في بغداد وتسلم مقاليد الامور فيها نقيب الاشراف السيد محمد كمونة، كانت البصرة بيد حكومة المنتفق ورئيسها (راشد بن مغامس) الذي كان اميراً مستقلاً صاحب خطبة وسكة، اي يخطب له على المنابر وتسك النقود بأسمه في المناطق التي كان يحكم فيها[٤٠]، واستمر وجود حكومة راشد في الجنوب طيلة العهد الصفوي، لان الشاه اسماعيل ترك استقلال هذه الحكومة مقابل ان تدفع الاتاوة السنوية لشاه الايراني[٤١]، ولكن في العهد الصفوي الثاني للعراق الذي بدأ في عهد الشاه عباس الكبير رفضت حكومة المنتفق ان تعطي الرسوم والضرائب للصفويين بل رفضت حتى الخضوع لهم بالولاء بسبب الصراع العثماني ـ الصفوي في ذلك الوقت[٤٢]، كما نوهنا سابقاً ان الشاه اسماعيل قد نظم أدارة العراق وعين نواباً في بعض المناطق تدير شؤون مناطقها، لكنه بعد ذلك توجه

نحو الحويزة وهي محاولة منه لأحتلال الاراضي العربية في الاهواز ومحاربة دولة المشعشعين، ولما لم يكن من اليسير تحقيق ذلك، عمد الشاه أخذا بأسلوب الفارسي التقليدي وهي التظاهر بالود تجاه الامراء العرب، لان في تلك الايام جاءت الاخبار بوفاة زعيم المشعشعين (المولى محسن بن السيد محمد الموسوي) وجلوس ولده (المولى فياض)[٤٣] .

وقد استغل الشاه الاضطرابات السياسية التي سادت الامارة المشعشعية فشجعته على احتلال عربستان والعاصمة المشعشعية، لكن المشعشعين تصدوا بقيادة المولى (فلاح بن محسن) لملاقات الجيش الفارسي خارج عاصمتهم، ولكن اخويه المولى محسن (علي وأيوب) كانا يعتقدان ان الدفاع عن المدينة هو أسلم . اما فلاح فغادر الحويزة الى مدينة شوشتر ومن هناك بدأ حرباً ضد الفرس[٤٤] .

وقد سار الشاه اسماعيل ال جهات عربستان واحتل العاصمة (الحويزة) وقبض على (علي وايوب) وقتلهما مع سائر أعيان الاسرة المشعشعية، كما احتل شوشتر، لذلك ثار الشعب العربي هناك وتمكنوا من تحرير الشرشتر وأبادة محتليها، وانتشرت الثورات المسلحة في معظم المدن والاراضي المحتلة، فأضطر الشاه اسماعيل الى سحب قواته من قسم كبير من تلك المدن والنواحي متجهاً الى شيراز[٤٥].

اما السيد فلاح المشعشع فقد طلب من الشاه ان يعينه حاكماً على الحويزة بأعتباره حاكماً عربيا عراقياً، الذي أعلن عن تخلي المشعشعين عن عقائد الغلو والرجوع الى عقيدة الشيعة الاثني عشرية، وألتزام بأداء مبلغ سنوي للشاه اسماعيل الصفوي، وقد وافق الاخير على ذلك وتم تعينه[٤٦]، بيد ان خضوع الحاكم الجديد الشكلي ـ المشعشعي ـ الى الصفويين، قد أضعف من هيبة الدولة وخاصة لدى تلك القبائل العربية التي آبت ان تعترف بأي نوع من التسلط الفارسي عليها، وبأعتبار السلطان المشعشعي هو حاكم عراقي تابع لأدارة الصفوية في العراق وأيران[٤٧]، وقد حافظ المولى فلاح المشعشع على علاقاته الحسنة مع الدولة الصفوية طيلة مدة السبع سنوات التي حكمها فيها وعندما تولى أبنه (بدران بن فلاح) الحكم بعده سعى الى توثيق العلاقة مع الشاه الصفوي فشن حرباً ضد أعداء الدولة الصفوية، وبقي بدران على هذا المنوال الى ان توفي الشاه اسماعيل سنة ١٥٢٣[٤٨]

الاستنتاجات:

١. شكل العراق أهمية كبيرة في السياسة الصفوية لوجود عدد كبير من الشيعة فيه اولاً وادعاء الشاه الصفوي تزعمه للشيعة والدفاع عنهم ضد الاخطار والضغوطات التي تعرضوا لها لا سيما من الدولة العثمانية المنافسة له ثم لرغبة الشاه بالسيطرة على موارد العراق الاقتصادية واتخاذه ممراً لتوسيع ممتلكاته.
٢. ان سعي الشاه الى تأكيد ولائه للائمة الاطهار عليهم السلام وزيارة الامام علي عليه السلام بأستمرار ما هو الا محاولة لاسترضاء الشيعة وكسب ولائهم بعده المدافع عنهم ضد العثمانيين وكل من يحاول النيل منهم لاحقاً.
٣. أدى العراقيون دوراً كبيراً في الإدارة الصفوية بسبب الحرية التي منحت لهم ورغبة الشاه بتسليم الأمور الإدارية للسكان المحليين في محاولة منه لرأب الصدع بين الشعب والدولة الصفوية وهو ما يؤدي الى تحسين العلاقات بين الطرفين.

الهوامش

[١] . ارشد الهرمزي ، التركمان والوطن العربي العراقي ، ط٢ ، مؤسسة وقف كركوك ، كركوك ، ٢٠٠٣ ، ص١٣

[٢] . نوري عبدالحميد العاني ، العراق في القرن الخامس عشر الميلادي ، دار الرافدين ، بغداد ، ٢٠١٤ ، ص١٧٧ .

[٣] . عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، ج١ ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص٤١ .

[٤] . نوري عبدالحميد العاني ، المصدر السابق ، ص١٧٧ .

[٥] . القرة قوينلو : هي اسرة تركماني قبلية تشترك بنفس النسب مع (الاق قوينلو) وايضا كانت قد حكمت العراق قبل الاق قوينلو لفترة (١٤١١.١٤٧٠) بعد ان اسقط زعيمها (قرة محمد) حكم الجلائريين في ايران والعراق ودخل بغداد في جمادي الاولى سنة (١٤١١م) لمزيد ينظر : نوري عبدالحميد العاني ، المصدر السابق ، ص٣٧.١١ .

[٦] . عباس العزاوي ، العراق بين الاحتلالين ، ج٣ ، مطبعة بغداد الحديثة ، بغداد ، ١٩٣٦ ، ص١٩٩ .

[٧] . عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٨،٤٢ .

[٨] . ارشد الهرمزي ، المصدر السابق ، ص١٦ .

[٩] . سيتيفين هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٤ ، د.م.ط ، ١٩٦٨ ، ص٣٠ .

[١٠] . للمزيد عن تعريف الصفويين يراجع المبحث الثاني الذي خصص لتعرف على نشأتهم واحوالهم وطبيعة دوافعهم ، ص١٢.٨ .

[١١] . نوري عبدالحميد العاني ، المصدر السابق ، ص١٨٤.١٨٦.

[١٢] . كمال السيد ، نشوء وسقوط الدولة الصفوية ، مطبعة سرور ، قم المقدسة ، ٢٠٠٥ ، ص١٩٥ .

[١٣] . عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٣٦ .

[١٤] . سيتفن هيمسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص٣١ .

[١٥] . حسن كريم الجاف ، موسوعة تاريخ ايران السياسي من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية ، مج ٣ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص٢٠ ؛ نوري عبدالحميد العاني ، المصدر السابق ،ص١٨٧ .

[١٦] . صفي الدين : هو شيخ تركماني الاصل من الارومة ويقال انه من سلالة الامام موسى الكاظم (عليه السلام) وصفي الدين هو الجد الخامس للشاه اسماعيل اول ملوك الدولة الصفوية لكن صفي الدين هذا كان على المذهب الشافعي اي من اهل السنة والجماعة ويبقى المؤرخون والباحثون يشككون بعلوية نسب الجد الصفوي الى هذا اليوم ، وللمزيد ينظر : محمد سيهل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية في ايران ، دار النفائس ، بيروت ، ١٠٠٩ ، ص٣٥.٣٧ .

[١٧] . حسن مجيد الدجيلي ، أيران والعراق خلال خمسة قرون ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٣٧.٣٨ ؛ أبو الحسن علوي بن حسن عطرجي ، الصفويون و الدولة العثمانية ، راجعه وقدم له محمد بن حسن بن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٤هـ ، ص٣ .

[١٨] . كمال مصطفى الشيبي ، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص٢٥.٢٩ .

[١٩] . احمد معمور العسيري ، موجز التاريخ الاسلامي منذ عهد أدم الى عصرنا الحاضر ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الدمام ، ١٩٩٦ ، ص٤٠٥.٤٠٦ .

٢ . محمد سهيل طقوش ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

[٢١] . محمد عبداللطيف هريري ، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الاسلامي عن اوربا ، دار الصوة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص٤٤ .

[٢٢] . محمد سهيل طقوش ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

[٢٣] . عباس اسماعيل الصباغ ، تاريخ العلاقات العثمانية . الايرانية ، ط٢ ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص١٥١ .

[٢٤] . سيار الجميل تكوين العرب الحديث ، دار الشرق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٧ ، ص٨١.٨٢ .

[٢٥] . علي طريف الأعظمي ، تاريخ الدول الفارسية في العراق ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٣٤٦هـ ، ص١٠١ .

[٢٦] . عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٩٩ .

[٢٧] . عبدالاميرالرفيعي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٧ .

[٢٨] . علي ظريف الاعظمي ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

[٢٩] . عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣١٦ .

[٣٠] . علي الوردي ، لمحات أجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج١ ، مطبعة أمير ، قم المقدسة ، ١٤١٣هـ ، ص٣٠٨ .

[٣١] . كمال السيد ، المصدر السابق ، ص٤٣ .

[٣٢] . محمد امين الاسدي ، تاريخ الكاظمية ، ج١ ، راجعه وعلق عليه عبدالكريم الدباغ ، دار الوراق لنشر ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص٧٢.٧٣ .

[٣٣] . عبدالاميرالرفيعي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٠.٥١ ؛ وينظر : محمد امين الاسدي ، المصدر السابق ، ص٧٢.٧٣ .

[٣٤] . المصدر السابق ، ص٣٢ .

[٣٥] . معركة جالديران :هي معركة وقعت في 23 أغسطس 1514 في جالديران بين قوات الدولة العثمانية بقيادة السلطان سليم ياوز الأول ضد قوات الدولة الصفوية بقيادة إسماعيل الأول .انتهت بانتصار القوات العثمانية واحتلالها مدينة تبريز عاصمة الدولة الصفوية، وأدت إلى وقف التوسع الصفوي لمدة قرن من الزمان وجعلت العثمانيين سادة الموقف، وترتب على المعركة بالإضافة إلى الاستيلاء على تبريز عاصمة الدولة الصفوية، ثم توجهه صوب الشام حيث أكمل انتصاراته على المماليك حلفاء الصفويين بمعركة مرج دابق ، لمزيد ينظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح: احسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٧٤ .

[٣٦] . عبدالاميرالرفيعي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٢ .

[٣٧] . علي ظريف الاعظمي ، المصدر السابق ، ص١٠٢.١٠٣ .

[٣٨] . جعفر باقر ال محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها ، النجف الاشرف ، ١٩٥٨ ، ص٦٥ .

[٣٩] . عبدالاميرالرفيعي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥١ .

[٤٠] . سليمان فائق بيك ، عشائر المنتفق ، تقديم عبدالرزاق الحسني ، الدار العربية لمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص١٥.١٦ .

[٤١] . لونكريك ، المصدر السابق ، ص٣٢ .

[٤٢] . حميد حمد السعدون ، امارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية ١٥٤٦-١٩١٨ ، دار وائل للنشر والطباعة ، عمان ، ١٩٩٩ ، ص٥٤ .

[٤٣] . جاسم حسن شبر ، تاريخ المشعشعين وتراج أعلامهم ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٩٦٥ ، ص٨٥.

[٤٤] . محمد حسين الزبيدي امارة المشعشعين أقدم امارة عربية في عربستان ، مركز دراسات عيلام ، د.م ، د.ت ، ص٥٦ .

[٤٥] . علاء موسى كاظم نورس وعماد عبدالسلام رؤوف ، أمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية ، دار الرشيد لنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص٢٥ .

[٤٦] . جاسم حسن شبر ، المصدر السابق ، ص٩٢ ؛ عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٥ .

[٤٧] . علاء موسى كاظم نورس وعماد عبدالسلام رؤوف ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

[٤٨] . محمد حسين الزبيدي ، المصدر السابق ، ٥٦.٥٧ .

قائمة المصادر:

أولاً . الكتب:

١. أبو الحسن علوي بن حسن عطرجي، الصفويون و الدولة العثمانية، ترجمة محمد بن حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٤هـ .

٢. احمد معمور العسيري، موجز التاريخ الاسلامي منذ عهد أدم الى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، ١٩٩٦ .

٣. ارشد الهرمزي، التركمان والوطن العربي العراقي، ط٢، مؤسسة وقف كركوك، كركوك، ٢٠٠٣ .

٤. جاسم حسن شبر، تاريخ المشعشعين وتراج أعلامهم، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٩٦٥ .

٥. جعفر باقر ال محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، النجف الاشرف، ١٩٥٨ .

٦. حسن مجيد الدجيلي، أيران والعراق خلال خمسة قرون، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٩ .

٧. حميد حمد السعدون، امارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية ١٥٤٦.١٩١٨، دار وائل للنشر والطباعة، عمان، ١٩٩٩ .

٨. سليمان فائق بيك، عشائر المنتفق، تقديم عبدالرزاق الحسني، الدار العربية لمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣ .

٩. سيار الجميل تكوين العرب الحديث، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧ .

١٠. سيتيفين هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٤، د.م.ط، ١٩٦٨ .

١١. عباس اسماعيل الصباغ، تاريخ العلاقات العثمانية . الايرانية، ط٢، دار النفائس، بيروت، ٢٠١١ .

١٢. عباس العزاوي، العراق بين الاحتلالين، ج٣، مطبعة بغداد الحديثة، بغداد، ١٩٣٦ .

١٣. عبد الامير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، ج١، دار الكتب العربية، بيروت، ٢٠٠٧ .

١٤. علاء موسى كاظم نورس وعماد عبدالسلام رؤوف، أمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد لنشر، بغداد ، ١٩٨٢ .

١٥. علي الوردي، لمحات أجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، مطبعة أمير، قم المقدسة، ١٤١٣هـ .

١٦. علي طريف الأعظمي، تاريخ الدول الفارسية في العراق، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٤٦هـ .

١٧. كمال السيد، نشوء وسقوط الدولة الصفوية، مطبعة سرور، قم المقدسة، ٢٠٠٥ .

١٨. كمال مصطفى الشيبي، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧ .

١٩. محمد امين الاسدي، تاريخ الكاظمية، ج١، راجعه وعلق عليه عبدالكريم الدباغ، دار الوراق لنشر، بيروت، ٢٠١٢ .

٢٠. محمد حسين الزبيدي امارة المشعشعين أقدم امارة عربية في عربستان، مركز دراسات عيلام، د.م، د.ت .

٢١. محمد سيهل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٩ .

٢٢. محمد عبداللطيف هريري، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الاسلامي عن اوربا، دار الصوة، القاهرة، ١٩٨٧ .

٢٣. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١ .

٢٤. نوري عبدالحميد العاني، العراق في القرن الخامس عشر الميلادي، دار الرافدين، بغداد، ٢٠١٤ .

ثانياً . الموسوعات :

٢٥. حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ ايران السياسي من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية، مج ٣، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨ .

التسويق السياسي رؤية جديدة لتطوير الأداء السياسي في العراق

Political marketing a new vision for the development of political performance in Iraq

الباحث خالد عبيد جازع الاسدي

كلية المأمون الجامعة

Abstract .

This study seeks to answer a major question: What is the role of political marketing in contemporary Iraqi political life? Other research questions fall under this question, most notably: What do we mean by political marketing? What are the determinants of the Iraqi political reality directly related to political marketing? How do Iraqi political institutions employ political marketing? To restore social and political positioning and bridge the gap between the forces, state institutions and the various masses.

Accordingly, and in connection with the aim of the study, the study in our hands was divided into two main sections; The first of which deals with the conceptual framework of the study in order to identify the definition of the concept of political marketing and the most prominent main trends in this regard, in addition to identifying the concept of Iraqi political life and its most prominent inclusions and the challenges it faces, while the second topic deals with the most prominent data of the Iraqi political reality, especially after 2003, and then stands on the aspirations The Iraqi political reality in light of the existing political changes, and indicates the possibility of employing political marketing tools in addressing the gaps that occur in the relationship between parties, governmental political institutions and the diverse Iraqi public.

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن تساؤل رئيسي قوامه: ما دور التسويق السياسي في الحياة السياسية العراقية المعاصرة؟ ويندرج تحت هذا السؤال تساؤلات بحثية أخرى أبرزها: ماذا نقصد بالتسويق السياسي؟ وما محددات الواقع السياسي العراقي ذات الصلة المباشرة بالتسويق السياسي؟ وكيف توظف المؤسسات السياسية العراقية التسويق السياسي؟ لإعادة التموضع الاجتماعي والسياسي وردم الهوة الحاصلة بين القوى ومؤسسات الدولة والجماهير المختلفة، وعليه، وارتباطا بهدف الدراسة، فقد انقسمت الدراسة التي بين أيدينا إلى مبحثين أساسيين؛ حيث يتناول أولها الإطار المفاهيمي للدراسة وذلك للوقوف على التعريف بمفهوم التسويق السياسي وأبرز الاتجاهات الرئيسة بصدد ذلك إلى جانب التعرف على مفهوم الحياة السياسية العراقية وأبرز مشتملاتها والتحديات التي تواجهها، فيما يعالج المبحث الثاني أبرز معطيات الواقع السياسي العراقي لا سيما فيما بعد ٢٠٠٣ ثم الوقوف على تطلعات الواقع السياسي العراقي في ظل المتغيرات السياسية القائمة، وتأشير إمكانية توظيف أدوات التسويق السياسي في معالجة الفراغات الحاصلة في العلاقة بين الأحزاب والمؤسسات السياسية الحكومية والجمهور العراقي المتنوع.

كلمات مفتاحية: (التحليل السياسي، الواقع السياسي، التسويق السياسي، التكامل المنهجي، الانتخابات)

مقدمة:

إن التحليل السياسي الموضوعي لأية ظاهرة في الواقع السياسي المعاصر إنما ينطلق بالأساس من البحث في الاحتمالات الممكنة لمسارات التفاعلات بين القوى السياسية في المجتمع وتقديم تفسير

علمي واضح لنمط العلاقات بين هذه القوى السياسية، كما يعد التحليل السياسي في جوهره حكماً على الظواهر والأحداث السياسية محلياً وإقليمياً وعالمياً، ولذلك فهو يحتاج إلى فهم الواقع السياسي للبلد والكشف عن متغيراته المتشابكة وربما المعقدة وتفنيد بواعثها.[١]، والحقيقة أن الدراسة التي بين أيدينا لا تتوقف عند حد وصف الواقع بالحالة التي هو عليها (استنطاق الواقع/ استقراء الواقع) فحسب، وإنما لا مغالاة إذا ما قلنا إن دراستنا هذه تذهب إلى التعامل مع الواقع بل ووضع قواعد للعمل في هذا الواقع أملاً في تهذيبه وتحسينه ودفعه للأمام، وعليه، تطرح هذه الدراسة "التسويق السياسي" كرؤية جديدة وكأداة للتعامل مع الواقع السياسي العراقي المعاصر لا سيما وأن التجربة السياسية العراقية تعد واحدة من أكثر التجارب التي لاقت حفاوةً واهتماماً واضحاً سواء على المستوى الأكاديمي لدى المعنيين بالواقع العراقي من الباحثين والدارسين، وأيضاً على المستوى السياسي وبداخل الأروقة السياسية سواء من قِبل دول الجوار داخل المنطقة العربية والشرق الأوسط عموماً فضلاً عن الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا لما يشكله العراق من أهمية جيوسياسية وجيوبولتيكية من الطراز الفريد.[٢]

ولعلنا لسنا بحاجة إلى التأكيد هنا إلى أن هذه الدراسة التي بين أيدينا تغرّد بعيداً عن التحليلات المؤدلجة والقراءات النمطية والتي ربما تتسم بالتكرار والسطحية، لتنطلق بشكل رئيس من التناول المستند إلى القواعد المنطقية والاستقراء المنضبط مع متطلبات الواقع السياسي العراقي المعاصر مع الأخذ في الاعتبار توظيف المعلومات، والنتائج، لخدمة التحليل السياسي الذي نحن بصدده.[٣]، ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء بدايةً على معطيات الواقع السياسي العراقي وأبرز محدداته الداخلية سواء فيما تعلق بإرهاصات تلك المحددات لا سيما منذ ٢٠٠٣ وذلك من خلال إفساح المجال لموضوعات بعينها حال: الديمقراطية التوافقية،[٤]مروراً بالنظام الانتخابي، بالإضافة إلى الظاهرة الحزبية العراقية، فضلاً عن الإلمام بوضع السلطتين التشريعية والتنفيذية وعلاقتهما ببعضهما البعض، سعياً وراء توظيف التسويق السياسي في سياق هذا الواقع عبر استلهام الدروس المستفادة من التجارب الناجحة ومحاولة وضع نموذج يمكن تطبيقه في الواقع السياسي العراقي.

وتشير الملاحظة الممحصة إلى أن التسويق السياسي بات أحد أبرز الأدوات الفاعلة في مخاطبة المواطنين والتفاعل الإيجابي معهم لا سيما فيما يتعلق بجهود وسياسات الحكومة العراقية والتي يمكن أن توظف تكتيكات واستراتيجيات التسويق السياسي للعمل على تهيئة الرأي العام لأية تأثيرات سواء إيجابية أو سلبية للسياسات العامة،[٥] حتى لا تمثل مدخلاً للتأثير السلبي على المواطنين، ومن هنا فلا شك أن الحكومة العراقية يتعين عليها الآن وقبل أي وقت مضى أن تضم لمؤسساتها السياسية الرسمية بعض الخبراء والمتخصصين في التسويق السياسي وخبراء السياسات العامة المعنيين بالترويج للسياسات وأهدافها قبل التطبيق، حتى لا تكون سبباً في أي رفضٍ شعبي أو حراكٍ سلبي من قِبل المواطنين، كما ظهر هذا جلياً في تظاهرات تشرين ٢٠١٩ وما رافقها من احداث وداعيات، وكذا الحال فيما يخص دور التسويق السياسي في الحملات الانتخابية العراقية؛ إذ لم يعد التسويق للمرشحين السياسيين نشاطاً لهواة وإنما صار صناعةً يقوم عليها متخصصون فنيون، وصار التسويق السياسي ارتباطاً بذلك منهجاً له أدواته التي تظهر في عملية إدارة الانتخابات،[٦]ولذا فلا مفرّ من التأكيد على أهمية التسويق السياسي في الواقع

السياسي العراقي خاصة في الانتخابات النيابية في العراق، لما يحققه هذا العلم من تعظيم وزيادة لعدد المؤيدين لمرشح ما أو لحزب معين أو برنامج أو فكرة معينة، بما في ذلك الدعم الجماهيري باستخدام كافة وسائل الاتصال الجماهيري أو أي وسائل أخرى ضرورية.[٧]

وارتباطاً بما سبق قوله، تتمثل **المشكلة البحثية** لهذه الدراسة في تساؤل رئيس قوامه: ما دور التسويق السياسي في الحياة السياسية العراقية المعاصرة؟، وينبثق عن هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية تحتية أبرزها: ماذا نقصد بالتسويق السياسي؟ وإلى ماذا يشير مفهوم الحياة السياسية العراقية؟ ؟ وكيف توظف المؤسسات السياسية العراقية التسويق السياسي؟

وتأسيساً على ذلك **تستهدف الدراسة** الوقوف على جملة من الأهداف لعل من أبرزها التعرف على مفهوم التسويق السياسي ومحاولات التعريف به، مروراً بالمحددات الرئيسة لهذا المفهوم، إلى جانب الوقوف على الكيفية التي توظف بها المؤسسات السياسية العراقية ذلك المفهوم، إضافةً إلى تناول المحددات ذات العلاقة المباشرة بعملية التسويق السياسي من نظام انتخابي وظاهرة حزبية وديمقراطية توافقية، فضلاً عن وضع أجندة أو نموذج تستطيع الجهات المتنوعة في الحكومة العراقية الاسترشاد بها في تعاملها مع مواطني دولة العراق لكسب مساحات واسعة من التأييد والمقبولية، وفي ضوء ذلك، تتمثل **الفرضية الأساسية للدراسة** في: "إذا حسن توظيف استراتيجيات وتكتيكات التسويق السياسي في الواقع السياسي العراقي تستطيع الحكومة والأحزاب العراقية على اختلاف برامجها وتكتيكاتها واهدافها توسيع مساحات القبول والتأييد لدى ابناء الشعب في العراق".

كما تنطلق الدراسة من **التكامل المناهجي**، فتستند بالأساس إلى المنهج الاستقرائي، ومن ثمَّ تعتمد على أداة الملاحظة للتمكن من ملاحظة مجمل الإسهامات في التعريف التسويق السياسي، وكذا تتبع أبرز الاستراتيجيات والتكتيكات التي من الممكن توظيفها في الحياة السياسية العراقية سواء على مستوى الأحزاب السياسية العراقية أو الحكومة العراقية، علاوةً على المنهج الاستقرائي، تستعين الدراسة بمدخل تحليل النظم، والذي يستهدف النظر إلى التفاعلات السياسية في أي مجتمع باعتبارها نظامًا للسلوك، وبالتالي يأتي استخدام هذا المدخل لفهم دور التسويق السياسي كمتغير مستقل ومدى تأثيره على الحياة السياسية العراقية كمتغير تابع، مع الأخذ في الاعتبار ما ينتج عن البيئة الخارجية والبيئة الداخلية من تداخل وتفاعل بما يشكل إطارًا تحليليًا للنظام السياسي باعتباره دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي، تبدأ بالمدخلات المتمثلة في الآليات والأدوات للتسويق السياسي، وتنتهي بالمخرجات المتمثلة في تقييم الواقع واستخلاص الدروس المستفادة من الممارسات، مع قيام عملية تغذية عكسية تربط بين المدخلات والمخرجات، من خلال تقديم تصور يمكن تطبيقه في الواقع السياسي العراقي المعاصر.

أولاً – الإطار المفاهيمي للدراسة

يمثل تحديد المفاهيم السياسية تحدياً أساسياً لباحثي العلوم السياسية، حيث أنه من الصعوبة بمكان الاتفاق على تعريفات محددة للمفاهيم السياسية، إذ تتعدد التعريفات والمفاهيم ليوضح كل منها جانباً من المفهوم. وإذا كانت هذه الإشكالية تمثل تحدياً للباحثين بالنسبة للكثير من المفاهيم السياسية المستقرة، فإنها تزداد تعقيداً بالنسبة للمفاهيم الحديثة في العلوم السياسية والتي تعبر عن الظواهر السياسية

المتجددة والمستحدثة والتي يعد مفهوم التسويق السياسي واحداً من تلك المفاهيم، ويزداد التحدي أمام الباحثين في مفهوم التسويق السياسي كونه يتداخل مع بعض المفاهيم الأخرى: كالترويج السياسي، والدعاية السياسية، هذا التداخل الذي سنسعى إلى تفنيده بشيء من التفصيل لاحقاً، وكذا الحال فيما يخص مفهوم الحياة السياسية العراقية، وما يتداعى إلى الذهن من معانٍ ومصطلحات؛ فهل يستهدف المفهوم الأحزاب السياسية فقط؟ أم يندرج تحت الرأي العام وجماعات الضغط؟ أم ينصرف إلى تعامل السلطتين التشريعية والتنفيذية؟ أم نقصد به التأثير والتأثر المتبادل بين القوى السياسية العراقية الرسمية وتلك غير الرسمية؟

ثانياً: مفهوم التسويق السياسي:

يعد مفهوم التسويق السياسي من المفاهيم التي تتنازعها مدارس واتجاهات أكاديمية عدة؛ ولا يوجد اتفاق بين الاتجاهات المختلفة للمفهوم، حيث يركز كل اتجاه على مدخل معين ويضيف إليه بعداً جديداً، إلا أنه يمكن بشكل عام استخلاص ثلاث اتجاهات رئيسة في التعريف به؛ منها اتجاه التسويق التجاري الذي ركز على فكرة نقل التطبيقات الفعلية لمبادئ التسويق من المجالات التجارية الهادفة للربح إلى المؤسسات غير الهادفة للربح وبالتالي فالسوق التجاري لدى هؤلاء الباحثين يشبه السوق السياسي، وهناك اتجاه الاتصال السياسي والتي تنظر إلى التسويق السياسي باعتباره نتيجة تطور الإعلام وتكنولوجيا الاتصال خاصة التليفزيون والإنترنت مؤخراً، ثم يأتي اتجاه الحملات الانتخابية والذي يركز على الحملات الانتخابية قبل وأثناء الانتخابات التشريعية والرئاسية على اعتبار أن مجرد تقديم المعلومات ذات الطبيعة السياسية يمكن أن يؤثر فى اتجاهات المواطنين.[٨]

وفيما يلي، استعراض للخطوط العريضة للاتجاهات الثلاثة، وذلك على النحو التالي:

اتجاه التسويق التجاري:

لقد نظر مفكرو هذه المدرسة وروادها إلى التسويق السياسي والتسويق التجاري وكأنهما متماثلان، وأن أوجه التشابه بين التسويق السياسي والتسويق التجاري تفوق بشكل كبير أوجه الاختلاف. فالتسويق السياسي أقرب إلى تسويق الخدمات، نظراً لتشابه طبيعة ما يتم التسويق له في المجال السياسي ومجال الخدمات، كما أن السوق السياسية لا تختلف كثيراً عن السوق التجاري، فكلاهما يشتملان على بائعين ومشترين ومنتجات؛ فالبائعون السياسيون قد يتمثلون في: السلطات التنفيذية، والأحزاب السياسية، والمنظمات الدولية والإقليمية، والمباع أو المنتج السياسي قد يتمثل في: سياسة عامة، مرشح لمنصب رئاسة أو مجلس تشريعي أو مجلس محلي، والمشترون يتمثلون في: الناخبين أو متلقي الرسالة الرسالة الإعلامية في الحملة التسويقية السياسية.[٩]، فالتسويق السياسي لدى هذه المدرسة يتم النظر إليه بشكل أساس على أنه ترويج مخطط ومنظم لمنتج سياسي يهدف لبلورة رؤية إيجابية لهذا المنتج لدى المستهلك السياسي، من أجل تحقيق طلب على هذا المنتج،[١٠] وبالتالي السعي إلى إدماج المفاهيم الأساسية للتسويق كطريقة لجودة وفاعلية الحملات السياسية، الأمر الذي يترتب عليه التحول من فكرة التركيز على تكتيكات الترويج إلى الاهداف الاستراتيجية للحزب أو المؤسسة السياسية، ويصبح الاتصال السياسي جزءاً من مكونات التسويق السياسي الترويجية داخل المزيج التسويقي بأكمله.[١١]

ومن هنا ووفقاً لهذا الاتجاه بات التسويق السياسي يعرف بأنه:

- تطبيق مبادئ التسويق وأساليبه في الحملات السياسية التي تقوم بها الكيانات السياسية سواء كانت حكومات أو أحزاب سياسية أو جماعات ضغط وأفراد، وتتضمن هذه الأساليب تحليل السوق السياسية وتخطيط وتنفيذ الحملات السياسية.[١٢]
- "تخطيط وتنفيذ والتحكم في البرامج السياسية والانتخابية التي تتضمن بناء العلاقات ذات المنفعة المتبادلة بين كيان سياسي أو مرشح ما والناخبين، والحفاظ على هذه العلاقة من أجل تحقيق أهداف المسوق السياسي والناخب".[١٣]
- "نوع من التسويق بما ينطوي عليه من أنشطة البحوث والتخطيط والإعلان والدعاية والترويج، ولكن يضفي عليه صفة السياسي كثافة التفاعلات التي تدور حول الصراع والتنافس على السلطة السياسية، وما يتعلق بها من اختيار الحكام أو انتخاب برامج الأحزاب أو صنع السياسات العامة أو ترويج فكرة معينة لدى الرأي العام.[١٤]
- تسويق الأفكار والآراء المرتبطة بالموضوعات والأفكار السياسية والأشخاص السياسيين، من خلال الاعتماد على نفس الأساليب المستخدمة في التسويق التجاري، كأساليب البريد الإلكتروني والإعلانات المدفوعة، من أجل تحقيق أهداف محددة.[١٥]

اتجاه الاتصال السياسي:

ينظر هذا الاتجاه إلى التسويق السياسي باعتباره تطوراً معاصراً للاتصال السياسي، بالتركيز على فكرة تشكيل الواقع السياسي من خلال تهيئة البيئة السياسية وصبغها برؤية إدراكية تصنعها وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال المتطور، الأمر الذي يترتب عليه ظهور ما يعرف بـ "عالم السياسة المصنوع"، والذي توجد بينه وبين عالم السياسة الواقعي مساحة تمثل أرضية خصبة لأنشطة التسويق السياسي استناداً لوسائل الإعلام.[١٦]، ومن ثَمّ، يركز منظرو الاتجاه على أحد جوانب عملية التسويق السياسي، وهو جانب الاتصال، معتبرين إياه المحرك الأساس لنجاح أية حملة تسويق سياسي.[١٧]، كما ينطلق هذا الاتجاه من التركيز على الاتصال السياسي، في ضوء التطور الكبير الذي شهدته وسائل الاتصال وظهور وسائل وأدوات مبتكرة لخدمة مجال الاتصال، مثل: (حملات الإنترنت، والتكنولوجيا الرقمية، واستخدام بنوك الهاتف، والتحدث عبر الفيديو كونفرنس)،[١٨]مع الأخذ في الاعتبار الدور الذي لعبته وسائل الاتصال التقليدية المسموعة والمقروءة والمرئية ذات التأثير المباشر، مثل: (التليفزيون، والراديو، والمجلات، والصحف) في إتاحة المعلومات للمواطنين بسهولة ويسر، بالإضافة إلى بروز ظاهرة عدم الانتماء الحزبي التي ساهمت في إضفاء أهمية كبرى على أهمية الاتصال السياسي.[١٩]

ولذا بات يعرّف التسويق السياسي ارتباطاً بهذا الاتجاه باعتباره:

- الجهود التي تقوم بها المؤسسة السياسية وفق استراتيجية مخطط لها بصورة علمية، واستخداماً لكافة وسائل الاتصال وأدوات التسويق بهدف الحصول على الدعم والقبول لدى المستهدفين "الناخبين مثلاً" وخلق صورة ذهنية غالباً ما تكون إيجابية، وحشد التأييد والسعي للإقناع بأفكار المؤسسة، بل وقد يصل الأمر إلى دفع الرأي العام لاتخاذ سلوكيات محابية ومتماشية مع

سياسات المؤسسة وبرامجها وأنشطتها المختلفة.[٢٠]

- عبارة عن شقين: أما الشق الأول يتكون من فلسفة أو اتجاه أو رؤية، وأما الشق الثاني فيتكون من مجموعة الأنشطة الاتصالية المستخدمة لإنجاز هذه الرؤية وإتمامها بشكل أكثر فاعلية وكفاءة.[٢١]
- نمط من تسويق الخدمات، الذي يتضمن سعي إحدى الكيانات السياسية (كأن تكون حزباً سياسياً مثلاً) إلى خلق اعتقاد بجدارة بممارسة الحكم، وأساس هذه الاعتقاد يعتمد على الاتصال الجيد.[٢٢]
- بأنه سعي المؤسسة السياسية أو الأحزاب لإقامة علاقات مع الناخبين والحفاظ عليها لأطول فترة ممكنة، الأمر الذي يحدث في حالة تلاقي أهداف المؤسسة السياسية مع أهداف المستهلكين السياسيين (الناخبين)، مما يتطلب نوعاً من التوافقات حول وعود طرفي عملية التبادل.[٢٣]
- استخدام الأحزاب أو الأفراد لاستطلاعات وأبحاث الرأي العام لتحليل البيئة المحيطة، بما يساعد على تحقيق أهداف المؤسسة في إرضاء الناخبين مقابل الحصول على أصواتهم في فترة الانتخابات.[٢٤]

اتجاه الحملات الانتخابية:

ينظر هذا الاتجاه إلى التسويق السياسي على أنه منهج له أدواته التي تظهر في عملية إدارة الانتخابات. وقد بدأت هذا الاتجاه في الظهور في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين ارتباطاً بالحملات الانتخابية الرئاسية، وانتقلت أفكاره بعد ذلك إلى معظم ارجاء أوروبا الغربية؛ بحيث أجمع الباحثون على أهمية التسويق في الحملات الحديثة كنتيجة حتمية لزيادة استخدام التسويق ومستشاري العلاقات العامة والوكالات الإعلامية والإعلانية المتخصصة.

ومن هنا بات يعرّف التسويق السياسي كونه:

- مجموعة من الأنشطة التي تستهدف تعظيم وتنظيم عدد المؤيدين لمرشح أو لحزب معين أو برنامج أو فكرة معينة، بما في ذلك الدعم الجماهيري باستخدام كافة وسائل الاتصال الجماهيري أو أي وسائل أخرى ضرورية.[٢٥]
- العملية التي يستطيع المرشح من خلالها توجيه أفكاره إلى الناخبين لإرضاء حاجاتهم الأساسية، ومن ثَمّ الحصول على الدعم اللازم له ولبرنامجه.[٢٦]
- جملة الحملات الاستراتيجية التي يديرها مرشحون وأحزاب سياسية وحكومات وأعضاء جماعات الضغط والمصالح، والتي تهدف إلى التأثير على الرأي العام وتعزيز أيديولوجياتها والفوز في الانتخابات، وتمرير التشريعات التي يقرها النظام السياسي، وذلك كله من أجل الاستجابة لاحتياجات فئات محددة من المجتمع.[٢٧]
- العملية التي يتم من خلالها السعي إلى إنشاء وتعزيز العلاقات مع الناخبين، بما يستدعي ذلك من تحقيق مصلحة أو فائدة المجتمع والأحزاب السياسية، وذلك من خلال عملية التبادل التي تتجه في اتجاهين؛ اتجاه تحقيق المنافع للناخبين، واتجاه تحقيق الوعود التي قطعتها الأحزاب

السياسية على نفسها، وذلك في إطار استخدام كافة وسائل الاتصال الممكنة والأكثر فعالية وفعالية.[٢٨]

وبعيداً عن نقاط الاختلاف والتشابه بين الاتجاهات الثلاثة السابقة بصدد التعريف بمفهوم التسويق السياسي، تستشف الدراسة التي بين أيدينا أن التسويق السياسي إنما يكمن جوهره في **العملية التي تقوم على استعارة آليات وأسس التسويق التجاري وتكييفها وتوظيفها في المجال السياسي، بدايةً من القراءة الواعية للبيئة التسويقية، ومروراً باستخدام كافة وسائل الاتصال التقليدية منها والحديثة، سعياً وراء زيادة مساحات التأييد والقبول لمنتج سياسي ما، مهما اختلفت طبيعة المنتج المراد تسويقه (سياسة حكومية ما، مؤسسة سياسية، مرشح، حزب سياسي، قرار دولي،..إلخ)، وذلك كله في ضوء بحوث السوق التي تمثل بوصلة عملية تصميم المنتج أو تعديله بما يتماشى مع متطلبات المستهلكين السياسيين.**[٢٩]

ثالثاً: مفهوم الحياة السياسية العراقية:

تستدعي الدراسة منا الوقوف على مفهوم الحياة السياسية العراقية لا سيما أن هذا المفهوم قد احتمل مقام العنوان من الدراسة ولذا فلا شك أن ثمة ضرورة أكاديمية للتعريف بمفهوم الحياة السياسية عموماً حتى نستطيع أن نتلمس مفهوم الحياة السياسية العراقية، ففي البدء، تشير عبارة الحياة السياسية إلى مجموع القوى السياسية الرسمية وتلك غير الرسمية القائمة داخل المجتمع والتي تتفاعل فيما بينها من خلال الفعل ورد الفعل على نحو يستهدف حدوث حالة من الاتزان، على أن القوى السياسية الرسمية في أي مجتمع تتمثل بشكل أساسي في المؤسستين السياسيتين الرسميتين للدولة وهما: المؤسسة التشريعية والمؤسسة التنفيذية، وهما ما ينظم دستور الدولة كيانهما العضوي والوظيفي وطبيعة العلاقة بينهما فضلاً عن علاقتهما بالمحكومين عموماً.[٣٠]، فيما تتمثل القوى السياسية غير الرسمية في الأحزاب السياسية وجماعات الضغط "المصالح" والرأي العام، ولعل أبرز ما يميز تلك القوى غير الرسمية أنها تنشأ نشأة واقعية حيث يفرزها الواقع الحضاري والثقافي للمجتمع، تتفاعل تلك القوى السياسية غير الرسمية وتسعى إلى تحقيق مصالح وأهداف ما تجاه القوى السياسية الرسمية مما ينتج عن ذلك التفاعل نوع من الاتزان داخل الحياة السياسية يفضي في نهاية المطاف إلى الاستمرار والاستقرار.[٣١]، وإمعاناً في توضيح المراد من مفهوم الحياة السياسية، يستدعي الأمر منّا تسليط مزيد من الضوء على مكونات تلك الحياة السياسية من أحزاب سياسية وجماعات ضغط سياسية ورأي عام، وفيما يلي تبيان لذلك، ففيما يخص الأحزاب السياسية Political Parties فقد ارتبطت نشأة تلك الأحزاب السياسية كقوة من قوى الواقع الاجتماعي بالأيديولوجية معينة قومها التبادلية السياسية والتعدد وما هيأت إليه هذه الأيديولوجية من ديمقراطية سياسية وحريات عامة، وارتباطاً بظهور المجالس النيابية وتنامي دورها ونفوذها، شعر الأعضاء المنتخبون أنهم بحاجة إلى تنظيم صفوفهم عن طريق التكتل في مجموعات تأسيساً على الأهداف والأفكار المذهبية لكل تكتل على حده، الأمر الذي كان من شأنه ظهور ما يعرف بـ "الكتل البرلمانية".[٣٢]

أضف لما سبق، أنه جنباً إلى جنب الكتل البرلمانية وتنامي دور البرلمانيين صار هناك ضرورة ملحة للتعريف بالمرشحين في وقت الانتخابات وتوجيه أصوات الناخبين لصالحهم، وهو ما كان من شأنه

ظهور ما يعرف بـ "اللجان البرلمانية".[٣٣]، ولعله من نافلة القول هنا أن نشأة الأحزاب السياسية كقوة من قوى الحياة السياسية ليس شرطاً أن تأتي تلك النشأة من داخل المجالس البرلمانية كما سبق توضيح ذلك، وإنما قد تنشأة الأحزاب السياسية أيضاً خارج نطاق هذه المجالس واللجان البرلمانية، حيث نتيجة لضغوط النقابات أو الجماعات الدينية إلى جانب النشاطات الصادرة عن حركات قومية أو دينية أو طائفية تبرز الأحزاب السياسية، وتعرف وقتذاك بأنها أحزاب ذات نشأة خارجية.[٣٤]

والحق، أن ثمة مقومات رئيسية يستلزم توافرها بصدد إطلاق لفظة حزب سياسي على كيان ما، تتمثل أبرز تلك الخصائص والمقومات في: أن الحزب ليس تجمعاً عشوائياً لمجموعة من الأفراد وإنما هو بالأساس منظمة محددة الأهداف والوسائل، إلى جانب ضرورة التقاء أعضاء الحزب على مبادئ وأهداف معينة بصدد القضايا السياسية العليا للمجتمع، مروراً بأن الهدف الأساسي للحزب السياسي هو الحصول على غالبية مقاعد المؤسسات السياسية الرسمية حتى يستطيع إعمال أيديولوجيته وبرنامجه، فضلاً عن وصول الحزب السياسي إلى السلطة لا يتم إلا من خلال الأساليب والوسائل السلمية والدستورية، ومن هنا كان الرابط بين التسويق السياسي وظاهرة الأحزاب السياسية، إذ إن جوهر التسويق السياسي يتمثل في التنافس بين الأحزاب السياسية والسعي وراء جذب الناخبين عبر الصندوق بعيداً عن لغة البنادق والاشتباكات المسلحة ذات الطابع العنيف.[٣٥]، وإجمالاً لحديثنا عن الأحزاب السياسية كإحدى قوى الحياة السياسية الرسمية، راح المعنيّون بهذه الظاهرة يصنفون الأحزاب السياسية وفقاً لمعايير عدة، ولعل أبرز تلك التصنيفات، أن هناك أحزاب سياسية برامج (ثنائية) وهناك أحزاب سياسية أيديولوجية (متعددة).

وفيما يتعلق بأحزاب البرامج "الثنائية" فهي تلك الأحزاب التي ترتبط بأيديولوجية مجتمعها مع غيرها من الأحزاب وتنحصر الفوارق بين تلك الأحزاب على الوسائل والأساليب دون الأفكار المذهبية والمرجعيات العليا للنظام السياسي وتتمثل أحزاب الولايات المتحدة الأمريكية مثالاً على ذلك، ففيما تشير الأحزاب الأيديولوجية "المتعددة" إلى تلك الأحزاب التي تؤمن بأيديولوجية معينة وتعمل على تطبيقها واقعياً وتختلف عن الأحزاب الأخرى ليس فحسب في الوسائل والأدوات وإنما أيضاً في المرجعية والقيم المذهبية التي تأتي المؤسسات السياسية إعمالاً لها، وتمثل الأحزاب الشيوعية والاشتراكية مثالاً واضحاً على ذلك.[٣٦]، وفي إطار حديثنا عن جماعات الضغط Pressure Groups كإحدى قوى الحياة السياسية فإنه من المتفق عليه أن جماعات الضغط السياسي تمثل الصورة الثانية من صور القوى اللارسمية التي تنشأ نشأة واقعية كما الأحزاب السياسية.[٣٧]، غير أن ما تختلف به تلك الجماعات عن الأحزاب السياسية هو ما يتمثل في طبيعة الهدف؛ ففي الوقت الذي تسعى فيه الأحزاب السياسية إلى أغلبية مقاعد المؤسسات السياسية الرسمية حتى تستطيع إعمال برنامجها وأيديولوجيتها على مستوى المجتمع ككل، لا يتعدى هدف جماعات الضغط مستوى التأثير على المؤسسات السياسية الرسمية تحقيقاً لمصلحتها الخاصة بها مستندة في ذلك إلى جملة من الوسائل التي تختلف من مجتمع لآخر، وغاية وسائل جماعات الضغط هو مجرد الضغط لا أكثر.

وإجمالاً، يتمثل الرأي العام Public Opinion واحداً من قوى الحياة السياسية غير الرسمية، مع الاتفاق بين جميع الباحثين في مجال العلوم السياسية على أن الرأي العام بشكل مجرد لا يمكن الحديث

عنه إلا من خلال تفاعلات النظم الديمقراطية ذلك بأن مثل هذه القوى تتطلب بيئة سياسية معينة تتماشى مع الجو العام الذي تفرزه النظم الديمقراطية، ومهما يكن، فإن الرأي العام في أي مجتمع يتمثل في ذلك الراي الذي تلتقي عليه غالبية المجتمع تجاه موقف أو قضية أو مسألة مثارة، و يتحتم أن تكون مناقشة هذه القضية أو المسألة المثارة والتداول والاختلاف بشانها في ظل حرية كاملة فضلاً عن إتاحة المعلومات الصحيحة وغير منقوصة، وهذه أمور اتفق المعنّيون بأنها شائعة في ظل النظم الديمقراطية او اي نظام يكفل حريات واسعة فضلاً عن استجابتها لتطلعات وتوجهات الرأي العام.[٣٨]

وعليه، راح الدارسون للرأي العام كإحدى قوى الحياة السياسية غير الرسمية يطرحون أنواعاً وتصنيفات لهذه الظاهرة؛ فالبعض يتحدث استناداً لمعيار الظهور والعلانية عن الرأي العام الظاهر والأخر الكامن أو المستتر، وآخرون يصنفونه وفقاً لمعيار النطاق إلى رأي عام محلي وآخر إقليمي وآخر دولي أو عالمي، فيما يذهب آخرون إلى الانطلاق من معيار الاستمرار الزمني ويصنفونه إلى رأي عام دائم وآخر مؤقت.[٣٩]، ودون الانغماس في المزيد من التوسع في الإطار المفاهيمي للحياة السياسية، سنلتزم في دراستنا هذه (الحياة السياسية العراقية) بمعالجة واقع الأحزاب السياسية العراقية مروراً بالرأي العام العراقي لا سيما فيما يتعلق بتطلعات المجتمع العراقي تجاه الانتخابات النيابية المقبلة ٢٠٢١، بالإضافة إلى تسليط الضوء على التأثير والتأثر بين المؤسستين السياسيتين الرسميتين التنفيذية والتشريعية وبين الأحزاب السياسية والرأي العام وهو الأمر الذي سنعالجه ارتباطاً بكيفية توظيف استراتيجيات التسويق السياسي من قِبَل هذه المؤسسات تجاه المواطن العراقي، فضلاً عن دور المرأة او الشباب في هذه العملية الحياة ، مع سعي هذه الدراسة إلى وضع دليل أو نموذج يمكن القوى او الشخصيات خصوصا الشباب منهم أن تقتضي به في سبيلها نحو خوض الانتخابات البرلمانية العراقية ٢٠٢١.

رابعاً: مستقبل وتطلعات الواقع السياسي العراقي:

لعله بات جلياً أن مستقبل الحياة السياسية العراقية أصبح مرهوناً بالتفاعلات الحزبية في الواقع السياسي العراقي، ولا يمكن ان ينفك عنها لان طبيعة النظم البرلمانية تعكس نمط التعددية السياسية وترتيبات التنافس والتزاحم بين القوى السياسية وكذا صار واضحاً ذلك التطلع المرتقب من تلك الأحزاب السياسية؛ فعراق اليوم بحاجة إلى تحسينات حزبية جوهرية في الوسط الشيعي حيث حزب الدعوة وتشعباته(تنظيم العراق، النصر ،حركة عطاء) والمجلس الأعلى(منظمة بدر، تيار الحكمة) وافرازاته والتيار الصدري وامتداداته ، وكذا الحال في الوسط السني، وصولاً إلى الوضع الحزبي في كردستان في ظل سيطرة الحزب الديمقراطي الكردستاني وحركة التغيير والاتحاد الوطني الكردستاني إضافةً لبعض القوى الإسلامية هي الأقوى على الساحة الكردية، وعليه فإن الواقع السياسي العراقي في ظل تخندقاته المعروفه الذي تغذيه مشاعر عدم الثقة، والخوف من الآخر،[٤٠] أصبح بحاجة إلى رؤية جديدة تستوعب مستجدات الواقع السياسي بعيداً عن لغة العداء الذي قد يصل إلى حد العنف أحياناً، وهو ما تطرحه الدراسة الحالية من خلال التسويق السياسي، ونقطة البدء في ذلك أنّ جميع الأحزاب ملزمة بتطبيق كوتا نسائية على ممثّليها المنتخَبين (**25 %**في مجلس النواب أو **30 %**في برلمان إقليم كردستان العراق)، إلا إن قلةً منها فقط تسعى إلى الالتزام بهذه الكوتا ضمن هياكلها الحزبية، فضلاً عن وضع الشباب،

فلا يتشجعون على المشاركة نظراً إلى أنّ الأحزاب السياسية العراقية تبدو غير مهتمة بالأفكار الجديدة، أو بتعديل سياساتها واستراتيجياتها لتلبية الواقع السياسي الحالي. وفوق كل ذلك، تُعتبر الآليات الداخلية للتغلب على هذه العوائق، وتشجيع النساء والشباب على المشاركة ضمن الأحزاب السياسية قليلةً إن لم نقل معدومة، بالرغم من المحاولات الجادة في هذا الصدد.[٤١]

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أن ذلك كان مدعاةً لبروز تلك الدعوات الموجهة للأحزاب السياسية العراقية بضرورة تعزيز ممارسة الديمقراطية داخل تلك الأحزاب السياسية، أي امتلاك الحزب أنظمة وتعليمات تمنع السيطرة التعسفية على الانتخابات الداخلية الخاصة به، فضلاً عن تجنب سيطرة قائد أو مجموعة من الأفراد على عمل الحزب وتوجهاته، وبهذا فإنَّ مكوِّنات الحزب جميعها وموظفيها يتبعون الاجراءات القانونية ويخضعون للمساءلة أمام القواعد الرسمية والأجهزة القانونية المنصوص عليها في النظام الداخلي، لتتمثل أبرز معايير مدى ديمقراطية الأحزاب السياسية الواجب توافرها في: الشفافية، نظام أساسي يطبق على الكل، تطابق بين القيم والممارسات الحزبية، آليات ديمقراطية لحل الصراعات بشكل سلمي، تنظيم عملية التقدم في المناصب..إلخ.[٤٢]

ومن هنا تطرح الدراسة الحالية التسويق السياسي باعتباره وسيلة تعزز دور الأحزاب السياسية في الحياة السياسية العراقية وبما تستهدفه عملية التسويق السياسي عموماً من الحرص على جذب المستهلك السياسي (المواطن/الناخب)، وهو ما سيدفع الأحزاب السياسية نحو الإنصات للمواطنين العراقيين لا سيما الشباب والمرأة العراقية، والطبقات الفقيرة والنخب الوسطية حيث يقوم الحزب السياسي بإجراء بحوث تسويقية عن السوق السياسية المستهدفة للوقوف على رغبات وتطلعات الناخبين أولاً، ثم تأتي الخطوة الثانية والتي تتمثل في تصميم المنتج في إطار نتائج البحوث التسويقية التي تم إجراؤها والتي تعكس رغبات وسلوكيات ومواقف الناخبين، دون التمسك من قبل الأحزاب السياسية بأية أيديولوجية أو قيم معينة في الادارة السياسية.

ولعل التساؤل الذي يطرح نفسه الآن: كيف يمكن للتسويق السياسي أن يلعب دوراً في فعالية الأحزاب السياسية بالواقع السياسي العراقي الحالي؟

وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل في استعراضنا لمراحل عملية التسويق السياسي التي تضطلع بها الأحزاب السياسية في إطار تعاملها مع بيئة الواقع السياسي العراقي، وهي ما يمكن إجمالها في أربع مراحل أساسية على النحو التالي:

أولاً: المرحلة الأولى: بحوث السوق Market Intelligence

تتمثل هذه المرحلة في الوقوف على تطلعات ورغبات المواطنين المستهدفين سواء المؤيدين بالفعل أم المحتملين،[٤٣]وفي هذا الإطار تستخدم المؤسسات وعلى رأسها الأحزاب السياسية كافة أنواع البحوث سعياً وراء توفير قاعدة بيانات حول هؤلاء المواطنين، سواء كانت هذه البحوث كمية (كالمسوحات مثلاً)، أو كانت هذه البحوث كيفية (كعمليات الاستطلاعات عبر الهاتف)، فضلاً عن استخدام أساليب أخرى كالمقابلات الشخصية مع مؤيدي المؤسسة أو الحزب السياسي للتعرف على رضاهم أو ترددهم في التأييد أو حتى عدم التأييد.[٤٤]

وتتمحور مرحلة بحوث السوق وجمع المعلومات بشكل أساسي في الوقوف على عدة محاور أبرزها: الوقوف على ظروف الانتخابات الماضية وسياقها التاريخي كأن يتم التعرف على نسبة الأصوات التي حصل عليها الحزب في الانتخابات الماضية، الأمر الذي يفيد في تصويب الرسائل Targeting Messages وتحديد الأسلوب المناسب لإقناع الناخبين بسياسة وسلوك الحزب.[٤٥]

كما تُعنى هذه المرحلة بالإحصائيات الرسمية حيث تلعب في هذا الصدد الإحصائيات الرسمية دوراً بارزاً في هذه المرحلة لاسيما تلك التي تصدر عن جهات رسمية كأجهزة الإحصاء مثلاً، والتي من خلالها يسعى مخططو حملات التسويق السياسي إلى معرفة الفئات العمرية ومستوى التعليم ومستوى الدخل ونوعية الناخبين المستهدفين، الأمر الذي له مردود إيجابي تجاه فاعلية الجانب الاتصالي لحملات التسويق السياسي خاصة فيما يتعلق باختيار الرسائل المناسبة وتوجيهها.[٤٦]، كما أن لبحوث السوق دور هام فيما يتعلق بتحديد الدوائر الانتخابية ودرجة أهميتها للحزب، وتبلغ ذروة أهمية هذه النقطة تحديداً فيما يتعلق بالدوائر المترددة، التي لم يتخذ الناخبون فيها قرارهم التصويتي بعد، فيتم تكثيف جهود الحملات تجاه تلك الدوائر عبر الأساليب المباشرة، كأن يتواصل المتطوعون وأعضاء الحزب مع مواطني تلك الدوائر، بالإضافة إلى الاستخدام الموسع للمكالمات التليفونية، حتى لو استدعى الأمر إلى الزيارات المنزلية.

ثانياً: تصميم المنتج Product Design

وتأتي هذه المرحلة تتويجاً للمرحلة السابقة، إذ يتم تصميم المنتج السياسي المُقدم من قِبل المؤسسة السياسية (كالحزب السياسي مثلاً) وفقاً لنتائج مرحلة بحوث السوق وما تعلق بها من عملية جمع معلومات وبيانات معبرة عن رغبات وتطلعات المواطنين والناخبين.[٤٧]، وقد يكون المنتج السياسي الذي تسعى المؤسسة السياسية (الحزب) إلى تصميمه قيادة سياسية أو مرشح في الانتخابات عن هذه المؤسسة أو برنامج أو سياسات، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة مراعاة الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وغيره.

وتستند الأحزاب السياسية في سعيها إلى تصميم وتقديم المنتج السياسي إلى نتائج البحوث وعملية تجزئة وتصنيف السوق السياسي، بالإضافة إلى سعيها إلى تمييز نفسها عن غيرها من المؤسسات المنافسة أو على وجه الدقة تمييز منتجها السياسي عن غيره من المنتجات المطروحة في السوق السياسية، كأن تعمل على إصدار نشرات صحفية، وخطوط تليفونية لمن يرغب في الحصول على معلومات بشأن الحزب السياسي وبرنامجه، أو تنظيم لقاءات دورية مكثفة سعياً وراء إقناع الناخبين بسلوكيات وسياسات الحزب وأنها جاءت معبرةً عن مطالبهم وتطلعاتهم.[٤٨]

ثالثاً: الاتصال والحملة communication and campaign

وفي ضوء هذه المرحلة يتم التأكيد على مفهوم إدارة التواصل، والذي يستهدف إقامة علاقات بين الأحزاب السياسية والناخبين مستندة إلى التعاون والثقة بجانب الاهتمام بخصائص وعادات الحياة الخاصة بالناخب سواء المؤيد فعلاً أو المحتمل تأييده، فضلاً عن عدم الاقتصار على مجرد الاتصال بالناخب فحسب، وإنما يمتد الاتصال إلى الوقوف على رغبات وتطلعات واحتياجات الناخب (متلقي رسالة الحملة

عموماً)، الأمر يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على أهمية إدارة التواصل المستمر لاعتبار أن ذلك يمثل جوهر استراتيجية التسويق السياسي على وجه العموم.[٤٩]، ومما تجدر الإشارة إليه أن العديد من الدراسات أكّدت على ضرورة وأهمية إجراء بعض الاختبارات القبلية للرسائل الاتصالية والوسائل الاتصالية (خاصة الإعلانية) حتى تصبح أكثر فعالية وتأثيراً في انطباعات وتوجهات الناخبين على النحو المرجو من وراءه؛ فالرسائل الاتصالية يجب أن تعكس المنتج السياسي الذي تم تصميمه مع مراعاة البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك بواسطة الخبراء والمتخصصين الذين يعملون في حملة التسويق السياسي للحزب، كما أن وسائل الاتصال تنبغي أن تكون واضحة وغير مبهمة، بما يسهل فهمها من قبل الناخبين للوقوف على سياسات وشعار وبرنامج الحزب السياسي، ذلك كله تفادياً لعدم حصول نتائج عكسية غير مرجوة.

رابعاً: الانتخابات وتنفيذ الوعود Elections and Delivery

تعد هذه المرحلة من أصعب مراحل تخطيط حملات التسويق السياسي عموماً، وذلك لما يشوب هذه المرحلة من شكوك وحالة من عدم التيقن سواء تجاه المؤيدين للحزب السياسي أو بشأن تحقيق الوعود بعد الوصول للسلطة.[٥٠]، ويلعب التسويق السياسي المستمر دوراً بارزاً في هذه المرحلة Continual Marketing، كما يسعى مخططو الحملة إلى اتخاذ مجموعة من القرارات المتصلة بتعديل المنتج السياسي المطروح ارتباطاً بتطلعات المؤيدين المحتملين للحزب السياسي، كما يتم استهداف الناخبين المترددين عبر وسائل ورسائل اتصالية مكثفة ومستمرة، كأن يتم تذكيرهم بأن المنتج السياسي المطروح أفضل من المنافس له، وذلك كله لدفعهم دفعاً نحو تحويل سلوكهم إلى سلوك فعلي مؤيد لصالح الحزب أو مرشحه، بما يتضمنه ذلك من استخدام وسائل غير تقليدية كالمكالمات الهاتفية المكثفة والبريد المباشر ووسائل التواصل الاجتماعي فضلاً عن جهود كوادر الحزب والداعمين له، ومن الأهمية بمكان التأكيد هنا على أن هذه المرحلة خاصة فيما يتعلق بتنفيذ الوعود وقد تؤثر تأثيراً بالغاً على استمرار حياة الحزب وصورته، كما أنها قد تفقده مصداقيته وثقة الناخبين به، وذلك في حالة فشل الحزب – بعد الانتخابات ووصوله للسلطة– في ترجمة المنتج السياسي إلى حزمة من القرارات والسياسات استجابةً لتطلعات الناخبين وتنفيذاً للوعود التي قطعها على نفسه خلال فترة الانتخابات.[٥١]

ومما سبق يتضح أن للتسويق السياسي دوراً مهماً في تعامل الأحزاب السياسية العراقية مع الحياة السياسية المعاصرة؛ إذ تسعى الأحزاب السياسية إلى ملاءمة وتعديل ما تطرحه من مرشحين وبرامج وأهداف بما يتماشى مع تطلعات ورغبات المستهلكين السياسيين "المواطن"، كما يساهم التسويق السياسي في تعزيز مراقبة المواطنين على مدى فعالية الأحزاب السياسية وذلك انطلاقاً من أن الأحزاب السياسية تحرص على الحفاظ على جذب ولاء المواطن العراقي أملاً في عدم انصرافه إلى حزب آخر، مروراً بدور التسويق السياسي فيما يحققه من تأثير على عملية التمثيل السياسي وتجميع المصالح التي يتعين على الأحزاب السياسية العراقية القيام بها تأسيساً على بحوث السوق التي تمثل بوصلة عملية التسويق السياسي عموماً، فضلاً عن دور التسويق السياسي في دفع المواطن العراقي نحو المشاركة السياسية عموماً والاندماج في الأحزاب السياسية على وجه الخصوص[٥٢].

خامساً: استراتيجيات وتكتيكات التسويق السياسي في الانتخابات النيابية العراقية

نسعى فيما يأتي إلى وضع دليل أو نموذج لاستراتيجات وتكتيكات التسويق السياسي لا سيما الانتخابي والتي يمكن الاسترشاد بها حتى يتم التعامل مع الواقع السياسي العراقي لا سيما الانتخابات العراقية النيابية المقبلة بشكل أكثر حرفة ومهارة، وهو ما سنتعرض إليه من خلال تعريفنا للحملة الانتخابية، مروراً بمواصفات فريق الحملة ورسالة وشعار الحملة، إلى جانب كيفية تصميم البرنامج الانتخابي، فضلاً عن الكيفية التي يمكن من خلالها صناعة الصورة الذهنية للمرشح السياسي، وصولاً إلى استراتيجيات التعامل مع الدوائر الانتخابية المختلفة.

١. الحملة الانتخابية:

لقد قدمت العديد من التعريفات بصدد مفهوم الحملة الانتخابية، إلا أن بشكل عام تعرف الملة الانتخابية باعتبارها:[٥٣] الأنشطة التى يقوم بها المرشح، بما فيها اللقاءات والتجمّعات والخطابات والمسيرات والإعلام والدعاية والتي يستهدف من ورائها إطلاع الناخبين على شخصه وأفكاره بهدف الحصول على أصوات الناخبين.

يتم تنفيذ هذه الأنشطة عبر فترة زمنية (فترة الدعاية الانتخابية) تختلف من فترة لأخرى، ويتزايد إيقاعها مع قرب يوم التصويت في الانتخابات.

تلك العملية التي تجرى خلال الفترة الزمنية بين إعلان أسماء المرشحين وحتى قبل يوم الانتخاب، ولها عدة مقومات أساسية، وهي:

- ✓ دراسة ظروف الدائرة الانتخابية، والأوضاع العامة في المجتمع.
- ✓ معرفة احتياجات الناخبين وأولوياتهم.
- ✓ دراسة موقف الناخبين السابقة، وميولهم السياسية.

•وتتكون الحملة من أنشطة اتصالية، أى من المرسل (مدير الحملة) إلى المستقبل (الفئة/الفئات المستهدفة) ومضمونها هو الرسالة (أى مضمون وهدف الحملة، من برنامج وشعارات وأفكار).

وعلى كلٍ، فجوهر الحملة الانتخابية يتمثل في مجمل الوعود الانتخابية أي الرسائل الاتصالية، والتي يبلورها ويطرحها المرشح على الناخبين لجذبهم، ويجب أن تكون ملائمة لنوعية الناخبين واحتياجاتهم، وظروف الدائرة.

٢. رسالة وبرنامج الحملة الانتخابية:

نناقش أولاً رسالة الحملة الانتخابية والتي تعد بحق أمراً في غاية الأهمية للحملة الانتخابية، وعموماً سنجد أنفسنا أمام ثلاثة أنواع من الرسائل:[٥٤]

رسالة مقنعة وصحيحة ولكن المرشح لا يحمل فكرة واضحة عن الناخب الذى يريد اقناعه بهذه الرسالة. وإذا بدأت الحملة الانتخابية بهذا النوع من الرسائل فإنها دائماً لا يكون لديها زمام المبادرة في اختيار وسائل الدعاية الانتخابية وسيكون وضعها دائماً في محل رد الفعل للحملات الانتخابية الأخرى، ويزداد وضع هذه الحملات سواءً مع مرور الأيام والأسابيع في الحملة الانتخابية حتى تجد نفسها أنها في وضع أزمة في يوم الانتخاب. وبالتالى لا تستطيع أن تحقق الأصوات اللازمة لضمان نجاحها.

رسالة مقنعة ومحددة وهناك أيضاً معرفة واضحة بالناخب، وبالتالي فإن الحملة ستكون قادرة على إقناع الناخب بهذه الرسالة. ولكن قد تكون هناك مشكلة في افتقاد الحملة للخطط المناسبة والمعقولة لاستمرار عملية اقناع الناخب بتلك الرسالة من لحظة انطلاق الرسالة حتى يوم الانتخاب. وفي هذا النوع من الحملات يضطر المرشح أن يفقد الكثير من الجهد والمال ويوظف عدداً أكبر في حملته حتى يوم الاقتراع. كما أن المرشح وحملته الانتخابية سيضطرون اضطراراً إلى الاهتمام بالأحداث اليومية، أو الرد على حملات المنافسين أو أنه سيتأثر كثيراً بالعوامل الخارجية دون أن يكون لديه خطط لتعديل مسار حملته الأصلية. ومثل هذا النوع من الحملات يصفه خبراء استراتيجية الحملة بأنها حملات قصيرة النفس، وبالتالى أيضاً لا تستطيع أن تحقق الانجاز الفعلي من الأصوات.

رسالة مقنعة ورؤية واضحة عن الناخبين، ويصاحبها الخطط اللازمة لتنفيذها، ولكن المشكلة أن أفراد الحملة لا يطبقون هذه الخطط بحيوية ونشاط ومتابعة. وهذا يؤدي في النهاية أيضاً إلى أن الحملة لا تحقق أهدافها من حجم الانجاز الفعلي من الأصوات.

ولعلنا لسنا بحاجة إلى التأكيد على أن الحملة الانتخابية الناجحة فهى تلك الحملة التى تمتلك كل ما سبق، أى الرسالة المقنعة والمحددة، والرؤية الواضحة عن الناخبين، والخطط اللازمة لتنفيذ هذه الرسالة، والفريق القادر على تنفيذها.

٣. استراتيجيات التحرك في الدوائر الانتخابية:٥٥

ولعل ما يتوجب على الحملة الانتخابية بعدما تم تحديد الفريق المعنيّ بإدارة الحملة، بالإضافة إلى تصميم رسالة وشعار الحملة وما يرتبط بذلك من وضع برنامج للحملة، أن تخطو خطوة نحو التعامل مع الواقع السياسي، والاشتباك مع الانتخابات القائمة، وفي هذا الصدد نتناول التقسيم الاسترتيجي للدائرة الانتخابية، فضلاً عن استراتيجيات التحرك.

ففيما يتعلق بالتقسيم الاستراتيجي للدائرة الانتخابية؛ فإنه ثمة هدف واضح لخطط واستراتيجيات الحملة والذي دائماً ما يتمثل في اكتساب أرضية جديدة (أصوات جديدة) أو الحفاظ على الأرضية القائمة (الأصوات المؤيدة) أو التأثير في الأصوات المترددة (الأصوات المتأرجحة بين المرشح وغيره من المرشحين) وعلى هذا النحو فإن خطط واستراتيجيات أي حملة انتخابية تتعامل مع ثلاث مناطق في أي دائرة انتخابية، كما يلي:

– **منطقة الدفاع** وهي المنطقة التي تتواجد فيها الأصوات المؤيدة للمرشح وهذه المنطقة يعرفها المرشح من خلال معرفته بالثقل الكبير الذي يتمتع به في هذه الدائرة. فقد تكون منطقة قبيلته أو عائلته، أو أنها المنطقة التي يسكن فيها اسمه نظير خدمات قدمها، أو رعايته لبعض الأهالي فيها، أو المنطقة التي يوجد بها محل عمله، أو المنطقة التي يشتهر فيها، أو أنه المرشح الأكثر شعبية في هذه المنطقة بحيث يستطيع أي من المرشحين الآخرين أن ينافسه والخطأ الذي يقع فيه معظم المرشحين أنه غالباً ما يتخذ قرار ترشيحه للانتخابات بناء على اعتبارات هذه المنطقة وحدها دون النظر إلى بقية المناطق (مناطق الوسط والهجوم) خاصة وإذا كان عدد المؤيدين له في منطقة الدفاع أقل من عدد الناخبين في مناطق الوسط والهجوم. وهنا تأتي أهمية الخطط واستراتيجيات الحملة التي تحاول أن تتعامل مع الدائرة

الانتخابية كلها كوحدة واحدة وتقيس عدد المؤيدين في كل مناطق الدائرة.

– **منطقة الوسط** وهي المنطقة التي يمكن وصفها بمنطقة الأصوات المتأرجحة غير مضمونة لأي من المرشحين. وأن هذه المنطقة تتميز بأنها أرض بكر يمكن أن تتغذى بالأفكار والمقترحات وأن أي مرشح إذا أراد أن يبني لنفسه شكلاً معيناً في الأداء والحركة، أو وصفاً معيناً يريد أن يوصفه به الناخبون كأنه رجل خير، أو رجل مثقف، أو مرشح ملمَ بمشاكل الدائرة واحتياجاتها فإن منطقة الوسط تكون المنطقة المثالية لذلك على عكس منطقة الدفاع التي هي من المفترض بالأساس معرفة الناخبين بالمرشح أو منطقة الهجوم التي يكثر فيها الإشاعات والأقاويل على عكس أي مرشح غير معروف في هذه المنطقة. ولكن دائماً في منطقة الوسط يجب أن تخضع دعاية المرشح لمعايير عقلانية يكثر فيها من طرح أفكاره وأراءه، لأنه من المفترض في هذه المنطقة أن يكثر المثقفون أو المتعلمون، أو الذين سيعطون أصواتهم لمن جذبهم بالأفكار والمقترحات أو نقل إذا شئنا أن هذه المنطقة ستضعف فيها النزعة العاطفية حتى وإن وجد فيها عدد كبير من غير المتعلمين لأن أصواتهم ليست موجه لمرشح معين.

– **منطقة الهجوم** وهي المنطقة الثالثة التي من المفترض ألا يتمتع فيها المرشح بميزة نسبية من الأصوات وإنما يتمتع بها المنافسون الآخرون، وهي من أصعب المناطق في الدعاية الانتخابية للمرشح. والخطأ الذي يقع فيه العديد من المرشحين هو أنهم يتجاهلون الدعاية في هذه المنطقة، ويعتبرونها ابتداءً ملك للمنافسين ويقدرون أن الدعاية في هذه المنطقة مضيعة للجهد والمال. في حين أن واقع الانتخابات يؤكد أن المرشح إذا أراد أن ينجح فإنه لا يستبعد أي منطقة من دعايته. فقد يحصل على ١٠% من أصوات منطقة الهجوم، وقد تكون هذه النسبة من الأصوات هي العامل المرجح في فوزه بالانتخابات أو دخوله الإعادة، وتأسيساً على التقسيم الاستراتيجي للدوائر الانتخابية، تأتي الاستراتيجيات المختلفة لتحرك الحملات الانتخابية في الدوائر، ومن هنا يبدأ التحرك باجتماع يعقده المرشح مع مجموعة ضيقة سيكون من بينها بعد ذلك لجنة القيادة ويتم مناقشة فكرة الترشح ورأيهم فيها وإمكانيات النجاح والوسائل المطلوب إتباعها والإمكانيات المطلوب أن يجهزها المرشح وسماع المعوقات التي قد يصادفها، وهكذا بحيث يكون الرأي جماعياً ثم يتم عقد اجتماعات مشابهة يحضرها مندوبون من المناطق المختلفة، من ناحية أخرى فإن دراسة شخصية المرشحين المنافسين والوسائل التي يستخدمونها لكسب تأييد الناخبين من خلال جمع أكبر قدر من المعلومات بواسطة الفريق المعاون للمرشح يمكنه من معرفة نقاط ضعف وقوة المنافسين وبالتالي يتمكن من اختيار أنسب الوسائل وأكثرها تأثيراً لجذب أنظار الناخبين، وفي حقيقة الأمر أنه على الرغم من تنوع الدوائر وظروفها إلا أن هناك تشابهاً كبيراً في المجتمع العراقي من الناحية الانتخابية، وهو ما يمكن أن نتلمسه بصدد تقسيمنا للدوائر الانتخابية بما يساعدنا ذلك على الاستراتيجية المناسبة.

- **<u>الدائرة القبلية: "الاقتراب الحذر من رؤوس العائلات"</u>:**

يجب أن يتحرى المرشحون أكبر درجة من درجات الحذر، سواء في خطة الحملة الانتخابية أو بالنسبة للصورة التي يطرح بها المرشح نفسه أمام الدائرة، والانطباع الذي يتركه على عصبياتها، ونظرتهم إلى المرشح وتقييمهم له، ومن هنا، فإن مفتاح التحرك يكون بالتوجه إلى رؤوس هذه العشائر والقبائل

والعائلات، وأن يدير معهم حواراً هادئاً حول طبيعة المشكلات التي تواجه هذه المناطق، ومدى حاجة العشائر والعائلات إلى حل هذه المشكلات.

وبوجه عام، يحتاج المرشح في هذه الدوائر أن يفتش عن أي مسار عائلي مشترك مع الناخبين، ورؤوس المنطقة، فإذا كان المرشح "غريباً"على أحد مناطق الدائرة، أو بالأحرى ليس له انصار منها أو نسب فيها أو مصلحة مشتركة معها"، فما هو تكتيك الوصول إلى رؤوس العائلات؟، وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل في أن أول محطات الاتصال مع القبائل وروساء العوائل في المناطق البعيدة بالدائرة تكون من خلال بعض مندوبيه الأقوياء أو بعض الشخصيات ذات التأثير الأدبي على رؤوس العائلات. ويراعى في المندوبين، أو "قرون الاستشعار "لباقة الحديث وترتيب الأفكار.

في الوقت نفسه، وعلى الرغم أن الشائع عن اتجاهات التصويت لدى أبناء تلك الثقافات القبلية والعصبية أنها تتسم بالتقليدية أي الثبات النسبي عبر الزمن والميل لتأييد من هو أقرب إلى العشيرة والأهل، إلا أنه من المهم إدراك أن تلك الثقافة تتسم أيضاً بالتقلب النسبي في نفس الوقت، حيث قد ينقلب الموقف رأساً على عقب عندما "يسيئ "المرشح التقليدي تقدير الموقف أو يرتكب تكديراً لرؤوس العائلات فيقرروا تأييد مرشح آخر حتى لو كان على حساب من هو أقرب إلى العشيرة، وفي المجمل، ينبغى إدراك أن هذه الثقافة القبلية لا تناقض العقل واعتبارات المصلحة، فربما يستطيع المرشح "الغريب" إقناع رؤوس العائلات بأفكاره وشخصيته، بعدة وسائل وطرق تكتيكية متنوعة، مما يؤدى إلى تغيير بعض القناعات والاتجاهات، فضلاً عن أنه قد تأثرت الدائرة القبلية بزيادة حجم وتأثير المتعلمين وارتفاع نسب التعليم، وبالتالي تحقيق تجانس أكبر في اتجاهات تصويت القبيلة أو العصبية، حيث أن التعليم وما يؤدي إليه من دفع للوعي السياسي والاجتماعي يجعل بعض أفراد العائلة أو القبيلة أكثر جرأة على "الخروج "عن رأى زعيم العائلة أو القبيلة.

- **<u>الدائرة الجماهيرية: "التعامل مع رأى عام لعوب"</u>:**

ونقطة البدء هنا أنه فى الدائرة الجماهيرية، نجد أن الجماهير تتحرك فى اتجاهات تصويتية غير منضبطة وحركات التفاعل اللحظية بين المرشح والناخبين هي التي ستحدد نمط التصويت لصالحه أو ضده، غير أنه يزداد الأمر صعوبة إذا كان المرشح غير معروف (ولا نقول "غريباً" كما ذكرنا بالنسبة للدائرة القبلية، حيث الكل أغراب في الدوائر الجماهيرية، أو في المراكز الحضرية المزدحمة بوجه عام).

وتشير الملاحظة إلى أنه يفضل الاعتماد في الحملة الانتخابية على وسيلة المؤتمرات الانتخابية، أو التفاعل من خلال المقاهي، أو النوادي الشعبية أو مراكز الشباب، أو أي ساحات للتجمع، ويمكن حالياً الاستفادة من التواصل الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وفي هذا الصدد يثمّن المتخصصون فكرة أن يسبق المندوبون المرشح في الدعاية له في هذه الساحات الجماهيرية من خلال عمل "فرشة " ضرورية للمرشح قبل أن يلتقي مباشرة بالجماهير ليشرح لهم أفكاره الانتخابية، ثم ينبغي أن يستمروا في عمل "تربيط" الرأي العام إلى نهاية يوم الاقتراع، لأنه رأي عام لحظى ومراوغ إلى درجة أنه يوصف بأنه "رأى عام لعوب"، وارتباطاً بذلك، ففي ظل هذا النوع من الدوائر نجد أن فرصة المرشحين جميعاً قد تكون متساوية في التأثير على الناخبين، لكن أكثر المرشحين كثافة وانتشاراً في الدعاية الانتخابية هو الذي

يمكن أن يحصد أكبر عدد من الأصوات.

- **الدائرة الحكومية: "لازم اسمك يسمّع عند الناس:"**

وتشير صفة "الحكومية "في تعبير "الدائرة الحكومية" إلى معنيين في ذات الوقت، أولهما أنها دائرة تكثر فيها المصالح والهيئات الحكومية، وبالتالي يكون أغلب الناخبين فيها من موظفي الهيئات والجهات الحكومية، وثانيهما أن هذه الدوائر تعد من مناطق نفوذ المرشحين من المنتمين إليها.

والحق، أنه فى هذه الدوائر الحكومية غالباً ما تكون اتجاهات التصويت لدى هؤلاء الناخبين الموظفين محسومة لمن تؤيده قياداتهم الوظيفية، فيما نسميه ظاهرة "المرشح الحكومي في الدائرة الحكومية". لهذا، يصبح من الصعب تمتع المرشح المنافس بحرية حركة ومناورة كبيرة في هذه الدوائر.

وارتباطاً بذلك، يعتمد المرشحون في هذه المناطق على اختيار بعض مندوبيهم أو معاونيهم في الحملة من بين هؤلاء الموظفين، لاسيما إذا كان لهم نفوذ أو شعبية أو كانوا من المعروفين للناخبين، مثل النقابيين أو موظفي العلاقات العامة أو قدامى الموظفين أو موظفي الخزانة أو عمال الخدمات وخصوصاً البوفيه، وفي هذا الصدد، يُنصَح المرشح المنافس بضرورة أن يتوسع في استخدام اللافتات الانتخابية والدعاية، حتى يتردد اسمه بين الحين والآخر و"يسمّع عند الناس"، فهذه إشارة أنه منافس قوي.

- **الدائرة التجارية: "مصلحتي وين؟ ":**

يتم النظر إلى هذه الدوائر باعتبارها دوائر مصلحية، أو نفعية في المقام الأول، وهذا شأن الثقافة السياسية السائدة لدى "التجار" عموماً انطلاقاً من الحرص الكبير على "مصدر الرزق" ومن ثمّ، فإن المعيار الأرجح لدى هؤلاء في تحديد اتجاهاتهم التصويتية هو "مصلحتي أين ؟"؟، وتماشياً مع خصوصية الثقافة السائدة في مثل هذه الدوائر يسعى المرشح لاختراقها من خلال التوصل إلى مصلحة مشتركة حقيقية مع التجار ورجال الاعمال او التوجهات الشعبية المصلحية التي تظهر بشكل مكثف قبيل الانتخابات، خصوصاً إذا كانوا من كبار التجار الذين ربما يؤثرون في اتجاهات تصويت أتباعهم، سواء من التجار الأصغر وزناً في السوق أو ممن يعملون لديهم، ويلاحظ في هذا الشأن، صعوبة تحرك المرشح في الدوائر التجارية قبل أن يتمكن من دراسة تحركات خصومه جيداً، ولاسيما في المناطق البعيدة بالدائرة، وأن يراقب عن كثب مضامين ونوعية الوعود والخدمات التي يطرحها المنافسون، وفقاً لمعيار المصلحة المشتركة الذي يؤثر في اتجاهات التصويت لدى أبناء المنطقة التجارية او الشريحة المصلحية او حتى التجمعات المطلبية، ومن هنا فليس من المقبول أن يكرر المرشح ذات الوعود أو الخدمات التي سبق أن أكد عليها خصومه، وإنما يجب عليه البحث عن مجال آخر ونوعية اخرى من الوعود والخدمات والمصالح المشتركة ليستطيع إقناع الناخبين بشخصيته وأفكاره، كما يجب الانتباه عند تقديم الوعود أن تتسم بالمصداقية في تنفيذها، لأن التجار وهكذا المواطن المطلبي او اصحاب المصالح يعون كيفية حل مشكلاتهم جيداً، وإذا بالغ المرشح في الوعود تكون النتيجة عكسية.

الخاتمة:

تطرح هذه الدراسة تساؤلاً رئيساً قوامه: ما دور التسويق السياسي في الحياة السياسية العراقية المعاصرة؟ وينبثق عن هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية تحتية أبرزها: ماذا نقصد بالتسويق السياسي؟

وإلى ماذا يشير مفهوم الحياة السياسية العراقية؟ وما محددات الواقع السياسي العراقي ذات الصلة المباشرة بالتسويق السياسي؟ وكيف توظف المؤسسات السياسية العراقية التسويق السياسي؟ وكيف توظف المرأة والحكومة والأحزاب العراقية التسويق السياسي؟، وارتباطاً بهدف الدراسة المأمول، فقد انشطرت الدراسة إلى ثلاثة مباحث أساسية؛ حيث يتناول أولها الإطار المفاهيمي للدراسة، ويعالج المبحث الثاني الواقع السياسي العراقي بين دروس الماضي وآفاق المستقبل، فيما يستأثر المبحث الثالث بمناقشة التسويق السياسي والانتخابات النيابية العراقية ٢٠٢١: الاستراتيجيات والتكتيكات.

ولعله من المفيد هنا الإشارة إلى أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة، وذلك كما يلي:

- أن مفهوم التسويق السياسي كغيره من المفاهيم الحديثة التي تتنازعها مدارس واتجاهات أكاديمية عدة؛ ولا يوجد اتفاق بين الاتجاهات المختلفة للمفهوم، حيث يركز كل اتجاه على مدخل معين ويضيف إليه بعداً جديداً، إلا أنه يمكن بشكل عام استخلاص ثلاث اتجاهات رئيسة في التعريف به؛ منها اتجاه التسويق التجاري، وهناك اتجاه الاتصال، ثم يأتي اتجاه الحملات الانتخابية، وبعيداً عن بوتقة الاختلافات المرتبطة بطبيعة كل اتجاه بصدد التعريف بمفهوم التسويق السياسي، يظل التسويق السياسي في جوهره مستهدفاً توسيع القبول والتأييد لمنتج سياسي ما لدى مستهلكيه.
- كما انتهت الدراسة أيضاً إلى أن الحياة السياسية العراقية في دراستنا التي بين أيدينا إنما تتمثل في مجموع القوى السياسية الرسمية وتلك غير الرسمية القائمة داخل المجتمع العراقي والتي تتفاعل فيما بينها من خلال الفعل ورد الفعل على نحو يستهدف حدوث حالة من الاتزان، على أن القوى السياسية الرسمية تتمثل في المؤسستين السياسيتين الرسميتين للدولة وهما: المؤسسة التشريعية والمؤسسة التنفيذية، فيما تتمثل القوى السياسية غير الرسمية في الأحزاب السياسية وجماعات الضغط "المصالح" والرأي العام.
- وكذا انتهت الدراسة إلى أن الواقع السياسي العراقي منذ ٢٠٠٣ تلاحظ أن ثمة قضايا رئيسة قد أثرت بهذا الواقع وهي تلك القضايا التي تمثلت في النظام الانتخابي وما يجب أن يحققه من ضرورة ضمان تمثيل جميع الفئات والتيارات السياسية والقوى الاجتماعية الفاعلة، والمكونات الدينية والقومية في السلطة التشريعية، مروراً بطبيعة الانقسامات الحزبية، حيث تركزت محاور الانقسام الواقع السياسي العراقي حول مفهوم الهوية الوطنية والمشروع المستقبلي لكل طائفة وحزب سياسي؛ فالكرد في شمال العراق يرون أن الوضع الحالي يجب أن يمهد لكيان كردي طال انتظاره.
- أن حالة العرب في الواقع السياسي العراقي بات واضحاً من حيث الانقسام السنيّ الشيعيّ الذي صار هو المحور الأساسي في هذا الصدد، فالأحزاب ذات المذهب الشيعي ترى أن العرب يتعاملون معهم بتخوف وعدائية ويدعمون أعمال العنف التي تستهدف الشيعة، مما يدفعهم للتحالف مع إيران. أما الأحزاب السنية فترى أن الأحزاب الشيعية تريد الاستئثار بالحكم وتغيير وجه العراق العربي إلى وجه شيعيّ متحالف مع إيران، مما يدفعهم للتحالف مع القوى العربية

المجاورة لإفشال هذا التوجه، الأمر الذي من شأنه أن يلقي عبئاً ضخماً على عاتق الحكومة العراقية لا سيما في ظل دورها المطلوب منها لاستعادة الثقة المتبادلة بين قوى الحياة السياسية العراقية.

- أن التسويق السياسي من الضرورة بمكان أن يلعب دوراً بارزاً مستقبلاً في الحياة السياسية العراقية المقبلة لما يقدمه هذا العلم من رؤية هامة تستطيع الحكومة العراقية أن تطبقها أملاً في استعادة ثقة المواطن العراقي تجاه السياسة العراقية بكل ما تتضمنه من قوى سياسية متعددة وما يرتبط بذلك من ضرورة سعي الحكومة العراقية وراء دفع المواطن العراقي نحو الالتفاف حول الهوية الوطنية العراقية دون أي بعد انتمائي أو هوياتي آخر.
- التسويق السياسي وسيلة تعزز دور الأحزاب السياسية في الحياة السياسية العراقية وبما تستهدفه عملية التسويق السياسي عموماً من الحرص على جذب المستهلك السياسي (المواطن/الناخب)، وهو ما سيدفع الأحزاب السياسية نحو الإنصات للمواطنين العراقيين لا سيما الأقلية منهم خاصة الشباب والمرأة العراقية، حيث يقوم الحزب السياسي بإجراء بحوث تسويقية عن السوق السياسية المستهدفة للوقوف على رغبات وتطلعات الناخبين أولاً، ثم تأتي الخطوة الثانية والتي تتمثل في تصميم المنتج في إطار نتائج البحوث التسويقية التي تم إجراؤها والتي تعكس رغبات وسلوكيات ومواقف الناخبين، دون التمسك من قبل الأحزاب السياسية بأية أيديولوجية أو قيم معينة في الادارة الرشيدة للحكم.
- لا بد من وضع دليل ونموذج تم استخلاصه من التجارب الأخرى للعمل على تطبيقه في الحياة السياسية العراقية لا سيما في ظل الانتخابات العراقية النيابية ٢٠٢١ المقبلة، علماً بأن مجموعة الاستراتيجات والتكتيكات التي تضمنها الدليل يمكن الاسترشاد بها عموماً بشأن وقوفنا على حرفية ومهارة تكوين الحملة الانتخابية، مروراً بمواصفات فريق الحملة والطريقة التي يمكن خلالها تصميم رسالة وشعار الحملة الانتخابية، إلى جانب كيفية تصميم البرنامج الانتخابي، فضلاً عن الكيفية التي يمكن من خلالها صناعة الصورة الذهنية للمرشح السياسي، وصولاً إلى استراتيجيات التعامل مع الدوائر الانتخابية المختلفة.

الهوامش

[١] روبرت دال، **التحليل السياسي الحديث**، ترجمة علا أبوزيد (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣)، ص ١٥٩.

[2] Al-Istrabadi, Faisal. ,**Sectarian Visions of the Iraqi State: Irreconcilable Differences**, in Social Differences and Constitutionalism in Pan - Asia, Susan H. Williams (New York, Cambridge University Press, 2014), P.52.

[3] you can get this meaning by another words, available at: http://mcsr.net/news32

[1] Ulrich Schneckener**, Making Power Sharing Work: Lessons from Successes and Failures in Ethnic Conflict Regulations** (Journal of Peace Research, Vol. 39, 2002), PP: 205-209.

[5.] Darren Lilleker, Mark Pack, **Political Marketing and the 2015 General Election** (U.S, Palgrave Macmillan, 2016), P.3.

[6.] Jennifer Less Marshment, **The Marriage of Politics and Marketing** (Political Studies, Vol. 49, 2001), P. 694.

[٧] رجب عيد أبوزيد، **صناعة صورة المرشح في حملات التسويق السياسي** (مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، العدد ٧١، ٢٠١٩)، ص ٢.

[٨]. علاء الدين بسيوني الرميلي، **التسويق السياسي: الانتخابات الرئاسية والتشريعية المصرية عام ٢٠٠٥ نموذجاً** (رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية التجارة وإدارة الأعمال، جامعة حلوان ٢٠١٠)، ص ص: ٤٢ – ٤٣.

[9.] Margaret Scammell**, Political Marketing: Lessons for Political Science (U.K: Blackwell publishers, 1999),** P. 724.

[١٠]. محمد سعد أبو عامود، **التسويق السياسي وإدارة الحملات الانتخابية** (الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٨)، صـ ١٤.

[11.] Jennifer Less- Marshment, & D. Lilleker, **Political Marketing and Traditional Values: Old Labour for new Times** (U.s, Contemporary Politics, Vol. 7, 2001), P.200.

[12.] Baines, P. R., **Public Relations and Marketing are Less Important Than Policy Development and political Leadership** (Journal of Public Affairs, 2004, No.3-4), P. 303.

[13.] O`Cass, A, **Political Marketing in Times of Discontinuous Change,** Proceedings of the Academy of Marketing Conference (Manchester Metropolitan University, 1997), P.5.

[١٤] السيد عليوة، **التسويق السياسي والاجتماعي** (القاهرة، الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، سبتمبر ٢٠٠٥)، صـ٦.

[15.] Butler, Collins, N, **Political Marketing: Structure and Process** (European Journal of Marketing, Vol. 28, 1994), P.19.

[16.] Philip Kotler ,**Overview of political Candidate Marketing**, Ailable at: https://www.acrwebsite.org/volumes/5800/volumes/v02/NA-02

[١٧] هناء فاروق صالح، **دور الإعلام في تشكيل الصورة الذهنية للمنظمات الإقليمية والدولية لدى الرأي العام المصري** (أطروحة دكتوراه في الإعلام، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠٥)، ص ص: ٥٤–٥٥.

[18.] Alex Marland, **op. cit**., P.15.

[19.] Stephan C. M Hennberg, **Political Marketing Theory: Hendiadyoin or Oxymoron (**London University of Bath School of Management, Working Paper Series, 2004), P. 22.

[٢٠] هناء فاروق صالح، **مرجع سبق ذكره**، ص ص: ٥٥–٦٥.

٢١. راسم محمد الجمال، خيرت معوض عياد، **مرجع سبق ذكره**، صـ ٢٢.

[22.] Dann, S and Hughes, a, **op. cit.,** P. 49.

[٢٣] جينيفر ليز مارشمنت، **التسويق السياسي: المبادئ النظرية والتطبيقية**، ترجمة سامي عبد العزيز (القاهرة، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ٢٠١٨)، ص ٦٠.

[٢٤] **المرجع السابق**، ص ٦٢.

[٢٥] هـ. ش. شرودر، ج.م. كنتريك، د. دافيد، **التسويق السياسي**، ترجمة علي مقلد (بيروت، دار مشر منشورات عويدات، ١٩٨٩)، ص ٢٥.

[26.] Shana, A, **The Marketing of Political Candidates** (Journal of the Academy of Marketing Science,Vol. 4 No. 4), P. 32.

[27.] Newman, B, **Editorial: Broadening the Boundaries of Marketing: Political Marketing in the New Millennium** (Psychology and Marketing, Vol. 19, No. Dec), PP: 983- 986.

[٢٨] راسم محمد الجمال، خيرت معوض عياد، **مرجع سبق ذكره**، صـ ٢٤.

[٢٩] رجب عيد أبوزيد، التسويق السياسي: دراسة في النشأة والمدارس ومجالات التطبيق، **مرجع سبق ذكره**، ص ٧٢.

[٣٠] محمد طه بدوي، آخرون، **مدخل إلى العلوم السياسية** (الإسكندرية، مكتبة فاروس العلمية، ٢٠١١)، ص ٣٠٩.

[٣١] **المرجع السابق**، ص ٣١٠.

[٣٢] موريس ديفرجيه، **الأحزاب السياسية**، ترجمة علي مقلد، عبد المحسن سعد (القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١)، ص ص: ٢١٠–٢١٢.

[٣٣] **المرجع السابق**، ص ٢١٤.

[٣٤] مازن حسن، **الاتجاهات الحديثة في دراسة الأحزاب السياسية** (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠١٤)، ص ص: ١١–١٣.

[٣٥] راجع في ذلك: محمد طه بدوي، **مرجع سبق ذكره**، ص ص ٣١٢–٣١٣.

[٣٦] موريس ديفرجيه، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣١٥.

[٣٧] ثامر كامل الخزرجي، **النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة: دراسة معاصرة في استراتيجية إدارة السلطة** (عمان، دار مجدلاوي، ٢٠٠٤)، ص ٢١٦.

[٣٨] حامد ربيع، **مقدمة في نظرية الرأي العام** (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧)، ص ص: ٥١-٥٢.

[٣٩] فاروق يوسف، **الرأي العام** (القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٨٧)، ص ص: ١٩-٢٢.

[40] Available at: https://raseef22.net/article/1654-%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9%84-%D9%85%D8%A8%D8%B3%D9%91%D8%B7-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7

[٤١] **الاستبعاد السياسي في الأحزاب السياسية العراقية: كيف تسعى النساء، والشباب، والمكوّنات إلى تغيير السياسة**، متاح على: المعهد الديمقراطي الوطني للشؤون الدولية ٢٠٢٠ www.ndi.org

[٤٢] وسام شاكر السراي، **تعزيز الممارسات الديمقراطية داخل الأحزاب السياسية في العراق** (مركز البيان للدراسات والتخطيط، برنامج سياسات العراق، ٢٠٢٠)، ص ٤.

[٤٣] سامي عبد العزيز، **التسويق الاجتماعي والسياسي من الصابونة إلى الرئيس** (القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠١٣)، ص ص: ٢٦٥-٢٧٢.

44.Jennifer Less Marshment**, Marketing Good Works: New Trends in How Interst Groups Recruit Supporters** (Journal of Public Affairs, Vol.3, 2002), PP: 358-370.

[45] Jennifer Less- Marshment, **American Political Marketing: George W. Bush and The Republican Party** (Scotland, Paper presented to the annual meeting of the Political Studies Association, University of Aberdeen, April 5-7, 2002), P.3.

[46] Jennifer Less-Maeshment, **Marketing Scholars and Political Marketing: the Pragmatic and Principled Reasons For Why Marketing Academics Should Research the Use of Marketing in the Political Arena**, (Customer Needs and Solutions, February 2019) P.1, See This Link: https://doi.org/10.1007/s40547-019-0091-0.

[47] Jennifer Less - Marshment**,** Routledge Handbook of Political Marketing, **op. cit.,** P. 194.

[48] Jennifer Less- Marshment, American Political Marketing: George W. Bush and The Republican Party**, op. cit**., P. 7.

[٤٩] محمد سعد أبو عامود، **مرجع سبق ذكره**، صـ ٩٩.

[50] Stephen Mills**, The Party official as Political marketer** (London, Routledge of Political Marketing, 2015), P.197

[51] Paul R. Baines, Phil Harris, Barbara R. Lewis, **op, cit.**, P.12.

[٥٢] نوال فرقش، **دور التسويق السياسي في تحسين أداء المنظمة السياسية: دراسة حالة عينة من الأحزاب السياسية الجزائرية** (الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، أطروحة دكتوراه في علوم التسيير، ٢٠١٦)، ص ١٢٢.

[٥٣] تم الاعتماد بشكل أساسي في هذا الجزء الخاص بمفهوم الحملة الانتخابية ومواصفات فريق الحملة الانتخابية والاختصاصات المتعددة للفريق على: رجب عيد أبوزيد، **مرجع سبق ذكره**، ص ص: ١٠٠- ١٠٥.

[٥٤] للمزيد من التفاصيل بشأن رسالة وبرنامج الحملة الانتخابية يمكن الرجوع إلى:

كريم عبد الرازق، **استونا في البرلمان: دليل الشباب للحملات الانتخابية** (مصر، وزارة الشباب والرياضة، ٢٠٢٠)، ص ص: ٣٦-٤٧.

[٥٥] يعتمد هذا الجزء الخاص باستراتيجيات التحرك في الدوائر الانتخابية على دليل وزارة الشباب والرياضة المصرية، مع إعادة تكييف المفاهيم وفقاً لخصوصية الواقع العراقي، أنظر بصدد ذلك: كريم عبد الرازق، **مرجع سبق ذكره**، ص ص:٦١-٧٨.

قائمة المصادر

أولاً – باللغة العربية:

-وسام شاكر السراي، تعزيز الممارسات الديمقراطية داخل الأحزاب السياسية في العراق (مركز البيان للدراسات والتخطيط، برنامج سياسات العراق، ٢٠٢٠).

-نوال فرقش، دور التسويق السياسي في تحسين أداء المنظمة السياسية: دراسة حالة عينة من الأحزاب السياسية الجزائرية (الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، أطروحة دكتوراه في علوم التسيير، ٢٠١٦).

-علي عدنان، هل تنجح الانتخابات العراقية المقبلة في ترميم ثقة المواطن بالنظام السياسي: قراءة في نتائج استطلاعات الرأي (مركز البيان للدراسات والتخطيط، قسم الأبحاث، ٢٠٢١).

-روبرت دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة علا أبوزيد (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣).

-رجب عيد أبوزيد، صناعة صورة المرشح في حملات التسويق السياسي (مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، العدد ٧١، ٢٠١٩).

-رجب عيد أبوزيد، التسويق السياسي: دراسة في النشأة والمدارس ومجالات التطبيق (المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقنصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، العدد ١٠، ٢٠٢٠).

-علاء الدين بسيوني الرميلي، التسويق السياسي: الانتخابات الرئاسية والتشريعية المصرية عام ٢٠٠٥ نموذجاً (رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية التجارة وإدارة الأعمال، جامعة حلوان ٢٠١٠).

-محمد سعد أبو عامود، التسويق السياسي وإدارة الحملات الانتخابية (الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٨).

-السيد عليوة، التسويق السياسي والاجتماعي (القاهرة، الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، سبتمبر ٢٠٠٥).

-هناء فاروق صالح، دور الإعلام في تشكيل الصورة الذهنية للمنظمات الإقليمية والدولية لدى الرأي العام المصري (أطروحة دكتوراه في الإعلام، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠٥).

-جينيفر ليز مارشمنت، التسويق السياسي: المبادئ النظرية والتطبيقية، ترجمة سامي عبد العزيز (القاهرة، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ٢٠١٨).

-هـ. ش. شرودر، ج.م. كنتريك، د. دافيد، التسويق السياسي، ترجمة علي مقلد (بيروت، دار مشر منشورات عويدات، ١٩٨٩).

-محمد طه بدوي، آخرون، مدخل إلى العلوم السياسية (الإسكندرية، مكتبة فاروس العلمية، ٢٠١١).

-موريس ديفرجيه، الأحزاب السياسية، ترجمة علي مقلد، عبد المحسن سعد (القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١).

-مازن حسن، الاتجاهات الحديثة في دراسة الأحزاب السياسية (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠١٤).

-ثامر كامل الخزرجي، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة: دراسة معاصرة في استراتيجية إدارة السلطة (عمان، دار مجدلاوي، ٢٠٠٤).

-حامد ربيع، مقدمة في نظرية الرأي العام (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧)، ص ص: ٥١-٥٢.

-فاروق يوسف، الرأي العام (القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٨٧).

-سامي عبد العزيز، **التسويق الاجتماعي والسياسي من الصابونة إلى الرئيس** (القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠١٣).

-كريم عبد الرازق، **استنونا في البرلمان: دليل الشباب للحملات الانتخابية** (مصر، وزارة الشباب والرياضة، ٢٠٢٠).

-مازن حسن، **استمرار الضعف: تغير الخريطة الحزبية والتحالفات الانتخابية** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥).

-عقيل عباس، **الأقلية والأغلبية وتزييف الديمقراطية في العراق**، متاح على:
https://www.skynewsarabia.com/blog/1349825-
%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%94%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%A9-
%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%94%D8%BA%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A9-
%D9%88%D8%AA%D8%B2%D9%8A%D9%8A%D9%81-
%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D8
%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82

-سربست مصطفى رشيد آميدي، **أنواع النظم الانتخابية والعراق نموذجاً: دراسة تحليلية مقارنة**، متاح على:
www.pdffactory.com

-علي أديب، **دليل مبسط للتعرف على السياسة في العراق**، متاح على: https://raseef22.net/article/1654-
%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9%84-%D9%85%D8%A8%D8%B3%D9%91%D8%B7-

%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7

-**الاستبعاد السياسي في الأحزاب السياسية العراقية: كيف تسعى النساء، والشباب، والمكوّنات إلى تغيير السياسة**، متاح على: المعهد الديمقراطي الوطني للشؤون الدولية ٢٠٢٠ www.ndi.org

-https://raseef22.net/article/1654-%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9%84-%D9%85%D8%A8%D8%B3%D9%91%D8%B7-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7

-شيماء الكيالي، **معالجة العزوف عن المشاركة في الانتخابات العراقية**، متاح على: https://www.bayancenter.org/wp-content/uploads/2021/04/989733.pdf

-علي السويعدي، ٨٣ دائرة انتخابية: هل تسقط الأحزاب الكبيرة في العراق؟، متاح على: https://al-ain.com/article/iraq-parties

-**تعزيز المشاركة السياسية للمرأة في العراق**، متاح على:

https://www.ifes.org/sites/default/files/gender_analysis_of_iraqs_electoral_and_political_process_arabic_october_2019.pdf

ثانياً – باللغة الأجنبية:

1. Margaret Scammell, Political Marketing: Lessons for Political Science (U.K: Blackwell publishers, 1999).
2. Jennifer Less Marshment, The Marriage of Politics and Marketing (Political Studies, Vol. 49, 2001).
3. Jennifer Less Marshment, Marketing Good Works: New Trends in How Interst Groups Recruit Supporters (Journal of Public Affairs, Vol.3, 2002).
4. Al-Istrabadi, Faisal. ,Sectarian Visions of the Iraqi State: Irreconcilable Differences, in Social Differences and Constitutionalism in Pan - Asia, Susan H. Williams (New York, Cambridge University Press, 2014).
5. -you can get this meaning by another words, available at: http://mcsr.net/news32
6. -Ulrich Schneckener, Making Power Sharing Work: Lessons from Successes and Failures in Ethnic Conflict Regulations (Journal of Peace Research, Vol. 39, 2002).
7. -Darren Lilleker, Mark Pack, Political Marketing and the 2015 General Election (U.S, Palgrave Macmillan, 2016).
8. -Robert M. Worcester, Marketing Excellence Drivers of Marketing Excellence: where does trust fit it? (Lecture in Academy of Marketing Conference, Middlesex University Business School, 2006), see this/ www.Mori.com
9. -Paul Baines, Ross Brennan, Academy of Marketing Conference 2006 "Marketing Excellence" (Journal of Marketing Management, Vol. 22, 2006).
10. -Jennifer Less- Marshment, American Political Marketing: George W. Bush and The Republican Party (Scotland, Paper presented to the annual meeting of the Political Studies Association, University of Aberdeen, April 5-7, 2002).
11. -Jennifer Less-Maeshment, Marketing Scholars and Political Marketing: the Pragmatic and Principled Reasons For Why Marketing Academics Should Research the Use of Marketing in the Political Arena, (Customer Needs and Solutions, February 2019) P.1, See This Link: https://doi.org/10.1007/s40547-019-0091-0.
12. -Jennifer Less- Marshment, American Political Marketing: George W. Bush and The Republican Party, op. cit.
13. -Stephen Mills, The Party official as Political marketer (London, Routledge of Political Marketing, 2015).

14. -Harith Hasan, Is Iraq a Consociational State? Power - Sharing
15. and its Shortcomings in Post - 2003 Political Process, Available at: https://platform.almanhal.com/Files/2/99657
16. -Katz, Richard, Peter, Mair, Changing Models of Party Organization and Party Democracy: The Emergence of the Cartel Party (Party Politics, Vol. 11, 2001).
17. -Shana, A, The Marketing of Political Candidates (Journal of the Academy of Marketing Science,Vol. 4 No. 4).
18. −Newman, B, Editorial: Broadening the Boundaries of Marketing: Political Marketing in the New Millennium (Psychology and Marketing, Vol. 19, No. Dec).
19. −Ulrich Schneckener, Making Power Sharing Work: Lessons from Successes and Failures in Ethnic Conflict Regulations (Journal of Peace Research, Vol. 39, 2002).
20. -Jennifer Less- Marshment, & D. Lilleker, Political Marketing and Traditional Values: Old Labour for new Times (U.s, Contemporary Politics, Vol. 7, 2001).
21. -Baines, P. R., Public Relations and Marketing are Less Important Than Policy Development and political Leadership (Journal of Public Affairs, 2004, No.3-4).
22. -O`Cass, A, Political Marketing in Times of Discontinuous Change, Proceedings of the Academy of Marketing Conference (Manchester Metropolitan University, 1997).
23. -Butler, Collins, N, Political Marketing: Structure and Process (European Journal of Marketing, Vol. 28, 1994).
24. -Philip Kotler ,Overview of political Candidate Marketing, Ailable at:
25. https://www.acrwebsite.org/volumes/5800/volumes/v02/NA-02
26. -Stephan C. M Hennberg, Political Marketing Theory: Hendiadyoin or Oxymoron (London University of Bath School of Management, Working Paper Series, 2004).

صورة الرسول محمد (ص) قبل المبعث كما رآها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية

The image of the Prophet Muhammad before the mission, as seen by Ibn Katheer In his book The Beginning and the End.

الباحث: عباس خنجر عكلة/طالب دراسات عليا
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

ا.د رياض عبد الحسين راضي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

The Holy Prophet had and continues to have a great influence around the world, and because of this influence his biography received great attention from the old and the modern, so they started writing about all the joints of the biography, but their writings were based on their religious and political affiliations, as well as the intellectual milieu in which they lived. Within this vision, our research entitled (The Image of the Messenger Muhammad before the Resurrection as Ibn Katheer saw it in his book The Beginning and the End) came to be the focus of this study. The works written by Ibn Katheer and in various arts, and this matter is also witnessed by many ancient and modern scholars. As for the temporal framework on which the research is focused and determined, it is also important, and we mean by it the life of the Noble Messenger before the resurrection, and it was and still is a fertile field for researchers because what came to us About that period is not commensurate with what was known about the Messenger after the resurrection, for reasons that may be known and others that are still unknown.

The research, by its nature, aims to clarify the picture that Ibn Katheer drew about the Messenger Muhammad during that period of his life and according to his intellectual system in which he believed, his social affiliation, and his personal status, because these matters are important in the study of Islamic history, because the transmission of facts undoubtedly remains affected. It then reflects on the nature of the truth that reaches us, and the topic was designed by focusing on certain elements of the life of the Messenger before the mission that Ibn Kathir himself had adopted in creating his visions about it, the most important of which was: lineage and everything related to it, and what was said about the Messenger Muhammad In the Jewish and Christian histories before he was born, and among the other elements that were focused on are: birth, custody, upbringing, marriage, etc., as well as an explanation of all that permeates these elements - as stations in the life of the Messenger - from the events he was exposed to. As for the treatment It focused on how Ibn Katheer employed these elements in drawing a picture of that period of the Prophet's life.

الملخص

كان وما زال للرسول الاكرم تأثيره الكبير في ارجاء المعمورة، وبسبب هذا التأثير حظيت سيرته باهتمام كبير من القدامى والمحدثين، فاخذوا يكتبون عن كل مفاصل السيرة، لكن كانت كتاباتهم تنطلق من انتماءاتهم الدينية والسياسية، فضلا عن الوسط الفكري الذي عاشوا فيه. ضمن هذه الرؤية جاء بحثنا المعنون (صورة الرسول محمد قبل المبعث كما رآها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية) ليكون محورا لهذه الدراسة ، الموضوع بتكوينه بني على رؤية شخصية مشهود بعلميتها بين علماء المسلمين ونعني به ابن

كثير، وعلى مصنف عرف انه الأهم من بين كل المصنفات التي كتبها ابن كثير وفي مختلف الفنون ، وهذا الامر هو الاخر شهد به الكثير من العلماء القدامى والمحدثين، اما الاطار الزماني الذي تركز عليه البحث وتحدد به فهو الأخر هام ونقصد بها حياة الرسول الاكرم قبل المبعث، وهو كان ومازال مجالا خصبا للباحثين لكون ما جاءنا عن تلك المدة لا يتناسب مع ما عرف عن الرسول بعد المبعث لأسباب قد تكون معروفة وأخرى لازالت مجهولة .

البحث بطبعته هدف الى بيان الصورة التي رسمها ابن كثير عن الرسول محمد في تلك المدة من حياته وعلى وفق منظومته الفكرية التي كان يؤمن بها ، وانتمائه الاجتماعي ، ووضعه الشخصي ،لان هذه الامور هامة في دراسة التاريخ الإسلامي ، لان نقل الوقائع ومن دون شك يبقى متأثرا بها ومن ثم ينعكس على طبيعة الحقيقة التي تصلنا، وقد تم تصميم الموضوع عبر التركيز على عناصر معينة من حياة الرسول قبل المبعث كان قد تبناها ابن كثير نفسه في خلق رؤياه عنها ، كان من أهمها : النسب وكل ما يتعلق به ، وما قيل عن الرسول محمد في التواريخ اليهودية والمسيحية قبل ان يولد، ومن العناصر الأخرى التي تم التركيز عليها هي: المولد، والحضانة ،والنشأة ، والزواج وغيرها ، فضلا عن بيان كل ما تتخلل تلك العناصر . بوصفها محطات في حياة الرسول – من احداث كان قد تعرض لها ، اما المعالجة فقد ركزت على الكيفية التي وظّف فيها ابن كثير تلك العناصر في رسم صورة تلك المدة من حياة الرسول .

كلمات مفتاحية: (الرسول محمد (ص)، ابن كثير، النسب الشريف للرسول، مولده ونشأته، خلقه الرفيع).

المقدمة .

ابن كثير أحد أبرز المصنفين المسلمين وكان له باع طويلة في رفد المكتبة الاسلامية بمختلف صنوف المعرفة فهو رجل موسوعي كتب في التاريخ والفقه والحديث والتفسير واللغة وغيرها من صنوف المعرفة، وبفضل إنجازاته العلمية نال شهرة في الأوساط العلمية فدرسه باحثون كثر على مستوى السيرة والمنهج، وبفضل موسوعيته العلمية ترك ابن كثير تراثا ضخما ،يذكر انها تربو على ستين كتابا[1] لكن على الرغم من كثرة مؤلفاته يبقى كتابه (البداية والنهاية في التاريخ) يحتل المرتبة الأولى من بين تلك المؤلفات وقد تناول فيه تاريخا عاما للبشر منذ بدأ الخليفة وحتى وقته، فقد شمل بطبيعة الحال حقب عدة من التاريخ البشري وكان للتاريخ الإسلامي حضورا كبيرا في كتابه المذكور في انفا، وفي التاريخ الإسلامي الذي تناوله ابن كثير كان لسيرة الرسول محمد الحضور الاوفر دلت عليه المجلدات التي خصصها لها، والتي تعد الستة مجلدات حسب الطبعة المستعملة منا. فهو بهذا التخصيص كان قد تناول سيرة الرسول بشكل مفصل وبكل مفاصلها، فاق اقرانه من المصنفين المسلمين السابقية واللاحقين، ولما كانت حياة الرسول الاكرم قبل المبعث تعد من المراحل التي تحدث عنها المصنفين المسلمين قليلا، بخلاف ابن كثير التي حاول ان يجمع كل ما وجدت مدونا في وقته عن تلك المرحلة، لكي يكمل به صورة الرسول الاكرم التي تناولها بشكل مفصل في كتابه موضوع البحث.

ضمن هذه الرؤية انصب بحثنا على التركيز على حياة الرسول قبل المبعث النبوي، لكن من المفيد ان ننبه ان هدفنا ليس كتابة تاريخ السيرة المحمدية في تلك المرحلة من حياته، لان هذا الامر بحث

من باحثين كثر، بل عملنا هنا يقتصر على الكيفية التي نظر بها ابن كثير لمحمد قبل ان يبعث نبيا في مرحلة كان يعيش فيها العرب في ظل مجتمع اللادولة.

ضمن هذا المحتوى سيكون عملنا مركزا مقاس الزاوية التي نظر منها ابن كثير الى الشخصية المحمدية، ومن دون شك على وفق ميول ابن كثير الدينية والسياسية بوصفه مسلما ويؤيد السياسية المملوكية.

جاءت تغطية الموضع في عدد من المفردات سياتي عرضها تباعا، وقد شكلت في مجموعها إجابة لمجموعة من الأسئلة المنهجية، وتلك الاجابة كونت بالمحصلة النهائية الصورة التي رسمها ابن كثير عن شخصية الرسول الاكرم في تلك المرحلة من حياته وعلى وفق رؤيته الخاصة به، ومن اهم تلك الأسئلة هي: ما العناصر التي ركز عليها في تكون مواد تلك الصورة، وما اهم الأسس التي بنى عليها في رسم الصورة، ولماذا تبنى تلك الأسس؟

أولا – النسب

أكد ابن كثير في تناوله نسب رسول الله على نقاط هامة فيه وهي كالتالي:

١.اصالة النسب وتقديم الشواهد على اثبات صحته.

تتبع ابن كثير نسب الرسول الى أبي البشر ادم، وقد أورد هذا المدرج في عدة محطات حين تحدث عن الأنبياء متتبعا سلسل المدرج من ادام حتى الرسول محمد، وهذا المدرج هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار[٢] بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم[٣] بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح[٤]بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم[٥]، وحتى يؤكد اصالة نسب رسول الله بصورة ادق، وفي ضوء المعطيات التاريخية المتوافرة، تتبعه بتفصيل اكثر من الجد الأعلى المتعارف عليه بين العرب ونعني به عدنان حتى الرسول محمد، وسنركز على اجداد الرسول في مدرج النسب الذي ذكرناه انفا من عدنان صعودا – اذ عدينا عدنان الجد رقم عشرون –حتى جده الأول عبد المطلب، وهذا ما عمل عليه ابن كثير حسب ما توفر له من معطيات، ولان السلسلة الممتدة من الجد الأعلى عدنان وحتى الجد عبد المطلب وبحسب قول ابن كثير هي محل اتفاق بين علماء الانساب[٦] بالضد من السلسلة الممتدة من عدنان الى ادم[٧].

على أي حال بهذا الشأن ذكر ابن كثير ان عدنان ولد له ولدان، هما: معد وعك [٨]، ومعد هو جد الرسول التاسع عشر بعد عدنان ، ومعد كان له أربعة أولاد هم : نزار وقضاعة وقنص وإياد[٩] ، ونزار هو جد الرسول الثامن عشر ، وكان له ربيعة ومضر وأنمار واياد[١٠] ، ومضر الجد السابع عشر والذي كان له إلياس وعيلان، والياس جد الرسول السادس عشر الذي وولد مدركة وطابخة وقمعة[١١] ، ومدركة جد الرسول الخامس عشر الذي ولد خزيمة وهذيلا وخزيمة جد الرسول الرابع عشر وله من الأولاد كنانة وأسدا وأسدة والهون، وكان كنانة جد الرسول الثالث عشر الذي ولد النضر ومالكا وعبد مناة وملكان[١٢]،

وكان النضر جد الرسول الثاني عشر وهو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، وهذا ما ذهب اليه ابن كثير بقوله ير: ويقال: فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزبير بن بكار ومصعب الزبيزي، وان أبا عبيد قال: ان رأي ابن عبد البر – والذي عليه الأكثرون – أنه النضر بن كنانة ؛ لحديث الأشعث بن قيس ويقول ابن كثير: وهو الذي نصا عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأبو عبيد معمر بن المثنى وقد عزز ابن كثير هذا الامر بالبخاري بوصفه احد اهم كتب الصحاح حسب ما يرى فقد نقل حديثا مرويا عن كليب بن وائل قال: "**قلت لربيبة النبي صلى الله عليه وسلم – يعني زينب في حديث ذكره: أخبريني عن النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مضر؟ قالت: فممن كان إلا من مضر؟ من بني النضر بن كنانة**" [١٣] وأيضا ذكر عن الطبراني بانه قال : ثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجفشيش الكندي قال: "**جاء قوم من كندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنت منا وادعوه، فقال: لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا، نحن ولد النضر بن كنانة**"[١٤] وأضاف ابن كثير أيضا رواية عن احمد بن حنبل قال فيها: حدثنا بهز وعفان قالا: ثنا حماد بن سلمة قال: ثني عقيل بن أبي طلحة، وقال عفان: عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن الهيصم عن الأشعث بن قيس أنه قال "**أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة قال عفان: لا يروني أفضلهم قال فقلت: يا رسول الله إنا نزعم أنكم منا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو البداية أمنا ولا ننتفي من أبينا**"[١٥] وذكر ان احمد بن حنبل قال: فقال الأشعث بن قيس: "**فوالله لا أسمع أحدا نفى قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد**" [١٦]واكد ابن كثير ان هذا الحديث رواه أيضا ابن ماجه من طرق عدة عن حماد بن سلمة[١٧] ، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله :" **وهذا إسناد جيد قوي وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفات إلى قول من خالفه**"[١٨] ثم يتابع ابن كثير اثبات واقعية النسب المحمدي، فيذكر ان النضر ولد مالكا ويخلد، ومالك جد الرسول الحادي عشر، الذي ولد فهر، وفهر جد الرسول العاشر وله من الولد غالبا ومحاربا والحارث وأسدا، وغالب جد الرسول التاسع والذي ولد لؤي وتيم [١٩] ، ولؤي جد الرسول الثامن، وله من الولد أربعة نفر هم: كعبا وعامرا وسامة وعوفا[٢٠]، وولد كعب جد الرسول السابع ثلاثة كل من : مرة وعديا وهصيصا، وولد مرة جد الرسول السادس ثلاثة أيضا هم: كلاب وتيم ويقظة، وولد كلاب جد الرسول الخامس رجلين هما: قصي وزهرة [٢١] ،وقصي هو جد رسول الله الرابع، وكان له من الولد أربعة نفر : عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبدا، وكان عبد مناف جد الرسول الثالث له من الولد أربعة نفر هم : نوفل وهاشما وعبد شمس والمطلب، ولد هاشم جد الرسول الثاني أربعة نفر هم: عبد المطلب وأسدا وأبا صيفي ونضلة والشفاء [٢٢] ،وولد عبد المطلب جد الرسول الاول عشرة نفر هم: العباس وحمزة وعبد الله وأبو طالب والزبير والحارث وجحل والمقوم وضرار وأبو لهب[٢٣] وعبد الله هو والد الرسول الاكرم[٢٤] . وذكر ان النسب حتى الجد عدنان هو محل اتفاق بين العلماء[٢٥] وقد عزز رأيه برواية نقلها عن الطبري فيها يتحدث الرسول الاكرم عن انتسابه الى عدنان بقوله: " **أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن**

قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار"[٢٦] كما انه في حالة نسب عدنان الى ادم قال انه لاشك انه يعود الى سلالة الأنبياء وان اختلف الرواة في عدد الإباء بينه وبين ادم لكن يبقى انه من ولد نبي الله إسماعيل[٢٧].

واثباتا لأصالة النسب وبيان انه معروف ومشهور بين الناس حرص ابن كثير ان يورد أيضا أسماء الاخوات في مدرج نسب الرسول فضلا عن الأمهات فكان يذكر فلان وفلان من ام وفلان وفلان من ام أخرى، لكن اقتصرنا على الأولاد فقط لعدم اثقال المتن بالتفاصيل كما انه اثباتا لواقعية الأسماء الواردة في مدرج النسب حرص ابن كثير على ذكر احداث وتفاصيل تتعلق بحياة اجداد النبي لاسيما من جده عدنان حتى عبد المطلب، لكن كانت بتفاصيل اكثر حين يبدأ الكلام عن جده قصي نزولا الى جده عبد المطلب، حتى عرج على اصل تسميات بعضهم وقد تجنبنا الخوض في تلك التفاصيل لعدم الخروج عن مقصدنا هنا وهو بيان تركيز ابن كثير اثبات واقعية سلسلة مدرج نسب الرسول. وتعزيزا منه في اثبات تاريخية الأسماء لاسيما في الدائرة القريبة جدا من الرسول محمد ذكر ابن كثير مدافن جده هاشم واخوته فقال: " **فإن هاشما مات بغزة من أرض الشام، وعبد شمس مات بمكة، ونوفلا مات بسلمان من أرض العراق، ومات المطلب – وكان يقال له: القمر لحسنه – بردمان من طريق اليمن**"[٢٨].

نخلص مما تقدم على حرص ابن كثير وهو يقدم صورة الرسول الاكرم على اثبات تاريخية النسب وواقعتيه لإزله كل الشكوك التي كانت تثار حول ارومة الرسول، وفي تعامله مع مدرج النسب حرص الكلام بالمنطق والعقل لذلك رأيناه لا يدعي شيء ولا يقبل ما هو خارج المنطق والعقل مثل ما تعامل من سلسلة النسب من عدنان حتى الرسول الاكرم لكن الامر كان قد اختلف حين سرد سلسلة النسب الممتدة من عدنان حتى ادم ، وهذا نابع من حرصه على تقديم صورة معقولة، والتي كانا حريصا على ان يعززها بشواهد تاريخية واحاديث عن الرسول الاكرم تلك الاحاديث هي الأخرى كان حريصا على اثبات صحتها واراد منها ان تكون دليلا لما يتحدث به عن الرسول بوصفها شواهد لا يرقى لها الشك لصدورها عن الرسول الاكرم. وحرصه على تقديم صورة غير مثيرة للجدل كان قد أولى عناية في حسم قضية انتماء الرسول الى النضر بن كنانة.

٣. النسب الشريف.

ذكر ابن كثير في هذه النقطة ما يدلل على رفعة وشرف الرسول الاكرم فقال:لا خلاف أن عدنان من سلالة إسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام[٢٩]، وعن ابن عباس عن الرسول قوله : " ... **صفتي مُهدي لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام عهدي، وبشر في التوراة والإنجيل ذكري وبين كل نبي صفتي تشرق الأرض بنوري والغمام لوجهي ...**" [٣٠]

وفي هذا السياق ينقل أيضا عن مسلم في صحيحه، من حديث أبي عمر والأوزاعي قال: حدثني شداد أبو عمار حدثني واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**"[٣١]

وذكر ابن كثير ان ابا عمر ابن عبد البر قال: " **بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله صلى الله عليه**

وسلم، وبنو هاشم فخذه، وبنو عبد مناف بطنه، وقريش عمارته، وبنو كنانة قبيلته، ومضر شعبه"[٣٢] وفي سياق شرف النسب ورفعته نقل أيضا عن ابن هشام قوله في رسول الله بانه : " **أشرف ولد آدم حسبا، وأفضلهم نسبا، من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين**"[٣٣] وعزز ذلك أيضا برواية نقلها عن مسلم الذي يرويها عن الأوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**" [٣٤] وتأكيدا لشرف نسب رسول الله استشهد ابن كثير[٣٥] بقوله تعالى " **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ... "[٣٦] وابرازا لرفعة النسب المحمدي استشهد ابن كثير برواية تتحدث عن حوار دار بين هرقل(٦١٠ – ٦٤١م)ملك الروم أبا سفيان(ت٣١هـ) وفيه سأل هرقل أبا سفيان عن صفات الرسول وقد جاء فيه: " **كيف نسبه فيكم؟ قال [اي أبو سفيان]: هو فينا ذو نسب. قال: كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها. يعني: في أكرمها أحسابا، وأكثرها قبيلة**"[٣٧] ويذكر ما يعزز شرفية النسب عن والبخاري ومسلم فعن الأول يذكر حديث عن رسول الله جاء فيه: "**بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه**"[٣٨] اما عن الثاني فينقل قول الرسول الاكرم: "**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**"[٣٩] وفي السياق نفسه ينقل عن الإمام أحمد في حديث مسند جاء فيه ان الرسول قال عن نفسه: " **أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا، وخيركم نفسا**" [٤٠]، كما يسوق ابن كثير في الامر نفسه عن العباس بن عبد المطلب قول الرسول الاكرم والذي جاء فيه : "**إن الله يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم لما فرقهم قبائل جعلني في خيرهم قبيلة، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا**"[٤١] وحرص ابن كثير على ايراد كل ما يجده من شواهد تدلل وتعزز شرف النسب لرسول الله ويضيف في هذا الشأن قول الرسول : " **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**"[٤٢] وقول الرسول في الشأن نفسه : " **قال لي جبريل: قلبت الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم**"[٤٣] وعلى قول الرسول هذا يعلق ابن كثير دعما لذلك حين يستشهد بأبيات شعر لابي طالب جاء فيها :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخرة فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذواء وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها[٤٤]

ويسوق ابن كثير ما جاء في خطبة الوادع والتي أشار فيها الى شرف ارومته حين تحدث عن الاشهر الحرم فقال: "**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان**"[٤٥] فنص هنا على ترجيح قول مضر على ربيعة في إشارة الى شرف وعزة الفرع الذي ينتمي له . ويختم ابن كثير كلامه معلقا على ما ذكره في قضية رفعة وشرف نسب رسول الله بقوله: "**فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة، أبو القاسم وأبو إبراهيم محمد وأحمد والماحي الذي يمحى به الكفر والعاقب الذي ما بعده نبي والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه والمقفى ونبي الرحمة**"[٤٦].

ان من نصوره هو من اشرف ارومة وارقاها نسبا هذا الذي توخاها واراد ان يقوله ابن كثير في حديثه عن نسب الرسول الاكرم.

٣- كرم ابائه واجداده وشهرتهم، وتأثيرهم في مجتمع شبه جزيرة العرب.

حرص ابن كثير في نقله لصورة الرسول الاكرم ان يسلط الضوء على كرم اباء النبي واجداده وما كانوا يحتلوه من شهرة بين أبناء قومهم ففي هذا السياق يذكر ان تسمية قريش جاءت من التقرش وهو التجمع بعد التفرق في إشارة الى العمل الكبير الذي قام به جد الرسول قصي حين جمع قبائل قريش في الحرم بعد ان كانوا متفرقين ويعزز ابن كثير بشاهد شعري قالها حذافة بن غانم العدوي[٤٧] جاء فيه:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر[٤٨]

ويستعرض ما قيل بهذا الشأن أيضا بان التسمية في قول اخر تدل على ان التقرش وهو التكسب والتجارة[٤٩] في دلالة على شرف العمل الذي كانت تعمل به قريش وفي رأي اخر يذكره ابن كثير وهو الاخر يدل على الكرم وحسن السمعة جاء فيه : "**أنه كان يقرش عن خلة الناس، وحاجتهم فيسدها بماله والتقرش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم بلادهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشا**"[٥٠]، يعزز هذا الرأي ببيت شعري قاله الحارث بن حلزة في بيان أن التقرش التفتيش جاء فيه:

أيها الناطق المقرش عنا ... عند عمرو فهل له إبقاء[٥١]

وفي سياق سمعة هذا البيت الشريف ذكر ابن كثير ان أبا الرسول كان " **الذبيح الثاني المفدى بمائة من الإبل**"[٥٢] واجمل رجال قريش[٥٣] وكان جده عبد المطلب كان يسمى شيبة وذلك " **لشيبة كانت في رأسه، ويقال له: شيبة الحمد لجوده**"[٥٤] ومن مآثر جده انه ساد في قريش سيادة عظيمة، وذهب بشرفهم ورئاستهم عاليا، واليه كان يرجعون في امرهم ، وبيده السقاية والرفادة بعد المطلب ، وعبد المطلب هو الذي جدد حفر زمزم بعدما كانت مطمورة من عهد جرهم، وكان طبقا لما يرويه ابن كثير هو أول من حلى الكعبة بتذهيب أبوابها[٥٥] ، اما عن كرم جده عمرو العلا التي تلقب بهاشم فيكفي ان التسمية كانت تدلل على كرمه وجوده في سني المحل وتشير الى هشمه الثريد مع اللحم لقومه، ويعزز هذه المكرمة ابن كثير بأبيات شعرية قالها عبد الله بن الزبعرى[٥٦] جاء فيها:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتين عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما ...سفر الشتاء ورحلة الأصياف[٥٧]

وهاشم هو اول من سن رحلتي الشتاء والصيف[٥٨]، وكان أولاد هاشم لجودهم وكرمهم وحسن خلقهم كانوا يدعون بالمجيرين "**وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم؛ ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة وأخذ لهم المطلب أمانا من ملوك حمير**"[٥٩] فالرسول بهذه المواصفات هو ابن الاكارم والاجواد واهل المنعة والسيادة والرئاسة.

٤- قدسية الرسول محمد.

كما بين ابن كثير قدسية الرسول الاكرم وفي هذا السياق أورد روايات تدلل على تلك القدسية منها: عن ابن عباس وهو يفسر الاية ٢١٩ من سورة الشعراء " **وتقلبك في الساجدين**" يروي عن الرسول قوله: تعني الاية: "**من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبيا**"[٦٠] وذكر أيضا عن ابن عباس قوله: "**سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: فداك أبي وأمي أين كنت، وآدم في الجنة؟ قال: فتبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: كنت في صلبه، وركب بي السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم**"[٦١]

٥- طهارة النسب.

في تناوله سيرة الرسول الاكرم حرض ابن كثير ان يسلط الضوء على طهارة نسبه ففي هذا الشأن ينقل رواية عن ابن عباس عن الرسول انه قال: " **...لم يلتق أبواي على سفاح قط، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة...**" [٦٢] وقوله عليه افضل الصلاة واتم التسليم : " **خرجت من نكاح لا من سفاح**"[٦٣] ويذكر عن الباقر انه قال : " **لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية**"[٦٤] كما روى الباقر عن ابائه عن الرسول قوله : " **إني خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح**"[٦٥] وفي هذا الشأن يروي عن عائشة عن الرسول قوله : " **ولدت من نكاح غير سفاح**"[٦٦] وعن محمد بن سعد: أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: "**كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية**"[٦٧]. يذكر ابن كثير في هذا الشأن الاية الكريمة وتعليق الرسول الاكرم عليها في حسم نقاوة وطاهرة عرق الرسول الاكرم وكالتالي:" **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} [الأحزاب: ٣٣] فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب**"[٦٨] وهذا الامر واضح لا يحتاج الى دليل.

٦- عظمة اسم الرسول وألقابه ونعوته.

في هذا الشأن يذكر ابن كثير قول القاضي عياض في كتابه الشفاء: " **وأما أحمد الذي أتى في الكتب، وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك، وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم، إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده، أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو. والله أعلم حيث يجعل رسالاته وهم؛ محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن سلمة الأنصاري، ومحمد بن البراء الكندي، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد**

بن خزاعي السلمي لا سابع لهم، ويقال: إن أول من سمي محمدا محمد بن سفيان بن مجاشع واليمن تقول: بل محمد بن اليحمد من الأزد، ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها له أحد أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم لم ينازع فيهما"[٦٩].

كما يذكر عن ابن عباس انه قال عليه أفضل الصلاة واتم التسليم ان الله سبحانه وتعالى قد "**شق لي اسما من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدني أن يحبوني بالحوض والكوثر، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي، وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**"[٧٠]. وأيضا أورد حديث أبي سفيان حين رد على سؤال ملك الروم هرقل بشأن الرسول محمد جاء فيه : انه " **سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة، أبو القاسم وأبو إبراهيم محمد وأحمد والماحي الذي يمحى به الكفر والعاقب الذي ما بعده نبي والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة وخاتم النبيين والفاتح وطه ويس وعبد الله**"[٧١]. ونقل ابن كثير عن البيهقي قوله ان الله سبحانه وتعالى سماه " **في القرآن رسولا نبيا أميا شاهدا مبشرا نذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ورءوفا رحيما ومذكرا، وجعله رحمة ونعمة وهاديا**"[٧٢] وعن اسم الرسول وعظمته أورد ابن كثير الرواية الاتية:" **أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد في كل بر عامد، وكل عبد رائد، نزول غير ذائد، فإنه عبد الحميد الماجد حتى أراه قد أتى المشاهد. وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمدا فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد. وهذا وذاك يقتضي أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، ثم لما، وضعته رأت عيانا تأويل ذلك كما رأته قبل ذلك هاهنا.**" [٧٣] وفي هذا الشأن قد عقد ابن كثير بابا خاصا بالأحاديث المروية في اسماءه عليه افضل الصلاة واتم التسليم ، وأشار الى ان كل من ابي بكر البيهقي وابن عساكر وابن عربي وغيرهم قد جمعوا كل ما يتعلق بأسماء الرسول[٧٤] وقد اشرنا لهم من دون ذكر ما اوردوه بشأن أسماء الرسول لكي لا نثقل المتن بها فأكتفينا بالإشارة لها حتى لا نخرج عن مقصدنا وهو التنويه انه كان عظيم الأسماء والالقاب والنعوت.

من المهم ان نشير هنا ان ابن كثير في أي مفردة من المفردات التي وردت سابقا والتي حرص على دعمها بالشواهد التاريخية المسندة والتي كان يشير الى مصداقية بعضها، لكنه لم يعزف عن ذكر الروايات الضعيفة التي شخصها من رواتها المتهمين بالضعف وقد علل اجراءه هذا بقوله :" **وإن كان في رواتها من لا يحتج به، فبعضها يؤكد بعضا**"[٧٥] مثال ما ذكره في اثبات اصالة نسب الرسول : وقال الإمام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد: ثنا أبي ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : "**جاء رجل من كندة يقال له: الجفشيش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نزعم أن عبد مناف منا فأعرض عنه، ثم عاد فقال مثل ذلك، ثم أعرض عنه، ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا فقال الأشعث: ألا كنت**

سكت من المرة الأولى فأبطل ذلك قولهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم". علق عليه ابن كثر بقوله: (ان هذا الحديث غريب من هذا الوجه والكلبي ضعيف) [٧٦].

ثانيا – المولد وما رافقه من احداث خارقة للعادة.

استمر ابن كثير في التركيز على الرعاية الإلهية للرسول محمد، ولبيان تفاصيل هذا الامر عنده بالتالي:

١.زمان المولد:

ذكر ابن كثير ان مولده كان في عام الفيل وهو المشهور[٧٧] كما انه ولد يوم الاثنين وهو الاخر على اتفاق الغالبية، لكن حرص ابن كثير ان يبين ان يوم الولادة لم يكن يوما عاديا وانما كانت له دلالته في حياة محمد؛ لان فيه ولد، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات[٧٨]، وذكر عن الامام احمد في سند ينتهي الى ابن عباس ان قدومه الى ارض يثرب كان يوم الاثنين، وفي يوم الاثنين رفع الحجر الأسود ايضا[٧٩] وهنا يريد ان يعطي ابن كثير ان حدوث تلك الأمور لشخص محمد تمثل دليلا على الرعاية الربانية وتميزه وانه شخص مصطفى من الله ومقدس.

٢– قصة حمله:

وحين يتحدث عن حمله أيضا يذكر الدلالات المقدسة فيه لكي يكمل تلك الصورة العظيمة ذات الرعاية الربانية لمحمد ففي هذا الشأن يذكر بانه امه حملت به في أيام التشريق وفي شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى[٨٠] منوها هنا بقدسية الزمان والمكان، ويضيف ابن كثير في سياق قدسية الرسول محمد ان عملية تكوينه في رحم امنة وعن طريق عبد الله بن عبد المطلب لم يكن مصادفة وهنا يوضح ان اباه كاد ان يذبح لولا تدخل الإرادة الإلهية بإنقاذه ولولاه لما كان محمد ويعزز ذلك حين يذكر ان شقيقة بن نوفل اخت ورقة بن نوفل قد رأت في جبين عبد الله الأثر النبوي الذي كانت تسمعه من اخيها ورقة فحين مرّ من امامها يوما عرضت نفسها عليه، لكن تعذر؛ لان الإرادة الإلهية شاءت ان تكون امنة زوجه [٨١] في دلالة على ان الرسول محمد جاء بإرادة الهية تولت رعايته ولم يكن اقترانه بآمنة بنت وهب مصادفة وانما كان معد له من الله سبحانه وتعالى، ويروى عن امه امنة بنت وهب انها قالت: "**حملت به فما حملت حملا قط أخف منه فرأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم وقع حين ولدته، وقوعا ما يقعه المولود، معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء**"[٨٢].

٣.البشارات بالمولد:

ومن الأمور الأخرى التي عرضها ابن كثير في رسم صورة الرسول محمد هو ان مجيئه الى عالم الدنيا كان مخبر عنه سابقا ، والناس تترقبه، وفي هذا الشأن يذكر رواية فيها اوحي لامه عند ولادته ان " **أعيذه بالواحد من شر كل حاسد في كل بر عامد، وكل عبد رائد، نزول غير ذائد، فإنه عبد الحميد الماجد حتى أراه قد أتى المشاهد**" [٨٣] كما يروى عن امه عن طريق ابن عباس انها قالت عن حمله : " **لقد علقت به – تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم – فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ثم وقع إلى الأرض معتمدا على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء، وقال بعضهم: وقع جاثيا على ركبتيه، وخرج معه**

نور أضاءت له قصور الشام، وأسواقها حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى رافعا رأسه إلى السماء"[٨٤]. وفي رواية ينقلها ابن كثير عن الزهري بسند لم يعلق على صحته جاء فيه ان امرأة كانت شاهد عيان على ولادة امنة بنت وهب قالت: " **فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور، وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقعن علي**"[٨٥]. كما ان قابلته اخبرت انه "**حين سقط على يديها، واستهل سمعت قائلا يقول: يرحمك الله. وإنه سطع منه نور رأيت منه قصور الروم**"[٨٦]. وفي سياق عظمة الرسول محمد هناك روايات تشير الى انه ولد مختونا ومقطوع السرة [٨٧] وان كان في هذه الرواية نظر طبقا لابن كثير، لكن ايراداها من ابن كثير بهدف بيان ان الرسول محمد منذ ولادته كان يحمل بشارات النبوة وسيكون له شأن عظيم لاحقا. وفي رواية لم يبد عليها ابن كثير اعتراض لاسيما وانه دائما سيجل شكوكه على كل رواية او حديث يرى فيه خروج عن المنطق او فيه مشكلة بحلقات سنده، وايد ان تلك الرواية قد رويت من وجوه عدة وهي: ان يهودي قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**في مجلس من قريش: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم: والله ما نعلمه. فقال: الله أكبر أما إذا أخطأكم فلا بأس، انظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس... فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا: قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقالوا: هل سمعتم حديث اليهودي؟ وهل بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر. قال: فاذهبوا معي حتى أنظر إليه فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا: أخرجي إلينا ابنك فأخرجته، وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما أفاق قالوا له: ما لك؟ ويلك! قال: قد ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل، أفرحتم بها يا معشر قريش؟ والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب**" [٨٨]. وفي السياق نفسه يذكر ابن كثير رواية ينقلها من أبي نعيم الاصبهاني تقول:" **ان أحبار يهود بني قريظة والنضير، يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي، وأنه لا نبي بعده، واسمه أحمد، ومهاجره إلى يثرب فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا**"[٨٩] وأيضا ينقل من أبي نعيم الاصبهاني خبر عن رجل دين مسيحي يخبر عن قدوم النبي محمد[٩٠] قال سطيح[٩١] وهو يبشر بقدوم الرسول محمد انه : "**نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال: وممن هذا النبي؟ قال: من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون قال: أحق ما تخبرني؟ قال: نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق، إن ما أنبأتك عليه لحق، ووافقه على ذلك شق سواء بسواء**" [٩٢]

٤. قدوم الرسول محمد الى عالم الدنيا:

ظلت الرعاية الربانية ترافق محمد منذ ان كان نطفة في الاصلاب النورانية وحتى وفاته ففي هذا الشأن ونعني قدوم الجنين الى عالم الدنيا ، يكمل ابن كثير رسم الصورة التي تخيلها لمحمد اذ يذكر انه من عادة قريش حين يأتي مولود يدفعوه الى نسوة من قريش إلى الصبح يكفأن عليه برمة فلما ولد محمد " **دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفأن عليه برمة فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين،**

ووجدنه مفتوح العينين شاخصا ببصره إلى السماء فأتاهن عبد المطلب فقلن له: ما رأينا مولودا مثله وجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحا عيناه شاخصا ببصره إلى السماء فقال: احفظنه فإني أرجو أن يكون له شأن أو أن يصيب خيرا فلما كان اليوم السابع ذبح عنه، ودعا له قريشا فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميته؟ قال: سميته محمدا. قالوا: فلم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء، وخلقه في الأرض" [٩٣].

٥- الاحداث التي رافقت مولده الشريف.

هنا يعزز ابن كثير الصورة العظيمة التي تخليها عن محمد فيذكر انه حين مولده ظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد وما كان من سقوطه جاثيا رافعا رأسه إلى السماء، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه، ودنو النجوم منهم[٩٤]، قد حدثت أمور أخرى حين اطل محمد على هذه الدينا فيذكر ابن كثير واستكمالا للصورة التي رسمها له انه بمقدمه سقطت كثير من الأصنام عن أماكنها، ورن إبليس أربع رنات: حين لعن، وحين أهبط، وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين أنزلت الفاتحة [٩٥]. وأيضا ذكر ابن كثير ان في الليلة التي ولد فيها الرسول، ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادهم فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبر عليه تشجعا، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرازبته فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران فازداد غما إلى غمه،[٩٦] وحين استفسر عن كل ذلك كان الإجابة بذهاب ملك ال ساسان علي يد العرب بقيادة محمد النبي [٩٧] .

٦.رضاعته والدلالات القدسية التي حدثت فيها.

وفي جانب أخرى من الصورة المقدسة التي رسمها ابن كثير لمحمد ذكر عن رضاعته من الاحداث الخارقة التي رافقت ذلك فقد رفض من جميع المرضعات العشرة اللتين قدمنا مكة، وفي سنة كانت صعبة ومجدبة لأخذ المواليد الجدد؛ لكونه يتيم لا ينتفعن منه، لكن الرعاية الربانية تحتم على حليمة السعيدية ان تأخذه وهي مضطرة؛ لان كانت خجلة ان تعود الى ديارها وهي من دون رضيع[٩٨] غير انها وجدت في هذا الرضيع أشياء عجيبة كانت قد روتها منها : ما " **أن أخذته فجئت به رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل فحلب ما شرب، وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة فقال صاحبي حين أصبحنا: يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة؛ ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه! فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيرا، ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى إن صواحبي ليقلن: ويلك يا بنت أبي ذؤيب هذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم والله إنها لهي فيقلن: والله إن لها لشأنا حتى قدمنا أرض بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فإن كانت غنمي لتسرح، ثم تروح شباعا لبنا، فنحلب ما شئنا وما حوالينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياعا حتى إنهم ليقولون لرعاتهم أو لرعيانهم ويحكم**

انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فتروح أغنامهم جياعا ما فيها قطرة لبن، وتروح أغنامي شباعا لبنا نحلب ما شئنا فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتيه فكان يشب شبابا لا تشبه الغلمان فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه، ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة"[٩٩].

ومن الاحداث الخارقة التي رافقت مدة رضاعته ان تعرض لحادث ينم عن الاعداد المسبق لمحمد للنبوة وهو حادثة شق الصدر التي محل اتفاق بين المسلمين وفحواها طبقا لرواية مرضعته حليمة السعدية التي تقول: حين كان محمد " **خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا أخوه ذلك يشتد فقال: ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه. فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال يا بني ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعاني وشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه، ثم رداه كما كان. فرجعنا به معنا فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت حليمة: فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به فقدمنا به عليها فقالت: ما ردكما به فقد كنتما عليه حريصين؟ فقالا: لا والله إلا أن الله قد أدى عنا، وقضينا الذي علينا، وقلنا نخشى الإتلاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت: ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل والله إنه لكائن لابني هذا شأن**"[١٠٠] ويعلق ابن كثير على هذه الرواية بقوله: " **وهذا الحديث قد روي من طرق أخر وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي**"[١٠١]. وتعزيزا لذلك أورد عن انس بن مالك قوله " **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره – فقالوا: إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره**"[١٠٢] ومن العلامات الربانية التي رافقته مدة رضاعته روت أيضا اخته في الرضاعة ابنة حليمة السعدية انها: كانت ترى " **غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت**" [١٠٣] وكل ذلك يعني ان محمد كان له كرامة وشأن وقد حلت بركته على حليمة السعدية وأهلها في مدة رضاعته.

٧.تأكيد الرسول على ما روي عنه في مولده وحضانته ورضاعته.

اثباتا للروايات التي قيلت عن حياة محمد في هذه المدة حرص ابن كثير ان يدون اثباتها عن طريق الرسول نفسه ومن ذلك ان أعرابيا قال: يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ فقال: "**ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل علي فيه**" [١٠٤] وانه تحدث عن رؤيا امه حين حملت به كأنه خرج منها نور أضاءت له له قصور الشام[١٠٥] وقوله صلى الله عليه وسلم" **من كرامتي على الله أني ولدت مختونا، ولم ير سوءتي أحد**"[١٠٦] وفي شأن تأكيد الرسول على بعض الاحداث التي جرت له قبل المبعث ذكر ان اصاحبه قالوا له أخبرنا عن نفسك فقال: "**نعم أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا في**

بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا فأضجعاني فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى إذا أنقياه رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته فوزنني بمائة فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنني بألف فوزنتهم فقال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم"[١٠٧] وعن سند الحديث قال ابن كثير انه قوي[١٠٨] وبالشأن نفسه وجه له سؤلا جاء فيه : كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ فأجاب : "**كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا، ولم نأخذ معنا زادا فقلت: يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال: نعم. فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة فذرها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: حصه فحاصه، وختم على قلبي بخاتم النبوة فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة، واجعل ألفا من أمته في كفة فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر علي بعضهم فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا فتركاني، وفرقت فرقا شديدا، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت فأشفقت أن يكون قد التبس بي. فقالت: أعيذك بالله فرحلت بعيرا لها، وحملتني على الرحل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها، وقالت: إني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام**"[١٠٩] وعن ابي ذر الغفاري قال: " قلت: يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك، واستيقنت أنك نبي؟ قال: يا أبا ذر أتاني ملكان، وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو. قال: فزنه برجل فوزنت برجل فرجحته"[١١٠]

ثالثا- النشأة.

ان الصورة التي رسمها ابن كثير للرسول محمد في نشأنه لا تختلف عن سابقتها في مرحلة حياته قبل النشأة والتي كان التركيز فيها على الرعاية الربانية لشخص محمد وحمايته ورفع عنه كل شعور سلبي وخلق له أجواء من شانها ان تؤمن مستقبله وتفيح امامه افاق الحياة الجديدة، ويمكن ان نجملها بالتالي:

١.رفع عنه الشعور باليتم.

بعد ان انتهت مدة رضاعته عاد الى امه امنة بنت وهب التي عوضته حنان والده وبقى في رعايتها حتى سن السادسة[١١١]، لكن الله سبحانه وتعالى لم يتركه وحيدا يشعر بالم اليتم فقد نقل رعايته الى جده عبد المطلب فقد ذكر ابن كثير ان أبناء عبد المطلب اعمام الرسول محمد حين كانوا يفرشون لأبيهم فراش في ظل الكعبة، وكان العادة ان لا يجلس عليه احد من ابناءه احتراما له، وحين كان الرسول محمد يريد الجلوس كان اعمامه يمنعوه، لكن جده اذا رأى ذلك منهم كان يقول لهم: " **دعوا ابني فوالله إن له لشأنا، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع**"[١١٢]، وهكذا كان يعامله بكل رقة لم يعامل بها ابناءه تلك المعاملة التي كانت قد عوضت محمد فقدان والديه ،وكان لا يأكل الا

ويدعو محمد يأكل معه وكان يوصي ام ايمن حاضنته وهي بركة زوج زيد بن حارثة بان لا تغفل عنه؛ لان اخبرها بان جماعة من اهل الكتاب أشاروا عليه بانه سيكون نبي هذه الامة[١١٣] وحين توفي جده لم يركه الله سبحانه وتعالى يقاسي الم اليتم، وهو في الثامنة من عمر، بل نقل كفالته الى عمه ابي طالب الذي كان لم يشعره بانه يتيم بل يفضله على ولده جميعا وكان لا ينام الا وبجنبه محمد وكان يرافقه في خروجه[١١٤] وبقى محمد في رعاية عمه حتى بعثه الله نبيا وفي كل مدة النشأة لم يشعر محمد باليتم على الرغم من انه قفد والده وهو في بطن امه وتوفيت والدته وهو في السادسة من عمره وتوفي جده وهو في الثامنة من عمره فكان الرعاية الربانية تحفه وتضعه حيث الاستقرار النفسي وحيث التعويض الابوي.

٢.رفع الفقر والعوز عنه.

الرعاية الربانية في هذا الشأن رافقته منذ ولادته كما سبق وذكرنا ذلك، وكيف وجدنا ان البركة التي إصابة مرضعته والخير الذي حل على بيتها حين تولت رضاعته[١١٥]،وحين صارت كفالته عند جده لم يشعر بالجوع بل كان جده " **لا يأكل طعاما إلا يقول علي بابني[يقصد الرسول محمد] فيؤتى به إليه**"[١١٦] وحين صار في كنف عمه ابي طالب كانت الرعاية الربانية ترافقه ومما يذكره ابن كثير في هذا المجال انه "**إذا أكل عيال أبي طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان إذا أراد أن يغديهم قال: كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب: إنك لمبارك**"[١١٧].

٣.حمايته وحفظه.

مما يذكره في هذا الشأن وهو في عمر السادسة زارت امه أخواله وهناك جاءها رجلان من يهود المدينة فطلبا حسب قولهما رؤية "**أحمد ننظر إليه فنظرا إليه وقلباه فقال أحدهما لصاحبه: هذا نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بها من القتل والسبي أمر عظيم فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به فماتت بالأبواء وهي راجعة**"[١١٨]. وكانت الحماية الربانية معه حين كان في كفالة جده عبد الملك فكان حفاظا على حياة محمد لا ينفك عن متابعته وحين يتركه ويخرج الى مكان ما ويتركه في البيت كان يوصي حاضنته ام ايمن بركة زوج زيد بن حارثة : "**يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة**"[١١٩] وايضا مما يذكره ابن كثير عن الرسول محمد في مدة كفالة عمه أبي طالب ان هناك كاهن من بني لهب يأتي مكة وكان أهلها يعرضون أبنائهم عليه ليقرأ لهم المستقبل وكان أبو طالب قد عرض عليه محمد فقال عنه: ليكونن له شأن وقد شغله شان محمد ويبدو انه كان مخبأ له شيء ما لكن برعاية الله غيبه أبو طالب عنه [١٢٠] وفي مدة كفالة عمه وعند خروجه الى الشام في تجارة حدثت تلك القصة الشهيرة عن الراهب المسيحي بحيرى الذي تكهن بمستقبل محمد وانه سيكون نبي هذه الامة بعد ان رأى بنفسه بعض العلامات في محمد فضلا عن خاتم النبوة بين كتفيه وما عرفه من أمور أخرى كان يقرأ عنها في كتب النصارى من حواره مع محمد بعدها ينبه عمه على مستقبل ابن أخيه ويحذره من معرف اليهود به وينصحه بالعودة به الى مكة والحفاظ على حياته حتى يظهر الله [١٢١].

٤- حسن منظره.

كانت الرعاية الربانية تصاحب الرسول محمد ومما يرويه ابن كثير في هذا السياق انه حين كان يستيقظ الأولاد من النوم " **يصبحون رمصا شعثا، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا**"[١٢٢]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس في الشأن نفسه جاء فيها: "**كان بنو أبي طالب يصبحون غمصا رمصا، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا**"[١٢٣]

٥- خلقه الرفيع.

وفي هذا الشأن يذكر انه حين كان يقدم الطعام من ابي طالب لأبنائه كانوا "**يجلسون وينتهبون، ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة**"[١٢٤]. وكانت اخلاقه مع كل دعوة خير وعمل غير ففي هذا الشأن يروى انه قال عن حلف الفضول: "**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت**"[١٢٥] .

٦- الابتعاد عن عادات الجاهلية المعيبة.

مما يذكره ابن كثير في هذا الشأن انه قال عليه أفضل الصلاة واتم التسليم:" لقد رأيتني في غلمان من قريش، ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته؛ يحمل عليه الحجارة فإني لأقبل معهم كذلك، وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة، ثم قال: شد عليك إزارك قال: فأخذته فشددته علي، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي، من بين أصحابي"[١٢٦] وهذه القصة شبيهة بما في صحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فينقل ابن كثير عن عبد الرزاق بسند عن جابر بن عبد الله قوله : "**لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم[وهو لايزال لم يبعث نبيا]: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال: إزاري فشد عليه إزاره**"[١٢٧] وفي رواية أخرى عن ابن عباس عن العباس قال: " **أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت، حين بنت قريش البيت قال وأفردت قريش رجلين رجلين، الرجال ينقلون الحجارة، وكانت النساء تنقل الشيد. قال: فكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا، وأزرنا تحت الحجارة فإذا غشينا الناس ائتزرنا فبينما أنا أمشي ومحمد أمامي قال: فخر وانبطح على وجهه فجئت أسعى وألقيت حجري وهو ينظر إلى السماء فقلت: ما شأنك فقام وأخذ إزاره قال: إني نهيت أن أمشي عريانا. قال، وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون**"[١٢٨]. كما انه لم يتمسح باي صنم في الجاهلية وفي هذا الشأن يروى عن زيد بن حارثة انه قال: " **فو الذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه، وأنزل عليه**"[١٢٩]. وفي الحوار الذي دار بينه وبين الراهب بحيرى حين سأله مستفسرا عن بعض الأمور التي كان يقرأها عن محمد في كتب النصارى اقسم عليه باللات والعزى ان يجيبه بكل صراحة ظنا منه انه يؤمن بها فكان جواب محمد لبحيرى هو: " **لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما**"[١٣٠] ويروى قوله عليه أفضل الصلاة والسلام عن طريق الامام علي قوله: "**ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما**"[١٣١] لا

كان يستمع الغناء والعزف بالمزامير وغيرها من مظاهر الترف في الجاهلية[١٣٢] كما أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالته، وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس بعرفات[١٣٣]، هذه هي الصورة التي كونها ابن كثير عن محمد قبل المبعث ، لقد اجملها بكلام مختصر نقلا عن ابن اسحق جاء فيه : "**فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد من كرامته، ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال؛ تنزها وتكرما. حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة**"[١٣٤]

٧.امانته وحكمته.

كان محمد قبل نبوته معروف بأمانته وحكمته وهما خصلتان عرفتهما قريش جميعها، وهما وراء اختياره ليكون حكما لحل مشكلة إعادة الحجر الأسود الى مكانه حين إعادت قريش بناء الكعبة واختلفت حول أي القبائل تعيد الحجر الأسود الى مكانه وشاءت الإرادة الربانية ان يقع اختيارها على محمد الذي تمكن بحكمته ان يؤد حرب كادت ان تقع حين امر برداء ووضع فيه الحجر الأسود وطلب ممثل كل قبيلة ان يمسك بطرف الرداء ويرفعوا الحجر ثم اخذه ووضعه بيده في حادثة شهيرة اجمع عليها الرواة[١٣٥]

٨.زواجه من خديجة.

في قضية زواج محمد من خديجة قدم ابن كثير صورة مختلفة عما قيل بهذا الشأن بعد ان استعرض الروايات التي قيلت بهذا الشأن وفي هذه القضية ركز على امرين هما ان زواجها كان برعاية ربانية بعد ان حف الله سبحانه وتعالى محمد ببركات كانت هي وراء زواج خديجة منه ومنها ان اختياره ان يكون راعيا لتجارة لها في الشام وتمكنه من أدائها بأحسن وجه وما تعرض له في اثناء عمله من خوارق مثل حين قدومه الى الشام تاجرا جلس " **في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب إلى ميسرة[الذي رافقه في القافلة] فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي**" [١٣٦] وأضاف ميسرة أيضا انه " **إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره**"[١٣٧]، وهذا كان قد نقله ميسرة الى خديجة فضلا عن معاملته في البيع والشراء علاوة على ما كانت ترى فيه من وأمانة وحسن خلق، وصدق الحديث [١٣٨] وهي بدورها نقلت ما سمعته عن محمد الى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي أشاد بما سمعه معلقا ان ذلك هو " **لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه**"[١٣٩] كان هذه الأمور وراء قبول خديجة الزواج من محمد بالمقابل انها كانت ذات شرف وحسب ومكانة في وسط قومها فضلا عن مالها وجمالها والذي كان وراء قبول محمد منها ناهيك عن الإرادة الربانية[١٤٠] هذا امر والامر الاخر الذي ركز عليه ابن كثير في زواج خديجة هو كيفية خطوبتها من أهلها وقد استعرض الروايات في هذا الشأن وكان منها تذكر انه تزوجها من ابيها خويلد الذي لم يكن راغبا في اقترانها من محمد فاضطرت ان تسكّر اباهها حتى تنتزع منه الموافقة وهو في حالة سكر[١٤١]، لكن ابن كثير رفض تلك الروايات ومال الى الراي القائل

ان " **المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه. وهذا هو الذي رجحه السهيلي، وحكاه عن ابن عباس، وعائشة قالت: وكان خويلد مات قبل الفجار**"[١٤٢] والى رأي أبن اسحق بهذا الشأن والذي جاء فيه " **أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم**"[١٤٣] في إشارة منه وحرصا على نقاوة الصورة التي قدمها عن محمد قبل المبعث تلك الصورة التي لم يقنع ابن بكثير ان فيها شوائب من شانها ان تؤثر على وضوحها.

٧. عمله في الرعي.

إضافة الى ما ذكره من عمل بالتجارة كما مر سابقا ذكر ابن كثير ان الرسول كان راعي غنم واراد من ذلك امرا اخر في تدخل الإرادة الربانية التي اعدت محمد منذ ولاته وحتى مبعثه أي أراد ان يقول ان هذا العمل لم يكن محظ صدفة وانما بإرادة ربانية لما له من دلالة في تاريخ الأنبياء وذلك حين ذكر قوله عليه أفضل الصلاة واتم التسليم والذي جاء فيه: " **ما بعث الله نبيا إلا راعي غنم. فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط**"[١٤٤].

الخاتمة

نخلص مما تقدم الى ان الصورة الرسول التي قدمها ابن كثير كانت ناصعة فضلا عن ان مسارها مترابط على الرغم من انه عليه افضل الصلاة واتم التسليم عاش في بيئة حملت من العيوب المجتمعية الشيء الكثير يكفي انه اطلق عليها حياة الجاهلية ، لكن كان فيها الرسول على الرغم من تلك الأجواء كان اصيلا في نسبه ، وشريفا في ارومته، ابن أباء واجداد كرماء واجواد، وانحداره من سلسلة مقدسة ضمت الأنبياء والاوصياء والصالحين، كما انها سلسلة عرفت بطهارتها، وانه حملت من الأسماء والالقاب والنعوت ما هو عظيم، وانه حمل ولد وعاش وترعرع في ظل رعاية وحماية ربانية، تلك الحماية التي صاحبت مسيرته منذ تكوينه وحتى قدومه للحياة الدينا والعيش فيها وما مارسه من اعمال وحتى في زواجه وصولا الى مبعثه كثير من الأمور الخارقة للعادة في دلالة على اصطفائه من الله سبحانه وتعالى، فضلا عن كل ذلك سلط ابن كثير في حديثه عن الرسول في تلك المرحلة من مراحل حياته ونعي بها حياته قبل المبعث على بيان انه كان مثل للخلق الرفيع والأمانة والصدق والطهارة من كل دنس ، وكل ذلك حرص ابن كثير ان يقدمه وبأدلة وشواهد تاريخية يقبلها العقل والمنطق كان يطرح الضعيف منها ويرفض ما هو محل جدل، وكان حريصا ان يدعم أقواله باحاديث للرسول التي هي الأخرى حرض على تتبع صحتها من اجل ان يقدم صورة حقيقية عن الرسول الاكرم تكون حجة على كل من يشكك بنقاوة السيرة النبوية في المدة التي انصب عليها البحث.

الهوامش

(١) فاضل جابر ضاحي ، ابن كثير ومنهجه في كتابه البداية والنهاية، الفصل الثاني؛رسول دفار عبد الرضا الساعدي، الشيعة في روايات ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ ، ٢٠١٦، ص ١٤- ٣٦؛عبد الرحمن علي السنيدي، مراجعات ابن كثير ونقده لمتون مرويات السيرة النبوية في كتابه البداية والنهاية، مجلة عالم الكتب ، العدد، ٥-٦، ما يو ٢٠٠٣، ص ٣٨٦.

(٢)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٣،ص٣٦٢- ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه والجزء، ص ٢٠٦.

(٤)المصدر نفسه ، ج ١،ص ٢٢٤.

(٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٣٧.

(٦)المصدر نفسه ، ج ٣، ص ٣٦٠.

(٧)ا المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٨)المصدر نفسه والجزء، ص ٢١٥.

(٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٢١٦.

(١٠)المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(١١)المصدر نفسه والجزء، ص ٢١٧.

(١٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٢١٨)

(١٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٢٠).ينظر الحديث في: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري،صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١(بلا مكان طبع : دار طوق النجاة، ١٤٢٢) ج٤، ص ١٧٨.

(١٤)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣، ص٢٢٠-٢٢١. ينظر الحديث في : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،ط٢(القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت)ج١، ص ٢٣٥.

(١٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٢١-٢٢٢. ينظر الحديث في : أحمد بن محمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ط١(بلا مكان طبع: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)ج٣٦، ص ١٦٥.

(١٦)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٢٢٢، كذلك ينظر : أحمد بن محمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣٦، ص ١٦٥.

(١٧)ينظر: محمد بن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(بلا مكان طبع: دار إحياء الكتب العربية ،د.ت) ج٢، ص ٨٧١.

(١٨)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٢٢٢.

(١٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٢٦.

(٢٠)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٢٧.

(٢١)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٣١.

(٢٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٤٥.

(٢٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٢٤)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٤٦.

(٢٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٠.

(٢٦)المصدر نفسه والجزء، ص٣٦١-٣٦٢،وكذلك ينظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ط٢ (بيروت: دار التراث،١٣٨٧)ج٢، ص ٢٧١.

(٢٧)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢٨)ا ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٢٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٠٣.

(٣٠) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣٧٠، ينظر الحديث في ، علي بن حسام المتقي الهندي ،كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، ط٥(بلا مكان طبع: مؤسسة الرسالة،١٩٨١)، ج١١، ص ٤٢٨.

(٣١)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٢٥، وكذلك ينظر : مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(بيروت: دار إحياء التراث العربي ،د.ت) ج٤، ص ١٧٨٢.

(٣٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٢٥، وكذلك ينظر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري،ط١(بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٨٥)، ص ٤٥.

(٣٣)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٢٤٦، وكذلك ينظر: عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،ط٢(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،١٩٥٥)ج١، ص١١٠.

(٣٤)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٤٦، وكذلك ينظر: مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٧٨٢.

(٣٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٣.

(٣٦) الانعام، جزء من الاية، ١٢٤.

(٣٧)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٣،ص ٣٥٣، وكذلك ينظر الحوار في: البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص ٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٦٤٧.

(٣٨)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٤ وكذلك ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص ١٨٢، وهذا الحديث ذكره أيضا، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١٤، ص ٤٤٦.

(٣٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٣،ص ٣٦٤– ٣٦٥، وكذلك ينظر الحديث في مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٧٨٢، والحديث ورد أيضا عند كل من : أحمد بن محمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج٢٨، ص١٩٨؛ محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)ط٢(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٩٧٥)ج٥، ص ٥٨٣؛ محمد بن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨)ج١٤، ص ٢٤٢؛ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، المعجم الكبير،ج٢٢، ص ٦٦.

(٤٠)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٥ وكذلك ينظر: أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج٣، ص ٧٠٣.

(٤١)المصدر نفسه والجزء،ص ٣٦٥–٣٦٦) ينظر الحديث في: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)ج١، ص١٦٨؛ محمد بن مكرم بن على بن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ط١(دمشق: دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،١٩٨٤) ج٢، ص ١٠٩.

(٤٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٧– ٣٦٨ ينظر الحديث في : أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج١٧، ص ١٠؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص ٥٨٧.

(٤٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٧– ٣٦٨، ينظر الحديث في: أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ،ج١،ص١٧٨؛ محمد بن مكرم بن على بن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر،ج٢، ص ١١٠.

(٤٤)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣/ ٣٦٨

(٤٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٢٣٠ ، عن ذلك ينظر أيضا: البخاري، صحيح البخاري، ٦٦/٦.

(٤٦)ا المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٣.

(٤٧) هو: حذافة بن نصر بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي شهد فتح الشام ومات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ هو ممن أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) علي بن الحسن بن هبة ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي،(بلا مكان طبع: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥) ، ج ١٢،ص ٢٥٢؛ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥)ج٢، ص٣٧.

(٤٨) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٢٢٢، ينظر البيت الشعري في : عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام ، ،ج١،ص١٢٦؛ الطبري، ، تاريخ الرسل والملوك، ،ج ٢، ص٢٥٦.

(٤٩) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣، ص٢٢٣.

(٥٠) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣، ص ٢٢٣، كذلك ينظر : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،ج١، ص٢٣٨.

(٥١) المصدر نفسه والجزء، ص ٢٢٣، البيت ورد عند الحارث بن حلزة بالصيغة الاتية : أَيُّها الناطِقُ المُرَقِّشُ عَنّا ... عِندَ عَمرَوٍ وَهَل لِذاكَ بَقَاءُ ، الديوان ، جمعه : مروان العطية، ط١(دمشق: دار الامام النووي، ١٩٩٤) ص ٦٨، لكن الابيات التي وردت عند ابن

كثير وردت بصيغة مقاربة لما أورده ومنسوبة أيضا للحارث عند عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،ج١، ص٢٣٩.

(٥٢) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٤.

(٥٣) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٤.

(٥٤) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٥.

(٥٥) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٦.

(٥٦) هو : عبد الله بن الزبعرى ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص القرشي السهمي (توفي نحو ١٥هـ) أبو سعد : شاعر قريش في الجاهلية . كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة ، فهرب إلى نجران ، فقال فيه " حسان " أبياتا ، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فأمر له بحلة، خير الدين الزركلي ، الاعلام، ط١٥(بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢) ج ٤، ص ٨٧

(٥٧) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٣٥٦) البيتين وردا في الديوان بالصيغة الاتية: عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف، وهو الذي سن الرحيل لقومه... رحل الشتاء ورحلة الاصطياف ، عبد الله بن الزبعرى ، شعر عبد الله بن الزبعرى ، تحقيق يحيى الجبوري، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢) ص ٥٣-٥٤.

(٥٨) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٦.

(٥٩) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٧.

(٦٠) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص٣٦٤. ينظر قول الرسول في : الطبراني، المعجم الكبير، ج١١، ص ٢٨٧.

(٦١) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٠، ينظر الحديث في : المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، ص ٤٢٧؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٢/ ٢٩.

(٦٢) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٠، ينظر قوله الرسول الاكرم في : علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبية، ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧)ج١،ص٦٥.

(٦٣) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٢، ينظر الحديث في : أحمد بن علي الطبرسي، الاحتجاج، تعليق، محمد باقر الخرسان،(النجف: دار النعمان للطباعة والنشر، ١٩٩٦)، ص١٧٠.

(٦٤) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٢، ينظر القول في: عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، تحقيق: أسعد محمد الطبيب،(بلا مكان طبع : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت) ج٦، ص ١٩١٧.

(٦٥) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٢، ينظر الحديث في: الطبرسي، الاحتجاج، ص ١٨٠.

(٦٦) المصدر نفسه والجزء والصحفة ، ورد الحديث بسند اخر في : ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، تصحيح، عدة من الافاضل، ط١(قم: مركز الاعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، ١٣٦٢ش)، ج٤، ص ٣٣.

(٦٧) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٤، ينظر القول في: ابن سعد ، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١(بيروت:دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠) ، ج١، ص٥٠.

(٦٨) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٦.

(٦٩) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٣٧٢،ينظر : القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،(بيروت : دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨)ج١، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٧٠) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٠- ٣٧١، ينظر الحديث في : المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، ص٤٢٨.

(٧١) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٧٢) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٤.

(٧٣) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨٤.

(٧٤) ينظر : المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٤.

(٧٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٨.

(٧٦)ا ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٢٢١.

(٧٧)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٦.

(٧٨)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٥.

(٧٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٣.

(٨٠)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٧.

(٨١)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨١.

(٨٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٤١٢، ينظر الرواية في : ابن اسحق، السيرة، ج١، ص٢٩.

(٨٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨٤، ينظر الرواية في : ابن اسحق، السيرة، ج١،ص٢٣.

(٨٤)المصدر نفسه والجزء، ص ٣،ص ٣٨٥، انظر الرواية في : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٨١.

(٨٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨٦، ينظر الرواية في: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ١٥٧.

(٨٦)المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٨٧)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨٨.

(٨٨)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٩١-٣٩٣ ، ينظر الرواية في : البيهقي، دلائل النبوة ، ج١، ص١٠٨.

(٨٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٩٣.

(٩٠)المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٩١) هو: هو سطيح الذئبي نسبة الى الذئب ين عدي ، وهو كاهن وعرافا وحكيما معروفا في الجاهلية توفي سنة ٥٢ق هـ،، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي،ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩)ج ٤، ص ٢٣؛ فؤاد سزگين، تاريخ التراث العربي، ط١(قم: كتابخانه عمومى حضرت آيت الله العظمى مرعشى نجفى ،١٤١٢) ج ١ ق ٢، ص ١٢.

(٩٢)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٤٠٠، ينظر الرواية في : علي بن الحسين المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦)، ص١١٩.

(٩٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨٩،ينظر الرواية في: البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص١١٥.

(٩٤)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٩١.

(٩٥)المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٩٦)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٩٥.

(٩٧)المصدر نفسه والجزء، ص ٣٩٦-٣٩٨.

(٩٨)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص٤٠٩.

(٩٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٤١٠-٤١١. ينظر الرواية في: ابن اسحق ، سيرة ابن اسحق، ج١، ص٢٨.

(١٠٠)المصدر نفسه والجزء، ص ٤١١-٤١٢. ينظر الرواية في : عبد الرحمن بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م)، ج٢، ص٢٦٣.

(١٠١)المصدر نفسه والجزء، ص ٤١٢.

(١٠٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٤١٦- ٤١٧، وينظر: محمد بن حبان ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،(صحيح بن حبان) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨)،، ج١٤، ٢٤٩-٢٥٠.

(١٠٣)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٤١٣ ، ينظر الرواية في: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٥٢.

(١٠٤) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٣، ينظر أيضا : البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٧٤.

(١٠٥) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨٣.

(١٠٦) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٨٧ ينظر أيضا: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣، ص ١١٢؛المقريزي، امتاع الاسماع، ج١٠،ص ٣١١.

(١٠٧) المصدر نفسه والجزء، ص ٤١٣ ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ١٦٥.

(١٠٨) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(١٠٩) المصدر نفسه والجزء، ص ٤١٤-٤١٥. ينظر أيضا: ابن الجوزي، المنتظم، ج٢،ص٢٦٤.

(١١٠) المصدر نفسه والجزء، ص ٤١٥-٤١٦.

(١١١)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٤٢٣.

(١١٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٠)، ينظر الرواية في : ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج١، ص١٦٨.

(١١٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣١.

(١١٤)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٢.

(١١٥) ينظر: المصدر نفسه والجزء، ص ٤٠٩-٤١١.

(١١٦)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣١، عن الرواية ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٩٥.

(١١٧)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٢-٤٣٣. عن الرواية ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٩٦.

(١١٨)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٤٢٣عن الرواية ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٢٦.

(١١٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣١) عن الرواية ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٩٥.

(١٢٠)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٤.

(١٢١)للتفاصيل عن هذه القصة ينظر: المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٥- ٤٣٨.

(١٢٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٣. عن الرواية ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٩٦.

(١٢٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٣. عن الرواية ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص١٦٦.

(١٢٤)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٣. عن الرواية ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣، ص٨٤.

(١٢٥)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٠، ينظر الرواية في : ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج١، ص١٣٤.

(١٢٦)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص٤٤٥-٤٤٦.

(١٢٧)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٤٥، ينظر: مسلم صحيح مسلم، ج١، ص٢٦٧.

(١٢٨)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٤٦.ينظر: محمد بن اسحق، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، ط١(بيروت:دار الفكر، ١٩٧٨)،، ٧٩.

(١٢٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٤٨، وينظر عبد الله بن محمد البغوي، معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط٥(الكويت: مكتبة دار البيان، ٢٠٠٠)، ج٢، ص٤٤٤.

(١٣٠)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٣٧، وينظر: ابن اسحق، سيرة ابن اسحق، ص ٧٥.

(١٣١)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٤٦ وينظر: ابن اسحق، سيرة ابن اسحق، ص ٧٩.

(١٣٢)المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(١٣٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٤٩.

(١٣٤)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٤٤ وينظر: ابن اسحق، سيرة ابن اسحق، ص ٧٨.

(١٣٥)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٤٨٠-٤٧٨.

(١٣٦)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٢، وينظر: ابن اسحق ، سيرة ابن اسحق، ص ٨١.

(١٣٧)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٢- ٤٦٣ وينظر: ابن اسحق ، سيرة ابن اسحق، ص ٨١.

(١٣٨)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٣.

(١٣٩)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٧٠. وينظر: ابن اسحق، سيرة ابن اسحق، ص ١١٤.

(١٤٠)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٢-٤٦٣.

(١٤١) ينظر: المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٣- ٤٦٨

(١٤٢)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٨.

(١٤٣)المصدر نفسه والجزء، ص ٤٦٩، ذكره ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢،ص٦٤٣.

(١٤٤)ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٣،ص ٤٦٦). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر العربية والمعربة.

١. القران الكريم.

. ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٣٢٧هـ)

٢ . تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، تحقيق: أسعد محمد الطبيب،(بلا مكان طبع : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت).

. ابن اسحق، محمد (ت١٥١هـ).

٣. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، ط١(بيروت:دار الفكر، ١٩٧٨).

. البحراني، ابن ميثم(ت٦٩٧هـ).

٤. شرح نهج البلاغة، تحصحيح، عدة من الافاضل، ط١(قم: مركز الاعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، ١٣٦٢ش).

. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت٢٥٦هـ).

٥. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١(بلا مكان طبع : دار طوق النجاة، ١٤٢٢).

. البغوي، عبد الله بن محمد (ت٣١٧هـ).

٦. معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، طذ(الكويت: مكتبة دار البيان، ٢٠٠٠).

. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى(ت٤٥٨هـ).

٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤٠٥هـ).

. الترمذي محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ).

٨. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)ط٢(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٩٧٥).

. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ).

٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م).

. ابن حبان، محمد (ت ٣٥٤هـ).

٩. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨).

. بن الحجاج ، مسلم (ت٦٤٣هـ).

١٠. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(بيروت: دار إحياء التراث العربي ،د.ت).

. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٥٢هـ)

١١. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥).

. الحلبي علي بن إبراهيم بن أحمد(ت ١٠٤٤هـ).

١٢. إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤٢٧).

. الحارث بن حلزة(٥٨٠م)

١٣. الديوان ، جمعه : مروان العطية، ط١(دمشق: دار الامام النووي، ١٩٩٤).

-ابن حنبل احمد بن محمد (ت٢٤١هـ).

١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ط١(بلا مكان طبع: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١).

. ابن الزبعرى ، عبد الله (توفي نحو ١٥هـ).
١٥. شعر عبد الله بن الزبعرى ، تحقيق يحيى الجبوري، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢).
. ابن سعد، محمد(ت ٢٣٠هـ)
١٦. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١(بيروت:دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠).
. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت٣٦٠هـ)
١٧. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،ط٢(القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت).
. الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ).
١٨- تاريخ الرسل والملوك، ط٢ (بيروت: دار التراث،١٣٨٧).
. الطبرسي، احمد بن علي (ت٦٢٠هـ).
١٩. الاحتجاج، تعليق، محمد باقر الخرسان،(النجف: دار النعمان للطباعة والنشر، ١٩٩٦).
. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله(ت٤٦٣هـ).
٢٠. الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري،ط١(بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٨٥)،
. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله(ت٥٧١هـ).
٢١. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي،(بلا مكان طبع: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥).
. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).
٢٢. البداية والنهاية في التاريخ ،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط١(بلا مكان طبع: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،١٩٩٧).
. ابن ماجة، محمد(ت٢٧٣هـ).
٢٣. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(بلا مكان طبع: دار إحياء الكتب العربية ،د.ت).
. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥هـ).
٢٤. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩).
. المتقي الهندي، علي بن حسام الدين(ت٩٧٥هـ).
٢٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، ط٥(بلا مكان طبع: مؤسسة الرسالة،١٩٨١).
. المسعودي، على بن الحسين(ت٣٤٦هـ).
٢٦. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦).
. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على(ت٧١١هـ).
٢٧. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١(دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٤).
. ابن هشام، عبد الملك(ت٢١٣هـ).
٢٨. السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،١٩٥٥).
. اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ).
٢٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى،(بيروت : دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨).

ثانيا . المراجع

. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد،

١. الاعلام، ط١٥(بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢).

. الساعدي، رسول دفار عبد الرضا.

٢. الشيعة في روايات ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ ، ٢٠١٦.

. سزگين، فؤاد

٣. تاريخ التراث العربي، ط١(قم: كتابخانه عمومى حضرت آيت الله العظمى مرعشى نجفى ،١٤١٢) .

. السنيدي، عبد الرحمن علي .

٤. مراجعات ابن كثير ونقده لمتون مرويات السيرة النبوية في كتابه البداية والنهاية، مجلة عالم الكتب ، العدد، ٥-٦، ما يو ٢٠٠٣.

. ضاحي ، فاضل جابر .

٥. ابن كثير ومنهجه في كتابه البداية والنهاية، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم التاريخ ، ١٩٩١.

رؤية ابن كثير للرسول (ص) في مرحلة الجهاد المسلح كما جاء في كتابه البداية والنهاية في التاريخ

Ibn Katheer's Vision of the Messenger in the stage of armed jihad, as stated in his book The Beginning and the End in History.

الباحث: عباس خنجر عكلة/طالب دراسات عليا
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم
الإنسانية / قسم التاريخ

ا.د رياض عبد الحسين راضي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم
الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

Our research dealt with this stage of the stages of the stages of study, which is the stage of the stages of the stages of the stage, which is the stage in which the Muslims who were underestimated in Makkah turned from the power of the aristocracy and those who were with it to with it, with stages of difficult stages that passed. And they found themselves in this behavior, and their backs in that direction, while there were Muslims themselves, and they fell upon them at first. The pain of separation from loved ones and homeland when some of them migrated to Abyssinia and then migrated to Yathrib. In the stage of jihad from the Muslims in Kurdun, the response of the Muslims in the stage they lived in Mecca.

In researching its construction, we relied on Ibn Kathir with a description, and it was obtained from the well-known Jihad website, and it is a worthy topic, and it is a worthy topic. By studying, and I hope the reader will quickly issue his judgment on the subject that he was killed in research by many researchers; Our subject here is different in terms of the cost that was raised at the time, in which he is considered vulnerable to that, based in his vision on the nature of the intellectual situation in which he was raised. These matters are important in the study of strategic history and the biography of the Prophet in particular, because their projections reveal much of the real truth that has reached us.

The study was completed according to what was designed on the basis of the education programs that were published in a certain period in education, within the framework of education programs and companies. It was brought by the Prophet Muhammad, who prepares it as a role model for him and for all human beings. It was launched in a correct manner, and its aim was to demonstrate the sacrifice made by the Muslims in order to save them. Complete darkness into a bright light, as is the case for the success of its success, its success and the most important of which is the state that takes care of them and protects them from enemies and establishes the balance of justice in its dealings with everyone.

الملخص:

تناول بحثنا هذا مرحلة مهمة من مراحل التاريخ النبوي ، الا وهي مرحلة الجهاد المسلح، وهي المرحلة التي تحوّل فيها المسلمون من قوة كان يستهان بها في مكة من الارستقراطية القريشية ومن كان يقف معها الى قوة يحسب لها الف حساب، وهذه المرحلة جاءت بعد مراحل صعبة مرّ بها المسلمون يوم كانت الدعوة في طورها السري، وحتى العلني، حيث كان فيها المسلمون يعيشون وضع نفسي متأزم فرضته عليهم حالة الخوف والترقب ، وما كان يتعرض له اتباعهم على يدي مشركي قريش من عذاب جسدي ونفسي ، وما نتج عن خذلان الأقارب والعشيرة، وما تسبب به الم الفراق عن الاحباب والوطن

حين هاجر بعضهم الى الحبشة وثم الهجرة الجماعية الى يثرب. في مرحلة الجهاد المسلح كان المسلمون قادرون على رد أي تعرض يواجههم، بالضد من المرحلة التي عاشوها في مكة.

البحث في بنائه اعتمدنا على ابن كثير بوصفة احد قامات المصنفين المسلمين المعروفة، وتحديدا على كتابه البداية والنهاية بوصفه ابرز ما كتبه ابن كثير عبر مسيرته العلمية، اما عن المحور الذي دار حوله فهو التاريخ النبوي وعلى وجه الدقة اقتصرنا على مرحلة الجهاد المسلح، وهو موضوع جدير بالدراسة، وأتمنى من القارئ ان لا يصدر حكمه سريعا على الموضوع بوصفه انه قتل بحثا من باحثين كثر؛ لان موضوعنا هنا مختلف فهو يركز على الكيفية التي رأى فيها ابن كثير هذه المرحلة منطلقا في رؤياه من انتمائه الديني والمذهبي وميوله السياسية، فضلا عن طبيعة الوضع الفكري الذي نشأ فيه. لان هذه الامور مهمة في دراسة التاريخ الإسلامي عامة والسيرة النبوية بشكل خاص، لان اسقاطاتها اثرت كثيرا على الحقيقة التاريخية التي وصلتنا.

الموضوع تمت دراسته على وفق تصميم قام على رصد اهم عنصرين لمرحلة الجهاد المسلح هما : الغزوات والسرايا التي قادها هو بنفسه او تلك التي امر بها، وفي هذا الرصد ركزنا على الصورة التي رسمها ابن كثير عن تلك المرحلة بوصفه عربي مسلم يكتب عن رسالة سماوية يؤمن بها جاء بها الرسول محمد الذي يعده قدوة له ولكل البشر. والبحث قد خلص الى نتائج بينت كيف ان ابن كثير أوضّح ان تلك المرحلة لم تكن عبثية وانما كانت قد انطلقت على وفق دراسة دقيقة اخذت بنظر الاعتبار وضع المسلمين وتحرك اعدائهم، والهدف منها بيان التضحية التي قام بها المسلمون من اجل الدفاع عن الدعوة الإسلامية التي انقذتهم من ظلام دامس الى نور مشرق، كما انها جاءت من اجل الحفاظ على مكتسباتهم التي حققوها واهمها الدولة التي ترعاهم وتحميهم من الأعداء وتقيم ميزان العدل في تعاملها مع الجميع .

كلمات مفتاحية: (سرايا، غزوات، الرسول (ص)، المشركون، المسلمون)

المقدمة .

يعد ابن كثير احد ابرز اعلام التاريخ الإسلامي ومصنفيه، وقد طرق مختلف الفنون، فقد كتب في التاريخ والادب والتفسير والفقه والحديث وغيرها، وهو بهذه الموصفات يُعد عالما موسوعيا، وتلك الموسوعية كان لها تأثيرها في تفكيره ورؤيته الخاصة لحوادث لتاريخ الإسلامي ووقائعه، جعلت منه محط انظار الباحثين والدارسين، وبسبب موقعه هذا كتب عنه الكثير من الدراسات تناولت سيرته وعمله، كما تناولت منهجه في دراسة التاريخ الإسلامي[١].

لكن ابن كثير على الرغم مما كتبه من مصنفات، يبقى كتابه البداية والنهاية هو الأهم من بين تلك المصنفات فهو كتابا أراد منه ان يكون تاريخا عالميا ارّخ فيه للتاريخ البشري منذ بدء الخليفة حتى وقته، وهذا الاجراء قد منح ابن كثير تصورا كبيرا وافقا واسعا للتعامل مع احداث التاريخ ووقائعه، كما منحه رؤية مميزة حين يتناولها على مستوى الزمان والمكان والاشخاص.

على وفق هذه الرؤية انصب بحثنا هذا على مدة من التاريخ البشري الذي كتبه ابن كثير، تلك التي تميزت بزمانها ومكانه واشخاصها هي: مدة الدعوة الإسلامية، التي قادها الرسول الاكرم، ومن تلك المدة تحدد بحثنا بدراسة المرحلة التي خاض فيها الرسول محمد جهادا مسلحا، تلك المدة التي حتمت

عليه التطورات السياسية التي شهدتها ساحة شبه الجزيرة العربية ان يخوضها ، ذلك الجهاد قد جاء عبر عمليات عسكرية عدة، عرفت في التاريخ بالغزوات والسرايا والبعوث، وهذه المرحلة من عمر الرسالة نالت اهتماما كبيرا من ابن كثير، وكما سيتضح هذا الاهتمام من الصفحات التي خصصها لها في كتابه موضوع البحث، بحثنا بطبيعته لم يكن غرضه كتابة تاريخا لتلك المرحلة من عمر الرسالة؛ لان هذا الموضوع كتب فيه الكثير من الباحثين[٢]، وانما هدف بحثنا هو الوقوف على رؤية ابن كثير لتلك المرحلة، وكيف كانت تلك الرؤية في ضوء انتماءه الديني والسياسي بوصفه مسلما يدعم التوجهات السياسية المملوكية التي كانت تخوض صراعا مع المغول.

وضمن هذا المحتوى تكون فرضية بحثنا: ما الصورة التي رسمها ابن كثير عن مرحلة الجهاد المسلم التي خاضها الرسول واتباعه من المسلمين؟

وقد تمت معالجة الموضوع عبر محورين اساسين هما: الغزوات والسرايا، وفيها تتبعنا الكيفية التي تم طرحهما من ابن كثير، وما كوّنه من صور خاصة به عنهما، مبيّنا منها الأسباب والدوافع التي حتمت على الرسول ان يخوصهما، ومن دون شك انه أراد ان يقول ان الرسول في عمله الجهادي ذلك لم يكن يقوم بأعمال قوامها السلب والنهب كما كان معمول به قبل الإسلام في شبه جزيرة العرب، وما كان ينظر لها من المشركين وغيرهم، وانما كانت اعمال يفرضها الواقع السياسي وقت ذلك، أراد منها ان تكون بهدف الدفاع عن حياة المسلمين، والحفاظ على مكتسباتهم التي توجت بقيام دولة المدينة، فضلا عن انه توخى منها أيضا بيان براعة الرسول العسكرة، وقدراته السياسية، وديمقراطيته المتمثلة بمشاركته لرأي اصحابه .

وقبل الخوص في تفاصيل الموضوع من المفيد الإشارة الى ان الشائع بين المحدثين واهل السيّر انهم اصطلحوا على العسكر الذي يحضره الرسول بنفسه بالغزوة، وما كان يرسل فيه بعضا من أصحابه الى العدو من دون ان يحضره بنفسه كان يصطلح عليه سرية اوبعثا[٣]. وهناك بعض من المصنفين من سمى بعض السرايا (غزوة) كما في مؤتة اذ قالوا غزوة مؤتة وكما في سرية الرجيع التي سماها السيوطي غزوة الرجيع وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر وربما سموا الواحد سرية، وربما سموا الاثنين فأكثر بعثا، ومنه قول البخاري بعث الرجيع [٤].

أ- الغزوات.

وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة سبعا وعشرين غزوة[٥].

١-غزوة ودان: وهي غزوة الأبواء في صفر سنة ٢هـ كانت موجه ضد مشركي قريش، وتحديدا لاعتراض احدى قوافلهم التجارية، ولم يقع فيها قتال وانتهت بعقد حلف مع عمرو بن مخشى الضمري، وكان سيد بني ضمرة في زمانه [٦] لم يفصل ابن كثير فيها كثيرا، ولم يذكر عدد المسلمين المشتركين في تلك الغزوة كما هو معتاد ان يركز على الأرقام، وكان هذا الامر من أسس المنهج التي سار عليه.

٢-غزوة بواط من ناحية رضوى: حدثت في شهر ربيع الأول سنة ٢هـ، وهي الأخرى موجهة ضد احدى قوافل قريش التجارية، وانتهت من دون قتال، واكتفى بهذه الاشارة من دون ذكر تفاصيل عنها[٧].

٣-غزوة العشيرة من بطن ينبع: جمادى الأولى سنة ٢هـ أيضا كانت موجه ضد قريش ولم يحدث فيها قتال ولم يفصل فيها ابن كثير ايضا [٨].

٤- غزوة بدر الأولى: وقعت بعد غزوة العشيرة في سنة ٢هـ أيضا والسبب هو ان المشركون أغاروا على مراعي المدينة، ونهبوا بعض المواشي، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لمطاردتهم، لكن لم يحدث صدام؛ لان المشركين تمكنوا من الهرب [٩].

٥- غزوة بدر العظمى: وقعت في السابع من رمضان سنة ٢هـ، وبعد ان عاد المسلمون لمطاردة قافلة قريش التي افلتت منهم في غزوة العشيرة، وعلم أبو سفيان –وهو المسؤول عن القافلة– بقدوم المسلمين فأرسل إلى مشركي قريش في مكة مستغيثاً بهم فأرسلت قريش جيشاً لنجدته يقوده أشراف وسادة قريش حتى التقى الجيشان في واد بدر، انتهت بالنصر لصالح المسلمين، ونتج عن المعركة استشهاد ١٤ من المسلمين ومقتل ٧٠ من المشركين منهم أبي جهل وهو من سادة قريش ومن أشد المعادين للنبي محمد بالإضافة إلى أسر ٧٠ مشركاً. أما بشأن الأسرى فقد استقر رأي الرسول على أخذ فداء عن كل أسير بعد الأخذ بمشورة أبي بكر، وكان الفداء ما بين أربعة آلاف إلى ألف درهم، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم القراءة والكتابة، فإذا تعلموا فهو فداء[١٠]. ومعركة بدر هي أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة، وقد اولاها ابن كثير اهتماما كبيرا دل عليه الحيز الذي أعطاها لها، والذي تمثل بأكثر من مائتين وأربعين صفحة حسب الطبعة المستعملة منا، وكان لهذا دلالته عند ابن كثير وهو يرسم صورة الرسول الاكرم في تلك المرحلة من مراحل الرسالة الإسلامية وسنؤجل الحديث عن تلك الدلالات في نهاية مبحث الغزوات والسرايا لأنها جميعها تشترك في الهدف العام.

٦- غزوة بني سليم: في شوال سنة ٢هـ وفيها وصل إلى علم الرسول أن بني سُلَيْم وبني غطفان تحشد قواتهما وتنوي غزو المدينة، فباغتهم النبي في عقر دارهم وانتهت الغزوة من دون اشتباك؛ لفرار بني سليم وبني غطفان [١١].

٧- غزوة بني قينقاع: في شوال من سنة ٢هـ ، على الرغم من معاهدة السلم بين المسلمين واليهود التي اقرتها وثيقة المدينة، عمد يهود بني قينقاع إلى استفزاز المسلمين، وإثارة الشغب ضدهم، لاسيما بعد النصر الذي احرزه المسلمون في غزوة بدر العظمى، ورغم وعظ الرسول لهم وتحذيره من مغبة بغيهم إلاّ أنهم لم يتعظوا، وكان اخلالهم بالأمن ومجاهرتهم بالعدوان دافعا للرسول ان يغزوهم في عقر دارهم، لكن لم يحدث قتال معهم؛ لانهم اختبأوا في حصونهم، وقد فرض عليهم الرسول حصارا شديدا اضطروا بسببه الى الاستسلام ثم اجلاهم عن المدينة[١٢].

٨- غزوة السويق: في ذي الحجة من سنة ٢هـ خرج أبو سفيان إلى المدينة بعد الهزيمة التي لحقت به في بدر ليثأر من المسلمين، لكن انتهت من دون قتال، لهروب المشركين ولتخفيف احمالهم القوا ما كانوا يحملونه من سويق الذي سميت به[١٣].

٩- غزوة نجد او غطفان وهي غزوة ذي أمر: في ربيع الأول من سنة ٣هـ وصل إلى علم الرسول أن جمعا كبيرا من غطفان من بني ثعلبة، وبني محارب تجمعوا، يريدون الإغارة على أطراف

المدينة فخرج الرسول في أربعمائة وخمسين مقاتلا لملاقاتهم، لكن لم يحدث قتال، وتفرق المشركون حين سمعوا بقدوم المسلمين، ومع ذلك أقام الرسول مع الجيش قرابة شهر ليشعر الأعراب بقوة المسلمين [١٤].

١٠- غزوة بحران : في شهر ربيع الاخرة من سنة ٣هـ، وصل إلى علم الرسول أن جمعاً من بني سليم يستعدون لقتال المسلمين، فقرر مبغاتهم في عقر دارهم، لكن لم يحدث صدام عسكري، وعلى أثرها رجع المسلمون إلى المدينة بعد فرار المشركين من تلك القبائل [١٥].

١١-غـزوة أحـد: كانت في شوال سنة ٣هـ، وفيها ارادت قريش الانتقام من المسلمين والثأر لهزيمتهم في بدر العظمى، فحشدوا جيشاً كبيراً وتحركوا صوب المدينة، كانت الغلبة للمشركين، ونتج عن المعركة استشهاد ٧٠ من المسلمين مقابل النصف قتل من المشركين، ومن الأسباب الرئيسة لهزيمة المسلمين هي مخالفة الرماة لأوامر الرسول الصارمة بالتمركز على جبل احد، وعدم مغادرة مكانهم مهما حدث إلا بطلب منه، والغاية كانت حماية ظهر المسلمين، إلا أنهم سرعان ما ترك اغلبهم مكانهم حين ظهرت بشائر النصر ليشاركوا سواد الجيش في جمع الغنائم فاستغل خالد بن الوليد – وكان لم يسلم بعد– هذه الفرصة واستدار بسرعة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، وانقض على المسلمين من الخلف، الذي أصبح مكشوفاً بعد مغادرة الرماة مكانهم من اعلى جبل احد، فانقلبت الكفة وانهزم المسلمون. وكانت معركة احد من المعارك الفاصلة في تاريخ المسلمين، وقد اولاها ابن كثير اهتماما لموقعها بين المعارك التي خاضها المسلمون مع المشركين وتعدت الصفحات التي كتبها عنها حسب الطبعة المستعملة منا أكثر من مائة وخمسين صفحة [١٦].

١٢- حمراء الأسد: أيضا في شوال من سنة ٣هـ، وكانت بعد أيام من معركة أحد، هي تكملة لغزوة أحد، كان الرسول يخشى أن يفكر المشركون أنهم لم يستفيدوا شيئا من النصر والغلبة التي كسبوها في معركة أحد، لأن بقت المدينة لم تتأثر وقيادات المسلمين لم تقتل، فخرج من المدينة مع جيشه صباح الغد من معركة أحد حتى بلغوا حمراء الأسد. وليبلغهم أنه خرج في طلبهم؛ ليشعرهم بقوته، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم [١٧].

١٣- غـزوة بنـي النضـير:في سنة ٤هـ، وسببها هو بعدما حاول يهود بني النضير اغتيال الرسول حين جاءهم طالباً مساعدتهم في دية قتيلين –وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة– ونتج عن هذه المحاولة ونكث معاهدة السلام من اليهود، أن بعث الرسول لهم يمهلهم شهراً للخروج من المدينة، وإلا القتال، ولكن رفض اليهود الخروج؛ فحشد الرسول جيش المسلمين وذهب لمحاصرتهم، دام الحصار ست ليال فقط، بعدها اضطر اليهود الى الاستسلام وطلبوا الخروج من المدينة، فوافق الرسول أن يخرجوا مع ترك سلاحهم [١٨].

١٤- غزوة ذات الرقاع: هذه الغزة اختلف اهل المغازي في زمانها، فابن اسحق حسب ما ينقل عنه ابن هشام يذكر انه قال حدثت بعد غزوة بني النضير في شهر ربيع الآخر وبعض من جمادى الاولى [١٩] أي بعد سنة٤هـ، وهي السنة التي وقعت فيها غزوة بني النضير، كما سبق ان أشرنا، وذكر البخاري انها بعد غزوة خيبر[٢٠] وهذه الاحتمالات ذكرها ابن كثير وأضاف اليها أيضا بان هناك من يرى انها وقعت في شوال من سنة ٤هـ [٢١] ،وذكر أيضا ان الواقدي[٢٢] قال انها حدثت في المحرم سنة

٥هـ[٢٣]، وهذا ما يذهب اليه ابن سعد أيضا [٢٤]، وكل هذه الاحتمالات يرفضها ابن كثير ويرجح انها حدثت بعد غزوة الخندق؛ لان في الغزوة أي ذات الرقاع صلى المسلمون فيها صلاة الخوف وهذه الصلاة شرعت بعد غزوة الخندق[٢٥] ،وهذا الامر ناقشه بتفصيل الشيخ محمد بخيت المطيعي، وخلص الى نتيجة انها شرعت بعد غزوة الخندق التي حدثت كما هو معرف سنة ٥هـ [٢٦]، كما قدم ابن كثير حجة أخرى قوية من ان غزوة ذات الرقاع ممكن انها حدثت بعد خيبر أي بعد سنة ٧هـ ودليله هو ان أبو موسى الاشعري شهد غزوة ذات الرقاع ومعروف ان أبا موسى وجعفر بن ابي طالب قدما من الحبشة في فتح خيبر وقدومهم حسب ما يذكر ابن كثير وبالاستناد الى البخاري متفق عليه ولا خلاف فيه[٢٧]. لكن طرح هذا الرأي ولم يعول عليه كثيرا على الرغم من معقوليته.

على اية حال كان السبب الذي وراء هذه الغزوة هو وصول اخبار إلى علم الرسول باجتماع الأعراب من بني أنمار أو بني ثعلبة وبني مُحَارِب من غطفان للإغارة على المسلمين، فبادر هو بالخروج إليهم. لم يحدث قتال، لقي المسلمون جمعاً من غطفان فأخاف بعضهم بعضاً –وصلى النبي بالمسلمين صلاة الخوف حينئذ– ولما علمت قبائل غطفان بقدوم المسلمين هربت، وعاد المسلمون منتصرين [٢٨].

١٥– غزوة بدر الآخرة: حدثت في شعبان سنة ٤هـ؛ لان في غزوة أحد توعد أبو سفيان المسلمين ببدر العام المقبل، وعلى هذا الأساس تواجه الجيشان مجدداً، لم يحدث قتال بعد أن قرر أبو سفيان الرجوع لمكة، أما المسلمون فأقاموا ببدر ثمانية أيام ينتظرون العدو، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا ، ثم رجعوا إلى المدينة وتوطدت هيبتهم في النفوس[٢٩].

١٦– غزوة دومة الجندل: حدثت في ربيع الأول من سنة ٥هـ، جاءت الأخبار إلى الرسول محمد بأن القبائل حول دومة الجندل تقطع الطريق هناك، وتنهب ما يمر بها، وأنها قد حشدت جمعا كبيرا تريد أن تهاجم المدينة، فقرر الرسول الخروج إليهم. لم يحدث قتال بين الطرفين، فقد فّر أهل دومة الجندل لما علموا بقدم المسلمين [٣٠].

١٧– غزوة الخندق: حدثت في شوال سنة ٥هـ، بعد أن طرد المسلمون يهود بني النضير –بسبب نقضهم عهدهم مع الرسول محمد ومحاولة قتله– فكّر اليهود بالانتقام من المسلمين، ومن أجل ذلك خرج سادات بني النضير لتحريض القبائل العربية على غزو المدينة المنورة، فاستجابت لهم قريش وحلفاؤها، لاحقاً انضم إليهم يهودُ بني قريظة على الرغم من العهد والميثاق الذي كان يربطهم بالمسلمين – وانضمامهم كان تمهيداً لغزوة بني قريظة. عندما وصل للمسلمين أخبار زحف الأحزاب إليهم عقد الرسول مجلس استشاري لبحث خطة الدفاع عن المدينة، وتم فيه الأخذ برأي الصحابي سلمان الفارسي الذي اقترح فيه حفر خندق حول المدينة يحول دون اختراقها. فوجئ المشركون بالخندق خاصة أن هذه الحيلة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك، ولجأوا إلى فرض حصار على المدينة، وحاولوا مراراً اختراق الخندق دون جدوى، ولم يجر قتال مباشر. قام يهود بني قريظة –كانوا يعيشون في جنوب المدينة مع المسلمين وكان يربطهم معاهدة سلام وحرية عبادة ودفاع مشترك– بمخالفة العهد والتحالف مع المشركين، وكان الموقف شديد الخطورة على المسلمين، فأمامهم جيش يفوقهم عدداً، وخلفهم عدو نقض عهده، وبدأ المنافقون منهم في الهروب من الجيش. فكر الرسول في فك تحالف الأحزاب بأن يعرض ثلث ثمار المدينة على قبيلة

غطفان في مقابل انسحابهم، إلا أنه عدل عن رأيه بعد استشارة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة اللذان فضلا عدم الرضوخ، جاء نعيم بن مسعود –وهو رجل من قادة قبيلة غطفان– إلى الرسول معلناً اسلامه، ولم يعلم قومه بعد، فطلب منه الرسول ان يساعده على قدر استطاعته فإن الحرب خدعة. وكان لهذا الرجل دور محوري في إنهاء المعركة بأن عمد إلى بث الفرقة بين المشركين واليهود، وإقناع كل طرف أن الطرف الأخر سيخذله، وكان له ما أراد. وفي هذه الأثناء ثارت رياح شديدة عند مواقع المشركين لم تترك لهم خيمة إلا اقتلعتها، ولم تترك نارًا إلا أطفأتها، ووصلت شدة الريح وخطورتها إلى الدرجة التي دفعتهم لأخذ قرار العودة دون قتال، وفك الحصار، وانتهت الحرب بهذه الصورة، وكانت عاملا مهما في حسم المعركة لصالح المسلمين. وكانت هذه الغزو من المعارك الهامة في مجرى الرسالة الإسلامية، وفي الصراع مع المشركين، ومن كان يقف معهم لذلك، ونظرا لتلك الأهمية فقد اولاها ابن كثير اهتماما كبيرا دلل عليه الصفحات التي رصدها لها في كتابه البداية والنهاية اذ تعدت أكثر من سبعين صفحة [٣١].

١٨– غزوة بني قريظة: حدثت في سنة ٥هـ بعد غزوة الخندق، تعد غزوة بني قريظة امتدادا لغزوة الأحزاب، فبعد انسحاب المشركين من حدود المدينة التي أرادوا اقتحامها بمساعدة يهود بني قريظة –على الرغم من معاهدة السلام التي تربطهم مع جيرانهم المسلمين– أراد المسلمون التعامل مع يهود بني قريظة لنقضهم عهدهم وجعلهم المسلمين عرضة للهلاك فحشدوا العساكر ضدهم التي تحركت نحو بني قريظة وتمكنت من فرض حصارا قويا عليهم ارغمهم على الاستسلام والخضوع للمسلمين [٣٢].

١٩– غزوة بني لحيان من هذيل: سنة ٦هـ، وبنو لحيان هم الذين كانوا قد قتلوا عشرة من الدعاة المسلمين وهم في طريقهم إلى قوم من عَضَل وقَارَة، اذ في السنة الرابعة من الهجرة قدم على رسول الله قوم من عَضَل وقَارَة وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فأرسل إليهم الرسول بعشرة من أصحابه، لكن هؤلاء تعرضوا الى غدر من بني لحيان، فاراد الرسول ان يشن عليهم غزوة ليضع حد لفعلتهم تلك [٣٣]، وقد تحركت عساكر المسلمين تجاه بني لحيان من هذيل، لكن لم يحدث قتال بين الطرفين؛ لان بني لحيان حين سمعوا بقدوم المسلمين هربوا الى رؤوس الجبال[٣٤].

٢٠– غزوة ذي قرد: حدثت سنة ٦هـ، أغار جمع من قبيلة غطفان على إبل النبي صلى الله عليه وسلم في منطقة يقال لها الغابة على حدود المدينة وقتلوا حارسها وخطفوا زوجته مع الإبل، علم أهل المدينة بما حدث، فانطلق الرسول مع بضع الفرسان لمطاردة المعتدين. واستطاع المسلمون تخليص المرأة وبعض الإبل، واسفرت الغزو عن استشهاد اثنين من المسلمين واقتل اثنين من المشركين وهرب الباقون ببعض الإبل [٣٥].

٢١– غزوة بني المصطلق من خزاعة: اختلف الرواة في تاريخ حدوثها، وقد أشار ابن كثير لذلك الاختلاف، لكنه رجح انها حدثت سنة ٦هـ، والسب وراء قيامها هو لما سمع الرسول باستعداد قبيلة بني المصطلق لغزو المدينة بعث بأحد الصحابة ليستطلع الامر ويتقين منه، ولما تيقن الرسول جمع جيشه وتوجه إليهم. وكان قد فرّ الكثير من المشركين اصلا لمّا علموا بقدم المسلمين، وقد حدث قتال قصير انتصر المسلمون فيه وتمكنوا من سبي النساء والذراري والنعم والشاء [٣٦].

٣٢- غزوة الحديبية لا يريد قتالا قصده المشركون: حدثت في ذي القعدة سنة ٦هـ، ولم تكن هناك نية للقتال، بل شد الرحال إلى مكة بغرض الاعتمار. أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث سفيراً يؤكد لقريش موقفه وهدفه من هذا السفر، فأرسل عثمان بن عفان وقال له: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عماراً، وادعهم إلى الإسلام. وقد تأخر رجوع عثمان -ولعل السبب هو استغراق قريش في الرد- فشاع بين المسلمين أن عثمان قتل، ولكنه عاد سالما في النهاية. ثم بعثت قريش سُهَيْل بن عمرو لعقد الصلح، وجرت مباحثات اخرى مع المسلمين وفي النهاية اتفق الطرفان على الهدنة[٣٧] على وفق شروط أهمها ١. يرجع المسلمون ولا يدخلوا مكة هذا العام، على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل آمِنِينَ. ٢. وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض. ٣. من أحب أن يدخل في عهد محمد دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.٤. من أتي محمداً من قريش من غير إذن وليه -أي هارباً منهم- رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد -أي هارباً منه- لم يرد عليه[٣٨].

٣٣- غزوة خيبر: حدثت سنة ٧هـ، خيبر هي المدينة التي نزح إليها يهود بني النضير حين أجلاهم الرسول من المدينة عقب نكثهم معاهدة السلام ومحاولتهم اغتياله، وعلى الرغم من أن المسلمين تركوهم دون قتال عقب محاصرتهم في غزوة بني النضير، إلا أن اليهود أبوا أن يتركوا المسلمين في سلام. كانت خيبر وكرًا للتآمر، فأهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وحرضوا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم تواصلوا مع المنافقين ومع غطفان وأعراب البادية، وكانوا هم أنفسهم يتهيؤون للقتال، فتسببوا للمسلمين بمؤامرتهم تلك بمحن متواصلة. فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة، وهو قريش، وأمن منه تماماً بعد صلح الحديبية، أراد أن يحاسب الجناحين الباقيين اليهود وقبائل نجد من الاعراب، حتى يتم الأمن والسلام، ويسود الهدوء في المنطقة، ويتفرغ المسلمون إلى تبليغ رسالة الاسلام والدعوة إليه. فكانت غزوة خيبر هي الأخرى نتيجة، وردّة فعل على هجوم الأحزاب. وفيها بدأ المسلمون بفتح حصن تلو الآخر وتخلل ذلك أياماً من الحصار والقتال والمقاومة الشديدة من اليهود حتى لجأ اليهود إلى الاستسلام والمفاوضة. وأما عن بنود الصلح، فقد طلب اليهود من الرسول أن تحقن دماءهم، وأن يتركوا أموالهم فكان لهم ذلك، ثم سألوه أن يبقيهم على زراعة أرض خيبر مقابل نصف ما يخرج من ثمارها فأعطاهم ذلك، وتبع استسلام أهل خيبر يهود فَدَك، ووادي القُرَي، وأخيراً يهود تيماء، وغزوة خيبر تعد من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام وقد خصها ابن كثير بأكثر من مائة صفحة [٣٩].

٣٤- غزوة الفتح: حدثت في رمضان سنة ٨هـ، وذلك حين نقضت قريش معاهدة الحديبية بعد أن أعانت قبيلة بني بكر التي دخلت في عهد قريش على الإغارة على قبيلة خزاعة التي دخلت في عهد رسول اللّه ، فأصابوا منهم رجالاً، وتناوشوا واقتتلوا. وسرعان ما أحست قريش بخطئها وغدرها، فبعثت قائدها أبا سفيان ليجدد الصلح، لكنه لم يفلح ورفض الرسول الحديث معه، فعاد أدراجه إلى مكة. وإمام هذا النقض للمصالحة أمر الرسول بتجهز الجيش في سرّية تامة وانطلق إلى مكة. وقسم الرسول جيشه

إلى ثلاثة أقسام: قسم أمّر عليه خالد بن الوليد وأمره أن يدخل مكة من أسفلها، وقسم أمّر عليه الزبير بن العوام وأمره أن يدخل مكة من أعلاها، وقسم أمّر عليه أبا عبيدة بن الجراح وأمره أن يسلك بطن الوادي. ووجّه الرسول أمراءَ العساكر الثلاثة بأن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم وأعطى الأمان لمن لازم بيته أو المسجد الحرام. دخل الجيش الإسلامي مكة ولم يواجه جيشا محاربا من أهلها باستثناء اشتباك محدود وقع بين جيش خالد بن الوليد ومجموعة قليلة من قريش بقيادة عكرمة بن أبي جهل كانت قد رفضت الأمان وأرادت التصدي للمسلمين بالقوة، وقتل في ذلك الاشتباك أفراد قلائل من الجانبين، ثم انتهى بفرار فلول مجموعة قريش إلى بيوتهم ليأمنوا من القتل. دخل الرسول مكة من أعلاها وسار إلى المسجد الحرام، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت، وكانت في يده قوس يطعن بها الأصنام المنصوبة حول الكعبة وهو يردد قوله تعالى "**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**"(٤٠) "**قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**"(٤١) ، فتخر الأصنام ساقطة على وجوهها. فلما أكمل طوافه دعا سادن الكعبة عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاحها وأمر بها ففتحت، فدخلها وأمر بالصور التي كانت فيها فمحيت، ثم دار في نواحيها وصلى داخلها. تجمعت رجالات قريش منتظرين ما سيفعله بهم الرسول، فتوجه إليهم وقال: "**يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟**"، **فقالوا: "أخ كريم وابن أخ كريم"، قال:** "فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوانه: "**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** "، "**اذهبوا فأنتم الطلقاء**"، وأمر بلالا أن يصعد فيؤذن للصلاة على ظهر الكعبة وقريش تسمع. وفي اليوم التالي لفتحه مكة ألقى النبي محمد صلى الله عليه وسلم خطبة عظيمة بيّن فيها بعض معالم الدين وحرمة بلده الأمين مكة، ثم بايع الرجال والنساء من أهل مكة على السمع والطاعة، وأقام بها بعد ذلك تسع عشرة يوما وضّح لهم فيها معالم الإسلام وتعاليمه ورتب فيها الشؤون الإدارية في مكة. وكان فتح مكة هو أعظم فتح حصل عليه المسلمون خلال مسيرة الرسالة الاسلامية، وكان حدثاً يعد محورياً باتت فيه الغلبة والقوة للمسلمين بعدما كان ينظر لهم أنهم تابعين لقريش وعدها ابن كثير من الاحداث الهامة في تاريخ الرسالة الإسلامية على عهد الرسول محمد وقد قصها بتفاصيل تعدت المائة صفحة(٤٢).

٣٥- غزوة حنين: حدثت في شوال سنة ٨هـ بعد الفتح، جاء الإسلام وقبيلة هوازن في أوج قوتها، ولم تعجبهم الانتصارات المتتالية للمسلمين. وبعد فتح مكة شعرت هوازن بمزيد من الخطورة، فقرر زعيمهم مالك بن عوف المسير إلى حرب المسلمين، وحينما سمع الرسول بقدوم قبيلة هوازن بتجاه المسلمين، قرر الخروج بالجيش خارج مكة في واد يسمى وادي حُنَيْن لملاقاتهم، وخرج معه اثني عشر ألفاً من المسلمين؛ عشرة آلاف ممن كانوا خرجوا معه لفتح مكة، وألفان من أهل مكة، وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام، ونظر البعض إلى كثرة الجيش قائلاً لن نُغْلَبَ اليوم، وكان قد شق ذلك على الرسول، وحزن حزناً شديداً إزاء هذه الثقة الزائدة، وصل مالك بن عوف بجيشه إلى وادي حُنَيْن قبل المسلمين، وبالتالي نشر قواته في الأماكن المناسبة، واحتل المواقع الاستراتيجية، واستراحت جيوشه بصورة كافية قبل اللقاء، وكل ذلك كان في صالح المشركين، ولما وصل جيش المسلمين، اندفع إلى سهل حُنَيْن دون تروٍّ، فانهالت عليه الأسهم والرماح من كل مكان، وأحيط بالمسلمين من كل مكان، فخارت عزائمهم في لحظات وفرّ اغلبهم إلا قليل ثبت مع الرسول في قلب المعركة، وأمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عمه العباس أن

ينادي الصحابة ثم الأنصار ثم قصرت الدعوة في بني الحارث بن الخزرج، وعادت جحافل المسلمين رويداً رويداً، وتجالد الفريقان من جديد مجالدة شديدة وانقلبت الآية وتحقق النصر للمسلمين، وكسب المسلمون مغانم كثيرة في تلك المعركة خاصة أن قبيلة هوازن خرجت بالنساء والأطفال والأنعام والأموال، وكل ما يملكون تحفيزًا للجيش على القتال، بعدها أمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم بمنطقة تسمى بالجِعْرَانَة، ولم يقسمها حتى فرغ من غزوة الطائف. وأما عن القتلى، فاستشهد خمسة من المسلمين، وقتل سبعين من المشركين، ولعل قلة أعداد القتلى جاءت لعدم ضراوة القتال، فكانت المعركة فرّ و كرّ من المسلمين، ثم كر وفر من المشركين وهي من المعارك التي اولاها ابن كثير اهتماما كبيرا وقد خصها بأكثر من خمسين صفحة حسب الطبعة المستعملة منا(٤٣).

٣٦- غزوة الطائف: حدثت سنة ٨هـ بعد غزوة حنين ، وهي تعد امتداد لغزوة حنين، وذلك أن معظم فلول هَوَازن دخلوا الطائف مع زعيمهم مالك بن عوف وتحصنوا بها، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من حنين وجمع الغنائم. لما وصل المسلمون إلى الطائف، أمر الرسول بفرض الحصار على أهل الطائف المتحصنين في حصونهم المنيعة، ودام الحصار قرابة الشهر حاول فيه المسلمون اقتحام الحصن بطرق شتى استعمل المنجنيق لقذف الحصون بالحجارة، وكان اهل الطائف اول من رمي بالمنجنيق في الاسلام، كما صنع دبابةً خشبية يختبئ تحتها الجنود؛ ليصلوا إلى القلاع والحصون دون أن تصيبهم السهام لكن دون جدوى، وعلى إثر ذلك استشار الرسول أحد الصحابة، ونصحه بفك الحصار وقد كان ، وبعد فك الحصار عاد الرسول ومكث في وادي الجعرانة يقسم غنائم غزوة حنين، وبعد توزيع الغنائم أقبل وفد قبيلة هوازن ليعلن إسلامه وطلب برد السبي، فنقل الرسول هذا الطلب إلى المسلمين وحثهم على قبوله حتى تم(٤٤).

٣٧- غزوة تبوك: في رجب من سنة٩هـ وهي اخر غزوة غزاها الرسول ، قرر الرّوم إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهدد الكيان الرّومي المسيطر على المنطقة؛ فلم يكن قيصر ليصرف نظره عما كان لمعركة مؤتة من الأثر الكبير لصالح المسلمين، وكان يري القضاء على قوة المسلمين قبل أن تقوى أكثر، وتثير القلاقل والثورات في المناطق العربية الخاضعة للرّوم وقتذاك. وعلى إثر ذلك، خرجت جيوش الروم الكبيرة بقوى رومية نساندها قوة عربية قدر المجموع الكلي بأربعين ألف مقاتل، كان الرسول يري أنه لو توانى وتكاسل عن غزو الرّوم في تلك الظروف، وتركهم يزحفوا خلال المناطق التي كانت تحت سيطرة الإسلام لكان له أسوأ أثر على الدعوة الإسلامية، وعلى سمعة المسلمين العسكرية، ولذلك قرر القيام على الرغم من صعوبة الموقف بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الرّوم في حدودهم، ولا يمهلونهم حتى يزحفوا إلى دار الإسلام. طلب الرسول من الصحابة أن يتجهزوا للقتال وبعث إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة يستنفرهم، وتسابق المسلمون في الامتثال لأمر الرسول وتجهزوا للقتال، وبذل الأموال والصداقات، تحركت عساكر الرسول إلى تبوك في جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل وعسكر هناك انتظارا للرّوم، انتهت المعركة بلا صدام أو قتال؛ لأن الجيش الرّومي تشتت وتبدد في البلاد خوفًا من المواجهة لما سمع بزحف المسلمين؛ مما زعزع ثقة حلفاء الروم بهم في المنطقة، وجعلتهم يتخلون عنها ويحالفون العرب بعد ان صار المسلمون قوى كبرى في المنطقة ، وغزوة تبوك تعد من المعارك الهامة في مجرى

الرسالة الإسلامية وقد اولاها ابن كثير بتفاصيل تعدت التسعين صفحة[٤٥].

وينقل ابن كثير عن ابن إسحاق ان الرسول قد قاتل في تسع غزوات من أصل سبع وعشرين غزوة، أي حمل فيها السيف ضد العدو، وهي: غزوة بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف [٤٦].

نخلص مما عرضه ابن كثير عن غزوات الرسول الاكرم انه أراد ان يرسم صورة يوضح فيها الاتي:

١ـ ان تلك الغزوات اشعرت المسلمين انهم ليس مجرد جماعة مضطهدة، بل انهم دولة ممكّنة لها جيش ينفذ خططها، ويحافظ على أمنها، ويرهب أعداءها من المشركين وغير المشركين، ويحفظ كرامتها، بل مثلت تلك الغزوات نقلة نفسية في تاريخ المسلمين بعد ان كانوا يعتدى عليهم في مكة ولا حول ولا قوة لهم في رد الاعتداء اما الان فقد تغير ميزان القوى.

٢– ان تلك الغزوات قد درَّبت المسلمين على فنون القتال، فضلا عن انها عرفت المسلمين بكل طرق المدينة وما حولها فقد تمكنوا من وضع اليد على المناطق الرخوة التي بإمكان العدو ان يهجم عليهم منها، كما وضعت تحت يدهم خارطة بمواقع القبائل المعادية، وغير المعادية، وهذا ما كان يبغيه ابن كثير من عرضه لتلك الغزوات، وما أراد من رسمه من صورة عن المسلمين في هذا المجال وما وحققته دولة المدينة من تطور في المجال العسكري بوصفها دولة متنامية .

٣– ان تلك الغزوات اشعرت أعداء المسلمين ان موازين القوى قد تغيرت تماما وصار المسلمين قوة يحسب لها ألف حساب.

٤– نتيجة هذه القوة المتصاعدة للمسلمين استطاع المسلمون أن يقوموا بعقد بعض المعاهدات مع بعض قبائل المنطقة، والتي هي عبارة عن معاهدات حسن جوار، بل ودفاع مشترك. فعلى سبيل المثال عقد رسول الله معاهدة مع قبيلة بني ضمرة، وذلك في غزوة الأبواء، كما عقد معاهدة مع قبيلة بني مدلج، وذلك في غزوة ذي العشيرة، وهدنة الحديبية، ولا شك أن تلك المعاهدات زادت من قوة المسلمين، ورسخت أقدامهم في المنطقة واعطتهم مجالا للتفرغ لغيرهم من الأعداء بدلا من المقاتلة على عدة جبهات ليتشتت جهدهم، وهنا أراد ابن كثير ان يوضح البعد السياسي لدولة المدينة وطريقة تفكيرها على وفق أسس مرسومة لا عشوائية.

٥– كانت هذه الدوريات العسكرية التي اعترضت قوافل قريش التجارية بمنزلة إعلان إسلامي صريح للحرب على أهل مكة الكافرين، وارد منها ابن كثير ان يبين في الوقت نفسه تطبيق الشرع الإلهي بان لا مفاوضات مع المشركين غير الإسلام او السيف في دلالة على حرص المسلمين على المواظبة في نشر الإسلام ولو كره الكافرون.

٦ـ ابرز ابن كثير – من عرضه للغزوات – قدرات الرسول العسكرية، وتكتيكه في إدارة الصراع مع المشركين، وما كان يقوم به من مناورات، فكان يعرف كيف يهجم ومتى، وكيف يفاوض ومتى ،وكيف كان يعمل بمنطق (الحرب خدعة)، كما بيّن عدم استقلال الرسول بالراي، بل اظهره انه كان يشارك اتباعه الراي ويستأنس بمشورته، مثل ما لاحظنا ذلك في غزوة الخندق والحديبية وخيبر والفتح ، كما بين

سداد راي الرسول الاكرم والنتائج العكسية حين يخالف من اتباعه كما حدث في غزوة احد وحنين.

ب ـ بعوث الرسول وسراياه.

اختلف أصحاب السيرة والمغازي ومن المهتمين بهذا الامر في عدد الأشخاص المرسلين في البعوث والسرايا وفي الصنف أي فرسانا ام رجالة، وفي المهام المرسلة لأجلها، وحتى كان هناك خلاف في معنى السرية، هناك من يرى السرية التي تخرج بالليل، وتلك التي تخرج بالنهار كانت تسمى السوارب، والاختلاف لا يقتصر على الأمور الانفة الذكر بلك تعداه الى عدد تلك البعوث والسرايا وكانت التخمينات تتراوح بين ست وثلاثين الى ما ينيف على السبعين ومرد هذا الفارق يعود الى البعض اعتقد ان البعوث والسرايا هو ما اقتصر على العمل العسكري فاعتقد انها لا تتجاوز الثمان والثلاثين ومن كان يراها اكثر من ذلك جمع بين ما كان مهامها عسكرية وغير عسكرية بل هناك من رأى انها تزيد حتى على المائة لكن نعتقد ان من ذهب الى الرأي الأخير ربما جمع بين الغزوات والسرايا والبعوث[٤٧]. فهي في الاعم الاغلب وبمختلف مهامها كانت قد نافت على السبعين وهو ما ذهب اليه ابن كثير موضوع دراستنا وهو ما سنعمل عليه لأننا مقيدين بوجهة نظره. وهي كالاتي:

١. سرية حمزة بن عبدالمطلب لاعتراض قافلة لقريش في رمضان من السنة الأولى للهجرة[٤٨].
٢. سرية عُبَيدة بن الحارث إلى بطن رَابِغ في شوال من السنة الأولى للهجرة لاعتراض المشركين وعددهم مائتين بقيادة أبي سفيان[٤٩].
٣. سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار في ذي القعدة من السنة الأولى للهجرة لاعتراض قافلة لقريش[٥٠].
٤. سرية سعد بن أبي وقاص إلى حيٍّ من كنانة في رجب من السنة الثانية للهجرة لإشعارهم بقوة المسلمين[٥١].
٥. سرية عبدالله بن جحش إلى نخلة في رجب من السنة الثانية للهجرة كانت عملية استطلاعية للتمهيد الى معركة بدر الكبرى[٥٢].
٦. سرية عمير بن عَدِي لقتل عَصْماء بنت مَرْوان من بني أمية بن زيد، وكانت تهجو الإسلام وأهله في رمضان من السنة الثانية للهجرة[٥٣].
٧. سرية سالم بن عُمَير في شوال من السنة الثانية للهجرة إلى أبي عَفَك اليهودي لتحريضه ضد المسلمين[٥٤].
٨. سرية محمد بن مَسْلمة في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة لقتل كَعْب بن الأشرف اليهودي لتآمره ضد المسلمين[٥٥].
٩. سرية زيد بن حارثة إلى القَرْدة في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة لاعتراض عير لقريش[٥٦].
١٠. سرية أبي سلمة بن عبد الأسد الى قطن في المحرَّم من السنة الرابعة للهجرة إلى طُلَيحة الأسدي وقومه الذين تجمعوا لمحاربة الرسول محمد[٥٧].

١١. سرية الرَّجِيع في صفر من السنة الرابعة للهجرة، وكانت سرية استطلاعية لمراقبة تحركات مشركي قريش[٥٨].

١٢. بعث المنذر بن عمرو إلى بئر معونة[٥٩] في صفر من السنة الرابعة للهجرة، وكان هدفها التثقيف الديني؛ لان جميع من في السرية كان يقال لهم القراء، لكن اعترضهم المشركين وقتلوهم عند بئر معونة المكان الذي عرفت به السرية[٦٠].

١٣. سرية عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان في السنة الرابعة للهجرة؛ لانه أراد اغتيال الرسول[٦١].

١٤. بعث مرثد بن أبي مرثد إلى الرجيع كانت مهمتها دعوية تعليمية في سنة٤هـ[٦٢].

١٥. سرية عبد الله بن أُنَيس إلى خالد بن سفيان بن نبيح الهُذَلي في السنة الخامسة للهجرة كان قد جمع حوله الناس لغزو رسول الله [٦٣].

١٦. سرية عبد الله بن عَتِيك لقتل أبي رافع سلاَّم بن أبي الحُقَيق اليهودي في ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة [٦٤].

١٧. سرية سعد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد، فابتاع بها خيلا وسلاحا في السنة الخامسة للهجرة[٦٥].

١٨. سرية محمد بن مَسْلَمة إلى القُرْطاء من هوازن في المحرم من السنة السادسة للهجرة وهي سرية قتالية؛ لان هوزان وهي احدى قبائل نجد قد اعانت قريضا ضد الرسول محمد فجاءت هذه السرية ردا على هذا العمل المعادي[٦٦].

١٩. سرية عُكَّاشة إلى الغَمْر في ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة في أربعين رجلا إلى غمر مرزوق – ماء لبني أسد – فهربوا منه، ونزل على مياههم، وبعث في آثارهم، وأخذ منهم مائتي بعير، فاستاقها إلى المدينة [٦٧].

٢٠. سرية محمد بن مَسْلمة إلى ذي القَصَّة في ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة في عشرة نفر، فكمن القوم لهم حتى ناموا، فقتل أصحاب محمد بن مسلمة كلهم، وأفلت هو جريحا [٦٨].

٢١. سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجَمُوم ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة وهي سرية لكسر شوكة المعادين للإسلام[٦٩].

٢٢. سرية زيد بن حارثة إلى العِيص للحد من هجمات القبائل المعادية للإسلام في جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة[٧٠].

٢٣. سرية زيد بن حارثة إلى الاعراب من بني ثعلبة في جمادى الآولى من السنة السادسة للهجرة[٧١].

٢٤. سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى لوضع حد لقاطعي الطريق من بني جذام في جمادى الآخرة من السنة السادسة للهجرة[٧٢].

٢٥. سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة في وادي القُرَى في رجب من السنة السادسة للهجرة[٧٣] وهي سرية تأديبية لما قام به بين فزاره من اعتراض قافلة زيد بن حارثة المتجهة في تجارة الى الشام في وقت سابق[٧٤].

٢٦. سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَة الجَنْدَل في شعبان من السنة السادسة للهجرة للإخضاع القبائل من بني كلب هناك [٧٥].

٢٧. سرية علي بن أبي طالب إلى فَدَك في شعبان من السنة السادسة للهجرة في مائة رجل[٧٦]، وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بلغه أن حيا من بني سعد قد تجمعوا له، يريدون أن يمدوا أهل خيبر، فسار إليهم علي فأصاب عينا لهم، فأخبره أنه سار إلى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر[٧٧].

٢٨. سرية زيد بن حارثة إلى أم قِرْفَة في رمضان من السنة السادسة للهجرة في الوقت الذي بعثه إلى بني فزارة بوادي القرى في رجب كما مر، وفيها قتل طائفة من أصحابه، وانسل هو من بين القتلى، فلما رجع آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزوهم أيضا، فلما استبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا في جيش، فقتلهم بوادي القرى، وأسر أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر، ومعها ابنة لها، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر اليعمري، فقتل أم قرفة واستبقى ابنتها، وكانت من بيت شرف، يضرب بأم قرفة المثل في عزها، وكانت بنتها مع سلمة بن الأكوع، فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها، فوهبها رسول الله لخاله حزن بن أبي وهب، فولدت له ابنه عبد الرحمن[٧٨].

٢٩. سرية كُرْز بن جابر إلى العُرَنِيِّين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستاقوا النعم، في شوال من السنة السادسة للهجرة[٧٩].

٣٠. سرية بني عَبْس في السنة السادسة للهجرة[٨٠]؛ لاعتراض قافلة تجارية للمشركين قادمة من الشام[٨١]

٣١. سرية غالب بن عبدالله الكلبي (كلب ليث) إلى بني المُلَوِّح بالكَدِيد في صفر من السنة السابعة للهجرة، وهي سرية قتالية لتأديب بني الملوح[٨٢].

٣٢. سرية أبي بكر إلى بني فَزَارة بنجد في شعبان من السنة السابعة للهجرة وهي سرية قتالية لتأديب بني فزارة واخضاعهم[٨٣].

٣٣. سرية عمر بن الخطاب إلى تُرْبَة من ارض هوازن في شعبان من السنة السابعة للهجرة وهي سرية قتالية لتأديب قبيلة هوازن واخضاعهم واشعارهم بقوة الجيش الإسلامي[٨٤].

٣٤. سرية بشير بن سعد إلى بني مرَّة بفَدَك في شعبان من السنة السابعة للهجرة، وهي سرية قتالية لإخضاعهم واشعارهم بقوة المسلمين[٨٥].

٣٥. سرية غالب بن عبد الله الليثي الى الميفعة حيث بني عوال وبني عبد بن ثعلبة في شهر رمضان سنة سبع[٨٦] وهذه لم يرد ذكرها عند ابن كثير.

٣٦. سرية أبي العَوْجاء السُّلَمي إلى بني سليم لدعوتهم الى الإسلام في ذي الحجة من السنة السابعة للهجرة[٨٧].

٣٧. سرية عبد الله بن رَوَاحة في السنة السابعة للهجرة إلى يُسَير بن زَارِم اليهودي وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم [٨٨].

٣٨. بعث عبد الله بن رواحة الى خيبر مرتين واحدة تم تأشيرها سابقا والثانية أيضا كانت إلى خيبر بعثه، الرسول عليه الصلاة والسلام، خارصا على نخيل خيبر[٨٩].

٣٩. سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى بني مرة في السنة السابعة للهجرة؛ لإخضاعهم للإسلام[٩٠].

٤٠. سرية عبد الله بن حذافة السهمي لم يحدد هدفها كانت في السنة السابعة للهجرة[٩١].

٤١. سرية بشير بن سعد إلى خيبر السنة السابعة للهجرة وهي سرية قتالية لتأديب القبائل المناهضة للإسلام هناك [٩٢].

٤٢. سرية أبي حَدْرَد إلى الغابة لردع بني جشم بن معاوية التي تجمعت هناك لمحاربة الرسول في السنة السابعة للهجرة[٩٣].

٤٣. سرية أبان بن سعيد قِبَل نَجْد في السنة السابعة للهجرة لم يحدد مهمتها ابن كثير[٩٤].

٤٤. سرية شجاع بن وَهْب الأسدي إلى نفر من هوازن لردعهم عن مهاجمة المسلمين في ربيع الأول من السنة الثامنة للهجرة[٩٥].

٤٥. سرية كعب بن عُمَير الغِفَاري إلى ذات أَطْلاح في الشام في ربيع الأول من السنة الثامنة للهجرة لدعوتهم الى الإسلام [٩٦].

٤٦. سرية زيد بن حارثة الى مدين وكانت قتالية اصابت سبيا[٩٧]، وهي في السنة الثامنة للهجرة وقبل سرية مؤته؛ لأنه استشهد في سرية مؤتة[٩٨] لم يرد ذكرها عند ابن كثير.

٤٧. سرية مُؤتَة وهي سرية زيد بن حارثة في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة وهي سرية قتالية [٩٩].

٤٨. سرية ذات السلاسل من مشارف الشام كان عليها عمرو بن العاص في جمادى الآخرة من السنة الثامنة للهجرة كانت مهمتها استنفار العرب الى الاسلام[١٠٠].

٤٩. سرية أبي قتادة إلى خَضِرة في شعبان من السنة الثامنة للهجرة وكانت مهمتها قتالية لتأديب قبائل غطفان الساكنة هناك التي كانت تؤذي المسلمين وتتآمر عليهم [١٠١] ،لم ترد عند ابن كثير.

٥٠. سرية خالد بن الوليد لهدم العُزَّى في رمضان من السنة الثامنة للهجرة[١٠٢].

٥١. سرية عمرو بن العاص لهدم سُوَاع في رمضان من السنة الثامنة للهجرة[١٠٣].

٥٢. سرية سعد بن زيد الأَشْهَلي لهدم مَنَاة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة[١٠٤].

٥٣. سرية خالد بن الوليد إلى بني جُذَيمة لدعوتهم الى الاسلام في شوال من السنة الثامنة للهجرة[١٠٥].

٥٤. سرية أَوطاس بقيادة أبي عامر الاشعري الى هوازن لمقاتلهم في شوال من السنة الثامنة للهجرة[١٠٦].

٥٥. سرية الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي لهدم ذي الكفَّينِ في شوال من السنة الثامنة للهجرة[١٠٧].

٥٦. سرية الخَبَط[١٠٨] كانت بقيادة ابي عبيدة عامر بن الجراح في السنة الثامنة للهجرة لاعتراض قافلة لقريش وسميت بذلك لان العسكر المصاحب لابي عبيدة من شدة الجوع اكل الخبط[١٠٩].

٥٧. سرية عبد الله بن حدرد إلى إِضَم في السنة ثامنة للهجرة قبيل الفتح ومهمتها تمويه العدو واشغاله عن مهمة الفتح التي اقدم عليها الرسول محمد[١١٠].

٥٨. سرية أسامة بن زيد إلى الحُرقات من بني جهينة، وهي سرية تأدبيه قتالية في السنة الثامنة للهجرة[١١١].

٥٩. سرية عُيَيْنة بن حِصْن إلى بني العنبر من تميم في المحرم من السنة التاسعة للهجرة[١١٢] لانهم منعوا قبيلة خزاعة من دفع الزكاة الى رسول الله فارسل اليهم هذه السرية القتالية لتأديبهم وتمكنت من اسر عدد منهم بعدها جاء قومهم ليفدوهم وبعد مفاوضات افضت الى اسلامهم [١١٣] .

٦٠. سرية قُطْبة بن عامر إلى خَثْعَم في صفر من السنة التاسعة للهجرة، وكانت مهمتها قتالية لتأديب تلك القبيلة لما كانت تتسبب بايذاء المسلمين [١١٤].لم ترد عند ابن كثير.

٦١. سرية علي بن أبي طالب الى بلاد طي لهدم صنم الفلس[١١٥] فجاء معه بسبايا، فيهم أخت عدي بن حاتم، وجاء معه بسيفين كانا في بيت الصنم، يقال لأحدهما: الرسوب، والآخر المخذم. كان الحارث بن أبي شمر قد نذرهما لذلك الصنم. في ربيع الآخر من السنة التاسعة للهجرة[١١٦].

٦٢. سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن إلى الجِبَاب وهي ارض عذرة وبلي، في ربيع الآخر من السنة التاسعة للهجرة[١١٧] لم ترد عند ابن كثير.

٦٣. سرية طَلْحَة بن عُبَيد الله لحرقِ بيت سُوَيلم اليهودي في رجب من السنة التاسعة للهجرة[١١٨].

٦٤. سرية خالد بن الوليد إلى أُكَيدر ملك دُومَة في رجب من السنة التاسعة للهجرة لاخضاعه كونه يسيطر على منطقة تتحكم بطريق القوافل التجارية[١١٩].

٦٥. سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم اللاَّت في رمضان من السنة التاسعة للهجرة[١٢٠].

٦٦. سرية قيس بن سعد بن عُبَادة إلى بلاد صُدَاء لإخضاعها في السنة التاسعة للهجرة[١٢١].

٦٧. سرية الضحَّاك بن سفيان إلى بني كلاب لدعوتهم للإسلام في السنة التاسعة للهجرة[١٢٢] في شهر ربيع الاول[١٢٣].

٦٨. سرية علقمة بن مجزز المدلجي ليأخذ بثأر أخيه وقاص بن مجزز يوم قتل بذي قرد وكانت في السنة التاسعة للهجرة[١٢٤].

٦٩. سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدَان بنَجْران في اليمن في ربيع الآخر من السنة العاشرة للهجرة في مهمة قتالية وقد غنمت غنائم كثيرة[١٢٥].

٧٠. سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن في رمضان من السنة العاشرة للهجرة وهي السرية التي أرسلت بعد سرية خالد بن الوليد الى اليمن، وكانت مهمتها قبض الخمس من خالد بن الوليد[١٢٦].

٧١. سرية جَرير بن عبدالله البَجَلي لهدم ذي الخَلَصة في رمضان من السنة العاشرة للهجرة[١٢٧].

٧٢. سرية الى رعية السحيمي يدعوه فيها الى الاسلام[١٢٨]، وكانت بقيادة الضحاك بن قيس[١٢٩] وفي سنة ١٠هـ[١٣٠]. لم يرد ذكرها عند ابن كثير.

٧٣. سرية أسامة بن زيد إلى البَلْقاء بالشام في صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين [١٣١].

الخاتمة:

أراد ابن كثير في حديثه عن سرايا الرسول وبعوثه ان يقدم صورة عن دولة المدينة التي انشأها الرسول تلك الدولة التي أراد لها الرسول ان تنمو وتتسع وتتعدد مهامها وتتنوع، وانها بنيت لتبقى؛ لأنها مهمتها مقدسة وهي حمل مشعل الرسالة الى ارجاء المعمورة والحفاض عليه وذلك يتضح من عرضه لتلك السرايا والبعوث فقدت اختص كل منها بمهمة وغرض معين وعلى النحو الاتي:

أ. القيام بدوريات استكشافية واستطلاعية لمعرفة تحركات الكفار ضد الدولة الإسلامية مثل: سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وسرية الرَّجِيع،

ب . القيام باعتراض قوافل قريش التجارية لتضييقِ الخِناقِ على قريشٍ اقتصاديا، ولتعويضِ المُهاجرينَ. مثل: سرية حمزة بن عبد المطلب في السنة الأولى من الهجرة، وسرية عُبَيدة بن الحارث الى بطن رابغ، وسرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار، وسرية زيد بن حارثة إلى القَرْدة، وسرية الخبط.

ج . تصفية قادة الكفر الذين أعلنوا العداء للمسلمين وعملوا على تحريض الكفار ضد اهل الإسلام مثل: سرية عمير بن عَدِي لقتل عَصْماء بنت مَرْوان، وسرية سرية سالم بن عُمَير في شوال من السنة الثانية للهجرة إلى أبي عَفَك اليهودي، وسرية محمد بن مَسْلمة في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة لقتل كَعْب بن الأشرف اليهودي، وسرية عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان، سرية عبد الله بن عَتِيك لقتل أبي رافع سلاَّم بن أبي الحُقَيق اليهودي وغيرها.

د . تأديب واخضاع الاعراب وغيرهم من الكفار الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر وينتهزون الفرص للإجهاز على دولة المدينة مثل: سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجَمُوم، وسرية زيد بن حارثة إلى العِيص، وسرية زيد بن حارثة إلى الاعراب من بني ثعلبة، سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى، سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَة الجَنْدَل، وسرية شجاع بن وَهْب الأسدي إلى نفر من هوازن وغيرها من السرايا التي كانت تحمل الهدف نفسه.

هـ . هناك سرايا استعراضية لإشعار العدو بقوة المسلمين مثل: سرية سعد بن أبي وقاص إلى حيٍّ من كنانة، سرية أسامة بن زيد إلى البَلْقاء بالشام،

و . هدم اصنام واوكار الكفر مثل: سرية سعد بن زيد الأَشْهَلي لهدم مَنَاة، وسرية الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي لهدم ذي الكفَّينِ، سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم اللاَّت، وسرية جَرير بن عبد الله البَجَلي لهدم ذي الخَلَصة، وسرية خالد بن الوليد لهدم العُزَّى.

ز . سرايا كانت مهمتها الدعوة للإسلام مثل: سرية بئر مَعُونة، وسرية، وسرية أبي العَوْجاء السُّلَمي إلى بني سليم، وسرية خالد بن الوليد إلى بني جُذَيمة، وسرية الضحَّاك بن سفيان إلى بني كلاب، وبعث مرثد بن أبي مرثد إلى الرجيع، وسرية كعب بن عُمَير الغِفَاري إلى ذات أَطْلاح.

ح . سرايا لمهام أخرى غير ما ذكر في انفا مثل: سرية علقمة بن مجزز المدلجي، وسرية سعد بن زيد، وسرية ذات السلاسل، وسرية سرية كُرْز بن جابر، وسرية **سرية أبي قتادة إلى إضَم، سرية غالب بن عبدالله الكلبي (كلب ليث) إلى بني المُلَوِّح، مثل سرية الامام علي الى اليمن .**

وعليه فان الغزوات والسرايا تعد جميعها تمارين تدريبية لإبقاء المسلمين على أهبة الاستعداد لاي طارئ وتنمية خبراتهم القتالية والاستطلاعية والحفاظ عليها وغيرها من المهام العسكرية وغير العسكرية، كما انها تمثل اشعار العدو ان المسلمين قوة لا يمكن ان يستهان بها، فضلا عن انها تكشف عن دولة لها مؤسساتها العسكرية التي تتولى حماية تلك الدولة ومكتسباتها وهو ما أراد ان يوضحه ابن كثير من ان الرسول بنى دولة بعد ان كان العرب قبائل متناحرة فيما بينها.

الهوامش:

(١) لا نريد ان نثقل المتن ولا الهامش بإيراد ما كتب عنه من القدامى والمحدثين وانما نحيل الى تلك الكتابات التي جمعها شمس الله محمد صديق زال بيك جلالي، منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة، والراشدين في كتاب البداية والنهاية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة ، قسم التاريخ ، ١٤١٣هـ، ص ١٧-٣٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال :فرانشيسكو كبرييلي، محمد والفتوحات الإسلامية، تعريب، عبد الجبار ناجي، ط١(بغداد: المركز الاكاديمي للأبحاث، ٢٠١١)؛ محمد علي الصلابي، غزوات الرسول، ط١(القاهرة: مؤسسة اقرأ،٢٠٠٧)؛ محمود المصري، موسوعة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم - ، (القاهرة: مكتبة الصفا ، ٢٠١٣) ؛صالح بن ناصر الحمادي، الفتوحات الإسلامية في ضوء السيرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية، المجلة الاليكترونية الشاملة متعددة التخصصات ، العدد، ٢٠، ٢٠٢٠؛ سالم أحمد محل، الاستخبارات النبوية وأثرها في أهم غزوات الرسول وسراياه، مجلة اداب الرافدين، العدد،٥٦، ٢٠١٠؛ عبد الوهاب محمد علي العدواني، الغزوات النبوية سنواتها الهجرية وشهورها القمرية، مجلة المورد، العدد، ٤، ١٩٨٠.

(٣) محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)ج٢، ص ٢٢٠.

(٤) علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤٢٧)ج٣، ص ٢١٣.

(٥) إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية في التاريخ ،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط١(بلا مكان طبع: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،١٩٩٧) ج٨،ص ١١.

(٦) المصدر نفسه ، ج٥، ص٢٢.

(٧) المصدر نفسه والجزء، ص٢٩.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٢٩-٣٠.

(٩) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٣.

(١٠) المصدر نفسه والجزء ، ص٥٥-٣٠٠.

(١١)المصدر نفسه والجزء ،ص٣٠١.

(١٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٣١٨-٣٢٢.

(١٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ، ص٣٠٢.

(١٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٣١٤-٣١٥.

(١٥) المصدر نفسه والجزء ، ص٣١٧.

(١٦) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٣٧فما بعدها .

(١٧) المصدر نفسه والجزء ، ص٤٥٤-٤٦٤.

(١٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ، ص٥٣٣-٥٤٩.

(١٩) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،١٩٥٥)، ج٢، ص ٢٠٣.

(٢٠) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١(بلا مكان طبع: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج٥، ص ١١٣.

(٢١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٥٦١.

(٢٢) ينظر: محمد بن عمر الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣(بيروت: دار الاعلمي، ١٩٨٩)، ج١، ص ٤.

(٢٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٥٦٠.

(٢٤) الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١(بيروت:دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠) ج ٢، ص ٤٢.

(٢٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٥٦٠.

(٢٦) رسالة الأجوبة المصرية عن الأسئلة التونسية، (مصر: دار النيل، ١٣٢٤هـ) ص ٣-١٨.

(٢٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٥٦٠.

(٢٨) المصدر نفسه والجزء ، ص٥٥٩- ٥٧٢.

(٢٩) المصدر نفسه والجزء ، ص٥٧٣- ٥٧٨.

(٣٠) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٦، ص٥-٧.

(٣١) المصدر نفه والجزء، ص٧ فما بعدها.

(٣٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ٧٠ فما بعدها .

(٣٣) ينظر : ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٥، ص ٥٠١-٥٠٢ ، ج٦، ص ١٦٢-١٦٣ .

(٣٤) المصدر نفسه والجزء، ص٥٥٣ فما بعدها .

(٣٥) المصدر نفسه ، ج٦، ص١٦٥ فما بعدها .

(٣٦) المصدر نفسه والجزء ، ص١٨١ فما بعدها .

(٣٧) اشتهرت بكتب التاريخ بصلح الحديبية وانما كان هدنة لأمد معين مقدارها عشر سنوات، أعطي فيها الرسول محمد لنفسه وللمسلمين فرصة لا عادة ترتيب انفسهم وفي الوقت نفسه أعطى فرصة للمشركين لأن يعيدوا النظر في موقفهم من الرسالة الإسلامية، وحتى تحقن الدماء للمدة المقررة تكون بعدها أبواب الحرب مفتوحة، ثم ما قام به الرسول لم يكن اذعاناً ولا اقراراً بالطاعة. ينظر: رياض عبد الحسين راضي البدراوي ، تطور "الشيعة الامامية الاثنا عشرية" في العراق خلال عهد المغول الايلخانيين (٦٥٦ – ٧٣٨هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٧م) دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم التاريخ، ٢٠١٤، ص١٣٨.

(٣٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٢٠٦ فما بعدها .

(٣٩) المصدر نفسه والجزء ، ج٦، ص٢٤٩ فما بعدها .

(٤٠) سورة الاسراء ،اية ، ٨١ .

(٤١) سورة سبأ ،اية ، ٤٩ .

(٤٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٥٠٨ فما بعدها .

(٤٣)المصدر نفسه ، ج٧، ص٥ فما بعدها .

(٤٤)ابن كثير، البداية والنهاية ،ج٧، ص٦٣ فما بعدها .

(٤٥) المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٤ فما بعدها .

(٤٦) المصدر نفسه، ج٨، ص١١-١٢ .

(٤٧) للوقوف على تفاصيل هذا الاختلاف ينظر الدراسة القيمة التي تقدم بها : بريك محم بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة دراسة نقدية تحليلية، ط١(المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٩٩٦) ص ٥٤-٦٠. وهي في الأصل أطروحة دكتوراه جرت تحت اشراف المؤرخ الشهير اكرم ضياء العمري.

(٤٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٥٧٨.

(٤٩) المصدر نفسه والجزء، ص٥٧٨.

(٥٠) المصدر نفسه والجزء، ص٥٧٩.

(٥١) المصدر نفسه ، ج٥، ص٣٤.

(٥٢) المصدر نفسه والجزء، ص٣٦-٣٧.

(٥٣) المصدر نفسه ، ج٨، ص٢٠.

(٥٤) المصدر نفسه والجزء، ص١٩ .

(٥٥) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٢٢٦ فما بعدها.

(٥٦) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٢٣.

(٥٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٤٩٦.

(٥٨) المصدر نفسه والجزء، ص٤٩٨.

(٥٩) المصدر نفسه ، ج٨، ص ١٢.

(٦٠) المصدر نفسه ، ج٥، ص٥٢٤.

(٦١) ابن كثير، البداية والنهاية ،ج٥، ص ٥١٩.

(٦٢) المصدر نفسه ، ج٥، ص٥٠٢، ج٨، ص ١٢.

(٦٣) المصدر نفسه ، ج٦، ص١٣٦.

(٦٤) المصدر نفسه والجزء، ص ١٢٨-١٢٩.

(٦٥) المصدر نفسه والجزء، ص٩٦.

(٦٦) المصدر نفسه والجزء، ص ١٦٢، ج٨، ص١٣.

(٦٧) المصدر نفسه والجزء ، ص٢٤٠، ج٨، ص١٣.

(٦٨) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٤٠.

(٦٩) المصدر نفسه والجزء، ص٢٤١ .

(٧٠) المصدر نفسه والجزء، ص ٢٤٢.

(٧١) المصدر نفسه والجزء، ص ٢٤١.

(٧٢) ابن كثير، البداية والنهاية،ج٦ ، ص ٢٤٢.

(٧٣) المصدر نفسه ، ج٨، ص ١٤.

(٧٤)الواقدي، المغازي،ج٢، ص ٥٦٤.

(٧٥) ابن كثير، البداية والنهاية،ج٦، ص ٢٤٣، ج٨، ص١٧ .

(٧٦) المصدر نفسه ، ج٨، ص ١٣.

(٧٧) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٥٦٢؛ علي بن أبي الكرم محمد بن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ج٢، ص٩٠.

(٧٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٤ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ج٦، ص٢٤٣ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ج٩، ص ٧٢.

(٨١) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤٠٥هـ)ج٦، ص١٥٦؛نزار محمود قاسم الشيخ، الاطلس الجغرافي الاليكتروني لسرايا الرسول، ص١٠١. منشور على الموقع : https://ketabpedia.com.

(٨٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٦٢.

(٨٣) المصدر نفسه والجزء، ص٣٥٧.

(٨٤) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٨.

(٨٥) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٦٠.

(٨٦) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٢٦؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٩١.

(٨٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٩٧.

(٨٨) المصدر نفسه والجزء، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٨٩) المصدر نفسه ، ج٨، ص ١٤-١٥.

(٩٠) المصدر نفسه ، ج٦، ص٣٦٠ ، ج٨، ص ١٦.

(٩١) المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٢.

(٩٢) المصدر نفسه ، ج٦، ص ٣٦٤،ج٨، ص١٣.

(٩٣) المصدر نفسه ، ج٦، ص ٣٦٥.

(٩٤) ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد،(بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٧٦)، ج٣، ص ٣٩٣.

(٩٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٤٠٩.

(٩٦) المصدر نفسه والجزء، ص٤١١ .

(٩٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢، ص ٦٣٥.

(٩٨) مهدي رزق الله احمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية، ط١(الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية،١٩٩٢)، ص ٥٤١.

(٩٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٤١٢.

(١٠٠) المصدر نفسه والجزء، ص ٤٩٥-٤٩٦.

(١٠١) محمد بن اسحق، المغازي، تحقيق: سهيل زكار، ط١(بيروت:دار الفكر، ١٩٧٨)، ج١، ص٦ .

(١٠٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٦٠٧.

(١٠٣) المصدر نفسه ، ج٧، ص١٤٢ .

(١٠٤) المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٢ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، ج٦، ص ٥٩٨.

(١٠٦) المصدر نفسه ، ج٧، ص٤٤ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ج٤، ص ٢٤٥.

(١٠٨) الخبط هو: اسمُ ما سقَط من الورَق من الشجرة أي ما نفضته، محمد بن مكرم بن علي بن منظور ، لسان العرب، ط٢(بيروت: دار صادر، ١٤١٤)، ج٤، ص ٢٩٣.

(١٠٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٥٠٣.

(١١٠) المصدر نفسه ، ج٦، ص ٣٦٦-٣٦٧،ج٨، ص ١٦.

(١١١) المصدر نفسه ، ج٦، ص٥٠٥.

(١١٢) المصدر نفسه ، ج٨، ص١٥ .

(١١٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٢١-١٢٢؛نزار محمود قاسم الشيخ، الاطلس الجغرافي الاليكتروني لسرايا الرسول، ص١٥٥.

(١١٤) ابن اسحق، المغازي، ج١، ص٧ .

(١١٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ١٢٤.

(١١٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٣٠٠.

(١١٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٢٤.

(١١٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ١٤٦.

(١١٩) المصدر نفسه والجزء ، ص١٧٩ .

(١٢٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢١٥.

(١٢١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٤٢ .
(١٢٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٥٦ .
(١٢٣) الواقدي، المغازي، ج٢ ، ص ٩٨٢.
(١٢٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢١.
(١٢٥) المصدر نفسه ، ج٧، ص ٣٩٠-٣٩١.
(١٢٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٩٠-٣٩١.
(١٢٧) المصدر نفسه ، ج٧، ص ٣٢٨-٣٢٩، ج١١، ص٢٤٤.
(١٢٨) عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن ابي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٠٩)ج٧، ص ٣٤٩.
(١٢٩) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة،ط٦(بيروت: دار النفائس، ١٤٠٧) ص ٣٣٥.
(١٣٠) نزار محمود قاسم الشيخ، الاطلس الجغرافي الاليكتروني لسرايا الرسول، ص١٧٩.
(١٣١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر العربية والمعربة.

١. القران الكريم.

. ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ).

٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧).

. ابن اسحق، محمد (ت١٥١هـ).

٣. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، ط١(بيروت:دار الفكر، ١٩٧٨).

-أبن ابي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت٢٣٥هـ).

٤- المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٠٩).

. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى(ت٤٥٨هـ).

٥. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤٠٥هـ).

. البخاري ،محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ).

٦. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١(بلا مكان طبع: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

. الحلبي علي بن إبراهيم بن أحمد(ت ١٠٤٤هـ).

٧. إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤٢٧).

. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي(ت ١١٢٢هـ).

٨. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦).

. ابن سعد، محمد(ت ٢٣٠هـ).

٩. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١(بيروت:دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠).

. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).

١٠. البداية والنهاية في التاريخ ،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط١(بلا مكان طبع: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،١٩٩٧).

١١. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد،(بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٧٦).

. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على(ت٧١١هـ).

١٢. لسان العرب، ط٢(بيروت: دار صادر، ١٤١٤).
. ابن هشام، عبد الملك(ت٢١٣هـ).
١٣. السيرة النبوية لابن هشام ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،١٩٥٥).
. الواقدي ،محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ).
١٤. المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣(بيروت: دار الاعلمي، ١٩٨٩).
ثانيا . المراجع
. احمد، مهدي رزق الله.
١. السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية، ط١(الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية،١٩٩٢).
. البدراوي ، رياض عبد الحسين راضي.
٢. تطور "الشيعة الامامية الاثنا عشرية" في العراق خلال عهد المغول الايلخانيين (٦٥٦ – ٧٣٨هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٧م) دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم التاريخ، ٢٠١٤.
. جلالي، شمس الله محمد صديق زال بيك .
٣. منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة، والراشدين في كتاب البداية والنهاية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المملكة العربية السعودية ، الجامعة الإسلامية ، كلية الدعوة ، قسم التاريخ ، ١٤١٣هـ.
. الحمادي، صالح بن ناصر .
٤. الفتوحات الإسلامية في ضوء السيرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية،المجلة الاليكترونية الشاملة متعددة التخصصات ، العدد، ٢٠، ٢٠٢٠؛
. حميد الله، محمد.
٥. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة،ط٦(بيروت: دار النفائس، ١٤٠٧).
. الشيخ، نزار محمود قاسم.
٦. الاطلس الجغرافي الاليكتروني لسرايا الرسول، ص١٠١. منشور على الموقع : https://ketabpedia.com.
. الصلابي، محمد علي .
٧. غزوات الرسول، ط١(القاهرة: مؤسسة اقرأ،٢٠٠٧).
. العدواني، عبد الوهاب محمد علي .
٨. الغزوات النبوية سنواتها الهجرية وشهورها القمرية،مجلة المورد، العدد، ٤، ١٩٨٠.
. العمري ، بريك محمد بريك أبو مايلة .
٩. السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة دراسة نقدية تحليلية، ط١(المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٩٩٦).
. كبرييلي، فرانشيسكو.
١٠. محمد والفتوحات الإسلامية، تعريب، عبد الجبار ناجي، ط١(بغداد: المركز الاكاديمي للأبحاث، ٢٠١١).
محل، سالم أحمد.
١١. الاستخبارات النبوية وأثرها في أهم غزوات الرسول وسراياه، مجلة اداب الرافدين، العدد،٥٦، ٢٠١٠.
. المصري، محمود.
١٢. موسوعة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم – ، (القاهرة: مكتبة الصفا ، ٢٠١٣) .
المطيعي، محمد بخيت.
١٣. رسالة الأجوبة المصرية عن الأسئلة التونسية، (مصر: دار النيل، ١٣٢٤هـ).

فلسفة الجارودية الزيدية ورؤيتهم للخلافة الاسلامية

The philosophy of the Zaidi Jarodiya and their vision of the Islamic Caliphate

الباحثة: شيماء كاظم محمد عبد السادة
طالبة دراسات عليا/جامعة القادسية/ كلية التربية
قسم التاريخ

أ.د. حمدية صالح دلي الجبوري
جامعة القادسية/ كلية التربية
قسم التاريخ

Abstract .

Al-Jarodiya Al-Zaydi of the teams that attributed to their president Abu Al-Jaroud Ziyad bin Al-Mundhir from Khorasan Al-Kufi said the preference of Imam Ali peace be upon him and did not see that his place is permissible for anyone else and they made after him Imam Hassan peace be upon him and then Hussein and then after Hussein Shura between their children Whoever came out of them worthy of the Imamate is the Imam has gone Al-Jarudiya Zaidi other than what went to him Imamate and Ahl al-Bayt (peace be upon them) in terms of the requirement to go out as a condition for the Imamate because the Imam deserves the Imamate if He was rebellious.

الملخص:

الجارودية الزيدية من الفرق التي نسبوا الى رئيسهم ابو الجارود زياد بن المنذر من خراسان الكوفي قالو بتفضيل الامام علي عليه السلام ولم يرو ان مقامه يجوز لاحد سواه وجعلوا من بعده الامام الحسن عليه السلام ثم الحسين ثم بعد الحسين شورى بين اولادهما فمن خرج منهم مستحقا للإمامة فهو الامام وقد ذهبت الجارودية الزيدية غير ما ذهبت اليه الامامية واهل البيت (عليهم السلام) من حيث اشتراط الخروج شرطا للإمامة كون الامام يستحق الامامة اذا كان ثائراً.

الكلمات المفتاحية: الزيدية ، الجارودية، الامامة، زياد بن المنذر

المقدمة:

يعد النوبختي وكتاب فرق الشيعة من اقدم الكتب التي الفت في الفرق الاسلامية عامة والشيعة خاصة كونه قد قسم الفرق الشيعية الى العديد منها ومن هذه الفرق فرقة اسماها (الجارودية الزيدية) فقد جمع بين فرقتي الجارودية والزيدية في فرقة واحدة وقد بيناها من خلال الدراسة ان التسمية جاءت نسة الى ابي الجارود مؤسس هذه الفرقة ولاعتناق ابي الجارود المذهب الزيدي قبل مقتل زيد بن علي رحمه الله لذلك اطلق عليها فرقة الجارودية الزيدية وظهرت فرقة الجارودية الزيدية بتطور جديد في الفكر الشيعي وهو ان الامام علي عليه السلام لا يجوز لاحد ان يأخذ مكانه وزعموا ان من دفع عليا عن هذا المكان فهو كافر وان الامة كفرت وضلت بتركها بيعة الامام علي عليه السلام ولقد جازت هذه الفرقة ضهور امامان في وقت واحد في اماكن مختلفة او ظهور امامين في مكانين مختلفين اي جازة ظهور امامين في الوقت نفسه مع اختلاف المكان وهذا ما يتعارض مع ما جاءت به الشيعة من نص امام على امام اخر بعد وفاته يقوم الامام المنصوص عليه بالأمر ويتناول هذا البحث بدراسة معتقداتها ومؤسسيها والتطورات التي جاءت بها.

الجارودية الزيدية: الجارودية فرقة من الزيدية نسبوا إلى رئيسهم من أهل خراسان يقال له ابو الجارود زياد بن المنذر الكوفي الهمذاني، وقيل الثقفي وقيل الهندي وقيل زياد بن منفذ العبدي وقيل زياد بن ابي زياد ويكنى ابا النجم، وصفه ابن النديم بقوله: "**من علماء الزيدية ابو الجارود**"[١]، والزيدية هم القائلون بأمامه زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) الذي خرج عام (١٢١هـ) في الكوفة على الحكم الاموي وعلى الخليفة هشام بن عبد الملك[٢] فقتل بالكناسة قرب الكوفة فدفنه اصحابه ليلاً واضفوا موضع قبره، فأطلع أمير الكوفة يوسف بن عمروا الثقفي على ذلك فأخرجه وصلبه عارياً، وفر ابنه يحيى وجملة من خواصه إلى خراسان[٣] وخرج ايام الوليد بن يزيد في جوزجا سنة (١٢٥هـ) وقتل بالمعركة[٤] واوصى إلى محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي (عليه السلام) الملقب بالنفس الزكية[٥].

اما عند النوبختي فهم: "**فرقة يسمون الجارودية قالوا بتفضيل علي (عليه السلام) ولم يروا مقامه يجوز لاحد سواه وزعموا أن من دفع علياً عن هذا المكان فهو كافر وأن الأمة كفرت وضلت في تركها بيعتهُ وجعلوا الامامة بعده في الحسن بن علي (عليه السلام) ثم في الحسين (عليه السلام) ثم هي شورى بين اولادهما فمن خرج منهم مستحقاً للإمامة فهو الإمام وهاتان الفرقتان هما اللتان تنتحلان أمر زيد بن علي بن الحسين**[٦] **وأمر زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب**[٧] **ومنها تشعبت صنوف الزيدية**"[٨].

هذا ما اورد عن النوبختي سنتناول تطور هذه الفرقة بالتحليل والمقارنة وفق اعتقادها وتطورها الفكري فمثلاً ان اول زعمها ان هذه الفرقة كفرت واضلت من ترك البيعة للأمام علي (عليه السلام) وقالوا او زعموا ان النبي (صلى الله عليه وآله) نص على علي (عليه السلام) بالوصف وان التسمية والامام بعده علي (عليه السلام) والناس قصروا، ولم يتعرفوا الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وانما نصبوا ابا بكر باختيارهم فكفروا بذلك، وقد خالف ابو الجارود في هذه المقالة امامه زيد بن علي، فإنه لم يعتقد بهذا الاعتقاد، واختلف الجارودية في التوقف والسوق، فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسين ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين زين العابدين[٩].

وأشارت الجارودية ان الرسول (صلى الله عليه وآله) اشار إلى الامام علي (عليه السلام) اشار اليه الرسول (صلى الله عليه وآله) ووصفه بصفات لا توجد الا فيه وأن رسول (صلى الله عليه وآله) نص على الامام علي ثم ان الامام علي بعده الحسين ثم الحسين ثم بعد الائمة ثم الإمامة شورى بين الافاضل من ولد الحسن والحسين فمن شهر منهم سيفه ودعا إلى سبيل ربه وكان صحيح النسب من هذين البطنين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الامام، وذهبت الى غير ما ذهب إليه أهل البيت من حيث إنه اشترط الخروج شرطاً في كون الامام إماماً أي أن الإمام كي يستحق الامامة يجب ان يكون ثائراً ضد السلطة الحاكمة ويجب ان يكون عالماً فاضلاً[١٠].

وورد في المسائل الجارورية للشيخ المفيد: "**سألت الجارودية فرقة الامامية: كيف صارت الامامة في ولد الحسين (عليه السلام) دون ولد الحسن (عليه السلام) وهما جميعاً امامان على ما تقرر بينا من الاتفاق؟ قالت الامامية: ليس اجتماع الحسن والحسين (عليهما السلام) واستحقاقهما لها بموجب استحقاق ولدهما لها ولا مانعاً من اختصاص ولد الامام الحسين (عليه السلام) بها دون ولد الحسن (عليه السلام) كما ان ثبوت الامامة في امير المؤمنين (عليه السلام) واستحقاقه لها بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) دون من سواه من بني هاشم وعامة قريش وكافة الناس لا يوجب استحقاق جميع ولده ولا يمنع من اختصاص الحسن والحسين (عليهما السلام) بها دون**

اخوتهما من ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) وغيرهم من الناس وبالمعنى الذي اختص الحسن والحسين (عليهما السلام) من جملة ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) بالإمامة دون اخوتهما منه اختصت بولد الحسين (عليه السلام) دون غيرهم من بني عمهم وكافة الانام"[١١].

واجازت الجارودية الزيدية خروج امامان في نفس الوقت ولقد اشارت عدة مصادر امامية وغيرها ان ابا الجارود كان على القول بإمامة الباقر والصادق (عليهما السلام) إلى ان خرج زيد الشهيد على حكم بني امية . فكان ممن قال بإمامته. فعُد عند اصحاب الملل والنحل زيدياً: النجاشي قال: كان من اصحاب ابي جعفر وروى عن ابي عبدالله (عليه السلام)، وتغير لما خرج زيد بن علي[١٢]. وقال العلامة الحلي: تابعي، زيدي المذهب، وإليه تنسب الجارودية من الزيدية كان من اصحاب ابي جعفر وروى عن الصادق (عليه السلام) وتغير لما خرج زيد بن علي (عليه السلام)[١٣]، ثم انتقل زياد بن المنذر الامامية إلى الزيدية بعد خروج زيد بن علي على الحاكم الاموي هشام بن عبد الملك وبعد خروج زيد بن علي واستشهاده. قال ابا الجارود بإمامة زيد وتخلى عن القول بإمامة الامام الصادق (عليه السلام) ورغم ان ابا الجارود ترك خط الامامية وكذلك من اتبعه الا انهم بقوا محافظين على جملة من المسائل التي يشتركون فيها مع الامامية ويخالفون فيها باقي فرق الزيدية ومن ابرزها اعلان التبري من اعداء اهل البيت.

واطلق اسم سرحوب على ابا الجارود من قبل الامام ابو جعفر (عليه السلام) وذكر ان سرحوباً اسم شيطان أعمى يسكن البحر وكان ابو الجارود مكفوفاً اعمى واعمى القلب[١٤] ومات ابو الجارود سنة (٥٠هـ/) قال الشهرستاني: الزيدية اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) ساقوا الامامة في اولاد فاطمة (عليها السلام) ولم يجوزوا ثبوت امامة في غيرهم الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي (عليها السلام) عالم زاهد شجاع تقي خرج بالإمامة يكون اماماً واج–ب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن أو من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بأمامه محمد وابراهيم الامامين ابني عبدالله بن الحسن بن الحسن اللذين خرجا في ايام المنصور وقتلا على ذلك، وجوزا خروج الامامين في قطرين يستجمعان هذا الخصال، ويكون كل واحد منها واجب الطاعة[١٥].

زيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب اراد ان يحصل الاصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في الاصول لواصل بن عطاء الغزال. رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن ابي طالب في حروبه التي جرت بين الامام وبينهم ما كان على يقين من الصواب فأقتبس منه الاعتزال[١٦].

وجرت بينه وبين اخيه محمد الباقر (عليه السلام) مناظرة بهذا الخصوص لكون واصل بن عطاء كانوا ممن رون الامام علي (عليه السلام) كان مخطئ بقتلاه الناكثين والقاسطين وكان زيد يشترط الخروج شرطاً في كون الامام إماماً وقال له يوماً: "**على قضية مذهبك والدك ليس بإمام، فأنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج**"[١٧].

من هذا الحديث نستنتج ان الامام الباقر (عليه السلام) كان يخالف اخيه زيد بن علي وانه لديه من الاعتراضات عليه وعلى فرقته ما يكفي للقول بأن هذه الفرقة وان ادعت انها من الفرق الشيعية لا يمكن قبولها وان كانت مؤسسها علوي النسب شريف الاباء لكونها جعلت من الامامة شورى بين ابناء الامام

الحسن والامام الحسين وكذلك شرطت ظهور الامام وقيامه لكي يستحق الامامة ولقد نقل ابن النديم عن الامام الصادق (عليه السلام) "**انه لعن ابي الجارود وقال انه اعمى القلب اعمى البصر**"[١٨].

والمصادر ذكرت أن الائمة عليهم منصوص عليهم كل امام ينصب الامام الذي يليه لذلك لم يكن هناك شورى في اختيار الامام لأنه منصب من الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) والامام علي (عليه السلام) منصوص عليهم في احاديث واردة من مصادر كافة الفرق امام بعد امام لذلك لا يمكن القبول بالشورى مع كون الامام منصوص عليه وتم تنصيبه من الامام الذي قتله هذا الاختلاف لو اردتا مقارنة الشيعة مع الجارودية الزيدية ترى ان الشيعة لديهم ائمة معروفون منصوص عليهم وليس كما يدعي الجارودية الزيدية في ان الامر بعد الامامين الحسن والحسين شورى في ابنائهما، وقد قالت الشيعة أو الامامية: ورد الخبر عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال: "**ان الله تعالى اختارني نبياً وأختار علياً لي وصياً واختار الحسن والحسين وتسعة من اولاد الحسين اوصياء إلى ان يقوم الساعة**"[١٩].

وورد حديث عن ابي الجارود في كون الائمة اثنى عشر اماماً من ولد الامام الحسين فقد ورد عن احمد بن محمد بن يحيى العطار قال حدثنا ابي عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب، عن الحسن ابن محبوب عن ابي الجارود عن ابي جعفر (عليه السلام) عن جابر بن عبدالله الانصاري، قال: "**دخلت على فاطمة (عليها السلام) وبين يديها لوح فيه اسماء الاوصياء فعددت اثني عشر، اخرهم القائم (عليه السلام). ثلاثة منهم محمد، واربعة علي (عليه السلام)**"[٢٠]، لذلك قالت الامامية ان الإمامة بعد الحسين (عليه السلام) في ولده لصلبه خاصة دون اخيه الحسن (عليه السلام) وغيره من اخوته وبني عمه وساير الناس وانها لا تصلح الا لولد الحسين (عليه السلام) ولا يستحقها غيرهم ولا يخرج عنهم إلى غيرهم ممن عداهم حتى تقوم الساعة[٢١].

وقالت الجارودية الزيدية انها بعد الحسين في ولد الحسن والحسين (عليهما السلام) دون غيرهم من ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) في المعاني التي يستحق بها الامامة من العلم والورع والبصيرة بالتدبير والسياسة ، مما لا بد من حرز الائمة له من الفضل ولولا ذلك لما جوزناها في الحسن والحسين (عليهما السلام) دونهم، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال: ابناي هذان امامان قاما أو قعدا يعني الحسن والحسين وهذا نص صريح وما بعدها فالأمر شورى بين ابناء الحسن والحسين (عليهما السلام) وقالت الجارودية: انما اقتصرنا في فضل الحسن والحسين (عليهما السلام) على اخوتهما لظهور ذلك عند العلماء والا فمن ذا يخفى فضل الحسن بن علي (عليهما السلام) على محمد بن الحنفية وفضل الحسين (عليه السلام) على جعفر وعثمان والعباس[٢٢] واجابت الامامية لا يخفى فضل زيد العابدين بن علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) على الحسن بن الحسن وعبدالله بن الحسن وفضل محمد بن علي (عليه السلام) على محمد بن عبدالله بن الحسن وابراهيم بن عبدالله بن الحسن فقالت الجارودية ان تفضيلكم ولد الحسن عن هوى أو عصبية وان امامة الحسن والحسين بنص صريح من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن ابنائهما يجب ان يكون شورى بينهم. اجتمعت الامامية بوجود الاحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وحديث اللوح عن جابر الانصاري يتنصب اللائحة من ولد الحسين ولقد اشرنا إلى الاحاديث وان الامام الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا يعلمان بوجود النص على اولاد الامام الحسين (عليه السلام) لذلك من غير المعقول ان يكون الامام الحسين (عليه السلام) قد اختص بالإمامة ومن بعده ابناؤه دون نص من الرسول واامير المؤمنين عليهم بالاسم والكنية ولو قارنا بين المعتقدات لدى فرقة الشيعة وفرقة الجارودية الزيدية مع تحليل بعض

ما جاء في معتقداتهم لوجدنا ان الجارودية الزيدية: قالت ان امامة الامام علي (عليه السلام) منصوصاً عليها من قبل الرسول[٢٣](صلى الله عليه وآله) بالوصف لا الاسم، بينما الامامية تقول ان الامام منصوص عليه بالوصف لا الاسم، بينما الامامية تقول ان الامام منصوص عليه بالوصف والاسم وخير دليل حديث النبي (صلى الله عليه وآله): "**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**"[٢٤].

قالت الجارودية الزيدية: وان الامامة بعد الامام الحسن (عليه السلام) والامام الحسين (عليه السلام) في ذراهما دون تفرقة بينهم ومن خرج منهم مستحقاً للإمامة شرط ان يقوم على الحاكم الظالم ويخرج بالسيف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢٥] بينما نجد ان الامامية بعد استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) وخذلان الامام من مناصريه لم يقم اي إمام معصوم بعده بأي ثورة ضد الحكام الامويين والعباسيين وان كانت هناك من العلويين من ثاروا استشهد بعد الامام الحسين (عليه السلام) مثل الشهيد زيد بن علي (عليه السلام) والذي كان موقفهم من خروجه ايجابياً وكانوا يرون ان خروجه ونضاله مطابق للكتاب والسنة بمعنى ان الخروج لم يكن تكليفاً الزامياً على الامام ولا على غيره ولكنه لو خرج مسلم لإزالة الطغاة عن منصبة الحكم وتبديد هياكل الفساد والظلم من دون ان يدعوا إلى نفسه كان على المسلمين عونه ومنا صرته واجابة دعوته وكان خروج زيد بن علي من هذا الخط فقد ورد انه لما بلغ قتل زيد بن علي إلى الامام الصادق (عليه السلام) قال: "**إنا لله وإنا غليه راجعون، عند الله احتسب عمي، انه كان نعم العم، ان عمي كان رجلاً لدنيانا واخر لنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسين (عليهم السلام)**"[٢٦]. وقال الامام الصادق: "**إن الباكي على زيد فمعه في الجنة فإما الشامت فشريك في دمه**"[٢٧].

وقال الشيخ المفيد[٢٨]: لما قتل زيد بلغ ذلك من ابي عبدالله (عليه السلام) كل مبلغ حزن له حزناً عظيماً حتى بان عليه وفرق من ماله في عيال من اصيب معه من اصحابه الف دينار روى ذلك خالد الواسطي قال: سلم الي ابو عبد الله (عليه السلام) الف دينار أمرني ان اقسمها في عيال من اجيب مع زيد بن علي فأصاب عيال عبد الله بن الزبير اخي فضيل الرسان اربعة دنانير[٢٩].

وروى ابن شهر آشوب بلغ الامام الصادق (عليه السلام) قول الحكيم بن عباس الكليبي:

صلبنا لكم زيد على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي أطـــيب[30]

فرفع الامام الصادق (عليه السلام) يديه إلى السماء وهما يرعشان فقال: "**اللهم ان كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلبك**"[٣١] فبعثه بنو امية إلى الكوفة فيما هو يدور في سككها افترسه الاسد واتصل خبره بالأمام الصادق (عليه السلام) فخر لله ساجداً، ثم قال: "**الحمد لله الذي انجز وعده**"[٣٢].

وفي قضية خروج زيد واستشهاده اعلن الائمة انه لم يخرج دون رضاهم وموافقتهم وأكدت الروايات التاريخية ذلك حين ورد عن "الراوندي عن الحسن بن راشد قال: ذكرت زيد بن علي فتنقصنه عند ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) فقال: "**لا تفعل رحم الله عمي اتى ابي، فقال: اني اريد الخروج على هذا الطاغية. فقال لا تفعل، فإني اخاف ان تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة إلى ان قال الامام (عليه السلام) للحسن يا حسن، إنا اهل بيت لا يخرج احدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل فضله**"[٣٣].

وهنا من خلال الروايات نجد ان الائمة كانوا راضين عن خروج زيد، ففي رواية عن الصدوق عن ابن عبدون عن ابيه انه قال: "**لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وكان قد خرج بالبصرة واحرق دور ولد العباس ووهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقال له: لئن خرج اخوك وفعل ما فعل. لقد خرج من قبله زيد بن علي فقتل، ولولا مكانتك لقتلته فليس ما اتاه بصغير**" فقال له (عليه السلام): "**لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد (عليهم السلام) غضب له فجاهد اعداءه حتى قتل في سبيله ولقد حدثني ابي موسى ابن جعفر انه سمع اباه جعفر بن محمد يقول: رحم الله عمي زيداً انه دعا إليه ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن خبت ان تكون المصلوب المقتول بالكناسة فشأنك. فلما ولي قام جعفر بن محمد (عليه السلام): ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه، فقال المأمون: اليس قد جاء في من ادعى الامامة بغير حقها ما جاء؟ فقال (عليه السلام): ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وانه كان اتقى من ذلك، إنه قال ادعوكم إلى الرضا من ال محمد (عليهم السلام) إنما جاء ما جاء في من يدعي ان الله نص عليه. ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد بن علي والله ممن خوطب بهذه الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾**"[٣٤].

ان هذا النص المنقول عن الامام الرضا يقر ويفيد ان الامام لم يخرج الا لطلب الاصلاح وانه خرج لدعوة إلى الرضا من ال محمد (صلى الله عليه وآله) انما من نسب نفسه إليه ودعى بغير دعواه وكان قد ضل وكفر لأنه لم يدعي الا ما ليس له حق ولم يدعي ان الله نص عليه كأمام هذه الاحاديث[٣٥] تقودنا إلى التصديق بما جاء من المصادر من لعن الامام الصادق لابي الجارود ووصفه بالكذب ولكنه وصف انه كان من الرواة الصادقين بناءا على ما نقلته المصادر الشيعية أو المصادر الاخرى فمثلاً ورد عن ابن المطهر الحلي: "**ابي الجارود الكوفي الاعمى التابعي زيدي المذهب وإليه تنسب الجارودية من الزيدية، كان من اصحاب ابي جعفر (عليه السلام) وروى عن الصادق (عليه السلام) وتغير لما خرج زيد بن علي (عليه السلام) وروى عن زيد**"[٣٦] وفي كتاب خاتمة المستدرك للطبرمي: "**أما ابو الجارود فالكلام فيه طويل والذي يقتضيه النظر بعد التأمل فيما ورد فيما قالوا فيه انه كان ثقة في النقل المقبول الرواية معتمداً في الحديث امامياً في أوله وزيدياً في آخره**"[٣٧].

وورد عن ابن القضائري انه قال عنه: "**ابو الجارود روى عن ابي جعفر (عليه السلام) وابي عبدالله (عليه السلام)... واصحابنا يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه، ويعتمدون ما رواه محمد بن بكر الارجني**"[٣٨].

وقال الشيخ المفيد في رسالته العددية: "**انه من الاعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والغيث والاحكام الذين لا يطعن عليهم ولا طريق إلى ذم واحد منهم**"[٣٩]، اما الكشي فنقل في مصنفه الرجالي عدد من الروايات كلها حقيقية السند والتي تذم زياد بن المنذر ابي الجارود فيها: علي بن محمد قال: حدثني محمد بن احمد عن العباس بن معروف عن ابي القاسم الكوفي عن الحسين بن محمد بن عمران عن زراعة عن سماعة عن ابي بصير: قال: "**ذكر ابو عبدالله (عليه السلام) كثير النواء، سالم بن ابي حفصة، وابا الجارود، فقال: كذابون مكذبون كفار عليهم لعنة الله، قال، قلت: جعلت فداك كذابون قد**

عرفتهم، فما معنى مكذبون؟ قال كذابون يأتونا فيخبرنا أنهم يصدقونا وليسوا كذلك ويسمعون حديثنا فيكذبون به"[٤٠]، وعلماء المصادر الاخرى ذكروه في بعض مصادرهم فقال ابن حبان: "**يروي فضائل اهل البيت اشياء ما لها اصول لا يحل كتابه حديثة**"[٤١].

وقال ابن عدي: يروي فضائل اهل البيت وهو من المعدودين من اهل الكوفة الغالين واحاديثه ممن يروي عنهم فيهم نظر" اضاف انه له تفسير لابي جعفر (عليه السلام)"[٤٢].

وذكر ذلك الشيخ الطوسي من ان ابا الجارود من اصحاب الامام الباقر والصادق وله كتاب التفسير عن ابي جعفر الباقر[٤٣] وقال ابن معين والبخاري "**انه ليس يشقة**"[٤٤].

ومن عقائد الجارودية الزيدية ان ابا الجارود يرى كفر الشيخين ابو بكر وعمرو الصحبة جميعاً لانهم قصروا في التعرف على الوصف ولم يطلبوا الموصوف، لم نجد في مصادر الامامية من تكفير للخلفاء ابو بكر وعمر وعثمان وانما كانت امامة المفصول على الفاضل الذي عدها الامامية فاسدة فقدم ابي بكر وعمر وعثمان على امامة أمير المؤمنين كان على وجه الدفع له عن حقه والخلاف عليه في مستحقة وليس ذلك بمستحيل ممن ارتفعت عنه العصمة وان كان من ظاهر الامر على احسن الصفات ولا يوجب الفضل لابي بكر وعمر وعثمان العصمة لهم من الضلال ولا يرفع عنهم جواز الغلط والسهو والنسيان ولا يحل منهم تعمد العناد[٤٥].

وخير دليل طلحة والزبير الم يكونا من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونكثا البيعة للأمام علي (عليه السلام) وحارباه ولقد ورد احاديث عن اهل البيت عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام): "**ان الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين (عليه السلام) فعليهما لعنة الله والملائكة والناس اجمعين**"[٤٦] لقد وجدنا احاديث باللعن عليهم ولقد ورد حديث عن الامام الحسين بن علي (عليه السلام) سيد الشهداء انه قال: "**قد سأله رجل عن ابي بكر وعمر فقال: "والله قد ضيعان وذهب بحقنا وجلس مجلساً كنا احق به منهما ووطئاً على اعناقنا وحملاً الناس على رقابنا**"[٤٧].

وقال (عليه السلام) في رواية المنذر الثوري: "**سمعت الحسين بن علي (عليه السلام) يقول: ان ابا بكر وعمر عمدا إلى الامر وهو لنا كله فجعلا لنا فيه سهماً منهم الجدة أما والله لهمز بهما انقسما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا**"[٤٨] وعبر الامام علي عن موقفه من الخلافة وممن اخذ حقه بالقول: "**عندما سأله اصحابه ان ينزلوا ابو بكر عن المنبر فقال لهم: والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولببوني وقالوا لي: بايع والا قتلناك فلم اجد حيلة الا ان ادفع القوم عن نفسي وذاك اني ذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي ان القوم نقضوا امرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك فعليك بالصبر حتى ينزل الامر الا وانهم سيغدرون بك لا محالة فلا تجعل لهم سبيلاً إلى اذلالك وسفك دمك فإن الامة ستغدر بك بعدتي كذلك اخبرني جبرئيل (عليه السلام) عن ربه تبارك وتعالى**"[٤٩].

لقد كان هذا الامر بمثابة اعلام الامام بما سيكون النبي (صلى الله عليه وآله) لذلك من المرجح جداً ان قبول الامر من قبل الامام وهو الفاضل وتنازله للمفضول كان ليس برضاه وانما كان تحت تأثير الضغط الذي وقع عليه من جمهور الناس وان البيعة كانت صورية أو شكلية لمنع ضرر الامة وتقديم مصلحتها على

مصلحته ولقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن الاعمش عن ابي عبدالله الصادق قال: "**وهب اولياء الله الولاية لهم واجبة والبراءة من اعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا ال محمد وهتكوا حجابه فاخذوا من فاطمة فدك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما وهموا بأحراق بيتها واسسوا الظلم وغيروا سنة رسول الله والبراءة من الانصاب والازلام ائمة الظلال وقادة الجور كلهم اولهم واخرهم واجبة والبراءة من اشقى الاولين والاخرين شقيق عاقر ناقة ثمود قاتل امير المؤمنين واجبة البراءة من جميع قتلة اهل البيت واجبة**"(٥٠).

بعد ان بيننا والروايات التي اجمعت عن اهل البيت ان الخلافة كانت حقهم واغتصب لذلك فأن الجارودية الزيدية كانت تتفق مع الامامية في ان من دفع الامام علي (عليه السلام) عن حقه واخذ منه الخلافة كان مغتصباً لذلك الامر ولقد ذكر فخر الدين الطريحي "**الجارودية وهم فرقة من الشيعة ينيبون الى الزيدية وليسوا منهم نسبوا إلى رئيس لهم يقال له ابا الجارود وهما فرقتان فرقة زيدية وهم شيعة وفرقة بترية لا يجعلون الامامة لعلي بالنص بل عندهم شورى فلا يدخلون في الشيعة**"(٥١).

اذن كما قلنا ان الجارودية الزيدية كان لها مشتركان في العقائد مع الشيعة فمثلاً الامامة من الامام علي ثم الحسن ثم الحسين وانهم لا يرون الجواز في المسح على الخفين ومسائل عقائدية مشتركة مثل تحريم شرب الخمر ولكنهم يجوزون خروج امامان في نفس الوقت وكذلك يجعلون الامامة شورى من بعد الامام الحسين (عليه السلام) مما يجعلها فرقة تختلف في مفهومها للإمامة عن فرقة الشيعة التي اسندت الامامة بأحاديث واردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) واهل بيت (عليهم السلام) ولقد ذكرناها في مواضعها من الملاحظ اغن سبب انشقاق الفرق المستمر هو خلافها حول مسألة الامامة وان كانت هناك اختلافات فالاختلافات الاخرى كانت اسباب ثانوية انما السبب الرئيس لانقسام الفرق وتشيعهما هو عم ايمانها بأمام واحد منصوص عليه من قبل الله والرسول (عز وجل) والائمة (عليهم السلام) والبحث عن إمام اخر يلبي ما تطرح إليه هذه الفرقة من مكاسب سياسية ودينية ودنيوية لذلك ادخلت مفهوم جديد وهو جواز خروج امامان في الوقت نفسه اما الامامية* فقد رفضت هذه الفكرة والاعتقاد بما توفر من الادلة والروايات التي نفت ان يكون هناك امامان في وقت واحد ومنها: "**انه لا يكون اماماً في زمان واحد الا واحدهما صامت**"(٥٢).

وفي رواية عن الامام الرضا انه قال: "**لا يجوز ان يكون في الارض امامان في وقت واحد أو أكثر من ذلك؟ قال لعلل منها: ان الواحد لا يختلف فعله وتدبيره، والاثنين لا يتفق فعلهما وتدبيرهما. وذلك أذا لم نجد اثنين الا مختلفي الهمم والارادة، فإذا كانا أثنين ثم اختلف همهما وارادتهما وتدبيرهما وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن احدهما اولى بالطاعة من صاحبه فكأن يكون اختلاف الخلف والتشاجر والفساد: ثم لا يكون لهم ذلك السبيل إلى الطاعة والايمان ويكونون إنما اتوا في ذلك من قبل الصانع الذي وضع لهم باب الاختلاف والتشاجر اذ أمرهم بأتباع المختلفين، ومنها لو كان إمامان لكان لكل من الخصمين ان يدعوا إلى غير ما يدعوا إليه صاحبه في الحكومة ثم لا يكون احدهما اولى ان يتبع من صاحبه فتبطل الحقوق والاحكام والحدود**"(٥٣) ومنها انه لا يكون واحد من الحجتين اولى بالنطق والحكم والامر، وفي رواية اخرى للأمام ابي عبدالله الصادق (عليه السلام): سأل الحسين ابن ابي العلا: "**قلت لابي عبدالله (عليه السلام): تكون الارض ليس فيها امام، قال: لا، قلت. إما مات، قال: لا، إلا واحدهما**

صامت"[٥٤]. وورد رواية اخرى: عن هشام بن سالم، قال: "**قلت للصادق (عليه السلام) فهل يكون امامان في وقت؟ قال: لا، الا يكون احدهما صامتاً مأموماً لصاحبه، والاخر ناطقاً اماماً لصاحبه، فأما ان يكون إمامين ناطقين في وقت واحد فلا**"[٥٥].

وقد ورد عن الماوردي: "**اذا عقدت الامامة الامامين في بلدين لم تنعقد امامتهما لأنه لا يجوز ان يكون للامة امامان في وقت واحد وان شذ قوم جوزوه**"[٥٦]، وقال ابن كثير في تفسيره "**فأما نصب إمامين في الارض أو أكثر لا يجوز لقوله (ﷺ): من جاءكم وامركم جميع يريد ان يفرق بينكم فأقتلوه كائن من كان**" هذا اخر المقارنات بين الشيعة والجارودية الزيدية ووجدنا لأنه لا يجوز ظهور امامان في وقت واحد كما دلتنا عليه الروايات ونحن نؤيد ما ذهب إليه الشيعة بعدم جواز ظهور امامان للعلل التي تقدم ذكرها واضطراب احوال الخلق فيما لو كان هناك امامان في وقت واحد.

الخاتمة:

١- ان فرقة الجارودية الزيدية كانت تتفق مع الامامية في ان في دفع الامام علي عليه السلام عن حقه واخذ منه الخلافة كان مغتصبا لذلك الامر.

٢- وصفت الجارودية الزيدية من قبل بعض العلماء: الجارودية هم فرقة من الشيعة ينسبون الى الزيدية وليس منهم ونسبوا الى رئيس لهم يقال له ابا الجارود وهما فرقتان زيدية وهم شيعة وفرقة بترية لا يجعلون الامامة لعلي بالنص بل عندهم شورى ولا يدخلون في الشيعة.

٣- اظهرت هذه الفرقة المنشقة عن الشيعة ان الامر بعد الامام الحسين شورى وهذا ينافي ما كان قد نص عليه الرسول من وجود (١٢ خليفة بعده) وهم الائمة عليهم السلام.

٤- ان جواز ضهور امامين في وقت واحد يبطل الامامة وذلك كيف يكون امامين يحكمان في نفس الوقت فقد قيل : "**انه لا يكون امامان في زمان واحد الا احدهما صامت**" وفي رواية للامام الرضا عليه السلام : "**لا يجوز في الارض ان يكون امامان في وقت واحد**" او اكثر من ذلك قال لعلل منها ان الواحد لا يختلف فعله وتدبير والاثنين لا يتفق فعلهما وتدبيرهما وذلك اذا لم نجد اثنين الا مختلفين الهمم والارادة.

الهوامش

(١) المفيد، محمد بن محمد بن نعما (ت ٤١٣ هـ)، المسائل الحارورية، تح: محمد كاظم، ط١، مطبعة مهر، (د.م، ١٤١٣هـ)، ص٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ١٨٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٥، ٤٨٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ١٨٥؛ اليعقوبي، ج٣، ١٧٢-١٧٣.

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ٣٨٣.

(٦) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ابو الحسين، الهاشمي العلوي المدني أخو محمد الباقر وعبدالله الباهر، وعمرو وعلي والحسن والحسين الاكبر والحسين الاصغر امه ام ولد روى عن ابيه زين العابدين واخيه الباقر وخرج فأستشهد وقد على متولي العراق يوسف بن عمر فأحسن جائزته ثم رده فأتاه قوم من الكوفة، فقالوا ارجع نبايعك فما يوسف بشيء فأصغى اليهم ونعسكر فبرز لحربة عسكر يوسف والي الكوفة فضل في المعركة ثم صلب اربع سنين استشهد في الاول / صفر / ١٢٢هـ/ ٧٤٠م)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦، ١٨؛ الطبري، تاريخ، ج٨، ٢٧٥.

(٧) زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب وهو ابن الحسن بن علي ومن اصحاب علي السجاد توفي (١٢٠هـ/ ٧٣٨م)، بين مكة والمدينة بموضع يقال ساجد وهو ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع وهو والد امير المدينة الحسن بن زيد روى عن ابيه وعبدالله بن عباس وروى عنه ابنه ويزيد بن عياض ذكره ابن حبان في الثقات وقد كتب عمر بن عبد العزيزي "ان زيدا بن الحسن شريف بني هاشم فأدوا إليه صدقات رسول الله وكان يتعجب الناس من عظم خلقته وله اربعة اولاد ذكور"، الامين، اعيان الشيعة، ج٧، ص٩٥.

(٨) النوبختي، فرق الشيعة، ص٥٦.

(٩) ظهير، إحسان إلهي، الشيعة والتشيع، ادارة ترجمان السنة، ط١٠، (لاهوز، باكستان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج١، ٢٠٨.

(١٠) السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام)، ط١، (د.م، ١٤٢٧هـ)، ج٧، ٥٤٢.

(١١) المفيد، المسائل الجارودية، ٢٩، ٣٠.

(١٢) ابن المطهر الحلي، خلاصة الاقوال، ٣٤٨.

(١٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، ٣٥٠.

(١٤) الطوسي، رجال الكشي، ص١٥٠؛ النجاشي، رجال النجاشي، ١٧٠.

(١٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ١، ٢٠٧.

(١٦) الاشعري، مقالات الاسلامين، ص١٨.

(١٧) المفيد، المسائل الجارودية، ١٣.

(١٨) الطوشي، رجال الكشي، ١٥٠.

(١٩) المفيد، المسائل الجارودية، ص٣٥.

(٢٠) الصدوق، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، ج١، ٥٢، الباب السادس الحديث (٧)؛ الخوئي، معجم الرجال الحديث، ج٨، ٨٣.

(٢١) المفيد، المسائل الجارودية، ص٣٨.

(٢٢) المفيد، المسائل الجارودية، ص٣٢.

(٢٣) النوبختي، فرق الشيعة، ص٥٦.

(٢٤) المفيد، الارشاد، ٩٤؛ الصدوق، الخصال، ١٦٦، ح ٩٨؛ كمال الدين وتمام النعمة، ١٠٣.

(٢٥) النوبختي، فرق الشيعة، ٥٦.

(٢٦) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ١، ٢٥ ج٦، الباب ٢٥.

(٢٧) المجلسي، بحار الانوار، ج٦٣ و٤٦، ص١٩٣.

(٢٨) المفيد، ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان، الارشاد، ٢٦٩ الباب ١٧٥ ح١٠؛ جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل، ج٧، ١٩٨-٢٠٢.

(٢٩) الصدوق، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، ١، ٢٤٩؛ المحبسي، بحار الانوار، ج٤٦، ١٩٢.

(٣٠) المناقب، ج٣، ٣٦٠؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٦، ١٧٩.

(٣١)المجلسي، بحار الانوار، ج٦٣ و٤٦، ص١٩٥

(٣٢)الصدوق، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، ١، ٢٥٠

(٣٣)المصدر نفسه.

(٣٤) الصدوق، عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، ج١، ٢٤٩؛ الطوسي، الامالي، ٦٨٢؛ جعفر السجاني، بحوث في الملل والنحل، ج٧، ص٢٠٠.

(٣٥) روى الكليني عن الحسن بن الوشاء عمن ذكره عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: ان الله (عز وجل) أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة ايام"؛ وروى عن ابي هاشم الجعفي قال: سألت الرضا عن المصلوب؟ فقال: "أما علمت ان جدي صلى على عمه"؛ الكافي، ج٨، ١٦١. وقد روى الكشي عن فضل الرمان قال: دخلت على ابي عبدالله بعد ما قتل زيد بن علي فقال لي: "يا فضيل قتل عمي زيد بن علي؟" فقلت: نعم جعلت فداك، فقال: "رحمة الله اما انه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أما انه لو ظفر لو فى، أما انه لو ملك لعرف كيف يضعها"، الطوسي، رجال الكشي، ٢٤٢، رقم ١٣٣.

(٣٦) خلاصة الاقوال، ٣٤٨.

(٣٧) النوري، الطبرسي، حسين بن محمد تقي (١٣٢٠هـ)، خاتمة المستدرك، الوسائل، تح: مؤسسة اهل البيت، حياء التراث، (قم، ١٤١٦هـ)، ج٥، ٤١٢.

(٣٨) الواسطي البغدادي، احمد بن الحسين، الرجال لابن الغضائري، ط٣، دار الحديث للطباعة، (قم، ١٤٣٥هـ)، ص٦١.

(٣٩) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٨، ٣٣٥.

(٤٠) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الكشي، ط١، (قم، ١٤٢٧هـ)، ص١٩٩-٢٠٠، رواية رقم ٤.

(٤١) ابن حبان، المجروحين من المتحدين، ج١، ص٣٨٤.

(٤٢) ابن عدي، ابو احمد بن عدي (ت ٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل احمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ)، ج٣، ١٠٤٨.

(٤٣) الطوسي، رجال الطوسي، ص١١٥؛ ابن النديم، الفهرست، ٢٥٣؛ الامين، اعيان الشيعة، ج٧، ص٨٣.

(٤٤) البخاري، التاريخ الصغير، ج٢، ص١٣٧؛ ابن معين، يحيى بن معين، كتاب التاريخ، ط١، مركز البحث العلمي، (مكة، ١٩٧٩م)، ج٢، ١٨٠-١٨١.

(٤٥) المفيد، الافصاح، ص٣٩-٤١.

(٤٦) الكليني، الكافي، ج٨، ص٢٤٦.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) الحلبي، ابي الصلاح تقي بن نجم (ت ٤٤ ٧هـ)، تقريب المعارف، تح: فارس تيزيزان الحسون، مطبعة الهادي، (د.م، ١٤١٧هـ)، ص٢٤٣.

(٤٩) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ١٨٨.

(٥٠) الصدوق، الخصال، ٦٠٧.

(٥١) مجمع البحرين، تح: احمد الحسيني، ط٢، (قم، ١٤٠٨هـ)، ج٣، ص٢٤.

* مذهب الامامية: ان الامامة لا يعتبر فيها منصب مخصوص وانما الاعتبار في ذلك بالنص الوارد عن النبي (ﷺ) على تعين الائمة بالتصريح وبالإشارة بعد تعين العدد وان النبي ذكر كل واحد منهم باسمه وابيه وامه ونعته ولقبه وقبل ذكرهم جملة وقال: "الائمة من ولد هذا يعني الحسين (عليه السلام) بعدد نقباء بني اسرائيل)، وقد ورد النص على اثني عشر اماماً من ولد الحسين (عليه السلام)، عيون اخبار الرضا، ج٢، ١٦٧.

(٥٢) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ٢٥٤؛ عيون اخبار الرضا، ج٢، ١٦٦.

(٥٣) المجلسي، بحار الانوار، ج١٥، ص١٠٥.

(٥٤) الكليني، الكافي، ج١، ١٧٨.

(٥٥) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن بابوية، كمال الدين وتمام النعمة، مكتبة الصدق للنشر، (د.م، ٢٠١٩م)، تح: علي اكبر غفاري، ج١، ص٤١٦؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٢٥، ١٠٦.

(٥٦) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، الاحكام السلطانية، دار الحديث للنشر، (القاهرة)، ٢٩؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٣، ١٢٥.

المصادر

١. ابن الاثير، عز الدين ابو عش علي اسد الغابة، طهران، ١٣٧٠هـ.

٢. احمد ابن حنبل، مسند احمد ابن حنبل، بيروت، ١٩٨٠م.

٣. البلاذري، احمد ابن يحيى، اسباب الاشراق، النجفا الشرف، ١٩٧٠.

٤. البغدادي، عبدالقادر بن طاهر، الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٩٥٤.

٥. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، ١٩٨١م.

٦. الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، بيروت، ٢٠٠٨م.

٧. التستري، محمد تقي، قضاء امير المؤمنين، ط١، النجف الاشرف، ١٩٦٩.

٨. الثقفي، ابراهيم بن محمد ، الغارات، النجف، ١٩٧٤م.

٩. ابن الجوزي، ابو الفرج جمال الدين عبدالرحمن، زاد المسير، بيروت، ١٩٨٧.
١٠. الجوهري، احمد عبدالعزيز، السقيفة وفدك، بيروت، ١٩٩٨م.
١١. ابن حزم، ابو محمد علي ابن احمد، جمهرة انساب العرب، ط١، بيروت، ١٩٨٣.
١٢. ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد، الاصابة، بيروت، ١٩٧٩هـ.
١٣. تهذيب التهذيب، بيروت، ١٩٨٤م.
١٤. لسان الميزان، بيروت، ١٩٩٥.
١٥. ابن خياط، خليفة ابن خياط، طبقات خليفة، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٦. الخصيبي، لحسن بن حمدان، النهاية الكبرى، ط٣، د.م، ١٩٩١م.
١٧. ابن ابي الجعد، علي ابن الجعد، مسند ابي جعد، بيروت، ١٩٩٦م.
١٨. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٩. الخوئي، ابو القاسم، معجم رجال الحديث، النجف، ١٩٦٠م.
٢٠. ابو داوود، سليمان ابن الاشعث، سنن ابي داوود، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٠.
٢١. الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله، سير اعلام النبلاء، دار المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ.
٢٢. زيد بن علي، مسند زيد بن علي، د.ت، بيروت.
٢٣. الدارمي، محمد عبدالله بن عبدالرحمن، سنن الدارمي، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٢٤. ابن ابي شيبة، ابو بكر عبدالله بن محمد بن ابراهيم، المصنف، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٢٥. ابن شهر اشوب، ابو جعفر رشيد الدين بن محمد، المناقب، النجف، ٩٦١هـ.
٢٦. الاشعري، ابو الحسن علي بن اسماعيل، مقالات الاسلاميين، بيروت، ١٩٧٤م.
٢٧. السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام)، ط١، د.م، ١٤٢٧هـ.
٢٨. الشيبي، مصطفى كامل، الصلة بين التصوف والتشيع، بغداد، ١٩٦٣م.
٢٩. الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي ابن بابويه، فضائل الشيعة وصفات الشيعة، تح: احمد الماحوزي، طهران، ١٩٧٠م.
٣٠. عيون اخبار الرضا.
٣١. الخصال، قم، ١٤٠٣هـ.
٣٢. الرازي، ابن ابي حاتم عبدالرحمن، الجرح والتعديل، بيروت، د.ت.
٣٣. الصنعاني، ابو بكر عبدالرزاق بن همام، المصنف، بيروت، ١٤٠٣م.
٣٤. الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مصر، ١٩٦٠م.
٣٥. الطوسي، ابو جعفر بن محمد ابن الحسن، رجال الكشي، ط١، قم، ١٩٧٤م.
٣٦. تخذيب الاحكام، طهران، ١٣٦٥هـ.
٣٧. ------، الاستبصار، طهران، ٢٠٠م.
٣٨. ابن المطهر الحلي، الحسن بن يوسف، خلاصة القول، النجف، ١٩٦٠م.
٣٩. الطبرسي، الفضل ابن الحسن، اعلام الورى باعلام الهدى، قم، ١٤١٧هـ.
٤٠. الطبرسي، احمد بن ابي طالب، الاحتجاج، بيروت، ١٩٨٣م.
٤١. الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، تلخيص الشافي، دار الكتب الاسلامية، قم، ١٩٧٤م.
٤٢. الطبرسي، حسين بن محمد تقي، خاتمة المستدرك الوسائل، تح: مؤسسة اهل البيت، قم، ١٤١٦هـ.
٤٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، ١٩٥٢م.
٤٤. ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، دمشق، ١٣٤٩هـ.
٤٥. ابن عبد ربه، احمد بن محمد، العقد الفريد، بيروت، ٢٠٠٦م.
٤٦. ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله، الاستيعاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
٤٧. العياشي، ابو نصر محمد بن مسعود، تفسير العياشي، طهران، د.ت.

٤٨. فانفلوتن، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات، ط١، تر: حسن ابراهيم، مصر، ١٩٣٤م.
٤٩. فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم، تح: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر، د.م، ٢٠١١.
٥٠. قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، قم، ١٤٠٩هـ.
٥١. ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم، الامامة والسياسة، القاهرة، ١٩٣٢م.
٥٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، ١٣٦٣هـ.
٥٣. ابو نعيم الاصفهاني، احمد بن عبدالله بن احمد، حلية الاولياء، دار الكتاب العربي، ط٥، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٥٤. النسائي، احمد بن شعيب بن علي، فضائل الصحابة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٥٥. ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، بيروت، ١٩٦٤م.
٥٦. ابن ماجة، ابو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء الكتب، د.م، د.ت.
٥٧. المسعودي، علي ابن الحسين، مروج الذهب، قم، ٢٠١٨م.
٥٨. اثبات الوصية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٥٩. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الارشاد، طهران، ١٩٧٠م.
٦٠. علل الشرائع، النجف، ١٩٦٣م.
٦١. الامالي، ايران، ١٣٦٤هـ.
٦٢. الاختصاص، بيروت، ١٤١٤هـ.
٦٣. المسائل الجارودية، تح: محمد كاظم، ط١، مطبعة مهر، د.م، ١٤١٣هـ.
٦٤. المقدسي، المطهر بن طاهر، البدع والتاريخ، مكتبة الثقافة، بور سعيد، ١٩٧٠.
٦٥. المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تح: عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٤٨٢هـ.
٦٦. اليعقوبي، احمد بن واضح، تاريخ اليعقوبي، بيروت، ١٩٧٥م.
٦٧. يوليوس فلهازون، الخوارج والشيعة، ترجمة: عبدالرحمن البلوي، القاهرة، ١٩٥٨

قراءة تحليلية في المصادر السريانية الغربية

An analytical reading of West Syriac sources

م.م ياسمين هاشم جابر
جامعة القادسية – كلية التربية – قسم التاريخ

أ.د حمدية صالح دلي الجبوري
جامعة القادسية – كلية التربية – قسم التاريخ

Abstract .

Although those of one nature were under Byzantine influence, their contact with Greek culture was less than that of the Nestorians or the Eastern Syriacs. Rather, the Nestorians preceded this contact, especially in terms of translating from Greek into Syriac, and when the Nestorians were known for their missionary activity, they They used to translate many Syriac books into Persian, while translation appeared among the Jacobites in the sixth century AD. The translation of the Syriacs was not limited to the Bible, books of monasticism and theology, but rather extended to worldly studies from metaphysical studies to Neoplatonism, medical studies and others, However, the Western Syriacs had a great advantage in writing history and devoted a wide space to chronological history in their books.

الخلاصة

على الرغم من أن السريان الغربيين (أصحاب الطبيعة الواحدة) كانوا تحت ظل النفوذ البيزنطي، الا ان اتصالهم بالثقافة اليونانية كان اقل مما عليه لدى النساطرة او السريان الشرقيين، بل كان النساطرة السابقين لهذا الاتصال، لاسيما من ناحية الترجمة من اليونانية الى السريانية،ولما عرف النساطرة بالنشاط التبشيري فقد دأبوا على ترجمة العديد من الكتب السريانية الى الفارسية، بينما ظهرت الترجمة لدى اليعاقبة في القرن السادس الميلادي، ولم تقتصر ترجمة السريان على الكتاب المقدس وكتب الرهبنة واللاهوت وانما تعدت الى الدراسات الدنيوية من الدراسات الميتافيزيقية في الافلاطونية الحديثة والدراسات الطبية وغيرها'[١]، الا ان للسريان الغربيين كان لهم فضل كبير في كتابة التاريخ وخصصوا للتاريخ الزمنى مساحة واسعة في مصنفاتهم.

كلمات مفتاحية: (السريان، الاراميين، الساميين، الكنيسة، المجامع الدينية)

المقدمة

السريان هم جزء من الاقوام الارامية[٢]، والاراميون هم أقوام سامية هاجرت من الجزيرة العربية نتيجة ظروف قاهرة من القحط الى سوريا وفلسطين عام ١٥٠٠ ق.م[٣]،ووصل الاراميون الى شمال العراق حوالي الالف الثالثة قبل الميلاد واستطاع فرع من الاراميون وهم الكلدانيون الوصول الى بابل حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ونجحوا في تكوين امارات لهم في أقصى جنوب العراق[٤] والآرامية هي التسمية الحقيقية لهذه الشعوب ذكر المستشرق ارنست رينان ان اسم آرام قد بُدل في زمن الملوك السلوقيين فأصبح المشرق يعرف بإسم سوريا وهي اختصار لآسوريا اي آثور أو آثوريا تبعاً للفظ اليوناني[٥].

اختلفت أراء العلماء حول تسمية السريان رأى البعض ان تسمية سوريا والتي أُشتق منها السريان تعود الى اليونان بعد سيطرة الاثوريين[٦] على البلاد الشامية بينما ذكر ياقوت الحموي[٧] ان أصل هذه

التسمية يعود الى سورستان وهي ارض الشام والعراق واليها نُسب السريان وهذا الرأي نجده أيضاً عند المسعودي[٨] الذي ذكر ان سورستان هي تسمية اطلقها كل من الفرس والروم نسبة الى السريان ويمكن تفسير قول المسعودي ان سورستان اشتقت من السريان.

قيل ان اليونان عندما فتحوا الشام وجدوا الاشوريين يديرون امرها فأطلق عليها أشورية[٩] بينما رأى البعض ان هذا الاسم يعود الى مدينة صور بلاد الفينقيين أو من لفظة خاروا المصرية حيث كان المصريين يطلقون على جميع البلاد الواقعة الى سواحل البحر المتوسط (خاروا) ثم استبدلت خاروا بشارو والى بسارو والى سوريا[١٠]

وذكر بعض السريان ان هذه التسمية هي مشتقة من سوروس وهو رجل من الجنس الارامي قتل آخاه وبنى مدينة انطاكية وملك بلاد مابين النهرين حتى سميت مملكته بأسم سوريا وشعبها بالسريان بينما ذكر الصليبي(ت١١٧١م)[١١]،بما نصه " **لكنهم (اليونانيين) يسموننا تعييرا لنا عوض السريان يعاقبة و نحن نردهم قائلين ان اسم السريان الذي سلبتموه عنا ليس عندنا من الاسماء الشريفة لكونه متاتيا من اسم سوروس .... اما نحن فاننا من بني ارام وباسمه كنا نسمى يوما ارامييين**"[١٢]

أيد جواد علي هذا الرأي وأكد ان تسمية السريان هي تسمية حديثة العهد يُراد بها الارامية أُطلقت قبل أكثر من خمسمئة أو أربعمئة عام قبل الميلاد ،أما الاراميين الشرقيين أي ارامي العراق أُطلق عليهم أسم السريان بعد الميلاد وشملت المسيحيين تمييزا لهم عن الاراميين الوثنيين فأصبح مفهوم الارامي مرادفاً للصابئ والوثني[١٣] ،ويوافقه في هذا الرأي أيضاً ادي شير عندما أشار الى السريان بأنه اسم خارجي غريب اطلقه كل من المصريين واليونان على سوريا ومن اليونان اخذه الاراميين الغربيين وسرى الى السريان الشرقيين من الكلدان والاثوريين الذين تنصروا لأن الديانة المسيحية قد جاءتهم من سوريا فأصبح اسمهم السريان تمييزاً لهم عن الوثنيين من الكلدان والاثوريين وادي اشير وصل الى نتيجة مفادها ان تسمية السريان لاتشير الى امة وانما الى الديانة المسيحية [١٤]، لذا رجح البعض ان اسم السريان هو مشتق من كلمة آرامية وهي سورايا او سورييا والتي تعني مسيحي[١٥].

كان للسريان الغربيين فضل كبير في كتابة التاريخ، اذ نلاحظ ان للتاريخ الزمني مكانة أكبر في مؤلفاتهم من التاريخ الكنسي ،فكان لهم اهتمام في تدوين تاريخهم وتاريخ غيرهم من الشعوب التي خالطوها، تصدى لهذه المهمة رجال الدين بهدف تنبيه شعبهم الى أهمية تاريخهم وكل مايمس هويتهم أو مايتعلق بها، وكانت غاية المؤرخ هو تغذية ذاكرة الشعب ،لذا نلاحظ بعض المصادر السريانية حدة المشاعر القومية وحدة الالتزام الديني من خلال كثرة الاقتباسات من الكتاب المقدس،ممايدل على تعمق المؤرخ السرياني في علم اللاهوت ومن أهم المصادر السريانية الغربية:

١- تاريخ جون ملالا

ملخص لتاريخ العالم في القرن السادس الميلادي من وجهة نظر مؤرخ عاش في قلب الامبراطورية البيزنطية، ولايُعرف عنه شيئاً بأستثناء ماوجد عند بعض المؤرخين، ويرجحون تاريخ ولادته مابين عامي ٤٨٠-٤٩٠م[١٦].

تلقى ملالا تعليمه في أنطاكية مقر انطلاق الحملات العسكرية ضد الفرس، وأصبح احد العاملين في المؤسسات البيزنطية ثم انتقل الى القسطنطينية، ويُرجح سبب الانتقال هو مهاجمة الفرس لانطاكية عام ٥٤٠م ،إن تاريخ جون ملالا كان صورة حية عن تاريخ المجتمع البيزنطي، يُرجح تاريخ الكتابة في منتصف أو اواخر عام ٥٧٠م ودون باللغة اليونانية بأسلوب بسيط جداً[١٧].

كتب المؤرخ تاريخه بمرحلتين أو نسختين تم جمعهما بمصنف واحد ،اذ ان وحدة الاسلوب بين هذه الكتب تشير الى مؤلف واحد بلا شك، قسم ملالا تاريخه الى عدة اقسام متضمناً تاريخ العالم منذ الخليقة حتى عام٥٦٥م ، في ثمانية عشر فصلاً، كانت تغطي فترات زمنية مختلفة ابتداءاً من النبي آدم (عليه السلام) وموجزا لنوح وذريته وتاريخ حكام مصر، والتاريخ اليوناني وصولاً الى روما، ومقر اهتمام المؤرخ هو مدينة انطاكية، بينما ركز الكتاب الثامن عشر على القسطنطينية وعصر الامبراطور جستنيان الاول، أنستاسيوس، زينون ، جستنيان الثاني، أطولها هو الفصل الاخير الذي تناول حكم جستنيان الثاني،لذا كان تاريخ ملالا صورة حية عن الصراع البيزنطي الساساني كان هناك تحول ملحوظ في التركيز من أنطاكية منذ عام ٥٣٢ فصاعدًا في القسطنطينية ،بسبب انتقال ملالا الى القسطنطينية[١٨].

٣- يوحنا الافسسي (ت: ٥٨٥م)

مؤرخ كنسي ولد في مدينة آجل عام ٥٠٥م شمال مدينة الامد[١٩]، ولهذا عُرف بيوحنا الامدي نشأ في جو الاديرة، وحياة التقشف، والزهد ودرس الكتاب المقدس، وأصبح شماساً في دير مار يوحنان عام ٥٢٩م[٢٠] ،واتقن اللغة اليونانية فضلاً عن لغته الام السريانية هرب من آمد الى فلسطين تجنباً للأضطهاد الذي فُرض على اصحاب الطبيعة الواحدة، وانتقل الى القسطنطينية وأصبح أسقفاً لأصحاب الطبيعة الواحدة ومقرباً للامبراطور جستنيان الثاني،بسبب محاولة جستنيان توحيد الكنيسة ويوحنا الاسيوي كان قريباً من المونوفيزيين، أرسله الملك البيزنطي الى اسيا الصغرى للقضاء على عبادة الاصنام عام ٥٤٦م، لذا عُرف بيوحنا الاسيوي، وأثبت جدارته في تنصير العديد من الوثنيين، وذاعت شهرته في الاوساط المسيحية (ب معلم الوثنيين)، وعُين اسقفاً في مدينة افسس ٥٥٨م، لذا عرف بيوحنا الافسسي ، وسرعان ماأصبح مطراناً لأسيا الصغرى، وبوفاة الامبراطور جستنيان الثاني ٥٧٢م، تعرض يوحنا للأضطهاد والتنكيل والنفي عندما أُستؤنف اضطهاد اصحاب الطبيعة الواحدة، وسجن يوحنا وقضى اخر ايامه هارباً متنقلاً حتى وفاته عن عمر ناهز الثمانون عاماً ٥٨٥م[٢١]، ومن أثاره التاريخية :

١. (تاريخ الاضطهاد)، تناول فيه اضطهاد اتباع المذهب المونوفيزي ،دونه حوالي سنة ٥٣٧م.
٢. كتاب عن الطاعون الذي اجتاح الامبراطورية البيزنطية عام٥٤١-٥٤٢م وانتهى من كتابته عام ٥٤٤م ،لكنه لم يكن مستقلاً ،بل ضمه الى تاريخ الكنيسة الجزء الاول وهو مفقود .
٣. تاريخ النساك الشرقيين كان عبارة عن جزئيين اشتمل على ثمان وخمسون سيرة ذاتية عن الرهبان والنساك والاساقفة المعاصرين له، ويعد من المصادر المهمة لتاريخ الرهبانية في بلاد مابين النهرين ،نُشر في كتاب حكايات أو نوادر سريانية ،كما نشر جزء منه في كتاب المروج

النزهية في آداب اللغة الارامية وترجم الى الانكليزية في كتاب سلسلة الاباء الشرقيون، فضلاً عن قصة أهل الكهف نقلها المؤرخ دينوسيوس الى تاريخه[٢٢].

٤. من أعظم أعمال يوحنا الاسيوي التاريخ الكنسي في ثلاثة أجزاء الاول مفقود والثاني بقي منه شذرات، والثالث نُشر في عام ١٨٥٣م وتُرجم الى الانكليزية عام ١٨٦٠م، والى الالمانية عام ١٨٦٢م، ونُشر النص في سلسلة الكتابات المسيحية الشرقية عام ١٩٣٥م، والى اللاتينية ١٩٣٦م وترجم الى العربية اعتماداً على النص السرياني في الكتابات المسيحية الشرقية[٢٣].

كان أسلوب الكتابة ولفظ المؤرخ متأثراً بألاساليب والألفاظ اليونانية، بسبب ابتعاد المؤرخ عن وطنه وهروبه في الكثير من الاحيان ،فضلاً عن الارتباك في ترتيب الاحداث لما واجهه في حياته من اضطراب ونوه المؤرخ الى ذلك بقوله " **وربما انحى القارئ المثقف باللائمة عند قراءة هذا التاريخ على الخلط الذي يسود سياق الكتاب كأن يجد حادثة واحدة مكررة أو مشتتة في أكثر من موضع واحد ولكني أرجو ان يلاحظ القارئ ان أكثر هذه الفصول قد كتب في عصر سادته الفتنة والاضطهادت وكان من الضروروي أن ينقل بعض الاصدقاء الارواق التي كتبت عليها هذا الفصول ليخفوها في أماكن أمينة**"[٢٤].

يعد هذا الكتاب سجلا تاريخيا لأهم التطورات الكنسية وصورة للتاريخ الحضاري والسياسي للامبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي وماشهده ذلك القرن من حروب فارسية بيزنطية[٢٥].

٣- تاريخ زكريا البليغ

من كتب التاريخ الكنسي يعود الى نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي، نسبةً الى المؤرخ زكريا الذي لُقب بالمعلم الى عمله في القسطنطينية ولُقب أيضاً بالبليغ والخطيب، ولد في مدينة مايوما أحدى مدن غزة عام ٤٦٠ م، وانتقل الى الاسكندرية ليتم تعليمه هناك بين عامي (٤٨٥-٤٨٧م)، ثم انتقل الى بيروت ليتعلم القانون لمدة اربع سنوات، وظل متنقلاً بين المدن حتى وصل القسطنطينية ليمارس المحاماة وهي مهنة كانت تمثل صفوة المجتمع آنذاك ، وفي عام٤٩١م او ٤٩٢م اختار زكريا الحياة النسكية دون وجود معلومات تفيد بأقامته في دير معين او انتمائة لاحدى الجماعات الرهبانية[٢٦].

ان تاريخ أسقفية زكريا على مدينة متيلين[٢٧]، يمثل نقطة جدل في هوية زكريا، اذ يرى البعض ان زكريا كان اسقفاً على ميتلين[٢٨]، ولكن النساخ قد حرفوا اسم المدينة لتصبح ميلتين وتُرجمت الى ملطية ونُسب زكريا الى مدينة ملطية بشكل خاطئ، لكن وبعد تعريب تاريخ سوزمينوس قد وُجد اسم زكريا ضمن اسماء الاساقفة مدينة ميلتين ليتضح انها مدينة ملطية دون خطأ في هجائها وانما كانت في اللغة اليونانية تكتب (Malateia) وبالارمينية(Malatia),وفي اللغة اللاتينية (Meliten) كما كتبت في تاريخ زكريا والتي كانت مركزاً سريانياً ارثوذكسياً، ضمن حدود الاراضي الارمينية قديماً[٢٩]

من باكورة اعماله هو حوار مع امونيوس او خلقة العالم، وحياة بطرس الايبيري، والرد على المانوية، والتاريخ الكنسي، واساس هذا العمل هو اهداء زكريا التاريخ الكنسي الى يوبراكيوس وهو احد رجال الحاشية الملكية وعُرف عنه انه كان حارس مخدع الملك ودونه زكريا باللغة اليونانية وهو مفقود قام احد اليعاقبة السريان بوضع مجموعة تواريخ، فكان التاريخ الكنسي لزكريا جزءاً من هذه المجموعة متضمناً

احداث السنوات ٤٦٣-٤٩١م، وهي محفوظة الان في المتحف البريطاني أما تاريخ الكتابة فقد أضاف الراهب أنه انتهى من تاريخه عام ٨٨٠ يونانية اي ٥٦٩م[٣٠]، فُقد أغلب محتوى الكتاب واستطاع المؤرخ ميخائيل السرياني حفظ هذا التاريخ عندما قام بترجمته الى السريانية[٣١].

تكون تاريخ زكريا من اثنى عشر باباً الفصل الاول من الباب الاول والثاني مفقود غطى تاريخه الكنسي الفترة مابين ٤٤٩-٤٦١م، والباب السابع الى الباب العاشر ماتبقى منه هو قصاصات استطاع كل من المستشرقين هاملتون وبروكس استخلاص المفقود منها من خلال عمل ميخائيل السرياني عام ١٨٩٩م، والباب العاشر غطى الفترة التاريخية ٥٤٨م، اما الباب الحادي عشر فهو مفقود، والفصول الاولى من الباب الثاني عشر هي مفقودة أيضاً، والمتبقي منها قصاصة من الفصل الرابع الى نصف الفصل السابع تغطي الحقبة التاريخية (٥٥٣-٥٥٦م)[٣٢].

كان تاريخاً كنسيا تضمن اخبار اساقفة كنيسة الاسكندرية وكنيسة انطاكية والخلافات الكنسية وانقساماتها الى جانب بعض الاحداث التاريخية، كان زكريا معاصراً وشاهداً للكثير من الاحداث منذ عهد الملك ثاودسيوس حتى عصر الامبراطور جستنيان الثاني، لقد هيأت له اقامتهفي عاصمة الامبراطورية الشرقية فرصة الاطلاع على مراسلات الامبراطورية البيزنطية، كما شكلت علاقاته بباباوات الاسكندرية عاملاً من عوامل القوة لتاريخه الكنسي،فضلاً عن مشاهداته الشخصية لاسيما معركة دارا وتحالف الروم مع الهون ضد الفرس.

٤- ثيودوريتوس(٣٣)اسقف قورش

ولد في مدينة انطاكية عام٣٩٣م، ونشأ في عائلة محافظة دينياً، فكان يترددعلى الرهبان في سوريا حتى أصبح قارئاً في كنيسة انطاكية، كان ذو معرفة واسعة بفلاسفة وثقافة اليونان، وكان متعصباً للغته السريانية، أمتهن حياة الفقر والاعتزال، ووزع ثروته التي ورثها من والديه على الاديرة ليعيش في احدى الاديرة لمدة سبع سنوات، وعين فيما بعد اسقفاً على قورش عام ٤٢٣م وشارك في مجمع افسس الذي عقد عام ٤٣١م وعُزل عن منصبه في مجمع افسس الثاني سنة٤٤٩م، واتهم بمشايعته للنسطورية، وفي المجمع الخليقدوني المنعقد سنة ٤٥١م أُعيد ثيودوريوس الى أبرشيته بعد أن فُرض عليه ان يحرم أراء نسطور، كان ثيودوريتوس رافضاً في بادىء الامر ان يتخلى عن صاحبه، لكنه أذعن فيما بعد وحُرمت أراؤه[٣٤] أدان مجمع القسطنطينية ٥٥٣م ثيودوريتوس وادان كتاباته التي كانت ضد كيرلس الاسكندري[٣٥].

كان لثيودوريتوس عدة مؤلفات عقائدية ولاهوتية وتفسيرية وتاريخية، فُقد الكثير منها بالحرق والاهمال بعد موته وماتبقى منها هو التاريخ الكنسي الذي يُرجح تاريخ كتابته عام ٤٤٩-٤٥٠م، كان غرضه من هذا الكتاب هو تدوين ماحذفه المؤرخون السابقون له، وهنا تتجلى أهمية هذا الكتاب قد نجد بعض الاحداث ليس لها وجود في المصادر الاخرى ،وذكر في مقدمة كتابه انه قد اكمل التاريخ الكنسي من حيث انتهى يوسابيوس القيصري اي منذ بداية عهد قسطنطين الكبير وبداية الحركة النسطورية وحتى عام ٤٢٩م[٣٦].

ومن مؤلفاته كتاب أصفياء الله الذي تضمن سير القديسين والسير النسكية للرهبان والاساقفة في البطريركية الانطاكية منذ عهد قسطنطين وحتى منتصف القرن الخامس الميلادي، شاملاً حياتهم وفضائلهم وحتى الجانب الاسطوري من معجزاتهم في ثلاثين فصلاً الى جانب الاحداث التاريخية التي رافقت سيرة كل راهب[٣٧].

٥- تاريخ ٦٤٠ م

وسمي أيضا بتاريخ ٧٢٤م (تاريخ الخلفاء)[٣٨]، وثيقة تاريخية تعود الى القرن الثامن الميلادي، المؤرخ مجهول، أُفترض البعض ان هذه المخطوطة تعود لكاهن سرياني يدعى توما القسيس من بلاد ما بين النهرين عاش بالقرب من جبال ماردين كتب هذا التاريخ مباشرةً بعد الفتح العربي الأسلامي لبلاد الرافدين ٦٣٩-٦٤٠م ، النصوص كانت تفتقر بشكل واضح إلى الترابط ،اذ تكونت من نصوص متنوعة نوعًا ما، من جداول أسماء الملوك من عهد النبي إبراهيم(عليه السلام) والاشوريين وصولاً الى القرن الرابع الميلادي الى عهد قسطنطين، وهذا التاريخ هو ملخص لتاريخ يوسابيوس القيصري، وتنتهي هذه الوثيقة التاريخية بقائمة الخلفاء العرب، وهذه الورقة الأخيرة هي إضافة كتبها الناسخ في أوائل القرن الثامن تحوي أسماء الخلفاء العرب حتى يزيد بن عبد الملك (ت:٧٢٤م)[٣٩].

لم يشر المؤرخ الى الأباطرة الرومان الذين خلفوا هرقل بعد وفاته لذا من المنطقي أن يُفترض أن هذا المقطع كُتب حوالي ٦٤٠م قبل وفاة هرقل ببضعة أشهر ،وأثناء الفتح العربي الاسلامي، ويُلاحظ من خلال ثنايا هذا التاريخ ان المؤرخ كان من اليعاقبة، لأنه ادان المجمع الخليقدوني ٤٥١م[٤٠]،كما تضمن هذا التاريخ احداثاً كنسية وسياسية منذ الخليقة حتى عام ٦٣٦م في عدة أقسام لكن في ترتيب زمني غير متسلسل[٤١].

٦- تاريخ الرها المجهول

يعد من التواريخ المحلية كونه اختص بتاريخ مدينة الرها[٤٢]، كُتب في منتصف القرن السادس الميلادي، في اللغة السريانية ،وسمي بسجلات الرها المؤرخ مجهول لايُعرف عنه الا من خلال ثنايا المخطوطة انه كان كاثوليكي الايمان معترف بالمجامع الاربع ويُرجح انهُ عاش حتى عام ٥٥٠م [٤٣].

بدا تاريخه بسرد الاحداث منذ عام ١٣٢ق. م حتى عام ٥٤٠م عندما اندلعت الحرب بين الملك كسرى وجستنيان الاول، كان مختصراً في سرد احداث العصور الاولى وأصبح اكثر تفصيلاً في احداث القرن الثالث الميلادي، نشر هذا التاريخ عدة مرات في اللغة السريانية، وتُرجم الى اللغة الالمانية واللاتينية [٤٤].

٧- تأريخ يعقوب الرهاوي (٦٣٣-٧٠٨م)

من أشهر علماء اليعاقبة السريان في القرن السابع الميلادي، كان مفسراً ومؤرخاً وفيلسوفاً ولغوياً له العديد من المصنفات الفريدة في اللغة واللاهوت والتأريخ والفلسفة،سمي برجل الاتعاب لشدة تعبه واجتهاده، كان يتقن اللغة السريانية واليونانية والعبرية، أجمع المستشرقون على انه اكثر من نبغ في الادب السرياني[٤٥].

ولد ونشأ في قرية عين دابا [٤٦] احدى كور مدينة انطاكية عام ٦٣٣م، يُعتقد ان اسم أبيه اسحق، تنقل بين الشام والاسكندرية طلباً للعلم فالرها حيث تم اختياره عام ٦٨٤م مطراناً للرها، ولهذا سمي بيعقوب الرهاوي، على الرغم من انه لم يولد في مدينة الرها، الا أنه أقام فيها لمدة اربع سنوات وترك ابرشية الرها عندما حاول اعادة النظام الى الأديرة والالتزام بقوانين الكنيسة،لاسيما قانون الاديرة والرهبان، كان جبل رها يعرف بالجبل المقدس لكثرة الاديرة، وكان موطناً لالاف الرهبان وكانت قوانين الاديرة تمعنهم من نزول الاديرة الا بأمر من رؤسائهم، فكانوا يغادرون الدير دون أذن مخالفين للقوانين، فضلاً عن جمعهم النذور، حاول يعقوب الرهاوي معالجة هذا الامر برفعه الى المجمع المقدس، لكن الاحبار لم يولوا الامر اهمية ممادفعه الى حرق القوانين جهرةً امام الملأ بسبب اهمالها وترك اسقفية الرها بعد أربع سنوات من توليه المنصب[٤٧].

أنزوى يعقوب الرهاوي في دير مار يعقوب في كيسوم ،بين حلب والرها ،أذ أُنتدب لتدريس اللغة اليونانية لمدة احدى عشرة سنة، وعاد الى الرها ليتولى أبرشيته ومكث فيها اربعة أشهر وترك الرها عائداً الى دير تل عدا[٤٨]، وتوفي هناك في الخامس من حزيران ٧٠٨م[٤٩].

كانت له عدة مصنفات فريدة في مختلف العلوم منها مازال مخطوطاً ومنها مافقد ومنا مانشر:

١. نقح ترجمة الأسفار المقدسة السريانية عام ٧٠٥م،لايزال مخطوط في المكتبة الوطنية في باريس،وفسر الكتاب المقدس ونشر المستشرقون بعض النصوص منه.
٢. مقالات في درجات القرابة التي تمنع الزواج ومقالات عن الاسفار المقدسة نشر السمعاني بعضها في المكتبة الشرقية ،ومجموعة قوانين على شكل أسئلة واجوبة نُشرت عام ١٨٨٦م[٥٠].
٣. الايام الخليقة الستة ولم يتسن للمؤرخ ان يكمله وأكمله أحد اساقفة العرب ويدعى جاورجي، نسختان منه في لندن ومدينة ليون الفرنسية ونُشر قسم منه و ترجم فيما بعد الى العربية عام ١٩٩٠[٥١] .
٤. كتاب العلة الاولى الخالقة الازلية القادرة على كل شيء وهي الله حافظ كل شيء، وهو مكمل لكتاب ايام الخليقة الستة الا انه مفقود [٥٢].
٥. مخطوط عن المفردات الفلسفية في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢١٥٤.
٦. وضع أول كتاب في نحو اللغة السريانية ولم يتبق منه بعض الوريقات في المتحف البريطاني ومكتبة اكسفورد.
٧. ترجم عن اليونانية عظات مارسويرس الانطاكي ،ولايزال مخطوط في مكتبة الفاتيكان ونسخة اخرى في المتحف البريطاني .
٨. كتاب الكنوز حول رتب المعمودية وتقديس الماء، فضلاً عن عدة مؤلفات شعرية، وميامير، وقوانين المجامع المسكونية، ورسائل عدة في الفلسفة ،وترجمات عديدة للمؤلفات اليونانية [٥٣].
٩. دأب على تنقيح تاريخ اوسابيوس القيصري، مصححاً حساب السنين، وأكمله من السنة العشرين من حكم قسطنطين حتى عصره، وما بقي من هذا التاريخ حتى سنة ٩١هـ/٧١٠م ،

واستعان به ميخائيل السرياني وايليا برشينايا، ضاع أكثرهُ والمتبقي فقط ٤٦ صفحة[٥٤]، نُشر تاريخ يعقوب الرهاوي وتُرجم الى اللغة اللاتينية والانكليزية عام ١٨٩٩م، وترجمهُ الى العربية يوسف حبي ضمن تواريخ سريانية صغيرة[٥٥].

٨- تاريخ الزوقنيني

تاريخ ديني ومدني لمؤرخ مجهول كان راهباً في دير زوقنين قرب مدينة آمد، بوقائع مفصله منذ الخليقة حتى عام ٧٧٥م، فُقدت الورقة الاولى والاخيرة من هذا التاريخ وبقيت المقدمة التي كان فيها اهداء هذا العمل الى رئيس الدير أوتيليوس وكوركيس خورفسقفوس وانسطاس وكافة الرهبان[٥٦].

نسب السمعاني هذا التاريخ الى ديونسيوس التلمحري الذي نشره يوحنا شابو عام ١٨٩٥م، وترجمه الى اللاتينية عام ١٩٢٧-١٩٣٣م، لكن لغة هذا التاريخ كانت بعيده كل البعد عن لغة واسلوب التلمحري، نظراً لكونها لاتخلو من الالفاظ الدخيله، فضلاً عن اضطراب السنين، والتلمحري تخرج من دير قنسرين وليس من دير زوقنين، كذلك انه لم يؤرخ في سنة ٧٧٥م بل حتى عام ٨٤٣م، المؤرخ مجهول ونسب البعض هذا التاريخ الى يشوع العمودي،لكونه أيضا راهباً من دير زوقنين، لربما عاش في كل من الرها وزوقنين في أوقات مختلفة، لانه كان على دراية جيدة ليس فقط بشؤون الرها وانما ايضاً بأحداث مدينة آمد القريبة من دير زوقنين [٥٧]، تنبه المستشرقون فيما بعد الى ان الكاتب مجهول ولايعرف عنه غير انه راهب من دير زوقنين[٥٨].

ترجح الباحثة ذلك الرأي، اذ نلاحظ من خلال ثنايا تاريخ الزوقنيني أن هذا التاريخ بأجزائه قد نقل من تاريخ يوحنا الاسيوي الذي تناول الاحداث منذ بداية الخليقة، ونقل الزوقنيني تاريخ يشوع العمودي بأكمله والذي كان تاريخاً موجزا تناول الاحداث بين الاعوام التاليه ٤٩٤-٥٠٦م بينما استمر تاريخ الزوقنيني حتى عام ٧٧٥م/١٥٨هـ متجاوزاً بهذا التاريخ كل من يوحنا الاسيوي ويشوع العمودي كان مؤرخا مستقلا بمنهجه واسلوبه .

قُسم تاريخ الزوقنيني الى اربعة اقسام، تناول احداث العالم منذ الخليقة حتى عام ٧٧٥م وتتجلى أهمية هذا التاريخ انه قد نقل من الجزء الثاني المفقود ليوحنا الاسيوي كذلك انه قد حفظ تاريخ يشوع العمودي، ترجم السمعاني جزءا من المخطوطة الى اللغة اللاتينية عام ١٨٧٦م، وترجم شابو القسم الاخير من المخطوطة الى الفرنسية عام ١٨٩٥م، والى الانكليزية عام ١٨٨٢م، والى الروسية عام ١٩٤٠، نشر شابو المخطوطة مع التحقيق عام ١٩٢٧-١٩٣٣م [٥٩]، وهذه النسخة هي التي أُعتمدت في الترجمة الى اللغة العربية، لكنها أقتصرت فقط على العصر الاسلامي، منذ مبعث الرسول (ﷺ) وحتى وفاة الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور[٦٠]،ولم يتم ترجمة الجزء المتعلق بعصر ماقبل الاسلام.

٩- تاريخ ميخائيل السرياني الكبير

من أهم بطاركة الكنيسة السريانية،ومن أهم مؤرخي اليعاقبة السريان، عُرف بالكبير بسبب الاعمال الكبيرة والهامة التي قام بها أثناء خدمته الرعوية، ولد ميخائيل في مدينة ملاطية[٦١] عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م من عائلة عُرفت ال قنداسي، كان والده ايليا ال قنداسي كاهناً معروفاً دخل في سلك الرهبنة في دير مار برصوم، وأصبح رئيساً للدير لمدة عشر سنوات حتى عام ٥٦١هـ/١١٦٦م، وفي

نفس العام أُنتخب بطريريكاً لانطاكية وانتقل الى دير حنينا (دير زعفران) الذي اتخذه مقراً للكرسي الانطاكي وبقي في منصبة ثلاثة وثلاثون عاماً ، توفي ميخائيل السرياني في عمر ناهز الثالثة والسبعون عاماً في سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م[٦٢]، ترك ميخائيل السرياني عدة مصنفات تراوحت بين الشعر وقوانين:

١. دستور الايمان وضعه أنطاكية الى القيصر عمانوئيل الاول ٥٦٤هـ/١١٦٩م.
٢. سيرة ومناقب دينوسيوس ابن الصليبي وآثاره ،وهذا النص مفقود[٦٣].
٣. قوانين كنسية في المجامع التي عقدها ميخائيل السرياني وضعها عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م[٦٤].
٤. التاريخ الديني والمدني[٦٥] وهو من مصنفاته التي نحن بصددها، تناول تاريخ العالم منذ الخليقة وحتى عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م، دونه باللغة السريانية في جزئين ويعد من أهم المصادر السريانية، لأنه حفظ ونقل من أكثر المصادر السريانية المفقودة ،لاسيما مايتعلق بالقرن الثالث والرابع والخامس الميلادي[٦٦]، رتب ميخائيل تاريخه على طريقة أوسابيوس القيصري من خلال تقسيم محتوياته الى ثلاثة أقسام جانب دنيوي وكهنوتي ومواضيع متفرقة وتخلى عن ذلك التقسيم وفضل الاهتمامات الكنسية والسريانية

١٠- ابن العبري

يوحنا ابو الفرج جمال الدين غريغوريوس، وعرف بأبن العبري، من أشهر العلماء السريان تبحر في الفلسفة والطب والفلك والتاريخ والبيان والنحو حتى لقبه البعض بدائرة معارف القرن الثالث عشر للميلاد، ولد في مدينة ملطية ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ،كان والده طبيباً وشماساً، أعتقد البعض ان ابن العبري كان أصله يهودياً وتنصر، ولهذا سُمي بأبن العبري، وان له ولد يدعى فرج لذا سُمي بأبي الفرج، لكن ابن العبري دحض ذلك ببيت شعري في اللغة السريانية، أما سبب التسمية ان عائلته تعود الى قرية تدعى عبرى، وقيل انه ولد أثناء عبورهم نهر الفرات، انتقل مع والده الى انطاكية على أثر هجوم المغول على مدينة ملطية عام ٦٤٠هـ/١٢٤٣م ، وبقي فيها لمدة ثلاث سنوات، اذ تلقى علوم الطب والمنطق والبيان وأتقن خمس لغات هي العربية واليونانية والفارسية والعبرية والارمنية،غادر ابن العبري مدينة انطاكية نحو الشام لأكمال دراسته، وذاع علمه حتى استدعاه بطريرك انطاكية ليكون كاهناً ثم أسقفاًعلى أبرشية جوباس قرب ملاطية،وبعد عام اي ١٢٤٧م نقل الى ابرشية لاقبين وهي احد كور جوباس،وبعد خمس سنوات تولى ابرشية حلب لمدة اثنتي عشر سنة[٦٧].

ما لبث ابن العبري بعد سقوط بغداد على يد المغول ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، تولى منصب مفريان المشرق[٦٨] عام ٦٦٤هـ/١٢٦٤م، خرج ليستقبل هولاكو عند وصوله حلب ورحب به هولاكو، وبعد مدة قصيرة من زيارة هولاكو لحلب توجه ابن العبري نحو العراق ليمسك زمام كرسي المفريانية لمدة اثنتين وعشرون عاماً[٦٩].

توفي ابن العبري عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م عن عمر ناهز الستين عاما، كانت نتاجاته التاريخية تشهد مدى سعة علمه التي ذكرها اخيه في ذيل تاريخه الكنسي ماتربو على واحد وثلاثين مصنفاً منها ماختص بالتفسير ككتاب كنز الاسرار، ومنها ماختص بعلم اللاهوت مثل كتاب منارة الاقداس،والحمامة، وكتاب الهدايات، وفي قسم النحو وضع ابن العبري كتاب الاضواء او اللمع، وكتاب المدخل الى علم

النحو، وكتاب الشرار الذي لم يتح له ان يكمله، فضلاً عن مؤلفات كثيرة في مجال الفلسفة والطب والفلك، والتاريخ منها تاريخ الزمان[٧٠] الذي دونه باللغة السريانية ، وهو من كتب التاريخ العام مقسماً الى احد عشر حقبة تناول فيه تاريخ الدول بما تضمنته من احداث مدنية وكنسية وحتى فلكية والظواهر الطبيعية منذ الخليقة انتهاءاً بالعصر المغولي عام ٦٩٧هـ/١٢٩٧م[٧١]،يعد تاريخ الزمان من المصادر السريانية المهمة التي تناولت الصراع البيزنطي الساساني بشكل مفصل ولاغنى للباحث عن ذلك الكتاب.

طُبع النص السرياني لأول مرة على يد المستشرق برونز، بعنوان تاريخ الازمنه مع الترجمة اللاتينية، ثم طبع النص مرة أخرى واليس بدج E.W.Budg عام ١٨٩٠م ،وترجمه بدج الى الانكليزية عام ١٩٣٢م ، ترجمه اسحاق الرملة الى العربية في أعداد مجلة المشرق بشكل متتابع (١٩٤٩-١٩٥٦م) [٧٢]، لكن القسم المنقول الى العربية لايتضمن التاريخ القديم من الدولة الكلدانية، والفارسية، والعبرية،والبيزنطية، فقط الجزء الخاص بالدولة العربية الاسلامية لذا اعتمدت الباحثة على النسخة الانكليزية.

وضع ابن العبري كتاباً أخر باللغة العربية بناءاً على طلب المعاصرين له من العرب المسلمين يحمل عنوان مختصر تاريخ الدول، مقتصراً على عشرة دول انتهاءاً بالمغول، كان غرضه من هذا الكتاب هو اختصار تاريخ الزمان، واوضح ذلك في مقدمة كتابه، ونلاحظ انه خصص الجزء الاكبر من الدول تاريخ الدولة العربية الاسلامية[٧٣]،نُشر مختصر الدول لأول مرة مع ترجمة لاتينية عام ١٦٦٣م، ثم ترجم الى الالمانية وطُبع بلغته العربية مع فهارس عامة للاسماء والمدن والامكنة وتذييل الحواشي عام ١٨٩٠م، وأُعيد طباعته عام ١٩٥٨م وأُعيد طباعته في الاعوام التالية ١٩٨١م و١٩٨٣م[٧٤].

الهوامش

[١] مراد كامل وآخرون، تاريخ الادب السرياني من نشأته الى العصر الحاضر، دار الثقافة والنشر القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٦٥-١٧٠-١٨١.

[٢] نسبة الى آرام بن سام بن نوح هو الذي تبوأ هذه المنطقة وعمرها بنسله ،ينظر: زغلول،الشحات السيد، السريان والحضارة الاسلامية،الهيئة المصرية العامة للكتاب-الاسكندرية،١٩٧٥م،ص٢١.

[٣] زغلول،السريان والحضارة الاسلامية،ص٢٠.

[٤] ظاظا،حسن،الساميون ولغاتهم ط٢،دار القلم-دمشق،١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٨٩-٩٠.

[٥]منا الكلداني، يعقوب اوجين ، دليل الراغبين في اللغة الارامية، دير الاباء الدومينكان -الموصل، ١٩٠٠م، ص٩-١٠.

[٦] نسبة الى جدهم اشور وهم فرع من القبائل البابلية التي استطاعت ان تهاجر الى شمال بلاد مابين النهرين واستقرت هناك كانت تابعة للسلطة البابلية في بادئ الامر ثم قوي امرهم تدريجياً حتى استطاعوا اقامة مملكة قوية استطاعت ان تفرض سيطرتها على العالم القديم كانت لغتهم البابلية وبمرور الزمن واختلاطهم مع الشعوب الاخرى ظهرت عندئذ اللغة الاشورية،ينظر:صوما، ابراهيم جبرائيل،الثقافة السريانية،ترجمة بطرس قاشا، ط١،مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت،٢٠١٤م، ص٥٢ .

[٧]شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر- بيروت، ١٩٩٥م، ج٢،ص٢٧٩.

[٨] ابو الحسن بن علي بن حسين(ت:٣٤٥هـ)،التنبيه والاشراف، تح عبدالله اسماعيل الصادق، مطبعة الشرق الاسلامية-القاهرة ، ١٩٣٨م،ص١٥٠.

[٩]كرد علي، محمد عبد الرزاق محمد ، خطط الشام، تح عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية-بيروت، ص٢٠.

(١٠) منا الكلداني، دليل الراغبين في اللغة الارامية ، ص٩-١٠.

(١١) وهو مار ديونسيوس الملطي(ت:١١٧١م) المعروف بأبن الصليبي ولد في مدينة ملطية ونشأ بها ومن اساتذتها اخذ اصناف العلم والمعرفة الى ان رسم شماساً وأصبح فيما بعد مطراناً لمدينة آمد ديار بكر ثم مطرانا لمدينة مرعش في احدى نواحي حلب عام ١١٤٩م وضُم اليه ابرشية منبج دير ماربرصوم ١١٥٥م اشتهر ابن الصليبي بكونه مفسرا ولاهوتيا وشرح وصنف عدة مؤلفات منها كتب التفسير للعهد القديم والجديد والاناجيل الاربعة وكتاب المباحث في الرد على الاسلام وكتاب مختصر عن تاريخ الاباء والقديسين وخلاصة القوانين الرسولية، ينظر:ابن الصليبي، الدر الفريد في تفسير العهد الجديد، اعداد مارثاوفيلوس جرج صليبا،ط٢، جبل لبنان،٢٠١٧م،ج١،ص المقدمة.

(١٢) منا الكلداني،دليل الراغبين في اللغة الارامية، ص١١.

(١٣) المفصل في تاريخ العرب،ج٥،ص١٢.

(١٤) ادي شير، تاريخ كلدو واثور،٢٠٠٧م، مج ٢،ص٢.

(١٥) صوما ، الثقافة السريانية ،ص١٨.

(16) Elizabeth Jeffreys and others, Studies in John Malalas, Brill-Boston,2017,p.4.

(17) Malala, The Chronicle of John Malalas ,p.xxii-xxi.

(18) Malalas,The Chronicle of John malalas,p.xi.

(١٩) سميت بآمد بن البلندي بن مالك بن ذعر لأنه أول من اختطها في ديار بكر غربي دجلة،غرفت بكثرة تحصيناتها وكثرة الزروع والبساتين. وفي شرقيها بحيرة ارجيش،ينظر:ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ)،الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، تح يحيى زكريا عبارة،وزارة الثقافة السورية،١٩٩١م،ج١،ص١٥٤.

(٢٠) آدي شير، تاريخ كلدوا واثور، ج٢،ص٣٣٠.

(٢١) مراد كامل و محمد حمدي، تاريخ الادب السرياني، ص١٧٨-١٧٩ ;

Wright, A Short history of Syriac literature, p.105.

(٢٢) يوحنا الاسيوي ،التاريخ الكنسي، ترجمة عبد العزيز محجوب،المجلس الاعلى للثقافة،٢٠٠٠م،ص٢٢-٢٣.

(٢٣) حفظت الشذرات المتبقية من الكتاب اثاني في مخطوط في المتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٥٠ والكتاب الثالث حفظ تحت رقم ١٤٦٤٠،ينظر:يوحنا الاسيوي ،التاريخ الكنسي،ص٥.

(٢٤) مراد كامل و محمد حمدي، تاريخ الادب السرياني، ص١٨١.

(٢٥) يوحنا الاسيوي، التاريخ الكنسي، ص٥.

(٢٦) زكريا البليغ،التاريخ الكنسي ، ترجمة بروكس وهاملتون، تعريب بولا سايروس ،مشروع الكنوز القبطية،٢٠١٣م،ص٨-١٢.

(٢٧) من اشهر جزر بحر أيجة واقعه على ساحل آسيا الصغرى ورد ذكرها في أعمال الرسل فصل ٢٠ عدد ١٤ نقلت بعض روايات المؤرخين على انها كانت متصلة ببحر آسيا وانفصلت عنه بفعل البراكين في قديم الزمان ولها عدة اسماء منه اديسا وهو اسم احد مدنها القديمة وسميت أيضا بماكاري نسبة الى أسم أحد ملوكها واسم هيمرت نظرا لما عرف بها اهلها من الترف ولارسا لكثرة الغابات وسميت حديثاُ متيلين ومنه مدللي الذي عرفت به عند الاتراك،ينظر:غزالة، حبيب، جزيرة رودس، مؤسسة الهنداوي-المملكة المتحدة،٢٠٢١م، ص٧٣.

(٢٨) برصوم، اللؤلؤ المنثور ،ص٢٥٤.٢٥٥;Wright, A Short history, p.107

(٢٩) زكريا البليغ،التاريخ الكنسي ،ص٨-١٤; مراد كامل ومحمد حمدي، تاريخ الادب السرياني ،ص١٨٤.

(٣٠) تاريخ مراد كامل ومحمد حمدي، تاريخ الادب السرياني ،ص١٨٤.

(٣١) زكريا البليغ، التاريخ الكنسي، ص١٨.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٣٣) سمي بهذا الاسم اليوناني لان والداه قد حرما من النسل لمدة طويله وهي يعني باللغة العربية عطية الله

(٣٤) البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية،ج١،ص-٩٣-٨٩.

(٣٥) ثيودوريتوس اسقف قورش، التاريخ الكنسي ،ترجمة بلومفيلد جاكسون وبولا ساويرس،(د.ط)،٠(د.ت) ،ص١٥-١٦.

(٣٦) ثيودوريتوس، التاريخ الكنسي،ص٣٠.

(٣٧) ثيودوريتوس، تاريخ أصفياء الله، ترجمة ادريانوس شكور،الرهبانية الباسلية-حلب،١٩٨٧م.

(٣٨) محفوظة هذه المخطوطة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٤٣ في اللغة السريانية نشره المستشرق لاند J.P.N.Land في كتابه Anecdota Syriaca عام ١٨٦٢م ونشره ادوارد بروكس مع ترجمة لاتينية للنص السرياني،ينظر: محجوب، صلاح عبد العزيز، ظهور الاسلام وانتشاره من خلال المصادرالتاريخ السريانية المسيحية، مجلة المؤرخ المصري-جامعة القاهرة، العدد ٢٧، ٢٠٠٤م، ص٤٤.

(39)Hoyland, seeing the islam , p.120

(40)Andrew Palmer and others, The Seventh Century,p12.

(41) Andrew Palmer and others,The Seventh Century,p7-10;Hoyland, seeing the islam , p.118; Brock, Syriac Historical Writing, p.318.

(٤٢) الرها: مدينة في الجزيرة تقع بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت بهذا الاسم نسبة الى الرهاء بن البلندى بن مالك ابن دعر وقيل إنّها سمّيت بالرّها ابن الروم بن لنطي بن سام بن نوح بنيت في السنة السادسة للاسكندر، ينظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٠٦.

(43) Brock, Syriac Historical ,p.322.

(٤٤) قزانجي، اصول الثقافة السريانية ،ص١٤٨.

(٤٥) عيواص،زكي،مار يعقوب الرهاوي ، مجلة المجمع اللغة السريانية، مج ٢،بغداد، ١٩٧٦م ،ص٣٢; جقي،مراد فؤاد ،ترجمة الفيلسوف السرياني الشهير مار يعقوب الرهاوي ،مطبعة دير مار مرقس-القدس، ١٩٢٩م،ص١٣;

Wright, A Short history, p.143.

(٤٦) حالياً خالية من السكان يوجد فيها ثلاث ينابيع ماء وتبعد عن بلدة عفرين ٥كم وتبعد عفرين عن حلب ٦٠ كم وفي سهول عين دابا بقايا فسيفساء يعتقد ان بقايا فسيفساء كنيسة القرية التي كان يصلي فيها يعقوب الرهاوي،ينظر: يعقوب الرهاوي، ايام الخليقة الستة، ترجمة غريغوريوس صليبا شمعون،الموصل،١٩٩٠م ،ص ط.

(٤٧) برصوم، عبر في سير ،ص٢٢٨.

(٤٨) تلعدا أو الدير الكبير يقع على بعد ٢ كم من قرية تلعاي في سفح جبل الشيخ بركات على بعد ٣٥كم من مدينة حلب أنشأه اميانوس العماوي انشأ هذا الدير قبل عام ٣٤٠م ومن أشهر رهبانه سمعان العمودي كان يضم مئة وخمسين راهباً ،ينظر: ثيودوريتوس أسقف قورش ،تاريخ اصفياء الله ، ص٦٠.

(٤٩) برصوم، اللؤلؤ المنثور ،ص٣٤٢; جقي ،ترجمة الفيلسوف السرياني،ص٨.

(٥٠) جقي ،ترجمة الفيلسوف السرياني،ص١١-١٢.

(٥١) يعقوب الرهاوي، ايام الخليقة الستة، ترجمة غريغوريوس صليبا شمعون،الموصل،١٩٩٠م.

(٥٢) جقي ،ترجمة الفيلسوف السرياني،ص١٣.

(٥٣) آدي شير، تاريخ كلدو وآثور ،ج٢،ص٣٣١-٣٣٢.;

(٥٤) المتبقي من هذا التاريخ مخطوط محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٨٥من القرن العاشر او الحادي عشر للميلاد ،ينظر: حبي، يوسف، تواريخ سريانية من القرن (٧-٩)، المجمع العلمي العراقي-بغداد، ١٩٨٢م،ص٤٩.

(٥٥) تواريخ سريانية،ص٥١-٢٠٦.

(٥٦) افرام برصوم الاول،اللؤلؤ المنثور،ص٣٢١.

المخطوطه في مكتبة الفاتيكان تحت رقم162. وستة اوراق أخرى في حوزة المكتبة البريطانية (المتحف البريطاني سابقًا) ، تحت رقم. ١٤٦٦٥ اشترت مكتبة الفاتيكان المخطوطة من دير القديسة مريم السرياني مصر ويرجح ان موسى

النصيبي قدا حملها الى مصر اثناء رحلته بين مصر وبلاد الرافدين في حين حصل المتحف البريطاني على الأوراق الست الأخرى بين عامي ١٨٣٩ و ١٨٤٢. كان كلاهما جزءًا من مخطوطة واحدة ،ينظر:

Zuqnīni, The Chronicle of Zuqnīn ,p.xi.

(57) Zuqnīni, The Chronicle of Zuqnīn,P.Xii.

(58) Brock, Syriac Sources,p.12; Zuqnīni, The Chronicle of Zuqnīn, pxi .

(59) Brock, Syriac Sources ,P.314.

(٦٠) الزوقنيني،تاريخ الزوقنيني المنسوب لدينوسيوس التلمحري، ترجمة بطرس قاشا، منشورات المكتبة البولسية- بيروت،٢٠٠٦م.

(٦١) ملطية مدينة مشهورة تقع على الصفة اليمنى من نهر الفرات من مدن بلاد الروم (تركيا حاليا) بُنيت منذ عهد الاسكندر فأخربها الروم بنيت في عهد ابو جعفر المنصور عام١٣٩هـ وجعل عليها سورا واحدا ونقل إليها عدة قبائل من العرب، ينظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح(ت:٢٩٢هـ)، البلدان،ط١،دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٢هـ،ص٢٠٦.

(٦٢) ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل السرياني، ج١،ص١٢؛ ابن العبري، التاريخ الكنسي لأبن العبري، ترجمة صليبا شمعون ، دار المشرق- دهوك ، ٢٠١٢م، ص١٣٣-١٤٧; برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٩٥;برصوم،عبر في سير ،ص٢٤٤.

(٦٣) برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٩٦.

(٦٤) ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل،ج١،ص١٩; برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٣٩٥.

(٦٥) وُجدت نسخة سريانية فريدة في مكتبة كنيسة مار جرجس في حي السريان بخط المطران ميخائيل العوريشي عام ١٥٥٨م نشرها يوحنا شابو عام ١٨٩٩م مع ترجمة فرنسية وفهرس للأسماء وكان قبل ذلك يعتمد على نسخة ارمينية مختصرة نقلت من السريانية الى الارمينية عام ١٢٥٤عن طريق القس يشوع ابن الشماس يعقوب ال توما الشرقي بناءا على طلب جاثليق الارمن وترجم تاريخ ميخائيل الى العربية لأول مرة يوحنا شقير الصددي عام ١٧٥٩،ينظر: ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل ،ج١،ص٢٤-٢٥;

Brock, Syriac Sources,p.21.

(٦٦) ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل، ج١،ص٢٦ ;برصوم ،اللؤلؤ المنثور، ص١٧٨.

(٦٧) برصوم، عبر في سير، ص٢٤٨ ;عيواص، زكي، ابن العبري ،المجمع العلمي العراقي- بغداد ، مج،٥،١٩٩٧،ص١٩ .

(٦٨) المفريان هو الرتبة الثانية بعد البطريركية في الكنيسة السريانية ،كان لصاحبها السلطة على الاساقفة في مابين النهرين وبلاد فارس وكل ماكان سابقاً يدخل ضمن حدود الدولة الساسانية،ينظر: عيواص،ابن العبري،ص١٣.

(٦٩) عيواص، ابن العبري ،مج ٥، ص١٩.

(٧٠) وجد المخطوطه احد رجال الشركات البريطانية في حلب روبرت هنتجدون الذي كان قد تعلم اللغات الشرقية في اكسفورد ووثق علاقته برجال الكنائس والاديرة فتمكن من شراء العديد المن المخطوطات ومن بين هذه المخطوطات قد وصلت عام ١٦٩٣م الى مكتبة بودلين مخطوطتان لتاريخ الزمان وحفظت في المكتبة تحت رقم 1و Hunt52 ،ينظر: ابن العبري، مخطوطة تاريخ الازمنة، ترجمة شادية توفيق حافظ ،المركز القومي للترجمة- القاهرة،٢٠٠٧م، ص١٩.

(٧١) على الرغم من وفاة ابن العبري عام ١٢٨٦م الا ان اخيه الاصغر برصوم الصافي (ت :١٣٠٣م) والذي خلف أخاه في منصب المفريان عام ١٢٨٨م قد اكمل تاريخ ابن العبري الكنسي ،ينظر: ابن العبري، تاريخ الزمان، ترجمة اسحاق الرملة ،ط٢ ،دار المشرق -بيروت، ١٩٩١م،ص١٧.

(٧٢) ابن العبري ، تاريخ الزمان ،ص١٣;

Bar Hebraeus,the chronography of Gregory Abu'l-Faraj,trans Wallis Budge, London, 1932.

(٧٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تصح انطوان صالحاني اليسوعي، دار الرائد-بيروت، ١٩٨٣م.

(٧٤) عيواص، ابن العبري،مج٥،ص٢٧.

المصادر والمراجع

١. ثيودوريتوس اسقف قورش، التاريخ الكنسي ،ترجمة بلومفيلد جاكسون وبولا ساويرس،(د.ط)،٠(د.ت).
٢. تاريخ أصفياء الله، ترجمة ادريانوس شكور،الرهبانية الباسلية–حلب،١٩٨٧م.
٣. زكريا البليغ،التاريخ الكنسي ، ترجمة بروكس وهاملتون، تعريب بولا سايروس ،مشروع الكنوز القبطية،٢٠١٣م.
٤. الزوقنيني،تاريخ الزوقنيني المنسوب لدينوسيوس التلمحري، ترجمة بطرس قاشا، منشورات المكتبة البولسية–بيروت،٢٠٠٦م.
٥. ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ)،الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، تح يحيى زكريا عبارة،وزارة الثقافة السورية،١٩٩١م.
٦. ابن الصليبي، مار دينوسيوس الملطي(ت:١١٧١م)،الدر الفريد في تفسير العهد الجديد، اعداد مارثاوفيلوس جرج صليبا،ط٢، جبل لبنان،٢٠١٧م.
٧. ابن العبري،يوحنا ابو الفرج جمال الدين(ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ الازمنة، ترجمة شادية توفيق حافظ ،المركز القومي للترجمة– القاهرة،٢٠٠٧م.
٨. ابن العبري، التاريخ الكنسي لأبن العبري، ترجمة صليبا شمعون ، دار المشرق– دهوك ، ٢٠١٢م.
٩. ابن العبري،تاريخ مختصر الدول، تصح انطوان صالحاني اليسوعي، دار الرائد–بيروت، ١٩٨٣م.
١٠. المسعودي، ابو الحسن بن علي بن حسين(ت:٣٤٥هـ)،التنبيه والاشراف، تح عبدالله اسماعيل الصادق، مطبعة الشرق الاسلامية–القاهرة ، ١٩٣٨م.
١١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر– بيروت، ١٩٩٥م.
١٢. يعقوب الرهاوي، ايام الخليقة الستة، ترجمة غريغوريوس صليبا شمعون،الموصل،١٩٩٠م ،ص ط.
١٣. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح(ت:٢٩٢هـ)، البلدان،ط١،دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٤. يوحنا الاسيوي ،التاريخ الكنسي، ترجمة عبد العزيز محجوب،المجلس الاعلى للثقافة،٢٠٠٠م.
١٥. زغلول،الشحات السيد، السريان والحضارة الاسلامية،الهيئة المصرية العامة للكتاب–الاسكندرية،١٩٧٥م.
١٦. جقي،مراد فؤاد ،ترجمة الفيلسوف السرياني الشهير مار يعقوب الرهاوي ،مطبعة دير مار مرقس–القدس، ١٩٢٩م.
١٧. حبي، يوسف، تواريخ سريانية من القرن (٧–٩)، المجمع العلمي العراقي–بغداد، ١٩٨٢م.
١٨. صوما، ابراهيم جبرائيل،الثقافة السريانية،ترجمة بطرس قاشا، ط١،مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت،٢٠١٤م.
١٩. ظاظا،حسن،الساميون ولغاتهم ط٢،دار القلم–دمشق،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢٠. عيواص،زكي،مار يعقوب الرهاوي ، مجلة المجمع اللغة السريانية، مج ٢،بغداد، ١٩٧٦م.
٢١. عيواص،ابن العبري ،المجمع العلمي العراقي– بغداد ، مج،٥،١٩٩٧.
٢٢. كرد علي، محمد عبد الرزاق محمد ، خطط الشام، تح عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية–بيروت.
٢٣. مراد كامل وآخرون، تاريخ الادب السرياني من نشأته الى العصر الحاضر، دار الثقافة والنشر–القاهرة،١٩٨٧م.
٢٤. منا الكلداني، يعقوب اوجين ، دليل الراغبين في اللغة الارامية، دير الاباء الدومينكان –الموصل، ١٩٠٠م.
25. Elizabeth Jeffreys and others, Studies in John Malalas, Brill–Boston,2017.

الانعطافات السياسية في عهد السلطان المملوكي الناصر قلاوون (٦٩٣ – ٧٤١هـ\١٣١٠ – ١٣٤٠ م) في ضوء نظريات فلسفة التاريخ

Political turns during the reign of the Mamluk Sultan Al-Nasir Qalawun (693-741 AH/1310-1340 AD) in the light of theories of the philosophy of history

زينب نوري احمد
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أ.د. فاضل جابر ضاحي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

This study dealt with the political turns that occurred during the reign of the Mamluk Sultan Al-Nasir Qalawun, and the political and military consequences and repercussions that resulted from it, in the different stages of the rule of Nasser Qalawun, and how those repercussions ended in important turns that affected the history of the Qalawun family and the history of the regions it ruled in Egypt and the countries of Sham.

كلمات مفتاحية: (الانعطافات، الناصر قلاوون، كتبغا، مصر، بلاد الشام)

الملخص :

تناولت هذه الدراسة الانعطافات السياسية التي حدثت في عهد السلطان المملوكي الناصر قلاوون، والنتائج والتداعيات السياسية والعسكرية التي ترتبت عليها، في المراحل المختلفة من حكم الناصر قلاوون، وكيف انتهت تلك التداعيات الى انعطافات هامة اثرت على تاريخ اسرة قلاوون وعلى تاريخ المناطق التي حكمتها في مصر وبلاد الشام.

المقدمة :

استطاعت اسرة قلاوون السيطرة على لحكم لمدة تزيد عن قرن من الزمن حيث حكم قلاوون ومن بعده اولاده واحفاده مصر وبلاد الشام منذ سنة (٦٧٨ – ٧٨٤هـ \ ١٢٧٩ – ١٣٨٢ م)، وعلى الرغم من ان المماليك لم يعترفوا بمبدأ الوراثة الا ان وصول هذه الاسرة للحكم واستمرارها لفترة طويلة انما هي مجرد ظروف وملابسات اطاحت بسلاطين تلك الاسرة حتى تمكنت من الحكم لفترة طويلة [١]

من الانعطافات السياسية التي شهدتها دولة المماليك البحرية هوالانعطاف الذي حصل في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون اذا اعتلى عرش السلطنة ثلاث مرات [٢] وكل مرة يُعزل اسباب مختلفة، ولم يكن عزل السلطان ورجوعه للسلطنة هوالانعطاف الوحيد في عهده بل ان سلطنة الناصر الثالثة استمرت لمدة واحد وثلاثين عامًا[٣] وهذه المدة لم يستمر بها احد سلاطين المماليك لا قبله ولا بعده وان السبب الذي جعل ولايته الثالثة هي اطول حكم من الولايتين السابقتين هوان السلطان بلغ من العمر خمس وعشرون عامًا اي انه في عمر تمكنه من مباشرة شؤون الحكم بنفسه وفرض كلمته على الامراء وعدم الاستسلام لهم ليتحكموا به .كما وان الناصر قبض على زمام الامور بيد من حديد واصبح صاحب السلطة المطلقة في البلاد [٤].

اولًا: سلطنته الاولى (٦٩٣ – ٦٩٦ هـ \ ١٢٩٣ – ١٢٩٤م)

اعتلى السلطان الناصر [٥] السلطنة بعد مقتل اخيه الاشرف خليل [٦] وكانت سلطته فيها اسمية [٧]، فقد كان غلامًا صغيرًا[٨] يبلغ عمره ثمان سنوات [٩] وكان جلوسه للحكم في سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م واستقر الرأي على تعيين الامير زين الدين كتبغا [١٠] نائب السلطنة والامير علم الدين سنجر الشجاعي [١١] وزيرًا والامير حسام الدين لاجين [١٢] استادار [١٣]، والامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير[١٤] استادار ومنحه السلطان امرة مئة فارس وتقدمه الف [١٥].

واقام الملك الناصر في الولاية الاولى احد عشر شهرًا [١٦] بعد ان استغل كتبغا من ثورة المماليك الاشرفية [١٧] ذريعة لاقناع كبار الامراء بضرورة تحويل السلطنة اسميًا وفعليًا ليد شخصية قوية في البلاد وقد شجعه حسام الدين لاجين في المطالبة في هذا الرأي[١٨] وتم له ما اراد فقد عزل السلطان الناصر وتولى كتبغا عرش السلطنة بالاتفاق مع الامراء وقد تلقب بلقب '' الملك العادل ''[١٩] وقد حجب السلطان الناصر واسكنه مع امه في احدى قاعات القلعة ومنعه من الظهور اواجتماع الناس به اولقائه[٢٠] وفي سير هذه الاوضاع كان لهوك في فلسفته رأيًا يقول فيه '' لا يمكن ان تكون هنالك ايه ضمانات على ان الزعيم لم يغتصب السلطة للقيام بمهمة بطولية صانعة للأحداث[٢١] اي ان الذي يغتصب السلطة من اجل القيام بـ الاعمال التي تصنع الاحداث التاريخية هو بنظر هوك بطلًا فعلى الرغم من ان كتبغا مغتصب للسلطنة الا انه يعد بطلًا .

وقد كانت توليه كتبغا الحكم في سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م [٢٢] لكن كتبغا لم يبق طويلا على كرسي الحكم اذ انه عزل على يد نائبه حسم الدين لاجين وانتهى الامر بتقليد كتبغا ولاية صرخد[٢٣] وكانت مدة ولايته سنة وخمسة اشهر وعشرين يومًا [٢٤] .

وكانت اسباب قصر مدة حكم كتبغا هي :

١. كان الامراء المتنافسين فيما بينهم كل منهم يحاول الوصول الى العرش
٢. كان كتبغا سيء التفكير عرف عنه قصر النظر السياسي حتى انه عمل على ملأ المناصب بمماليكه وابعاد الامراء عنها واتهمه بعضهم بمراسلة المغول للتخلص منهم فصرف عنه قلوب الامراء القدامى[٢٥] .
٣. كان في ايامه الغلا ولم تطب قلوب الناس به[٢٦] .
٤. انه ذوطابع سيء حتى اصيبت البلاد في عهده بالقحط والوباء وان جميع الناس ترددت على السنتهم عبارة واحدة يوم ركوب كتبغا بشعار السلطنة وهذه العبارة هي "يا نهار الشؤوم ان هذا نهار نحس" [٢٧]، يدلنا هذا التطور في الامور السياسية على ان الانقلابات والاغتصاب لمنصب السلطنة كان امرًا مألوفًا لدى الامراء المماليك وخصوصًا في الاحوال التي يكون فيها السلطان ضعيفًا اوالسلطان صبيًا لا يستطيع ان يسوس الامراء ولا يفقه امور السلطنة[٢٨] .

ثانيًا : سلطنته الثانية (٦٩٨ – ٧٠٥ هـ \ ١٢٩٩ – ١٣٠٩م)

حدث اثناء سلطنة كتبغا انه قرر الذهاب الى بلاد الشام فرحل اليها بصحبة الامير لاجين وقد استغل هذا الامير بعد السلطان عن العاصمة فدبر مؤامرة مع الامراء المناصرين له لقتل السلطان وكانت

نية لاجين الاستيلاء على عرش الحكم فلما وصلوا الى مكان قرب طبرية لتنفيذ المؤامرة علم كتبغا بما يسعون اليه ففر الى دمشق وسنحت الفرصة للامير حسم الدين لاجين اعتلاء العرش فأعلن نفسه سلطانًا وبايعه الامراء الموالين له [٢٩] وكان ذلك في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦ [٣٠] وكانت بيعة الامراء له بشرط ان يكون معهم كأحدهم ولا يستقل بالرأي دونهم ولا يطلق العنان لمماليكه فوافق على ذلك فتمت مبايعتهم له [٣١] ، وبعد مقتل السلطان لاجين حدث خلاف بين الامراء الا انهم في نهاية الامر اتفقوا على استدعاء الناصر محمد من الكرك وتنصيبه سلطانًا عليهم لكن البلاد كانت بحاجة الى من يتولى امرها لحين وصول الناصر من الكرك لذلك فقد اتفق مجموعة من الامراء المماليك ان يتولوا امر السلطنة حتى وصول الناصر من الكرك واستمر حكم هؤلاء الامراء لمدة خمسة وعشرون يومًا [٣٢] .

ولقد اخذ هؤلاء الامراء تدبير امور الدولة حتى انهم كانوا يجلسون معًا ويكتب كل منهم علامته على الكتب والمراسيم ولا يصدر المملوكي الا وعليه امضاءاتهم حتى وصل الناصر الى القاهرة واستلم الحكم للمرة الثانية[٣٣] وكان ذلك في سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م حيث بعد ان اعتلى لاجين لم يكن كتبغا العقبة الوحيدة امامه للاستمرار في الحكم وانما كان الناصر محمد الذي مازال يقيم في القلعة على مقربة من سكان القاهرة الذين اعربوا عن مودتهم له ونظروا اليه دائما على انه صاحب الحق الشرعي في السلطنة[٣٤] فعمل لاجين على ارسال الناصر محمد الى الكرك واعدًا اياه بتسليمه مقاليد السلطنة حين يبلغ سن الرشد [٣٥] لكن حكم لاجين لم يستمر لفترة طويلة فقتل على يد مملوكه "كرجي"[٣٦] وهومن الاشخاص الذين اصطفاهم لاجين لنفسه [٣٧] وكان سبب مقتل لاجين هوانه قد اخلف بوعده مع الامراء ولم يلتزم بالوعود التي قطعها على نفسه فكان ذلك ايذانًا بانتهاء حكمه[٣٨] وقتله كرجي وكان يلعب الشطرنج وكانت مدة حكمه سنتان وسبعة واربعون يومًا[٣٩] .

باشر سلطنته الثانية وكان قد اعطى سيف الدين سالار[٤٠] منصب نائب السلطنة بالديار المصرية واستمر الجاشنكير في الاستادارية وعمل الامراء والاكابر والنواب على تجديد العهد للسلطان الناصر [٤١] .

كانت سلطنته الثانية من حكم مجرد صورة لا أكثر [٤٢] وكانت كافة امور الدولة بيد سيف الدين سالار وبيبرس الجاشنكير اللذان مارسا نوعًا من الوصاية الحازمة والضغط على السلطان الناصر [٤٣] فضلًا عن الى ان الامراء قد تدخلوا حتى في طعام الناصر كما ان الناصر قد عانى من قلة المصروف على العكس من وضع الامراء الذين تمتعوا بكل شيء حتى ان الناصر كان يستدين منهم المال[٤٤]، وبسبب سوء الحالة التي وصل اليها الناصر محمد عمل على الاتفاق مع الامير بكتمر الجوكندار للتخلص من نائبيه سيف الدين سالار وبيبرس الجاشنكير، ولكن الاخيرين علما بالمؤامرة ونجحا في احباطها في حين خشي السلطان محمد على نفسه فقرر الاعتزال [٤٥] وبعد سوء الاوضاع فكر الناصر بالابتعاد عن القاهرة والتنازل عن الحكم بصورة رسمية خصوصًا وان حكمه كان حبرًا على ورق لذلك غادر السلطان القاهرة [٤٦] متظاهرًا بذهابه الى الحج وكان ذلك في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م الا انه في حقيقة الامر كان ذاهبًا الى الكرك حيث استقر هناك واعلن اعتزاله عن الحكم [٤٧] ، وبعد ان وصل الى الكرك ارسل رسالة الى نائبه سيف الدين سالار واستاذه بيبرس الجاشنكير موضحًا فيها عزمه على ترك السلطة

والحكم لهما[٤٨] وان استقرار الناصر في الكرك كان مرحلة انتظار حتى يأتي الوقت المناسب ليستعيد مركزه في حكم المماليك [٤٩] يمكن وصف فعل الفرد المبدع بأنه حركة مزدوجة قوامها الانسحاب والعودة: "الانسحاب بغية الاستتارة العودة رجاء اثارة رفاقه"[٥٠]، اي ان انسحاب قلاوون الى الكرك حسب نظرية توينبي هوللاستتارة واثارة رفاقه والمقصود بالاستتارة هوبلوغه سن الرشد ليستطيع تدبير امور مملكته بالاضافه الى ذلك ان اثارة رفاقه يعني اثارة نفوس اتباعه للحصول على مساندته حينما يفكر بأخذ حقه المغتصب والرجوع للسلطنة وفعلًا هذا ما حصل فيما بعد، حيث عندما وصل خبر اعتزاله الى العامة ازعجهم ابتعاد الناصر عن الحكم والنيل منه من قبل الامراء فتجمعوا حول القلعة التي كان محجوزًا فيها يهتفون بأسمه مما ادى تخوف الامراء من ثورة شعبية لا يعلمون نتائجها ولا يدركون ما ستؤدي اليه [٥١] لذلك عمل الامراء على طمأنة العامة ان السلطان الناصر بخير ولا حاجة للقلق عليه وعملوا على تهدئه الاوضاع[٥٢] .

ثالثًا: سلطنته الثالثة (٧٠٩ – ٧٤١ هـ \ ١٣١٠ – ١٣٤٠ م)

عند لجوء الناصر الى الكرك فأنه كان يمهد للاتصال بأمراء الشام ونوابه لجمعهم حوله ثم مهاجمة مصر لابعاد بيبرس وسالار واستخلاص العرش لنفسه ثانية وقد نجحت خطة الناصر واستجاب امراء الشام لدعوته واعلنوا ولائهم له والتفوا حوله [٥٣] كما ان ذهاب الناصر الى الكرك وضع الاميرين سالار والجاشنكير في وضع محرج لان وجوده الرسمي وحكمه الصوري كان قناعًا يخفي حقيقة امرهم ولكن بعد اعتزال الناصر فستظهر حقيقتهما واضحة دون رياء او مداراة وهذا لا يريدانه ولكنه فرض عليهما وبعد ذلك تم الاتفاق بعد المشاورة على اعتلاء بيبرس الجاشنكير السلطنة وسيف الدين سالار نائب للسلطنة المصرية [٥٤] .

استقر بيبرس الجاشنكير في السلطنة سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م وجلس على تخت الملك وخطب له على المنابر الا ان سلطة بيبرس الجاشنكير لم يستمر في الحكم الا سنة واحدة ولم تستقر له الامور خلالها حيث ضجر الناس من حكمه وخصوصًا انه اتبع سياسة العنف في معاملة الناس والامراء لانه كان يخشى ان يتصل المماليك بالناصر اوان يتآمروا على خلعه[٥٥] وكان سبب خوفه من هؤلاء الامراء لان اغلبهم غادر القاهرة وتوجهوا الى الكرك لمناصرة السلطان الناصر وكان ذلك بسبب اشتعال نار الحقد والكراهية بين بيبرس الجاشنكير وجماعته البرجية وبين سيف الدين سالار ومؤيديه فأدى ذلك الى حدوث تنافس وتكالب على السلطة[٥٦]، كما وان الاوضاع في مصر وبلاد الشام قد زادت سوءًا وخصوصًا بعد ذهاب السلطان الى الكرك، اذ رفض نواب حلب وحماة وطرابلس الحلف بالولاء للسلطان الجاشنكير [٥٧] فضلًا عن ان ذلك الوضع في مصر بدأ يكشف عن ملل الشعب المصري الذي تعب من سوء حكم بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سالار وانفرادهما بالسلطة وتمنى الشعب الخلاص منهما[٥٨] .

ان هذه العوامل مجتمعة شجعت الناصر على قبول تأييد نواب الشام والتعاون معهم لاستعادة حقه المغتصب في الحكم والسلطنة [٥٩] حيث ان الناصر بدأ يستعد عسكريًا للعودة الى القاهرة ليأخذ مكانه المناسب في حكم المماليك[٦٠] وبعد ان هيأ الناصر محمد الامر وبلغ سن الرشد ترك الكرك متوجهًا الى دمشق فدخلها في سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م ثم اكمل مسيرته نحوالقاهرة ودخلها في نفس السنة في حين ان

بيبرس هرب يريد النجاة بنفسه لكن الناصر نجح في القبض عليه وتم القضاء عليه خنقًا[٦١]، وفي يوم الجمعة ١٩ رمضان ٧٠٩هـ/١٣٠٩م خطب على منابر القاهرة ومصر بأسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون [٦٢] واستمر في هذه السلطنة "سلطنته الثالثة" حوالي ٣١ عامًا[٦٣] وتفاءل الناس خيرًا بعودة الناصر وزينت القاهرة بالزينة الجملية وضرج الناس لاستقباله واظهر الناس على اختلاف طبقاتهم سرورًا يفوق الوصف لعودة سلطانهم الحقيقي الى ملكه وذلك لان عامة الناس رأوا في حكم اسرة قلاوون نوعًا من الاستقرار وحسمًا للمنازعات بين الامراء وكان الناصر قد خرج في مركب ضخم من الكرك الى القاهرة برفقة الامراء والاعيان المؤيدين له[٦٤] والراجح ان الشعب لم يكن يهتم كثيرًا بنظام العرش ومشاكل الحكم ولكن يمكن تفسير الفرح الذي عبر عنه الشعب لدى استقبال الناصر آملين ان تتغير الاوضاع على يد الناصر قلاوون خاصةً وانهم لمسوا على يد هذه الاسرة نوعًا من الاستقرار السياسي والاقتصادي ولا شك ان ظهور المؤازرة الشعبية لشخص الناصر تدل على انه تمتع بمنزلة جليلة بين رعاياه[٦٥] .

" ان الارادة الذاتية – اوالانفعال– هي ما يؤثر في الناس ويجعلهم ينشطون وهي ما يؤدي الى التخفيف العملي اما الفكرة فهي المنبع الداخلي للسلوك "[٦٦] ان الذي يفهم من فلسفة العقل عند هيجل هوان ادارة الناصر في الوصول الى العرش هوالسبب الرئيسي في جميع انشطته وأفعاله التي مكنته من الوصول الى العرش سواءً كان ذهابه الى الكرك اوالتقرب من الامراء والاعيان وسيرته الجيدة في الناس خلال سنوات حكمه الاولى و... الخ، اما فكرة وصوله للعرش هوالمحفز الداخلي للسلوك، بعدما وصل الناصر الى سدة الحكم في ولايته الثالثة قضى على كافة الامراء الطامحين للعرش ومنهم بيبرس الجاشنكير[٦٧]، وكان سبب قضاءه على الامراء هوان الصراع الشخصي بين الامراء حول السلطة يدور ليس ببعيد عن نظر السلطان الناصر مما ترك اثرًا عميقًا في تحديد سير مجريات الحوادث في العهد الثالث من حكمه وخصوصًا مع كبار الامراء في القبض عليهم ومصادرة املاكهم [٦٨]، كما كان السلطان كثير الشك حتى بأعوانه المقربين ولعل ذلك يرجع الى خوفه من تكرار ما حل في سلطنته الاولى والثانية على يد الامراء حتى ان الناصر جند معظم الفئات الاجتماعية المرموقة كي تكون له عيونًا على نواب السلطنة[٦٩]، وفي ثالث ولاية للناصر شاع ذكره وعظم امره وخافته الملوك[٧٠] وتعتبر السلطنة الثالثة من حكم الناصر بحق سلطته الحقيقية لبروز شخصيته التي طبعت احداث التاريخ المملوكي خاصة وتاريخ المنطقة عامة بطابع فريد وقد امتدت فترة حكمه الثالثة لمدة احدى وثلاثين سنة وهي مدة لم يحظ بها سلطان من سلاطين المماليك الامر الذي اعطى الناصر طابعًا خاصًا فريدًا وقد استفاد فيها الناصر من الاطلاع على اخلاق المماليك ومؤامراتهم وكيفية معاملتهم بالاضافة الى ذلك بلغ مرحلة النضج واصبح عمره خمسة وعشرون سنة الامر الذي ساعده على الامساك بزمام الامور[٧١]، وكان قلاوون يحاول دائمًا اقامة نظام للوراثة ينحصر في اولاده فيأخذ البيعة لاحدهم ويشهد العلماء والقضاء الاربعة ولكن هذا كله اسميًا فالامر في النهاية مرجعه الى القوة وحدها التي تقرر السلطان القادم[٧٢].

الخاتمة:

١. تعد فترة حكم السلطان الناصر من اهم الانعطافات السياسية التي شهدتها دولة المماليك البحرية وذلك بسبب طول فترة حكمه.

٢. اعتلى الناصر الحكم ثلاث مرات وكان سبب تنازله اول حكمه بسبب صغر سنه واطماع من حوله.

٣. استطاع السلطان الناصر في فترة حكمه الثالثة من مسك زمام الامور وضرب بيد من حديد لكل منافسيه والتفاف عامة الشعب حول الناصر وذلك بسبب حقه الشرع بالحكم.

٤. الانعطاف الاخر الذي شهده عصر السلطان الناصر قلاوون هوتولي سلطان من غير جنس المماليك ويعد هذا من اخطر الامور التي واجهت الدولة المملوكية لانه من المحتمل تحول الحكم لغير جنس المماليك.

٥. على الرغم من تولي سلطان لم يمت الى المماليك بصلة الا انه لم يستطيع تحويل الحكم لغير المماليك وذلك بسبب قوة السلطان الناصر قلاوون.

٦. اتخاذ الناصر لمنطقة الكرك لم تكن من فراغ ولكنه كان يهدف من وراءها الاتصال بامراء الشام.

الهوامش

(١) غانم، محاضرات في تاريخ الامويين والمماليك ،ص ١٨٦

(٢) المنصوري ، نزهة الناظر ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣

(٣) العمري ، مسالك الابصار ، ص١٣٩

(٤) طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ٢٥٩–٢٦٠

(٥) الناصر محمد : وهوالسلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي ولد سنة ٦٨٤هـ وكان ملكًا عظيمًا ودانت له العباد وملوك الاطراف بالطاعة وتوفي في سنة ٧٤١هـ : ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٢٥١

(٦) الاشرف خليل : وهوالسلطان الملك الاشرف خليل بن الملك المنصور وهوالملك الثامن تسلطن في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ بعد وفاة والده وناب عنه حسام الدين طرنطاي ثم الامير بيدرا وقتل الملك الاشرف بالحيرة سنة ٦٩٣هـ : ينظر: مجهول، كتاب الله النضيد / مخطوطة ورقة

(٧) المقريزي ، الخطط ،ج ٣/ ص ١٩٠

(٨) النويري ، نهاية الادب ، ج٣١ / ص٢٨٣

(٩) المقريزي ، الخطط ، ج٣ / ص١٩٠

(١٠) كتبغا: وهوالسلطان الملك العادل زين الدين المنصوري وهوالملك العاشر من ملوك الترك تسلطن وجلس على كرسي الملك بعد خلع الناصر وكانت دولته سنتين وكانت في ايامه الغلاء ولم تطب قلوب الناس به وخلع وتوفي سنة ٧٠٢هـ : ينظر :الوافي بالوفيات ، الصفدي ، ج ٢٤ / ص ٢٤٠–٢٤١ ، مجهول ، كتاب الله النضيد ، مخطوطة ورقة ٢١

(١١) الشجاعي :وهوالامير علم الدين الشجاعي وهووزير الديار المصرية ومتقلد دواوينها ثم نائب سلطنة دمشق كان قد تربى بدمشق ثم انتقل الى القاهرة ليتعلم الخط وقراءة الارب واتصل بالامير عز الدين مشدد الدواوين ومن ثم اتصل بالملك المنصور قلاوون وولاه الوزارة وانتهت حياته بمقتله في ظل الصراع على السلطنة : ينظر: ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ،ج٣/ ص١٨٧

(١٢) لاجين : وهوالسلطان الملك المنصور حسام الدين المنصوري وهوالحادي عشر من ملوك الترك جلس على كرسي الملك وارث البلاد قتل على يد كرجي مملوكه قتل في سنة ٦٩٨هـ : ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج٢٤ / ص ٢٨٩–٢٩٠ ، كتاب الله النضيد، مخطوط ورقة ٢١

(١٣) استادار: وهواسم يتركب من كلمتين فارسيتين اولهما هي استا : ومعناها السيد اوالكبير والثانية دار: ومعناها ممسك وهولقب يطلق على من يتولى قبض المال السلطاني وصرفه وتمثيل اوامر السلطان فيه : ينظر: القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ / ص٤٥٧ ، دهمان ، معجم الالفاظ ، ص١٥

[١٤]الجاشنكير : وهوالملك ركن الدين المظفر من سلاطين المماليك في مصر وهوالثاني عشر من ملوك الترك جلس على كرسي الملك تسلطن في ٧٠٨ هـ ولقب بالمظفر واستمرت سلطنته ١٠ اشهر و٢٤ يومًا توفي ٧٠٩هـ : ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ج٤/ ص ٢٥٣ ، الزركلي ، الاعلام ، ج٢/ص٧٩

[١٥] المقريزي، السلوك ، ج١/ ص ٧٩٣-٧٩٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٨ / ص ٢٥-٢٦

[١٦] مجهول ، كتاب الله النضيد ، مخطوطة ورقة ٢٠

[١٧] المماليك الاشرفية : وهم المماليك الذين يطلق عليهم الاشرفية نسبة الى السلطان الاشرف خليل : ينظر : ابن تغري بردي، المنهل الصافي ،ج٣/ ص٦٧

[١٨] الصفدي ، نزهة المالك والمملوك ، ص ٦٣ : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ص ٨ / ص ٤٩

[١٩] المنصوري ، التحفة المملوكية ، ص ١٤٤

[٢٠] النويري ، نهاية الارب ، ج٣١/ ص ٢٨٣ ، الدواداري ، زبدة الفكر ، ج٩/ ص١٦٥

[٢١]البطل ، ص ٢٣٢

[٢٢] المقريزي ، السلوك ، ج١ / ص ٨١٠ ، الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٠١

[٢٣] ابن حبيب ، درة الاسلاك ، مخطوطة ورقة ٨١

[٢٤] مجهول ، كتاب الله النضيد ، مخطوطة ورقة ٢١

[٢٥]النويري ، نهاية الارب ، ج٣١ / ص ٢٨٣

[٢٦]مجهول ، كتاب الله النضيد ، مخطوطة ورقة ٢١

[٢٧] المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص ٧٠٨

[٢٨]حسن ، تاريخ المماليك، ص ٧٨

[٢٩]المنصوري ، التحفة المملوكية ، ص ١٤٧-١٤٨

[٣٠]ابن حبيب ، درة الاسلاك، مخطوطة ورقة ٨١

[٣١]المنصوري ، التحفة المملوكية ، ص ١٤٨

[٣٢] ابن حبيب ، تذكر النبيه، ج٣/ ص٩٦

[٣٣] الدواداري ، زبدة الفكر، ج٩/ ص ١٧٢

[٣٤] عاشور ، العصر المماليكي ، ص ٢٢٤

[٣٥] ابن حبيب ، درة الاسلاك، مخطوطة ورقة ٨٣

[٣٦]مجهول ، كتاب الله النضيد ، مخطوطة ورقة ٢١

[٣٧] ابوالفدا ، المختصر، ج٧/ ص ٥٥

[٣٨] النويري ، نهاية الارب ، ص٣٢٥

[٣٩] الكرمي ، نزهة الناظر ، مخطوطة ، ورقة ٦٢

[٤٠] سالار : وهوسيف الدين سالار من التتار العويراتية اشتراه الملك الصالح علي بن قلاوون ولكن بعد موت الصالح اصبح سالار في خدمة المنصور قلاوون ومن ثم الناصر وكان شديد االبأس صعب الخلق اليه نسب السالاري من الملابس والالات البحرية : ينظر: المقريزي ، السلوك، ج٢/ ص ٥٩

[٤١] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٢٣، الكرمي ، نزهة الناظر ، مخطوطة ورقة ٤٥

[٤٢] المقريزي ، السلوك ، ج١/ ص٩١

[٤٣] ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٣/ ص٢٧٠

[٤٤] المقريزي، السلوك، ج١/ ص٩١

[٤٥] الصفدي ، نزهة المالك ، ص ٣٥-٣٦

[٤٦] العمري ، ممالك الابصار، ص ١٣٨

[٤٧] الكرمي ، نزهة الناظر، مخطوطة ورقة ٦.

[٤٨] الظاهري ، زبدة كشف ، مخطوطة، ورقة ٢٦٢

[٤٩] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص ١٨١

[٥٠] توينبي ، التحدي والاستجابة،ج١/ص ٤٧٧

[٥١] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٨/ ص ١٧٣-١٧٤

[٥٢] المقريزي ، السلوك، ج٢/ ص ٣٧

[٥٣] عاشور، العصر المماليكي ، ص ٢١٧

[٥٤] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٨/ ص ٢٣٥

[٥٥] ابن حبيب ، درة الاسلاك ، مخطوطة ورقة ٩١: العبادي، قيام دولة المماليك ، ص١٩٠

[٥٦] المقريزي ، السلوك ، ج٢/ ص ٥٣ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ،ج١/ص ٥٠٥

[٥٧] العمري ، مسالك الابصار، ص١٣٨

[٥٨] المقريزي، السلوك ، ج٢/ ص ٥٥ : ابن حجر ، الدرر الكامنة ،ج١/ ص٥٠٦

[٥٩] ابوالفدا ، المختصر ،ج ٢/ ص ٦٣

[٦٠] المقريزي ، السلوك ، ج٢/ ص ٦٣

[٦١] العمري ، مسالك الابصار ، ص ١٣٩

[٦٢] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص ٢٧٢-٢٧٣

[٦٣] العمري، مسالك الابصار، ص ١٣٩

[٦٤] ابن اياس، بدائع الزهور ، ج١ / ص ١١٧

[٦٥] طقوش، تاريخ المماليك ، ص ٢٢٩

[٦٦] هيجل ، العقل، ص ١٣٠

[٦٧] اليوسفي ، نزهة الناظرين، ص٤٠

[٦٨] الكرمي، نزهة الناظر ،مخطوطة ورقة ٣٢

[٦٩] اليوسفي ، نزهة الناظرين، ص ٦٥

[٧٠] مجهول، كتاب الله النضيد، مخطوطة ورقة ٢٣

[٧١] عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٣٠

[٧٢] ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور، ص ٤٢

المصادر

١. ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣م) ،
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق ، محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة،١٩٦٣م).

٢. ابن تغري بردي ، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي ابوالمحاسن (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م) ،
- الدليل الشافي في المنهل الصافي، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، ط٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة ،١٩٩٨م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (القاهرة، د.ت)

٣. ابن حبيب،
- درة الاسلاك في دولة الاتراك، تحقيق: محمد محمد امين، دار الكتب والوثائق القومية ، (القاهرة ، ٢٠١٤).

٤. ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢هـ) ،
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق سالم ، دار احياء التراث العربي ،(القاهرة ، د.ت).

٥. ابوالفدا ، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)،
- المختصر في اخبار البشر ، ط١ ، المطبعة الحسينية المصرية ، (القاهرة ، بلات).

٦. الدادار ، ركن الدين بيبرس بن عبد الله (ت٧٢٥هـ) ،

- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق دونالد بتشاردر (بيروت، ١٩٩٨م).

٧. الصفدي ، الحسن بن ابي محمد عبد الله الهاشمي (ت بعد ٧١٧هـ)،

- نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، ط١، المكتبة العصرية (بيروت)٢٠٠٣ .

٨. الصفدي ، صلاح الدين الخليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ)،

- الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار احياء التراث العربي، ط١ ، (بيروت ،٢٠٠٠م) .

٩. العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ)،

- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق ، ابراهيم صالح ، المجمع الثقافي ، ابوظبي ، الامارات.

١٠. القلقشندي، احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م)،

- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية (بيروت ، بلات).

١١. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)،

- السلوك في معرفة دولة الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية، (بيروت ،١٩٩٧هـ).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، تحقيق محمد زينهم ، ط١ ، مكتبة مدبوني، (القاهرة، ١٩٩٨م).

١٢. النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ)،

- نهاية الادب في فنون الادب ، تحقيق نجيب مصطفى فواز، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٤م).

١٣. اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ)،

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، ط١ ، تحقيق الدكتور احمد حطيط ، (بيروت ، لبنان) د.ت .

١٤. بن عبد الظاهر ، محي الدين (ت ٦٩٢هـ)،

- تشريف الايام العصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق الدكتور مراد كامل ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦١م.

المخطوطات:

١٥. مجهول،

- كتاب الله النضيد في مناقب الملك الظاهر سعيد ، مخطوطة

المراجع:

١٦. الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين،

١٧. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح بولس راديس ، مطبعة الجمهورية (باريس – ١٨٩٢) .

١٨. توينبي ، ارنولد،

١٩. مختصر دراسة للتاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل ، مراجعة محمد شفيق غربان ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة .

٢٠. دهمان ، محمد احمد،

٢١. معجم الالفاظ التأريخية في العصر المملوكي ، ط١ ، دار الفكر ، (دمشق– سوريا ، د.ت) .

٢٢. طقوش ، محمد سعيد،

٢٣. تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، ط ١ ، دار النفائس، (بيروت – لبنان) د.ت .

٢٤. عاشور ، سعيد عبد الفتاح،

٢٥. العصر المماليكي في مصر والشام ، ط ٢ ، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦ م

٢٦. غانم ، حامد زقان،

٢٧. محاضرات في تاريخ الامويين والمماليك ، دار الثقافة العربية ، د.ت

٢٨. هوك ، سدني،

٢٩. البطل في التاريخ ، ترجمة مروان الجابري ، مراجعة الدكتور انيس فريحة، المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.

سبط ابن الجوزي ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ومنهجه بالتشكيك في الروايات التاريخية في كتاب (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان)

Sibtt Ibn al-Jawzi and His Method by Questioning the Historical Narratives in a Book (The mirror of time in the history of notables)

الباحثة اسراء يعقوب يوسف
طالبة دراسات عليا/جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أ.م.د :شمخي يابر عويد
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract .

Sibtt Ibn al-Jawzi is one of the brilliant historians of the seventh century AH, in addition to being a famous cleric and jurist. He was able to produce many important books in the fields of knowledge and history, and his book (Mirror of Time in the History of Notables) in which he conveyed a lot of historical news of importance in our Islamic history. He was known as a critical historian skilled in writing and historical blogging used the method of doubt in some historical narratives using with it, special words indicate his doubt about them, and then, due to the importance of his mentioned book in conveying a lot of historical news, it has become a significant source of Islamic history.

الملخص:

أن المؤرخ سبط ابن الجوزي من المؤرخين البارعين في القرن السابع الهجري، فضلا عن كونه رجل دين وفقيه مشهور ؛ قداستطاع إنتاج العديد من المؤلفات المهمة في حقول المعرفة والتاريخ ويعد كتابه (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) الذي نقل فيه الكثير من الاخبار التاريخية ذات الأهمية في تاريخنا الإسلامي، وعرف عنه مؤرخ ناقد بارع في الكتابة والتدوين التاريخي ، استخدم منهج الشكك في بعض الروايات التاريخية مستخدماً معها الفاظ خاصة تدل على شكه بها، ثم أنه نظراً لأهمية كتابه المذكور في نقل الكثير من الأخبار التاريخية اصبح مصدرا مهما من مصادر التاريخ الإسلامي .

كلمات مفتاحية: **(سبط، مكانة، منهج، نقد، شك، روايات، مرأة الزمان)**

المقدمة:

يعد المؤرخ سبط ابن الجوزي من المؤرخين البارزين وأحد أهم رجال الحركة الفكرية في القرن السابع الهجري، فضلا عن كونه رجل وفقيه مشهور ؛ استطاع إنتاج العديد من المؤلفات المهمة في حقول المعرفة والتاريخ ويعد كتابه (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) من الكتب التاريخية المهمة التي نال من خلاله شهره كبيرة كمؤرخ .

ومن خلال تتبعنا لسبط ابن الجوزي وما نقله لنا في كتابه من روايات، وجدنا أنه مؤرخ ناقد بارع في الكتابة والتدوين التاريخي، ولم يمر على الخبر التاريخي مرور الكرام بل كان يقف أمام الرواية التاريخية ويتأكد من صحة مصدرها وكثيراً ما كان يشكك في بعض الروايات التاريخية مستخدماً معها الفاظ خاصة تدل على شكه بها، ثم أن كتابه يعد موسوعة تأريخيه واسعة ومهمة، لكونه يتضمن بعض الاحداث والاخبار المهمة التي ينفرد بها ، فأصبح مصدر ومرجع مهم من مصادر التاريخ الإسلامي

تناول فيه الكثير من الاخبار التي أخذها من مناهل متعددة .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب التاريخي ارتأينا أن نقوم بتقديم هذه الدراسة تحت عنوان: " سبط ابن الجوزي ومنهجه بالتشكيك في الروايات التاريخية في كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان" لنتعرف على منهجه النقدي في الشك بالروايات، ونستعرض بعض التي اثار الشكوك حولها محاولاً اثارة انتباه القارىء وحاول أن يدلي برأيه ويطرح وجهة نظره وينتقد المؤرخين الذين لا تصح رواياتهم .

أولاً: سبط ابن الجوزي ومكانته العلمية :

يعد أحد علماء المسلمين، المشهورين، وهو شمس الدين، يوسف، أبو المظفر، التركي، البغدادي الدمشقي، المعروف بسبط أبن الجوزي[١]، كان عالماً، واعظً، ومؤرخاً، وفقيهاً، وصاحب قبول من العامة، والخاصة، ولم يقتصر شمس الدين بممارسة الفقه فقط، بل تعدى ذلك إلى التاريخ، والسير[٢]. ثم أن والده حسام ألدين قزاوغلي، كان أحد مماليك الوزير عون ألدين يحيى. وكان عنده بمثابة ولدهِ فأعتقه وخطب له أبنة ألحافظ جمال ألدين، فزوجها منه فأنجبت شمس الدين، سبط، المؤرخ، والفقيه جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي[٣]، الحنبل (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠ م)، صاحب الكتاب الشهير "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" و" زاد المسير في علم التفسير" وغيرها من المؤلفات ويعد من أبرز العلماء المشهورين في عصره[٤].

ويظهر سبط ابن الجوزي صراحته وهو يتحدث عن والدته التي اقترنت بأكثر من رجل؛ إذ قال: "رابعه هي والدتي، تزوجها أبن رشيد التبري، وهو اول أزواجها، ولم يطل عمره معها، ثم زوجها جدي بوالدي بعد موت أبن رشيد، وقد سمعت ألحديث عن أبن الطي، ومعظم شيوخ جدي، وزفت الى أبن رشيد في محرم سنه ٥٧٢(هـ/١١٧٦م)، وجهزها بمال عظيم"[٥]، ولم تزودنا المصادر بتفصيلات اكثر عن نسبه . وقد تعددت الآراء حول سنه ولادة سبط أبن ألجوزي، ذكر الصفدي(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ولد سنه "**خمس وثمانون وخمسمائة**" [٦]، اما الغساني يذكر ولادته سنه" **ثلاث وثلاثون وخمسمائة**" [٧]، ويقول أبن خلكان(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) "**ولد سنه إحدى وثمانون وخمسمائة** [٨]، بينما يذكر أبن تغردي بردي(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ولدَ "**اثنتين وثمانين وخمسمائة** "[٩]، أما أليونيني (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٠م) نقلَ رواية عن سبط أبن جوزي بقوله: **أخبرتني أمي أنه مولدي سنه اثنتين وثمانين وخمسمائة** [١٠]. ولدَ ألسبط وترعرع في بغداد [١١]،تحت رعاية جدهُ لأمه ألحافظ أبي الفرج أبن الجوزي، فبرع بعده علوم [١٢]، بعد دراسته في المدرسة العزية البرانية[١٣]، التي بنيت على يد ألأمير عز ألدين أيبك المعضمي، ودرس أيضاً بالشبلية[١٤]، فعرف السبط بفضائله وعلمهِ[١٥]، وبما يخص مذهبهُ، ينقل أليونيني عن ذلك بقولهِ: كان في أول ألأمر حنبلي ألمذهب، ألا أن تكرار اجتماعاته بالملك المعظم عيسى[١٦] أبن الملك ألعادل ، أجتذبه اليه، ونقله الى المذهب الحنفي "ويضيف اليونيني، أنه لم ينتقل عن مذهبه ألا في الصورة الظاهرة، وكان لسبط قبول عظيم من العامة والخاصة ،للطف شمائله وعذوبه وعضه، وعرف بحسن المعاملة لسائر الناس"[١٧].وأرتقى سبط ابن الجوزي مراتب علمية عالية ونال شهرة واسعة في القرن السابع وتتلمذ على يد الكثير من اصحاب العلم والمعرفة اختارهم ليكونوا له شيوخا وأساتذة.

وكان لهم الدور الرئيس بما اورثوه له مختلف، العلوم. علماً كان جده اول من تلمذ وتعلم منه وتركت البيئة التي نشأ بها سبط أبن ألجوزي أثرا واضحاً، في تحديد مسار مستقبله، أذ ينقل سبط أبن

جوزي في سنه (٥٩٦هـ\١١٩٩م)، بأنهُ كان كثير ألتردد على مقبره الأمام أحمد حنبل [١٨]، وكان ذلك بداية ألحياه لعلميه لسبط أبن الجوزي، فمن خلال السفر والالتقاء بالمشايخ، تلقى العديد من العلوم والحديث، أذ عرفَ بواعظ الشام [١٩] . ومن الجدير بالذكر لقد شهدت سنه (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، أول رحله لسبط أبن ألجوزي، حيث غادر بغداد، الى الشام، بعد وفاه جدهِ [٢٠].

نشأ سبط ابن ألجوزي في بيئة علميه كما أوضحنا سلفاً، ساعدته في تحديد مساره، وبروز أسمه من بين رجال القرن السابع الهجري، حيث حضي ذلك بعد مراحل من الجهد ولمثابره، وكثرة الترحال من بلداً الى أخر سعياً منه للالتقاء بالعلماء والمشايخ، فأستطاع بكسب العامة بثقافته وجهده ألحثيث، فأبتغى ما أراد، ويتضح لنا علوا مكانته من خلال تأثير مجالسهِ على العامة ففي جامع ألدمشق يذكر ألسبط حضور الملك المعظم عيسى، أذ كان من الملوك ألمقربين لهُ [٢١]، وحضر مجلسهُ أيضاً، سيف الدين بن علم ألدين الذي خدمهُ عندما كان في حلب [٢٢]، فكانت مجالسهِ تضج بالحاضرين، بسبب فصاحة كلامه، وكان ألشيخ طي المصري [٢٣]، والشيخ عبد الله ألأرمني [٢٤] ألعابد من المواظبين لحضور مجلسهِ [٢٥]، وأقرو ألكثير من العلماء والمؤرخين بثقافتهِ، أذ نرى ألكثير من تغنى بما وصل أليه سبط أبن ألجوزي.

ثانياً: منهجه في التشكيك بالروايات التاريخية:

الشك لغة: هو على خلاف اليقين واللزوم واللصوق، وقد تشكك في كذا وتشكيك فيه فلان، وسمي بذلك لأن الشاك كأنه شك لهُ الأمران في مشك واحد، فهو لا يتيقن واحد منهما، فمن ذلك اشتقاق الشك[٢٦].

الاصطلاح: وهو التحير في الشيء، بحيث لا يجد رأي ثابتا فينتج شك منه أي التحير بين خلافين بلا ترجيح لواحدهما على ثان عند الشاك [٢٧].

يعد منهج الشك من الطرق الهامة التي تبناها رواد التاريخ العام، في التعامل مع الروايات، والأخبار التاريخية، وردها وعدم تصديق البعض منها، معولين في ذلك، على استعمال الفاظ الشك الخاصة، على سبيل الذكر، استخدام لفظه "**زعم، وزعموا، ويزعمون**" [٢٨]، فضلاً عن اعتمادهم الفاظ القول، كلفظه "**قيل، يقال**"[٢٩]، التي تدل على عدم ثبوت ما بعدها، وغيرها من العبارات الدالة على الشك.

وشهدت القرون الأولى، للهجرة بداية الاعتماد على مبدأ الشك من قبل المحدثين؛ إذ يقول عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ/) الذي يعتبر من رواد النقد:" **خصلتان لا يستقيم فيهما حسن الضن: الحكم والحديث**" [٣٠]، ويتبين من ذلك مدى أهمية التشكيك في صحة الروايات، كونها من خصال النقد التاريخي، ومن الأسس المهمة التي انتهجها المحدثين وبعض المؤرخين، ومن بينهم المؤرخ سبط ابن الجوزي.

فالحس النقدي لسبط ابن الجوزي يتجلى من خلال أسلوبه في استخدام الفاظ الشك، في مواضيع عديدة من كتابه، وهو في بحثه للتأريخ لم يكتف بسرد النصوص، دون التعليق عليها؛ بل اعقبها مجموعه من التعليقات النقدية، ولذلك يعتبر سبط ابن الجوزي مؤرخاً ناقداً، نظير بعض المؤرخين الذين اعتمدوا، منهج الشك، فنجده احياناً، يفصح عن عدم قناعاته بما يسمعه، او يتلقاه، بصورة مباشرة، ومن شواهد ذلك، قوله تعليقاً على رواية الجوهري عن جبل عسيب، **قلت: وقد رأيت ببلد الروم عند قيسارية جبلاً**

يقال له: عسيب وعلية قبر يقال: إنه قبر امرئ القيس" [٣١]، ومنه أيضاً قوله " **وقد زعم قوم أن البحر الرومي متصل بالبحر الشرقي، واحتجوا بأنه وصل في الزمان القديم قوم إلى جزيرة الأندلس في مراكب، فأغاووا عليها ووجدوا في مراكبهم النارجيل، وهو شجر لا يكون إلى في البحر الشرقي** [٣٢]، وكذلك الحال في قوله " **ان الهيكل السابع لزحل هو بأقصى الصين، ويقال: إنه قائم إلى هرم جراً، وزعم قوم أنه بالحجاز وهو الكعبة، ولهذا طال بقاؤها على ممر الدهور والعصور، لأن زحل تولاها ومن شأنه البقاء والثبوت** [٣٣]، ومن تذييلات سبط ابن الجوزي، نقله للرواية عن يحيى بن زكروية، بقوله" **زعم أنه أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد** [٣٤].

وتدل لفظة "**زعموا**"، على إجماع المؤرخين على حادثة معينة، وهي تفيد الكثرة، وتدل على أن سبط ابن الجوزي، غير مقتنع، بما ينقله من النصوص المنسوبة لغيره من المؤرخين، ولكن مجمع عليها من قبلهم.

ونلاحظ شكوك سبط ابن الجوزي ايضاً، في نسب الواثق بالله؛ فقد شكك السبط بكنية الخليفة العباسي؛ إذ يذكر: " **وكنيته أبو جعفر، وقيل: أبو القاسم** [٣٥]، ومن النصوص الاخرى التي احتوت هذا الجانب ايضاً، ما اورده في ترجمة الحلاج، فقد شكك سبط ابن الجوزي، بكنيته؛ إذ قال: "**واسمه الحسين بن منصور بن محمي، وكنيته أبو مغيث، وقيل: أبو عبد الله**" [٣٦]، ومما يؤكد ذلك قدرته على التشكيك وعدم اعتماده على نقل النصوص التاريخية فقط.

ومن الرؤى الأخرى الداعية لذلك ما اورده عن معاوية بن سفيان بقوله " **قيل إن بني أمية دسوا إلية سماً، فأكله فمات وقيل: إنه فلج ومات** [٣٧]، ومن هذا القبيل ايضاً تشكيكه في كنية هارون الرشيد وسنة ولادته، بقوله: " **وكنيته أبو جعفر، وقيل: أبو موسى، وقيل: أبو محمد، ولد سنة خمسٍ وأربعين ومئة، وقيل سنة ثمانٍ وأربعين ومئة** [٣٨].

ومن الأدلة الأخرى التي تبين قدرة سبط ابن الجوزي على التشكيك في بعض النصوص التاريخية نقلة للرواية التي تخص مكان وفاة النبي نوح؛ إذ يذكر "**وببلد بعلبك في البقاع قرية يقال لها الكَرْك فيها قبر يقال إنه قبره**"[٣٩]، وايضا ذكرها في ترجمة خمارويه، بن طولون، بقوله: **ويقال له: خمار، وأمه أم ولد يقال: مياس**" [٤٠].

ونرى تشكيكه في ترجمة أوسط بن عمرو، ما نصه: "**يقال أبن عامر، وكنيته: أبو عمرو** [٤١]، وأحياناً يعبر عن تشكيكه بألفاظ اخرى، لكن تحمل نفس المعنى، ففي ترجمته لمسلم القشيري، صاحب الصحيح، شكك في أحاديثه؛ إذ قال: "**ومع هذا فيه أحاديث فيها نظر مثل حديث أبي ذر في المعراج، قال: قلت: يا رسول الله، رأيتَ ربك؟ فقال: نور أنى أراه، وقد ضعفه، الإمام أحمد**" [٤٢]، وفي ذات السياق بما روي عن النبي الأكرم، أنه قال: " **أنا ابن الذبيحين**"، ويعني إسماعيل، وعبد الله، ثم اتبع ذلك بقوله: " **وفي ذلك نظر**"[٤٣].

أما إذا كان النص فيه من الشك، والتحفظ علية وعدم التأكد من حقيقة الحدث، يستخدم عبارة "**الله اعلم**"، وورد ذلك، في كثير من النصوص التاريخية، ومنها، عندما أورده خبر عن الوليد بن عتبة، بقولة: "**قرأ القرآن بحرف ابن عامر على أيوب بن تميم. وروى الحديث عن الوليد بن مسلم وغيره. وكان ثقة**"،

ثم أردف ذلك بعبارة "والله أعلم بالصواب" [٤٤]، وايضاً عندما نقل خبر عن الشاعر محمد بن إسحاق، بقولة: " **كانت وفاته في بغداد، وحمل إلى الكوفة فدفن بها**، ثم أتبع ذلك بلفظة "**والله تعالى اعلم**"[٤٥]، ومن الشواهد الأخرى عن ذلك، ما ذكره عن الاقاليم السبعة؛ إذ قال: الإقليم **الخامس: وهو إقليم الروم، ويبتدئ من المشرق من بلاد يأجوج ومأجوج ثم يمر على شمال حرَّان، وفيه من المدن: خوارزم والشاش وأذربيجان، وأرمينية، ثم يمر على بلاد الروم بأسرها، ويقطع البحر إلى رومية الكبرى وجزيرة الأندلس، ثم ينتهي إلى بحر المغرب، وقالوا: وله من البروج الدلو، ومن النجوم القمر، وقيل زحل، وأالله سبحانه وتعالى أعلم** [٤٦].

ونلتمس شكوك سبط ابن الجوزي ايضاً، في ترجمة أبو عثمان النهدي، بقوله: " **واسمه عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي، بن ربيعة بن الحميري، والله اعلم**" [٤٧]، ونلحظ من ذلك تردد سبط ابن الجوزي في قبوله للرواية، او النص التاريخي، فلم يجزم بمصداقية الخبر، مستخدماً مبدأ التشكيك، ولعل أراد أن يبرئ نفسه، من هكذا روايات كون الناقد والمؤرخ مسؤول امام الله بما يذكر، فلم يتركها دون الوقوف عليها.

لم يكتفي سبط ابن الجوزي في التشكيك في الاحداث فقط بل ايضا شكك في سنة وفيات المترجم له، ومن الأدلة على ذلك، ما نقلة في ترجمة ابن سياوش الأصبهاني؛ إذ قال: توفي يوم السبت لأربع خلون من ذي الحجة، وله خمس وخمسون سنة [٤٨]، ثم اتبع ذلك بلفظة "**والله اعلم**" [٤٩].

ونلتمس ذلك ايضاً، في ترجمة أبو العتاهية، حيث اورده عدة روايات مختلفة حول سنة وفاته؛ **إذ قال: " مات سنة إحدى عشرةَ ومئتين ببغداد يوم الخميس لتسعٍ خلونَ من جُمادى الآخرة، ودُفن على جانب نهرِ عيسى قُبالةَ قنطرة الزيَّاتين، وقيل: مات سنةَ اثنتي عشر، وقيل: ثلاثَ عشرةَ ومئتين وله تسعون سنة** [٥٠].

ومن هذا القبيل، في ترجمة عبد الله بن عمرو، فقد اختلفوا في سنة وفاته، إذ قال: قيل: توفي سنة ثلاث وستين ليالي الحرة، وقيل: سنة تسع وتسعين، وقيل: سنة ثمان وستين [٥١]، وفي هذا السياق تشكيك سبط ابن الجوزي في الروايات التاريخية الذي ذكرت مكان موقع رأس الأمام الحسين عليه السلام؛ ومنها ما رواه السمعاني، قائلاً: رأس الأمام الحسين دفن في مرو، بعد نقله من دمشق، ودفن في دار الأمارة [٥٢]، **فقد** استوقف السبط وأبدى تشكيكه بما رواه السمعاني، معبراً عن ذلك، بلفظة: " **وهذا قول غريب**"[٥٣].

ومن الأشياء التي تلفت النظر، وتشد انتباه القارئ، هو تشكيك سبط ابن الجوزي حتى في رأيه؛ إذ لم يجزم، ولم ينزه، ما ساق به عقلة ويتضح ذلك في بعض النصوص التاريخية، ومنها، ما نقله عن ابن عساكر: بأن النبي ادم كان يسكن في قرية بسفح قاسيون، فأبدى سبط ابن الجوزي، رأيه، بقولة: إن أدم كان يسكن في الهند، ولم يدخل الشام، بأجماع المؤرخين، والله اعلم [٥٤]، **و**إن دل هذا على شيء فيدل على أن اجماع المؤرخين حول نص تاريخي معين لا ينزه من النظر فيه او التشكيك بصحته.

ومن الرؤى الاخرى الداعية لذلك، عندما مدح ابن حيوس أنوشتكين، ببعض الأبيات، فصحح السبط ذلك، بقولة: "**وقد أخطأ ابن حيوس في التشبيه غاية الخطأ**" ثم عبر عن عدم يقينه بما ذكر،

بعبارة " **والله اعلم**" [٥٥]، وبالطريقة ذاتها، قوله في الرواية التي نقلها عن الصولي وابن الخطيب بوصفهم للمهتدي بالورع والعبادة، علق السبط عن ذلك بقوله:" **من أين وصف الخطيب والصولي، وغيرهما بالورع، وقد واطأ على قتل ابن عمه المعتز من غير سبب الا حب الدنيا، وقد كان قادراً من منع الأتراك من قتله وتعذيبه.... والله اعلم**" [٥٦]، او حين يتحدث عن حادثة مقتل مسلم بن قريش؛ إذ نقل عن ابن القلانسي، كانت وفاته، سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ثم عقب عن ذلك بقوله: " **والأصح أن مسلماً قتل في سنة (٤٧٧هـ/١٠٨٤م) والله اعلم**"

ونلتمس شكوك سبط ابن الجوزي في كثير من النصوص الأخرى، ففي فضائل دمشق، وقف سبط ابن الجوزي موقف المتشكك؛ إذ ذكر: " **وقد ورد في فضائل دمشق أخبار، للمحدثين فيها نظر، فلذلك عَدَّينا عنها. وقد ذكرها أبو القاسم ابن عساكر في "تاريخه" وليس فيها ما يثبت إلا النادر**" [٥٧].

ويتضح من خلال ما تم ذكره أن سبط ابن الجوزي، لم يكن سارداً للتاريخ فقط إنما وقفة موقف المتشكك، اتجاه بعض الروايات، التي يكتنفها الغموض، والتعقيد وهذا من خصائص المؤرخ الناقد، إلا ان نلاحظ احيانا لم يأتي بالأدلة والبراهين العلمية، تؤيد تشكيكه لها وهذا ما يحسب على المؤرخ.

الخاتمة وأهم الاستنتاجات :

تمثلت الاستنتاجات التي توصلنا لها بالآتي:

١ـ يعد المؤرخ سبط ابن الجوزي من المؤرخين البارزين وأحد أهم رجال الحركة الفكرية في القرن السابع الهجري .

٢. لم يكن مجرد مؤرخ سارد للتاريخ فقط وإنما نجده وقف موقف المتشكك، اتجاه بعض الروايات، التي يكتنفها الغموض، والتعقيد .

١ـ اعتماد المؤرخ سبط ابن الجوزي لمنهج الشك في تعامله مع العديد من الروايات التاريخية، باستخدام الفاظ وعبارات تدل على عدم قناعته ببعض الروايات التاريخية، فضلا عن ذلك وكان في بعض الاحيان يدلي برأيه ويوضح للقارىء شكوكه، ويطرح وجهة نظره ليقوم بعدها بتصحيح ما يراه خطئاً برأيه، بعد اثبات ذلك بالأدلة والبراهين .

الهوامش

(١) الكتبي، فوات ألوفيات والذيل عليها، ج٤، ص٣٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣،ص٢٩٦-٢٩٧؛ أبن كثير، البداية والنهايه،ج١٥، ص٣٠١.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج٤٨، ص١٨٤.

(٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٩-٤٠.

(٤) وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ج٣، ص١٤٠، ١٤١، ١٤٢.

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢١، ص٢٣٥.

(٦) الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص١٢١.

(٧) العسجد ألمسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ج١، ص٦٢٣.

(٨) وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٢

(٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص ٣٩.

(١٠) ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤٢.

(١١) أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٢.

(١٢) أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٩.

(١٣) المدرسة العزية: تأسست من قبل الأمير عز الدين سنة ٦٢٦، وقفها بالشرف ألأعلى شمالي ميدان القصر خارج دمشق. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص٤٢٣.

(١٤) المدرسة الشبلية البرانية: وهي أحد المدارس التي تقع بسفح جبل قاسيون، بالقرب من الجسر ثوري، شيدها شبل الدولة الحسامي، في سنة ٦٢٦هـ. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٤٠٧.

(١٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٣٠٢.

(١٦) الملك المعظم: وهو شرف الدين عيسى بن العادل ابي بكر بن أيوب، الحنفي، الفقيه الأديب، ملك دمشق والشام، ولدَ بالقاهرة، سنة ٥٧٦هـ، وبرع في الفقه، وشرح الجامع الكبير في عدة مجلدات، وكان شديد التعصب لمذهبة، ولم يكن في بني أيوب حنفي سواه وتبعه أولاده. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص١٢١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص١١٥.

(١٧) ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤٠-٤١؛ الشافعي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج٥، ص٢٣٧.

(١٨) الامام احمد بن حنبل: وهو شيخ الاسلام، وأحد الأئمة المتبوعين، ولد في بغداد سنة (١٦٤هـ) وعرفَ بالوعظ، والورع من طفولته، كان جده حنبل من مناصري الدعوة العباسية، وولى سرخس. ينظر: الشيباني، مسند الأمام احمد بن حنبل، ج١، ص٣٨.

(١٩) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٩.

(٢٠) سبط أبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٣٥.

(٢١) سبط أبن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٧٢.

(٢٢) المصدر نفسه، تح جنان خليل، ص٦٥.

(٢٣) طي المصري: وهو الشيخ محمد مريد الفرازي، وأبي الفتح الواسطي، قدم الى الشام، وأقام مده بزاويته، منقطعاً في العبادة، وكان زاهداً، عابداً، توفي في الشام، ودفن بزاويته بدمشق. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٨٥.

(٢٤) عبد الله الأرمني: وهو الشيخ العابد، الورع، المجاهد، سافر الى الأقطار، كان له مجاهدات، وعبادات، كان لطيفاً، طارحاً للتكلف. ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٢٨.

(٢٥) ينظر: مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٢٨، ٣٣١.

(٢٦) الخليل الفراهيدي، العين، ج٥، ص٢٧٠؛ الجوهري الصحاح، ج٤، ١٥٩٤؛ ابن فارس، مقياس اللغة، ج٣، ص١٧٢-١٧٣.

(٢٧) الأصفهاني، المفردات، ج١، ص٢٦٥؛ الجرجاني، التعريفات، ص١٢٨.

(٢٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٣٣٨، ج١٣، ص١٢٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص١٨٩، ج٤١، ص٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٦٦، ج٩، ص١٣٩،

(٢٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٢٤، ج٧، ص١٠٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٤٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢١٩، ج١١، ص٦١.

(٣٠) العمري، منهج النقد عند المحدثين، ص٣٦.

(٣١) مرآة الزمان، ج١، ص٨٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤.

(٣٣) المصدر نفسه، ج١، ٢٩٦.

(٣٤) المصدر نفسه، ج16، ص٢٦٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ج١٤، ص٣٣٧.

(٣٦) المصدر نفسه، ج١٦، ص٤٧٣.

(٣٧) مرآة الزمان، ج٨، ص٢٩٠.

([٣٨]) المصدر نفسه، ج١٢، ص٤١٠.

([٣٩]) المصدر نفسه، ج١، ص

([٤٠]) المصدر نفسه، ج١٦، ص١٨٢.

([٤١]) المصدر نفسه، ج٩، ص٢٣٦.

([٤٢]) المصدر نفسه، ج١٥، ص٤٤٧-٤٤٨.

([٤٣]) المصدر نفسه، ج٣، ص٩.

([٤٤]) المصدر نفسه، ج١٥، ص٨٧.

([٤٥]) المصدر نفسه، ج١٦، ص١٢٧.

([٤٦]) المصدر نفسه، ج١، ص٥١-٥٢.

([٤٧]) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٢٨.

([٤٨]) المصدر نفسه، ج١٦، ص٣٨.

([٤٩]) المصدر نفسه، والصفحة.

([٥٠]) المصدر نفسه، ج١٤، ص١١٤-١١٥.

([٥١]) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٤٥.

([٥٢]) المصدر نفسه، ج٨، ص١٧٠.

([٥٣]) المصدر نفسه، ج٨، ص١٧٠.

([٥٤]) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٦.

([٥٥]) المصدر نفسه، ج١٨، ص٣٥٥.

([٥٦]) المصدر نفسه، ج١٥، ص٣٤٥.

([٥٧]) المصدر نفسه، ج١، ص٦٦.

فلسفة التفكير النقدي في فكر الإمام علي (عليه السلام)

The philosophy of critical thinking in the thought of Imam Ali (peace be upon him)

م.د . حيدر جميل رشيد
وزارة التربية / مديرية تربية محافظة ميسان

Abstract .

Critical thinking is a mental activity aimed at solving a problem and reaching a conclusion or decision about that problem through the use of a set of tools such as research, analysis, extrapolation, comparison, conclusion and other mental operations. Even in the most critical circumstances, critical thinking plays an essential role in finding solutions to the obstacles facing man in various fields of life Peace emphasizes the need for critical thinking to be a societal culture that people depend on and to replace the culture of praise and flattery. Peace be upon him also emphasized the importance of criticism in its social dimension because of the impact it carries in protecting people from slipping into ideological deviations because of the deviant followers who hide themselves in the clothes of religion and asceticism.

الملخص:

التفكير النقدي هو نشاط عقلي يستهدف حل مشكلة ما والوصول إلى نتيجة أو قرار أزاء تلك المشكلة من خلال الاستعانة بمجموعة من الادوات كالبحث والتحليل والاستقراء والمقارنة والاستنتاج وغيرها من العمليات العقلية، وقد أهتم الإمام علي عليه السلام بتعريف الرأي العام بأهمية التفكير النقدي وضرورة العمل به وعدم تركه حتى في أحرج الظروف، فالتفكير النقدي يلعب دوراً أساسي في إيجاد الحلول للعقبات التي تواجه الانسان في مختلف ميادين الحياة، وقد شهدت سيرة الإمام علي عليه السلام فتح باب حرية النقد على مصراعيه أمام الجميع من دون أن يتعرض الناقد للعقوبة والاقصاء فكان عليه السلام يؤكد على ضرورة أن يكون التفكير النقدي ثقافة مجتمعية يعتاد عليها ابناء المجتمع وان تحل محل ثقافة المدح والاطراء، كما أكد عليه السلام على أهمية النقد في بعده العقائدي لما يحمله من أثر في حماية الانسان من الانزلاق في الانحرافات العقائدية بسبب أتباع المنحرفين الذين يخفون أنفسهم بلباس الدين والزهد .

كلمات مفتاحية: **(التفكير النقدي، الإمام علي (ع)، الرابة، الاصلاح، الحوار)**

المقدمة

التفكير هو النشاط العقلي الذي يميز الانسان عن باقي المخلوقات وعن طريقه يستطيع الفرد التوصل إلى تفسير لكثير من الظواهر التي تحيط به، وقد أحتلت مسألة التفكير مكانة كبيرة ومهمة في الفكر الاسلامي فكان الدين الاسلامي بمثابة دعوة لجميع الخلق للتفكر والتأمل والتدبر وأعمال العقل في كل ما يحيط بهم من أجل أن يتحمل مسؤولية الاستخلاف في الارض، لقد أكدت الشريعة الاسلامية على ضرورة تحلي الانسان بفكر ناقد يجنبه الوقوع في المنزلقات الفكرية فالتفكير النقدي هو السبيل في بناء المعرفة وزيادة قدرة الانسان على فهم نفسه والعالم الذي يحيط به .

ولأهمية التفكير النقدي في بناء المجتمعات وتطورها وخطورة ترك هذا النوع من التفكير، فقد جاء عنوان بحثنا الموسوم " **فلسفة التفكير النقدي في فكر الإمام علي عليه السلام** " ليسلط الضوء على أهمية التفكير النقدي والاسس التي يقوم عليها ذلك النوع من التفكير والمخاطر المترتبة على تركه، وأيماناً منا بأن تراث الإمام علي عليه السلام هو معين لا ينضب ومنهل عذب كلما توغلنا فيه زادنا علماً وأودع في قلوبنا حكمةً .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية تضمن المحور الاول أهم سمات التفكير النقدي في فكر الإمام علي عليه السلام، أما المحور الثاني فقد تضمن التفكير النقدي في البعد السياسي، وجاء المحور الثالث ليسلط الضوء على التفكير النقدي في البعد العقائدي، فضلاً عن مقدمة وخاتمة وقائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا البحث .

أولاً : سمات التفكير النقدي في فكر الإمام علي عليه السلام

أن التفكير النقدي هو تفكير علمي بامتياز وله سماته العلمية الخاصة به التي تميزه عن طرق وأساليب التفكير الاخرى فالتفكير النقدي هو تفكير يرتبط أرتباطاً وثيق بالجانب العلمي وهو بعيداً كل البعد عن الوهم والخيال وهو نقيض للتفكير الاسطوري والخرافي الذي ينتشر في كثير من المجتمعات، والتفكير النقدي بطبيعته ينشد بلوغ الحقيقة المجردة بصرف النظر عن الرغبة والميول والاتجاهات وبذلك فهو يساعد على العلو ببناء المعرفة وزيادة قدرة الانسان على فهم نفسه والعالم المحيط به ، ويمكن أن نستخلص سمات التفكير النقدي في أي مجال من مجالات المعرفة وفقاً لما يأتي:

١ – الشمولية

لا ريب أن التفكير النقدي هو عملية فكرية تقوم على أساس تشخيص الخطأ والخلل ومن ثم تقديم الحلول والبدائل لما يجب ان يستبدل أو يقوّم به ذلك الخطأ لذلك فأن ممارسة التفكير النقدي في أي ميدان من ميادين الحياة المختلفة لا يكون ذو قيمة علمية ما لم يقترن بالشمولية وسعة الاطلاع على مختلف الآراء والافكار التي تتعلق بالموضوع المراد نقده لذلك أكد الإمام علي عليه السلام على ضرورة أن يكون الانسان ذو ثقافة شمولية وموسوعية وان لا يبقى منغلقاً على فكرة واحدة ورأي واحد إذ قال عليه السلام : "**ومن أستقبل وجوه الاراء عرف مواقع الخطأ**" [١] فالجهل والانغلاق على النفس هو ذو تأثير سلبي على حياة الانسان الامر الذي لا يمكنه من معرفة الصواب من الخطأ وهذا ما أكده عليه السلام بقوله : "**من جهل وجوه الآراء أعيته الحيل**" [٢] فكثرة الاطلاع على مختلف الاراء تكسب الانسان خبرة في فتح الافاق أمامه لبيان الحسن من القبيح بل إن الموسوعية والشمولية تجعل الانسان قادراً على معرفة الاحسن من الحسن وهذا هو المنهج الذي أكد عليه القرآن الكريم قال تعالى چ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ [٣].

أن المشكلة التي تواجه الكثيرين هي التفكير النقدي الناقص أي مقدرتهم على النقد من دون المقدرة على وضع الحلول الناجعة للمشكلة التي تشخص أو تتعرض للنقد وهذا متأتي من الجهل الناجم عن عدم الاطلاع والانعزال لذلك أكد عليه السلام على أهمية الطلاع على جميع الافكار والاراء التي تخص أي جانب من الجوانب قبل نقده إذ قال عليه السلام : "**اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه**

الصواب" [٤] وقال عليه السلام : "**من شاور الرجال شاركهم في عقولهم**" [٥] فالنقد يحتاج إلى خبرة ودراسة عميقتين لئلا يصدر في حكمه عن اللمحات السريعة التي يواجهها في بادئ الرأي، وفي ضوء ذلك نجد إن السمة المهمة في طبيعة التفكير النقدي هو معرفة جميع الاراء حول الموضوع المطروح للنقد سواء كانت قديمة أو حديثة فقدم الرأي لا ينبغي أن يعد دليلاً على صوابه وصحته[٦] فكل الاراء تخضع للنقد والبحث والتحليل ومن ثم تحديد الرأي الصائب الذي يمكن الاخذ به وترك الاراء الغير صائبة .

٢- الرقابة

أن كل عملية تفكير نقدي تتطلب أن تسبق بعملية رقابية من أجل أن يكون هناك نقد صحيح هادف فالتفكير النقدي لا يمكن أن يأخذ مكانه وحيزه في أي مجتمع ما لم يكون هناك مناخ يؤمن بأحقية الرقابة سواء كان ذلك في الجانب السياسي أو أي جانب أخر من الجوانب المعرفية، فالذي يريد أن يمارسة التفكير النقدي عليه أن يراقب أولاً حتى يمكنه ذلك من تشخيص الاخطاء وهذا ما أكدته الشريعة الاسلامية ودعت أليه من خلال ممارسة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتطلب رقابة على أداء السلطة ورجالها، وقد أكد الإمام علي عليه السلام على حق الأمة في ممارسة حق الرقابة ومتابعة نشاطات السلطة الحاكمة إذ قال عليه السلام مخاطباً أهل الكوفة في أيام خلافته " **يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن** "[٧] إن كلام الإمام عليه السلام يشير إلى إن الرقابة مهمة من مهام الأمة وحق من حقوقها تمارسه برقابة جميع الجهاز الحاكم من دون أن يستثنى منها أحد حتى اذا علت مرتبته السياسية والدينية، إن كلام الإمام عليه السلام عن نفسه بهذه الطريقة وهو إمام معصوم يشير إلى إنه كان يسعى إلى أن يرسخ في عقول الأمة إن لا سلطة فوق إرادة الأمة وحقها في ممارسة الرقابة لتكون مقدمة للتفكير النقدي، ولعل ما ذكره ضرار بن ضمرة النهشلي[٨] لما سأله معاوية بن ابي سفيان، أن يصف له الإمام علي عليه السلام، يكشف لنا طبيعة تعامل الإمام مع الرعية وفسحه المجال لهم لممارسة دورهم الرقابي بكل حرية، إذ قال ضرار واصفاً الإمام علي عليه السلام : "**٠٠٠رحم الله علياً، كان والله فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، ويقربنا إذا زرناه، لا يُغلق له دوننا باب، ولا يحجبنا عنه حاجب**"[٩].

كما أكد الإمام علي عليه السلام على دور القادة في ممارسة الرقابة على الحاكم، بوصفهم ممثلين عن جنودهم وقبائلهم، وكوسيلة لترسيخ مفهوم التفكير النقدي في نفوسهم من أجل كشف الأخطاء وتقويم أداء الحكومة بوصفهم أقرب إلى الواقع السياسي وأعرف به من غيرهم، إذ بين عليه السلام ذلك الحق من خلال قوله لامراء جنده " **ألا وان لكم عندي إلا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم**"[١٠] مبيناً عليه السلام بذلك إن دور الرقابة مكفول، ما خلا بعض الجوانب السياسية التي تتطلب السرية، لاهميتها وضرورة عدم نشرها بين الناس، حتى لا يتمكن الاعداء من الاطلاع عليها٠

ولم تنحصر أهمية الدور الرقابي على رقابة مؤسسات الدولة بل هناك نوع من أنواع النقد وهو النقد الذاتي للنفس الذي هو أحد أهم اسباب تقدم المرء وتساميه في هذه الحياة والذي يتطلب رقابة دقيقة ودائمية على نفس الانسان أذ قال عليه السلام " **أما حق الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله شاغل،**

يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها " [١١] إذ يجعل عليه السلام مراقبة النفس ونقدها بأستمرار حقاً واجباً على الانسان وقال عليه السلام " **من حاسب نفسه وقف على عيوبه، وأحاط بذنوبه، واستقال الذنوب، وأصلح العيوب**"[١٢] فالنقد الذاتي يساعد في الوقوف وقفة هادئة مع الذات في عملية اكتشاف الداخل من أجل معرفة مواطن الضعف والقوة للوصول إلى فهم أفضل والحصول على وعي دقيق للنفس[١٣].

٣- الأصلام

لا ريب أن لكل شيء في هذه الحياة هدف وفلسفة، وفلسفة التفكير النقدي هو الاصلاح وتحسين الاداء إذ لا فائدة من النقد بمجرد تشخيص الاخطاء ما لم يكن هناك علاج ناجع لتلك الاخطاء يستوجب العمل به وهذه هي مشكلة الكثيرين ممن لا يحسنون التفكير النقدي الهادف وهذا ما أكده عليه السلام ودعا إلى منعهم من التصدي لمصدر القرار والتأثير فيه بقوله عليه السلام " **لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شئ منهن فجلس فهو أحمق**" [١٤] فالمعرفة التي تقود الى الاصلاح هي سمة أساسية من سمات التفكير النقدي الصحيح والتي بدورها تفتح أفاق أوسع للنقد مما يجعل الناقد في مستوى عالي من قدرة على تحليل الافكار وبلوغ حقائقها، وحيث أن النصيحة هي صورة من صور النقد وتقويم الاداء وأصلاح الاحوال المراد نقدها لمن يوجه إليه النقد فوجب قبولها والاخذ بها إذ قال عليه السلام " **اسمعوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم**" [١٥] وهنا يوضح الإمام عليه السلام أن النصيحة هي بمثابة الهدية فالنقد البناء المنطوي على النصيحة وتقويم الاداء في ضوء فكر الإمام عليه السلام هو يشبه الهدية ويجب العمل بها وفق أسلوب عقلي لتحسين، الواقع وقال عليه السلام في بيان قيمة الشخص الناصح " **ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح**"[١٦] وضرورة أطاعته إذ قال عليه السلام "**من أمرك بإصلاح نفسك فهو أحق من تطيعه** " [١٧] وذم عليه السلام المجتمعات التي ليس فيها من يمارس مهمة التفكير النقدي ولا يقبل النقد والنصح فقال عليه السلام "**لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا يحبون الناصحين**"[١٨].

٤- حرية الحوار

من سمات التفكير النقدي ان يتمتع بحرية في طرح أفكاره من خلال الحوار في جو يضمن للناقد الحرية والامان في طرح ما يعتقد إنه يستحق النقد وان يكون ذلك الحوار مبني على أساس النقد بالتي هي أحسن ويتجنب اللجاج والشدة وقد جسد الإمام علي عليه السلام تلك المضامين في أيام حياته ومنذ اليوم الاول لتوليه الخلافة فقد عمل عليه السلام على فتح باب الحوار على مصرعيه أمام أصحاب مختلف الشرائع السماوية حيث أعلن عن حق جميع أهل الشرائع السماوية في الدخول بحوارات مفتوحة دون أن يكون هناك مصادرة لحريتهم أو خطر على حياتهم فروي أن الإمام عليه السلام بعد توليه الخلافة صعد المنبر وخطب في الناس فقال : " **يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني٠٠٠ سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم٠٠٠ وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم٠٠٠وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم** "[١٩] إذ خاطب عليه السلام الناس جميعهم بغض

النظر عن انتمائهم العقائدي ومنحهم حق السؤال والحوار، ومن ثم بين عليه السلام إن لأهل تلك الشرائع الحق في سؤاله ومحاورته فيما يخص جميع الامور العامة والعقائدية بصورة خاصة، وهذا النص يؤسس الى منهج تعددية الحوار وتنوعه من خلال فتحه مع مختلف الشرائع السماوية وعدم حصره داخل منظومة الفكر الإسلامي فقط.

لقد دعا الإمام علي عليه السلام الى حرية التفكير النقدي من خلال الحوار الهادف المتزن والحث المستمر على البحث والتحقق في المجال العقائدي حتى اذا بلغ ذلك مبلغ الشك، لان الشك الايجابي يقود الى التحقق والبحث عن الحقيقة، إذ ليس هناك مقدسات في الحوار إنما هدف الحوار هو اثبات الحقائق وليس تقديسها، فقد قَبِل الإمام علي عليه السلام ان يحاور رجلاً غلبته الشكوك حول اثنى عشر موضعاً في القرآن الكريم، أتي الى الإمام فقال: " **يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل**"[٢٠] وحينما سأله الإمام عن سبب هذا الشك، قال:" **لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضا فكيف لا أشك فيه** "[٢١] عند ذلك قال له الإمام عليه السلام هات ما شككت به وأخذ يستمع لذلك النقد الذي يوجهه الرجل وهو يستعرض شكوكه في آيات القرآن الكريم موضعاً موضعاً[٢٢] من دون ان يوبخه أو يتهمه بالكفر والالحاد؛ بسبب الشك الذي اعتقده في آيات القرآن الكريم، بل على العكس أجابه عليه السلام بكل هدوء وقال له: " **سأعلمك ما شككت فيه** "[٢٣] وناقشه حول تلك الشكوك بحوار علمي وفكر حر، لا سيما ان هذه الشكوك لها أثر بالغ على عقيدة المسلم، فقال الرجل بعد ان أستمع لجواب الإمام عليه السلام :" **فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين ونفع الله المسلمين بك**"[٢٤] ولا ريب إن رفع تلك الشكوك التي خالجت فكر الرجل كان بسبب ذلك الحوار المرن القائم على أساس طلب الحقيقة وليس التعنت، إذ ان التعنت والشدة والهيمنه على الفكر ورفض الحوار من شأنه ان يزيد في الشكوك، بل ويؤدي الى الانحراف التام عند الشاك في تلك المسائل فكان الحوار خير علاج لذلك الشك.

٥- تجنب القدم والتشهير

أن التفكير النقدي السليم القائم على أسس علمية صحية لا يمكن ان يقوم على أساس التعسف والقدح بالاخرين فمهمة النقد هي تقويم الخطأ وليس التشفي والتسقيط للآخرين فهو بطبيعته نقداً بناء وليس من أجل التسقيط والتشهير فالناقد في ضوء فكر الإمام عليه السلام كالمعلم يجب عليه أن يبدأ بنفسه قبل غيره أذ قال عليه السلام " **من نصب نفسه للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه**" [٢٥] فهناك بعض الناس يمارسون النقد لا من أجل الاصلاح والبناء والتكامل وإنما من أجل تتبع عثرات الناس وتسقيطهم والتشهير بهم إذ وصفهم الإمام عليه السلام بقوله " **يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية، فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلي به غيره**" [٢٦] فالنقد لا يعني أنتهاك كرامة الانسان والتعدي على مكانته الاجتماعية وتحقيره تحت طائلة ممارسة حرية النقد فقد جاء في الحديث القدسي " **من أهان لي وليا فقد أرصد لمحاربتي**" [٢٧] بل حتى في مجال الموعظة والنصيحة أذا لم تكن ضمن الاطر والاسلوب الصحيح تكون غير محمودة فقال عليه السلام "**من وعظ أخاه سرا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد**

شانه "[٢٨].

لقد أكد الإمام عليه السلام وشدد على ضرورة ان يكون النقد وفق المنهج والاسلوب الصحيح حتى مع العدو إذ روي أن الامام عليه السلام في أيام معركة صفين سمع بعض أصحابه يسبون أهل الشام فقال لهم "**إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول**" [٢٩] ولا ريب إن هذا النص يشير إلى منهج متكامل في طبيعة ممارسة التفكير النقدي بشكل حضاري بعيداً عن لغة المناكفات.

٦- الحيادية والموضوعية

من بين السمات المهمة التي يتميز بها التفكير النقدي هو البعد عن التحيز والتعصب فلاشك إن الكثير ممن يقومون بعملية النقد هم يوجهون نقدهم لتلك الافكار التي لا تنسجم مع متبنياتهم الفكرية والعقائدية والمذهبية وكثيراً ما يغضون الطرف عما موجود في عقائدهم من افكار منحرفة مبنية على الخرافة والاساطير لمجرد التعصب للعقيدة، فالتعصب يعمي العقل ويحجب الإنسان عن إعمال الفكر بأسلوب حر، ويسلب منه قدرة على التبصرة في اختيار الموقف السليم، لهذا فإن التعصب هو موقف غير عقلاني، ومناقض للعقلانية، وينتهك قيم العقلانية ومعاييرها، لأنه موقف لا يستند على قوة البرهان، ومنطق الاستدلال، وليس من غايته البحث عن الحقيقة واكتشافها والتمسك بها، ولأنه موقف يتسم بالتوتر والانفعال النفسي والذهني، ويغلب عليه منطق الغلبة والاحتجاج، في حين التفكير النقدي الصحيح والسليم يتطلب تجرداً تاماً في عملية البحث والتحقيق والتقصي لبلوغ الحقيقة المجردة من دون أن يكون هناك أثر للتعصب لمذهب أو حزب أو جماعة فالتعصب والعصبية تقف حائلاً في طريق التفكير النقدي الصحيح، إذ وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام بأنها ذنب يأثم عليه العبد بقوله: " **العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين**" [٣٠] وقد وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأنها من حمية الجاهلية بقوله عليه السلام: "**فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية**"[٣١] .

ثانياً : التفكير النقدي في البعد السياسي

يعد التفكير النقدي من بين أهم مظاهر حرية الفكر في الجانب السياسي التي أكد عليها الإمام علي عليه السلام فالحرية السياسية لأي مجتمع لا يمكن تحقيقها ما لم يفسح المجال لأفراده في نقد أداء السلطة ورجالها مع توفر الضمانات الكافية التي تؤمن لهم الحرية من دون التعرض للمسائلة القانونية والقمع والاقصاء فالتفكير النقدي البناء في المجال السياسي يساهم بشكل فعال في تقويم أداء السلطة وهداية رجالها الى السبيل الصحيح لذلك دعا الإمام عليه السلام إلى تقبل ذلك النقد وعده عليه السلام من دلالات الود والمحبة إذ قال عليه السلام " **من أبان لك عيبك فهو ودودك، من ساترك عيبك فهو عدوك**"[٣٢] ودعا عليه السلام إلى ان يحضا صاحب النقد بالمكانة والتقدير فقال عليه السلام " **ليكن آثر الناس عندك من أهدى إليك عيبك، وأعانك على نفسك**"[٣٣].

وعلى الرغم من علو مكانة الإمام عليه السلام وعصمته فقد تقبل النقد الذي كان يوجه له ودعا أتباعه من الولاة وقادة جنده إلى تقبل النقد لما فيه من أثر في أصلاح المنظومة السياسية التي هي

مسؤولية تكاملية بين جميع أبناء المجتمع فقد روي إن الإمام علي عليه السلام خطب في الناس في معركة صفين خطبة أكد فيها على الحقوق المتبادلة بين الحاكم والرعية، فقام إليه رجل واخذ يمدح الإمام عليه السلام، ليبين طاعته وحبه للإمام، غير أن عليه السلام رفض ذلك المديح، ورد على ذلك الرجل بقوله: "٠٠٠**إن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الاطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه٠٠٠فلا تثنوا عليَّ بجميل ثناء لاخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بد من إمضائها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عني مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق ما أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره**"[٣٤] من خلال ملاحظة هذا النص يمكن أن نشير إلى جملة من الأبعاد المهمة التي أراد عليه السلام تحقيقها :

١. رفض ثقافة المدح والاطراء، والدعوة الى تعميم ثقافة النقد بدلاً عنها.
٢. الدعوة إلى نقد أداء أي شخصية سياسية، بصرف النظر عن منصبها السياسي أو الديني أو الاجتماعي فعلى الرغم من علو مكانة وعصمة الإمام عليه السلام التي خصه الله عز وجل بها، الإ أنه لا يؤمن نفسه من الخطأ، لولا التسديد الالهي وهذا إنما يؤسس إلى ضرورة فصل المكانة الدينية والاجتماعية للشخص والمسؤولية السياسية التي تقع على عاتقه حيث يكون وفقها مسؤولاً أمام الله والامة .
٣. الدعوة لممارسة الأمة لحق النقد من خلال ربط النقد بواجب عبادي وهو تقديم النصيحة والمشورة بقوله عليه السلام " **فلا تكفوا عني مقالة بحق أو مشورة بعدل**" [٣٥] وتوعية الجماهير لتعلم النقد والاعتراض وفق هاذين المفهومين الاسلاميين .
٤. تصحيح مسار ثقافة المجتمع، من خلال مواجهة حالات التملق للولاة والأمراء ومدح السياسيين بما لا يستحقوه لا سيما وان هذه الخطبة هي بمثابة بيان صريح ورسمي أمام الجميع الامر الذي يترتب عليه التزام من قبل عامة الناس فضلاً عن القادة والولاة .
٥. دعا الامام عليه السلام ولاته وقادة جيشه إلى تجنب الاستماع للمديح والاطراء، لما يتركه ذلك من أثر سيء على شخصية رجال السلطة، بسبب كثرة استماعهم للمديح والمداحين، إذ قال عليه السلام لاحد ولاته : " **والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة**"[٣٦] إذ لا ريب إن تعود الاستماع للمديح واستعذابه يولد في داخل الإنسان التعالي على الناس، مما ينعكس أثره بشكل سلبي على تصرفاته وعدم امكانيته الاستماع للنقد والنصيحة٠

لا ريب أن مظاهر التقديس للعناوين والمسميات السياسية قد يقف حائلاً فيما بين تلك العناوين ونقد شخصياتها فأي مجتمع بطبيعته العقائدية قد يميل إلى رفع بعض الشخصيات فوق مستوى النقد وينظر إليهم بتنزه مطلق وهذا ما أوقع الكثيرين في كل عصر تحت طائلة التقديس والصنمية البشرية فالعقل بطبيعته قد بجد حراجة في نقد أقوال أو أفعال تلك الشخصيات غير أن الإمام عليه السلام يرى ضرورة نبذ ذلك التقديس الزائف، وان يكون المعيار الحقيقي هو طلب الحق، وليس العناوين السياسية والدينية، التي تحيط الشخص بهالة التقديس، إذ بين عليه ذلك للحارث الهمداني حينما جاءه مستنكراً أن تجتمع الشخصيات الموجودة في معسكر الإمام ومعسكر الجمل وتخوض هذه الحرب، فرد عليه الإمام بقوله :" **إنك امرؤ ملبوس عليك، إن دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحق-علامة حق- فاعرف الحق تعرف أهله**" [٣٧] فالإمام عليه يجعل المقياس الحقيقي هو الحق لا الشخص ومكانته الدينية والسياسية وذلك لا يتم إلا من خلال تعريض تلك الشخصيات للنقد وإعمال الفكر النقدي للوصول إلى تقيم حقيقي مجرد لتلك الشخصيات، وكوسيلة من وسائل ترسيخ مفهوم التفكير النقدي كعنصر أثراء في المجتمع يساهم في تنشيط الحركة الاصلاحية فقد دعا عليه السلام إلى حماية حق الناقد وضرورة توفير الحماية له وتوقيره في المجتمع وكان ذلك من خلال الوصايا التي أوصى بها ولاته أذ جاء في وصيته لمالك الاشتر حينما ولاه على مصر : "٠٠٠**ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك، وأقلّهم مساعدةً فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع** "[٣٨] ولترسيخ هذا المنهج عبر الاجيال دعا عليه السلام إلى أن تشيع ثقافة النقد كجزء من ثقافة الرأي العام لأي مصر من الامصار حيث جاء في نفس تلك الوصية : " "٠٠٠**ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك، في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك، ما كنت تقول فيهم. وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده** " [٣٩] وهو بذلك عليه السلام يجعل للرأي العام دوره متميز في التفكير النقدي ومكانة كبيرة لدى الولاة يجب أن يأخذ بها ولا يتغافل عنها بأعتبارهم جزء من تلك المنظومة المتكاملة فالوالي هو موظف وإن للرأي العام الدور في رقابة أداءه وحسن سيرته .

لقد سعى الإمام عليه السلام إلى تعميم ثقافة التفكير النقدي بدلاً من ثقافة وأسلوب السب والشتم ولو كان ذلك في أحرج الضروف والاوقات فالمبادئ والقيم التي أمنَ بها عليه السلام لم تكن لتسوغ له أستغلال المواقف لإسقاط أعداءه ومخصومه السياسيين فقد روي إن حجر بن عدي[٤٠] وعمرو بن الحمق[٤١] كانا يظهران السب واللعن والبراءة من أهل الشام، فارسل لهما الإمام عليه السلام " **أن كفا عما يبلغني عنكما** "[٤٢] فأتيا للإمام فقالا : " **يا أمير المؤمنين، ألسنا محقين؟ قال: بلى. [قالا: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى]. قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين، تشتمون وتتبرؤون ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر ٠٠٠حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به** "[٤٣] ولا ريب إن الإمام عليه السلام كان يسعى من وراء ذلك لتعميم ثقافة نقد تصرفات الطرف المعادي والتي هي في ضوء فكر الإمام ومنهجه أبلغ أثراً من الشتم والسباب، لما في ذلك النقد

من فائدة لمن يطلع عليه من المسلمين، إذ يساهم نقد الظلمة والمستبدين في اجتنباب تصرفاتهم، وكشف سيرتهم الفاسدة للمجتمع.

لقد أكد المنهج العملي للإمام علي عليه السلام على تقبله للنقد حتى من معارضيه مثل الخوارج الذين أعلنوا أنفصالهم عن سلطته بعد معركة صفين بسبب رفضهم لفكرة التحكيم فتقبل عليه السلام كثيراً من نقدهم واعتراضهم على سياسته من دون أقصاء أو تنكيل بحقهم فكانوا يسجلون نقدهم بكل حرية ويستمع لهم ويجيب على نقدهم كانتقاداتهم لسياسة الإمام علي عليه السلام في توزيع الغنائم بعد انتهاء معركة الجمل(٤٤) حيث طلبوا من الإمام أن يقسم بينهم ذراري وأموال من كان في معسكر الجمل(٤٥) واحتجوا على الإمام بقولهم: "**كيف أحللت لنا دماءهم، ولا تحل لنا سبي ذراريهم؟** "(٤٦)، وعلى الرغم من ان انتقادهم لسياسة الإمام عليه السلام كان قائم على اساس مادي، لرغبتهم في الحصول على أكبر قدر من المكاسب والمغانم، الا ان الإمام تقبل نقدهم، وحاول ان يستخدم معهم أسلوب الحوار الموضوعي، ليبين لهم طبيعة سياسته، والاسباب التي دعته الى تبني مثل تلك السياسة، فقال لهم: " **حاربنا الرجال فحاربناهم، فأما النساء والذراري، فلا سبيل لنا عليهم لأنهن مسلمات وفى دار هجرة، فليس لكم عليهن سبيل**(٤٧) وقد منحهم عليه السلام الحق في إعلان معارضتهم ونقدهم من دون ان يتعرض لهم بجور أو أقصاء وهذا ما أكده عليه السلام بقوله : " **إنا لا نمنعهم الفيء، ولا نحول بينهم وبين دخول مساجد الله، ولا نهيّجهم ما لم يسفكوا دماً، وما لم ينالوا محرماً** "(٤٨) وبذلك منحهم عليه السلام الضمانات الكافية لممارسة حقهم في نقد سياسة الدولة، غير ان تلك الضمانات مكفولة بشرط ان لا يقوموا بنشاط عسكري يستوجب المواجهة ويهدد الأمن المجتمعي، فنقد سياسة الدولة دون الايذاء باحد هو حق مكفول للجميع.

لقد حرص الإمام عليه السلام في منهجه على تقبل النقد البناء بوصفه السبيل إلى كشف الضعف في أداء بعض ولاته والعمل على أصلاح ذلك الخل فقد روي ان سودة بنت عمارة(٤٩)، قدمت على الإمام علي عليه السلام لتنقد أحد ولاته، وتشكو إليه تصرفاته الجائرة، فقالت تصف ذلك الحوار الذي جرى بينها وبين الإمام : " **قدمت عليه في رجل ولاه صدقتنا قدم علينا من قبله فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت علياً لأشكو إليه ما صنع بنا، فوجدته قائماً يصلي، فلما نظر إليَّ، انفتل من صلاته، ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم انك أنت الشاهد عليَّ وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك، ثم اخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجواب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ٠٠٠إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام** "(٥٠) إذ تشير الرواية الى مدى اهتمام الإمام بجانب النقد البناء، وتوليته مكانة في اتخاذ القرار، ولعل الإمام عليه السلام كان يسعى من وراء أرسال كتاب عزل الوالي بيد سودة بنت عمارة الى زرع الثقة في داخل الشخص الناقد، ولتربية المجتمع على ثقافة نقد أداء رجال السلطة، وعدم مهابتهم، والخشية من تسلطهم على رقاب الناس، وختاماً لهذا الطرح المتميز لفكر الإمام ومنهجه الذي سعى عليه السلام لتعريف المجتمع لحقه في ممارسة التفكير النقدي بوصفه حق من حقوقه بل هو

مسؤولية تقع على عاتق جميع أفراد المجتمع نذكر نص خطبة الإمام علي عليه السلام يوصي فيها جميع الأمة بضرورة التحرر من الخوف والتردد اللذين يقفان حاجز في طريق حرية التفكير النقدي إذ روي أن عليه السلام خطب في الناس فقال : " **أيها الناس! هل فيكم أحد يدعى قبلي جورا في حكم، أو ظلماً في نفس أو مال؟ فليقم أنصفه من ذلك** "[٥١] فقام إليه رجل من المسلمين فأثنى عليه بكلام جميل وذكر مناقبه، فقال الإمام عليه السلام لذلك الرجل: "**أيها العبد المتكلم! ليس هذا حين إطراء، وما أحب أن يحضرني أحد في هذا المحضر بغير النصيحة، والله الشاهد على من رأى شيئاً يكرهه فلم يعلمنيه، فإني أحب أن أستعتب من نفسي قبل أن تفوت نفسي٠٠٠ أيها الناس، أنا أحب أن أشهد عليكم أن لا يقوم أحد فيقول: أردت أن أقول فخفت، فقد أعذرت بيني وبينكم٠٠٠**"[٥٢] وبذلك يكشف لنا هذا النص حجم الحرية التي كان عليه السلام يسعى إلى ترسيخ مفهومها بين أبناء المجتمع في ممارسة حق التفكير النقدي ليكون منهجاً ونبراساً تقتدي بهِ الاجيال اللاحقة على مر العصور.

ثالثاً: التفكير النقدي في البعد العقائدي

لا ريب أن المتبنيات العقائدية لاي أمة كانت ولا تزال عرضة للانحراف والتشويه نتيجة المنتفعين والمتزلفين للسلطة الأمر الذي تسبب بدخول أفكار ومتبنيات لا تمت للعقيدة بصلة سواء كان ذلك داخل منظومة الفكر الاسلامي أو باقي الشرائع والمعتقدات الاخرى، ولا ريب أن لا سبيل لكشف ذلك الانحراف والزيف الا من خلال إعمال الفكر النقدي المستمر وبأن يكون الانسان حاذقاً متيقظاً حتى لا يقع في تلك الانحرافات والمنزلقات الفكرية وهذا ما أكده الامام عليه السلام بقوله : " **ما لي أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح، ليبصروا ما يدخلون بطونهم، ولا يهتمون بغذاء النفس، بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم، ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب، في اعتقاداتهم وأعمالهم** "[٥٣] فأعمال الفكر في النقد والبحث والتحقيق هو السبيل إلى أبصار الحقائق فقال عليه السلام :" **من تفكر أبصر**"[٥٤] فالتفكر النقدي يساهم في معرفة حقائق الأمور ويحرر العقل من قيود الغرائز التي تحجب عن العقل فهمه وإدراكه الصحيح، ولا ريب إن تعطيل طاقة العقل وعدم التفكر ونقد كل ما حوله يبقي الإنسان أعمى لا يبصر حقيقة ما يطلع عليه، فقال عليه السلام :" **الفكر مرآة صافية**"[٥٥] إذ باستعمال الفكر تبلغ الحقيقة، وبه تتكشف ضبابية رؤية الحقائق.

إن المنهج العلمي في أي دراسة كانت لا يمكن ضمان سلامته وتحقيق أهدافه ما لم يقترن بالفكر الناقد فالعلم في ضوء المعرفة الحقيقية لا يقوم على مجرد حفظ المعلومات وخزنها في الذاكرة من دون فهم ونقد لحقيقتها، فالمعرفة لا تبنى إلا على التفكر العميق فقال عليه السلام :" **أعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل**"[٥٦] ولا ريب أن تلك الرعاية لا تتم إلا من خلال نقد وتفكر عميقين وقال عليه السلام :" **ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر**"[٥٧] ولا ريب ان هذا التدبر لا يتم إلا من خلال النقد المستمر لجميع ما يطرح على الساحة العقائدية.

لقد أكد الإمام علي عليه على تنقية الفكر العقائدي من كل ما علق به من أوهام وخرافات وهذا لا يتم الا من خلال تحرير العقل من التقليد الأعمى القائم على تغييب طاقات العقل في التفكير النقدي

ومحاربة التسليم المطلق لموروث الآباء من دون نقد وتفكر وهذا ما أكده عليه السلام بقوله :" **إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع. وأحكام تبتدع. يخالف فيها كتاب الله. ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله. فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين. ولو أن الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث**[٥٨] **ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى**"[٥٩] فالإمام عليه السلام بين إن سبب وقوع هذه الفتن هو الإتباع الأعمى للبدع من دون الاطلاع على مدى حقيقتها أو انحرافها عن تعاليم الدين الحنيف، فالطاعة لا تكون طاعة عمياء بدون تفكر ووعي وتفكير نقدي وفي ضوء ذلك الطرح نجد توجيه الإمام المستمر إلى ضرورة وضع المؤسسة الدينية ومن يمثلها موضع النقد والتحقيق فكثير ممن يحسبون على تلك المؤسسة في كل زمان إنما هم يتخذون الدين غطاء لغاياتهم الدنيوية وهذا ما أكده عليه السلام بقوله واصفاً تلك الطبقة من رجال الدين : " **ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طأمن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتخذ سر الله تعالى ذريعة إلى المعصية. ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة وانقطاع سببه، فقصرته الحال على حاله، فتحلى باسم القناعة، وتزين بلباس أهل الزهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدي**" [٦٠] ولا ريب أن معرفة علماء السوء وتجنب خطرهم على المجتمع لا يتم ويتحقق إلا من خلال تعريضهم للنقد الذي هو سمة أساسية من سمات المجتمع السليم لا سيما إن هؤلاء المتزلفين والمحتالين قد أخفوا زيف جهلهم وانحرافهم بلباس الدين والتقوى فقال عليه السلام واصفهم : " **وآخر قد تسمى عالما وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس أشراكا من حبائل [حبال] غرور وقول زور... يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول: أعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه، وذلك ميت الأحياء**" [٦١].

يمثل مفهوم التفكير النقدي في فكر الإمام علي عليه السلام مرتكز أساس في بناء العقيدة الحقة فقد نبه عليه السلام إلى ضرورة نقد الحديث الشريف الذي هو أحد الروافد الاساسية في بناء العقيدة لا سيما وأنه تعرض منذ حياة الرسول (ص) إلى التحريف والتزييف وهذا ما أكده الإمام عليه السلام بقوله : " :"...**وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال : أيها الناس قد كثرت عليَّ الكذابة فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده**"[٦٢] ولا ريب أن هذا النص يعكس لنا حجم الزيف والتحريف الذي طال النص الديني المتمثل بسيرة الرسول الاكرم محمد (ص) الامر الذي يتطلب منا سعي وجهد كبيرين في نقد وتنقية التراث الاسلامي مما تعرض له عبر العصور التاريخية من تحريف، كما نبه الإمام عليه السلام إلى ان الطرق التي نقل بواسطتها الحديث هي طرق غير مأمونة لا يمكن الاطمئنان لها بشكل مطلق وهذا ما بينه بقوله : "...**إنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً... ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ... ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أمر به ثم نهى عنه**

وهو لا يعلم ... وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ "[٦٣] وبذلك اسقط عليه السلام هالة التقديس التي قد يتمسك بها البعض بسبب نقل الحديث عن رواة عرفوا بأنهم صحابة أو تابعين، ومن ثم يكون لصحبتهم وتابعيتهم أثر في قبول الحديث من دون نقد أو تحليل والاكتفاء بقبول الحديث لمجرد وروده عن هؤلاء الصحابة والتابعين، لذلك دعا عليه السلام على فتح باب التفكير النقدي على مصرعيه بصرف النظر عن الجهة التي صدر عنها الحديث فالمهم هو أثبات صحة الحديث وهذا ما أكده عليه السلام بقوله : " :" **إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه** "[٦٤] وهذا هو المنهج الذي حدد ملامحه وعمل على وضع أسسه العلمية الإمام الصادق عليه السلام ليكون مدرسة فكرية تخدم الشريعة الاسلامية ككل أذ روي أنه قال : "**لا تقبلوا علينا حديثاً الا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة٠٠٠فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وآله**" [٦٥] وهي بمثابة دعوه لنقد حديث أئمة أهل البيت عليهم السلام على الرغم من مكانتهم وعصمتهم، ولعل الإمام عليه السلام بهذا التوجيه أراد إن يزيل تلك القدسية التي تحيط بالجهة التي يصدر عنها الحديث، لان إحاطة الأحاديث بنوع من القدسية يغلق باب التفكير النقدي ولا يسمح بأعمال الفكر بسبب ما يعتقده الفرد بقدسية قائل الحديث.

إن المنهج النقدي الذي دعا إليه الإمام علي عليه السلام في نقد الحديث يقوم على أساس الموافقة والمخالفة للقرآن الكريم بقول الإمام عليه السلام :" **إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه**"[٦٦] فالحقيقة والنور هما القرآن الكريم فما وافقه من الأخبار والروايات فهي حق وصواب وما خالفه فهو باطل خطأ وبذلك أسس عليه السلام لمنهج نقدي يمكن من خلاله التثبت من التراث الاسلامي للوقوف على الصحيح والنقي من العقيدة المحمدية الحقة.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث لابد لنا من ذكر أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها وهي كالآتي:-

١- أن التفكير النقدي هو نشاط عقلي يميز الانسان عن باقي المخلوقات لا سبيل إلى التخلي عنه بأي شكل من الاشكال وبدونه لا يؤمن على أي مجتمع من الوقوع في المنزلقات الفكرية والعقائدية .

٢- أن التفكير النقدي على الرغم من كونه حق إنساني لجميع البشر كفلته له الشريعة الاسلامية إلا أنه في نفس الوقت مسؤولية وواجب شرعي على كل مسلم فهو السبيل لحماية المجتمع من الانحراف وتسلط المستبدين والانتهازيين.

٣- يمتاز التفكير النقدي بعدة خصائص وسمات مهمة من بينها الشمولية وسعة الاطلاع على مختلف قضايا العصر، فضلاً الرقابة التي تمكن التفكير النقدي من أخذ دوره في نقد أداء السلطة السياسية ورجالها ، فضلاً عن حرية الحوار التي هي أساس في فتح باب التفكير

النقدي أمام الفرد، وضرورة تجنب القدح والتشهير تحت طائلة ممارسة حرية النقد، فضلاً عن ضرورة إتسام الناقد بالحيادية والموضوعية والابتعاد عن التعصب والاهواء.

٤- أكد الإمام عليه السلام على ضرورة أشاعة ثقافة النقد بدلاً من ثقافة المدح والاطراء وان يكون النقد عنصر أثراء في الساحة السياسية والعقائدية.

٥- عمل الإمام علي عليه السلام على فتح باب النقد أمام الجميع وكان يشجع ويطلب من الكل ممارسة هذا التفكير بل كان يؤاخذ كل من يترك حقه في النقد .

٦- دعا عليه السلام إلى ضرورة أن يكون التفكير النقدي هو تفكير بناء قائم على أساس الاصلاح وتقديم الحلول الناجعة لكل مشكل تواجه المجتمع .

٧- لا مقدسات ولا مسلمات تقف في طريق التفكير النقدي فالحقيقة هي الاساس الذي ينبغي للانسان أن ينشدها في هذه الحياة، فجميع الشخصيات والافكار خاضعة للنقد والبحث والتحقيق لاثبات حقيقتها بالدليل والبرهان العلمي الواضح .

الهوامش

(١) الإمام علي، نهج البلاغة ،٤٢/٤.

(٢) الواسطي، عيون الحكم، ٤٥٣.

(٣) الزمر، ١٨

(٤) الواسطي، عيون الحكم، ٩١.

(٥) الإمام علي ، نهج البلاغة، ١٤/٤.

(٦) زكريا، التفكير العلمي ،٦٩ .

(٧) الكوفي، الغارات، ١/ ٦٨

(٨) لم نعثر له على ترجمة سوى انه كان من خواص الإمام علي عليه السلام .ينظر: المسعودي، مروج الذهب،٤٢١/٢

(٩) الصدوق، الامالي، ٧٢٤

(١٠) الراوندي، منهاج البراعة،١٥٨/٣

(١١) الواسطي، عيون الحكم، ٤٧٩.

(١٢) الإمام علي، نهج البلاغة، ٤٧/٤.

(١٣) فضل الله، مفاهيم اسلامية عامة ،١٧٥.

(١٤) الكليني، الكافي، ١٩/١.

(١٥) الإمام علي، نهج البلاغة، ٢٣٥/١.

(١٦) الواسطي، عيون الحكم، ٤٠٦.

(١٧) الواسطي، عيون الحكم، ٤٤١.

(١٨) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ٦/١.

(١٩) الصدوق، التوحيد ،٣٠٥ ؛ المفيد، الاختصاص، ٢٥٣ .

(٢٠) الصدوق، التوحيد، ٢٥٩

(٢١) الصدوق، التوحيد، ٢٥٩

(٢٢) ينظر: الصدوق، التوحيد، ٢٥٩

(٢٣) الصدوق، التوحيد،٢٥٩.

(٢٤) ينظر للمزيد: الصدوق، التوحيد، ٢٥٩

(٢٥) الإمام علي، نهج البلاغة، ١٦/٤.

(٢٦) الإمام علي، نهج البلاغة، ٢٣/٢.

(٢٧) الكليني، الكافي، ٣٥١/٢.

(٢٨) المجلسي، بحار الانوار، ١٦٦/٧١.

(٢٩) الإمام علي، نهج البلاغة، ١٨٥/٢.

(٣٠) الكليني، الكافي، ٣٠٨/٢.

(٣١) الإمام علي، نهج البلاغة، ١٤١/٢.

(٣٢) الواسطي، عيون الحكم، ٤٤٤.

(٣٣) الكليني، الكافي، ١٤٩/٤.

(٣٤) نهج البلاغة،٢٠٠/٢-٢٠١

(٣٥) نهج البلاغة،٢٠٠/٢-٢٠١

(٣٦) نهج البلاغة،٨٨/٣

(٣٧) الطوسي، الأمالي،٦٢٦

(٣٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،٤٢/١٧

(٣٩) نهج البلاغة،٨٣/٣

(٤٠) حُجر بن عَدي الكندي الكوفي، من فضلاء الصحابة وزهادهم، وفد على النبي ص مع اخيه هانئ بن عدي وأعلن إسلامه وشارك في معركة القادسية، وفتح مرج عذراء بالشام، وهو من خواص الإمام علي ؛ قاتل معه في الجمل وصفين والنهروان، وكان يرأس قبيلته في كل المعارك. قتله معاوية بن أبي سفيان بعد ان عرض عليه البراءة من الإمام علي ؛ فأبى ذلك، فقتله ومعه أحد أبنائه، وعدد من أصحابه، وقطع رأسه وعلّق على بوابة الشام سنة ٥١هـ. يظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢١٧/٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق،٢٧/٨ .

(٤١) عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين الخزاعي صحب النبي صلى الله عليه وسلم ونزل الكوفة وشهد مع الإمام علي ؛ الجمل وصفين والنهروان، قتله عبد الرحمن بن أم الحكم بأمر من معاوية بن أبي سفيان سنة ٥١هـ وحمل رأسه إلى الشام وقيل أنه أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق. ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى،٢٥/٦ ؛ خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ٢٣٠

(٤٢) المنقري، وقعة صفين،١٠٣

(٤٣) المنقري، وقعة صفين،١٠٣

(٤٤) القاضي النعمان، دعائم الاسلام،١/ ٣٩٥

(٤٥) القاضي النعمان، دعائم الاسلام،١/ ٣٩٥

(٤٦) القاضي النعمان، دعائم الاسلام،١/ ٣٩٥

(٤٧) القاضي النعمان، دعائم الاسلام،١/ ٣٩٥

(٤٨) البلاذري، انساب الاشراف، ٢/ ٣٥٩

(٤٩) سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية اليمانية امرأة شاعرة عرفت بحب الإمام علي والنطق بقول الحق وفدت على معاوية بن أبي سفيان في الشام وجرت لها معه محاورة بسبب أبيات من الشعر قالتها تصف معركة صفين. ينظر: أبن طيفور، بلاغات النساء،٣٠؛ أبن عساكر، تاريخ دمشق،٢٢٤/٦٩ .

(٥٠) ابن طيفور، بلاغات النساء، ٣٢

(٥١) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ٣٥٣/٢

(٥٢) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ٣٥٣/٢-٣٥٤

(٥٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٢٦١

(٥٤) نهج البلاغة، ٥٢/٣

([٥٥]) نهج البلاغة،٨٥/٤

([٥٦]) الزمخشري، ربيع الابرار، ٤/ ٦٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٥٤/١٨

([٥٧]) الكليني، الكافي، ١/ ٣٦

([٥٨]) الضغث هو قبضة من حشيش مختلط الرطب واليابس ويطلق على التباس الشيء بعضه ببعض ومنه يقال ضغث الحديث أي خلطه. ينظر: الفراهيدي، العين،٣٦٣/٤.

([٥٩]) نهج البلاغة،٩٩/١

([٦٠]) الإمام علي، نهج البلاغة، ٧٨/١.

([٦١]) الإمام علي، نهج البلاغة، ١٥٣/١.

([٦٢]) الكليني، الكافي، ١/ ٦٢

([٦٣]) الكليني، الكافي، ١/ ٦٢-٦٣

([٦٤]) الصدوق، الامالي، ٤٤٩

([٦٥]) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٤٨٩/٢

([٦٦]) الصدوق، الامالي، ٤٤٩

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً : المصادر الأولية

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/ ٩٠٩م)**

١- أنساب الاشراف، ط١، دار الفكر(بيروت- لبنان،١٩٩٦م)

- **أبن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)**

٢- شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار أحياء الكتب العربية ، (د٠م، ١٩٥٩م).

- **خليفة بن خياط ، أبو عمرو العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)**

٣- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: سهيل زكار، د٠ ط ، دار الفكر،(بيروت ،د٠ت)

- **الراوندي، أبو الحسين قطب الدين سعيد بن هبة اللّه (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م)**

٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،تحقيق : السيد عبد اللطيف الكوهكمري، الخيام، (قم، ١٤٠٦هـ)

- **الزمخشري،أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ/١١٤٣م)**

٥- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار،تحقيق : عبد الأمير مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،(بيروت،١٩٩٢م)٠

- **أبن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهيري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)**

٦- الطبقات الكبرى ، د٠ط ، دار صادر ، (بيروت ،د٠ت) .

- **أبن شهر أشوب ، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م)**

٧-مناقب آل أبي طالب ، الحيدرية ، (النجف، ١٩٥٦م)

- **الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م)٠**

٨-الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة ، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، (طهران، ١٤١٧هـ)

٩- التوحيد، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، د٠ط، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم .د٠ ت) .

- **أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر، المعروف بابن طيفور (ت ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م)**

١٠-بلاغات النساء،

- **الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)**

١١- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، د٠ ط ، نشر مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث، (قم . ١٤٠٤هـ).

١٢- الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة، ط١ ، دار الثقافة للطباعة والنشر،(قم، ١٤١٤هـ)

- **أبن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)**

١٣- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري ، د٠ط ، دار الفكر ، (بيروت ،١٤١٥هـ) .

- **الإمام علي بن أبي طالب ؛ (٤٠هـ/ ٦٦٠م)**

١٤- نهج البلاغة، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده،ط١، دار الذخائر،(قم، ١٤١٢هـ)

- **الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م)**

١٥- كتاب العين ، تحقيق د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي ، ط٢ ، نشر مؤسسة الهجرة ،(إيران ١٤٠٩هـ) .

- **القاضي النعمان،أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)**

١٦- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي،د٠ط، دار المعارف،(القاهرة،١٩٦٣م)

- **الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م)**

١٧- الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، (طهران،١٣٦٣ش) .

- **الكوفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي(ت٢٨٣هـ/٨٩٦م)**

١٨- الغارات، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني،د٠ط،مطابع بهمن،(د٠م،د٠ت)

- **المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ / ١٦٨١م)**

١٩ -بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء،(بيروت ، ١٩٨٣م)

- **المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)**

٢٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢ ، منشورات دار الهجرة ايران،(قم، ١٩٨٤م)

- **المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)**

٢١- الاختصاص ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، السيد محمود الزرندي، ط٢،دار المفيد ، (بيروت ،١٩٩٣م)

- **المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ/٨٢٧م)**

٢٢- وقعة صفين، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، ط٣، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع (مصر، ١٣٨٢هـ)

- **الواسطي، أبو الحسن علي بن محمد (من أعلام القرن السادس الهجري)**

٢٣- عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي،ط١، دار الحديث، (قم، د٠ت)

ثانياً : المراجع الثانوية

- **زكريا، فؤاد**

٢٤- التفكير العلمي، د.ط، مطبعة جامعة دمش(سوريا، ٢٠١٦م)

- **فضل الله ، محمد حسين**

٢٥- مفاهيم اسلامية عامة، ط٢، مطبعة دار الملاك (بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م)

نقد علماء الأندلس للسلطة السياسية الحاكمة خلال عصر دويلات الطوائف

(٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩١م)

Andalusian scholars' criticism of the ruling political authority during the era of the taifa states (422–484 AH / 1030–1091 AD)

م.د. محمد عويد غليم الطوگي

الهيئة العامة للآثار والتراث/ مفتشية آثار وتراث ذي قار

Abstract .

A group of scholars confronted the state of chaos and division that Andalusia was living through during the era of states, and they worked to criticize the ruling political authority with its various elements, whether they were kings, rulers, veils, ministers, military leaders, or governors, through several means, methods, and monetary methods, and he pushed them to do so. A group of factors, including sincerity and the patriotic spirit that they were characterized by, in addition to the great support of Andalusian society, in addition to the tragic situation that Andalusia was going through, which was represented by the weakness of the rulers, their corruption, their closeness to the Christians, and the loss of the Andalusian cities one after the other. In correcting some mistakes and reducing, even in a simple way, some of the burdens that Andalusian society was suffering from, and we have studied those critical opinions according to a scientific approach based on criticism and analysis so that the historical origins of the various incidents mentioned in the research were referred to.

الملخص:

لقد تصدى مجموعة من العلماء لحالة الفوضى والانقسام التي كانت تعيشها الأندلس خلال عصر دويلات فعملوا على نقد السلطة السياسية الحاكمة بمختلف عناصرها سواء كانوا ملوك أو حكام أو حجاب أو وزراء أو قادة عسكريين أو ولاة، وذلك عن طريق عدة وسائل ومناهج وطرق نقدية مختلفة، وقد دفعهم لذلك مجموعة من العوامل منها، الاخلاص والروح الوطنية التي كانوا يتصفون بها، فضلاً عن الدعم الكبير من قبل المجتمع الأندلسي، بالإضافة إلى الوضع المأساوي الذي كانت تمر به الأندلس والمتمثل بضعف الحكام وفسادهم وتقربهم للنصارى وضياع المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى، وقد أثمر هذا النقد بشكل معين وساهم في تصحيح بعض الأخطاء وقلل ولو بشكل بسيط عن بعض الأعباء التي كان يعاني منها المجتمع الأندلسي، وقد قمنا بدراسة تلك الآراء النقدية وفق منهج علمي يعتمد على النقد والتحليل بحيث تم الرجوع إلى الأصول التاريخية للحوادث المتنوعة التي وردة في البحث.

كلمات مفتاحية: (علماء الأندلس، السلطة السياسية، دويلات الطوائف، القادة، النصارى)

المقدمة:

إن موضوع البحث من الموضوعات المهمة والتي تُسلط الضوء على حقبة في التاريخ الأندلسي وهو عصر دويلات الطوائف والذي كان يتسم بتدهور وإضطراب الأوضاع السياسية، وتكمن أهميته في إبراز الدور الكبير والفعال لعلماء الأندلس في التصدي للطبقة السياسية والوقوف بوجهها دون خوف، كما يعكس هذا الموضوع مدى الإلتزام الوطني والأخلاقي لهؤلاء العلماء تجاه بلدهم ومجتمعهم، فضلاً عن ذلك فهو دراسة علمية توصلنا من خلالها إلى العديد من الحقائق التاريخية، وبذلك نروم من هذا العمل

سد بعض الثغرات في التاريخ الأندلسي من خلال تسليط الضوء على مثل تلك الأمور والأفعال الإيجابية، ووفقاً لذلك فقد أخذنا على عاتقنا دراسة وتحليل تلك الآراء والمواقف النقدية التي تحدث بها علماء الأندلس وبكل حيادية وأمانة علمية.

وإعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي في معالجة النصوص التاريخية فضلاً عن الاستقراء والمقارنة والنقد والأستنباط من أجل رسم صورة واضحة المعالم عن مختلف الحوادث التاريخية التي ورد ذكرها، بغية الوصول للحقيقة قدر المستطاع.

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومحوران أساسيان، الأول وضحنا فيه نقد العلماء للحكام والملوك والحجاب والقادة العسكريين، والمحور الثاني تكلمنا فيه عن نقد الوزراء والولاة وكبار الموظفين، فضلاً عن خاتمة لأهم النتائج التي توصل لها البحث وأخيراً قائمة للمصادر والمراجع.

◙ أهمية الموضوع وأسباب اختياره–

إن موضوع البحث(نقد علماء الأندلس للسلطة السياسية الحاكمة خلال عصر دويلات الطوائف) من الموضوعات المهمة التي مَكنتنا من الاطلاع والوقوف على طريقة تفكير علماء الأندلس وتناولهم للأحداث المعاصرة والمتنوعة التي تَخص الأندلس، فضلاً عن ذلك تكمن أهمية هذا البحث في التعرف على مدى تفاعل السلطة السياسية مع ذلك النقد ومدى الاستجابة له، ومما تقدم يَتضح جلياً أهمية الموضوع وهذا ما دعانا إلى الخوض في حيثياته بشكل يُناسب الأهمية التي حُظي بها.

◙ المشكلة والفرضية–

لدراسة هذا الموضوع ومحاولة الكشف عنه لا بد من تحديد محاوره في الإشكالية التي تتجلى بدقة أكثر في التساؤلات التالية:

–ما هي المناهج والأساليب النقدية التي استخدمها العلماء لنقد ملوك الطوائف؟.

–ما الأسباب الجوهرية التي دفعت علماء الاندلس للقيام بنقد السلطة السياسية؟.

–ما مدى تفاعل ملوك الطوائف من جهة والمجتمع الأندلسي من جهة ثانية مع تلك الأمور النقدية؟.

–ما الدروس المستفادة من دراسة الآراء النقدية لعلماء الأندلس وكيفية التعامل معها؟.

وأما بالنسبة للفرضية وبناءً على مشاكل الدراسة نضع الفروض الآتية:

–إن الآراء والأفكار النقدية التي طرحها علماء الأندلس بحق السلطة السياسية قد تنوعت وتعددت بشكل كبير للغاية.

–للآراء النقدية التي تكلم بها العلماء آثر على المجتمع الأندلسي وملوك الطوائف.

أولاً: نقد الحكام والملوك والحجاب والقادة العسكريين.

لقد انقسمت بلاد الأندلس في عصر دويلات الطوائف إلى وحدات سياسية عديدة بلغ تعدادها اثنان وعشرون دويلة بل إن بعض المؤرخين قد ذهب إلى أبعد من ذلك وذكر بأنها بلغت ست وعشرون دويلة، وقد قامت فيها دول سياسية حاكمة بمعزل واستقلال عن الدويلة الأخرى وهذا الأمر بطبيعة الحال قد أدى إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية في الأندلس، ونستدل على ذلك

من خلال بعض الشواهد التاريخية المعاصرة لذلك العصر ومنها ما ذكره المؤرخ والفقيه ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وذلك بقوله:" وانقطع ملك بني امية بعد الأربعمائة بأعوام يسيرة، فصار كل من غلب على موضع ملكه واستعبد أهله، وكثر فيها الأمراء، فضعفوا وصاروا خولاً للنصارى يؤدون إليهم أضعاف ما كان المسلمون يأخذون منهم اليوم"(١)، وكذلك ما تكلم به الأمير عبد الله بن بلقين(ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م) وهو شاهد عيان إذ كان أحد حكام الطوائف وذلك بقوله:" وبقى الناس لا إمام لهم، فتنافسوا على الدنيا وطمع كل واحد في الآخر، وكذلك لا يصح أمر بين نفسين، فكيف سلطين كثيرة، وأهواء مختلفة"(٢).

لهذا فقد أخذ بعض العلماء على عاتقهم التصدي لهذه الأوضاع السيئة التي كانت تعيشها الأندلس حيث برزت عندهم روح نقدية ثائرة تدعوا للتخلص من ملوك الطوائف، وقد ساعدهم في ذلك الدعم الكبير من قبل المجتمع الأندلسي بصورة عامة(٣)، ولكن في الوقت نفسه لا بُد لنا أن نُبين بأنه ليس جميع العلماء قد عملوا على التصدي بالنقد للطبقة السياسية الحاكمة والعمل من أجل وحدة البلاد، بل إن القسم الأكبر منهم قد وقف إلى جانب الحكام وذلك من أجل مصالح ومطامع ذاتية ضيقة والحصول على الأموال والنفوذ والمناصب غير مهتمين وغير مبالين إلى ما وصلت إليه الأندلس من الضياع والفرقة، وهذا الموقف السلبي لهؤلاء العلماء لم يمر مرور الكرام إذ تَنبه له بعض علماء الأندلس وبينوا رفضهم القاطع له ومن الأدلة التاريخية التي تُثبت ذلك ما ذكره ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) حيث قال عنهم:" لا يغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقه، واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم"(٤)، ويتضح من القول أعلاه تشخيص ابن حزم لهذه الفئة من العلماء وما قاموا به من مناصرة وتأييد للحكام الظلمة وهذا مما أدى بطبيعة الحال إلى إعطاء نوع من الشرعية لملوك الطوائف وتدعيم سلطانهم ونفوذهم.

وسنعمل فيما يلي على ذكر بعض النماذج للأمثلة النقدية التي تستحق الذكر والثناء والإشادة وذلك لدورها الكبير والفعال في إظهار ضعف وظلم حكام الطوائف والتصدي لهم ومنها، ما قام به الفيلسوف ابن حزم الأندلسي إذ وجه نقد عام ولاذع لملوك الطوائف وفي أكثر من موضع وذلك لعدة أسباب منها، الفساد الأخلاقي الكبير الذي كانوا يتصفون به، وظلمهم للرعية وأخذ أموالهم، فضلاً عن الخضوع والخنوع للنصارى، ونستدل على ذلك من خلال قوله الآتي والذي جاء فيه:" والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم، ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم،...،وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه"(٥)، ويتضح لنا من كلام ابن حزم أعلاه وعيه وحرصه على البلاد من جهة، وتفكيره العلمي الكبير بحيث إن كلامه تراكمي وشمولي لصفات ملوك الطوائف هذا من جهة ثانية، وفي موضع أخر فقد سلك ابن حزم في نقده لحكام الطوائف منهج وأسلوب فريد تمثل بتحريض عامة الشعب الأندلسي ومثقفيه على نقد الطبقة السياسية ورفض سياستهم، ومن مواقفه النقدية بهذا الخصوص نقده لملوك الطوائف بشكل عام مُبيناً فسقهم وضعفهم ونؤكد ذلك من خلال قوله الآتي:" اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة

دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارتهم، و بجمع أموال ربما كانت سبباً في انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائهم عليهم، وعن حياضة ملّتهم التي بها عزّوا في عاجلتهم، وبها يرجون الفوز في آجلتهم، حتى استشرف لذلك أهل الذمة وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقّق أهل النظر أرباب الدنيا لاهتموا بذلك، فضعف همنا، لأنّهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء، والحمية للملة الغرّاء"(٦)، وقد تركت هذه الآراء النقدية التي تحدث بها ابن حزم آثار كبيرة ووخيمة عليه تَمثلت بتكالب ونقمة السلطة السياسية والدينية ضده، حيث قام المعتضد بن عباد بنفيه خارج البلاد، فضلاً عن احراق مؤلفاته العلمية.

ومن زاوية أخرى وجدنا بعض العلماء قد إتخذَ منحى مختلف في نقده للطبقة السياسية وهذا ما جسده أبو إسحاق الإلبيري(ت٤٥٩هـ/١٠٦٦م) في انتقاده للأمير باديس بن حبوس أمير غرناطة، والسبب في ذلك يعود لتقريبه اليهود والاعتماد عليهم في تولي بعض الوزارات، وقد ترك هذا العمل النقدي بعض النتائج والآثار المهمة على المجتمع الأندلسي ومن أبرزها، قيام أهل صنهاجة بالثورة ضد اليهود إذ قتلوا منهم عدد كبير وكان من بينهم الوزير إسماعيل بن يوسف بن نغرلة اليهودي(٧)، وهذا ما أثبته الإلبيري من خلال بعض الأبيات الشعرية والتي جاء فيها:

لقد زل سيـــدكم زلة　　أقر بها أعين الشامتـــين
تخير كاتبـــه كافراً　　ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتموا　　وسادوا وتاهوا على المسلمين(٨).

وأما عن الشاعر ابن شرف القيرواني (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) فقد شخص ظلم وجبروت الطبقة السياسية الحاكمة مما دعاه إلى نقدهم بشكل سافر وذلك من خلال بعض الأبيات الشعرية والتي وضح فيها بأنه لا يُمكن العيش مع مثل هؤلاء الظلمة إذ قال فيهم:

يا خائفاً من معشرٍ　　لا يصطلى بنارهم
إن تبل من شرارهم　　على يدي شرارهم
أو ترم من أحجارهم　　وأنت في أجحارهم
فما بقيت جارهم　　ففي هواهم جارهم(٩).

فضلاً عما تقدم فقد قام الفقيه عمر بن الحسن الهوزني(ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) بنقد مباشر وسافر للمعتضد بن عباد، وذلك بسبب خطر الممالك الاسبانية على البلاد وعدم قدرته على التصدي لها هذا من جهة، فضلاً عن سياسية المعتضد بن عباد تجاه الرعية والتي كانت تتسم بالظلم والقساوة من جهة ثانية، بالإضافة إلى سقوط مدينة بربشتر من جهة ثالثة وما شكلته من صدمة كبيرة للهوزني، وقد خلفت هذه الحادثة آثار كبيرة ووخيمة تمثلت بقتل الهوزني نفسه وذلك بأمر من المعتضد بن عباد(١٠). ومن الأمثلة الأخرى ما قام به المؤرخ ابن حيان القرطبي(ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) في نقد ملوك الطوائف وفي عدة مواضع، وذلك بسبب انحرافهم عن المنهج الإسلامي وضعفهم، فضلاً عن التفرقة والضعف الذي أصاب الأندلس بسببهم وهذا ما أشار إليه علانيةً بقوله التالي:" ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم، هم كالملح فيهم الأمراء والفقهاء، قلما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلون، وبفسادهم يردون، فقد خص الله

تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا هذين، بما لا كفاية له مخلص منه، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق، ذيادا، عن الجماعة، وحوشا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدوف عما أكد الله عليهم في التبين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم، خائض في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم، آخذ بالتقية في صدقهم ، وأولئك هم الأقلون فيهم، فما القول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها، وان أصبحت بصدد من خبالها هل هي إلا مشفية على بوارها واستئصالها"(١١)، ويصفهم ابن حيان في موضع أخر بالجهل والضعف والظلم وذلك بقوله:" من أدل الدلائل على فرط جهلهم بشأنهم، إغترارهم بزمانهم، وبعادهم عن طاعة خالقهم، ورفضهم وصية رسوله نبيهم عليه السلام، وذهولهم عن النظر في عاقبة أمرهم، وغفلتهم عن سد ثغرهم، حتى لظل عدوهم الساعي لإطفاء نورهم يتبحبح عراص ديارهم، ويستقرئ بسائط بقاعهم، يقطع كل يوم طرفا منهم ويبيد أمة، ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم، لهاة عن بثهم، ما إن يسمع عندنا في مسجد من مساجدنا ومحفل من محافلنا مذكر بهم أو داع لهم، فضلا عن نافر إليهم أو مواس لهم، حتى كأن ليسوا منا، أو كأن فتقهم ليس بمفض إلينا، قد بخلنا عليهم بالدعاء، بخلنا بالغناء، عجائب مغربة فاتت التقدير، وعرضت للتغيير، فلله عاقبة الأمور، وإليه المصير"(١٢)، وبعد أن تطرق ابن حيان لنقد حكام الطوائف بصورة عامة يأتي هذه المرة لنقد حاكم معين وهو المنذر بن يحيى صاحب سرقسطة وذلك بسبب سوء خلقه وتقربه للنصارى إذ قال عنه:" وكان مع سموه للمعالي من الإيثار لشهواته، والمسارعة لقضاء لذاته، والإنهتاك في طلب راحته، والشغف بزي دنياه، والكلف بزخرفها، والتهالك في حبها، على أضلع ما كان عليه من تفرد بشأنها، فاتخذ الجواري الحسان، وملاح الغلمان، فجلب إليه كل علق خطير، وحصل عنده من كل ما وصفناه كثير، وكان لأول ولايته قد ساس عظماء الإفرنج وهاداهم حوطاً للثغر وأهله، وتأنياً للجماعة حتى تثوب لأهل الإسلام، يناهضون بها عدوهم، وكان رؤساء الجلالقة يومئذ ريمند الجليقي وشانجه القشتلي، فسلك معهما سبيل الاسترضاء، والموافقة والإستخذاء، فحفظت أطرافه وكفت المعرة عن عمله"(١٣)، ويتضح لنا وبصورة جلية لا تقبل الشك بأن ابن حيان قد استخدم في نقده للحكام مختلف سمات التفكير العلمي مثل الشمولية والتراكمية والبحث عن الأسباب وغيرها من السمات وهذا واضح للعيان من خلال نصوصه التاريخية أعلاه والتي جسدت حالة عصر الطوائف بكل تفاصيلها.

وأما عن الشاعر خلف بن فرج الجياني المعروف بالسميسر(٤٨٠هـ/١٠٨٧م) فقد أستخدم شعره لنقد ملوك الطوائف بحث وصل به الأمر إلى مرحلة أخذ فيها يتهم الحكام بالخيانة والتواطؤ مع الممالك الاسبانية وذلك بسبب تهاونهم في الإسلام، وإذلال المجتمع الأندلسي، والتقرب للنصارى، لذى تصدى لهم بالنقد اللاذع ودعا للقيام ضدهم واقصاؤهم من السلطة، ونُثبت ذلك من خلال بعض الأبيات الشعرية التي قالها وقد جاء فيها:

ناد الملوك وقل لهم ... ماذا الذي أحدثتم

أسلمتم الإسلام في ... أسر العدا وقعدتم

وجب القيام عليكم ... إذ بالنصارى قمتم(١٤).

بالإضافة لذلك فقد عمل السميسر في موضع أخر على توجيه نقد لاذع لملوك الطوائف نتيجةً للعجز والخيانة والخضوع لملوك النصارى، وفي الوقت نفسه ندد بسياستهم المنحرفة ومواقفهم المخزية تجاه المجتمع الأندلسي ونوضح ذلك من خلال بعض الأبيات الشعرية والتي جاء فيها:

خنتم فهنتم وكم أهنتم زمان كنتم بلا عيون
فأنتم تحت كلّ تحت وأنتم دون كل دون
سكنتم يا رياح عادٍ وكل ريح إلى سكون(١٥).

وينتقل السميسر هذه المرة إلى مرحلة جديدة في نقده لرجال الطبقة السياسية تَتَمثل في نقد شخص معين من حكام الطوائف وليس بصورة عامة، ومن أمثلة ذلك نقده لحاكم غرناطة عبد الله بن بلقين وذلك لعدة أسباب منها، انشغاله بالترف وبناء القصور، اهمال حاجات المجتمع وفرض الضرائب عليهم، فضلاً عن عدم إعداده للجيوش القوية التي تستطيع الوقوف بوجه الممالك الاسبانية الشمالية، فتعرض له بنقد جارح وباشر في إظهار عيوبه وتقصيره تجاه المجتمع الأندلسي ويتضح هذا الأمر بشكل واضح للعيان من خلال بعض الأبيات الشعرية التي قالها بحق عبد الله بن بلقين وقد جاء فيها:

صاحب غرناطة سفيه وأعلم الناس بالأمور
صانع أذفونش والنصارى فانظر إلى رأيه الدبير
وشاد بنيانه خلافاً لطاعة الله والأمير
دعوه يبني فسوف يدري إذا أتت دورةُ القدير(١٦).

وأما عن الشاعر محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بابن الحداد (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) فقد أخذ على عاتقه التصدي بالنقد لرجال السلطة السياسية الحاكمة وبكل شجاعة وقوة وفي عدة مناسبات منها ما قام به من نقد كبير للمتوكل بن هود وذلك بسبب التفاخر بنسبه، فقال فيه:"

يقول المستعين أبي وجدي حليف البأس والجود المعين
فقلت الفضل في التقوى فدعنا بفخر الترب والماء المهين
وهل في المستعين رأيت خيراً فكيف المدعي في المستعين(١٧).

ويستمر ابن الحداد الأندلسي بنقد رجال السلطة دون خوف أو خشية منهم وهذه المرة نجده يتعرض بالنقد للمعتصم بن صمادح التجيبي حاكم المرية والسبب في ذلك يعود إلى أن المعتصم قد أكرم شاعراً أخر وأهمل ابن الحداد مما أثار غضبه وغيرته فنقده قائلاً فيه:"

يا طالب المعروف دونك فاتركن دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل إذا أعطاك حبّة خردل ألقاك في قيد الأسير الطائح
لو قد مضى لك عمر نوحٍ عنده لا فرق بينك والبعيد النازح(١٨).

وأما عن الفقيه عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) فقد إتسم بشجاعة كبيرة فتصدى بالنقد اللاذع لحكام الطوائف بحيث وصل به الأمر إلى وصفهم بالجبن وعدم قدرتهم على الوقوف بوجه الممالك الاسبانية وهذا ما ذكره علانيةً دون تردد حيث قال:

ولقد رمانا المشركون بأسهم لم تخط لكن شأنها الأصماء

هتكوا بخيلهم قصور حريمها لم يبق لا جبل ولا بطــحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها في كل يوم غارة شـــعواء
باتت قلوب المسلمين برعبهم فحــماتُنا في حربـهم جبناء
لــرب مولـــود أبوه مجــدل فوق التراب وفرشه البـيداء
ومصونة في خدرها محجوبة قد أبرزوهـا ما لها استخفاء(١٩).

ومن الوسائل والطرق النقدية المهمة التي قام بها بعض علماء الأندلس تجاه حكام الطوائف هو ما يُمكن تسميته بالنقد الجماعي لمجموعة من العلماء حول حدث معين ومن أمثلة ذلك قيام فقهاء وقضاة إشبيلية بنقد عام للحكام وذلك بسبب الظلم والفساد الذي كانوا يتصفون به ونؤكد ذلك من خلال النص التاريخي التالي:" هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعتهم، ولا تجوز امارتهم، أنهم فساق فجرة، فاخلعهم عنا"(٢٠).

ثانياً: نقد الوزراء والولاة وكبار الموظفين.

وأما بخصوص الوزراء والولاة وأصحاب المناصب الوظيفية العالية فقد طالتهم أيادي النقد من قبل علماء الأندلس وذلك لأن دورهم في ضعف وإفساد المجتمع الأندلسي واضح وكبير، لذا فقد أخذ بعض العلمـاء علـى عـاتقهم التصـدي لهـم وإظهـار عيـوبهم ومفاسـدهم السياسـية والاقتصـادية والعسـكرية والاجتماعية، ومن أبرز الشواهد التاريخية بخصوص ذلك ما قام به الشاعر الأندلسي الكبير محمد بن عمار بن حسين المعروف بابن عمار(ت٤٧٩هـ/١٠٨٦م) في توجيهه نقد مباشر للوزير أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز، وذلك بسبب خلاف حصل بينهما في مدينة مرسية فشكل هذا السبب عامل مباشر في نقده وتحريض السكان ضده ومما يُثبت ذلك ما قاله فيه من أبيات شعرية جاء فيها:

خبّر بلنسية وَكَانَت جنـــّة أَن قد تدلّت فِي سَوَاء النَّار
غدرت وفياً بالعــهود وقلـما عثر الوفيّ سعى إِلَى الغدّار
يَا أَهلهَا من غَائِب أَو حَاضر وقطينها من راسخ أَو طَـار
قل للوزير وَلَيْـسَ رَأْي وَزِير أَن يتبع التـنزير بالــتندير
إِن الوزارة لَو سلـكت سَبِيلهَا وقف على التـعزيز والتوقير
جازوا بني عبد الْعَزِيز فَإِنَّهُم جرّوا إِلَيْكُم أَسْوَأ الأقدار(٢١).

ومن الشواهد الأخرى ما قام به الشاعر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي المعروف بابن اللبانة(ت٥٠٧هـ/١١١٣م) في نقد كبار الموظفين ومن بينها ما قام به بحق أبي الحسن بن الأستاذ الذي شغل منصب خطة الإشراف، فنقده بشكل جارح ومباشر وحرض العامة ضده(٢٢)، بحيث قال فيه:

معشر الأضياف ضجوا قد أتى الدهر بآيــة
قــد أتاكـــم بنبـيٍ شرعه قـطع الجرايه(٢٣).

الاستنتاجات:

توصلنا في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج والتي بَينا من خلالها كيفية تناول علماء الأندلس للطبقة السياسية الحاكمة في عصر الطوائف بالنقد اللاذع والمباشر وذلك من أجل الحفاظ على وحدة البلد واستقلاله، وسنعمل على إيجاز تلك الاستنتاجات بالشكل الآتي:

١-تَبين لنا من خلال ما تم دراسته أعلاه عدم قيام جميع علماء الأندلس بالاشتراك بنقد حكام الطوائف ولكن اقتصر الأمر على بعض العلماء الذين فضلوا المصالح العامة للبلاد على مصالحهم الخاصة، عكس هؤلاء الذين تقربوا للسلطة وعملوا على مدحهم من أجل مناصب وغايات ومنافع شخصية.

٢-لقد تنوعت وتعددت الأسباب والدوافع الموجبة لنقد ملوك الطوائف والتي كانت في أغلبها متشابهة ومشتركة ومن أبرزها، ضعف الحكام وعدم قدرتهم على الدفاع عن وحدة الأندلس، والبذخ والإسراف العالي، وظلم الرعية والتجاوز على حرياتهم الخاصة، وفرض الضرائب الكثيرة، والتحالف مع الممالك الاسبانية النصرانية، فضلاً عن الدوافع الشخصية لبعض العلماء.

٣-عَمل علماء الأندلس على نقد مختلف فئات وعناصر الطبقة السياسية من حكام وملوك وحجاب ووزراء وولاة وقادة عسكريين وكبار الموظفين.

٤-تنوع وتعدد الأساليب والمناهج النقدية المستخدمة من قبل العلماء ومن أبرزها النقد الخاص والذي كان يقتصر على حاكم معين ومحدد، والنقد العام بحيث يشمل ملوك الطوائف بصورة شاملة، فضلاً عن النقد المباشر والذي يتعرض لعيوب ومثالب الحكام بدون لف أو دوران، والنقد الغير مباشر والذي يكون من خلال التلميح والاشارة لبعض الامور.

٥-لقد كانت ردود ومواقف المجتمع الأندلسي إيجابية ومساندة لتلك الآراء والمواقف النقدية التي قام بها هؤلاء العلماء وذلك لأنهم وجدوا في ذلك خدمةً لمصالحهم العامة ووحدة الأندلس، وأما من جهة الحكام أنفسهم فقد عملوا على التصدي بكل قوة لتلك المواقف النقدية مما أدى إلى أن بعض العلماء قد تعرض للقتل بسبب ذلك أمثال عمر بن الحسن الهوزني، والبعض الأخر تعرض للنفي وحرقت مؤلفاته مثل ابن حزم الأندلسي.

٦-وأما عن النتائج والآثار المترتبة على ذلك النقد فقد كانت كثيرة ومتنوعة ومن أبرزها، إنها كانت سبباً مباشراً في الحفاظ على وحدة بعض المدن الأندلسية والوقوف بوجه خطر الممالك الشمالية، فضلاً عن استجابة ملوك الطوائف لبعض الأمور مثل تغيير بعض الوزراء وإلغاء بعض الضرائب ونحو ذلك، بل إن بعضها كان سبباً في قيام ثورة ضد اليهود في مدينة غرناطة.

الهوامش

(١) القصد والأمم، ص٣٥.
(٢) التبيان، ص١٨.
(٣) شلبي، دور علماء الأندلس، ص٢٦٣.
(٤) رسائل ابن حزم، ١٧٣/٣.
(٥) المصدر نفسه، ١٧٦/٣.
(٦) المصدر نفسه، ٤١/٢.
(٧) ابن سعيد، المغرب، ١١٤/٢.
(٨) المقري، نفح الطيب، ٣٢٢/٤.

(٩) ابن بسام، الذخيرة، ١٧٢/٧؛ الأصبهاني، خريدة القصر، ص٢٢٨.

(١٠) ابن بشكوال، الصلة، ص٤٠٢؛ ابن سعيد، المغرب، ١٧١/١.

(١١) ابن بسام، الذخيرة، ١٨٠/٥-١٨١.

(١٢) المقري، نفح الطيب، ٤٥٢/٤-٤٥٣.

(١٣) ابن بسام، الذخيرة، ١٨١/١.

(١٤) المصدر نفسه، ٨٨٥/٢.

(١٥) الأصبهاني، خريدة القصر، ص١٦٨؛ المقري، نفح الطيب، ١٠٨/٤.

(١٦) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ص١٥.

(١٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٦.

(١٨) المقري، نفح الطيب، ٥٠٥/٣.

(١٩) عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٧٨.

(٢٠) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٦.

(٢١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٤١/٢، ١٥٦.

(٢٢) أيوب، النقد السياسي، ص١٥١.

(٢٣) ابن بسام، الذخيرة، ٦٧٢/٦.

(قائمة المصادر والمراجع)

أولاً: المصادر الأولية.

***ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م).**

١- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٥م).

***الأصفهاني، عماد الدين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).**

٢-خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق آذرتاش آذرنوشكامل، د.ط، الدار التونسية، (تونس،١٩٧١م).

***ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت٥٤٢هـ/١١٤٧م).**

٣-الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب، (ليبيا-تونس، ١٩٨١م).

***ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ/١١٨٢م).**

٤-الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي،(د.م،١٩٥٥م).

***ابن بلقين، عبد الله بن زيري (ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م) .**

٥-مذكرات الأمير عبد الله المسماة التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، د.ط، دار المعارف، (القاهرة،١٩٥٥م).

***ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م).**

٦-رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية، (بيروت،١٩٨٧م).

***ابن خاقان، الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج (ت٢٤٧هـ/٨٦١م).**

٧-قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، د.ط، (مصر،١٨٦٦م).

***ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني(ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).**

٨-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ق٢، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف،(بيروت،١٩٥٦م).

***ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م).**

٩-المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، (القاهرة،١٩٥٥م).

***ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمري القرطبي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).**

١٠-القصد والأمم في التعريف بأنساب العرب والعجم، د.ط، نشر حسام الدين القدسي، (القاهرة،١٩٣١م).

***ابن الكردبوس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني(ت٦٦٤هـ/١٢٦٥م).**

١١-تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبادي، د.ط، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد،١٩٦٦م).

***المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م).**

١٢-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨م).

ثانياً: المراجع الحديثة.

***التبريزي، الخطيب.**

١٣-شرح ديوان أبي تمام، ط٢، دار الكتاب العربي، (بيروت،١٩٩٣م).

***عباس، إحسان.**

١٤-تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين)، ط١، دار الثقافة، (بيروت،١٩٦٢م).

ثالثاً: البحوث والمجلات والدوريات.

***أيوب، حسام محمد إبراهيم.**

١٥-النقد السياسي لأمراء الطوائف في الشعر الأندلسي، مجلة جرش للبحوث والدراسات، المجد٨، العدد١، (الأردن، ٢٠٠٣م).

***شلبي، عمر راجح.**

١٦-دور علماء الأندلس في الحياة السياسة خلال القرن الخامس الهجري، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد١٦، العدد٢، (فلسطين، ٢٠٠٨م).

فلسفة القيادة في ضوء السيرة النبوية

Leadership in the light of the Prophet's biography

م. د إيمان فرحان كاظم
جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الصرفة

Abstract .

The Prophet Muhammad (PBUH) focused at the beginning of his founding of the Arab Islamic state on the importance of leadership and in this regard he had many recommendations and hadiths, including "If three people go out on a journey, let them confer with one of them") referring to the importance of leadership even in the least human groups, and we can sum up the importance of leadership Administrative points: - 1- It is considered a link between the president and his followers in drawing plans and future developments Reducing the negative aspects and highlighting the level of positivity as much as possible. 3- Reducing problems that may occur at work, eliminating disputes, and agreeing between opinions. 4- Training individuals, developing their talents, and looking at them. That they are the most important resource for institutions 5 - Taking the leader as an example to follow

الملخص

ركز الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بداية تأسيسه للدولة العربية الإسلامية على أهمية القيادة وله في هذا الشأن الكثير من التوصيات والأحاديث منها اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم(١)، مشيراً الى اهمية القيادة حتى في أقل المجموعات البشرية، ونستطيع أن نجمل أهمية القيادة الإدارية في نقاط:

١. تعد حلقة وصل بين الرئيس وأتباعه في رسم الخطط والتطورات المستقبلية.

٢. تقليص الجوانب السلبية وإبراز مستوى الإيجابية قدر الإمكان.

٣. تقليص المشاكل التي قد تحصل في العمل والقضاء على الخلافات، والتوافق بين الآراء.

٤. تدريب الأفراد وتنمية مواهبهم والنظر اليهم بأنهم أهم مورد للمؤسسات.

المقدمة

الغاية من اختيار الموضوع هو لبيان أن علم القيادة وصفات القائد ليس حكراً على الغرب، وليس بالعلم المستحدث، فضلاً عن تعزيز الثقة عند النفوس العربية واستنهاض الهممالعزائم في أن نكون قادة نافعين في المجتمع الإسلامي، والتواصل مع الحاضر بدلائل اسلامية قديمة وبطابع حديث.

كلمات مفتاحية: (القائد، القيادة، المكافأة، المشورة، السيرة النبوية)

المبحث الأول : التعريف اللغوي والإصطلاحي للقائد وصفاته

القائد لغة : "من قاد يقود قيدا فهو قائد وهو إسم فاعل، والقيادة نقيض السوق، يقال يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها" (٢)، ويقصد به أن القيادة تكون في المقدمة، مشيرا ومرشدا إلى الخير ولما فيه من صلاح، والقائد إصطلاحا هو الشخص الذي يستخدم سلطانه ليغير ويؤثر في إتجاهات وسلوك الأفراد، أو القدرة على إدارة الآخرين لتحقيق هدف معين ومحدد(٣) .

ويجب أن يتوفر في القيادة متطلبات منها التأثير والنفوذ والسلطات القانونية : فالتأثير يقصد به القدرة على التغيير بالإقناع، والنفوذ يقصد به هو المقدرة على منع أو إحداث أمر ما وهو ما نجده في الصفات الذاتية وليست الوظيفية، أما السلطة القانونية فهي المستوحاة من الحق المناط للقائد في أن يطاع(٤)، هنا يتبادر سؤال إلى الأذهان هل أن القيادة موروثة أم مكتسبة ؟

في الحقيقة إن القيادة من النعم والمنح التي يعطيها الله ويهبها لمن يشاء من عباده، وتحتاج تلك المنحة إلى التنمية والصقل، كي تعطي ثمارها وتمكن مالكها من القيام بمهامه القيادية على أتم وجه ونجاح وفاعلية أو قد تكون عن طريق الوراثة أو مكتسبة من التعلم والخبرة، وتدخل في صناعة القيادة عدة عناصر منها الفطرة والتعليم والتدريب الموجه(٥)، ومن الأسئلة الآخرى التي عادة ما تتبادر إلى العقول والأذهان هي هل أن هنالك فرق بين القائد والمدير، أن المعنى وأحد بلفظتين مختلفتين ؟؟ .

نستطيع أن نقول أنه من الناحية النظرية يطلق لفظة قائد ومدير على الشخص نفسه، إلا إن لكل مفردة صفات ومزايا خاصة تميز الواحدة عن الأخرى، فوظيفة القائد هي العمل على تطوير وتنمية الهدف الأساسي للمجموعة أما جوهر عمل المدير فهو تنفيذي ووضع الرؤى الإستيراتيجية التي وضعها القائد موضع التنفيذ بالإعتماد على العديد من الأدوات المساعدة في تحقيق ذلك، وأيضا يكون عمل المدير وضع الخطط وتقييم النتائج، أما القائد فيقوم بتنمية الإتجاهات عن الرؤية الإستيراتيجية إلى المستقبل، ومسؤولية المدير هو تنفيذ ذلك .

والخلاصة أن المدير والقائد كلا منهم يلعب دورا مزدوجا في مجمل الحياة العامة والتمييز بينهما يصعب بعض الشئ، فبعض المدراء يعتبرون قادة والبعض الآخر لا، وبالمقابل قد يكون بعض القادة ممن يقوم بأدوار المديرين وقسم آخر لا يقوم بذلك(٦).

المبحث الثاني : روايات من السيرة النبوية عن القيادة

تجلت قدرة الرسول محمد (ص) في القدرة على القيادة في العديد من مجالات الحياة الإدارية موزعة على أصناف التخطيط والتنظيم إلى خلق مجتمع إسلامي مدني، وعلى سبيل المثال ما قام به من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعقده المواثيق مع غير المسلمين في صلح الحديبية بغية حقن الدماء والتحلي بالصبر، وما كان لهذا القرار من مردود إيجابي للدعوة الإسلامية، ومشاركة المسلمين والمشركين والتعرف على طباع بعض في الحياة، وهذا شجع الكثير من المشركين من الدخول لى ألإسلام حتى قبل فتح مكة.

اختلفت طرق أساليب تحريك الناس وقيادتهم نحو هدف معين أو إستخدام الطرق المناسبة للوصول إلى الأهداف المنشودة بأقل جهد وتكلفة، ولا بد للقيادة من أدوات يستخدمها القائد للتأثير منها :-

قوة المكافأة :

تمكن المكافآت القائد على تحقيق الأهداف،، وعادة ما تكون المكافأة مادية كالعلاوات والإجازات والترقيات أو قد تكون معنوية ككلمات الشكر أو شهادات التقدير والتشجيع، وقد فطن الرسول محمد (ص) لهذه الاداة المهمة في تحريك الأشخاص، وعلى سبيل المثال الرواية التأريخية التي تتحدث عن بدايات الدعوة الإسلامية وهجرة الرسول محمد من مكة إلى المدينة، "وكانت قريش جعلت لمن إتبع النبي

صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حين هاجرا، فقتلهما أو أتى بهما ماتة ناقة فأتبعهما سراقة بن مالك فلما قرب منهما ساخت قوائم فرسه في الأرض، فطلب الأمان، وأخبر الرسول خبره فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب آمنة وموادعة في قطعة من أدم، فلم يزل الكتاب عنده حتى أتاه به وهو بين الطائف والجعرانة،فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا يوم بر ووفاء" (٧)، ويقال أن الرسول محمد (ص) قد واعد سراقة بسواري كسرى وتاجه ومنطقته، وبافعل أتم عمر بن الخطاب ما وعد به النبي محمد (ص) حيث دعا "سراقة بم مالك وألبسه إياها وكان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعدين وقال له إرفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة رجلا إعرابيا من بني مدلج ورفع عمر صوته" (٨) .

وفي حادثة أخرى شاهدة على التفاتة النبي محمد (ص) على أهمية المكافآت في دفع وتحريك الناس نحو الهدف المنشود كونها أحد أدوات القائد، وفي أحدى المرات التي دخل إلى بيت المال أموال كثيرة، فقسم النبي محمد الأموال على بعض الأشخاص وأستثنى آخرون فغضبوا، فقيل "أعطى رجالا وترك رجالا قال فبلغه عن الذين ترك انهم عتبوا وقالوا قال فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إني أعطي ناسا وادع ناسا وأعطي رجالا وأدع رجالا قال عفان قال ذي وذي ادع أحب إلى من الذي أعطى أعطى أناسا لما في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل قوم إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب قال وكنت جالسا تلقاء وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أحب لي بكلمة رسول الله صلى الله وسلم حمر النعم (٩) "، نجد هنا النبي محمد (ص) أراد إستمالة قسم من المسلمين الذين من المحتمل قد يكونوا حديثي الإسلام أو أن إيمانهم ضعيف، وعند سماعه إعتراض من ترك حاول أن تكون مكافأتهم معنوية فليس بالضرورة أن تكون المكافأة مادة فكلمات الشكر والثناء لها وقعها الإيجابي في نفوس الأتباع، حيث وجدنا قول أحدهم أن هذه الكلمات هي خير من حمر النعم .

قوة المثل الأعلى :

ويقصد بها هي المقدرة على كسب إعجاب وإحترام الأتباع وهذا ما يجعل منه إنموذجا يحتذى به، وبالتالي يتمكن من التأثير بهم، ويأتي هذا الموضوع من خلال الخصائص والسلوكيات التي تعد القدوة الحسنة المثل الأعلى للأتباع، والشواهد من السيرة النبوية كثيرة نذكر منها حادثة وقعت قبيل صلح الحديبية، وبالتأكيد كان الرسول الكريم المثل الأعلى لأتباعه وبعد قراره الحكيم بإبرام الصلح والعودة دون أداء فريضة الحج، رفض المسلون أول الأمر ووجدوا في قرار الإنسحاب والصلح أمر غير متفق عليه وأن النفوس لم تتهيئ لمثل هذا القرار، فعندما قال النبي العظيم لأصحابه "قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكرها ما لقى من الناس فقالت له أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى فعل ذلك نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما" (١٠)، من النص السابق يتضح لنا أمران، الأول هو إن النبي محمد(ص)طبق القرار هو بنفسه أولا كي يكون مثلا أعلى يحتذى به ولما كان يتمتع به من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين فبالتأكيد هذه الصورة وهذا الفعل قد

يسحب الأتباع للتقليد والعمل بالمثل، هذا فضلا عن تجسيد مبدأ أخذ المشورة بعد أن أشارت ام سلمة زوجة النبي محمد (ص) بأن يبادر هو أولا وبالفعل تم ما أراد بأقل التكاليف والجهد والوقت .

تؤكد الروايات على إن النبي محمد (ص) كان مثل أعلى وقدوة حسنة في كل زمان ومكان، وله صفات خاصه تميزه عن غيره فضلا عن إستخجامه لغة الجسد والترهيب والترغيب في خطبه الشريفة على الرغم من إنه لم يكن يسرد أو يطيل في الخطب والأحاديث حتى قيل إن "النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه" (١١) وإنه كان "إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته وإشتد غضبه حتى كأنه منذ جيش يقول صبحكم ومساكم" (١٢) .

القائد يولد ولا يصنع :

وهنا ما يعرف بنظرية السمات، أي أن هناك مجموعة من الخصال والصفات ألتي يتمتع بها شخص القائد ومنها الصفات الجسدية والعقلية، التي تؤهل القائد على التأثير على سلوكيات الأتباع وإتجاهاتهم، وتتعدد الشواهد التأريخية من السيرة النبوية حول هذا الموضوع، إذ نجد إن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد تنبه على هذا الموضوع، ومن تلك الروايات توكيل المهمات القيادية الصعبة لأشخاص كانوا أهلا لها وبالفعل قد أتوا بنتائج ممتازة، ومنهم القائد عمرو بن العاص في سرية ذات السلاسل وهي خلف وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام في جمادي الآخرة سنة ثمان بين المسلمين مع المشركين من قبيلة قضاعة "فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعه ثلاثون فرسا وأمره أن يستعين بمن يمر به من بلي وعذرة وبلقين فسار في الليل وكمن النهار فلما إقترب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا فلحق بعمرو فأراد أبا عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو إنما قدمت علي مددا وأنا الأمير فأطاع له بذلك أبو عبيدة"(١٣)، يتبين من النص أعلاه أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد علم بما يتمتع به القائد عمرو بن العاص من خصال قيادة فطرية وأمره بهذه السرية المهمة على الرغم من صغر سنة وأنه قد أسلم حديثا، وهناك حديثا عن عمر بن الخطاب عن عمرو بن العاص قال "ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرا"(١٤) ، والشئ الآخر نرى طاعة القائد الآخر الجراح في إمامة الصلاة إيمانا منه بصحة خيارات النبي محمد (ص) وضرورة الطاعة وعدم النزاع في هذه الأوقات الحرجة، وقال أن في السرية نفسها قد حدثت أمور من قائد السرية عمرو بن العاص أنكرها المسلمون وبعد العودة شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تلك المنازعات هي صلاة عمرو بن العاص بالمسلمين دون غسل أو وضوء، وعندما إستدعاه النبي محمد (ص) للسؤال قال "احتلمت ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت إن أغتسل أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال (يا عمرو أصليت بأصحابك وأنت جنب ؟) فأخبرته بالذي منعني من الإغتسال وقلت : اني سمعت الله عز وجل يقول ((لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)) (١٥) فضحك رسول الله ولم يقل شيئا فسكوته صلى الله عليه وآله يدل على الرضا، وأما وجوب

التسخين فلأن الواجب استعمال الماء مع التمكن، وهو حاصل مع التسخين وما لا يتم الواجب إلا به وكان مقدورا فهو واجب" (١٦)، هنا يتجلى دور الفطرة في القيادة والإجتهاد في إتخاذ القرار من أجل المصلحة العامة .

والصور والمشاهد تتكرر في بيان دور القائد الفطري لا المكتسب، ومنها ما نلاحظه في شخصية القائد أسامة بن زيد الذي عقد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء ضد الروم وكان صغير السن "فخرج وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين وألأنصار إلا انتدب في تلك الغزاة فيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة وقتادة بن النعمان، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا، فخرج وقد عصب رأسه عصابة، وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأمير أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه قبله وأيم الله إن كان للامارة خليقا وإن إبنه من بعده لخليق للإمارة" (١٧) جليا وواضح من كلام خطبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن هنالك أشخاص قد خلقوا قادة (خليق للإمارة) بغض النظر عن العمر أو الخبرة المكتسبة مع أهميتها، وإذا ما عقدنا مقارنة مع شخصية آخرى من الصحابة الخلص المعروفين بالجهاد والوفاء في سبيل الإسلام وإبداء كلمة الحق بوجه الظلم ألا وهو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، أراد بطلبه من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الإمارة بقوله : "يا رسول الله ألا تستعملني ؟ فقال : فضرب على منكبي ثم قال : يا أباذر أنك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذ بحقها وأدى الذي عليه فيها"(١٨)، لو تمعنا في النص أعلاه لوجدنا علامات الإستفهام الكثيرة ؟ فالصاحبي أبو ذر المعروف بحسن إسلامه ونقاء سريرته عندما أراد منصب إدارة منعه الرسول مشيرا إليه بالضعف، في الحقيقة لا ندري ماذا يقصد النبي محمد (ص) بمفردة الضعف هنا وهو الذي يقول عنه صلى الله عليه وسلم "ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر" (١٩) ولو تتبعنا سيرة الصحابي الجليل نجدها خالية من أي منصب إداري حتى ولو كان جمع الزكاة، والذي نستنتجه من طلب أبي ذر الإستعمال هو لغاية خدمة الإسلام وليس لإسم السلطة أو التسلط قطعا .

الدليل والبرهان :

أدوات تحريك الناس عديدة، منها المكافآت المادية وكتب الشكر والكلمة الطيبة والتعاون، ومن بين تلك الأدوات التي تحرك الناس هي الدليل أو البرهان، كثير من الناس لا تقتنع بالكلمة وتحتاج إلى دليل وأثبات ملموس للإقناع والقبول،، ومن بين تلك الروايات التي جسدها الرسول أثبتت فعالية هذه الأداة بضرب مثل من الواقع التي كانت الناس تعيشه في شبه الجزيرة العربية وطابع أهلها في المعيشة ومهنهم وسبل حياتهم، فقد روي "أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إن امرأتي أتت بولد أسود، فقال : هل لك من إبل ؟ فقال : نعم فقال ما ألوانها ؟ قال حمر، فقال هل فيها من أورق ؟ فقال :نعم فقال: أنى ذلك ؟ فقال: لعل أن يكون عرقا نزع،قال وكذلك هذا لعل أن يكون عرقا نزع"(٢٠). بين هنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطأه بالدليل والبرهان وأجبره على القبول والرضا بأن الوراثة لها الدور في هذه القضية التي كادت أن تكون مشكلة ضاربا مثلا من البيئة وقريبا لعقل المتلقي .

المشورة :

دون شك إن حبيبنا الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ملهم من الله سبحانه وتعالى وأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى له بترتيب أحوال الرعية، ومن الأمور التي أكد عليها الرسول محمد (ص) في إدارته للدولة العربية الإسلامية هو المشورة وعدم التفرد في القرار مع جميع أصحابه حتى ممن هم ليسوا من العرب هذا وإن دل على شئ فأنه يدل على التعاون والتشاور في المصلحة العامة وإشراك الآخر للشعور بأهميته وبأهمية العمل المشترك وإن يد الله مع يد الجماعة، والشاهد على ذلك ما حصل في معركة الخندق بعد أن ضاقت السبل بالمسلمين جاء الصحابي سلمان المحمدي بفكرة حفر الخندق قائلا "يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الجنود خندقنا على أنفسنا فهل لك أن تخندق خندقا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل المدينة وخندق وأخذ المعول بيده فضرب لكي يقتدي الناس به فضرب ضربة فأبرق برقة حتى ظهر ضوء بضربته ثم ضرب ضربة أخرى فأبرق برقة ثم ضرب الثالثة فقال سلمان لقد رأيت أمرا عجيبا لقد رأيت ذلك قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت بالأولى قصور الشام وبالثانية قصور كسرى وبالثالثة قصور اليمن فهذه فتوح يفتح الله عليكم)" (٢١)، نرى في النص السابق إن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد فتح باب النقاش مفتوح والمشاورة مقبولة ومحمولة على محمل الجد والتنفيذ، هذا فضلا عن التطبيق بيده والعمل هو أولا بيده الشريفة وهو ما قصدناه بالقدوة الحسنة والإقتداء والتي تعد من أساسات القيادة في الماضي والحاضر .

الخاتمة :

في نهاية البحث توصلنا إلى عدة نتائج أهمها:

- أثبتت الدراسة أن علم القيادة ليس حكرا على الغرب وأنه ليس بالعلم الحديث أو المستحدث، بل كان للعرب السبق فيه عموما وللإسلام على وجه الخصوص .
- القيادة الناجحة تتميز بصفات وسمات خاصة تمكنها من تغيير سلوك الإنسان والتأثير فيه .
- جعل السيرة النبوية مرجعا لإستقاء التجارب القيادية الفذة، بدلا من الرجوع إلى المصادر الأخرى والتي من الممكن أن تحوي على جوانب غير شرعية .
- تدخل في صناعة القيادة الناجحة عدة أمور منها الفطرة وأن والتعليم والتدريب الموجه .
- أكد الرسول في بعض المواقف إن للوراثة القول الفيصل في إختيار الشخص القيادي الكفوء وان القائد يولد لا يصنع .
- هناك مجموعة من الأدوات التي يعتمدها القائد في تحقيق أهدافه ومنها قوة المكافأة والمثل الأعلى أو القدوة الحسنة والدليل أو البرهان والمشورة وأخذ رأي الجماعة .

التوصيات :

حث وتشجيع طلاب العلم والباحثين على الاهتمام وعمل الأبحاث والدراسات التي من شأنها تسليط الضوء على شخصية الرسول القائد محمد صلى الله عليه وآله وسلم صانع ومحرك الأحداث، والأخذ بسيرته الشريفة وعدها منارا وسراجا نسير عليه في جميع جوانب الحياة بدلا من الإنقياد نحو الغرب، والرد على المشككين بعقل وحنكة وفطنة العربي عموما والمسلم على وجه الخصوص .

الهوامش

(١) الألباني، السلسلة الصحيحة، ج ٣ / ص ٣١٤ .

(٢) إبن منظور، لسان العرب، ج ٣ / ص ٣٧٠ .

(٣) العساف، القيادة وصفات القائد، ص ٤ .

(٤) العساف، القيادة وصفات القائد، ص ٥ .

(٥) العساف، القيادة وصفات القائد، ص ٦ .

(٦) رجب، فن ومهارات القيادة، ص ١٠ –١١ .

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١ / ص

(٨) إبن الأثير، أسد الغابة، ج ٢ /ص ٢٦٦ .

(٩) حمر النعم : خير الإبل حمرها وصهبها ومنه يقول بعضهم ما أحب ان لي بمعاريض . إبن منظور، لسان العرب، ج ٤ / ص ٢١٠ .

(١٠) الطبري، تأريخ الطبري، ج ٢ /ص ٢٨٤ .

(١١) مسلم، صحيح مسلم، ج ٨ / ص ٢٢٩ .

(١٢) الحلي، منتهى الطلب، ج ٥ / ص ٤٢٤ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣ / ص ١١ .

(١٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢ م ص ١٢٨ –١٢٩ .

(١٤) الذهبي، تأريخ الإسلام، ج ٤ / ص ٩٢ .

(١٥) سورة النساء : ٢٩

(١٦) الحلي، منتهى الطلب، ج ٣ / ص ٣٢ .

(١٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢١ / ص ٤١٠ .

(١٨) الشيخ كاشف الغطاء، النور الساطع في الفكر النافع، ج ٢ / ص ٥٣٠ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٦ / ص ٦ .

(١٩) إبن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٧ / ص ١٠٨

(٢٠) الشيخ الطوسي، ج ٥ / ص ١٢ .

(٢١) السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٤٤ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

- القرآن الكريم
- أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)
  - مسند أحمد، (بيروت – لبنان) (د– ت)
- إبن الأثير، عز الدين أبو الحسن الجزري الموصلي (ت ٦٣٠ هـ)
  - أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، (بيروت – لبنان (د – ت)
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠ هـ)
  - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من قفهها وفوائدها، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض (د–ت) .
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)
  - أشراف الأنساب، تحقيق، سهيل زكار و رياض زركلي، ط ١، (بيروت – لبنان) (د–ت)
- الحلي، الحسن بن يوسف بن علي (ت ٧٢٦ هـ)
  - منتهى المطلب في تحقيق المذهب ' ط ١، تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، (إيران – مشهد) (١٤٤١)
- إبن حجر، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢)

- الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد، ط ١، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥)

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)
  - تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، (بيروت – ١٤٠٧ هـ)
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠)
  - الطبقات الكبرى، بيروت .
- السمرقندي، أبو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣ هـ)
  - تفسير السمرقندي، تحقيق محمد مطرجي، دار الفكر (بيروت)
- الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)
  - تأريخ الطبري، تحقيق نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان)
- الشيخ الطبرسي، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)
  - الخلاف، تحقيق السيد علي الخراساني وآخرون، ط ٢، (د – م) (١٤٢٠).
- كاشف الغطاء، علي كاشف الغطاء (ت ١٢٥٣ هـ)
  - النور الساطع في الفقه النافع، (مطبعة الآداب – النجف – ١٣٨٤ هـ)
- المجلسي، أبو عبد الله محمد باقر (ت ١١١١ هـ)
  - بحار الأنوار، تحقيق محمد الباقر البهبودي وعبد الرحيم السرياني، (بيروت – ١٩٨٣) .
- أبن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ)
  - لسان العرب، (د– م / د–ت)

ثانيا / المراجع

- رجب، علا عبد الفتاح
  - فن ومهارات القيادة، ط ١، ٢٠١٣ .
- العساف أحمد بن عبد المحسن
  - مهارات القيادة وصفات القائد، الجمعية الأقليمية لفتيان الكشافة، (القاهرة – ٢٠١٩) .

أساليب معاوية بن أبي سفيان في تجهيل المجتمع الشامي

The methods of Muawiyah bin Abi Sufyan in the ignorance of the Levantine community

م.د اركان حميد زياد

مديرية تربية محافظة ذي قار

Abstract .

The research sheds light on a systematic social phenomenon through which the Umayyad authority, represented by the person of Muawiyah bin Abi Sufyan, aimed through various methods to ignore the Levantine society in order to control it. The fabricated, and the policy of deceit and deceit, and his encouragement of the storytellers had a great style in this regard, add to that the benefit that was obtained from his encouragement of the principles of the Murji'ah and Al-Jabari sects, which supported his political system and justified all his mistakes that he committed.

الملخص:

تناولت هذه الدراسة ظاهرة اجتماعية خطيرة هدفت من خلالها السلطة الاموية متمثلة بشخص معاوية بن ابي سفيان عبر اساليب مختلفة الى تجهيل المجتمع الشامي بغية السيطرة عليه، وكانت اولى تلك الاساليب عزل الشام فكرياً عن محيطه الاسلامي، واسقاط الرمزية الاسلامية، ونشر الحديث المختلق، وسياسة المكر والخديعة، وتشجيع اهل القصص فضلاً عن المنفعة التي تحصلت من تشجيعه لمبادئ فرقتي المرجئة والجبرية اللتين دعمتا نظامه السياسي وبررتا كل اخطائه التي ارتكبها.

كلمات مفتاحية: **(تجهيل المجتمع، الامويون، العزل الفكري، الحديث المختلق، التضليل الفكري، سياسة المكر)**

المقدمة:

بدأت احلام الامويين تلوح الافق بتملك السلطة مع تولي عثمان بن عفان الخلافة الاسلامية فقد مهد الرجل الطريق لعودة رجال هذه العائلة للسلطة والوجاهة من جديد فقد قربهم واصطفى لهم من الاقطاعات احسنها بعد ان كانوا بين طريد وطليق، وقد استمرت المنافع المتحصلة من هذا الرجل حتى بعد وفاته فقميص الخليفة المقتول الملطخ بالدم كان ذريعة سياسية لتحقيق مطامعهم في تسنم منصب الخلافة وتطلب هذا ان يتعامل معاوية بن ابي سفيان بدهاء منقطع النظير في التعاطي مع المجتمع الشامي لأحكام سيطرته على البلاد.

بدأت سياسة تجهيل المجتمع والتضليل الفكري لأهل الشام موازية مع تسلم هذا الرجل زمام الامر فقد كان معتقدا تماما بوثاقة العلاقة بين بقائه خليفة للمسلمين ووجود طبقة اجتماعية جاهلة يتحكم بها ويسيرها كيف يشاء وقد استخدم في منهجه هذا اساليب عدة لتحقيق المراد وبلوغ الغاية، ولربما كان الدين الغطاء الذي تخفى ورائه، فالتجارة في الدين هي السائغة في المجتمعات التي يسود فيها الجهل، وسندرس تلك الاساليب على النحو الاتي بعد ان نبين معنى الجهل في اللغة والاصلاح:

الجهل والتجهيل في اللغة والاصطلاح:

يعرف الجهل في اللغة بانه "نقيض العلم" تقول جهل فلان حق فلان، وجهل فلان علي وجهل بهذا الامر قال: الجهالة ان يفعل فعلا بغير علم[١]. والتجهيل او الاستجهال هو: "الحمل على الجهل"[٢]

ونسبته الى ذلك[٣]، اما اصطلاحا فقد عرفه شريعتي بمعنى قريب من مصطلح التجهيل بأنه: "تزييف ذهن الانسان ونباهته وشعوره وتغيير مسيره عن النباهة الانسانية والنباهة الاجتماعية[٤]، فسياسة التجهيل هي: فن اعاقة الفكر من خلال بث المعلومات المغلوطة التي تشوش العقل وتربكه عن الوصول للحقيقة الصحيحة فالتجهيل ليس نقيضا للعلم بل هو تدني مستوى وعي الفرد الفكري فالمعرفة حصن الانسان وسلاحه كما قال الامام الصادق(عليه السلام) " الجهل ذل والفهم مجد .....والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس"[٥]

اولا: العزل الفكري لمجتمع الشام:

من البديهي لكل ذي عقل ودراية ان وسائل المعرفة الانسانية ورفع المستوى الفكري لدى افراد المجمع يتم عبر قنوات مختلفة سيما اذا كانت مصادرها صادقة ودقيقة في تناقل تلك الاحداث والمعلومات والعقل الواعي هو من يحلل ويفكك تلك الاخبار حسب المستوى المعرفي لدى الفرد.

ان الاطلاع على ثقافات الامم الاخرى يكسب الفرد افقا واسعا في التفكير الحر، وقد نحى بعض علماء المسلمين ورواة الاحاديث هذا المنحى اذ اخذ بعض منهم على عاتقه جمع الحديث الشريف او لقاء احد الصحابة او التابعين وقد يتطلب الامر ان يشد طالب العلم الرحال اياماً وليالي في تحقيق غايته هذه وكان لرحلة العلماء المتبادلة بين الامصار الاسلامية في القرون الاسلامية الاولى دور كبير في انتعاش الثقافة الاسلامية ورفدها بمقومات الفكر والمعرفة في الفنون والمعارف، على ان الامر اختلف في ارض الشام، فالضرورة السياسية وتغليب المصالح تطلبت نمطا من التعامل تجاه المجتمع كي لا يعي ما يدور حوله وبالتالي خلق كتلة بشرية غير قادرة على التفكير مما يسهل انقيادهم واخضاعهم، فليس للفرد الشامي الا السمع والطاعة لأميرهم، وهذا ما نقله لنا ابن ابي الحديد عند نقل قصة زيارة خفاف بن عبدالله الى ابن عمه حابس الطائي في الشام وكان صاحب وجاهة ولسان وشعر فقصد حابس بأبن عمه الى مجلس معاوية ودخلا عليه فقال: ان هذا ابن عمي قدم من الكوفة، وكان ممن شهد عثمان بن عفان في المدينة، فطلب منه الحديث عن عثمان، وبدأ خفاف بذكر بعض الحقائق التي تشير الى احقية الامام علي (عليه السلام) وفضله حين ذلك شعر معاوية بحراجة الموقف من الحاضرين فالتفت الى حابس فقال له: "يا حابس إني لأظن هذا عينا لعلي أخرجه عنك لئلا يفسد علينا أهل الشام"[٦]، وهكذا اقتضت المصالح السياسية للأمويين اخضاع الشام للهيمنة الفكرية فمنذ تسنم معاوية بن ابي سفيان مقاليد الامور في الشام وهو يحرص على عزلها عن سائر البلاد الاسلامية مستخدما في ذلك سياسة صارمة في تربية المجتمع الشامي تناقلته كتب التاريخ، فالمؤرخ الطبري روى لنا تفاصيل دقيقة دارت بين معاوية بن ابي سفيان وولي عهده تتعلق برؤية الاول في احكام قبضته الفكرية للشاميين فالوصية نصت على هذا المعنى فينقل المؤرخ: "وأنظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شَيْء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فأردد أهل الشام إِلَى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم"[٧].

ان البيئة المغلقة تنتج مجتمعا متطرفا في افكاره، وهذا ما يؤدي الى زرع بذور الشك نحو افكار المجتمعات الاخرى، وبالتالي يرفض هذا المجتمع كل ما يأتيه من الخارج من افكار وآراء، وهذا بدوره ما يسهل اقناعهم بأي فكر ومعتقد[٨]

ثانياً: اسقاط الرمزية الاسلامية المقدسة:

بعد ان نجحت سياسة العزل الفكري للشام اصبحت الارضية مهيأة لتلقي الافكار المغلوطة التي هدفت الى اسقاط الاسوة الحسنة المتمثلة في شخص امير المؤمنين (عليه السلام) في نظر الناس، ذلك ان الامام (عليه السلام) بما يمتلك من قدسية واحترام وقرب من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وصاحب الحق في خلافته بنص القران الكريم، فكان الامام (عليه السلام) المنافس الوحيد الذي كدر صفو معاوية وبدأ فعلا في رسم سياسة مضللة هدفها التشكيك بمنزلة الامام(عليه السلام) وتسقيطها بنظر المجتمع الشامي وقد اعتمد في تنفيذ هذا المخطط على سذاجة الناس والحيل والخداع التي مارسها بدهاء منقطع النظير.

كانت اول خطواته هي اتهام الامام بقتل عثمان بن عفان وتزعمه المطالبة بدم الخليفة المقتول فكان ذلك يتم بمشهد مؤثر يعده هو ورفيقه عمرو بن العاص لشحذ همم الرجال واستدرار عواطفهم وتعبئتهم ضد الامام علي (عليه السلام) فينقل لنا ابن خلدون ان الشاميين لما ورد عليهم النعمان بن بشير بقميص الخليفة المقتول علقه معاوية على المنبر واستمر الناس بالبكاء عليه اياما حتى اقسم بعضا منهم الا يغتسل حتى يأخذوا بثأر الخليفة وكان كلما احس من الناس فتورا في هذا الامر علق القميص من جديد فيقول له عمرو مقولته الشهيرة "حرك لها حوارها تحن فيعلقها"[٩]

لم يكن العقل الشامي مهيأ للتفكير ولا حتى التساؤل عن مكانة الامام علي (عليه السلام) فحجم التضليل الفكري وقنوات معاوية المتنوعة في هذا المجال كفيلة بقناعة الناس ان الامام هو المتسبب بقتل الخليفة كيف لا وقد اقنع الناس ان الامام لا يصلي وقد كان يردد ذلك علنا في خطبه بقوله: "اللهم ابا تراب الحد في دينك وصد عن سبيلك فالعنه لعنا وبيلا وعذبه عذابا اليما"[١٠]، ولم يقف الحال عند ذلك بل ان بعض العامة من اهل الشام كان لا يعرف من هذا الذي يسب ويشتم على منابر المسلمين، ولماذا يلعن اصلا، وقد عبر المسعودي عن ذلك برواية نقلها لنا تبين حجم التجهيل الفكري ووضاعة العقل فذكر المؤرخ ان رجلا من اهل الفهم والمعرفة سئل: "من ابو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر؟ قال: اراه لصا من لصوص الفتن"[١١].

وبصراحة فالقلب يعتصر آلماً لما جرى في تلك الحقبة التاريخية من ممارسات دنيئة ضد رموز الاسلام وعقائده المقدسة، فلم يمضي على وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الا سنين معدودة والاسلام غضا طريا حتى تراجعت الامة القهقري، والحال ان بعض الصحابة كان حاضرا وشاهدا على كل تلك الاحداث وما نص عليه القران الكريم والحديث الشريف في حق امير المؤمنين(عليه السلام) الا ان المصالح والمطامع وحب الزعامة كانت ولا زالت عاملا مهما في تقويض كل المشاريع الرسالية التي اتى بها المصلحون على مر التاريخ، وبنجاح تلك السياسة المضللة في اسقاط الرمزية المقدسة فقد قابلها بسياسة تعتمد على اصطناع الحديث المختلق ـ والتي سنتكلم عنها لاحقا بشيء من التفصيل ـ عن طريق فريق متخصص من الرواة المأجورين في سبيل رفع منزلته امام الناس، فقد شجع طائفة من اولئك بإيراد احاديث في فضل معاوية ومما ورد في هذا الشأن تلفيقا على رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) انه قال: " معاوية بن أبي سفيان احلم أمتي واجودها "[١٢] وقال ايضا" اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به"[١٣]

وقال: " اللهم علمه – يعني معاوية – الكتاب وقه العذاب"[١٤]. قال:" اذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فانه امين مأمون"[١٥] وغيرها من الاحاديث المزيفة التي تناقلها الرواة الموالون له .

ثالثا: نشر الحديث المختلق:

يؤكد الواقع التاريخي ان للحديث النبوي الشريف مكانة مقدسة في نفوس المسلمين كونه يتصل بشخص النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فيكون قوله وفعله فصلا يرجع اليه في القضايا الدينية والدنيوية التي اختلف فيها المسلمون آنذاك، ولعل ذلك ما لفت انتباه كبير البيت الاموي في ضرورة توظيف الحديث الشريف في تدعيم اركان ملكه وسلطانه، فلربما استطاع من خلاله تمرير الكثير من مخططاته فأقناع الناس بأمر ما يتطلب غطاء دينيا وهذا لا يتحقق الا من خلال تزوير الحديث النبوي الشريف، لذلك فقد شكل معاوية بن ابي سفيان فريقا مهما من الرواة المخلصين لسياسته وظيفتهم اصطناع الاحاديث المزورة التي تساهم في التضليل الاعلامي على عامة الناس وزيادة القناعة في مخططاته التي كان يرمي لتحقيقها، فيذكر ابن ابي الحديد ان الاخير قد " وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السّلام) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه منهم ؛ أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير"[١٦]، ومما يذكر في هذا الصدد ان معاوية بن ابي سفيان قد استمال سمرة بن جندب ووعده بأربع مائة الف على أن يرتقي خطيبا على منابر الشاميين، ويروي لهم ان قول الله عز وجل: " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد"[١٧] قد نزلت في حق الامام علي(عليه السلام) فروى ذلك وتسلم جائزته[١٨].

وفي موازاة هذا النهج المضلل للرأي العام كتب الى عماله على الامصار الاسلامية بضرورة محو فضائل الامام علي (عليه السلام) " أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته . فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته"[١٩]، "ولا يستبعد من ان داهية مثل معاوية بن ابي سفيان استطاع اقناع الشاميين انهم بهذا العمل يزدادون اجرا وقربا من الله فمن الغريب ان يجمع المسلم المؤمن بين طاعة الله ورسوله ولعن خليفته"[٢٠] وقد اصبحت فريضة اللعن التي ابتدعها معاوية سنة بين عموم المسلمين فيتعلمها الصغير ويهرم عليها الشيخ الكبير[٢١]، وفي قبال هذا الخلط الفكري وتصديره لعامة الناس امر معاوية بتدوين الحديث في فضائل عثمان بن عفان فبعث الى ولاته: " أن انظروا مَنْ قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه، والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم، وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته"[٢٢].فأخذت الاقلام المأجورة بتدوين الحديث تقربا للأمويين ونيل الجوائز حتى خرج الامر عن حده فأمر معاوية بالتوقف عن ذلك "ثمّ كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثُر، وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة ؛ فإنّ هذا أحبّ إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته"[٢٣].

ويؤكد الواقع التاريخي ان الامويين يتحملون الوزر الاعظم من الكم الروائي المزيف الذي تغلغل بين ثنايا مصنفاتنا الاسلامية فقد نقل ابن ابي الحديد هذا المعن بقوله : « إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أُميّة ؛ تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم"[٢٤]

لقد كان الحديث المختلق اداة هامة استطاع معاوية من خلالها العبث في عقول المجتمع الشامي واقناعهم بأحقيته في تولي شؤون الامة الاسلامية فأطاعه العامة والخاصة حتى ايقن اهل الشام ان لا قرابة لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سوى ببني امية جاء ذلك على لسان الوفد الذي التقى بابي العباس السفاح بعد تملك العباسيين للسلطة "فحلفوا بانهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا اهل بيت يرثونه غير بني امية حتى وليتم الخلافة"[٢٥].

رابعا: المكر والتضليل العقلي:

وصف المجتمع الشامي بانه مجتمع متدني نسبيا من ناحية الفكر والوعي، وهذا ناتج في الحقيقة من سياسة التجهيل المتعمدة التي مارستها الانظمة السياسية التي حكمت الشام من اجل احكام سيطرتها على هذا الاقليم المهم من جسد الدولة الاسلامية، فمما هو معروف ان المجتمع الجاهل سهل الانقياد واطوع للسلطان عن غيره من المجتمعات الواعية، ولعل هذا الوصف قد ورد في التراث الاسلامي، فأبن ابي الحديد عندما يتحدث عن طبيعة الشعوب الاسلامية يصف المجتمع الشامي بقوله:" وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأى واحد، لا يرون النظر، ولا يسألون عن مغيب الاحوال"[٢٦]

لقد كان لدهاء معاوية ومكره الاثر الكبير في تدجين عقول الناس وتسطيحها حتى باتت كالأوعية الجوفاء تقبل كل الافكار التي يمليها عليهم سيدهم وكان لحركة القصاص ـ والتي سنبينها لاحقا ـ التي انتشرت في الشام بدعم وتشجيع من معاوية دور كبير في تدني مستوى وعي الفرد الشامي، فترى الناس مقبلة بشغف لما يقوله القاص وكأن ذلك بديلا عن العلماء والوعاظ الذين يتكلمون بالعلوم الاسلامية كالتفسير والفلسفة والمنطق وعلوم الحديث التي ترفع من وعي الانسان وتبصره في امور دينه.

تناقلت لنا كتب التراث الاسلامي جانبا من تلك الحيل وممارسات التضليل التي اتبعها معاوية مع اهل الشام فقد ورد ان يزيد بن معاوية كان حاضرا ففي بيعة ابيه فقال له: " يا امير المؤمنين ما ندري انخدع الناس ام يخدعوننا" فرد عليه: " كل من اردت خديعته فتخادع له حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته"[٢٧]، ومن جملة اساليب معاوية التضليلية ان كان يقول لأهل الشام ان ابا لهب الذي ورد ذكره في القران هو عم الامام علي (عليه السلام) فيعج الشاميون لذلك باللعن والسب للإمام علي (عليه السلام)[٢٨]. ومما نقل ايضا في هذا المجال ان معاوية عندما ارسل الامام علي (عليه السلام) مالك الاشتر واليا على مصر فقد قتله بالسم اثناء توجهه الى مصر بواسطة احد رجاله فكان معاوية يخاطب الشاميون بقوله ان عليا قد بعث عليكم مالكا فتضرعوا ال الله تعالى واسألوه ان يكفيكم امره،" فكان اهل الشام يدعون عليه في كل صلاة، ولما اخبر بموته انبا اهل الشام بان موته نتج عن دعائهم لانهم حزب الله"[٢٩]، ومن فنون الخداع التي مارسها معاوية مع اهل الشام عند مراسلته لقيس بن سعد ودعوته بالانضمام الى جانبه فما كان من قيس الا ان رد معاوية ردا قاسيا فتظاهر معاوية عكس ذلك وابلغ اهل

الشام ان قيس قد بايع وزور كتابا ادعى انه من قيس قرأه على اهل الشام يظهر فيه الاخير الطاعة والاستعداد لقتال الامام علي (عليه السلام) ثأرا للخليفة المقتول[٣٠]، على ان تلك السياسة التي اعتمدها معاوية ان خلق له جبهة متماسكة مطيعة لا تعصي له امرا في سلم ولا حرب، وما قصة الرجل العراقي الذي طالب بناقته في الشام الا دليلا واضحا على هذا القول وهي رسالة قد بعثها معاوية للإمام علي (عليه السلام) باني احاربك بقوم لا يميزون بين الناقة والجمل[٣١]

لقد بلغ الحال بأهل الشام ومدى تأثير الرجل وهيمنته على عقولهم ان صلى بهم اثناء مسيره لقتال الامام (عليه السلام) في صفين صلاة الجمعة في يوم الاربعاء[٣٢] ولم يكن لأحد منهم ان يرد جوابا فالأمر امر الامير وعلى الرعية السمع والطاعة.

خامسا: تشجيع مجالس القصاص:

تعرف القصص بانها: "فن مخاطبة العامة ووعظهم بالاعتماد على القصة" وهي ان جانبت الكذب سلاح نافع لخدمة الدين والمعتقد[٣٣]، والقصاص هم الذين يتبعون القصص الماضية بالبحث والتكلم والحكاية وشرحها، وهي في واقعها رواية اخبار من مضى وهي ممدوحة لذاتها لما فيها من العبرة والعظة[٣٤].وذكر السبكي ان القاص "هو من يجلس في الطرقات يذكر شيئا من الآيات والاحاديث واخبار السلف"[٣٥]، وقد تباينت الاخبار في ذكر اول من قص فقيل ان تميم الداري هو اول من استأذن عمر بن الخطاب للجلوس للقصص ووعظ الناس فمنعه في بادئ الامر ثم أذن له بعد ان اشترط عليه امورا وموضوعات محددة[٣٦] في حين يذكر ابن سعد ان عبد الله بن عمير هو اول من قص[٣٧].

وكان للخلفاء والعلماء المسلمين موقفا مناهضا لتلك المجالس فمما يذكر عن الامام علي (عليه السلام) انه أمر القصاص بتعلم العلوم والاحكام الدينية والا فهم هالكون ومهلكون[٣٨]ويروى عن احد صحابة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) انه كان يقول: أن ظهور القصاص كان هو السبب في ترك الناس لسنة نبيهم، وقطع أرحامهم[٣٩]، ويذكر ابن حنبل ان اكذب الناس هم اهل القصص[٤٠].

وقد كان بعض القصاص لا يملكون أي مؤهل علمي او دراية ومعرفة بأحكام الشريعة، بل ان بعضهم كان من المغفلين الحمقى كما نقل ابن الجوزي عن سلوك بعض القصاص[٤١] وقد كان لهؤلاء روايات واحاديث وحركات غريبة لم تألفها مجالس الوعظ عجت بها مصنفاتنا الاسلامية[٤٢]، وعلى اثر ذلك ولموقف السلف من الخلفاء فقد كانت حلقات القصص مبعثرة يشوبها عدم التنظيم حتى حل العصر الاموي وتحديدا بمجيء معاوية بن ابي سفيان حتى اصبح مجالس القصاصين اشبه بوظيفة يتم تعيين القاص من الحكومة مباشرة فمما ينقل ان معاوية جعل تلك القصص على ضربين: عام وخاص فقصص العامة هي ما اجتمعت العامة من الناس على القاص، واما الخاصة فقد قيل ان معاوية اوكل ذلك الى رجل "فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة"[٤٣].

لقد كان لأولئك القصاص دورا كبيرا في تسفيه العقول جراء الروايات المنكرة والقصص المثيرة التي يتناقلونها بين الناس حتى اصبح لهم شأن كبير بين العامة فقد ذكر الصنعاني ان "الجلوس للقصاص فيه استخفاف للعقل وذهاب المروءة"[٤٤].

لقد بلغ احترام العامة للقصاص مبلغا ان جعلوهم بمصاف العلماء والفقهاء واصبحت لهم مكانة اجتماعية مرموقة فهم كما ذكر ابن قتيبة يجتذبون قلوب الناس اليهم بما يطروه من الاحاديث المنكرة والغريبة التي ترغب الناس(٤٥)، ومن طريف ما نقله البغدادي قوله "ارادت ام ابي حنيفة ان تستفتي في شيء فأفتاها ابو حنيفة فلم تقبل، فقالت: لا اقبل الا ما يقول زرعة القاص، فجاء بها ابو حنيفة الى زرعة فقال: هذه امي تستفتيك في كذا وكذا فقال: انت اعلم مني وافقه، فأفتها انت قال ابو حنيفة قد افتيتها بكذا وكذا فقال زرعة القول كما قال ابو حنيفة فرضيت وانصرفت"(٤٦)، وقد ذهب بعض العامة ابعد من ذلك الى درجة ان الشعبي انكر بعضا مما قاله احد القصاص في الشام من احاديث منكرة فما كان من العامة الا ان تجمعوا عليه وابرحوه ضربا حتى اذعن مضطرا لمقالة ذلك الشيخ القاص(٤٧)، ولأجل ذلك فقد تنبه معاوية بن ابي سفيان الى تلك المكانة الاجتماعية التي يكنها الناس في نفوسهم للقصاصين فشجعهم وقربهم الى بلاطه وحثهم على رواية الاحاديث والاخبار الملفقة فنشروا احاديثا لا صلة لها بسنة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) واخرى تتميز بمحتوى سيء يعطل الفكر ويصده عن غاياته التي اعدّ الله سبحانه وتعالى الانسان لها، وعلى ذلك فقد تحولت القصص من فن له اهداف سامية وغايات نبيلة تنفع المجتمع وتحمل معاني النصح والارشاد الديني الى مجرد مجالس بطالين لاضحاك الناس وتسليتهم(٤٨).

لقد وظف معاوية اولئك القصاص لصالحه في مواجهة خصومة فقد ذكر المؤرخون ان الاخير كان يأتي بكوكبة من القصاص اثناء حربة مع الامام الحسن (عليه السلام) كان عملهم القصص على الجيش ووعظهم وشد قلوب الشاميين عند كل صلاة(٤٩).

لقد بلغ المجتمع مبلغا من الانحطاط الفكري حيث صدق العامة بكل ما يطرحه القصاص من روايات منكرة ولعل الرواية الي نقلها لنا ابن الجوزي تبين لنا الاثر المتدني الذي خلفته تلك المجالس على المجتمع الشامي وبين ايضا مقدار التجهيل المتعمد الذي مورس ضد افراده، فيذكر المؤرخ ان العتابي وهو احد القصاص الشعراء يأكل خبزا في احد طرق الشام فانكروا عليه ما يفعل، فقال لمنكري هذا الفعل: ارأيت ان كنا في دار فيه بقر اكنت مستحيا من ان تأكل امامهم، فقال: لا فقال: هؤلاء الناس بقر فقال: كيف هذا، فقال له: انظر واسمع، فقام فوعظ وقص حتى كثر الناس وتجمعوا فقال لهم: روي بطرق مختلفة ان من بلغ لسانه اعلى انفه لم يدخل النار، فما بقي احد الا واخرج لسانه حتى يبلغه اعلى انفه فقال: الم اخبركم انهم بقر(٥٠)، وهكذا لو كان المجتمع يتمتع بنسبة معينة من الوعي لما تجرأ هؤلاء القصاص في العبث بعقول الناس الى هذا الحد فصناع الجهل استطاعوا ان يتلاعبوا بأذهان الناس والسيطرة على مشاعرهم وتجييرها لصالح النظام السياسي القائم الذي يرمي من ذلك تحقيق المصالح والمطامع ومحاربة الخصوم، فغاب الوعي الاجتماعي الذي كان عليه المسلمون الاوائل زمن النبي والخلفاء الاوائل، يقول شريعتي: ان المسلمين حينما شاهدوا ثوب الخليفة عمر بن الخطاب من الغنائم اطول من ثيابهم انكروا عليه ذلك وعلت اصواتهم بالمعارضة والمطالبة بتقسيم الغنائم بالمساواة(٥١)

سادسا: القول بالجبر والارجاء:

بعد رحيل الرسول الخاتم (صلى الله عليه واله وسلم) وما تبع وفاته من اصطفافات سياسية وصراعات السلطة والغلبة برزت لنا فرقا دينية معتمدة على اجتهادات بشرية مستندة في ذلك على

تأويلات وتفسيرات خطيرة اظهرت لنا اراء عقدية تتعلق بالقضاء والقدر وارادة الانسان وغيرها من المسائل التي ارهقت عقول المسلمين آنذاك، والذي يهمنا من هذا الموضوع هو مقدار المنفعة المتحصلة للنظام السياسي الاموي وكيف وظف الامويين تلك الآراء الدينية التي نادى بها اصحاب الفرق في الهيمنة الفكرية على عقول الناس، والقصد هنا يتركز على فرقتي الجبر والمرجئة ومدى الخدمة الجليلة التي قدمتها اراءهما الدينية لإنقاذهم من الاشكاليات المتعلقة باغتصابهم كرسي الخلافة وتبرير افعالهم الظالمة والمعاصي التي يرتكبونها.

تؤكد الجبرية في عقيدتها على "نفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته الى الرب تعالى"[٥٢]وهي بذلك ترى ان الانسان مجبر في افعاله، وان ارتكابه المعاصي والذنوب هي ليست بمحض ارادته واختياره، فالرب يسيره كيف شاء ولا يحمل وزر خطاياه.

"لقد احتاج الأُمويّون، منذ البداية، إلى تسويغ سياستهم الجائرة وركوبهم المعاصي، فسلكوا إلى ذلك طريقاً هو أقبح من معاصيهم كلّها، ذلك حين ذهبوا إلى تأويل بعض آي القرآن الكريم بما يفيد الجبر والتسيير، ليقولوا للناس إنّ ما صنعناه إنّما هو من قضاء اللّه تعالى وقدره، وليس من أيدينا، بل حتّى مناصبهم هذه فهي من اللّه تعالى فهو الذي جاء بهم إلى الملك وملّكهم، لأنّه تعالى مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء!! هكذا ليكونوا أبرياء من كلّ ما ارتكبوه في طريقهم إلى انتزاع الملك! وليكونوا مخوّلين في كلّ ما يصنعون بعد ذلك"[٥٣]، وهكذا اصبح التفكير بواقع الامة السيء ومسالة الامويين عن كل ما يصدر منهم ومن ولاتهم من المظالم للعباد ماهي الا امورا قدرها الله على عباده وقد دعموا تلك الافكار باحاديث مزيفة عجت بها اللسن الوعاظ المأجورين لخدمة السياسة الاموية فقد ورد كما يزعمون عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قوله: من رأى من اميره شيئا يكره فليصبر عليه فانه من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية"[٥٤].

قدمت الجبرية خدمات جليلة للأمويين فقد اجابت عن كثير من الاسئلة التي طالما عجز الامويين عن الاجابة عنها والتي تعلق بطبيعة السياسة الدموية التي يرتكبها ولاتهم المتعسفين فالسلطان هو خليفة الله الذي يسوس الناس برعايته وتوفيقه، وحاول الامويون بدعم تلك العقائد المنحرفة وتشجيعها بهدف تضليل الناس واقناع الفرد الشامي انهم مأمورون مسيرون لطاعة امرائهم وهي بهذا الفهم تقيد الفكر وتقتل وعي الانسان للمطالبة بحقوقه التي شرعها الله تعالى، فسياسة التجهيل الاموي تحول دون ذلك فقد اذاعوا بين الناس ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سئل ذات يوم: "يا نبيّ الله أرأيتَ إن قامتْ علينا أُمراءُ يسألونَا حقهُم ويمنعونَا حقنا فَما تَأْمُرُنَا؟ فأعْرَضَ عنْه، ثُمَّ سَأَلَهُ، فأعْرَضَ عنْه، ثُمَّ سَأَلَهُ في الثَّانِيَةِ، أَوْ في الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ، وَقالَ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فإنَّما عليهم ما حُمِّلُوا، وَعلَيْكُم ما حُمِّلْتُمْ"[٥٥]، وبمجيء المرجئة فقد تكاملت المنظومة الفكرية الداعمة للسياسة الاموية، اذ بررت المرجئة اعمالا اجرامية كبيرة للبيت الاموي حتى انهم افتوا بأيمان قتلة الامام الحسين (عليه السلام) وانهم من اهل الخير والجنة ولا يؤاخذهم الله بفعلهم الشنيع هذا[٥٦].

اكدت المرجئة كفرقة اسلامية ان ايمان الفرد المسلم لا يضر معه معصية كما ان الكفر لا يفيد معه الايمان، " وسمو مرجئة لاعتقادهم ان الله ارجأ تعذيبهم على المعاصي: أي اخر عنهم"[٥٧].

لقد بانت معالم تلك العقائد المنحرفة على لسان معاوية بن ابي سفيان وولاته على الامصار الاسلامية، فقد روي ان الانصار تقدموا لمعاوية بقولهم ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد انبأهم انكم ستلقون من بعدي اثرة. فقال لهم: فبما اوصاكم؟ قال: "فاصبروا حتى تردوا على الحوض"، فقال مستهزئا: فافعلوا ما امركم به عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما اخبركم"[٥٨]، وفي السياق ذاته نقل لنا السيد ابن طاووس ما يتوافق مع المعنى اعلاه، فقد روى "انَّ ابْنَ زِيَادٍ جَلَسَ فِي الْقَصْرِ لِلنَّاسِ وَ أَذِنَ إِذْناً عَامّاً، وَ جِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَ أُدْخِلَ نِسَاءُ الْحُسَيْنِ وَ صِبْيَانُهُ إِلَيْهِ، فَجَلَسَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ (عليه السلام) مُتَنَكِّرَةً .فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ : هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ .فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَ أَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ !فَقَالَتْ : إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ، ويَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا . فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ : كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِأَخِيكِ وَ أَهْلِ بَيْتِكِ؟"[٥٩].فإذا بالحوراء تبين العقيدة الحقة حتى تبين ما لتبس على الناس بقولها:" مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَ سَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وَ تُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلْجُ يَوْمَئِذٍ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ"[٦٠].

ويكمل ابن زياد بترسيخ مبادئ عقيدة الجبرية الفاسدة بقوله: من هذا؟ ويشير للإمام زين العابدين، فقالو له انه علي بن الحسين. فقال: اليس قد قتل الله عليا؟ وهو يحاول ايهام الناس واقناعهم بان ما جرى في كربلاء هو من صنع الله وليس من صنع وتدبير الامويين الذين عاثوا في دماء المسلمين واموالهم.

لم يقف الامام زين العابدين (عليه السلام) صامتا امام هذا الخلط الفكري لعقول الناس وبين زيف دعوى ابن زياد بقوله: بل قتله الناس وتلى قول تعالى:" اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا"[٦١].

لقد كان ديدن الائمة (عليهم السلام) التصدي لكل الحركات والفرق المنحرفة والعمل على هداية الناس وبيان ما لتبس على عقولهم ونشر العلوم والمعارف التي تؤسس لوعي اجتماعي يحصن المجتمع تجاه المد الفاسد الذي يثار بين الفينة والاخرى فالأمام علي(عليه السلام) يقول: "وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على معالم الحلال والحرام...فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل اليه الفكر"[٦٢].

الخاتمة:

ادت سياسة التجهيل الفكري التي اتبعها معاوية بن ابي سفيان تجاه المجتمع الشامي الى اثار اجتماعية خطيرة نوجزها بالاتي:

١. نجح معاوية بن ابي سفيان نجاحا منقع النظير في احكام سيطرته على الشام اولا وعلى المحيط الاسلامي ثانيا، واستطاع بدهائه من التلاعب بمشاعر الشاميين وافكارهم، الامر الذي مكنه التحكم بها كيف شاء .
٢. اثرت تلك الاساليب في العبث في الموروث الروائي الاسلامي، فقد تطلب الامر اصطناع بعض الاحاديث في فضل الصحابة وفضل معاوية بن ابي سفيان واخرى في الانتقاص وتشويه شخصية امير المؤمنين(عليه السلام) واهل بيته، ما ادى الى خلط فكري وعقائدي واضح على

عقول المسلمين، وهذا هو في الواقع غاية ما يطمح له هذا الرجل.

٣. لقد كان لحركة القصاص اثرا مهما في حركة التاريخ الاسلامي؛ فهؤلاء الرجال بدوافع الكسب والشهرة والوجاهة عند السلطة مع ضعف المستوى العلمي والمعرفي ان طرحوا محتوى سيء اثر على وعي الناس ومستوى تفكيرهم وقد فصلت بعض المصادر في هذا الجانب والتي اشرنا لبعضها سابقا.

٤. تحققت منفعة متبادلة بين السلطة الأموية وبعض الفرق الدينية سيما فرقتي الجبرية والمرجئة، فالتوافق فالأمويين من خلال تلك العقائد اكتسبوا غطاء شرعيا لتبرير اخطائهم واغتصابهم الخلافة، اما تلك الفرق فتمكنت من ايجاد نوع من الحماية السياسية راعية لأهدافهم المنحرفة تلك.

الهوامش

(١) الازهري، تهذيب اللغة، ٣٧/٦ .

(٢) المصدر نفسه، ٣٧/٦-٣٨ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٢٩/١١ .

(٤) النباهة والاستحمار، ٤٤ .

(٥) الكليني، الكافي، ٢٧/١ .

(٦) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ١١٢/٣ .

(٧) الطبري، تاريخ الطبري، ٣٢٣/٥ .

(٨) سينشتاين، الطريق الى التطرف، ١٥ .

(٩) ابن الاثير ، الكامل ، ٥٥٥/٢ .

(١٠) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ٥٦/٤ .

(١١) مروج الذهب، ٣٦٢/١ .

(١٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٨ / ١٢١ .

(١٣) المصدر نفسه، ١٢٩/٨ .

(١٤) المصدر نفسه ،١٢٩/٨ .

(١٥) الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد، ٧٢/٢ .

(١٦) شرح النهج، ٦٣/٤ .

(١٧) سورة البقرة، الآية ٢٠٤-٢٠٥ .

(١٨) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ٧٣/٤ .

(١٩) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ٤٤/١١ ؛ العلامة المجلسي، بحار الانوار، ١٩١/٣٣ ؛الذهبي، تاريخ الاسلام، ١١٦/٤ .

(٢٠) العجمي، التطرف الديني، ٢٩ .

(٢١) المسعودي، مروج الذهب، ٣٦٢/١ .

(٢٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ٤٤/١١ .

(٢٣) المصدر نفسه، ٤٥/١١ .

(٢٤) المصدر نفسه، ٤٦/١١ .

(٢٥) المسعودي، مروج الذهب، ٣٦٢/١ .

(٢٦) شرح النهج، ٣٤٣/١ .

(٢٧) المبرد، الكامل ،٨٣/٢ .

(٢٨) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ١٧٢/٢ .

[٢٩] المصدر نفسه، ٢٣/٢ .

[٣٠] المصدر نفسه، ٢٣/٢ .

[٣١] المسعودي، مروج الذهب، ٣٣/٣ .

[٣٢] المصدر نفسه، ٣٢/٣

[٣٣] ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، ٤٨ .

[٣٤] المصدر نفسه، ١٥٧ .

[٣٥] معيد النعم، ٨٩ .

[٣٦] ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، ٧٧ .

[٣٧] الطبقات الكبرى، ١٦/٦ .

[٣٨] ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، ٨٣ .

[٣٩] الهيثمي، مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٩ .

[٤٠] ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة، ٢٥٣/١ .

[٤١] القصاص والمذكرين، ٣٢٢ .

[٤٢] عن ذلك يراجع: ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، ٢٩٦ –٢٩٧ .

[٤٣] المقريزي، الخطط، ١٨/٤ .

[٤٤] ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، ٣٠٦ .

[٤٥] تأويل مختلف الحديث ص ٣٥٥ . ٣٥٧.

[٤٦] تاريخ بغداد ،٣٦٣/١٣ .

[٤٧] السيوطي، تحذير الخواص، ٥٣ .

[٤٨] الفؤادي، القصص في العصر الاسلامي،

[٤٩] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٤٦/٣ .

[٥٠] القصاص والمذكرين، ٣٢٠ .

[٥١] النباهة والاستحمار، ٤٧ .

[٥٢] الشهرستاني، الملل والنحل، ٨٥/١ .

[٥٣] عبد المجيد، الفرق والمذاهب، ١٤١ .

[٥٤] البخاري، الصحيح ،٤٧/٩ .

[٥٥] مسلم، الصحيح، ١٤٧٤/٣ .

[٥٦] الكوراني العاملي، جواهر التاريخ، ٢٣١/٢ .

[٥٧] ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، ٢٠٦/٢ .

[٥٨] ابن ابي الحديد، شرح النهج، ٣٢/٦ .

[٥٩] المفيد، الارشاد، ١١٥/٢ .

[٦٠] العلامة المجلسي، بحار الانوار، ١١٥/٤٥ .

[٦١] الزمر، الآية ٤٢ .

[٦٢] ابن ابي الحديد، شرح النهج، ٣٧٣/٦ .

قائمة المصادر والمراجع

اولا: القران الكريم

ثانيا: المصادر

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد (ت ٦٠٦هـ–١٢٠٩م) .

١. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ،(بيروت – ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠-١٢٣٣م).

٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب. العربي، (بيروت – ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)

الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي أبو منصور (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م) .

٣. تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي (بيروت -١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) .

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ-٨٧٠م) ٠

٤. الجامع المسند الصحيح المختصر عن امور رسول الل صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه، تحقيق محمد زهير، ط١، دار طوق (١٤٢٢هـ)

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ-١٢٠١م)٠

٥. القصاص والمذكرين ،تحقيق محمد عبد لطفي، ط١ (بيروت-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)

ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦هـ-١٢٥٨م)٠

٦. شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية٠

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)٠

٧. تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)٠

الذهبي، شمس الدين ابن عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)٠

٨. تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام، ط٢، دار الكتاب العربي (بيروت-١٤١٣هـ/ ١٩٩٣ م)٠

٩. سير أعلام النبلاء، دار الحديث (القاهرة -١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م)٠

١٠. العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية (بيروت) ٠

السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦هـ-١٣٥٥م)٠

١١. معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شلبي – محمد أبو العين، ط١، دار الكتب العربية(القاهرة).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)٠

١٢. طبقات ابن سعد، تحقيق عبد العزيز عبد الله، مكتبة الصديق (الطائف -١٤١٦هـ/١٩٩٥م)٠

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م)

١٣. تحذير الخواص من اكاذيب القصاص، تحقيق محمد الصباغ، ط٢، المكتب الاسلامي (بيروت -١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)

الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ت(٥٤٨هـ)

١٤. الملل والنحل، مؤسسة الحلبي

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م)

١٥. تاريخ الرسل و الملوك، المطبعة الحسينية (القاهرة) ٠

ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)

١٦. تأويل مختلف الحديث، ط١، مؤسسة الاشراق، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م)٠

١٧. البداية و النهاية، تحقيق علي شيري، ط١، دار التراث العربي، (١٤٠٨هـ ١٩٩٨م)٠

الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق(ت٣٢٨هـ-٩٤٠م)٠

١٨. الكافي، تصحيح علي اكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الاسلامية (طهران -١٣٦٣هـ)٠

المبرد،محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ)

١٩. الكامل في اللغة والادب، تحقيق محمد ابو الفضل،ط٣، دار الفكر (القاهرة – ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)

المجلسي، محمد باقر (ت١١١١-١٦٩٩م)٠

٢٠. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء (بيروت -١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)٠

المسعودي، علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ-٩٥٧م)

٢١. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، دار الهجرة (قم -١٤٠٤هـ/١٩٨٣)٠

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان

٢٢. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة ال البيت، ط٢ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)٠

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م) ٠

٢٣. المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية (بيروت -١٤١٨هـ/١٩٩٦م) ٠

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ -١٣١١م) ٠

٢٤. لسان العرب ،ط٣ دار صادر (بيروت - ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)

الهيثمي، ابو الحسن نور الدين (ت٨٠٧هـ)

٢٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي (القاهرة -١٤١٤هـ-١٩٩٤م)

ابي يعلى، محمد بن محمد (ت٥٢٦هـ)

٢٦. طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد، دار المعرفة (بيروت)

ثالثا: المراجع

سينشتاين، كاس ر ٠

٢٧. الطريق الى التطرف اتحاد العقول وانقسامها، المركز القومي للترجمة، ترجمة سميحة نصر، ط١ (القاهرة -٢٠١٤م)٠

شريعتي، علي

٢٨. النباهة والاستحمار، ط١ الدار العالمية(لبنان-١٤٠٤هـ/١٩٤)

العجمي، اركان

٢٩. التطرف الديني في مصر والشام في القرن الثامن الهجري، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت لمجلس كلية التربية جامعة واسط(١٤٤٢هـ-٢٠٢٠)

عبد المجيد، صائب

٣٠. الفرق والمذاهب تحقيق في النشأة والمعالم، مجلة المنهاج

العدد٦ (١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م)

الفؤادي، عبد الهادي

٣١. القصص في العصر الاسلامي، دار الزمان (بغداد-١٩٦٦)

الكوراني، علي العاملي

٣٢. جواهر التاريخ السيرة النبوية عند اهل البيت ،ط١، دار الباقيات (١٤٣٠هـ)

الشيخ الصدوق ودوره في تأصيل غيبة الامام المهدي (عليه السلام)

Sheikh Al-Saduq and his role in establishing the occultation of Imam Al-Mahdi (peace be upon him)

م.د. صباح حسن فلاح عواد البدري
جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم علوم القرآن

Abstract .

The fourth century of migration represented a major turning point in the course of the doctrine of the Twelver Imamate, as the general frameworks of the doctrine were formed. This is due to several issues, the most important of which is the absence of the twelfth Imam Muhammad ibn al-Hassan (peace be upon him) in the year (AH) because of its great impact among the Imamate Shiites, and doubts seemed to infiltrate them. About how the backbiting and the accompanying events.

The Imamiyyah scholars rushed to explain what was wrong with the public and the private regarding the occultation of the Imam (peace be upon him), and among the first of those scholars was Sheikh Muhammad bin Ali, nicknamed al-Saduq (381 AH), who made great efforts to convince the opponents of the non-Imami Shiites first, and then ward off the suspicions and doubts that entered the Imamiyyah duodenum.

Therefore, our research came to shed light on what al-Saduq exerted in rooting the great occultation of the twelfth imam, Muhammad ibn al-Hassan (peace be upon him), and drawing the broad lines through his books, some of which he wrote specialized in mentioning occultation, as in his book (Kamal al-Din and Tamam Lina'ma), in which he linked the occultation of the Imam And what happened to the prophets, guardians, and the righteous of similar absences, or through his councils known as the Book of Hopes, or through his debates with the violators.

الملخص

مثلت المائة الرابعة للهجرة انعطافا كبيرا في مسيرة مذهب الامامة الاثني عشرية اذ تشكلت الاطر العامة للمذهب لعدة امور أهمها غيبة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن (عليه السلام) سنة (٣٢٩هـ) لما لها من وقع عند اوساط الشيعة الامامية وبدت الشكوك تسلل اليهم عن كيفية الغيبة وما رافقها من احداث، فانبرى علماء الامامية لتوضيح ما شكل على العامة من غيبة الامام (عليه السلام) ومن أوائل اولئك العلماء الشيخ محمد بن علي الملقب بالصدوق(٣٨١هـ) الذي بذل جهودا كبيرة لإقناع المخالفين من غير الشيعة الامامية اولاً، ومن ثم درء الشبهات والشكوك التي دخلت على الامامية الاثني عشرية، وكان يمثل ما نصطلح عليه (مرجعا للشيعة) في ذلك الظرف الحرج وهو الغيبة الكبرى للإمام محمد بن الحسن (عليه السلام) فقد كان ترد عليه رسائل من شتى بقاع المعمورة للإجابة عليها والافتاء به. لذلك جاء بحثنا لتسليط الضوء على ما بذله الصدوق في تأصيل الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر محمد بن الحسن (عليه السلام) ورسمه للخطوط العريضة سواء من خلال كتبه التي الف بعضها مختصاً بذكر الغيبة كما في كتابه (كمال الدين وتمام لنعمة) الذي ربط فيه غيبة الإمام وما حدث للأنبياء والأوصياء من غيبات مماثلة او من خلال مجالسه المعروفة بكتاب الأمالي او من خلال مناظراته مع المخالفين.

كلمات مفتاحية: (الشيخ الصدوق، المهدي، الغيبة، المخالفين، الأمالي)

المقدمة

على الرغم من تقلبات الاوضاع السياسية والاقتصادي التي شهدها القرن الرابع الهجري الا انها شهد تتطور كبير في الحركة العلمية، ونستطيع القول ان المائة الرابعة للهجرة العصر تعد الذهبي لأغلب العلوم، حيث نشطت الحركة العلمية ،واتسعت المعارف وتطورت العلوم العقلية والنقلية، تجلى واضحا من خلال المناظرات والمحاججات التي كانت تدور بين أصحاب الفرق والمذاهب، حول علوم ذلك العصر، مما انعكس إيجابا على تطور تلك العلوم وظهور العديد من العلماء الذين أناروا الطريق لمن جاء بعدهم.

ومن بين اولئك الذين اسهموا في تطور الحركة العلمية هم رجال الدين والفقهاء الذين تنوعت ثقافتهم بين الدين والاخلاق والتاريخ وغيرها، ويعد الشيخ **(أبو جعفر محمد بن علي بن بأبويه القمي الملقب ب (الصدوق) ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)** الذي وقف حياته لجمع التراث الإسلامي وتدوين أخبار أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وفكرهم، والعناية بشرح أصول عقيدتهم، وتوضيح مبادئها، وبيان الخطوط العريضة لتفكيرهم العام في مختلف النواحي الدينية والاجتماعية، وإبراز كل ذلك بصورة سهلة بعيدة عن الغموض والإبهام، وقد اتجهت عناية الصدوق إلى البحث في عدد من العلوم الشائعة في عصره، كالفقه والحديث والكلام والتأريخ وغيره، فكتب وألف كثيراً فيها، لذلك اخترنا هذه الشخصية المهمة لتسليط الضوء على حياته وابرز اثاره العلمية.

المبحث الأول- السيرة الشخصية والعلمية للشيخ الصدوق

أولاً: إسمه وكنيته و ألقابه :

الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي[١]، ويعرف ابي جعفر بن بابويه[٢]، ويكنى بـ(ابو جعفر)[٣]، تميزاً عن ابيه و سائر ابناء أسرته ممن عرفوا ب(ابن بابويه).

وقد اشتهر الشيخ محمد بن علي بألقاب عديدة، يعد من أشهرها **(الصدوق)**[٤]، هذا اللقب لم يكن متداولاً في عصره على ما يظهر، ويؤيد ذلك أن الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) احد ابرز تلاميذه وممن اكثر الرواية عنه لم يلقبه بالصدوق[٥]، وانما اشتهر بهذا اللقب في عصور متأخرة.

قال عنه ابن فهد الحلي (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٨م) :" **المراد بالصدوق : محمد بن بابويه، وبالفقيه: ابوه، وقد عبر عنهما بالصدوقين والفقيهين وابني بابويه، وإذا قيل: ابن بابويه مطلقا فالمراد به الصدوق ، وكذلك إذا قيل : قال ابن بابويه في كتابه، فالمراد بالكتاب كتاب من لا يحضره الفقيه**"[٦]، وهناك القاب اخرى اشتهر بها منها **(رئيس المحدثين)**[٧]،**(شيخ الحفظة)**(٨)، و**(وجه الطائفة)**[٩].

ثانيا: مولده ونشأته ووفاته:

على الرغم من شهرة الشيخ الصدوق وذيوع صيته إلا ان احداً لم يسجل على وجه الدقة سنة ولادته، ومن خلال التتبع لبعض المصادر التي تناولت حياته منها النجاشي في رجاله[١٠] ،والشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة)[١١]، وابن حمزة (ت٥٦٠) في كتابه (الثاقب في المناقب) [١٢] فإنها تحصر ولادته بعد وفاة محمد بن عثمان العمري (ت٣٠٥هـ/ ٩١٨م)[١٣]، وبداية نيابة ابي القاسم الحسين بن روح (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١ م)[١٤] أي بعد سنة (٣٠٥هـ)، وقد اوردت تلك المصادر بعض القصص والروايات حول ولادة الشيخ الصدوق، منها قصة سفر والد الشيخ ابن بابويه القمي الى العراق بعد موت محمد بن عثمان

العمري، ولقاءَه بالشيخ ابي القاسم حسين بن روح ثم توجه بطلب اليه ليسأل الإمام محمد بن الحسن(عليه السلام) أن يذكره بدعائه ليرزقه الله أولاداً فقهاء، فجيء الجواب للشيخ ابن بابويه والد الصدوق سؤاله : " **انك لا ترزق من هذه – يقصد زوجته الأولى وهي بنت عمه – وستملك جارية ديلمية وترزق منها ولدين فقيهين**"[١٥]، وبواسطة دعاء الامام محمد بن الحسن (عليه السلام) رزق الشيخ علي بن بابويه بثلاثة أولاد من تلك الجارية الديلمية هم محمد والحسين والحسن وكان الاخير مشتغل بالعبادة والزهد لا يختلط بالناس و ليس لديه كتب في الفقه، اما الأخوين محمد والحسين فهما فقيهان ينمازان بسرعة الحفظ وإذ يحفظان مالا يحفظ غيرهم من أهل قم، فكلما روى كل من الخوين محمد والحسين شيئا يتعجب الناس من دقة حفظهما فيقال لهما: هذا الشأن خصوصية لكما بدعوة الإمام (عليه السلام) لكما، وهذا أمر متعارف عند أهل قم[١٦].

نشأ الشيخ الصدوق وترعع في بيت علم وتقوى ، فقد كان ابوه الشيخ علي بن بابويه يعرف عنه بأنه شيخ القميين في عصره ومتقدمهم وفقيههم وثقتهم[١٧]، عاش مع ابيه في ظل رعايته أكثر من عشرين سنة يكتسب من معارفه، إضافة إلى مجالسته العلماء وسماعه الرواية منهم، ونظرا لما يتمتع به من قدرات ذاتية، وذكاء وحفظ شديدين، لذلك اقبل إليه كبار العلماء يسمعون منه ويدرسون على يديه على الرغم من صغر سنه، قال عنه النجاشي"**سمع منه شيوخ الطائفة وهو حديث السن**"[١٨]، ومع شهرته فإن المصادر المتوافرة بين أيدينا، والتي تناولت حياته لم تذكر شيئا عن سيرته الاجتماعية، وهل كان متزوجاً أم لا، كما لم تتطرق أن كان له أولاد عرفوا واشتهروا بعده.

تذكر أغلب المصادر التاريخية أن وفاة الشيخ الصدوق كانت في سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م) ، ولم يكن هنالك خلاف في وفاته بين علماء التراجم[١٩]، وقبره بالري قريب من مزار السيد عبد العظيم الحسني[٢٠] ، وقد أصبح مزاراً يتبرك به الناس، وهو في الأصل بستان عظيم بالري وقد جدد عمارة القبر السلطان فتح علي شاه[٢١].

المبحث الثاني- الآثار العلمية للشيخ الصدوق

أولا:- دراسته :

عاش الشيخ الصدوق اغلب حياته في مدينتي(قم والري) تلك المدينتين كانتا تتمتعان بوفرة العلماء والمحدثين وازدهار العلم فيها، وكانت رغبة الشيخ الصدوق في كسب العلم وسماع الحديث من صغره وحتى أواخر عمره، اضف الى ذلك ان أسفاره المتعددة لسائر الأمصار الإسلامية، ولقائه بالعلماء وأهل الحديث على اختلاف مذاهبهم كان له الدور كبير في بناء شخصيته العلمية ووفرة مشايخه.

فقد سمع منهم كثيراً ووزع مسموعاته بإسنادها في كتبه، ولو كانت تلك الكتب موجودة بأيدينا لأمكننا إخراج هؤلاء المشايخ والوقوف على عددهم، ولكن تلك الكتب ضاع جلها ولم يبق منها إلا النزر اليسير، ومن خلال تتبعنا لمؤلفاته والعلماء الذين ترجموا له نستطيع أن نقول بأن أهم ما يميز شخصيته هو انفتاحه على الآخرين وعدم تعصبه لمذهبه بل انفتح على المذاهب الأخرى إذ إن عدد غير قليل من مشايخه كانوا من غير طائفته، وقلما نجد من العلماء ممن كان له هذا العدد الهائل من المشايخ، إذ إن

الشيخ العلامة النوري عد له أكثر من مائتي شيخ[٢٢]، وزاد عليه المحقق الشيخ عبد الرحيم الرباني في مقدمة كتاب معاني الأخبار اثني وخمسين شيخا[٢٣]، ليصبح العدد اثني وخمسين ومائتين شيخا.

وأن العطاء الذي قدمه الصدوق لم يكن منحصرا بما ألف وصنف، ربى جيلا من الأعلام ممن نفع الأمة بعلمه.

وكانت لمكانة الشيخ الصدوق العلمية ولكثرة اسفاره ورحلاته، جعلت منه مدرسة متنقلة ينهل منها طلابها في كثير من العلوم والمعارف وفي شتى المجالات، فكان له الكثير من التلاميذ الذين أصبحوا من كبار العلماء فيما بعد، ويفصح عن ذلك قول النجاشي(ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) فيه:"**سمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن**"[٢٤] ان هذه لشهادة عظيمة يجدر التوقف عندها والتأمل فيها، خاصة اذا علمنا ان المجتمع بـ(مدينة قم) والتي قضى فيه شبابه كان مكتظاً بالعلماء من أساطين الفقه والحديث، ويضيف الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ /١٠٦٨م) شهادة أخرى في حقه إذ قال:" **لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه** "[٢٥]، وهذا دليل آخر على نبوغه وتفوقه العلمي.

ثانيا: مؤلفاته:

انماز الشيخ الصدوق بكثرة عطائه العلمي المتمثل بكثرة مصنفاته التي لأغلب ابواب العلم، من تفسير، وحديث ،وفقه، وعقائد، ، وتاريخ، وغير ذلك، وهذا يعكس سعة ثقافته المعرفية وتعرضه الى الكثير من فنون العلم المعروفة في القرن الرابع الهجري.

تلك المؤلفات قد خلدت إسمه ورفعت قدره، وقد ناهزت الثلاثمائة مصنف، ذكر الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست أن عدد كتبه يقرب الثلاثمائة مصنف ذكر منها (٤١) مصنفا[٢٦]، أما الشيخ النجاشي فقد ذكر إن له كُتباً كثيرة، ولم يحددها بالعدد واكتفى بذكر(١٩٧) كتابا[٢٧]، في حين أنّ إبن شهراشوب ذكر: إن له ثلاثمائة مصنف، وعدد منها (٥٦) مصنفا[٢٨].

وقد نص الصدوق في مقدمة كتاب (من لا يحضره الفقيه)، إن مائتين وخمسة وأربعين كتابا كانت عنده عند حلوله بقصبة (ايلاق) ببلخ، وكتابه (الفقيه) المصنف رقم (٢٤٦) من مصنفاته[٢٩]، والذي يأسف له أن ثروة الصدوق العلمية المتمثلة في مؤلفاته قد ضاع أكثرها ولم يبق إلا أسمه.

المبحث الثالث- الشيخ الصدوق ودوره في تأصيل غيبة الامام الثاني عشر (عليه السلام)

اولاً: الدوافع التي دعت الشيخ الصدوق الى تأصيل الغيبة :

في المدة التي عاشها الشيخ الصدوق (٣٠٥- ٣٨١هـ) اي القرن الرابع الهجري والذي اختلفت فيه الحياة السياسية عن الحياة الثقافية والعلمية، فقد انمازت الحياة السياسية بضعف الخلافة العباسية، وتزايد الحركات والنزعات الاستقلالية وانسلاخ بعض الأقاليم عن الدولة المركزية[٣٠]، وعلى الرغم من الضعف السياسي وتدهور كبير في مسيرة الدولة الادارية والمالية وعصر للثورات وفتن واضطرابات [٣١]، إلا أن الحياة الفكرية كانت تسير باتجاه معاكس ومغاير تماما فقد استمرت حركة العطاء قوية نشطة دون أن تؤثر عليها تلك الأحداث الجسيمة في مدة الاضطراب السياسي بشكل سلبي[٣٢].

والحياة الفكرية في عصر الشيخ الصدوق تميزت بكثرة المحدثين والمهتمين بعلوم الحديث، وبوجود عدد كبير من العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء[٣٣]، حتى وصلت إلى مستويات رفيعة ومتطورة،

ثم إن مدينة الري[٣٤] التي قضى فيها الصدوق الشطر الأكبر من حياته كانت تعيش الإزدهار الفكري والعلمي في تلك المرحلة، ويتضح ذلك من خلال وصف المقدسي لها من الناحية العلمية اذ قال:" ... **فأما الري فإنها كورة ...فيها علماء سراة وعوام دهاة ...وبها مجالس ومدارس... ولا يخلو المذكر من فقه ولا الرئيس من علم ولا المحتسب من صيت، ولا الخطيب من ادب، وهي احد مفاخر الاسلام وأمهات البلدان بها مشايخ واجلة وقراء وأئمة وزهاد**"[٣٥]، ان هذا الوصف يعطينا دليلا كبيرا على حالة الازدهار الثقافي للري خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد برز عدد من العلماء والمفكرين الذين اوجدتهم هذه الظروف، اذ لم يكن بين اولئك العلماء من هو متخصص بعلمٍ دون آخر، فعندما نذكر فلاناً فقيهاً أو شاعراً لأجل التصنيف والترتيب لا أكثر فنجد ان الفقيه هو شاعر وأديب ولغوي ونحوي، أو نجد الطبيب مؤرخاً ولغوياً وفيلسوفاً ونجده بارعا في علوم اخرى وهكذا، ومن علماء ذلك العصر (الشيخ ابو جعفر الصدوق) الذي إستثمر قوة الحركات العلمية والأدبية التي كان لها بالتأكيد التأثير المباشر على شخصيته وأسلوبه بالكتابة ومنهجه في التأليف دلت على ذلك مؤلفاته التي ناهزت الثلاث مائة مصنف في مختلف العلوم[٣٦].

نال الشيخ الصدوق شهرة واسعة في أغلب الأمصار الإسلامية فقد كانت له مجالس الدرس في قمّ والري ونيسابور ومشهد وبلخ وبغداد وغيرها من بلاد المسلمين إذ حضر في مراكزها ومحافلها العلمية آنذاك[٣٧] ، يروي الحديث ويستمع إلى ما يرويه مشايخها من الحديث ، واكتسبت شخصيته شهرة كبيرة بين أوساط الأمة بمختلف مذاهبها ، فقد كان – كما وصفه والد الشيخ البهائي – جليل القدر عظيم المنزلة في الخاصة والعامة [٣٨]، وكان وجه الطائفة بخراسان على حد وصف النجاشي[٣٩]، ثم أن طلب أهل الري ورغبتهم في حضوره وإقامته فيها مع كثرة ما فيها من العلماء والمحدثين يدلل على البعد الاجتماعي والجماهيري لشخصيته، و يستفاد من عبارة النجاشي السابقة على مكانته البارزة في خراسان أيضاً

ويمكن القول أنه بعد وفاة ابيه ومجيئه إلى الري أصبح له القيادة للشيعة الإمامية آنذاك، أو ما يعرف باصطلاحنا في الوقت الحاضر انه المرجع الأعلى للامامية في وقته والذي يؤيد ما ذهبنا إليه هو أن المسائل والرسائل وردت إليه من اغلب البلدان الإسلامي لطلب الفتيا منه وهذه الرسائل عدتها كتب الرجال من كتب الصدوق فقدت وردت اليه كتب من الكوفة والبصرة ومصر ومن واسط وغيرها الكثير [٤٠]

إن للمكانة الإجتماعية والروحية التي كان يتمتع بها الشيخ الصدوق جعلته الأقرب إلى قلوب الناس ومن أمثلة ذلك ذهابه إلى مدينة نيسابور لإرشاد أهلها الذين حيرتهم الغيبة[٤١]، احتلت قضية المهدي المنتظر مساحة كبيرة في الفكر الشيعي، نظراً لارتباطها بفكرة الإمامة المقدسة لدى الشيعة.

ويشكل الإمام المهدي المنتظر عند الإمامية منعطفاً هاماً وتحولاً فيما يتعلق بالإمامة، فالمهدي عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية هو الإمام الثاني عشر والأخير والغائب منذ ما يقرب (١٢٠٠) سنة، وحسب الفكر الإمامي فإن ظهور الامام المهدي من غيبته ترافقها جملة من الأحداث والتطورات العالمية[٤٢]، وقد حدثت أزمة كبيرة عند جمهور الشيعة الإمامية بعد استشهاد الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، ثم بدأت الاسئلة تُثار ومن تلك الأسئلة هل ترك الإمام الحادي عشر

ولدا؟ وإذا كان الإمام قد ترك ولداً، فلماذا لم نشاهد ولده، وفي أي مكان هو؟ فالإمام لا يموت دون أن يترك ولداً بوصفه خليفة له، ثم كيف سيكون مستقبل الشيعة في الاعوام اللاحقة؟ ولقد أثارت هذه القضية وجدان الشيعة الإمامية، ودخل عليهم الشك وزلزلوا واصبح المذهب على المحك فانبرى علماء الشيعة الإمامية لإيضاح تلك المسائل وكل ما يتعلق بولادة الكريمة للإمام الثاني عشر ومن ثم غيبته، ومن اوائل أولئك العلماء الشيخ الصدوق الذي عاش في مدة حرجة من تاريخ الإمامية فهو قريب عهد بولادة الإمام الثاني عشر فضلا عن معاصرته فيما ما يعرف بالغيبة الصغرى والكبرى خاصة وان الشيخ الصدوق قد تبوء تلك المكانة العلمية في بداية ما يعرف (الغيبة الكبرى) للإمام الثاني عشر عليه السلام أي في سنة (٣٢٩ هـ) وهي نفس السنة التي توفي فيها ابوه ابن بابويه القمي الذي كان يعرف بشيخ القميين في عصره وهذه الزعامة الدينية والروحية والاجتماعية التي كان يتمتع بها الشيخ الصدوق حتمت عليه ان ينبري لتلك الشبهات دون غيره من العلماء، فيبذل مجهوده لإرشادهم إلى طريق الصواب خاصة فيما يتعلق بغيبة الامام الثاني عشر (عليه السلام) وهم حديثي عهد بتلك الغيبة .

ثانيا : تضمين فكرة الغيبة في محاضراته:

تعد محاضرات او ما يعرف بالمجالس في كتاب الشيخ الصدوق المعروف ب(الامالي) وهو الذي يضم(٩٧) مجلسا عقدها الشيخ الصدوق للإملاء على طلابه فيفي مدن عدة منها الري ونيسابور وطوس حيث قام باملائها ما بين سنة(٣٦٧- ٣٦٨هـ) ، كان يملي مجلسين في كل أسبوع ، الاول في يوم الثلاثاء، والثاني في يوم الجمع ، وعلى الرغم من اسفاره المتكرر الا أنه كان يلتزم بالإملاء في يومي الثلاثاء والجمعة غالبا ، ولم يكن إملاؤه للمجالس في بلد واحد ، فقد أملى بعضا منها في الري ، وأملى المجلس (٢٥) في طوس عند مرقد الامام علي بن موسى الامام الرضا(عليه السلام) يوم الجمعة سنة(٣٦٧هـ).

يتضمن كتاب الامالي للشيخ الصدوق مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في موضوعات مختلفة ، منها أحاديث في بعض جوانب السيرة المحمدية، وأحاديث في الاسراء والمعراج ، وفي الأدعية ومواعظ مأثورة ، وفي فضائل أهل البيت(عليهم السلام) وأحوالهم ومناقبهم، هذا فضلا عن الموضوعات التاريخية والاخلاقية المختلفة التي تناولها الشيخ الصدوق في كتابه، وما الموضوعات العقائدية في كتابه فقد اولاها الشيخ اهتمام خاص لحفظ الخط الاصيل للتشيع من التمزق والضياع، وذلك من خلال تثبيت فكرة الغيبة للإمام الثاني عشر والدفاع عن مقام الامامة والتي هي اصل مهم من اصول الدين لدى الشيعة الامامية، الرد على اصحاب المقالات المشككة في امر الامامة والغيبة، وتحصين القاعدة المؤمنة و تخليصها من حالات الياس والتردد التي حاول الاعداء زرعها في نفوسهم بالنسبة الى الغيبة بوجه خاص.

ونلاحظ ان الشيخ الصدوق يُضَمِن موضوع الغيبة في مجالسه كلما سنحت له الفرصة، ففي يوم الثاني من شوال سنة (٣٦٧هـ) عقد مجلسه وبد يذكر للناس فوائد الدعاء وتذكيرهم بالموت الى ان يختم مجلسه بحديث مسند الى رسول الله (صلى الله عليه واله) يدعو الى اتمسك باهل البيت (عليهم السلام) بقوله :" **عن سيد الشهداء الحسين بن علي ، عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (**

عليهم السلام) ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : الأئمة من بعدي اثنا عشر ، أولهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها"(٤٣)، وفي مجلسه الحادي والتسعون حيث عقده في شهر شعبان سنة (٣٦٨هـ) اكد فيه على الاخلاق المحمدية الاصيلة واخلاق اهل البيت(عليهم السلام) واكد على ضرورة التأسي بهم الى ان ختم مجلسه بذكر ائمة اهل البيت(عليهم السلام) وحديثهم حيث نقل حديث عبارة عن سؤال وجه للنبي(صلى الله عليه واله) من قبل الإمام علي (عليه السلام) عن عدد الأئمة بعده، فقال الامام (عليه السلام) : " **قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : أخبرني بعدد الأئمة بعدك . فقال : يا علي ، هم اثنا عشر ، أولهم أنت ، وآخرهم القائم**"(٤٤).

وكان الشيخ الصدوق لا يترك مناسبة إلا ويتطرق للإمامة والغَيبة فنجده في اكبر تجمع لدى الشيعة الامامية وذلك في العشرة الأوائل من شهر محرم ذكرى شهادة الإمام الحسين واهل بيته (عليهم السلام) حيث عقد مجلسه التاسع والعشرين في الثامن من شهر محرم سنة (٣٦٨هـ)، وذكر حديثا اسنده الى الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) حيث قال :" **كان النبي (صلى الله عليه وآله) في بيت أم سلمة – زوجة النبي– (رضي الله عنه)، فقال لها : لا يدخل علي أحد، فجاء الحسين (عليه السلام) وهو طفل، فما ملكت معه شيئا حتى دخل على النبي(صلى الله عليه وآله)، فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي (صلى الله عليه وآله) يبكي، وإذا في يده شيء يقلبه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها ، فضعيها عندك ، فإذا صارت دما فقد قتل حبيبي ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله ، سل الله أن يدفع ذلك عنه . قال : قد فعلت، فأوحى الله عز وجل إلي : أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة**"(٤٥).

ثالثاً: تأليف كتاب (كمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة):

يعد كتاب كمال الدين من اهم كتب الشيخ الصدوق التي سعى بكل جهده في هذا الكتاب الى اثبات غيبة الامام الثاني عشر (عليه السلام) وقد صرح الصدوق في مقدمة الكتاب بشكل واضح وصريح عن السبب في تأليفه الكتاب بقوله :" **إن الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا: أني لما قضيت وطري من زيارة علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه رجعت إلى نيسابور وأقمت بها، فوجدت أكثر المختلفين إلي من الشيعة قد حيرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم عليه السلام الشبهة، وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقائيس، فجعلت أبذل مجهودي في إرشادهم إلى الحق وردهم إلى الصواب بالأخبار الواردة في ذلك عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم**"(٤٦).

ثم ذكر العلّة الأساسية لتأليف هذا الكتاب، وبالرؤيا التي رآها عقد عزمه الجاد على تأليفه بقوله": **فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيما خلفت ورائي من أهل وولد وإخوان ونعمة إذ غلبني النوم فرأيت كأني بمكة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا في الشوط السابع عند الحجر الأسود أستلمه وأقبله، وأقول: " أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة " فأرى مولانا القائم صاحب الزمان – صلوات الله**

عليه – واقفا بباب الكعبة، فأدنو منه على شغل قلب وتقسم فكر، فعلم عليه السلام ما في نفسي بتفرسه في وجهي، فسلمت عليه فرد علي السلام، ثم قال لي: لم لا تصنف كتابا في الغيبة حتى تكفي ما قد همك؟ فقلت له: يا ابن رسول الله قد صنفت في الغيبة أشياء، فقال عليه السلام: ليس على ذلك السبيل آمرك أن تصنف الآن كتابا في الغيبة واذكر فيه غيبات الأنبياء عليهم السلام... فانتبهت فزعا إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى إلى وقت طلوع الفجر، فلما أصبحت ابتدأت في تأليف هذا الكتاب ممتثلا لأمر ولي الله وحجته"[٤٧].

لقد سعى الشيخ الصدوق في هذا الكتاب الرد على شبهات المعتزلة والزيدية وسائر المخالفين، وقد بذل جهده في نقض آراء القائلين بالفترة (انقطاع سلسلة الإمامة) ورفع شك المتحيرين، ذكر محقق الكتاب الغفاري في المقدمة التي كتبها إلى أنَّ هذا الكتاب فريدٌ في موضوعه ولا نظير له، ولم يأت لحد الآن أحدٌ بمثله في موضوع (الغيبة) [٤٨]، وقد بحث الصدوق في هذا الكتاب بحثاً تحليلياً عن شخصية إمام الثاني عشر (عليه السلام) وموضوع الغيبة والمسائل المتعلقة بها، وأجاب عن شبهات المنكرين والمخالفين بنحو لا يقبل النقاش[٤٩]، اضف الى ذلك نَقْلُه للتوقيعات الصادرة عن إمام محمد بن الحسن (عليه السلام) [٥٠]. والتي وردت في مواضيع مختلفة كالنهي عن تسميته (عليه السلام)، تفسير بعض آيات القرآن الكريم، تكذيب الوقّاتين، منكري الامام (عليه السلام)، علّة الغيبة، الجواب عن بعض أسئلة الشيعة، الدعاء للشيعة ثم نقله لأخبار المعمّرين، وأغلبها قصص لطيفة عن الأشخاص الذين عمّروا أعماراً طويلة، ذكرها لتأييد طول عمر الامام (عليه السلام)، ثم الجواب عن الشبهات المختلفة حول إمامة الامام محمد بن الحسن (عليه السلام)، وخاصّة المرتبطة بطول عمره الشريف، اضافة الى بعض المعلومات الخفية حول العلاقات الموجودة بين الشيعة في عصر الغيبة، قد زاد في أهمية هذا الكتاب[٥١].

الخاتمة

يعد الشيخ الصدوق من اجل علماء الامامية في القرن الرابع الهجري ونتيجة لنا تمرة به الامامية من انعطافه في تاريخها والسبب في ذلك غيبة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام ودخول الشبهات من المخالفين نتيجة تلك الغيبة وكثرة الاسئلة حولها.

فانبرى الشيخ لصدوق بما يملك من ثقافة واسعة ومؤلفات عدة اضافة لتصديه لمقام المرجعية لدى الشيعة الامامية ظهر ذلك من الرسائل التي كانت ترد اليها من اكثر البلدان في ذلك الوقت لمواجهة المخالفين للمذهب وتثبيت الموالين فواجه الصدوق تلك الافكار بحزم وقوة من خلال مجالسه التي القاها ومناظراته مع المخالفين اضافة الى تأليفه كتاب خاص في الغيبة اسماها كمال الدين وتمام النعمة.

الهوامش

(١) النجاشي، رجال،ص٣٨٩؛ ابن داود، رجال، ص١٧٩.

(٢) المرتضى،رسائل،ج١، ص٤٠١؛ العلامة الحلي، مختلف الشيعة،ج١، ص٢١٠ و ٢٥٨و٣٠٧.

(٣) الفهرست، ص٢٣٧؛ رجال الطوسي، ص٤٣٩ .

(٤) المجلسي، إجازات الحديث، ص٢٤١؛ كند، توضيح المقال في علم الرجال، ص٣٠١؛ المحقق البحراني، الحدائق الناظرة،ج٢١، ص ١٢؛ الزركلي، الاعلام، ج٦، ص٢٧٤.

(٥) المفيد، الأمالي، ص٩و ٥١و ٢١٣و ٢٣٦؛ تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٢٨.

(٦) المهذب البارع، ج١، ص ٧٥ .

(٧) البهائي، مفتاح الفلاح، ص٣؛ الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ،ج١ ، ص ٥٤ ؛ القمي، الكنى والألقاب ، ج٢،ص٢٢١.

(٨) القمي، الكنى والألقاب ،ج١،ص٢٢١؛ اليزدي، التشيع من رئي التسنن،ص٣٥٧.

(٩) القمي، الكنى والألقاب،ج١،ص٢٢١ .

(١٠) النجاشي ، رجال ، ص٢٦١ .

(١١) الطوسي، الغيبة، ص ٣٠٨و٣٠٩ .

(١٢) الثاقب في المناقب، ص٦١٣.

(١٣) محمد بن عثمان بن سعيد العمري، كان وابوه وكيلان من جهة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن (عليه السلام) قال الإمام في حقه عندما سئل عنه(العمري ثقتي فما أدى إليك فعني يؤدي، وما قال لك فعني يقول فأسمع له وأطع،فأنه الثقة المأمون)، توفي في أخر جمادي سنة خمس وثلاثمائة، منها خمسين عاما وكيلاً للإمام، قبره ببغداد. ينظر:الطوسي، الغيبة ، ص٣٦٣؛ القمي، الكنى والألقاب ،ج٢، ص ٢٦٧ .

(١٤) الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي، من علماء ورؤساء الشيعة في زمن المقتدر، والوكيل الثالث بعد العمري تولى الوكالة سنة (٣٠٥ هـ)، واستمر لإحدى وعشرين سنة، لقب بالباب لصاحب الزمان (عليه السلام) ، عرف عنه بقوة إرادته وشدة صلابته في الحق، له وقائع مع الوزراء ، قبض عليه وسجن، توفي في بغداد سنة (٣٢٦ هـ)، له كتاب التأديب. ينظر : الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٥٦٧؛ كحالة، معجم المؤلفين ، ج٤، ص ٨.

(١٥) الطوسي، الغيبة ،ص ٣٠٨ و ٣٠٩: ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص٦١٣.

(١٦) الطوسي، الغيبة ، ص٣٠٩ ؛ النوري ، خاتمة المستدرك ،ج٣،ص ٢٥٨؛ القمي ، الأنوار البهية ، ص ٣٢٥ ؛ الكوراني ، معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٤ ،ص ٤١٠.

(١٧) الخزاز القمي، كفاية الأثر، ص٣٢٩ ؛ النجاشي ، رجال ،ص٢٦١ :البصري، فائق المقال، ص١٢٣ ؛ الخوئي، معجم، ج١٢، ص٢٩٨ .

(١٨) رجال، ص٣٨٩.

(١٩) المفيد، تصحيح اعتقادات الامامية ، ص٢٨؛ المرتضى، مسائل الناصريات،ص٢٠؛ النجاشي، رجال، ص٣٨٩ ؛ابن داود، رجال ، ص١٧٩ ؛ الخوانساري، روضات الجنات، مج٦، ص١٣٥؛الزركلي ،الاعلام، ج٦ ، ص٢٧٤ ؛ الأمين، أعيان الشيعة،ج٢،ص٢٤ .

(٢٠) هو عبد العظيم الحسني من أصحاب الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) مات في زمانه ، مشهور في نقل الرواية عنه، قال في حقه الإمام الهادي((يا ابا القاسم انت ولينا حقا)). ينظر؛ البروجردي ،طرائف المقال، ج٢، ص٥٤؛الغفاري، الشيخ الكليني والكافي، ص١٤٢ .

(٢١) هو فتح علي شاه بن حسين قلي خان جانسوز شاه بن محمد حسن خان القاجاري ، المشتهر في شعره بخاقان،ويقال :كان اسمه بابا خان ،وشهرته فتح علي شاه ، ثاني سلاطين الدولة القاجارية،كان أديباً،شاعرا ،له(ديوان شعر)ولد في مدينة دامغان سنة(١١٨٣ هـ)، وقيل سنة(١١٨٥ هـ)، توفي باصفهان سنة(١٢٥٠ هـ)،ودفن بجوار السيدة معصومة فاطمة بنت الإمام علي بن موسى الرضا (ع) بقم .ينظر:البغدادي،إيضاح المكنون،ج١،ص ٥٢١؛ هدية العارفين ، ج١، ص٨١٥؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج٥، ص٢٦٦.

(٢٢) خاتمة المستدرك، ج٥،ص٤٦٦ .

(٢٣) معاني الأخبار،مقدمة المحقق،ص٣٧.

(٢٤) رجال، ص٣٨٩.

(٢٥) الفهرست، ص٢٣٧ .

(٢٦) ينظر:الطوسي،الفهرست،،ص٢٣٧و٢٣٨.

(٢٧) ينظر:النجاشي،رجال،ص٣٨٩و٣٩٠و٣٩١و٣٩٢.

(٢٨) ينظر: إبن شهراشوب،معالم العلماء،ص١٤٦و١٤٧.

(٢٩) من لا يحضره الفقيه،ج١،ص٢.

(٣٠) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥،ص١٠٤

(٣١) الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة،ص١٨٢

(٣٢) البدري، الرواية التاريخية، ص١٤

(٣٣) محي الدين، أدب المرتضى، ص٣١.

(٣٤) الري:بفتح اوله وتشديد ثانيه،كتبها بلدانيو العرب دائما مقرونة بال التعريف،وهي مدينة مشهور من امهات المدن تقع في الطرف الشمالي الشرقي من اقليم الجبال، والري بلد جليل نبيل كثير المفاخر والفواكه فسيح الاسواق،ليس بعد بغداد في المشرق مدينة اعمر منها ينظر:المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٦١-٢٦٤؛ الحموي، معجم البلدان ،ج٣،ص١١٦و١١٧؛ ليستربخ كي،بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٤٩.

(٣٥) احسن التقاسيم،ص٢٦٢.

(٣٦) الطوسي، الفهرست، ص٢٣٧.

(٣٧) ينظر: الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص ٩ و ص٦٢ ؛ الخصال، ص٦٤١؛ الأمالي ، ص١٨٠؛ كمال الدين، ص٢؛

(٣٨) حسين عبد الصمد، وصول الأخيار،ص٨٦ .

(٣٩) رجال النجاشي،ص٣٨٩.

(١) النجاشي،رجال،ص٣٩١.

(٢) النجاشي، رجال ،ص٣٩٢.

(٤١) كمال الدين، ص٢ .

(٤٢)الصدوق،كمال الدين،ص٦٤٩و٦٥٠و٦٥١و٦٥٢؛ الكوراني،عصر الظهور،ص٢٤٩و٢٦٠و ٢٦١.

(٤٣) الصدوق، الامالي، ص١٧٣.

(٤٤) الصدوق، المصدر نفسه، ص٧٢٨.

(٤٥) الصدوق، المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(٤٦) الصدوق، كمال الدين،ص٣٠.

(٤٧) الصدوق، المصدر نفسه، ص٣١.

(٤٨) الصدوق، المصدر نفسه، ص١٧.

(٤٩) الصدوق، المصدر نفسه،ص٢٨ وما بعدها.

(٥٠) الصدوق، المصدر نفسه، ص٥٢٣و ص٦٧٦.

(٥١) الصدوق، المصدر نفسه،ص٣٨ وما بعدها.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

اولاً: المصادر الاولية:

- **الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)،**

١- معجم البلدان،د.ط، دار الفكر،(بيروت،د.ط).

- **المحقق البحراني، يوسف(ت١١٨٦ هـ) ،**

٢- الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، د.ط، مؤسسة النشر الإسلامي،(قم، ١٤٠٥ هـ)

- **ابن حمزة، عماد الدين ابي جعفر محمد بن علي (ت٥٦٠)،**

٣- الثاقب في المناقب، تحقيق نبيل رضا علوان، ط٢، مؤسسة أنصاريان،(قم ، ١٤١٢هـ)

- **الخزاز القمي،ابي القاسم علي بن محمد بن علي (ت٤٠٠هـ) ،**

٤- كفاية الأثر في النص على الأئمة ألاثني عشر ،تحقيق : عبد اللطيف الحسيني، د.ط ، الخيام ،(قم ، ١٤٠١هـ)

- **الخوانساري ،محمد باقر الموسوي (ت١٣١٣هـ) ،**

٥- روضات لجنات في أحوال العلماء والسادات،ط١،دار إحياء التراث العربي،(بيروت، ٢٠١٠م)

- **ابن داود ، تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي (ت٧٠٧ هـ)،**

٦- رجال ابن داود، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، د.ط،منشورات مطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٧٢م)

- **الذهبي ،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)**

٧- سير اعلام النبلاء ، تحقيق: أكرم البوشي ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة ،(بيروت، ١٩٩٣م)

- **ابن شهر أشوب، ابو عبد الله محمد بن علي (ت٥٨٨هـ)،**

٨- معالم العلماء، د . ط، د.مط ،(قم ،د.ت)

- **الصدوق ،محمد بن علي بن الحسين بن بابويه(ت٣٨١هـ)**

٩- الامالي، ط١ ،تحقيق :قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ،(قم، ١٤١٧ هـ)

١٠- الخصال، تحقيق : محمد مهدي الخرسان ، ط١ ، دار المرتضى للطباعة والنشر ، (بيروت، ٢٠٠٨ م)

١١- عيون أخبار الرضا، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي،مؤسسة الاعلمي، (بيروت، ١٩٨٤م)

١٢- كمال الدين وتمام النعمة ، د.ط ، تحقيق : علي اكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، (قم، ١٤٠٥ هـ)

- **الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ)،**

١٣- رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ،(قم، ١٤١٥ هـ)

١٤- الفهرست، تحقيق جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي،(قم،١٤١٧هـ)

- **العلامة الحلي، ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي (ت٧٢٦هـ)،**

١٥- خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، تحقيق : جواد قمي ، ط١ ، موسسة النشر الاسلامي،(قم، ١٤١٧ هـ)

- **ابن فهد الحلي،جمال الدين ابي العباس أحمد بن محمد(٨٤١هـ)،**

١٦- المهذب البارع في شرح المختصر النافع (ت٨٤١هـ)، تحقيق : آقا مجتبى العراقي، د.ط ، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ، ١٤٠٧ هـ)

- **الفيض الكاشاني ، محمد محسن (ت١٠٩١ هـ) ،**

١٧- تفسير الصافي ، ط ٢، صححه وقدم له وعلق عليه : الشيخ حسين الاعلمي ، مؤسسة الهادي ،(قم، ١٤١٦ هـ)

- **المجلسي ، محمد باقر(ت١١١١ هـ)،**

١٨- بحار الأنوار ، تحقيق : محمد باقر البهبودي، ط٢ ، مؤسسة الوفاء،(بيروت ، ١٩٨٣م)

- **المرتضى،ابي القاسم علي بن الحسين(ت٤٣٦هـ)،**

١٩- مسائل الناصريات، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث العلمية ، د. ط، مؤسسة الهدى، (طهران، ١٤١٣ هـ)

- **المفيد، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ)،**

٢٠- الامالي، تحقيق:حسين الأستاد ولي،علي أكبر الغفاري، ط٢،دار المفيد،(بيروت، ١٩٩٣ م)

٢١- تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق : حسين درگاهي، ط٢، دار المفيد، (بيروت، ١٩٩٣ م)

- **المقدسي، محمد بن أحمد (ت٣٨٠هـ)،**

٢٢- احسن التقاسيم لمعرفة الاقاليم،تحقيق:غازي طليعات،د.ط،وزراة الثقافة والإرشاد القومي ،(دمشق ،١٩٨٠م).

- **النجاشي، ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت ٤٦٠)،**

٢٣- رجال النجاشي ، ط٥،مؤسسة النشر الإسلامي،(قم ،١٤١٦ هـ)

ثانيا : المراجع :

- **الأمين، محسن العاملي (ت ١٣٧١هـ):**

٢٤- أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، (بيروت، ١٩٨٦م) .

- **البدري، صباح**

٢٥- السيرة النبوية في مرويات ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ، ط١، العتبة الحسينية (كربلاء – ٢٠١٩م)

- **البصري ،أحمد بن عبد الرضا (ت١٠٨٥هـ) ،**

٢٦- فائق المقال في علم الحديث والرجال ،تحقيق: غلا محيسن ، ط١ ، دار الحديث ، (قم، ١٤٢٢هـ)

- **البغدادي ،إسماعيل باشا بن محمد أمين(ت ١٣٣٩ هـ)،**

٢٧- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والعلوم ، تحقيق : محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت الكيسي ، د.ط ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت، د. ت)

٢٨- الرحلة في طلب الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ١٣٩٥هـ)

٢٩- هدية العارفين،د.ط، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت)

- **البهائي، محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي (١٠٣١ هـ)،**

٣٠- مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات والآداب ،د.ط،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، د.ت)

- **الخوئي ، السيد أبو القاسم**

٣١- معجم رجال الحديث ، ط٥ ، دمكا ، ١٩٩٢م .

- **الدوري ، عبد العزيز،**

٣٢- دراسات في العصور العباسية المتأخرة،ط١،مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت ،٢٠٠٧م).

- **الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦ هـ)،**

٣٣- الأعلام ،ط٥ ،دار العلم للملاين، (بيروت، ١٩٨٠ م)

- **الشاهرودي، علي النمازي،**

٣٤- مستدركات علم رجال الحديث، ط١، حيدري ، (طهران ، د.ت)

- **الصدر، حسن،**

٣٥- نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة بالوجيز للبهائي ،تحقيق: ماجد الغرباوي، د.ط ، اعتماد ،(قم، د.ت)

- **الغفاري،عبد الرسول،**

٣٦- الشيخ الكليني والكافي، د .ط ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم، ١٤١٦ هـ) ،

- **القمي ، عباس ،**

٣٧- الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،(قم ١٤١٧ هـ)

٣٨- الكنى والألقاب ،د،ط، مكتبة الصدر ، (طهران ،د،ت)

- **الكوراني،علي**

٣٩- عصر الظهور،ط١١،د.مط،(د،مك ،د.ت)

٤٠- معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ط١،مؤسسة المعارف الاسلامية ،(قم، ١٤١١ هـ)

- **كي،ليستربخ،**

٤١- بلدان الخلافة الشرقية،تعريب :بشير فرنسيس وكوركيس عواد،مطبعة الرابطة، (بغداد، ١٩٥٤ م).

- **المامقاني، عبد الله ،**

٤٢- تنقيح المقال في علم الرجال، د.ط ،المطبعة المرتضوية، (النجف ، د.ت)

- **محي الدين،عبد الرزاق،**

٤٣- أدب المرتضى من سيرته و آثاره، ط١،مطبعة المعارف،(بغداد، ١٩٥٧م) .

- **النوري،حسين ،(ت١٣٢٠هـ)**

٤٤- خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة أل البيت لإحياء التراث، ط١، مؤسسة أل البيت لإحياء التراث،(قم، ١٤١٥ هـ)

- **النوري،حسين ،(ت١٣٢٠هـ)**

٤٥- خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة أل البيت لإحياء التراث، ط١، مؤسسة أل البيت لإحياء التراث،(قم، ١٤١٥ هـ)

- **اليزدي،محمد رضا المدرسي،**

٤٦- التشيع من رئي التسنن، تحقيق : عبد الرحيم الحمراني،ط١،صحيفة المعرفة،(قم،١٤٢٦هـ

- **كحالة، عمر رضا ،**

٤٧- معجم المؤلفين ،د.ط، مكتبة المثنى ،دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، د. ت)

- **كند، الملا علي(ت١٢٠٦ هـ)،**

٤٨- توضيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محمد حسين مولوي، ط١،دار الحديث، (قم، ١٤٢١ هـ)

دور الكنيسة الكاثوليكية في حركة الاستشراق - دراسة تحليلية -

The Role of the Catholic Church in the Orientalist Movement "An Analytical Study"

م. د كريم احمد حامي السعدون
جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

Abstract .

A lot of studies and research carried out by historians and researchers dealt with many aspects of the history of Orientalism, and shed light on many of its aspects. However, there is still room for studying many topics related to Orientalism, including the topic of our research entitled ((The Role of the Catholic Church in the Orientalist Movement)), as This subject is of great importance, because of the clarification of the effective role played by the Church in the Orientalist movement.

Knowing and perceiving the foundations and methods on which Orientalism was based, as well as knowing its incubator and its financing methods, opens the way for us to understand the purpose and significance of that movement, and through understanding it, it is also possible to address its effects that have penetrated the Islamic world in a large way.

الملخص:

تناولت الكثير من الدراسات والبحوث التي أنجزها المؤرخون والباحثون جوانب كثيرة من تاريخ الاستشراق، وسلطت الضوء على كثير من جوانبه، ومع ذلك لايزال المجال متاحاً لدراسة موضوعات كثيرة تتصل بالاستشراق، ومن بينها موضوع بحثي المعنون ((دور الكنيسة الكاثوليكية في حركة الاستشراق))، إذ إن هذا الموضوع يمتلك أهمية كبيرة، بسبب توضيح الدور الفعّال الذي قامت به الكنيسة في حركة الاستشراق.

إن معرفة وادراك الأسس والأساليب، التي قام عليها الاستشراق، فضلاً عن معرفة حاضنته وطرق تمويله تفتح لنا السبل في فهم غاية ومغزى تلك الحركة، كما يمكن من خلال فهمها معالجة اثارها التي تغلغلت في العالم الإسلامي بشكل كبير.

كلمات مفتاحية: (المسيحية، الكنيسة، الصليب، البابوية، الشرق، الاستشراق)

المقدمة:

قُسّم البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، تطرق المبحث الاول الذي كان بعنوان:(توجهات الكنيسة نحو الشرق) الى البدايات الاولى لاهتمام الكنيسة بالشرق، وما الأسباب التي دفعت الكنيسة إلى ذلك، فضلاً عن تسليط الضوء على السبل التي اتبعتها الكنيسة في مساندتها للاستشراق، وكيفية تبنيها له، كما سلطنا الضوء على الحروب الصليبية التي تعد وجهاً من اوجه الاستشراق. في حين وضح المبحث الثاني و الذي كان بعنوان: (الكنيسة وضرورات الاستشراق بعد الحروب الصليبية) دور الكنيسة في حركة الاستشراق بعد أن خابت آمالها في الحروب الصليبية، حيث اعتمدت الكنيسة على التنصير في دعمها للاستشراق، وكان لهذه السياسة دور مهم في تطور حركة الاستشراق. أما الخاتمة فقد احتوت على

ابرز النتائج التي خرج بها البحث في معالجة الموضوع.

اعتمد الباحث على جملة من المصادر المتنوعة لتغطية موضوعات البحث، وفي مقدمة هذه المصادر هو الكتاب المعنون (المستشرقون والتنصير دراسة للعلاقة بين ظاهرتين ، مع نماذج من المستشرقين المنصرين) للدكتور علي بن ابراهيم الحمد النملة، الذي سلط الضوء على الاستشراق ودوافعه لاسيما الدافع الديني الذي هو محور بحثنا. كما كانت اطروحة الدكتوراه المُعنونة (الطائفة الكاثولكية فرقها–وعقائدها–واثرها على العالم الإسلامي) للدكتور محمد بن علي بن محمد آل عمر، من المصادر المهمة في كتابة البحث لما فيه من موضوعية في عرض الأحداث، فضلاً عن العديد من المصادر الأخرى عربية كانت أم اجنبية يمكن مراجعتها في قائمة المصادر.

المبحث الأول- توجهات الكنيسة نحو الشرق

يعدّ بعض الباحثين الدوافع الدينية في مقدمة محفزات حركة الاستشراق، الذي ظهر أول الأمر بين الرهبان في العصور الوسطى ، بل يقر الكثير منهم ممن درسوا أهداف الاستشراق بأن الهدف الديني هو الأساس وراء هذه الدوافع، وذلك لأن العلاقة بين الغرب والإسلام كانت قائمة على (الصراع الديني) وهذا كان واضحاً أثناء الحروب الصليبية التي امتدت قرابة قرنين من الزمن ١٠٩٥ – ١٢٩١ م، والمعلوم أن المستشرقين ليسوا جميعاً ممن ينتمون إلى النصرانية، بل كان من بينهم المستشرقين اليهود الذين عملوا لخدمة اليهودية من خلال دراساتهم الاستشراقية، كما أن من بينهم الملحدين الذين خدموا الإلحاد من خلال اهتمامهم بالمنطقة العربية والإسلامية، ومحاولات نشر الإلحاد في هذه البقاع بديلاً عن الإسلام، فالاستشراق هو المصنع الفكري الذي مدَّ المنصَّرين والمستعمرين بالمواد الأساسية التي كانوا يسوِّقونها إلى العالم الإسلامي بغية تحطيم عقيدته، وهدم أفكاره، وقد جاء هذا الغزو الثقافي لتربية جيل يقر بالتنصير بوصفه المنقذ، والمخلص الوحيد لهم، وإن النصيب الأكبر لحركة الاستشراق برزت بين المسيحيين الأوربيين، وذلك لأن الكنيسة كان لها الدور الفعّال في الوقوف وبقوة مع حركة الاستشراق، حيث كان الكثير ممن ينتمون للكنيسة قد تولوا الاستشراق وعملوا على تبنيه أياً كان الأمر، لذا فإن حركة الاستشراق وفق هذا الأساس قد انطلقت بباعث ديني رغبة في خدمة الاستعمار وتسهيل عمله، فضلاً عن نشر المسيحية .

تعدّ الكنيسة مؤسسة دينية لها الحظ الأوفر في الحكم والسيطرة على الأوضاع في اوروبا آنذاك، إذ كانت الراعي الأول لحركة الاستشراق بغية المحافظة على تفوق المسيحية وسيادتها على مناطق واسعة من العالم، كدين سماوي أوحد، وكما نعرف بأن رجال الكنيسة كانت لهم سلطة كبيرة يمارسونها على أغلب دول الغرب المسيحي، فقد كان ملوك تلك الدول ينصّبون بمباركة الكنيسة، وأي ملك أو حاكم يخرج عن طاعة الكنيسة كان مصيره التكفير والحرمان ولهذا كان لرجال الكنيسة سلطة لا نظير لها بين الأوساط الحاكمة، وكانت الأموال والقرابين تدفع لهم من قبل الملوك والحكام رغبةً في كسب رضاهم ودعمهم.

إن الكثير من المستشرقين بدأوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية، وكان غايتهم نشر تعاليم وأفكار المسيحية، لا سيما في العصور الوسطى إذ إن هدفهم

الأساس كان تنصيرياً، ووفقًا لهذا كان الاستشراق يهدف إلى تغذية التنصير بالمعلومة المنقولة بلغة المنصر، وفضلًا عن هذا كان أهداف التنصير لها ارتباط كبير بأفكار الاستشراق وأهدافه، خاصة بما يتعلق بالأمور الدينية والثقافية التي لها الاثر الواضح في تحريك عواطف المجتمعات ومشاعرها وجذبهم للمسيحية[١]

لقد قال أحد المستشرقين "كان الغرض الأول من دراسة المشرقيات هو استفادة الغرب من علوم الشرق وآدابه، فقد رأت اوروبا أنها لا تسطيع أن تنهض وتتخلص من الحكم العربي المسيطر على (جزء من) اوروبا إلا بالعلم الذي أقام عليه المسلمون فتوحهم وحكمهم" [٢]، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه بخصوص دوافع الاستشراق.

ويبدو أن هذا الذي جعل الكنيسة تلقي باعتمادها كثيراً على الاستشراق لتحقيق أهدافها المرجوة والتي يمكن تلخيصها بهدفين رئيسيين هما: القضاء على الإسلام، بعد دراسته بعمق، و الثاني نشر المسيحية في العالم الإسلامي. من خلال تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى، وقد حرص معظم المستشرقين في الدراسات التي قاموا بها على تحقيق هذا الهدف التنصيري إذ صوّر الإسلام في صورة الدين الجامد الذي لا يصلح للتطور، ولم تتوقف أفكار رجال الكنيسة عند هذا الحد بل سعوا إلى تحقيق الأهداف الاقتصادية فيما اذ نجحت في تحقيق أهدافها؛ فضلاً عن أن الكنيسة رغبت بان تنضوي تحت كنفها الطوائف المسيحية الشرقية الأخرى كالأرمن والارثوذكس[٣]، وبعد الاعتراف بالمسيحية كديانة رسمية في الامبراطورية الرومانية من قبل الامبراطور قسطنطين (٣٠٧-٣٣٧م)، عمد إلى جعل والدته القديسة هيلانة تقوم ببناء كنيسة القيامة سنة ٣٢٨م ولم تكتف بذلك بل كشفت عن مقدسات أخرى كان له الأثر في زيادة رحلات الحج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين، فضلاً عن اقامة شخصيات مهمة دينية وسياسية في الأماكن المقدسة المسيحية، مثل القديس جيروم (Jerome)، والامبراطورة إيدوسيا (Empress Indonesia) واشخاص اخرين .[٤]

لذا يمكن عدّ الامبراطور قسطنطين أول مستشرق ينتمي للكنيسة، لاسيما بعد أن بسط هيمنته على العالم الغربي، وجمعه للسلطتين الزمنية والدينية بيديه بعد صلح (اميان) عام ٣١٢م وعمد إلى إرسال الرسائل لاتباع النصرانية في فلسطين، مركزاً على رفعة المسيحية ومكانتها[٥]، وهذا العمل يمكن عده تصريح من قبل أعلى سلطة حاكمة بفرض التنصير على باقي الأديان، لاسيما أن النصرانية قد طغت على جميع الأديان التي كانت قبلها (سماوية كانت ام وضعية)، من خلال عدد من الاعمال التي قامت بها ومنها: انشاء الكنائس، و وضع السلطة القضائية بكنف الاساقفة، فضلاً عن الاجتماعات مع القساوسة بغية نشر المسيحية[٦]، ومن جانب اخر تعززت عملية الحج للاماكن المقدسة في فلسطين، بالمكانة الدينية والتاريخية لمدينة القدس في الفكر المسيحي، إذ إن التطور الداخلي للكنيسة الكاثوليكية جعلها تسعى لتتبوأ منصب السيادة الدينية والدنيوية (نظرية السمو البابوي)، وهذا ما جعل القدس محط انظار الكنيسة المسيحية وسعيها الحثيث من أجل وضعها تحت سيادة المسيحية وانتزاعها من ايدي المسلمين[٧]، وبهذا بدأت الكنيسة تحفز المسيحيين للذهاب إلى حج بيت المقدس، ونقل أفكار وصور

مغلوطة عن وضع المسيحيين فيها بعد عودتهم، إذ وصفوا حالهم بالسيء وإن المسلمين قد سلبوهم مقدساتهم، وعملوا على تأجيج مشاعر العداء ضد الإسلام والمسلمين.

كانت البابوية قد اتخذت من موقعها المهم في حياة المسحيين بوصفها أعلى سلطة دينية، سبيلاً لتحقيق أهدافها التي يمكن عدها أهم من نشر المسيحية، إذ تسترت بالغاية الدينية للسيطرة على موارد اقتصادية هائلة، كما كان لسيطرت المسلمين على التجارة في البحر المتوسط، دافع كبير في جعل التجار الايطاليون يضغطون على البابوية لحماية مصالحهم التي تضررت كثيراً من خضوعهم لضرائب التي يفرضها المسلمين؛ هذا فضلاً عن الاسباب السياسية التي كان لها الدور الكبير في تبني الكنيسة للاستشراق، إذ انها رغبت بتصدير مشاكلها الداخلية نحو الشرق من خلال توجيه الفرسان الأوروبيين لقتال المسلمين بدلاً من الحروب الداخلية التي كانت تشهدها اوروبا، وهذا التوجه الذي تبنته الكنيسة، قد توافق مع طموحات وامال الأمراء والنبلاء الاوروبيين الذين كانوا يمنون أنفسهم بتأسيس إمارات لهم في الشرق، وأدركوا أن هذا لا يتم إلا من خلال حرب كبيرة يشاركون فيها جميعاً، كما أن البابا رغب في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سلطته رغبةً في تعزيز نفوذه في العالم المسيحي [٨]. وهكذا شرعت الكنيسة إلى الإعداد للحرب على الإسلام والمسلمين، حيث اعتكزوا على حجج دينية في حربهم تلك.

الكنيسة و الحروب الصليبية.

لقد كان لانتشار الأفكار الإسلامية في اوروبا أثر مباشر في إعلان الكنيسة عداوتها الصريحة للإسلام، إذ مع انتقال المسلمين لاسبانيا واختلاطهم مع سكانها دقّ جرس الإنذار لدى الكنيسة، إذ أثارت الأفكار الإسلامية الرعب في نفوسهم، وذلك خوفًا من أن تتغلغل تلك الأفكار وتزعزع القيم المسيحية، كونها تحتوي على تعاليم انسانية تمحو الطبقية والعنصرية في المجتمع وتحث على التسامح أكثر مما في المسيحية وغيرها من الديانات الأخرى التي تحتوي تلك التعاليم ، ولكن لا تصل إلى الحد الذي يحث عليه الإسلام، اذ رأت فيه تأثيراً (تدميرياً) عليهم، لذلك رأت من ضروريات حماية المسيحية هو محاربة الإسلام، واعتقدوا أن هذا لا يتم إلا من خلال حملة عسكرية يتم عن طريقها السيطرة على حاضنته، واقناع معتنقيه باتخاذ المسيحية ديناً بديلاً عنه، وهذه الأفكار تغلغلت في نفوس شريحة كبيرة من المستشرقين، وإن من صور الحقد الذي ملئت فيه نفوس رجال الكنيسة هو الاحتجاجات التي قادها الكاهن اويلوغيوس (The priest Aoilo Agius) والنبيل باول ألفاروس(Powell Olfaros)) للمدة (٨٥٠-٨٦٠)م إذ جاءت تلك الاحتجاجات نتيجة لامتعاضهم من الانتشار الكبير لتعاليم الإسلام في الغرب وتحديداً في اسبانيا.[٩]

على الرغم من مطالبات بعض الاسبان بالاعتدال مع المسلمين إلا أن الخطاب التحريضي ضد الإسلام والمسلمين كان صوته أعلى، خصوصاً وان هناك كتابات خرجت تندد بمطالبي الاعتدال وعلى سبيل المثال لا الحصر، كتاب باول ألفاروس الموجه ضد الإسلام تحت عنوان(Indiculus Luminosus)، هاجم فيه المسيحين الذين لديهم ميول للاعتدال تجاه المسلمين .[١٠]

بدأ توجه رجال الدين المسيحين للاستشراق منذ وقتاً مبكراً، فقد كان توجههم أول الأمر لفهم العلوم والعادات الإسلامية من أجل تدميرها وذلك بإدخال نصوص وعبارات لا تمت إلى الإسلام بصلة والادعاء بأنه دين يهدف إلى العنف ونبذ الانسانية، ومن (اوائل) رجال الدين الذين اتخذوا هذا التوجه سبيلاً هو جربير دي اورياك (G.de,Aurillac) الذي خرج في رحلة إلى قرطبة في عام ٩٦٧م، للتزود من علوم المسلمين، وبقى ثلاث سنوات يتتلمذ على يد علماء المسلمين، ثم توجه بعد ذلك نحو برشلونة ليرافق قسها بورل (Borel) والاسقف أوطو (Otto) بغية عرض العلوم التي اكتسبها أمام أتو الاول (Otto I) وسرعان ما اثمرت جهود اورياك العلمية لتوصله لكرسي البابوية تحت اسم البابا سلفستر الثاني (Silvester II)، بل أنه اشرف على تعليم ملك فرنسا روبرت الثاني (Robert II) والقديس ريتشرد (Richerd)، كما ترك له وكلاء في برشلونة مهمتهم دراسة العلوم الإسلامية، واستغلالها في نهوض اوروبا المسيحية [١١]، وقد وصف المؤرخون سلفستر الثاني بالعديد من الأوصاف لعل ابرزها (رأس السحرة) و (المتحالف مع الشيطان) وأن أهمية سلفستر الثاني التاريخية تكمن في تنبيه الأوروبيين للاستشراق، وضروراته من اجل الحفاظ على بقاء المسيحية[١٢].

ومن الادوار البارزة للكنيسة هي مساندة الفونس السادس (Alfonso VI) ملك قشتالة حين دعا، ميشيل سكوت (Michelle Scott) ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم فجمع سكوت طائفة من الرهبان في احدى الأديرة وشرعوا في ترجمة بعض الكتب العربية ثم قدمت لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخٌ منها وبعث بها إلى جامعة باريس [١٣]، كما أن الفونس السادس وفر الكثير من المعلومات عن الإسلام والمسلمين، بعد أن استولى في عام ١٠٨٥م، على امهات المصادر من مكتبة الحكم الثاني[١٤]، وعدت تلك المصادر إحدى الاسس التي قامت عليها حركة الاستشراق، بل كانت من أهم الأسباب الرئيسية التي دفعت الكنيسة لتبني الحروب الصليبية.[١٥]

إن تأثيرات الكنسية في حركة الاستشراق ومحاربة الإسلام تمثلت في مغزى الحروب الصليبية، فقد بدأت الدعوات تتعالى لمحاربة الإسلام، إذ قاد البابا غريغوري السابعVII Gregory)) (١٠٧٣-١٠٨٥م) حملة تشويهية ضد الإسلام، حتى عد انه (المبتكر الحقيقي) لفكرة الحروب الصليبية، إذ أنه كان أول من طالب بحرب هجومية لا دفاعية ضد الشرق، و وصفها بالحرب المقدسة لانقاذ المسحيين من ظلم المسلمين، فضلاً عن نشر المسيحية في تلك الاقاليم[١٦]، ومن أجل تحقيق تلك الغايات استمرت دعوات الكنيسة للحرب ضد الإسلام، ففي ١٨ تشرين الثاني ١٠٩٥م عمد البابا اوروبان الثاني(Urban II) إلى عقد مجمع ديني كنسي عام في مدينة كلير مونت الفرنسية، شارك فيه ما يزيد على ٢٥٠ رجل دين تشاور معهم بشأن اصلاح الكنيسة الفرنسية وفي مقدمة هذا الاصلاح المطالبة بتحرير (القبر المقدس) كنيسة القيامة، وتطهيره من ايدي المسلمين، ودعم البابا دعوته الحربية هذه بتوليه التنظيم والتنفيذ وفي ٢٧ تشرين الثاني من العام نفسه، خطب في حشد كبير من الناس ولاسيما رجال الدين مناديا "اخوتي الاحباء اني اوروبان المدفوع بمطاليب هذا العصر والحامل ببركة الله تاج البابا واعلى سلطة دينية في كل العالم اتقدم اليكم هنا بصفتي رسولا لتنفيذ الارادة الالهية كلها، فلابد من تقديم المساعدة الضرورية العاجلة لإخواننا في الشرق، هذه المساعدة التي طالما وعدناهم بها...".[١٧]

لاقت دعوة الكنيسة تجاوباً كبيراً من مختلف فئات المجتمع الاوربي فمنهم من كان يدفعه الدين، واخر طلباً لثروات الشرق، كما كانت علوم المسلمين تجتذب قسماً كبيراً منهم، مما جعلهم يتبنون فكرة البابا وتأييدها.

لقد انضوى المسيحون تحت لواء الكنيسة وغطاء الدين، فقد اختارت الكنيسة عام ١٠٩٦-١٠٩٧م موعداً لبدء الحرب، متخذة من الصليب شعاراً، والقسطنطينية مركزاً لانطلاق الجيوش الاوربية نحو اسيا الصغرى وبلاد الشام، ثم أخذ البابا يتنقل بين المدن الاوروبية داعيًا للحرب، فنجح نجاحًا باهرًا، واستطاع تجنيد الكثير من الامراء في الحملة الاولى وما تلاها من الحملات الأخرى.[١٨]، لذا فإن الكنيسة كانت المحرك الأساس في توجيه الجيوش الاوربية ليس دعائياً فحسب، وإنما عسكريًا وماديًا ايضًا، ومن ابرز المساهمات الفعلية للكنيسة في الحروب الصليبية، هي الحملة الخامسة التي كانت على مصر، إذ كانت تلك الحملة في عام ١٢٢١م، بقيادة البابوية إذ انيطت قيادة الحملة بوكيل البابا الذي كتب تقريرًا للبابا ابلغه فيها عن آماله في النصر القريب، وهذا ما دفع البابا إلى توجيه رسالة إلى اسقف ترير[١٩] في ١٣ آذار ١٢٢١م، قال فيها: "إن العلي الأعلى يقف إلى جانبنا، ويريد أن ينصر دينه...".[٢٠]، ومن هذه الرسالة يتضح لنا أن الدافع الديني كان هو المحفز لتلك الحملات التي يمكن عدها وجهًا من أوجه الاستشراق، فضلاً عن دور الكنيسة في تحشيد الفكر الاوروبي نحو الشرق الإسلامي، من منطلق ديني. وإن تلك الجهود التي بذلتها الكنيسة، من أجل القضاء على الإسلام عسكريًا منيت بالفشل، إلا أنها زودت الكنيسة بالكثير من المعلومات المهمة حول الإسلام والمسلمين وهذا ما حفزها للتعمق في دراسة الإسلام، وبأساليب شتى وهذا ما حدد ضروريات عمل الكنيسة ما بعد الحروب الصليبية.

المبحث الثاني- الكنيسة وضرورات الاستشراق بعد الحروب الصليبية.

أدى الفشل الذريع الذي منيت به الحملات الصليبية ببعض الباحثين الكنسيين ومنهم روجر بيكون (ت ١٢٩٤م)، إلى القول بأن الكنيسة يجب أن تبذل جهدًا أوسع لكي تعزز الصور المشوهة والعدائية عن الإسلام ونبيه، بدافع حماية أتباعها من الكفر والزندقة؛ ومع ذلك فقد رغب بعض الباحثين الكنسيين بالاستفادة من الثروة الفكرية المزدهرة آنذاك لدى العالم الإسلامي وكان ذلك يمثل بداية الاتصال الغربي الفعلي بالحضارة الإسلامية، فبدأت طلائع المستشرقين (ومعظمهم كان من الرهبان)[٢١].

كان من العمل الفعلي للكنيسة كخطوة فعالة في تنشيط الاستشراق هو ما جاء في مجمع فينا الكنسي المنعقد سنة ١٣١٢م حيث أوصى بإنشاء عدد من كراسي للغات، ومنها اللغة العربية[٢٢] وكان ذلك باقتراح قدمه المنصر ريموند لول (Raymond Lol) الذي كان يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية بوجه خاص كأفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية، حيث تم قبول اقتراحه من المجلس الكنسي، ويدل هذا القبول على نمو الفكر التنصيري في الغرب المسيحي وخاصة بعد فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها في تحويل المسلمين عن الإسلام، لذلك اتجهوا إلى الجانب الاخر من الحروب وهي الحرب الفكرية من اجل السيطرة على العقول.[٢٣]

إن الفلسفة التي وضعها لول، تعتمد على السلاح الفكري للقضاء على الإسلام، وذلك من خلال نشر المسيحية في بلاد المسلمين، وهذا كان مستمد من رئيس دير كلوني المعروف باسم بطرس المبجل

(Potrus Venerabilis)، الذي تبنى فكرة ترجمة القران الكريم للمرة الاولى، إذ ترجمه الانكليزي روبرت كتون (Robert Ketton) في عام ١١٤٣م، إلى اللغة اللاتينية، وتعد هذه الخطوة أول استثمار للغة العربية، وهي جزء من مخطط عام يدعو إلى تنصير المسلمين .[٢٤]

تكمن خطورة هذا الامر في ان ما ذهب اليه بطرس المبجل، هو محاربة الفكر من خلال زرع الاوهام في عقول المسلمين، وذلك من خلال التشكيك في العقيدة واللعب على الوتر الحساس، خصوصًا وان المستشرقين قد سلكوه طريقًا لمحاربة الإسلام وذلك بعد أن اتقنوا اللغة العربية واخذوا يهاجمون الإسلام، من خلال تراثه الذي فيه الكثير من الامور التي تتحمل الجدل.

إن بطرس المبجل خط الطريق للمستشرقين في كيفية محاربة الإسلام، وهذا يبرز من خلال الخطاب الذي وجهه إلى المسلمين قال فيه: "إني لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسلاح، إنني أُوجَّه إليكم كلمات فقط، بغير عُنف، وبَتَعقُّل وهدوء من غير كراهية وبحُبّ كبير . ." [٢٥]. إن خطاب بطرس كان له اثراً كبيراً في نفوس الغربين أكثر من الشرقيين، وذلك لأنه أوضح لهم وسيلة تعد مرتكزًا وفعالًا سار عليه أغلب المستشرقين، وقد اثمرت مخططاته في نشر الفكر التخريبي في بلاد المسلمين .

الكنيسة وسلاح التنصير.

اتبعت الكنيسة سبلاً متنوعة في محاربتها للإسلام لاسيما بعد الحروب الصليبية، إذ تعددت الوسائل في محاربتها للإسلام، فتارة سياسية وتارة عسكرية، واخر ثقافية، ولعل أبرز أساليبها هو التنصير أو التبشير، إذ ارتكزت عليه كثيراً في تحقيق مساعيها، وتحقيق أيدولوجياتها، والتنصير في مفهومه اللغوي هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية. وفي لسان العرب: "والتنصُّر: الدخول في النصرانية، وفي المحكم: الدخول في النصري. ونصَّره: جعله نصرانيا..." . وقريب منه قول الفيروز آبادي في القاموس المحيط: "... والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية أيضا دينهم، ويقال نصراني وأنصار. وتنصَّر دخل في دينهم،..." .[٢٦]

بدأ التنصير مبكراً باعتباره جهوداً لمقاومة الإسلام، أي منذ البدايات الأولى لعهود الرسالة الإسلامية والخلافة الراشدة، بإثارة الشبهات حول القضايا الإسلامية، وذلك بتدفق المجموعات النصرانية نحو بلاد الإسلام، لكنه أخذ شكلا أكثر تنظيماً وتحديداً بعد فشل الحروب الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي ورافقه في ذلك الاستشراق، لتأخذ الحرب أسلوباً جديداً، يعتمد على مخاطبة الفكر من خلال التشكيك في الثوابت، التي يمكن عدها وظيفة الاستشراق الأولى، وذلك من خلال استغلال الحاجة والفاقة لتغيير القناعات خدمة لوظيفة التنصير المحورية.

دوافع التنصير.

واجهت اوروبا انكسارات كبيرة على يد المسلمين، فبعد الهزائم المذلة في الحروب الصليبية، واجهوا خطراً أكثر قوة، ليس على المستوى العسكري حسب، أنما على مستوى العقيدة، إذ تمثل هذا بالفتوحات العثمانية لشرق اوروبا، وأنطلق العثمانيون منذ القرن الثالث عشر تجاه اوروبا، وتمكنوا بمرور الوقت من وضع قدماً لهم في منطقة البلقان[٢٧]، ثم سرعان ما سيطر المسلمين على القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح في عام ١٤٥٣م لتشكل صدمة لاوروبا بشكل عام، والكنيسة على وجه

الخصوص[٢٨]، حيث كان من نتائجه الاصلاح الديني الذي ظهر في اوروبا والذي مهد لظهور النهضة الاوروبية فيما بعد.

عمدت الكنيسة إلى استخدام الدين كأداة في قيام حركة التنصير، حتى تؤمن الغطاء لمساعيها الحقيقية، فقد كان نشر المسيحية أمراً ثانوي للمنصرين، والهدف الحقيقي لجهودهم هو التعمق في دراسة الشرق، لاسيما بلاد المسلمين، ولكي تؤسس لها قاعدة متينة ترتكز عليها في مخططاتها الساعية لنشر الدين المسيحي في الشرق، توجهت نحو الاستعمار في تلك المناطق، وهكذا أصبح التنصير أحد السبل للحملات الصليبية، إذ كانت ترافق الجيوش فرقاً متخصصة في الدعوة للنصرانية، ومن أشهرها فرقة فرسان المعبد، وعلى الرغم من فشل الحملات الصليبية في تحقيق هدفها العسكري، إلا أنها نجحت في زرع المذهب الكاثوليكي في المشرق العربي وهذا تم بجهود تلك الفرق[٢٩].

إن من أبرز ما يوضح غايات التنصير هو ما جاء على لسان زويمر (رئيس جمعيات التنصير البريطاني) في مؤتمر القدس للتنصير عام ١٩٣٥م عندما خاطب جمعاً من المنصرين في العالم الإسلامي قائلاً: "أيها الإخوان الأبطال، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل النصرانية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل، ولقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء، إنني أُقِرُّكم أن الذين دخلوا حظيرة النصرانية من المسلمين ليسوا بمسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرِّفه: ما هو الإسلام؟ أو رجل مستخفٌّ بالأديان، لا يهتم بغير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر، وعزَّت عليه لقمة العيش، وثالث يبغي الوصول إلى غاية شخصية"[٣٠]، ثم وضح لهم أن المهمة التي نَدَبَتْهم إليها الدول النصرانية في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتهم أن يُخْرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعةَ الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قُمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم عليه دول النصرانية، ثم عرج قائلاً: في هذه الحقبة من الدهر على جميع برامجنا التعليمة أن تنشر في الممالك الإسلامية، ونشر التنصير والكنائس، والجمعيات والمدارس النصرانية الكثيرة، التي تشرف عليها دول اوروبا وأمريكا. ثم اخبرهم بواجبهم قائلاً "أيها الزملاء :إنكم أعددتم في ديار الإسلام شبابًا لا يعرفون الصلة بالله، ولا يريدون أن يعرفوها، وأخرجتم بعضهم من الإسلام، ولم تدخلوه النصرانية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده الاستعمار: لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا هم له في دنياه إلا الشهوات، فإذا تعلَّم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوَّأ أسمى المراكز فللشهوات وفي الشهوات يجود بكل شيء. باركتكم النصرانية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم، لقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب"[٣١].

هذا التصريح يبين لنا الآلية التي سار عليها المستشرقون، والدوافع التي كانت تحركهم فبالنظر إلى أساليبهم الاستعمارية في دراسة بنية المجتمعات الشرقية عامة، والإسلامية خاصة يتضح لنا الدور الذي قام به هؤلاء في رسم خريطة تفصيلية عن تلك الدول والتي كانت أساساً في حركة الاستعمار، وفي

هذا الصدد يذكر القس سيمون (Rev. Simon) : "إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التخلُّص من السيطرة الأوروبية، والتبشير عامل مهمٌّ في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوِّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية"[٣٢]، وهذا يبين لنا دوافع التنصير، إذ طالما اعتقد الغرب بضرورة وضع البلاد الإسلامية تحت وصاية الكنيسة، بل زعموا أن الإسلام هو مقتبس من المسيحية، وارادوا بذلك تشويه الإسلام إذ عدوه الصورة المقتبسة عن المسيحية لكنها حرفت وشوهت، ولذلك على الكنيسة إرجاع من اعتنقوا الإسلام لجادة الصواب من خلال تنصيرهم، وأن المنصرين الذين كرست جهودهم لخدمة أغراض بلدانهم الاستعمارية وعليه يمكن تقسيم فئات المستشرقين الذين عملوا بالتنصير إلى اربع فئات وهي:-

١. فئة من المستشرقين تعاطفت مع التنصير وأعانته إعانة غير مباشرة بتوفير المعلومة المطلوبة حول ثقافة من الثقافات أو مجتمع من المجتمعات، فهذه الفئة ليست من المنصرين الذين مارسوا التنصير عملياً، ولكنهم يعدون من المنصرين عندما يتبين أنهم باستشراقهم قد خدموا التنصير.
٢. وهناك فئة من المستشرقين ممن بدأوا حياتهم مستشرقين، يركزون على الدراسات الاستشراقية ويواصلون جهودهم فيها، ويرحلون من أجل الوصول إلى المعلومة التي تعينهم على الوصول إلى النتائج التي يرمون إليها، ثم استهواهم التنصير، فانصرفوا إليه على حساب الاستشراق حتى اشتهروا منصرين أكثر من شهرتهم مستشرقين .
٣. وهناك فئة أضحوا مستشرقين منصرين، أي أن توجههم للاستشراق قد غلب على توجههم للتنصير، فعُرفوا مستشرقين أكثر من معرفتهم منصرين، فهؤلاء انغمسوا في مجال التنصير ورحلوا نحو الشرق من أجل هذا الهدف ليقوموا بعملهم دون سعيهم المباشر نحو معلومة معينة، لكن عند اختلاطهم في هذه المجتمعات أخذوا يتعرفون ويدرسون كل شيء عن هذه المجتمعات لينسوا هدفهم الرئيس وهو التنصير، ليصبحوا مستشرقين.
٤. وهناك فئة من المستشرقين كان الدافع لاشتغالها بالاستشراق دينياً تنصيرياً بحتاً ، ثم تبين لها عدم جدوى هذا المنحى، وعدم سلامة الأهداف والغايات ، فانسحبت من هذا الدافع، وانصرفت إلى الدراسات الاستشراقية العلمية البعيدة عن هذه الأهداف.[٣٣]

سلك المنصرون طرقاً مختلفة في تحقيق غاياتهم، وكان أبرز ما حاولوا انجازه هو القضاء على الإسلام، والتشكيك بنبوة محمد (ص) ، ومما يؤكد هذا هو ما جاء على لسان البابا شنودة (Shenouda) من خلال الخطاب السري الذي ألقاه في الكنيسة المرقصية في الاسكندرية بتاريخ آذار ١٩٧٣م ذكر فيه أنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية التي وضعت وبنت على أساس هدف أُتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر قدر من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم، وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم وصدق محمد.[٣٤]

ويقول اليسوعيون في عرض نشاطهم التنصيري: "ألم نكن نحن ورثة الصليبين، أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي" [٣٥]. وهذه الأفكار جاءت بعد أن ازداد النشاط الاستشراقي من خلال التنصير، لاسيما بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات

الأوروبية، مثل كرسي أكسفورد عام ١٦٣٨م، وكامبريدج عام ١٦٣٢م وأن تأسيس الجمعيات العلمية مثل الجمعية الاسيوية البنغالية، والجمعية الاستشراقية الأمريكية والجمعية الملكية الاسيوية البريطانية وغيرها بمنزلة الانطلاقة الكبرى للاستشراق حيث جمعت بين يديها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث، والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية. وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي (Silvester d Sacy) التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين ونتيجة لأهميتها ساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن.[٣٦]

قام التنصير وفق أيدولوجيات وخطط مدروسة، وبتمويل كبير من الكنيسة وبعض ملوك اوروبا، فقد ادركوا أهمية التنصير ولذلك أنشأوا مؤسسات تنصيرية تشرف على تلك الحملات وتمدها بما تحتاجه من الموارد المالية والبشرية. ومن الجدير بالذكر أن هذه المؤسسات كانت تتلقى الدعم المادي والمعنوي من الحكومات الغربية، وعن طريق المؤسسات والأفراد والتبرعات والهبات والأوقاف. وعلى هذا الأساس قامت العديد من المؤسسات التنصيرية والجمعيات المتعددة في اوروبا وأمريكا، أو في البلاد المستهدفة. ومن أبرز تلك المؤسسات والجمعيات مرتبة حسب تاريخ إنشائها هي:

1	جمعية لندن التنصيرية: تأسست سنة ١٧٦٥م، وهي موجهة إلى أفريقيا.
2	جمعيات بعثات التنصير الكنسية: تأسست في لندن سنة ١٧٩٩م، وهي موجهة إلى الهند ومنطقة الخليج العربي.
3	جمعية تبشير الكنيسة الانجليكانية البريطانية: تأسست سنة ١٧٩٩م، وتدعم من الأسرة المالكة في بريطانيا.
4	جمعية طبع الإنجيل البريطانية: تأسست سنة ١٨٠٤م، وتهتم بالطبع والترجمة والتوزيع.
5	جمعية طبع الإنجيل الأمريكية: تأسست سنة ١٨١٦م، ولها مطابع ومكتبات تجارية في البلاد العربية كمطبعة النيل ومكتبة الخرطوم.
6	مجلس الكنيسة المشيخية الأمريكية: نشأت سنة ١٨٣٧م، وهي موجهة إلى العالم العربي.
7	الجمعية المسيحية الإرسالية: تأسست سنة ١٨٤٢ مع بدء النشاط التنصيري في نيجيريا الجنوبية، ووضع لها راع من نيجيريا برتبة أسقف ويدعى "صمويل آجاي كراوتر".
8	جمعية الكنيسة التنصيرية: نشأت سنة ١٨٤٤م، وتركز على التعليم والخدمات العلاجية ويسهم الألمان فيها بجود.
9	جمعية الشبان النصارى: نشأت سنة ١٨٥٥م
10	إرسالية الجامعات لوسط أفريقيا: نشأت سنة ١٨٥٦م. وقد قامت تلبية لنداءات المستكشفين الجغرافيين الإنجليز في الجامعات والجمعيات البريطانية.
11	جمعية الشباب القوطيين للتنصير في البلاد الأجنبية.
12	الكنيسة الإصلاحية الأمريكية: تأسست سنة ١٨٥٧م، وهي موجهة إلى منطقة الخليج العربي.

13	جمعية الروح القدس في زنجبار: تأسست سنة ١٨٦٣م، وهي كاثوليكية، وتهتم بالعلاج والتعليم الصناعي.
14	أنشأ البابا ليو الثالث عشر سنة .١٨٧٨م أسقُفيتين لمباشرة التنصير الكاثوليكي في شرق أفريقيا، واحدة منها في منطقة بحيرة فكتوريا والأخرى في منطقة بحيرة تنجانيقا.
15	اتحاد البعثة التنصيرية الإنجيلية: تأسست سنة ١٨٩٠م في الولايات المتحدة الأمريكية.
16	الإرساليات العربية الأمريكية: نشأت سنة ١٨٩٤م في الولايات المتحدة الأمريكية، وتهتم بمنطقة الخليج العربي.
17	جمعية اتحاد الطلبة النصارى: تأسست سنة ١٨٩٥م.
18	حملة التنصير العالمية: تأسست سنة ١٩١٣م في الولايات المتحدة الأمريكية، وتهتم بالطب والتعليم والأدب والترجمة.
19	زمالة الإيمان مع المسلمين: أنشئت سنة ١٣٣٤هـ-١٩١٥م في بريطانيا وكندا، وتهتم بالمطبوعات.
20	جمعية تنصير الشباب: نشأت سنة ١٩٥٢م.
21	عمودية التعبئة: تأسست سنة ١٩٥٨م، وهي موزعة، وتعني بتدريب الشباب على التنصير.
22	الامتداد النصراني في الشرق الأوسط: نشأت سنة ١٩٧٦م، وهي موزعة، وتهتم بالمطبوعات.
23	إرسالية الكنيسة الحرة الاسكتلندية: تهتم بالصناعات اليدوية والزراعة.
24	جمعية التنصير في أرض التوراة العثمانية.
25	جمعية تنصير شمال أفريقيا.
26	لجنة التنصير الأمريكية.
27	إرسالية كنيسة أسكوتلندة الرسمية: قامت تلبية لنداء المستكشف الإنجليزي "ليفينجستون" .[٣٧]

هذا بالإضافة إلى الجمعيات المحلية في العواصم والمدن الإسلامية، يقوم عليها عاملون محليون مدعومون من جمعيات تنصيرية غربية، اوروبية وأمريكية، إلا أن زويمر قال في خطاب اخر، ما هو أخطر من التنصير، إذ صرح باتباع أسلوب جديد في محاربة الإسلام، إذ قال: "...يجب علينا قبل أن نبني النصرانية في قلوب المسلمين أن نهدم الإسلام في نفوسهم حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوسهم أو في نفوس من يتربون على ايديهم" .[٣٨]

ومن هذا يتضح لنا الدور الكبير للكنيسة في حركة الاستشراق من خلال ما أسهم به رجال الدين من دور كبير في مختلف جوانب المعرفة خدمة لحركة الاستشراق، لاسيما العلمية والعسكرية، إذ وضعت الكنيسة الأسس المتينة في خدمة مصالح الدول الاستعمارية التي تكالبت على الشرق من أجل نهب ثرواته والطعن بمعتقداته، وهذا قام على ما نقله المستشرقين والمنصرين من معلومات صبت كلها في خدمة الاستعمار الغربي للبلدان الإسلامية بصورة عامة، والعربية بصورة خاصة، وهكذا أسهمت الكنيسة بالدور الرئيسي في دفع المستشرقين لدراسة الشرق والإطلاع على علومه، بغية معرفة نقاط القوى

والضعف ومن ثم الولوج إلى مكنوناته والعمل على اختراق قدراته بغية الابقاء على المسيحية والحد من انتشار الإسلام.

ومن ما تقدم يمكن أن نفسر المصائب التي تحيط بالعالم الإسلامي عامة، والوطن العربي بصورة خاصة، فتارة نتعرض لحرب اقتصادية، وأخرى عسكرية، بل ما هو امر من ذلك تشويه الإسلام من خلال خلق طوائف وجماعات دموية تضم شرذمة من سفاكي الدماء تدعي أنها تنتمي للإسلام، وخير مثال على ما ظهر مؤخراً من فكر تكفيري اجرامي تحت اسم (الدولة الإسلامية) او ما يعرف بـ (داعش)، التي عاثت في الأرض فساداً باسم الإسلام الذي هو بريء منهم ومما يفعلون، وهذا من أجل تصدير الإسلام على انه دين دموي لا يحترم الإنسانية ويشرعن سفك الدماء، وهذا بغية تدمير الإسلام أمام المجتمع الدولي.

الخاتمة:

أتضح من خلال البحث جملة من النتائج وأبرزها:

- كان للكنيسة دوراً بارزاً في دعم وتوجيه حركة الاستشراق وبدوافع متعددة، هدفت الى تحقيقها من خلال الخوض بالاستشراق، وأن الفهم الخاطئ لتعاليم المسيحية، صوّر لرجال الدين المسحيين أن محاربة الأديان ولاسيما الإسلام هدفاً اسمى في نصرة المسيحية ونشرها.
- إن الخطر الذي استشعرته اوروبا عامة والمؤسسة الدينية خاصة بعدما وصل الإسلام الى أراضيهم، جعلهم يهدفون إلى محاربة الإسلام، لما احسوا أنهم سيفقدون نفوذهم إذ ما دخل الاوروبيون في الإسلام.
- كان للصراعات الداخلية بين الممالك الاوروبية سبب رئيسي في حركة الاستشراق حيث كان من الضروري للكنيسة ايجاد وحدة سياسية وأوضاع داخلية خصبة من أجل استمرار هيمنتها، ولذلك وجهت جهود الاوروبيين العسكرية نحو الشرق، تصديراً للمشاكل الاوروبية تحت خطاء الدين، وتلك الحروب فتحت الافاق امام الكنيسة لتتبنى فيما بعد الاستشراق.
- سعت الكنيسة الى تبني حركة الاستشراق بعد أن وجدت نفوذها وسيطرتها مهدد بالزوال لاسيما بعد حركة الإصلاح الديني، الذي بين للمجتمع الاوربي بطلان وزيف المعتقدات التي رسمتها لهم الكنيسة، فحاول رجال الدين الى ايجاد منفذ لحل مشكلاتهم، وهذا تم بخلق العداء للإسلام في نفوس الاوروبيين.
- تنوعت أهداف الكنيسة في سعيها للاستشراق، وهذا ما انعكس على أساليبها ايضاً، فتارة تتخذ الحل العسكري، وتارة تعتمد على سياسة التنصير التي أُنشأت لها مؤسسات عملاقة حصلت على دعم كبير من قبل دول استعمارية كبيرة.
- أفرز الاستشراق نتائج كبيرة خدمت الكنيسة على الصعيدين المادي والمعنوي، إذ انتشرت المسيحية في مناطق واسعة من الشرق، كما انتشرت كثيراً المؤسسات التي سخرت لخدمة الكنيسة والغرب على السواء.

الهوامش

[١] علي بن ابراهيم الحمد النملة، المصدر السابق، ص ٢٠.

[٢] مقتبس عن : فهد عبد القادر عبد الله الهتار، دوافع الاستشراق والمستشرقين، بحث منشور في كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٣٢هـ، ص ٢.

[٣] عبد الرضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القران؟، ط١، مكتبة الملك فهد، الرياض ٢٠٠٦، ص ١١٠.

[٤] سمير صالح حسن العمر، عباس عاجل جاسم الحيدري، الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم بحث منشور، كلية الآداب، جامعة الكوفة، بلا عدد، د.ت، ص ١١٠.

[٥]محمد بن علي بن محمد آل عمر، الطائفة الكاثولكية فرقها–وعقائدها–واثرها على العالم الاسلامي اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، كلية الدعوة واصول الدين، ٢٠٠٧، ص ٥٥–٥٦.

[٦] محمد بن علي بن محمد آل عمر، المصدر السابق، ص ٥٦.

[٧] سمير صالح حسن العمر، عباس عاجل جاسم الحيدري، المصدر السابق، ص ١١١.

[٨] سمر رحيم الخزاعي، رشا عيسى فارس، رؤية معاصرة للحرب الصليبية الاولى، مجلة كلية التربية العدد الثاني، ٢٠٠٦، ص ٥٧١.

[٩] ريتشاد سوذرن، صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ط١، ترجمة رضوان السيد، دار المدار الاسلامي، افرنجي، ٢٠٠٦، ص٥٩.

[١٠] المصدر نفسه.

[١١] محمد ياسين عريبي، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ط١، المجلس القومي للثقافة، الرباط ١٩٩١، ص ١٣٦.

[١٢] محمد ياسين عريبي، المصدر السابق، ص ١٣٦.

[١٣] موسوعة أضواء_على_الإستشراق، على الموقع: *www.ikhwanwiki.com/index.php?title=*

[١٤] الحكم المستنصر بالله (٩١٥–٩٧٦م) تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان عهده قد شهد تطورات مهمه، إذ دخل في صراعات واسعة مع الممالك الأوروبية المسيحية. للمزيد يراجع:/.https://ar.wikipedia.org/wiki

[١٥] محمد ياسين عريبي، المصدر السابق، ص ١٣٧.

[١٦] قاسم عبده قاسم، ماهي الحروب الصليبية، عالم المعرفة، ١٩٩٠، ص ٧٦.

[١٧]محمد بن علي بن محمد آل عمر، المصدر السابق، ص ٣٦٠.

[١٨]سمر رحيم الخزاعي، رشا عيسى فارس، المصدر السابق، ص ٥٧٢.

[١٩]مدينة في ألمانيا تقع على ضفاف نهر موسيل.

[٢٠] مقتبس عن : ريتشاد سوذرن، المصدر السابق، ص٩٠.

[٢١] عبد الله بن عبد الرحمن، حول الاستشراق الجديد مقدمات اولية، بلا، د.ت، ص١٩–٢٠.

[٢٢]علي بن ابراهيم الحمد النملة، المصدر السابق، ص٢٢ .

[٢٣] التنصير وتاريخه وأهدافه وعلاقته بالاستعمار والاستشراق والصهيونية، د.ت، مقال منشور على الموقع: faculty.ksu.edu.sa/alkassem/DocLib٧/مقرر%٢٠مادة%٢٠التنصير.doc

[٢٤]اسماعيل احمد عمايرة، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، دار الحنين، عمان، ١٩٩٢، ص٢٨.

[٢٥] المصدر نفسه.

[٢٦] مقتبس عن: علي بن إبراهيم الحمد النملة ,التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، بلا، ٢٠٠٣، ص ٢٦-٢٧.

[٢٧] لمعرفة تفاصيل فتح العثمانيون للبلقان يراجع: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق احسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١ .

[٢٨] للاطلاع اكثر على الفتح العثماني للقسطنطينية يراجع: ضياء محمد جميل عباس علي، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح (١٤٥١-١٤٨١م) (دراسة في التاريخ السياسي) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢.

[٢٩] محمد بن علي بن محمد آل عمر، المصدر السابق، ص ٣٥٩.

[٣٠] مقتبس عن: عثمان علي حسن، قراءة في التنصير ووسائله، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، العدد (١٥)، شباط ٢٠١٠، ص١١٨-١١٩.

[٣١] مقتبس عن: عثمان علي حسن، المصدر السابق، ص ١١٩.

[٣٢] مقتبس عن: موسوعة الأديان، على الموقع: http://www.dorar.net/enc/adyan/759.

[٣٣] علي بن ابراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير...، المصدر السابق، ص ٢١-٢٣.

[٣٤] علي بن إبراهيم الحمد النملة ,التنصير مفهومه...، المصدر السابق، ص٢١.

[٣٥] مقتبس عن: عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، التنصير تعريفه أهدافه وسائله (حسرات المصرين) بلا، د.ت، ص ٥.

[٣٦] مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق، بحث منشور في كلية الدعوة بالمدينة المنورة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بلا، د.ت، ص٧.

[٣٧] نقلاً عن: علي بن إبراهيم الحمد النملة ,التنصير مفهومه...، ص٧٦-٧٨.

[٣٨] مقتبس عن: عبد الرحمن عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص٣٥.

قائمة المصادر

اولاً: الرسائل والاطاريح:

١. ضياء محمد جميل عباس علي، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح (١٤٥١-١٤٨١م) (دراسة في التاريخ السياسي) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢.

٢. محمد بن علي بن محمد آل عمر، الطائفة الكاثولكية فرقها-وعقائدها-واثرها على العالم الإسلامي، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، كلية الدعوة واصول الدين ٢٠٠٧.

ثانياً: الكتب العربية والمعربة:

١. اسماعيل احمد عمايرة، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، دار الحنين، عمان، ١٩٩٢.

٢. ريتشاد سوذرن، صورة الإسلام في اوروبا في القرون الوسطى، ط١، ترجمة رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، افرنجي، ٢٠٠٦.

٣. قاسم عبده قاسم، ماهي الحروب الصليبية، عالم المعرفة، ١٩٩٠.

٤. عبد الله بن عبد الرحمن، حول الاستشراق الجديد مقدمات اولية، بلا، د.ت.

٥. عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، التنصير تعريفه أهدافه وسائله (حسرات المصرين) بلا، د.ت.
٦. عبد الرحمن عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٧. عبد الرضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القران؟، ط١، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٦.
٨. علي بن ابراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير دراسة بين للعلاقة بين ظاهرتين ، مع نماذج من المستشرقين المنصرين، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٨.
٩. فهد عبد القادر عبد الله الهتار، دوافع الاستشراق والمستشرقين، بحث منشور في كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٣٢هـ.
١٠. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق احسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١.
١١. محمد ياسين عريبي، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ط١، المجلس القومي للثقافة، الرباط، ١٩٩١.

ثالثاً: البحوث المنشورة:

١. التنصير وتاريخه وأهدافه وعلاقته بالاستعمار والاستشراق والصهيونية، د.ت.
٢. سمر رحيم الخزاعي، رشا عيسى فارس، رؤية معاصرة للحرب الصليبية الاولى مجلة كلية التربية، العدد الثاني، ٢٠٠٦.
٣. سمير صالح حسن العمر، عباس عاجل جاسم الحيدري، الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم، بحث منشور، كلية الآداب، جامعة الكوفة، بلا عدد، د.ت.
٤. عثمان علي حسن، قراءة في التنصير ووسائله، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٥)، شباط ٢٠١٠.
٥. علي بن إبراهيم الحمد النملة، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، بحث منشور على الموقع: book.kalemasawaa.com/christianity/evang-def-obj-meth-defe.doc
٦. مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق، بحث منشور في كلية الدعوة بالمدينة المنورة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بلا، د.ت.

رابعاً: الموسوعات:

١. موسوعة أضواء_ على_ الاستشراق.
٢. موسوعة الأديان.

خامساً: شبكة الانترنيت:

https://ar.wikipedia.org/wiki

التصريحات القاسية للشخصيات الشيعية البارزة تجاه الامام الحسن(ع) وموقفه منها بعد الصلح (دراسة نقدية تحليلية)

The harsh statements of prominent Shiite personalities towards Imam Hassan (pbuh) after the reconciliation. (analytical critical study)

م. محمد جاسم علوان
مديرية تربية محافظة بابل

Abstract .

Imam al-Hasan al-Mujtaba (pbuh) undertook his major reform campaign to achieve the goal of reform and correct the deviant Islamic experience led by Muawiyah bin Abi Sufyan, as one of the responsibilities entrusted to him, but the realistic and urgent circumstances forced Imam al-Hasan (pbuh) to accept the armistice and sign that treaty, Because of the reconciliation, the harsh statements that were issued by Shiite personalities and their public statements of harsh criticism of Hassan (pbuh), became unacceptable, unworthy of praise and not commensurate with the level of their salvation, knowledge and awareness, Which prompted us in writing this research to analyze and criticize these attitudes, while also searching for justifications and explanations for those unexpected attitudes of these sincere people.

We did this by presenting restricted ideas with reasonable possibilities in the form of theses, and trying to collect data from historical texts to support or refute them, in addition to clarifying the position of Imam Hassan (PBUH) on how to deal with the positions of those who are loyal to the opponents of reconciliation.

الملخص:

قام الإمام الحسن المجتبى (ع) بحملته الإصلاحية الكبرى لتحقيق هدف الإصلاح وتصحيح التجربة الإسلامية المنحرفة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان، كإحدى المسؤوليات الموكلة إليه، ولكن الظروف الواقعية والعاجلة أجبرت الإمام الحسن (ع) على قبول الهدنة والتوقيع على تلك المعاهدة، وبسبب المصالحة، أصبحت الأقوال القاسية التي صدرت من الشخصيات الشيعية وتصريحاتهم العلنية بالانتقاد اللاذع للحسن(ع)، وهي غير مقبولة وغير جديرة بالثناء ولا تتناسب مع مستوى خلاصهم وعلمهم ووعيهم، مما دفعنا في كتابة هذا البحث للوقوف على تحليل ونقد تلك المواقف مع البحث أيضًا عن مبررات وتفسيرات لتلك المواقف غير المتوقعة لهؤلاء الأشخاص المخلصين.

لقد فعلنا ذلك من خلال تقديم أفكار مقيدة ذات احتمالات معقولة في شكل أطروحات، ومحاولة جمع البيانات من النصوص التاريخية لدعمها أو دحضها، اضافة ايضاح موقف الامام الحسن(ع) في كيفية التعامل مع مواقف هؤلاء المخلصين من المعارضين للصلح.

الكلمات المفتاحية: الامام الحسن(ع)، الصلح، الانتقادات القاسية.

كلمات مفتاحية: (الامام الحسن(ع)، الكوفيون، الصلح، الانتقادات القاسية، تصريحات الشيعة)

المقدمة:

تناول هذا البحث دراسة نقدية تحليلية لمواقف الشخصيات الشيعية من أصحاب الامام الحسن (ع) والمعترضين على الصلح وموقف الامام الحسن(عليه السلام) منهم، واقتضت الدراسة تقسم البحث الى مقدمة وثلاثة محاور ونتائج، وقد تناول المحور الاول: ظروف الصلح السياسية، وتناول المحور

الثاني :المخالفون للصلح من أصحاب الأمام الحسن(ع) ، وتناول المحور الثالث: موقف الامام الحسن(ع) من المخالفين للصلح .

وتبدو اهمية البحث من خلال آيات القرآن التي تناولت التشريع لقواعد الحرب والصلح، فالإسلام لا يجعل الصلح قاعدة في كل الظروف كما أنه لا يقبل الحرب دائماً بل هما تابعان لظروف واهداف المسلمون سواء كانوا في زمن الرسول (ص) أو في زمن الأئمة (ع) .

يهدف البحث الى محاولة الكشف عن الاسباب والظروف الكامنة وراء موقف أصحاب الأمام الحسن (عليه السلام) المعارض للصلح و تحليل تلك المواقف السلبية والذي يدل ظاهرها على عدم الفهم الكامل لمشروعية الصلح من قبل أصحاب الامام الحسن(عليه السلام) بالنتيجة سيؤدّي إلى فهم الكثير من الحقائق التاريخية.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي في سائر المعالجات التي طرحت في الدراسة.

المحور الاول- ظروف الصلح السياسية

آ ـ الاوضاع الداخلية :

شهدت المرحلة الزمنية المحيطة بالصلح ظروف صعبة تسودها اضطرابات واسعة على مستوى السياسي والفكري حيث بايع الكوفيون الإمام الحسن(ع) خليفة للمسلمين بعد استشهاد امير المؤمنين(ع)، إلا أنّ الوضع المضطرب في الكوفة مقر الخلافة يظهر فيه ما يدلّ على عدم استقرار الوضع وهدوء الساحة، فكانت المهمة الأُولى بالنسبة للإمام التفكير بمعالجة الجبهة الداخلية وتهدئة الوسط الكوفي ثم بعث الولاة إلى الولايات باستثناء الشام التي كانت تحت حكم معاوية وكانت المهمة الكبرى التي لا بدّ من معالجتها هي وضع حدّ للتمرد الشامي والقضاء على قائد الفتنة معاوية بن أبي سفيان[١] علماً أنّ الشام لم تكن باللقمة السائغة التي يمكن ابتلاعها بيسر بل كانت عصيّة عن المعالجة إلى حد ما في زمن أمير المؤمنين فكيف بها بعد شهادته واضطراب الأمور وبروز معاوية على الساحة كحاكم شرعي في نظر الشاميين.

لا بدّ من الاستعداد التام عسكرياً وادارياً لمعالجة هذه المشكلة وعلى الإمام أن يوفر من الجيش ما يكون مؤهلاً لخوض معركة حاسمة مع خصم عنود لدود اقبل على شراء الذمم[٢] وتسخير وسائل الاعلام من شعراء وكتاب ورواة والذي يستبيح كل شيء في سبيل تدعيم عرشه والوصول إلى الخلافة وقد انصاعت له الشام بالمطلق[٣] في حين ان القوة الكوفية التي يعتمد عليها الإمام الحسن(ع) في مواجهة تمرد الشام كانت منقسمة مترددة وهو كان شاهداً وحاضراً ايام امير المؤمنين(عليه السلام) منادياً اهل الكوفة: ألا وإني قد دعوتكم لقتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، فلم يجد منهم الناصر الا القليل[٤].

كان في معسكر الإمام الحسن أناس متنوّعون، بينهم بعض الشيعة مؤيدين له ولوالده (ع)، وبعضهم محكمة[٥]، إنهم يفضلون مهاجمة معاوية بكل الوسائل المتاحة لهم، ويحبون استخدام كل تكتيك تحت تصرفهم لهزيمة معاوية، ومنهم من أنصار الذين يتبعون زعماء قبائلهم ويرفضون الدين، والبعض الآخر أصحاب الفتنة ولديهم الرغبة في الغنائم[٦].

لا ريب أنّ جيشاً يتكون من هكذا خليط غير متجانس لم يؤمن منه التمرد على قائده والانهيار أمام أبسط التحدّيات وأضعف الضربات التي توجه إليه، فالخوارج – على سبيل المثال– لم يلتحقوا بجيش الإمام الحسن إيماناً بقيادته واعترافاً بشرعيته وإنّما خرجوا ابتغاء الفتنة والإفساد[٧]، وإذا خرجنا من معسكر الكوفة وتوجّهنا نحو معسكر البصرة نراها هي الأخرى لا يؤمل فيها خير حيث عرفت بميولها العثمانية وهي أقرب إلى معاوية منها إلى الإمام الحسن (عليه السلام) حيث كان المحب فيها من يتحدث عن الامام علي (ع) ومناقبه، يقول له أهل البصرة إنكم تفرطون في علي[٨] وكذلك قام أهل البصرة بطرد وكيل الامام الحسن(عليه السلام) فقالوا : "**لا تحمل فيئنا إلى غيرنا**"[٩].

يضاف إلى ذلك تدهور العامل النفسي لدى معسكر الكوفة بسبب الحروب الثلاثة التي أثيرت بوجه حكومة أمير المؤمنين، كل ذلك كانت له انعكاسات سلبية على نفسية المسلمين عامة والمقاتلين خاصّة، وكشف الشيخ المفيد عن تلك الحقيقة والتثاقل عن القتال قائلاً: "**وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن وبعث حجر بن عدي فأمر العمال بالمسير واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه**"[١٠]، فإذا كان الكوفيون قد اضطربت مواقفهم وإن عجزهم في الأيّام الأخيرة من حياة أمير المؤمنين فهم اعجز عن مواصلة الحرب مع ابنه الحسن(ع) فلم يبق معه إلّا الخلّص من شيعته والموالين الحقيقيين له وهؤلاء لم يكونوا بالوعي السياسي التام الذي يحصّنهم من الوقوع بين ارهاصات الدعاية المضادة[١١]، وبعد أن شعر الإمام بخطورة موقف الأمّة على مسيرة الحركة الرسالية، وجد أنّ السبيل الوحيد في الحفاظ على أبناء الحركة الرسالية هو في توقيع اتفاقية هدنة مع معاوية في سنة (٤١ هـ) اطلق عليه صلح الحسن[١٢].

ب : الاوضاع الخارجية :

لم تكن الاوضاع الخارجية اقل خطرا على الاسلام من الداخل فمن ناحية السياسة الخارجية لتلك الفترة لم تكن الحرب الأهلية الداخلية في صالح العالم الإسلامي، لأنّ الروم الشرقيين تلقوا ضربات قوية من الإسلام وتحينوا الفرصة المناسبة دائماً لضرب الإسلام ضربة انتقامية. لذا حين وصل نبأ اصطفاف جيشي الإمام الحسن (ع) ومعاوية أحدهما في وجه الآخر إلى قادة الروم، اعتقدوا أنّهم حصلوا على أفضل فرصة لتحقيق أهدافهم، ولذلك انطلقوا بجيش جرّار للهجوم على المسلمين[١٣]. "**ورجع معاوية إلى الشام سنة (٤١ هـ) وبلغه أنّ طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم، فخاف أن يشغله عمّا يحتاج إلى تدبيره وأحكامه، فوجه إليه فصالحه على مئة ألف دينار**"[١٤].

لم يكن الإمام الحسن(ع) في خيار سوى ترجيح كفّة الحل السلمي لمشكلة الأمّة، خاصة بعد أن تزاحمت عوامل الضغط الداخلية والخارجية، والتي اضطر الإمام للقبول باتفاقية الهدنة (الصلح) بينه وبين معاوية، والتي جاءت بعد محاولات عديدة وجادّة أجراها الإمام الحسن(ع) مع جماهير الأمّة للوقوف بوجه الهجمة الأموية قبل الوصول إلى هذه المرحلة حتى جنح الى السلم واختار سبيل السلام.

ان السلام في الاسلام معنى وقع على حقيقته الامام الحسن (ع) في صلحه، فالسلام فكرة أصيلة عميقة، ولقد اختار الله لدينه مسمى الاسلام فكان علماً له، فيؤخذ من الاسلام السلام والسلم والمسالمة فيجد المرء السكينة والسلام مع نفسه ومع الانسانية كلها[١٥]، ولقد ذكر السلام ومشتقاته في القرآن الكريم في مائة وثمانية وثلاثين آية[١٦]، والاسلام هو شريعة السلام ودين الرحمة، والمؤمنون بهذا الدين لم يسموا

اسماً افضل من ان يكونا مسلمين ((مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ))[١٧].

المحور الثاني- المخالفون للصلح من أصحاب الأمام الحسن(عليه السلام)

بعد أن جنح الأمام الحسن(ع) للصلح لتجسيد السلم والسلام تلقى كلمات اللوم الجارحة والاعتراض من أصحابه دعاة السلام والاسلام [١٨]، حيث ذكرت المصادر التاريخية أسماء مجموعة من المعارضين للصلح مع تسجيل كلماتهم التي صدرت منهم كردة فعل على وثيقة الصلح، هم: حجر بن عدي، عدي بن حاتم، المسيب بن نجبة، مالك بن ضمرة، سفيان بن أبي ليلي، بشير الهمداني، سليمان بن صرد، عبد الله بن الزبير، أبو سعيد وقيس بن سعد[١٩].

وهنا نعرض سؤلاً مشهوراً وهو أن هناك أناساً صالحين مشهود لهم بالوثاقة، صدرت منهم كلمات اعتراض قاسية بحق الأمام الحسن (ع) عندما وقع وثيقة الصلح، ولعل المقولة الواردة على ألسن عامة الناس أن الحسن مظلوم من قبل اعدائه واصحابه منشئها موقف أصحاب الحسن(ع) الخاصة الذين ظلموه فيها فوق ظلم اعدائه، مع انهم لا يحتمل فيهم ذلك لمدى ايمانهم واخلاصهم، ومقتضى القاعدة أن يكونوا مشمولين بالسمع والطاعة للمعصوم لقول النبي(ص):"**الحسن والحسين ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا**"[٢٠]، والمفترض بهم الطاعة، كما أن المفروض بكل واحد منهم أن يكون باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه، ومن هنا يجب على هؤلاء الرجال وغيرهما أن ينزلوا على طاعته، والتسليم له باعتباره امام معصوم مفترض الطاعة، وباعتبارهم من مشاهير علماء الامصار وبعضم رواة واصحاب لأمير المؤمنين علي(ع)[٢١]، وبذلك تسقط اعذارهم جميعاً امام هذه الحقيقية.

من خلال بحثنا هذا المتواضع نحاول ان نعطي عدة تفسيرات محتملة لتلك الاعتراضات والمخالفات، لقد أوردت المصادر التاريخية الكلمات الاعتراضية من قبل أصحاب الامام الحسن(ع) بألفاظ مختلفة قاسية تدل على معنى واحد وهو المخالفة للصلح، ولعل هذه الكلمات هي تكون اشد على الحسن(ع) من ضربات سيوف الاعداء، ويبدو ان هذه الضربات بمعنى من المعاني هي موجة للفكر الشيعي الذي يحمل المقربون من الامام الحسن(ع) فهي اشد من اصابات ضربات السيف في الجسد، ومما يشير الى ذلك النبي (ص) : "**اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل**"[٢٢] وقال الشاعر :

جِراحات السِّنانِ لها التِئامٌ * وَ لا يلتامُ ما جَرَحَ اللسانُ [٢٣].

لقد سجل لنا التاريخ تلك الكلمات القاسية التي تلفظ بها أصحابه في حضرت الامام الحسن (عليه السلام) ونذكر أهمها بما يأتي:

١ـ قول المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال : "**لا والله جعلني الله فداك، ما ينقضي تعجبي منك، كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهدا وميثاقا في عقد طاهر، لكنه أعطاك أمرا بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت، والله ما أراد بهذا الكلام أحدا سواك**"[٢٤].

٢ـ قول حجر بن عدي الكندي: "أما والله لقد وددت أنك مت في ذلك ومتنا معك ثم لم نر هذا اليوم، فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا"[٢٥]، وعاتبه حجر بن عدي الكندي في

مصدر اخر بقوله : "**سودت وجوه المؤمنين . فقال له الحسن(ع) : ما كل أحد يحب ما تحب، ولا رأيه رأيك، وإنما فعلت ما فعلت إبقاء عليكم**"(٢٦).

٣ـ قول سفيان بن الليل : "**السلام عليك يا مذل المؤمنين، فلقد جئت بأمر عظيم، هلا قاتلت حتى تموت ونموت معك!**"(٢٧).

٤ـ قول جعدة بن هبيرة، وكان أصدقهم حباً ومودة للأمام الحسن(ع) وهو يشكو للحسين (ع): الصلح ويدعوه لحرب معاوية : "**أما بعد، فإن من قبلنا من شيعتك متطلعة أنفسهم إليك، لا يعدلون بك أحدا، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك، والغلظة على أعدائك، والشدة في أمر الله، فإن كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا ،.. فكتب إليهم(عليه السلام) : أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه، وسدده فيما يأتي**"(٢٨)

٥ـ قول سليمان ابن صرد الخزاعي :"**ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز**"(٢٩)، وبعد عرض هذه النصوص التاريخية والالفاظ القاسية نعرض عدة أجوبة وأطروحات محتملة لهذا الاعتراض.

الاطروحة الاولى: أن الاعتراض الذي صدر من أصحاب الامام الحسن (ع) ليس اعتراض شجب او استنكار لفعل المعصوم بل هو سؤال استفهامي لمعرفة الدوافع الداعية للصلح، وممكن ان ندعم هذه الاطروحة بمثال تاريخي وقع في صلح الحديبية عندما أمر رسول الله (ص) الامام علي (ع) ان يمحو أسم محمد رسول الله ويكتب محمد بن عبد الله كما اراد المشركين، فأبى من ذلك تعظيما له، ثم محاه وأبقى هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله(٣٠)، فلم يكن هنا موقف الامام علي موقف استنكار او خروج عن طاعة النبي(ص) بل هو استفهام لتوضيح الامور لعامة الناس او اهداف اخرى يعلمها المعصوم، الا ان هذه الاطروحة لا تصمد امام النقد الموضوعي كون الكلمات التي صدرت من اصحاب الامام الحسن(ع) الذين يصنفون ضمن طبقة الاصحاب المخلصين المقربين من الامام الحسن(ع) لا تحمل في طياتها ما يشير الى السؤال او الاستفهام بل هي اقرب الى الاستفزاز والسخرية واظهار العجب من موقف الامام الحسن(ع) الذي يعد في نظرهم موقفاً غريباً وضعيفاً فضلاً عن ان الاعتراضات التي صدرت من الاصحاب المخلصين خلقت بيئة مناسبة لطرح مزيد من الاشكالات والتشكيك لدى عامة الناس.

الاطروحة الثانية: فقدان الرؤية المستقبلية لدى المخالفين للصلح ولم يتوقعوا ما يحصل من نتائج والنظر الى افرازات الصلح الأنية وخاصة بعد ان سمعوا معاوية يقول: "**ما اعطيته للحسن تحت قدمي**"(٣١)، حيث توقعوا بعدم حصول أي نتائج ايجابية لهذا الصلح فصدر منهم ما صدر، وان ما يدعم صحة هذه الاطروحة المحتملة وهو انهم لم يتوقعوا نتائج الصلح لأنه (ع) كان يجيبهم بإزالة الاشكالية المتعلقة في اذهانهم بقوله "**وإني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم**"(٣٢) حيث يبين نتيجة مهمة لم يتوقعوها وهي الحفاظ عليهم وعلى المؤمنين.

الاطروحة الثالثة: إن اعتراضهم على الصلح كان نتيجة لردود فعل قادهم شعور على غير ارادتهم ناتج عن موقف معاوية وهو يضع شروط الامام الحسن(ع) تحت قدميه علناً ويقول :"**والله إني ما**

قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك وانما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون . إلا وان كل شرط أعطيته للحسن بن علي، تحت قدمي هاتين، لا أفي له بشيء منه"[٣٣] فمن الطبيعي ان سماع هذه الكلمات من خليفة تربع على عرش الدولة الاسلامية يثير ردة فعل قوية في نفوس من يجد نفسه حريص على الاسلام ويشعر ان تولي معاوية للحكم فيه اذلال للمؤمنين عامة واصحاب الامام الحسن (ع) خاصة وهذا واضح من قولهم للحسن(ع):"**بأبي أنت وأمي – أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة**"[٣٤]، ولعل في رضاهم النفسي انهم يتصدون لشجب الظلم الذي صرح به معاوية علناً أمام المسلمين بطرح أرائهم واستفهامهم بين يدي إمامهم الحسن(ع)، ولعل ان اذلال الرقاب الذي قصدوه هو الدخول تحت طاعة وولاية معاوية الذي عرفوا سيرته وجرمه عبرالتاريخ، فصدرت هذه الكلمات كنتيجة لردود فعل نفسية.

الاطروحة الرابعة: محاولة طرح أراء ومواقف جديد واستنهاض الامام الحسن (ع) وأستئناف القتال من جديد ولملمة الصفوف بعدما نقض معاوية الصلح، وحسب فهمهم انهم في حل من نقض العهد والعودة للقتال بقولهم : "**والله أرى أن ترجع لأنه نقض العهد**"[٣٥] فصوب الامام الحسن(ع) آرائهم وتوجهاتهم وآلزمهم بالعهد وان كان الطرف الاخر خائناً للعهد بقوله(ع): "**يا مسيب إن الغدر لا خير فيه ولو أردت لما فعلت**"[٣٦]، فضلاً عن انهم يرون ظاهراً ان معسكرهم متكامل للقتال الا ان هذه الحقيقية بعيدة عنهم حيث معظم المعسكر متخاذل وهذه الحقيقة معروفة لدى الامام الحسن(ع) ومجهولة بالنسبة لهم حيث عبروا عن مستوى الاستعداد العسكري لهم بقولهم : "**كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف**"[٣٧]، بينما الحسن (ع) كان يقدر نوايا معسكره وحقيقية إخلاصهم حيث أنشد قائلا واصفاً لهم لما اضطر إلى البيعة[٣٨]:

أجامل أقواما حياء، ولا أرى ** قدورهم تغلى على مراضها

انهم يثورون ثورة ظاهرية كالقدر التي ثارت أعلاه ولم تغل أسفلها، فهم منافقون يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

الاطروحة الخامسة: إظهار الأسف والحسرة على ترك الحرب و قتال معاوية المتمرد على الخلافة الشرعية للائمة المعصومين (ع) وتعبيراً عن رغبتهم بالموت بين يدي الامام الحسن (ع) ورفض الحياة في ظل حكومة معاوية وعبر حجر بن عدي الكندي عن ذلك الشعور بقوله: "**أما والله لقد وددت أنك مت في ذلك ومتنا معك**"[٣٩]، ومما يهون الخطب ان الامام الحسن (ع) لم يذكر له جواباً بأن المعترضين قد خرجوا عن طاعته وعن موالاته، بل أكد مودتهم وموالاتهم له حيث أجابهم بقوله(ع): "**أنتم شيعتنا وأهل مودتنا...، ولكني أرى غير ما رأيتم وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدماء**"[٤٠]، وقوله (ع) :ما جاءنا بك يا سفيان ؟ قلت : حبكم والذي بعث محمدا بالهدى ودين الحق . قال : "**فأبشر يا سفيان فاني سمعت عليا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين، يعني السبابتين**"[٤١] واذا حصل لهم ذنب من ذلك فان محبتهم لأهل البيت يغسله حيث قال قال النبي (ص) :"**حب على حسنة لا تضر معها سيئة**"[٤٢]، وقوله (ع) لسفيان المخالف للصلح:"**ما جاء بك ؟ قال : حبك، قال : الله ؟ قال : الله، فقال الحسن عليه السلام : والله لا يحبنا عبد أبدا ولو كان أسيرا في الديلم إلا نفعه حبنا، وإن حبنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما يساقط الريح الورق من**

الشجر"[٤٣].

الاطروحة السادسة: إن الصلح بحد ذاته بلاء واختبار ألهي قدر على المسلمين وما حصل من الاعتراض على الصلح الذي صدر من أصحاب الحسن(ع) هو نوع من التراجع في هذا الاختبار حيث سقط فيه الكثير وانخفضت فيه درجات الايمان، وهذه الاطروحة المحتملة ما يثبت نسبة صحتها خطاب الأمام الحسن (ع) لكافة جيشه: "**وكنتم تتوجّهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، فكنّا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا**"[٤٤]. كما إن الاعتراض على الصلح ممكن ان يندرج تحت عنوان اهمال العهد والميثاق الذي حصل بين الأمام الحسن(ع) وأصحابه فقال لأصحابه في بيعته : تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت[٤٥]، فلا بد من التسليم لجميع أفعاله، وحملها على الصحة وإن كان فيها ما لا يعرف وجهه على التفصيل[٤٦]. وهذا النوع من الاختبار وغيره من الاعتراضات التي عارضت خروج الحسين(ع) زاد من قوة ايمان البعض لكنه اوجب ضعفه في كثيرين بضمنهم من عد نفسه من خاصة الموالين([٤٧])، ويبدو ان هؤلاء الصحابة لم يحققوا النتيجة المرجوة في هذا الاختبار الالهي.

الاطروحة السابعة: إن المخالفين للصلح نظروا للموضوع من الجانب المادي بوصفهم قادة دنيويين، وينبغي ان تعترف بفشلهم في المهمات التي قاموا بها فعلاً حيث اقتصر نظرهم على ان الصراع بين قائدين أحدهما يمثل الحق وهو الحسن (ع) والأخر معاوية رجل لا شرعية له ولا يمكن مصالحته ولابد من مقاتلته وتحقيق النصر لوجود العدة والعدد وبذلك لا مبرر للصلح معه ومصالحته مثيرة للعجب لأنه طاغية حيث قالوا للحسن (ع): "**أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الامر إلى اللعين بن اللعين بن آكلة الأكباد ومعك مائة الف كلهم يموت دونك. وقد جمع الله لك امر الناس**"[٤٨]، كما صرح به المسيب بن نجبة: "**ما ينقضي تعجبي منك، كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف**"[٤٩]، ومما يؤكد صحة هذه الاطروحة هو الهدف المحتمل من قول الامام الحسن(ع) لبيان الجانب الغيبي والحكمة الالهية في ذلك الصلح : "**فارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله**"[٥٠]، وقوله (ع) لأحد أصحابه سأخبرك لم فعلت ذلك سمعت أبي يقول :"**قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي على أمتي رجل واسع البلعوم رحب الصدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية**"[٥١].

الاطروحة الثامنة: تجاهل مفهوم العصمة والامامة تجاهلاً سافراً والاقتصار على أن الامام الحسن(ع) سبط النبي(ص) وابن فاطمة وعلي (عليهما السلام) ويتمتع بمكانة مرموقة وانه قائد ممكن ان يخطأ ويصيب وليس له تدبير في السياسة وما يشر الى ذلك قول سفيان: "**السلام عليك يا مذل المؤمنين**"[٥٢]، ويبدو واضحاً ان الحسن (ع) معز المؤمنين وصفة الذل لا تنطبق على الامام الحسن(ع) لان الذل من باع وتنازل عن دينة لأجل دنياه، وما يسند أطروحة جهلهم لمفهوم العصمة والامامة هو وجواب الحسن (ع) لسفيان بقوله: وما علمك بذلك ؟[٥٣] ونفهم من سؤال الحسن(ع) لسفيان على وجه الاطروحة المحتملة أنه ما هو حجم علمك يا سفيان بخصوص الصلح ونتائجه وما حجم علمك بقول وفعل المعصوم، وما يزيد جهلهم بحقيقة العصمة قوله للحسن(ع): "**عمدت إلى أمر الأمة فحللته من عنقك وقلدته هذه الطاغية**"[٥٤] فقد حدد المعترض بأن معاوية طاغية لا يحكم بما انزل الله ولكنه لم يحدد ان الذي ابرم الصلح هو أمام معصوم مفترض الطاعة!!!. ان هذا الاعتراض هو تلكؤ واضح في التسليم

والطاعة للإمام المعصوم حيث اجابهم الامام(ع) بقوله: "**ألا تعلمون أني إمامكم ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة**"[٥٥] ومما يشير الى تقصيرهم هو اعترافهم بالذنب عندما اعلنوا ثورة التوابين[٥٦]، ومحاولتهم التكفير عن ذنوبهم عندما تكررت نفس مواقفهم المتخاذلة في نصرة الحسين(ع)..[٥٧].

الاطروحة التاسعة:

كان يرى الخاصة من اصحب الامام الحسن(ع) ظاهرا نحوا من التنازل لمعاوية بالملك والامامة كما عليه المسلك التقليدي لدى العامة وبذلك يعد اقرار للمسلك العام للخلافة المدعاة لمعاوية وامثالة او اقرار لخلافة الامويين عموماً[٥٨]. الا ان هذا الطرح لا يمكن ان يكون عذراً عن اعتراضاتهم وهم بين أمام مفترض الطاعة وبين خطر خارجي وداخلي يهدد كيان الامة وبين أمر مقدر ومفروض على واقع الامة يحفظ فيه الدماء. حيث أشار الأمام الحسن(ع) الى هذا المعنى بقوله: "**فارضوا بقدر الله وقضائه حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر**"[٥٩].

المحور الثالث- موقف الامام الحسن (عليه السلام)من المخالفين للصلح

١- شهدت سيرة الامام الحسين(ع) صفحات واسعة من العفو والتسامح مع ألد أعدائه وخصومه حيث يطعمهم من طعامه ويفرش لهم من فراشه[٦٠]، فكيف به مع من والاه وأحبه، حيث مارس الأمام الحسن(ع) دور المعلم الرباني في توضيح ما ألتبس به أصحابه ومعارضتهم للصلح حيث قدر الأمام الحسن(ع) ثقافتهم ومستوى وعيهم وتصورهم للصلح حيث اتخذ الامام الحسن(ع) عدة اجوبة انطلاقاً من القاعدة الشرعية : "**أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم**"[٦١]، في الاجابة على اشكاليات المخالفون للصلح لأن هذا الاعتراض ينم عن تدني المستوى الفكري والثقافي والعقائدي لأهل الكوفة في استيعاب مشروعية الصلح لعل الكثر منهم تسوده هذه الفكر وان لم يسجلها التاريخ ولعل ما يهون الخطب ان المقربين من الحسن(ع) امثال حجر وسفيان وسليمان وغيرهم قد راودته هذه الافكار فكيف بعامة الناس.

ان الهدف أو الحكمة من كل قول أو فعل وارد عن المعصوم، لا ينحصر أن يكون هدفاً واحداً، بل يمكن أن يكون متعدداً، سواء ما نعلمه من الأهداف أو ما نحتمله منها أو الأهداف التي تكون بالحكمة الألهية[٦٢].

إن هناك قانوناً معنوياً عرفياً وعقلائياً يقول : كلم الناس على قدر عقولهم، فإنه لا يمكن الكلام مع أي أحد إلَّا في حدود ما يطيق ويفهم، ويستحيل أن تحصل أي نتيجة بدونه[٦٣]، ومن خلال ذلك تعددت اجوبة الامام الحسن (ع) وتباينت بالنسبة للمخالفين للصلح كل حسب فهمه ومستوى تفكيره، وممكن أن طرح عدة أجوبة متعددة الاطروحات المحتملة كمحاولة لفهم أجوبة الامام للصحابة المعترضين. فلا يمكن ان نعرف حقيقية أهداف وأجوبة الأمام المعصوم كما هي أنما نفهم بقدر الظاهر منها حيث أكد هذه الحقيقية رسول الله (ص) عندما قال :"**يا علي لا يعرفك الا الله وانا**"[٦٤]، وهذه الحقيقة تسري على بقية الائمة المعصومين (ع) فلا يمكن معرفة اهداف واجوبة الامام المعصوم الا النبي والمعصومين فيكون جوابنا في تفسير قول الامام هو جواب كأطروحة محتملة ليس الا.

ممكن ان نثبت من باب الاطروحة موقف الامام اتجاه المخالفين للصلح ومن خلالها نستنتج على وجه الاطروحة المحتملة موقف الامام الحسن(ع) من أصحابه المخالفين للصلح، المتمثل بموقف المعلم الرباني في توضيح الامور وتبيانها لأصحابه واظهار السماحة والعفو لهم وانهم ممن تنالهم شفاعته. وجاءت أجوبته (ع)على عدة اوجه أهمها:

١ـ قوله (عليه السلام) "**لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال**"[٦٥].

ويبدو من الاهداف المحتملة لقول الامام هو رفع الشك والشبهة المتعلقة في اذهان اصحابه، وبيان أن ترك خيار الحرب هو بسبب تباطؤ أصحابه عن الحرب فجسد الامام الحسن هنا موقف المعلم الرباني في توضيح الامور وتبيانها لأصحابه.

٢. وقوله (عليه السلام) : "**والله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه**"[٦٦]، ويبدو من جواب الامام المحتمل بيان مدى ثقة العالية والقراءة الدقيقة لمجريات الامور بأن الظروف الموضوعية جاءت لصالح معاوية، مقدراً مستوى استيعاب وفهم أصحابه القاصر لأهداف الصلح، ولم يصدر منه موقف توبيخ اتجاه المخالفين له بل صدر منه موقف شرح وتوضيح.

٣ـ وقال (ع) مخاطبا ابا سعيد :"**يا ابا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحه الرسول لبنى ضمره، وبنى أشجع ولأهل مكة حين انصرف من صلح الحديبية**"[٦٧] ،الذي يبدو من جواب الامام المحتمل هو تقديم أدلة لأصحابه لدعم شرعية الصلح.

٤ـ وقوله (ع) :"**واللّه لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلما، واللّه لئن أسالمه وانا عزيز أحب إلى من أن يقتلني وانا أسير، أو يمن على فتكون سبه على بني هاشم**"[٦٨] وهنا نحتمل في اجابة الامام (ع) يريد ان يعبر عن هذه القناعات المهيمنة على اغلب ذهنيات معسكره المتعاونة سراً مع معاوية لتسليم الحسن(ع) اسيراً ذليلاً وهذه القناعات خافية عن اصحابه المعترضين على الصلح.

٥ـ وقوله(ع): "**إني لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوة سلمت الامر لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها وكذلك نفسي وأنتم لنبقى بينهم**"[٦٩]، وفي هذه القول اشارة الى تبيان اسباب الصلح المادية المتمثلة في ضعف اصحابه في مواجهة معاوية، والأسباب الغيبية كفعل العبد الصلح الذي اعاب السفينة واعاب عليه نبي الله موسى(عليه السلام)، فإن تكليم الناس على ما يحدث في المستقبل هو أعلى من عقولهم لا يطيقون فهمه ولا يستوعبون معناه[٧٠]، ولذا صدر عنهم الاعتراض والمخالفة للصلح .

٦ـ من خلال ما تقدم يظهر لنا موقف الأمام الحسن (ع) من أصحابه المعترضين على الصلح ،موقف المحب والمتسامح ،ومارس دور المعلم الهادي الى الرشد والصراط القويم، وبعد ان ازال شبهات الاسئلة الاستفهامية الصادرة عن اصحابه ،لم نجد لهم ردود فعل اخرى او جفاء بل التسليم لأمر امامهم كما ورد في قوله (ع): "**ما جاءنا بك يا سفيان ؟ قلت : حبكم والذي بعث محمدا بالهدى ودين الحق . قال : فأبشر يا سفيان فاني سمعت عليا يقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين، يعني السبابتين**"[٧١]، وهم على أي حال ممن ينبغي أن يشملهم عفو الامام الحسن(عليه السلام)، وتشملهم الرحمة ويعمهم الكرم الإلهي.

المقدمة:

١ـ إن اعتراض أصحاب الامام الحسن (عليه السلام) اعتراض استفهامي وليس شجب واستنكار لما قام به.

٢ـ تباين أسلوب الاستفهام لدى أصحاب الامام الحسن(عليه السلام) حول الصلح حسب مستوى الوعي والادراك لحيثيات الصلح ما يرتبط به.

٣ـ عدم الفهم الكامل لمشروعية الصلح واهدافه وغياب وجه الحكمة منه وعدم الفهم العقائدي الكامل لمفهوم العصمة والامام لدى المخالفين للصلح.

٤ـ تباين أجوبة الامام الحسن(عليه السلام) للصحابة المخالفين للصلح تقديراً للمستوى الثقافي لهم وتقديراً لنوع الاشكالية المطروحة حول الصلح، انطلاقاً من قول جده المصطفى(ص): كلم الناس على قدر عقولهم.

٥ـ مارس الامام الحسن(عليه السلام) دور المعلم الرباني الهادي في توضيح الامور والاشكاليات، وجسد خُلق النبي(ص) في معاملة المعترضين عليه ،ولم يبدي أي انزعاج منهم.

٦ـ في خاتمة الحوار والاستفهام بين المعترضين والامام الحسن(عليه السلام) اثبتت نتيجة طيبة على انهم محبين لأهل البيت كما عدهم الامام الحسن(عليه السلام) انهم من شيعته ومواليه.

الهوامش:

١ ـ جعفر شهيدي، التاريخ التحليلي للاسلام، مركز نشر دانشكاهي، طهران، ١٣٩٠ هـ، ص١٥٨.

٢ ــ ابو فرج الاصفهاني، (ت ٣٥٦هـ) مقاتل الطالبين، تحقيق : كاظم المظفر، ط٢، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ص٤٢.

٣ ـ هاشم معروف الحسني، تاريخ الفقه الجعفري، تحقيق : محمد جواد مغنية، دار النشر للجامعيين ، ص١٩٦.

٤ ـ ينظر: محمد عبده ، شرح نهج البلاغة،ط١، النهضة ، قم، ١٤١٢هـ، ج١، ص٦٨.

٥ ــ المحكمة : الخوارج . ينظر : الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق: تحقيق: محمد سيد كيلاني، ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٤ ،ج ١ ، ص ١٠٦ .

٦ ـ المفيد، محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ) ، الارشاد ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث ج٢، ص١٠.

٧ ــ الدينوري، ابو حنيفة احمد(ت ٢٨٢هـ)، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر،ط١، ار إحياء الكتب العربي ، القاهرة، ١٩٦٠ ، ص٢٢٠.

٨ ـ المفيد، الارشاد، ج١، ص١٠٣.

٩ ـ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٣، ص٤٧.

١٠ ـ المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٠.

١١ ـ جعفر شهيدي، التاريخ التحليلي للاسلام ، ص١٥٨.

١٢ ــ الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د .ت ، ج٧، ص٢؛ القرشي، الشيخ باقر شريف، الحياة الحسن السياسية للإمام الحسن، ترجمه: فخر الدين حجازي، انتشارات بعثت، ، ١٣٧٦ هـ.، ص٤٧١.

١٣ ـ المفيد، (ت ٤٣١هـ) ، الإرشاد، ج٢، ص١٣.

١٤ ـ اليعقوبي، أحمد بن وهب ابن واضح (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، بيروت ،د.ت، ج٢، ص٢١٧.

١٥ ـ سيد قطب، السلام العالمي والاسلام، ص١١.

١٦ ـ ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، المكتبة الاسلامية، استنبول ، ص٣٥٥ . ٣٥٧.

١٧ ـ سورة الحج ، اية (٧٨).

١٨ ــ البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، حقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي،ط١، دار التعارف للمطبوعات ، دمشق، ١٩٧٧، ج٣، ص.٤٥

١٩ ـ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٣، ص٤٥ ؛ ابن اعثم، أحمد بن أعثم الكوفي(ت ٣١٤هـ)،الفتوح، تحقيق : علي شيري،ط١، دار الأضواء ،بيروت، ١٤١١ه، ج٤، ص٢٩٥.

٢٠ ــ الصدوق، ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت ٣٨١هـ)،علل الشرائع ، تح : محمد صادق بحر العلوم، مطبعة شريعت، قم، ١٤٢١ه،ج ١ ، ص٢١٢

٢١ ـ أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ)، مقتل الحسين(ع)، تحقيق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية ، قم، د.ت، ص٢٤٩؛ ابن حبان، (ت٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤١١هـ، ص١٧٤؛ البراقي، حسين ابن السيد أحمد ، تاريخ الكوفة ، حقيق : تحقيق ماجد أحمد العطية، ط١، مطبعت شريعت، ١٤٤٢ه، ص٣٤١.

٢٢ ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥ه)، إمتاع الأسماع، تحقيق : محمد عبد الحميد النميسي،ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٩، ج١٠، ص٤١.

٢٣ ـ عبد الوهاب بن علي السبكي(ت ٧٧١ه)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، ط٧، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ج١٠، ص٦٢.

٢٤ ـ ابن اعثم، الفتوح،ج٤، ص٢٩٥.

٢٥ ـ الدينوري، الاخبار الطوال ، ص٢٢٠.

٢٦ ـ البلاذري ، انساب الاشراف، ج٣، ص٤٥.

٢٧ ـ الدينوري، الاخبار الطوال ، ص٢٢١

٢٨ ـ الدينوري، الاخبار الطوال ، ص٢٢١

٢٩ ـ البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص٤٨.

٣٠ ـ القاضي النعمان المغربي(ت ٣٦٣ه)، شرح الأخبار، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت، ج٢، ص٥٠.

٣١ ـ ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٥.

٣٢ ـ ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٢٩٥.

٣٣ ـ ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٥.

٣٤ ـ ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٤.

٣٥ . المجلسي ، البحار، ج٤٤، ص٥٧.

٣٦ . المجلسي ، البحار، ج٤٤، ص٥٧.

٣٧ . ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٢٩٥.

٣٨ . المجلسي ، البحار، ج٤٤، ص٥٧.

٣٩ ـ الدينوري، الاخبار الطوال ، ص٢٢٠.

٤٠ ـ البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص٤٩.

٤١ ـ ابو فرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين، ص٤٤.

٤٢ ـ القندوزي ، سليمان بن إبراهيم (١٢٩٤ه)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني،ط١، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦ه، ج١، ص٣٧٥.

٤٣ ـ المجلسي ، البحار، ج٤٤، ص٢٤.

٤٤. المجلسي، محمد باقر(ت ١١١١ه)، بحار الانوار، ط٢،مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣، ج٤٤، ص٢١.

٤٥ ـ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٣، ص٦٨.

٤٦ ـ المجلسي ، البحار، ج٤٤، ص٢٧

٤٧ ـ الصدر، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين(ع)، ص١٠١.

٤٨ ـ ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٤.

٤٩ ـ ابن اعثم ، الفتوح، ج٤، ص٢٩٥

٥٠ ـ أبن قتيبة ،ابو محمد عبد الله الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الامامة والسياسة، تحقيق : طه محمد الزيني، ط١ ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة، ١٩٩٣م ج١، ص١٤١.

٥١ ـ المفيد، الاختصاص، تحقيق : علي أكبر الغفاري ،ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣،ص٨٢.

٥٢ ـ الدينوري، الاخبار الطوال ، ٢٢١.

٥٣ ـ المفيد ، الاختصاص، ص٨٢.

٥٤ ـ المفيد ، الاختصاص، ص٨٢.

٥٥ ـ المجلسي ، البحار، ج٤٤، ص١٩.

٥٦ ـ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل (٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تح: أحمد أبو ملحم، دار الريان، القاهرة،١٩٨٨م، ج٨، ص٢٥١

٥٧ ـ ابن حجر ، شهاب الدين، احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)،الاصابة في تميز الصحابة ،دار احياء الثرات، بيروت ، د.ت)، ، ،ج٢، ص٦٣.

٥٨ ـ الصدر، السيد الشهيد محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين(ع)، تحقيقي: اسعد الناصري ، دار البصائر، بيروت، ص١٠٢.

٥٩ ـ البلاذري ، انساب الاشراف . ج٣، ص٤٥.

٦٠ ـ الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ). الوسائل، تح : مؤسسة ال البيت عليهم السلام ، (مؤسسة ال البيت (ع)، بيروت ، ٢٠٠٣ م) ج١٩، ص٩٦.

٦١ ـ المجلسي ، البحار، ج٨٤، ص٧.

٦٢ ـ الصدر، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين(ع)، ص٩٥

٦٣ ـ الصدر، السيد الشهيد محمد محمد صادق، ما وراء الفقه، ط٣، مطبعة قلم ، قم، ١٤٢١هـ، ج٩، ص١٣٤.

٦٤ ـ محمد تقي النقوي القايني الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مطبعة گلشن ،طهران ، د.ت، ج٢، ص١٨٣.

٦٥ ـ الدينوري، الاخبار الطوال ، ، ص٢٢١.

٦٦ ـ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٢١.

٦٧ ـ ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص١٦١.

٦٨ ـ المجلسي ، البحار، ج٤٤، ص٢٠.

٦٩ ـ ابن شعبة الحراني(ق٤)، تحقيق : علي أكبر الغفاري،ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ، ص٣٠٨.

٧٠ ـ الصدر، ما وراء الفقه، ج٩، ص١٣٥.

٧١ ـ أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٤.

المصادر والمراجع

١. ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي(ت ٣١٤هـ)،الفتوح، تحقيق : علي شيري،ط١، دار الأضواء ،بيروت، ١٤١١هـ.

٢ـ البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، حقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي،ط١، دار التعارف للمطبوعات، دمشق، ١٩٧٧.

٣ـ ابن حجر، شهاب الدين، احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)،الاصابة في تميز الصحابة ،دار احياء الثرات، بيروت، د.ت).

٤ـ ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤١١هـ.

٥ـ الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ). الوسائل، تح : مؤسسة ال البيت عليهم السلام، (مؤسسة ال البيت (ع)، بيروت ، ٢٠٠٣ م) .

٦ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق: تحقيق: محمد سيد كيلاني،، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٤م .

٧ ـ ابن شعبة الحراني(ق٤)، تحقيق : علي أكبر الغفاري،ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.

٨ ـ الصدوق،، أبو جعفر محمد القمي، (ت ٣٨١هـ)،علل الشرائع، تح : محمد صادق بحر العلوم،(مطبعت شريعت، قم، ١٤٢١هـ.

٩ـ الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، موسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د .ت.

١٠ـ عبد الوهاب بن علي السبكي(ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، ط٧، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

١١ـ ابو فرج الاصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) مقاتل الطالبين، تحقيق : كاظم المظفر، ط٢، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، د.ت.

١٢ـ القاضي النعمان المغربي(ت ٣٦٣هـ)، شرح الأخبار، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت.

١٣ ـ القندوزي، سليمان بن إبراهيم (١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني،ط١، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ

١٤ـ أبن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الامامة والسياسة، تحقيق : طه محمد الزيني، ط١، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٩٣م.

١٥ ـ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، الاخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر،ط١، ار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٠ .

١٦ـ الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م .

١٧ـ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل (٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تح: أحمد أبو ملحم، دار الريان، القاهرة،١٩٨٨م.

١٨ـ المفيد، محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ)، الارشاد، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث .

١٩ـ المفيد، الاختصاص، تحقيق : علي أكبر الغفاري ،ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.

٢٠ـ أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ)، مقتل الحسين(ع)، تحقيق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم، د.ت.

٢١ـ المجلسي، محمد باقر(ت ١١١١هـ)، بحار الانوار، ط٢،مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ .

٢٢ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع، تحقيق : محمد عبد الحميد النميسي،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

٢٣ـ اليعقوبي، أحمد بن وهب ابن واضح (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ،د.ت.

المراجع

١. البراقي، حسين ابن السيد أحمد، تاريخ الكوفة، حقيق : تحقيق ماجد أحمد العطية، ط١، مطبعت شريعت، ١٤٤٢هـ.

٢. جعفر شهيدي، التاريخ التحليلي للاسلام، مركز نشر دانشكاهي، طهران، ١٣٩٠ هـ.

٣. الصدر، السيد الشهيد محمد محمد صادق، ما وراء الفقه، ط٣، مطبعة قلم، قم، ١٤٢١هـ

٤. الصدر، السيد الشهيد محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين(ع)، تحقيقي: اسعد الناصري، دار البصائر، بيروت،د.ت.

٥. القرشي، الشيخ باقر شريف، الحياة الحسن السياسية للإمام الحسن، ترجمه: فخر الدين حجازي، انتشارات بعثت،، ١٣٧٦ هـ .
٦. محمد تقي النقوي القايني الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مطبعة گلشن ،طهران، د.ت.
٧. محمد عبده، شرح نهج البلاغة،ط١، النهضة، قم، ١٤١٢هـ.
٨. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، المكتبة الاسلامية، استنبول، د.ت.
٩. هاشم معروف الحسني، تاريخ الفقه الجعفري، تحقيق : محمد جواد مغنية، دار النشر للجامعيين ،د.ت.

Journal of Wasit

For Humanities and Social Sciences

Editor – in- Chief
Prof. Dr. Ja'far Baqir Mahmood Aloosh

Editorial Secretary
Asst. Prof. Mazin Jasim Al-Hilu (PhD)

Editorial Members

Prof. Dr. Yousif Inaad Zamil / Iraq

Prof. Dr. Raheem Kadhum /Iraq
Prof. Dr. Salih Nhayyer Rahi /Iraq
Prof. Dr. Ahmed Ja'far Dawood / Iraq
Asst. Prof. Dr. Mohammed Kadhim A. (PhD) / Iraq
Asst. Prof. Dr. Enas Naji kadhum (PhD) / Iraq
Asst. Prof. Dr. Lowma Abid Monaf (PhD) / Iraq

Prof. Dr. Burhan Ud-Deen bin Mohammed Abu Bdair / Malaysia
Prof. Dr. Hamid Hamza Hamad /Iraq
Prof. Dr. Mustafa Ibrahim Ash-Shaikh / Egypt
Asst. Prof. Dr. Ahmed Taqi Fudhail (PhD) / Iraq
Asst. Prof. Dr. Essa Ja'far Al-Hurgani (PhD) / Iraq
Asst. Prof. Dr. Jewad Ridha Razoqi (PhD) / Iraq
Prof. Dr. David Atkinson (UL) / Ireland

Phone : 342187 / Mobile : 07805617704

E-mail: wjfh@uowasit.edu.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

ISSN 1812 – 0512

WASIT JOURNAL

For Humanities and Social Sciences

ISSUED BY WASIT UNIVERSITY

التنضيد والإخراج الفني
صادق طليع كباشي ٠٧٨١٦١٢٨٢٠٥